219

1

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس اي في ذكر معجزته صلى الله عليه وسلم بشق القمر له وجعله فلقتين وفي منع الشمس عن سيرها للغروب كما سياتي بيانه وهنا كان عقب قصة الاسرا وفي معناه رد الشمس الاتي في قصة علي واقتصر في الترجمة على هذا لانهما في المعنى سوا ولما سياتي قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قدم اقتراب الساعة عليها تخويفا لمنكري ذلك واثبات اله وتقريرا في نفوس المومنين بها اذ تشقق السموات فيها فالقادر على ذلك الفعال لما يريد كيف لا يقدر على شق القمر واقتربت بمعنى صارت قريبة من بعثته صلى الله عليه وسلم كما ورد في الحديث بعثت انا والساعة كهاتين واشار باصبعه الوسطى والسبابة لان التفاوت بينهما مقدار سبع وبعثته صلى الله عليه وسلم في الالف السابعة على ما اشتهر عند المحدثين وغيرهم وانما كانت الساعة قريبة لان عمر الدنيا على المشهور سبعة الاف وكسور وقيل اكثر من ذلك وقد بعث نبينا صلى الله عليه وسلم في اخرها الفا وحيث لم تبق الا صبابة وقوله وانشق القمر اي وقع شقه وجعله فلقتين في الزمن الماضي بمكة معجزة له صلى الله عليه وسلم اذ قال المشركون له ارنا اية وهذا ما عليه جمهور المفسرين وقيل ان المعنى سينشق في المستقبل اذا قامت القيامة وعبر بالماضي لتحققه ورده جماعة وقالوا انه مبني على قول الفلاسفة ان الاجرام العلوية لا تقبل الخرق والالتيام ويكذبه القران وقوله فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان وقوله وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر اي دايم او محكم من امرة الحبل اذا احكم فتله وقد ثبت انشقاق القمر له صلى الله عليه وسلم في الصحيحين واخبره جماعة من الصحابة والى بيان ذلك اشار بقوله اخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي واعراض الكفرة عن اياته ومعجزاته التي لا يمكن البشر الاتيان بمثلها واجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه في الماضي وقال السبكي رحمه الله انه متواتر لا يجوز انكاره وردوا قول الماوردي ان الجمهور على خلافه وتاويل ينشق بمعنى سينشق فانه لو وقع لم يبق احد الا راه ولم يعتد المصنف رحمه الله بهذه المقالة وهي لا تخرق اجماع السلف من اهل السنة ومثله ليس من اهل التفسير بل من اهل التاويل عنده الان بعضهم نظر في حكايته الاجماع بان التجاوزي والنسفي قالا في تفسيريهما انه منقول عن الحسن البصري وكذا قال ابو الليث في تفسيره ان معناه سينشق وعزاه بعضهم للجمهور ومن الغريب ما حكي عن بعض شراح المدونة ان فلقة منه نزلت لجنبه وخرجت من كمه صلى الله عليه وسلم ولما ارسل ابو بكر بن الطيب رسولا للملك

الروم بقسطنطينيه وقيل له انه اجل علما الاسلام احضر بعض بطارقته لمناظرته فقال له تزعمون ان القمر انشق لنبيكم فهل للقمر قرابة منكم حتى ترونه دون غيركم فقال له وهل بينكم وبين المايدة اخوة ونسب اذ رايتموها ولم تزها اليهود ويونان والمجوس الذين انكروها وهم في جواركم فافحم ولم ينطق بشي اخبرنا الحسين بن محمد هو ابو علي الغساني الجياني تقدم مفصلا ترجمته الحافظ من كتابه لا بقراته عليه قال ثنا القاضي بن عبد الله الاصيلي السابق ترجمته وفي نسخة اخبرنا في جميع ما ياتي قال ثنا المروزي تقدم مع بيان نسبته قال ثنا الفربري تقدم بيانه وضبط نسبته قال ثنا البخاري الامام المشهور قال ثنا مسدد عبد الملك بن عبد العزيز الاسدي ومسدد بوزن اسم المفعول لقب له كمشهد وهو مسدد ابن مسرهد بن مسربل بن مغربل بن مرعبل بن ارندل بن سرندل بن عرندل بن ماسك بن المستورد محدث البصرة وقال ابو نعيم لو كان في اول هذه النسبة بسم الله الرحمن الرحيم كانت رقية للعقرب وهو امام حافظ روى عنه اصحاب الستة وتوفي سنة ثمان وعشرين ومايتين قال ثنا يحيى بن سعيد بن ابان الاموي الحافظ اخرج له اصحاب الستة وتوفي سنة اربع وتسعين ومايه وسنه ثمانون وترجمه في الميزان عن شعبة بن الحجاج العتكي الحافظ امير المومنين في الحديث كما تقدم وسفيان بن عيينة ابو محمد الهلالي الكوفي احد الاعلام الذي اخرج له الستة وتوفي سنة ثمان وتسعين ومايه كما تقدم عن الاعمش سليمان بن مهران السابق ترجمته عن ابراهيم النخعي السابق ترجمته عن ابي معمر الازدي الكوفي وهو بفتح الميمين وسكون العين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اي في زمنه وحياته والعهد ياتي بهذا المعنى كما في القاموس وغيره وذكره للرد على من يقول انه سيكون بعده يوم القيامه فرقتين بكسر الفا وسكون الرا المهملة بمعنى قطعتين والمراد نصفين وانتصابه على المصدريه من معنى انشق كقعد جلوسا او بتقدير وافترق فرقة فوق الجبل وفرقة دونه بالنصب بدل من فرقتين والجبل جرا وابو قبيس وفوق يجوز رفعه ونصبه ودونه بمعنى في مقابلته منفصلا عنه لا تحته كما قيل لما سياتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا انما قال ذلك لان المشركين اجتمعوا اليه صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين فقال لهم ان فعلت تومنوا فقالوا نعم فسال ربه ان يعطيه ما قالوا فانشق القمر فرقتين ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي يا فلان يا فلان اشهدوا وذلك بمكة قبل الهجرة رواه ابن الجوزي في الوفا عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال لهم لانه وقع ليلا في وقت الغفلة اي اشهدوا على معجزتي ونبوتي ووقوع ما طلبوه لانهم اهل بهتان وجحود وفي صحيح مسلم انه انشق مرتين قال ابن القيم في كتابه اغاثة اللهفان المرات يراد بها الافعال تارة والاعيان اخرى واكثر ما يستعمل في الافعال واما في الاعيان فكقوله في الحديث انشق القمر مرتين اي فلقتين ولما خفي هذا على بعضهم زعم ان الانشقاق وقع مرتين وياتي ما فيه عن قريب. وفي رواية مجاهد التي رويت عن ابن مسعود في الصحيحين

ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم جملة حالية تفيد انه شاهد ذلك ولم يسمعه من غيره
وفي بعض طرق الاعمش كما رواه احمد في مسنده بزيادة قوله بمنى منون وغير منون اسم بقعة
معلومة سميت بها لكثرة ما يمنى بها من الدماء اي يراق ويقال لها المنازل ايضا ويقال نزلوا اذا اتوا منى
قال انا زلة اسما ام عينها زلة قال ابن هشام اللخمي في شرح المقصورة واختلفت الروايات
في محل الانشقاق فقيل بمكة وقيل بمنى وفي اخرى ذكر حرا بينهما وقيل شقة منه على ابي قبيس
واخرى على السويدا والجماعة الذين طلبوا ذلك منه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة
وابو جهل والعاص بن وايل والعاص بن هشام والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد
المطلب ونظراوهم وهذه الروايات في محله لاننا في بينها لان كل راي يرى القمر باز امكان
رويته ورواه ايضا عن ابن مسعود الاسود بن يزيد بن قيس بن عبد الله ابن علقمة بن سلامان
ولم يعينه المص لشهرته وهو من كبار التابعين معروف بالرواية عن بن مسعود وهو من المعروفين
بالزهد وكثرة العبادة توفي سنة خمس وسبعين قال اي بن مسعود حتى رايت الجبل يعني جبل
حرا على ما تقدم بين فرجتي القمر اي فلقتيه وقطعتيه لبعد ما بينهما وهي بضم الفا وفتحها والضم
اولى لان فعله بالفتح للمرة وبالكسر للهيئة وبالضم للمقدار الحاصل كالغرفة للمغروف والفرجة
الفضا ما بين الشيئين فيجوز به عن المنفرج نفسه اذ الظاهر بين القطعتين المنفرجتين وقصة
ابي عمرو مع الحجاج في قرائته غرفة وسماعه من العرب ربما تكره النفوس من الامر له
فرجة كحل العقال مشهورة ورواه اي ما ذكر عنه اي عن ابن مسعود كما ذكره
البيهقي في الدلايل مسروق بن الاجدع الهمداني الكوفي من كبار التابعين تقدمت ترجمته او
توفي سنة ثلاث وستين انه اي الشق وابن مسعود كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم
ابن ابي كبشة يعنون النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن حجر هو احد اجداد النبي صلى الله عليه
وسلم فقيل هو جد وهب جد النبي صلى الله عليه وسلم لامه وقيل عليه ان ام وهب
اسمها عاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال ولم يقل احد من النسابين ان الاوقص يكنى
بابي كبشة وقيل هو جد عبد المطلب لامه وتعقب ايضا بان ام عبد المطلب سلمى بنت عمرو
بن زيد الخزرجي ولم يقل احد ان عمرا يلقب بابي كبشة ايضا وقيل انه ابوه من الرضاعة وهو
الحارث بن عبد العزى وله بنت تسمى كبشة كني بها وذكر بن حبيب انه صلى الله عليه وسلم
اجدادا من قبل ابيه وامه تكنوا بذلك وانما قالوه لان من عادتهم اذا بغضوا احدا نسبوه
لجد غامض له وفي النهاية انه رجل من خزاعة خالف قريشا في عبادة الاوثان وعبد الشعرى
العبور فلما خالفهم النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرض الهتهم شبهوه به في ذلك وفي القاموس
انها كنية وهب بن عبد مناف وكنية عم والد حليمة السعدية مرضعته صلى الله عليه
وسلم وعلى كل حال ارادوا به تنقيصه فزاده ذلك شرفا فقال رجل منهم اي من كفار
قريش قيل انه ابو جهل ان محمدا ان كان سحر القمر حين شقه او خيل لكم شقه فانه لا يبلغ
اي لا يصل شي من سحره ان يسحر الارض كلها اي اهلها كلهم فسلوا اي من ياتيكم من بلد اخر

غير مكة هل راوه اي القمر وشقه او الامر الذي وقع وفي نسخة هل راوا هذا فاتوا اي
اتوا من قدم على اهل مكة من غيرها فسالوا اي سالوهم هل راوا ذلك فاخبروهم لما سالوهم
انهم راوا مثل ذلك اي مثل رويتهم فالتشبيه بين الرويتين والمرئي واحد وهو القمر
المنشق وحكى السمرقندي تقدم ترجمته عن الضحاك نحوه اي مثل الحديث الذي ذكره
اولا وقال اي الضحاك فيما رواه فقال ابو جهل لقريش لما شاهدوا انشقاق القمر بعد ما سالوه
فابعثوا الى اهل الافاق بالمد جمع افق بضمتين وبضم فسكون وهو هنا بمعنى الناحية وما ظهر
من الفلك ومطلع الشمس كما بينه علماء الهيئة وهو الافق المرئي والافق الغير المرئي له حكما
اخر والمعنى ارسلوا ناسا لمن جاءكم من البلاد وليسالوا من بها حتى ينظروا اي يعرفوا اراوا ذلك
ام لا الهمزة استفهامية وفي نسخة هل راوا وشاهدوا مثل ما راه اهل مكة ام لم يروه
لانهم خيل لهم امر لم يقع وفي نسخة حتى تنظروا بنونين فاخبروا اهل الافاق انهم راوه اي القمر حالة
كونه منشقا والفا فصيحة اي فسالوهم فاخبروا فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر اي دايم
باق غير ذاهب على حاله الى غير النهاية من المرور او محكم قوي من امرار الحبل وهو شدة فتله
وقال ابو عبيدة معناه باطل وهو بعيد بحسب اللغة وانما قالوا انه مستمر لان هذا شان
الى ما صدر قبله من الايات المتتابعة يقفوا بعضها اثر بعض كما اشار اليه القاضي ولولا هذا
لم يتات ما قالوه فان انشقاقه لم يستمر بعد الليلة التي وقع فيها وهذا يكون اشارة للشخص
وللنوع كما حققه النحاة ورواه ايضا عن ابن مسعود علقمة ابن قيس بن مالك النخعي الفقيه
الكبير التابعي الجليل ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وتوفي في سنة اثنين وستين
والرواية عنه مشهورة في الكتب الستة فهولا الاربعة يعني مجاهدا والاسود ومسروقا
وعلقمة كلهم رووا هذا الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ثم ذكر له طريقا
اخر فقال وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود وقدم حديث ابن مسعود وجعل رواية
غيره كالمتابعة له لانه لم يرو حديث الانشقاق رواية مسندة في غاية الصحة واعتمدها
الايمة غيره وهي مما اتفق عليه الشيخان واحد بن حنبل وامر الصلاح وغيره رحمه مما اتفق عليه
الشيخان على غيره وقال انه مقطوع بصحته منهم اي ممن رواه غير ابن مسعود واعاد ضمير
الجمع نظرا للمعنى انس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم رضي الله عنهم
وهذه الروايات كلها في الكتب الستة وغيرها مخرجة فرواية انس وابن عباس في الصحيحين
ورواية ابن عمر في صحيح مسلم والترمذي ورواية حذيفة ابن اليمان في الدلايل وغيرها ورواية
ابن مطعم بكسر العين في مسند احمد والبيهقي ولذا قال فقال علي كرم الله وجهه من رواية
ابي حذيفة الارحبي واسمه سلمة ابن صهيب على الاصح نسبة لارحب حي من همدان بهمزة
مفتوحة ورا مهملة ساكنة وحا مهملة مفتوحة وبا موحدة قبل يا النسبة وهو
من الثقات المشهورين انشق القمر ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والجملة حالية
وضمير نحن لعلي ومن كان معه لا لمن تقدم وعن انس خادمه صلى الله عليه وسلم وحديثه

من مرسل الصحابة لان الحادثة وقعت وهو لم يسلم اذ ذاك وهذا من مرجحات حديث بن مسعود
رضي الله عنه سال اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم اية معجزة عن ما اوه وفي الرواية
المتقدمة انهم سالوه ان يشق لهم القمر فاراهم انشقاق القمر فرقتين بكسر الفا وسكون الرا وفي
رواية فلقتين باللام بدلها وهما بمعنى قطعتين ونصفين كما مر حتى راوا حرا ما بينهما اي بين
القطعتين وما زايده للتاكيد وفي نسخة حذفها وحرا بكسر الحا وفتح الرا المهملتين وهمزة
ممدودة وتفتح حاوه مع القصر وهو جبل بمكة معروف كان صلى الله عليه وسلم يتعبد به
كذا قاله التلمساني وقال لانه يذكر ويونث ويجري ولا يجري وهذا مما ذكره غيره من اهل اللغة
اذا عرفت هذا فما قاله الخطابي من انهم يغلطون في حرا ثلاث غلطات يفتحون حاه
وهي مكسورة ويقصرونه وهو ممدود ويميلونه وهو لا يمال شي لا اصل له الا قلة النظر في
كتب اللغة رواه عن انس قتادة وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه اي عن انس اراهم القمر
مرتين انشقاقه بالنصب بدل من القمر بدل اشتمال وفي تقديم مرتين في هذه الرواية دليل
على ما قلناه سابقا من ان التعدد في الاراة لا في الانشقاق وانه مرتين كما ذهب اليه
من نظر لظاهر هذه الرواية وان ما قيل من اصل المرات في الازمان والافعال وانها
قد تكون في الاعيان والاول اكثر وهذا من قبيل الثاني فمعناه ومعنى فرقتين وفلقتين
واحد وان هذا خفي على من قال ان الانشقاق وقع مرتين وهو لم يقع الا مرة بلا اختلاف فيه
ودعوى الحافظ العراقي في منظومته الاجماع على تعدده سهو منه وغفلة عما ذكر كدعوى
تواتر فيها وما قيل من انه كان مرة بمكة ومرة بحرا وهو على ثلاثة اميال من مكة في طريق
الذاهب لمنى وانه يدل على تعدد الازمان والاز الزم التناقض في هذه الروايات وهي كلها
صحيحة ولا يمكن عادة ان يكونوا لناس الذين راوه في ذلك الوقت في هذه الامكنة الثلاثة
وقد قالوا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا مما يقطع بتعدده الازمنة
والامكنة ليس بشي فانهم اذا راوه بمكة شاهدوا وقوع فلقة منه خلف حرا واخرى
امامه من تعدد المنظر لسمته من الافق وان لم يكونوا ثمة كما مر ولا يخفى بعد كون من ذكر
من كبار الكفرة معه ليلا بحرا وغيره من جبال مكة وبواديها قال الذي يحرر في الجمع بين
هذه الروايات انه تباعد ما بين الفلقتين جدا ليكون اظهر في دفع الانكار فانه
لو تقارب لقال هولا التخول العقول انه من غلط الحس فلما اشهدهم النبي صلى الله
عليه وسلم على ذلك اشار ربه الى فلقة منه وقال اشهد يا فلان ويا فلان ثم اراهم
مرة اخرى فلقة اخرى وقال اشهدوا وكل هذا كان بمكة ليلا والقمر في وسط السما بحذا
حرا وبحذا غيرها من الجبال والاماكن البعيدة فلا تعدد في الشق ولا تدافع بين الروايات
ولا يطعن في شي منها وهذا ان شا الله مما لا ينبغي العدول عنه فان القول بان المرات
في الاعيان لا صحة له في اللغة واستعمال الناس فلو قطع انسان بطيخة قطعتين دفعة
واحدة وقال قطعتها مرتين كذبه من سمعه واستهزا به فعليك بالنظر الحديد وان نظح

من

4

من جبذ فكره على التقليد فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر مويد المعجزة صلى الله عليه وسلم
وبهذا انقوى الحديث وصار كالمتواتر وتاويله بانه سينشق اذا قامت القيامة يا باه قوله
بعده وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر كما لا يخفى على من له نظر سديد ورواه عن جبير بن
مطعم ابن محمد وابن ابنه جبير ابن محمد فرواه عن ابيه عن جده وجبير الثاني روى عنه ابو داود
حديثا واحدا قال البرهان ولا اعلم له تجريحا ولا توثيقا وروى بان ابن حبان ذكره في كتاب
الثقات ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة الامام الجليل القدر احد
الفقها السبعة وهو ثقة مامون خرج له اصحاب الكتب الستة وتوفي سنة ثمان
وتسعين ومائة ورواه عن ابن عمر مجاهد بن جبير وقد منا ترجمته ورواه عن حذيفة
ابو عبد الرحمن السلمي بضم السين وفتح اللام وهو ابن عبد الرحمن عبد الله بن حبيب
الامام المشهور مقري الكوفة وحافظ السنة توفي سنة ثلاث وسبعين تقريبا
وخرج له الايمة الستة ومسلم بن ابي عمران الازدي البصري وهو ابو عبد الله المعروف
بالبطين نسب للازد بسكون الزاي المعجمة ويقال لها اسد بالسين ايضا اسم قبيلة
عظيمة والازد اسم جدهم الاعلى وهم حي باليمن واليهم ينتمي نسب الانصار واكثر طرق
هذه الاحاديث صحيحة الطرق هي الاسانيد والرواة تسمى طرقا لوصول الحديث الينا منها
وعبر بالاكثر اشارة الى ان في بعضها ضعفا وقيل مراده بالصحيح هنا ما يقابل الحسن
فكلها صحيحة مع التفاوت فيها والاية مصرحة بما في الاحاديث من الانشقاق وفيه
اشارة لما قلناه من ان فيها ما يمنع التاويل الذي جوزه بعضهم ولا يلتفت الى اعتراض
مخذول اصل معنى الخذل ترك النصرة والاعانة ثم قيل لكل من لم يكن على الحق وطريق
الهداية والمراد به من انكر هذا بقصد الطعن في المعجزة لا من اول الاية بخلافه فانه
ذهب اليه بعض المفسرين كما مر الا انه ايضا لا ينبغي القول به ايضا بانه لو كان هذا
الانشقاق لم يخف على اهل الارض كلهم اذ هو شي ظاهر لجميعهم تعليل لقوله لم
يخف اذ لم ينقل الينا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة اي ترقبوه ونظروا
الى مطلعه والرصد الترقب ومنه اخذ المرصد المعروف عند المنجمين فهو منقول
منه وليس بمعنى لغوي فلم يروه انشق اي هنا بصرية وانشق حال اي وقد انشق
ولا يلزم ان يعرفوا انه سينشق في تلك الليلة فيرصدوه كما قيل بل يكفي فيه سماعهم له
من النبي صلى الله عليه وسلم فيرصدوا ما وعدهم به ليعرفوا حال الخبر وهو ظاهر
واذا الثانية تعليل لعدم الالتفات ثم اجاب بجواب اخر على فرض تسليم ما ذكر
فقال ولو نقل الينا المجهول الينا انهم رصدوه فلم يروه انشق عمن لا يجوز عليهم على
الكذب اي طايفة من اهل الارض لا يجوز اجتماعهم على الكذب في خبرهم لكثرتهم
من الملا وهم الجماعة المجتمعون المتفقون على امر واحد لانهم يملاون مكانا باجتماعهم
لما اللام جواب لو وما نافية فيهما مخففة كانت علينا به حجة اي لم يكن ما اجتمعوا

عليه بحجة ودليلا يقوم على عدم وقوعه فعلينا مقدم من تاخير متعلق بحجة لنو ستمم
في الظرف اذ ليس القمر في حد واحد الحد الوصف المميز للشيء ماخوذ من الحد بمعنى الحاجز ومنه
حدود الدار اى ليس القمر على حال واحد لجميع اهل الارض اى عند جميعهم لاختلاف احواله
باختلاف مطالعه بالنسبة لبعض دون بعض فقد يطلع في ليلة في بعض البلاد دون
بعض كما بينه علما الهيئة فقد يكون ليلة انشقاقه ظالعا بمكة دون غيرها فلو قال
غيرهم لم نره انشق في تلك الليلة لم يكذبوا ولذا قال المص فقد يطلع على قوم قبل ان
يطلع على اخرين ولهذا لو شهد اهل بلد برؤية هلال رمضان لم يلزم غيرهم صومه كما
قرره الفقها وقد يكون راى القمر قوم بضد ما هو من مقابلتهم من اقطار الارض
جمع قطر بضم فسكون وهو الناحية كالطلوع في بعضها والخفا في بعض ويحول بالحا
المهملة اى يكون حايلا مانعا من رويته بين قوم وبينه سحاب وجبال شاهقة فلا
يرونه مع روية غيرهم له ولهذا اى لكونه ليس على حال وحد واحد في جميع اقطار الارض
تجد الكسوفات في بعض من البلاد دون بعض منها والكسوف معروف وهو كون جرم
القمر غير مضي مسود لحيلولة الارض بينها وبينه كما بين في محله وفي بعضها جزئيته
وفي بعضها كليه والكسوف الجزئي كسوف جزء منه والكلي كسوف جميع جرمه نسبة
للجزء للكل وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون لعلمها اى في بعض البلاد يعرف الكسوفات
بعض الناس الذين يعرفون علم الهيئة دون غيرهم ممن لا يعرفونه كالكسوف تحت الارض
فانه يقع كثيرا عندهم ويترتب عليه احكامه وغيرهم لا يعرفها بل لا يقدر على تصورها
وعبر بالادعا اشارة الى ان مثله ليس بثابت عند علما الشريعة وليس المراد به اختلاف
المطالع كما قيل وما ذكره المص بنا على ان الكسوف يقال في القمر فلا يرد عليه ما قيل
من ان الصواب ان يقول الخسوف قال الراغب الخسوف للقمر والكسوف للشمس وقال
بعضهم الكسوف فيهما اذا زال بعض ضوئهما والخسوف اذا ذهب كله يقال خسفه الله
وخسف هو انتهى وقد يستعمل كل منهما بمعنى الاخر مطلقا وعليه الاستعمال
في عرف التخاطب وعليه مشى المص فلا اعتراض عليه وله تفصيل ليس هنا محله
ذلك تقدير العزيز العليم اى سير القمر واحواله من الكسوف وغيره كله بقدرة الله
العلي العظيم الغالب بقدرته على كل مقدور المحيط علمه بكل معلوم لا كما تقول
الفلاسفة انه بقوة فلكية لاحكام نجومية لا يمكن تخلفها وقيل انه وقع
في اصل الحكيم بدل العليم والصواب العليم لانه الموافق للتلاوة واعتذر له
بانه لم يرد الاقتباس من القران ولذا لم يقل قال الله تعالى والذي رايناه في جميع ما رايناه
النسخ العليم واية القمر كانت ليلا اى الاية والمعجزة بانشقاق القمر وقعت
في الليل قال الخطابي الحكمة في ذلك ان من طلبها من قريش طلبها ليلا فاراد الله
وقوعها ليلا ولو اراد وقوعها نهارا لتكون محسوسة لكل احد فعل ذلك ولكن الله

جرت عادته باهلاك كل امة اتاها نبيها باية عامة يدركها الحس ان لم يؤمنوا بها
فخص الله هذه الامة برحمته فجعل اية نبيها صلى الله عليه وسلم على حال لا يقتضي
اهلاكها والعادة من الناس بالليل اى فيه الهدو والسكون عطف تفسيرا اى النوم
وعدم الحركة كما قال جعل الليل سكنا والهدو بهمزة بعد الواو ويجوز ابدالها واوا
وادغامها وايجاف الابواب اى اغلاقها بكسر الهمزة وسكون المثناة التحتية وجيم
وفا واصل معناه الاسراع في السير واستعمل في الاغلاق لانه مما يسارع اليه
عند الحاجة لا سيما ليلا وهو تجوز سايغ شايع فما قيل انه لم يوجد في كتب اللغة فلعله
هنا وجف بمعنى اضطرب والهمزة فيه للسلب لان بغلق الابواب يزول الاضطراب تكلف
لا داعي له ومن يغلق بابه ولا يخرج من بيته لا يرى القمر فكنى به عن ذلك وقطع التصرف
والنظر لشي فضلا عن رصد النجوم كل هذا مبالغة في ان هذا امر لا يستبعد ولا يكاد
يعرف من امور السما شيا الا من رصد ذلك اى الا من تقيد بالنظر اليه وترقبه ليلا واهتبل
اى بذل جهده واعتنى به غاية الاعتنا من قول العرب اهتبل الصيد اذا طلبه من مظانه
وهو متعد بنفسه وعداه المص بالبا لانه ضمنه معنى الاعتنا ولذلك اى لكونه امرا ليليا
في زمان غفلة ونوم ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد ما زايدة لتحقيق الكلام
وقيد بالقمري بنا على شمول الكسوف للشمس والقمر واحترز عن الشمس لظهوره واكثرهم
لا يعلم به حتى يخبر بالبنا للمجهول اى يخبره الناس العارفون به بوقوعه وكثيرا ما منصوب
على الظرفية او المصدريه وما زايدة للتاكيد يحدث الثقات بعجايب يشاهدونها من انوار
بيان للعجايب جمع النور وهو على ظاهره لانه قد يحدث في الجو نور زايد على ما عهد او المراد به
شعل نارية كذوات الاذناب التي تعتد في الافق في بعض الليالي وينسب لها امور تذكر في
كتب الملاحم ونجوم طوالع عظام تظهر في الاحيان بالليل في السما ولا علم عند احد منها
لانها تسير تحت الارض حتى تقطع درجات في دايرتها وتصل الى ما فوق الارض فتظهر
بعد الخفا وهو مشاهد كثيرا مفصل في فنه وخرج الطحاوي بالخا المعجمة المفتوحه
وتشديد الرا المهملة المفتوحة قبل الجيم والتخريج نقل حديث بسنده من الكتب
المعتمدة ومسانيد الايمة المحدثين وبيان صحته وغيرها والطحاوي بفتح الطا والحا المهملتين
والف وواو بعدها يا نسبة منسوب لطحا قرية من قرى مصر وهو الامام الجليل القدر
المحدث ابو جعفر احمد بن محمد بن مسلمة بن عبد الملك بن سلمة بن سليم الازدي ثم المصري
الحنفي لا المالكي كما قيل ولد سنة تسع وثلاثين وماتين وتوفي ليلة الخميس مستهل ذي
القعدة سنة احدى وعشرين وثلاثماية وكان اولا شافعيا من تلامذة المزني ثم تحنف
وانتهت اليه رياسة الحنفية بمصر وله تاليف جليلة في مشكل الحديث وهو كتاب جليل له
في الحديث اشتهر بالاثار عن اسما بنت عميس مصغر وهي زوجة ابي بكر الصديق رضي الله
عنهما وترجمتها مشهورة وكانت اولا زوجة جعفر بن ابي طالب من طريقين وسندين مختلفين

فى روايته هذا الحديث عنها ورواه الطبرانى باسانيد مختلفة رجال اكثرها ثقات وهذا
الحديث فى رد الشمس وحبسها لعلى رضى الله عنه كما سياتى قال ابن الجوزى انه موضوع
بلا شك ورواياتها مضطربة وفى رواته رجال متهمون بالكذب والوضع كاحمد بن
داود فان الدارقطنى وابن حبان قالا انه كذاب متروك الحديث وضاع وعمار بن مطر
متروك ايضا ذكره الذهبى فى الميزان وذكر كلام الناس فيه وانه روى حديث رد الشمس
وتعقبه بما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لم ترد الشمس
الا على يوشع بن نون وفى طريقه الثانى فضيل بن مرزوق وقد ضعفه يحيى وقال ابن حبان
انه يروى الموضوعات وهذا الحديث باطل قال ابن الجوزى ولا اتهم فيه الا ابن
عقدة فانه رافضى يحدث بمثالب الصحابة وقد رواه ابن مردويه من حديث داود من
فراهيج عن ابى هريرة قال نام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجر على ولم يكن اى على
صلى العصر حتى غربت الشمس فذكر نحوه وداود ضعيف ضعفه شعبة قال ابن الجوزى
ومن غفلة واضعه انه نظر الى الفضيلة ولم يتلمح الى عدم الفايدة فيها فان صلاة
العصر بعد غيبوبة الشمس صارت قضا ورجوع الشمس لا يعيدها اداء وقد ذكر ابن
تيمية الحديث فى كتاب رد الروافض بطرقه وما فيه واطال فيه قلت طالعته ورايت
ما ذكره فيه من ان ذلك كان مرتين وانشد فيه شعرا للحميرى ان النبى صلى الله عليه
وسلم كان يوحى اليه مرة بالصهبا وراسه الشريف فى حجر على جملة حالية والحجر
مثلث الحا المهملة قبل جيم ساكنة وراء مهملة بمعنى الحضن وهو معروف والاظهر
ان المراد انها كانت موضوعة على ركبته وهو نايم فلم يصل على رضى الله عنه العصر
حتى غربت الشمس وغابت فانتبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى اصليت
يا على بهمزة الاستفهام وفى نسخة هل صليت فقال لا اى لم اصلها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان فى طاعتك وطاعة رسولك لانه لم يزعج رسول الله
صلى الله عليه وسلم من منامه وانتظر يقظته تارد عليه الشمس اى اعدها لمكانها
الذى غربت منه ليصلى الصلاة فى وقتها يقال اردد بالفك ورُدّ بالادغام وهو دعا
وقد سمعت ما قاله ابن الجوزى انه لا فايدة فيه بعد ما صارت قضا ويانى ما فيه شروقها
اى فى محل شروقها وفى رواية شروقها وهذا فى بعض النسخ وهو بفتح الرا وسكونها وهو بدل
من الشمس او منصوب على الظرفية ومعناه ضوءها او ارتفاعها على الحيطان او انبساطها
على الارض وقيل انها انما حبست ومنعت من الحركة حتى تودى الصلاة فى وقتها وينافيه
قوله فقالت اسما فرايتها غربت ثم رايتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال والارض
وذلك بالصهبا فى القاموس قلعة بقرب خيبر وكذا قاله غيره ففى قوله فى خيبر مسامحة
او فيه مضاف مقدر اى فى قربها وخيبر بوزن ضيغم ارض بقرب المدينة فيها قلاع وقرى
كان بها مساكن اليهود ثم خربت واليه الاشارة بقولى فى الهمزية   ردت الشمس

والشروق عليه   لعلى حتى يتم الاداء   ثم ولت لها صرير وهذا   لفراقه الوصال
دواء   قال اى الطحاوى وهذان الحديثان ثابتان روايته ورواتهما اى اكثرها ثقات جعلهما
حديثين والمذكور حديث واحد شيحا لانه روى من طريقين كما ذكره واعترض عليه بعض
الشراح وقال انه موضوع ورجاله مطعون فيهم كذابون ووضاعون ولم يدر ان الحق
خلافه والذى غره كلام ابن الجوزى السابق ولم يقف على ان كتابه اكثره مردود وقد
قال خاتمة الحفاظ السيوطى وكذا السخاوى ان ابن الجوزى فى موضوعاته تحامل تحاملا
كثيرا حتى ادرج فيه كثيرا من الاحاديث الصحيحة كما اشار اليه ابن الصلاح وهذا
الحديث صححه المص واشار الى ان تعدد طرقه شاهد صدق على صحته وقد صححه قبله
كثير من الايمة كالطحاوى واخرجه ابن شاهين وابن مندة وابن مردويه والطبرانى فى معجمه
وقال انه حسن وحكاه القرافى فى التنقيح ولفظه انه صلى الله عليه وسلم صلى الظهر
بالصهبا ثم ارسل عليا فى حاجته فرجع وقد صلى النبى صلى الله عليه وسلم العصر
فوضع راسه فى حجر على فنام ولم يحركه حتى غابت الشمس فقال صلى الله عليه وسلم
اللهم ان عبدك عليًّا انما احتبس نفسه على نبيه فرد عليه الشمس الخ وانكار ابن
الجوزى فايدة ردها مع القضاء لا وجه له فانها فايتة بعذر مانع عن الادا وهو عدم
تشويشه على النبى صلى الله عليه وسلم وهذه فضيلة اى فضيلة فلما عادت الشمس
حاز فضيلة الادا ايضا وقد قال ابن حجر فى شرح الارشاد لو غربت الشمس ثم عادت
عاد الوقت ايضا لهذا الحديث واما حديث ان الشمس لم ترد الا ليوشع حين قاتل
الجبارين يوم الجمعة فلما ادبرت الشمس خاف ان تغيب الشمس ويدخل السبت فلا يحل له
قتالهم فدعى الله فرد عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم فقد اجيب عنه بانه قاله قبل
قصة خيبر او المراد انها لم ترد لاحد من الامم السالفة فالحصر اضافى مع انه نقل ابن
حجر عن المص فى الاكمال ان الشمس حبست لنبينا صلى الله عليه وسلم فى الخندق حين شغل
عن صلاة العصر حتى ادركها ادا وما روى انه قضاها بعد ما غربت الشمس لعله
كان فى يوم اخر وفى تفسير البغوى والكواشى والثعلبى ان الشمس ردت لسليمان ايضا
وروى عن على وضمير ردوها عايد على الشمس فى الاية لعلمها وان لم يجر لها ذكر واقول
ان السيوطى صنف فى هذا الحديث رسالة مستقلة سماها كشف اللبس عن حديث
رد الشمس وقال انه سبق بمثله لابى الحسن الفضلى اورد طرقه باسانيد كثيرة وصححه
بما لا مزيد عليه ونازع ابن الجوزى فى بعض من طعن فيه من رجاله والحاجة التى ارسل
صلى الله عليه وسلم لها عليا قسمة غنايم خيبر وما ذكر من الحديث المعارض له
لا يعارضه وهو انه لم يكن لنبى معجزة الا وكان لنبينا مثلها وهذه المعجزة كانت ليوشع
وسليمان ومن غريب طرقه ما رواه الطبرانى فى الكبير عن اسما ايضا قالت اشتغل
على رضى الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قسمة الغنايم يوم خيبر

حتى غابت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي اصليت العصر قال لا يا رسول الله
فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس في المسجد فتكلم بكلمتين او ثلاثة
كانها من كلام الحبشة فارتجعت الشمس كهيئتها في العصر فقام علي فتوضا وصلى العصر
ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما تكلم به قبل ذلك فرجعت الشمس الى
مغربها فسمعت لها صريرا كالمنشار في الخشبة وطلعت الكواكب انتهى واذا صح الحديث
علم منه ان الصلاة ليست بقضا بل يتعين بهذا الدعا الادا والا لم يكن له فايدة
فما اورده وارد عليه ولا حاجة الى ان يقال انه من خصايصه فانه لا يقع مثله حتى
يقاس عليه وقد يقال نظيره على القول باختلاف المطالع ما لو صام اول يوم من رمضان
ببلده ثم سافر وافطر ووصل لبلد فيها الشهر ناقص وعلم انه تم ببلدته فهل يلزمه قضاوه
تماما ام لا وحكى الطحاوي عن احمد ابن صالح هو ابو جعفر الطبري الحافظ الثقة روى
عنه اصحاب السنن وتوفي في سنة ثمان واربعين ومايتين وله ترجمة في الميزان كان يقول
لا ينبغي لمن سبيله العلم اي لمن طريقته ودابه الاشتغال بالعلم ومعرفة الحديث فجعل
نفس العلم طريقا لانه يصل به صاحبه الى سعادة الدارين التخلف عن حفظ حديث
اسما بنت عميس الذي روته في رد الشمس لانه من علامات النبوة اي من الايات الدالة
على ثبوتها لانه معجزة عظيمة وهذا مويد لصحته فان احمد هذا من كبار ايمة الحديث
الثقات ويكفي في توثيقه ان البخاري روى عنه في صحيحه فلا يلتفت الى من ضعفه وطعن
في روايته وبهذا ايضا سقط ما قاله ابن تيمية وابن الجوزي من ان هذا الحديث موضوع
فانه مجازفة منهما وما قيل من ان هذه الحكاية لا موقع لها بعد نصهم على وضع الحديث
وان كونه من علامات النبوة لا يقتضي تخصيصه بالحفظ خلط وخبط لا يعبا به
بعد ما سمعت وروى يونس بن بكير بالتصغير وهو ابو بكر الشيباني الامام الثقة
وقول ابي داود انه ليس بحجة مردود فان ابن معين وثقه وقال انه صدوق توفي في سنة
تسع وتسعين ومائة وله ترجمة في الميزان في زيادة المغازي روايته عن ابن اسحاق محمد بن
يسار صاحب السيرة وروايته مفعول روى لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم
واخبر قومه من قريش بعد اسرايه بالرفقة والعلامة التي في العير بكسر العين المهملة
وهي الابل والرفقة بجمع رفيق مثلث الرا اي اخبرهم بقافلتهم ومن فيها من الجماعة
المترافقين والعلامة هي قوله صلى الله عليه وسلم انه يقدمها جمل اورق على
ما فصلوا اشتهي في السير ويأتي بعضه قريبا قالوا متى تجي جواب لما اي في اي يوم تصل
لمكة وسوالهم لامتحانه صلى الله عليه وسلم قال يوم الاربعا بتثليث البا والمراد
تجي يوم الاربعا فلما كان ذلك اليوم بالرفع والنصب والاول اولى لانه نعت فاعل
كان التامة بمعنى وجد اشرفت قريش بشين معجمة ورا مهملة اي قامت على شرف وهو المكان
المرتفع وقوله ينظرون حال ومستانفا اي يرتقبون قدوم عيرهم وقافلتهم في اليوم

الموعود وقد ولى النهار اي قارب ذلك اليوم وهو يوم الاربعا ان يتم ويدخل الليل
بغروب الشمس فيه ولم تجئ العير وتصل اليهم في المكان الذي وقفوا فيه لانتظارها
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي سال ربه وتضرع له ان يمد ذلك اليوم حتى
تجي العير قبل انقضايه فزيد له في النهار ساعة وذلك انه حبست له الشمس ساعة
اي امسكها الله بقدرته وعوقها عن سيرها المعتاد مقدار ساعة حتى قدمت العير
قبل غروبها في ذلك اليوم وقد تقدم انها حبست له صلى الله عليه وسلم في الخندق
ايضا وفي سيرة مغلطاي نقلا عن الخطيب في كتاب النجوم انها حبست لداود
عليه الصلاة والسلام ايضا وقال انه رواية ضعيفة وذكر البغوي وغيره
في سورة ص انها حبست لسليمان عليه الصلاة والسلام حين عرض الجياد كما
مر انفا تنبيه الذي ذكرها من حبس الشمس وان العير قدمت بعد العصر قبيل
الغروب ينافيه ما ورد من انها قدمت صباحا وعليه اقتصر المفسرون كالزمخشري
والبيضاوي في اول سورة الاسرا وهو انه صلى الله عليه وسلم لما رجع من الاسرا قعد
حزينا لعلمه بتكذيبهم له فمر به ابو جهل عدو الله وقال له مستهزيا هل استفدت
من شي قال نعم اسري بي الليلة الى بيت المقدس قال واصبحت بين ظهرانينا قال نعم قال
اتحدث قومك بهذا قال نعم فنادى هلموا فانفضوا اليه حتى جلسوا اليهما فقال حدثهم
بما حدثتني به فقصه عليهم فمن بين مصفق وواضع يده على راسه تعجبا للكذب على زعمهم
وارتد ناس وسعى بعضهم الى ابي بكر رضي الله عنه وقال له هل لك في صاحبك يزعم
انه اسري به الخ وقال لقد صدق واني لاصدقه فيما هو اعظم من ذلك من اخبار السما
فسمي لذلك الصديق وكان فيهم من رأى المسجد الاقصى فقالوا له هل تستطيع ان تنعته
لنا قال نعم فنعته لهم ثم التبس عليه بعض امره فجي بالمسجد الاقصى ووضع دون
دون دار عقيل فنظره ونعته لهم فقالوا اصاب ثم قالوا له اخبرنا عن عيرنا هل لقيتها
قال نعم مررت على عير بني فلان بالروحا وقد ضلوا بعيرا لهم وطلبوه وفي رحلهم قدح
ما فعطشت فشربته فسالوهم هل وجدوا ما في القدح قالوا نعم وهذه اية قال ومررت
بعير بني فلان وفلان راكبان قعودا فنفر فوقع وانكسرت قالوا نعم وهذه اية قالوا فاخبرنا
عن عيرنا قال مررت بها بالتنعيم قالوا اخبرنا عن عدتها واحمالها وهيئاتها ومن فيها قال
كنت في شغل عن ذلك ثم مثلت له فنعت ذلك لهم وقال يقدمها جمل اورق عليه
غرارتان مخيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا نعم وهذه اية اخرى ثم خرجوا
يبتدرون نحو الثنية وقالوا لقد قضى محمد بيننا وبينه حتى تواكدوا فجلسوا ينظرون
طلوع الشمس كي يكذبونه فقال قايل منهم هذه الشمس قد طلعت وقال اخر هذه الابل
قد طلعت يقدمها بعير اورق فرأوا فيها كل ما ذكره فقالوا ان هذا الا سحر مبين انتهى
مع طي لبعض الفاظه وهذا مناف لما رواه المص رحمه الله والعجب من بعضهم

اذا ورد هذا هنا ولم يتنبه لما قلنا   فوالله ما ادري أَحلامُ نايم   أَلَمَّتْ بنا ام كان

في الركب يوشع   لطيفة من الاتفاقات الحسنة ان المظفر الواعظ ذكر يوما قرب

الغروب فضايل على كرم الله وجهه ورد الشمس له والسما مغيمة غيما مطبقا فظنوا

ان الشمس غربت وهموا بالانصراف فاصحت السما ولاحت الشمس صافية الاشراق

فاشار اليهم بالجلوس وانشد ارتجالا   لا تغربي يا شمسُ حتى ينتهي   مدحي لآل

المصطفى ولنجله   واثني عنانك اذا اردت ثناهم   انسيت اذ كان الوقوف لاجله

ان كان للمولى وقوفك فليكن   هذا الوقوف لخيله ولرجله   فصل في نبع الما

من بين اصابعه اي خروجه من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم معجزة له يقال نبع

ينبع نبعا ونبوعا من باب نصر وعلم وضرب   ومنه الينبوع لعين الما وهو مصدر

مضاف لفاعله   وتكثيره ببركته صلى الله عليه وسلم   اي تكثير الما ببركة وضع

يده الشريفة فيه وهو نبع ايضا وان لم ينشا هذه الناس وقد كان هذا مرات كثيرة

ورويت بطرق متعددة في الصحيحين وغيرهما ففي بعضها اتي بقدح وفي بعضها جفنة

وفي بعضها ميضاة وهي انا معد للوضو وفي بعضها مزادة والما قليل فكفى جماعة

كثيرة في بعضها كانوا خمسماية وفي بعضها ثمانماية وفي بعضها خمسماية والفا الى غير ذلك

مما اغنونا بجمعه في المعجزات وهذه المعجزة اعظم من معجزة موسى عليه الصلاة

والسلام اذ نبع له الما من الحجر لانه معتاد وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار الاية

واما خروجه من لحم ودم فلم يعهد كما قال الشاعر رحمه الله   ان كان موسى سقى الاسباط

من حجر   فان في الكف معنى ليس في الحجر   ولله در الابوصيري في قوله في لاميته

ومنبع الماعذبا من اصابعه   وذي اياد عليها قد جرى النيل   قالوا وهذا الما

افضل من ما زمزم والكوثر ويحتمل قوله وتكثيره ان لا يكون عطف تفسير بل من عطف

الاعم على الاخص ليشمل ما كان بدعائه وتفل ريقه فيه وهو الاظهر والبركة اليمن

واصل معناه زيادة الخير فهو مناسب هنا جدا اما الاحاديث في هذا فكثيرة جدا اي

كثيرة عظيمة تفوت الحصر وهو مصدر لازم النصب والتنكير وفيه ايما الى انها لا تنتهي

الا بغاية الجد والاجتهاد فيها وقال النووي رحمه الله انها بلغت مرتبة التواتر روى

حديث نبع الما من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة بفتح الصاد

مصدر في الاصل كالصحبة ثم صار جمعا للصحابي منهم انس وجابر وابن مسعود رضي الله

عنهم واشار بمن التبعيضية الى انه روى عن كثير غير هولا كبلال وابن عباس لانه وقع

بين الجم الغفير منهم في الحديبية وغيرها كما قال ولولا ان احاديثه كثيرة جدا فلا حاجة

لما قيل ان الكثرة باعتبار المخرجين لها في كتبهم من ايمة الحديث حتى صار متواترا تواترا

معنويا وانما نص على رواية هولا لقوة صحتها برواية الامام مالك والشيخين لها

حدثنا ابو اسحاق بن جعفر الفقيه رحمه الله بقراتي عليه هو ابن احمد الفاسي اللواتي نسبة

للواتة بفتح اللام والواو المخففة تليها تا مثناة فوقية وهو شيخ المص قال حدثنا

القاضي عيسى بن سهل ضد الصعب وتقدمت ترجمته قال حدثنا ابو القاسم حاتم

ابن محمد كما تقدم في ترجمته قال حدثنا ابو عمر بن الفخار بفتح الفا وتشديد الخا لقب بمعنى

كثير الفخر ونوع من الاواني يجعل من الطين ولذا قيل   لا يفخرن امرو بذات يدٍ

فالكسر يدنو لكل فخار   وقيل على المص ان الصواب ابو عبد الله بن الفخار قال

ابن رشد ابو عمر الذي يروي عن ابي عيسى ليس بابن الفخار وانما هو ابن القطان الفقيه

وهو ابو عمر احمد بن محمد بن عيسى القرطبي المتوفى في سنة ستين واربعماية وبقراته على

ابي عيسى سمع الموطا يونس بن المغيث لكن ابن حاتم لم يذكر الرواية عنه وانما يروي

عن عبد الله محمد بن عمر بن الفخار المتوفى في سنة تسع عشر واربعماية ففي كلام المص

سهو من وجهين اذ سماه ابو عمر وهو ابو عبد الله وفي قوله   قال حدثنا ابو عيسى

قال حدثنا يحيى اذ اسقط راويا بين ابي عيسى ويحيى وهو عبد الله ابو مروان وقد ذكره

المص على ان الصواب في غير هذا المحل فيما مر وفيما سياتي وابو عيسى هذا هو يحيى بن

عبد الله بن يحيى بن يحيى بن كثير صاحب مالك وراوي الموطا عنه   وليس من قبيل

الانقطاع لتصريحه بصيغة التحديث   اللهم الا ان يقال انه جعل اتصاله في غير

هذا المحل قرينة على تقديره هنا فليتامل قال ابو محمد القرطبي صوابه حدثنا عيسى

حدثنا عبيد الله الخ وصوابه ابو عيسى بالكنية لا عيسى بالاسم لان ابا عيسى انما

تحمل عن عبيد الله بن يحيى عن ابيه يحيى وابو عيسى هو يحيى بن عبد الله بالتكبير بن

يحيى سمع عم ابيه عبيد الله بالتصغير بن يحيى وقد تقدم على الصواب في فصل

الحلم والاحتمال وياتي ايضا كذلك في فصل كنيته   قال حدثنا مالك امام دار

الهجرة المشهور عن اسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة الامام المشهور الفقيه وانس

عمه توفي في سنة اثنين وثلاثين وماية عن انس بن مالك قال فيما رواه مالك

في موطاه عنه والشيخان عنه رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم   وقد حانت

صلوة العصر بمهملة ونون اي قربت او دخل وقتها وهو ماخوذ من الحين بمعنى

الوقت فالتمس الناس الوضو بفتح الواو وهو الما الذي يتوضا به ويجوز ضمها

والالتماس افتعال من اللمس بمعنى اللمس بمعنى المس ثم صار حقيقة في مطلق الطلب

فلم يجدوه فاتي بالبنا للمجهول بوضوء تقديره بانا وضوء بقرينة قوله فوضع يده

فيه وفي مسلم بقدح زجاج وامر الناس ان يتوضوا منه قال انس فرايت الما

ينبع من بين اصابعه فتوضا الناس من عند اخرهم اي جميعهم   وتقدم معنى ينبع

وانه بتثليث البا وقد قالوا انه يحتمل ان الما خرج من اصابعه صلى الله عليه

وسلم حقيقة وهو الظاهر ويحتمل انه كثر من غير نبع منها   وانما وضع يده

فيه سترا عن الناس حتى لا يروه فيفتتن بعضهم به   وتادبا مع الله الذي لا يوجد

المعدوم سواه واصابع جمع اصبع وفيه عشر لغات تثليث الهمزة مع تثليث البا
والعاشرة اصبوع قال ابن مالك رحمه الله تثليث با اصبع مع ضم همزته
والكسر والفتح والاصبوع قد كملا وعند مثلث العين والافصح الكسر وهي
ظرف مكان يلزم النصب على الظرفية او الجر بمن ويتجوز بها عن العلم وغيره من معانيه
وقوله من عند اخرهم لفظ مسموع من فصحا العرب قديما وقال النووي انه لغة
لبعضهم وعند هم من للغاية بمعنى الى ولم يات على الاصل لان الى عنده لحن عندهم
ونقله عن سيبويه وقيل بل هي هنا ابتدائية لابتدا الغاية اذ لم يسمع بمعنى
الى وانه كناية عن الاستيعاب والشمول والمعنى توضوا كلهم بحيث لو قيل
ان ابتدا وضوهم كان من اخرهم صدق قايله او قول سمع ايضا من اخرهم بدون عند
كما في الكشاف في اول البقرة وما ذكره ركيك جدا فالصواب ان يقال انه كناية
كما قال وتوجيهه ان ما الوضو كانه ماخوذ ومبذول من اخرهم والمعروف انه
لا يبذل الا ما فضل عن حاجته فكانهم بذلوه لاولهم ولمن بعدهم وما قاله النووي
اسهل واظهر وقد نقل انه لغة في شرح مسلم وهي عبارة النبي صلى الله عليه وسلم
ولشراح الكشاف فيه كلام فيها ورواه ايضا اي كالرواية السابقة عن انس
رضي الله عنه قتادة كما في صحيح مسلم قال اي انس في هذه الرواية فاتي باناء فيه
ماء الاناء بكسر الهمزة معروف وتقدم ان انية جمعه وليس مفردا كما يتوهم يغمر اصابعه
بالغين المعجمة وميم وراء مهملة هو ما يسترها ومنه استعير الغمرة للشدة او لا
يكاد يغمرها يعني انه قليل لا يغطيها وتقدم انه صلى الله عليه وسلم فعله تسترا
وتادبا مع الله الذي لا يوجد المعدوم سواه وكاد للمقاربة ونفيها ابلغ من نفي
الفعل الذي هو خبرها والكلام عليها مشهور فلا حاجة لتكثير السواد به
هنا كما فعله بعضهم قال اي قتادة لانس رضي الله عنه كم كنتم معاشر الناس
الذين توضوا من ذلك الما قال زها بضم الزاي المعجمة والمد ويقال ايضا لها
باللام اي مقدار ثلاثمائة رجل واصل الزها العدد الذي يقدر بالتخمين فقد
ينقص ويزيد بمقدار يسير يقال زهوت القوم اذا حزرتهم وقدرتهم من غير
عد تحقيقي وليس من الزهو بمعنى الفخر والعجب وفي رواية عنه اي عن انس رضي الله
عنه وهم بالزورا عند السوق الزورا مكان مرتفع قريب من مسجد النبي صلى الله
عليه وسلم بالمدينة وثمة سوقها ورواه اي حديث نبع الما ايضا حميد بالتصغير
وهو المعروف بالطويل واختلفوا في اسمه فقيل تير وقيل تيرويه وقيل طرخان
وقيل غير ذلك وهو ابو عبيدة مولى طلحة الطلحات الخزاعي او الدارمي مات وهو
قايم يصلي سنة اثنين واربعين ومائة وهو ثقة اخرج له الايمة الستة الا انه
نسب للتدليس وترجمته في الميزان وثابت والحسن بن ابي الحسن البصري كما تقدم

عن انس

عن انس وانفرد البخاري عن مسلم بالرواية الاولى والثالثة واتفقا على الثانية
وفي رواية حميد كم كانوا قال كانوا ثمانين ونحوه عن ثابت عنه اي عن انس وعنه
ايضا اي عن انس وهم نحو من سبعين رجلا وفي مسلم عنه ايضا بين الستين
الى الثمانين وحمل اختلاف الرواية عنه على انهما كانا قضيتين في وقتين وواقعتا
حال حدث عنهما واذا كان الامر على التقريب والتخمين فلا اشكال ايضا واما ابن
مسعود ففي الصحيح اي الحديث الصحيح او صحيح البخاري عنه اي عن ابن مسعود
رضي الله عنه من رواية علقمة تقدم ترجمته بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم اي كانوا مجتمعين عنده وبين ظرف والالف فيه اشباع كافة عن الاضافة
كما ذكره النحاة وفي نسخة بينما وهي كبينا فيما ذكر وتقع بعدها الجملة الاسمية
والفعلية وقد يتلقى باذ واذا والاصمعي يستفصح تركهما هنا وليس معنا
ما فقال لنا اطلبوا من معه فضلة ما اي بقية من ماء كان او زيادة منه على حاجته
وقد مر انه صلى الله عليه وسلم انما طلبه لستر الايلا يتوهم انه موحد له من العدم
دون الله وهو الواجد الموجد لكل فتادب بذلك مع الله ولو شا لاوجده
بدعائه وطلبه له من الله ولو شا لاوجده ابتدا من غير شي فاتى بما بالبنا للمجهول
والفا فصيحة اي فطلبوا الما فوجده بعضهم واتى به فصبته في انا اي صبه
وسكبه في انا اخر مسكشوف كانه اتى به في مزادة لا تدخلها اليد ثم وضع
كفه فيه اي في الانا الثاني والعطف بثم لما بينهما من تراخ يسير بدعايه فدعا الله
ثم الخ فجعل ينبع بتثليث الموحدة كما مر وجعل بمعنى صار وليس الاسناد مجازيا
كما قيل من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم وهذه القصة هي المتقدمة وانما
اعادها اشارة الى تعدد طرقها الدالة على ذلك ويحتمل انها غيرها وفي الصحيح يحتمل
انه صحيح البخاري او المراد في الحديث الصحيح له ولغيره عن سالم بن ابي الجعد الاشجعي
الكوفي وهو من كبار التابعين الثقات عن ابن عباس وغيره وتوفي سنة مائة وترجمته
مفصلة في الميزان عن جابر رضي الله عنه عطش الناس يوم الحديبية وهو يوم
معروف بمكان معروف بين مكة والطايف وهو مصغر وياؤه مخففة على الافصح
ويجوز تشديدها كما تقدم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه اي عنده في
مكان قريب منه ركوة بتثليث الرا المهملة وكاف وواو والافصح فيه الفتح
وجمعه ركا بالكسر والمد وهي انا للما من جلد كالابريق فتوضا صلى الله عليه وسلم
منها واقبل الناس نحوه اي جاوا اليه صلى الله عليه وسلم وقالوا ليس عندنا ما
الا ما في ركوتك جملة حالية والاستثنا متصل فوضع النبي صلى الله عليه وسلم
يده في الركوة فجعل الما يفور اي ينبع ويرتفع لزيادته من بين اصابعه كامثال العيون
اي كان بين كل اصبعين من اصابعه الشريفة عين ماء نابعة وفيه اي في حديث سالم

هذا فقلت لجابر رضي الله عنه كم كنتم معاشر الصحابة قال لو كنا مائة الف لكفانا ذلك
الما الماء شاهد من غزارته الدال على عدم انقطاعه كنا خمس عشرة مائة يعني الفا وخمسمائة
رجل وهم اصحاب الشجرة وبيعة الرضوان وقد اختلف في عددهم وهذه رواية مشهورة
ولذا اقتصر عليها المص وقيل كانوا الفا واربعمائة وصحح هذه الرواية البيهقي وقيل
كانوا الفا وستمائة وقيل الفا وخمسمائة واربعون وقيل وخمسة وعشرون وقيل وثمانون
وقيل وثلاثمائة وجمع ابن دحية رحمه الله بين الروايات بانه كان حزرا وتخمينا لا تحقيقا
وتحديدا ورواية سبعمائة وهم من راويها وروي مثله بينا المجهول اي مثل حديث سالم
المذكور عن انس عن جابر صحح في النسخ بدون عاطف بينهما فان صح هذا فليس رواية انس
عن جابر في الكتب الستة كما قاله البرهان الحلبي وفيه اي في هذا الحديث انه كان بالحديبية
كما في الرواية التي قبله وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه اي عن جابر رضي الله
عنه والوليد هذا ولد في حياته صلى الله عليه وسلم وتوفي في خلافة عبد الملك بن
مروان وهو ثقة لكنه قليل الحديث واخرج له الشيخان والترمذي وابن ماجه وهو يروي
عن ابيه في حديث مسلم الطويل صفة للحديث في ذكر غزوة بواط بضم البا الموحدة وفتح
الواو المخففة والف وطا مهملة وهي ثاني غزواته وهي مفصلة في مسلم وغيره ويجوز فتح
بايه ايضا وهي اسم لجبال الجهيفة على براد من المدينة فهي بقرب ينبع وكانت في ربيع
الاول سنة اثنتين وفي هذا الحديث معجزات له صلى الله عليه وسلم قال قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء ناد امر من النداء محذوف الاخر المعتل والوضوء
بفتح الواو وهو منصوب بمقدر ومعقول ناد مقدر ايضا اي ناد الناس وقل لهم اعطوا
او ناولوا الوضوء وهو الماء الذي يتوضا به وفيه حث لهم عليه وذكر الحديث بطوله وفيه
ان رجلا من الانصار كان يبرد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما في سقا فلما اخبره
انه نادى فلم يجد الماء قال له انطلق الى فلان الانصاري فانظر هل في اشجابه من شيء
قال فانطلقت اليه واخبره بما عنده وانه لم يجد عند الانصاري الا قطرة ارادها قليلا
جدا في عزلاء شجب بالاضافة اي فم قربة بالية وعزلا بفتح العين المهملة وسكون الزاي
المعجمة ولام بعدها مدة وهمزة وهو فم الراوية ومصب الماء منها وجمعه عزالي بفتح اللام
وكسرها او شجب بفتح الشين المعجمة قيل او كسرها وسكون الجيم وبا موحدة ما قدم
من القرب او اعواد تعلق عليها القرب ونحوها وجمعه شجب واشجاب واصل معناه الهلاك
فاتي به بينا المفعول ويجوز بناؤه للفاعل والرواية الاول وضميره للمذكور النبي صلى الله
عليه وسلم فغمزه بفتح الغين المعجمة والميم والزاي المعجمة اي وضع يده عليه وكبسه
والغمز هنا كالذي في قوله وكنت اذا غمزت قناة قوم كسرت كعوبها او تستقيما
والغمز بالعين الاشارة بها معنى اخر وتكلم بشيء لا ادري ما هو وفي الحديث انه صلى الله
عليه وسلم جعل يتكلم بشيء لا ادري ما هو فكانه سر من اسرار الله تكلم به بالسريانية

ونحوها

10

ونحوها لا يخفى على غيره وقد تقدم حكاية مثله في بدء الشمس المتقدم وقال ناد بجفنة
الركب الجفنة كالقصعة لفظا ومعنى وهي التي تشبع عشرة فاكثر ودونها الصحفة ثم
المأكلة والركب بفتح ثم سكون اسم جمع لراكب والمراد الناس وان يكونوا راكبين بالفعل
وهذا وقع في رواية لقتادة والذي في مسلم ناد بجفنة فكانه لم يكن معهم الا جفنة
واحدة وضمن ناد معنى ايت بها بدليل قوله فاتيت بها بالبنا للمفعول كما قاله البرهان وغيره
ويجوز البنا للفاعل وقيل مفعوله محذوف اي ناد القوم ليأتوا بجفنتهم او هي منزلة
منزلة من يعقل لان الله خلق فيها ادراكا حتى تنادى هي فتاتي بنفسها ويكون ذلك
معجزة له صلى الله عليه وسلم لانه لم ينقل لنا مثله فوضعها بين يديه وذكر جابر رضي الله
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده بالسين والصاد وبهما قرئ اي وضع يده
الشريفة في الجفنة مبسوطة ليكون ابرك وفرق اصابعه وصب جابر عليه ما كان
في القربة من الماء وقال اي النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله ابترك واطلب نبع الماء
ويحتمل التسمية لصحة نيته بذلك واقتصر عليه لانه الماثور في ساير الافعال لا لبيان
انه يجزي بدون الرحمن الرحيم كما قيل ولو قلنا فاعل قال لبسم الله جابر كان اوفق بما
في الرواية من انه وضع يده في قعر الجفنة وقال خذ يا جابر صب علي وقل بسم الله فصببت
عليه صلى الله عليه وسلم وقلت بسم الله فلا يقال كيف استبد جابر بالصب من غير
اذن وان المص غير الرواية ونسب لجابر ما لم يقله فيجاب بان كلام جابر وما علم من داب
الصحابة رضي الله عنهم معه صلى الله عليه وسلم قرينة على ما ذكر قال جابر رضي الله عنه
فرايت الماء يفور اي يزيد ويرتفع حتى يتدفق من فار القدر اذا غلا ما فيه من بين اصابعه
صلى الله عليه وسلم ثم فارت الجفنة اي فار ماؤها ففيه مضاف مقدر او الاسناد
مجازي للمبالغة في غزارته واستدارت اي دار ماؤها لان الماء اذا زاد بسرعة يرى كانه
يدور وليس المراد ان الجفنة نفسها استدارت لعظم الامر فانه لا يحصل له حتى امتلات
وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا اي اخذ كل منهم من الماء ما يكفيه ودوابه
وشربوا حتى ذهب عطشهم والري مقابل العطش وفيما رواه المص مخالفة لما في صحيح
مسلم بحسب اللفظ دون المعنى كقوله ودارت وفي بعض النسخ فارت الجفنة ثم فارت
بالتكرار فقلت هل بقي احد له حاجة اي قال جابر فقلت الخ وهل هنا قيل انها نافية
كقوله صلى الله عليه وسلم هل ترك لنا عقيل من دار ويجوز ان تكون استفهامية وقوله
فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة الفاء فيه فصيحة اي فقال لا فرفع الخ
وحديث جابر هذا ليس في شيء من الكتب الستة غير مسلم وهي ملاى بوزن سكرى اي
مملوءة بالماء لم تنقص شيئا بما اخذوه وعن الشعبي هو من كبار التابعين فحديثه هنا مرسل
والمرسل يستدل به عند مالك والمص مالكي المذهب ان النبي صلى الله عليه وسلم
بالبنا للمجهول اي اتاه بعض الصحابة باداوة بكسر الهمزة وفتح الدال المهملة والفدو وها

وجمعها اداوى وهى اناء صغير للماء من جلد ولذا اضافها لقوله ماء فى بعض اسقانه وقيل ما معنا
يا رسول الله ماغيرها فشبكها اى صبها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه او امر بصبّها
ووضع اصبعه بالافراد وقد تقدم لغات الاصبع وانها عشرة وسطها بفتح السين وسكونها
وهو منصوب على الظرفية اى وضعه فى وسط مائها وفى الفرق بين الوسط مسكنا ومحركا
كلام فى كتب العربية ليس هذا محله وبيناه فى شرح الدرة وتقدم فيما مرّ مافيه الكفاية
وغمسها فى الماء تفسير لما قبله والغمس بغين معجمة الادخال وجعل الناس يحيون ويتوضون
جعل هنا بمعنى صار وطفق نحو جعل زيد يقول كذا وهو احد معانيه الخمسة ثم يقومون
بعد الوضوء قال الترمذى ابو عيسى امام اهل السنة المشهور صاحب الجامع وغيره
وفى الباب اى فى هذا الباب الذى ذكر فيه معجزاته ونبع الماء عن عمران بن حصين بضم
الحاء وفتح الصاد المهملتين اى روى عنه مثله ومثل هذا الامر المعجز المروى فى هذا
الحديث فى هذه المواطن جمع موطن وهو موضع التوطن وهو هنا بمعنى المجالس الحفلة
بفتح الحاء المهملة وكسر الفاء واللام والهاء اى الكثيرة الناس والجموع الكثيرة اى جموع
الناس الكثيرة فى مثل هذه المحافل لاتتطرق التهمة بضم المثناة الفوقية وفتح الهاء
ويجوز تسكينها وتاؤها مبدلة من الواو والتهمة ما يتوهم ويظن فى شئ على خلاف
الواقع وقيل التسكين غلط وهو ظاهر ما فى القاموس والصحاح ولا يكون الا اسما
لما يتهم به وقيل انه بالسكون مصدر وبالفتح اسم كما فى شرح المفتاح لابن كمال وفيه
نظر وتتطرق بمعنى يصل واصل معناه يجد طريقا اى المحدث به بفتح الدال المهملة المشددة
وكسرها لانهم كانوا اسرع شئ الى تكذيبه او تكذيب المخبر عنه او الخبر لوقوعه بين
ناس كثيرين لا يمكنهم تواطيهم على الكذب لما جبلت عليه النفوس من ذلك اى الاسراع
الى التكذيب ولانهم اى من حضر تلك المحافل كانوا ممن لا يسكت على باطل فلا يقرونه على
ما قاله اذا كذب فيهم وهم عرفوا خلافه ولا يخافون فى الله لومة لائم وهؤلاء المذكورون
من الصحابة وغيرهم قد رووا هذا الحديث الذى فيه نبع الماء من بين اصابعه صلى الله
عليه وسلم واشاعوه ونسبوا حضور الجماء الغفير له اى قالوا انه وقع فى محافل
ناس لا يحصون كثرة فلا يمكن كونه كذبا وحضور الجماء الغفير كما والجماء الغفير
اى كلهم شريفهم ووضيعهم بحيث لم يتخلف منهم احد وفيه لغات واستعمالات
كثيرة ذكرها فى القاموس وليس هذا محل تفصيلها ولم ينكر احد من الناس عليهم
ما حدثوا به عنهم اى لم يقل احد ان ما نقلوه من هذه المعجزة انها لا اصل لها ونحوه
انهم فعلوه وشاهدوه بفتح همزة ان بدل من ما حدثوا وما فعلوه كوضوئهم وتقديمهم
الاداوة وصب الماء وغيره مما تقدم وما شاهدوه نبع الماء وتدفقه وكثرته
فصار ما ذكر من كثرة من نقله من عدول الصحابة وعدم انكار غيرهم كتصديق
جميعهم له اى لذلك الخبر والحديث فتواتر تواترا معنويا وامرا مجمعا عليه وفى نسخة لهم

فصل

11

فصل ومما يشبه هذا اى من المعجزات المشبهة لنبع الماء من بين اصابعه صلى الله
عليه وسلم من معجزاته بيان لما او حال من اسم الاشارة تفجير الماء ببركته صلى الله
عليه وسلم والتفجير الشق الواسع يقال فجر الارض فانفجرت وتفجرت ومنه
الفجر بمعنى الصبح فاضافته للماء اضافة مجازية من اضافة ما للمحل الى الحال قال
الله عز وجل وفجرنا الارض عيونا او التفجير مجاز بمعنى الاخراج وهو شايع فيه وقوله
ببركته اى بيمنه وجوده فى مكان خرج منه الماء والبركة الخير الدايم وهى فى الاصل من البرك
وهو الموضع الذى يضعه البعير على الارض اذا برك ومنه البركة وهى الموضع الذى
يحبس فيه الماء وقوله تبارك وتعالى انزلنى منزلا مباركا اى كثير الخير وتبارك الله
بمعنى زاد خيره الذى افاضه على عباده وهو لا ينصرف ولا يستعمل فى غير الله وابتعاثه
وهو افتعال من البعث وهو الاثارة والاخراج للماء حتى يجرى بمسه ودعوته اى لمسه
لمحله ودعايه لله واخر هذا عن نبعه من بين اصابعه لان الاول اقوى فى المعجزة لاحتمال
هذا لكونه من الاتفاقيات كغيره من الماء الجارى وفى بعض النسخ انبعاثه من الانفعال
بالنون وهما بمعنى واحد مطاوع بعثه فانبعث وابتعث كانشوى واشتوى وجعل هذا
مشبها بذاك لما تقدم مما روى مالك فى الموطا ومسلم فى صحيحه وعزاه المص للموطا دونه
لان روايته له اعلا سندا عنده او لترجيح روايته عن معاذ بن جبل الصحابى المشهور
رضى الله عنه فى قصة غزوة تبوك بفتح المثناة الفوقية اسم مكان بين الشام والمدينة
غزاه صلى الله عليه وسلم فى غزوة مبينة فى السير وانهم اى الجيش الذين كانوا معه
صلى الله عليه وسلم وردوا العين تعريفها للعهد اى عينا بتبوك نزلوا عليها فى سفرهم
هذا وهى تبض مضارع بض بزنة رد بموحدة وضاد معجمة مشددة من بض الماء اذا سال
سيلانا قليلا ويجوز ان يكون بصاد مهملة من بص اذا لمع وبرق وهو رواية فيه وهو
كناية عن قلة الماء ولذا قال بشئ من ماء مثل الشراك بكسر الشين المعجمة وفتح الراء المهملة
والف وكاف وهو سير النعل الذى يكون على وجهه وشبهه به لقلته وضعف جريانه
وليس بمعنى اخدود فى الارض كما قيل فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع الماء الذى غرفوه فى شئ
من الاوانى التى كانت معهم وليس فيه قلب وان الاصل غرفوا فى شئ حتى اجتمع ما كثير كما توهم
ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه ضمير فيه للشئ بمعنى الاناء او للماء
وهو الظاهر منه ولكنه لمشاكلة قوله واعاده فيها اى فى العين التى غرفوا منها وضمير اعاده
للماء لا للوجه كما توهم فجرت بماء كثير اى جرى من تلك العين ماء كثير فاستقى الناس اى شربوا
وسقوا دوابهم قال اى معاذ بن جبل رضى الله عنه فى حديث ابن اسحاق صاحب السير
فيما رواه عن معاذ فى سيرته فانخرق بنون وخاء معجمة وراء مهملة وقاف اى انفجر انفجارا شديدا
من الماء ماله حس كحس الصواعق الحس بحاء وسين مهملتين بمعنى الصوت المحسوس بحاسة
السمع وهو مجاز مشهور يقال للشئ حس اى يسمع حركته والصواعق يكون معها اصوات

شديدة من الصعقة وهي الصيحة وهو من تشبيه المحسوس وهذا كان في رجعته صلى الله
عليه وسلم من تبوك كما قال ابن اسحاق ثم انصرف قافلا من تبوك الى المدينة وكان في الطريق
ما يخرج من وشل ما يروي الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقال له وادي المشقق فذكر القصة
ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم بعد جري الاستقا يوشك بضم المثناة التحتية وواو وشين
معجمة مكسورة وكاف مضارع اوشك وفتح شينه لغة ردية كما في القاموس وغيره ومعناه
يقرب ويسرع من غير بطو يا معاذ ان طالت بك حياة اي ان اطال الله عمرك ورايت هذا المكان
ان ترى بعينك وهو فاعل يوشك وان بالفتح مصدرية ما ههنا ما موصولة اي الذي ها
هنا وهو اشارة للمكان ندملي بالبنا للمجهول جنانا منصوب على التمييز وهو بكسر الجيم جمع
جنة بفتحها وهي البستان اي يكثر ماوه ويخصب ارضه فتكون بساتين ذات ثمار وشجر
كثيرة والحديث طويل اقتصر المص منه على بعضه المراد منه اختصارا وفي حديث البراء بن عازب
بفتح البا الموحدة كما تقدم وسلمة ابن الاكوع افعل من الكوع بفتحتين وهو اعوجاج اليد
وحديث البرا في صحيح البخاري وحديث سلمة بفتحتين في مسلم وحديثه اي حديث سلمة
الذي رواه مسلم اتم من حديث البرا كما ياتي في قصة الحديبية التي قدمناها وفيها بيعة الرضوان
وهم اربع عشرة مائة رجل من الصحابة كما تقدم وبيرها اي وما بيرها لا يروي بضم المثناة
الفوقية خمسين شاة معروفة وروي اشاة بهمزة مكسورة في اوله ومفتوحة في اخره وهي
النخلة الصغيرة فنزحناها اي اخرجنا جميع ما فيها من الما بطينه فلم نترك فيها قطرة من مايها
فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها بفتح الجيم والبا الموحدة مقصور وهو
فم البير وما حولها وبالكسر ما جمع فيها من الما ويروى شفاها بشين معجمة وهما بمعنى هنا
قال البرا واتي بالبنا للمفعول بدلو منها اي من تلك البير اي بما دلوها نزحوا منها فبصق اي التي
ريقه ودعا بعد بصاقه او هو شك من الراوي هل بصق فيها او دعا الله لتكثير مائها
كما اشار اليه بقوله وقال سلمة راوي الحديث اما دعا واما بصق فيها بكسر همزة اما فيهما
بيان للشك في الرواية وفي نسخة فاما دعا الى اخره وضمير فيها راجع للبير لا للدلو كما قيل
فجاشت البير اي فار ماؤها حتى ارتفع لعمها من جاشت القدر اذا غلت فارووا انفسهم
وركابهم اي شربوا منها حتى ارتووا وسقوا ركابهم حتى رويت والركاب بكسر الرا المهملة الابل
جمع لا واحد له من لفظه وقد علم ان حديث البرا رواه البخاري ولفظه قال تعدون انتم
الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا
مع النبي صلى الله عليه وسلم اربع عشرة مائة والحديبية بير فنزحناها فلم نترك فيها قطرة
فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ما فتوضا
فمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها اصدرتنا نحن وركابنا اي صرفتنا
ونحن وابلنا رووا ولم يحتج للمقام بها لاجل الما وان حديث سلمة في صحيح مسلم وهو انه قال
قدمنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن اربع عشرة مائة وعليها خمسون

شاة لا ترويها قال فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبا الركية فاما دعا واما
بصق فيها قال فجاشت فسقينا واستقينا قال ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعانا للبيعة في اصل الشجرة فبايعته اول الناس ثم بايع حتى اذا كان في وسط الناس
قال بايع يا سلمة فقلت بايعتك يا رسول الله في اول الناس قال وايضا وراني رسول الله
صلى الله عليه وسلم اعزل اي ليس معي سلاح فاعطاني حجفة او درقة ثم بايع
حتى كان في اخر الناس قال الا تبايعني يا سلمة قلت قد بايعتك يا رسول الله اول الناس
واوسط الناس قال وايضا فبايعته الثالثة الحديث ومنه تعلم ما قدمه المص
من ان حديث سلمة اتم لما فيه من تفصيل القصة وانه كان عليها من يستقي للشاء
حين قدموا ولذكره كيفية المبايعة وما جرى له معه صلى الله عليه وسلم وفي غير هذه
الروايتين كذا في اكثر النسخ بتوحيد هذه وفي بعضها هاتين الروايتين قيل وهو
الصواب لتثنية المشار اليه ووجه الاول بانه وحد اسم الاشارة لاتحاد الروايتين
معنى لان القصة فيهما واحدة لكنه لا يخلو من تكلف والروايتين رواية البرا ورواية
سلمة في هذه القصة اي في قصة الحديبية من طريق ابن شهاب الزهري وقد تقدمت
ترجمته مرارا في الحديبية تفسير للقصة فاخرج سهما من كنانته هي ما يوضع فيه السهام
لانها تكنها اي تسترها فوضع بالبنا للمجهول وفي بعض النسخ فوضعه اي امر بوضعه في
قليب ليس فيه ما القليب البير المحفورة من غير بنا فان بنيت فهي طوي ويذكر ويونث وهو
مخالف للرواية السابقة انه كان ما قليل والذي وضع السهم البرا وقيل ناجية على ما ياتي
فروي الناس بفتح الرا المهملة والمثناة التحتية بينهما واو مكسورة اي شبعوا منه وروي لقوله
حتى ضربوا بعطن هو بفتح العين والطاء المهملتين ونون محل تبرك فيه الابل عند الما
بعد شربها المعود لعلل بعد نهل وضربوا بمعنى اقاموا من ضرب الخيمة اذا نصبها يقال ضربت
الابل بعطن اذا بركت يعني انهم لما رووا اكثرة الما نزلوا عنده وهذا الحديث رواه البيهقي
مسند المروان بن الحكم والمسور بن مخرمة قال فيه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
لزيادة البيت لا يريد حربا فذكر الحديث وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال انها الناس
انزلوا فقالوا ما بالوادي ما ننزل عليه فاخرج سهما من كنانته اعطاه رجلا من اصحابه فقال
انزل القليب واغرزه فيه ففعل فجاش الما حتى ضرب الناس بعطن وفيه ان الذي نزل في
البير رجل من الغفاري دلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمامته وقيل هو ناجية
السلمي وكان البراء بن عازب رضي الله عنه يقول انا الذي نزلت كنا في دلائل النبوة وعن
ابي قتادة هو الحارث ابن ربعي وقيل النعمان بن ربعي وقيل اسمه عمرو وهذا الحديث رواه
البيهقي ايضا فلذا عطفه فقال وذكر ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
العطش في بعض اسفاره لانه كان يوما شديد الحر فدعا بالميضاة بكسر الميم ويا مثقلة
عن واو لانها الة الوضو وهي مقصورة وزنها مفعلة وقد عدفوزنها مفعالة ودعى

طلب مطهرة ما الوضوء فاتى بها فجعلها فى ضبنه بكسر الضاد المعجمة وسكون البا الموحدة
والنون وهو ما تحت الابط وقريب من الحضن يقال اضبنته اذا جعلته فى ضبنك وبه سمى احيانا
كما فى الغريبين والمراد انه امسكها وضمها اليه ثم التقم فمها اى ادخل فمها فى فيه كما تدخل
اللقمة فالله اعلم اى قال الراوى فى لا اعلم نفث فيها ام لا اى نفث فى تلك الميضاة ام لا
والنفث بنون وفا وثاء مثلثة نفخ لطيف بغير ريق كالنفخ واقل من التفل فشرب الناس
من تلك الميضاة حتى رووا اى حصل لهم الرى المزيل للعطش وملاوا كل انا معهم مما فضل
عن شربهم فخيل بالبنا للمجهول الى انها كما اخذها منى مثل ما اخذها منى لم تنقص شيئا مما كان
فيها حين اخذها منى وانما قال خيل لانه بالحدس اذ لم يتحقق معدار ما كان فيها وكانوا اثنين
وسبعين رجلا وروى مثله عمران بن حصين وذكر الطبرى محمد بن جرير الامام المشهور
حديث ابى قتادة المذكور على غير ما ذكره اهل الصحيح اى فيه مخالفة لما رواه اصحاب الحديث
المعتنون بتصحيحه وان النبى صلى الله عليه وسلم خرج بهم اى بهولا المذكورين من الصحابة
رضى الله عنهم ممدا لاهل موته بضم الميم وسكون الواو وجوز بعضهم همزها ساكنة ثم مثناة
فوقية وهى ارض من البلقا وقرية بين تبوك وحوران من الشام وممدا بمعنى مقويا ومعينا
عندما بلغه قتل الامرا اما مصدرية والامرا جمع امير وهم زيد بن حارثة مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجعفر بن ابى طالب وعبد الله بن رواحه وذلك انه صلى الله عليه
وسلم ارسل حارث بن عمير الازدى بكتاب الى ملك بصرى فلما نزل بموتة عرض له شرحبيل
بن عمرو الغسانى فقتله ولم يقتل رسول له قبله فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد
بن حارثة على ثلاثة الاف واوصاهم لقتال شرحبيل وقال ان قتل زيد فاميركم جعفر فان قتل
جعفر فاميركم عبد الله ابن رواحه فان قتل فليرض المسلمون برجل منهم وعقد للسرية لوا دفعه
لزيد واوصاهم كما ذكره اهل السير فلما التقوا قتل زيد ثم جعفر ثم عبد الله كما اخبرهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فدفعت الراية لخالد بن الوليد الى اخر الحديث وفيه معجزات له صلى الله
عليه وسلم من اخباره بالغيب كما اشار اليه بقوله وذكر اى ابن جرير حديثا مطولا فيه
معجزات وايات للنبى صلى الله عليه وسلم كما ذكروا ما شاهده من جعفر وطيرانه فى الجنة
بجناحين وغير ذلك مما فضله الله به وعظم قدره وفيه اعلامهم انهم يفقدون الما فى غد
ذكره ابن جرير حديث الميضاة السابق قال والقوم زها ثلثمائة اى قريب من ذلك بطريق
الحزر والتخمين كما تقدم انفا وفى كتاب مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لابى قتادة
وقد راى معه ميضاته احفظ على وفى نسخة علينا ميضاتك هذه وامسكها عندك
فانه سيكون لها نبا اى خبر عظيم وقصة عجيبة فى امر مائها وكفايته القوم
وما يظهر بها من المعجزة العظيمة وذكر نحوه اى مثل ما تقدم ومن ذلك اى من قبيل
المعجزة السابقة فى تفجير الما حديث عمران بن حصين حين اصاب النبى صلى الله عليه وسلم
واصحابه عطش فى بعض اسفارهم فوجه رجلين من اصحابه اى ارسلهما لجهة من الجهات

واعلمهما

واعلمهما انهما يجدان امراة بمكان كذا الرجلان عمران بن حصين الراوى وعلى ابن ابى طالب
كرم الله وجهه وقيل انهما على والزبير بن العوام وفى البيهقى ان عليا خرج
فى نفر من اصحابه ولم يسم احد هذه المراة الا انه وقع فى السير انها اسلمت ولم يذكروا
اسم المكان الان فى الحديث انه بروضة خاخ ان كانت القصة واحدة معها بعير
قال اهل اللغة انه يطلق على الذكر والانثى عليه مزادتان المزادة بفتح الميم ظرف
من جلد يحمل فيه الما كالقربة وهو من الزيادة لانه زيد فيه جلد مع جلد لا من الزاد
كما توهمه بعضهم فقال تثنية المزود الحديث فوجداها اى المراة واتيا بها الى النبى
صلى الله عليه وسلم فجعل فى انا من مزادتيها اى جعل ماء من مائها فى انا عنده اى وضع
فيه بعض ما المزادتين وقال فيه اى فى الما الموضوع فى الانا ما شا الله ان يقول المراد
دعاؤه وذكر اسما الله عليه ونحوه مما لم يسموه ولذا ابهموه ثم اعاد الما الذى اخذه
فى انائه من المزادتين فرده بعد ما دعا له فى المزادتين اللتين للمراة ثم فتحت عزاليهما بنا الفعل
للمجهول وعزاليهما بكسر اللام جمع عزلا وهو فم القربة كما تقدم والتانيث والجمع وليس
للقربة الا فم واحد قيل لانها كانت تتعدد فى قربهم عزلا وان من اسفل وعزلا وان من فوق
وما كان اسفل يخص باسم العزلا والاحسن ان الجمع قد يطلق على الواحد وليس على حد قوله
قد صغت قلوبكما لاختصاصه بما اذا كان المضاف مثنى وانما جنى على مائها لانها
كانت حربية ولغزورة العطش وقد قيل ان هذه اسلمت لما شاهدت هذه المعجزة
العظيمة منه صلى الله عليه وسلم وامر صلى الله عليه وسلم الناس ان يملوا منه فملئوا
اسقيتهم جمع سقا وهو انا من جلد يوضع فيه الما حتى لم يدعوا شيئا من اوانيهم الا ملئوه
ما قال عمران بن حصين رضى الله عنه وانا يخيل الى بالبنا للمجهول انهما لم يزدادا الا امتلاء فالجملة
حالية بتقدير مبتدا اى حال كونى وقع فى مخيلتى ان المزادتين بعد اخذ الناس منهما الما
انهما لم ينقصا بل زادا عما كانا عليه ثم امر صلى الله عليه وسلم ان يعطوها من زادهم
شيئا بدلا مما اخذ من مائها تفضلا منه فان ماءها لم ينقص فجمع بالبنا للمفعول اى جمع
الناس للمراة حتى ملئوا ثوبها وحملوه على بعيرها وقال صلى الله عليه وسلم للمراة اذهبى فانا لم
ناخذ من مائك شيئا ولكن الله سقانا من فضله واختلفت الروايات هنا ففى بعضها ما ذكره
المصنف فقط وفى بعضها انهم ملئوا اسقيتهم وسقوا ابلهم وانه امرهم بذلك واستعماله
صلى الله عليه وسلم من ما القربة التى للكافرة لا ينافى النهى منه على استعمال اوانيهم وانهم
نجس وامره بغسلها اذا اضطروا لاستعمالها لاختصاصه بما يحتمل النجاسة كقدورهم
واوانيهم التى يضعون فيها الخمر والخنزير وقرب الما لا يتوهم فيها ذلك الحديث بطوله
اى اقرا الحديث بطوله وتمامه ان اردت الوقوف عليه وفيه اشارة الى الحديث طويل
مروى فى كتب الحديث كالبخارى وغيره لاشتماله على رجوعها لقومها وذكرها لهم القصة
بتمامها وتعجبها مما راته من المعجزة له صلى الله عليه وسلم لكن المصنف اقتصر على محل الشاهد منه

وعن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه تقدم بيانه انه قال قال نبي الله صلى الله عليه وسلم في يوم
من الايام هل من وضو بفتح الواو كما تقدم وانه الما الذي يتوضأ به وبالضم نفس الفعل ومن
زايدة في المبتدا المقدر خبره اي هل معكم وضوء وسوغ الابتدا بالنكرة وقوعه بعد الا
ستفهام فجا رجل باداوة بكسر الهمزة ودال مهملة اي انا من جلد صغير فيها نطفة اي ما
قليل وقد تطلق على غيره لتنزيله منزلته لنكتة واصل معناها القطرة ومنه نطفة الرجل
لمنيه فافرغها في قدح اي صبها في انا فتوضانا كلنا بالرفع توكيد لضمير الفاعل ندغفقه
مفعول مطلق وندغفقه بضم النون وفتح الدال المهملة وسكون العين المعجمة ثم فا مكسورة
وقاف اي نصبه صبا كثيرا من قولهم عيش دغفق اي واسع اربع عشرماية من الرجال واربع
بالرفع خبر مبتدا مقدر اي ونحن اربع الخ او بدل من ضمير ندغفقه اي توضانا لانه بيان لعدد
من توضا وكثرتهم مع قلة الما وصغر الانا ونصبه على الحالية من احد الضماير وفي حديث
عمر ابن الخطاب رضي الله عنه الذي رواه البيهقي والبزار وابن خزيمة في مسنده بسند
صحيح في جيش العسرة بضم العين وسكون السين المهملتين وهي غزوة تبوك الواقعة في سنة
تسع من الهجرة وسميت بذلك لانها انفقت في زمان كانت النفقة والزاد في غاية القلة
عندهم ولذا لم يورا النبي صلى الله عليه وسلم فيها كما كانت عادته في اسفاره ولعثمان بن
عفان رضي الله عنه اليد البيضا لما جهزهم بماله كما يجي في السير وتسمى الفاضحة
لافتضاح المنافقين فيها والعسرة هي الشدة والضيق وذكر عمر رضي الله عنه ما اصابنا
اي جيش العسرة من العطش لقلة الما حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه هو ما في كرشه
فيشربه اي يشرب ما عصره منه مع تغيره وقلته وهم كانوا يفعلون ذلك في ضرورتهم
فرغب ابو بكر رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم والرغبة طلب ما يحبه وتتعدى
للمطلوب بفي فيقال رغب في كذا ولضده بعن فيقال رغب عنه ويكون بمعنى التضرع
فيتعدى بالى لمن طلب منه اي تضرع وتذلل في الدعا اي في دعايه صلى الله عليه وسلم
وتوجهه لربه ليزيل ما بالناس من الباس الذي علمه منهم فرفع يديه نحو السما التي
جعلها الله قبلة للدعا ورفع اليدين نحوها سنة كمسح الوجه بهما بعده كما ذكره ابن
حجر اي ودعا ربه وتضرع اليه كما ورد انه طفق يهتف بربه اي يدعوه ويناشده
في سرعة اجابته فلم يرجعها بفتح اليا اي لم يرد يديه من دعايه ويرجع متعد كما في قوله
فان رجعك الله ويكون لازما ايضا حتى قالت السما اي غيمت وظهر فيها سحاب
من قولهم قال كذا اذا تهيا له واستعد كما في القاموس وفي بعض الحواشي يقال قالت
السما اذا رعدت وغيمت وتفسيرها بامطرت لا يناسب قوله فانسكبت اي انسكب
ماوها فالاسناد مجازي وكون السما بمعنى المطر بعيد هنا وكذا كونه استخداما كقوله
اذا نزل السماء بارض قوم   رعيناه وان كانوا غضابا   فملئوا ما معهم من آنية
جمع اناكاوان وبعضه يظنه مفرد او هو وهم كما مر والانا معروف ولم يجاوز العسكر

فيجاوز ضمير مستتر راجع للسما بمعنى السحاب او المطر المعلوم من السياق وهذه
معجزة اخرى وعن عمرو بن شعيب ابن محمد ابن عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي الصحابي
المشهور وفي الاحتجاج بعمرو هذا اختلاف واقوال والاكثر على الاحتجاج به وهو
يروي عن ابيه وغيره واخرج له اربعة من اصحاب السنن وهذا الحديث ليس فيها
وتوفي سنة ثمان عشرة ومايه ودفن بالطايف انا ابا طالب قال للنبي صلى الله عليه
وسلم وهو رديفه اي راكب خلفه وضمير هو للنبي صلى الله عليه وسلم وضمير رديفه
لابي طالب بذي المجاز بفتح الميم والجيم والف ثم زاي معجمة وذي بمعنى صاحب اي محل الجواز
وذو المجاز اسم سوق بقرب عرفة كانوا يجتمعون فيه في الجاهلية كما كانوا يجتمعون بعكاظ
وهذا الحديث رواه بن سعد عن اسحاق بن الازرق عن عبد الله بن عون عن عمرو عطشت
وليس عندي ما فنزل النبي صلى الله عليه وسلم عن الدابة التي ردف عليها وضرب
بقدمه الارض فخرج الما فقال صلى الله عليه وسلم لابي طالب اشرب قيل هذا كان قبل البعثة
قيل ولم يذكره على سبيل الاحتجاج لان ابا طالب كافر لا يستدل بقوله والحديث في هذا
الباب اي باب نبع الما وخروجه ببركته صلى الله عليه وسلم كثير ومنه الاجابة بدعا
الاستسقا اي دعاوه صلى الله عليه وسلم بطلب السقي وايجاد الما عند الحاجة له
وما جانسه اي شابه الاستسقا من السما كما ذكر هنا وهو ماخوذ من الجنس وهو معروف
فصل مناسب لما قبله لان الاكل والشرب توامان ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم
تكثير الطعام ببركته ودعايه النافعين عند الحاجة وبداه بحديث رواه مسلم في صحيحه
بسند صحيح وهو حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله هو الحافظ بن سكرة وتقدمت
ترجمته قال ثنا العذري قال ثنا الرازي تقدمت ترجمتهما وبيان نسبتهما قال ثنا الجلودي
تقدمت ترجمته ونسبته وانه يجوز ضم الجيم وفتحها قال ثنا ابن سفيان هو ابراهيم
بن محمد بن سفيان راوي صحيح مسلم وقد تقدمت ترجمته قال ثنا مسلم ابن الحجاج
صاحب الصحيح المشهور كما تقدم قال ثنا سلمة بن شبيب ابو عبد الرحمن النيسابوري
الحافظ الثقة اخرج له اصحاب السنن وتوفي سنة سبع واربعين ومايتين قال ثنا
الحسن بن اعين افعل تفضيل من العين وهو الحسن بن اعين بن محمد الحراني الثقة قال ثنا
معقل بفتح الميم وسكون المهملة والقاف المكسورة عن ابي الزبير محمد بن مسلم الثقة وترجمته
مشهورة عن جابر الصحابي المشهور رضي الله عنه ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
يستطعمه اي يطلب منه طعاما له ولاهله لشدة احتياجه وهذا الرجل لم يعرفوا
اسمه لانه من اهل البادية والطعام ما يوكل وبه قوام البدن ويطلق على غيره مجازا
فاطعمه اي اعطاه لان الاطعام يكون بمعنى الاعطا كثيرا حتى انه لكثرته يستعمل فيما لم
يكن ماكولا فيقال اطعمه السلطان بلدة وهو مجاز مرسل او استعارة شطر وسق
من شعير الشطر هنا بمعنى النصف وهو اصله ويكون بمعنى البعض مطلقا وبمعنى الجهة

كقوله فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره والمراد
جهته والوسق بفتح الواو وكسرها وسكون السين المهملة وقاف بمعنى الحمل فيقال لوسق
بعير اى حمله ثم خصوصا دحقيقة عرفية فى ستين صاعا بصاعه صلى الله عليه وسلم
وهو ثلثماية وعشرون رطلا حجازية واربعماية وثمانون رطلا عراقية على الاختلاف فى قدر
الصاع والمد فشطره ثلاثون صاعا وعلى الاول ماية وستون رطلا وعلى الثانى ماتان
واربعون رطلا والكلام فى المقادير الشرعية مفصل فى كتب الفروع فما زال ياكل منه
وامراته بالرفع معطوف على الضمير المستتر فى ياكل من غير فصل موكد كاسكن انت وزوجك
الجنة وهو الافصح وقد يعطف بفاصل من غير ضمير كما هو هنا فانه فصله بقوله منه
وهو فصيح ايضا وقد يعطف من غير فاصل اصلا كما فى قول على كرم الله وجهه كنت وابو بكر
وعمر لكنه قليل وضيفه اى من ينزل عليه من غير اهله وهو يطلق على الواحد وغيره وقد
يختص بالفرد فيقال ضيف وضيفان وضيوف اى لم يزالوا ياكلون منه وهو باق بحاله
من غير نقص لانه لا يزال يكثر ببركته النبى صلى الله عليه وسلم وهو محل استشهاد المصر
وفى نسخة وضيف حتى كاله غاية لاكله اى استمر اكلهم منه من غير نقص شى منه الى ان كاله
فظهر نقصه بعد الكيل مما ياخذ منه فكانت البركة فى ترك كيله حتى لو لم يكله لم ينفد
وترك الكيل والعد فيه بركة لما فيه من الاتكال على الله وهو اكثر بركة وهكذا جرت
عادت الله واما ما ورد فى الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم كيلوا طعامكم يبارك
لكم فيه فهو بالنسبة لمن كان يخشى خيانة فيه وقيل المراد كيلوا ما تخرجونه للنفقة
منه ليلا يخرج اكثر من الحاجة او اقل بشرط ان يبقى الباقى مجهولا غير مكيل وقيل انه
انما كان كذلك لافشايه سرا من اسرار الله ينبغى كتمه فاتى النبى صلى الله عليه وسلم
واخبره بتكثير ما اعطاه له صلى الله عليه وسلم ببركته فقال لو لم تكله لاكلتم منه
اى لاستمر اكلكم منه الى غير النهاية ولقام بكم اى لكفاكم مدة حياتكم وكان فيه قوام
لكم من غير نقص وهذا الرجل هو جد سعيد بن الحارث وكان استعان به صلى الله عليه
وسلم فى نكاحه فانكحه امراة فطلب منه طعاما يقوم به وبزوجته ولم يكن عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم شى فبعث ابا رافع وابا ايوب الانصاريين بدرعه فرهناه عند
يهودى فى شطر وسق من شعير ودفعه اليه قال فاكلنا منه سنة وبعض سنة ثم كلناه
فوجدناه كما ادخلناه ومن ذلك اى من تكثير الطعام ببركته صلى الله عليه وسلم حديث
ابى طلحة المشهور فى قصته التى رواها الشيخان عن انس رضى الله عنه اسم ابى طلحة زيد بن
الاسود الانصارى البخارى الخزرجى رضى الله عنه كان راميا معدودا ذكرانه قتل يوم حنين
عشرين رجلا واخذ سلبهم مناقبه مشهورة توفى سنة احدى وثلاثين وقيل غير ذلك
والمشهور بمعنى انه كثرت روايته فى كتب الحديث وتعددت طرقه ويحتمل ان يريد
بالمشهور معناه المعروف فى مصطلح الحديث واطعامه صلى الله عليه وسلم

مرفوع

15

مرفوع عطف على حديث ثمانين او سبعين رجلا وجزم مسلم بالثمانين من اقراص من شعير
جمع قرص وهو رغيف صغير اتى بها انس بن مالك وفى نسخة جا وهو عم ابى طلحة تحت يده
اى ابطه بكسر الهمزة والبا وتسكينها والابط ما تحت المنكب وفسره به لان اليد تشمله
وغيره والابط يذكر ويونث فامر بها اى بالاقراص ففتت يقال فتته اذا قطعه باصابعه
قطعا صغيرة بمقدار اللقمة وقد يطلق بمعنى التكسير مطلقا وقال فيها اى فى شانها
بانه دعا ببركتها وذكر اسم الله عليها وقيل فى بمعنى على كقوله لاصلبنكم فى جذوع
النخل ما شا الله ان يقول اى ما قدره الله وعلمه من الذكر الذى لم يطلع عليه وهو
حديث طويل فى الصحيحين اقتصر المص على بعضه اعتمادا على شهرته وفيه ان ابا
طلحة رضى الله عنه قال لام سليم لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضعيفا اعرف فيه الجوع فهل عندك شى فقالت نعم فاخرجت اقراصا من شعير وفيه
انه دعا القوم عشرة عشرة وحكمته ان لا يزدحموا على قصعة واحدة كانت صغيرة وهذا
كان بالمدينة لا بالخندق كما توهمه القسطلانى وقد علمت ان الحديث طويل والكلام
عليه مفصل وفيه انهم بعد ما اكلوا دفعه لاهل المنزل فاكلوا واطعموا جيرانهم
وحديث جابر رضى الله عنه الذى رواه البخارى فى طعامه صلى الله عليه وسلم يوم
الخندق اى قصة الخندق المشهورة فى السير ومعناه معروف وهو معرب كنده بمعنى
الحفر الف رجل بالنصب مفعول لطعام ويوم الخندق منصوب على الظرفيه وحديث
مبتدا خبره مقدر اى من ذلك وقوله من صاع شعير بالاضافة وفى نسخة من صاع من شعير
وتقدم معنى الصاع وعناق بفتح العين وهى الانثى من اولاد المعز لم يتم لها سنة وقيل
هى التى قاربت الحمل ولم تحمل قال جابر فاقسم بالله لاكلوا وفى نسخة لقد اكلوا ولما كان
هذا امرا غريبا خارقا للعادة اكده بالقسم لانه مظنة الانكار حتى تركوه وانحرفوا
اى اكلوا كلهم حتى شبعوا وقاموا وانصرفوا والانحراف الميل الى جهة اخرى غير التى
كان متوجها لها من الحرف ومنه قوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف اى على طرف غير
متمكن وان برمتنا لتغط البرمة بضم البا الموحدة وسكون الرا المهملة ثم ميم وهى القدر
مطلقا او من حجارة وهو المعروف وجمعها برام وتغط بفتح المثناة وفتح او كسر الغين
المعجمة وبعدها طا مهملة مشددة اى تغلى غليانا شديدا يسمع له صوت كهدير النايم
والمخنوق كما هى اى على حالها الاول لم ينقص منها شى مع كثرة من اكل منها وهذا محل الشاهد
وان عجينتنا لتخبز اى انهم استمروا على خبز العجين وايصال شيا فشيا لمن ياكل منه ولم ينقص
ببركة النبى صلى الله عليه وسلم لانه بصق فى البرمة والعجين وبارك عليه كما ذكره المص
بقوله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق فى العجين والبرمة بارك فيهما ومعنى
بارك دعا فيهما بالبركة اى الزيادة والنمو كما تقدم رواه اى روى هذا الحديث عن جابر
سعيد بن مينا بكسر الميم وسكون المثناة التحتية والنون والمد والقصر والصرف

وعدمه على ان وزنه فعلا او مفعال وسعيد هذا اخرج له البخاري ومسلم وميناء
علم منقول من الميناء وهي مرسى السفن وجوهر الزجاج وايمن بزنة افعل من اليمن وهو ايمن الحبشي
المكي والد عبد الواحد بن ايمن مولى ابن ابي عمرة المخزومي الثقة وقال ابن حبان انه ايمن بن ام
ايمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم واخو اسامة لامه قال البرهان وفيه
نظر لان ابن ام ايمن هذا قتل بحنين فقد خلط بترجمته وتبعه التلمساني وعن ثابت مثله اي
مثل حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن رجل من الانصار وامرأته ولم يسمها قال
وجيء بمثل الكف وفي نسخة بمل الكف فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يبسطها
في الاناء ويقول ما شاء الله ان يقول فاكل من في البيت والحجرة والدار وكان ذلك اي ما ذكر
من الثلاثة قد امتلأ ممن قدم معه صلى الله عليه وسلم لذلك وبقي بعد ما شبعوا مثل
ما كان في الاناء وقد علم ان ذلك ببركته صلى الله عليه وسلم وحديث ابي ايوب اي ومن
ذلك حديث ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه الذي رواه عنه الطبراني والبيهقي وهو
انه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر حين قدما المدينة في الهجرة
من الطعام زهاء اي مقدار ما يكفيهما اي طعاما يكفي رجلين فقط وهو بيان لقلته فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم لما اخبره بذلك ودعاه له ادع ثلاثين من اشراف الانصار
انما خصهم قيل لينا لقلبهم كي يسلموا فان ذلك كان في اول الهجرة وسماهم انصارا لعلمه صلى الله
عليه وسلم بانهم سينصرونه وتفاؤلا بذلك فدعاهم فاكلوا حتى تركوه اي شبعوا وتركوا
الطعام او الاكل منه ثم قال صلى الله عليه وسلم ادع ستين اي من اشراف الانصار
فكان مثل ذلك اي اكلوا حتى تركوه ثم قال صلى الله عليه وسلم ادع سبعين فدعاهم
فاكلوا حتى تركوا الطعام والاكل كما مر وما خرج احد منهم اي ممن دعاه واكل حتى شبع وحتى
اسلم وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجهاد معه ونصرته لما راوا من تلك
المعجزة ولطفه بهم وفي نسخة الا حتى اسلم قيل وصوابه اسقاط الا ولا وجه له قال
ابو ايوب رضي الله عنه فاكل من طعامي مائة وثمانون رجلا ذكر بعضا منهم وترك
الباقي كانه لكونهم لم يدعهم بامره والمذكور مائة وستون غير ابي بكر والنبي صلى الله
عليه وسلم وعن سمرة بن جندب تقدمت ترجمته وانه بضم الدال وفتحها اتي النبي
صلى الله عليه وسلم بالبناء للمجهول اذ لا يتعلق غرض ببيان الآتي هنا بقصعة بفتح
القاف ولا تكسر القصعة فيها لحم مطبوخ فتعاقبوها اي دخل جماعة من الصحابة بعد
جماعة لان كلا منهم اتى على عقب بعض اي من غير فاصل بينهم لانه محل الاعجاز من غدوة
حتى الليل بالجر ويجوز رفعه ونصبه يقوم قوم ويقعد اخرون تفسير لما قبله من تعاقب
القوم وقيل عليه المعروف من حديث سمرة من غدوة الى الظهر فيقوم قوم ويقعد
اخرون قال فقيل لسمرة هل كان يمد قال فمن اي شي تعجب ما كانت الا من هنا واشار الى السما
ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنهما اي من معجزاته صلى الله

عليه وسلم في تكثير الطعام ببركته وهذا الحديث رواه الشيخان في صحيحيهما كنا مع
النبي صلى الله عليه وسلم ضمير كنا له مع غيره من الصحابة وخبر كان ثلاثين ومائة
ومع النبي حال من اسم كان او هما خبران اي خبر بعد خبر وذكر في الحديث انه عجن صاعا
من طعام روينا عجن للفاعل ونصب صاعا وبنائه للمفعول ورفعه وصنعت بمعنى
طبخت في قوله وصُنِعَت شاة فشوي بنا المفعول سواد بطنها المراد به الكبد خاصة او
حشوها مطلقا والاول اظهر قال اي عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهما وايم الله قسم
كعهد الله وهو مبتدا خبره محذوف تقديره قسمي فهو مرفوع وجوز بعضهم جره بواو القسم
وفيه لغات كثيرة وهمزته همزة وصل وهو اسم وقيل حرف وقيل انه في الاصل جمع يمين والكلام
عليه مفصل في باب القسم ولا يجر بالاضافة بعده الا لفظ الله وجوابه ما للجر غيره
ما من الثلاثين ومائة احد الا وقد حز له حزة بفتح الحاء المهملة والزاي المعجمة المشددة
والحز هو القطع بالسكين والحزة بالضم القطعة من اللحم من سواد بطنها اي كبدها او كما
مر والحز بعينيه بحسب الظاهر وهو انسب بمحل الاستشهاد لكفاية الكبد لهم في تفريقها
عليهم ثم جعل منها اي طبخ من الشاة ما جعل ملء قصعتين فاكلنا اجمعون بالرفع تاكيد
لاسم كان من غير ان يكون تابعا لكل كقوله لاغوينهم اجمعين وفضل في القصعتين اي
فضل من لحمها مقدار في القصعتين بعد ما اكلوا حتى شبعوا وقد صرح به في الصحيحين
قيل ولو ذكره المص كان اولى لانه محل الشاهد وفضل بمعنى بقي فيه ثلاث لغات
كدخل يدخل وعلم يعلم وبالكسر في الماضي وضم عين المضارع وهي شاذة او من التداخل
فان كان من الفضيلة فبالفتح والضم لا غير فحملته على البعير فيه اشارة لكثرة ما بقي
بعدما اكلهم ببركته ومن ذلك اي من معجزاته صلى الله عليه وسلم في تكثير الطعام ببركته
صلى الله عليه وسلم ما رواه ابن سعد والبيهقي وصححاه حديث عبد الرحمن بن ابي
عمرة بفتح العين وسكون الميم وراء مهملة الانصاري عن ابيه ابي عمرة بشير بن عمرو بن
محصن الانصاري النجاري الصحابي البدري قتل مع علي كرم الله وجهه بصفين
وفي اسم ابي عمرة اختلاف وابنه عبد الرحمن اخرج له اصحاب الكتب الستة الا الدار
قطني فقط وهو ثقة وهذا الحديث مروي في بعض غزواته صلى الله عليه وسلم ومثله
اي مثل حديث عبد الرحمن لسلمة بن الاكوع وابي هريرة في مسلم وعمر بن الخطاب ورواه
ابو يعلى بسند جيد فذكروا اي هؤلاء مخمصة بفتح الميمين بينهما خاء معجمة ساكنة ثم
صاد مهملة وهي الجوع من الخمص وهو خلو البطن من الطعام اي مجاعة اصابت الناس
مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه جمع مغزاة بمعنى موضع الغزو او هو بمعنى
الغزو نفسه واختلف في هذه الغزوة والذي في مسلم خرجنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في غزوة وفي دلائل النبوة انه في غزوة غطفان وفي غيره عن ابن عباس
انه في مرجعهم من الحديبية كلمه بعض اصحابه وقالوا لو يجهدنا وفي الناس ظهر فانحرنا

الحديث فالقضيه وقعت مرتين فدعا ببقية الازواد اي طلب من كل رجل منهم ان ياتي بما بقي
عنده من زاده فجا الرجل بالحثية بفتح الحا المهملة وسكون الثا المثلثة والمثناة التحتية
ويقال حثوة بالواو لانه يقال حثى يحثي وحثى يحثو وهو والحفنة بالفا والنون بمعنى وهو ما يملى
اليدين معًا وقيل بالفا في اليدين وبالمثا في احدهما وروى بالخبنة بخا معجمة مضمومة وبعدها
موحدة تحتية ساكنة ونون وهي ما يحمل في الحضن تحت الكشح والاول اشهر واظهر وتعريف
الرجل هنا للعهد الذهني كادخل السوق وليس المراد به رجل معين من الطعام اليسير
الذي بقي عنده وفوق ذلك اي ازيد منه بيسير واعلاهم اي اكثرهم زادًا وبقية الذي اتى
بالصاع من التمر فجعله اي وضع ما اجتمع من الازواد على نطع بكسر النون وفتح الطا المهملة
بزنة عنب بساط من ادم وفيه لغات اربع هذه افصحها وتفتح نونه مع فتح الطا وسكونها
وتكسر نونه مع سكون الطا قال سلمة فحزرته بحا مهملة وزاي معجمة ورا مهملة اي قدرته
بطريق الحدس والتخمين كربضة العنز براء مهملة مفتوحة وقيل انها مكسورة لا غير لان المراد
بيان الهيئة وموحدة وضاد معجمة من الربوض وهو كالجلوس في الانسان والبروك
للابل والجثوم للطير اي مقداره مقدار جثة عنز باركة على الارض وهو تقدير للموضع
من النطع بموضع ربوضها ثم دعا الناس باوعيتهم اي طلب مجيئهم ومعهم اوعيتهم
لياخذوا مما اجتمع عنده وفي الحديث حتى ملئوا ازودتهم قال المنى في الاكمال كذا الرواية
عن جميع شيوخنا فالازودة بمعنى الاوعية كما سميت الاسقية روايا وورد ايضا
جاؤا باوعيتهم فما بقي في الجيش وعا الا ملوه مما اجتمع عنده وبقي منه اي فضل منه
بقية بعدما اخذ الجميع كفايتهم والمص اقتصر على محل الشاهد من الحديث لطوله وفيه
انهم اكلوا حتى شبعوا ثم حشوا اوعيتهم ومثله انهم لما اصابهم الجوع قال له بعضهم
لو امرتنا نحرنا نواضحنا اي ابلنا فقال افعلوا فقال عمر رضي الله عنه ان فعلوا قل الظهر يعني
ما يركب ولكن ادع بفضل ازوادهم فجعل الرجل يجي بكف ذرة والاخر بكف تمر والاخر بكسرة
حتى اجتمع على النطع فدعا بالبركة وقال خذوا فاخذوا واكلهم وفضلت فضلة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله الحديث
وعن ابي هريرة في حديث رواه ابن ابي شيبة والطبراني بسند جيد امرني رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ادعو له اهل الصفة تقدم ان الصفة محل مرتفع في الدار
والمسجد وغيرهما مفرز عن غيره للجلوس فيه وكان في مسجده صلى الله عليه وسلم محل كذلك
فيه المنقطعين عنده صلى الله عليه وسلم من فقرا الصحابة الاعراب وغيرهم كسلمان
وابي ذر قال ابو نعيم في الحلية كانوا نيفا ومائة وفي عوارف المعارف انهم كانوا نحو الاربعمائة
ونحوه في الكشاف ولا ينافيه ما روى انه روى منهم نحو ثلاثين رجلا يصلون مع النبي صلى الله
عليه وسلم بلا اردية وهولا هم صفوة خلق الله هنيئا لهم وانا انتوسل الى الله بهم ان يجعلنا
في بركتهم فتتبعتهم اي ذهبت لكل واحد منهم في مكان كان فيه لانهم في النهار يتفرقون

في المدينة لانه كل احد لا يخلو من حاجة يذهب لها حتى جمعتهم عند النبي صلى الله عليه وسلم
فوضعت بالبنا للمجهول بين ايدينا صحفة بالرفع نايب الفاعل وهي انا بين الصغير والكبير
يعد للطعام واكلنا ما شئنا وفرغنا اي حتى شبعنا وانتهت ارادتنا للاكل وهي مثل
ما وضعت جملة حالية اي وهي مملوة بما فيها كما كانت حين وضعت بين ايدينا الا ان فيها
اثر الاصابع اي اصابع من اكل منها وهذا تشبيه لحالها بعد الاكل بحالها قبله فليس
فيه تشبيه الشي بنفسه كما لا يخفى وكان اهل الصفة يسمون اضياف الاسلام لان اكثرهم
اغراب وقال اكلنا بضمير المتكلم مع الغير لان ابا هريرة منهم وعن علي بن ابي طالب في حديث
رواه احمد والبيهقي بسند جيد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب
وكانوا اربعين رجلا وهذا كان بمكة في ابتداء البعثة منهم قوم هو في الاصل مصدر قام
ثم صار اسم جمع للرجال خاصة لقيامهم بالامور ياكلون الجذعة بفتح الجيم والذال
المعجمة والعين المهملة وهي من البقر والغنم ما تم له سنة وقيل انه في البقر ما دخل في الثالثة
والمراد هنا الاول اي اقل ما يكفيهم كما يقال المزدرى نهم اكلة راس ويشربون الفرق بفتح الفا
والرا المهملة ويجوز تسكينها وهو مكيال يسع ثلاثة اصع وهو ستة عشر رطلا كما تقدم
اي يرويهم ما فيه وفي النسخ هنا اختلاف ففي بعضها بنو عبد المطلب منهم من ياكل جذعة
بني عبد المطلب منهم قوم من ياكل الجذعة وفي بعضها منهم قوم ياكل وفي بعضها منهم قوم
ياكلون وهذه اقربها في التي قبلها قلوثما وقال التلمساني المراد بالجذعة الابل كما ورد
مفسرا في بعض الروايات وهي التي تدخل في الخامسة فصنع لهم مدا من طعام اي طبخه
وسواه فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ما موصولة وهو مبتدا خبره محذوف اي قبل الاكل
والجملة صلة والمراد انه لم ينقص كانه ما اكل منه شي ثم دعا بعس بضم المهملة وتشديد
السين المهملة وهو قدح من خشب يروي الثلاثة والاربعة والمعنى بعس من لبن طلبه
من اهله لهم فشربوا من العس حتى رووا اي تم شربهم منه وبقي كانه لم يشرب منه شي
وتفصيله كما في الدلايل للبيهقي وغيره بسند صحيح انه لما نزل عليه صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين الاية قال صلى الله عليه وسلم ان بدات قومي بها
رايت منهم ما اكره فصمت فجاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال له يا محمد ان لم تفعل
ما امرك به ربك عذبك فدعا عليا رضي الله عنه واخبره بذلك وبما قال له جبريل ثم
قال له فاصنع طعاما واعدد لنا عس لبن ثم اجمع بني المطلب وهم نحو اربعين من اعمامه فلما
اجتمعوا قدم لهم الطعام وقال كلوا بسم الله فاكلوا ثم شربوا فلما اراد ان يكلمهم
قال ابو لهب سحركم محمد فتفرقوا ولم يكلمهم فلما كان الغد فعل مثل ذلك فلما اراد ان يكلمهم
تفرقوا وفي الثالثة قال لهم يا بني عبد المطلب انه لم يجيكم احد بافضل مما جيتكم به اني
قد جيتكم بامر الدنيا والاخرة الى اخر الحديث والذي في البخاري عن ابن عباس رضي الله
عنهما انها لما نزلت صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا ونادى يا بني فهر يا بني

عدي و يا بطون قريش حتى اجتمعوا الحزو لعل ذلك تكرر فخصّ اوّلاً ثم عمّم وقال انس في حديث
رواه الشيخان واللفظ لمسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وفي نسخة حين ابتنى بزينب
بنت جحش ام المؤمنين رضي الله عنها وهو افتعال من البنا وهو التزوج هنا ويقال بنى بها
وعليها امره اي ام النبي صلى الله عليه وسلم انسا ان يدعو له قوما سماهم اي عينهم
باسمايهم وكل من لقيت بتا الخطاب و من منصوب محلا بمقدر اي قال له صلى الله عليه
وسلم ادعهم وادع كل من لقيته من غيرهم فهو تعميم بعد تخصيص لمن اعتنى به فدعاهم
او فقال فدعوتهم حتى امتلا البيت بالناس المراد به المنزل كله وقيل انه اراد به الصفة
التي فيه كما ورد مصرحا به والحجرة هي بمعنى البيت والغرفة وكان لكل زوجة من ازواجه
صلى الله عليه وسلم حجرة تخصها واصل معنى الحجرة بقعة تحجر بينا الحجر ثم وقدم اليهم
تورا بمثناة فوقية مفتوحة وواو ساكنة وراء مهملة وهو انا من صفر او حجارة كالاجانة
او كالقدح الذي يشرب منه فيه قدر مُدٍ من تمر بيان للمد وقد تقدم تفسيره جعل بالبنا
للمفعول حَيْسًا مفعوله الثاني وهو بفتح الحا المهملة وسكون المثناة التحتية والسين
المهملة وهو تمر خلط بسمن واقط او دقيق قال التمر والسمن يقال الاقط او الدقيق الحيس
لما يختلط وقال ابن قرقول انه قيل انه تمر ينزع نواه ويخلط بالسويق والاول اعرف
واصل معنى الحيس الخلط فوضعه صلى الله عليه وسلم والضمير للتور قدامه
بين يديه وغمس ثلاث اصابعه اي ادخلها فيه لتحصل البركة ولتطيب قلوبهم باكله
والسنة ان ياكل بثلاث اصابع ففيه تعليم لهم وجعل القوم يتغذون بذال معجمة
من الغدا بالمعجمتين وهو اعم من الغدا بالدال المهملة وفي مسلم انه دعا الناس بعد ارتفاع
النهار فيصح ان يكون بالمهملة ايضا كما في المغني و يخرجون من الحجرة وبقي التور نحوا مميز
او حال مما كان قبل الاكل منه لم ينقص نقصا كثيرا وكان القوم احدا واثنين وسبعين
رجلا وهو شك من الراوي قيل ان هذه القصة في بنايه صلى الله عليه وسلم
بصفية والراوي ادخل قصته في قصته وقيل يحتمل انه اتفق الشيان من الشاة
والحيس الذي لام سليم وفي قوله بقي التور تجوز اي بقي ما فيه وفي رواية اخرى في هذه
القصة اي قصة وليمة زينب رضي الله عنها او مثلها فيما ذكر من الطعام ان القوم
كانوا زهاء ثلاثماية اي مقدارهم وانهم اكلوا حتى شبعوا وقال لي بعدما شبعوا ارفع
التور من مكانه فما ادري حين وضعت بضم التا للمتكلم اي حين وضعته او بتا التا
نيث الساكنة كالتي في قوله كانت بالتانيث باعتبار انه انية اكثر ام حين رفعت بالرفع
وروي لم ترفع بدل ارفع بلام الامر والخطاب والاول اولى واوضح وهذا حديث طويل
في مسلم اختصره المص اقتصارا على محل الشاهد منه وفي حديث جعفر الصادق
عن ابيه محمد الباقر عن علي بن ابي طالب جد والد محمد اعني زين العابدين بن علي بن الحسين بن
علي فهو حديث منقطع كما رواه بن سعد فان كان عليا المذكور علي الاصغر فالحديث مرسل

او معضل

18

او معضل فهو ضعيف ان فاطمة الزهرا طبخت قدرا اي طعاما في قدر ففيه تجوز او هو بتقدير
مضاف اي طعام قدر لغدايهما بمعجمة وهو كل ما يوكل في اي وقت او بمهملة وهو ما يوكل اول
النهار اي لاجل غدايهما وفي نسخة تتغذى به وفي نسخة لغدايهما ووجهت عليا اي ارسلته الى
النبي صلى الله عليه وسلم اي لجهته والمراد بيته ليتغذى معها وفي نسخة معهما فامرها
اي قال لها اغرفي من القدر فغرفت بالغين المعجمة لجميع نسايه التسع المعروفة صحفة
صحفة منصوب كعلمته النحو بابا بابا والصحفة انا صغير معروف ثم له ولعلي ثم اي ثم
غرفت له صلى الله عليه وسلم ولعلي ثم لها اي ثم غرفت لنفسها ما تتغذى به رضي الله
عنها ثم رفعت القدر بعد ان غرفت لجميع من ذكروا انها لتغيض جملة حالية وتفيض
بفاء وضاد معجمة من الفيض والمراد انه بعد ما غرفت منه بقي مملوا بطعام كثير
يسيل من جوانبه ببركته صلى الله عليه وسلم وكانها بعثت له صلى الله عليه وسلم
ليجيها ويأكل معها وحده فلم يات وامرها بما ذكر فيه لما فيه من مكارم الاخلاق والايثار
قالت فاطمة فاكلنا منها اي اكلنا كلنا من طعامها والضمير للقدر لانها مونثة وقيل
يجوز تذكيرها وتانيثها فالمراد ان اهل فاطمة واهل بيتها اكلوا مما بقي في القدر بعد ما وفيته
ما شا الله اي الذي اراده الله لنا او سنة ارادة الله ذلك وهو كناية عن كثرة ذلك
وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث اخر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان يزود
اربعماية راكبا اي يعطيهم ما يكفيهم من الزاد من احمس بزنة احمر بحا وسين مهملتين بينهما
ميم اسم قوم من العرب وهم بطن من ضبيعة يقال لهم بنو احمس وهو من الحماسة وهي
الشدة والصلابة ويقال لقريش الحمس لتصلبهم في دينهم في الجاهلية فقال عمر
رضي الله عنه يا رسول الله ما هي الا اصوع بفتح الهمزة وضم الواو ويجوز ان تبدل همزة
كما في الصحاح وهو انا يشرب فيه ومكيال معلوم وهو جمع صاع قال ابن قرقول
فيه لغات صاع وصوع وصواع ويجمع على اصوع وصيعان وفي كثير من الروايات
اي في الحديث اصع بالمد والصواب اصوع انتهى وقوله والصواب اصوع غير مسلم
واذا جانهر الله بطل نهر معقل وهو مبني على عدم صحة الاستدلال بالحديث في العربية
وهو على الاطلاق فاسد وقال عمر رضي الله عنه ليس التمر الذي عندي يكفي فانه اصوع
قليلة فان الصاع مكيال يسع اربعة امداد والمد رطل وثلث او رطلان عراقيان على
اختلاف فيه كما تقدم والضمير اعني هي راجع للاصوع وان تاخر لفظا كما في قوله
تعالى ان هي الا حياتنا الدنيا قال الزمخشري هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به الا ما يتلوه
واصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا ثم وضع الضمير موضع الحياة لان الخبر يدل
عليها ويبينها ومنه قوله هي النفس ما حملتها تتحمل وهي العرب تقول ما شات
انتهى قال ابن مالك وهذا من جيد كلامه وفيه كلام في شرح التسهيل لا يسعه
المقام وقال صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه اذهب وافعل ما امرتك به ولا تنا

بقلة ما عندك فذهب عمر فزودهم منه اي اعطاهم ما يكفيهم من التمر الذي عنده وكان اي التمر
قدر الفصيل هو ولد الناقة الصغير الرابض اي البارك على الارض وهو بيان لمقداره تخمينا
من التحري بان المقدر وبقي بحاله اي لم ينقص شيا مع ما اعطاهم منه وهو من المعجزات من رواية
دكين خبر مبتدا مقدر اي وهذا الحديث من رواية دكين وهو بضم الدال المهملة وكاف مفتوحة
ثم يا التصغير ونون ورواه الغرفي بالرا بدل الدال وقال انه الصحيح ودكين هو ابن سعيد
بالتصغير وقيل سعد وقيل مسعد المزني وقيل الخثعمي وله صحبة وهذا الحديث رواه
ابوداود في الادب قال اتينا النبي صلى الله عليه وسلم فسالناه الطعام فقال يا عمر
اذهب فاعطهم فارتقى بنا الى علية فاخذ المفتاح من حجرته ففتح وليس له غير هذا الحديث
ولم يروه غير ابي داود الاحمسي نسبة لبني احمس قبيلة كما تقدم وهو صفة دكين ومن رواية
جرير اي مثل رواية دكين ولم يخرجه ومثله اي مثل المروي المذكور ما خرجه احمد والبيهقي
بسند صحيح من رواية النعمان بن مقرن بضم الميم وفتح القاف وكسر الرا المهملة المشددة
وقيل القاف ساكنة والرا المخففة مكسورة وهو احمسي ايضا واحمس فخذ من مزينة وتقدم
انهم من ضبيعة من نسل ادبن طابخة وللنعمان سبعة اخوة كلهم صحابة وهم النعمان
ومعقل وعقيل وسويد وسنان وعبد الرحمن ولم يسم السابع قال السهيلي بنو مقرن
المزني هم البكاؤن الذين نزل فيهم ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم الاية الخبر
بعينه بالرفع والنصب والبا مزيدة في التاكيد يقال هذا عينه وبعينه كما ذكره
وتلطف القايل متغزلا فقلت هذا قاتلي بعينه وحاجبه وزيادة حاجبه فيه
من كلام المدلدين لتوهمهم اولايهامهم انها الباصرة الا انه قال في هذه الرواية
اربعماية راكب من مزينة فزاد قوله من مزينة وكذا رواه ابوداود في سننه قيل
واختلاف الروايات يدل على تعدد القصة وفيه شي ومن ذلك اي من معجزاته
صلى الله عليه وسلم في جعل القليل كثيرا حديث جابر بن عبد الله الانصاري
رضي الله عنهما وهذا الحديث رواه البخاري في دين ابيه بعد موته اي قصته لما مات
ابوه وعليه دين اراد اداه لغرمائه وكان قد بذل بموحدة وذال معجمة اي اعطى
وهو مجاز بمعنى اراد بذله لغرما ابيه جمع غريم وهو صاحب الدين الطالب له
من الغرام وهو اللزوم كما قال تعالى ان عذابها كان غراما اصل ماله اراد باصل
ماله بستانا او نخلا له كان يتقوت منه والمال في لسان العرب لا يختص بالنقود
كما في العرف وشاع اطلاقه على الابل قديما كما يشير اليه قوله فلم يقبلوه اما لانه
لا يفي بدينهم او لعدم احتياجهم او لانه لم يكن مرضيا لهم ولم يكن كفى ثمرها انث
الضمير الراجع للمال نظرا لمعناه لان المراد به هنا النخيل جمع نخل وهي تونث والثمر
بالمثلثة واحده ثمرة ولا حاجة لجعله راجعا للاموال المعلومة من قوله مال ولا الى
تفسيره باللغوي مطلقا فيشمل الالبان والنتاج كما قيل ولا وجه له لما ستسمعه

في الحديث وقوله سنتين مثنى سنة وفي نسخة سنين بصيغة الجمع والاول هو الصحيح
كفاف دينهم بفتح الكاف بمعنى ما يفي به ويكفيه ومنه اللهم اجعل رزقي كفافا اي بقدر
الكفاية وبفتحها معناه الخيار وهو غير هنا سبب هنا كقراءة ثمر بمثناة فوقية وان صح
معنى وسنتين ظرف مستقر لا انه متعلق بثمر بالمعنى المصدري حال من ثمر فجاء
النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان امر بجذها بفتح جيمه وذال معجمة ويجوز اهمالها
وكلاهما بمعنى قطع الثمار وجمعها وجعلنا بصيغة المصدر ببيادر بمثناة تحتية ودال
ورا مهملتين جمع بيدر بزنة حيدر وهو الموضع الذي يوضع فيه التمر لينشف والبر
ونحوه ليخلص من تبنه والكوم من الطعام كالتمر والحنطة ويصح ارادة كل منهما هنا
والظاهر الثاني والبيدر هو الجرين والجرن واهل العراق يسمونه اندر وجمعه انادر
وفي المغرب يسمونه نادر وكانه غلط من الاندر في اصولها اي جعلها كوما كوما
في اصول الثمار وهي النخل والمراد انه كومه في حديقة نخله حتى يعلم مقدارها فمشى فيها
النبي صلى الله عليه وسلم وفيه مضاف مقدر اي في ارضها او المراد ما بينها وفعل
ذلك لتحصل البركة ويتم ما فيها ودعا الله تبارك وتعالى ان يبارك فيها فمن ثم زاد
فاوفى منه جابر غرماه اي اعطاهم مما في البيدر حقهم بتمامه من قولهم اوفاه حقه
ووفاه فاستوفاه وتوفاه اخذه بتمامه وضمير غرماه لابيه لعلمه مما تقدم او له لقيامه
مقامه في ادا دينه وفي نسخة غرما ابيه وهي ظاهرة وفضل اي بقي منه بعدما ادى
كل ذي حق حقه وهو مثلث الضاد المعجمة والفتح افصح مثل ما كان يجذون بفتح
المثناة التحتية وضم الجيم وتشديد الذال معجمة او مهملة اي ما كانوا يقطعون من ثمارها
كل سنة اي فيها وفي رواية مثل ما اعطاهم اي بقي مثل ما اعطى غرما ابيه وفيه زيادة
كثيرة على ما في الرواية الاولى من ان ثمرها لا يفي بدينهم في سنتين او سنين قال اي جابر
رضي الله عنه وكان الغرما يهود بالنصب خبر كان وهو ممنوع من الصرف لانه علم
لهذه الطايفة وقد ينكر وينون فعجبوا من ذلك اي مما راوه من كفاية ثمرها
وزيادته مع انه كان لا يكفي في سنين وهو من معجزاته صلى الله عليه وسلم العظيمة
وهذا الحديث قد علمت انه في البخاري وكذا في غيره واقتصر المص على محل الشاهد
منه وكان ابو جابر عبد الله استشهد باحد وترك عليه دينا كثيرا وله ست بنات
وكان الدين لرجل من اليهود كما علم ثلاثين وسقا فاستنظره جابر فلم ينظره فكلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فكلم اليهودي فلم يرض فامره رسول الله
صلى الله عليه وسلم بما مر فاتاه فطاف ببيدره ثلاث مرات وامره بان يكيل لهم
فكال حقه في لهم ثلاثين وفضل سبعة عشر وفيه فلما حضر جذاذ النخل اتيته صلى الله
عليه وسلم وفيه تصريح بان ماله حديقة نخل وهذا ما وعدناك به فلا تكن
من الغافلين وقال ابو هريرة رضي الله عنه في حديث رواه البيهقي مسندا اصاب

الناس مخمصة اي جوع كامر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل عندك من شي
من جنس الطعام ومن زائدة هنا لاطراد زيادتها بعد النفي والاستفهام وشي مبتدا
خبره مقدر كما ذكرناه قلت نعم شي من التمر قليل في المزود بكسر الميم وهو وعا الزاد قال
فاتني به فاتاه به اي بالمزود او التمر فادخل يده الشريفة في المزود فاخرج منه قبضة
بفتح القاف وهي المرة كالضربة اريد بها المقبوض من القبض وهو الاخذ بالكف
وبالضم اسم المقبوض فبسطها اي وضعها مبسوطة متفرقة ليعلم قلتها ودعا
بالبركة اي بان يبارك الله فيها حتى تزيد ثم قال صلى الله عليه وسلم بعدما دعا
ادع عشرة من الناس فدعاهم فاكلوا حتى شبعوا من ذلك التمر ثم قال ادع عشرة
كذلك اي فدعوتهم فاكلوا حتى شبعوا وهكذا حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا وهذا
يقتضي انه كان في بعض غزواته وقد صرح به في بعض الروايات وسياتي وقال خذ ما
جيت به لانه اطعمهم كلهم وبقي ما جابه كما كان وهو محل الاستشهاد فانه امره برفعه
وان ياخذ كل ما اراد وقال له ولا تكله ليبارك فيه كامر وادخل يدك واقبض منه
ولا تكبه فقبضت على اكثر مما جيت به قال فاكلت منه واطعمت اهلي ومن اردت اطعامه
حياة رسول الله اي مدة حياته صلى الله عليه وسلم وفي مدة ابي بكر وعمر الى ان قتل
عثمان بن عفان رضي الله عنهم فانتهب مني بالبنا للمجهول اي نهبه الناس واغاروا عليه
فاخذوه في زمن الفتنة فذهب اي عدم ولم يبق منه شي ولولا ذلك لكفاه مدة حياته
لما فيه من البركة وفي رواية رواها الترمذي في سننه وحسنها عن ابي هريرة رضي الله
عنه فقد حملت من ذلك التمر الذي اعطانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي جعلته محمولا معي في اسفاري كذا وكذا كناية عن مقدار ما حمله من وسق بيان
لكذا وكذا والوسق حمل بعير كامر في سبيل الله اي في اسفاري غازيا وسبيل الله الطريق
الموصلة اليه فاذا اطلق فالمراد به ما ذكر وفي رواية فلقد حملت بلا مر القسم وكان
يعلقه خلف رحله وكان يقول اصبت بثلاث مصايب لم اصب بمثلهن موت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقتل عثمان وذهاب مزودي وروى هذا الحديث بطرق اخر
قريبة مما هنا وكرت مثل هذه الحكاية بالبنا للمجهول وانث لانه اكتسب التانيث
من المضاف اليه وفي نسخة وذكر في غزوة تبوك وان التمر كان بضعة عشر تمرة وذكره
لانه ابلغ في المعجزة لغاية قلته ومنه اي من تكثير الطعام ببركته صلى الله عليه وسلم
ايضا حديث ابي هريرة رضي الله عنه الذي رواه البخاري حين اصابه الجوع وعلم منه
صلى الله عليه وسلم فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم اي طلب منه ان يتبعه
فقال اتبعني وكن ماشيا معي فتبعه فوجد لبنا في قدح في بيته قد اهدي اليه صلى الله عليه
وسلم وامره ان يدعوا اهل الصفة ليكونوا تابعين معه وهم فقرا المهاجرين الذين تقدم
بيانهم قال فقلت ما موقع هذا اللبن فيهم وما مقداره القليل كافيهم كنت احق منهم

لسده

لسد جوعتي وما على الرسول من حالي انا صيب منه شربة اي من ذلك اللبن اتقوى بها اي
يكون فيها تقويه لضعف جوعي وليس هذا انكارا على النبي صلى الله عليه وسلم لانه لا يليق
بمثله فهو انما تعجب منه لما استغرب قبل مشاهدته للحقيقة ومثله من الخواطر لا يواخذ به
وقيل غايته انه ارتكب خلاف الاولى ولا حاجة لمثله فدعوتهم الى النبي صلى الله عليه
وسلم وبعد حضورهم امرني ان اسقيهم وفي نسخة وذكر امر النبي صلى الله عليه وسلم
ان يسقيهم فجعلت اي شرعت اعطي الرجل منهم فيشرب بالنصب حتى يروى بفتح المثناة
اي يروى عطشه ثم ياخذ الاخر اي فيشرب حتى يروى وهكذا حتى روى جميعهم اي جميع
اهل الصفة قال ابو هريرة فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح الذي فيه اللبن وهذا
القدح يحتمل ان يكون لصاحب اللبن الذي اهداه له او هو من اقداحه صلى الله عليه
وسلم صب فيه اللبن الذي جاه وقال صلى الله عليه وسلم لابي هريرة بقيت انا تاكيد
لضمير الفاعل ليعطف عليه قوله وانت اقعد نا شرب امره بالقعود لان الشرب
قايما من غير ضرورة مكروه فشربت ثم قال اشرب مرة اخرى وما زال يقولها اي كلمة اشرب
واشرب بالرفع اي وانا اشرب فالجملة حالية حتى قلت لا اشرب بعد هذا نفي للشرب
الماموربه واعتذر عن رده بقوله والذي بعثك بالحق لا اجد له اي للبن مسلكا اي لم
يبق في جوفي محلا خاليا يدخله وهو جواب القسم ان لم يكن تاكيدا للنفي قبله وما بعده
استيناف او تعليل له فاخذ صلى الله عليه وسلم اي تناوله من يد ابي هريرة رضي الله
عنه القدح فحمد الله على ما انعم به من الزيادة وسمى فقال بسم الله وشرب الفضلة
اي ما بقي منهم بعد شربهم كلهم والحديث بتمامه في صحيح البخاري فنص المص على محل الشاهد
منه كما هو دابه وفي حديث خالد بن عبد العزى الذي رواه البيهقي مسندا عنه ولم
يذكره اصحاب الكتب الستة وخالد هذا كما قاله البرهان هو بن سلامة ابو خناش
بخا معجمة مضمومة ونون واخره شين معجمة ونون مخففة وهو خزاعي وله صحبة وروى
عنه ابن مسعود رضي الله عنه وقال التلمساني انه خالد بن حزام بن خويلد بن اسد بن عبد
العزى بن قصي هاجر الى الحبشة في المرة الثانية فمات في الطريق وهو ابن اخي خديجة ام
المومنين رضي الله عنها انه اجزر النبي صلى الله عليه وسلم شاة بالنصب مفعول اجزر
بمعنى اعطى والنبي بالنصب ايضا مفعول اول واجزره اعطاه جزرة وهي شاة او نعجة او كبش
او عتر تعطى للجزر اي تذبح ولا تكون في الناقة فانه يقال اجزره او جزره اذا اعطاه جزورا
لغير الذبح مما كالركوب وهو معنى قول الجوهري يقال اجزرت القوم اذا اعطيتهم شاة يذبحونها
او كبشا او عترا ولا تكون الجزرة الا من الغنم ولا يقال اجزرهم ناقة لانها قد تصلح لغير
الذبح انتهى وفي القاموس هنا كلام غير مهذب وقصة خالد هذه كانت بالجعرانة
لما نزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وامسى ثم بدت له صلى الله عليه وسلم
العمرة فارسله الى رجل من تهامة كما في بعض الشروح هنا وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة

لاجلهم واطعا مهم فلا تبدعيا له بفتح المثناة الفوقية وضمها وضم الموحدة وكسرها
وفاعله ضمير الشاة يقال بده بموحدة ودال مهملة مشددة تبديه اذا فرقه وقال ابن القطاع
بددت الشيء فرقته وابددتهم العطا فرقته فيهم وفي المحكم ابد الطعام بينهم اذا اعطى
كل واحد منهم نصيبه على حدة وهو بيان للمراد يعني ان الشاة اذا فرقت عليهم لا تكفيهم
وقوله عظما عظما اي اذا فرقت عليهم قطعة قطعة وعظمة بعد عظمة لا تكفيهم لكثرتهم
وان النبي صلى الله عليه وسلم بفتح همزة ان بالعطف على قوله انه اجزا الخ الذي هو مبتدا
تقدم خبره وهو قوله في حديث خالد اكل من هذه الشاة التي اجزرها له خالد وجعل
فضلتها اي ما بقي منها بعد اكلهم في دلو خالد هو وعا من ادم وجلد يستقى به الما فالمراد بها
جراب يشبه الدلو ويجوز ان يراد حقيقته لانه لم يكن معه وعا غيره ودعا له اي لخالد
ويجوز ان يعود للدلو بالبركة اي بالزيادة ولفظه اللهم بارك لابي خناش فيه ذلك
الطعام الذي في الدلو اي دماه لعياله بكسر العين قال الصاغاني في التكملة انه جمع
عيل كجياد جمع جيد وهو من يلزمه الانفاق عليه ويكون اسما للواحد كما استعمله
الحريري في مقاماته وذكره المطرزي في شرحه فاكلوا وافضلوا اي ابقوا بقية زادت
عن كفايتهم ببركته صلى الله عليه وسلم وبركة دعايه ذكر خبره اي خبر خالد او خبر ما ذكر
من الاكل والزيادة الدولابي فاعل ذكر وهو بضم الدال المهملة وواو ساكنة ولام والف
وبا موحدة وهو اسم بلدة نسب اليها وهو منقول من الدولاب بضم الدال وفتحها معرب
دولاب وهو الحافظ ابو بشر محمد بن احمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الانصاري الرازي
الوراق المحدث الجليل صاحب التصانيف روى عنه الكبار كالطبراني وابو حاتم وتوفي
بين مكة والمدينة بالعرج في ذي القعدة سنة عشر وثلثماية ومولده سنة اربع
وعشرين وفيه كلام مفصل في الميزان في ترجمته وله ذرية مشهورون والمراد ولابي اخر
وهو ابو جعفر بن الصباح صاحب السنن والمراد الاول كما ذكره ابن برهان وغيره وفي حديث
الاجري بالمد وضم الجيم وتشديد الرا المهملة منسوب للاجر المعروف بالطوب نسب
لعمله وهو ابو بكر بن محمد الامام البغدادي كما تقدم تفصيله في ترجمته في انكاح النبي
صلى الله عليه وسلم فاطمة لعلي اي عقده نكاحها واللام مزيدة للتقوية ان النبي صلى الله
عليه وسلم امر بلالا ان ياتي بقصعة مملوة من اربعة امداد او خمسة من حنطة او غيرها
ويذبح جزورا بنصب يذبح بان مصدرية مقدرة وجزورا مفعوله اي ان يذبح او معطوف
على مقدر كما اشرنا اليه او على امر بتقدير وامره ان يذبح والجزور بوزن الشكور راس من الابل
ناقة او جملا سميت بها لانها مما يجزر اي وهي مونثه سماعية وان عمت ففيها شبه تغليب
فافهم لوليمتها الوليمة هي الدعوة لطعام يصنع في النكاح خاصة ويجمع على ولايم وهو
مستحب قال بلال رضي الله عنه فاتيته بذلك الذي امرني به من القصعة والجزور فطعن
في راسها ان كان الضمير للقصعة فراسها بمعنى علاها وان كان للجزور فهو ظاهر وطعنه

فيها ادخال يده فيها او مسها لتحصل البركة فيها ثم ادخل الناس اي امر صلى الله عليه وسلم
بدخولهم لياكلوا رفقة رفقة بالنصب اي حال لكون دخولهم جماعة بعد جماعة والرفقة
بضم الرا وكسرها بمعنى الجماعة المترافقين المتصاحبين ياكلون منها جملة مستانفة
او حال مقدرة حتى فرغوا اي اكلوا جميعا الى ان شبعوا وفرغوا من اكلهم وبقيت منها
فضلة اي فضل منها ما زاد على اكلهم فبرك فيها وفي نسخة بها وبرك بتشديد الرا
المهملة اي دعا بان يبارك فيها ويجعل فيها البركة وهو الزيادة والنمو كما مر وامر بحملها
اي بحمل القصعة بما فيها او بحمل الفضلة الى ازواجه اي الى بيوتهن وقال لازواجه كلن
واطعمن من غشيكن بفتح الغين وكسر الشين المعجمتين اي كل من ياتي اليكن من غير اهل البيت
يقال غشيه غشا وغشاه اذا اتاه اتيانا ما وقد غشيه اي ستره وفي حديث انس
الذي رواه الشيخان مسندا تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ازواجه وهي صفية
بنت حيي رضي الله عنها في مرجعه من خيبر بمحل يسمى سد الصهبا قال انس رضي الله عنه
فصنعت امي وكنيتها والدة انس ام سليم بضم السين مصغرا واسمها سهلة وهي زوجة
ابي طلحة الخزرجية الصحابية الصالحة القانتة وكان لها منزلة عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم حيسا وقد تقدم انه طعام يصنع من لبن واقط وتمر وسمن يحاس اي يخلط بعضه
ببعض فجعلته اي وضعته في تور بفتح المثناة الفوقية وواو ساكنة ورا مهملة وهو انا
من صفر او حجارة واسع رحراح كالصينية القريبة القعر فذهبت بضم التا وهو ضمير انس
المتكلم به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضعه على الارض وادع لي فلانا
وفلانا ممن كان معه ثمة من كبار الصحابة وخصهما تشريفا لهما ثم عمم فقال ومن لقيت اي
وادع كل من صادفته فدعوتهم اي دعوت من عينه اولا ولم يقل دعوتهما اما لان قوله فلانا
وفلانا مختص كناية عمن عينه من القوم او لان الاثنين جمع على قول ولم ادع اي لم اترك احدا
اي دعوته لقيته الا دعوته كما امرني به وذكر انس انهم اي من دعاهم كانوا زها اي مقدار
ثلثماية رجل فاجتمعوا ثمة حتى ملوا الصفة وهي موضع مظلل قدام البيت او دكة عليه
فيه وليس المراد صفة المسجد المعهودة والحجرة وهي البيت الصغير المفرز من الدار فقال لهم
صلى الله عليه وسلم بعد اجتماعهم تحلقوا تفعلوا اي استديروا حول الطعام كالحلقة
طايفة بعد طايفة من غير ازدحام عشرة عشرة ليسعهم مكان الطعام ووضع النبي
صلى الله عليه وسلم يده على الطعام الموضوع وهو الطعام الذي جاء به فدعا فيه
بالبركة وقال ما شا الله ان يقول اي ما اراد الله من دعايه الذي علمه وابهمه لانه اسر
فلم يسمعوه لانه من الاسرار التي خصه الله بها فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال صلى الله عليه
وسلم لي اي لانس ارفع التور بما فيه فما ادري حين وضع عنده قبل الاكل منه كان الطعام
اكثر ام حين رفع بالبنا للمجهول وفي بعض النسخ وضعت ورفعت واعلم ان هذا الحديث
ذكره بعينه عن انس قبل هنا فاعادته هنا تقتضي ان القصة صح تكررها وانه وقع مرة

فى زوجه صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش واخرى حين تزوج صفية وقد استشكله المصـ
فى شرح مسلم فقال ما وقع فى الحديث من ان تكثير الطعام كان فى وليمة زينب يخالف الروايات
المشهورة من ان وليمتها كانت بالخبز واللحم ولم يذكر فيها تكثير الطعام وانما فيه انهم شبعوا
من الخبز واللحم ففيه وهم من الراوى ادخل فيه قصة فى قصة فان التكثير فى قصة صفية
لا فى وليمة زينب التى نزلت فيه اية الحجاب وتعقبه القرطبى بانه لا وهم فيه وانه لا مانع من الجمع
بين الروايتين بان الذين دعوا للخبز واللحم اكلوا وذهب منهم جمع وتبقى اخرون يتحدثون فجاء انس
بالحيس ودعا الناس كما ذكره المصـ هنا وقال ابن حجر انصا لا وجه لانكاره تكثير الطعام
فى حديث الخبز واللحم فان انسا قال انه اولم بشاة اشبعت الناس وما قدرها حتى تشبعهم
وهم نحو الالف فالظاهر ان المصـ راى هنا تعدد القصة ولذا صرح بزينب اولا ولم يسمها
اشارة الى انها صفية الا ان فيه توقفا عندى من جهة اخرى فان وليمة صفية كانت
فى السفر وذكر الصفة والحجرة ينافيه والحيس فيها صنعه رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا ام سليم وما قيل من ان ام سليم اهدته له صلى الله عليه وسلم بعد قدومه
المدينة فرحا بتزوجه لا يخفى ما فيه من البعد وبعد كل كلام فكلام المصـ فيه اضطراب
يحتاج للتحرير واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة اى نبع الما من بين اصابعه وانفجاره
بدعوته وتكثير الطعام ببركته فى الصحيح من الاحاديث وكتبها المعتمدة وقوله اكثرا شان
لضعف بعضها وقد اجتمع على معنى حديث هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة يعنى توافقوا
على ما يفيده المجموع بقطع النظر عن كل واحده على حدة وتقدم ان البضع بكسر البا
من الثلاثة الى التسعة مع اختلاف فى استعماله فيما فوق العشرين والصحيح جوازه لوروده
فى الحديث دقوله ببضع وعشرين درجه فى فضل الصلاة وتفصيله مشهور رواه عنهم
اضعافهم من التابعين ثم رواه عن الاضعاف من التابعين وتبع التابعين من لا يُعَدّ بعدهم
بصيغة المجهول وفى بعض النسخ من لا نعد بالنون واكثرها اى اكثر احاديث الفصول
الثلاثة وفى قصص مشهورة بحسب الرواية ومجامع مشهورة جمع مجمع وهو محل يجتمع
فيه الناس بكثرة قال الفرزدق اذا جمعتنا يا جرير المحافل والمشهد من الشهود
بمعنى الحضور وفيه تجنيس وتوريه بديعيه وما يقع بين كثير من الناس لا يمكن ان يكون
غير واقع او منقول ولا يمكن التحدث عنها الا بالحق اى لا ينقل عن مثلها الا الامور الصادقة
المحققة ولا يمكن ان يسكت الحاضر فى مجالس وقوعها والتحدث بها وضمن الحاضر معنى السامع
فعداه باللام فى قوله لما على ما انكره منها مما خالف الواقع فصل فى كلام الشجر الاتى
بيانه والشجر ما قام على ساق واحده شجرة وما عداه بنات وقد يطلق على بعض النبات
شجر كاليقطين والحنطة وكلام ما يتلفظ به اسم ويجى بمعنى التكليم وتكليمه له صلى الله
عليه وسلم بان يخلق الله فيه نطقا ولما كان هنا امرا خارقا للعادة لم يقل ومن
معجزاته فلا حاجة لذكره كما قيل وشهادتها له بالنبوة من عطف الخاص على العام واجابتها

دعوته اى طلبه صلى الله عليه وسلم منها ان تجى نحوه كما سياتى وله منها حديث رواه
البيهقى والبزار والدارمى مسندا عن ابن عمر وهو ما ذكره بقوله حدثنا احمد بن محمد بن غلبون
بفتح الغين المعجمة وسكون اللام وموحدة ممنوع من الصرف للعلمية وشبه العجمة كزيدون
وسعدون ومثله كثير فى لسان اهل المغرب الشيخ الصالح فيما اجازنيه عدان بنفسه
لمفعولين وهو لغة حكاها ابن فارس فى المجمل ويتعدى باللام والبا والاجازة الاذن بالرواية
عنه والكلام على انواعها ولغتها مفصل فى ابن الصلاح وحواشيه فلا حاجة لذكره
هنا عن ابى عمر الطلمنكى بالطا المهملة واللام والميم المفتوحات ونون ساكنة وكاف
تقدم الكلام عليه وعلى نسبته عن ابى بكر بن المهندس المعروف بابن ابى طاهر والمهندس
بوزن اسم الفاعل ويقال المهندز بالزاى وهو معرب وليس فى لغة العرب دال بعدها
زاى والهندسة اسم علم معروف من الرياضيات وفى العرف العارف باحوال البنا
عن ابى القاسم البغوى نسبة الى بغ ويقال لها بغشور وهى قرية بين مرو وهراة واصلها بغشور
فخفف وهذا هو عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان الامام الحافظ الجليل
البغدادى ابن بنت احمد بن منيع وليس هو البغوى المشهور صاحب المصابيح والتفسير
محيى السنة ومولد هذا فى رمضان سنة اربع عشر ومايتين وتوفى ليلة عيد الفطر
سنة سبع عشرة وثلاثمائة وترجمته فى الميزان قال حدثنا احمد بن عمران الاخنسى بيا
النسبة لاخنس بخا معجمة ونون وسين مهملة بوزن افعل وقيل انه الاخنس بغير نسبة
لقبيله وهو كذلك فى بعض النسخ وقيل هما واحد وقيل اسمه محمد وتوفى فى حدود الثلاثين
ومايتين وكان ببغداد وفيه كلام قال حدثنا ابو حيان التيمى بحا مهملة مفتوحة ومثناة
تحتية مشددة واخره نون منسوب لتيم قبيلة مشهورة وهو امام ثقة اخرج له الستة
وتوفى سنة خمس واربعين ومايه وهذا الحديث منقطع فانه سقط بين ابن عمران وابى حيان
راو وهو محمد بن فضيل كما سياتى فى كلام المصـ فى بعض النسخ وتردد فى تعيينه البرهان
ومثله لا يكون رجما بالغيب وكان صدوقا وثقه ردا على من طعن فيه عن مجاهد تقدمت
ترجمته عن ابن عمر الصحابى المشهور رضى الله عنهما قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى سفر فدنا منه اى قرب منه من الدنو اعرابى نسبة الى الاعراب وهم سكان البادية
من العرب وفى النسبة اليه وهو جمع حقه ان يرد لمفرده كلام مشهور فقال له
النبى صلى الله عليه وسلم يا اعرابى اين تريد اى تقصد بمسيرك وسفرك هنا
قال الى اهلى اى اريد مكانا فيه اهلى ولم يعينه لانهم اهل رحالة وعداه بالى لتضمنه
معنى التوجه والارادة متعدية بنفسها او فاقد رسوا له تانيسا له وازالة لما فى نفسه
من مهابته صلى الله عليه وسلم فانه كان مهيبا لمن راه وتوطيته لقوله قال هل لك
الى خير اى هل تنقاد وتذعن لخير مما انت فيه قال وما هو اى الخير الذى دعوتنى اليه قال
تشهد ان مخففة من الثقيلة لا اله الا الله وحده حال لازمة اى متوحدا مترها عما

يشاركه في ذاته وصفاته وفي كونه معبودا بحق لا شريك له تاكيد لوحدانيته بعد تاكيد
وان محمدا عبده ورسوله قدم العبودية تنزيها لنفسه عن الاطرا في مدحه قال الاعرابي
من يشهد لك على ما تقول من دعوى الرسالة قال هذه السمرة بفتح السين المهملة وضم
الميم وراء مهملة مفتوحة وهي شجرة عظيمة ذات شوكة من الطلح واشار اليها لقربها
منه وفي نسخة بعد ما تقدم فادعها فانها ستجيبك فدعوتها وهي اي السمرة
بشاطئ الوادي بشين معجمة والف وطاء مهملة وهمزة بمعنى جانب وطرف والوادي الارض
الواسعة المستوية من ودي بمعنى سال لما فيها من المياه السايلة فاقبلت الفاقصيحة
اي فدعاها لتشهد له فاقبلت تخد الارض بمثناة فوقية وخاء معجمة مضمومة ودال
مهملة مشددة اي تشقها ومنه الاخدود وشقها لتسعى بعروقها التي في جوف
الارض ولولا ذلك لم تتحرك حتى وقفت بين يديه صلى الله عليه وسلم بان قامت محاذية له
قريبا منه فاستشهدها ثلاثا اي قال لها ثلاث مرات وطلب منها ان تشهد له بانه
رسول الله وجملة تخد الارض حالية او مستانفة وانما كرر استشهادها تاكيدا لتقرر
ذلك في قلب الاعرابي فشهدت له بانه رسول الله حقا ارسله الله الذي لا شريك له
ولم يبين ما نطقت به لانه معلوم من السياق ثم رجعت الى مكانها الذي كانت فيه
وفي هذه القصة معجزات له صلى الله عليه وسلم خلق الله في الجماد ادراكا ونطقا
وحركة ارادية يجي بها ويذهب وقد وقعت على سبيل التحدي فحد المعجزة منطبق على
كل واحدة منها وفي حديث رواه البزار مسندا عن بريدة بضم الموحدة وفتح الرا المهملة
ومثناة تحتية ودال مهملة علم منقول من مصدر البردة المعروفة وهو ابو عبد الله
بن الحصيب مصغر حصب بمهملتين وموحدة وهو صحابي اسلم قبل بدر وشهد الحديبية
ومات بمرو خراسان غازيا في ايام معاوية او ايام يزيد سنة اثنين وثلاث وستين
من هجرته صلى الله عليه وسلم سال اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم اية اي علامة
ومعجزة تدل على انه رسول الله حتى يومن به فقال له قل لتلك الشجرة مشيرا لسمرة كانت
ثمة وهي تلك السمرة المذكورة في الحديث الذي قبله او غيرها رسول الله يدعوك
بكسر الكاف اي يطلب منك المجي اليه والحركة نحوه قال اي بريدة فدعاها فمالت الشجرة
عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها اي مالت ميلا شديدا وتحركت في جهاتها الاربع
تخلص عروقها من الارض وتمكنها الحركة نحوه صلى الله عليه وسلم فتقطعت عروقها
المتمكنة في مغرسها وهو اما على ظاهره او المراد انها تخلصت وهذا هو الظاهر من قوله
ثم جات تخد الارض وتشقها تجر عروقها من خلفها وهذا يدل على انها لم تنقطع ولو تقطعت
فسدت ولو تبق نابتة بحالها وقيل انه معجزة اخرى مخالفة للعادة من بقايها بعد
تقطع عروقها التي هي سبب حياتها والجملتان حالان مترادفتان او متداخلتان
والثانية موكدة للاولى ولذا لم تعطف عليها مغبرة اي مسرعة في مشيها قال تعالى

فالمغيرات صبحا ومنه الغارة على العدو وهو منصوب على الحال ايضا ومغبرة اسم فاعل
من الغارة وبعد الغين المعجمة مثناة تحتية ساكنة وقيل انه بباء موحدة مشددة مكسورة
وراء مهملة مخففة وقيل الغين ساكنة والبا مفتوحة مخففة والرا مفتوحة مشددة
من الغبار وهو حال من الفاعل المستتر او من العروة ولكل منهما ذهب بعض حتى وقفت
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا منه مواجهة له فقالت السلام عليك
يا رسول الله وفيه شهادة برسالته وتوقير له ولم يذكر انه رد عليها السلام لان
السلام ان ما شرع تحية موجبة للرد في حق البشر لانه امان وليست من اهله
فما قيل من انه صلى الله عليه وسلم رد عليها السلام مكافاة لها لا وجوبا اذ ليست
مكلفة امر يحتاج للنقل فكان عليه بيانه والسلام دعا بالسلامة وقيل انه هنا
اسم الله اي الله معك حفيظ لك وفيه كلام ليس هنا محله قال الاعرابي مرها بضم
الميم امر امله او مرها مخفف فلترجع الى منبتها تفسير للامر ومنبتها بكسر البا موضع
بناتها ويجوز فتحها فامرها فرجعت لمحلها فدلت عروقها اي ادخلتها في الارض اصلها
فاستوت اي انتصبت قايمة من غير ميل بها فقال الاعرابي لما راى هذه المعجزة وامن به
صلى الله عليه وسلم ايذن لي امر من الاذن بكسر الهمزة الاولى وسكون الثانية ويجوز
ابدالها يا اسجد لك مجزوم في جواب الامر وجواب شرط مقدر اي ان تاذن لي في السجود لك
فابى صلى الله عليه وسلم ذلك وقال له لو امرت احدا ان يسجد لاحد اي لو جاز لي امر مخلوق
بالسجود لمخلوق مثله لامرت المراة ان تسجد لزوجها لوجوب طاعته عليها ولما له عليها
من الحقوق الموجبة للتعظيم والخضوع والسجود والركوع لا يجوز لغير الله في ملتنا
وقد قيل انه كان جايزا في الشرايع التي قبل شريعتنا بقصد التعظيم لا العبادة ولذا
قال تعالى ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا اذا كان الضمير ليوسف عليه الصلاة
والسلام ولذلك جاز سجود الملايكة لادم عليه وعليهم الصلاة والسلام ثم
نسخ هنا في شريعتنا وكان ذلك تحية الملوك عندهم ولذا طلب الاعرابي الاذن
في تعظيمه عليه الصلاة والسلام بذلك فنهاه عنه ولذلك الانحنا على هيية
الركوع نهينا عنه وعوضنا عن ذلك تحية الناس بالسلام والمصافحة وقال
الاعرابي لما نهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن السجود فاذن لي قبل مجزوم في جواب
الامر يديك ورجليك تعظيما لك فاذن له في تقبيل يديه ورجليه فقبلهما وفيه دليل
على جواز تقبيل اليد والرجل من الفاضل للمفضول اذا كان لزهده وصلاحه او علمه
وشرفه وليس بمكروه بل يستحب فان كان تعظيمه لامر ديني كما قاله النووي في الاذكار
فان كان لامر دنيوي فهو مكروه وقد ورد في احاديث كثيرة صحيحة تقبيل يد النبي صلى الله
عليه وسلم وبهذا رد على المتولي من ايمة الشافعية حيث اطلق القول بعدم
جوازه وفي الصحيح اي في الحديث الصحيح او المراد به صحيح مسلم لانه روى هذا الحديث

مسندا فيه في حديث جابر بن عبد الله الطويل بالجر صفة الحديث وصفه به لتوجيه عدم ايراده
بتمامه هنا ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصحرا يقضي حاجته لانه لم يكن في بيته
خلا وهكذا سائر بيوتهم وهو كناية عن التغوط اي ذهب لاجل ذلك فلم ير شيا يستتر به
اي حايلا بينه وبين روية عورته بعد كشفها فاذا بشجرتين اذا فجائية والبا زايدة اي
فاجاه بغتة من غير ترقب منه اي فاذا هو فالمبتدا مقدر هنا في شاطي الوادي بالهمز اي
طرفه وجانبه فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما اي توجه الى احدى الشجرتين
حتى قرب منها فاخذ بغصن من اغصانها اي امسكه صلى الله عليه وسلم بيده فقال للشجرة
انقادي علي اي طاوعيني وميلي علي لتكوني ساترة له عن الاعين باذن الله اي بتيسيره وتسهيله
وارادته لا بقوة جذبي واذن الله يجوز به تجوزا مشهورا فانقادت معه اي طاوعته ومالت
حتى سترته كما اراد وانما امسك غصنها ولم يكتف بمجرد دعوتها كما في الحديث الذي قبله لان
ذلك كان لاظهار المعجزة حتى يسلم الاعرابي وهنا لم يقصد ذلك كالبعير المخشوش اي كما
ينقاد البعير المخشوش لمن يقوده بسهولة وهو اسم مفعول بخا وشينين معجمات وهو الذي
يوضع في انفه خشاش بكسر الخا والبعير الذي يعسر قوده يخرق انفه ويوضع فيه شي يذلل به
فان كان عودا من خشب فهو خشاش وان كان مفتولا من وبر ونحوه فهو خزام وان كان من
نحاس ونحوه فهو من الحديدات فهو برة كما قاله الخطابي وبهذا علمت موقع قوله المخشوش
هنا لان الغصن من جنس العود فلذا لم يقل المخزوم وهي نكتة سرية لم ينبهوا عليها والتشبيه
في السرعة والسهولة وفيه تشبيه الشجرة بالبعير وهو واقع في كلامهم كعكسه في قول
القايل لمن شجر قد اثقلتها غارها سفاين بر والسراب بحارها والخشاش ماخوذ
من قولهم خش بمعنى دخل لادخاله في الانف وقوله الذي يصانع فاين صفة البعير وهو يطلق
على الذكر والانثى كما مر والمصانعة مفاعلة من الصنع وهو العمل والمراد به الملاينة وسهولة
الانقياد مستعار من المصانعة وهي المداراة والاعطا ولذا قيل للرشوة مصانعة كما
قاله الراغب وذكر اي جابر رضي الله عنه في حديثه هذا انه صلى الله عليه وسلم فعل
بالاخرى اي بالشجرة الاخرى التي كانت بالوادي مثل ذلك اي ما فعل بالاولى بان امسك
غصنا حتى انقادت له صلى الله عليه وسلم بسهولة حتى اذا كان صلى الله عليه وسلم
اي حل ووجد بالمنصف بفتح الميم وسكون النون وفتح الصاد المهملة المخففة اي حل في وسط
المكان بينهما اي بين الشجرتين وهذا استر له قال التيما بفتح المثناة الفوقية وكسر الهمزة
اي انضمتا واجتمعتا علي باذن الله بتيسيره وارادته والالتيام الاجتماع ومنه التيام الجرح
والاستتار من روية العورة واجب اذا كان عنده من لا يغض بصره ممن يحرم نظره اليها
وهذا الاينافي كون هذا معجزة له صلى الله عليه وسلم فان اللازم التستر باي وجه كان
وفي رواية اخرى لحديث جابر رضي الله عنه من طريق مسلم فقال صلى الله عليه وسلم
يا جابر قل لهذه الشجرة التي بشاطي الوادي يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم

الحق

الحق بصاحبتك اي تحركي واذهبي حتى تكوني مع الشجرة الاخرى وسماها صاحبته لكونهما في واد
واحد او باعتبار ما يؤول بعد اللحوق والانضمام حتى اجلس لقضا الحاجة مستترا خلفكما
فزحفت بزاي معجمة وحا مهملة وفا وفي نسخة فرجعت برا وعين مهملتين بينهما جيم حتى لحقت
بصاحبتها فجلس خلفهما بان جعلهما بينه وبين الناس قال جابر رضي الله عنه فخرجت احضر
بضم الهمزة وسكون الحا المهملة وكسر الضاد المعجمة والرا المهملة اي اسرع في العدو من الحضر
ما بالضم والسكون قال الجوهري الحضر بالضم العدو ويقال احضر الفرس احضارا واحتضر اذا
عدا انتهى فهو مضارع المزيد للمتكلم كاكرم يكرم وجلست احدث نفسي حديث النفس
مجاز عما يخطر بالبال من هذه الامور العجيبة والمنقبة الشريفة التي شاهدها رضي الله
عنه من معجزاته صلى الله عليه وسلم وانما اسرع وعدا لما كان يعلمه منه من المبالغة
في التستر والابعاد عن الناس اذا قضى حاجته لشدة حيائه صلى الله عليه وسلم حتى انه كان
يذهب وهو بمكة لقضا حاجته الى المغمس وهو مكان بينه وبين مكة نحو ميلين ولذا تادب
ولم يمش على تؤدته حتى يقف صلى الله عليه وسلم منتظرا لبعده عنه فالتفت اي حولت
وجهي وانا جالس الى جانبه لانظر ما حدث بعد الحدث فاذا رسول الله صلى الله عليه
وسلم مقبل فاجاني اي فاجاني بغتة بعد التفاتي فابصرته ومقبل اسم فاعل من الاقبال
مرفوع خبر رسول وفي نسخة مقبلا بالنصب على الحالية من مقدر اي جا مقبلا والجملة
خبر المبتدا والحال موكدة كولى مدبرا والشجرتان قد افترقتا وعادت كل واحدة منهما لمحلها
وهو جملة اسمية حال من الضمير المستتر في قوله مقبل فقامت كل واحدة منهما على ساق
منتصبة في منبتها مفارقة لصاحبتها والساق حقيقة فيما قام عليه الشجر وما لا ساق له
فهو نجم ونبت فاذا ظهر على وجه الارض فهو عشب فاذا غطى الارض فهو كلا كما فصله
اهل اللغة فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة يسيرة ينتظر لما اكرمه الله به من
مشي الشجر لاجله فقال براسه اي حركه هكذا وفسره بقوله يمينا وشمالا منصوب على
الظرفية اي في جانب اليمين والشمال وقال هنا بمعنى مال اي يميل راسه الشريف في الجهتين
قال في القاموس قال ابن الانباري يجي قال بمعان تقول قال فاكل وقال فضرب وقال فتكلم
ومال واقبل الى اخر ما فصله وقيل قال هنا مجاز عن الاشارة لاشتراكهما في الافهام وقيل
انه اذن لهما في الرجوع الى مكانهما وهو لا يوافق قوله فقامت كل واحدة منهما على ساق فتدبر
وروى اسامة بن زيد في حديث اخرجه البيهقي في الدلايل وابو يعلى بسند حسن عنه نحوه
اي بمعنى الحديث الذي قبله قال اسامة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه
جمع مغزاة بمعنى الغزاة او محلها كما مر هل ستفهام حذف المستفهم عنه للعلم به او استهجان
ذكره او لانه لم يسمعه او لم يفهمه او لم يجده في اصله اي هل ترى مكانا لايقا بقضا الحاجة
واليه اشار بقوله يعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم الحاجة هنا كناية
عن البول والغايط فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس اي باسيته وما نافية اي ما فيه

ابن الانباري
محشي

موضع خال بسبب نزول الناس فهو مملو ثم فقال هل ترى من نخل وحجارة مرتفعة يمكن
ان يستتر بها كالنخل الذى تقضى الحاجة خلفه ويكون فيه ستره ومن زايده بعد الاستفهام
قلت ارى نخلات جمع نخلة متقاربات اى قريب بعضها من بعض وهو مناسب للستر بها
للجلوس بينها وروى متكاربات بالكاف وهى لغة بمعنى متقاربات والقاف تبدل كافا
كثيرا وقوى فى الشواذ لا تكهر فى لا تقهر ورا اى بصرية وكونها علمية بعيد فهو صفة نخلات
منصوبه قال انطلق وقل لهن اى للنخلات ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركن
ان تاتين اى تجتمعن وتتزايد قربكن ليكون ساترا له لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
اى لمكان نخرج اليه لقضاء حاجته فيه وقل للحجارة مثل ذلك اى مثل قولك للنخلات
من امره صلى الله عليه وسلم لها ان تاتين لمخرجه وفى كلام اسامة لم يامر الحجارة اما
لعدم الحاجة اليها مع النخيل والا انها لم تكن مرفوعة حتى تعد ساترة فقلت ذلك لهن
الفا فصيحه اى فذهبت فقلت ما امرنى به لهن فوالذى بعثه بالحق قسم اى بالذى
الحق لقد رايت النخلات يتقاربن اى يدنو بعضها من بعض حتى اجتمعن فى مكان واحد
والحجارة بالنصب يتعاقدن اى ينضم بعضها الى بعض حتى يصرن كالبنيان المعقود
بعضه ببعض حتى صرن ركاما بضم الرا المهملة اى بعضها فوق بعض خلفهن متعلق
بركاما والضمير للنخلات يعنى ان الحجارة اجتمعت مع النخل وفى نسخة فجلس خلفهن فالضمير
للنخلات والحجارة فلما قضى حاجته قال لى قل لهن يفترقن اى ترجع كل نخلة وحجر الى موضعه
الذى كان فيه اولا فوالذى نفسى بيده اى الله الذى روحى فى قبضته تصرفه وارادته
ان شا ابقاها وان شا اماتها والنفس لها معان مشهورة منها الروح وغاير بين
القسمين تفننا مع مناسبته الاول للمقسم عليه من ان له دينا حقا وهو رسول له
معجزات منها ما ذكر ومناسبته الثانى لحاله من ان من امن بالله وخشيه لا يتكلم
الا بالحق لا سيما فيما ذكر لقد رايتهن والحجارة بالنصب عطف على الضمير او هو مفعول
معه والضمير للنخلات واللام فى جواب القسم يفترقن حتى عدن الى مواضعهن وفيه
معجزات له صلى الله عليه وسلم فى سعى النخل والحجارة بامره مرتين وخلق الله فيها
قوة تسمع وتاتمر بامره والحديث طويل وفيه معجزات اخر منها اتيان امراة له صلى الله
عليه وسلم بولدها صغير كان يصرع فتفل فى فيه فلم يعد له ذلك وان امة اتت
له صلى الله عليه وسلم بشاة فسواها اسامة له فقال له ناولنى منها ذراعا
فناوله ثم قال ذلك فناوله ثم قاله فقال اسامة لها غيرذراعين فقال لو سكت
لم تزل تناولنى منها وكان ذلك فى سفره للحج بمحل يقال له الروحا وعن يعلى ابن سيابه
فى حديث صحيح رواه احمد والبيهقى والطبرانى ويعلى بزنة يرضى علم منقول من المضارع
وسيابه بفتح السين المهملة وتشديد المثناة التحتية والف وموحدة يليها ها اسم
امه فيرسم ابن بالالف وابوه مرة بن وهب الثقفى وقيل انهما اثنان

وهو صحابى بصرى او كوفى وترجمته مفصلة فى الاصابة والرواية عنه نادرة وهو من اهل
الشجرة كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى مسير بفتح الميم مصدر ميمى او اسم زمان
او مكان قيل والاول اولى وذكر نحوا من هذين الحديثين الذين قبله فى ذهابه لقضاء حاجته
وامره للشجرتين غير انه قال وذكر فامر وديتين تثنية ودية بفتح الواو وكسر الدال المهملة
والمثناة المشددة قبل الها وهى صغار النخل التى تخرج من اصول كبارها فتنقل وتغرس
وتسمى فسيلا وفراخا فانضمتا اى انضمت احداهما للاخرى كالذى مر وفى رواية اشاءتين
بفتح الهمزة وكسرها فى بعض النسخ خطا وشين معجمه والف ممدودة وهمزة وتاء تانيث مثنى
اشاة وهى من صغار النخل ايضا لكنها اكبر من الودية وهمزة الثانية منقلبة عن يا وقيل اصلية
وعن غيلان بن سلمة الثقفى فى شجرتين وغيلان بفتح الغين المعجمه وتحتية مثناة ولام ونون
وهو غيلان بن سلمة بن معتب بوزن معلم بالتشديد بن مالك ابن كعب بن عمرو بن سعد بن
عوف ابن ثقيف الصحابى الشاعر اسلم بعد الطايف وتوفى فى اواخر خلافة عمر وهو الذى اسلم
على عشر نسوة وفى هذه الرواية لم تعين الشجرتان وعن بن مسعود مثله فى غزاة حنين اسم
موضع معروف وغزوة حنين كانت بعد الفتح بسنة كما فصل فى السير وضمير مثله راجع لما
ذكر من امر الشجرتين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة ايضا اشارة الى ما مر من الاختلاف
فى اسم ابيه كما سمعته انفا وان سيابة اسم امه وذكر اشيا راها من رسول الله صلى الله
عليه وسلم اى ذكر ابن سيابة امورا خارقة للعادة من معجزاته صلى الله عليه وسلم
شاهدها منه صلى الله عليه وسلم فى تلك الغزوة فذكر ان طلحة او سمرة بفتح المهملة
وضم الميم كلاهما نوعان من شجر البرية ذات شوك تسمى العضاة والشك من الراوى فى
تلك الشجرة جاءت فطافت به صلى الله عليه وسلم اى دارت حوله وفى بعض النسخ
فاطافت بهمزة قبل الطا المهملة وهو بمعناه يقال طاف واطاف يطوف واستطاف
بكذا اذا الم به ودار حوله واما كونه من الطوف بمعنى الغايط ويقال منه ايضا طاف
واطاف اذا ذهب الى البراز ليتغوط وانه اسند الى الشجرة مجازا فتكلف لا حاجة
اليه وليس فى هذا التجوز معنى حسن يرتكب لاجله وان كان صحيحا بحسب اللغة
ولا يناسب قوله بعده ثم رجعت الى منبتها الى موضعها الاول الذى نبتت فيه فقال
له صلى الله عليه وسلم انها اى تلك الشجرة استاذنت ان تسلم على اى استاذنت
ربها ويجوز ان يكون هذا مجازا والمعنى انها طلبت من الله ان يعطيها قدرة كقدرة العقلاء
من المشى اليه صلى الله عليه وسلم والسلام عليه بالمقال لا بلسان الحال وهذا صريح
فى انه لم يكن للتغوط كما قيل وفى حديث عبد الله بن مسعود الذى رواه الشيخان مسندا
اذنت بالمد بمعنى علمت وفاعله شجرة الاتى وقوله النبى صلى الله عليه وسلم بالنصب
مفعوله وبالجن متعلق به اى بحضورهم عنده صلى الله عليه وسلم واستماعهم منه
القران ليلة استمعوا له منصوب على الظرفية اى فى الليلة التى استمعوا قراته صلى الله

عليه وسلم للقران شجرة وفيه دلالة على انه صلى الله عليه وسلم لم يرهم عيانا في هذه
القصة وانما كانوا عنده وهو لم يرهم وانما نطقت الشجرة واعلمته بحضورهم واستماعهم
وفي هذه القصة كلام سنفصله وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث الذي رواه
الشيخان ان الجن قالوا له صلى الله عليه وسلم لما اجتمعوا به من يشهد لك بانك رسول الله
قال هذه الشجرة ثم دعاها للشهادة فقال تعالى يا شجرة بفتح اللام وسكون اليا التحتية
وهو امر من تعالى يتعالى بالطلوع لمكان عال ثم عمّ وصار بمعنى اقبل مطلقا وكسر اللام
قال كثير من النحاة انه لحن ولم يرتضه الزمخشري وقال انه قرى به في الشواذ وانه لغة
وعليه قول ابي فراس وهو اسير يسمع تغريد حمامة شوقته لاوطانه ومعاهده الفه
واخوانه اقول وقد ناحت بقربي حمامة ايا جارتي هل بات حالك حالي معاذ الهوى
ماذقت طارقة النوى ولا خطرت منك الهموم ببال اتحمل محزون الفواد قوادم
الى غصن نائي المسافة عالي ايا جارتي ما انصف الدهر بيننا تعالي اقاسمك
الهموم تعالي تعالي ترى روحا لدي ضعيفة تردد في جسم يعذب بالي ايضحك
ماسور وتبكي طليقة ويسكت محزون ويندب سالي لقد كنت اولى منك بالدمع
مقلة ولكن دمعي في الحوادث غالي فجات امتثالا لامره صلى الله عليه وسلم
اذ قال تعالي تجر عروقها لانها لما خرجت من محلها اخرجت عروقها التي كانت في داخل
الارض فلما مشت انجرت خلفها لها اي لعروقها او للشجرة نفسها قعاقع اي صوت قوي
كصوت الرحا وهو جمع قعقعة وهي حكاية صوت الحركة من الاجرام الصلبة وقيل
يجوز ان يراد به صوت كلام جهوري لها اذا نطقها الله والصوت من شق الارض كلام
انها جاءت تخد الارض او صوت اصطكاك اعضائها بهما وقال الحافظ العراقي حديث مجاهد
عن ابن مسعود رضي الله عنه مرسل نقله عن شيخيه العلاي وابن الصلاح وذكر مجاهد مثل
الحديث اي ما يشابهه لفظا او معنى او نحوه اي قريبا منه وان لم يكن بينهما شبه تام ونحو يكون
بمعنى مثل مطلقا ويكون بمعنى ما يقرب منه وان لم يكن مثله وهو المراد هنا لجمعه بينهما وقوله
في اول الحديث ان الشجرة اعلمته بالجن يقتضي انه صلى الله عليه وسلم ايرهم وقوله
بعده انهم قالوا له من يشهد لك يقتضي انه راهم وخاطبهم ولا تناقض فيه لان القصة
تعددت وتحقيقها كما في كتاب اكام المرجان في احكام الجان انه صلى الله عليه وسلم
لما ايس من ثقيف رجع من الطايف لمكة فقام بنخلة يصلي جوف الليل فمر به نفر من الجن جن
نصيبين وسمعوا قراته فامنوا به واتوا قومهم منذرين كما اخبر الله عنهم بقوله واذ صرفنا
اليك نفرا من الجن الخ وفي هذه القصة كما في الصحيحين لم يقرا عليهم ولا راهم وانما كانت
الشياطين لما حيل بينهم وبين خبر السما تفرقوا في الارض ليعلموا سبب ما حدث فمر به
صلى الله عليه وسلم منهم من جا تهامة وهو راجع من عكاظ وقد قام يصلي الفجر باصحابه
فلما سمعوا قراته صلى الله عليه وسلم قالوا هذا هو الذي حال بيننا وبين خبر السما فرجعوا

واخبروا قومهم وانزل الله عليه قل اوحي الي السورة كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما قال
البيهقي وهذا كان في اول امره ولم يرهم واتاه مرة اخرى داعي الجن فراهم وقرا عليهم
كما رواه ابن مسعود وفي القصة الاولى لم يرهم وانما الذي علمه بهم الشجرة وروي انه
صلى الله عليه وسلم قرا عليهم سورة الرحمن فكانوا كلما قال فباي الا ربكما تكذبان
قالوا ولا بشي من الايك ربنا نكذب فلك الحمد وابن مسعود اعلم بقصة الجن من ابن عباس
لانها كانت قبل الهجرة سنة احدى عشرة من النبوة وابن عباس طفل وقال السهيلي
رحمه الله انهم كانوا يهود لقولهم من بعد موسى دون عيسى كما ذكره ابن سلام واختلف
في عددهم فقيل سبعة وقيل تسعة وفي مسلم انه قيل لابن مسعود هل صحب احد منكم
النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قال لا ولكنا فقدناه ليلة فالتمسناه في الاودية
فلم نجده وبتنا بشر ليلة فلما اصبحنا جا من قبل حرا وقال اتاني الليلة داعي الجن فذهبت
معه وقرات عليهم القران وانطلق بنا وارانا اثار نيرانهم وذكر لنا ما امرهم به من الزاد
وهذه غير الليلة التي اعلمهم بها وذهب معه ابن مسعود وخط له خطا وغاب عنه ثم
عاد اليه وكانت بمكة وقد قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه من احب منكم ان يحضر
الليلة امر الجن فليفعل فلم يحضر احد منهم غيري فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة خط لي
برجله خطا وامرني ان اجلس فيه ثم انطلق حتى قام يقرا فغشيته اسودة حالت
بيني وبينه صلى الله عليه وسلم ثم انصرفوا مثل قطع السحاب الى الفجر ثم اتاني وفي هذه
الرواية ان ابن مسعود قال سمعتهم يقولون من يشهد لك انك رسول الله الى اخر ما ذكر
من قصة الشجرة وما هنا من اعلامه بهم وخروجه معه الخ وما روي عنه من انهم
التمسوه وباتوا بشر ليلة يدل على ان قصة الجن تعددت وقول البيهقي انها واحدة لا يمكن
فيه الجمع بين الروايتين ويعينه ما رواه ابو نعيم في دلايله من ان القصة كانت بالمدينة
بالبقيع وروى ابن الزبير انه حضرها بالمدينة فهذه مرة ثالثة وذكر مثله عن بلال
باحاديث مفصلة ثم قال لعل مجموع الاحاديث ان وفادة الجن عليه الصلوة والسلام
كانت ست مرات الاولى لم يشعروا بها والتمسوه فيها فلم يجدوه والثانية كانت بها على
مكة في الجبال والثالثة ببقيع الغرقد وقد حضرها ابن مسعود رضي الله عنه وخط عليه
الخط والرابعة كانت مع ابن مسعود ايضا والخامسة خارج المدينة مع ابن الزبير
والسادسة في بعض اسفاره مع بلال رضي الله عنه ولكل منها حديث مسند ان اردته
فانظر الكتاب المذكور فانه لم يصنف في معناه مثله اقول وفيما ذكرناه معجزات
اخر منها انقياد الجن له صلى الله عليه وسلم باختيارهم وهي اعظم من تسخيرهم
لسليمان عليه الصلوة والسلام ومنها كلام الشجرة له ومنها سعيها له وعودها
لمحلها بعد خروج عروقها من منبتها وهو امر خارق للعادة وفي الحديث فوايد منها
كراهة الاستنجا بالعظم فانه صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك فيه ومنها ان غيره

من الانبيا بعث للجن كموسى عليه الصلاة والسلام وانهم مكلفون وقد اختلف هل بعث
منهم رسول ام لا فقيل منهم رسول يسمى يوسف وثمة فوايد اخر لا يسعها نطاق البيان هنا
قال القاضي ابو الفضل هو عياض المصري رضي الله عنه وهذا فذلكة لما تقدم بقوله
فهذا ابن عمر رضي الله عنهما وبريدة وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما وعبد الله بن
مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب وعبد الله بن عباس
رضي الله عنهما وغيرهم الى قوله قد اتفقوا على هذه القصة نفسها يعني كلام الشجر
او معناها مما يدل على ذلك وقد رواها عنهم اي عن من ذكر من الصحابة من التابعين
اضعافهم لتعدد طرقهم والضعف هو المثل والمثلان فصارت في انتشارها اي
اشتهار روايتها عنهم من القوة حيث هي يعني انها نقلت عن كثير من الصحابة والتابعين
حتى بلغت التواتر المعنوي وصارت في مرتبة قوية لا يشك فيها احد من العقلا وحيث
ظرف مكان مضاف لجملة وهي ضمير القصة مبتدا خبره محذوف تقديره هي معروفة
مشهورة وذكر ابن فورك تقدم الكلام عليه وعلى صرف فورك وعدمه وانه امام
ثقة جليل القدر انه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطايف اسم بلدة قريبة
من مكة كثيرة المياه والاشجار يقال ان جبريل اقتطعها من ارض صنعا وهي المذكورة
في سورة ن في قوله تعالى فطاف عليها طايف من ربك وهم نايمون والطايف
هو جبريل عليه الصلاة والسلام اقتلعها وطاف بها حول البيت ثم انزلها حيث
هي كما نقله السهيلي عن بعض المفسرين قال فلذا سميت بالطايف وهذه الغزوة
كانت في السنة الثامنة من الهجرة ليلا متعلق بسار وهو وسن بزنة حذر والوسن قريب
من النعاس وفي فقه اللغة في مراتب النوم اوله النعاس ثم الوسن ثم الترنيق ثم
الكرى والتغميض ثم التغفيق ثم الاغفا ثم التهويم ثم الغرار ثم التهجاج وهو الهجوع
يعني انه صلى الله عليه وسلم نعس وهو ساير على دابته بحيث لا يرى ما في طريقه
فاعترضته سدرة اي وقع اتفاقا ان شجرة في طريقه اتت دابته لها بحيث كادت تمنعه
عن سيره لسدها طريقه وهو صلى الله عليه وسلم لنومه لم يعدل عنها لطريق اخرى
فانفرجت له نصفين اي انشقت وتباعد بعضها عن بعض بحيث صار بينهما فرجة يمر فيها
الراكب حتى جاز بينهما اي بين النصفين وبقيت الشجرة شجرتين على ساقين قايمة الى
وقتنا اي الى زمن ادركه ابن فورك وهي هناك اي في الارض التي فيها من الطايف معروفة
معظمة لانها من اثار معجزاته صلى الله عليه وسلم ومن ذلك اي من معجزاته صلى الله عليه
وسلم في الشجر ما ورد في حديث رواه الدارمي وابن ماجه والبيهقي كما قاله السيوطي
وهو حديث انس ان جبريل عليه الصلاة والسلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم وراه
حزينا جملة حالية اي وقد راه محزونا لعدم اطاعة قومه له في اول البعثة اذ عرض
نفسه على القبايل اتحب ان اريك اية اي معجزة تزيل حزنك لانه اذا اطاع دعوته

الجماد دل ذلك على ان الناس ستطيعه ولكن تاخيره لحكم خفية قال نعم احب ذلك ليزول
حزني واعلم ان الله سينصرني ويلين قلوب قومي لاجابة دعوتي فنظر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى شجرة من وراء الوادي الذي كان فيه مع جبريل فقال جبريل له صلى الله
عليه وسلم ادع تلك الشجرة اي مرها بان تاتي اليك ولم يدعها هو ليكون معجزة له
لا لجبريل كما توهم فامرها فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه صلى الله عليه وسلم بمكان
قريب منه ثم قال مرها فلترجع الى مكانها الذي كانت فيه فامرها فعادت الى مكانها كما
كانت وعن علي كرم الله وجهه نحوه قال السيوطي لم اجده عن علي وانما هو عن جابر رضي الله
عنه ولم يذكر فيها اي في هذه الرواية جبريل وكلامه له وانما الذي فيه انه صلى الله عليه
وسلم قال اللهم ارني اية اي معجزة ملزمة لمن راها دالة على اني ستجاب دعوتي ونيفد
بلاغي واللهم معناه يا الله كما فصل في النحو وتقدم منه ما فيه الكفاية لا ابالي
من كذبني بعدها لانها معجزة قطيعة لا يفيد انكارها وجحدها عنادا ولا ابالي بمعنى
لا اعتد ولا التفت لمن خالفها قال ابن فارس رحمه الله في المجمل اشتبه علي اشتقاق
لا ابالي فرايت قول ليلى الاخيلية تبالى رواياهم هباة لما بعدما وردن الما بالجم
يرتمي اذ فسر التبالي بالمبادرة للاستقا يقال تبالى القوم اذا تبادروا الما
عند قلته وانتظار بعضهم لبعض فقولهم لا ابالي معناه لا ابادر الى اقتنائه بل انبذه
ولا اعتد به انتهى فدعى شجرة وذكر مثله من مجيها ورجوعها وحزنه بالنصب اي النصب
والكد كان لتكذيب قومه له في اول امره وطلبه الاية لهم اي لقومه المكذبين لا له صلى الله
عليه وسلم لانه على يقين من امره وعلمه بقدرة ربه وذكر ابن اسحق مما رواه في سيرته ورواه
ابو نعيم والبيهقي عن ابي امامة بسند من طريقين مرفوعا ومرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم
ارى ركانة مثل هذه الاية في شجرة دعاها فاتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت
كما ستسمعه قريبا في الحديث الذي اذكره لك وركانة بضم الرا المهملة وفتح الكاف
المخففة والف تليها نون وها وهو ركانة بن عبد يزيد ابن هاشم بن المطلب بن عبد
مناف القرشي المكي الصحابي اسلم عام الفتح وتوفي بالمدينة في خلافة معاوية
رضي الله عنه سنة اثنين واربعين وكان شديد الباس قويا جسيما معروفا بالقوة
في المصارعة بحيث انه لم يصرعه احد قط ولم يمس جنبه الارض مغلوبا قط وقد صح
انه صلى الله عليه وسلم صارعه فصرعه واما مصارعته لرجل اخر يقال له ابو جهل
فلم تصح كما قاله المقدسي وكان ركانة قبل اسلامه يرعى غنما له بوادي اضم بالمدينة
وهو من افتك الناس واشدهم فخرج صلى الله عليه وسلم يوما من بيته وتوجه
لذلك الوادي فلقيه ركانة وليس ثمة احد غيرهما فقال له انت الذي تشتم الهتنا
وتدعو الهك العزيز ولولا رحم بيني وبينك قتلتك ولكن ادع الهك ان ينجيك مني
اليوم وانا ادعوك لامر وهو ان تصارعني وتدعو الهك وادعو اللات والعزى

فان غلبتني فلك من غنمي هذه عشرة تختارها فصارعه صلى الله عليه وسلم فغلبه فقال
لم تصرعني وانما غلبني الهك وخذلني اللات والعزى وما وضع جنبي على الارض احد قبلك
ولكن عرفانه صرعني فلك على عشرة اخرى فعاد فصرعه فقال له كما قال اولا ثم دعاه
ثالثة فصرعه فقال له دونكها ثلاثين من غنمي تختارها فقال له لا اريد ذلك ولكن
ادعوك الى الاسلام فاسلم تسلم من النار قال لا الا ان تريني اية فقال له ان اريتك اية
تسلم قال نعم وكان بقربه شجرة سمرة فقال لها اقبلي باذن الله فانشقت اثنين واقبل
نصفها حتى كان بين يديه صلى الله عليه وسلم وبين يدي ركانة فقال اريتني امرا عظيما
مرها فلترجع فقال ان امرتها فرجعت تسلم قال نعم فامرها فرجعت والتامت بقضبانها
وفروعها مع نصفها الاخر فقال له اسلم فقال اكره ان يتحدث نسا المدينة وصبيانها
باني اجبتك لرعب قلبي منك ولكن الغنم لك فقال لا حاجة لي بها وانطلق فلقيه
ابو بكر رضي الله عنه فقال له تخرج الى الوادي وبه ركانة فضحك صلى الله عليه
وسلم فقال اليس الله عصمني وحدثه الحديث المار والحديث يقتضي جواز المصارعة
الا انهم قالوا انها بالمال حرام كالمسابقة عليه والجواب انه صلى الله عليه وسلم
لم يطلب منه ذلك وانما اقره على مقالته ليريه اية يرجي بها اسلامه او انه من خصائصه
صلى الله عليه وسلم او تجريه ورده الغنم عليه قيل انه كان يجد اسلامه وصارعه
هنا ثلاثا كما علمت وقيل مرتين وقيل انه كان صارعه بمكة ولم يسلم الا يوم الفتح
وعن الحسن في حديث رواه البيهقي مرسلا وهو الحسن بن علي رضي الله عنهما وقيل يحتمل
انه الحسن البصري رحمه الله انه صلى الله عليه وسلم شكى الى ربه من قومه في اوايل
البعثة قبل قوة الاسلام واهله وانهم يخوفونه كما قال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا
ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك وعطف تفسيري لان المراد انه صلى الله عليه وسلم
شكى له تعالى تخويفهم له وانما شكى ذلك لانه خاف القصور في تبليغ ما ارسل به فلا
ينافي كونه صلى الله عليه وسلم على كمال اليقين من الله في رسالته كما توهم وهذا كان
قبل الهجرة وقبل نزول قوله تعالى والله يعصمك من الناس وسال له اية ومعجزة يعلم بها
ان لا مخافة عليه ان هنا مخففة من الثقيلة واصلها انه فاوحى الله اليه ان ايت
وادي كذا من اودية مكة فان فيه شجرة فادع غصنا منها اي غصنا وطرفا من اطرافها
يأتك مجزوم في جواب الامر ففعل اي اتى الوادي ودعا الغصن كما امر فجا يخط الارض
خطا اي يشقها شقا وهذا يدل على انه غصن مع بعض ساقها وهو بمعنى قوله
فيما تقدم يجر ويحتمل ان الطا مبدلة من الدال المهملة وقيل المراد بالخط اثر مشيه الذي
يشبه خط الكتابة كقول الابوصيري جات لدعوته الاشجار ساجدة
تمشي اليه على ساق بلا قدم كانما سطرت سطرا لما كتبت فروعها من بديع
الخط في اللقم حتى انتصب بين يديه اي قام عنده فحبسه ما شا الله اي جعله

مدة

مدة من الزمان ارادها الله قايما عنده ثم قال ارجع كما جيت فرجع الى مكانه الذي كان فيه
والتام باصله فقال صلى الله عليه وسلم علمت ان لا مخافة على بتسخير الجمادات لامتثال
امري الدال على ان من عصاه سيرجع عما كان عليه ويخو منه اي فيما رواه البزار وابو يعلى
والبيهقي بسند حسن ما هو قريب مما ذكر في هذا الحديث مروي عن عمر ابن الخطاب رضي الله
عنه وقال عمر فيه اي فيما رواه اراني اية لا ابالي من كذبني بعدها اي لا اعتد واهتم به لاطمينان
قلبي ودها بخوفي فذكر نحوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما في حديث رواه البخاري في تاريخه
والدارمي والبيهقي مسندا انه صلى الله عليه وسلم قال لاعرابي ارايت بهمزة الاستفهام
وتا الخطاب بمعنى اخبرني وقل لي وهو مجاز مشهور ورأي فيه علمية او بصرية فاريد
لازمه كما بينه النحاة اذ دعوت ان شرطيته ان امرت هذا العذق اشارة لعذق كان
عنده وهو بكسر العين المهملة وسكون الذال المعجمة والقاف وهو العرجون
من النخلة وشماريخها كما بينه بقوله من هذه النخلة وقد يطلق على النخلة نفسها ولا يناسبه
قوله من هذه النخلة فلا وجه لتفسيره به هنا وقيل ان النخلة يقال لها عذق بفتح العين
اتشهد اني رسول الله اي تؤمن بي وبما ارسلت به وتقويه لك قال نعم اشهد بانك
رسول الله فدعاه اي العذق بان امره بالمجي اليه فجعل اي طفق وصار العذق ينقز
بفتح المثناة التحتية وسكون النون وضم القاف وكسرها كما في المحكم فغلا الاقتصار
على الضم قصور واخره زاي معجمة ومعناه يثب صعدا وروى هذا الحديث مفصلا
البيهقي وقال ان اعرابيا من بني عامر حتى اتاه ووصل الى مكان عنده بقربه فقال له ارجع
فعاد الى مكانه الذي كان فيه وخرجه بالتشديد اي رواه بسند الترمذي وقال هذا
حديث صحيح متنا وسندا فصل من معجزاته صلى الله عليه وسلم ما اشتهر

في قصة حنين الجذع الحنين بفتح الحا المهملة ونونين بينهما يا تحتية وهو صوت كالانين
يكون عند الشوق لمن يهواه اذا فارقه وتوصف به الابل كثيرا قال الجوهري الحنين
الشوق وتوقان النفس تقول حن اليه يحن حنينا وحنين الناقة صوتها في تراعها الى
ولدها والجذع بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة وعين مهملة وهو ساق النخلة اليابس
وقيل انه لا يختص به لقوله تعالى وهزي اليك بجذع النخلة وتعريف الجذع للعهد
والمراد به جذع كان قايما بالمسجد النبوي كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يستند
اليه ويخطب قايما ولم يكن له منبر فلما وضع له المنبر وخطب صلى الله عليه وسلم
سمع للجذع حنين لفراقه له كما ياتي قال البرهان وغيره ان الخبر به متواتر وكذا قال
المص هنا وهذا الجذع من سواري المسجد النبوي وهكذا كانت سواريه كلها وسقفه
من جريد النخل كما ياتي في رواية جابر ولا بدع في ان يخلق الله فيه حياة وصوتا فما قيل انه
لا يلزم من سماع صوته حنينه ان يكون منه مما لا ينبغي ذكره ويعضده هذه الاخبار
المذكورة في الفصل الذي قبل هنا من كلام الشجر ومشيها اليه صلى الله عليه وسلم

اى يقويها ويؤيدها وهو بعين مهملة وضاد معجمة من عضد اليد وساعدها حديث انين الجذع
الانين صوت المريض والانين والحنين متقاربان وقيل الانين فيه زيادة امتداد الصوت
وفى تعبيره به اشارة الى انه لحقه الم كما يلحق المريض ولله در الشهاب المنصورى فى قوله
يا السنا فصحا قد خرست انا لجماد بفضله نطقا واعلم ان المصنف انما عطف الانين
على الحنين لنكتة وهى ان حقيقة الحنين فى الابل فتحن اذا فاقدت اولادها ثم شاع
فى مطلق الشوق ولو بالكل كقوله والمرء يشتاق الديار واهلها وحنينه ابدا
الاول منزل واما الانين فانه بما لا يفهم كالتأوه ففيه اشارة الى ان حنين الجذع
لم يكن بكلام يفهم وانما كان بصوت يفهم منه الحزن بدلالة طبيعته كانين المريض فهو
من عطف الخاص على العام فتنبه وهو اى حديث الجذع فى نفسه بقطع النظر عن غيره
مما يؤيده فانه غير محتاج لذلك لانه مشهور منتشر اى شايع بين الخلف والسلف
والخبر به متواتر لكثرة طرقها الصحيحة ونقل جماعة له عن جماعة لا يمكن تواطيهم على
الكذب خرجه اهل الصحيح اى رواه مسندا اصحاب الكتب الستة الصحيحة كالبخارى
ومسلم وابن حبان وابن خزيمة وما وصل الى مثلهم بطرق متعددة صحيحة يكون متواترا
حقيقة لاجماع من بعدهم على صحتها كما قاله ابن حجر رادا على ابن الصلاح فى قوله ان التواتر
لا يكاد يوجد كما بينه فى شرح النخبة والمراد باهل الصحيح من التزم ان يورد فى كتابه الاحاديث
الصحيحة عنده ورواه من الصحابة بضعة عشر تقدم ان البضع من الثلاثة الى التسعة
فما زاد على العقود مطلقا كبضعة وستين ونحوه على الصحيح عند اهل اللغة وهو كما مر
بكسر البا وفتحها منهم اى من الصحابة الذين رووه مرفوعا ابى بن كعب كما رواه عنه الشافعى
فى مسنده وابن ماجه والدارمى والبيهقى وجابر بن عبد الله كما رواه عنه البخارى وانس
بن مالك كما رواه عنه الترمذى وصححه وعبد الله ابن عمر كما رواه عنه البخارى وعبد الله
بن عباس كما رواه عنه احمد فى مسنده باسناد صحيح على شرط مسلم والدارمى والبيهقى
وسهل بن سعد كما رواه عنه الشيخان وابو سعيد الخدرى بالدال المهملة كما تقدم
فى ترجمته رواه عنه الدارمى وام سلمة ام المؤمنين كما رواه عنها البيهقى والمطلب بن ابى
وداعة بفتح الواو والدال المهملة والف وعين مهملة بعدها ها ابن الحارث بن صبرة
بن سعيد القرشى السهمى الصحابى ممن اسلم عام الفتح رواه عنه احمد والزبير ابن بكار
كلهم يحدث بمعنى الحديث فجميع رواياتهم متفقة بحسب المعنى وكان ذا اشارة الى انه
تواتر معنوى لا اصطلاحى لما مر عن ابن الصلاح وقد علمت ما فيه قال الترمذى
صاحب السنن الامام المشهور وقد تقدمت ترجمته وحديث انس صحيح انما نص
على صحته لرجحانه عنده على غيره لا لنفى صحة غيره حتى ينافى ما مر من رواية اهل الصحيح
اولان فى بعض رجاله شيء وقال لجابر بن عبد الله فى رواية كان المسجد اى مسجد النبى صلى الله
عليه وسلم بالمدينة مسقوفا اسم مفعول من سقفت البيت ونحوه اذا جعلت

عليه

29

عليه سقفا وهو معروف على جذوع نخل جمع جذع وقد تقدم يعنى ان له سوارى وضع السقف
عليها من النخل والاضافة بيانية فكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خطب اى قام للخطبة
يقوم مستندا الى جذع منها وكان هنا تفيد تكرار ذلك كثيرا منه صلى الله عليه وسلم
لان كان اذا كان خبرها مضارعا تفيد ذلك فى استعمالهم كقولهم كان حاتم يقرى الضيف
وقال الله تعالى وكان يامر اهله بالصلاة والزكاة وهو مما صرح به فى كتب العربية
والاصول وفى وجه دلالتها على ذلك كلام مقرر مشهور لا حاجة لنا به هنا فلما صنع
بالبنا للمجهول وفى نسخة وضع له صلى الله عليه وسلم المنبر بكسر الميم من نبر بمعنى رفعه
ورقاه لانه يرتفع القايم عليه به عن غيره سمعنا لذلك الجذع الذى كان يستند اليه
صلى الله عليه وسلم فى خطبه صوتا كصوت العشار بكسر العين المهملة وشين معجمة
والف ورا مهملة جمع عشرا كنفسا وهى الناقة التى اتى عليها الحمل عشرة اشهر وزال
عنها اسم المخاض ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد وضعها ايضا والمراد هنا
جوارها حين وضعها او عقبه تراعا لولدها اذا لم تره وفيه مناسبة تامة هنا لما عرفته
من ان الحنين اصله من النوق والتشبيه به لشدته وانه لم يزد على مفارقته صلى الله عليه
وسلم كما انه فى النوق ان النوق تشبه بالنخل فليس المقصود تشبيه مسموع بمسموع فقط كما
قيل وفى رواية انس انه صلى الله عليه وسلم لما قعد على المنبر خار الجذع حتى ارتج المسجد
بهمزة الوصل وسكون الرا المهملة وفتح التا الفوقية وتشديد الجيم مضارع رجه
فارتج اذا تحرك حركة شديدة واضطرب وهو بتقدير مضاف اى اهله او هو على ظاهره
بان تحرك حيطانه وجدرانه لشدة صوته اما حقيقة او لظن ذلك ممن هو فيه لخوار
بضم الخا المعجمة وفتح الواو وبعدها الف وراء مهملة بوزن فعال وهو بنا مطرد فى اسما
الاصوات والخوار فى الاصل كما قاله الراغب يختص بصياح البقر ثم توسعوا فيه فى
اصوات جميع البهايم وفى بعض النسخ جوار بضم الجيم وفتح الهمزة والرا المهملة وهو
بمعنى الاول وقال الراغب قال تعالى اليه يجارون من جار اذا افرط فى الدعا تشبيها له
بجوار الوحشيات كالظبا ونحوها انتهى والمعنى فيهما واحد اى صاح وفى رواية سهل
وكثر بكا الناس لما راوا به البكا بعد ويقصر معروف وما موصولة والعايد محذوف اى
راوه بالجذع وراى بصرية وكونها قلبية يجوز على بعد والمرئى حركته ونحوها والبا بمعنى
فى او سببية وفيه تجوز اى الذى راوا اثاره بسببه اذ الصوت لا يرى ويجوز كونها
مصدرية وفى رواية المطلب بن ابى وداعة وابى بن كعب حتى تصدع وانشق عطف
تفسيرى لان حقيقة الصدع شق الاجسام الصلبة كالزجاج والحديد يقال
صدعته فانصدع وصدعته فتصدع ثم استعير منه صدع الامر اذا فصله
كقوله تعالى فاصدع بما تؤمر ومنه صداع الراس لوجعه وانصداع الفجر وهو
مبالغة فى شدة صياحه كما يقال صاح حتى انفلق ويجوز بقاؤه على ظاهره ويؤيد

الاول قوله حتى جا النبي صلى الله عليه وسلم اى نزل عن منبره واتى له فوضع يده عليه فسكت
اى ترك خواره لما زال الله بقربه صلى الله عليه وسلم منه ومشيه له نادعيره اى عبرى
المطلب وهو فى رواية ابى بن كعب فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا بكى لما فقد من
الذكر فقد كقتل من الفقد وهو العدم بعد الوجود فهو اخص من العدم والمراد بالذكر
ذكر الله او الموعظة او القران وجوزان يكون نفس النبي صلى الله عليه وسلم لانه
اطلق عليه الذكر ايضا وزاد غيره اى غير الغير او من ذكر والذى نفسى بيده قسم بالله
على عادته صلى الله عليه وسلم والنفس الروح هنا وبيده معناه بقبضة قدرته
وتصرفه حياته ومماته متى اراد لو لم التزمه هو افتعال من اللزوم وعدم الفراق
ثم استعير للعناق كما فى الاساس يقال التزمه اذا اعتنقه وضمه اليه لم يزل هكذا
اى له صراخ وجوار الى يوم القيامة تحزنا على مفارقة رسول الله صلى الله عليه وسلم
والتحزن تفعل من الحزن والمراد به الزيادة لا التكلف فامر به نبي الله صلى الله عليه وسلم
اى امر بعض اصحابه باخذه او بدفنه فدفن تحت المنبر وانما امر بذلك لئلا يشتغل به الناس
وربما افتتن به بعد العصر الاول وفيه اشارة الى انه سينبت فى الجنة كما سياتى وان بعض
اغصان الاشجار بعد قطعها اذا دفن نبت وطلع من الارض واعلم ان سوارى المسجد فى
زمنه صلى الله عليه وسلم معدودة مفصلة فى تاريخ المدينة كهيئة حرمه ومنبره
صلى الله عليه وسلم كان من خشب اثل الغابة والاثل بالمثلثة شجر معروف والغابة اسم
موضع بالمدينة فيه اشجار وفى النجار الذى صنعه له صلى الله عليه وسلم اقوال فقيل
انه قبيصة المخزومى وقيل انه غلام للعباس اسمه صباح وقيل هو غلام اسمه باقوم
او باقول باللام غلام سعيد بن العاص وقيل هو تميم الدارى وقيل غلام لسعد بن عبادة
وقيل انه غلام امراة انصارية وقول الكرمانى رحمه الله انه غلام لعايشة رضى الله
عنها لا مستند له فيه وقيل انها عايشة الانصارية وقيل هى من بنى سعد وكان وضع
منبره صلى الله عليه وسلم فى السنة السابعة وقيل الثامنة من الهجرة وعلى القول
بانه تميم يكون التاسعة لانه اسلم سنة تسع الا ان يقال عمله قبل اسلامه وهو
اول منبر فى الاسلام وكان درجه ثلاثا ومن قال اثنتين اسقط محل قيامه صلى الله عليه
وسلم عليه وقيل انه كان اكثر من ثلاث وكان طوله اكثر من ذراعين وعرضه ذراع وطول
صدره وهو مستنده ذراع ورمانتاه اللتان يمسكهما بيده الكريمة فى قيامه ولما حج
معاوية رضى الله عنه كساه قباطى ثم لما رجع الى الشام كتب لمروان وهو عامله على المدينة
فرفعه وزاد عليه ست درجات فصار تسعا ثم لما قدم جدده بعض بنى العباس
واتخذ من اعواده القديمة امشاطا يتبرك بها الى اخر ما فصل فى تاريخ المدينة كذا فى
حديث المطلب وسهل بن سعد واسحاق عن انس وفى بعض النسخ هنا وفى بعض الروايات
عن سهل فدفنت تحت منبره او جعلت فى السقف انتهى وضمير دفنت وجعلت على هذه

الرواية لاعواده اولتاويل الجذع بالخشبة واسحاق المذكور هو ابن عبد الله ابن ابى طلحة
الانصارى اخرج له الستة وتوفى فى سنة اثنين وثلاثين ومائة من الهجرة وكونه دفن تحت
المنبر على ظاهره او تسمح فيه لانه قيل انه دفن فى يسار المنبر وروى دفن فى المسجد وفى حديث
ابى فكان اذا صلى النبى صلى الله عليه وسلم صلى اليه اى استقبله وجعله كالسترة للمصلى
من الماذين فلما هدم بالبنا للمجهول والهدم والهد نقض البنا ونحوه المسجد اى مسجده
صلى الله عليه وسلم وهدمه فى زمن عمر رضى الله عنه لان بناه فى عهده صلى الله عليه
وسلم لم يكن بالحجارة ثم هدمه عثمان رضى الله عنه وزاد فيه كما ذكر فى تاريخ المدينة
اخذه ابى رضى الله عنه هنا الاينافى ما مر من انه جعل فى السقف او دفن تحت المنبر
او فى المسجد قريبا منه لجواز وضع النبى صلى الله عليه وسلم انه تحت المنبر ثم رفع
فى السقف لئلا يداس بالارجل تكريما لاثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حين الهدم
اخذه ابى تبركا به وكان عنده الى ان اكلته الارضة ووقع فى رواية الارضة بفتحات وهى
دويبة صغيرة تاكل الخشب وغيره من الثياب والكتب وهى العثة وقال الامام المرزوقى
ان هذه الرواية هى المشهورة عند المحدثين وما ذكر المص صحيح والارض فيه اساغها
المشهور لانها تبلى ما يدفن فيها فاستعير له الاكل وهو بتقدير اى دابة الارض وهى تلك
المتقدمة بعينها او مصدر ارض يارض ارضا اذا اكلته الارضة وبه فسر قوله تعالى
دابة الارض تاكل منساته كما ذكره السيوطى ولابن عنين يا اهل مصر وجدت ايديكم
عن بسطها بالنوال منقبضة لما عدمت النوال عندكموا اكلت كتبى كاننى ارضة
فليس فى كلامه ما يعترض به عليه كما توهم قال القسطلانى فان قلت هنا يخالف قوله
صلى الله عليه وسلم لولم التزمه بقى هكذا الى يوم القيامة وكيف يتصور هذا مع قوله
كل من عليها فان قلت هذا وقع على طريق المبالغة كقوله حتى يلج الجمل فى سم الخياط وان لم
يقع وهذا مما لا حاجة اليه وبقاوه على ظاهره لا مانع منه فانه علق بقاه على عدم فعله
به ما فعله فاذا فعله تغير وفنى وقد علم الله بما ذكر وعاد رفاتا عاد هنا بمعنى صار لا
بمعنى رجع لامر كان عليه وهو احد معنييه كما بين فى كتب اللغة وغيرها والرفات بوزن
غراب براء مهملة وفاء ومثناة فوقية كالفتات وهو ما تكسر وتفرق وذكر الاسفراينى
بكسر الهمزة وسكون السين المهملة وفتح الفاء والراء المهملة والف بعدها همزة مكسورة
ونون بلدة بالعجم نسب اليها هذا الاستاذ الامام الاصولى المتبحر فى ساير العلوم
المعروف بالزهد والورع وهو ابو اسحاق لانه اذا اطلق فالمراد هو وان نسب لهذه
البلدة غيره من الائمة كابى حامد وطاهر بن محمد ان النبى صلى الله عليه وسلم دعاه
اى دعا الجذع المذكور الى نفسه اى امره بان ياتيه ويقبل ساعيا اليه وزاد لفظة
نفس هنا لئلا يتحد ضميرا الفاعل والمفعول بواسطة ودونها فانه ممتنع فى غير افعال
القلوب وما الحق بها كما مر وقد اورد عليه نحو قوله وهزى اليك بجذع النخلة وضمى

اليك وقد اجيب عنه بما يطول وقد فصلناه في النواسخ والمقام يضيق عنه هنا فجاء
يخرق الارض اي يشقها بمشيه فيها فالتزمه واعتنقه ثم امره بالرجوع لمحله فعاد الى
مكانه الذي كان فيه من المسجد وهذه زيادة منه لا يقال مثلها من قبل الراي وهو امام
ثقة على ان هذا رواه الامام البيهقي في دلايله والحافظ ابو القاسم في تاريخه عن العباس
كما في الشرح الجديد ولو وقف عليه المص عزاه له وفي حديث بريده علم منقول من تصغير
البردة المعروفة وهو بريدة ابن الحصيب بن عبد الله بن الحارث بن الاعرج السلمي
واختلف في كنيته فقيل ابو عبد الله وقيل ابو سهل وقيل غير ذلك وهو صحابي اسلم
حين مر به النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرا ثم قدم المدينة قبل الخندق ثم نزل
البصرة واخرج له الامام احمد في مسنده وغيره وليس هو بريدة الاسلمي كما توهم فانه
تابعي روى احاديث مرسلة فظن انه صحابي وله ترجمة في الميزان فقال يعني النبي صلى الله
عليه وسلم للجذع حين سمع حنينه ان شيت بتا الخطاب خاطبه لما علم ان الله خلق
فيه حياة وادراكا ان اردك الى مكانك الحايط الذي كنت فيه هو في الاصل اسم فاعل
من حاطه اذا احاط به ودار عليه ثم نقل للبستان الذي فيه الشجر والنخل وهو المراد هنا
ولذا قال الذي كنت فيه ينبت لك عروقك بدل من قوله اردك او مستانف لبيان
علة الرد الى مكانه الذي بنت فيه ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة الخوص بضم
الخا المعجمة وواو ساكنة وصاد مهملة واحده خوصة وهي كالورق للنخل والثمر
بمثلثة واحده ثمرة اي تعود لك خلقتك تماما ونضارتها وان شيت مفعوله
مقدر اي غرسك فقوله اغرسك في الجنة جوابا للشرط مجزوم فياكل اولياء الله من ثمرك
معطوف على الجواب وهذا مرتبط بقوله فالتزمه في الكلام الذي قبله فخيره صلى الله
عليه وسلم بين الحياة الدنيوية والحياة الاخروية ثم اصغى له صلى الله عليه
وسلم بصاد مهملة وغين معجمة اي امال راسه وقربها منه ليستمع ما يقول اي
يسمع قوله وما يجيبه به وهو من الصغي بمعنى الميل كما علمته يقال صغت الشمس اذا
مالت للغروب وصغيت الانا واصغيته اذا املته واصغيت الى فلان ملت بسمعي
نحوه وحكى صغوت اليه اصغو صغوا وصغيت اصغى قاله الراغب فقال اي الجذع
بل تغرسني في الجنة اي تصيرني من غراس الجنة ولا تغرسني بيدك فياكل مني اي من ثمري
اولياء الله واكون في مكان لا ابلى فيه ابلى كارضى لفظا ومعنى من البلا بالكسر وهو الفنا
فاختار الحياة الباقية كساير اهل الجنة واشجارها وابلى بفتح الهمزة وضمها
خطاء فسمعه من يليه اي سمع كلام الجذع والضمير الاول له والثاني يحتمل
عوده له وللنبي صلى الله عليه وسلم ويليه بمعنى يقرب منه فقال النبي صلى الله
عليه وسلم قد فعلت بضم التا للمتكلم اي جعلتك من غراس الجنة ثم قال صلى الله
عليه وسلم اختار دار البقا وهي الجنة كما تقدم على دار الفنا وهي الدنيا فكان الحسن

البصري التابعي الامام المشهور اذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة يعني الجذع تحن
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم تفسير الحنين شوقا اليه مفعول مطلق لقوله تحن
كجلست قعودا او مفعول له والاول اولى لان قوله لمكانه لامه للتعليل ان لم يكن بدلا من قوله
اليه وقيل انه علة منه اخلة فشوقا علة للحن ولمكانه علة لقوله شوقا اي الخشبة اشتاقت
لعلو مقامه وجلاله قدره وهي جماد وهذه معجزة له صلى الله عليه وسلم اعظم من معجزة
موسى عليه الصلاة والسلام في العصا واحياء عيسى عليه الصلاة والسلام للموتى لان
الشوق والكلام يستلزمان الاحيا عند الاشعري وان قيل ان مجرد الصوت المسموع
لا يستلزمه كما تقرر في محله فالمكان على حقيقته وهو الجنة او بمعنى علو قدره وشرفه
صلى الله عليه وسلم كما اشار اليه فانتم احق من الجماد ان تشتاقوا الى لقائه ونقل
من صاحب القاموس انه استاذن سلطان اليمن في الحج وزيارة النبي صلى الله عليه
وسلم فكتب اليه بكلام قال فيه انه صح في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لا يجمل
بالمومن ان يمر عليه اربع سنين ولا يتجدد له شوق للحج وزيارة سيد المرسلين وقد
تجدد لي من الشوق ما شب عمره عن الطوق وقد تضعضع الشن وتفعقع الشن فما هو
الاعظم في جراب وقد بلغت د فاقة الرقاب الى اخر ما قاله وقلت انا حين وقفت
على ما كتبه لم لا احن الى المختار من امم والجذع حن اشتياقا بعد فرقته
اني لاعجب من خشب مستندة ما هزها الشوق احيانا لروضة والشوق نزاع النفس
للشي والهيجان اليه ونقل ابن عطيه في سورة الكهف انه سمع الجوهري الواعظ يقول
كلب احب اهل الخير نال بركتهم وشرف صحبتهم حتى ذكره الله في كتابه فالخشبة
تحن والكلب يحب وهذا عبرة لاولي الالباب وفقنا الله لما يقربنا اليه ورواه
عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص بتصغير عبيد فيهما وقيل انه
حفص بن عبد الله بلا تصغير قال البرهان والصواب الاول وهو حفص بن عبيد الله
بن انس بن مالك وهو يروي عن جده وروى عنه اصحاب السنن وقال ابو حاتم انه لم يثبت له
سماع الا عن جده وايمن الحبشي والد عبد الواحد بن ايمن مولى ابن ابي عمرة المخزومي وقد وثقه
ابو زرعة وقد تقدم فيه كلام وان ابن حبان غلط في ترجمته وايمن منقول من افعل
التفضيل من اليمن وهو البركة ابو نضرة بفتح النون وسكون الضاد المعجمة وراء مهملة
ووقع في بعض النسخ بصرة بباء موحدة وصاد مهملة وهو تحريف وليس لنا ابو بصرة
عن ابي بصرة واسمه جميل وليس له رواية عن جابر كما قاله الحافظ الحلبي وابو نضرة
الاول اسمه المنذر بن مالك بن قطعة العبدي النضري له رواية عن ابي عباس
وغيره واخرج له اصحاب السنن وله ترجمة في الميزان وكان فصيحا ثقة توفي سنة
تسع ومائة وابن المسيب سعيد الامام المعروف تقدمت ترجمته وان ياءه
تفتح وتكسر وسعيد بن ابي كرب بكاف وراء مهملة وباء موحدة الهمداني وله ترجمة

في الميزان وكريب مثله الا انه مصغر وهو ابن رشدين مولى ابن عباس وابو صالح وهو
ذكوان السمان وتقدمت ترجمته ورواه عن انس ابن مالك الحسن البصري وتقدمت
ترجمته وثابت البناني وقد تقدمت ترجمته واسحاق بن ابي طلحة السابق بترجمته
ورواه عن ابن عمر نافع ابو عبد الله مولى ابن عمر الامام الثقة المشهور توفي سنة سبع
عشرة ومائة واخرج له الستة وابو حية بفتح الحا المهملة وتشديد المثناة التحتية
واسمه يحيى الكلبي الكوفي الامام الثقة والداجي جناب يروي عن ابن عمر ولهم ابو حية
اخر يروي عن علي وترجمته في الميزان ورواه ابو نضرة السابق ذكره قريبا وابو الوداك بفتح
الواو وتشديد الدال المهملة الف وكاف وهو جبر بن نوف البكالي له ترجمة في الميزان
عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه وقد قدمنا ترجمته وعمار بن ابي عمار مولى بني هاشم
وهو ثقة اخرج له مسلم عن ابن عباس وابو حازم بحا مهملة وزاي معجمة وهو سلمة بن
دينار الاعرج المدني الثقة احد الاعلام اخرج له الستة وعباس بعين وسين مهملتين
بينهما موحدة مشدده والف ابن سهل بن سعد الساعدي توفي سنة بضع عشرة ومائة
وقد زاد على التسعين واخرج له اصحاب السنن عن سهل بن سعد ابو عباس المذكور
روى عنه ابنه وغيره وكثير بفتح الكاف ومثلثة وراء مهملة ابن زيد الاسلمي ابو محمد المدني
وله ترجمة في الميزان عن المطلب السابق ذكره وروايته كثيرة عنه ليس لها ذكر في الكتب
الستة كما قاله البرهان وعبد الله بن بريدة عن ابيه عبد الله قاضي مرو عالمها
الثقة وترجمته في الميزان والطفيل بصيغة تصغير طفل ابن ابي عن ابيه ابي بن كعب
وكنيته ابو بطن لعظم في بطنه قال القاضي ابو الفضل وهو عياض المصنف رضي الله عنه
فهذا يعني حديث حنين الجذع حديث كما تراه يعني انه علم مما ذكره من كثرة طرقه عن الصحابة
والتابعين وغيرهم انه خرجه اهل الصحة اي الثقات من المصنفين الذين التزموا في كتبهم
روايته الاحاديث الصحيحة ورواه من الصحابة من ذكرناه في هذا الفصل وغيرهم
من التابعين ضعفهم بكسر الضاد المعجمة لان كل صحابي روى عنه من طرق كما فصله
فاذا ضممتهم الى من لم نذكره فاذا علمت هذا تحقق عندك القطع بصحته لتواتره ويعني
دون وفي نسخة وبدون هذا العدد الذي ذكره يقع العلم اي يوجد العلم وتتفق صحته
فكيف به لمن اعتني اي اهتم به وتقيد بهذا الباب من معجزاته صلى الله عليه وسلم
والله المثبت بضم الميم وبالمثلثة المفتوحة وتشديد الموحدة قبل المثناة اي موفق
الثبات وعدم تقلب القلب نعمة من الله على عبده المؤمن فيثبته على الصواب وهو
ضد الخطا فصل ومثل هذا من حنين الجذع واشتياقه ونطقه في سائر الجمادات اي
جميعها او بقيتها والجماد ما لا روح له ومثل مرفوع خبره ما بعده او فاعل فعل مقدر اي
ورد مثله وهذا يحتمل انه اشارة لجميع ما سبق من كلام الشجر وغيره واستشهد
بحديث رواه البخاري وهو ما اشار اليه بقوله حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن

عيسى

الفصل الثاني عشر من الباب الرابع

عيسى التيمي تقدم بيانه وترجمته قال حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن المرابط بصيغة اسم
الفاعل من المرابطة وهي الاقامة بالثغور بنية الجهاد وهو محمد بن خلف بن سعيد ابن
وهب المري توفي بالمدينة قاضيا بها سنة ثمانين واربعمائة وكان مفتنا في العلوم سمع
من المهلب والداني وغيرهما قال ثنا المهلب ابو القاسم والمهلب بصيغة المفعول هو ابن ابي
صفرة وفي التكنية بابي القاسم وجوازه على الصحيح كلام مشهور تقدم وسياتي
بيانه ايضا قال ثنا ابو الحسن القابسي علي بن محمد بن خلف الحافظ المغافري كما تقدم
قال ثنا المروزي ابو زيد كما تقدم قال ثنا الفربري تقدم بيانه وبيان نسبته على اللغتين
في اسم بلده قال ثنا البخاري صاحب الصحيح وقد تقدم بيانه قال ثنا محمد بن المثنى وهو
محمد بن المثنى ابو موسى العنزي الحافظ الثقة الورع توفي سنة اثنين وخمسين ومائتين
وترجمته مفصلة في الميزان قال ثنا ابو احمد الزبيري بضم الزاي المعجمة وهو محمد بن عبد الله
بن الزبير بن عمر الزبيري نسبة لجده وليس هو الزبير بن العوام بل هو كوفي مولى لبني اسد توفي
سنة ثلاث ومائتين ثنا اسرائيل بن يونس بن ابي اسحاق السبيعي الكوفي ابو يوسف الثقة
اخرج له الستة وتوفي سنة اثنين وستين ومائة وترجمته في الميزان عن منصور
ابو عتاب ابن المعتمر السلمي من ائمة الكوفة عن ابراهيم بن يزيد النخعي عن علقمة بن
قيس تقدم بيانه عن عبد الله بن مسعود قال اي ابن مسعود لقد كنا معاشر الصحابة
نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل جملة حالية اي في حال اكلنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفي غير هذه الرواية يعني رواية البخاري وهو رواية الترمذي عن ابن
مسعود ايضا كنا ناكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع
تسبيحه اي قوله سبحان الله وهذا مما يستانس به لان معنى قوله تعالى وان من شيء
الا يسبح بحمده تسبيح حقيقي بلسان القال لا بلسان الحال وانه يشهد له تذييله
بقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهو حديث صحيح حسن اخرجه الترمذي عن ابن
بشار ايضا من طريق اخرى وفي قوله كنا الخ دليل على تكرره وانه وقع مرارا عديدة كما
تقدم وفي هذا معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وكرامة للصحابة اذ سمعوا
ما لم يسمعه غيرهم وهذه المعجزة اعظم من معجزة فهم منطق الطير والجبال
لسليمان وداود عليهما الصلاة والسلام وفي الدر المنثور للسيوطي ان كل شيء
يسبح الا الكلب والحمار وتقدم ان التسبيح معناه تنزيه الله عما لا يليق به واهل
الظاهر اولوا الاية بلسان الحال كالزمخشري وجعلوه خطابا للمشركين ولذا
قال لا تفقهون ولم يقل لا تسمعون وذكر المص هذه الرواية لما فيها من التصريح
بانه كان معه صلى الله عليه وسلم ولبعض الشراح هنا كلام طويل لا طائل
تحته وقال انس في حديث خرجه ابن عساكر في تاريخه اخذ صلى الله عليه وسلم
كفا اي مقدارا يملأ الكف وهو باطن اليد وقيل فيه مضاف مقدر اي ملء كف

من حصى جمع حصاة وهى صغار الحجارة فسبحن فى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم
من وضع الظاهر موضع المضمر تعظيما واشارة الى انه معجزة وفى نسخة فى يده حتى
سمعنا التسبيح ثم صبهن اى وضعهن وهو استعارة شايعة فى الاجرام الصعبه
كحيشا الصبرة من المكيل واصله فى المايعات كالما فى يد ابى بكر فسبحن جملة حاليه
ثم صبهن فى ايدينا فما سبحن وفى قوله حتى سمعنا اشارة الى خفا صوتهن وفيه دليل
ظاهر على فضل ابى بكر رضى الله عنه على غيره وايما الى خلافته ومعنى قوله فما سبحن
انه ما سمع تسبيحهن او ان التسبيح لم يكن من الجمادات دايما والاول اولى وروى
مثله ابو ذر رضى الله عنه رواه الطبرانى والبيهقى والبزار والمثليه فى مجرد تسبيح
الحصى فلا ينافى قوله وذكر انهن سبحن فى كف عمر وعثمان رضى الله عنهما ولفظ هذا
الحديث عن ابى ذر فى دلايل البيهقى قال كنت اتتبع خلوات صلى الله عليه وسلم فرايته
يوما خاليا فاغتنمت خلوته وجيته حتى جلست اليه فجاء ابو بكر فسلم ثم جلس
عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء عمر فسلم وجلس عن يمين ابى بكر ثم
جاء عثمان فسلم وجلس عن يمين عمر وبين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع
حصيات فاخذهن فوضعهن فى كفه فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن
فخرسن ثم اخذهن فوضعهن فى يد ابى بكر فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن
فخرسن ثم تناولهن فوضعهن فى يد عمر فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن
فخرسن ثم تناولهن فوضعهن فى يد عثمان فسمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه خلافة النبوة وهكذا اخرجه الحافظ
ابو القاسم فى تاريخه مسندا عن انس رضى الله عنه وزاد فيه بعد عثمان ثم
وضعهن فى ايدينا رجلا رجلا فما سبحت حصاة منهن وفى رواية منهن فى ايدينا رجلا
رجلا الخ وفى الشرح الجديد انه لم يذكر عليا رضى الله عنه وكرم وجهه فان كان تسبيحها
فى يد غيره مخصوصا بالخلفا فهو خليفة كابنه الحسن ايضا واجاب بانه لم يكن حاضرا
ثمة اولا نحلاؤه فتنة ادركته الفتنة على ان مثله لا يشين مقامه رضى الله عنه مع
ماله من المناقب اقول الظاهر ان هذه الواقعة تعددت لان رواية ابى ذر انه لم يكن
ثمة غيره وما فى رواية البيهقى يقتضى انه حضرها جماعة من الصحابة لقوله رجلا رجلا
وعلى كليهما لم يكن معهم على رضى الله عنه وفيهما اشارة الى عدم امتداد خلافته
استقلالا وقال على رضى الله عنه فى حديث رواه الدارمى والترمذى بسند حسن
كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج صلى الله عليه وسلم الى بعض
نواحيها فما استقبله وفى بعض النسخ فما استقبلة شجرة اى وقعت فى مقابلة وجهه
قريبا منه ولا جبل الا قال له كل واحد منهما السلام عليك يا رسول الله بان خلق الله
فيه نطقا وان لم يكن معه حياة لانه لا تلازم بينهما ولكن الظاهر انه كان فيه حياة ايضا

وهذا

وهذا كما قاله ابن اسحاق رحمه الله كان فى بدء النبوة تطمينا لقلبه صلى الله عليه وسلم
وتبشيرا له بانقياد الخلق له بعده واجابتهم لدعوته وعن جابر بن سمرة رضى الله عنه
عنه صلى الله عليه وسلم فى حديث صحيح رواه مسلم انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم
على اى يقول السلام عليك يا رسول الله ونحوه قيل انه الحجر الاسود فقد قال السهيلى
وغيره روى فى المسندات ان هذا الحجر هو الحجر الاسود وهذا هو الماثور وقد قيل انه
حجر غيره وانه معروف الى الان بمكة فى محل يقال له زقاق المرفق والناس يتبركون به الان
ويقولون انه الذى كان يسلم على النبى صلى الله عليه وسلم وهذه المعجزة اعظم
من معجزة داود عليه الصلوة والسلام فى قوله انا سخرنا الجبال معه يسبحن لانها
لم تسبح بيده وفى يده من ازادة من مثله وتسبيح الطعام اعظم منهما لانه لم يعهد مثله
والجبال قد وصفت بالخضوع والخشوع وتاكيده بان وتنكيره اشارة الى ان له شانا
خاصا به وانه حجر ليس كساير الحجارة ولذا فسر بالحجر الاسود فلا يقال ما الفايدة
فى ذكر حجر واحد وهو صلى الله عليه وسلم كان لا يمر بحجر ولا شجر الا سلم عليه كما اشار
اليه بقوله وعن عايشة رضى الله عنها عنه فى حديث صلى الله عليه وسلم صحيح رواه
البزار فى مسنده لما استقبلنى جبريل عليه الصلوة والسلام اى نزل على واتانى
بالرسالة جعلت اى صرت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله تشريفا
له وتطمينا وانها لعموم رسالته وامر ديفرقه به الحجر كيف بنكره البشر وعن جابر بن عبد الله
فى حديث رواه البيهقى لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ابتدا بعثته يمر بشجر
ولا حجر الا سجد له اى انخفض حتى مس الارض على هيئة السجود تواضعا له صلى الله عليه
وسلم وتعظيما له وتكريما كما سجدت الملايكة لادم عليه الصلاة والسلام والسجود
لغير الله انما يمتنع من البشر وهذا محمول على السماع منه صلى الله عليه وسلم كما ورد التصريح
فى الحديث السابق ومثله لا يقال من قبل الراى فلا حاجة الى ان يقال انه علم من باب الكشف
ويحتمل ان الراوى شاهد ذلك فى حال مروره معه صلى الله عليه وسلم وفى حديث العباس
رضى الله عنه الذى رواه البيهقى عن ابى اسيد الساعدى اذ اشتمل عليه الضمير للعباس اى
الحديث الذى ذكر فيه انه كان فى وقت اشتمال عمه صلى الله عليه وسلم فى رداء له
وبنيه وهم عبد الله وعبيد الله والفضل وقثم بملاءة بميم مضمومه ولام وهمزة ممدودة
وها وهى الازار والملحفة وقيل الملاءة الازار الذى له شقتان فان كان له شقة واحدة
فهى ريطة براء وطاء مهملتين والجمع ملا وريط ودعا لهم اى للعباس وبنيه بالستر من النار
الستر ما يمنع المستور ويحجبه فهو مجاز واستعارة لما يمنعهم من دخولهم للنار وعن ارتكاب
ما يوجب العذاب بها وهو بفتح السين مصدر ستره ثم شبهه بعد التجوز فى قوله كستره
صلى الله عليه وسلم اياهم بملاءته اذ قال يا رب هذا عمى وصنو ابى وهولا بنوه فاسترهم
من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه فامنت بفتح الهمزة والميم المشددة والنون اى قالت

امين طلبًا لاستجابة دعايه اسكفة الباب بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم الكاف وفاء مشددة مفتوحة وها وهي العتبة وما يعلوه الداخل من الباب ومن المجاز وقعت الدمعه على اسكفة عينه اى جفنه الاسفل وهذا محل الشاهد من الحديث بنطق الجماد فيه وحوايط البيت جمع حايط وهو معروف اى جدرانه المحيطة بجوانبه ونواحيه امين امين هو اسم فعل امر بمعنى استجب وفيه لغات اشهرها مد الهمزة وتخفيف الميم وروى قصرها وتشديد الميم وفيه كلام في التفسير واللغة مشهور وامين امين ما معمول لمقدر اى وقالتا امين او لامنت لتضمنه معنى القول وتكريره اما على التوزيع اى قالت الاسكفة امين والحوايط امين ويحتمل ان كل واحد منهما كرر قوله امين تاكيدا وتحقيقا للمقال اذ قد يغفل عن مثله وهذا الحديث تمامه في دلايل البيهقي وفيه انه قال للعباس يا ابا الفضل لا تفارقن انت وبنوك بيتك حتى اتيك فان لي بكم حاجة فانتظروه فلما اتاهم قال كيف اصبحتم فقالوا بخير فقال تقاربوا تقاربوا فاجتمعوا فجمعهم معه في ملاءته وقال يا رب هذا عمي وصنو ابي وهولاء بنوه فاسترهم من النار الى اخر ما ذكره المص وفي دلايل ابي نعيم انهم كانوا سبعة الفضل وعبد الله حبر الامة ابو الخلفا وعبيد الله وعبد الرحمن وقثم وسعيد وام حبيبه اختهم وفيهم يقول عبد الله الهلالي ما ولدت نجيبة من فحل بجبل نعلمه او سهل كستة من بطن ام الفضل اكرم بها من كهلة وكهل عم النبي المصطفى ذي الفضل وخاتم الرسل وخير الرسل ومثل هذه القصة حديث اهل الكسا في المباهلة المتقدم وهو جمع النبي صلى الله عليه وسلم لخمسة من اهل بيته وهم النبي صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسنان في كسائه ويقال ان جبريل عليه الصلوة والسلام كان معهم كما قيل افضل من تحت الفلك خمسة رهط وملك وقال الخالدي اعاذلي ان كسا التقى كسانيه حبى لال الكسا وقال ابو علي الضرير لمن وعد بكسا ثم اخلف من غزل من هذا الكسا ونسج من هل في عمان طرزه ام في عدن ولاي وقت تجد ريح قرق هبت وامطار المت تخزن ام ذا كسا الغزال محمد فالضن عن بذله ام حسن وهذا من تشبيه المعقول بالمحسوس المشاهد فلا يقال عليه ان المشبه هنا اعظم من المشبه والمعهود في التشبيه عكسه كما قيل وعن جعفر بن محمد عن ابيه محمد الباقر بن زين العابدين وقال السيوطي لم اجد هذا في كتب الحديث يعني المشهورة فلا ينافي اطلاع المص عليه مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام بطبق فيه رمان وعنب المذكور في اللغة ان الطبق بمعنى الغطا والمراد به هنا الوعا مجازا لانه على هياته والظاهر انهما من ثمرات الجنة وكونه من ثمرات الدنيا وانه لو كان من الاخرة لم يفن لقوله اكلها دايم لا يلتفت اليه كالبحث عن كونهما فاكهة اولا فاكل منه صلى الله عليه وسلم فسبح اي فاراد الاكل منه اذ دنا وله بيده لا بعدا لاكل كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا

وجوهكم الاية ولم يذكر هنا مع الطعام لكونه ليس من طعام الدنيا المعقود له فصله فلذا ذكر مع الجماد وهو ما لا روح له مطلقا وعن انس بن مالك في حديث رواه احمد والبخاري والترمذي وابن ماجه صعد النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان احدا بضمتين وقد يسكن ثانيه وقيل ان تسكينه ضرورة وهو جبل معروف بقرب المدينة وقد قال صلى الله عليه وسلم فيه انه جبل يحبنا ونحبه وان اجزاءه سيكون في الجنة فرجف الجبل بهم اى تحرك حركة شديدة واضطرب واضطرابه اما لمهابته صلى الله عليه وسلم او لخوفه من الله او انه زلزلة اتفقت عند صعودهم عليه فقال اثبت احد بضم اخره من غير تنوين اى يا احد فامره صلى الله عليه وسلم بالثبات وعدم الحركة وقد خلق الله فيه ادراكا وحياة اذ فهم كلامه وامتثل امره وهو محل الشاهد في هذا الحديث اى ينبغي ان يكون فيك وقار وسكون لشرف من علا عليك ممن ينبغي عدم الاضطراب المشوش عليهم فلذا قال فانما عليك نبي يعني نفسه صلى الله عليه وسلم وصديق يعني ابا بكر رضي الله عنه وشهيدان يعني عمر وعثمان رضي الله عنهما لانهما قتلا ظلما كما لا يخفى ورواه بعضهم وشهيد بالافراد وقال لم يصف عثمان بالشهادة اختصارا واقتصارا ولا وجه له وكل الشراح على خلافه وروى انه صلى الله عليه وسلم ضربه برجله اى ركضه بها ومثله اى مثل الحديث الذي في احد ما رواه مسلم عن ابي هريرة في حرا بالمد والقصر والتذكير والتانيث والصرف وعدمه وهو جبل معروف على ثلاثة اميال من مكة وقد تقدم الكلام عليه وزاد في هذه الرواية على ما تقدم من ذكر عمر وعثمان وابي بكر ومعه علي وطلحة والزبير وفي رواية سعد بن ابي وقاص بدل علي وقال في هذه الرواية فانما عليك نبي وصديق او شهيد او هنا بمعنى الواو للتقسيم وبها عبر المص عند سياقه هذه الرواية فيما ياتي فقال اثبت انما عليك نبي وصديق وشهيد وياتي الكلام عليها ثم واراد بذلك ما يشمل ما فوق الواحد وبالشهيد المقتول ظلما مطلقا لان عمر رضي الله عنه قتله ابو لولوة غلام المغيرة الكافر وعثمان قتل يوم الدار واختلف في قاتله وعلي رضي الله عنه قتله ابن ملجم الخارجي الشقي والزبير رضي الله عنه قتل بوادي السباع ظلما وطلحة رضي الله عنه اعتزل الناس فاصابه سهم فقتله فكلهم قتلوا ظلما فهم شهداء حقيقة وحكما وروي انه صلى الله عليه وسلم قال اسكن حرا او اهدأ حرا الخبر كما رواه مسلم والترمذي ولم يذكر سعدا كما سياتي والخبر الذي رواه مسلم والترمذي عن ابي هريرة رواه الترمذي والنسائي في حرا ايضا عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال عثمان في هذه الرواية ومعه عشرة من اصحابه انا فيهم وزاد في رواية عثمان عبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص قال ونسيت الاثنين تتمة العشرة وهما طلحة والزبير وفي حديث اخر رواه ابو داود والترمذي

والنسائى وابن ماجه سعيد بن زيد ايضا بن عمرو بن نفيل احد العشرة المبشرة بالجنة
مثله اى مثل حديث عثمان وفى الصحابة سعيد بن زيد انصارى اسلمى وهو غير هذا
لانه لا يعرف له رواية وذكر فى هذه الرواية ايضا عشرة وزاد نفسه منهم وقد روى
فى حديث الهجرة المذكور فى السير ولم يسنده السيوطى هنا انه صلى الله عليه وسلم
حين طلبته قريش لما خرج مهاجرا وارسلوا خلفه من يطلبه منهم قال له ثبير
بثاء مثلثة مفتوحة وموحدة مكسورة ومثناة تحتية ساكنة وراء مهملة جبل
بالمزدلفة عن يسار الذاهب الى منى ولهم جبال اخر تسمى ثبيرا كلها حجازية وسمى ثبيرا
من الثبور باسم رجل كان يسمى ثبيرا دفن به فسمى به اهبط يا رسول الله اى انزل من على ظهرى
واذهب الى مكان اخر تختفى به عنهم ثم علل امره بالهبوط والنزول منه الى مكان اخر بقوله
فانى اخاف ان يقتلوك على ظهرى فيعذبنى الله بالنصب معطوف على يقتلوك وانما خاف العذاب
بسبب قتله لانه لو لم يذكر له ذلك مع علمه بانه ليس فيه مكان يستره كان غشا منه
يستحق به العذاب او لانه لو قتل على ظهره غضب الله على المكان الذى يقع فيه مثل هذا الامر
العظيم كما غضب على الارض ثمود فلا يقال انه كيف يعذب بذنب غيره ولا تزر وازرة
وزر اخرى حتى يوجه بان خوفه بمعنى حزنه وتاسفه عليه ونحوه من التخيلات التى لا وجه لها
كما قيل فقال له حرا اسم جبل كما تقدم الى يا رسول الله بتشديد اليا المفتوحة تقديره ايت
الى او هو اسم فعل بمعنى اقبل وقال له ذلك لانه الهمه الله انه يقدره على ان ينشق له
ويستتر فى جوفه ونحو ذلك مما ينفع به سلامته صلى الله عليه وسلم وكان هذا قبل
توجهه صلى الله عليه وسلم الى غار ثور الذى اختفى فيه عند الهجرة وروى ابن عمر فى حديث
رواه مسلم والنسائى واحمد فى مسنده وما ذكره المص هو رواية احمد بلفظ ان النبى صلى الله
عليه وسلم قرا على المنبر وما قدروا الله حق قدره اى ما عظموه حق تعظيمه وما عرفوه
حق معرفته قيل ان بعض احبار اليهود قال له يا محمد ان الله يمسك السموات يوم القيامة
على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والماء والثرى على اصبع وساير الخلق
على اصبع ويقول انا الملك انا الله فضحك النبى صلى الله عليه وسلم تصديقا له وتعجبا
ثم قرا وما قدروا الله حق قدره الاية ونحو منه فى جامع الترمذى وقال الخطابى انكار
لمقالته لتوهمه ان لله يدا حقيقية ذات اصابع وهو منزه عن مثله ولذا قال ثم قال
اى النبى صلى الله عليه وسلم بعد ما تلى الاية يمجد الجبار نفسه اى يعظم وينزه ذاته وروى
يحمد بالحاء المهملة من الحمد والثناء الجميل وفى ذكر الجبار موافقة القران وهو صيغة مبالغة
من الجبر وهو القهر ونفوذ الامر والنهى وفيه دليل على جواز اطلاق النفس بمعنى الذات
على الله وان لم يكن بطريق المشاكلة كما ورد فى القران ايضا وليس من قبيل قوله تعلم
ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك فانه يشترط فيه المشاكلة لانه اطلاق اخر ومن اشترط
ذلك مطلقا فقد وهم وهذا مما خفى على كثير من الفضلاء يعنى المقصود من الاية تعظيم كبريائه

توقيفا لعباده على كنه ذاته فلذا قال انا الجبار انا الجبار وكرر للتاكيد والتهويل
انا الكبير المتعال اى المتعالى فى عظمته عما يخطر بالعقول وحذف اليا فى الوقف وهو جائز
انا الجليل المتكبر العلى الاعلى المنزه عن الجارحة وفيه اشارة الى ان ما ذكر من الاصبع واليد
والقبضة تمثيل الجلالة قدره وعظم ذاته فرجف المنبر اى اهتز واضطرب من مهابة
مقاله صلى الله عليه وسلم حتى قلنا اى قال من كان حاضرا ليخرن عنه اى ليقع النبى صلى الله
عليه وسلم من شدة اضطراب المنبر من عليه او ليتهدم المنبر وهذا وما قبله من معجزاته
صلى الله عليه وسلم لنطق الجبل له وفهم المنبر كلامه وتحركه وهو محل
الشاهد وعن ابن عباس فى حديث اخرجه الشيخان والبزار والطبرانى وابو يعلى
عن جابر وابن مسعود ايضا كان حول البيت فى الجاهلية وقبل الفتح ستون وثلثماية
صنم اتخذها قريش الهة يعبدونها من دون الله مشدة الارجل بالرصاص فى الحجارة
اى قيدت ارجلها ومكنت فى الارض رصاص جعل عليهما حتى لا تسقط وتزول من مكانها والرصاص
معروف قال الجوهرى بفتح الرا والعامة تكسره انتهى فكسره كضمه لحن من العامة
وكون الاصنام حول الكعبة لا فوقها ورد فى كثير من الروايات فلما دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم المسجد اى مسجد مكة المشرفة عام الفتح اى فتح مكة جعل
اى شرع وطفق يشير بقضيب وعصا كانت فى يده اليها اى الى الاصنام المذكورة واليها
متعلق بيشير ولا يمسها بيده ولا بقضيبه لاستكراهه صلى الله عليه وسلم لها
ولانه لو مسها توهم ان سقوطها بشدة دفعه لها ويقول جاء الحق عطف على يشير لا من فاعل
يمسها كما قيل وان جاز بتكلف اى قد جاء الحق وزهق الباطل والحق التوحيد والاسلام
والباطل ضده وزهوقه زواله واضمحلاله وزهقت نفسه خرجت فما اشار بالقضيب
الى وجه صنم اى ما هو على صورته وجه مقابل له الا وقع خر ساقطا لقفاه اى على قفاه
فاللام بمعنى على كقوله وخر صعقا لليدين وللفم والاستثنا مفرغ من اعم الاحوال اى
فى حال من الاحوال الا حال سقوطه ولا اشار لقفاه الا وقع لوجهه اى اى جهة
اشار صلى الله عليه وسلم اليها من الصنم وقع على مقابلها حتى سقطت كلها وما بقى
منها صنم قايم اذ سقطت كلها والقفا مقابل الوجه وهو مقصور وسمع مده فى لغة
ضعيفة وقيل انه ضرورة والحاصل انها سقطت كلها باشارته صلى الله عليه وسلم
من غير ان يمسها واختلفت الرواة فقيل اشار بيده وقيل بقوس وقيل بقضيب وقيل
بعود وهذا فيما كان حول البيت واما ما كان فى جوفه فامر باخراجه ولم يدخل صلى الله
عليه وسلم البيت حتى اخرجت منه منه ومحيت الصور التى كانت فيه ولم يتعرض له
المص مع انه فى الصحيحين لان كلامه فى طاعة الجمادات له صلى الله عليه وسلم
وقد علم ان هذه الاصنام كانت موثقة بالرصاص لو اراد احد قلعها لم يقلعها الا
بعلاج شديد وقد سقطت باشارته من بعيد فهو كتحريك الشجر من مغرسه له

صلى الله عليه وسلم فلذا اقتصر عليه المص واشار اليه بقوله مثبتة بالرصاص
ومثله اى مثل هذا الحديث وبمعناه فى حديث بن مسعود الذى رواه الشيخان وقال اى
ابن مسعود فى روايته فجعل يطعنها اى الاصنام المذكورة ويطعن بفتح العين كمنع يمنع
ويجوز ضمها والاول اشهر وافصح خلافا لمن عكس وقد تقدم اختلاف الروايات فيما
طعن به وهى متقاربة والذى مر فى الرواية السابقة انه اشار اليها من غير ان يمسها بيده
وما فيها من عصى ونحوها وهذه الرواية تقتضى انه مسها بالقضا ودفعها بها كالطا
عن فبينهما اختلاف ولذا فسر بعضهم طعنها باشار اليها من غير مس وهو خلاف الظاهر
وقيل انها كانت كثيرة فاشار لبعض منها وطعن بعضا منها فلا تعارض فى الروايات
ويقول معطوفا وحال بتقدير وهو يقول جا الحق اى الدين والتوحيد او وعد الله
بفتح مكة وما يبدى الباطل وما يعيد الابدا الايجاد ابتدا من غير سبق ايجاد اخر
والاعادة الايجاد مرة بعد مرة اخرى وما هنا جوز فيها ان تكون نافية اى ان الشرك
هلك واضمحل واستفهامية استفهاما انكاريا وهو بمعنى النفى ايضا فالمعنى واحد
وانما ذكر حديث ابن مسعود لانه فى الصحيحين وقدم الاول لانه اوفق بمراده هنا وفيه
زيادة ثقة وهى مقبولة ومن ذلك اى مما ذكر من امور الجمادات حديثه الذى رواه
الترمذى والبيهقى مع الراهب وهو بحيرا واسمه جرجيس بباء من عبد القيس نصارى
تيما او بصرى وهو ممن امن به صلى الله عليه وسلم قبل بعثته صلى الله عليه وسلم
ولذا عده بعضهم من الصحابة كورقة بن نوفل وفى المسيلة اختلاف ذكره البرهان
فى النبراس وغيره وقيل ان بحيرا يهودى واسمه بفتح البا مقصور وروى مده وتسميته
راهبا تويد نصرانيته لان الرهبانية وهى الزهد فى الماكل وغيره لشدة رهبته اى
خوفه معروفة فيهم كما يخفى فى ابتدا امره صلى الله عليه وسلم اى وهو صغير السن
لم يبعث اذ خرج تاجرا اى لاجل التجارة مع عمه ابى طالب واعترض عليه بانه لما خرج مع
عمه المذكور كان عمره لتسع سنين وقيل اثنا عشر ولم يكن تاجرا وانما تعرض لعمه وهو
خارج وقال له تتركنى وليس معى احد فاخذه معه وانما خرج تاجرا بعد ذلك مع ميسرة
غلام خديجة رضى الله عنها وميسرة هذا لم يذكر فى الصحابة وقد مات قبل البعثة
وفى هذه الخرجة لقى راهبا اخر هو نسطورا وقصته مشهورة ايضا ففى كلام المص
ما لا يخفى وما قيل فى الجواب من ان تاجرا حال من ضمير عمه او حال من ضميره صلى الله
عليه وسلم المستتر فى خرج وجعله تاجرا لمجاورته لعمه الذى خرج للتجارة
تعسف وتكلف جدا وكان الراهب لا يخرج من صومعته له كان يترهب فيها الى احد
ممن يمر عليه من ابنا السبيل لان صومعته كانت على طريق قريش فى ممرهم للشام بتجارا
فكان يراهم ولا يخرج اليهم لانفراده واشتغاله بعبادته على عادتهم فخرج على خلاف
عادته لما نزل قريبا منه ابو طالب والنبى صلى الله عليه وسلم معه وابصرهم

وجعل

وجعل اى صار يتخللهم بفتح المثناة التحتية والفوقية والخا المعجمة واللام المشدده
بعدها لام مخففة اى يدخل فى خلالهم ويدور بينهم ينظرهم واحدا بعد واحد من تخلل
القوم اذا دخل بينهم كما فى الصحاح حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم اى
امسك يده الشريفة فقال هذا سيد العالمين اى اشرف المخلوقات كلهم لما راى فيه
من الصفات التى علمها من كتبهم يبعثه الله اى يرسله لدعوة الكافة بعد ما بناه رحمة
للعالمين اى لاجل رحمتهم جميعا لمجيئه بما اسعدهم فى الدنيا والاخرة كما تقدم فقال له
اى للراهب اشياخ من قريش جمع شيخ وحقيقته الكبير السن ثم شاع فى الشريف
المتقدم على غيره ما علمك بما ذكرته سيدا او رحمة عامة اى من اين عرفت هذا فقال انه
لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له وهو شاهد ذلك من صومعته لما نزلوا عنده ومن معه
لم يروا ذلك لاشتغالهم باحوالهم فى السفر ولا تسجد الا لنبى تعظيما اذا مر بها او نزل عندها
والسجود للتحية والاكرام كان سنة عندهم على ان امتناعه انما هو فى حق العقلا دون غيرهم
كما مر فانهم لا يتصور منهم شرك فالبحث عنه لا وجه له وذكر القصة الى اخرها مفصلة
كما فى السير وشهرتها تغنى عن ذكرها ثم قال اى الراهب فاقبل صلى الله عليه وسلم
للمنزل وعليه غمامة تظله دون من معه من رفقته فلما دنى من القوم المرافقين له الذين نزلوا
قبله وجدهم سبقوه الى فيئ الشجرة فلما جلس صلى الله عليه وسلم مال الفيئ اليه اى الى جانبه
الذى جلس فيه والفيئ هو الظل او الظل بالغداة والفيئ بالعشى لانه من فا اذا رجع وهذا
هو اصل معناه لكن توسعوا فيه فاستعملوا كلا منهما مقام الاخر والغمامة السحابة
او البيضا والمراد الاول وخبر بحيرا صحيح روى من طرق صحيحة الا انه طعن فيما رواه الحاكم
فيه من ان سبعة من الروم اقبلوا يقصدون قتله صلى الله عليه وسلم فاستقبلهم
بحيرا وقال لهم ما جا بكم فقالوا ان هذا النبى خارج فى هذا الشهر وانا بعثنا له فقال لهم
ارايتم امرا اراده الله هل يستطيع احد رده قالوا لا فصدهم عما ارادوه واقاموا معه
ورده ابو طالب وبعث معه ابو بكر بلالا رضى الله عنهما وقال الذهبى انه حديث منكر
وانما طعن فيه لان ابا بكر رضى الله كان صغيرا اذ ذاك ولم يملك بلالا وقيل ان هذا
مدرج فيه من حديث اخر والافة فيه من رواته وما افقه الاخبار الا رواتها
فصل فى الايات فى ضروب الحيوانات الايات جمع اية وهى العلامة والمعجزة
لانها علامة بنبوة النبى والضروب جمع ضرب وهو النوع حدثنا سراج ابن عبد الملك
ابو الحسين الحافظ قال ثنا ابى قال ثنا القاضى يونس رجال هذا السند تقدموا كلهم
مع الكلام عليهم وعلى اسمائهم فلا حاجة للتكرار الممل قال ثنا ابو الفضل الصقلى
بفتح الصاد المهملة والقاف وكسر اللام المشددة ويا النسبة نسبة لصقلية
جزيرة بالاندلس كثيرة الاشجار والثمار وقال الشاعر ذكرت صقلية والاسى
توهج نيران تذكارها وكسر صادها خطا وان ذكره البرهان ظنا من عنده قال

الفصل التاسع عشر من الباب الرابع

ثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا ثنا ابو العلا احمد بن عمران قال ثنا يونس بن
عمرو كذا في النسخ وقد سقط منه راو وصوابه حدثنا احمد بن عمران حدثنا محمد بن فضيل قال ثنا
يونس بن عمرو كما في بعض النسخ موصولا وهو من رجال مسلم واصحاب السنن الاربعة
وترجمته في شرح وجها كما تقدم ويونس هو ابن اسحاق السبيعي وهو ثقة صدوق وقيل انه
مضطرب لا يحتج به وترجمته في الميزان توفي سنة تسع وخمسين ومائة قال ثنا مجاهد
وفي نسخة عن مجاهد عن عايشة ام المؤمنين رضي الله عنها ومجاهد هو ابن جبر كما تقدم
وقيل ان مجاهدا لم يسمع منها والصحيح خلافه قالت عايشة كان عندنا داجن
من المداجنة وهي لزوم البيوت وسكونها والمراد بها شاة تالف البيوت وتعلف فيها وتطلق
على غيرها من الحيوانات التي تربى في البيوت كالناقة والحمام والمراد بقولها عندنا منزله
الذي تسكنه وكذا في قوله فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت
مكانه اي وقفا وربض في مكانه لا يتحرك تادبا معه صلى الله عليه وسلم واذا خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل جا وذهب اي مشى في البيت وتردد فيه لانه
ليس ثمة من يهابه وقيل المعنى انه لم يقر لعدم رويته صلى الله عليه وسلم اشتيا
قا لرويته وهذا حديث صحيح رواه احمد والبزار وابو يعلى والبيهقي والدارقطني
وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم لالف الحيوانات التي لا تعقل ومها بتهاله
وروى داجنة بالها وراجي بالرا وقد علم ان قر من القرار وهو السكوت وعدم الحركة
ورووى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث رواه الطبراني والبيهقي وروى ايضا
عن عايشة وابي هريرة وهو ضعيف كما قاله السيوطي وليس بموضوع كما قيل ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان في محفل بفتح الميم وسكون الحا المهملة وكسر الفا واللام محل
يجتمع فيه ناس كثيرون من حفل بمعنى جمع من اصحابه اذ جا اعرابي اي دخل بغتة عليهم
رجل من اهل البادية غير معروف قد صاد ضبا جملة حالية بفتح الضاد المعجمة
وتشديد البا الموحدة حيوان بري اكبر من الجرذون يبيض والاعراب تصطاده وتاكله
فقال الاعرابي للصحابة من هذا سال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه ينكره
ولم يعرفه قالوا له جوابا نبي الله اي هو نبي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
وليس قولك من هذا بغايره البيت يعرف من انكرت والحرم فقال واللات
والعزى وهما صنمان عبدا في الجاهليه واصل اللات اللاه فحذفوا الها وادخلوا التا
عوضا عنها وهو من لوى سمي به لانهم يلتوون في طوافهم حولها وكان بنخلة والطايف لقريش
وثقيف والعزى تانيث الاعز شجرة من السمرة كانت لغطفان بعث اليها رسول الله
صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها
داعية ويلها فقتلها وقال يا عزى كفرانك لا سبحانك اني رايت الله قد اهانك
ثم اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا واقسم

الاعرابي

37

الاعرابي بهما لانه لم يكن مسلما كما يدل عليه ما بعده من قوله لا امنت بك اي بانك رسول الله
او يؤمن بك هذا الضب بنصب يؤمن اي الا ان يؤمن هذا الضب فاومن انا بك ايضا
بعد رويته معجزتك من نطق هذا الحيوان واقراره برسالتك واو بمعنى الا او الى غاية
لانتفا ايمانه وهما مما ينتصب بعده المضارع بعد النفي ونحوه وفي نسخة حتى بدل
او وطرحه اي رمى الاعرابي الضب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم اي في مقابلته
قريبا منه فقال صلى الله عليه وسلم له اي للضب يا ضب بالضم لانه منادى
مفرد فاجابه بلسان بين كلامه او بكلام ظاهر مفهوم يسمعه القوم الذين عنده
جميعا لبيك اي اجابة لك بعد اجابة وهو مثنى منصوب على المصدرية كما بينه
النحاة وسعديك اي مساعدة وطاعة لك بعد طاعة وهو مثله في المعنى والنصب
وهما عبارة عن سرعة الاجابة والانقياد والطاعة يا زين من وافى القيامة اي
من تزين وتحسن منه كل من جا الى القيامة والموافاة الحضور والمجي والقيامة معروفة
وانما جعله زينا اي مزينا لاهلها ومن بها لانه صلى الله عليه وسلم سيدهم وقايدهم
والشفيع فيهم وهذه العبارة شايعة في لسان العرب فيقولون يا زين القوم لاشرفهم
واحسنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للضب من تعبد سأله ليقر بعبوديته
الله ووصفه بما يعرفه كل احد قال عبد الذي في السما عرشه وهو في الاصل سرير الملك
والعرش والكرسي اجماﻻ معلوم وتحقيقه في كتب التفسير والمراد بالسما ما يقابل
الارض وجهة العلو مطلقا فلا ينافي ما ورد من انه فوق السموات كما قال وسع كرسيه
السموات والارض وللكلام في هذا مقام اخر لا تحيط به ظروف الحروف وفي الارض
سلطانه اي في الارض ومن فيها يظهر عدله وحكمه وقهره لمن فيها من الثقلين وسلطانه
وان كان على كل موجود لكن ظهوره فيمن قد يخالف ظاهر فيها والسلطان في الاصل مصدر
من التسلط والقهر وفي البحر سبيله اي طريقه التي جعلها مسلوكة لعباده بتسخير الريح
ونحوه مما لا يقدر عليه غيره كما قال تعالى وهو الذي يسيركم في البر والبحر ولذا كانت الكفرة
لا يدعون فيه سواه كما قال فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وفي الجنة
رحمته المختصة به العظيمة الباقية وان كان رحيم الدنيا وفي الاخرة وفي النار عذابه
وفي نسخة عقابه فلما امن بالله ووصفه بما هو مختص به دال على عظمته قال له صلى الله
عليه وسلم لتكمل ايمانه فمن انا اي اذا امنت بي فمن انا قال رسول رب العالمين اشارة
الى عموم رسالته صلى الله عليه وسلم لكل موجود حتى الجمادات والحيوانات
وخاتم النبيين فلا نبي بعده كما تقدم وقد افلح وفاز بسعادة الدارين من صدقك
وامن برسالتك وخاب من كذبك بانكار رسالتك وعدم اجابة دعوتك فاسلم
الاعرابي لما راى معجزته صلى الله عليه وسلم وعلم علما ضروريا بتوحيد الله والاقرار
برسالة رسوله صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث طويل رواه البيهقي وفيه

ان الاعرابي من بني سليم وانه كان ذاهبًا بالضب ليشويه وياكله فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم ووقع له معه ذكره المص من اسلامه قال لا ابتغ اثرا بعد عين والله لقد جيتك وما على ظهر الارض ابغض الى منك وانت اليوم احب الى من نفسي وولدي فلما اسلم وتشهد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداك ان هذا الدين يعلو ولا يعلى ولا يقبل الا بصلاة ولا صلاة الا بقران ثم علمه الصلاة والقراة وعلمه سورة الاخلاص وكان هذا سببًا لاسلام قومه وقدومهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد علمت ضعف الحديث وان قال ابن دحية انه موضوع ومن ذلك اي من معجزاته صلى الله عليه وسلم في تسخير الحيوانات وانطاقها قصة كلام الذيب المشهورة التي رواها احمد والبزار والبيهقي وصححها عن ابي سعيد الخدري هو سعد بن مالك الصحابي كما تقدم بينا راع تقدم ان بينا من الظروف وان الالف للاشباع او كافة عن الاضافة فراع في محل رفع او جر وهو اسم فاعل من رعى الغنم ونحوها وهو معروف وقوله يرعى غنما له ذكره ليبان ان الغنم له فليس باجنبي وانه كان رعى غنما فان الراعي قد يرعى غيرها كالابل والبقر واختلف في اسم هذا الراعي فقيل انه اهبان بن اوس وقد جرى عليه المص فيما ياتي وانه وقع مثل هذه القصة لابي سفيان ابن حرب وصفوان بن امية في ذيب اخذ ظبيا ولابي جهل واصحابه وفي حديث اخر ان الذيب اخذ شاة فتبعه الراعي فقال له الذيب من لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري وان الذي كلمه الذيب اهبان بن اوس الاسلمي وقيل اهبان بن عقبة عم سلمة بن الاكوع احد اصحاب الشجرة وقيل اهبان بن الاكوع وعند السهيلي انه رافع بن ربيعة وقيل هو اهبان بن عباد الخزاعي وقيل الذي كلمه الذيب سلمة ابن الاكوع وياتي بيان ذلك كله وقيل اهبان بن صيفي وعن ابن عساكر ان الذي كلمه الذيب رافع بن عميرة الطائي كلمه الذيب وهو في ضان له يرعاها ودعاه الى النبي صلى الله عليه وسلم وامره باللحوق به صلى الله عليه وسلم فقال

رعيت الضان احميها زمانا … من الضبع الخفي وكل ذيب
فلما ان سمعت الذيب نادى … يبشرني باحمد من قريب
سعيت اليه قد شمرت ثوبي … عن الساقين قاصدة الركيب
فالفيت النبي يقول قولا … صدوقا ليس بالقول الكذوب
فبشرني لدين الحق حتى … تبينت الشريعة للمنيب
وابصرت الضيا يضي حولي … امامي ان سعيت وعن جنوبي
الا ابلغ بني عمرو بن عوف … واخوتهم جديلة ان اجيبي
دعا المصطفى لا شك فيه … فانك ان اجبت فلن تخيبي

وقد علمت ان قصة كلام الذيب وقعت مرارا عديدة على انحا مختلفة وكلامه وان كان لغيره ولكن اقراره به معجزة له صلى الله عليه وسلم عرض الذيب لشاة منها اي اتاها لاختطافها واخذها فاخذها الراعي منه اي ادركه وانتزعها من يديه وردها فاقعى الذيب اي مكث على عقبيه ناصبا يديه كما هو معروف في اقعا الكلب والذيب وللاقعاء معنى اخر كما ذكره الفقها في كتاب الصلاة فقال الذيب بعد اقعايه للراعي الا حرف استفتاح هنا تتقي الله اي تخافه وتحذره حلت

بضم الحا المهملة وسكون اللام وفتح تا الخطاب اي فصلت وفرقت بيني وبين رزق الذي رزقه الله لي قال الراعي العجب من ذيب يتكلم بكلام الانس وفي نسخة البشر وهما بمعنى يتعجب من نطقه وليس من شانه ذلك فقال الذيب مجيبًا له الا اخبرك باعجب من ذلك اي من كلام حيوان اعجم رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين بفتح الحا وتشديد الرا المهملتين وتا تانيث مثنى حرة وهي ثنية مرتفعة ذات حجارة سود كانها اسودت من الحر والحرتان بالمدينة يحدث الناس بانباء ما سبق وفي نسخة من سبق اي الامم السابقة واحوالهم وانما جعله اعجب لانه اخبار بالغيب معجز فلذا عده اعجب من نطق حيوان انطقه الله الذي انطق كل شيء وكون الامر اعجب يختلف باختلاف الاسباب والانباء جمع نبا وهو الخبر فاتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بكلام الذيب وقصته معه فقال النبي صلى الله عليه وسلم للراعي قم من عندي فاذهب للحاضرين فحدثهم بما شاهدته ليزداد ايمانهم ويتبين لهم ما ظهر من معجزاته ثم قال صدق والحديث فيه قصة لما فيه من الغرابة وانه من اشراط الساعة لقوله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تتكلم السباع الناس ويكلم الرجل شراك نعله وعذبة سوطه وتخبره فخذه بما حدث في اهله ولما لم يكن في هذا استشهاد لما هو بصدده اسقطه واعتذر عنه بقوله

وفيه اي في بعض رواياته طول ولذا تركه لعدم الحاجة اليه هنا صح

وروى حديث الذيب عن ابي هريرة رضي الله عنه رواه احمد والبزار والبيهقي وصححه والبغوي وابو نعيم بسند صحيح وفي بعض الطرق بضمتين جمع طريق تجوز به عن الرواية فقال الذيب للراعي انت اعجب اي حالك اعجب من حالي في حال كونك واقفا على غنمك اي مراعيًا وحافظا لها وتركت نبيا اي وقد تركت فالجملة حالية بتقدير قد لم يبعث الله نبيا من انبيائه السالفة قط اعظم منه عنده واجل قدرا ومنزلة عند ربه وهو تمييز لنسبة اعظم وقد فتحت له ابواب الجنة بتشديد تا فتحت وتخفيفها اي هيئت واعدت والجملة حالية ايضا وقوله واشرف اهلها يدل على ان المراد انها انفتحت حقيقة لينظر من فيها من الملائكة والاشراف النظر من مكان عال ماخوذ من الشرف وهو المكان العالي على اصحابه ينظرون قتالهم اي ينظرون اليهم وهم صفوف واقفون في القتال كصفوف الملائكة وما بينك وبينه الا هذا الشعب بكسر الشين المعجمة وسكون العين المهملة بعدها موحدة وهو منفرج بين جبلين يعني انه قريب منك لا عذر لك في التخلف عنه فتصير في جنود الله اذا ذهبت اليه وتصير من حزب الله المفلحين فتخلفك عنه مع هذا اعجب من نطقي الذي تعجبت منه قال الراعي للذيب لما اشار عليه بالذهاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن لي بغنمي اذا ذهبت اليه من يتكفل لي بحفظ غنمي حتى اجي قال الذيب انا ارعاها اي احفظها واحرسها حتى ترجع اليها من عنده صلى الله عليه وسلم فاسلم الرجل وهو الراعي اليه غنمه اي سلمها للذيب وتركها عنده ومضى الى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له قصته مع الذيب وما كلمه به وما فعله معه واسلامه الغنم له ووجد النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل كما قال له الذيب

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما قص قصته عليه واسلم وامن به صلى الله عليه
وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها بفتح الواو وسكون الفا اي بتمامها وكمالها لم ينقص
منها شي فعاد اليها فوجدها كذلك اي تامة غير ناقصة وذبح للذيب
شاة منها جزاله على صنيعه وارشاده له وعن اهبان بن اوس عطف على قوله عن ابي هريرة
وهو بضم همزة اهبان واوس بفتحها علم منقول معناه هذه العطيه وهذا الحديث
رواه البيهقي والبخاري في تاريخه عنه انه كان صاحب القصة المذكورة في كلام الذيب
وانه المحدث بها والمكلم الذيب كما في الروض الانف وانه كان في غزوة ذي قرد وروى
ايضا عن سلمة بن عمرو بن الاكوع وانه اي ابن الاكوع لا سلمة كما قيل ويجوز فتح همزة انه
وكسرها كان صاحب هذه القصة ايضا يعني انها تعددت وكانت سبب اسلامه وفي مرآة
الزمان لسبط ابن الجوزي اهبان بن الاكوع اسمه عقبة من الطبقة الثالثة من المهاجرين
وهو مكلم الذيب في رواية هشام وقد اختلفوا فيه فقال هشام هو اهبان بن الاكوع
وعن الواقدي هو اهبان بن اوس الاسلمي الصحابي من اسلم ترك الكوفة وتوفي في خلافة
معاوية وحكى ابن سعد عن ابن الاشعث ان مكلم الذيب اهبان بن عياذ بن ربيعة بن
كعب بن امية بن نفطة بن خزيمة من اسلم وذكر جدي في التلقيح ان من اسمه اهبان
اربعة اهبان بن الاكوع ابو عقبه واهبان ابن اوس الاسلمي واهبان صيفي الغفاري
واهبان بن عياذ الخزاعي مكلم الذيب قال وقيل ان مكلم الذيب اهبان بن اوس انتهى
ولم يذكر في الرواة منهم سوى اهبان بن صيفي والحاصل ان مكلم الذيب على رواية
هشام اهبان بن الاكوع وعلى قول الواقدي اهبان بن اوس الاسلمي وعلى قول
ابن الاشعث اهبان بن صيفي الغفاري انتهى ففيه اقوال ادتضى المص منها قول الواقدي
فان كانت القصة تعددت فلا خلاف وليس في الصحابة من اسمه اهبان بن عقبة
وقد يقال انه غلط من ابي عقبة فليحرر بمثل حديث ابي سعيد الخدري اي روى
سبب اسلامه بمثله وروى عبد الله بن وهب السابق ترجمته مثل هذا المذكور
من كلام الذيب انه جرى اي وقع واتفق لابي سفيان بن حرب والد معاوية وام حبيبة
المشهورة رضي الله عنهم وصفوان بن امية الصحابي المعروف وقع هذا لهما قبل
اسلامهما وكانا من اشد الناس عداوة له صلى الله عليه وسلم قبل اسلامهما
فلما اسلما صارا صلى الله عليه وسلم احب اليهما من نفسهما مع ذيب وجداه اخذ
ظبيا اي اراد اخذه فجرى خلفه في الحل ليأخذه بقرينة قوله فدخل الظبي الحرم
فانصرف الذيب عنه لانه في الحرم المحرم صيده او انه انفلت منه بعد اخذه
فعجبا من ذلك اي من كون الذيب عرف حرمة الحرم وعف عن صيد امنه وهو ليس من العقلاء
فقال الذيب لما سمع تعجبهما او علمه من حالهما اعجب من ذلك الفعل الذي صدر منه محمد بن
عبد الله موجود بالمدينة يدعوكم الى الجنة بدعوته للاسلام الذي هو مقتض لدخولها

وتدعونه الى النار بقولكم له لم لا توافقنا وتعبد الهتنا مما هو سبب للخلود في النار وانما
كان هذا اعجب لانه مخالف لما يقتضيه العقل ونطق حيوان اعجم بقدرة الله واقداره
ليس بعجيب كهذا في النظر السديد والعقل السليم وليس باغرب من عبادة الحجارة
فقال ابو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت بضم التا وفتحها هذا اي تكلم الذيب
وما قاله بمكة اي ذكرته لاهلها لتتركنها خلوفا بضم الخا المعجمة واللام والفا مصدر
او جمع خالف والمراد تركها خالية من اهلها بان يسلموا جميعا ويرتحلوا له صلى الله عليه
وسلم لان من سمع مثله لا يتردد في صحة رسالته صلى الله عليه وسلم وسعادة
من اتبعه او المراد يدعها واهلها متغيرة فاسدة لما يقع بين اهلها من الفساد والفتن
باختلاف الكلمة فالاول من قولهم اتيت الحي فوجدته خلوفا اي ليس فيه احد من الرجال
بل النسا ويقال لهن خوالف لانهن يخلفن الرجال والثاني من قوله صلى الله عليه وسلم
لخلوف فم الصايم اطيب عند الله من ريح المسك اي رايحة تغيره وقد روي مثل هذا الخبر
الذي وقع لابي سفيان وصفوان وانه جرى لابي جهل واصحابه اي انهم شاهدوا امثله
وتعجبوا منه ولكن الله اشقاه واشقاهم وعن عباس بن مرداس بكسر الميم وهو من الصحابة
شاعر مجيد وشجاع شهم وكان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية كالصديق رضي الله
عنه وجماعة الا انه كان من المولفة قلوبهم ثم حسن اسلامه ونور الله قلبه لما تعجب
لما ظرفه متعلق بمقدر اي وقع ذلك او شرطية جوابها قوله فاذا طاير الخ فان جواب
لما قد يقترن بالفا لكنه نادر من كلام ضمار بكسر الضاد المعجمة وميم واخره را مهملة
بوزن كتاب كما في القاموس وفي بعض نسخ الذيل والصلة للصاغاني بالدال المهملة
وفيه نظر كما قاله البرهان الحلبي صنمه بالجر بدل من ضمار فانه اسم صنم كان يعبده مرداس
ورهطه وانشاده بالجر معطوف على كلام الشعر بالنصب مفعول المصدر الذي ذكر
فيه النبي صلى الله عليه وسلم صفة الشعر وضمير انشاده للصنم وسبب ذلك
ان مرداس لما احتضر قال لابنه عباس اي بني اعبد ضمارا فانه سينفعك ويضرك فتفكر
عباس يوما عند ضمار وقال انه حجر لا يضر ولا ينفع ثم صاح باعلى صوته يا الحي الاعلى
اهدني للتي هي اقوم فصاح صايح من جوف الصنم اودى ضمار وكان يعبد مرة
قبل البيان من النبي محمد وهو الذي ورث النبوة والهدى بعد ابن مريم من قريش
مهتد قل للقبايل من سليم كلها اودى ضمار وعاش اهل المسجد
فحرق عباس ضمارا ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فاذا طاير سقط اي خر من الجو
بغتة عليه فقال الطاير يا عباس تعجب من كلام ضمار بالتنوين والصرف الا انه
وقع في الشعر غير مصروف فان لم يكن ضرورة فهو جايز وتعجبه لنطق الجماد بما سمع من جوفه
وانكاره لتعجبه لانه كلام شيطان في جوفه وكلام الطاير اعجب منه ولا تعجب من نفسك
ان رسول الله يدعوا الى الاسلام حذف مفعوله للتعميم اي كل احد اليه وانت جالس

في منزلك فتخلف عن اجابة دعوته صلى الله عليه وسلم التي هي السعادة العظمى فكان ذلك
المذكور مما سمعه من الصنم والطاير سبب اسلامه لانه لما سمع ما ذكر نهض في ثلثمايه
فارس من قومه وهم سليم فلما راه النبي صلى الله عليه وسلم تبسم وقال له يا عباس
حدثنا بما رايت فقص عليه القصة واسلم وقيل ان ضمارا كان صنما لخزاعة يتحاكمون
اليه وان قصة نطقه وقعت لعمر بن الخطاب وكانه صنم اخر والقصة ونطق
الاصنام ولخبارها بمبعثه النبي صلى الله عليه وسلم وقعت مرارا وفيها اخبار مذكورة
في السير قيل انما تركها المصنف لان النطق المسموع منها من الجن وعن جابر بن عبد الله رضي الله
عنهما في حديث رواه البيهقي عن رجل اسمه اسلم وعن الواقدي ان اسمه يسار وهو
رجل اسود كما ياتي قاتل بخيبر حتى قتل كما ذكره بن سيد الناس في سيرته في غزوة خيبر
اتى النبي صلى الله عليه وسلم وامن به وهو على بعض حصون خيبر قوله وهو جملة
حالية اي وهو صلى الله عليه وسلم مقيم عنده لفتحه والحصون جمع حصن وهي القلعة
التي يتحصن بها لا القصر كما قيل ولا حذف في هذا الكلام وقيل الضمير للرجل ويبعده
قوله وكان في غنم يرعاها اي لاهل خيبر والظرفية بمعنى المعية او هي مجازية كقوله واذا كنت
فيهم الاية فقال يا رسول الله كيف بالغنم اي كيف افعل بالغنم اذا اسلمت وهي ملك غيري
وانا اجير فقال له صلى الله عليه وسلم احصب وجوهها اي ارمها في وجوهها
بالحصبا وهي صغار الحجارة ودقاقها وما قيل من ان حكمة هنا ان الحصاة وردت
بمعنى العقل في قوله وان لسان المرء ما لم يكن له حصاة على عوراته لدليل
ومنه الاحصا بمعنى العد واجد العلم والهداية لها الى اهلها هذيان لا معنى له وانما
المراد انه اذا ضرب وجوهها ولت مدبرة فهداها الله ببركته صلى الله عليه وسلم
للرجوع لمنازل اصحابها حتى يخلص من عهدة ضمانها كما اشار اليه بقوله فان الله سيودي
عنك امانتك وهي الغنم التي سلمت لك اي يوصلها ويبلغها ويردها الى اهلها وهم اصحابها
المالكون لها فتخرج انت من عهدة ضمانها ففعل ما امره به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها وانما كان هذا لانه كان مستامنا وفي يده امانة
لاهل خيبر قبل فتحها فلذا ردها صلى الله عليه وسلم لاصحابها مع ما فيه من تطمين
قلبه من خروجه من عهدتها ولذا لم يجعلها فيا مع انه علم انها ستكون كذلك بعد الفتح
وقيل ان الراعي كان عبدا اسود رقيقا لبعض اهل خيبر فلما غزاها النبي صلى الله عليه
وسلم وسمع خبر النبي من اليهود جاه واسلم وحسن اسلامه واستشهد في تلك
الغزوة بحجر اصابه او بسهم ولم يصل صلاة قط فشهد له صلى الله عليه وسلم بالجنة
واخبر انه راى عنده حوريتان من الحور العين كما رواه مفصلا في دلايل النبوة وهذا
من معجزاته صلى الله عليه وسلم الظاهرة كما لا يخفى وعن انس في حديث صحيح مسند رواه
احمد والبزار دخل النبي صلى الله عليه وسلم حايط انصاري اي بستانا فيه بعير كان

في

في البستان فسجد له صلى الله عليه وسلم وذكر مثله اي مثل الحديث الذي قبله فقالوا
هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن احق ان نسجد لك فقال صلى الله عليه وسلم
لا يصلح لبشر ان يسجد لبشر ولو صلح لامرت المراة ان تسجد لزوجها لما له من الحق عليها وروى
مثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك الصحابي وهو ممن استشهد باحد لكن الذي ذكره ابن عبد البر
انه ثعلبة بن ابي مالك القرظي وابوه قوم كندي من على دين اليهودية فنزل على بني قريظة فنسب
اليهم ثم اسلم فقوله ابن مالك صوابه بن ابي مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله
بن جعفر فحديث الجمل وسجوده روي من طرق متعددة مروية عمن ذكر والقصة واحدة كما
بينه السيوطي قال كل منهم او عبد الله بن جعفر وكان لا يدخل احد الحايط من غير اصحاب
البستان لانه شد عليه الجمل شد هنا بمعنى اسرع وحمل جملة علية قال الراغب يقال شد
واشتد اذا اسرع وشد عليه حمل يعني انه كان نفورا هايجا على كل من يستقربه فلما
دخل النبي صلى الله عليه وسلم عليه اي على الجمل في البستان دعاه وامره بالاقبال عليه
فوضع مشفره بكسر الميم وسكون الشين المعجمة وفتح الفا وراء مهملة وهو في الابل
كالشفة للانسان والجحفلة للفرس والخرطوم للسباع والمنقار للطير كما بينه
اهل اللغة في الفروق في الارض وبرك بين يديه البروك كالجلوس للانسان من البرك
وهو صدر الجمل ونحو فخطمه اي وضع زمامه الذي يقاد به في راسه وعلى فمه لانه بركة
عنده صلى الله عليه وسلم وانقاد له منذللا بعد ما كان لا يطاق وقال صلى الله
عليه وسلم لمن عنده ما بين السماء والارض شيء من الحيوان والطيور وغيرها والمراد
بالارض الجنس فيشمل الاراضي السبع الا يعلم وفي نسخة الا وبعلم اني رسول الله بعلم
خلقه الله فيه ويلهمه له الا عاصي الجن والانس اي الا من عصى الله ورسوله وكفر فانه
ينكر معرفتي اي معرفة اني رسول الله حقا وعاصي يجوز ان يكون مفردا واصله عاصين
فحذفت النون للاضافة واليا لالتقا الساكنين وقدم الجن لسبقهم خلقا ومعصية
لان اول من عصى الله ابليس والاكثر حيث اجتمعا تقديم الجن في القران ومثله عن عبد الله
بن ابي اوفى هو وابوه صحابيان رضي الله عنهما شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله
وسلم وهو الذي دعا له النبي صلى الله عليه وسلم حين اتى اليه بصدقته وقال
اللهم صل على ال ابي اوفى وحديثه مذكور في دلايل النبوة لابي نعيم والبيهقي كما علمت
ولفظه قريب مما ذكره اولا وفي خبر اخر في حديث الجمل ان النبي صلى الله عليه وسلم
سالهم عن شانه لما ابوا منهم وبطش بكل من قرب منه فاخبروه وفي نسخة فاخبر
بالبنا للمفعول انهم ارادوا ذبحه لانه ضعف كما سياتي وفي رواية ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لهم انه شكى كثرة العمل وقلة العلف وهو بفتحتين فعل بمعنى المفعول
والعلف يطلق على قوت الدواب من الحبوب وغيرها وشكايته الظاهر انها بنطق
فهو من المعجزات وفي رواية انه شكى الي انكم اردتم ذبحه ونحوه واكثر ما يستعمل

فى الابل النحر وفى غيرها الذبح والفرق بينهما قريب جدا فلذا استعمل كل منهما بمعنى الاخر
ومعرفته ارادتهم ذبحه بالالهام بعد ان استعملتموه اى اكثرتم العمل به من التحميل ونحوه
فى شاق العمل اى فيما يشق اى يصعب عليه من العمل وقولهم عمل مشق غير مسموع فكانه
مبنى على ان التعدية بالهمزة مقليسة وفيه خلاف مذكور فى كتب اللغة من صغره الى
ان بلغ الكبر وعجز عن العمل فقالوا نعم اعترافا بما ذكر فبئس الجزا الذى اداده وهذا
الحديث اخرجه الطبرانى وابن ماجه فى سننه فى غزوة ذات الرقاع عن جابر وتميم
الدارى وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال لهم ما هكذا جزا المملوك الصالح
بغنيه فابتاعه منه وارسله يرعى فى الشجر حتى قوى والحديث فيه طويل وقد روى
بالبنا للمجهول قيل وهذه بهذا التفصيل الاتى لا يعرف راويها فى قصة الناقة
العضبا بفتح العين المهملة وسكون الضاد المعجمة والموحدة والمد وهى اسم ناقة
للنبى صلى الله عليه وسلم ومعناها المشقوقة الاذن وقد اختلف فى ناقته
العضبا والقصوا والجدعا بالمد فيهما ايضا هل هن ثلاثة او واحدة لها القاب
متعددة او اثنتان فذهب اليعمرى والعراقى فى منظومته الى انها واحدة ولا عضب
ولا جدع اى لا شق اذن فيها وانما هو لقب وقيل كان باذنها عضب اى شق وفى البخارى
ان الجدعا هى التى هاجر عليها وقيل ان التى هاجر عليها القصوا وعن ابن عباس انه
صلى الله عليه وسلم خرج ذات ليلة فمر بناقة باركة فى الدار فقالت السلام
عليك يا نبى الله يا زين القيمة يا رسول رب العالمين فالتفت اليها وقال وعليك
السلام فقالت انى كنت لرجل من قريش يقال له اعضب فهربت منه فوقعت فى مفازة
فكان اذا غشينى الليل لحتو شتنى السباع فنادى بعضها بعضا لا تؤذها فانها مركب
محمد فاذا اصبحت رتعت نادتنى كل شجرة الى الى فانك مركب محمد حتى وقعت ها هنا
فسميت عضبا باسم صاحبها وفيه انها قالت له صلى الله عليه وسلم ادع الله
ان يجعلنى مركبك فى الجنة فقال قد قضيت وقد قيل ان هذا الحديث كله فى سنده
طعن وقد علمت انها واحدة قد سميت عضبا وقصوا وجدعا بدال مهملة ومثلها
ومخضرمة والكل متقاربة المعانى والجدع قطع طرف الاذن فاذا بلغ الربع فهو
قصو فاذا جاوزه فهو عضب فان استوصل فصلم ونقل ابن الجوزى عن ثعلب
انها كلها القاب لناقة له صلى الله عليه وسلم ولا جدع لها ولا عضب واختاره
فى القاموس وكلامها النبى صلى الله عليه وسلم كلام بمعنى تكليم مصدر والنبى
منصوب به مفعوله وتعريفها له بنفسها كما سمعته انفا ومبادرة العشب اليها
بدال مهملة مفاعلة من البدار وهو الاسراع وقد تقدم انه كان يناديها الى الى فالمراد
طلبه منها ان ترعاه قبل غيره والعشب بالضم معروف فى المرعى اى مكان رعيها وتجنب
الوحوش لها اى عدم اذيتها واحمالها كرامة وندايهم لها انك معدة لمحمد ولركوبه

وضميرهم للعقلا وعبر به لصدور فعل العقلا منها وهو الندا كما فى قوله رايتهم لى ساجدين
وانها لم تاكل ولم تشرب بعد موته صلى الله عليه وسلم حتى ماتت من الحزن والاسف
على فراقه صلى الله عليه وسلم وقيل انها التى اشتراها ابو بكر رضى الله عنه من بنى الحريش
مع اخرى بثمانماية درهم فلما هاجر اشتراها صلى الله عليه وسلم منه باربعماية درهم
وقد ذكر قصتها مفصلة ابو سعيد فى كتاب الشرف فكان له صلى الله عليه وسلم نوق اخر
كما بينه اصحاب السير ذكره الاسفراينى رحمه الله وقد تقدمت نسبته وترجمته وروى
ابن وهب رحمه الله وهذا الحديث لم يخرجوه واما ابن وهب فقد تقدمت ترجمته انحمام
مكة الموجود بحرمها الى الان والحمام كل ذات طوق برى او اهلى وقيل انه مخصوص بالبرى
وقيل انه كل ما عب وهدر والعب كرع الماء من غير تنفس والهدير ويقال الهديل ترجيع
صوت الطاير المعروف اظلت النبى صلى الله عليه وسلم اى اجتمعت لتجعل ظلها عليه
وقاية من الحر ولذا كانت محترمة لا تصاد وقيل انها من نسل حمامتى الغار وسياتى يوم فتحها
اى فتح مكة فدعا لها بالبركة فاجاب الله دعاه فيها وكانت محترمة لا تصاد كما تقرر
وروى عن انس رواه عنه ابن سعد والبزار والطبرانى والبيهقى وابو نعيم وزيد بن ارقم
والمغيرة بن شعبة قال امر الله ليلة الغار منصوب على الظرفية والغار غار ثور الذى
اختفى فيه صلى الله عليه وسلم لما هاجر وقصته مذكورة مشهورة فى القران غنية
عن البيان شجرة فنبتت من وقتها والامر هنا مجاز عن التسخير كقوله كونوا قردة فنزلها
منزلة المامور المختار وروى بشجرة بالبا الجارة وهما بمعنى والشجرة كانت من الطلح
تسمى الراكا كما قاله السهيلى وهى بمقدار القامة ولها زهر ابيض ورمانى شبه اى زهر ابيض
القطن يحشى به المخاد كالريش خفة ولينا واحده راة كما فى كتاب النبات قال الشاعر

تزى ودك السديف على لحاهم ... كمثل الراة لبده الصقيع

تجاه النبى صلى الله عليه وسلم تجاه بضم التا المثناة الفوقية المبدلة من الواو واصله وجاه اى فى مقابلة
وجهه بباب الغار فسترته عمن ينظره بحيث لا يراه من طلبه من كفار قريش وامر اى الهم الله
حمامتين فكرا وانثى فعششتا وباضتا على تلك الشجرة فوق فنا بفمه اى بفم الغار لان مثله
لا يكون الا بمكان خال من الناس وورد فى الحديث فسمت عليهما صلى الله عليه وسلم اى
دعا لهما بالبركة فانحدرا الى الحرم فافرخا كل حمام به وفى حديث الاكل سموا الله ودنوا
وسمتوا اى اذا بداتم بالاكل كلوا مما يليكم ودنا منكم واذا فرغتم فسمتوا اى ادعوا لمن اكلتم
عنده وقيل ان الشجرة جات تسعى من مكان اخر لتشق الارض كما اشار اليه القايل

قامت اليه سرحة سترته من ... نظر العدو باحسن الاغصان

وفى حديث اخر رواه ابن
سعد والبزار والطبرانى والبيهقى وابو نعيم عن انس وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة
وفيه فسمت عليهما ودعا لهما وانحدرا الى الحرم فافرخ ذلك الزوج كل شى فى الحرم كما تقدم
ان العنكبوت نسجت على بابه اى على باب الغار وفمه فلما اتى الطالبون له صلى الله عليه وسلم

الذين قصّوا أثره واتبعوه ليأخذوه وراوا ذلك المذكور من الشجرة والحمام والعنكبوت بباب الغار فقالوا لو كان فيه اى في هذا الغار احد من الناس لم تكن الحمامتان تبيضان ببابه الذي منه المرور والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامهم لقربهم منه بحيث لو امعنوا النظر راوه فانصرفوا راجعين تاركين للطلب وكانوا فتيانا من قريش مضوا خلفه صلى الله عليه وسلم ومعهم سراقة القائف يقص اثره فلما انتهوا الى الغار راوا نسج العنكبوت والحمامتين على بيضهما فقالوا انه لو دخل احد لم يكن مثل هذا مع قربهم منه بحيث لو طاطا احد راسه راه صلى الله عليه وسلم وفي هذا معجزات شاعت حتى بلغت حد التواتر ورواه المحدثون من طرق كثيرة صحيحة وقد قال فيها الشعراء كثيرا ويعجبني قول ابن النقيب ودود القزان نسجت حريرا يجمل لبسه في كل زي فان العنكبوت اجل منها بما نسجت على راس النبي والطير هذا مع قوله على غار ثور عنكبوت بنسجه لقد حاز فخرا فاق كل فخار لذلك دود القز يهلك نفسه وقد غار من نسج له بغم الغار وفيه معان اخر لا نطيل بها تنبيه قول الابوصيري في همزيته اخرجوه منها واواه غار وحمته حمامة ورقاء وكفته بنسجها عنكبوت ما كفته الحمامة الحصداء الحمامة بنونين هي الدرع لانها تجن البدن اى تستره والحصداء المحكمة النسج كما في كتب اللغة وهذا البيت حرفه شراحه وصاحب المواهب فجعلوه الحمامة الحصداء اى الكثيرة الريش وهذا قول من لم يصل الى العنقود ونظيره قوله في البردة وقاية الله اغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الاطم وعن عبد الله بن قرط بضم القاف وراء مهملة ساكنة يليها طاء مهملة وهو صحابي ثمالي وكان اميرا على حمص من قبل معاوية وقتل بارض الروم سنة ست وخمسين تعاو اخرج له اصحاب السنن واحمد في مسنده وغيرهم وهذا الحديث رواه الحاكم والطبراني وابو نعيم مسندا قرب بالبنا للمفعول اى اتى بعض الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات جمع بدنة وهي ما يعد للنحر من الابل خاصة ولا تطلق على البقر وغيرها وان كانت في حكمها شرعا في الاجزاء عن سبعة وقال ابن الاثير انها من الابل والبقر حقيقة وبدنات بفتحات وقال العزفي انه بدنات بضم الموحدة وسكون الدال وندبانه على خلاف القياس الا ان يكون جمع بدن فهو جمع الجمع وهو بعيد الا ان تساعده الرواية وسميت بدنة لعظم بدنها خمس او ست او سبع الشك من الراوي لينحرها يوم عيد فانه لغن اليه افتعال من الزلفى وهي القرب بدلت تاوه دالا لاجل الزاى اى تقدمت كل واحدة منهن اليه صلى الله عليه وسلم رغبته في ان يذبحها وانقيادا له بالهام من الله بايتهن يبدا في الذبح وهذه معجزة باهرة وعن ام سلمة في حديث رواه الطبراني والبيهقي واسمها هند وتقدم كما تقدم كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحرا فنادته ظبية اى كلمته بنطق سمعه الناس لا بلسان الحال قالت له يا رسول الله فالتفت اليها فاذا هي موثقة عندها اعرابي نائم قال لها ما حاجتك حتى نادي للنبي قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان شنى خشف بوزن طفل معجمتين وهو الظبي الصغير الذي ولدته امه في ذلك الجبل تشير لجبل بتلك الصحرا فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع بنصب لا فعال

الثلاثة

42

الثلاثة قال وتفعلين اى ترجعين الي انا اطلقتك قالت نعم فاطلقها والاعرابي نايم لا يشعر بذلك فذهبت وارضعتهما ورجعت فاوثقها وربطها كما كانت فانتبه الاعرابي وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم الك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها من وثاقه فخرجت تجري وهي تقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فالجملة حالية بتقدير مبتدا وقد ذكرنا من روى هذا الحديث وقد صححه ابن حجر لوروده من طرق اخر فلا يلتفت لقول ابن كثير انه لا اصل له لان في سنده مجاهيل واما استاذنه النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك لانه تملكها بالحيازة والاذن في ملك الغير بغير اذنه ممنوع والوا وفي قوله او تفعلين محركة عاطفة على مقدر اى تقولين ذلك لي وترجعين الي او استينافية على القولين في مثله وفي الحديث معجزات ظاهرة ومن هذا الباب اى باب المعجزات باطاعة الحيوانات ما روى قال السيوطي لم اقف على هذا الحديث هكذا واخرج البيهقي انه وقع لسفينة حين ضل عن الجيش بارض الروم الا ان البخاري ذكره في تاريخه كما قاله المص فلا اعتراض عليه من تسخير الاسد اى تذليله وانقياده لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي لقبه سفينة لانه راه في بعض سفاره حاملا لامتعته فقال له انما انت سفينة فاشتهر بذلك واختلف في اسمه فقيل رومان وقيل مهران وقيل طهمان وروى عنه مسلم وغيره من اصحاب السنن وفي الحديث مناسبة اتفاقية لاسمه اذا وجهه الى معاذ بن جبل حال كونه باليمن وهو الاقليم المعروف وسفينة من مولدي العرب وقيل من فارس اشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتقه وقيل ان ام سلمة اعتقته لخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم ارسل معاذ بن جبل لليمن ليجمع الزكاة فلقي الاسد في طريقه فعرفه اى قال له انه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فالهمه الله فهم كلامه وكف عنه فهمهم الهمهمة صوت لا يفهم وقيل صوت فيه بحة وفي الحديث ان سفينة قال لطنبه السلام يعني عليما وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنحى عن الطريق اى تاخر عنه في ناحيته متباعدة عن الطريق اذهابا بخوفه وذكر اى سفينة في منصرفه اى انصرافه ورجوعه من اليمن مثل ذلك اى مثل ما وقع له في ذهابه فيكون لقيه في سفره هذا مرتين وفي رواية اخرى عنه اى عن سفينة وهذه الرواية هي التي رواها البيهقي والبزار وصححها السيوطي في تخريجه ان سفينة تكسرت به في بعض سفراته فخرج الى جزيرة فاذا الاسد اى فاجاه بها اسد لقيه فيها والجزيرة معروفة فقلت للاسد انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل اى طفق وصار يغمزني بسكون الغين المعجمة وكسر الميم وضمها وزاى معجمة واصل الغمز الاشارة بالجفن فتجوز به عن الدفع الخفيف بقرينة قوله بمنكبه بفتح الميم وكسر الكاف وهو راس الذراع وما بين الكتف والعنق حتى اقامني على الطريق اى حتى اتى بي الى الطريق ليعرفه بما يذهب فيه وقال البيهقي قال سفينة وكنت في البحر فانكسرت السفينة فركبت لوحا منها فاخرجني الى اجمة فيها فرايته اقبل لي فقلت يا ابا الحارث انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل نحوي حتى ضربني بمنكبه ثم مشى معي حتى اقامني على الطريق ثم همهم ساعة وضربني بذنبه

نطقته انه يؤدي يعني فكان اخر عهدي به وفيه معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانقيا د الاسد
اذ ذكر اسمه وكرامة لسفينة ايضا رضي الله عنه واخذ عليه الصلاة والسلام باذن شاة
اي امسكها واخذ المتعدي بالبا بمعنى امسك بخلاف اخذه فهو تضمين لقوم من بني عبد القيس اسم قبيلة
مشهورة بين اصبعيه بكسر الهمزة مثنى اصبع معروف وفيه لغات عشر تقدمت ثم خلاها اي نحى اصبعيه
عنها وتركها فصار ذلك اي اخذه باذنها يعني اثره ميسما بكسر الميم اصله موسم فقلبت الواو يا من الوسم
وهو الكي فهو اسم الة الكي من الحديد فاطلقت على العلامة واثرها مجازا كما يطلق على العضو الذي فيه
الاثر كما ورد في الحديث فيها اي الشاة ونسلها بعد بالبنا على الضم اي بعدها او بعد اخذه وعهده
قالوا وهذا الحديث لا يعلم من رواه من المحدثين وما روي عن ابراهيم بن حماد بسنده هذا الحديث رواه
ابن حبان لكنهم قالوا انه ضعيف من كلام الحمار ونطقه له صلى الله عليه وسلم صريحا بمقاله الذي
اصابه بخيبر اي وجده بها لما فتحها وقال له ما اسمك قال يزيد بن شهاب وانه من نسل ستين حمارا
كلها لم يركبها الا نبي وقال له كنت اتوقع ان تركبني اذ لم يبق من نسل جدي غيري ولا من الانبيا غيرك
وكنت ليهودي فكنت اعثر به عمدا فكان يجيعني ويضربني فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا
هو في اكثر النسخ مصروف منون منصوب لانه مفعول سمي وروي غير منون قيل المنع صرفه للعلمية
ووزن الفعل كيعقوب قاله التلمساني اقول فيه نظر لان زيادة الواو فيه اخرجته عن شبه
الفعل والظاهر صرفه ويعقوب لم يمنع صرفه لذلك بل للعلمية والعجمة الا ترى ان يغفر بضم اليا يصرف
لذلك قال في الصحاح الاسود بن يغفر بضم اليا منصرف لانه قد زال عنه شبه الفعل انتهى
وليس في اوزان الفعل يفعول وفي هذه المسيلة كلام في شرح التسهيل واعلم انه صلى الله
عليه وسلم كان له حماران يعفور وعفير وهو الذي رمى نفسه في البير كما سياتي ويقال
هما واحد قال ابن فورك انه كان من مغانم خيبر وقيل ان عفيرا كان اشهب وهو مما اهداه له
المقوقس ملك القبط وكان له حمار اخر اهداه له فروة كان يركبه واخر اعطاه له سعد بن عبادة
وقصة يعفور هذه نقلها السهيلي في الروض الانف عن ابن فورك في كتاب الفصول قال السهيلي
وزاد الحوفي في كتاب الشامل وانه كان يوجهه الى دور اصحابه فيضرب عليهم الباب براسه ويستدعيهم
ومعنى يوجهه يرسله الى جهته ودور جمع دار ويستدعيهم بمعنى يطلب منهم اجابة دعوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا اذا خرجوا لدقه الباب وراوه علموا انه يطلبهم لانه
يكلمهم لكنه يفهم ما امره به النبي صلى الله عليه وسلم بالهام من الله وهو من معجزاته اذ سخر له وفهم
مراده وان النبي صلى الله عليه وسلم لما مات تردى الحمار اي القى نفسه وطرحها في بير كانت بالمدينة
معروفة لابي الهيثم بن التيهان فكانت البير قبره والتردي تفعل من الردى وهو الهلاك وهو مخصوص
بهلاك من القى نفسه يقال تردى من الجبل وفي البير اذا سقط او القى نفسه فيها جزعا وحزنا على فراق
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفقده فمات وكونه صلى الله عليه وسلم كان له حمار وانه
كان يركبه وان ذكره سنة لا كلام فيه وانما الكلام في هذا الحديث فانه رواه ابن حبان بسند
ضعيف فيه من طعن فيه حتى قيل انه كذب موضوع كما قاله ابن الجوزي وغيره وقال بعضهم لا اصل له

ومما ذكر من معجزاته في الجماد والبهايم ونطقها حديث الناقة الذي رواه الطبراني عن زيد بن ثابت
بسند فيه مجاهيل والحاكم عن ابن عمر وقال الذهبي انه موضوع التي شهدت بنطق بين عند النبي صلى الله
عليه وسلم لصاحبها ومالكها الذي قيل انه سرقها فقالت انه ما سرقها وانها ملكه فحكم له صلى الله
عليه وسلم بها لان للقاضي ان يحكم بعلمه او نقول انه من خصايص الانبيا عليهم الصلاة والسلام
والحديث هو ما قال زيد بن ثابت غزونا معه صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بمجمع طرق المدينة
بصرنا باعرابي اخذ بخطام بعير حتى وقف عليه صلى الله عليه وسلم وقال السلام عليك يا نبي الله
فرد عليه السلام فجا رجل وقال انه سرق هذا البعير فرغا البعير وهو منصت له ثم قال للرجل
انصرف فان البعير شهد بانك كاذب الخ وفي العنز اي في حديث العنز الذي اخرجه ابن سعد والبيهقي
وابن عدي عن سعد مولى ابي بكر رضي الله عنه التي اتت رسول الله صفة العنز وفي نسخة النبي صلى الله
عليه وسلم في عسكره حال اي وهو في عسكره وقد اصابهم عطش ونزلوا على غير ما اي في مكان لا ماء
فيه وهم زها ثلثماية اي قريب عددهم تخمينا من ثلاثماية رجل وقد تقدم الكلام على زها ومعناه
وضبطه فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتمل انه على ظاهره وان يكون امر بحلبها والاسناد
مجازي فاروى بلبنها الجند باجمعهم لما ساقهم فشربوا حتى زال ما كان بهم من العطش والري ضده
ومنه اروى والعسكر والجيش والجند بمعنى ففيه تفنن واسناد اروى للنبي صلى الله عليه وسلم
لانه سببه بحلبه وسقيه فهو مجاز ايضا ان لم تقل فاعل اروى ضمير يعود على ما حلبه المفهوم
مما قبله مع ما بعده ثم قال صلى الله عليه وسلم لرافع براء وعين مهملتين بينهما الف وفا بزنة
اسم فاعل من الرفع علم لصاحب كانت تلك العنز عنده وتقدمت ترجمته املكها اي خذها
واتخذها ملكا لك لانها لا صاحب لها اذ وجدت بارض العدو ويحتمل ان يكون معناه
شدها واوثقها من ملاك الامر او ملك العجين ونحوه وما اراك مالكا لها او فاعلا ذلك
وهو بضم الهمزة مبني للمجهول اي لا اظنك تملكها او تحفظها او تربطها وشدها بوثاق ثم ذهب
ورجع فوجدها قد انطلقت اي انحلت من وثاقها ومضت وغابت عنه فالفا فصيحة رواه اي حديث
هذه العنز ابن قانع بقاف ونون وعين مهملة وغيره من الرواه من غير هذا الطريق فقد رواه
البيهقي وابن عدي عن جماعة من الصحابة قالوا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر
وكنا اربعماية فنزلنا في موضع ليس فيه ما فشق ذلك علينا واعلمناه بذلك فجاءت شويهة لها قرنان
وقامت بين يديه صلى الله عليه وسلم فحلبها وشرب حتى روي وسقانا حتى روينا وقال يا رافع
املكها الليلة وما اراك تملكها فاخذتها وتدت لها وتدا ثم قمت في بعض الليل فلم اجدها
فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يسالني فقال يا رافع ذهب بها الذي جا بها وما قيل
من انها ليست من جنس حيوان الدنيا وانما هي ككبش الفدا وانما سماها عنزا لكونها على صورتها لا وجه له
ومثله من خلاف الظاهر يحتاج للرواية والذي وهمه ذلك قوله وفيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لرافع لما اخبره بانطلاقها ان الذي جا بها هو الذي ذهب بها يعني الله او الملك ومن هذا القبيل
ما روي انه عليه الصلاة والسلام قال لفرسه الفرس واحد الخيل يطلق على الذكر والانثى لانه

مونثا سماعي وسمع فرسة وكان له صلى الله عليه وسلم عدة افراس مذكورة في السير باسمائها
ومن اين ملكها ولا داعي لتفصيلها هنا كما ذكره بعضهم وقد قام الى الصلاة في بعض سفاره والفرس
غير مربوط ولم يامر احدا بامساكه بل خاطب الفرس وقال له لا تبرح اي لا تزل من مكانك لنا وقفتك
فيه من البراح وهو المكان الواسع وبرح بمعنى ثبت في مكانه وبمعنى زال وهو نفي معنى فاذا دخل عليه
صار لنفي النفي وهو اثبات كما هنا فمعناه اثبت والزم كما حققه النحاة واهل اللغة بارك الله فيك دعا له
بالبركة وقد تقدم تحقيقها وياتي ايضا مع زيادة حتى نفرغ من صلاتنا ونتمها وهو غاية لثباته
في مكانه وجعله قبلته اي جعله في جهة قبلته ساترا وما نعا لمن يمر بين يديه صلى الله عليه وسلم
وفيه دليل على جواز الاستتار بالحيوان والكلام عليه مفصل في كتب الفقه لا حاجة لذكره
هنا فما حرك الفرس عضوا من اعضايه وهو بضم العين وكسرها وسكون الضاد المعجمة معروف حتى صلى
اي اتم صلاته صلى الله عليه وسلم وفيه معجزة له عليه الصلاة لفهم الحيوان كلامه واطاعته
له وانقياده لعلمه بانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي بعض النسخ هنا زيادة وهي ويلتحق بهذا
المذكور من معجزاته صلى الله عليه وسلم او من كلام الحيوانات لان فهم لغة لم يعرفها كفهم العربي كلام
العجم قريب منه ومشابه له ما روى الواقدي صاحب السير وهو محمد بن عمر بن واقد قاضي العراق وعالمها
وقد قيل فيه انه ضعيف ونسب للوضع وقيل انه مجمع على ضعفه ونازع فيه بعضهم وقال كفى بروايه
الشافعي عنه دليلا على صحة ما رواه وترجمته في الميزان مفصلة وكذا في اول سيرة ابن سيد الناس
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله جمع رسول الى الملوك من العرب والعجم اي ارسلهم لجهتهم
وناحيتهم لما فشى الاسلام وقوي فخرج ستة نفر منهم اي ستة رجال من الرسل والنفر اسم جمع للثلاثة
فما فوقها الا انه يستعمل بمعنى الرجل الواحد كما بيناه في شرح الدرة وقد صرح به الكرماني في شرح البخاري
وهو عربي فصيح ايضا وكان رسالهم في يوم واحد خرجوا من عنده صلى الله عليه وسلم فيه فاصبح
كل واحد منهم يتكلم بلسان القوم الذي بعثه صلى الله عليه وسلم اليهم من غير مضي زمان يحتمل التعلم
فيه وتفصيل الرسل ومن ارسلوا اليه مفصل في السير ايضا وهذا معجزة له صلى الله عليه وسلم
لشمول بركته اليهم والحديث في هذا الباب كثير وتدجينا منه بالمشهور من ذلك وما وقع منه في كتب الايمة
رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم خاتمة مما يلتحق بمعجزاته صلى الله عليه وسلم في الحيوانات والجمادات
ما ذكر في بعض الكتب وشاع في الاقطار ونظمها الشعرا في فصيح الاشعار من انه صلى الله عليه وسلم كان
في بعض الاحيان اذا مشى غاص قدمه في الحجارة بحيث بقي ذلك الى الآن وارتسم فيها مثاله بعينه والناس
تتبرك به وتزوره وتعظمه كما في القدس ونقل منه لمصر في اماكن متعددة حتى قيل ان السلطان
قايتباي اشتراه بعشرين الف دينار واوصى بجعله عند قبره وهو موجود الى الآن وانه صلى الله عليه وسلم
اذا مشى على الرمل احيانا لا يكون لقدمه اثر فيه الا ان هذا لم ينضبط لان هذا امر عدمي لا يعرفه الا من كان
حاضرا ثمة وقد ذكر هذا السبكي في تائيته وغيره وقال الامام القسطلاني في المواهب اللدنية كان
صلى الله عليه وسلم اذا مشى على الصخر غاصت قدماه فيه كما هو مشهور قديما وحديثا على الالسنة
ونطق به الشعرا في قصايدهم النبوية والبلغا في منثورهم مع اعتضاده بوجود اثر قدمي الخليل

عليه الصلاة والسلام في حجر المقام المنوه به في التنزيل في قوله تعالى فيه ايات بينات البالغ تعيينه
وانه اثره مبلغ التواتر وفيه يقول ابو طالب وموطئ ابراهيم في الصخر وطؤه على قدميه حافيا غير ناعل
وبما في البخاري من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام بتاثير ضربه في الحجر ستا او سبعا لما فر بثوبه
حين اغتسل وقد صح ما من معجزة لنبي من الاولين الا ولنبينا صلى الله عليه وسلم مثلها ويؤيده وجود اثر حافر
بغلته صلى الله عليه وسلم في مسجد بطيبة عرف بها الى الان يقال له مسجد البغلة وما ذاك الا من سره
صلى الله عليه وسلم الساري فيها ليكون اوضح في الدلالة على انه اوتي مثل ما اوتي الخليل صلى الله عليه
وسلم على وجه اعلى منه ونقل المجد الشيرازي عن ابن النجار في المغانم المطابة بعد ذكر حافر البغلة
ومسجدها انه في غربي هذا المسجد اثر كانه اثر مرفق يذكر انه صلى الله عليه وسلم اتكى عليه بمرفقه الشريف
فاثر فيه وفي اخر اثر اصابعه انتهى وممن ذكر اثر البغلة السيد السمهودي في تاريخ المدينة وقال
انه مسجد بني ظفر من الاوس شرقي البقيع بطرف الحرة الغربية ويعرف بذلك وذكره ابن النجاري في تاريخه
ايضا لكن قال الشيخ محمد بن يوسف الدمشقي في سيرته ان هذا لا وجود له في شيء من كتب الحديث وممن انكره
الشيخ برهان الدين الناجي وقال السيوطي في فتاويه لم اقف له على اصل ولا سند ولا رايت من خرجه
في شيء من كتب الحديث وتبعه تلميذه العلقمي في شرح الجامع الصغير وزاد انه لم يوجد في شيء من التواريخ
المعتمدة فلا يسوغ نسبته له صلى الله عليه وسلم وقد تعقبه من علماء عصره الشيخ الصالح
المحدث احمد المتبولي شارح الجامع الصغير فقال بعد ما ساق ما قلناه مفصلا وسبحان من لا ينسى
كيف نسي السيوطي وقد قال في خصايصه الصغرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما وطئ على صخرة الا واثر فيه وعزاه للحافظ رزين العبدري انتهى قلت لا سهو ولا نسيان فان
السيوطي رحمه الله لم ينكر هذه المعجزة وانما انكر ما يؤثر بعينه في الاماكن التي ذكروها وكذا
ما قاله صاحب المواهب الا انه نقله السيوطي من قوله ما وطئ صلى الله عليه وسلم على
صخر الا واثر فيه لا ينبغي لان الظاهر انه كان في اول البعثة ككلام الحجر والشجر الذي تقدم واما كونه
لا اثر لقدمه صلى الله عليه وسلم في الرمل فقد رواه ابن سبع والنيسابوري وغيرهما بسند ضعيف
وقال انه صلى الله عليه وسلم الطف خلق الله واخفهم ولذا لم يؤثر مشيه في الرمل ولا ينافيه تاثيره
في الحجارة فانما هو لبقاء اثره وتبكيت حاسديه وانهم اقسى من الحجارة الا انه وقع في الاحيا ما يقتضي
خلافه لانه نقل فيه اثرا فيه ان بعض الصحابة انكر على ابي موسى رضي الله عنه دعاءه على المنبر لعمر رضي الله
عنه اذ لم يذكر ابا بكر رضي الله عنه فقام بين الملا بالمسجد وقال له اين من كان قبله فشكاه لعمر فامر
باشخاصه اليه من البصرة فلما جاءه دق عليه الباب فخرج اليه وقال له ازعجتني من وطني فساله عن سبب
شكايته امره منه فقص عليه القصة فبكى رضي الله عنه وقال والله ليوم وليلة لابي بكر
رضي الله عنه خير من خلافتي يعني باليوم لما قام على المنبر خطيبا يوم مات النبي صلى الله عليه
وسلم وبالليلة ليلة ذهابه معه الى الغار فكان يمشي تارة خلفه وتارة امامه وتارة يحمله
يقصد بذلك اخفا اثر اقدامه في الرمل حتى لا يشعر به من يقص اثره قلت وكان هذا هو مستند ابن خلدون
في مقدمة تاريخه اذ ذكر فيها ان الدعا للسلاطين في الخطبة سنة وان كان الزركشي قال في كتاب

احكام المساجد انه بدعة لا ينبغي تركها لخوف الفتنة فاعرفه فانه من الفوايد النفيسة الجليلة
فصل في معجزاته صلى الله عليه وسلم في احيا الموتى وكلامهم له صلى الله عليه وسلم والاحيا
مصدر مضاف لمفعوله وفاعله الله او النبي صلى الله عليه وسلم لانه سببه وان كان الفاعل
الحقيقي هو الله وهو اعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم ولذا قال في البردة لو ناسبت قدره
اياته عظما أحيى اسمه حين يدعى دارس الرمم وقد تكلم الناس في معنى هذا البيت واورد
عليه ان من جملة معجزاته صلى الله عليه وسلم القران وقد قال صلى الله عليه وسلم اية من كتاب الله
خير من محمد وال محمد فكيف لا يكون في معجزاته ما يناسب مقداره في الشرف واجيب بان المراد بمعجزاته
ما احدثه الله على يديه والقران صفة لله قديمة ومعناه انه لا يعد شي من معجزاته عظيما بالنسبة
اليه الا ان يكون منها ان كل احد لو دعا باسمه وتوسل به في احيا الموتى وقع له ذلك بان يقول اللهم
اني اسالك بمحمد صلى الله عليه وسلم ان تحيي صاحب هذا القبر وليس عطف الكلام من عطف
الخاص على العام كما توهم وكلام الصبيان الذين في المهد لم يصلوا لسن يتكلم فيه مثلهم ولذا
عطف على كلام الموتى لانه ليس من شانهم الكلام واخره لانهم احيا من شانهم الكلام فهو دونه
مرتبة والمراضع جمع مرضع اسم مفعول وهو الولد الصغير على القياس وليس جمع راضع على خلاف
القياس كما قيل وليس جمع مرضع بكسر الضاد وهو الامراة ليس فيه خرق للعادة ولا مرضعة بالفتح
بمعنى بنت صغيرة ترضع وانا لا احسن ان يقول الاطفال لانه عطف تفسير للصبيان بمعنى من ابتدى
رضاعه والاطفال كالصبيان لا تودي مؤداه الذي قصده وشهادتهم له صلى الله عليه وسلم
بالنبوة اي قولهم في المهد انك نبي الله ورسوله وعطفه على كلام الصبيان من عطف الخاص على العام
ثم شرع في اثبات ما ذكره بحديث اورده ابو داود مسندا عن ابي هريرة رضي الله عنه فقال حدثنا
ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه اي المتبحر في معرفة الاحكام الشرعية الفرعية وقيل المراد به
العالم بالعلوم الشرعية مطلقا بقراتي عليه والقاضي ابو الوليد محمد بن رشد علم منقول من ضد الغي
وهو محمد بن احمد ابن احمد بن رشد الامام في كل فن الجليل قاضي قرطبة تولى قضاها بعد ابي القاسم بن حمدين
سنة احدى عشرة وخمسماية ثم عزل سنة اربع عشرة وولي ابو القاسم وذلك في سلطنة يوسف بن
تاشفين والقاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي الذي تقدمت ترجمته وغير واحد سماعا واذنا يعني انه
سمع منهم واذنوا له في الرواية عنهم قالوا اثنا ابو علي الحافظ الغساني الذي تقدم قال حدثنا ابو عمر الحافظ
هو ابن عبد البر الامام المشهور كما تقدم قال ثنا ابو زيد عبد الرحمن بن يحيى بن محمد المعروف بابن العطار
قال ثنا احمد بن سعيد تقدمت ترجمته قال ثنا ابن الاعرابي تقدم قال ثنا ابو داود الامام صاحب السنن
قال ثنا وهب بن بقية الواسطي ابو محمد يقال له وهبان توفي سنة تسع وثلاثين ومايتين وروى له
مسلم وابو داود والنساي عن خالد هو الطحان هو خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد المعروف
بالطحان كان من الزهاد الصالحين يقال انه اشترى نفسه من الله ثلاث مرات فتصدق بوزنه فضة
توفي سنة تسع وتسعين ومايه وولد سنة عشر ومايه واخرج له اصحاب الكتب الستة عن محمد بن
عمرو بن علقمة وله ترجمة في الميزان عن ابي سلمة احد الفقها السبعة كما تقدم عن ابي هريرة رضي الله

عنه

عنه ان يهودية من يهود خيبر اسمها زينب بنت الحارث امراة سلام بن مشكم صاحب الكنز وهو من بني
النضير وقيل انها زينب اخت عبد الله بن سلام اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة
مصلية اي مشوية من صلاه بالنار اذا سواه واصلها مصلوية فقلبت الواو يا وادغمت وكسر ما قبلها
سمتها اي وضعت فيها السم يقال سممته وهو خطا كما قال السراج الوراق رحمه الله زرقت بنتا ليتها
لم تكن في ليلة كالدهر قضيتها فقيل ما سميتها قلت لو تمكنت منها كنت سممتها وقد يقال
اصله سممتها بثلاث ميمات ابدلت الثالثة يا على القياس فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم
منها واكل القوم الذين كانوا معه من الصحابة رضي الله عنهم اي شرعوا في الاكل فقال صلى الله عليه وسلم
ارفعوا ايديكم اي كفوها عن الاخذ منها للاكل وابعدوا ايديكم عنها واصل الرفع الاعلا فكني به عما ذكر
وشاع حتى صار حقيقة فيه فانها اخبرتني انها مسمومة وهو محل الشاهد لانها كلمته صلى الله عليه
وسلم وهي ميتة بكلام لم يسمعه غيره ولو شا الله لاسمعهم كلامها فمات بشر بن البرا بفتح البا
الموحدة والرا والمد ابن معرور بسكون العين المهملة وفتحها خطا وهو صحابي خزرجي شهد العقبة
وبدرا قيل انه مات في الحال وقيل لم يزل مريضا حتى مات بعد سنة وقال صلى الله عليه وسلم
لليهودية ما حملك على ما صنعت من السم ووضعه حتى حصل منه ما حصل وهو مجاز مشهور
من الحمل المشهور من قوله حمله كذا وحمله عليه اذا كلفه قال تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم
يحملوها اي كلفوا ان يقوموا بحقها فلم يفعلوا فالمعنى ما دعاك بصنعك هذا قالت الداعي اني
اردت معرفة حالك واختبارك ان كنت نبيا لم يضرك ما وفي نسخة الذي صنعت من وضع
السم واكلك له وان كنت ملكا بكسر اللام اي سلطانا ارحت الناس منك بموتك فلما لم يضره
السم ضررا يظهر لغيره علم بذلك انه نبي وهذه معجزة له صلى الله عليه وسلم لان الله عصمه
من اذى الناس ولم يمكن احدا من قتله صلى الله عليه وسلم باي طريق كان وانما احتجم بعده كما روي
هنا بيانا لاستحباب المداواة وتعليما للامة ولذا لم تخبره الشاة قبل الاكل ولينال رتبة
الشهادة العظمى من غير اهانة له صلى الله عليه وسلم واختلف في السم هل كان في الشاة كلها
وفي الذراع زيادة على غيره لانها سالت ما احب منها اليه فقالوا الذراع او كان في الذراعين فقط لذلك
ذهب الى كل منهما ناس وانما سالها صلى الله عليه وسلم لتقرر فيتبين القصة ولانه كان بينه
وبين اليهود عهد وهذا نقض له قال ابو هريرة راوي الحديث كما ذكره البيهقي وان كان رواه مرسلا
في محل اخر فامر بها اي بقتلها فقتلت وقد روي هذا الحديث اي حديث ابي هريرة رضي الله عنه من طريق
اخر في الصحيحين عن انس بن مالك وفيه اي فيما رواه انس قالت اردت قتلك ان لم تكن نبيا كما مر
فقال لها ما كان الله ليسلطك مني التسليط والسلاطة وهي التمكن من القهر والاذية كما قال الله
تعالى ولو شا الله لسلطهم عليكم على ذلك اي القتل وروي على مشددا بجريا المتكلم والكاف
مكسورة لان الخطاب لمؤنث كما قاله التلمساني فقالوا انقتلها وفي نسخة نقتلها بتقدير همزة الاستفهام
وفي اخرى الا نقتلها قال لا تقتلوها ولعل هذا قبل موت بشر بن البرا وبهذا يجمع بين هذه الرواية وبين رواية
ابي هريرة انه قتلها وبه يجاب عما قيل انه مشكل لانه كيف يعفى عنها مع قتلها لبشر بن البرا الا ان يقال

ان البرا عفى عنها او على انه لا يقتل بالسم وانما يستحق الدية على ما فصل فى كتب الفقه وكذلك روى البنا
للبيهوى دوى هذا الحديث عن ابى هريرة من رواية عمرا بن وهب بن بقية شيخ ابى داود انه روى وقال لما عرض لها
عرض بفتحتين بمعنى تعرض المشدد اى تركها ورواه ايضا جابر بن عبد الله كما فى سنن ابى داود والبيهقى
وفيه اى فيما رواه جابر اخبرتنى به اى بالسم الذى فيها هذه الذراع اى ذراع الشاة وهو مونث سماعى
ولذا قال هذه وكذا الفخذ الاتى مونث قال جابر رضى الله عنه ولم يعاقبها اى لم يقتلها وفى بعض النسخ
وفى رواية الحسن البصرى ان فخذها هو بفتح الفا وكسر الخا وسكونها ما فوق الساق كلمتنى اى قالت لى انها
اى الشاة مسمومة لان السم عمها او فخذ ذراعها فقط كما مر وهذا لا ينافى ما مر من ان الذراع كلمته لانه لا مانع
من ان تكلمه الذراع والفخذ معا ويكون عود الضمير للفخذ بنا على احد الوجهين وفى رواية ابى سلمة بن عبد
الرحمن قالت انى مسمومة وكذلك اى مثل هذه الرواية ذكر الخبر السابق ابن اسحاق فى سيرته وقال
فيه فتجاوز عنها اى عفى عنها ولم يقتلها فى اول الامر لما مات بشر بن البرا قتلها به كما مر فى الجمع بين
الروايتين ولم يقتلها بسببه اما لانه لا يوجب القتل ولامر اخر اه وفى الحديث الاخر الذى رواه
الشيخان عن انس انه قال فما زلت اعرفها اى عرف الفعلة التى فعلتها اليهودية فى لهوات رسول الله صلى الله
عليه وسلم بفتح اللام والها والواو جمع لهاه بوزن فتاه وهى لحمة فى اقصى سقف الفم تنطبق على اخر اللسان
واول الحلق وهى لا ترى الا اذا فتح الفم انفتاحا تاما فكانه يريد بها الفم بالاطلاق الجزء على الاقل كما فى قوله
اللهى تفتح اللها فكان لها اثر فى ظاهر فمه من بثر ونحوها لان الاطلاع على حقيقتها بعيد وقيل المراد
انها اثرت فى صوته تاثيرا قليلا يظهر لمن تامله فاراد باللهاة الصوت ولا يخفى ما فيه والحديث
فى البخارى وفيه كلام فى شروحه والحاصل انهم اختلفوا فى قتلها كما مر وعن ابن شهاب انها اسلمت
فتركها لاسلامها وفى الروض لانفه انه تركها اولا لانه كان لا ينتقم لنفسه فلما مات بشر
قتلها قصاصا به الا ان فيه ان فقهها والشافعى قالوا ان من قدم لضيفه طعاما مسموما فاكل
منه وهو لا يعلم فمات لا يجب القصاص ولذا قيل انما قتلها سياسة او لنقض العهد والقصاص
تجب فيه المماثلة والذى فى البخارى ان اليهود سموها لا انها منه لانه كان بامرهم واتفاق منهم وفى حديث
عن ابى هريرة الذى رواه عنه ابن سعد بسند صحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى وجعه
يعنى فى مرضه نعرهنه بلازمه الذى مات فيه اى مات متلبسا به او فى زمنه وروى منه بدل فيه
ما زالت اكلة بضم فسكون وهى ما يوكل كالغرفة لما يغرف لان فعلة بالفتح المرة وبالكسر الهيئة
وبالضم للمقدار كما قاله النحاة خيبر بمنع الصرف بلدة على اميال من المدينة اهلها يهود تعادنى
بضم المثناة الفوقية وفتح العين المهملة والف ودال مهملة مشددة ونون الوقاية وضمير
المتكلم اى تعود المرة بعد مرة اخرى فى اوقات معلومة من العداد وهو كما قال ابن الاثير ما ياتى
لوقت كالحمى والسم وقال السهيلى تعادنى بمعنى تعتادنى وقيل ما يهيج بعد سنة من الم لدغ
ونحوه وليس المراد بالالم نقص فى الذوق لانه لا يعد مثله الما وما قيل من ان المراد ما ذكر به
فى المحسوس لا وجه له مع انه ينافى قوله فالان مبنى على الفتح ولا يستعمل بغير ال وهو لازم من الحاضر
او ان قطعت اى الاكلة بسمها وتانيثه الابهر بهمزة مفتوحة وموحدة وها وراء مهملة بزنة

افعل

افعل التفضيل وهو عرق كبير متصل بالقلب وداخله وهما ابهران وقيل هو الوريد وهو اذا انقطع
يموت صاحبه وقيل انه الاكحل وموته بهذا السم لا ينافى قوله تعالى والله يعصمك الخ لان الاية
قيل نزول هذه الاية بل لان المراد عصمته صلى الله عليه وسلم من قتلهم له بسيف ونحوه مجاهرة
بحيث يظهر غلبة فيه وهذا مع انه سم ساعة لم يظهر فيه صلى الله عليه وسلم حتى عد من معجزاته خفا
اثره وانما قدر الله تاثيره فيه بعد زمان ليرزقه الشهادة وهذا مما لا دخل للمخلوق فيه ومرضه الذى
مات منه صلى الله عليه وسلم كان حمى مع صداع وروى ابو يعلى بسند ضعيف انه ذات الجنب واورد
عليه انه صلى الله عليه وسلم لُدّ بقسط وزيت فلما افاق صلى الله عليه وسلم قال كنتم ترون ان بى ذات
الجنب ما كان الله ليجعلها على سلطانا والله لا يبقى احد فى البيت الا لد ففعلوه واللدود دواء ذات
الجنب وقد ورد ان ذات الجنب من الشيطان واجيب بان ذات الجنب قسمان ورم حار يكون فى مستبطن
الحشا وهو المنفى واخر يكون بين الاضلاع وهو المروى فى الحديث المذكور والحمى المذكورة انما كانت بسبب
ذلك السم وحكى ابن اسحاق ان بكسر الهمزة وتخفيف النون الساكنة المخففة من الثقيلة واسمها مقدر
اصله انهم كان المسلمون ليرون بفتح اللام وهى لام الابتدا او يرون بضم اليا المثناة التحتية اى يجوزون
ويجوز فتحها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا بسم الشاة ليكرمه الله بنيل
الشهادة مع ما اكرمه الله من النبوة وقال ابن سحنون بضم السين وفتحها ومنع الصرف وهو محمد
بن عبد السلام المالكى الامام المشهور عمدة مذهب مالك كما تقدم اجمع اهل الحديث ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التى سمته كما مر فى بعض الروايات مع ما فيه ودعواه الاجماع
مع هذا غير مسلمة منه وكون الرواية الاخرى ما قلة عنده كما مر لا نصفى كونه واليه اشار المص
بقوله وقد ذكرنا اختلاف الروايات فى ذلك الدال على خلاف ما قاله ابن سحنون عن ابى هريرة
وانس وجابر وغيرهم من الصحابة فمع ذلك كيف تصح دعوى الاجماع وما ذكر فى الحديث الذى
الذى قبل هذا من كون اثار السم تشاهد فى لهواته من تتمة القصة فلا ينافى كون الفصل معقودا
لاحيا الموتى كما توهم وكذا ما ذكر فى هذا الحديث وفى رواية ابن عباس التى رواها ابن سعد
انه صلى الله عليه وسلم دفعها اى سلم المراة التى سمته لاوليا بشر بن البراء يعنى ورثته
الذين لهم دعوى القصاص وكذلك اى مثل ما اختلف فى قتل من سمه وحكمه قد اختلف
فى قتل من سحره وفى نسخة الذى سحره وهو رجل يهودى من بنى زريق يقال له لبيد ابن الاعصم كما صرح
بعد سحره صلى الله عليه وسلم حتى كان يخيل له انه يفعل الشى وما يفعله ثم شفاه الله منه
كما سياتى الكلام على قصته فى كلام المص وقال الواقدى وعفوه عنه اى الساحر اثبت اى اقوى
واصح واصل معناه اشد ثبوتا ولزوما فاستعير لما ذكر عندنا معاشر اهل السنة وروى عنه انه قتله
وفى الوفا عن زيد بن ارقم قال سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يهودى فاشتكى لذلك ايام فاتاه
جبريل عليه الصلاة والسلام فقال ان رجلا من اليهود سحرك فعقد لك عقدا فى بير كذا وكذا فارسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فاستخرجها وجا بها وحلها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة
فقام كانما نشط من عقال فما ذكر لذلك اليهودى ولا راه فى وجهه قط وقال الثعلبى انهم قالوا له

صلى الله عليه وسلم اما تاخذ الخبيث فتقتله فقال اما انا فقد شفاني الله واكره ان اثير على الناس
منه شرا بسببي وقتل الساحر ذكره الفقهاء مفصلا في الفروع وفي السحر وجواز تعلمه كلام مشهور دبنياه في غير
هذا المحل وروى الحديث اي حديث الشاة المسمومة السابق لا حديث السحر كما توهم البزار عن ابي سعيد
الخدري فذكر مثله الا انه قال في اخره فبسط يده ومدها صلى الله عليه وسلم ليتناول من لحمها وقال
لمن عنده من الصحابة كلوا متبركين بسم الله فاكلنا فلم يضر منا احدا وهو مصادم لحديث البراء الصحيح
الذي تقدم وقال السيوطي نقلا عن الشيخ ابن حجر ان هذا الحديث منكر قال القاضي ابو الفضل عياض
مصنف هذا الكتاب رضي الله عنه وقد خرج حديث الشاة المسمومة اهل الصحيح الذين اعتنوا بتصحيح
الحديث وروايته وخرجه الائمة في كتبهم كاصحاب السنن وهو حديث مشهور بين المحدثين واختلف ائمة
النظر من المتكلمين وغيرهم من نقاد الحديث في هذا الباب اي باب خلق الله الكلام في اجسام غير ناطقة
ثم بين وجه اختلافهم بقوله فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله في الشاة الميتة بالتشديد والتخفيف
او الحجر او الشجر ولما كان الكلام يطلق عند المتكلمين على اللفظي والنفسي بالاشتراك او بالحقيقة
في الاول والمجاز في الثاني او بالعكس اشار الى ان المراد الاول بقوله وحروف واصوات اي هواء يخرج من الجسم
متكيف بكيفية مخصوصة ومجموعها هو الحروف ذات المخارج المحققة وهو معطوف على قوله
كلام يحدثها اي يوجد تلك الحروف والاصوات فيها اي في تلك الاجسام بلا حياة مخلوقة
فيها لعدم توقفها عليها ويسمعها بضم التحتية اي يجعلها مدركة بالسمع لمن خلقه الاحيا منها
اي من تلك الاجسام لا من الاصوات والحروف كما قيل دون تغيير اشكالها جمع شكل بفتح فسكون
وهو الصورة والهيئة ومنه المشاكلة قال تعالى واخر من شكله ازواج اي هو مثله في الهيئة
ومنه قولهم الناس اشكال والاف وهو من الشكل بمعنى تقييد الدابة كما قاله الراغب فعطف له
ونقلها من هياتها اي نقلها من هياتها الاصلية الحيية اخرى لذوات الارواح والنطق وهو
اي عدم لزوم ما ذكر مذهب الشيخ ابي الحسن الاشعري امام اهل السنة والقاضي ابي بكر
الباقلاني فعندهما الحياة ليست بشرط لخلق الكلام في الاجسام وقوم اخرون من اهل السنة
ذهبوا الى اشتراط ذلك والى ايجاد الحياة بها اولا قبل نطقها وصدور الكلام منها ثم الكلام
بعده اي بعد ايجاد الحياة بها وحكي هذا ايضا عن شيخنا ابي الحسن الاشعري كما حكي القول الاول
عنه فله قولان في هذه المسئلة والضمير لاهل السنة المعلوم من السياق والشيخ هو المسن
وشاع بمعنى الاستاذ كما مر ولا يلزم ان يكون المصدر دركه وتلمذ له كما لا يخفى في مثله وكل من القولين
محتمل اسم مفعول اي جائز عقلا فيحتمل فيما صدر عنه النطق ان يخلق الله فيه حياة وان ينطقه
بدونها ولا تناقض على ما قررناه في كلام الشيخ حتى يحتاج لحمل احد قوليه على الكلام النفسي
لاستلزامه الحياة كاستلزام العلم والاخر على اللفظي لعدم استلزام خلقه في محل خلقها
فيه ومثل هذا لا يلتفت له حتى يسود به وجه الصحف كما لا يخفى اذا لم تجعل الحياة شرطا لوجود
الحروف والاصوات وحينئذ يحتمل انه تعالى خلق فيها حياة ويحتمل انه انطقها بدون ذلك اذ لا
يشترط وجوده ولا عدمه اذ لا يستحيل ويمتنع عقلا وجودها اي الحروف والاصوات مع عدم

الحياة

للحياة بمجردها اي وحدها من غير جارحة وحياة ونحوها فاما اذا كانت اي الحروف والاصوات
او هذه العبارة التي هي الكلام فالتانيث لمراعاة الخبر في قوله عبارة اي معبرا بها والظاهر الثاني
عن الكلام النفسي الذي يعبر به عندهم وتحقيق الكلام النفسي والفرق بينه وبين العلم فيه
كلام طويل في علم الكلام يضيق طوق المقام عنه فلا بد من شرط الحياة لها لانها العلم او مستلزمة له
وعلى كل حال فلا بد من الحياة فيها اذ لا يوجد كلام النفس الا من حي اذ لا بد له من نفس مقوم والنفس
لا تكون الا ذات حياة واما الكلام اللفظي فلا يشترط فيه ذلك خلافا للجبائي بضم الجيم وفتح
البا الموحدة المشددة والمد وياء نسبته الى الجبا قرية بالسواد وهو ابو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام
مخفف اللام بن خالد بن حمدان بن ابان مولى عثمان بن عفان البصري رئيس المعتزلة مات سنة ثلاث
وثلثماية من بين ساير متكلمي الفرق فرق اهل السنة والمعتزلة فانه تفرد في احالته وجود الكلام
اللفظي اي عده محالا عقلا وعادة والحروف والاصوات الا من حي مركب قايم بحسب الصورة على
تركيب من يصح منه النطق بالحروف والاصوات بان يكون جسما له الة نطق وجوف ثم لما ورد عليه
ما تواتر من نطق غيره لدفعا له نلتزمه واليه اشار بقوله والتزم ذلك اي وجود التركيب المذكور
في الحصا بمهملتين جمع حصاة والجذع والذراع الذي نطق له صلى الله عليه وسلم لتواتره وقال
ان الله خلق فيها حياة وخرق لها فما اي ابدعه وميزه عن غيره من الاعضا كما خرق سمعه وشقه اذا ابرزه
وصوره ولسانا واله للكلام امكنها اقدرها وجعلها متمكنة بها من الكلام والنطق وهذا اي
المذكور من الالة والاعضا دعوى بلا بينة اذ لو كان اي ما ادعاه وقع في الخارج لكان نقله اي وجد
نقله وسمع فكان فيهما ناقله والتهمم به تفعل من الهم اي الاهتمام والاعتناء به اكد بالمد او كذا بالواو
بعناه اي اقوى واشد من التهمم بنقل تسبيحه اي تسبيح الحصا وحنينه اي الجذع كما تقدم والامر بالعكس
فانه نقل تسبيحه وحنينه ونطقه نقلا شايعا ولم ينقل انه روي له فم ولا لسان فما ذكره مكابرة في
المحسوسات ودعوى شهد الحس بخلافها ولم ينقل احد من اهل السير اي رواة الحديث والسير النبوية
والروايات وفي نسخة الرواية شيا من ذلك المذكور الذي ادعاه فدل عدم نقلهم على سقوط دعواه
اي بطلانها مع انه لا ضرورة داعية اليه في النظر والفكر في الامور المعقولة واما كون الله خلق ذلك
واخفاه فلو هي من دعواه والله الموفق للصواب وروى وكيع بفتح الواو والكاف المكسورة هو ابو سفيان
بن الجراح بن مليح بن عدي الرواسي رفعه اي رواه مرفوعا له صلى الله عليه وسلم بعد ما كان ابكم وذكر
هذا في الفصل الذي بعده اظهر وان كان هنا بتنزيل الابكم منزلة الميت والجماد لعدم القدرة على النطق
وروى عن معرض بن معيقب بميم مضمومة وعين مهملة فيهما وضاد معجمة بزنة اسم الفاعل وقيل
الرا المكسورة مشددة وروى معيقيب بيا ومثل معيقل بلام رايت من النبي صلى الله عليه وسلم
عجبا اي امرا عجيبا وقع عنده وهو انه جي بالبنا للمجهول اي جا اليه بعضهم بصبي يوم ولد
مجهول ايضا فذكر رايه وهو معرض مثله اي مثل ما مر من انه قال له صلى الله عليه وسلم من انا
فقال له انت رسول الله وهو معروف في معجزاته بانه حديث مبارك اليمامة وفي نسخة وكان
يسمى اي ذلك المولود مبارك اليمامة لقوله صلى الله عليه وسلم له بارك الله فيك واليمامة

على الارض باليمن منقول من اسم طاير وهذا موخر في النسخ كما سياتي ويعرف ذلك الحديث بحديث
شاصونة بشين معجمة والف وصاد مهملة وواو ساكنة يليها نون وها وهو اسم راوية اي الراوي
هذا الحديث وبيانه ما قاله السيوطي في خصايصه الكبرى قال الخطيب اخبرني علي بن احمد الرزاز
قال حدثنا ابو عمر محمد بن عبد الواحد ابن ابي هاشم املاء قال حدثنا محمد بن يونس بن موسى الكديمي
املاء قال حدثنا شاصونة بن عبيد ابو محمد اليمامي منصرفنا من عدن سنة عشر ومايتين بقرية يقال لها
الجردة قال حدثنا معرض بن عبد الله اليماني بن ابيه عن جده قال حججت حجة الوداع فدخلت مكة فرايت
فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه مثل دارة القمر وسمعت منه عجبا جاءه رجل من اهل اليمامة
بغلام يوم ولد وقد لفه في خرقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا غلام من انا فقال
انت رسول الله قال صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم حتى شب قال ابي فكنا نسميه مبارك
اليمامة قال شاصونة سمعت هذا الحديث منه منذ ثمانين سنة ولم اسمع منه الا هذا الحديث
قال الدارقطني كان الكديمي يتهم بوضع الحديث ومما تكلم به فيه حديث شاصونة وقيل انه حدث به ثم لم يحدث
بعد فلما بلغه ذلك قال عقدت بيني وبينه عقدة لا احلها الا بين يدي الجبار فانتهى اليه الخبر فكان
لا يذكره الا بخير وقال الخطيب ان الكديمي لما املى هذا الحديث استعظمه الناس وقالوا انه كذاب
الا انه قد وقع الينا من غير طريق الكديمي ثم ساقه بسنده الخ قال السيوطي فقد وقع روايته من طرق فهو
حديث حسن وسبب انكاره انه من الامور الخارقة للعادة وقد وقع في حجة الوداع مع كثرة الناس
فكان حقه ان يشتهر انتهى باختصار فقول بعض الشراح تبعا لابن دحية انه موضوع غير مسلم وتبعه
السيوطي هنا من غير تعقب له فبين كلاميه تناف وفيه اي في هذا الحديث فقال النبي صلى الله عليه وسلم
له اي للصبي حين تكلم صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعد مبني على الضم اي بعد ذلك
الكلام حتى شب اي كبر ووصل سن النطق فكان يسمى مبارك اليمامة لدعا النبي صلى الله عليه
وسلم له بالبركة وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع بفتح الواو وكسرها سميت بها لانها اخر
حجة صلى الله عليه وسلم وقد ذكر فيها ما يشعر بقرب اجله وانه يودع فيها امته وعن الحسن
البصري وقد قدمنا ترجمته وهذا الحديث لم يخرجه السيوطي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فذكر انه طرح بنية له تصغير بنت في وادي كذا لم يعينه راويه اي رماها ثمة فماتت وقيل انه وادها
على عادة الجاهلية فانطلق اي مشى النبي صلى الله عليه وسلم معه الى الوادي الذي ذكره له
وناداها اي نادى النبي صلى الله عليه وسلم بنت ذلك الرجل باسمها يا فلانة احيي باذن الله تعالى
اي بارادة الله تعالى وقدرته والاذن يتجوز به عما ذكر تجوزا مشهورا فخرجت حينه من قبرها وهي تقول
لبيك وسعديك اي اجابة لك بعد اجابة واسعادا بعد اسعاد ومعناه سرعة الاجابة والانقياد
ولا يستعمل الا مثنى والكلام عليه مشهور في كتب النحو كما تقدم فقال لها لما اجابته ان ابويك
قد اسلما فان احببت ان اردك عليهما بعد استقرار الحياة فيك رددتك عليهما قالت لا حاجة لي
فيهما ولا اريد الرجوع اليهما وجدت الله وما عنده من الخير خيرا لي منهما ومما عندهما وفيه دليل
ان صح الحديث على ان اطفال الكفار غير معذبين وهو الاصح وفيه من المعجزات احيا الموتى وكلامهم

ونطق

ونطق الطفل الصغير ايضا وقد نطق في المهد جماعة منهم من ذكر في هذه الاحاديث وسياتي تمامه
48 واعلم ان من تكلم في المهد من الاطفال كثير عدوا منهم عيسى بن مريم وصاحب الاخدود وابن ماشطة
فرعون وصاحب جريج وشاهد يوسف وشاهد الامة والجبار وما ذكره المص وقد نظمهم
السيوطي في قوله تكلم في المهد النبي محمد ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبري جريج ثم شاهد يوسف وطفل لدى الاخدود راويه مسلم وطفل عليه مر بالامة التي
يقال لها تزني ولا تتكلم وماشطة في عهد فرعون طفلها وفي زمن الهادي المبارك يختم
وقد تقدمت الاشارة الى ذلك ايضا وعن انس في حديث رواه البيهقي وابن عدي مسندا
ان شابا من الانصار توفي وامه عجوز عميا وهذا مما يدل على شدة حزنها لكبر سنها وعجزها المحوج
لولدها فسجيناه بالسين المهملة والجيم اي غطيناه من قولهم سجا الليل اذا ستر بظلمته الارض
او كفناه وعزيناها اي صبرناها وسليناها بذكر ما لها من الاجر ونحوه كما هو معلوم والتعزية
تسلية اهل الميت عنه وهي سنة معروفة فقالت لهم لما عزوها امات ابني فيه استفهام مقدر
اي امات ابني وانما قالته اما لانها لم تعلم او لتتذكر ما بعده او لذهولها بالمصيبة قلنا نعم فقالت
اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت الهجرة الانتقال من بلد الى اخر وهذا لا ينافي كونها من الانصار لانها
قد تسكن في مكان بعيد هاجرت منه اليك والى نبيك الهجرة الى الله بالهجرة لرسوله صلى الله عليه
وسلم بالاقبال الله معها انما كانت رجاء ان يعينني بالغوث فيه خطاب لله لانه هو المعين على كل شدة
الشدة بمعنى الصعوبة هنا اي على كل امر شاق يصعب علي ويعسر تحمله لا سيما فقد الولد مع كبر السن
وعدم البصر وعلقته بان المشعرة بعدم الجزم باعتبار ان خلوصها في هجرتها لله ورسوله مما
يخفى على غيرها ومن شانه ان يشك فيه لا لانها لا تعلم ذلك لانه ينافي توسلها به الى الله او باعتبار
القبول وتجاهلا رجاء للاجابة ورجاء منصوب مفعول له فلا تحملن بالحاء المهملة وتشديد الميم
ونون التوكيد بمعنى لا تكلفني لان التكليف كالحمل الثقيل فاستعير له كقوله تعالى لا تحملنا ما لا
طاقة لنا به على يجري المتكلم هذه المصيبة يعني موت ولدها في هذه الحالة فما برحنا اي ما ذهبنا
من مكاننا الذي كنا فيه حتى كشف ولدها الثوب عن وجهه بعد ما غطي به فطعم وطعمنا اي
قدم لنا طعام فاكل منه ولدها واكلنا معه وذكروا انه عاش الى وفاة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقيل بقي بعده كما ذكره ابن ابي الصيف وفيه معجزة حيث انه احيى الميت للدعا
باسم النبي صلى الله عليه وسلم فلا يقال ان هذا كرامة لام الصبي وروى الراوي له البيهقي رحمه الله
عن عبد الله بن عبيد الله الانصاري بتصغير الثاني كنت فيمن دفن ثابت بن قيس اي حضر دفنه وهو
ابن مالك بن زهير بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الانصاري المدني الصحابي
وكان خطيب الانصار وشهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة وكان قتل باليمامة وروى له
البخاري والنساي وابو داود وكان جهوري الصوت فلما نزل يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي احتبس عن الحضور عنده لانه كان يرفع صوته اذا تكلم فسيل عن سبب
ذلك فقال لقد علمتم اني ارفعكم صوتا على رسول الله فاخشى ان اكون من اهل النار فذكر

ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل هو من اهل الجنة وقال التلمسانى انه كان باذنه
صمم فلذا كان يرفع صوته وفيه ان الاصم لا يحتاج لرفع صوته وقد قال ابن حجر ان الصحابة لم يكن
فيهم اصم وكانت وقعة اليمامة فى ربيع الاول سنة اثنى عشرة فى خلافة الصديق واليمامة اسم بلدة
من جانب اليمن كما مر وهى بلدة مسيلمة الكذاب وهى ستة عشر مرحلة من المدينة وقد قالوا انه اوصى
بعد موته ونفذت وصيته ولم تنفذ وصية احد بعد موته الا هو وذلك انه لما قتل كان له
درعان فسرقت احداهما وجعلت تحت قدر وكانت انفس درعيه فراى رجل ثابتا فى منامه فقال
اوصيك بوصية فاياك ان تقول انها حلم فتضيعها انى قتلت امس فمر بى رجل فاخذ درعى ومنزله
فى اقصى الناس وعند خبائه فرس يستن فى طوله وقد كفى على الدرع برمة وفوق البرمة رحل فات
خالدا يعنى اميرهم فمره فليأخذها واذا قدمت المدينة فقل لابى بكر ان علىّ دينا للناس مقداره كذا
والدائن فلان وفلانٌ وان رقيقى فلان تاخر فاتى الرجل خالدا فاخبره فبعث الى من عنده الدرع
فوجدها كما وصف واخبر ابو بكر بوصيته فاجازها فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول اى سمعنا
كلامه ففيه مضاف مقدر والضمير مفعول الاول وقوله يقول الثانى على ما ذهب اليه ابو على
الفارسى من ان سمع اذا تعدى لغير مسموع نصب مفعولين وغيره يقول انه متعد لواحد مقدر
والجملة حالية او مستانفة وقد خطا ابن السيد ابا على فى هذه المسئلة فى كتاب الحلل كما
فصلناه فى غير هذا المحل ولجينا عنه محمد رسول الله ابو بكر الصديق مبتدا وخبر اى الكامل
فى التصديق والصدق لانه لم يرتب فى تصديقه صلى الله عليه وسلم وقد سبق الناس فى ذلك
فلذا خص بالصديقية وسيأتى تحقيقها عمر الشهيد اى المخصوص بالشهادة الكاملة من بين
الخلفا لان قاتله كافر مجوسى وهو ابو لؤلؤة غلام المغيرة بخلاف قاتل عثمان فانه من رعاع الناس
وهو شهيد ايضا عثمان ابن عفان البر الرحيم ذو البر والاحسان المشهور بالكرم وهو رحيم ايضا
اى ذو رحمة ورافة بالمسلمين لحسن اخلاقه وشفقته فنظرنا اليه لما تكلم بعد موته لنوهمنا انه
عادت اليه حياته فاذا هو ميتا اى فاجانا بغتة معرفة كونه ميتا على حاله وانما انطقه الله الذى
انطق كل شئ لتحقق حياة الشهدا قيل وقوله هذا كان عند سوال الملكين له ان قلنا ان الشهدا يسالون
وفيه نظر وذكر بالبنا للمجهول وهذا مما رواه الطبرانى وابو نعيم وابن منده ورواه ابن ابى الدنيا
عن انس ايضا عن النعمان بن بشير الصحابى الانصارى الخزرجى البدرى وهو اول من بايع ابا بكر واستشهد
مع خالد بن الوليد بعين التمر بعد انصرافه من اليمامة والنعمان اول مولود بعد الهجرة ولد بعد اربعة
اشهر منها ومات بقرية من قرى حمص فى ذى الحجة سنة اربع وستين وولاه معاوية حمصا والكوفة
ان زيد بن خارجة هذا اصح مما وقع فى بعض النسخ ابن حارثة وانه كان من بنى الحارث بن الخزرج لانه زيد
ابن خارجة بن زيد ابى زهير بن مالك من بنى الحارث بن الخزرج قال فى الاستيعاب ولم يختلفوا فى انه
هو الذى تكلم بعد الموت وقال ابن سيد الناس قال ابو نعيم الاصبهانى خارجة بن زيد هو الذى
تكلم بعد الموت على اختلاف فيه والصحيح انه زيد بن خارجة كما قاله ابن عبد البر وابن الاثير فى
اسد الغابة وكذا قال الذهبى وقيل المتكلم ابوه وهو وهم لانه قتل باحد وجزم به ابن الجوزى

ولم

49

ولم يحك فيه خلافا ولابن ابى الدنيا جزء افرده لمن تكلم بعد الموت ولم نقف عليه خر ميتا اى
اى سقط من قيام فى حال كونه ميتا واصل معنى خر سقط سقوطا يسمع منه خرير وتقدم ان الخرير
صوت الماء والريح ونحوه مما سقط من علو قال تعالى وخروا له سجدا فى بعض ازقة المدينة جمع
زقاق كغراب وهو الطريق فرفع بالبنا للمجهول اى اخذ من مكانه الذى سقط فيه وسجى بالبنا للمجهول
اى غطى اذ سمعوه بين العشائين اذ هنا فجائية والتقدير فبينما هو كذلك اذ سمعوه الجزو العشائين
يعنى المغرب والعشا على التغليب والنسا يصرخن بالصاد المهملة والخا المعجمة ومسنون النسوة
حوله يقول مفعول ثان لقوله سمعوه او حال وهو جملة مستانفة كما مر ومقول القول انصتوا
انصتوا اى استمعوا وكرره للتاكيد فحسر عن وجهه بضم الحا وكسر السين وبالرا المهملات
اى كشف عنه بعدما كان عليه غطا فقال لما كشف عن وجهه محمد رسول الله النبى الامى وخاتم
النبيين اى اخرهم بعثا كما مر كان ذلك المذكور من كونه رسولا ونبيا اميا خاتما للرسل فى الكتاب
الاول اى فى جنسه من الكتب المتقدمة او اللوح المحفوظ المكتوب فيه كل ما قدره الله ثم قال
زيد بن خارجة مخاطبا لمن كان عنده او لمن يصح انه يتوجه الخطاب اليه او يجرد من نفسه مخاطبا
مامورا ان كان قوله صدق صدق كما مر كما ذهب اليه بعض الشراح فان كان ماضيا كما راينا بضبط
القلم واعتمد عليه فى الشرح الجديد وقال فاعله ضمير مستتر عايد للنبى صلى الله عليه وسلم
فالامر ظاهر اى صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما بلغ عن الله وذكر بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابا بكر وعمر وعثمان وكانه لم يذكر عليا رضى الله عنه لعدم ادراكه خلافته
لانه توفى فى زمن عثمان كما ذكروه ومراده الثنا عليهم رضى الله عنهم بما فعلوه وايدوا به الدين الذى
بلغه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه ثم قال السلام عليك يا رسول الله دعا له صلى الله
عليه وسلم واصله سلمت سلاما فاقيم المصدر مقام فعله ثم عدل الى الرفع وجعل مبتدا للدلالة
على الثبوت ثم عرف ليدل على استغراق انواع السلام الذى يوجه للانبيا وزيادة ومعناه السلامة
من النقايص والتكريم والتشريف له بما يليق بجنابه كما يتبنوه وخصوصه لرسالته بالذكر
لانتفاع الامة بها الذى هو من جملتهم ورحمة الله وبركاته والرحمة بمعنى الانعام والاحسان او ارادة
ذلك وفيه دليل على جواز الدعا بالرحمة للنبى صلى الله عليه وسلم خلافا لمن اباه لوروده فى حديث
التشهد كما مر وياتى بيانه ايضا والبركات جمع بركة وهى الخير الالاهى وكثرته قال الراغب اصل
البركة صدر البعير وغيره وبرك البعير القى بركه واعتبر فيه معنى اللزوم فقيل ابتركوا فى الحرب
وبركا القتال لمكان يلزمه الابطال وسمى محبس الما بركة والبركة ثبوت الخير الالهى فى الشى
قال تعالى لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولما كان الخير الالهى يصدر من حيث لا يحس على وجه
لا يحصى ولا يحصر قيل لكل من يشاهد منه زيادة غير محسوسة مبارك وفيه بركة ثم عاد ميتا
كما كان قبل تكلمه حين سجى وكفن فان قلت المقام والفصل معقود لذكر معجزاته صلى الله عليه وسلم
باحيا الموتى وانطاق من ليس من اهل النطق له وما فى هذا الحديث ليس كذلك قلت هو من امته
صلى الله عليه وسلم وصحابته وكلامه بعد موته كرامة له وكرامات الامة من جملة كراماته

وقد يقال انه دليل على ما قبله وموكد له لانه اذا كان في امته من يصدر عنه مثله فكيف لا يصدر عنه صلى الله عليه وسلم فصل من معجزاته صلى الله عليه وسلم في ابرا المرضى جمع مريض كقتلى وقتيل وابراؤهم زوال مرضهم وحصول الشفا لهم واصل البرء والبراة والتبرى التفصى مما يكره ولذلك قيل بريت من المرض اذا اخلصت منه وذوى العاهات جمع عاهة وهي الافة ويقال عاه الزرع اذا اصابته العاهة والعاهة قد تختص بالامراض المزمنة وقد لا تختص بها فتكون الامراض ما يعرض مما لم يزمن كالحميات ونحوها فتكون اتم فايدة وهو المراد هنا فليس من عطف المترادفين وتطلق العاهة على بعض الاعضا كالشلل والعرج والعمى وقد يكون بعضها خلقيا ايضا وهذا هو المعروف اخبرنا ابو الحسن علي بن مشرف فيما اجازنيه وقراته على غيره تقدم الكلام على هذا وعلى معنى الاجازة قال ثنا ابو اسحاق الحبال بحا مهملة وموحدة مشددة كما تقدم في ترجمته قال ثنا ابو محمد بن النحاس بحا مهملة ايضا كما تقدم قال ثنا ابن الورد عبد الله بن جعفر بن محمد بن الورد بن زنجويه راوى سيرة ابن هشام عن البرقي هو ابو سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم ابن ابي زرعة البغدادي الزهري مولاهم المعروف بابن البرقي نسبة لبرقة اسم مكان عن ابن هشام ابو محمد عبد الملك بن هشام بن ايوب الامام الاديب النحوي صاحب السير وهو حميري معافري بصري وسكن مصر وتوفي بها سنة ثلاث عشرة ومايتين وله تاليف نفيسة ككتاب الانساب وغريب اشعار السير وغيره كما فصله ابن خلكان وفي تاريخ وفاته اختلاف عن زياد البكائي بفتح الموحدة وتشديد الكاف والمد وهو ربيعة بن عامر بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة سمي البكاي لانه دخل على امه فراها تحت ابيه وهو صغير فخرج يصيح ويقول ان ابي يقتل امي توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة وروى له اصحاب السنن وترجمته في الميزان مفصلة عن محمد بن اسحاق الامام صاحب المغازي والسير كما تقدم قال ثنا ابن شهاب محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله ابن شهاب الزهري شيخ ابن اسحاق الامام المشهور كما تقدم ووقع في بعض النسخ هنا ابن هشام وهو غلط من الناسخ كما في المقتفى وعاصم بن عمر بن قتادة ابن النعمان الانصاري الظفري الثقة امام رواة المغازي توفي سنة تسع او سبع وعشرين او عشرين فقط ومائة اخرج له الستة وترجمته في الميزان وجماعة ذكرهم فاعل ذكرهم لابن شهاب الزهري بقضية احد بطولها متعلق بذكرهم والبا بمعنى في وقضية احد غزاتها وما وقع فيها قالوا اي الجماعة المذكورون الذين رووا هذا الحديث من طريق ابن اسحاق التي اسندها المص عنهم ورواه البيهقي ايضا قال سعد بن ابي وقاص الصحابي المشهور في قصة احد التي رواها بطولها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناولني اي يعطيني بيده وهو معنى المناولة ومنه النوال بمعنى العطية السهم الذي لا نصل له بفتح النون وسكون الصاد المهملة قبل لام وهو حديدة في طرف السهم والرمح وفي بعض النسخ نضل بضاد معجمة بدل الصاد قال البرهان والصحيح الاول والثاني لا يتضح معناه ولا يستعمل قلت هو بعيد هنا رواية ودراية وكانه من تحريف النساخ الا ان معناه صحيح ايضا لان النضل رمي السهام فالمعنى انه ليس مما يرمى لانه لا نصل له فيؤول الى الرواية الاخرى وان كان لا وجه له هنا فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بعد مناولته السهم له ارم به بكسر الهمزة والميم امر من الرمي والضمير للسهم وفي الكلام

مقدار

مقدر اي فيرمي ويقتل من اصابه بسهمه مع انه لا نصل له ومثله لا يقتل عادة وهذه معجزة له صلى الله عليه وسلم ولذا ذكره المص وان لم يكن محل الشاهد وقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوميذ اي يوم احد عن قوسه يقال رمى عن قوسه وبقوسه لا قوسه حتى اندقت اي انكسرت والقوس مونثة سماعية واصل معنى الدق الرض بحجر ونحوه واصيبت يوميذ عين قتادة بن النعمان اصيبت بالبنا للمجهول اي اصابها سهم فاخرجها واذهبها وروي اصيب بدون تانيث للتاويل بالعضو للفاصل بينهما حتى وقعت عينه على وجنته الوجنة اعلى الخد وما يلي العين من الوجه ويطلق على الخد كله فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اي اعاد حدقة عينه التي سالت لمكانها فكانت العين المردودة بيده صلى الله عليه وسلم احسن عينيه اي اجملهما واقواهما حسنا اي احسن من عينيه اللتين كانتا له قبل ما اصيب وردت عينه فلا يرد عليه ان الشي لا يكون احسن من نفسه وقوله اصيبت عينه ظاهره ان ما اصيب عين واحدة وهو كذلك عند الاكثر وروي ان عينيه اصيبتا فيكون من التعبير عن العضوين المتفقين ذاتا وصفة واسما باحدهما وهو فصيح مشهور كما يقال نظر بعينه ومشى بقدمه كما قرره النحاة وقالوا انه حقيقة مشهورة وروي ان عاصم بن عمر بن قتادة وفد على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقال له من انت فقال بديهة انا ابن الذي سالت على الخد عينه فردت بكف المصطفى ايما رد فعادت كما كانت لاول امرها فيا حسن ما عين ويا حسن ما رد فقال عمر تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا وروي انه صلى الله عليه وسلم قال له ان شئت رددتها لك وان شئت فاصبر ولك الجنة فقال يا رسول الله ان الجنة لعطا جزيل جميل ولكني اكره العور فردها واسال الله لي الجنة فردها ودعا له وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قسي اختلف اهل السير في عددها فقيل سبع وقيل ست وهي الروحا والصفرا من نبع والبيضا من شوحط والزورا والكتوم سميت به لعدم صوتها والشدات وزند الرنا لصوتها والتي انكسرت باحد هي الكتوم كما في الحقد البنوي والكلام على قسيه صلى الله عليه وسلم ومن اين صارت ولتوجيه تسميتها مذكور في السير وشروحها وروى قصة قتادة المذكور فيها رد عينه وهي قصة فيها طول فنص المص منها على محل الشاهد وذكروها لما فيه من المعجزة ايضا عاصم بن عمر بن قتادة صاحب القصة ويزيد بن عمر بن قتادة كذا في النسخ كما قاله البرهان الحلبي والصواب يزيد بن عياض عن ابن عمر بن قتادة ففيه سقط لان عاصما شيخ يزيد وسقط عن عاصم ويزيد بن عياض الليثي الحجازي حدث عن نافع الخزرجي وكذا وقع في نسخة على الصواب ورواها ابو سعيد الخدري عن قتادة وابو سعيد هو اخو قتادة لامه وقتادة بن النعمان انصاري اوسي وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم بدرا واحدا وغيرهما من المشاهد وكانت واقعته يوم احد وقيل يوم بدر وقيل يوم الخندق والصحيح الاول كما قاله ابن عبد البر وقد اختلف كما مر هل قلعت عينه او عيناه والمشهور الاول ووقع الثاني مصرحا به في بعض الروايات ايضا كما رواه ابو نعيم الاصبهاني ونقله السهيلي وقال الدارقطني انه غريب تفرد به

عمار بن نصر عن مالك وهو ثقة قال ابن حجر في شرح الهمزية وهي زيادة ثقة فتقبل ورجح به رواية التشنيع
وهو رد على من قال ان هذه الرواية غلط وفيه نظر وقد اختلف ايضا هل انفصلت ولا فتيل لها بقيت
معلقة وقيل سقطت فاتى بها او بهما في كفه فقال له رسول الله ان شئت فاصبر ولك الجنة وان شئت
رددتها فقال يا رسول الله اني محب للنسا وعندي امراة احبها فاخشى ان تقذرني فردها وجعله ادع الله لي
بالجنة ففعل فكانت اقوى عينيه واحسنهما وتوفي وهو ابن خمس وستين سنة سنة ثلاث وعشرين
وصلى عليه عمر رضي الله عنهما وروى البيهقي انه صلى الله عليه وسلم يصق على اثر سهم اي جعل
ريقه وما فيه على جراحة في وجه ابي قتادة الحارث بن ربعي الانصاري السلمي الصحابي توفي بالمدينة وهو ابن
اربع وخمسين وقيل ابن سبعين وفي وجه ظرف لغو متعلق بقوله بصق او مستقر حال او صفة لسهم
في يوم ذي قرد بقاف وراء مفتوحتين ودال مهملتين وروي بضمتين كجنب وهو اسم ماء بينه وبين
المدينة مسافة يوم وليلتين من جهة خيبر والقرد الوبر والصوف الردي المتجعد فسمي به لانه
معاطن فيها ذلك او لكثرة طحلبه المشبه به واليوم هنا بمعنى الغزو كما يقال ايام العرب وقد تقدم
وتقال ذو القرد معرفا وهي غزوة تسمى ايضا غزوة الغابة وكانت قبل الحديبية وقيل بعدها وردّه
في الهدي النبوي والقرطبي في شرح مسلم وسببها انه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاحا
ترعى بالغابة فيها ابن ابي ذر وامراة من غفار فاغار عليها عيينة بن حصن الفزاري في اربعين فارسا فاستاقوها
وقتلوا ابن ابي ذر وسبوا المراة وركبت المراة ناقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على غفلة منهم ونذرت
ان نجت لتنحرنها فنجت فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لا نذر في معصية الله
ولا لاحد فيما لا يملك وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونودي يا خيل الله اركبي وكان اول
ما نودي به فادركهم في خمسمائة وقيل سبعمائة فاستنقذ منهم عشرا وفروا بالباقي كما فصل في السير قال
ابو قتادة فما ضرب لجرح وانا الشهم علي اي ما المني ولا اوجعني ضربانه ولا تسلط علي ضربانه من الضربان
يقال الضرب الدهر بمعنى الم ولا قاح اي سال منه قيح ومدة يقال قاح يقيح وقيح وتقيح والقيح صديد
وهو شي كالماء اصفر يخالطه قليل دم وهذا حديث حسن صحيح رواه الترمذي والبيهقي وروى النسائي
والترمذي والحاكم والبيهقي وصححه والنسائي بالجزم نسبة لنسا بلدة ويقال النسوي بالواو ايضا وهو
ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الامام المشهور صاحب السنن توفي سنة ثلاث
وثلثمائة على الاصح وله ثمان وثمانون ولم يتاخر عن الثلثمائة من اصحاب السنن غيره عن عثمان بن حنيف
بضم الحاء المهملة ونون وفاء مصغر وهو اخو عباد وسهل ابناء وهب وله صحبة ورواية وروى عنه
لجميع اصحاب السنن وهو من الاشراف ولي سواد العراق والبصرة وعاش الى زمن معاوية وسنقرر
هنا الحديث قريبا الان البرهان قال كان ينبغي للقاضي ان يذكر سنده ليعلم انه صحابي لئلا يتوهم
ان النسائي سمع منه ومثله سهل ان اعمى لم يذكروا اسمه قال يا رسول الله ادع الله لي ان يكشف عن بصري
المعنى ان يدعو له بان يصح بصره ويزيل الله عنه العمى فعبر عنه بالكشف وهو ازالة الغطا فاما ان يكون
على بصره غشاوة وجلدة رقيقة طلب ازالتها او شبه عدم الروية بحجاب حايل بينه وبين المبصرات
والروية بازالته ففيه استعارة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم امرا له انطلق اي قم من مجلسك

هنا

هنا فتوضا امر بالوضو ثم صل ركعتين نافلة وتسمى صلاة الحاجة ومنه اخذ ان كل من اهمه امر ينبغي له
ويستحب ان يصلي قبل الدعا تقربا الى الله ثم قل اللهم اي يا الله والكلام عليه مشهور ذكرناه في غير هذا
المحل اني اسالك واطلب منك حاجتي هذه واتوجه اليك اصل معنى التوجه المقابلة بالوجه فاريد
الاخلاص في القصد للدعا او التوسل بنبيك وفي بعض النسخ بنبيي بالاضافة ليا المتكلم محمد نبي الرحمة
بدل من نبيك او عطف بيان وقد تقدم معناه ثم التفت من خطابه الله الى خطاب نبيه صلى الله
عليه وسلم لانه واسطة في كل ما يصل من الاحسان والفيض الالهي يا محمد اني توجهت بك الى ربك
اي توسلت بك فيما طلبته من الله وهو ان يكشف عن بصري حجابه المانع له عن الروية وفيه مقدر اي
فدعا فابصر ونداوه صلى الله عليه وسلم باسمه انما يحرم اذا كان بحضرته واذا لم يكن في دعا ماثور
امر به كما هنا لقوله قل اللهم الخ فان امتثال الامر هو عين الادب كما ذكره ابن حجر فما قيل ان نداه صلى الله
عليه وسلم باسمه لعله كان قبل علمه بتحريمه او قبل تحريمه بقوله لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا
بعضكم بعضا ليس بظاهر وعلمه صلى الله عليه وسلم عند دعايه له بان يدعو لنفسه تعليما
وارشادا للامة وتواضعا وتادبا مع الله وهذا الحديث مسند صحيح اخرجه الترمذي والحاكم وغيرهما
وكان ابن حنيف وبنوه يعلمونه الناس وقد حكوا فيه حكايات فيها اجابة دعا من دعا به من غير تاخر
وقد خرجه البرهان الحلبي من طرق متعددة فلم يبق فيه شبهة فاحفظه اللهم تشفعه اي اقبل شفاعته
في وهو يحتمل ان يريد شفاعته صلى الله عليه وسلم فيه في الدنيا برد بصره او شفاعته له في الاخرة
او ما يشملهما وهذا اولى ومنه علم استحباب الدعا عقب الصلاة وروي بالبنا للمجهول والراوي له
الواقدي وابو نعيم عن عروة ان ابن ملاعب الاسنة قال البرهان الحلبي ابن ملاعب الاسنة لا يعرف اسمه
ولا ترجمته واما ملاعب الاسنة فهو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة
سمي ملاعب الاسنة جمع سنان وهو حديد في طرف الرمح يعد للطعن ويقال له ملاعب الرماح سمي
بذلك لانه في يوم شوبان بن زنة طوفان وهو يوم كان فيه بني قيس وعتيم وقعة وكان اخوه طفيل بن
مالك فارس قرزل وهو اسم فرس له فر في ذلك اليوم فقال فيه الشاعر فررت واسلمت ابن امك
عامرا يلاعب اطراف الوشيج المزعزع فسمي بذلك ملاعب الرماح وملاعب الاسنة وهو عم
لبيد وهو ابو عامر وذكره بعضهم في الصحابة وقال الذهبي الاصح انه لم يسلم لانه قدم المدينة
وعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام فلم يسلم وهو عم لبيد بن ربيعة المسمى بربيعة
المعترين اصابه استسقا اصل معناه طلب السقي وهو اسم مرض معروف قال في الاساس سقي بطنه
واستسقى وبه سقي بكسر السين وهو ان يقع الما الاصفر في بطنه انتهى وهو مرض علاجه صعب
لا يكاد ينجو من اصابه منه فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا يلتمس منه الدعا وان يشفيه الله
ببركته وهذا يدل على انه اسلم بخلاف ابيه كما مر فاخذ صلى الله عليه وسلم لما قص عليه قاصده
امره بيده الشريفة حثوة من الارض بفتح الحا المهملة وسكون المثلثة ويقال حثية بالياء ايضا وهو
ملء يده او يديه وهي من التراب هنا فتفل بفتح المثناة الفوقية والفاء وفي نسخة بصق عليها اي الحثوة
من ماء فمه المبارك ثم اعطاها اي حثوة التراب رسوله الذي ارسله للنبي صلى الله عليه وسلم

فاخذها متيجا مما اعطاه وان مثله لا يداوى به الاستسقا بل يزيده لان مبداه سدة في الجوف والتراب
يزيدها كما يشاهد ممن ياكل الطين يرى بفتح اليا وضمها اى يظن ان قد حزى به الضمير للرسول المرسله
وهي بالبنا للمجهول ويجوز فيه بنا الفاعل ايضا فاتاه بها اى بالحثوة وهو اى ابن ملاعب الاسنة
على شفا بفتح الشين المعجمة والفا مقصورا اى قريب من الموت واصل الشفا مكان متصل بحفرة كالبير
قال تعالى على شفا جرف هار ويجوز ان يراد به الكناية عن الموت ويراد بالحفرة القبر والجملة حالية
وبينه وبين قوله فشربها فشفاه الله تجنيس بديع اى وضعها في ما وشربها فشفاه الله ببركة النبي
صلى الله عليه وسلم وذكر العقيلي بالتصغير وهو الامام الحافظ ابو جعفر محمد بن عمرو بن
موسى بن حماد المكي صاحب كتاب الضعفا الذي ذبه الهيثمي وهو ثقة جليل توفي في سنة اثنين
وعشرين وثلثماية عن جبيب بن فديك جبيب بفتح الحا المهملة وموحدتين بينهما يا مثناة تحتية
وقيل انه بخا معجمة مضمومة وفديك وقيل فويك بضم الفا ودال مهملة مفتوحة مصغر وكاف
وقيل انه بواو بدل الدال وقيل برا مهملة ذكره الذهبي في الصحابة وقيل انه جبيب بن عمرو بن
فديك السلاماني وقد اضطرب فيه وفي اسمه واخرج حديثه هذا البيهقي والطبراني وابن ابي
شيبة في مسنده عن رجل من بني سلامان عن امه ان خالها جبيب بن فديك حدثها انه خرج به
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعيناه مبيضتا نفسا له ما اصابه فقال كنت امرن جملا
لي فوقعت رجلي على بيض حية فاصبت في بصري فلا ابصر شيا والى بعض ما ذكرنا من الاختلاف
في اسمه اشار بقوله ويقال فويك بواو او برا بدل الدال اذا باه ابيضت عيناه لغشاوة غطتهما اهو
عبارة عن لهما فكان لا يبصر بهما شيا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمثلثة اى تفل
ريقه في عينيه فابصر بهما وذهب عنه عماه في ساعته فرايته يدخل الخيط في الابرة لقوة بصره
وهو ابن ثمانين سنة وهو سن يضعف فيه بصر مثله وان لم يعرض له عارض وليس في الحديث
ان البياض لم يزل بعينيه مع شدة نظره وقوته وانه اعظم في المعجزة كما قيل لاحتمال ان البياض
زال ببركته صلى الله عليه وسلم ولم يصرح به لانه معلوم ورمي بالبنا للمجهول كلثوم ابن الحصين
بضم الحا وفتح الصاد المهملتين ونون مصغر حصين وهو ابو رهم الغفاري الصحابي وهو من اصحاب
الشجرة وشهد احدا واستخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح يوم احد لما وقع السهم
في نحره وخشي الموت منه وقوع السهم في نحره اى مقدم عنقه عند حبل الوريد الذي لا يعيش من جرح به
فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه اى في نحره ومحل جراحته فبرى بفتحات وهمزة مقصورة
اخره ويقال برى ايضا بزنة علم وضرب كما قاله ابن السكيت اى حصل له البرء من حينه وهذا الحديث
لم يخرجوه وروى الطبراني حديثا مسندا فيه انه صلى الله عليه وسلم تفل بتا مثناة وفا ولام
مفتوحات اى بصق على شجة عبد الله بن انيس الشجة بفتح الشين المعجمة والميم المشددة جراحة
ضربة في الوجه او الراس وقد تطلق على ما في غيرهما من الجسد والمعروف الاول وانيس مصغر ابن
اسعد بن حرام بن مالك ابن غنم بن كعب الجهني الانصاري الصحابي شهد احدا وكان صلى الله عليه
وسلم بعثه مع عبد الله بن رواحة ونفر من الصحابة الى اسير اليسير بن رزام بخيبر لما جمع جمعا

من غطفان

من غطفان لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له ان قدمت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم اكرمك فلم يزالوا به حتى خرج معهم فحمله ابن انيس على بعيره حتى اذا كانوا بالقرقرة بقرب
خيبر ندم ففطن له ابن انيس وضربه بسيفه فقطع رجله وضرب اليسير ابن انيس بعصاة فشجه فلما
قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم تفل في شجته فلم تمد بضم المثناة الفوقية وكسر الميم
وتشديد الدال المهملة المفتوحة اى لم يبق فيها مدة وقيح يقال امد الجرح اذا صارت فيه مدة
وهي القيح كما في الصحاح وغيره والمدة بكسر الميم وتفل في عيني علي رضي الله عنه ابن ابي طالب
في حديث رواه الشيخان عن سهل بن سعد يوم خيبر وكان رمدا بزنة حذر منصوب منون اى به رمد
والرمد وجع العين فاصبح بارئا اى صار بارئا في الحال الا انه تاخر برؤه الى وقت الصباح
واصبح له معنيان هذا احدهما والحديث بتمامه في الصحيحين وغيرهما وفي دلايل البيهقي
عن بريدة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما اخذته الحمى فيمكث اليوم او اليومين لا يخرج
فلما نزل خيبر اخذته فلم يخرج فاخذ ابو بكر رضي الله عنه الراية وقاتل قتالا شديدا ثم اخذها
عمر ثم قاتل فلما خرج واخبر بذلك قال لاعطينها غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله
فتطاول الناس لذلك فاصبح وجا علي وقد عصب عينيه فقال ادن لي وتفل في عينيه ففتحهما واعطاه
الراية وروى انه وضع راسه في حجره ثم بصق في راحته ودلك بهما عينيه والحديث طويل والكلام
عليه وعلى الاستدلال به للتفضيل على مشهور غير محتاج للبيان وفي صحيح البخاري انه صلى الله عليه
وسلم تفل على ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبريت من حينها والضمير للساق لانها مونث
سماعا او للضربة وبروها بذهاب اثر الجراحة والتحامها وروى عبد بن حميد في تفسيره انه صلى الله
عليه وسلم نفث في جراحة رجل زيد بن معاذ اى جعل ريقه عليها حين اصابها السيف الى الكعب
حين قتل ابن الاشرف فبرات رجله او جراحتها واعترض البرهان الحلبي على المص بان قصة كعب بن
الاشرف وقتله في السير ورواها مسلم في الجهاد وغيره وذكروا الجماعة الذين اشتركوا
في قتله باسمايهم وليس فيهم من اسمه زيد بن معاذ بل لا يعرف في الصحابة من اسمه زيد بن معاذ الا ان يكون
نسبه الى احد اجداده والى جدا على له وهو خلاف الظاهر والجرح الذي في راسه او رجله على
الشك من الراوي في قصة كعب انما هو الحارث بن اوس بن معاذ بن النعمان بن اخي سعد بن معاذ
الاشهلي وقد سمى البخاري الذين قتلوا كعبا وسمى منهم الحارث بن اوس بن سعد ابن النعمان وهو
الذي تفل رسول الله صلى الله عليه وسلم على جرحه وقيل هو الحارث بن اوس بن نعمان وقيل
هما واحد وقال التلمساني ان العزيزي نقل في تفسيره في سورة الحشر ما ذكره المص بعينه وقال انه زيد
بن معاذ وهو ابن اخي سعد بن معاذ فالمص نقل ما قاله الا عن تحقيق وقع له ولا يخفى ما فيه فانه
مصادم للمنقول الصحيح ومثله لا يقال بسلامة الامير وكعب بن الاشرف بزنة افعل
التفضيل من الشرف يهودي من بني نبهان وقصته كما في السير انه لما اصيب اصحاب القليب من كفار
قريش وبلغه الخبر قال ان كان محمد اصاب هولا لبطن الارض خير من ظهرها فلما تحقق الخبر خرج لمكة
يحرض الكفار على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبكي اصحاب القليب ويرثيهم بشعره تارة

وقاره كيشبب بنسا المسلمين حتى اذاهم فقال صلى الله عليه وسلم من لابن الاشرف فانه اذى الله ورسوله
فقال محمد بن مسلمة اخو بنى عبد الاشهل انا لك به يا رسول الله قال فافعل ان قدرت فرجع واقام ثلاثا
لا ياكل ولا يشرب فقال له صلى الله عليه وسلم لم تركت الطعام والشراب قال قلت قولا لا ادرى افى به
ام لا قال عليك الجهد فقال لا بد ان نقول فقال صلى الله عليه وسلم قولوا ما بدا لكم فانتم فى حل من ذلك
فاجتمع فى قتله محمد بن مسلمة وسلكان بن سلامة ابو نايلة الاشهلى وكان اخا ابن الاشرف من الرضاعة
وعباد بن بشر وقيس وابو عبس بن جبير ثم قدموا الى عدو الله فتقدم ابن سلامة رضيعه وتحدث معه
وناشده الاشعار وكان شاعرا ثم قال له ويحك يا ابن الاشرف انى جئتك لحاجة اذكرها لك فاكتمها
قال افعل قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وانقطعت
عنا السبل حتى ضاعت العيال وجهدت الانفس فقال كعب قد اخبرتك ان الامر سيصير لما اقول فقال
انا لا نحب ان ندعه حتى ننظر لم يصير شانه وانى قد جئتك تسلفك وقال الدمياطى الذى تحدث
معه ابو نايلة وهو الذى نزل له كعب من حصنه فلما استسلفه وقال له نرهنك ما نثق به قال ارهنوا
ابناكم ونساكم قال اردت ان تفضحنا فان نساء اهل يثرب واعطرهم ولكن نرهنك الحلقة والسلاح
فقال ان فيها لوفاء واراد ان لا ينكر مجيئهم مسلحين ولى اصحابه بجاوا لذلك فرجع الى صحابه وامرهم ان ياخذوا
السلاح ويجتمعوا اليه فلما فعلوا اشيعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البقيع فى ليلة مقمرة
فلما انتهوا الى حصنه هتف به ابو نايلة وكان كعب حديث عهد بعرس فقالت له امراته انك رجل محارب
لا ينبغى لك الخروج فى مثل هذا الوقت وان فى الصوت لسوا وانه صوت يقطر منه الدم فقال ان الكريم لو دعى
لطعنة لبلا اجاب والبلا موكل بالمنطق فقال لها انه ابو نايلة لو وجدنى نايما ما ايقظنى ونزل لهم
فى ملحفة فتحدثوا معه ثم قالوا نمشى لشعب العجوز بقية ليلتنا قال ان شيتم فمشوا ساعة ثم وضع
ابو نايلة يده على راسه ثم شمها وقال ما رايت كالليلة طيبا اعطر من هذا ثم تماشى ساعة وفعل
مثل ذلك ثم اخذ بعود راسه وقال اضربوا عدو الله فصاح صيحة اشرف عليه اهل الحصون فلما
قتلوه اتوا براسه ويقال انها اول راس حملت فى الاسلام وقيل بل راس ابى عزة الجمحى وقيل راس
عمرو بن الجموح فاصاب الحارث بن اوس سيف من اصحابه برجله فابطا عليهم ثم اتاهم يتحامل فحملوه لاخر الليل
واتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فاخبروه بقتله وجراحة صاحبهم فتفل على
جراحته كما ذكره المص على ما فيه وفى هذه القصة اشكال مشهور وهو انهم تكلموا فى حقه
صلى الله عليه وسلم بما لا يجوز مما ظاهره ومثله كفر ولا اكراه فيه وقد اجاب عنه الفقها وغيرهم
بانه لم يقصد ظاهره وهو من المعاريض التى تجوز لمصلحة واذا تاملت ما قالوه تجده يحتمل المدح
وقد اذن لهم النبى صلى الله عليه وسلم فيه وسياتى تفصيله فى محله اخر الكتاب ان شا الله
وفى قوله الى الكعب نكتة يعنى ان حديه السيف امتدت الى ان وصلت الى كعبه وكان قصد تجنيسا
لان ابن الاشرف اسمه كعب كما علمت فكانه قال جرح الى الكعب فى قصة كعب وعلى كل حال فكلامه هنا
ما فيه فتامل ونفث على ساق على بن الحكم يوم الخندق على هذا صحابى وهو اخو معاوية بن الحكم
السلمى وهذا الحديث خرجه ابو القاسم البغوى فى معجمه كما قاله السيوطى ويوم الخندق وهذا كان

فى غزوة الاحزاب سمى به لان سلمان رضى الله عنه اشار على النبى صلى الله عليه وسلم بحفر خندق
حول المدينة ولم تكن العرب تعرف ذلك وانما كان يعمله ملوك الفرس قال الطبرى اول من عمله
منوشهر بن ايرج بن افريدون وهم يزعمون ان افريدون ابن اسحاق واكثرهم على خلافه وخندق معرب كنده
ومعناه الحفر وهو من الالفاظ الاسلامية اذ انكسرت اى ساقه لانها موتنة وهى ما بين القدم
والركبة فبرئ اى صح وزال ما به من الكسر ونقيا لبرى كعلم وبرا كضرب ولاخره مهموز مكانه
بالنصب على الظرفية اى كاينا فى مكانه وسرجه الذى ركب عليه وما نزل عن فرسه الذى كان
عليه لما جاء يستشفيه قال ابو القاسم البغوى باسناده عن معاوية بن الحكم عن ابيه قال كنا
مع النبى صلى الله عليه وسلم فانزى اخى على بن الحكم فرسا له الخندق فاصاب رجله حد الخندق
فدقها فاتى النبى صلى الله عليه وسلم وما نزل عن فرسه فمسحها له وقال بسم الله فما اذاه شى
منها وقد عده ابو حاتم البغوى فى الثقات وروى البيهقى فى الدلايل عن على كرم الله وجهه قال
اشتكى على بن ابى طالب اى مرض مرضا والمرض يسمى شكاة فجعل يدعو الله لما ضجر كما سياتى فقال
النبى صلى الله عليه وسلم لما سمعه اللهم اشفه او عافه شك من الراوى فى لفظه والمعنى واحد
ثم ضربه برجله ليقوم من مضجعه فقام وما اشتكى ذلك الوجع بعد مبنى على الضم اى بعد ضربه او دعايه
او هما ولفظ البيهقى عن عبد الله بن سلمة قال سمعت عليا رضى الله عنه يقول اتيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وانا شاك اقول اللهم ان كان اجلى قد حضر فارحنى وان كان متاخرا فاشفنى وان كان
بلاء فصبرنى فضربنى برجله وقال كيف قلت فاعدت عليه فقال اللهم اشفه او قال اللهم عافه
قال على فما اشتكيت وجعى ذلك بعد وقطع ابو جهل يوم بدر اعترض على المص بان المعروف ان القاطع
عكرمة بن ابى جهل لا هو وان المقطوع معاذ ابن عمرو بن الجموح حين ضرب اباه وقد نقله ابن
سيد الناس عن المص يد معوذ بضم الميم وفتح العين المهملة وتشديد الواو المكسورة وتفتح
وذال معجمة ابن عفرا بعين مهملة وفا ساكنة ورا مهملة ومدة اسم امه وهو من جملة شهدا بدر وهم
اربعة عشر ومعوذ بن الحارث بن رفاعة النجارى الانصارى وعفرا بنت عبيد بن ثعلبة
النجارية وعرف بامه هو واخواه معاذ وعوف شهدوا بدرا فاستشهد عوف ومعوذ بها وبقى
معاذ الى زمن عثمان رضى الله عنه والذى فى سيرة ابن سيد الناس ان معاذ بن عفرا قتل ابا جهل
فضربه ابنه عكرمة على عاتقه فطرح يده وتعلقت بجلده من جنبه واجهضه القتال
فقاتل يومه وهو يسحب يده خلفه فلما اذته وضع عليها قدمه فقطعها فجا يحمل يده فبصق
عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصقها فلصقت كما كانت فى مكانها ببركته وبركة
ريقه الشريف الذى تفله عليها وهذا لا ينافى كونه فعل الله تعالى ولا حاجة لذكر مثله
رواه ابن وهب وقد علمت ما يخالفه مما رواه ابن اسحاق وصححه ابن سيد الناس والمص فى غير
هذا الكتاب وقيل ان ابن وهب لا شك فى جلالته فما رواه لا يخالف ما قاله ابن اسحاق لجواز
كون معاذ قطعت يده ايضا وعكرمة قطع يد اخيه معاذ وابو جهل نفسه قطع يد معوذ
والصقها له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قتل وهذا من غير نقل صريح لا يقبل مثله

بمجرد الاحتمال فلا ينبغي ذكره من غير تثبت ومن رواية اي رواية ابن وهب التي رواها ابن اسحاق
والبيهقي عنه كما نقله السيوطي ايضا كرواية الاولى ابن خبيب بالتصغير وخا معجمة وموحدتين
تصغير خبيب هو المغفل ابن اساف بكسر الهمزة وتحتية اخر الحروف وسين مهملة والف وفا وتقال يساف بتحتية
مكسورة اصيب بالبنا للمجهول اصابته ضربة سيف يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بضربة على عاتقه وكتفه حتى مال شقه الذي اصابته الضربة بقطع يده وانفصالها
وزده رسول الله صلى الله عليه وسلم اي رد عضوه الى مكانه الذي كان فيه ونفث عليه حتى
صح اي التام وعاد كما كان ويساف هو ابن عتبة بن عمرو الخزرجي شهد ابنه خبيب بدرا واحدا
وكان بالمدينة حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر فلحقه واسلم وشهد بدرا
فضربه رجل على عاتقه يومئذ فمال شقه فاتاه صلى الله عليه وسلم فتفل عليه ورده فالتام
فانطلق وقتل الذي ضربه وتزوج ابنته بعد ذلك فكانت تقول لا عدمت رجلا وشحك
هذا الوشاح تعني الضربة التي في محل الوشاح فيقول لا عدمت رجلا عجله اباك الى النار والى ذلك
اشار المص بما ذكر وروى ابن ابي شيبة عن مرجند بان صلى الله عليه وسلم اتته امراة خثعم
بخا معجمة ومثلثة وعين مهملة وميم بزنة جعفر اسم جبل واسم قبيلة نزلت عنده منها هذه المراة
لانها كانت نازلة بالجبل كما توهم معها صبي وهو ابنها به بلا وهو ما تبتلي به الناس وفسره بقوله
لا يتكلم فان كان بمعنى لا يقدر على الكلام فبلاؤه انه كان اخرسا وابكم وان كان بمعنى انه به ذهول
وعدم عقل للكلام فهو مستانف وهذا هو المراد كما سياتي فاتى بماء بالبنا للمجهول اي اتى من بياته
بما في اناء فاتاه به فمضمض فاه مضمض متعد وفاه مفعوله والمضمضة ادارة الما في الفم فذكر
الفم بعده تجريدا وهو لازم ضمن معنى غسل وغسل يديه بذلك الماء ثم اعطاها اياه اي اعطى المراة
ذلك الما الذي رده في انائه بعد المضمضة وغسل اليدين منه وامرها بسقيه اي امر المراة بان تسقي
الصبي من ذلك الماء ومسه به مصدر مضاف للمفعول اي مسحه بالما فلما فعلت ما امرها به وعقل
عقلا برا الغلام يفضل بزنة يقعد ويرقد عقول الناس اي يزيد على عقول الناس الذين من امثاله
وهذا الحديث رواه احمد في مسنده بسند متصل بابن عباس قال ان امراة جاءت بولدها الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله ان به لمما اي جنونا يا خذه عند طعامنا فيفسده
علينا قال فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره ودعا له فثع ثعة اي تقيا فخرج من فيه
مثل الجرو وهو الكلب الصغير جدا وفي كون هذه القصة ما ذكره القاضي بعينه نظر لما بينهما
من الخلاف مع احتمال تعدد القصة وهو الظاهر فلا وجه لجعلها قصة واحدة. بل هذه التي رواها
احمد والبيهقي وابن ابي شيبة ما اشار اليه المص بقوله وعن ابن عباس رضي الله عنهما جاءت امراة
بابن لها به جنون فمسح صلى الله عليه وسلم صدره بيده المباركة الشريفة فثع ثعة بفتح
المثلثة وتشديد العين المهملة اي قاءة واحدة كذا قاله اهل اللغة وقال بعض اهل اللغة
ثع بمعنى سعل وروى الحديث من طرق متعددة فخرج من جوفه وبطنه مثل الجرو الاسود بجيم مثلثة
وراء مهملة ساكنة وواو وهو الصغير من اولاد الكلاب والسباع ويطلق على صغار الحنظل

والقثا

والقثا ايضا وهو محتمل هنا وجمعه اجر كادل بكسر اخره وحذف الواو بعد قلبها يا فشفي بالبنا
للمجهول اي شفاه الله وفي حديث رواه البيهقي والنسائي والطبراني بسند مصحح انه
انكفات بنون وكاف وفاء وهمزة مفتوحة بعدها تاء تانيث ساكنة اي انقلبت القدر التي يطبخ
فيها اي وقع ما فيه من طعام حار كالنار المحرقة على ذراع محمد بن حاطب بن الحارث بن معمر القرشي
الجمحي الصحابي الذي ولد بالحبشة وهو اول من سمي محمدا في الاسلام وحاطب بزنة فاعل بحا وطا مهملتين
وموحدة علم منقول من جامع الحطب وسمي به لذلك وهو طفل صغير والجملة حالية وفيه تقدير اي
فحرق ذراعه فمسح عليه انه صلى الله عليه وسلم مسح على ذراع محمد او على محمد نفسه ودعا له وتفل
عليه او نفخ نفخا فيه ريقه الشريف وفي نسخة وتفل فيه فبرا لحينه من غير بطوء ومثله يكون في ايام
عديدة ومحمد بن حاطب هذا صحابي ابن صحابي توفي عام اربع وسبعين بمكة وقيل بالكوفة وفي حديث
رواه الطبراني والبيهقي بسند كانت في كف شرحبيل بضم الشين المعجمة وفتح الرا وسكون الحا المهملتين
وموحدة مكسورة ومثناة تحتية ساكنة ولام وقال ابن السيد في شرح ادب الكاتب عن الاصمعي شر
جبيل اعجمي وكذا شراحيل وايل معناه الله ومعنى شراحيل وديعة الله عند اهل اليمن واي اكثر البصريين
خلافه بل شرجبيل كقذعميل وشراحيل كسراويل جمع سمي به او بزنة الجمع الجعفي وهو عند سيبويه
اسم عربي غير منصرف الجعفي بضم الجيم نسبة للجعفة مكان معروف وشرحبيل صحابي ذكره الذهبي
سلعة بكسر السين وسكون اللام وعين مهملة زيادة بين الجلد واللحم كالغدة ومنها لغات فتح سينها
مع سكون اللام وفتحها ويقال سلعة بزنة عنبة وقول البرهان هنا من فتح اراد الشجة لا وجه له
فانها لغة والكل بمعنى ولا ينافي كون السلعة بمعنى الشجة كما في القاموس والسلعة المتاع الذي
يباع ايضا تمنعه اي تلك السلعة لكونها في داخل كفه القبض على السيف وعنان الدابة بكسر العين
المهملة وهو ما يقاد به الفرس ونحوه فشكاها اصله شكى منها لضررها له للنبي صلى الله عليه وسلم
فما زال يطحنها اي يدير كفه الشريفة عليها بقوة كما تدور الرحا وهو بفتح الحاء ونون كسال بسيا الحي
دفعها اي حتى ازالها من كفه ولم يبق لها اثر في كفه يضره ويمنعه ففي قوله يطحنها استعارة وفي حديث
رواه الطبراني عن ابي امامة انه صلى الله عليه وسلم سالته جارية اي امراة صغيرة السن وخادمة
لبعض اهل المدينة وهو ياكل جملة حالية اي حال لنا وله من طعامه فناولها اي اعطاها من بين يديه
اي من طعامه صلى الله عليه وسلم الذي كان بين يديه وكانت الجارية قليلة الحيا من الناس لوقاحتها
فقالت الجارية له صلى الله عليه وسلم انما اريد بشر الى ان تناولني من الذي وضعته من الطعام في فيك
وقصدت التبرك والتلذذ بما فيه ريقه الشريف لكن فيه من ترك الادب ما لا يخفى فناولها
ما في فيه ولم يجبهها ويردها بعنف ولم يكن صلى الله عليه وسلم يسال بالبنا للمفعول اي يساله
احد شيئا فيمنعه بالنصب في جواب النفي فلما استقر الطعام الذي ناولها من فيه في جوفها القي
بالبناء للمفعول اي القى الله عليها من الحيا بالمد واما بالقصر فهو المطر ما لم يكن لامراة بالمدينة لشدة
حيائها منها اي حيا لم يكن في امراة غيرها لشدته ببركته صلى الله عليه وسلم فما موصولة او موصوفة
في محل رفع نايب فاعله القي والجملة صلة او صفة بتقدير العايد اي ساكنة به اي بسببه وذكر هذا لان

قلة الحيا من العاهات النفسية والجبلة الخبيثة التي يصعب زوالها فمناسبته للحديث ظاهرة هنا
وفي هذا الباب من امثال ما ذكر احاديث كثيرة من ارادها فعليه بالنظر في كتب الحديث   فصل
في اجابة دعايه صلى الله عليه وسلم   اى دعايه للناس وعليهم وهذا الامر المذكور هنا والاجابة
وذكرها رعاية للخير في قوله باب واسع جدا بكسر الجيم منصوب على المصدرية فهو في الاصل ضد الهزل
ثم استعمل في معنى الزيادة المفرطة المحققة هنا وهو ظاهر واجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم
لجماعة اى لاجل ناس استحقوا ذلك سوا كان ذلك لهم او عليهم كما اشار اليه بقوله دعا لهم وعليهم فان دعا
اذا تعدى باللام كان للنفع لانه اوصل لهم بدعايه ما ينفعهم واذا تعدى بعلى كان للضر كانه انزل
عليهم البلا وصبه عليهم وهذا مخصوص بلفظ دعا الا ترى صلى الله على محمد فانه تعدى بعلى للرحمة
لما فيه من الحنو والشفقة قيل انما اعاده بلفظ الافراد وزالجمع المعنوى كدعايه كما تقدم لارادة
التخصيص على ما وقع منه فردا فردا فالاول على الاجمال المطلق والثاني على الاجمال التخصيصي وقد ادرج
شيا مما عقد له هذا الفصل في الفصل الذي قبله انتهى متواتر على الجملة اى متواتر تواترا معنويا باعتبار
معناه الاجمالي وان لم تتواتر افراده معلوم ضرورة اى بعلم ضرورى غير محتاج لدليل وقد جا اى ورد في حديث
رواه احمد بن حنبل في حديث حذيفة ابن اليمان الصحابي المشهور كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دعا لرجل
ادركته اى وصلت واثرت دعوته المستجابة له وولده وولد ولده فوصل اثرها لهم وظهر فيهم ثم استشهد
لما ذكره بقوله فيما رواه من حديث الصحيحين عن انس رضي الله عنه حدثنا ابو محمد العتابي هو بفتح
العين المهملة وتشديد المثناة الفوقية نسبة لعتاب كما تقدم بقراتي عليه من صحيح البخاري
قال حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد الذي تقدمت ترجمته وتقدم ويأتي انه يجوز التكني بابي القاسم
على الصحيح من ان النهي مخصوص بعصره صلى الله عليه وسلم او بالجمع بين الاسم والكنية قال
حدثنا ابو الحسن القابسي الحافظ السابق ترجمته قال حدثنا ابو زيد المروزي نسبة لمرو كما تقدم
قال حدثنا محمد بن يوسف الفربري كما تقدم قال حدثنا محمد بن اسمعيل الامام البخاري قال حدثنا
عبد الله بن ابي الاسود واسمه حميد البصري الحافظ روى عنه البخاري وغيره وتوفي سنة
ثلاث وعشرين ومايتين وترجمته في الميزان قال حدثنا حرمي بفتح الحا والرا المهملتين وهو حرمي
بن عمارة ابن ابي حفصة العتكي توفي سنة احدى ومايتين قال حدثنا شعبة عن قتادة عن انس
تقدم تراجم هولا كلهم قال انس رضي الله عنه قالت امي لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسم
امه رميلة وقيل الرميصا وهي انصارية صحابية وهي ام سليم يا رسول الله خادمك انس بن
مالك بن ضمضم بن زيد الانصاري البخاري وكنيته ابو حمزة وكان لما قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة صغيرا فخدمه وشهد معه المشاهد وفي عمره اختلاف والاصح انه عمر
ماية الا سنة وقيل احدى وتسعين وقيل ماية وعشرين وقال النووي الاصح انه جاوز المائة
ومات بمكان يسمى الطف على فرسخين من البصرة ودفن به وقيل انه اخر من مات بالبصرة من الصحابة
وقال ابن عبد البر لا اعلم احدا مات بعده غير ابي الطفيل وخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
مدة اقامته بالمدينة وروى عنه كثيرا فروى عنه الفي حديث ومايتين وستة وثمانين حديثا

ادع الله

ادع الله له ولم نغنيا لدعوته بل فوضتها له صلى الله عليه وسلم   قال اللهم اكثر ماله وولده اكثر
وكثر بمعنى وبارك له فيما اتيته اى فيما اعطيته من المال والولد فاجاب الله دعوته حتى مات له
في الطاعون الجارف من نسله سبعون ولدا قيل وفي هذا دليل على فضل الغنى على الفقير وارتضوا
ان الغنى الشاكر خير من غيره والفقير الصابر خير من غيره والظاهر انه يتفاوت بحسب الناس كما ورد
في الحديث القدسي ان من عبادي من لا يصلحه الا الغنا وان من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ودعا له
صلى الله عليه وسلم   بالبركة لان من بورك له فيما اوتي لم يكن فيه ضرر ولا تقصير في الحقوق وهو
غنى محمود ومن رواية عكرمة عن انس كما اخرجه مسلم   قال انس فوالله ان مالي لكثير ببركة دعايه صلى الله
عليه وان ولدي وولد ولدي لكثير لما تزيد وليعادون اليوم المراد باليوم الزمن الحاضر مطلقا ويعادون
بضم اليا المثناة التحتية وفتح العين المهملة المخففة والف بعدها دال مشددة وواو جماعة
ونون اى يزيدون على نحو الماية وهو مفاعلة من العدد وروى في الصحيحين وغيرهما ليتعادون
بزيادة تا فوقية والمعنى واحد وقد وقع في نسخ الشفا بالروايتين ايضا وفي الاساس بنو فلان
يتعادون على بني فلان اى يزيدون انتهى كان بعضهم يعد بعضا ثم عبر عما ذكر واقحم نحو والمعنى
انهم يزيدون على ما يقرب من الماية اقتصارا على المتيقن المحقق وفي رواية قالوا هذه الرواية لا يعرف
من رواها وما اعلم احدا اصاب اى وجد عنه من رخا العيش اصل الرخا بفتح الرا المهملة وخا معجمة ومد
بمعنى اللين ثم استعمل للسعة والعيش بمعنى المعيشة ما اصبت مثل الذي اصبته انا ولقد جواب قسم
مقدر وقد هنا للتحقيق وكثيرا ما يقترن بها جواب القسم دفنت بيدي بالتثنية هاتين اشارة ليديه
ليبين انه على ظاهره وحقيقته في الجارحة لا بمعنى القدرة والنصرة ماية من ولدي ثم بين ان المراد بالولد
اولاده الكبار لصلبه فقال لا اقول ان الولد كان سقطا بتثليث السين المهملة وهو ما سقط من بطن
امه قبل مدة تمام حمله واوان ولادته ولا ولد ولد نفاه لان الولد قد يطلق عليه مجازا وعلى ما يشمل الولد
الصلبي وغيره بعموم المجاز وهو منصوب بمقدر اى لا اقول دفنت سقطا الخ والجملة مقول القول وحديث
انس هذا صحيح روى من طرق مختلفة في الفاظها اختلاف يحتاج للتوفيق ان لم تكن القصة متعددة
وفي الوفا لابن الجوزي انه صلى الله عليه وسلم   قال في دعايه له واطل حياته وان انسا قال فاكثر الله
مالي حتى ان لي كرما يحمل في السنة مرتين وولد لصلبي ماية وستة وفي مسلم انه قال دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم   علينا وما هو الا انا وامي وام حرام خالتي فقالت امي يا رسول الله خويدمك
انس ادع الله له فدعا لي بكل خير وكان في اخر ما دعا لي   اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيه ايضا جاءت
امي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم   وقد ازرتني بنصف خمارها وردتني بنصفه فقالت هذا ابني اتيتك
يخدمك فدعا له وفيه انه صلى الله عليه وسلم مر بامي فسمعت صوته فقيل يجوز ان يكون مر فعرفت
صوته فدعته لدخول دارها فدخلها انتهى   تنبيه   قال ابن قتيبة ان ثلاثة من اهل البصرة رزق
كل منهم ماية ولد صلبي انس وابو بكرة وخليفة بن بدر   وفي تاريخ ابن خلكان ان تميم ابن المعتز بن باديس
خلف ماية ذكر وبستين انثى ومنه اى من دعايه صلى الله عليه وسلم كما رواه البيهقي دعاوه لعبد
الرحمن بن عوف الصحابي احد العشرة المبشرين بالجنة وهو من اغنيا الصحابة وترجمته معروفة بالبركة

اى بان يبارك الله له فيما رزقه قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا من مكانه بيدى لرجوت ببركة دعايه صلى الله عليه وسلم ان اصيب واجد تحته ذهبا وفتح الله عليه اى يسر الله له امور الدنيا بسهوله وتقدم ان اصل الفتح ازالة الاغلاق والاشكال قال تعالى فتحنا عليهم ابواب كل شىء اى وسعنا عليهم باقبال انواع الخيرات عليهم وهذا ببركة دعايه صلى الله عليه وسلم له فانه لما قدم المدينة لخا بينه وبين سعد بن الربيع وتعاطى التجارة فرزقه الله مالا كثيرا ومات فى سنة احدى وثلاثين وقيل اثنين وثلاثين وهو ابن خمس او ثلاث واثنين وسبعين سنة ودفن بالبقيع فحفر الذهب من تركته بالفوس الحفر معروف وهو فى الاصل اخراج تراب الارض وقيل المراد به هنا قطعه لانه فى صدر الاسلام لم يكن تضرب الدنانير وانما كانت تاتى من عند يارهم ويجعل الذهب والفضة سبايك وقطعا توزن فكان عنده منها قطع كثيرة لما اريد قسمتها كسرت والتركة بفتح اوله وكسر ثانيه ما تركه الميت خالصا من حق الغير والفوس بضم الفا والهمزة تليها واو ساكنة بزنة كوس جمع فاس بفتح فهمزة ساكنة وتبدل الفا حتى مجلت فيه الايدى بفتح الميم والجيم ويجوز كسرها وفى اخره لام وتا تانيث وضمير فيه للحفر المعلوم مما قبله والمجل تغير يكون فى اليد من كثرة العمل حتى تخرج فى ايديهم نفاطات وجراحات من كثرة عملهم واخذت كل زوجة واحدة من زوجاته ثمانين الفا لم يبين هل هى ذهبا و فضة وهل هى مثاقيل او دراهم الا انه وقع التصريح فى رواية بانها دراهم والعادة ان يعد الذهب بالمثاقيل والفضة بالدراهم وكن اى زوجاته التى مات عنهن وورثنه اربعا من النسوة وقيل ان نصيب كل واحدة من هولا الزوجات الاربع مائة الف وقيل بل صولحت بالبنا للمجهول احداهن اى صالحها بعض ورثته بعد موته على طريق الخارج من التركة لانه طلقها فى مرضه الذى مات فيه والمطلقة فى مرض الموت ترث اذا مات وهى فى العدة ولم يكن الطلاق بطلب منها بشروط مفصلة فى كتب الفقه وهو مذهب ابى حنيفة رضى الله عنه وخالفه فى ذلك الشافعى فى احد قوليه وذهب الى كل من المذهبين كثير من الصحابة كما فصل فى كتب الفقه وليس هذا محله على نيف بفتح النون وتشديد اليا المكسورة بوزن كيس وهو كل ما زاد على عقد الى ان يبلغ ما فوقه من العقود من ناف بمعنى زاد ويجوز تخفيفه وثمانين الفا من الدنانير واوصى بخمسين الفا من الدنانير كما ذكره الطبرى فى الرياض النضرة قال اوصى عبد الرحمن بن عوف بخمسين الف دينار فى سبيل الله واوصى بحديقته لامهات المومنين فبيعت باربعماية الف واوصى لمن بقى من اهل بدر لكل رجل باربعماية دينار وبالف فرس فى سبيل الله وهذا كله بعد صدقاته الفاشية اى الظاهرة المشهورة من فشى الشىء اذا شاع فى حياته وعوارفه العظيمة جمع عارفة وهى ما يعتاد من الاحسان والعطايا يجعل المعروف عارفا مبالغة وتمليحا وهو من لطايف المشهورة ثم اشار الى شىء مما ذكر فقال اعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق يوما بعير بكسر العين المهملة وهى الجمال التى تحمل الميرة اسم جمع لا واحد له وقد يقال للكل ما تحمل الميرة من الابل وغيرها والمراد الاول لقوله فيها سبعماية بعير وردت عليه اى جاءته مع قافلة ارسلها للتجارة تحمل من كل شىء اى عليها احمال من امور مختلفة كالبر والتمر والثياب والاستغراق عرفى اى من كل ما عهد حمله للتجارة فتصدق بها اى بالابل وبما عليها من طعام وغيره باقتابها جمع قتب بفتحتين ويجوز اسكان ثانيه وهو اكاف صغير يوضع على سنام البعير ليقيه من الاذى وباحلاسها جمع حلس بكسر الحاء

المهملة

المهملة وسكون اللام وسين مهملة وهو كسا يوضع تحت الاكاف على ظهر البعير وهذا قليل مما ذكر فى مناقب ابن عوف وصدقاته فانه لا يعد ولا يحصى وكان اهل المدينة عيالا عليه يصلهم دايما ويقضى ديونهم ويقوم بمونة فقرايهم وليس هذا محل تفصيله ودعا صلى الله عليه وسلم لمعاوية بن ابى سفيان رضى الله عنهما بالتمكن فى البلاد التمكن تفعل من المكان والمراد به القدرة على التصرف فيما يقال مكنته ومكنت له قال تعالى ولقد مكناكم فى الارض فنال الخلافة اى صار خليفة وسلطانا مالكا للبلاد بدعايه صلى الله عليه وسلم وهو اشارة الى حديث رواه ابن سعد فيه انه قال له اللهم علمه الكتاب ومكن له فى البلاد وقه العذاب ومعاوية رضى الله عنه اسلم هو وابوه وامه هند واخوه يزيد فى فتح مكة وقال معاوية انه اسلم يوم الحديبية وكتم اسلامه عن ابويه وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا فاعطاه من غنايم هوازن اربعين اوقية ولما بعث ابو بكر رضى الله عنه الجيش الى الشام سار هو واخوه يزيد معهم فاستخلفه ابو بكر على دمشق ثم اقره عمر عليها ثم اقره عثمان عليها فلما قتل لم يبايع عليا لطلبه بدم عثمان ممن كان معه ممن باشرت قتله وجرى بينهما ما جرى فى وقعة صفين مما ينبغى الكف عنه وقال صلى الله عليه وسلم لمعاوية اللهم اجعله هاديا مهديا وورد فى فضايله احاديث اخر فكان فى ولاية امير الابى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم فلما قتل عثمان استقر مكانه ولم يمتثل امر على كرم الله وجهه لاجتهاد اداه لذلك فلما قتل على واستخلف ابنه الحسن رضى الله عنه سار معاوية الى العراق وسار اليه الحسن ثم راى ان الخطب عظيم تراق فيه دماء المسلمين فسلم الامر لمعاوية باختيار منه ورجع الى المدينة فتسلم منه معاوية الخلافة واتى الكوفة فبايعه الناس واجتمعوا عليه فسمى ذلك العام عام الجماعة وصار معاوية خليفة حقيقة بعد ما كان الحق مع على كرم الله وجهه كما ارتضاه القاضى ابو بكر ابن العربى لا متغلبا كما اشار اليه المص بقوله نال الخلافة فاندفع ما قيل من ان الصواب ان يقول نال الامارة او الملك لقوله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا وسياتى الكلام على ذلك كله وكملت الخلافة بمدة الحسن بعد ابيه سنة اشهر وقيل الخلافة بالمعنى لانه خلف من قبله او الخلافة اتباع السنة ودعا صلى الله عليه وسلم لسعد بن ابى وقاص اى دعى دعاء مستجابا لسعد بن ابى وقاص رضى الله عنه كما ورد فى حديث رواه الترمذى بسند متصل عن سعد والبيهقى عن قيس ابن ابى حازم مرسلا حسنا وابو وقاص كنية ابيه وهو مالك بن وهيب ابن عبد مناف الزهرى القرشى احد العشرة المبشرة بالجنة وهو اول من اراق دما فى الاسلام وهو من الشجعان الذى كانوا يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم واخر العشرة موتا مات سنة خمس وخمسين وله بضع وستون او سبعون سنة او ثمانون ودفن فى البقيع ومناقبه مشهورة ان يجيب الله دعوته اى كل دعوة له فما دعا على احد الا استجيب له بالبنا للمجهول والاستجابة بمعنى الاجابة قال وداع دعى يا من يجيب الى الندا فلم يستجبه عند ذاك مجيب واصل معناه الاجابة قال الترمذى قال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم استجب لسعد اذا دعاك وعن المقداد رضى الله عنه ان سعدا قال يا رسول الله ادع الله

ان يستجيب دعاى فقال يا سعد ان الله لا يستجيب دعا احد حتى يطيب طعمته فقال ادع الله ان يطيب
طعمتى فانى لا اقوى الا بدعايك فقال اللهم اطب طعمة سعد الحديث ودعواته مشهورة
مأثورة وقد اجيب له دعوات مخرجة فى الصحيح وغيره ودعا صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه
الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما بعز الاسلام بان الله يعز الاسلام اى يقويه وينصره ويظهره باحد
الرجلين بعمر رضى الله عنه او بابى جهل لما كان يعلم من شدتهما وشجاعتهما وتفرسه فيهما لاعلى التعيين
وكان هذا بمكة قبل الهجرة وتمكن المسلمين من اظهار الدين فاستجيب له فى عمر بان هداه الله واعز به
دينه فسبقت له السعادة وسبقت الشقاوة لابى جهل عمرو بن هشام فرعون هذه الامة لعنه الله
قتل كافرا يوم بدر فى السنة الثانية من الهجرة والمراد بعز الاسلام عز اهله والا فهو دايما عزيز
لانهم كانوا قبل اسلام عمر لا يظهرون صلاتهم عند البيت خوفا من المشركين فلما اسلم عمر رضى الله
عنه قاتلهم حتى صلوا معه عند الكعبة ولذا قال ابن مسعود رضى الله عنه كان اسلام عمر فتحا
وهجرته نصرا وخلافته رحمة وتشريكه صلى الله عليه وسلم له فى الدعاء مع ابى جهل لانه لم يتعين
عنده احدهما ولم يعينه لامر ما وقد روى من طرق انه صلى الله عليه وسلم خص عمر بالدعا فقال
اللهم اعز الاسلام بعمر بن الخطاب اللهم ايد الاسلام بعمر وجمع بين الروايتين بانه لما تفرس
فيهما الشهامة ونفوذ الكلمة بحيث لا يعصى احدهما دعا بذلك ثم لما تبين له باعلام من الله والهام
منه ان اللايق بذلك عمر خصه بدعايه ثانيا وكرره حتى استجيب له وقصة اسلامه مفصلة
فى السير قال ابن مسعود ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر لانه اظهر ذلك وقاتلهم فى بلدهم كما فعل حمزة
ايضا رضى الله عنه فكان ذلك ابتدا الظهور وكان مما كان مما لم يجل فى خواطر الامكان ومما وقع له
صلى الله عليه وسلم من اجابة دعايه ما رواه البيهقى والحاكم وصححه عن عمر رضى الله عنه اصاب
الناس فى بعض مغازيه عطش فساله عمر الدعا للناس ان يسقيهم الله من فيض فضله فدعا فجاءت سحابة
اى ظهرت سحابة عقب دعايه صلى الله عليه وسلم وفيه استعارة لتشبيهها برجل يسمع نداه
فجاه فهو تصريحية تبعية او تخييلية كما فى قوله فسقتهم اى شربوا من ماء مطرها وقوله حاجتهم
مفعوله لتضمينه معنى اعطتهم حاجتهم وهى الما الذى يزيل عطشهم ثم اقلعت اى انجلت وكفت
عن المطر بعد قضا حاجتهم من مايها قيل هذه القراة هى غزاة بدر المشار اليها بقوله فى سورة الانفال
وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به كما ذكره ابن الجوزى فى الوفا وساق الحديث بتمامه ودعا صلى الله
عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان عن انس رضى الله عنه فى الاستسقا اى فى دعايه وطلبه ان يسقيهم
فسقوا بالبنا للمجهول اى سقاهم الله عقب دعايه ودام السحاب يمطر ثم شكوا اليه المطر اى من كثرته
ودوامه المضر بهم فدعا الله بان يكف المطر ويقلع السحاب فصحوا اى صحت السما وانكشف غيمها
فاسناد الصحو اليهم مجازى وهو بفتح الحا بزنة رموا وروى بضمها واصله صحووا فنقل وحذف ودعا
لابى قتادة الحارث ابن ربعى الصحابى وقد تقدمت ترجمته وهذا الحديث رواه البيهقى فى الدلايل
وبين دعايه بقوله افلح وجهك الفلاح الظفر وادراك البغية وهو دنيوى وهو نيل ما تطيب به
حياة الدنيا والبقا فى عز وغنى واخروى وهو النعيم المخلد والوجه معروف وقد يعبر به عن الذات

كما فى قوله

كما فى قوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام اللهم بارك له اى لابى قتادة رضى الله عنه وتقدم
57
معنى البركة فى شعره وبشره والشعر معروف والمراد به ما يستحسن ويعد زينة والبشر ظاهر الجلد والبدن
وكنى بذلك عن جملته وجميع بدنه فدعا له صلى الله عليه وسلم بان يبقى متمتعا على احسن تقويم كاملا
جميع اعضايه فمات وهو ابن سبعين سنة وكانه ابن خمس عشرة سنة فى نضارته وقوته لم يتغير بدنه
ولم يشب شعره ببركة دعايه صلى الله عليه وسلم له وتوفى بالمدينة سنة اربع وخمسين وقد تقدم
ان الفلاح دنيوى واخروى وما ذكره من تمام خلقته دنيوى فتمامه يدل على فوزه بالفلاح الاخروى
لان الكريم اذا طلب منه امران فعجل احدهما دل على انه يعطى الاخر وانما اقتصر على هذا لانه
معلوم مشاهد دال على غيره كما قيل كما احسن الله فيما مضى سيحسن الله فيما بقى وقال
صلى الله عليه وسلم للنابغة الجعدى وهو قيس وقيل حبان بن عبد الله بن عمرو ابن عدس
بوزن عمر وفى الشعرا من لقب بالنابغة غيره كالنابغة الذبيانى ولكنه اذا اطلق يراد به هذا وهو
احد المخضرمين المعمرين قيل انه عاش مايتين وثمانين سنة وقيل مايتين واربعين وقيل مائة
وعشرين سنة كما سياتى واجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم واخرج له بقى بن مخلد حديثا ومدح
النبى صلى الله عليه وسلم بقصيدته الرايية وهى نحو مائة بيت فى غاية البلاغة انشدها بين
يديه صلى الله عليه وسلم فدعا له بما ذكره المص ولما بلغ قوله فيها بلغنا السما مجدنا
وسناؤنا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا قال الى اين يا ابا ليلى قال الى الجنة قال نعم ان شا الله ثم
لما انشده صلى الله عليه وسلم قوله ولا خير فى علم اذا لم يكن له بوادر تحمى صفوه ان يكدرا
ولا خير فى جهل اذا لم يكن له حليم اذا ما اورد الامر اصدرا قال له صلى الله عليه وسلم
لا يفضض الله فاك وروى لا يفضى الله فاك بضم اوله وسكون ثانيه وكسر الضاد تليها
ياء ساكنة مضارع افضى كما على بعلى قال المرزوقى فى شرح الفصيح يقول العرب فى الدعا عليه فض الله
فاه وفى الدعا له لا يفضض الله فاه ومصدره الفض ومعناه الكسر وبعض العرب تقول
لا يفضى الله فاك اى لا يجعله فضاء خاليا من الاسنان وهذا كقوله قد ترك الدهر فاه بلا
انتهى فعلى الاول الفم مجاز عما فيه من الاسنان وعلى الثانى على حقيقته والنابغة لقب له لانه نبغ
فى الشعر اى فاق اقرانه والها للمبالغة كعلامة فما سقطت له سن ببركة دعايه صلى الله عليه وسلم
له والسن واحد الاسنان المعروفة وقد قال الرازى زيادة السن نقص فى السن فالسن الاول العمر والثانى
واحد الاسنان وفى رواية لحديث النابغة المذكور فكان احسن الناس ثغرا بثا مثلثة مفتوحة وغين
معجمة ساكنة ورا مهملة وهو ما تقدم من الاسنان ويقال اثغر الغلام بتشديد المثلثة واتغر
بتشديد المثناة ويطلق الثغر على الفم ويصح ارادته هنا وثغرا منصوب تمييز اذا سقطت له سن
نبتت له اخرى مكانها ليلا يخلو فمه من الاسنان وعاش عشرين ومائة وقيل اكثر من هذا فقيل مائة
واربعين وقيل مايتين واربعين وقيل مايتين وثمانين لان دعايه صلى الله عليه وسلم له بان لا تسقط
اسنانه يتضمن الدعا له بطول العمر وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم باجابة دعوته فيه واكثر
اعمار هذه الامة ما بين الستين والسبعين وما زاد لا يزيد غالبا على مائة وعشرين ويزعم

الاطالة العمر الطيبي وقد زاد بعضهم على ذلك كما استقصاه الاصمعي في كتاب المعمرين ومنهم
سلمان الفارسي وقد اختلفوا في مدته كما هو مفصل في ترجمته وفي الحديث ما يدل على ان مدح الشعر
اللاوسى فيه غير مكروه وان الاحسان لمن مدحهم بعطية وجايزة او بدعا وجميل من القول سنة
وقصيدة النابغة هذه طويلة بليغة رواها ابن حجر بتمامها في بعض كتبه ولولا خوفنا الاطالة
اوردناها هنا ودعا صلى الله عليه وسلم لابن عباس في حديث صحيح رواه الشيخان وابن عباس
هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب غلب عليه حتى صار علما بالغلبة له دون سائر بنيه وقوله
اللهم فقهه في الدين معمول لمقدر اي فقال او قايلا اللهم فهمه وعلمه قال الراغب الفقه التوصل الى علم
غايب بعلم شاهد فهو اخص من العلم قال تعالى ذلك بانهم قوم لا يفقهون والفقه العلم بالاحكام
الشرعية يقال فقه اذا صار فقيها وفقه بمعنى فهم وفقهه فهمه وتفقه اذا طلبه فتخصص به كما
قال تعالى ليتفقهوا في الدين انتهى وعلمه التاويل اي التفسير وقد يفرق بينهما فيقال التفسير بيان
معنى القران بما هو ماثور عن النبي صلى الله عليه وسلم او كبار الصحابة والتاويل بيانه بما تقتضيه
قواعد العربية وهو تفعيل من الاول بمعنى الرجوع الى الاصل ومنه الموئل للموضع الرجوع فهو رد
الشي الى الغاية المرادة منه علما كان او فعلا فالعلم كقوله وما يعلم تاويله الا الله والفعل كقوله
وللنوى قبل يوم البين تاويل وقوله تعالى يوم ياتي تاويله اي بيان غايته المقصودة منه وقوله
ذلك خير واحسن تاويلا بمعنى احسن معنى وترجمة وقيل احسن ثوابا في الاخرة فدعاوه له صلى الله
عليه وسلم بان يعلمه الله الشريعة المحمدية وان يهديه للوقوف على معاني كلامه فاجاب الله دعاه
حتى كان معول الناس عليه في ذلك فسمي بعد بالبنا على الضم اي بعد دعايه صلى الله عليه وسلم له
او بعد موته صلى الله عليه وسلم الحبر مفعول سمي وهو بكسر الحا وفتحها ومعناه العالم المتقن
الذي تبقى اثاره بعده فاصل معنى الحبر الاثر المستحسن ومنه ذهب حبره وسبره اي جماله وبهاوه اي
كان الصحابة وساير الناس يسمونه بذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم توفي وابن عباس ابن عشر
وثلاث عشرة او خمس عشرة سنة على اختلاف فيه وترجمان القران ترجمان بالضم كعنوان والفتح
كزعفران وبفتح اوله وضم الجيم وهو من يفسر لسانا بلسان ويطلق الترجمان على من يبلغ الكلام وللكلمة
اطلاقات اخر وفي كلام المص شبه اللف والنشر فان كونه حبر الامة ناظر لقوله فقهه في الدين وكونه
ترجمان القران ناظر لعلم التاويل والتفسير ودعاوه صلى الله عليه وسلم لابن عباس وقع مرارا
وروي من طرق صحيحة منها ما روي عنه انه قال اتى صلى الله عليه وسلم الخلا فوضعت له وضوا
اي ما يتطهر به فقال من وضع هذا فقالوا ابن عباس فقال اللهم الخ قال ابن المنير مناسبة الدعا
لما فعله انه يدل على ذكايه لعلمه بانه يحتاج لطلب لما فبادر لذلك وكان عند خالته ميمونة ليلة
وهي المخبرة له صلى الله عليه وسلم بما صنعه وفي رواية علمه الكتاب وزده علما وفهما ووضع يده
الشريفة على كتفه وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم ضمه لصدره واول من لقبه بترجمان القران
ابن مسعود وكان اعلم الناس بالفقه والفرايض واشعار العرب وايامها وكان يجلس لكل فن يوما فكان
لا يسال عن شي الا وجد عنده علم منه كل ذلك ببركة دعايه صلى الله عليه وسلم ودعا صلى الله

عليه

عليه وسلم في حديث رواه البيهقي عن عمرو بن حريث لعبد الله بن جعفر بن ابي طالب بن عبد المطلب
هاشم ابن عبد مناف فعبد الله هاشمي مدني صحابي ولد بالحبشة وتوفي سنة تسعين وثمانين وروى
عنه احاديث عدة وجعفر هو الطيار ذو الجناحين وكان عبد الله ولده من اسخى الناس حتى لقب
بحر الجود وقطب السخا بالبركة اي الزيادة والنما في صفقة يمينه اي في بيعه وشرايه ومعاملته وسمي
ذلك صفقة لانهم كانوا اذا تبايعوا يصفق احدهم يده بيد الاخر والصفقة ضرب اليد بصوت
وذكر اليمين لان الاكثر في الاخذ والعطا بها تيمنا فما اشترى شيئا الا ربح فيه اي وجد فيه ربحا وفايدة
ودعا صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي في الدلايل وابو نعيم للمقداد بن الاسود والمقداد
هو ابن عمرو بن ثعلبة وياتي انه اشتهر بابن الاسود لانه تربى في حجره وهو صحابي مشهور توفي في خلافة عثمان
رضي الله عنه بالبركة اي الزيادة في ماله فكان عنده غراير من المال ببركة دعايه صلى الله عليه وسلم
له والغراير جمع غرارة بكسر الغين المعجمة وهي معروفة وقال الجوهري اظنها معربة قال ابو نعيم قالت ضباعة
بنت الزبير وهي زوجة المقداد خرج المقداد يوما لقضا حاجته فبينما هو جالس خرج جرذ من جحره
بدينار ولم يزل يخرج دينارا دينارا حتى بلغ سبعة عشر فجا بها المقداد للنبي صلى الله عليه وسلم
واخبره بخبره فقال له ادخلت يدك في الجحر قال لا والذي بعثك بالحق نبيا فقال الصدقة تصدق قال الله
بها عليك بارك الله لك فيها قالت ضباعة فما فني اخرها حتى رايت غراير الورق في بيت المقداد انتهى ودعا
بمثله اي بمثل ما دعا للمقداد وغيره في حديث رواه البخاري والدارقطني واحمد في مسنده لعروة بن ابي
الجعد البارقي وقيل الازدي واختلف فيه فقيل عروة بن ابي الجعد وقيل ابن الجعد وهو صحابي مشهور خرج له
الستة واحمد وبارق بطن من الازد نزلوا عند جبل يقال له بارق فنسبوا اليه قيل من قال ابن الجعد فقد
اخطا وولاه عمر قضا الكوفة قال عروة فلقد كنت اجاب فيسمي مقدار قوت بالكناسة بضم الكاف ومعناها
القمامة ثم صارت علما لسوق مشهور بالكوفة وقيل انه يجوز ان يراد به حقيقته اي اقوم بمقام حقير يستبعد
الكسب في مثله وهو بعيد فما ارجع اي اعود من المحل الذي قمت فيه حتى اربح اربعين الفا مما يبيعه ويشتريه
وقال البخاري فيه اي في حديث عروة فكان عروة رضي الله عنه لو اشترى التراب ربح فيه ببركة دعايه
صلى الله عليه وسلم وروي مثل هذا اي مثل حديث عروة المذكور لغرقدة بفتح الغين المعجمة وسكون
الرا المهملة وقاف ودال المهملة واحدة الغرقد وهو شجر معروف له شوك يسمى العوسج والعضاة وبه
سمي بقيع الغرقد وهو مقبرة اهل المدينة وغرقدة صحابي يسمى ابا شبيب روى عنه ابنه وندت له
ناقة الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم وندت ماض بفتح النون وتشديد الدال المهملة يعني نفرت
وشردت حتى غابت عن نظره فلا يراها واصل معناه انفردت عن اندادها وهذا يختص بالابل ونحوها
فلا يقال ند الرجل وليس ضميره لغرقدة كما توهمه بعضهم فجابها اعصار ريح الاعصار بحروف مهملة
ريح شديدة تثير غبارا او ترتفع الى السما كانها عمود وهي الزوابع وقيل ريح تثير سحابا ذات
رعد وبرق والمراد الاول هنا حتى ردها الاعصار عليه اي على النبي صلى الله عليه وسلم وهذا
الحديث لم يخرجوه وكون الضمير لغرقدة لا يناسب المقام وان اتفقوا عليه والظاهر ما قلناه
وليس من هذا ايضا كما في الشرح الجديد ما وقع في غزوة بني المصطلق لانها هاجت فيها ريح شديدة

فاذيتهم وكانت ناقته صلى الله عليه وسلم ضلت ليلا فقال صلى الله عليه وسلم انما هبت لموت
عظيم من الكفار وهو رفاعة ابن زيد فقال بعض المنافقين ابن عم محمد انه يعلم الغيب وهو لا يعلم مكان
ناقته فاتاه جبريل واخبره بما قاله وبمكان ناقته بالشعب الى اخر القصة اذ ليس فيها ان الريح ردت
الناقة عليه فلعل المصنف وقف عليه من طريق اخر فيه رد الريح ودعا صلى الله عليه وسلم فيما حديث
رواه مسلم فيه انه دعا لام ابي هريرة رضي الله عنهما بان يهديها الله للاسلام وكانت مشركة
فاسلمت وهداها الله للاسلام وحازت شرف الصحبة واسمها اميمة بنت صبيح بن الحارث بن دوس
كما ذكره ابن بشكوال اخا بوها صبيح بالموحدة وقيل صفيح بالفاء وقيل اسمها ميمونة وحكى القولين
ابن الاثير في اسد الغابة واما ابو هريرة فقد تقدم الكلام على اسمه والخلاف فيه وكان رضي الله
عنه حريصا على اسلامها فدعاها للاسلام فاسمعته ما يكره في حق النبي صلى الله عليه وسلم
فاتاه وهو يبكي وقال له اني كنت ادعوها للاسلام فتابى فدعوتها اليوم فاسمعتني فيك ما اكره
فادع الله ان يهديها فقال اللهم اهد ام ابي هريرة فخرج مستبشرا بدعائه صلى الله عليه وسلم
فلما اتى الباب سمعت خشفا قدامه فقالت مكانك يا ابا هريرة فسمع صبتها الما فاغتسلت ولبست
درعها وخمارها وفتحت له الباب فلما دخل قالت يا ابا هريرة اني اشهد ان لا اله الا الله واشهد
ان محمدا رسول الله فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا وقال ابشر يا رسول الله
فقد اجيبت دعوتك وهدى الله امي للاسلام فحمد الله تعالى فقال يا رسول الله ادع الله ان يحببني
انا وامي الى عباده المؤمنين ويحببهم الينا فقال اللهم حبب عبدك هذا وامه الى عبادك
وحببهم لهما فكان لا يسمع به احد ويراه الا احبه كما ذكره مسلم والبيهقي في دلائله ودعا
صلى الله عليه وسلم لعلي ابن ابي طالب في حديث رواه البيهقي وابن ماجه بسند صحيح متصل
بعلي رضي الله عنه ان يكفى بالبناء للمجهول اي ان يكفيه الله بفضله الحر والقر اي المهما وهو بفتح
الحاء وتشديد الراء ضد البرد والحرارة سخونة تعرض للهواء من نحو الشمس والنار ومنها ما يعرض
للبدن من الطبيعة كحرارة المحموم والقر بضم القاف وتشديد الراء هو البرد ويخص ببرد الشتاء
كما يخص الحرارة الصيف وهو المراد وحكى ابن قتيبة تثليث قافه فيجوز فتحها هنا للازدواج
واصله من القرار لان البرد يقتضي السكون والحر يقتضي الحركة كما قاله الراغب فكان علي المهملتين وهو صح صح
رضي الله عنه بعد دعائه صلى الله عليه وسلم له يلبس في زمن الشتاء ثياب الصيف الخفيفة
كالقميص الواحد وفي زمن الصيف ثياب الشتاء وهي المضربات المحشوة والثياب الثخينة ولا
يصيبه او لا يجد ويحس حرا ولا بردا اي المهما ويقصد باظهار ذلك انه اختص بامر يخالف به غيره
لدعائه صلى الله عليه وسلم له فاذا كان لا يضره شدة حر الصيف لا سيما في الحجاز ولا شدة
برد فصل الشتاء فغيره بالطريق الاولى وكان دعاؤه صلى الله عليه وسلم له بخيبر لما اصابه
رمد شديد قال عبد الرحمن بن ابي ليلى كان علي رضي الله عنه يلبس في الحر القبا المحشو الثخين
ولا يبالي بشدة الحر ويخرج في البرد الشديد بثوب خفيف ولا يبالي فسئل عن ذلك فقال انه
صلى الله عليه وسلم اعطى الراية يوم خيبر ابا بكر ثم عمر فلم يحصل فتح على يديهما فقال لاعطين

الراية اليوم رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله خيبر على يديه فدعاني
واعطاني الراية وكان بي رمد شكوته له صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اكفه الحر والبرد
فما وجدت لهما الما بعد ذلك وانما دعا له بدفع الحر والبرد مع ان المه رضي الله عنه من الرمد
ووجع العين لانه صلى الله عليه وسلم علم ان رمده كان من زيادة الدم الذي حصل له من الحر فدعا له
بدفع سبب ذلك وزاد عليه دفع الم البرد لانه ضده فربما اذاه لقوته بعدم ضده ورويسيئه
من الاساءة ويسوءه من السوء بدل قوله يصيبه والمعنى واحد ودعا صلى الله عليه وسلم لفاطمة
بنته رضي الله عنها في حديث رواه البيهقي عن عمران ابن حصين الله مفعول دعا وفي نسخة ان الله ان لا يجيعها
اي ان لا يجعلها متالمة من الجوع وترك الطعام واكله قالت فاطمة رضي الله عنها فما جعت بضمير
المتكلم بعد مبني على الضم اي بعد دعائه وبركته قال عمران بن حصين كنت معه صلى الله عليه وسلم
فاقبلت فاطمة ووقفت بين يديه فنظر اليها وقد اصفر وجهها من الجوع فوضع يده على صدرها
وقال اللهم مشبع الجاعة ورافع الوضيعة ارفع فاطمة بنت محمد قال عمران فرايت وجهها
وقد غلب الدم وذهبت صفرته ثم جئتها فقالت لي ما جعت بعد يا عمران فقال البيهقي بعد ما ذكر
الحديث هذا كان قبل نزول اية الحجاب وذكر دفع الجوع عنها بعد دفع الحر والبرد عن علي لما بينهما من
المناسبة كما لا يخفى وسال له صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابن اسحاق بلا سند والبيهقي
عنه وابن جرير من طريق الكلبي الطفيل بن عمرو بضم الطا المهملة المشددة والفا المفتوحة وسكون
المثناة التحتية واللام كتصغير عقيل ابن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم الازدي الدوسي
ويقال له ذو النور وقتل في وقعة اليمامة وتقدم ان وقعتها كانت في ربيع الاول سنة اثني عشرة
في خلافة ابي بكر رضي الله عنه وقيل في عام اليرموك في خلافة عمر رضي الله عنه وهو من كبار الصحابة
ومن اصحاب النور وهم ستة اسيد بن حضير بضم المهملة وعباد ابن بشر وحمزة بن عمرو الاسلمي وقتادة بن
النعمان كما ياتي والطفيل هذا والحسن بن علي ابن ابي طالب رضي الله عنهم ولكل منهم قصة مذكورة في محلها
اية لقومه مفعول سال اي سال له صلى الله عليه وسلم معجزة تكون معه يؤمن بها قومه اذا دعاهم
للاسلام وكان امن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة ودعا قومه فلم يطيعوه فقال يا رسول الله
ان دوسا قد عصت وابت فادع عليها فقالوا هلكت دوس ان دعا عليها فقال اللهم اهد دوسا
فعلم ان الله سيهديهم ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم فطلب الطفيل منه صلى الله عليه
وسلم ان يريهم اية يهتدون بها فقال اللهم نور له الضمير للطفيل اي اجعل معه نورا يكون
اية لصدقه رضي الله عنه فسطع له نور بين عينيه اي ظهر بين عينيه نور ساطع واصل معنى
السطوع الارتفاع والظهور وهو المراد هنا فقال اي الطفيل لما علم بذلك النور الذي بين
عينيه يا رب اني اخاف من قومي اذا راوا ذلك النور ان يقولوا مثلة خبر مبتدا مقدر اي هو وهذه
مثلة بضم الميم وسكون المثلثة ولام بعدها هاء وهو التنكيل والعقوبة وتغيير الخلقة
الاصلية بقطع بعض الاعضا وتسويد الوجه ونحوه وهذا هو المراد هنا اي خشي ان يعدوه
عارا لتوهم انه برص ونحوه وجوز بعضهم نصبه وفتح ميمه وكسرها وهو تكلف لا داعي له فتحول

ذلك النور الى طرف سوطه اي لما شكى الى الله ما يخافه وتضرع اليه انتقل ذلك النور من بين
عينيه الى سوط كان معه والسوط في الاصل بمعنى الخلط فسمي به ما يعد للضرب من جلد ونحوه
وهو معروف فكان اي سوطه يضيء في الليلة المظلمة كالشمع والمصباح فسمي الطفيل ذا النور
اي صاحب النور لذلك وروى الظلما بدل المظلمة ولا اشكال في شيء من هذا كما توهمه بعضهم واغرب
منه انه قال روي صوته بصاد مهملة ومثناة فوقية ثم تكلم في تاويله بخرافات لا ينبغي تسويدها
لوجه الصحف وقصة الطفيل كما نقله ابن عبد البر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان الطفيل
سيدا مطاعا في قومه وشاعرا بليغا فقدم مكة ومشى لقريش فقالوا له انك سيد قومك
وانا نخشى ان يلقاك هذا الرجل يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصيبك فانه
يفرق بين المرء وزوجته وولده فما زالوا ينهوني ويحذروني منه حتى قلت لهم لا ادخل المسجد الا وانا
اذني محشوتهما كرسفا اي قطنا ودخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما
قريبا مني وابى الله الا ان يسمعني قوله فقلت في نفسي ان هذا لعجز وانا امرؤ ثبت لا يخفى علي الحسن والقبيح
والله لاسمعنه فان كان رشدا اخذته او غيا تركته فنزعت ما باذني واستمعت له فلم اسمع
باحسن واحلى مما قاله فانتظرته صلى الله عليه وسلم حتى انصرف وتبعته فدخلت منزله معه
وقلت له يا محمد ان قومك قد قالوا كذا وكذا وقد سمعت ما قلت ووقع في نفسي انه حق فاعرض علي
دينك وما تامر به وتنهى عنه ففعل فاسلمت ثم قلت يا رسول الله اني راجع لدوس وانا فيهم سيد
مطاع وانا داعيهم الى الاسلام فادع الله ان يجعل لي اية تكون عونا لي عليهم فقال اللهم
اجعل له اية قال فخرجت حتى اشرفت على حاضرة دوس وليس هناك الا شيخ كبير وامراة وولد فلما
علوت الثنية ظهر بين عيني نور كالشهاب فقلت اللهم في غير وجهي فاني اخشى ان يظنوه مثلة
لفراق دينهم فتحول في راس سوطي فلقد رايتني اسير وانه على راس سوطي كانه قنديل معلق فيه
فلما قدمت عليهم اتاني ابي فقلت اليك عني فلست منك ولست مني فاني اسلمت واتبعت دين
محمد فقال اي بني ان ديني دينك فاسلم وحسن اسلامه ثم اتتني صاحبتي فقلت لها كما قلت لابي
فاسلمت وحسن اسلامها واغتسلت ثم دعوت دوسا فابت وتعاصت علي فاتيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فقلت يا رسول الله ان دوسا غلب عليها الزنا والربا فادع
عليهم فقال اللهم اهد دوسا فرجعت اليهم واقمت بين ظهرانيهم ادعوهم الى الاسلام حتى استجاب
منهم من استجاب ثم قدمت عليه المدينة صلى الله عليه وسلم بعد احد والخندق بثمانين
او سبعين من اهل بيتي حين فتحت مكة وارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحراق صنم
عمرو بن حممة فاحرقه واقام معه حتى قبض ثم بعثه ابو بكر رضي الله عنه الى مسيلمة فاستشهد
باليمامة وقيل باليرموك في خلافة عمر كما تقدم ودعا على مضر اي انه صلى الله عليه وسلم كما ورد
في حديث صحيح رواه الشيخان والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله
عنه دعا عليهم ومضر اسم قبيلة عظيمة سميت باسم الجد وهو مضر بن معد بن عدنان وفي وجه
تسميته اختلاف وتسمى مضر الحمراء وتسمى مضر ربيعة وقبيلة ربيعة الفرس لان نزارا اباهم اوصى لمضر

بالذهب

بالذهب وهو قد يؤنث فيوصف بالحمرة ويقال ذهب احمر واعطى ربيعة الخيل فيقال لها ربيعة
الخيل وكان شعارهم في الحرب العمايم والرايات الحمر وشعار اهل اليمن الصفر وبه فسر قول ابي تمام في الربيع
محمرة مصفرة فكانها عصب تيمن في الوغى وتمضر ومضر ابو قريش فاقحطوا بالبناء للمجهول اي اصابهم
القحط لاحتباس المطر عنهم حتى كادوا يهلكون وتهلك دوابهم ويجوز بناؤه للفاعل قيل وهو الا
فصح لانه لازم والهمزة للصيرورة لا للتعدية حتى استعطفته قريش اي سالوه صلى الله عليه وسلم
ان يعطف عليهم ويرحمهم بدفع القحط عنهم وما حل بهم من البلاء فدعا الله لهم ان يمطرهم ويزيل
قحطهم فسقوا اي سقاهم الله وامطر ارضهم فزال عنها القحط بدعائه صلى الله عليه وسلم سريعا
وكان دعاؤه صلى الله عليه وسلم لما لم يجيبوا دعوته انه قال اللهم اجعلها عليهم سنينا كسني
يوسف فقحطوا حتى اكلوا الجراد والدم والعظام فقال له ابو سفيان وكعب بن مرة انك تامر بصلة
الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم فقال اللهم اسقنا غيثا مريعا طبقا غدقا عاجلا
غير رايث نافعا غير ضار فما اتى عليهم جمعة حتى مطروا كما رواه ابو نعيم في الدلايل ودعا صلى الله عليه
وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما على كسرى بكسر الكاف وقد تفتح كما مر وهو
معرب خسرو وهو لقب لكل من ملك الفرس واسم هذا الذي كتب اليه النبي صلى الله عليه وسلم
كتابا يدعوه فيه الى الاسلام ابرويز بن هرمز وهو من اولاد انوشروان قيل ابرويز معناه المظفر وانوشروان
معناه مجدد الملك كما قاله السهيلي رحمه الله حين مزق كتابه الذي بعثه صلى الله عليه وسلم اليه
يحثه فيه على الاسلام وسعادة الدارين وكان بعثه صلى الله عليه وسلم مع عبد الله بن حذافة
السهمي وقيل مع غيره فقطعه تحقيرا به وقيل جعله هدفا ورماه بالسهام حتى مزق وتجبر انفة
وقيل لانه كتب اسمه فوق اسمه وصورة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى
عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وامن بالله ورسوله واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
ارسله الى الناس كافة لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين اسلم تسلم فان توليت فان عليك
اثم المجوس وقوله حين مزق كتابه وان كان الدعا بعده حين بلغه خبره بعد زمان اما لان او لان
المراد زمان ممتد لان الحين يطلق على مطلق المدة كما في قوله هل اتى على الانسان حين من الدهر او المراد
حين بلغه تمزيقه ففيه تقدير فما قيل انه كان ينبغي ان يقول من اجل تمزيقه كتابه ليس بشيء ان يمزق الله ملكه
معمول دعا اي بان يمزق الخ باهلاكه وانتقال ملكه لغيرهم فمزق كل ممزق فلم يبق له اي لكسرى ولملكه
باقية اي نفس باقية من عقبه او هو مصدر بمعنى بقية او بقا والمصدر يكون بوزن فاعلة قليلا
ولا بقيت لفارس هو معرب بارس بالبا العجمية ويطلق على القبيلة وعلى بلادهم رياسة اي ملك
ونفاذ كلمة في اقطار الدنيا وفي نسخة البلاد اي في جميع نواحيها فقطع الله دابرهم وافناهم بدعائه
صلى الله عليه وسلم عليهم لما عصوه وتجبروا فلم يزل امره في انحطاط حتى قتله ابنه شيرويه ثم
مات ابنه بعده بزمن يسير وزالت دولتهم حتى انقرضوا كما فصل في التواريخ والحديث في البخاري
والكلام عليه مبسوط في شروحه ودعا صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابو داود والبيهقي
انه صلى الله عليه وسلم دعا على صبي صغير قال ابن حجر اسم الصبي يزيد بن بهرام وقيل انه لا يعرف

اسمه وحديثه ضعيف وقال الذهبي اظنه موضوعا لانه اشكل عليهم بان الصغير غير مكلف فكيف يدعو
صلى الله عليه وسلم عليه مع رافته به وما اجاب به البرهان الحلبي من ان الاحكام انما تعلقت
بالبلوغ بعد احد كما قاله التقي السبكي وبعد الهجرة كما قاله غيره او هو من باب خطاب الوضع
المتعلق بالاتلاف وهو لا يشترط فيه التكليف لا يخفى ما فيه على بعده وابعد منه واغرب
ما قيل ان الله اطلعه صلى الله عليه وسلم على حال هذا الصبي وانه سيصير متعديا وانه لو لم
يكن كذلك اضر بالناس فلذا دعا عليه كما اطلع الخضر عليه الصلاة والسلام على حال الغلام
الذي قتله وانه لو عاش كان كافرا وقد قررا ئمة الحديث انه صلى الله عليه وسلم له ان يحكم بالباطن
احيانا كما يحكم بالظاهر وانه من خصايصه صلى الله عليه وسلم وقد افرده السيوطي
رحمه الله بجزء الفه فيه الا انه هنا تعسف لا يلتفت اليه قطع عليه صلاته بمروره بين
يديه صلى الله عليه وسلم وقطع الصلاة مجاز عن افسادها قبل تمامها حتى يحتاج للاعادة
والمصلي اذا صلى في غير العمران يستحب له ان يجعل بين يديه سترة تمنع المار عن المرور بينه وبين
القبلة وينبغي ان تكون مرتفعة ارتفاعا تاما فكانه صلى الله عليه وسلم لم يكن له سترة
في هذه الصلاة او كانت ومر الصبي بينه وبين السترة وحينيذ فلو مر انسان وحيوان
لا يقطع صلاته عند الجمهور من المحدثين والفقها ولا يفسدها كما صرحوا به وذهب بعضهم الى انه
يقطعها لانه ورد في احاديث صحيحة منها ما رواه ابو ذر انه صلى الله عليه وسلم قال اذا قام احدكم
يصلي بسترة ما يضعه بين يديه مثل اخرة الرحل فاذا لم يكن فانه يقطع صلاته الحمار والمراة والكلب
الاسود وخصه لانه ورد في الحديث الكلب الاسود شيطان وقد علمت ان الجمهور على خلافه
فقيل انه منسوخ وقيل انه ماول والمعنى يقطع خشوعه في صلاته وهو صلى الله عليه وسلم
وان كان لا يشغله عن الله شي فعله تشريعا لامته انه يقطع الله اثره معمول دعا اي دعا
صلى الله عليه وسلم على ذلك الصبي بان يقطع الله اثره والاثر بفتحتين ما يوثره بمشيه وغيره
ويبقى بعده علامة عليه وقطع الاثر يكنى به في الاكثر عن الفنا والذهاب بالكلية فيقال
ما بقي له عين ولا اثر كما قيل الدهر يفجع بعد العين بالاثر فما البكا على الاشباح والصور
وهو هنا كناية عن كونه زمنا مقعدا لان الاثر انما يكون من المشي فاذا انقطع مشيه انقطع اثره
كما تقرر ويجوز ان يراد المعنى الحقيقي فلذا قيل انه كناية لا مجاز كما اشار اليه بقوله فاقعد الصبي
وصار مقعدا زمنا لا يمكنه المشي ليبس اعصاب رجله التي يتحرك بها وروي ان يقطع الله
دابره والدابر في الاصل الاخر كما في قوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي اخرهم فلم يبق منهم احد
فاستعير هنا للزمانة بان يسلبه الله قوة مشيه وهذا رواه ابن حبان عن ابن مهران قال رايت
مقعدا بتبوك يسمى يزيد بن نمران يقول مررت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يصلي فقال اللهم اقطع اثره فما مشيت بعد وقد سمعت ما فيه وقال صلى الله عليه وسلم
في حديث رواه مسلم عن سلمة بن الاكوع انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل قال البرهان
الحلبي اسم هذا الرجل بسر بضم الموحدة وسكون السين وراء مهملتين ومن اعجمه فقد صحف

وهو

61

وهو تبسر بن راعي العير الاشجعي راه ياكل بشماله كل بيمينك ارشادا له للسنة فان الاكل بغير اليمين
مكروه وقوله كل الخ مقول القول فقال لا استطيع اي لا اقدر على الاكل بيميني فقال له صلى الله عليه
وسلم لا استطعت بنا الخطاب وهو دعا عليه بان يسلبه الله القدرة على الاكل باليمين
فلم يرفعها اي يده اليمنى لانها مونثة سماعا اي لم يقدر بعد دعايه صلى الله عليه وسلم عليه
ان يرفع يده اليمنى الى فيه ويحركها لانها شلت وبطل عملها لانه صلى الله عليه وسلم امره بالتيمن
وهو سنة في الاكل والشرب لقوله اذا اكل احدكم فلياكل بيمينه واذا شرب فليشرب بيمينه فلا
يتركه الا لعذر وقد علم صلى الله عليه وسلم انه لا عذر له وانه انما لم يمتثل امره الا لتكبره
ولذا قال المص في شرح مسلم انه كان منافقا الا ان الذهبي قال انه صحابي جليل فيحتمل انه كان كذلك
في اول امره ثم لما ظهر له هذه الاية تاب واخلص لله فلا اشكال فيه وما قيل من ان ترك المندوب
لا يقتضي استحقاق العقاب ليس بشي لان مخالفة امره صلى الله عليه وسلم مشافهة بغير
عذر لا يجوز وليس هذا الرجل جاهليا كما توهم هذا القايل وخبط هنا على عادته وليس في قوله
قال دون دعا اشارة لما توهمه وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الحاكم والبيهقي
وابن اسحاق من طرق صحيحة مسندة لعتبة ابن ابي لهب الجمحي عدو الله ورسوله واسمه عبد العزى بن عبد
المطلب بن هاشم المشهور وكان له ثلاثة اولاد عتبة وعتيبة بالتصغير ومعتب اسلم منهم
اثنان يوم الفتح ولم يهاجرا من مكة وبقي واحد منهم على الكفر وهو عقير الاسد وكان عنده ابنة النبي
صلى الله عليه وسلم فطلقها فاذاه فدعا عليه بما ياتي فافترسه الاسد بالزرقاء من ارض
الشام كما رواه الحاكم من حديث ابي نوفل وقال انه صحيح الاسناد قال تجهزا ابو لهب وابنه عتبه الى الشام
فنزلا بالسراة قريبا من صومعة راهب فقال الراهب هنا سباع فاحذروا على انفسكم فقال ابو لهب
لمن معه انتم قد عرفتم سني وحقي قالوا اجل فقال ان محمدا دعا على ابني فاجمعوا متاعكم على هذه الصومعة
وافترشوا لابني عليها وناموا حوله ففعلوا ونام عتبه فوق متاع فجا الاسد فشم وجوههم ووثب
على عتبه فقطع راسه وذهب وقيل انه لم ياكله لما فيه من خبث الطوية بعض خير البرية الا انه قيل
ان العقير عتيبه مصغرا وان عتبة اسلم وحسن اسلامه فهو من كبار الصحابة والصواب عتيبة وقال
البرهان ان الذي في نسخ الشفا بالتكبير وكذا صححه بعضهم وقال الذي اسلم عتيبة بالتصغير والمشهور
ان المصغر عقير الاسد والمكبر هو الصحابي فما في بعض النسخ مما خالفه على قول مخالف للمشهور انتهى
فقد علمت الاختلاف فيه وفي النسخ والاصح منها اللهم سلط عليه كلبا من كلابك قال في حياة
الحيوان الاسد يسمى كلبا لانه يشبهه في بعض احواله ويرفع رجله اذا بال فلما اضاف الكلب الى العظيم
علم انه اعظم ما يسمى بذلك الاسم كما قاله الثعالبي والى ذلك اشار بقوله فاكله الاسد وفي دلايل
النبوة للبيهقي كانت ام كلثوم ابنته صلى الله عليه وسلم في الجاهلية تحت عتيبة بن ابي لهب واختها
رقية تحت اخيه عتبة فلما نزلت تبت يدا ابي لهب وتب قال ابو لهب لابنيه راسي من راسيكما حرام
ان لم تطلقا ابنتي محمد وقالت امهما حمالة الحطب مثله فطلقها عتبة واتاه صلى الله عليه وسلم فقال له
اني طلقت ابنتك فانك لا احبك ولا تحبني وشق ازاره وسفه عليه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم

سلط الحر ثم خرج فى نفر من قريش الى الشام فكانت قصته الاسد وفى روايتها وتسميته ابنه اختلاف كما دل لا خلاف فى اصل القصة وقد ذكرها حسان رضى الله عنه فى شعره وقال صلى الله عليه وسلم لامراة يا كلبك وفى نسخة اكلك الاسد فاكلها الاسد قال البرهان الحلبى هذه المراة لا اعرفها وذكر غيره انها بنت المطعم الانصارية فانها اتت النبى صلى الله عليه وسلم وهو مولى ظهره الشمس فضربت منكبه فقال من هذا اكله الاسد فقالت انا ابنة مطعم الطير ومبارى الريح ابو ليل جيت لاعرض نفسى عليك لتتزوجنى فقال قد فعلت فرجعت الى قومها واخبرتهم الخبر فقالوا انت امراة غيرى والنبى صلى الله عليه وسلم نسا فيدعو عليك فرجعت وقالت له اقلنى فاقالها وتزوجت بغيره فبينما هى فى حايط بالمدينة افترسها ذيب فالاسد هنا بمعنى الحيوان المفترس فلا يقال ان دعوته صلى الله عليه وسلم عليها لم تتحقق وهذا الحديث سقط من بعض النسخ ومن ذلك حديثه صلى الله عليه وسلم المشهور الذى رواه مسلم والبخارى عن عبد الله ابن مسعود فى دعايه صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة بمكة على قريش حين وضعوا اى حين اذ وضع بعض منهم فهو من اضافة ما للبعض الى الكل السلا بفتح السين المهملة واللام المخففة مقصور وهو جلد رقيق يخرج مع الولد من بطن امه ملفوفا فيه قيل وهو كالمشيمة من المراة وفى النهاية الاول اشبه لان المشيمة انما تخرج بعد الولد والسلا وهو للمواشى ان نزع عنه ساعة يولد تبقى حيا والا هلك وكذا اذا انقطع فى البطن ويقال للولد بعينه سلا ايضا تسمية له باسم محله ويكون فيه دم ونحوه على رقبته الشريفة الرقبة موخر اصل العنق عند الكتفين وهو ساجد عند البيت فى صلاة والجملة حالية مع الفرث والدم حال من السلا والفرث بالفا والرا المهملة وثا مثلثة وهو السرجين ما دام فى الكرش وسماهم فاعل سمى ضمير ابن مسعود وضمير المفعول لقريش وهو يدل على ان المراد بعضهم لا الجميع كما اشرنا اليه وهم المستهزون المذكورون فى الاية وكانوا سبعة كما تقدم ويحتمل ان فاعل سمى هو النبى صلى الله عليه وسلم وهو الذى يصرح به سياق اصل الحديث فقال اى ابن مسعود فلقد رايتهم قتلوا يوم بدر فاجاب الله دعوته صلى الله عليه وسلم فيهم وحديث ابن مسعود هذا فى الصحيحين كما قال انه صلى الله عليه وسلم كان يصلى عند البيت وابو جهل واصحاب له جلوس فقال بعضهم لبعض ايكم يجى بسلا جزور بنى فلان فيضعه على ظهر محمد اذا سجد فانبعث اشقى القوم فجا به وانتظر النبى صلى الله عليه وسلم حتى سجد فجعله بين كتفيه وانا انظر فجعلوا يضحكون ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرفع راسه حتى جات فاطمة رضى الله عنها فطرحته فرفع راسه الشريف ثم قال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات اللهم عليك بابى جهل وعتبه بن ربيعه والوليد ابن عتبة وامية ابن خلف وعقبة بن ابى معيط وعمارة بن الوليد وعدهم والذى جا بالسلا والقاه عقبة بن ابى معيط وهو اشقاهم لمباشرته الفعل كاشقى ثمود والكلام على الحديث مفصل فى شروح البخارى واما استمراره صلى الله عليه وسلم فى سجوده مع ما عليه من النجاسة المفسدة للصلاة فقد اجابوا عنه باجوبة منها انه صلى الله عليه وسلم لم يرها حتى يتحقق نجاستها وكان هذا فى اخر الصلاة فلم يلزم اعادتها مع انه كان قبل الهجرة وتحقق شروط الصلاة المفروضة ثم انه قيل انهم كلهم لم يقتلوا ببدر ولم يلقوا فى قليبها فان عقبة بن ابى معيط اسر ببدر ثم قتله صلى الله عليه وسلم بعد مرحلة منها وعمارة

بن الوليد مات

بن الوليد مات بالحبشة فقيل انه باعتبار اكثرهم وغالبهم على ما فيه ودعا صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه البيهقى بسند ان طرق صحيحه على الحكم بن ابى العاص بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى القرشى الاموى وهو ابو مروان وعم عثمان بن عفان وهو ممن اسلم فى الفتح وكان اى الحكم يختلج بوجهه اى يحرك وجهه او بعضه كحاجبيه وعينيه ويغمز بعينيه اى يحركهما مشيرا بهما وهو جالس عند النبى صلى الله عليه وسلم قاصدا بغمزه واشارته لمن يراه ثمة من المنافقين ونحوهم ان ما حدث به الرسول صلى الله عليه وسلم لا اصل له كما اشار اليه بقوله اى لا فهو تفسير للغمز بالمراد منه وليس المراد بالغمز هنا العيب كما قيل لانه غير مناسب هنا وان كان ورد بهذا المعنى فى اللغة فلا وجه لتفسير يغمز بيعيب لانه كان يخبر المنافقين باسراره صلى الله عليه وسلم ولا لما قيل انه كان يحرك ذقنه وشفتيه محاكاة لفعله صلى الله عليه وسلم فراه صلى الله عليه وسلم وهو يختلج فقال له كن كذلك دعا عليه بان لا يزال وجهه يختلج وفى نسخة كذلك كن فلم يزل يختلج الى ان مات بدعايه وكان موته فى خلافة عثمان قبل فتنة والقيام عليه باشهر وكان صلى الله عليه وسلم اخرجه من المدينة ونفاه الى الطايف ومعه ابنه مروان وقيل ان مروان ولد بالطايف فلم يزل بها الى ان رده عثمان فى خلافته فكان بسبب رده وابنه ما كان ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم سال عثمان ابا بكر رضى الله عنه فى رده فقال ما كنت لارد من نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم رده فوعدنى به فقال ابو بكر رضى الله عنه انى لم اسمع ذلك ولم تكن معه بينة ثم لما ولى عمر ساله ذلك فقال كما قال ابو بكر فلما تولى عثمان عمل بعلمه ورده فلا وجه للتشنيع عليه بذلك والطعن بسببه فى خلافته كما تزعم الشيعة مع انه رضى الله عنه علم من الحكم انه تاب وخلصت طويته واختلف فى سبب نفيه فقيل انه كان يستخفى ويسمع ما يسره رسول الله صلى الله عليه وسلم لكبار الصحابة فى امر المشركين والمنافقين فيخبرهم به وقيل انه كان يحاكى مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحركاته فيفعل مثلها ويتغامز فى مجلسه كامر فلما علم ذلك منه نفاه وروى عن عايشة ام المومنين رضى الله عنها انها قالت لمروان لما قال فى حق اخيها عبد الرحمن ما قال اما انت فاشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن اباك وانت فى صلبه تشير الى ما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لاصحابه سيدخل عليكم رجل لعين فدخل عليهم الحكم فلذا قيل فليت عثمان لم يحكم بعودته رضى بما حكم الصديق فى الحكم ودعا صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه البيهقى وابن جرير موصولا عن ابن عمر رضى الله عنهما قال بلغنا انه صلى الله عليه وسلم دعا على محلم بميم مضمومة وحا مهملة مفتوحة ولام مشددة مكسورة وميم ابن جثامة بضم الجيم وتشديد الثا المثلثة والف وميم وها واسمه جثامة بن بدر بن قيس بن ربيعة الكنانى الليثى اخو الصعب قيل انه نزل فيه اذا ضربتم فى سبيل الله الاية كما ياتى فمات اى محلم هلك عقب دعايه لسبع اى عند سبع او بعد سبع ليال من دعايه صلى الله عليه وسلم وهذا رواه ابن سيد الناس وغيره وقال السهيلى انه مات بحمص ايام ابن الزبير وسياتى مثله وبينهما بون بعيد كما قاله البرهان الحلبى فلفظته الارض اى قذفته وطرحته واخرجته من بطنها لعدم قبولها له وهذا مما شوهد كثيرا وورد فى الحديث يبقى فى كل ارض شر اهلها تلفظهم ارضوهم ثم وورى بواوين مضمومة فساكنة ورا مكسورة ومثناة تحتية اى

ستر وغطى وغيب فهو مجهول وواراه اذا غيبه فلفظته الارض مرات فكنا كلما دفناه اصبحوا راوه
فوق الارض تفضيحا له واشارة الى انه من الاشرار فحجروا فالقوه اى القوا بدنه محلم بين صُدَّين
مثنى صُدّ بضم الصاد وفتحها وتشديد الدال المهملين وهو ناحية الوادى او الشعب والجبل
ورضموا عليه الحجارة رضم بفتح الرا المهملة والضاد المعجمة وميم من الرضم بالفتح والسكون
وهو وضع الصخور بعضها فوق بعض كالبنا والصد بالضم والفتح جانب الوادى وهو الارض
الواسعة وهذا احد الاقوال فيه كما تقدم وسبب دعايه عليه عليه الصلاة والسلام
انه بعثه فى سرية امر عليها عامر بن الاضبط فبلغوا بطن واد فقتل محلم عامرا فلما بلغه صلى الله
عليه وسلم ذلك قال اللهم لا تغفر لمحلم ثلاث مرات فمات فلفظته الارض ثلاث مرات
فقال صلى الله عليه وسلم ان الارض لتقبل من هو شر منه ولكن اراد الله ان يجعله لكم عبرة فالقوه
بين صوخى جبل حتى اكلته السباع قال الزبيدى الصوح المشوق قال التلمسانى والذى رواه ابن عبد البر
مسندا الى القعقاع عن ابيه انه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية الى اضم
فلقينا عامر بن الاضبط فحيانا بتحية الاسلام فحمل عليه محلم فقتله وسلبه فلما قدمنا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم واخبرناه نزل يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا الاية وقد
قيل ان الملفوظ غير محلم بن جثامة وان محلما نزل حمص ومات بها فى زمن ابن الزبير رضى الله عنهما ولهم
اختلاف فى سبب نزول الاية المذكورة وفيمن نزلت على اقوال كثيرة وقد اختلف فى محلم هذا بعد تحقق
اسلامه وصحبته هل كان منافقا ام لا وجحده صلى الله عليه وسلم رجل بيع فرس اى انكره وكان
اشتراها منه صلى الله عليه وسلم وهذا الرجل اعرابى يسمى سواد بن قيس وقيل ابن الحارث وهو صحابى
والفرس المرتجز كما قاله الجوهرى وقيل الطرف بكسر الطا المهملة وقيل النجيب وهى هذه الفرس التى شهد
فيها اى فى بيعها للنبى صلى الله عليه وسلم خزيمة بخا وزاى معجمتين ويقال اسمه ابو خزيمة وهو صحابى شهير
قتل بصفين مع على رضى الله عنهما سنة سبع وثلاثين ولما شهد له قبل صلى الله عليه وسلم شهادته وجعل
شهادته بشهادتين وهو من خصايصه رضى الله عنه فرد الفرس بالنصب مفعول رده بعد مبنى على الضم
اى بعد تجحده وشهادة خزيمة له النبى صلى الله عليه وسلم هو فاعل رده على الرجل الذى جحد البيع وهو
متعلق برد وانما ردها صلى الله عليه وسلم تعففا منه وتكرما وقال اذ ردها اللهم ان كان كاذبا
فلا تبارك له فيها اى لا تجعل له بركة فى فرسه فاصبحت اى الفرس شاصية برجلها الباء زايدة وشاصية بشين
معجمة والف وصاد مهملة ومثناة تحتية وها اى رافعة رجلها والمراد ان رجلها مرفوعة والاسناد مجازى
وارتفاع رجلها كناية عن انها ماتت وانتفخ بطنها حتى صارت رجلها مرفوعة كما يشاهد فى الجيف بعد ايام
يقال شصا الميت اذا انتفخ وارتفعت يداه ورجلاه كما قاله اهل اللغة ووقوع مثله عادة بعد ايام
فوقوعه بسرعة من الايات ايضا وحاصل قصة خزيمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتاع الفرس
من ذلك الاعرابى وتبعه ليقبض الثمن فجعل الناس يساومونه ويزيدون ورسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يشعر فناداه الاعرابى ان كنت مبتاعا الفرس والا بعته فقال صلى الله عليه وسلم قد ابتعته فقال هلم شهد
فقال خزيمة انا اشهد فقال له صلى الله عليه وسلم احضرتنا فقال بابى انت وامى انا اصدقك فى اخبار السما افلا

اصدقك

اصدقك فى ابتياع فرس فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا الشهادتين وقال من شهد له خزيمة فحسبه
وكان كلام الاعرابى قبل اسلامه او قبل خلوص اسلامه والا فمثله لا يليق وهذا الباب اى باب دعا
النبى صلى الله عليه وسلم واجابة دعايه وقع كثيرا وروى فى احاديث كثيرة اكثر من ان يحاط به
اى لا يمكن احد من علما هذه الامة ان يعلم جميع دعواته صلى الله عليه وسلم فانها كثيرة جدا وما نقله
المصنف منها قطرة من بحر يعلم بها ما سواه اجمالا ويحصل به اليقين لمن كان من المومنين وقوله اكثر
من ان يحاط به كقولهم اكثر من ان يحصى ومثله كثير وتاويله مشهور فان ظاهره غير مراد اذ لا يعنى انه اكثر
من الاحاطة وقد بينوه فى محله حتى افرده بعض فضلا العصر بجزء مستقل والاحاطة بالشى معناه
استقصا جميع افراده تنبيه قرر ان الدعا معناه التضرع الى الله فى جلب ما ينفع ودفع ما يضر وقد
قيل اذا كان كل شى بقضاء وقدر وقد جف القلم فما فايدة الدعا واجيب بانه امر تعبدى لمحافظة
على مقام العبودية وقد يكون ذلك معلقا بالدعاء موقوفا عليه كما اشار اليه صلى الله عليه وسلم
بقوله اعملوا فكل ميسر لما خلق له فمن انكر الدعا وقال انه لا فايدة فيه فقد ضل عن سوا السبيل فاعرفه
فصل فى كراماته صلى الله عليه وسلم اى ما اكرمه الله به من الامور الخارقة للعادة والكرامة اعم
من المعجزة فان المعجزة تكون بعد دعوى النبوة مقارنة للتحدى بالفعل او بالقوة والكرامة لا يشترط
فيها ذلك وتكون للنبى وغيره من اولياء الله وان غلب فى العرف جعل الكرامة للولى والمعجزة للنبى الا انها
تختص بذلك على ما عرف وما كان منها قبل النبوة للنبى يسمى ارهاصا لانه تاسيس للنبوة ومقدمة لها
وبركاته اى ما وقع له صلى الله عليه وسلم ببركته من الخوارق وانقلاب الاعيان له اى تبدل حقيقتها
وماهيتها وصورتها وذلك جايز وواقع على الاصح وليس بممتنع كما توهم وليس هذا الفصل مقصورا على
هذا وان كان اعظمه فما قيل الاحسن ان يقول فى كراماته بانقلاب الاعيان ليس بظاهر والاعيان جمع
عين وهى الذات فيما لمسه صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة او باشره المباشرة ايصال الامر بنفسه فهى
اعم من اللمس واللمس والمس متقاربان اخبرنا احمد بن محمد بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن غلبون الخولانى شيخ
المصنف توفى سنة ثمان وخمسماية وكان فى الحديث وساير الفنون اماما عصره قال حدثنا ابو ذر الهروى
تقدم بيان ترجمته اجازة وحدثنا القاضى ابو على سماعا ابو على هو ابن سكرة السابق ترجمته والقاضى
ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما ابن عبد الرحمن هو ابن سعيد كما تقدم قالوا حدثنا ابو الوليد
القاضى الباجى الحافظ وقد تقدم قال حدثنا ابو ذر يعنى الهروى المتقدم قال حدثنا ابو محمد
السرخسى المتقدم وابو اسحق المستملى المتقدم وابو الهيثم الكشميهنى المشهور قالوا حدثنا
الفربرى تقدم بيانه ولغته ونسبته قال حدثنا البخارى صاحب الصحيح المشهور قال حدثنا
يزيد بن زريع بالتصغير ابو معاوية البصرى ولد سنة احدى وماية ومات سنة ست وثمانين
وماية كذا فى النسخ هنا وصوابه حدثنا البخارى حدثنا عبد الاعلى بن حماد حدثنا يزيد بن زريع
وهكذا هو فى صحيح البخارى فسقط منه راو من قلم المصنف قال حدثنا سعيد بن ابى عروبة كما تقدم
وفى نسخة عن سعيد عن قتادة تقدمت ترجمته عن انس بن مالك الصحابى المشهور ان اهل
المدينة فزعوا مرة اى وقع بهم فزع بفتح الفا والزاى المعجمة والعين المهملة قال المبرد فى الكامل

الفزع في كلام العرب على وجهين احدهما الخوف والذعر والاخر الاستنجاد والاستصراخ يقال فزع
وافزع وهو من الاضداد قال زهير اذا فزعوا طاروا الى مستغيثهم طوال رماح لا ضعاف
ولا عزل وقال النبي صلى الله عليه وسلم انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع والمراد هنا
الاول اي وقع خوف استصرخوا بسببه وهو اشهر معنييه فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما سمع صياح الناس وفزعهم لظنهم ان عدوا هجم عليهم فسبق الناس كلهم الى الجانب الذي سمع منه
الصوت وراى الناس في رجوعه فقال لهم لن تراعوا وهو راكب فرسا لابي طلحة ركبها عريا من غير سرج
عليه وابو طلحة هو زيد بن سهل الانصاري النجاري الصحابي البدري وهو احد النقباء ليلة العقبة
وممن شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وله مقام محمود باحد كما تقدم وروى عنه
صلى الله عليه وسلم احاديث كثيرة وتوفي سنة اربع وثلاثين من هجرته كان يقطف او به قطاف
بكسر القاف وبالطاء المهملة والفاء والشك فيه من الراوي قال البرهان يقطف بضم الطاء في قولهم
تقطف الدابة بمعنى تبطئ واما من قطف العنب فبكسر الطاء كما قال الزمخشري والقطاف بكسر القاف الاسم
منه وقال الجوهري القطوف في الدواب البطيء وقال ابو زيد الضيق المشي وهما متقاربان ويوصف به الانسان
والخيل وهو عيب في الخيل وهو معنى قوله وبه قطاف وقال غيره اي عن انس يبطأ مكان يقطف بمثناة تحتية
مضمومة وباء موحدة مفتوحة وطاء مهملة مشددة مفتوحة وهمزة مضارع بطأ والبطؤ ضيق الخطا فهو
قريب من الرواية الاولى والظاهر ان المراد به هنا انه كان يوصف بالبطؤ وينسب اليه ذلك وهو مبني للمجهول
فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفزع ولقي ابا طلحة قال له وجدنا فرسك بحرا اي كالبحر
في شدة جريه وعدوه بسهولة وهو استعارة تصريحية كما يقال تبحر فلان في علمه اي توسع فكان ذلك
الفرس بعد مبني على الضم اي بعد قول النبي صلى الله عليه وسلم له ذلك ببركته لا يجارى مبني للمجهول
مفاعلة من الجري وهو مما يوصف به الماء والحيوان ايضا فهو تجريد شبه بالترشيح وفيه مبالغة
والمعنى لا يسبق فكانه لذلك لا يجاريه احد بقرينة السياق وهذا الحديث رواه البخاري والكلام
عليه مفصل في شروحه وكان ذلك الفرس يسمى مندوبا ومما رواه الشيخان من هذا النوع انه صلى الله
عليه وسلم نخس جمل جابر بن عبد الله الانصاري الصحابي المعروف رضي الله عنهما والنخس بخاء معجمة
وسين مهملة كنصر من النخس وهو ان يطعنه في جنبه او نحوه بعود او نحوه وكان ذلك المنخس
في يده الشريفة وكان ذلك الجمل قد اعيا اي تعب وقد قلت حركته من السير فنشط بكسر الشين
المعجمة في الماضي وفتحها في المضارع اسرع في السير وخف من النشاط ضد الكسل والمراد انه ذهب
إعياؤه فابدا قوة وسرعة وفي النهاية روي كثيرا انشط وليس بصحيح يقال نشطت العقدة اذا عقدتها
وأنشطتها اذا احللتها وفي الحديث كانما أنشط من عقال ونشطت الدلو اذا جذبتها بقوة انتهى
يعني ان الصواب هنا انشط من المزيد واصل معناه الجذب بسرعة واذا صحت الرواية بخلافه فكيف
يقال انه غير صواب ولا يخفى انه استعارة فيجوز ان يستعار من نشط الدلو اذا نزعها فيشبه
الجمل بدلو في بئر ويشبه نخسه له حتى جد في سيره باخراجه من البئر كانه جذبه وابدى قوة التي
لم تكن ظاهرة فيه حتى كان اي جابر او الجمل لا يملك زمامه الزمام مقود الجمل ويملك يجوز

بناؤه

64

بناؤه للمعلوم فالضمير فيه لجابر وللمجهول فهو للجمل ومعناه انه لا يقدر على ضبطه وحبسه لانه لشدة
نشاطه يجذبه من يده وينازعه فيه والحديث كما في الصحيحين قال جابر رضي الله عنه انه كان معه
صلى الله عليه وسلم في غزوة فابطأ به جمله ومر به صلى الله عليه وسلم فقال له ما شانك
فقال ابطأ بي جملي واعيا فتخلفت فنزل ونخسه بمحجن وقال له اركب قال فصار لا يقدر على كفه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه اشتراه منه ثم وهبه له كما فصل قصته في الحديث وشروحه
وفي ثمنه اختلاف ايضا وفيه من بركته صلى الله عليه وسلم ولطف معاملته مع اصحابه وكرمه
ما لا يخفى وهذه الغزوة في غزوة ذات الرقاع كما في شرح البخاري وصنع مثل ذلك اي مثل ما صنع
مع جابر رضي الله عنه في حديث رواه البيهقي بفرس جعيل بضم الميم وفتح العين المهملة وياء تصغير
ولام وهو جعيل بن زياد وقيل انه سمرة الصحابي الكوفي وقيل اسمه جعال الاشجعي بشين معجمة وجيم
وعين مهملة منسوب لاشجع وهي قبيلة وحديثه هذا رواه عنه عبد الله بن ابي الجعد قال كنت في بعض
غزواته صلى الله عليه وسلم على فرس عجفاء ضعيفة في اخريات الناس فقال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما شانك فقلت انها عجفاء ضعيفة فضربها بمخفقة كانت في يده وقال بارك الله
لك فيها قال فلقد رايتني اول الناس ما املك راسها وبعت من بطنها عدة كثيرة واليه اشار بقوله
فخفقها رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ضربها بمخفقة كانت معه بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة
وفتح الفاء وقاف وهاء اسم آلة من الخفق وهي الدرة وقيل انها عصا والخفق الضرب ومنه خفق
الطاير بجناحيه وخفقان القلب والخافقان كله يرجع لهذا وبرك عليها بالتشديد تفعيل
من البركة اي دعا لها مرارا بالبركة فيها فلم يملك راسها اي لم يقدر على ضبط راسها بلجامها لقوة
سيرها ومجاذبتها له وهذا من قولهم ملك العجين اذا عجنه بقوة والملك ماخوذ من هذا وهو حقيقة
نشاطا اي من شدة نشاطها وباع من بطنها اي مما ولدته وحصل من نسلها الخارج من بطنها
والبطن حقيقة الجوف ثم شاع في الولد والنسل باثني عشر الفا وهذه بركة عظيمة لدعائه صلى الله عليه
وسلم ولعله كان عنده منها بطون متعددة تتناسل فيكون ذلك ولدها وولد اولادها وفيه
لف ونشر فقوله لم يملك ناظر لقوله خفقها وقوله وباع الخ ناظر لقوله وبرك عليها وهو ظاهر وهذا
رواه النسائي وابن عبد البر في الاستيعاب وفي حديث رواه ابن سعد من حديث اسحاق بن عبد الله
بن ابي طلحة انه صلى الله عليه وسلم ركب حمارا قطوفا اي قليل السير متقارب الخطى لسعد بن عبادة
الانصاري سعد هم المشهور فرده اي اعاده صلى الله عليه وسلم لصاحبه بعد ما ركبه او معناه
صيره لان رد يكون بمعناها ويعمل عملها كما صرحوا به فعلى الاول ما بعده حال وعلى الثاني مفعول ثان
هملاجا بكسر الهاء وسكون الميم ولام وجيم وهو فارسي معرب وهو من البراذين ما يسرع مشيه ويكثر
نقله على هيئة مخصوصة والعامة يسمونه رهوان لا يساير مبني للمجهول اي يسبق كل ما سار معه
فعبر بما ذكر مبالغة كما مر في قوله لا يجارى وروى البيهقي انه كانت شعرات من شعره صلى الله عليه
وسلم وهو بفتح العين منها في قلنسوة خالد بن الوليد اي انه رضي الله عنه وضعها في داخل قلنسوته
تيمنا بها والقلنسوة بفتح القاف واللام وضم السين وفتح الواو وقبل هاء تانيثه ما يوضع على الراس

وهي معروفة ويقال قلنسية كما في الصحاح فلم يشهد اي لم يحضر قتالا او حربا قاتل فيه الازرق النصراني الا نصره الله تعالى على اعدايه فيقتلهم او يهزمهم ببركة تلك الشعرات التي كانت في قلنسوته وجملة الازرق الخ حال متشاة استشنا مفرغا من اعم الاحوال وحكا ابن العديم ان ابن ابي طاهر العلوي كان عنده اربعة عشر شعرة من شعره صلى الله عليه وسلم فبلغه ان بعض امرا حلب يحب العلويين وله كرم فارتحل واهدى تلك الشعرات له فاكرمه ثم اتاه بعد ايام فعبس وجهه ولم يلتفت اليه فسا له عن السبب فقال له قال لي فلان ان هذه الشعرات لا اصل لها فسا له احضا رها فاحضرت فطلب منه نارا موقدة فاتى بها فرمى شعرات منها في النار فلم تحترق بل صارت احسن مما كانت فقبل رجله وانعم عليه بنعم لا تحصى واكرمه غاية الاكرام وفي الصحيح اي في الحديث الصحيح او صحيح مسلم لان هذا الحديث رواه مسلم وابو داود والنسا وابن ماجه عن اسما بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما انها اي اسما اخرجت اي اظهرت وارت الناس جبة بضم الجيم وتشديد البا الموحدة وهي ثوب مخيط طيالسة قال النووي انه روي باضافة جبة لطيالسة جمع طيلسان بتثليث اللام والاشهر فتحها وطيالسة منونا مصروفا لانه بزنة ثمانية ورفاهية ويجوز نصبه على انه صفة جبة كثوب اخلاق وقد سقط لفظ طيالسة من بعض النسخ وهذه الجبة كانت عند اختها عايشة ام المؤمنين فلما ماتت بعد النبي صلى الله عليه وسلم بنحو خمسة واربعين سنة انتقلت لها والطيالسة نوع من الاكسية قيل انها ذات اعلام خضر ولذا روي جبة خضرا فوصفت بوصف بعضها وقيل معنى طيالسة خلقة وقيل انه جمع طيلس كصيقل وهو المنقول في النسخ وقيل الطيلسان كسا اخضر يعرف بالنباج وقيل الطيلسان ردا من صوف تستعمله العجم ولذا يقال يا ابن الطيلسان في شتم وقالت اسما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها اي كان يكثر لبسه هذه الجبة لانه كان يفعل كذا يدل على تكرر الفعل عرفا كما ذكره الاصوليون وليس بطريق الوضع كما مر فنحن نغسلها ونأخذ ما غسلها فنعطيه للمرضى فتستشفي المرضى بها اي بمايها بان يشرب منه ويمسح به الابدان تيمنا باثاره صلى الله عليه وسلم فيرزقهم الله الشفا ببركته وفي مسلم انها جبة كسروانية نسبة لكسرى اي عجمية وانها كانت مكفوفة بالديباج واستدل به بعضهم على حل السجاف من الحرير وقيده بعضهم بان لا يزيد على اربعة اصابع ولا ينافي كونها من الطيالسة ما قيل انه صلى الله عليه وسلم لم يستعمل الطيلسان وكرهه بعضهم لما ورد انه حلية قوم الدجال وحدثنا القاضي ابو علي هو ابن سكرة وقد تقدم عن شيخه ابي القاسم بن المامون ابن محمد بن هشام الرعيني السبتي المعروف بابن المامون الامام المشهور قال كانت عندنا قصعة بفتح القاف ولا تكسر كما مر وهي الجفنة المعروفة وتخص في العرف بما كان من الخشب وقيدها النووي بما كانت تشبع عشرة والقايل ابن المامون فيحتمل انها كانت عنده وصلت اليه بطريق من الطرق ويحتمل انها كانت بديارهم وبلدهم من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم بكسر القاف جمع جفنة وجفان ويجمع على قصع ايضا وقصاعه صلى الله عليه وسلم لم يعدوها ولم يذكروا اصفاتها لانه كان لا يعتني بها ولا يعدها ولا يدخرها فكنا نجعل فيها الما للمرضى جمع مريض فيستشفون بها اي يطلبون الشفا فيحصل لهم بشربهم مما وضع فيها البركة اثارا ثاره واخذ جهجاه الغفاري جهجاه بجيمين مفتوحتين

بينماها

بينماها وبعد الاخيرة الف دهاء وقيل ان صوابه جهجا مقصور لا هاء في اخره والغفاري بكسر الغين نسبة لغفار وهي قبيلة معروفة واختلف في اسم ابيه فقيل هو ابن مسعود وقيل ابن سعد ابن حرام وقيل ابن سعيد وقيل ابن قيس وهو صحابي مهاجري مدني وروى عنه احاديث وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي بعد عثمان رضي الله عنه بسنة القضيب يعني قضيب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان مع الخلفا والقضيب عصى قصيرة من يد عثمان ابن عفان لما قام عليه قبل يوم الدار فقيل اخذه وجذبه من يده وهو على المنبر وقيل بعد نزوله منصرفا لداره ليكسره اي اخذه بقصد ان يكسره وظاهره انه لم يكسره لصياح الناس عليه وقال ابن عبد البر وبعض اهل السير انه كسره على ركبته في كسره كما هو معتاد فصاح به الناس ليمنعوه من كسر قضيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه امر عظيم وجراة لم يرضوها ولذا قال ابن العربي لا يصح كسر العصا عمن اطاع او عصى وهذه العصا انه كان يعتمد عليها النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب ولذا الخلفا بعده فاخذ اي اصابته ووقعت به واصل معنى الاخذ التناول فتجوز به عما ذكر الاكلة كفرحة وهو دا يصيب بعض الاعضا فيتاكل اي يتفتت وينقطع وهو نوع من الجذام والفرق بينهما مذكور في مفصلات كتب الطب والناس تقول اكلة بالمد وقد قيل انه خطا الا ان الثعالبي انشد لبعض العرب في كتابه ثمار القلوب

وَمَنْ أنتَ هَلْ أنتَ إلّا امْرُؤٌ ... اذا صَحَّ كنتُكَ في باهِلَة
ولِلباهِلِيِّ على خُبْزِهِ ... كِتابٌ لِأكْلِهِ الآكِلَة

ولم يخطيه فيه وهو من ايمة اللغة فيصح ان تقرا عبارة المصنف به الا ان تعارضه الرواية فقطعها اي قطع جهجاه ركبته او رجله من ذلك لئلا تسري المرض لبدنه فان هذا المرض يعالج بقطع العضو كما قيل القطع طب كل عضو فاسد فلا حاجة لما قيل من انه ضبط لفا على الاكلة وذكره بتاويل المرض ونحوه ومات الجهجاه من قطعها قبل تمام الحول اي السنة التي وقع فيها القطع بسبب اهانته لقضيبه صلى الله عليه وسلم قال ابن عبد البر في الاستيعاب انه تناول العصا من يد عثمان رضي الله عنه وهو يخطب فكسرها فوقعت الاكلة في ركبته وتوفي بعد عثمان بسنة وهو منافي لكلام المصنف من وجهين لان ظاهره انه لم يكسرها وانه حال عليه الحول وفي الروض الانف انه انتزعها من يد عثمان رضي الله عنه حين خرج من المسجد ومنع من الصلاة فيه وهو ايضا مخالف لكلام ابن عبد البر في قوله انه اخذها وهو على المنبر وكان عثمان لما قام عليه الناس وهجموا المدينة يخرج يصلي بالناس على عادة الخلفاء الراشدين ثم خرج في اخر جمعة فحصبوه حتى وقع من على المنبر ولم يقدر على الامامة فصلى بهم ابو امامة بن سهل ثم حصروه ومنعوه من المسجد وكان من القايمين عليه الجهجاه وشافهه بما لا يليق وفعل بالقضيب ما فعل وفي جراته على قضيب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع انه من الصحابة الذين شهدوا المشاهد معه صلى الله عليه وسلم اشكال لا يخفى فان الظاهر انه يعرف القضيب وحُرْمَتَه وغَضَبه على عثمان رضي الله عنه لا يُسَوِّغ له مثل ذلك وعثمان رضي الله عنه كان مجتهدا متاولا فيما انكروه عليه وما هذه الا زلة عظيمة لا تليق بمن كان مومنا صحابيا

وروى البيهقي عن انس رضي الله عنه حديثا متصلا انه صلى الله عليه وسلم سكب من فضل وضوئه
السبك بمعنى الصب وفضل وضوئه ما زاد عليه وقال شيخنا المقدسي قدس الله روحه في كتاب الرموز ان
الوضوء بالفتح في المصدر كما في الصحاح وبالضم مصدر عن اليزيدي والفتح اولى وفي كتاب سيبويه فيما
جا على فعول بالفتح توضأ وضوءا وتطهر طهورا وولع ولوعا وقبل قبولا وقال ابن خروف في شرحه زعموا
ان الوضوء من اسما الماء كالوقود ولم يحك عن من يوثق به الوضوء بالضم قلت ولولا انه ضعيف ما تبراء
منه الجوهري والقاضي عياض وتبعه النووي وكلاهما لم يحرراه انتهى ما قاله شيخنا فلك هنا الفتح
والضم في بير قبا بضم القاف والمد مكان بقرب المدينة الشريفة غير مصروف ويجوز صرفه ايضا
باعتبار المكان والتخفيف ليست للتانيث وقال في التبصير انه اسم اماكن ثلاثة والنسبة اليه قباي
والى قبا فرغانه قباوى والقصر لغة فيه ايضا فما نزفت البير اي انقطع ماوها بعد مبنى على الضم اي
بعد ما سبك فيها فضل وضوئه صلى الله عليه وسلم وترفت بفتح الزاي المعجمة ويجوز كسرها
فهو مبنى للفاعل ويجوز بناوه للمفعول ايضا لانه ورد متعديا وغير متعد فمن اقتصر على الثاني
فقد قصر وقد ورد ثلاثيه متعديا ومزيده لازما على خلاف القياس ككبه الله فاكب وله اخوات
فصلناها مع الكلام عليها في التسواخ والمصرق لانه صب فضل وضوئه اي بقيته ووقع رواية
انه تفل فيها وعد هذا من كراماته صلى الله عليه وسلم وتقدم ان من معجزاته صلى الله عليه وسلم تفجير
الماء ببير الحديبية وبير تبوك لانه ثمة وقع التحدي لمشاهدة الكفار له وهنا لم يقصد التحدي كما قيل وروى
ابو نعيم في دلايله انه صلى الله عليه وسلم بزق بزاي وصاد وكلاهما بمعنى وهو مج الريق من فيه
في بير كانت في دار انس بن مالك خادمه صلى الله عليه وسلم فلم يكن بالمدينة بير من بارها اعذب منها اي
احلى والذ من مايها وهذا كان بين اظهر المومنين فلذا لم يعده معجزة كما اشرنا اليه ومر صلى الله عليه وسلم على
ما في بعض اسفاره فسال عنه اي عن اسمه فقيل له بيسان بموحدة مكسورة وقال التلمساني بالفتح وهو الظاهر
لموازنته لنعمان الاتي ولولاه جاز فتحه وكسره ومثناة تحتيه ساكنة وسين مهملة والف ونون وماوه ملح
جملة حالية اي لا عذوبة فيه فلما استشعر بما يوهم البوس ضد النعيم لم يحب صلى الله عليه وسلم ما يتشام به
فغيره لانه كان يحب الفال الحسن فقال بل هو نعمان بفتح النون فعلان من النعيم والنعمة وبيسان موضعان
احدهما بالشام وهو حديث الدجال والاخر بالحجاز وهو الذي مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة
ذي قرد وهو المذكور هنا فغير الله ماوه فاشتراه طلحة رضي الله عنه وتصدق به فقيل له طلحة الفياض
وضبط الانطاكي في حواشيه هنا نعمان بضم النون والصواب ما تقدم وفي الشرح الجديد انه بكسر النون
فكانه قصد بذلك موافقة بيسان وملح هو الفصيح ومالح لغة ايضا لكنها غير فصيحة وليست لحنا
كما قيل لورودها في النظم والنثر كثيرا ولولا خوف الاطالة اوردنا ذلك وماوه طيب هذا من جملة مقوله
صلى الله عليه وسلم والا لناقض كلامه فطاب ببركته صلى الله عليه وسلم لما غير اسمه وقال انه
طيب وروى ابن ماجه في حديث اخر مسندا انه صلى الله عليه وسلم اتي بالبنا للمجهول اي اعطاه بعض اصحابه
صلى الله عليه وسلم وجاله بدلو مملوء من ما زمزم ورواه البيهقي عن وايل الحضرمي الا انه لم يقل فيه انه
من ما زمزم فمج فيه اي القى فيه صلى الله عليه وسلم ما في فمه وريقه فصارت رايحته اطيب من رايحة المسك

وقريب

وقريب منه قصته نافع احد القدا السبعة المذكورة في شروح الشاطبية ومن من كراماته صلى الله عليه
وسلم ما رواه الطبراني عن ابي هريرة انه اعطى الحسن والحسين لسانه الشريف اي وضعه في فمهما
فمصاه اي جذبا ريقه وشربا منه وهما يبكيان جملة حالية اي باكيين عطشا تمييز او مفعول له والعطش
حرارة يقتضي اشتهاء ما يشرب فسكتا اي فسكن عطشهما وتركا البكاء وكان الاحسن ان يذكر
هذا مع قوله وكان يتفل في افواه الصبيان الخ وفي حديث صحيح رواه مسلم عن جابر انه كان لام مالك
الانصارية الصحابية وهي ام سليمان بنت ملحان قيل والصواب ان يقول ام انس بن مالك وفي الصحابة
ام مالك البهزية وليست هذه وفيه نظر لان ام مالك هذه ليست ام انس وقد قالوا انه لا يعرف اسمها
وفي شرح المصابيح للتوربشتي ان ام مالك في الصحابة اثنتان ام مالك الانصارية وام مالك
البهزية وهي صاحبة العكة انتهى عكة بتثليث العين المهملة والمشهور ضمها وهي انا صغير من جلد
يوضع فيه السمن غالبا وكافها مشددة تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا اي ترسل به له على
طريق الهدية وهو بفتح السين المهملة وسكون الميم وفتحها لحن وقال الزبيدي السمن للبقر غالبا ويكون
للمعزى ايضا وفي القاموس انه سلا الزبد ولم يقيده فامرها النبي صلى الله عليه وسلم ان لا تعصرها
الامر هنا بمعناه اللغوي لان قوله لا تعصريها نهي لا امر وهو باعتبار لازمه لان النهي يلزمه الامر بالكف
وعلى الاول هو مطلق الطلب والعصر الضغط للظرف ليخرج بقية ما فيه مما قل ففيه اشارة الى انه
لا ينبغي النظر لقلة ما فيها واحتقاره وتعظيم ما قل من نعم الله تزيده ويجعل فيه البركة ولذا قيل
ان فيه دقيقة لمن نظر بعين الحقيقة وتعصر بكسر الصاد كضرب يضرب ثم دفعها اي دفع صلى الله
عليه وسلم العكة اليها اي الى ام مالك المهدية له فاذا هي مملوة سمنا اي فاجاها بغتة ملوها
ذلك ومملوة بزنة المفعول مهموز ويجوز ابدال الهمزة واوا وادغامها فياتيها بنوها يسالونها الادم
بضم الهمزة وسكون الدال المهملة وضمها وهو جمع ادام هو ما يوتدم به مع الخبز كالسمن والعسل
واختلف الفقها في اللحم هل يسمى اداما عرفا ام لا فلا ينافي ما ورد في الحديث سيد ادام الدنيا
والاخرة اللحم وقيل الادام ما يصلح به الطعام وليس عندهم شي يغني من الادام فتعمد اليها
اي تقصدها وتمسكها بيدها وعمد تعمد بفتح الميم في الماضي وكسرها في المضارع ويجوز العكس
كما في شرح الفصيح للبلي فتجد فيها سمنا كما كانت فلا تنقص فكانت تقيم ادمها اي تجعله قايما اي
باقيا على حاله حتى عصرته غاية للاقامة اي لما عصرته انتهت اقامة السمن في العكة وفقدت
وذهبت بركته لمخالفتها امره صلى الله عليه وسلم قال النووي في شرح مسلم الحكمة
في ذلك ان عصرها يضاد التوكل والتسليم ويتضمن التدبير والاخذ بالحول والقوة فعاقبها الله
بزوال ما انعم به عليها ولم يذكر هذا في المعجزات لانه لم يتحد به ولانه حصل ببيت ام مالك وفي اسد
الغابة لابن الاثير انه صلى الله عليه وسلم امرها ان لا تعصرها ثم دفعها اليها فلما اخذتها اذا هي
مملوة فاتت النبي صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله نزل بي شي فقال ما ذاك يا ام مالك
قالت رددت علي هديتي فدعا بلالا وساله عن ذلك فقال والذي بعثك بالحق لقد عصرتها
حتى استحييت فقال هنيا لك يا ام مالك هذه بركة عجل الله ثوابها ثم علمها صلى الله عليه وسلم

ان يقول دبر كل صلاة سبحان الله عشرا والحمد لله عشرا والله اكبر عشرا وهذا صريح في ان ما ذكر كان ببركة الاجعرة
بعلا خطئه صلى الله عليه وسلم كما قيل فتدبر وفي حديث رواه البيهقي انه صلى الله عليه وسلم كان يتفل
بفتح المثناة التحتية وسكون التا المثناة الفوقيه وضم الفا وكسرها والتفل البصاق وخصه البيهقي بيوم
عاشورا في افواه الصبيان وافواه جمع فم باعتبار اصله لان اصله فوه والصبيان جمع صبي والمراد بهم الصغار
الذين يرضعون ولهذا قال المراضع بزنة المساجد جمع مرضع بفتح الضاد اسم مفعول من الرضاعة وهي مص الثدي
لا جمع رضيع بمعنى مرضع كما قيل فان فعيلا لا يجمع على مفاعل وادعا انه على خلاف القياس لا حاجة اليه وفي بعض
النسخ مراضيع بزيادة اليا فان صحت رواية فهو على خلاف القياس كما قيل في جمع خاتم خواتيم الا ان ابن
عصفور قال انه شاذ وادعا بعضهم انه ضرورة لا يصح فانه ورد في الحديث الاعمال بخواتيمها وما قيل
ان تقدير هذا الكلام صبيان المراضع وهن الامهات خطا اللهم الا ان وقع له رواية صبيان
المراضع بالاضافة ولم نجده في شي من النسخ فيجزيهم بضم المثناة التحتية وسكون الجيم وكسر الزاي
المعجمة وهمزة اي يكفيهم واهل الاصول فسروا الاجزا بالصحة وفي المحصول وشروحه كلام في الفرق
بين الاجزا والصحة ريقه الشريف الى الليل اي فيكفيهم عن الرضاعة النهار كله ببركته صلى الله عليه
وسلم فيقوم المص منه مقام لبن الام الكثير ومن كرامته اي من كرامة النبي صلى الله عليه وسلم
ما رواه البيهقي بركة يده فيما لمسه اللمس قريب من المس وهو وضع اليد على الشي فقوله بيده تاكيد وتجريد
كنظرت بعيني والبركة الزيادة المعنوية والحسية كما تقدم وغرسه لسلمان الفارسي اي لاجله كما سياتي
والغرس وضع اصول الشجر في الارض لينمو وفي نسخة اوغرسه فهو شك من الراوي وسلمان هو ابو عبد الله
الفارسي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من قرية يقال لها جي من قرى اصبهان او رامهرمز ولم
يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما اعتقه وكان من علما الصحابة وزهادهم
المعمرين وكان رضي الله عنه يعمل الخوص وياكل منه مع ان عطاه من بيت المال خمسة الاف كل سنة وكان
اذا اخذها تصدق بها قال النووي رحمه الله اتفقوا على انه عاش مايتين وخمسين سنة وقيل ثلاثمائة
وخمسين سنة وتوفي بالمداين ودفن بها سنة خمس او ست وثلاثين وقد قال صلى الله عليه وسلم
ان الجنة لتشتاق له وكان مولاه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من اليهود فاشتراه رسول الله
صلى الله عليه وسلم منه وقصته مشهوره حين كاتبه مواليه من اليهود وهذا ينافي ما قاله البرهان
انه صلى الله عليه وسلم اشتراه وجمع الموالي ولم يكن له الا مولى واحد تجوزا وقد قيل انه على ظاهره
لانه ورد انه اشتراه من قوم من اليهود وفيه نظر والمولى هو السيد وهو مشترك بينه وبين العبد
وله معان اخر والكتابة معلومة مفصلة في كتب الفقه على ثلثمائة ودية بفتح الواو وكسر الدال المهملة
ويا مثناة تحتية مشددة قبل الها وهي صغار النخل يغرسها لهم كلها تعلق بفتح التا الفوقية وسكون
العين المهملة وفتح اللام ثم قاف اي تنبت بعد غرسها وتيم غراسها من علقت المراة اذا حبلت وقال
بعض الشراح تو كل ثمرتها من علق يعلق كعلم يعلم وقيل تدرك وتضم لامه كيكتب فهو متداخل من
بابين والمراد الاكل هنا وهو الظاهر وجملة كلها تعلق بدل مما قبله وقوله وتطعم اي يوجد فيها
ما يوكل من ثمرها يويد ان المراد بما قبله تدرك وان جاز ان يكون عطف تفسير وهو بوزن تكرم وعلى اربعين

اوقيه بضم الهمزة وتشديد اليا ويقال لوقيه ايضا بفتح الواو وقال السعد في شرح الكشاف الاوقية
افعولة فاصله اوقوية فاعلت او فعلية من الاوق وهو الثقل والمراد اربعون درهما كما في كتب اللغة
وعند الاطبا وهو المتعارف الان انها عشرة دراهم وخمسة اسباع درهم وقال الزمخشري انها اثنان
واربعون درهما انتهى وقيل انها سبعة مثاقيل من ذهب بيان للاوقية وانها ليست من فضة ولفظ
الوقية وقع في حديث رواه الشيخان فقول بعضهم انها عامية كما في النهاية لا وجه له اللهم الا ان يريد
انها المشهورة بين العوام فلا ينافي تصحيح اهل اللغة لها كما في القاموس وغيره والنش بفتح النون وتشديد
الشين المعجمة عشرون درهما فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجلسه الى محل عين لغراسها فيه
وغرسها له بيده الشريفة تبركا الا واحدة منها غرسها غيره قيل هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما رواه ابن
عبد البر وقيل انه سلمان ووفق بينهما بانهما غرساها معا او ان كل واحد منهما غرس واحدة فاخذت كلها
بمعنى انها طلعت وادركت فهو مجاز كانها اخذت من الارض ما قامت به ونمت كما يدل عليه الكلام الا
تلك الواحدة التي غرسها غيره فقلعها من محلها وردها اي اعادها الى محلها فاخذت اي نبتت وادركت
ببركت يده الشريفة ومسها وهو من معجزاته صلى الله عليه وسلم الباهرة وقوله الا واحدة يدل
على بطلان التوفيق بانها غرس كل واحد منهما ودية وفي بعض السير انه صلى الله عليه وسلم غرسها
كلها من غير ذكر الواحدة فينبغي ان يحمل على القصة لجمالا فانه غرس تلك الواحدة بعد ذلك فلا منافاة
بينهما وفي كتاب البزار بموحدة فزاي معجمة والف وراء مهملة نسبة لعمل بزر الكتان زيتا عند البغداديين
وهو الحافظ المشهور فاطعم النخل اي اثمر ذلك النخل الذي غرسه صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة
من عامه اي في سنته التي غرس فيها ومن ابتدائية الا الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وغرسها فاطعمت من عامها واضافة العام لها حقيقية لعموم وقوع الغراس فيه واعطاه اي اعطا
رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان مما كوتب عليه مثل بيضة الدجاجة اي قدر حجمها
لا وزنا كما قيل من ذهب جاه من الغنايم بعدما ادارها على لسانه الشريف ليحصل فيها بركته
ولا حاجة الى ان يقال انه صلى الله عليه وسلم دعا بالبركة فيها ولم يسمع فانه لا يقال مثله
بالراي فوزن سلمان رضي الله عنه منها لمواليه اي لمن كان كاتبه كما مر اربعين اوقية وبقي عنده
مثل ما اعطاهم وهم اربعون اخرى وكانت في اعلى العين دون ما كوتب عليه من الذهب لكنها
زادت وزنا ورجحت ببركته صلى الله عليه وسلم وهو من انمو الاعيان مثل يجوز ان تكون
فاعل وزن النبي صلى الله عليه وسلم وكذا بقي وهو بكسر القاف المخففة ويجوز فتحها مشددة
وقصة سلمان رضي الله عنه طويلة مفصلة في السير وحاصلها انه كان بجي وهي قرية بفارس
كان ابوه رئيسها وهو ممن يعبد النار فمر سلمان برهبان في كنيسة يصلون ويتعبدون فاعجبه
امرهم وقال هذا خير من ديننا فلما اخبر اباه بذلك نقم عليه وقيده مخافة ان يتبعهم فارسل
سلمان اليهم يقول ان كان عندكم من يذهب الى الشام فاخبروني به وكانوا قالوا له ان ديننا
هذا بالشام فاخبروه فكسر قيده وذهب معهم وجا الى الشام ودخل كنيسة فيها قسيس
يتعبد بها فاستمر عنده الى ان مات ثم ذهب لاخر بعمورية ثم لاخر بالموصل ومكث عنده مرض

واشرف على الموت فقال له انمت ما افعل قال ان دينينا هذا قديم وقد دنا زمن نبي على الحنيفية يظهر بارض النخل فسأله عن علامته فقال به خاتم النبوة ولا ياكل الصدقة وياكل من الهدية فمر به قوم من كلب وكان له بقرات وغنيمات اكتسبها من عمله فاعطاها لهم على ان يحملوه الى ارض العرب فغدروا به واسروه وباعوه من يهودي وقيل ابتاعته امراة والاصح الاول فكان يخدمه حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فبينما هو على نخلة من النخيل وسيده الذي اشتراه منهم تحتها اذا برجل جا الى سيده المذكور وقال هل سمعت ما فعله الانصار قدم عليهم رجل من مكة وهو معهم بقبا الان فلما سمع سلمان مقالته عراه بافض كالحمى ونزل ليسال الرجل عما قاله فنهره سيده فاضمر مقالته ثم ذهب اليه صلى الله عليه وسلم بتمرات من نخل سيده فاكلها فلما راى العلامات المذكورة حاو كانت سيده على ما ذكره المص فان قلت تقدم في الحديث انه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سلمان منا اهل البيت فكيف يكون هنا وهو مكاتب وكيف اكل صلى الله عليه وسلم مما اتى به والعبد لا يملك شيا قلت اجابوا عنه بوجوه منها انه ورد انه صلى الله عليه وسلم اشتراه منه بما ذكر وعلى هذا فلا اشكال ومنها انه اذا علم انه لم يحقه الرق كما مروا فانما باعوه ظلما وغصبا ولو سلم فهو مولى موالاة لا مولى رق ولذا قبل صلى الله عليه وسلم ما اهداه له لانه اجتهاد اذن له سيده في دفعه لمن يريده وفي حديث حنش بفتح الحا المهملة والنون وشين معجمة ابن عقيل بفتح العين وكسر القاف وليس مصغرا وهو صحابي ترجمته في الاستيعاب وغيره وهذا الحديث رواه بطوله قاسم بن ثابت في الدلايل عن المسور بن مخرمة سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من سويق بالسين وقد تبدل صادا وهو قمح يقلى ويطحن ثم يجعل في ما ونحوه من المايعات ويشرب فهو طعام وشراب وشربة بفتح الشين المرة من المشروب وليس بضم الشين كما قيل فهو مفعول به لا مفعول مطلق كما قيل شرب صلى الله عليه وسلم اولها وشربت اخرها يعني انه صلى الله عليه وسلم شرب منها اولا لتحصل البركة فيها ثم ناوله الانا فشرب بقيته فما برحت اي لم ازل اجد ما شربت سؤره اجد شبعها اي يحصل عندي الشبع بزنة العنب وهو معروف اذا جعت اي اذا وقت الجوع والحاجة الى الطعام وريها بكسر الرا وهو برد يحصل في الجوف من الما ونحوه يغني عن الما اذا عطشت يعني وقت الحاجة الى الشرب والضمير ان للشربة وبردها اذا ظميت بزنة علمت بعد الميم ويجوز ابدالها وهو من الظما وهو العطش فغاير بينهما في العبارة تفننا اي لم يفارقني بعدها الشبع والري لبركة سؤره صلى الله عليه وسلم وفي حديث صحيح رواه احمد في مسنده عن ابي سعيد انه صلى الله عليه وسلم اعطا قتادة بن النعمان ابن زيد ويكنى ابا عمرو وهو صحابي مشهور توفي سنة ثلاث وعشرين وصلى عليه عمر رضي الله عنه وهو الذي ردت عينه كما تقدم وهو من الانصار وصلى معه العشا جملة حالية بتقدير قد اي وقد صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العشا في ليلة مظلمة مطيرة اي ذات ظلمة من ظلمة الليل والسحاب المطبق بالمطر وهو متعلق باعطى عرجونا بضم العين وسكون الرا المهملتين وضم الجيم كعنقود ويكسر وفتح كفردوس وبما قرى وهو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف وقيل وزنه فعلول واليه ذهب صاحب القاموس والصحيح الاول وقال صلى الله عليه وسلم لقتادة انطلق به اي خذ العرجون واذهب به لمنزلك فانه سيضي من بين يديك

عشرا ومن خلفك عشرا اي مقدار عشرة اذرع في طريقك حتى تبصرها وليست العشرة من الاسار كما قيل فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا وهو ضد البياض والمراد جسم اسود والسواد يطلق على الجثة والشخص وفي توثيق عرى الايمان للبارزي انه كان هيئة قنفذ فاذا رايته فاضربه حتى يخرج من البيت فانه اي السواد المرئي الشيطان تصور بهذه الصورة فانطلق قتادة فاضاء العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج من بيته كما اخبر به صلى الله عليه وسلم قيل ما ذكره المص رحمه الله رواية بالمعنى فان لفظ الحديث كما رواه ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات ليلة لصلاة العشا وهاجت السما والظلمة وبرقت فراى رسول الله صلى الله عليه وسلم قتادة فقال له قتادة قال نعم يا رسول الله علمت ان شاهد الصلاة قليل فاحببت ان اشهدها فقال له اذا انصرفت فائتني فلما انصرف اعطاه عرجونا وقال خذه فسيضي امامك عشرا وخلفك عشرا الحديث ويضي جا متعديا فعشرا مفعوله ولازما فهو منصوب على الظرفية والشيطان المراد به واحد من الجن المردة او ابليس بعينه ومنها اي من كراماته صلى الله عليه وسلم في قلب الاعيان ما رواه البيهقي في حديث مسند وهو دفعه لعكاشة ابن محصن الصحابي المشهور وهو بضم العين وتخفيف الكاف وتشديدها وشين معجمة علم منقول واصله العنكبوت او بيته وهذه القصة وقعت له وهو ببدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والدفع اصل معناه الازالة باليد والمنع ويطلق على الاعطا والتسليم كما يقال دفع له المال جذل حطب بجيم مكسورة وذال معجمة ساكنة ولام وقد تفتح جيمه وهو عود غليظ او اصل من اصول الشجر ومنه المثل انا جذيلها المحكك وهو عمود ينصب لتحتك به الابل الجربى فاستعير لمن يرجع لرايه ويستشفى بهدايته في المهمات والحطب ما يبس من اغصان الشجر وهو معروف وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة وقد كان قال يدخل الجنة سبعون الفا بغير حساب وهم الذين لا يرقون ولا يسترقون فقال عكاشة ادع الله ان يجعلني منهم فقال جعلك الله منهم ثم قام اخر فقال مثل ما قال فقال صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة قال ابن عبد البر الثاني كان من المنافقين ورده السهيلي بانه ورد في رواية فقام رجل من خيار المهاجرين وايضا ورد انه انما قال للثالث ولعل الساعة الاولى كانت ساعة اجابة انقضت ولانه عرف صلى الله عليه وسلم انه لو دعا له استرسل الامر وطال وعم مثله الناس وهو مما يكتم وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر اي في وقعة بدر كما مر في اطلاق اليوم على مثله فعاد في يده سيفا اي صار لان عاد يكون بمعنى رجع وليس مناسبا هنا وبمعنى صار كما فصل في محله صارما اي قاطعا ومنه الصرم وهو الهجر والقطيعة طويل القامة اي طويلا مستقيما ابيض اللون شديد المتن اي قوي الجرم صلبا من المتانة وهي القوة ولذا سمي الظهر متنا لقوته واشتداد الاعضا وقوامها فقاتل به ببدر حتى انقضت ثم لم يزل السيف عنده اي في ملكه وتصرفه والعند للحضرة ويرد لمعان اخر منها هذا يشهد اي يحضر به المواقف اي قتال الكفرة الى ان استشهد في قتال اهل الردة واستشهد بمعنى صار شهيدا وقيل معناه طلب الله تعالى منه الشهادة وذلك في خلافة ابي بكر رضي الله عنه وهو مشهور وقوله الى ان استشهد اخر غاية لبقايه في يده فلا ينافيه بقاوه عند اهله بعده كما توهم وكان هذا السيف يقال له العون سمي بهذا المصدر مبالغة لاعانته على الاعدا وكان من عادة العرب

واهل الصدر الاول انهم يسمون الات حربهم وخيولهم باسماء كالاناشي و دفعه مصدر مرفوع مبتدا خبره
مقدر اي من كراماته صلى الله عليه وسلم دفعه او هو معطوف على دفعه السابق بلا تقدير وهو الاولى
لعبد الله بن جحش يوم احد اي في وقعة احد المشهورة وهو ابن عمته صلى الله عليه وسلم اميمة بنت عبد المطلب
وهو من المهاجرين بالهجرتين ويسمى المجدع لانه استشهد باحد ومثل بقطع انفه واذنيه لانه طلب ذلك من الله
وقصته مشهورة في السير ورواها البيهقي مسندة وقد ذهب سيفه جملة حالية او معترضة فاعطاه
صلى الله عليه وسلم عسيب نخل عسيب بوزن كريم بعين وسين مهملتين ومثناة ساكنة تحتية وباء موحدة
قيل هي جريدة النخل لا خوص عليها والصواب ما في الصحاح من انه من السعف ما فوق الكرب لم ينبت عليه الخوص
كعسب الذنب فرجع صار العسيب وهو احد معنيي الرجوع ويكون لازما ومتعديا سيفا مفعول رجع قال
ابن عبد البر في الاستيعاب انقطع سيف عبد الله بن جحش يوم احد فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم احد عرجون نخلة فصار في يده سيفا يقال ان قايمه كان منه فبقي الى ان بيع من بغا التركي بمائتي دينار
وكذا ذكره ابن سيد الناس وغيره وهذه الرواية تدل على ان العسيب اصل العرجون لا الجريد كما قيل قيل
وهذه اعظم من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام في عصاه لانها بقيت بعده صلى الله عليه وسلم
وعصا موسى لم تبق بعد موته وقد وقعت مرارا في عصي متعددة وتلك عصاة واحدة وفي سير ابن
سيد الناس مثله لسلمة بن اسلم يوم بدر ومنه اي من هذا النوع من الكرامات والبركات بركته
صلى الله عليه وسلم في درور الشياه درور بدال وراء مهملات مصدر درت الشاة ونحوها درورا
سال لبنها من ضرعها بكثرة والدر اللبن ومنه لله دره ثم شاع في معنى الخير والنفع والشاة من الغنم
واصلها شوهة فاعلت وتطلق على ما يشمل المعز مجازا والشياه بزنة رجال جمع شاة الحوايل جمع حايل
وهي التي لم تحمل مطلقا او ما حمل عليها فلم تحمل وقيل انها ما لم تكمل سنة او سنتين وقيل انها جمع حول جمع حايل
جمع الجمع ووصفها بذلك لانها ابعد من المد باللبن الكثير ذكره للايضاح والتاكيد او اراد بالدر
مطلق الخروج على طريق التجريد والمجاز المرسل كقصة شاة ام معبد عاتكة بنت خالد الخزاعي اخت
حبيش الصحابي المعروف بالاشعر وابو معبد اسلم ومات في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وله رواية
وقال السهيلي انه لا يعرف اسمه وقيل اسمه حبيش وقيل اكثم بن ابي الجون ومنزله بقديد وقصة ام معبد
مشهورة وتقدمت الاشارة اليها وافردها الحافظ العلاي بالتاليف وملخصها وان النبي صلى الله عليه
مر على خبايها وهو مهاجر للمدينة فنزل عندها وطلب منها زادا فقالت ما عندي غير شاة عجفا لا لبن بها
فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرعها فدرت ما كفاه ومن معه وبقي في الاناء بقية فلما جاء زوجها
اخبرته بخبره ووصفته فعرفه ثم قدمت عليه صلى الله عليه وسلم المدينة بولد صغير لها واسلمت كما بيناه
سابقا وتفصيله في السيرة وشرحها وهو مشهور لا حاجة لذكره هنا ومنها قصة اعنز جمع عنز
معاوية بن ثور بالمثلثة بن عبادة بكسر العين بن البكا والد بشر وقصته رواها ابن سعد وابن شاهين
عن الجعد بن عبد الله وفي نسخة العزفي ان معونة بعين مضمومة ونون وصححه ولم يذكره الحافظ
الحلبي ونقل خلافه عن الذهبي وكان وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وهو شيخ كبير ومعه ولده
بشر ومعه الفجيع بن البكا والاصم بن كعب فقال يا نبي الله باني انت وامي امسح على وجه ابني فمسح

عليه

عليه واعطاه اعنزا سبعا ودعا لها بالبركة قال الجعد وكانت السنة ذات قحط وغلا اصاب
بني البكا فاصابتهم بركته صلى الله عليه وسلم ونمت الاعنز وكثرت كما هو عند بني بشر المذكور
وفيه قصة الاعنز وفي ذلك يقول بشر رضي الله عنه وانا الذي مسح الرسول براسه ودعا له
بالخير والبركات وشاة انس وقصتها كقصة شاة ام معبد الا ان الشراح لم يذكروها ولم يذكرها
السيوطي في تخريجه ايضا لعدم الوقوف عليها وغنم حليمة مرضعته صلى الله عليه وسلم اي
قصة غنمها التي رواها ابو يعلى والطبراني وغيرهما بسند حسن لما حملته صلى الله عليه وسلم لترضعه
في سنة كان فيها قحط اصاب ارضهم وقل النبات فيها فكان غنمها تاتي من المرعى وقد رعت
كثيرا ودر لبنها وغنم قومها تاتي عجافا جافة الضروع فيتعجبون منها وما ذاك الا ببركته صلى الله
عليه وسلم ويمن قدمه وحليمة هي بنت عبد الله بن الحارث السعدية وزوجها هو الحارث بن
عبد العزى وقد اسلمت هي وزوجها واولادها كما تقدم ومرضعته بالجر بدل من حليمة وشارفها
بالجر عطف على غنم والشارف الناقة المسنة المدرة وقيل انها تشمل الذكر والانثى والمعز والمراد
الاول وكانت خرجت من بلدها مع زوجها وابن رضيع لها ومعهم شارف ليس في ضرعها قطرة لبن فكانوا
لا ينامون من الجوع فلما اخذت النبي صلى الله عليه وسلم لترضعه قام زوجها فوجد شارفهم حافلة
بالدر فحلب منها ما شربوا كلهم وشبعوا وباتوا بخير ليلة فقال لحليمة انه لنسمة مباركة فقالت
والله ارجو بركته الى اخر القصة وشاة عبد الله ابن مسعود التي روى قصتها البيهقي وابن مسعود
رضي الله عنه من كبار المهاجرين السابقين وترجمته تقدمت وكان وهو صغير يرعى غنما لعقبة بن ابي معيط
فمر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه فقال له هل عندك لبن قال نعم لكني
مؤتمن فقال ايتني بشاة لم ينز عليها الفحل فاتيته بجذعة فاعتقلها ومسح ضرعها ودعا الله واتاه ابو
بكر بصحفة فحلب فيها وقال لابي بكر اشرب ثم قال للضرع اقلص فعاد كما كان وكان هذا سبب اسلامه
وكانت لم ينز عليها فحل نزا الذكر على الانثى اذا علاها لينكحها وانزاه غيره وهو مخصوص بالبهايم والسباع
والفحل الذكر فيصح في ينز ان يكون بفتح اليا التحتية وضم الزاي المعجمة مبنيا للفاعل ويصح ضم اوله وفتح
اخره بالبنا للمجهول وهو مبالغة في عدم اللبن بنفي اللازم البعيد لانه اذا نزا عليها حملت ثم ولدت
ثم يدر لبنها وشاة المقداد بالجر اي قصتها التي رواها مسلم والبيهقي وهو ابن عمرو لا الاسود وان اشتهر به
كما ياتي ابن عبد يغوث الصحابي المشهور وقصته انه قال كنت انا وصاحبان لي قد بلغ منا الجهد فعرضنا
انفسنا على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقبلنا احد فاتينا النبي صلى الله عليه وسلم
فانطلق بنا الى اهله فاذا ثلاثة اعنز فقال احتلبوا منها لبنا بيننا فكنا نحتلب ويشرب منا كل نصيبه
ونرفع للنبي صلى الله عليه وسلم نصيبه فيجي من الليل ويشربه فوقع في نفسي ذات ليلة انه صلى الله عليه
وسلم ياتيه الانصار بالجميم لهذه الجرعة فشربتها ثم ندمت خشية انه اذا لم يجدها يدعو علي فاهلك
فلم انم وقد نام صاحباي فجا صلى الله عليه وسلم كعادته ليكشف الاناء فلم يجد شيا ورفع بصره
الى السما فقلت الان يدعو علي فقال اللهم اطعم من اطعمني واسق من سقاني فاخذت الشفرة وانطلقت
الى الاعنز لاذبح ما سمن منها فاذا هن حفل كلهن فحلبت اناء حتى علت رغوته وجيت اليه صلى الله عليه

وسلم به فشرب ثم ناولني فلما علمت انه روي واصبت دعوته ضحكت حتى استلقيت فقال صلى الله عليه
وسلم احدى سواتك يا مقداد يعني انك فعلت سوءة فما هي فقلت يا رسول الله كان من كذا وكذا فقال
ما هذه الا رحمة من الله لو كنت ايقظت صاحبيك فاصابا منها فقلت والذي بعثك بالحق ما ابالي اذا
اصبتها واصبت فضلك من اخطات من الناس ومن ذلك اي من كراماته صلى الله عليه وسلم وبركاته
ما رواه ابن سعد عن سالم ابن ابي الجعد مرسلا تزويده اصحابه اي اعطاءهم ما يتزودونه اي يكون زادا والزاد
يشمل الما والطعام والمراد الاول لقوله سقاء ماء السقا ككساء جلد كالقربة يوضع فيه الما واللبن ونحوه
وضمين تزويد معنى اعطا ولذا انصب السقا او هو على التشبيه وقوله سقاء ما المراد به سقا فيه ما كما يشهد له
ما بعده بعدان اوكاه اي شده بالوكا وهو ما يربط به القربة ونحوها ودعا فيه اي دعا في شانه وامره
وبسببه وبعد متعلق بتزويد فلما حضرتهم الصلاة اي دخل وقتها حتى كانها جاتهم وهذا يقتضي انه كان
ما يصلح للوضوء نزلوا فحلوه حلوا وكاه ليستعملوا ماءه فاذا هو لبن حليب اي فجاهم كونه لبنا خالصا بعد
ما كان ماء وهذا من قلب الاعيان ببركته صلى الله عليه وسلم وزبدة بتاء الوحدة او بالاضافة لضمير اللبن
او للسقا بادني ملابسته في فمه اي في فم ذلك السقا والزبد دليل على خلوص لبنه وجودته وانما اوكاه لئلا
يتوهم ان اللبن وضع فيه وبدل الما لم يكن معه وفي نسخة فتر لا فحلوه بضمير التثنية لرجلين كان السقا معهما وهذا
الحديث من رواية حماد بن سلمة ابن دينار الامام ابو سلمة احد الاعلام وله ترجمة في الميزان كما تقدم وذكر
انه من روايته على خلاف المعتاد من اسلوبه في تحريره فتبين بانا نشا ان هذا الحديث حيث رواه مثل هذا الامام
الثقة العابد الزاهد الذي كان مجاب الدعوة معدودا من الابدال ومسلم ممن اجله وروى عنه والمغاربة
والمصريون اجلهم يعشون اثر مسلم فلا يعتدون بمن غض منه وقال ان البخاري لم يرو عنه الا على طريق الاستشهاد
وهذا من قلة الانصاف وسلمه بفتحتين كامر ومسح على راس عمير بن سعد اي امر صلى الله عليه وسلم يده
على راسه قال الحافظ البرهان الحلبي كذا في نسخ من الكتاب وفي بعضها عمر بن سعد بلا تصغير وهو ابو كبشة
الانصاري الصحابي وعمير من الصحابة ايضا ولا اعرف من جرت له هذه القصة منهما وقال السيوطي ان الذي
رواه الزبير بن بكار في اخبار المدينة عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد انه عبادة لا عمير ولعل ذلك واقعتان وفي
نسخة التلمساني عمرو بن سعيد وقال انه ابو يحيى النخعي الكوفي مات سنة خمس عشرة ومائة وبرك بالتشديد
اي دعا له صلى الله عليه وسلم بالبركة في عمره وصحته فمات وهو ابن ثمانين اي وقد بلغ سنة الثمانين فجعله ابنها
مجازا ومثله مشهور يجعلون الدهر كالاب والام كما يقال الليالي حبالى قال فمحضت المنون له بيوم
اتى ولكل حاملة تمام فما شاب اي ببركة مس يده الشريفة له لم يشب راسه وشعره ولم يهرم فنفي الهرم
بنفي الشيب لانه من لوازمه وروي بالبنا للمجهول نايب فاعله مثل هذه القصص من بركاته صلى الله عليه وسلم
عن غير واحد اي عن كثير فنفي الوحدة كناية عن الكثرة منهم السايب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة ابن الاسود
ومدلوك بفتح الميم وسكون الدال المهملة وضم اللام وواو تليها كاف وهو ابو سفيان الفزاري له وفادة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلم مع مواليه وعلق البخاري حديثه في غير الصحيح وذكره ابن حبان
فقال مدلوك ابو سفيان كان يسكن الشام واتى النبي صلى الله عليه وسلم فمسح براسه فكان ما مست
يده اسود وساير راسه ابيض انتهى وفيه تفضيل عدم الشيب عليه وان كان الشيب وقارا لانه مدحه

لدلالة على الصحة كما مر ولكل شي جهة مدح وجهة ذم وقد افرد ذلك الثعالبي في كتاب سماه مدح الشي
وذمه وروى الطبراني والبيهقي انه كان يوجد لعتبة بن فرقد اي كان موجودا عنده والمضارع لحكاية الحال
الماضية وهو ابو عبد الله عتبة بن فرقد بن يربوع السلمي الصحابي شهد خيبر وابتنى بالموصل دارا ومسجدا وابنه
عمرو عد من الاوليا وسكن عتبة الكوفة ويقال لاولاده الفراقدة وولي الموصل طيب نايب فاعل يوجد
والمراد بالطيب الرايحة الطيبة وقيل انه بتقدير مضاف اي رايحة طيب يشم من جسده ويفوح في مجلسه
يغلب طيب نسايه اصل معنى الغلبة القهر والاستيلا فاستعير للزيادة والقوة كما ورد غلبت رحمتي
غضبي وروي سبقت فالمراد ان رايحته تزيد على رايحة غيره حتى لا يظهر عندها فانه روي كما في الدلايل ولا
ستيعاب عن زوجته ام عاصم انها قالت كنا عنده ثلاث نسوة ما منا واحدة الا وهي تجتهد في الطيب
لتكون اطيب ريحا من صاحبتها وعتبة لا يمس طيبا فكان اطيبنا ريحا فقلت له في ذلك فقال اصابني
الشرا على عهده صلى الله عليه وسلم فاقعدني بين يديه وتجردت من ثيابي فتفل في كفه ودلك الاخرى
ثم امرهما على ظهري وبطني فعبق بي ما ترون واليه اشار بقوله لان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على
بطنه وظهره وهو متعلق وتعليل لقوله يغلب وسلت الدم عن وجه عايذ بن عمرو اي مسح صلى الله عليه
وسلم وجهه بيده متكيا عليه حتى اخرج ما عليه من الدم وهذا معنى السلت ويختص باخراج
المايع والرطب الملتصق بشي اخر يقال سلت القصعة اذا امر اصابعه على جوانبها لتنظف كما في صحاح
الجوهري وهو معنى معروف فلا وجه لما قيل انه من سلت الدم قطعه وعايذ بعين مهملة وذال معجمة اسم
فاعل من العوذ سمي به وهو عايذ بن عمرو بن هلال المزني الصحابي من اصحاب الشجرة وهو من في حديثه
هذا رواه عنه الطبراني وكان عايذ خرج يوم حنين اي في وقعته التي وقعت مع هوازن سنة ثمان من الهجرة
كما فصل في السير وحنين اسم موضع قريب من الطايف بينه وبين مكة ثلاثة اميال سمي باسم حنين بن
مهلاييل لنزوله به كما مر وحملة وكان الجرحالية ودعا له الجهادة في سبيل الله فكانت له غرة بيضا مثل
كغرة الفرس من اثر يده الشريفة لما مسح وجهه والغرة بياض منتشر طولا وعرضا في وجهه فان قلت شبهت
فرجة وليس فيه مثلة كما توهم فانه كبياض يد موسى عليه الصلاة والسلام والفرق بينه وبين البرص
ظاهر وفي نسخة ولا كغرة الفرس اي لا تشبه غرته لما فيه من النور وليس كالوضح في البدن وذكر ابن الكلبي انه
صلى الله عليه وسلم مسح على راس قيس ابن زيد وهو صحابي له وفادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان سيد قومه وفي بعض النسخ يزيد بياء في اوله وابوه يسمى عامر الجذامي نسبة لجذام كغراب قبيلة
مشهورة ودعا له صلى الله عليه وسلم بما فيه بقا صحته وعافيته فهلك اي مات فالهلاك والموت
بمعنى وقد يخص الهلاك بموت غير مرضي لكنه ليس معنى وضعيا وهو ابن مائة سنة وراسه ابيض لشيبه
وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت عليه يده اسود لم يشب ببركته صلى الله عليه وسلم
وكان يدعى الاغر اي كان يسمى بالاغر لما في وجهه من النور تقول دعوت ابني محمدا اذا سميته به وروي بالبنا
للمجهول والذي رواه البيهقي مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني في مسحه صلى الله عليه وسلم
براسه وبقا اثره في وجهه وموته كما مات قيس على احسن حالة وثعلبة هو وهب بن عدي بن مالك
البخاري عن الزهري والجهني منسوب لجهينه وهي قبيلة مشهورة وقصته كما في دلايل البيهقي انه قال

لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيالة فاسلمت ومسح على وجهي فمات عمرو وقد اتت عليه
ماية سنة وما شاب منه شعرة مستها يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهه وراسه وسيالة
بوزن سجادة بسين مهملة ولام موضع قريب من المدينة الشريفة ومسح صلى الله عليه وسلم على وجه لخو
قال البرهان لا اعرفه وقيل لعله خزيمة بن سواد بن الحارث لانه روى انه مسح على وجهه فصارت له غرة بيضا وقيل
لعله طلحة ابن ام سليم فانه روى انه صلى الله عليه وسلم مسح بناصيته فكان كغرة فما زال على وجهه نور
من اثار انواره صلى الله عليه وسلم ومسح صلى الله عليه وسلم وجه قتادة بن ملحان بكسر الميم ويجوز فيه الصرف
وعدمه وقتادة هذا صحابي له رواية وترجمة فكان لوجهه بريق اي لمعان وصفا بشرة من اثر مرور يده
الشريفة عليه حتى كان ينظر بالبنا للمجهول في وجهه اي يقابل وجهه بوجهه ليرى الناظر صورة وجهه
فيه لشدة صفا بشرته كما ينظر في المراة بكسر الميم اسم الة من الروية معروفة والظاهر انه مبالغة في صفا
وحسنه وليس المراد حقيقته ووضع صلى الله عليه وسلم يده على راس حنظلة في حديث رواه البيهقي
بطوله مسند ابن حذيم قال ابن ما لولا هو بكسر الحا المهملة وسكون الذال المعجمة وفتح المثناة التحتية
وميم وقال انه حنيفة بن حذيم ابو حنظلة له صحبة وكذا قال الذهبي في المشتبه والتجريد
حنيفة والد حذيم ولهما صحبة ولحنظلة ابنه وذكر حذيما فقال حذيم بن حنيفة بن حذيم الحنفي
والده له فيما قيل صحبة ولابنه وابن ابنه صحبة وفيه خلاف انتهى فعلم منه انهم اربعة لهم صحبة
وقد قال ابن الجوزي لا يعلم اربعة ادركوه صلى الله عليه وسلم الا ابا قحافة وابنه ابا بكر وابنه
عبد الرحمن وابنه محمد ويكنى ابا عتيق انتهى والصحيح ان ابا عتيق تابعي وجزم عليه الذهبي في تجريده
ولو قالوا عبد الله بن الزبير وامه اسما وابوها ابو بكر وابوه ابو قحافة كان صوابا فانه لا خلاف
في صحبتهم فحصل من مجموعه ثلاثة اشخاص ولهم رابع ذكره العراقي في حاشيته الفيته وحنظلة
مالكي وقيل سعدي هذا محصل ما قاله البرهان وبرك عليه بالتشديد اي دعا بالبركة وقال
بارك الله فيك فكان يؤتى بصيغة المجهول اي ياتيه الناس بالرجل تعريفه للعهد الذهني المساوي
للنكرة قد ورم وجهه جملة حالية اي اصابه مرض ورم منه وجهه والشاة بالجر من المعز والضان
قد ورم ضرعها وهو كالثدي للانسان وهو معروف فيضع محل الورم من الوجه والضرع على موضع
كف النبي صلى الله عليه وسلم الذي مسه فيذهب الورم الذي كان اصابه وروى ابن عبد البر في
الاستيعاب انه صلى الله عليه وسلم نضح في وجه زينب بنت ام سلمة بفتحتين علم منقول من اسم
شجرة معروفة وام سلمة هي ام المومنين وزينب بنتها ربيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخت ابن الزبير من الرضاعة ونضح ينضح من باب ضرب يضرب بمعنى رش بالما ونحوه نضحة اي رشة
منها فما كان يعرف في وجه امراة اي ما كان يرى وينظر في وجه احد من النسا او يعلم بالاخبار لمن لم يرها
من الجمال اي حسن الوجه ورونقه ما بها اي ما كان بها من ذلك ببركة الما الذي رشه صلى الله عليه وسلم
في وجهها لان ذلك الما كان مسه صلى الله عليه وسلم قال ابن عبد البر في الاستيعاب دخلت
زينب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يغتسل فنضح في وجهها ما فلم يزل ما الشباب
بوجهها حتى كبرت وعجزت وكانت عند عبد الله بن زمعة فولدت له وكانت من افقه اهل زمانها

ولعقلهم

واعقلهم وتقدم ان اسم ام سلمة هند وقيل رملة وابوها حذيفة المعروف بزاد الراكب وزينب ولدت
بارض الحبشة فقدمت بها امها وكان اسمها برة فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب ومسح صلى الله
عليه وسلم بيده الشريفة المباركة على راس صبي كان ذلك الصبي به عاهة اي افة ومرض والمراد انه كان اقرع
واسم هذا الصبي لا يعرف فبرا بزنة ضرب واخره مهموز واما برى بمعنى خلق فمعتل اي زالت عاهته وشفي
تمامه واستوى شعره اي نبت وتم وحسن من قولهم استوت الثمرة اذا اكملت والشعر معروف بفتح العين وسكونها
وهذا الحديث لم يخرجه السيوطي ولا غيره من الشراح ومثله روي في خبر المطلب بن قتادة ومسح صلى الله
عليه وسلم على غير واحد اي على كثير كما مر بيانه من الصبيان المرضى جمع مريض والمجانين فبراوا اي زال ما بهم
من المرض والجنون قيل هذا كله كان ينبغي ذكره في فصل ابرا المرضى وذوي العاهات واكثر الفصول متداخلة
ولكل وجهة لمن تدبر وعرف مقاصد المصنف وفي حديث لم يخرجوه انه صلى الله عليه وسلم اتاه رجل به ادرة
بضم الهمزة وسكون الدال وبالرا المهملتين وهي انتفاخ في الخصيتين معروف فامره ان ينضحها اي يرش
على ادرته بما من عين مج فيها اي كان صلى الله عليه وسلم تفل بريقه فيها ففعل اي رش من مايها على ادرته فبرا
اي شفاه الله وازال ورمه على السرعة ببركة الله وبركته صلى الله عليه وسلم في الما الذي خالطه فيه
وضميرها للعين اي عين الما لانها مونثة وفي بعض النسخ فيه بالتذكير فالضمير للما او للعين لتاويلها به والامر
فيه سهل ويجوز في الادرة فتح الهمزة مع سكون الدال وفتحها وقد قيل انها انفتاق فيهما او في احد جانبيها
وقد يكون بلحم يزيد فيها او ريح كما يعرف الاطبا ونضحها يجوز في ضادها الفتح والكسر وفي بعض الحواشي
ان الرجل اسمه المهلب ابن قبالة بفتح القاف والبا الموحدة المخففة ولام وروى هلب بن قنافة
وهلب بضم الها وسكون اللام بزنة قفل وقنافة بضم القاف ونون مفتوحة مخففة وفا قال ابن
عبد البر هو الصواب ان لم يكونا قصتان وقال الطبري هو المهلب بن يزيد بن عدي بن قنافة بن عدي بن
عبد شمس بن عوف الطاي وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبه قرع فمسح براسه ونبت شعره فسمي
المهلب لذلك وفي حديث روي عن طاوس ابن كيسان اليماني ابو عبد الرحمن اليماني المشهور وهو من ابنا الفرس
واسمه ذكوان فلقب بطاوس لانه طاوس القرا روى عن ابن عباس وابي هريرة وغيرهما وكان راسا في العلم
والعمل توفي سنة ست او خمس ومائة واخرج له الستة وهو ممن اتفق على زهده وعمله حج اربعين
حجة وصلى الصبح بوضوء العتمة اربعين سنة الى غير ذلك من مناقبه وهو من اجل التابعين دفن بمكة
رضي الله تعالى عنه لم يوت النبي صلى الله عليه وسلم بالبنا للمجهول اي لم ياته احد باحد به مس شيطاني
نفسي فصك في صدره بصاد مهملة وكاف مشددة اي ضرب صدره بيده المباركة والصك مطلق الضرب
او اشده الا ذهب المس عنه ويروي تمامه وهذا الحديث موقوف على طاوس ولم يذكروا من رواه عنه
والجملة حالية تاتي بالواو وقد وبدونهما والمس الجنون واللمس والمس متقاربان الا انه يكنى به عن الجنون
قال تعالى كالذي يتخبطه الشيطان من المس لانه يقال على كل ما ينال الانسان من الاذى كقوله مستهم
الباسا والضرا وروى احمد عن وايل بن حجر مسندا انه صلى الله عليه وسلم مج اي صب من فيه في دلو
فيه ما اخرج من بير ثم صب فيها اي في البير الما الذي مج فيه ريقه فناح منها ريح المسك الريح هنا بمعنى
الرايحة ويطلق في الاصل على نفس الهوى والمراد انه مثله في الطيب وهو اتم منه واطيب

ولكن جعل مشبها به لشهرته وفي حديث مشهور رواه مسلم عن سلمة بن الاكوع انه صلى الله عليه
وسلم اخذ قبضة بفتح القاف وضمها من تراب اي ملء كفه من التراب يوم حنين اي في وقعتها المشهورة
في السير ورمى بها اي بترابها في وجوه الكفار فاصابتهم جميعا وقال شاهت الوجوه جملة دعائية بمعنى
قبحت وقبحها الله وهي من الشوهة والتشويه وهو القبح قيل واول من تكلم به رسول الله صلى الله
عليه وسلم ووقع مثله في يوم بدر كما في السير وهو شيء اقدره الله تعالى عليه كما قال وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمى فان ايصال هذا المقدار اليسير الى عين هولاء الجم الغفير من صنع الملك
القدير فانصرفوا اي ولى الكفار رحالهم لكونهم يمسحون القذا بفتح القاف والذال المعجمة والف مقصورة
وهو ما يقع في العين من التراب ويكون ايضا ما يقع في الما المشروب ونحوه مما يكدره عن اعينهم
اي يمسحونه ويزيلونه منها لتاذيهم به ومنعهم من الابصار وفتح العين وهو معروف وواحده قذاة
وفي الحديث يرى احدكم القذاة في عين اخيه ويعمى عن الجذع في عينه وهو مثل يضرب لمن يرى عيوب
الناس الصغيرة ولا يرى عيوبه الكثيرة وهو مثل تمثل به النبي صلى الله عليه وسلم ونظمه بعض
المتاخرين فقال واعجبا للمرء مع علمه انّ البلايا لِعَمُرُ سارية ينظر في عين اخيه القذا ولا يرى
في عينه السارية وقوله فانصرفوا بمعنى انهزموا لما وصل التراب الى اعينهم وقال شاهت الوجوه
وفيه معجزة عظيمة له صلى الله عليه وسلم وفي بعض النسخ انه صلى الله عليه وسلم ضرب صدر
جرير بن عبد الله البجلي الصحابي رضي الله عنه وليس هو جرير الشاعر حين الصدر لانه محل الرهبة والامتلا
مقر القلب ودعا له وكان جرير ذكر له صلى الله عليه وسلم انه لا يثبت على الخيل اي لا يقر على ظهورها
لعدم فروسيته فصار رضي الله تعالى عنه حينئذ من افرس العرب اي اقواهم واثبتهم على ظهورها ببركة دعا
صلى الله عليه وسلم له فالفا فصيحة اي فدعا له فصار الخ ومسح صلى الله عليه وسلم على راس
عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي المدني الصحابي وهو صغير وكان اتى به الى النبي صلى الله
عليه وسلم فحنكه وكان دميما بدال مهملة بمعنى حقير واما ذميم بالمعجمة فهو بمعنى مذموم وليس مرادا هنا
ودعا له بالبركة اي بالزيادة في خلقته وساير اموره ففرع بفا وراء وعين مهملتين مفتوحات الناس
اي جنسهم وفي نسخة الرجال بدله بمعنى زاد عليهم طولا اي في طول قامته وتماما اي بان تم ساير اعضايه
وكمل الله خلقته بدعايه له صلى الله عليه وسلم والى هنا انتهى ما زيد في الاصل ونقل من خط المص
وشكى اليه صلى الله عليه وسلم ابو هريرة الصحابي المشهور رضي الله تعالى عنه وقد قدمنا ترجمته وما يتعلق
من الصرف وعدمه وما فيه من الكلام للناس النسيان مصدر بكسر النون وهو ضد الحفظ والفرق
بينه وبين السهو ان الثاني يتنبه صاحبه بادنى تنبه والفرق بينه وبين الخطا انه صدور امر من غير قصد
فامره صلى الله عليه وسلم ببسط ثوبه اي ما كان لابسا له في ذلك الوقت اي بان يضعه على الارض
ويفرشه وغرف بيده فيه اي فعل فعلا شبيها بمن يغرف من شي ما يصنعه في اخر وضمير فيه للثوب الذي امره
صلى الله عليه وسلم ببسطه للامر الذي اراده له ثم امره بعد ما غرف فيه بضمه اي ضم ثوبه على جسده
ففعل اي ضمه عليه حتى كانه صار بدنه ما غرفه له فما نسي بعد بالبنا على الضم لما تقرر في علم العربية
اي لم ينس ابو هريرة شيا مما كان يسمعه منه صلى الله عليه وسلم ومن غيره لما ناله من البركة قال ابو هريرة

رضي الله تعالى عنه فما كان احد احفظ مني لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ابن عمرو رضي الله تعالى
عنهما لتقدم اسلامه عليه ولانه كان يكتب وهذا الحديث رواه البخاري وفيه بدل الثوب الردا ولا
مخالفة بينهما لان المراد بالثوب الملبوس مطلقا كما تقرر وان خص في العرف بالمخيط منه وما فعله
صلى الله عليه وسلم من الغرف ونحوه يجعل المعاني المعقولة بمنزلة الامور المحسوسة فجعل
الحفظ كشي عنده اغترف منه حتى ملا رداه وضمه عليه حتى يحيط به ويسري من ظاهره لباطنه
وهو صلى الله عليه وسلم كما فوض اليه التصرف في عالم الشهادة فوض اليه التصرف في غيره ايضا
وهو سر من الاسرار دقيق لا يوقف عليه الا بالكشف فصل ومن ذلك اي من خصايصه
صلى الله عليه وسلم وكراماته الباهرة ما اطلع عليه هو اما مبني للمجهول من الافعال اي اطلعه الله
تعالى عليه او من الافتعال المبني للفاعل بتشديد الطا من الغيوب بغين معجمة جمع غيب المصدر على
خلاف القياس من غاب بمعنى استتر عن العين يقال غاب عني كذا ويستعمل في كل غايب عن الحاسة وعما يغيب
عن الانسان بمعنى الغايب والغيب بالنسبة للناس لا لله فانه لا يعزب عنه مثقال ذرة وقوله عالم الغيب
والشهادة اي ما يغيب عنكم وما تشاهدونه وقوله يؤمنون بالغيب اي بما لا يقع تحت الحواس
ولا تقتضيه بداهة العقول وانما يعلم باخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام وما يكون في المستقبل
وهو معطوف على الغيوب عطف الخاص على العام لان الغيب اما باعتبار انه موجود لم يطلع عليه غير الله
او ما سيوجد فهو قبل وجوده والعلم به من المغيبات والاحاديث الواردة في هذا الباب اي في هذا النوع
من كراماته صلى الله عليه وسلم في اخباره صلى الله عليه وسلم عن الغيب الذي اطلعه الله عليه
فانه لا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول بحر تشبيه بليغ اي في كثرتها كالبحر لا يدرك قعره
بالبنا للمجهول والادراك الوصول وقعره قراره وارضه اي لا يصل احد الى نهايته ولا ينزف بمعجمة وفا
مبني للمفعول وللفاعل بزنة يضرب والنزف والنزح بمعنى اي لا ينفد ولا يفنى غمره بفتح الغين المعجمة وسكون
الميم قبل را مهملة وهو الما الكثير جدا وهذه المعجزة في اطلاعه صلى الله عليه وسلم على الغيب من جملة معجزاته
اشارة الى كثرتها فهي البحر حدث عنه ولا حرج المعلومة للناس على طريق القطع بتحققها بحيث لا يمكن انكارها
او التردد فيها لاحد من العقلا وقوله المعلومة على القطع صفة للمعجزات والقطع بنوعها ومجموعها وكذا
تواترها معنويا حاصل عن مجموعها بقطع النظر عن كل فرد فرد منها مما لا شبهة فيه كتواتر جود حاتم وهذا
غير التواتر المصطلح عليه فانه جار في بعضها كالقران والى هذا اشار بقوله الواصل الينا خبرها جاريا
على نهج التواتر المشهور لكثرة رواتها اي رواة مجموعها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب اي الامور
المغيبة وهذا لا ينافي الايات الدالة على انه لا يعلم الغيب الا الله وقوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت
من الخير فان المنفي علمه من غير واسطة واما اطلاعه عليه باعلام الله له فامر متحقق لقوله تعالى فلا يظهر
على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول قال ابن عطا الله في لطايف المنن اطلاع العبد على غيب من غيوب الله
بنور منه بدليل اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله لا يستغرب وهو معنى قوله كنت بصره الذي يبصر به
فمن كان الحق بصره فاطلاعه عليه غير مستغرب وقال بعض العارفين قوله الا من ارتضى من رسول لا ينافي قول
المرسي في تفسيرها الا رسولا او صديقا او وليا ولا زيادة فيه على النص فان السلطان اذا قال لا يدخل

على اليوم الا الوزير لا ينافي دخول اتباع الوزير معه فكذلك الولي اذا اطلعه الله على غيبه لم يره بنور نفسه
ولا غاراه بنور متبوعه ولم يكلفنا الله الايمان بالغيب الا وقد يفتح لنا باب غيبه والى هذا اشار الغزالي
في اماليه على الاحيا ثم قال ويحتمل ان يكون المراد بالرسول في الاية ملك الوحي الذي بواسطته تنكشف
الغيوب فيرسله للاعلام بمشافهة او القا في روح او ضرب مثل في يقظة او منام ليطلع من اراد وفايدة
الاخبار الامتنان على من رزقه الله ذلك واعلامه بانه لم يصل اليه بجوله وقوته فلا يظهر على غيبه احدا
من عباده الا على يدي رسول من ملائكته ارسله لمن فرغ قلبه لانصباب انهار العلوم الغيبية في اوديته
حتى يصل لاسرار الغيب المكنونة في خزاين الالوهية انتهى فاعرفه فانه من المهمات واليه اشار القاضي في
تفسير وتبى نمة اسرار لا تسعها الحروف ثم انه بين ما اجمل بحديث رواه ابو داود عن حذيفة وعلم مما رواه الشيخان
لما في طريقه التي رواه منها من الزيادة فقال حدثنا الامام ابو بكر محمد ابن الوليد الفهري المعروف اجازة منه
بروايته عنه وقراة على غيره اشارة الى انه رواه من طرق متعددة قوية والقراة والاجازة طريقان خلف
في ايهما اقوى وقيل انهما متساويان وهو الظاهر قال ابو بكر حدثنا ابو علي التستري علي ابن احمد بن علي الامام
المشهور احد رواة سنن ابي داود وتستر كجندب بلدة معروفة وسينه مهملة واعجامها لحن قال حدثنا
ابو عمر الهاشمي وهو القاسم بن جعفر بن عبد الواحد قال حدثنا اللولوي وهو ابو علي محمد بن احمد بن عمر السابق
ترجمته قال حدثنا ابو داود صاحب السنن المشهور كما تقدم قال حدثنا عثمان بن ابي شيبة ابن محمد بن ابرهيم
ابو الحسن الكوفي الحافظ توفي سنة تسع وثلاثين ومايتين واخرج له اصحاب السنن وغيرهم وترجمته في
الميزان قال حدثنا جرير ابن عبد الحميد الضبي صاحب المصنفات المشهورة الثقة توفي سنة ثمان وثمانين
ومائة واخرج له الستة وترجمته في الميزان وغيره عن الاعمش هو سليمان بن مهران كما تقدم في ترجمته عن ابي
وايل سفيان بن سلمة الاسدي المخضرم توفي سنة اثنين وثمانين وهو من العلما العاملين ثقة اخرج له
الستة عن حذيفة بن اليمان الصحابي المشهور صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي اخبره بالفتن
وما سيكون وروي عنه احاديث كثيرة وكان عمر رضي الله تعالى عنه اذا لم يشهد حذيفة جنازة لا يشهدها
هو لاطلاعه على المنافقين باعلام منه صلى الله عليه وسلم له بذلك توفي رضي الله عنه سنة ست وثلثين
بعد قتل عثمان وروي عنه لا تقوم الساعة حتى يسود كل قبيلة منافقوها وحديثه الطويل في الفتن
مشهور واليه اشار بقوله قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم الضمير للصحابة والمراد به انه
خطبهم يوما فعبر بالقيام عن الخطبة لان الخطيب يخطب قايما اي قام ونحن عنده فالظرفية مجازية
مقاما بفتح الميم اسم مكان او مصدر ميمي فهو مفعول مطلق فما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقامه
هذا شيا مما يكون اي يوجد ويحدث بعده مما يهم من احوال المسلمين ومن يتولى امورهم بعده وما يكون
بعده من الفتن والحروب فيكون تامة والجملة صفة شيا في مقامه ذلك اي في خطبته التي خطبها وهو من وضع
الظاهر موضع المضمر لكمال العناية به الى قيام الساعة اي مما يحدث من اول زمنه الى اخره فقدره لدلالة المقام
عليه الا حدثه اي الا حدثنا به وذكر لنا انه سيوجد وفي نسخة حدث به والفعل في تاويل الاسم كقولهم انشدك الله
الا فعلت والاستثنا متصل لدخول المحدث به في الشي وقيل انه منقطع بمعنى لكن حفظه من حفظه الضمير
للحديث المفهوم من السياق ونسيه من نسيه اي حفظه بعض السامعين له ونسيه بعضهم قد علمه

اصحابي هولا الحاضرون عنده او المراد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الزيادة في رواية
ابي داود ولم يذكرها البخاري وانه الضمير للشان ليكون منه الشي اي يوجد شي مما حدثنا به في ذلك المقام في الخارج
قد نسيته لطول العهد بحديثه فاراه يعني يجده او وجد فاعرفه فاذكره اي اتذكره بعدما نسيته
فاتذكر ما اخبرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم شبه تذكره ايضا حاله كما يذكر الرجل وجه
الرجل اذا غاب عنه ثم اذا راه عرفه فيه تقديم وتاخير اي كما ان الرجل اذا غاب عنه رجل كان يعرف وجهه
وسيماه وهو في مخيلته الا انه لم يذكره فاذا راه تذكره وعرفه فليس اذا متعلقا بيذكر بل ببني المعلوم
من الكلام وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس تشبيها تمثيليا ثم قال حذيفة فيما رواه ابو داود وزاده
على ما رواه الشيخان ما ادري انسي اصحابي هذا الحديث ام تناسوه اي اظهروا النسيان خوف الفتن لا لقلة
الاهتمام به كما قيل بل لانه من الاسرار التي لا ينبغي ان يحدث بها كل احد والله قسم اكده به ما بعده ما ترك
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قايد بالقاف والدال المهملة ومن زايدة والمراد به المتغلبة الذين معهم
جند تتبعهم كما يتبع الجمل والفرس من يقوده ويمشي خلفه فتنة فياتي بالمحاربة وايقاع الضرر بالمسلمين
كالحجاج وغيره من اصحاب البدع من زمنه الى ان تنقضي الدنيا اي الى ان تتم وتنتهي مدتها ويخرب العالم وتبدو
مقدمات الساعة بخروج الدجال وياجوج وماجوج يبلغ من معه اي يصل من معه من اتباعه والضمير
للقايد ثلثماية رجل فصاعدا الا قد سماه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم باسمه واسم ابيه وقبيلته
بحيث لم يبق ثبهة فيه وهذا الحديث روي من طرق اخر مفصلا وعلى كلام فيه ذكره ابن الجوزي وغيره
وقال ابو ذر الصحابي المشهور في حديث رواه احمد والطبراني وغيرهما بسند صحيح لقد تركنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي ذهب عنا وانتقل الى الاخرة من بين اظهرنا ولم يدع شيا الا بينه لنا بحيث لم يخف
علينا من بعده وكان قد خطب قبل موته خطبا اطال فيها مرة من الصباح الى الظهر ومرة من الظهر الى
قبيل الغروب لم يدع شيا الا بينه لاصحابه وما حرك طاير جناحيه في السما اي في الجو وهو كناية عن بيان
كل شي الا ذكر لنا منه علما وفي نسخة الا ذكرنا منه علما اي تذكرنا من طيرانه علما يتعلق به فكيف بغيره مما
يمنا في الارض وهذا تمثيل لبيان كل شي تفصيلا تارة واجمالا اخرى وقد خرج اهل الصحيح اي رووا في
سانيدهم ما صح عندهم كالشيخين واصحاب السنن والمسانيد والايمة الحفاظ الثقات كاحمد والشافعي
وابو حنيفة ومالك ما اعلم به اصحابه صلى الله عليه وسلم مما وعدهم به بيان لما من الظهور على اعدايه
لغلبتهم وقتل سوكتهم وفتح مكة اي اخبر به قبل وقوعه محققه الله وفتح بيت المقدس كما رواه
البخاري وغيره وبيت المقدس تقدم الكلام فيه وقد اخبر صلى الله عليه وسلم تميما الداري بفتحه
لما اسلم واقطعه ارضا به ثم فتح في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه فاعطى تميما اقطاعه في سنة ستة
عشر من الهجرة وفتح الشام وفتح اليمن والعراق يعني به ما يشمل العراقين عراق العرب والعجم وكلها
مجرورة بالعطف على مكة كما مر والشام واليمن والعراق بلاد معروفة وكان اخباره صلى الله عليه
وسلم بذلك بمكة قبل الهجرة في حديث رواه ابن دحية في كتاب مرج البحرين في اخبار المشرقين
والمغربين واصل معنى العراق شاطي البحر وقيل انه معرب وظهور الامن في الممالك الاسلامية
وهو مجرور اي اعلم اصحابه بظهور الامن حتى تظعن المراة بظا معجمة وعين مهملة ونون اي تسافر وحدها

من الظعن بفتح العين وسكونها وهو السفر قال تعالى يوم ظعنكم وذكر المراة للمبالغة في الامن لانها
مع ضعفها وشدة خوفها اذا امنت علم ان غيرها بالطريق الاولى من الحيرة الى مكة بكسر الحا المهملة وسكون
المثناة التحتية وفتح الرا المهملة والهامدنية بقرب الكوفة واسم بلدة اخرى بقرب نيسابور لا تخاف المراة
الا الله كناية عن انها لا تخاف احدا من الناس من قطاع الطريق واللصوص وغيرهم وان المدينة يعني طيبة
وهو علم بالغلبة عليها واصل معناها كل قصر يجتمع فيه الناس ستعرى روى بغين وراى معجمتين من العرو
وهو القتال وهو اشارة الى وقعة الحرة الاتي ذكرها فانها وقعة عظيمة قتل بها المسلمون حتى تركت الصلاة
في الحرم وروى بعين وراء مهملتين ومثناة فوقية مفتوحة وهي مضمومة في الرواية الاولى اي تخرب وتخلو
فتصير عرا ليس فيها احد والعرا الفضا الخالي من الناس قال تعالى فنبذناه بالعراء وهو سقيم وهذا
لم يقع بعد وانما يكون قرب الساعة وقيل انه وقع وهو مقتضى السياق فهو اشارة الى قصة الحرة ايضا
فان الناس رحلوا فيها منها وتركت الصلاة والاذان حتى سمع الاذان من مرقده صلى الله عليه وسلم ثم انهم
رجعوا حتى عادوا اليها واعلمهم صلى الله عليه وسلم بفتح خيبر على يد علي في غد يومه الذي اخبرهم فيه بفتحها كما
رواه الشيخان عن سهل بن سعد لما كانت وقعة خيبر ونفس فتحها قال صلى الله عليه وسلم لاعطين
الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فدعا عليا وكان ارمد فبصق في عينيه
فبرا وفتحها الله على يديه على ما فصل في السير وقد تقدم الكلام على شي منه واعلم صلى الله عليه وسلم
اصحابه بما يفتح الله على امته اي بما ييسره الله تعالى لامته من فتح البلدان وما يوسعه لهم من الدنيا بكثرة المال
والعزة وبما يوتون بالبنا للمجهول اي يوتيهم الله من زهرتها اي زهرة الحياة الدنيا وهي زينتها وطيب نضارتها
ونعيمها وهذا رواه الشيخان من طرق صحيحة وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر الكنوز جمع كنز معرب كنج وهو
المال المدفون ويطلق على كل نفيس متخر والمراد هنا خزاينهما واموالهما وكسرى بكسر الكاف وفتحها وهو علم
لملك من ملوك الفرس ثم صار علم جنس لكل من ملكهم او قيصر علم ملك من ملوك الروم ثم اطلق على ملك
لهم كذلك ومعناه المشقوق لان امه ماتت حين ارادة وضعه فشقت بطنها واخرج منها حيا وهو اشارة
لحديث رواه الشيخان عن ابي هريرة وغيره من طرق وفيه اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر
فلا قيصر بعده والذي نفس محمد بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله وقد حقق الله ما اخبر به صلى الله
عليه وسلم وصدق وعده وكان ذلك على يد خلفايه رضي الله تعالى عنهم وما يحدث بينهم اي علمهم
صلى الله عليه وسلم بما يحدث بين امته من الفتون بوزن دخول مصدر بمعنى الافتتان كما في اكثر
النسخ جمع فتنة كما قاله البرهان والفتنة اصلها الاختبار ثم نقلت لما يقع بين الناس من النزاع والحروب
وقيل صوابه الفتن جمع فتنة كما في بعض النسخ لان الفتون الميل الى الزنا ونحوه من الفجور وليس بشي فانه ورد
بمعنى الفتنة ايضا وهو يطرق المجاز اي مطلق الميل والاختلاف في الكلمة والاراء وهو سبب الفتن ولذا
قيل انه لو قدمه كان احسن والاهوا بالمد جمع هوى وهو ما تهواه النفس وتميل له واذا اطلق خص بالامور
الباطلة وسلوك سبيل من قبلهم من الامم اشار به لما رواه الشيخان لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر
وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قيل يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن والسنن بفتحتين
الطريق وهو تمثيل لما احدثوه من الضلال والبدع والتحريف كما صح به في الحديث وافتراقهم اي افتراق هذه

الامة على ثلاث وسبعين فرقة اي ينقسمون الى هذه الاقسام وعداه بعلى لما وقع عليه الانقسام من النهج
المخصوص كما يقال الدار مبنية على طبقات ثلاث وعلى بنايية كما قاله الدواني في حواشي الشمسية في قوله
رتبته على مقدمة الى اخره فقال الترتيب لا يتعدى بعلى فاما ان يكون بتضمين معنى الاشتمال واما ان يريد
بمدخول على هذا الاسلوب الخاص وحينيذ فاما ان يقال اذا تعدى بعلى انه تضمن معنى البنا فانه يتعدى
بعلى الى اسلوب فيقال بنا الدار على طبقتين او يقال تجدى بها بنا على ان معنى الترتيب جعل الاجزا مترتبة
وهو مقصور على الخا فيتعدى بعلى الى النحو المعين انتهى وهذا الحديث رواه احمد وابو داود والترمذي
والحاكم كما في مناهل الصفا للجلال السيوطي الناجية منها واحدة اي الفرقة الناجية من هذه الفرق
فرقة واحدة وهم اهل السنة والجماعة المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله كما بينه رسول الله
صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث فانه قال فيه لياتين على امتي ما اتى على بني اسرايل حذو النعل بالنعل
والقذة بالقذة وان بني اسرايل افترقت على ستين او سبعين ملة وستفترق امتي على ثلاث وسبعين
فرقة كلها في النار الا ملة واحدة او فرقة واحدة قالوا يا رسول الله من هم اي الناجون منهم قال من كان
على ما انا عليه واصحابي يعني الناجية انهم على الحق فهم ناجون من غضب الله وعذابه وفي قوله ستفترق
اشارة الى انه ليس في زمانه صلى الله عليه وسلم اختلاف وانه انما يحدث ذلك بعده بل بعد الخلفا
الراشدين وفي قوله ملة اشارة الى ان الخلاف المذكور في الدين والاعتقاد فلا ينافيه ما وقع بينهم
في امور جزئية وقد بينت هذه الفرق وفصلت في كتاب الملل والنحل وفي علم اصول الدين وهذا من جملة
ما اطلعه الله عليه من المغيبات وفي حديث رواه الشيخان عن جابر رضي الله تعالى عنه وانهم سيكون
لهم انماط جمع نمط كسبب واسباب وهو البساط يعني ان امته صلى الله عليه وسلم يتوسعون في الدنيا
حتى يتخذوا الفرش النفيسة لبسط الله لهم الرزق بعدما كانوا فيه من الفقر وضيق المعيشة
وقوله يغدوا احدهم في حلة ويروح في اخرى وما بعده من حديث رواه الترمذي عن علي وحسنه والغدو بغين
معجمة ودال مهملة سير اول النهار ويقابله الرواح والحلة هو الثوب النفيس ولا يطلق الا على ثوبين
احدهما فوق الاخر كما مر الا انهم توسعوا فيه فاطلقوه على ما قلناه والمراد تعدد لباسهم ونفاسته
بعدما كانوا عليه من التقشف كما ان قوله وتوضع بين يديه اي بين يدي احدهم صحفة بزنة قصعة
وهي انا الطعام وترفع اخرى اي صحفة اخرى اشارة الى تلون اطعمتهم وتعددها ونفاستها ويسترون
بيوتهم بالبنا للمجهول اي يسترون حيطان بيوتهم وابوابها وفي نسخة ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة
وهذا كما يفعله الامرا والعظما الذين اتسعت دنياهم حتى كسوا الحجارة والجدران وهذا لم يكن في العصر
الاول وهو اسراف وقد ورد النهي عنه ثم قال صلى الله عليه وسلم مخاطبا لاصحابه في اخر الحديث
الذي رواه الترمذي وغيره وانتم اليوم المراد به مطلق الزمان الحاضر خير منكم يوميذ اي احسن منكم
حالا من حالكم الاتي الذي يبسط لكم فيه الرزق ويوسع عليكم ففضلهم على انفسهم باعتبار ان
لان الرزق الكفاف خير من غنى يشغل عن عبادة الله ويتعب القلب والبدن كما يشاهد من ابتلي به
ومما اعلم به صلى الله عليه وسلم اصحابه انهم اذا مشوا المطيطا كما ورد في حديث رواه الترمذي
عن ابن عمر الا ان الذهبي قال في ميزانه انه لم يصح والمطيطا بضم الميم وفتح الطا المهملة ومثناة

تحتية ساكنة والف ممدودة كما في الصحاح ويقصر ايضا كما في النهاية وهو مبني على التصغير كالكميت وهي
مشيته فيها مد اليدين فهو منصوب على المصدرية والمراد به التبختر وهو كالثريا والمريطا ويجوز فتح ميمه
وكسر طايه وهو من مط بمعنى مد او من مطا لمطو كما بين في كتب اللغة وخدمهم بنات فارس والروم اي اتخذوا
الجواري والخدم منهم وخصهما لان الرقيق كان منهم في الاكثر لانهم كفرة يحل سبيهم لاهل الاسلام كثيرا ولانهم
مع تكبرهم وتعاظمهم يصيرون خدمة ارقا لاهل الاسلام ففيه اشارة لعزتهم وعلوهم على غيرهم وفارس
علم للجيل المعروف ممنوع من الصرف ويطلق على بلادهم ايضا وهو معرب بارس بالبا العجمية ولا يدخل
عليه الالف واللام والروم جيل معروف ايضا سموا باسم ابيهم رد الله باسهم بينهم جواب اذا والباس
معناه الخوف الشديد لا مطلقه والمراد به العداوة ووقوع القتال بينهم لان الله كان اعطى نبيه صلى الله
عليه وسلم النصرة بايقاع الرعب في قلوب اعداية الكفرة وبقي منه لك اثر فيمن اقتدى به من الخلفا فلما
اشتغلوا بزخرف الدنيا نزع الخوف من قلوب الاعدا وصار بعضهم يعادي بعضا وتقاتلوا لما بينهم من التحاسد
والتباغض وطلب كل منهم ما في يد الاخر لما ظهرت الملوك المتغلبة فصار الامر لمن غلب وسلط شرارهم
على خيارهم الشرار جمع شر بمعنى شرير وخيار جمع خير بمعنى خير او مخفف خير وتسليطهم بقهرهم والعلو عليهم
بالباطل وهو كالتفسير لما قبله وكان ابتدا ذلك بعد فتح فارس والروم وسبي ذريتهم واستخدامهم وتنافسهم
في الدنيا وذلك من الدولة الاموية الى الان واخبرهم صلى الله عليه وسلم بقتالهم الترك كما ورد في حديث
رواه الشيخان لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك صغار الاعين حمر الوجوه ذلف الانوف كان وجوههم المجان
المطرقة وقد ورد هذا الحديث من طرق بالفاظ مختلفة والترك بضم التا جيل معروف من الناس يقال لهم
بنو قنطورا وهي امة ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام واختلف في نسبهم اختلافا كثيرا
والمشهور انهم اولاد يافث بن نوح عليه الصلاة والسلام وقيل انهم الديلم وقيل المراد بهم هنا ياجوج
وماجوج وعلى حال فهم قوم من الكفرة دارهم بعيدة من ديار الاسلام ومنهم التتار ولهم وقايع مشهورة
كوقعة جنكيز وهلاكو المفصلة في التواريخ والخزر بضم الخا وسكون الزاي المعجمتين وراء مهملة وهم جيل
من الناس كفرة قيل انهم من الترك وقيل من العجم وقيل من التتار لانهم جمع اخزر وهو الضيق العين وقيل المراد بهم
الاكراد ووقايعهم كلها مشهورة فقد وقع ذلك كما اخبر به صلى الله عليه وسلم وروي الخزر بفتحتين ايضا
وفي بعض نسخ الشفا بخا مضمومة وواو وزاي معجمة ساكنة وفيه نظر والخزر ضيق العين كما علمت والنظر
عن نحوها والروم اي مما وقع من اخباره صلى الله عليه وسلم اصحابه اخباره بما سيكون من قتال
الروم وهم قوم معروفون من ولد روم بن عيص بن اسحاق سموا باسم ابيهم ثم قيل رومي وروم كزنج وزنجي
وقد ملكوا الشام واختلط بهم قوم من العرب من غسان واصل مساكنهم جهة الشمال وذهاب
كسرى بفتح الكاف وكسرها كما مر اي ذهاب ملكه وقومه بعد ظهوره ودولته وتغلبه وفارس من ارض
العراق وغيرها وقد تقدم بيانه حتى لا كسرى ولا فارس اي حتى لا يبقى له ذكر ولا ملك الى يوم القيامة
ولا انما تدخل على نكرة فاما ان تقول انه نكرة كما في هذا الحديث لا قيصر فهو كقولهم لكل فرعون موسى اي
لكل جبار مبطل محق يغلب عليه ويحاربه وفيه مقدر اي لا مثل كسرى ومثل وغيره لا يتعرفان بالاضافة
بعده اي لا يكون بعده من جنسه وذهاب قيصر ملك الروم بذهاب ملكه وقومه حتى لا قيصر بعده

وهذا مما

وهذا مما رواه الشيخان ايضا بدون فارس لانه وقع في رواية من غير طريقهما وذكر صلى الله عليه
وسلم فيما اخبر به من المغيبات التي كانت كما قال ان الروم اي جنسهم المعروف ذات قرون وفي نسخة ذات
القرون بالتعريف جمع قرن وهم الجماعة في عصر واحد اي كلما مضى قرن خلفه قرن وقوم عليك ملكهم منهم وقيل
القرن السيد اي كلما هلك ملك ملك بعده غيره كما بينته رواية كلما هلك قرن خلفه مكانه قرن وقيل
المراد به قرون شعورهم التي كانوا يطولونها ويعرفون بها للاشارة الى طول بقائهم الى اخر الدهر اي بقاء ملكهم
بديارهم بخلاف فارس فان الله مزقهم ومزق ملكهم بدعوته صلى الله عليه وسلم عليهم لما مزقوا كتابه
حين بعثه لهم كما هو مذكور في السير وقد تقدم ايضا وهو مشاهد الى الان ليس لغيرهم ملك كملكهم
وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما ارسل الكتب للملوك في عهده فلما قرا كسرى كتابه مزقه فقال صلى الله
عليه وسلم مزق الله ملكهم فكان كما قيل وكسر كسرى بتمزيق الكتاب بغفلة اذاقه الله
تمزيقا بتمزيق واما قيصر فلما اتاه كتابه صلى الله عليه وسلم مع دحيته قبله واجله فدعا له رسول الله
صلى الله عليه وسلم بان يثبت ملكه وقد ذكروا ان مكتوبه صلى الله عليه وسلم الى الان عند ملوكهم
يجلونه وهو محفوظ عندهم في صندوق من ذهب واوصى بعضهم بعضا بحفظه فان ملكهم لا يزال
قايما ما دام هذا الكتاب عندهم حتى انهم اخرجوه لابن الصايغ الحنفي لما ارسله السلطان قلاوون
الى ملك النصارى بالمغرب لامر مهم وقالوا له هذا كتاب نبيكم اجدادنا تحفظه ونتبرك به وكان عند
ملك طليطلة وهو الى الان عندهم ولكن الله يهدي من يشا واعلم صلى الله عليه وسلم اصحابه بذهاب
الامثل فالامثل من الناس الامثل هنا بمعنى الاشرف لكثرة اكثر ماثله ومشابهته لاهل الحق والصدق
الاول فالاول الفا للترتيب التفاضل لا تباته للاول ثم للثاني وهكذا الى ان تبقى حثالة لا عبرة بهم وفي الصحاح
فلان امثل بني فلان اي ادناهم للخير وهؤلا اماثل القوم اي خيارهم اي علمهم صلى الله عليه وسلم بموت
الاقرب الى الخير قبل غيره وفي البخاري يذهب الصالحون الاول فالاول وتبقى حثالة كحثالة الشعير
والتمر لا يبالهم الله بالة اي لا يرفع لهم قدرا ولا يقيم لهم وزنا والحثالة بالحا والثا المثلثة من كل شي رديه
وتقارب الزمان في حديث رواه الترمذي عن انس رضي الله تعالى عنه لا تقوم الساعة حتى يتقارب
الزمان فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كالضرمة
بالنار بضاد معجمة مفتوحة وراء مهملة مفتوحة وهي حشيش يحترق بسرعة والتقارب تفاعل من القرب
والمراد قصره وقلته لان القصير يقرب بعضه من بعض ويقال للقصير متقارب ومتازف وهذا يكون
اذا قربت الساعة في اخر الزمان كما ورد التصريح به في بعض الروايات واختلفوا في معناه فقيل المراد
انهم يوسع عليهم من الدنيا فيستلذون معيشتهم ويكونون مسرورين وما زال الناس يصفون الايام
الهنية بالقصر وللشعرا فيها مبالغات ومعان لطيفة يعرفها من له المام بالادب كقول ابي تمام

اعوام وصل كاد ينسي طيبها ذكر النوى فكانها ايام
ثم انبرت ايام هجر اعقبت نحوي اسا فكانها اعوام
ثم انقضت تلك السنون واهلها فكانها وكانهم احلام

وهذا المذكور
هو الذي ارتضاه الخطابي واعترض عليه الكرماني بانه لا يناسب قوله بعده وقبض العلم وقال
ان جعلنا احتاج الخطابي لتاويله بما ذكر لانه لم يشاهد النقص في زمنه والذي تضمنه الحديث نجده

فى زماننا هذا فانا نجد من سرعة الايام مالم نجده فى العصر الاول الذى قبله وان لم يكن هناك عيش مستلذ
كما قيل
كفى حزنا ان لا حياة هنية ولا عمل يرضى به الله صالح
فالحق ان المراد نزع البركة
من كل شئ حتى من الزمان وذلك من علامات قرب الساعة وهذا هو الذى ارتضاه النووى رحمه الله
تعالى وقيل المراد بتقاربه وقصره قصر الاعمار فان كل قرن اهله اقصر اعمارا من اعمار القرن الذى قبله وقال
البيضاوى فى شرح المصابيح المراد تسارع انقضا الدول وانقراضها وهنا وجه اخر قريب من الاول
وهو انه لكثرة الظلم والاحزان والاشتغال بامور الدنيا وكثرة الحرص على تحصيلها يغفلون عن اوقاتهم
ولا يشعرون بها كما قلت
ان الزمان منقص ذهبت به بركاته وازدادت الالام
ماذاك الا انه قد فر من خوف وقد جارت به الحكام
وهو مناسب لذكر الفتن بعده فى قوله
وظهور الفتن والهرج وهى جمع فتنة وهى معروفة وهذا قد شاهدناه وقبض العلم بمعنى اخذه ونزعه
من الناس وذلك بموت العلما حتى لا يبقى الا ناس جهلة اذا استفتوا افتوا بغير علم وبهذا فسره صلى الله عليه
وسلم لما سيل عنه وموتهم بالكلية انما يكون اذا قربت الساعة فلا ينافى هذا قوله فى الحديث الصحيح
الاتى لا تزال طايفة من امتى ظاهرين على الحق حتى ياتيهم امر الله فانه قبل ذلك والهرج بالهاء وسكون الرا
المهملة وجيم بمعنى القتل واصل معناه لغة الكثرة وقد ورد تفسيره فى الحديث بالقتل وورد بمعنى اختلاط
الناس بعضهم ببعض وقيل انه لغة حبشية فهو معرب صار عربيا فصيحا ومنه قولهم هم فى هرج ومرج
وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان عن زينب ام المومنين رضى الله تعالى عنها ويل للعرب
من شر قد اقترب اى قرب ودنا منه وويل كلمة تفجع وتعجب فتعجب مما نالهم من المشقة والهلاك بفتن تقع
بين المسلمين كقطع الليل المظلم يصير المتمسك فيها بدينه كالقابض على الجمر ليشير بذلك الى دم عثمان وعلى
رضى الله عنهما وويل مبتدا وان كان نكرة لما فيه من الدعا مثل سلام عليكم وهى ترد للتحزن والتحير والكلام
عليها مفصل فى العربية واللغة والمراد بالشر ما ما لقوله اقترب وقيل انه اشارة لفتح سد ياجوج وماجوج
لان الحديث اوله قالت زينب رضى الله تعالى عنها استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من النوم
محمرا وجهه وهو يقول لا اله الا الله ويل للعرب الحديث وفيه فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج اى السد وعقد
تسعين يعنى جعل سبابته مضمومة لاصل ابهامه يشير للفرجة اليسيرة بينهما بحساب المشهور
ومثله كثير فى الحديث لتعارفه بينهم والحديث والكلام عليه مبسوط فى شروحه واعلم صلى الله عليه
وسلم اصحابه ايضا بانه زويت له الارض مبنى للمجهول اى جمعت وضم بعضها لبعض حتى يطلع على جميعها
فارى مشارقها ومغاربها اى جميع الارض وجوانبها كما يضم البساط الكبير حتى يصير فى محل واحد يحيط به
الناظر اليه سريعا وارى بضم الهمزة مبنى للمجهول اى اراه الله جميع ذلك ومشارقها مفعول ثان والمشارق
والمغارب كناية عن الجميع كما فى قوله رب المشارق والمغارب والجمع باعتبار تعدد المطالع كما ذكره المفسرون
وقيل انه لم يذكر الجنوب والشمال لان معظم امتداد ملك هذه الامة فى جهتى المشرق والمغرب وهكذا
هو فى الواقع كما اخبر به صلى الله عليه وسلم وفى قوله وسيبلغ اى يصل ملك امته اى سلطانهم وحكمهم
اشارة اليه ما زوى له صلى الله عليه وسلم منها اى الارض والمشارق والمغارب وهو من تتمة
الحديث ومن تفصيلية بيانية او تبعيضية لما مر وكذلك كان اى وقع ما ذكر من الامتداد امتدت

مملكتهم واتسعت امته بمعنى انتشرت فى نواحيها فى المشارق والمغارب ما بين ارض الهند بيان
للمشارق والمغارب او بدل اقصى المشرق بيان لارض الهند او بدل ايضا الى بحر طنجة بفتح الطا المهملة ونون
ساكنة وجيم بلدة مشهورة بساحل بحر المغرب بحيث لا عمارة وراه اى انتهت الى مكان من ذلك البحر لا عمارة
بكسر العين اى ليس بعده بلاد ولا جزاير معمورة وطنجة لفظ بربرى وهى مدينة عظيمة فتحت فى الاسلام
ثم استولى عليها النصارى فى سنة سبعين وثمانماية بعد قتال عظيم فلما راى المسلمون انه لا معين لهم
ولا مغيث سلموها لهم فانا لله وانا اليه راجعون ولم تزل النصارى ظاهرين ثمة حتى تملكوا اكثر البلاد
فعاد الاسلام غريبا كما بدا ومن اراد تفصيل ذلك فلينظر تاريخ الاندلس وذلك الذى امتد لهذه
الامة ما لم يملكه احد من الامم السالفة ولم يمتد الممالك الاسلامية فى جهة الجنوب ولا فى جهة
الشمال مثل ذلك اى مثل امتدادها فى المشرق والمغرب فما قيل فى تفسيره انه بلغ ملكها اقصى الجهات
الاربع مهاب الريح قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا لم ينتبه لما قلناه وقوله صلى الله عليه وسلم
فى حديث رواه مسلم عن سعد بن ابى وقاص رضى الله تعالى عنه لا يزال اهل الغرب سيأتى تفسيره
مفصلا فى كلامه ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة غاية لاستمرار ظهورهم بتاييد الله تعالى لهم
واعلايه لكلمة الدين بجهادهم وقوله ظاهرين اصل معنى الظهور العلو على الظهر ويطلق على ما يلزمه
وهو الشهرة والعلو وقد يراد به العلو المعنوى وهو الغلبة والقهر وقد اختلفوا فى المشرق والمغرب
ايهما افضل فذهب الى كل منهما طايفة وهو خلاف لا طايل تحته قال ابن العماد فى كتابه كشف الاسرار
استدل من قال بفضل الغرب بهذا الحديث واجيب بان الثابت لا تزال طايفة من امتى ظاهرين
على الحق حتى ياتى امر الله وهم بالشام فان ثبت هذا اللفظ فالمراد الشام لانه غربى المدينة وقوله
على الحق خبر بعد خبر لانه ليس المعنى على الظهور على الحق بل انهم ظاهرون وانهم على الحق وهو ضد الباطل
او هو متعلق بظاهرين بتضمن معنى محافظين مداومين على اقامة الحق وشعاير الدين ذهب ابن المدينى
فى تفسير هذا الحديث وهو على بن عبد الله بن جعفر بن نجيح ابو الحسن امام اهل الحديث واعلمهم به
فى عصره وقال النساى كان الله تعالى لم يخلقه الا لهذا الشان وقال البخارى ما استصغرت نفسى
الا بين يدى على بن المدينى الخ وكان من احسن الناس كلاما على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
توفى لليلتين بقيتا من ذى القعدة سنة اربع وثلاثين ومايتين وله ثلاث وسبعون سنه وروى
عنه البخارى وغيره من اصحاب السنن وهو منسوب لمدينة الرسول عليه الصلاة والسلام على
خلاف القياس والقياس مدنى كما بينه النحاة والمشهور ان يقال مدينى فى النسبة لمدينة المنصور
فرقا بينه وبين المنسوب للمدينة المنورة ولكنه اشتهر بذلك وله ترجمة فى الميزان وقال ابن الاثير
النسبة الى المدينة المشرفة مدنى والاكثر فيما ينسب اليها مدنى والمدينى نسبة الى مداين سبعة
غيرها كما فصله وقال الجوهرى المدنى نسبة لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم والمدينى نسبة
لمدينة المنصور وبين كلاميهما تناف وقال ابن الصلاح فى الكلام على المسلسل بالاولية
المدينى نسبة لمدينة اصبهان وهو من المدينة الا انه سكن البصرة وفى القاموس النسبة
لمدينة الرسول مدنى ولمدينة المنصور واصبهان وغيرهما مدينى وقال الكرمانى قال الحافظ

المقدسي قال البخاري المديني الذي اقام بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفارقها والمدني الذي تزود
عنها وكان منها انتهى الى انهم العرب مطلقا وجه تسميتهم باهل الغرب بقوله لانهم المخصوصون
بالسقي بالغرب بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة والموحدة وهي الدلو العظيمة المعروفة تذكر
وتونث سماعا وقيل المراد بالغرب في الحديث الحدة والشوكة وتقدم تفسيره بالشام ايضا وسته
غربي الشام لحدته وللغرب معان كثيرة في كتب اللغة وغيرها اي غير ابن المديني من علما الحديث يذهبون الى انهم
في الحديث اهل المغرب بميم في اوله وقد ورد للفرد كذا اي بهذا اللفظ في بعض الروايات وهو مويد للتفسير
الثاني ولا يعينه لاحتمال انه روي في الحديث بمعناه فهو رواية بالمعنى ولولا هذا لم يفسره بغيره
وفي حديث اخر من هذا القبيل رواه الطبراني وعبد الله بن احمد بن حنبل من رواية ابي امامة عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم من الكفرة بالجهاد
في سبيل الله حتى ياتيهم امر الله تعالى يعني الساعة واشراطها وهو غاية لظهورهم على ظاهرها او المراد
انهم لا يعدم ظهورهم كقوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا كما حققه الكرماني وغيره
وهم كذلك اي باقون على حالهم والجملة حالية قيل يا رسول الله واين هم من البلاد وتفرقهم قال
ببيت المقدس بالاضافة وفيه لغات مقدس كمرجع اسم مكان او مصدر ميمي من القدس وهو الطهر
اي المكان الذي يطهر فيه العابد من الذنوب او تطهر فيه العبادة من الاصنام وجا فيه ضم الميم
وفتح القاف والدال المهملة المشددة اسم مفعول من التقديس اي التطهير وجا بكسر الدال
المشددة اسم فاعل لانه يقدس العابد فيه من الاثام ويقال البيت المقدس بالتوصيف والاشهر
الاضافة والظاهر ان الطائفة المذكورة الامرا والحكام وولاة الامور لانهم المعروفون بالقهر
والغلبة وقيل انه يشملهم ويشمل غيرهم من الفقها والمحدثين وكل من يامر بالمعروف وينهى
عن المنكر وقال البخاري هم اهل العلم ونقل عنه ايضا انهم اهل الحديث وكل محتمل والتعميم اولى كما
لا يخفى وفي شرح مسلم للقرطبي بعد ما ذكر رواية اهل المغرب من طرق متعددة وصححها انه
يدل على ابطال التاويلات فيه والمراد بالمغرب جهة المغرب من المدينة الى اقصى بلاد المغرب
فيدخل فيه الشام وبيت المقدس فلا منافاة بين الروايات وفي رسالة للطرطوشي ارسلها
لاهل المغرب وذكر فيها هذا الحديث وقال فيها هل اراد كم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا
الا لما انتم عليه من التمسك بالسنة وطهارتكم من البدع واقتفا اثر السلف وفيه دليل
على صحة الاجماع واخبر صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي والحاكم عن الحسن بن
علي رضي الله تعالى عنهما بملك بني امية وهذا من جملة ما اخبر به صلى الله عليه وسلم
من المغيبات وهم بنو مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وقد
رواه البيهقي مرسلا من طريق اخر في سنده ضعف وولاية معاوية ابن ابي سفيان بن حرب
بن امية بن عبد شمس ولقد اجاد المصنف رحمه الله تعالى اذ عبر في بني امية بالملك ولم يدخل فيهم
معاوية وعبر في معاوية رضي الله تعالى عنه بالولاية الشاملة للملك والخلافة كما سنبينه
عن قريب والفرق بين الملك والخلافة والولاية ان الملك هو السلطنة بطريق التغليب

والخلافة ما كان ببيعة اهل الحل والعقد لمن هو قرشي جامع لشروط الخلافة المذكورة في الاصول والولاية
اعم منهما فتشملهما وتشمل الامارة ونيابة الخلفاء وغيرهم كما في الحديث الاتي مع الكلام عليه الخلافة
بعدي ثلاثون عاما ثم تصير ملكا عضوضا ومعاوية كما تقدم كان اولا اميرا ثم صار ملكا وهو اول
ملوك الاسلام ثم لما بايعه الحسن رضي الله تعالى عنه برضاه صار خليفة فلذا كان ذكر الولاية فيه
انسب لهذا وليس عثمان رضي الله تعالى عنه من بني امية لانه خليفة بحق ومعاوية وان كان منهم نسبا
لان ابا سفيان كما علمت ابن حرب بن امية فلم يدخله المصنف فيهم لما ذكرناه وقيل انه اول ملوك بني امية
ولكل وجهة وقد ورد في الحديث انه صلى الله عليه وسلم راى مناما بني امية على منبره الشريف
فساءه ذلك فانزل الله عليه لتسليته له صلى الله عليه وسلم سورة الكوثر وسورة القدر لان
ملك بني امية كان الف شهر لا يزيد ولا ينقص فاعطى الله امته في كل سنة ليلة تعدل ملكهم
وتزيد بما لا يحصى من العجائب الواقعة في تلك الليلة مما لا يعلم مقدار ثوابه الا الله تعالى يعرف
ذلك من الهمه الله تعالى الفهم الثاقب وخصه بالمواهب وفيه من الاسرار الخفية ما لا يخفى على ذي
بصيرة ووصاه اي وصى عليه الصلاة والسلام معاوية اذا تملك بالعدل والرفق لما قال له اذا
تملكت فاسجح قال معاوية رضي الله تعالى عنه فما زلت اطمع في الخلافة منذ سمعتها من رسول الله
صلى الله عليه وسلم قيل في قوله اذا ملكت اشارة الى انه رضي الله تعالى عنه لم يكن خليفة وانما
كان ملكا وروى البيهقي عن معاوية انه قال ما حملني على الخلافة الا قوله صلى الله عليه وسلم
يا معاوية ان ملكت فاحسن وهو ضعيف الا ان له شواهد منها ما روي انه تبع بالاداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال له يا معاوية ان وليت امرا فاتق الله واعدل وروي ما يقرب منه من طرق
متعددة وهذا من جملة ما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ومنه ايضا قوله وتخاذ بني
امية مال الله دولا كما ورد في حديث رواه الترمذي والحاكم والبيهقي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه
اذا بلغ بنو ابي العاص اربعين وثلاثين اتخذوا دين الله دغلا وعباد الله خولا ومال الله دولا ودول
بضم الدال المهملة وفتح الواو ولام جمع دولة بالضم والفتح وهو ما يتداول اي ياخذه واحد بعد
واحد والمراد انهم استاثروا به ومنعوا حقوقه فاسرفوا وبذروا واضيعوا بيت مال المسلمين وهم اول
من فعل ذلك في الاسلام واول ملوكهم معاوية بن ابي سفيان ثم ابنه يزيد قبحه الله ثم معاوية
بن يزيد ثم مروان بن الحكم ثم ولي ابنه عبد الملك وتمت دولتهم بالرابع عشر مروان بن محمد كما فصله
المورخون ومنه ايضا خروج ولد العباس بعد انقراض الدولة الاموية اي ولد العباس بن عبد المطلب
كما ورد في حديث رواه احمد والبيهقي بسند فيه ضعف وهو مما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم
وايضا الولد يطلق على الواحد والجمع والمراد هنا الثاني بالرايات السود اشارة الى ما في هذا الحديث
تظهر الرايات السود لبني العباس حتى ينزلوا بالشام ويقتل الله على ايديهم كل جبار وعدو لهم وفي رواية
تخرج الرايات السود من خراسان لا يردها شي حتى تنصب بايليا اي بيت المقدس وفي سنده ضعف
وكان صلى الله عليه وسلم اخبر العباس ان الخلافة تكون في ولده فكانوا يتوقعون وقد روي
بتبشيره صلى الله عليه وسلم له بذلك ولام الفضل زوجته من طرق افردها السخاوي بتاليف

ليس يسع تفصيله هذا المقام وكان شعارهم لبس السواد في لباسهم وراياتهم وسببه انه صلى الله عليه وسلم اخبرهم بذلك وقيل سببه ان مروان الحمار اخر بني امية لما بلغت دعوة ابي مسلم الى محمد بن علي ومات محمد فعهد الى ابنه ابراهيم فاتى به مروان وسجنه فلما احس بالقتل اوصى اتباعه بالثبات على امرهم واستخلاف اخيه السفاح فلما قتل لبسوا السواد اظهارا لحزنهم وحثا للاخذ بثاره فاستمر ذلك فيهم ولا منافاة بين الروايتين ولم يزل ذلك الى عهد المامون بن الرشيد في سنة احدى ومايتين فامر بترك السواد ولبس الخضرة لمحبته للعلويين حتى خلع اخاه المؤتمن وجعل العهد لعلي الرضى فمات ولم يتم امره فكلمه العباسيون في اعادة شعار السواد وترك الخضرة ففعل وهذا اول لبس العلويين الخضرة وليس مبداوه كما توهمه المتاخرون في سنة ثلاث وسبعين وسبعماية برسم الملك الاشرف شعبان وفي ذلك

يقول ابن جابر الاندلسي جعلوا لابناء الرسول علامة ان العلامة شان من لم يشهر

نور النبوة في كريم وجوههم يغني الشريف عن الطراز الاخضر وقال ابن جبيب

عمايم الاشراف قد تميزت بخضرة رقت وراقت منظرا وهذه اشارة ان لهم في جنة الخلد لباسا اخضرا

وقال ابن المزين اطراف تيجان اتت من سندس خضر كاعلام على الاشراف

والاشرف السلطان خصهم بها شرفا ليعرفهم من الاطراف ولكن الاول لم يستمر وترك حتى نسي توهموا ان ابتداءه كان كذلك وكان سبب حدوث شعارهم ان يهوديا دخل بجماعة فعظم ودخل بعض الاشراف فلم يلتفت اليه لعدم العلم به فامر بذلك وقال السبكي انه مستحب واستنبطه من قوله تعالى ذلك ادنى ان يعرفن فلا يوذين وهو كلام حسن وملكهم اي تملك بني العباس الخلفا اضعاف ما ملكوا اي اضعاف تملك بني امية واضعاف خلفايهم فان اولهم السفاح بويع في ربيع الاخر سنة اثنين وثلاثين ومايه واستمر ملكهم الى سنة ست وخمسماية وكانوا نحو ثلاثين ببغداد ثم انقضت تلك السنون واهلها ولله الامر من قبل ومن بعد وخروج المهدي في اخر الزمان كما ورد في حديث رواه اصحاب السنن وغيرهم من طرق كثيرة الا انه قيل ان اسانيده لا تخلو من ضعف وفيه اختلاف كثير افرد بالتاليف فقيل انه عباسي وقيل انه علوي وانه يملك سبع سنين وكنيته ابو القاسم واسمه محمد بن عبد الله وفي زمنه ينبسط الامن والعدل وقيل المراد به عيسى بن مريم عليه الصلوة والسلام وذكره النبي صلى الله عليه وسلم باسمه وصفته كما فصله واحواله مبسوطة في تذكرة القرطبي وهو ممن يملك الارض كلها وقد ملكها قبله مسلمان سليمان عليه الصلاة والسلام وذو القرنين وكافران نمرود وبخت نصر وما ينال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم يقال نال كذا اذا وصل اليه فيجوز ان يكون فاعله مستترا يعود لما فاهل منصوب ويجوز رفعه بتقدير اي ما يناله اهل بيته وما قيل انه لا يجوز رفعه لا وجه له اي مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات كما في حديث رواه الحاكم ان اهل بيتي سيلقون بعدي من امتي قتلا وتشريدا وضعفه الذهبي والتشريد الطرد والتفريق من شرد البعير اذا ند وشردت فلانا من البلاد وشردت به قال تعالى فشرد بهم من خلفهم وقتل علي ابي طالب كرم الله وجهه اي مما اخبر به صلى الله عليه وسلم قتل علي كما رواه احمد والطبراني في حديث فيه وان اشقاها اي اشقى الخلايق او الدنيا او الطايفة

الخوارج او اشقى هذه الامة الذي يخضب هذه اشارة الى لحيته من هذه اشارة لراسه اي يضربه على راسه ضربة يسيل بها دمه حتى يبل لحيته والخضاب صبغ معروف فشبه دمه بالخضاب لتغييره لونها كما يغير الخضاب ففيه استعارة وهو عبد الرحمن ابن ملجم بضم الميم وسكون اللام وفتح الجيم على زنة اسم المفعول كما قاله النووي في تهذيبه وغيره اي لحيته من راسه اي من دمها وهو تفسير لما قبله وقصته الخوارج والتحكيم وقتل علي مشهورة لا حاجة لنا بها وكذا قصة قتل اهل بيته وقتل سبطه بكربلاء وانه يعني عليا كرم الله وجهه قسيم النار ظاهر كلامه ان هذا مما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم الا انهم قالوا لم يروه احد من المحدثين الا ان ابن الاثير قال في النهاية الا ان عليا قال انا قسيم النار يعني اراد ان الناس فريقان فريق معي فهم على هدى وفريق علي فهم على ضلال فنصف معي في الجنة ونصف علي في النار انتهى قلت ابن الاثير ثقة وما ذكره علي لا يقال من قبل الراي فهو في حكم المرفوع اذ لا مجال فيه للاجتهاد ومعناه انا ومن معي قسيم لاهل النار اي مقابل لهم لانه من اهل الجنة وقيل القسيم المقاسم كالجليس والسمير وقيل اراد بهم الخوارج ومن قاتله كما في النهاية يدخل وليائه الجنة اي من والاه ونصره وكان من حزبه ويدخل بفتح المثناة التحتية وضم الخاء المعجمة ويجوز ضم اوله وكسر ثالثه فيرفع اوليائه او ينصب او تدخل بفوقية وذلك باذن الله تعالى تكريما له على الثاني لان كبار الامة لهم شفاعة ثمة كما ورد في الحديث ويدخل عداوه النار لبغضهم له وعدم اتباعهم الحق وفي الغيلانيات انه ينادي يوم القيمة اين اصحاب محمد فيوتى بالخلفا رضي الله عنهم فيقول ادخلوا من شيتم الجنة ودعوا من شيتم او ما هو بمعناه فكان ممن عاداه اي اظهر العداوة له الخوارج وهم الذين خرجوا عليه عند التحكيم فكانوا اثني عشر الفا اصحاب صلاة وصيام وقد اخبر عنهم النبي صلى الله عليه وسلم وذكرهم بصفاتهم وكان لعلي رضي الله تعالى عنه معهم وقايع مدونة في التواريخ وهم من الفرقة الضالة ولهم اعتقادات فاسدة واعمال كاسدة والواحد منهم خارج وخارجي والناصبة اي الفرقة او الطايفة الناصبة ويقال لهم النواصب وهم قوم تدينوا ببغض علي كرم الله وجهه قال ابن السيد من نصب الشرك والمجالدة فاستعير ذلك لكل من يكيد ويوقع المكروه واشتق منه هذا الاسم انتهى وفي الكشاف النصب بغض علي وعداوته وهو بالصاد المهملة وهم من الخوارج ايضا وطايفة ممن ينسب بالياء التحتية او بالمثناة الفوقية وروي ينتسب افتعال من النسبة للملة اي الى علي لانهم كانوا يعتقدون انه الخليفة بحق وان الامامة حقه وتلك الطايفة من الروافض من الرفض وهو الترك سموا بذلك لتركهم السنة والجماعة كفروه اي نسبوه الى الكفر لتركه الخلافة وهي حقه وهو زعم فاسد وحماقة وهم المنكرون للتحكيم وقولهم لا حكم الا الله وهي كلمة حق اريد بها باطل وقد كفروا غيره من الصحابة ايضا وقوله السابق ممن عاداه اشارة الى ان من عاداه ليس منحصرا فيمن ذكر فان كثيرا من بني امية والعباسيين اظهروا عداوته وسبه وقال صلى الله عليه وسلم كما رواه الشيخان يقتل عثمان وهو يقرا القران في داره في مصحف وروى الترمذي عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم ذكر فتنة فقال يقتل فيها هذا مظلوما يعني عثمان رضي الله تعالى عنه وحسنه وهو من جملة ما اخبر به من المغيبات

فكان كما قال والمصحف بضم الميم وكسرها محل الصحف لجمعه ما كان فيها كما ياتى وان الله عسى ان يلبسه قميصا
اى بعسى هنا تادبا لعدم جزمه واستعارها للاستقبال للازم للترجى اى سيلبسه واستعار القميص
للخلافة استعارة مرشحة بقوله وانهم يريدون خلعه وظاهره ان الضمير للقميص ويجوز عوده على عثمان
وخلعه بمعنى عزله فانهم اجتمعوا لخلعه فلم يرض لانه صلى الله عليه وسلم نهاه عنه بقوله فلا تخلعه
فقتلوه فاهدر الله بدمه سبعين الفا قتلوا بصفين وغيرها كما رواه الترمذى عن عايشة رضى الله
تعالى عنها وهو حديث حسن وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه اى عثمان اصبح يحدث الناس فقال رايت النبى صلى الله
عليه وسلم فقال يا عثمان افطر عندنا فاصبح صايما وقتل فى يومه وانه سيقطر دمه على قوله فسيكفيكهم الله
وهو السميع العليم اى ياخذ ثارك ممن يقتلك وهذا رواه الطبرى فى كتابه الرياض النضرة ورواه الحاكم
عن ابن عباس وقال الذهبى انه موضوع وتبعه السيوطى والظاهر منه ان دمه وقع على هذه الاية
وقيل المراد به انه توهمه وهو يقروها وهو بعيد وفيه اخبار بمغيبات منها وقوع هذه الفتنة وان عثمان
سيقتل شهيدا وان القران سيجمع فى مصحف فانه لم يكن فى زمنه صلى الله عليه وسلم فى مصحف واختلفوا
فيمن قتله فقيل رومان بن سرحان وقيل الاسود التجيبى وهذه اول فتنة ومصيبة وقعت فى الاسلام
ومن لم يقاس الدهر لم يعرف الاسى وفى غير الايام ما وعد الدهر ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم
ان الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا روى البيهقى هذا الحديث عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما والشيخان عن حذيفة
ولقى يوما عمر ابا ذر فاخذ بيده وعصرها فقال دع يدى يا قفل الفتنة فقال له ما هذا يا ابا ذر قال جيت
يوما ونحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فكرهت ان اتخطى الناس فجلست فى ادناهم فقال
لا تصيبكم فتنة ما دام هذا فيكم وقال عمر رضى الله تعالى عنه يوما ايكم يحفظ ما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى الفتنة التى تموج كموج البحر فقال حذيفة ليس عليك منها يا امير المومنين ان بينك
وبينها بابا مغلقا قال فيفتح الباب ام يكسر قال بل يكسر قال اذن لا يغلق ابدا فقيل له اكان عمر يعلمه قال نعم
كما يعلم ان دون الغد الليلة اقول فى هذا الحديث من كنايات البلاغة عجيب فان قوله فيه تموج اشارة الى انها
ليست فتنة المال والاولاد وقوله يكسر يشير الى انه يقتل فيتجرا الناس على الخلفا والباب اذا انكسر لا يقفل
وقوله كما يعلم ان دون الغد الليلة كناية عن انه كان يقينا عنده وانما سال ليعلم هل عنده غيره ام لا وخطب
خالد بن الوليد يوما فقال ان امير المومنين قد بعثنى الى الشام وهو بهمه فالقى بوانيه بثنية وعسلة
اراد ان يوثر به غيره فقال له رجل ما تحققه اصبر ايها الامير فان الفتن قد ظهرت فقال اما وابن الخطاب حى
فلا انما ذاك بعده اذا كان الناس بذى بلى او بذى بليان فينظر الرجل هل يجد مكانا لم ينزل به ما نزل
بمكانه من الفتنة والشر فلا يجد اولئك الايام التى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يدى الساعة
نعوذ بالله ان تدركنى واياكم اولئك الايام وبوانيه جمع بانية اى خيره وسعته والبثنية حنطة
منسوبة لبثنية ناحية بدمشق وقيل هى الزبدة اى كانها عسل وزبد لما يجى من اموالها وذى بلى وذى
بليان يريد به طويف بلا امام وكل من بعد حتى لا يدرى موضعه فهو بذى بلى من بلى فى الارض اذا ذهب
اراد ان امور الناس تضيع بعد عمر رضى الله عنه واخبر صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه البيهقى
من طرق عديدة وهو مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات بمحاربة الزبير لعلى وهو ظالم له وكان صلى الله عليه

وسلم

وسلم راهما يوما وكل منهما يضحك فقال لعلى انحبه فقال كيف لا احبه وهو ابن عمتى صفية وعلى دينى فقال له
للذى انحبه فقال كيف لا احبه وهو ابن خالى وعلى دينى فقال اما انك ستقاتله وانت له ظالم فلما كان يوم
الجمل قاتله فبرز له على رضى الله تعالى عنه وقال ناشدتك الله اسمعت من رسول الله صلى الله عليه
وسلم قوله انك ستقاتلنى وانت لى ظالم قال نعم ولكن انسيته وانصرف عنه فلما كان بوادى
السباع خرج عليه ابن جرموز وهو نايم فقتله واتى براسه كما فصله المورخون ومما اخبر به
صلى الله عليه وسلم من المغيبات بنباح كلاب الحوب على بعض ازواجه يعنى عايشة رضى الله
تعالى عنها وهو بفتح الحا المهملة وواو ساكنة وهمزة مفتوحة وموحدة اسم ما او موضع وقرية منه
الما فى طريق الذاهب من المدينة الى البصرة قال ابن عبد ربه فى العقد وبعضهم يقول فى الحوب بضم الحا
وتشديد الواو والمشهور الاول قال الشاعر من الخوارج وانا البرى من الزبير وطلحة
ومن التى نبحت كلاب الحواب وفى معجم البلدان اصل معناه الوادى الواسع وانما كان المراد
عايشة رضى الله تعالى عنها لانه صلى الله عليه وسلم كان يوما جالسا وعنده نساوه يتحدثن
معه فقال ايتكن تنبحها كلاب الحواب سايرة الى المشرق فى كتيبة فكانت عايشة فى وقعة
الجمل ولما مرت بذلك المكان نبحتها كلابه فسالت عن اسم ذلك المكان فقيل لها الحواب فهمت
بالرجوع فحلفوا لها انه ليس بالحواب والحواب ايضا اسم نخل بالطايف قتلت فيه سلمى المرتدة
عتيقة عايشة وقيل انها اى سلمى المرادة بالحديث ايضا لانها كانت مع نسايه صلى الله عليه
وسلم لما حدثهن به كما فى المعجم والصحيح خلافه لما ياتى فى بقية الحديث والنباح بضم النون وكسرها
صوت الكلب والتيس وقيل انه اى الحواب سمى باسم حواب بنت كلب لنزولها به كما قال ابن ماكوه
واختلف فى وزنه فقيل فوعل وقيل فعال وفيه الاخبار بالمغيبات وهو حديث صحيح رواه البزار
عن ابن عباس وهو من تتمة حديث الزبير رضى الله عنه لان عايشة ذهبت معه لتصلح بينه
وبين على فاتفق ما اتفق من وقعة الجمل واخبر صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث انه يقتل حولها
ممن كان معها قتلى كثيرة قيل كانوا نحو ثلاثين الفا وتنجوا اى تسلم هى بعد ما كادت او قاربت عدم
النجاة فنبحت كلاب الحواب على عايشة عند خروجها الى البصرة وهذا الحديث صحيح كما مر روى
من طرق عديدة فعن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال لنسايه ليت شعرى ايتكن صاحبة
الجمل الاذيب تنبحها كلاب الحواب والاذبب كثير شعر الوجه وفك ادغامه لمشاكلة الحواب فكان
ما اخبر به لانه لما قتل عثمان رضى الله تعالى عنه وكانت هى وامهات المومنين حاجات فى ذلك العام
فبايع الناس عليا وانحاز اليه قتلة عثمان من غير رضى منه لكنه خشى الفتنة لكثرتهم وتغليبهم
واشتد غيظ الناس فخطبتهم عايشة رضى الله تعالى عنها وحثتهم على الطلب بدمه ودفع الخوارج
عن البلد الحرام فاجابها الناس وقالوا لها حيثما سرت فنحن معك فسارت فى هودجها على جمل
يقال له عسكر وودعتها امهات المومنين يبكين فسمى ذلك العام عام النحيب فلما وصلت
الى الحواب وانا خوا جملها نبحتها الكلاب فقالت ردونى ولخبرت بما قال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لها الزبير يا ام المومنين اصلحى بين الناس فسارت لذلك وكان ما كان

ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ان عمار بن ياسر الصحابي المشهور تقتله الفئة الباغية
من البغي وهو الخروج بغير حق على الامام ولفظ مسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمار تقتلك الفئة
الباغية وروى وقاتله في النار فقتله اصحاب معاوية وكان هو مع علي بصفين وهو صريح في ان الخليفة
بحق هو علي رضي الله تعالى عنه وان معاوية مخطئ في اجتهاده كما في حديث اذا اختلف الناس كان ابن سمية
مع الحق وابن سمية هو عمار رضي الله تعالى عنه كان مع علي وهذا هو الذي ندين الله به وهو ان عليا كرم الله
وجهه على الحق ومجتهد مصيب في عدم تسليم قتلة عثمان ومعاوية رضي الله تعالى عنه مجتهد مخطئ
فدع القيل والقال فماذا بعد الحق الا الضلال وقد تاول معاوية حديث عمار لما لم يجد مجالا لانكاره
فقال انما قتله من اخرجه ولذا قال علي كرم الله وجهه لما بلغه قوله فرسول الله صلى الله عليه وسلم
قتل حمزة رضي الله تعالى عنه لما اخرجه لاحد كما نقله ابن دحية رحمه الله تعالى وقتل عمار بصفين وهو ابن
سبعين سنة قتله ابن الغادية واحتز راسه ابن جزء ودفنه علي رضي الله تعالى عنه وقال صلى الله عليه
وسلم في حديث تقدم لعبد الله بن الزبير لما شرب دما من فضلاته صلى الله عليه وسلم ويل للناس
منك وويل لك من الناس وويل هنا للتحسر والتاسف وتكون للدعا بالهلاك وكان صلى الله عليه وسلم
احتجم واعطاه دمه وقال له اريقه في محل لا يرى فلما رجع قال له صلى الله عليه وسلم لعلك شربته
فقال نعم فقال له ذلك واستدل به على طهارة فضلاته صلى الله عليه وسلم كما مر وكان الناس يرون
ان ما عنده من القوة والجراة مكتسبة من ذلك الدم والمراد من الناس الجنس وويله من الناس لانه كان
على الحق جريا على المقاتلة عليه يكثر اعداؤه وحساده وينال من الناس اذى ووقع له ذلك رضي الله تعالى
عنه حتى قتل هو وابنه ظلما وعدوانا كما اخبر به صلى الله عليه وسلم فلم يرق ذلك الدم حتى راق دمه
وقال صلى الله عليه وسلم في اخباره عن المغيبات في حديث صحيح رواه الشيخان في حق قزمان بقاف
مضمومة وزاي معجمة ساكنة وميم وهو مولى لبعض الانصار وكان شجاعا ولكنه منافق وكان قاتل
قتالا شديدا اعجب الصحابة رضي الله تعالى عنهم كما اشار اليه بقوله وقد ابلى مع المسلمين وابلى بفتح
الهمزة وموحدة ساكنة ولام والف مقصورة فعل ماض من ابلى بمعنى اختبر ويقال ابلى بلاء حسنا في الحرب
اذا صبر في قتاله وجاد والجملة حالية اي ابان شجاعته واقدامه الا ان ذلك لم يكن خالصا لله وقد
اطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على حاله فقال فيه انه من اهل النار فعجب الناس من ذلك
فاظهر الله لهم فقتل نفسه لما كثرت الجراحة فيه واثخنته واختلفت الرواية في اي موطن قال صلى الله
عليه وسلم هذا الحديث بعد الاتفاق على صحته لرواية الشيخين له عن ابي هريرة فقيل انه كان ذلك
باحد وقيل بحنين وقيل بخيبر وان حنين الواقع في صحيح مسلم محرف من خيبر لقرب رسمهما خطا وقيل
ان القصة تعددت فانه صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته راى رجلا فقال انه من اهل النار فلما قاتلوا
قاتل معهم اشد القتال حتى اثخن بجراحات كثيرة فقال صلى الله عليه وسلم انه من اهل النار فكاد بعض
الناس يرتاب فلما اشتد عليه الم جراحاته قتل نفسه فقيل انه جعل سيفه بين ثدييه وتحامل عليه حتى
مات وقيل اخرج من كنانته سهما نحر به نفسه وقيل قطع عرق يده فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك تصديقا لمقالته فقال ان الله لينصر هذا الدين بالرجل الفاجر وامر مناديا ينادي في الناس انه لا يدخل

الجنة

الجنة الا مؤمن اي مؤمن كامل الايمان اوقد علم انه منافق وانه ارتد قبيل موته والمنادي قيل انه عمر رضي الله
تعالى عنه وقيل بلال وقيل عبد الرحمن بن عوف وجمع بين الروايات بتعدد القصة او بانه وقع كل ذلك
من كامل وغيره وتعدد من نادى وفيه اشارة الى انه لا ينبغي النظر لظاهر العمل ولا الاتكال عليه وروى
الطبراني والبيهقي من طرق بعضها متصل وبعضها مرسل وبعضها منقطع انه صلى الله عليه وسلم قال
في حق جماعة من الصحابة كانوا عنده فيهم ابو هريرة وحذيفة وسمرة بن جندب اخركم موتا في النار اخركم
مبتدا خبره محذوف تقديره يموت موتا في النار فموتا مفعول مطلق والجار والمجرور متعلق بالخبر او بالمصدر
او اخركم فاعل يموت واما كونه مبتدا وموتا تمييز والظرف خبره وان احتمل فليس بمراد ولذا قيل ان فيه
ايهاما وتورية لان المراد انه يحترق في الدنيا حريقا يموت به لا انه يدخل نار جهنم لان ابن عساكر روى
عن ابن سيرين ان سمرة اصابه كزاز وهو مرض يصيب صاحبه برد لا يدفع منه فكان يملا له قدر عظيم
ما يسخن ويجلس عليه ليدفا من بخاره فسقط منه فاحترق وقيل انه مات في حريق وقيل ويحتمل
انه على ظاهره بان يدخل النار في الاخرة ثم يخرج لا مصدر منه والذي صححه السيوطي وعزاه الاوراليه
يشير المص بقوله فكان بعضهم اي بعض من قيل في حقه ذلك مما تقدم يسال عن بعض من رفقائه الذين
قال صلى الله عليه وسلم فيهم ما مر قال ابن حكيم الضبي كنت اذا لقيت ابا هريرة سالني عن سمرة فاذا اخبرته
بصحته وفرح فسا له عن ذلك فقال كنا عشرة في بيت فقال صلى الله عليه وسلم اخركم موتا في النار فمات
منا ثمانية ولم يبق غيري وغيره وكان اذا قيل له مات سمرة يغشى عليه حتى مات قبله فكان سمرة اخرهم موتا
بزيادة علم اي كبر سنه وضعف بدنه واصابه هزال الشيخوخة وخرف بخاء معجمة مفتوحة وراء مهملة مكسورة
اي فسد عقله وتغير من الكبر فاصطلى اصله اصتلى فابدلت التاء طاء لمجاورة الصاد اي تدفى بالنار اي
بنار اوقدت له فاحترق فيها لغفلة اهله عنه وضعفه عن الحركة فعلم صحة ما اخبر به الرسول صلى الله
عليه وسلم قبل وقوعه ولم يكشف لهم الغطاء عن مراده ليجتهدوا في اعمالهم ويديموا على الخوف والمراقبة
او لانه صلى الله عليه وسلم لم يؤذن له في ذلك وهو من الحكم الخفية قيل ان ما ذكر لم ير منقولا عن غير
المص ولم يذكر احد ان سمرة حرق بل لم ينقل ان احدا من الصحابة حرق الا بشر بن ارطاة او ابن ابي ارطاة عن الغزو
بانه صحابي وقد نعى بشر لسفينة مولاه صلى الله عليه وسلم كما قاله البرهان وقال صلى الله عليه وسلم
في حديث رواه ابن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة انه قال في حنظلة بن ابي عامر الانصاري الصحابي المشهود
الغسيل فعيل بمعنى مفعول من الغسل سمي بذلك لان الملائكة غسلته لما استشهد باحد وكان جنبا فقتله
ابو سفيان بن حرب وقيل قتله شداد بن اوس الليثي وهو حنظلة بن ابي عامر الراهب الذي لقبه رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالفاسق فراى رسول الله صلى الله عليه وسلم الملائكة تغسله مع انه
شهيد فقال سلوا زوجه يعني امراته وزوجته فانه يقال للمراة زوج كالرجل في الفصيح وقد يقال زوجة
للفرق عنه اي عن حال له فانه صلى الله عليه وسلم علم ان تغسيله لجنابة وهو لا يطلع عليها غيرها كما
اشار اليه لقوله فاني رايت الملائكة تغسله والشهيد لا يغسل وكان ذلك باحد فسالوها فقالت
انه خرج من بيته لاحد جنبا من جماع زوجته اعجله الحال اي محبته الجهاد واللحوق برسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الغسل بفتح فسكون اي عن ان يغتسل من جنابته لخوفه ان يبطئ عن حضوره معه

صلى الله عليه وسلم فيفوته ذلك الوقت وفي رواية قالت كان جنبا فغسلت طرفي راسه فلما سمع
صوتا خرج فقتل وكان ابتنى بزوجته في تلك الليلة وهي جميلة بنت ابي بن سلول المنافق قال ابو سعيد ابن
مالك بن سنان الخدري وقد تقدم ذكره مرارا ووجدنا راسه اي راس حنظلة لما قتل يقطر ماء من اثر تغسيل
الملائكة له وهذا من ظهور ما في عالم الغيب وهذا مما وقع في بعض النسخ ملحقا بالام والشهيد في المعركة
لا يغسل لكنه لو كان جنبا هل يلزم تغسيله ام لا اختلف فيه فقيل يجب لانه بسبب اخر وهو ظاهر
الحديث والكلام مفصل في كتب الفقه وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه احمد والترمذي
وهو مما نحن فيه اذ فيه مع الحكم اخبار بعض المغيبات الخلافة في قريش ولو كان هذا مجرد الحكم
لم يكن مما نحن فيه لانه صلى الله عليه وسلم حكم باستحقاقهم لها وقع ام لم يقع وقد وقع كما اخبر مدة
طويلة الى انقضاء دولة بني العباس وفي حديث اخر رواه البخاري لا يزال هذا الامر يعني الخلافة في قريش
ما اقاموا الدين باي لغايته اي ما حموا شوكة الاسلام واقاموا شعاير الدين الظاهرة فاذا غيروا
واعزهم الله ونزع الملك منهم وقد وقع كما قال صلى الله عليه وسلم وفيه روايات متغايرة تحتاج
لكلام طويل طويناه خوف السامة والملال وفي رواية حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة وما ظرفية مصدرية
اي مدة امامتهم والاجماع منعقد على ان الخلافة مختصة بقريش وقال صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه مسلم والبيهقي يكون اي يوجد بعده صلى الله عليه وسلم في ثقيف قبيلة معروفة كذاب
ومبير اي مهلك يكثر القتل بغير حق من البوار وهو الهلاك قال تعالى وكنتم قوما بورا اي هالكين
فراوهما من لراي اي راي العلما ان المراد في الحديث بهما الحجاج بن يوسف الثقفي وهذا مما اخبر به صلى الله
عليه وسلم من المغيبات ففي حديث اسما رضي الله تعالى عنها من طريق مسلم انها قالت مشافهة للحجاج
ان في ثقيف كذابا ومبيرا اما الكذاب فقد رايناه واما المبير فلا اخالك الا اياه وقال النووي رحمه الله
اجمع العلما على ان المبير هو الحجاج وقال هشام بن حسان انه قتل مائة وعشرين الفا والكذاب هو
المختار بن ابي عبيد الثقفي بن مسعود بن عمرو بن عمير ففي عبارته لف ونشر مشوش وابوه اسلم في حياة
النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره فلم يعد في الصحابة والمختار هذا كان يزعم ان جبريل عليه الصلاة
والسلام ياتيه وكان يظهر مدح ابن الزبير ومحمد بن الحنفية واستحوذ على الكوفة واظهر التشيع
واجتمع عليه ناس كثيرون وطلب الاخذ بثار الحسين فقتل كثيرا من قتلته وعظم امره وكان يتكهن
ويزعم انه يوحى اليه وله كرسي يضاهي به تابوت بني اسرائيل فهو ضال مضل واستمر على ذلك مدة
حتى قتله مصعب بن الزبير وامر الحجاج اشهر من ان يذكر وان مسيلمة يعقره الله اي مما اخبر به صلى الله
عليه وسلم من المغيبات ما ورد في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما من ظهور مسيلمة الكذاب وان الله يقتله ومسيلمة بصيغة التصغير فلامه مكسورة
والعامة تفتحها وهو خطا قبيح كما مر وهو رجل من بني حنيفة كنيته ابو ثمامة ادعى النبوة وزعم
انه ياتيه الوحي بقران فكان له هذيانات سخيفة وتقدم بعضها ولما قدم وفد بني حنيفة المدينة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معهم لم يقابله وقال لو جعل الامر لي بعده اتبعته فبلغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قاله فقال لو سالني هذه الشظية ما اعطيتها له فرجع معهم

وتخرق بشعبذة فافتتنوا به وزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم اشركه معه في امره وكتب اليه من مسيلمة
رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فاني قد اشركت في الامر معك فان لنا نصف الارض ولقريش نصفها
ولكنهم يعتدون فكتب اي رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب
اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فاخفى الكتاب وكتب كتابا من عنده
اظهره للصحابة زعم انه صدقه فيما قاله فكذب به من بني حنيفة ثمامة بن مالك رضي الله تعالى عنه ونهى
الناس عنه وقال يخاطبه وكان مومنا رضي الله تعالى عنه مسيلمة ارجع ولا تمحك
فانك في الامر لم تشرك كذبت على الله في وحيه هواك هوى الاحمق الانوك
فما في السما لك مصعد وما لك في الارض من مبرك وكان يلقب نفسه برحمن اليمامة
ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع جموعا سفها فجهز لهم ابو بكر رضي الله تعالى عنه
جيشا اميرهم خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه فقتل مسيلمة كافرا لعنه الله تعالى قتله وحشي
قاتل حمزة رضي الله تعالى عنه وشاركه فيه ناس والعقر اصله يستعمل في الحيوان كعقر الناقة ونحوها
ففيه اشارة الى انه بهيمة من البهايم مات ميتة جاهلية فلم يذك ولم يزل ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم
من المغيبات ما رواه الشيخان عن عايشة رضي الله عنها ان فاطمة الزهراء بنته صلى الله عليه وسلم ورضي عنها
اول اهله لحوقا وروي لحوقا به اي اول من يموت بعده صلى الله عليه وسلم من اهل البيت فماتت بعد ستة
اشهر وقيل مائة يوم وهي اصغر بناته صلى الله عليه وسلم واحبهم اليه وهي اول من غطي نعشه من النسا
في الاسلام واول الحديث انه صلى الله عليه وسلم سارها في مرض موته فبكت ثم دعاها وسارها بشيء
فضحكت فسئلت عن ذلك بعد موته صلى الله عليه وسلم فقالت سارني اولا بانه يموت في مرضه هذا
فبكيت ثم سارني باني اول اهله يتبعه فضحكت ولما توفيت دفنها علي كرم الله وجهه ليلا ولخلف
الحسن قرب محرابها وروى احمد بن حنبل في المناقب انها اغتسلت ولبست ثيابا جددا وكفنا وقالت اني مقبوضة
فلا يغسلني ولا يكشفني احد فامتثل امرها وفيه كلام للفقها وانه هل يكفي غسلها في الحياة عن غسل الميت
ام لا الا انه يعارضه ما روي من انها امرت فاطمة بنت عميس ان تغسلها وقيل انه من خصايصها وفي اللآلي
للسيوطي عن ام سلمة قالت مرضت فاطمة فقالت يا امتاه اسكبي لي غسلا فسكبته فاغتسلت ثم قالت
هاتي ثيابي الجدد فناولتها فلبستها فقالت قدمي الفراش فقدمته فاضطجعت مستقبلة ثم قالت اني اليوم
مقبوضة فلا يكشفني احد فقبضت مكانها واتى علي فاخبرته فدفنها بغسلها وقال ابن الجوزي انه موضوع
ورد بانه رواه الطبراني الا انه يعارضه ما روي بخلافه كما مر ولعله من خصوصياتها وانه صلى الله عليه
وسلم اخبرها به وانذر بالردة اي اعلم صلى الله عليه وسلم اصحابه بمن يرتد بعده وما يكون
من قتالهم وقد وقع ذلك في خلافة ابي بكر رضي الله تعالى عنه والانذار اخبار بامر مكروه مخوف ضد
التبشير وهو مما رواه الشيخان ايضا عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما وكان ذلك بعد ابتداء خلافة
الصديق بسبعة اشهر وستة ايام فانه بعد انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد كثير
من الناس الا اهل الحرمين والبحرين فكفى الله امرهم بابي بكر رضي الله عنه بعد ان قاسى منه امورا
شديدة ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات في حديث رواه اصحاب الكتب الستة

مسنداً وفيه ان الخلافة اى خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحق وخلافة النبوة انما تكون لمن تمسك
بالسنة من قريش وهى بعده ثلاثون سنة ثم تكون اى تتحول الخلافة وتصير ملكا عضوضا اى سلطنة بالقهر
والغلب من غير وجود شروطها فكانت الخلافة الحقيقية كذلك اى كما اخبر به صلى الله عليه وسلم وتمت
المدة التى ذكرها بمدة الحسن بن على بن ابى طالب كما رواه سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكانت خلافة الصديق رضى الله تعالى عنه سنتين واربعة اشهر وخلافة عمر رضى الله تعالى عنه عشر سنين
ونصفا وخلافة عثمان رضى الله عنه اثنتى عشرة سنة الا اياما وخلافة على رضى الله تعالى عنه اربع سنين
وتسعة اشهر واياما وفى المغرب خلافة ابى بكر سنتان وثلاثة اشهر وتسع ليال وعمر عشر سنين وستة
اشهر وخمس ليال وعثمان اثنتى عشرة سنة الا اثنتى عشرة ليلة وعلى خمس سنين الا ثلاثة اشهر فتتم المدة
بمدة الحسن لما بويع فى عشر رمضان الاخير سنة اربعين من الهجرة ثم سلمها لمعاوية فى نصف جمادى الاولى سنة
احدى واربعين فمدته كانت سبعة اشهر ونصفا واياما فيها تتم الثلاثون كما ذكره المص والملك بضم الميم
والعضوض بفتح العين صيغة مبالغة وروى ثم يكون ملك عضوض بضم العين جمع عض بكسرها وهو
الشرير الخبيث والملك السلطان والخليفة امير المؤمنين ويقال خليفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم لانه خلفه فى القيام بامر المسلمين ولا يقال خليفة الله لغير ادم وداود صلى الله عليهما
وسلم وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه البزار عن ابى عبيدة رضى الله تعالى عنه
والبيهقى عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه ان هذا الامر اى ما اريد به دين الاسلام وامر الشريعة
المحمدية بدا بهمزة فى اخره اى ابتدا فى اول امره او بالف مقصورة بمعنى ظهر وبرز من كون العدم الى الخارج
والظاهر الاول هنا نبوة ورحمة بالنصب على الحالية او بنزع الخافض اى بدا بنبوته صلى الله عليه
وسلم ورحمته للعالمين بانقاذهم من الضلال والكفر وامور الجاهلية وهذا فى حياته صلى الله
عليه وسلم ثم يكون بعده رحمة وخلافة فى زمن الخلفاء الراشدين واخر الرحمة او لا لانها نشات
من النبوة وقدمها هنا لسبقها على الخلافة فان رحمته صلى الله عليه وسلم كانت قبلهم
واستمرت ثم يكون بعد الخلافة ملكا عضوضا بفتح العين وضمها كما تقدم فى رواية ملك عضوض
وهو استعارة تصريحية او مكنية بتشبيه ظلمهم وتعديهم على الرعية بعض حيوان مفترس يعض
من رآه ثم يكون بالتحتية والضمير للامر عتوا وجبرية العتو بضم العين الخروج عن طاعة الله تعالى يقال
عتا يعتو عتوا وعتيا والجبرية بفتح الجيم والموحدة وتسكن ايضا من الجبر وهو الاكراه والقهر
قال الراغب الاجبار فى الاصل حمل الغير على ان يجبر الامر لكن تعورف فى الاكراه المجرد فقيل اجبرته
على كذا وسمى الذين يدعون ان الله يكره العباد على المعاصى فى تعارف المتكلمين مجبرة وفى قول المتقدمين
جبرية وجبرية انتهى وقال غيره الجبرية بفتحات الباء اى قهرا وتكبرا ولفظ الحديث الذى رواه البيهقى
ان الله بدا هذا الامر نبوة ورحمة وكائنا خلافة ورحمة وكائنا ملكا عضوضا وكائنا عتوا وجبرية
وفسادا فى الامة يستحلون الفروج والخمور والحرير وينصرون على ذلك ويرزقون ابدا حتى يلقوا الله
وهما منصوبان بخبر كان وروى بالرفع فكان تامة وروى جبروتا بمثناة فوقية والعتو بمثناة
ايضا وما قيل انه بمثلثة ومعناه الفساد وقوله تعالى ولا تعثوا فى الارض مفسدين فالحال مؤكدة

وقوله

وقوله فى الحديث عتوا وجبروتا وفسادا فى الارض يلزمه عطف الشى على نفسه وفى الكشاف معناه
اشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا فى الفساد كم انتهى وكونه اشد الفساد يحتاج الى النقل وفى الصحاح
ما يخالفه لانه فسره بمطلق الفساد ويلزمه ان يكون النهى عن التمادى فى حال الفساد انتهى ملخصه فيه
بحث وانما تركناه لانه اطال فيه من غير طايل وانا اقول لا يخلو ما فى كلامه من الخبط فان العتو هنا بالمثناة
فقط والمثلثة تحريف واعتراضه على العلامة من قصور نظره فان مثله لا يطلب منه النقل ومراده
ان العثو ان كان بمعنى الفساد فالمراد بقوله مفسدين مستمرين على الفساد لان الاصل التاسيس وقد قرره
فى سورة البقرة فى اية المؤمنين بالايمان ومثله كثير ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم عن المغيبات
ما اشار اليه بقوله واخبر صلى الله عليه وسلم ره فى حديث رواه مسلم بشان اويس بن
عامر المرادى نسبة لمراد قبيلة مشهورة القرنى بفتحتين نسبة لقرن بن ردمان ناجية بن مراد وغلط
الجوهرى فى نسبته لقرن المنازل كما غلط فى فتح راسه قرن المنازل كما فى القاموس وتبعه بعض الشراح
هنا وقال ابن حجر فى فتح البارى بالغ النووى فى حكاية الاتفاق على تخطيته فى تحريك قرن المنازل
وحكى المص رحمه الله عن تعليق القابسى ان من قال بالاسكان اراد الجبل ومن قال بالتحريك اراد البلد
وقال الكرمانى اويس القرنى منسوب الى قبيلة بنى قرن ولا منافاة بينه وبين ما قدمناه وفى طبقات
الاولياء للشعرانى انه خير التابعين مطلقا بشهادة النبى صلى الله عليه وسلم له وكان ادرك زمن النبى
صلى الله عليه وسلم ولم يره لاشتغاله ببر امه وعن عمر رضى الله تعالى عنه انه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ياتيكم اويس بن عامر مع امداد من اهل اليمن من مراد من قرن كان به برص
فبرا منه الا موضع درهم منه لانه دعا الله ان يزيله الا لمحة اذكر بها نعمه عليه فمن ادركه منكم فاستطاع
ان يستغفر له فليفعل ووصفه صلى الله عليه وسلم بانه اشهل ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين شديد
الادمة ضارب بذقنه الى صدره رام ببصره الى موضع سجوده يبكى على نفسه ذو طمرين لا يؤبه به مجهول
فى الارض معروف فى السما لو اقسم على الله لابره تحت منكبه الايسر لمعة بيضا الا وانه اذا كان يوم القيامة
قيل للناس ادخلوا الجنة وقيل لاويس قف واشفع فيشفعه الله فى ربيعة ومضر يا عمر ويا على اذا انتما
لقيتماه فاطلبا منه ان يستغفر لكما فمكثا عشر سنين يطلبانه فلم يلقياه فلما كانت السنة التى توفى فيها
عمر قام على ابى قبيس فنادى يا اهل اليمن هل فيكم اويس فقام شيخ وقال لا ندرى ما اويس ولكن ابن
اخ لى يقال له اويس وهو اخمل ذكرا واهون امرا من ان نرفعه اليك وهو فى بلدنا يرعاها فخفى عليه عمر رضى الله
تعالى عنه كانه لا يريده ثم قال اين هو فقال بارك عرفات فركب عمر وعلى رضى الله تعالى عنهما اليه فاذا
هو قايم يصلى والابل حوله ترعى فسلما عليه وقالا من الرجل فقال راعى ابل اجير فقالا لسنا نسالك عن ذلك
ما اسمك فقال عبد الله فقالا كلنا عبيد الله ما اسمك الذى سمتك به امك قال يا هذان فما تريدان
منى فاخبراه بما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما وعرفاه بانفسهما فقام وسلم عليهما وقال لهما
جزاكما الله عن امة محمد خيرا واستغفر لهما كما امرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له
عمر رضى الله تعالى عنه مكانك يرحمك الله حتى اتيك بنفقة من عطاى وكسوة من ثيابى فقال لا ميعاد بينى
ولا ترانى بعد اليوم وما اصنع بالنفقة والكسوة ثم اقبل على العبادة وتوفى بصفين على ما قيل عام

سبع وثلاثين شهيداً مع اصحاب علي رضي الله تعالى عنهم وقال ابن سلمة غزونا اذربيجان في زمن عمر رضي الله
تعالى عنه ومعنا اويس فلما رجع مرض ومات فدفناه وجعلنا على القبر علامة فلما رجعنا لم نجد له اثراً والاول
اصح لقول ابي حيوة ان اجتماعه بعمر في السنة التي توفي فيها فكيف يكون غزا في ايامه وقيل دفن بدمشق والله
اعلم انتهى وهذا هو المراد بشأنه الذي اشار اليه المص رحمه الله وبما مر علمت ان اويساً لم يدفن باليمن
كما توهمه بعض الناس وانه افضل التابعين وانه لقي علياً وعمر وادرك زمنه صلى الله عليه وسلم لما
ورد في الحديث الصحيح ان خير التابعين رجل يقال له اويس القرني وقال احمد بن حنبل افضل التابعين
سعيد بن المسيب قال القرافي لعل احمد لم يقف على هذا الحديث او لم يصح عنده وفيه انه ذكره في مسنده
ولم يضعفه وانما وجهه انه رواه ان من خير التابعين يعني بمن التبعيضية وقال النووي فضلية اويس
بشدة زهده وخشيته لله وافضلية سعيد بكثرة علمه وحفظه الحديث فلا منافاة بينهما وقيل
افضلهم الحسن البصري وقيل حفصة بنت سيرين ولا شك ان الافضلية على الاطلاق لاويس وبالعلم
النافع لسعيد وفيه نظر ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم ما رواه مسلم من طرق عن ابي ذر رضي الله
تعالى عنه بان امراء يؤخرون الصلاة عن وقتها لفظ الحديث كيف انت اذا كنت وعليك امراء يؤخرون الصلوة
عن اوقاتها قلت فما تأمرني قال صل الصلاة لوقتها فان ادركتها معهم فصل فانها لك نافلة وفي رواية
والا كنت قد احرزت صلاتك قال النووي المراد في الحديث تأخيرها عن وقتها الاختياري لا عن وقتها مطلقا
بشهادة امره صلى الله عليه وسلم باعادتها معهم بعد ادائها منفرداً اذ لا اعادة بعد خروج وقت الصلاة
ولا جماعة في الصلاة المقضية والقول بان المراد تأخيرها عن جميع وقتها دعوى بلا بينة وتلك بشهود
لم تكن تقبل الرشا والمراد الامراء الغة فيشمل الملوك وخصهم لان الامامة كانت وظيفة لهم فكل سلطان
او حاكم بلدة يؤم الناس في المكتوبات او يستخلف من يصلي بهم وقد وقع هذا في زمنه بني امية لانهم
اول من غير رسم الخلافة وقد وقع هذا التأخير في زمن الحجاج وانكر عليه ذلك ومما اخبر به صلى الله
عليه وسلم من المغيبات ما رواه احمد والطبراني والبزار انه قال سيكون في امتي وفي بعض النسخ في امته
ثلاثون كذاباً فيهم اربع نسوة ادخال النسوة فيهم بطريق التغليب والذي في صحيح مسلم انهم قريب
من ثلاثين وورد في حديث آخر انهم سبعة وعشرون دجالاً فيهم اربع نسوة والذي ذكره المص رواية
اخرى وتسميتهم امته بناء على ظاهر حالهم والمراد بالامة امة الدعوة والمراد بالكذب فيهم كذب مخصوص
وهو ادعاء النبوة وقد وقع هذا بعده صلى الله عليه وسلم من الرجال المسيلمة والاسود
العنسي باليمن ومن النساء سجاح التي ظهرت باليمن وقصتها مشهورة وتفسيره بما ذكر ورد مصرحا به في الحديث في امتي دجالون كذابون وانا خاتم النبيين لا نبي بعدي ولو استقصي عدتهم بلغت
ما ذكر والدجال الكذاب الذي يخلط ويلبس يقال دجل اذا خلطه وموهه ولبس فيه
حتى يخفى ومنه الدجال المشهور وجمعه دجالون ودجاجلة وفي حديث آخر رواه الشيخان
عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ثلاثون دجالا كذابا عطف بيان على ما قبله آخرهم الدجال
الكذاب الاعور الذي يظهر في آخر الزمان ويقتله عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام
فالتعريف فيه للعهد وتقدم انه من الرجل وهو الكذب والتمويه وفي تذكرة القرطبي فيه اقوال

انه

83

أحدها انه ابن صياد يدعي الالوهية ويظهر امورا خارقة للعادة ولا يدخل مكة والمدينة
والقدس معه جنة ونار وجبال من خبز كلهم يكذب على الله ورسوله كذبه على الله قوله انه اوحي
اليه وعلى رسوله قوله انه بشر به واخبر بنبوته كقول مسيلمة المتقدم انه اشركني في امره ويحتمل ان يكون
الرسول من رسل الملائكة كقولهم ان جبريل نزل علي واوحى الي كذا وقال صلى الله عليه وسلم
في حديث رواه البزار والطبراني باسناد صحيح من حديث طويل فيه يوشك بضم اوله مضارع
اوشك بمعنى قرب ودنا واسرع يقال وشك واوشك ان يكثر فيكم العجم هم خلاف العرب
مطلقا لان السنتهم عجم اي غير ظاهرة لهم وقد يخص باهل فارس والاول اقرب هنا والمراد انه يكثر
فيهم حكمهم وامارتهم عليهم كما في كثير من الدول كالنوبة والاكراد والاتراك الذين كانت فيهم السلطنة
والدولة ولذا قال يأكلون فيأكم جمع فيء وهو الغنيمة من الكفار بغير قتال وقد يطلق على مطلق الغنيمة
والاكل فيه مجاز عن الاستيلاء عليه واخذه قهرا او منع المستحقين منه بغير وجه واضافة الافيا
اليهم باعتبار انها حقهم ويحتمل ان يراد بافيائهم مالهم الذي بايديهم سماه فيا لانه مما افا الله لهم
بغير مشقة عليهم ويضربون رقابكم اي يقتلونهم بغير حق فالخطاب بخطاب مشافهة لجنس المؤمنين
من العرب فيشمل جميع من بعد عصر النبوة كما في غيره من خطابات الشارع وانما جعله قريبا منهم لان كل
ات قريب والدنيا ساعة وقد فسره الشارح الجديد بما لا وجه له فتركه خير من ذكره وقال صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه الشيخان لا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه اي يملك الناس
ويسخرهم كما يريد من غير مانع ولا كد ولا تعب وفيه استعارة تمثيلية لتشبيهه براع الغنم يسوقها
بعصاه يهش بها عليها وفيه اشارة الى ضعف الناس وجهلهم فكانهم غنم سائمة همها ان ترعى
والعصا فيه كما في قولهم فلان تحت عصا فلان اي منقاد لامره وحكمه وهم عبيد العصا رجل من قحطان
اي من عرب اليمن وقحطان ابو اليمن وهذا الرجل يسمى الجهجاه كما ورد في الحديث وقحطان اسمه يقظ
او يقظان وكان تجبر ومنع ارزاق الناس فسمي قحطان لقحط الرزق بسببه وقال صلى الله عليه وسلم
في حديث رواه الشيخان ايضا خيركم المراد امته ولفظ الصحيحين خير امتي وهو المراد قرني اي عصري
وزماني الذي انا فيه والمراد اهله لقوله ثم الذين يلونهم اي يأتون بعدهم بلا فصل وهم الصحابة والتابعون
لهم باحسان ثم الذين يلونهم وهم تبع التابعين والقرن اهل زمان اجتمعوا واقترنوا فيه في اعمارهم
وجميع احوالهم وفي تفصيله كلام تقدم والخيرية ان كانت بالنسبة لما بعده وهو الظاهر فلا
كلام فيه وان كان على اطلاقه لا يلزم منه تفضيل اصحابه على الانبيا عليهم الصلاة والسلام
لان المراد تفضيل الجملة والمجموع على المجموع لا تفضيل كل فرد على كل فرد وثم لبيان التراخي في الرتب
كالافضل والافضل ولا شبهة في فضل العصر وجملة اهله من غير تفصيل فلا ينافيه حديث امتي
كالمطر لا يدرى الخير في اوله ام في آخره فان هذا من وادٍ وذاك من وادٍ آخر وهذا اشارة الى انه قد يجي
في الامة من ينفع الناس نفعا عظيما لم يتيسر لغيره ممن سبقه وهذا بالنظر لافراد مخصوصة وذاك
بالنظر لمجموع العصر وشتان ما بينهما ولذا عبر بالقرن فلا يتوهم واهم نظر لعمر بن عبد العزيز وما صدر
منه ولعثمان وما كان في عهده تفضيلا لعصره فيضل ويُضل ثم يأتي بعد ذلك قوم وروي ثم ان بعدكم

قوماً يشهدون ولا يستشهدون اي يودون الشهادة قبل ان تطلب منهم ومثله لا يقبل وهذا لا ينافي ما ورد
في الحديث ان خير الشهود من يأتي بالشهادة قبل ان يُسألها فان هذا محمل على من كان عنده علم ما يرو شهادة
فيه وصاحبها لا يدري بما عنده فيخبره بما عنده ليستشهده عند حاجته ولكل مقام مقال ويخونون
ولا يؤتمنون هو عطف مؤكد لما قبله لان الخاين لا يؤتمن والمراد ظهور خيانتهم حتى لا يأمنهم احد بعد ذلك
بخلاف من خان مرة فانه قد يؤتمن او المراد انهم يخونون فيما لم يؤتمنوا عليه كمن سرق او غصب ونحوه وينذرون
بضم الذال المعجمة وكسرها ولا يوفون بما نذروه من غير عذر ومانع لهم ويقال وفى واوفى بمعنى ويظهر فيهم السمن
اي عظم البدن بكثرة لحمه وهذا علامة على كثرة اكلهم وشربهم وترفههم وعدم خوفهم من الله
وعدم تفكرهم في عواقب الامور وروي يأتي في اخر الزمان قوم يتسمنون وفي التوراة ان الله يبغض
الحبر السمين وفي الغالب ان من سمن وكثرت رطوبة بدنه كان بليداً مغفلاً عن مكثرت بدينه ودنياه
فجعل هذا كناية عما ذكر لانه من لوازمه غالباً فلا ينافيه ما يشاهد من كون بعض العلما والصلحا
سمين الجثة خلقة انشاه الله عليها لقوة نطفة ابويه وقيل المذموم منه ما يكتسبون
الخلق لانه ورد في الحديث ويل للمتسمنات يوم القيامة اي اللواتي يستعملن وهي دوا يتسمن به وروي
تخلف قوم يحبون التسمانة بفتح السين المهملة وهي السمن وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
البخاري عن انس رضي الله تعالى عنه لا يأتي زمان الا والذي بعده شر منه المستثنى جملة حالية يجوز
في مثلها الواو وتركها والحديث هكذا قال الزبير بن عدي اتينا انسا رضي الله تعالى عنه فشكونا له
الحجاج فقال اصبروا فانه لا يأتي زمان الا والذي بعده شر منه حتى يلقوا ربكم سمعته من نبيكم صلى الله
عليه وسلم وروي اشر على الاصل كاخير والمستعمل منهما خير وشر رسمها على الاصل نادر وفي معنى هذا
الحديث ما اشتهر من انه صلى الله عليه وسلم قال كل عام ترذلون الا انهم قالوا انه لم يرد بهذا اللفظ
وان كان معناه ثابتاً في احاديث كثيرة فهو رواية بالمعنى وقال الحسن البصري لما ذكر عمر بن عبد العزيز
بعد الحجاج لا بد للناس من تنفس يعني ان الله ينفس عن عباده ويكشف عنهم البلا احياناً وقال صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه الشيخان هلاك امتي على يدي اغيلمة من قريش اغيلمة تصغير اغلمة وهو
جمع قلة يجوز فيه التصغير على لفظه وهو في حكم المفرد وفي القاموس جمع غلام غلمة واغلمة وغلمان
والغلام الشاب يقطر شاربه وهو المراد فما في النهاية من انه تصغير غلمة على القياس ولم يرد في جمعه
اغلمة ومثله اصبية تصغير صبية كلام لا وجه له فانه جمع القلة لجمع قلة اخرى في التصغير مما لا
يعقل ولا يسمع ولا لم يرد غير هذا دلنا على انه سمع فيه اغلمة فلا حاجة للتعسف في تأويله والمراد بهلا
كهم ضياع امورهم وهلاك بعضهم قال ابو هريرة راويه اي راوي هذا الحديث ولو شيت سميتهم
لكم بنو فلان وبنو فلان اي لو اردت ان اسميهم لكم سميتهم كيزيد فانه اباح المدينة ثلاثة ايام وقتل
من خيار اهلها ناساً فيهم ثلاثة من الصحابة وازيلت بكارة الف عذرا وكمروان بن الحكم ابن ابي العاص
وغيرهم من بني امية ولم يسمهم خوف الفتنة واخبر صلى الله عليه وسلم عن بعض المغيبات في حديث
رواه الترمذي وابو داود والحاكم بظهور القدرية في قوله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس
هذه الامة وهم لما قالوا بان الامور كلها ليست بقضا الله وقدره وان الانسان خالق لافعاله

وانها

وانها بقدرته سموا قدرية لاثباتهم للعبد قدرة لا لانكار قدرة الله على افعاله وشبههم بالمجوس لانهم
اثبتوا خالقين خالق الخير وهو النور الذي سموه يزدان وخالق الشر الظلمة سموها اهرمن وهولا لما نسبوا
افعال العباد لهم قالوا بتعدد الخالق على ما تقرر في الاصول واما معنى القضا والقدر فعند السلف القضا
ارادة الله الازلية المتعلقة بجميع الاشيا خيرها وشرها والقدر ايجاده اياها على ما اقتضاه اولا وعند
الفلاسفة القضا علمه بما عليه الوجود حتى يكون على احسن نظام ويسمونه العناية والقدر خروجها
على وفقه وهولا القدرية المعتزلة واما القدرية الذين انكروا القدر وان الامر انف اي مستانف لا يعلمه
الله الا بعد وجوده فليس هم المراد بالحديث لانهم انقرضوا ولم يبق منهم احد والرافضة الذين
اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهورهم كما ورد في حديث رواه البيهقي من طرق الا انها كلها
ضعيفة فقال يكون في امتي قوم في اخر الزمان يسمون الرافضة يرفضون الاسلام وروي ويلفظونه
فاقتلوهم فانهم مشركون انتهى وفيه بيان لوجه التسمية فان الرفض معناه لغة الترك وقيل هم قوم
تركوا حب الشيخين من الشيعة وهم اثنان وعشرون فرقة وقد وقع ما اخبر به الصادق الامين لما
ظهر الفاطمية ومن بالعجم الان منهم وسب اخر هذه الامة اولها اي اخبر صلى الله عليه وسلم بان
من تاخر من امته يظهر سب اولها وهذا من المغيبات وروي في حديث رواه البغوي عن عايشة
رضي الله تعالى عنها مرفوعاً فقال لا تذهب هذه الامة حتى يلعن اخرها اولها وقد وقع هذا كثيراً
من الرافضة فاظهروا سب الشيخين وسب عايشة ومعاوية وغيرهم من الصحابة رضوان الله
عليهم ووقع من بني امية سب علي كرم الله وجهه على المنابر وادخل بعضهم في هذا من سب بعض
الاوليا وعلما السلف وذكرهم بالسوء وافترى عليهم ما لم يقولوه كما شاهدناه من بعض السفها
يسبون العارف بالله سيدي محيي الدين بن عربي وسيدي عمر بن الفارض ونحوهما من اوليا الله
تعالى حتى صنف بعضهم تصانيف في الرد عليهم ومقامهم اعلى من ذلك والاشتغال بمثل هذا تضييع
للزمان وتسويد لوجوه الاوراق ويخشى على المتصدي لذلك من سوء الخاتمة نفعنا الله تعالى ببركاتهم
وحشرنا في زمرتهم واخبر صلى الله عليه وسلم بقلة الانصار بعد عصر النبوة وهم الاوس والخزرج وسموا
الانصار لانهم نصروا الرسول صلى الله عليه وسلم واووه وهو جاجم ناصر ونصير غلب على هذه القبيلة
ولذا نسب اليهم انصاري ولم يرد لواحده وهذا اشارة لما رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه فجلس على المنبر وحمد الله
تعالى واثنى عليه ثم قال اما بعد فان الناس يكثرون وتقل الانصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فمن ولي
منكم شيا يضر قوما فيه وينفع فيه اخرين فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم اي ان اهل الاسلام
لا يزالون يدخلون فيه افواجاً افواجاً وهولا يقلون ويفنى نسلهم فان خيار الاكثر قليل في كل جيل ولم تزل
قلتهم الى ان صاروا بالنسبة لغيرهم كالملح في الطعام ووجه التشبيه انهم مع قلتهم فيهم صلاح واصلاح
وانهم يذوبون بينهم كالملح فانه يذوب فيما وضع فيه وقد كان كما قال فان الان في المدينة لم يبق منهم
الا اقل من القليل كما اشار اليه بقوله فلم يزل امرهم يتبدد المراد بامرهم ما به بقاوهم وانتظام حالهم
من سلاكهم واموالهم ويتبدد بمعنى يتفرق ويتشتت حتى يفنى ويضمحل ويقلون حتى لم يبق لهم جماعة

اى لم يبق من نسلهم قوم مجتمعون بالمدينة كما كانوا عليه اولا وهكذا السادات العظام اذا مات واحد منهم
لم تهم بعده من يخلفه واشار لسبب ذلك بقوله وانهم سيلقون بعده اى يلقى الانصار بعد رسول الله
اى يلقى الانصار بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اثرة بفتح الهمزة والمثلثة والرا المهملة وقيل ويجوز
كسر الهمزة وسكون المثلثة وهما بمعنى وهو الاستبداد وقيل الثانى شدة الاستبداد اى يلقون بعده
صلى الله عليه وسلم من يوثر عليهم غيرهم ويقدمه عليهم فى العطا من الديوان ويقل نصيبهم من الفئ
فتضيق معيشتهم وفى نفسهم شرف وحمية فيتشتتوا ويتبدد دارهم قال بن سيد الناس كان ابتداء هذا
فى زمن معاوية رضى الله عنه ويجوز فى اثرة ان يكون جمع اثر ككاتب وكتبة اى اثر لنفسه وقومه عليهم وبعده
فاصبروا حتى تلقونى على الحوض والحديث طويل فى الصحيحين وهذا كله من الاخبار عن المغيبات ومنه اخباره
صلى الله عليه وسلم بشان الخوارج الذين خرجوا على امير المؤمنين على كرم الله وجهه بالنهروان
وهم بحواربعة الاف فقاتلهم حتى قتلهم واستشهد بحربهم بعض اصحابه وقيل كانوا اكثر من ذلك بكثير
وحديثهم رواه الشيخان وصفتهم بالجر عطفا على شان ولهم فرق من اهل الضلال كالمحكمة الذين انكروا التحكيم
الحكمين والازارقة المنسوبين الى نافع بن الازرق وغيرهم مما لاحاجة لتفصيل احوالهم وقد قال النبى صلى الله
عليه وسلم فيهم انهم اهل صلاة وصيام يحقر احدكم صلاته فى جنب صلاتهم وصيامه فى جنب صيامهم
الا انهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وقد كفروا مرتكب الكبيرة واكثر الصحابة ومواطنهم الجزيرة
وعمان والموصل وحضرموت وبعض نواحى المغرب واخبر بالمخدج الذى فيهم وهو بضم الميم وسكون الخا
المعجمة وفتح الدال المهملة ويروى بفتح الخا وتشديد الدال والمعنى واحد وروى المخدوج وهو الناقص
خلقة ومنه الخداج وهو اشارة لما فى حديث الصحيحين من انه صلى الله عليه وسلم قسم فى بعض الايام
قسمة فقال له رجل من تميم وهو ذو الخويصرة اعدل يا رسول الله فقال ويحك ومن يعدل اذا لم اعدل
خبت وخسرت فقال عمر رضى الله تعالى عنه ايذن لى اضرب عنقه فقال له دعه ان له اصحابا يحقر احدكم
صلاته الخ وانهم رجل اسود احدى عضديه مثل ثدى المراة او مثل البضعة تدردر ولما كانت
وقعتهم وقتال على لهم خطب الناس وذكر الحديث وقال اطلبوا ذا الثدية فطلبوه فوجدوه تحت
القتلى فجاوابه فقال شقوا قميصه فشقوه فلما راى ثدييه مثل ثدى المراة عليه شعرات سجد
شكرا لله تعالى اذ صدق نبيه صلى الله عليه وسلم وعلم انه على الحق وهم على الباطل وان سيماهم
بكسر السين وهى العلامة التحليق اى يحلقون شعور روسهم ولم يكن فى الصدر الاول حلق الروس
الا فى النسك وهذه الاحاديث ظاهرة فى تكفيرهم كما قاله الخطابى وفيه اختلاف وقيل المراد جلوسهم
حلقا حلقا وليس بشئ وقيل المراد به العلو والارتفاع من قولهم حلق الطاير اذا طار وعلا وبما ذكرناه
علم ان حلق جميع الراس ليس بممنوع وليس فيما ذكر دليل على حرمته ولا كراهته على انه استدل لجوازه
بحديث صحيح على شرط الشيخين انه صلى الله عليه وسلم راى صبيا حلق بعض راسه فقال احلقوه كله
او اتركوه كله قال النووى رحمه الله تعالى فى شرح مسلم وهو صريح فى اباحته وقال الفقها انه
جايز على كل حال فان شق عليه تعهده بالتسريح والدهن استحب حلقه وان لم يشق استحب تركه ورى
وعا الشا يرى بالتحتية مبنى للمجهول ورعا بكسر الرا المهملة والمدجج راع كرعاة ورعيان والشا

بالمدجج شاة وهى معروفة رؤس الناس وروس جمع راس وهو مجاز مشهور بمعنى الرييس وروى ترى بالتا
الفوقية والخطاب لغير معين نحو ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا روسهم ويجوز رفعه ونصبه والعراة الحفاة
العراة جمع عار من اللباس والحفاة جمع حاف وهو من ليس فى رجله نعل وهذا الحديث فى الصحيحين بمعناه
وبعض الفاظه فالمصنف رواه من طريق اخرا او رواه بالمعنى يتبارون فى البنيان اى يناظر بعضهم بعضا
فى بنايه فيريد كل منهم ان يزيد على غيره يقال باراه اذا عارضه فتبارى وانبرى وهذا وما قبله كناية عن نوع
من لا قدرة له فى الدنيا عليها وعلوه على غيره حتى يصير رئيسا بعد فقره وذله وكثرة مفاخرة بعضهم لبعض
فى البنا العالى كالقصور المشيدة والمساجد المزخرفة وفى مسلم ان ترى الحفاة العراة رعا الشا الصم
البكم ملوك الارض وروى يتطاولون فى البنا يعنى من اشراط الساعة ان اهل البادية ونحوهم ممن لا لباس له
ولا نعل يتوطنون البلاد ويبنون القصور ويتراسون وجهلة الناس وارا ذلهم يصير حاكما واليا عظيم
الشان ولقد ظهر ما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه المغيبات وهو الان عيانا نراه
العين وكنى بكونهم رعا الى انهم مجهولون الانساب جهلة وانهم مشغولون عن عبادة الله وروى يتفاخرون
بالميم بمعنى يتنازعون والمعنى واحد وان تلد الامة اى الجارية المملوكة التى اتخذت سرية ربتها بتا التانيث
وربته ورب بمعنى سيد وسيدة والرب لغة له معان السيد والملك والمربى والمدبر والقيم والمنعم
ويطلق على الله وعلى غيره مضافا وغير مضاف نكرة ومعرفة بحسب القراين والمقامات والمراد هنا السيد
ذكرا كان او انثى وانثه باعتبار النسمة وهو من حديث صحيح مشهور رواه الشيخان وغيرهما وهو من المغيبات
واشراط الساعة التى اخبر بها صلى الله عليه وسلم اصحابه وفى معناه اختلاف كثير فقيل معناه ان الاما
تلدن للملوك فتكون امه امة من جملة رعيته وقيل هو عبارة عن فساد احوال الناس فى اخر الزمان وكثرة بيع
امهات الاولاد حتى يشترى الرجل امه وهو لا يدرى لانها فلا يختص بام الولد والامة قد تلد حرا من غير
سيدها لوطيها بشبهة حرة او رقيقا بنكاح او زنا ويعتق ويتداول الايدى امة حتى يشتريها ابنها
وقيل معناه كثرة العقوق حتى يستطيل الولد على امه استطالة السيد والذى غرنى من الاشراط على
الاول كثرة التسرى فلا ينافى تسرى النبى صلى الله عليه وسلم بمارية وغيرها وفى الشروح كلام مبسوط
فى هذا الحديث وفيه من دلايل النبوة الاعلام بكثرة التسرى والسبى بعد ظهور الاسلام واستيلا
المؤمنين على الكفرة وتملك ديارهم والانذار بان غايته الانحطاط لا يذان بقيام الساعة وكل شئ
بلغ الحد انتهى ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما رواه الشيخان وهو ان قريشا والاحزاب
لا يغزونه ابدا الاحزاب جمع حزب وهو الطايفة الكثيرة المجتمعة للتعصب والقتال وتعريفه هنا للعهد
اذ المراد احزاب مخصوصون فى القصة المشهورة وانه هو الذى يغزوهم بعد اخباره بذلك فى الاحزاب
وهى غزوة الخندق وبعدها حدو الخندق فلم تغزه قريش وهو صلى الله عليه وسلم غزاهم حين فتح مكة
واتى بالجملة موكدة بالاسمية وان وضمير الفصل لتحقيق وقوعه وقصره عليه ولذا قال صلى الله عليه
وسلم يوم فتحها لا تغزى قريش بعد هذا اليوم الى يوم القيامة اى لا تعود مكة دار كفر ولا تغزوها
الكفار فلا ينافى ما وقع لبعض المسلمين كالحجاج وكذا حديث ذى السويقتين قال الواقدى انه
صلى الله عليه وسلم قال هذا لسبع بقين من ذى القعدة ومما رواه الشيخان ايضا انه صلى الله

عليه وسلم اخبر بالموتان بضم الميم بزنة بطلان وبفتحها وسكون الواو وهو مصدر بمعنى الموت الكثير
وفتح الميم والواو لا يصح هنا لانه اسم يقابل الحيوان وفي القاموس الموتان بالتحريك خلاف الحيوان او ارض
لم تحي بعد وبالضم موت يقع في الماشية وتفتح انتهى يعني ان فعلان بفتحتين في المصادر يختص بما دل
على الحركة كالجولان والدوران وهو من محاسن اللغة العربية اذ جعل اللفظ على وفق معناه فلذا امتنع
تحريكه هنا الذي يكون بعد فتح بيت المقدس وكان ذلك في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه بعمواس بفتحتين
وهي قرية من قرى بيت المقدس نزل بها عسكره وهو اول طاعون وقع في الاسلام مات فيه سبعون الفا
في ثلاثة ايام وكان ذلك سنة ست عشرة من الهجرة وعمواس هذه هي القرية التي بين الرملة وبيت المقدس
مات فيها ابو عبيدة بن الجراح والحديث اوله عن عوف بن مالك رضي الله تعالى عنه قال اتيت النبي صلى الله عليه
وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة من ادم فقال اعدد ستا بين يدي الساعة موتي ثم فتح بيت المقدس ثم
موتان ياخذ فيكم كقعاص الغنم بقاف وعين وصاد مهملتين داء يموت به الغنم من وقتها ثم استفاضة
المال وعدها الى اخرها وفتنة وهدنة بينكم وبين بني الاصفر والموتان اخص بالماشية كما مر فهو هنا
مجاز مرسل لمطلق الموت او استعارة ولا ينافيه التصريح باداة التشبيه لانه عن وجه اخر وهو شدة
السرعة والمنافي له ذكر التشبيه في ذلك المجاز بعينه وقد اشار لما قلنا الشريف في حواشي الكشاف
في قوله كان اذني قلبه خلطا باذان وهو من الفوايد النفيسة وما وعد من سكنى البصرة بتثليث البا
ومعناها ارض غليظة او ذات حجارة والفتح اشهر وافصح وهي بلدة اسلامية ويقال لها بصيرة بالتصغير
ايضا بناها عتبة بن غزوان في خلافة عمر سنة سبع عشرة وسكنت سنة ثمان ومن شرفها انه لم يعبد بها
صنم وينسب اليها بصري بكسر وفتح ولا يجوز الضم وهذا الحديث رواه ابو داود عن انس انه قال له
صلى الله عليه وسلم يا انس ان الناس يمصرون امصارا وان مصرا منها يقال لها البصرة فان انت
مررت بها او دخلتها فاياك وسباخها وكلاءها وسوقها وباب امرائها وعليك بضواحيها فانه يكون بها
خسف وقذف ورجف ومسخ وضواحيها نواحيها ومنه قريش الضواحي للنازلين ببطحاها وظواهرها
وكلاءها بتشديد اللام مرسى سفنها وفي هذا من اعلام النبوة والاخبار بالغيب ما لا يخفى ويجوز
كسر صادها ولهم بلدة بالمغرب تسمى البصرة ايضا والمراد الاولى وسكنى مصدر كعقبى بمعنى الاقامة بها
وترولها ومن اخباره صلى الله عليه وسلم عن الغيب ايضا في حديث رواه الشيخان انهم اي امته
صلى الله عليه وسلم يغزون في البحر بعده صلى الله عليه وسلم فانه لم يكن ذلك في حياته والمراد
بالبحر البحر الملح لانه اذا اطلق ينصرف اليه ولم يعهد في غيره الا نادرا كالملوك على الاسرة وهو تشبيه
بليغ والاسرة جمع سرير وهو مقعد يعد للملوك مرتفع يجلسون عليه ترفعا وتعظيما ومؤخر المراكب
المعدة للغزو الذي يقعد عليه رئيسهم يعمل على هيئة سرير الملك بعينه كما يعرفه من شاهده فهو من الاعلام
العجيبة لانه لم يكن ذلك بديار العرب ولم ير احد منهم فلو وصفه صلى الله عليه وسلم له كمن عرفه وجلس
عليه مما تحار فيه العقول والحديث عن انس رضي الله تعالى عنه عن خالته ام حرام بنت ملحان وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم نام عندها يوما لانه محرمها ثم استيقظ رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يتبسم فقالت له ما اضحكك يا رسول الله قال اناس من امتي عرضوا علي يركبون البحر

الاخضر

الاخضر كالملوك على الاسرة قالت ادع الله ان يجعلني منهم فدعا لها ثم نام فراى ذلك فقالت له اما قال اولا
ودعا لها وقال انت من الاولين فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت مع المسلمين الغزاة في البحر مع معاوية
رضي الله تعالى عنه فلما انصرفوا قربت لها دابة تركبها فوقعت وماتت شهيدة ثمة واختلف في زمنه
فقيل في زمن معاوية كما علم وقيل في زمن عثمان رضي الله تعالى عنه وجمع بينهما بانه في زمن عثمان امر
معاوية بغزو البحر فغزاه بامر عثمان رضي الله تعالى عنه ثم لما ولي الخلافة غزاه بنفسه وفي الحديث
معجزات اخباره صلى الله عليه وسلم عن غزواته في البحر وغلبتهم وظهور شوكة الملوك فيهم
وان ام حرام من اولهم وفيه دليل على جواز ركوب البحر للرجال والنسا خلافا لمالك في كراهته للنسا
في رواية عنه وان الغزو فيه مشروع مطلوب وورد في الحديث ان غزو البحر يزيد اجره على البر
بعشر درجات لما فيه من المشاق وهذه الغزاة اول غزاة فيه وهي فتح قبرس وكان عمر رضي الله
تعالى عنه لم ياذن في ذلك اولا ثم لما ذكرناه هنا الحديث امره وجهز الاسطول كما هو مفصل
في محله وليس المراد بالبحر في الحديث بحر الشام وتعريفه للعهد بل مطلقه كما لا يخفى وام حرام
رضي الله عنها مدفونة بقبرس وقبرها معروف بها يزار وفي نسخ ثبج البحر بمثلثه وموحدة اي وجهه وهو
وسطه ومعظمه واخبر صلى الله عليه وسلم ان الدين لو كان منوطا اي معلقا بالثريا لناله اي وصل
اليه رجال من ابناء فارس اي ناس منهم ومناط الثريا كناية عن غاية البعد وهي كواكب مجتمعة اختلف في عددها
كما مر وهي احدى المنازل المشهورة اي الثريا وهي مشهورة بالعلو في السما ويضرب بها المثل ولفظها مصغر من الثروة
كما تقدم والدين بمعنى الايمان والشرع وما يتعلق به وهي كناية عن ان هولا يصلون منه لما لم يصل اليه غيرهم قط
وهذا من حديث رواه الشيخان وهو من اعلام النبوة ايضا لما ظهر فيهم من الاوليا والعلما وما ظهر منهم
من التصانيف التي لا تعد ولم يات الدهر بمثلها وما كان فيهم من خدمة كتاب الله وحديث رسوله صلى الله
عليه وسلم فلا تجد فنا الا وقد حازوا قصب السبق فيه وانظر الى البخاري هل له مثيل وليست هذه
شعوبية كما يتوهمه من يتعصب تعصب الجاهلية وانما هو تحقيق لما اخبر به سيد البرية صلى الله عليه
وسلم وفارس جيل معروف ويقال لهم الفرس ايضا وهم من اولاد سام ابن نوح على الاشهر وفارس اسم جدهم
سموا به ويطلق على بلادهم ايضا والحديث مروي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كنا جلوسا عنده صلى الله
عليه وسلم فانزل الله عليه سورة الجمعة وقوله فيها واخرين منهم لما يلحقوا بهم فقلت من هم يا رسول الله وفينا
سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه فوضع صلى الله عليه وسلم يده عليه ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله
رجال او رجل من هولا وفي رواية لو كان العلم وروي ايضا ان ذلك كان عند نزول قوله تعالى وان تتولوا يستبدل
قوما غيركم ولا مانع من تعدد واحد سبب النزول كما حققه المفسرون والاشارة بهولا مع ان المشار اليه
وهو سلمان لان المراد به الجنس او هو بتقدير من جنس هولا ومن ذلك ما رواه مسلم عن جابر رضي الله
عنه انه هاجت اي هبت ريح بشدة والنبي صلى الله عليه وسلم في غزواته اي في غزوة من غزواته وهي
غزوة تبوك وهو محل من ارض الشام كما قيل وفيه نظر فقال انها لموت منافق اي رجل من المنافقين وهو
رفاعة بن زيد بن التابوت احد بني قينقاع وكان من عظما اليهود كهفا للمنافقين فلذا سماه منافقا وقال
ابن الجوزي انه عم قتادة بن النعمان وذكر عنه قتادة رضي الله عنه انه راى منه ما يدل على صحة اسلامه

وقال الذهبي في التجريد له صحبة فتسميته منافقا على حقيقته وظاهره وروي انه لما موت عظيم من عظما الكفا

وهو ايضا محمول على ظاهره او هو باعتبار ما في قلبه من الكفر المضمر وصحح البرهان ان هذه الغزوة غزوة بني

المصطلق وكان ذلك في رجوعه منها سنة ست او اربع او خمس قبل الخندق على اختلاف فيها وهذه علامة

لما ذكر لانها تدل على غضب الله كما في ريح عاد التي اهلكتهم كما تهلك ريح السموم من هبت عليه لا انه استدل

بها كما يستدل بالنجوم وحوادث الجو عند الحكما والمنجمين ولا حاجة الى ان يقال انها علامة لما صنعه الله وقدره

واطلع من اراد عليه والممنوع انما هو اسناده لها وجعلها موثرة فيه فلما رجعوا اي النبي صلى الله عليه

وسلم ومن معه من تلك الغزوة وجدوا ذلك اي ما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من المغيبات

بموت ذلك المنافق المذكور وهلاكه في وقت اخباره صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم في حديث

رواه الطبراني عن رافع بن خديج رضي الله تعالى عنه بسند صحيح لقوم من جلسائه من الصحابة رضي الله

تعالى عنهم وهو جمع جليس بمعنى مجالس مثل كريم وكرما ضرس احدكم اي واحد منكم ايها الحاضرون

في النار اي اذا كان في جهنم مثل احد اي كالجبل المذكور عظما وهو عبارة عن ان احدهم يموت كافرا لما

في حديث ان ضرس الكافر مثل احد وجسم المذنب كلما ازداد عذابه فكان اشد عليه وكونه عبارة عن ثبات

عذابهم وقوة صبرهم عليه كما قيل في غاية البعد قال ابو هريرة رضي الله تعالى عنه الذي كان الخطاب له

فذهب القوم الذين كانوا جلساءه اي ماتوا كلهم كما اشار اليه بقوله يعني ابو هريرة بقوله ذهب القوم

ماتوا فان الذهاب حقيقة الانصراف عن مكان وقد يخص بالموت كقول قس في الذاهبين الها

لكيني لنا بصاير وبقيت انا ورجل منهم ولم يعينه لكراهته والستر على من كان صحابيا بحسب الظاهر

واسمه الرحال بن عنفوة والرحال براء مهملة وحاء مهملة ولام ويقال بالجيم وهو الاصح رواية وهو من اهل

اليمامة فقتل مرتدا حال من ضمير قتل النايب عن الفاعل او الضمير لرجل يوم اليمامة اي في حرب كان باليمامة

وهي اسم ارض معروفة شرقي الحجاز ومدينتها العظمى الحجر ويسمى حجر اليمامة ايضا وقتله زيد بن الخطاب

في حرب مسيلمة لعنه الله وكان معه وقدم مع وفد بني حنيفة على النبي صلى الله عليه وسلم واسلم

وتعلم القرآن فلما ادعى مسيلمة الشرك مع النبي صلى الله عليه وسلم في الوحي ارتد وشهد له بذلك

واعلم الصحابة رضي الله عنهم بغيب عنهم وهو ماض مبني للفاعل بوزن اكرم وفاعله ضمير النبي صلى الله

عليه وسلم وهذا الحديث رواه ابو داود والنسائي عن زيد بن خالد الجهني بالذي غل بغين معجمة ولام

مشددة من الغلول وهو السرقة خفية كان الايدي غلت عنها او من الغلل وهو الما الجاري تحت النبات

وكثر استعماله في السرقة من الغنايم خرز بخا معجمة وراء مهملة وزاي معجمة واحده خرزة وهي حجارة تنظم

ويزين بها وكل جوهر من خرز يهود ممنوع من الصرف لانه علم لهذه الطايفة سموا باسم جدهم يهودا بن

يعقوب اخي يوسف والمراد يهود خيبر لانه توفي بها فذكر ذلك له صلى الله عليه وسلم فقال صلوا على

صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال ان صاحبكم قد غل في سبيل الله ففتشنا متاعه وما معه

فوجدت تلك الخرز التي غلها في رحله اي في منزله وما معه بعد موته وهي لا تساوي درهمين واصل الرحل

ما يوضع على البعير ويتجوز به هنا عن محله النازل فيه بما معه وهذا الرجل لا يعرف اسمه واعلم ايضا

بما هو من الغيب بالذي غل اي سرق كما مر الشملة وهي المرة من الشمول وكسا صغير يشتمل به الانسان وهذا

بعض

بعض حديث رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال اهدى رجل لرسول الله صلى الله عليه

وسلم غلاما اسمه مدغم فبينما هو يحط رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه سهم عاير فقتله

فقلنا هنيا له الجنة فقال صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفسي بيده ان الشملة التي اخذها يوم

خيبر من الغنايم قبل القسمة لتشتعل عليه نارا ففيه اخبار عن الغيب باعتبار اخباره بسرقته

وبكونه معذبا وعاير بعين وراء مهملتين اصابه من غير قصد من عار الفرس اذا انفلت وقيل انه اشارة

لحديث المصابيح وهو ان رجلا فقل عليه صلى الله عليه وسلم يقال له كركرة بفتحتين او كسرتين

فمات فقال صلى الله عليه وسلم هو في النار فذهبوا ينظرون فوجدوا عنده عباة غلها واقتصر

السيوطي رحمه الله تعالى على الاول وانه الذي عناه المص وهو الظاهر والنووي في المبهمات على الثاني

والبرهان تبعه والذي اوجب عدول الجلال عنه لفظ الشملة وفيه تعظيم الغلول في الغنايم لتعلق

حق المسلمين كلهم به واذا عرف يرد للامام او يتصدق به وقيل انه يحرق وقيل انه مبني على التعزير

باخذ المال وهو منسوخ واذا كان هذا من الكباير فما حال ولاة الامور اليوم فانا لله وانا اليه راجعون

وحديث ناقته اي مما اعلم به صلى الله عليه وسلم من المغيبات حديث ناقته الذي رواه البيهقي

عن عروة مرسلا حين ضلت ناقته وغابت عنه حتى لم يروها وكيف تعلقت ناقته بالشجرة بخطامها

بكسر الخاء المعجمة وهو زمامها ومقوده وكان صلى الله عليه وسلم طلبها لما ضلت فقال رجل من

المنافقين كيف يزعم محمد انه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته الا يخبره الذي ياتيه بالوحي فاتاه

جبريل واخبره بقول المنافق وبمكان ناقته فقال صلى الله عليه وسلم ما ازعم اني اعلم الغيب

وما اعلمه ولكن الله تعالى اخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي وهي في الشعب قد تعلق زمامها بشجرة

كذا فخرجوا يسعون قبل الشعب فوجدوها حيث قال وكما وصفها وابها وام ذلك المنافق وهو زيد

اللصيت او ابن اللصيت بفتح اللام وكسر الصاد المهملة وكان ولا من اليهود وما ذكرنا من عبارة

المتن هو الصحيح كما ذكره السيوطي في مناهل الصفا في تخريج احاديث الشفا ووقع في بعض النسخ

وحيث هي ناقته حين ضلت وفي اخرى ومن ضلت ناقته حيث هي ضلت وكيف الخ فقال بعضهم هو مجرور

عطف على الذي ومبني على الكسر كما جوزه النحاة وحيث خرجت عن الظرفية معمول لاعلم وناقته مبتدا

وهي مبتدا ثان خبره محذوف اي موجودة والجملة في محل جر باضافة حيث وانت في غنى عن مثله ومن المخبات

التي اعلم النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بها ما رواه الشيخان عن علي كرم الله وجهه حين اعلم

بشان كتاب حاطب ابن ابي بلتعة الصحابي البدري المشهور الذي ارسله الى اهل مكة لما تجهز النبي صلى الله

عليه وسلم لفتح مكة ولم يعلم احدا بتوجهه ومقصده فكتب حاطب كتابا اليهم فيه ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل واقسم بالله لو سار اليكم وحده

نصره الله عليكم فانه منجز له ما وعده فعليكم الحذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي

وبعض الصحابة اذهبوا الى روضة خاخ فيها جارية معها مكتوب فاتوني به وكان صلى الله عليه وسلم

اخفى مسيره فاتوا المحل ووجدوا الجارية فانكرت ففتشوها فلم يجدوا فما وجدوا معها شيا فهموا بالرجوع

ثم بدا لعلي رضي الله عنه ان خبره صلى الله عليه وسلم صدق فهدد الجارية فاخرجت الكتاب من عقصتها

فلما اتوا به قال عمر رضي الله تعالى عنه دعني اضرب عنق حاطب فقال صلى الله عليه وسلم لا فان الله تعالى
اطلع على اهل بدر فقال اصنعوا ما شيتم فاعتذر له حاطب بانه ثمة اهلا وما لا خشي ضياعه فاراد
ان يصنع فيهم يدا يقتضي حفظه فقبل عذره كما تقدم والقصة مفصلة في شروح السير والبخاري
والكتاب كان مع امراة تسمى ام سارة ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما رواه ابن اسحاق
والبيهقي والطبراني حين اعلم بقصة عمير بالتصغير ابن وهب بن خلف مع صفوان ابن امية بن خلف
حين سارّه اي اخبر عمير صفوان سرا في خفية لم يسمعه احد وذلك السر انه يقتل النبي صلى الله عليه وسلم
اذ اتاه بغتة بحيث لم يشعر به احد وكان شجاعا فاتكا وشارطه على قتل النبي صلى الله عليه وسلم
اي اشترط عليه مالا يعطيه ان فعل ذلك فلما جا عمير الى النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله
واطلعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الامر والسر الذي كان بينهما لم يطلع عليه غيرهما
وهما بمكة اسلم عمير وحسن اسلامه لما شاهده من المعجزات الباهرة وحاصل ذلك ان عمير بن وهب
جلس مع صفوان بن امية وهو ابن عمه في الحجر بعد بدر فذكروا اصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان
والله ليس في العيش بعدهم خير فقال عمير صدقت والله لولا دين علي ليس عندي قضاوه وعيال
اخشى ضياعهم لكنت اتي محمدا حتى اقتله فان لي فيهم علة اني اسير عندهم فاغتنمها صفوان فقال علي
دينك اقضيه وعيالك مع عيالي اواسيهم ما بقوا فقال اكتم عني شاني ثم شحذ سيفه اي سنه
وسمه وانطلق حتى اتى المدينة واناخ بباب المسجد متوشحا بسيفه فراه عمر رضي الله تعالى عنه فقال
هذا الكلب عدو الله ما جا الا لشر واخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ادخله علي فاقبل عمر
رضي الله تعالى عنه حتى اخذ بحمالة سيفه لبته بها ثم ادخله فلما راه صلى الله عليه وسلم قال ارسله
يا عمر ادن يا عمير فدنا فقال ما جا بك قال جيت لهذا الاسير فاحسنوا فيه قال فما بال السيف في
عنقك قال قبحها الله ما اغنت شيا قال اصدقني ما الذي جيت له قال ما جيت الا لذلك قال بل قعدت
انت وصفوان بالحجر وذكرا اصحاب القليب وقلت لولا دين علي وعيالي لخرجت الى محمد حتى اقتله فتحمل
دينك وعيالك وجيت لتقتلني فقال اشهد انك رسول الله وقد كنا نكذبك وهذا امر لم يحضره
الا انا وصفوان فوالله اني لاعلم انه ما اتاك به الا الله فالحمد لله الذي هداني للاسلام وساقني
هذا المساق وتشهد فقال صلى الله عليه وسلم فقهوا اخاكم دينه واقروه القران واطلقوا
اسيره واما صفوان فهرب خايفا يوم الفتح ثم جا مستامنا فاسلم وحسن اسلامه وكان عمير
بعض الناس لعمر فلما اسلم كان احب الناس اليه وهو من سادات قريش وفصحايها فتمت سيادته
بالاسلام وله احاديث في السنن واخبر ايضا صلى الله عليه وسلم فيما رواه احمد عن ابن
عباس والحاكم والبيهقي عن عايشة بسند صحيح بالمال الذي تركه عمه العباس بمكة عند ام الفضل
لبابة بنت الحارث ابن حرب الهلالية زوجته كنيت باسم ابنها الفضل كما كني العباس ابو الفضل
وهي من اشراف الصحابة رضي الله عنها يقال انها اول امراة اسلمت بعد خديجة وكان كتم ماله عندها
واخفاه حتى عن اولاده كما اشار اليه بقوله بعد ان كتمه فلما اسر ببدر لما خرج مع كفار قريش وطلب
منه الفدا فقال لا مال لي فقال له صلى الله عليه وسلم ما صنع المال الذي وضعته عند ام

الفضل

88

الفضل فقال ما علمه غيري وغيرها فاسلم وقيل له لم لم تسلم قبل الفدا ليبقى لك مالك الذي
افتديت به فقال لم اكن لاحرم المؤمنين ما طمعوا فيه من مالي وقد قيل انه اسلم قبل ولكن كان يخفي
اسلامه لما فيه من نفع المسلمين من وجوه لا تعد وفي بعض النسخ ام الفضيل بالتصغير وهو خطا من النساخ
واصل الحديث انه كانت قريش بعثت بفدا اسراهم فقال العباس يا رسول الله اني كنت مسلما فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اعلم باسلامك فان يكن كما تقول فالله يجزيك فاما ظاهر امرك
فقد كان علينا فافد نفسك وابني اخيك نوفل بن الحارث وعقيل بن ابي طالب وحليفك عتبة واخي بني
الحارث قال ما عندي ما يفي بالفدا قال لما فعلت بالمال الذي دفنته عند ام الفضل وقلت ان اصبت
في سفري فالمال لولدي فقال والله يا رسول الله هذا شي ما علمه غيري وغيرها فاحسب لي ما اصبتم اي
فانه جا ان العباس خرج لبدر ومعه عشرون اوقية من الذهب ليطعم بها المشركين فاخذت منه في الحرب
فكلم النبي صلى الله عليه وسلم ان يحسب العشرين اوقية من فدايه فابى وقال اما شي خرجت تستعين
علينا فلا نتركه لك فقال لا ذاك اعطاه الله لنا ففداهم فانزل الله تعالى يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى
الاية ومقتضى قول المص فاسلم انه ما اسلم الا حينيذ والذي قالوه انه اسلم قبل فتح خيبر وكان يكتم اسلامه
وقال ابن عبد قيل ان اسلامه كان قبل بدر وكان المسلمون بمكة يثقون به وكان العباس يكتب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم احوال المشركين واحب ان يقدم عليه المدينة فكتب اليه مقامك بمكة
خير ولذا قال صلى الله عليه وسلم يوم بدر من لقي منكم العباس فلا يقتله فانه انما خرج مكرها و
مما اخبر به صلى الله عليه وسلم فيما رواه البيهقي عن عروة وسعيد ابن المسيب مرسلا انه اعلم بانه
سيقتل بنفسه ابي بن خلف كما تقدم فجرحه بعنقه في حنفات بمحل يسمى سرفا وكان قبل ذلك اذا لقيه
بمكة يقول عندي فرس اعلفها كل يوم لاقتلك فيقول له صلى الله عليه وسلم بل انا اقتلك ان شا الله
فلما كان يوم احد اقبل يقول اين محمد لا نجوت ان نجا فاعترض دونه جماعة من المسلمين فقال صلى الله عليه
وسلم خلوا سبيله ونظر فرجة من درعه على ترقوته فطعنه طعنة لم يخرج منها دم ووقع عن فرسه
ورجع اليهم فقالوا له ما بك من باس فقال لو بصق علي محمد لقتلني فقتل قاتله الله في رجعه من احد
ومما اعلم به صلى الله عليه وسلم انه قال في عقبة بن ابي لهب انه ياكله كلب من كلاب الله فاكله الاسد
وهو ذاهب الى الشام والاسد يسمى كلبا وهو يشبهه صورة ولما اضافه الله افادت الاضافة تعظيما
كما قاله الثعالبي في المضاف والمنسوب وقد تقدم ان ابا لهب كان له اولاد معتب وعتبة وعتيبة
بالتصغير وان المصغر هو عقير الاسد والمكبر اسلم وكان من كبار الصحابة فالصواب ان يقول المص
عتيبة بالتصغير الا ان من علما الحديث من قال مثل ما قاله المص فلا اعتراض عليه مسلم كما مر ثم ان المص ذكر
هذا في فصل اجابة دعايه فتكون هذه الجملة دعايية انشايية وكلامه هنا يقتضي انها خبرية اخبار
عن امر مغيب فبين كلاميه تدافع والجواب عنه ان كلا منهما محتمل فذكره ثمة باعتبار وهنا باعتبار
ويويده انه لما خاف من الاسد قال له رفقاوه لم اشتد رعبك قال ان محمدا قال لي كذا وهو لا يقول الا صدقا
فالصدق من خواص الخبر وقد يقال ان الدعا عند من تحقق اجابته خبر معنى واخبر صلى الله عليه وسلم
عن مصارع اهل بدر اي محال قتلهم ووقوعهم على الارض يعني من قتل بها من كفار قريش وصناديدهم

فقال قبل وقعتها هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان مشيرا الى محال قتلاهم بها قبل وقوعه وسماهم اهلها
بقاعهم فيها كما يقال اهل الدار لمن بها فكان ما اخبر به صلى الله عليه وسلم عن مصارعهم كما قال لم يتجاوز
احد منهم موضعه الذي عينه له رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه من الاخبار بالغيب ما لا يخفى
واصل هذا الحديث كما في صحيح مسلم وغيره انه صلى الله عليه وسلم قام ببدر قبل قتالهم وقال هذا
مصرع فلان ووضع يده في الارض ثم قال هذا مصرع فلان ووضع يده عليها وعدهم واحدا واحدا
مشيرا الى مصارعهم فلم يتجاوز احدهم موضعه فصرعوا كذلك ثم جروا بارجلهم وطرحوا في القليب ثم جا
صلى الله عليه وسلم حتى وقف عليهم وقال يا فلان بن فلان يناديهم باسمائهم واحدا بعد واحد هل
وجدتم ما وعد ربكم حقا فقال الصحابة يا رسول الله اتكلم اجسادا لا ارواح لها فقال والذي نفسي
بيده ما انتم باسمع منهم لكلامي ولكنهم لا يستطيعون ان يردوا وقال صلى الله عليه وسلم
في حديث صحيح رواه الشيخان وغيرهما في الحسن بن علي ابن ابي طالب ان ابني هذا سماه ابنا له مجازا لانه يطلق
على الولد وعلى ولد الولد اطلاقا مشهورا حتى صار حقيقة عرفية فيه سيد اي شريف رئيس مسود
في قومه لشرف نسبه وذاته وفضله على غيره من جهات وللسيد اطلاقات على الله وعلى غيره كما
تقدم تفصيله وسيصلح الله به اي بسببه سيقع الصلح واراصلاح بين فيتين عظيمتين
من المسلمين والفيئة الجماعة من فا بمعنى رجع والمراد بهما من كان معه ومن كان مع معاوية رضي الله
تعالى عنهما وفي صحيح البخاري عن الحسن عن ابي بكرة قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم على
المنبر والحسن الى جنبه وهو يلتفت الى الناس مرة واليه مرة ويقول ان ابني هذا سيد ولعل الله ان
يصلح به بين فيتين من المسلمين وهو حديث صحيح مروي من طرق وفي رواية فيتين عظيمتين قال ابن عبد
البر رحمه الله تعالى في الاستيعاب لما قتل علي رضي الله تعالى عنه بايع الحسن اكثر من اربعين الفا على
الموت وكانوا اطوع واحب له من ابيه فبقي نحو سبعة اشهر خليفة بالعراق وخراسان وما وراء
النهر ثم سار رضي الله تعالى عنه الى معاوية وسار معاوية اليه فلما تراى الجمعان بناحية الانبار
علم الحسن انه سيقع قتال يذهب فيه كثير من المسلمين فارسل الى معاوية يخبره انه يفوض الامر له
بشرط ان لا يطلب احدا من اهل المدينة والحجاز والعراق بشيء كان في ايام ابيه فاجابه معاوية
لذلك وقد طار فرحا الا انه قال عشرة انفس لا اومنهم منهم قيس بن سعد فراجعه الحسن وقال
لا ابايعك وانت تطلب احدا منهم لا قيس ولا غيره فارسل له معاوية رقا ابيض وقال اكتب فيه
ما شئت وانا التزمه فاصطلحا على ذلك وعلى ان الامر له بعد معاوية فالتزمه من كل معاوية
وشاء ذلك اكثر الناس حتى كانوا يقولون للحسن يا ذل المسلمين وعار المؤمنين ولما سلم الامر له
قال له اخطب الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فان اكيس الكيس التقى وان اعجز العجز الفجور
الا وان هذا الامر الذي اختلفت فيه انا ومعاوية حق لامرئ كان احق به مني او حق لي تركته لمعاوية ارادة
اصلاح المسلمين وحقن دمائهم وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ثم استغفر الله ونزل
ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم ما رواه الشيخان من قوله لسعد بن ابي وقاص مالك ابن وهيب بن
عبد مناف احد العشرة واصحاب الشورى ولتبادره اذا اطلق لم يقيده بما يخرج به سعد بن معاذ

وغيره من سعود الصحابة رضي الله تعالى عنهم فلا اعتراض عليه كما قيل ولسعد معطوف على قوله في الحسن
اي قال لسعد لعلك تخلف وفي نسخة ان تخلف بان المصدرية في خبرها حملا لها على عسى لانها اختها
في الترجي كما قال لعلك يوما ان تلم ملمة وكان سعد رضي الله تعالى عنه مرض بمكة وكان يكره
ان يموت بالارض التي هاجر منها فاتاه صلى الله عليه وسلم يعوده فقال يا رسول الله اوصي
بمالي كله فقال لا الى ان قال الثلث والثلث كثير الى اخر الحديث وهو مشهور ولم يكن له الا ابنة وقد
طال عمره فخشي ان يموت ثمة وذلك في حجة الوداع وقوله تخلف بضم المثناة الفوقية وتشديد
اللام اي تبقى بعد هذا الزمان كما قال فانه عاش بعد ذلك نحو خمسين سنة وقوله حتى ينتفع
بك اقوام ويستضر بك اخرون قال النووي في هذا الحديث من المعجزات تحقق ما اخبر به فانه عاش بعد
ذلك زمانا كما تقدم ونفع الله به المسلمين لما كان على يديه من الفتوح وهدى الله به ناسا اسلموا
على يديه وغنموا معه وضر الله به ناسا من الكفار جاهدهم وقتل منهم وسبا وليس المراد بضرره
ضرر المسلمين لان ابنه عمر كان اميرا على الجيش الذين قتلوا الحسين لانه لم يرض بذلك ولا تزر وازرة
وزر اخرى وقال ابن رجب المراد به انه تولى العراق واتى بقوم ارتدوا وسجعوا بسجع مسيلمة لعنه الله
تعالى فاستتابهم فتاب بعضهم وانتفع به وابى بعضهم فقتلهم فتضرروا به وهذا تاويله عند
بعضهم وقيل الرواية انما هي يضر بك اخرون والمضر راد با ستفعل فعل وجعل المص الترجي اخبارا
لانه بمعناه وهو المراد لكن غيره به تادبا منه وقد صرحوا بان الترجي في حق الله والرسول والاولياء تحقيق
معنى كما قال ابن الملقن واخبر صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه البخاري عن انس بقتل اهل مؤتة
بضم الميم وسكون الواو او الهمزة فاتيها الغين كما في القاموس وهي اسم موضع بالشام كان فيه غزاة
مشهورة واضافة اهل للعهد ولا يجوز ان تكون للاستغراق كما قيل لانه انما اخبر بقتل ناس منهم قبل
مجي الخبر له صلى الله عليه وسلم بيوم والذي اتى بالخبر يعلى بن منية وكان صلى الله عليه وسلم نعاهم
لاصحابه فقال اخذ الراية زيد فاصيب ثم اخذها جعفر فاصيب ثم اخذها ابن رواحة فاصيب وعيناه
تذرفان حتى اخذ الراية سيف من سيوف الله يعني خالد بن الوليد ففتح الله تعالى عليهم فلما اتاه يعلى
قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت اخبرني وان شئت اخبرتك فقال اخبرني فاخبره
ووصفهم له فقال والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا واحدا وقوله يوم قتلوا متعلق باخبر
وبينه صلى الله عليه وسلم وبينهم اي المقتولين بمؤتة مسيرة شهر او ازيد ذكره تحقيقا لانه اخبار
بالغيب لبعده بحيث لا يمكن مجي الخبر له صلى الله عليه وسلم في يومه ولذا ورد في هذا الحديث انه
صلى الله عليه وسلم قال ان الله رفع لي الارض حتى رايت معتركهم وما قيل ان المدينة ليس بينها
وبين مؤتة هذا المقدار بل بينهما نحو عشرة مراحل كما يعرفه من سلك طريقها لكنه لم يرد بها بعده بلاده
يقتضي انه قال من نفسه من غير تثبت فيه وليس كذلك فانه يختلف باختلاف الاحوال كالسير ماشيا
وكسير الجمال في القافلة باحمالها بخلاف الفرسان ويختلف ايضا بطول الايام وقصرها والامر فيه سهل
ويموت النجاشي اي اخبر صلى الله عليه وسلم بموته رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه
يوم مات متعلق باخبر وذلك سنة سبع من الهجرة وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

صلاة الغايب وبه استدل الشافعي على جوازها وهو ملك الحبشة واسمه اصحمة كما تقدم وهو الذي ارسل اليه
مكتوبه خلافا لابن القيم في الهدي النبوي اذ قال ان الذي كاتبه غيره فان كل من ملك الحبشة يقال له نجاشي بفتح
النون وكسرها وتخفيف اليا وتشديدها وهو بارضه جملة حالية والضمير للنجاشي اي والحال ان النجاشي
مات بارض الحبشة فهو اخبار عن الغيب ويحتمل ان يعود للنبي صلى الله عليه وسلم اي والنبي صلى الله
عليه وسلم وقت موت النجاشي كان بارضه اي المدينة فلا يحتمل انه راه عادة وان امكن انه رفع له
حتى راه كما قاله من لم يقل بالصلاة على الغايب كما قيل انه من خصايصه ايضا واخبر ايضا صلى الله عليه
في حديث اخر رواه البيهقي فيروز علم عجمي ممنوع من الصرف وهو وزير كسرى ملك فارس ومعناه الفوز
والظفر وفاوه مفتوحة وقد تكسر وفيروز ديلمي والديلم جيل من العجم اذ ورد اي جا فيروز وقدم عليه
اي على النبي صلى الله عليه وسلم رسولا من كسرى يموت كسرى ذلك اليوم بنصبه على الظرفية اي يوم ورد
عليه او يوم مات كسرى فلما تحقق فيروز القصة التي قصها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبر
بموت كسرى الذي هو رسوله اسلم فامن برسول الله صلى الله عليه وسلم وفاز فوزا عظيما وقصته رويت
من طرق وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم كتب لكسرى مكتوبا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وامن بالله ورسوله
وشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وادعوك بداعية الله عز وجل فاني رسول الله الى
الناس كافة لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فاسلم تسلم الى اخره فلما قرا كتابه مزقه فمزق الله
ملكه وكتب الى باذان عامله على اليمن ان ابعث اليه رجلين جلدين ياتيانه فبعث قهرمانه بانويه ومعه
اخر من الفرس ومعهما مكتوب يامره فيه بالانصراف معهما فلما اتياه قال ايتياني غدا فلما اتياه قال لهما
ان الله سلط على كسرى ابنه شهرويه فقتله في وقت كذا فاخبر باذان بما قاله صلى الله عليه وسلم فقال
لننظرن ما قال فان تحقق فهو نبي مرسل فلم يلبث ان قدم عليه مكتوب شهرويه بما وقع فاسلم واسلم
معه ابنا فارس باليمن وحسن اسلامهم ووزير كسرى هذا اسمه ابرويز وهذا ما ذكره المورخون
واصحاب السير واما ما ذكره المص فلم نتبينه ولم يقل احد من الصحابة من اسمه فيروز لكن السيوطي
نقله عن دلايل النبوة للبيهقي فقيل انه ليس فيها ذلك وفي الاستيعاب ان فيروز الديلمي وفد على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانه الذي قتل الاسود العنسي وكذلك ذكر قضية فيروز على الوجه الذي ذكره
المص الماوردي في علام النبوة واطال فيها واخبر صلى الله عليه وسلم اباذر الغفاري كما رواه
احمد في مسنده بتطريده اي بنفيه من المدينة وقد ذكر الحريري في الدرة الفرق بين طرده واطرده وطرّده
المشدد وانه انما يقال في النفي الامشدد القول ابي سفيان وانا الذي طردتني كل مطرد وطرده واطرده
بمعنى نحاه وكثير من اهل اللغة لم يفرقوه كما كان اي وقع ما اخبر به صلى الله عليه وسلم بعينه ووجده
اي وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم اباذر في المسجد اي مسجده بالمدينة نايما فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم كيف بك اذا اخرجت منه اي من هذا المسجد وكيف استفهام عن الحال والظاهر انه
ليس على حقيقته هنا فانه صلى الله عليه وسلم ما يجري عليه وانما مراده اخباره بحاله وما يكون له
كقوله تعالى وما تلك بيمينك ياموسى والمعنى كيف تخلى او على اي شي في هذه الحال قال اسكن المسجد الحرام يعني

مكة المشرفة قال فاذا اخرجت منه الحديث اي اقرا الحديث او اذكر الحديث الذي رواه احمد ومعناه انه كان
يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وينام في المسجد وليس له ماوى غيره فخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلة فراه نايما فقال له اراك نايما فقال اني انام وهل لي بيت غيره فقال له صلى الله
عليه وسلم كيف بك اذا اخرجوك منه قال الحق بالمسجد الحرام فقال له كيف بك اذا اخرجوك منه قال
الحق بالشام ارض الهجرة والمحشر وارض الانبيا فاكون رجلا من اهلها قال فاذا اخرجوك من الشام قال
ارجع اليه فيكون منزلي قال فكيف بك اذا اخرجوك منه الثانية قال اخذ بسيفي واقاتل حتى اموت
وفكره صلى الله عليه وسلم بيده وقال لخير لك منه ان تنقاد حيث قادوك حتى تلقاني وانت على ذلك
واما تطريده رضي الله عنه فرواه بعض الشيعة على وجه منكر واسندوا فيه لعثمان رضي الله تعالى
عنه ما لا اصل له والصحيح ما رواه قتادة من انه صلى الله عليه وسلم قال لابي ذر اذا رايت المدينة
بلغ بناوها سلعا فاخرج منها واشار الى جهة الشام فلما شادوا بنا وها ذهب الى الشام ثم انه رضي الله تعالى
عنه انكر على معاوية بعض امور فشكاه لعثمان فكتب اليه اقبل الينا فنخاذرعي لحقك فقدم عليه
ثم استاذنه في الخروج الى الربذة فاذن له فاقام بها الى ان مات وما قيل ان عثمان امر بازعاجه بعنف فلما
وصل اليه قال له ما حملك على ما صدر منك قال اشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا بلغ
بنو العاص ثلاثين رجلا جعلوا مال الله دولا وعباد الله خولا ودين الله دغلا ثم يريح الله العباد منهم
فقال له اخرج من هذه البلدة فخرج منها قال اكثرهم لا اصل له وبعيشه وحده اي اخبره رسول الله صلى الله
عليه وسلم بانه يعيش بعد خروجه من المدينة ثابتا وحده معتزلا عن الناس وفي نسخة عيشة بالتا
وموته وحده فكان كما قال لان البيهقي روى ان ام ذر لما حضرته الوفاة بكت فقال لها ما يبكيك فقالت
ما لي لا ابكي وانت تموت بفلاة وليس عندك كفن فقال لا تبكي فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لنفر كنت فيهم ليموتن احدكم بفلاة يشهده عصابة من المسلمين وانا ذلك الرجل فابصري الطريق فخرجت فاذا
برجال على رحالهم فاخبرتهم بذلك فدخلوا عليه فقال انشدكم الله ان يكفنني منكم من لم يكن نقيبا ولا بريدا
فقال غلام منهم انا اكفنك يا عم في ردائي وثوبين في عيبتي من غزل امي قال فكفني فلما مات كفنوه وصلوا
عليه ودفنوه واخبر صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم ان اسرع ازواجه به لحوقا اي اول من يموت
من امهات المومنين بعده اطولهن يدا لم يقل طولا هن بالتانيث لان اسم التفضيل المضاف يجوز فيه
المطابقة وعدمها وهذا يحتمل ان يكون من الطول بالضم ضد القصر ومن الطول بالفتح وهو الجود
والانعام ولاحتمال المعنيين قيل ان ازواجه صلى الله عليه وسلم بعده كن يقسن اذرعتهن لينظرن
الاطول منها فلما ماتت زينب رضي الله تعالى عنها علمن ان المراد الثاني فان كان من الاول كان استعارة ويدا تر
شيح للاستعارة مع ما فيه من التورية لان اليد بمعنى النعمة فكانت اي اطولهن يدا واسرعهن لحوقا به
صلى الله عليه وسلم فاسمها ضمير عايد على ما ذكره وقوله زينب بالنصب خبرها وهي زينب بنت
جحش ام المومنين رضي الله عنها لطول يدها بالصدقة بيان للمراد كما تقدم وتوفيت رضي الله عنها
سنة عشرين او احدى وعشرين وليس المراد بذلك زينب بنت خزيمة التي كانت تدعى ام المساكين
والحديث عن عايشة من طرق قالت قلنا اينا اسرع لحوقا بك قال اطولكن يدا فاخذن يتذارعن وفي رواية

لخذن قصبة يذرعن بها اي يقسن اذ رعتهن لظنهن ان المراد الحقيقة فلما توفيت زينب علمن انها المرادة لانها كانت
اكثرهن صدقة وكانت تعمل بيدها وتتصدق وما في البخاري عن عايشة رضي الله تعالى عنها ان زوجاته صلى الله
عليه وسلم اجتمعن عنده فقلن له ايتنا اسرع لحوقا بك قال اطولكن يدا فكانت سودة بنت زمعة
فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت اسرعنا لحوقا به فعرفنا ان طول يدها الصدقة
وكانت تحب الصدقة مشكل لمخالفته لما رواه مسلم من انها زينب وهو الصحيح وفيه اضطراب ايضا
لان اوله يقتضي ان المراد الطول الحقيقي وما بعده يدل على خلافه ولذا قال الكرماني ان فيه تلفيفا
وحذفا ولم يلتفت لايهامه خلاف المراد اعتمادا على شهرة القصة وهو غاية ما يقال فيه قيل وهو
مجاز مرسل بعلاقة مجاورة الصدقة لليد او شبهت الصدقة باليد فهو استعارة مصرحة والطول
ترشيح والقرينة ان عظم الابدان لا يقتضي حوز هذه الفضيلة فلا يرد انه ان لم يكن فيه قرينة لم يصح
المجاز وان كان كيف يفهمن خلاف المراد حتى يذرعن وهن من اهل اللسان اقول التحقيق انه استعارة
تخييلية بان يشبه كثرة الاحسان والتصدق وايصال البر ومن وصله بشخص له طول يد
يصل به لما يصل اليه غيره اذا مدها او هو مجاز مرسل باستعمال الطول لليد في لازمه وهو ايصال
الانعام او اليد استعارة مصرحة والطول ترشيح ويحتمل انه كناية واخبر صلى الله عليه وسلم
بما رواه البيهقي من طرق بقتل الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما بالطف بفتح الطا المشددة
المهملة وتشديد الفا وهو مكان بناحية الكوفة واخرج صلى الله عليه وسلم بيده تربة
اي قدر ملي كف من تراب اراه لبعض اصحابه واهل بيته وقال اذا خرجها فيها اي في رض هذا التراب
منها وفيها يموت ويقتل مضجعه اي مصرعه اي يقتل وجيم مفتوحة وتكسر والاول اقيس وافصح
وفي التعبير به ايما الى انه رضي الله تعالى عنه حي شهيد لان اصله محل يضطجع فيه النايم واصل الحديث
عن عايشة رضي الله تعالى عنها ان جبريل كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليه
الحسين فقال جبريل من هذا قال ابني فقال ستقتله امتك فان شيت اخبرتك بالارض التي يقتل فيها
واشار جبريل بيده الى الطف من العراق واخذ تربة حمرا فاراه اياها ولا ينافي ذلك ما جا انه يقتل بكربلا
لان كربلا اسم موضع والطف ناحية تشتمل عليه وكان قتله في عاشورا وقتل معه جماعة من اهل البيت
وقيل ان هذه التربة كانت عندهم وانها في يوم قتله يظهر عليها دم واختلف فيمن باشر قتله قاتله الله
واخزاه وجعل سجين ماواه ولابن العربي هنا مقالة اظنه برى منها وقال صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه ابن عدي والبيهقي مسندا في زيد بن صوحان بضم الصاد المهملة وواو ساكنة وحا مهملة والف
ونون وهو زيد بن صوحان ابن حجر بن الحارث العبدي اخو صعصعة وله وفادة على النبي صلى الله عليه
وسلم وقيل انه تابعي وقال الذهبي ومن خطه نقلت كان زيد بن صوحان مواخيا لسلمان حتى تكنى ابا سلمان
لمحبته له وكان زاهدا عابدا ذكر له مناقب كثيرة وعده من الصحابة وصوحان معناه اليابس يقال المسوح
النبت اذا صار هشيما يسبقه عضو من اعضايه الى الجنة اي يدخل الجنة قبله لانه قطع في سبيل الله
بتل موته ومعنى السبق ما تقدمه حقيقة ولا مانع من ان يحفظها الله في الجنة فاذا استشهد وصلها
ببقية اعضايه في الجنة وامور الاخرة لا تقاس على امور الدنيا ويجوز ان يراد ان يده تقطع في سبيل الله

أولاً ثم يستشهد بعد ذلك فكني عنه بما ذكر ولفظ الحديث من سره ان ينظر الى رجل يسبقه بعض اعضايه الى
الجنة فلينظر الى زيد بن صوحان وفي سنده هذيل بن بهلال وهو ضعيف فقطعت يده الشمال كما رواه
الذهبي في الجهاد ولم يعينه للخلاف فيه فقيل انه كان يوم نهاوند وقيل في قتال المشركين وقد روي انه صلى الله
عليه وسلم شهد لثلاثة من التابعين بالجنة اويس القرني وزيد بن صوحان وجندب الخير وقتل مع علي
رضي الله عنه في وقعة الجمل وعلى هذا فاخباره عن الغيب اقوى وابلغ في اطلاعه على امره قبل خلقه وقال
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم وغيره في الذين كانوا معه اي حاضرين معه وهم على حرا اسم جبل
معروف بقرب مكة على نحو ثلاثة اميال يمد ويقصر ويذكر ويونث ويجوز صرفه وعدم صرفه كما تقدم فتحرك
وهم عليه فقال له صلى الله عليه وسلم اثبت اي لا تتحرك وترجف وتتزلزل ولفظه كما في صحيح مسلم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حرا هو وابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحرك بهم
فقال اهدا فما عليك الا نبي او صديق او شهيد وزاد بعضهم سعدا واورده بعضهم مكان علي والمصروف
انما عليك نبي وصديق وشهيد والمعنى واحد والنبي معناه المراد به ظاهر وكذا الشهيد ومر تفصيله
وقد وقع الترتيب في الحديث على وفق ما في القرآن والصديق فعيل صيغة مبالغة من الصدق ضد الكذب
ولهم في تفسيره اقوال فقال ابن المظفر انه من صدق بامر الله وبرسله بحيث لا يخالجه شك في شي وقال
الكلبي رحمه الله تعالى الصديقون افاضل الصحابة واختاره البغوي وقيل من صدق بالانبيا حين عاينهم
واختار الرازي انهم اول من صدق الرسل ويويده قوله صلى الله عليه وسلم ما عرضت الاسلام
على احد الا وله كبوة الا ابو بكر فله رضي الله تعالى عنه مزية بانه صار قدوة لغيره ولذا اجمعوا على تسليم هذا
اللقب له ومرتبة الصديقية تلي مرتبة النبوة وقد افرد ذلك بالتاليف الكمال الزملكاني فقتل علي وعمر
وعثمان فقتل عليا كرم الله وجهه عبد الرحمن ابن ملجم من الخوارج وقصته مشهورة وقتل عمر رضي الله تعالى
عنه ابو لولوة غلام المغيرة ابن شعبة وكان عمر رضي الله تعالى عنه لا ياذن لمحتلم من المشركين ان يدخل
المدينة فاستاذنه المغيرة في غلامه هذا لانه كان نجارا وله منافع ينتفع بها الناس فاذن له في دخوله
فضرب عليه سيده في كل شهر مائة درهم فشكى ذلك لعمر رضي الله تعالى عنه فساله عن صنعته فاخبره
فقال ما خراجك بكثير فغاظه ذلك واضمر قتله فضربه بخنجره وهو يصلي فاستشهد وعثمان رضي الله
تعالى عنه استشهد يوم الدار في قصته المشهورة وطلحة والزبير اما طلحة بن عبد الله فقتل يوم الجمل
وهو محارب لعلي وقيل لما رآه ذكره ووعظه فاعتزل حربه ثم اصابه سهم فمات منه واما الزبير
رضي الله تعالى عنه فرجع عن قتال علي بعد تذكيره له بما مر فقتله ابن جرموز نايما بوادي السباع كما
تقدم وطعن بالبنا للمجهول سعد بن ابي وقاص سنة خمس واربع وخمسين وهو اخر من مات من
العشرة المبشرة بالجنة وقيل مات سنة ست وقيل سبع وخمسين وقيل سنة ثمان وقيل سنة
اثنان وثمانون وطعن يعني اصيب بالطاعون وهي من اقسام الشهادة ايضا وان يكن مثل غيره
من كل وجه ولذا اخره وقول بعضهم انه لم تنله الشهادة غير مناسب هنا الا ان يدخله في الصديقين
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي لسراقة بضم السين وفتح الرا المهملتين
مخفف وقاف وهو سراقة بن مالك بن جشم بن مالك بن عمرو ابو سفيان الكناني المدلجي سكن مكة

وهو الذي خرج في طلب النبي صلى الله عليه وسلم فساخت به فرسه في القصة المشهورة ياتي في كلام المص
الاشارة لبعضها ثم اسلم وتوفي سنة اربع وعشرين وقيل مات بعد عثمان وفي الصحابة من اسمه سراقة غيره
وفي هذا الاخبار عن الغيب وخص سراقة لانه اعرابي من البادية وليس مثله ممن يلبسه المترفون من ملوك العجم فانه
عظيمة من ايات النبوة وعز الدين كيف بك كيف استفهام عما ابهم من الاحوال وهو استخبار يتضمن التعجب
من حالته التي هو عليها لان كل احد لا ينفك عن حال من الاحوال اذا طلعيه ما لم يعهد مثله ونال ما لم ينل
امثاله فكني عما ذكر وفيه من البلاغة ما لا يخفى اذا لبست اي وضعت في يديك وساعديك ومثله يسمى
لبسا وان كان المعروف اطلاقه على ما يعم البدن من الثياب والحلل سواري مثنى سوار بضم السين وكسرها وفيه
اسوار بضم الهمزة وكسرها ايضا وهذا مما كان يتزين به العجم والملوك وان كان الان مختصا بالنسا عند العرب
وبعد الاسلام حتى يعاب على غيرهن كسرى تقدم انه كل من ملك العجم ويخص بعضهم وهو كسرى الذي ادرك
عهد الاسلام كما تقدم وان كافه مكسورة وتفتح وهو معرب خسرو ومعناه واسع الملك فلما اتي بهما
اي بسواري كسرى لعمر في زمنه ثني بصيغة المجهول معنى او وصل فعدي باللام وفي نسخة عمر بدونها البسهما اياه
اي سراقة تحقيقا لما اخبر به صلى الله عليه وسلم ويجوز البسا اياهما وقيل وهو الاولى وقال عمر رضي الله
تعالى عنه الحمد لله حمدا لله على تصديق كلمة النبوة واعزاز دينه وزوال شوكة اعدايه وما فتح الله على
يديه الذي سلبهما من يدي كسرى والبسهما سراقة وهو بدوي اعرابي متقشف هو من احاد امته صلى الله
عليه وسلم واصل الحديث كما في دلايل النبوة عن الحسن ان عمر رضي الله تعالى عنه لما اتي لسواري كسرى
بن هرمز وضعتا بين يديه وفي القوم سراقة وضعهما في يديه فبلغا منكبيه ثم قال له قل الله اكبر الله اكبر
وحمد الله لما من به من نعمة الفتح واعزاز الدين وكبر تعظيما لمالك الملك الذي يوتي ملكه من يشا وينزعه
ممن يشا فتبارك الذي بيده الملك الذي قصم من نازعه رداء كبريايه فلا سلطان الا سلطانه ولا عز لغير
من اعزه وليس في هذا استعمال للذهب ولبس لرجال له وهو من المحرمات لانه لم يفعله الا تحقيقا وتصديقا
لقول رسوله صلى الله عليه وسلم من غير ان يقرهما ومثله لا يعد استعمالا فلا حاجة لما قيل ان فيه مصلحة
ومفسدة ارتكبت المفسدة فيه لاجل المصلحة وهي تحقيق المعجزة فانه لا محصل له وقال صلى الله عليه
وسلم في جملة اخباره عن المغيبات في حديث رواه ابو نعيم في الدلايل والخطيب في تاريخه تبنى بالبنا
للمجهول والباني ابو جعفر الدوانيقي ثاني خلفا بني العباس مدينة هي البلدة العظيمة من التمدن وهو التعيش
والسكنى الكثيرة وتكون اكبر من البلدة والقرية بين دجلة بدال مهملة مفتوحة او مكسورة من دجله
غطاه ومنه الدجال لخفا امره وتخليطه في امره وهو علم لنهر مشهور بالعراق ولا يجوز دخول الالف
واللام عليه لانه علم مرتجل ودجيل مصغر علم نهر بالاهواز حفره ازدشير بن بابك اول ملوك بني ساسان
بالمداين عليه قرى كثيرة ومخرجه من اصبهان وقيل انه خليج تتشعب من دجلة وقطربل بضم القاف وسكون
الطا وضم الرا المهملتين وضم البا الموحدة المشددة وقد تخفف وتشدد اللام وهو موضع بالعراق
تنسب اليه الخمر والصراة بفتح الصاد المشددة والرا المخففة المهملتين ثم الف وها وهو نهر بالعراق
ايضا مشهور وهو الاصح المعروف وفي بعض النسخ والحراة بحا وبدل الصاد وهي بلدة بالعجم وقد صحب
عليه وصحح الصراة وهو المعتمد تجبى اليها اي يجمع ما لغيرها من البلاد الى تلك المدينة وهو عبارة عن انها

دار الخلافة

دار الخلافة العظمى وكرسي المملكة يقال لجبي الخراج والمال اذا جمعه للسلطان بامره خزاين الارض اي ما كان
مخزونا في غيرها من البلاد بيد اهلها يخسف بها اي يخسف الله ارضها ودورها باهلها وقد وقع
ما اخبر به صلى الله عليه وسلم من بنايها في الدولة العباسية وجباية الاموال اليها ونفي امر
الخسف وسيظهر كما اخبر به صلى الله عليه وسلم وقد ذكره الذهبي في ميزانه في ترجمة عمار بن
سيف الضبي الكوفي روى هذا الحديث وقال انه منكر جدا والله اعلم بامره يعني بغداد اسم المدينة
المشهورة وتسمى دار السلام وهو اسم اعجمي عرب وفيه لغات تقدم الكلام عليها وقال صلى الله عليه وسلم
في حديث رواه الامام احمد والبيهقي عن سعيد بن المسيب مرسلا وحسنه قال ولد لاخي ام سلمة من امها
غلام سموه الوليد فقال صلى الله عليه وسلم لا تسموا باسما اعنكم فسموه عبد الله فانه سيكون
في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لامتي من فرعون لقومه قال الاوزاعي كانوا يرون انه الوليد بن عبد
الملك ثم راوانه بن اخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك الجبار الذي كان مفتاح ابواب الفتن على هذه الامة
وكان ماجنا سفيها مدمنا للخمر نسب اليه ما يقتضي الكفر قيل ويجوز ان يراد كلاهما لخبثهما وعتوهما الا
ان الثاني اشقاهما وفي هذا معنى حسن وهو ان فرعون مصر الكافر كان اسمه الوليد كما اشار اليه في الحديث
وقال ابن الجوزي ان هذا الحديث موضوع فكانه ثبت عند المص فان موضوعات ابن الجوزي مدخولة تكلم
في كثير منها وصحح في الشرح الجديد ان المراد انما هو الثاني المعروف بالفاسق بويع بالخلافة بعد هشام
بن عبد الملك لست خلون من ربيع الاخر سنة خمس وعشرين ومايه واظهر من فسقه وولعه
بالملاهي وتهاونه بالدين امورا شنيعة لا حاجة لنا بها ولذا جعله صلى الله عليه وسلم شرا من فرعون
موسى مع الاتفاق على كفره لانه كان في زمان الكفر وهذا كان والاسلام غض طري وقال صلى الله عليه
وسلم في حديث رواه الشيخان لا تقوم الساعة اي لا ياتي زمانها ويقرب وانها حتى تقتتل فيتان اي طايفتان
وجيشان من هذه الامة المسلمة دعواهما في اعتقادهما ودينهما واحدة وهي الاسلام والدين الحق
وقد وقع هذا في صفين في وقعة علي ومعاوية رضي الله تعالى عنهما ثم سرى ذلك لكثير بعد ذلك فكم وقع
بين المسلمين من الحروب والوقايع التي لا تحصى الا ان الواقعة الاولى اول ما دهم اهل الاسلام من الامور
المنكرة التي كانت ثلمة في الدين وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي والحاكم عن الحسن
بن محمد مرسلا لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود ابو يزيد العامري
القرشي احد خطبا قريش اسلم يوم الفتح واستشهد باليرموك وقيل توفي بالشام سنة ثمان عشرة وقال
الواقدي توفي سنة تسع عشرة في طاعون عمواس وكان يقوم خطيبا يحرضكين على قتال النبي صلى الله
عليه وسلم فلما اسر يوم بدر قال عمر يا رسول الله انه رجل مفوه قد عني انزع ثنيتيه السفليين
فلا يقوم خطيبا عليك بعد اليوم لانه كان اعلم السفلي اي مشقوقها فاذا انتزعت ثنيتاه السفليان
يندلع لسانه فلا يطيق الكلام وهذا من عمر رضي الله تعالى عنه امر بديع فقال صلى الله عليه وسلم
لعمر دعه عسى ان يقوم مقاما اي يقوم خطيبا في مقام ينفع بخطبته وياتي بما يحمد مقاما ته الاول وقدم
ان عسى من الله ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحقيق يسرك يا عمر فكان كذلك اي وقع ما قاله
صلى الله عليه وسلم وتحقق ما اخبر به من المغيبات عنه وسر المسلمين مقامه لما قام بمكة مقام

ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه اي مثل مقامه بالمدينة وخطب بخطبة مثل خطبته يوم بلغهم اي بلغ المسلمين
بمكة موت النبي صلى الله عليه وسلم وخطبهم في مقامه بمكة بنحو خطبته اي بخطبة مثل خطبة ابي بكر
بالمدينة لفظا ومعنى ثم بين المماثلة بقوله وثبتهم اي ثبت المسلمين على دينهم وقوى بصائرهم باعلامهم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر وكل نفس ذائقة الموت فقال من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات
والله حي لا يموت وابو بكر رضي الله تعالى عنه قال من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله
حي لا يموت فتواردا على معنى واحد في مقام غفل فيه كثير من كبار الصحابة دهشة من هذه المصيبة العظيمة
وقال صلى الله عليه وسلم كما رواه ابن اسحاق والبيهقي لخالد بن الوليد حين وجهه اي ارسله صلى الله
متوجها لاكيدر بضم الهمزة وكاف مفتوحة وشناة تحتية ساكنة ودال مكسورة وراء مهملتين
تصغير اكدر ويقال له اكيدر دومة بضم الدال المهملة وقد تفتح ويقال له دومة الجندل ويقال
دوما بالمد وهي ايليا وهو موضع بين مكة وبرك الغماد وبين الحجاز والشام سميت بدومان بن اسماعيل
لانه كان ينزلها انك تجده اي تصادف اكيدر يصيد البقر اي بقر الوحش لانها التي تصاد وكان صلى الله عليه
وسلم بعثه في اربعمائة وعشرين فارسا الى اكيدر بن عبد الملك بن عبد الحي بن اعيا بن الحارث بن معاوية
الكندي كما قاله الخطيب والماوردي وفي مختصر الشافعي انه من كندة او غسان وكان نصرانيا قد ملك
دومة واهلها فاتاه خالد رضي الله تعالى عنه في ليلة مقمرة فوجده يصطاد الوحش هو واخوه حسان
فشدوا عليه فاستاسر اكيدر وقاتل اخوه حتى قتل فقدم به على النبي صلى الله عليه وسلم فصالحه على
الجزية وحقن دمه وخلى سبيله فمات نصرانيا وقال البلاذري انه عاد الى دومة فلما توفي رسول الله
صلى الله عليه وسلم نقض العهد فحاصره خالد وقتله مشركا نصرانيا وقيل انه اسلم واهدى
للنبي صلى الله عليه وسلم حلة سيرا فوهبها لعمر وعده ابن منده وابو نعيم في الصحابة وقال ابن الاثير ان الهدية
صحيحة واما اسلامه فغلط باتفاق اهل السير وقيل انه اسلم ثم ارتد بعده صلى الله عليه وسلم
وعلى هذا لا يعد في الصحابة ايضا فوجدت بالبناء للمجهول هذه الامور المذكورة في هذا الفصل كلها ع
حيا له بعد ما اخبرها ووجد بعضها بعد موته كما قاله صلى الله عليه وسلم اي مطابقة لخبره وهما
ثلاثه له منتهية او مضمومة اليها اخبر بجلسائه من الصحابة من اسرارهم اي ما اسروه واخفوه وبواطنهم
اي امورهم المخفية وقلوبهم وهو بيان لما اخبر به واطلع عليه عطف على ما اخبر به من اسرار المنافقين
اي ما استروه في انفسهم ولم يخبروا به احدا منهم ولا من غيرهم او ما كانوا يقولونه سرا بينهم بحيث لا يقف
عليه المؤمنون وكفرهم المضمر في قلوبهم مع اظهارهم الايمان وقولهم فيه اي في حق النبي صلى الله عليه
وسلم وفي المؤمنين وهو معطوف على اسرار المنافقين عطف تفسير كقوله رئيسهم ابن ابي لهم
وقد استقبله الصحابة انظروا كيف ارد هولاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر وقال له مرحبا بسيد بني تيم
وشيخ الاسلام وثاني اثنين في الغار وباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد
عمر فقال له مرحبا بسيد بني عدي الفاروق في دين الله ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف
رايتموني فعلت فاثنوا عليه خيرا ان بكسر الهمزة وسكون النون المخففة من الثقيلة واسمها ضمير شان

مقدر

مقدر كان بعضهم اي بعض المنافقين يقول وفي نسخة ليقول لصاحبه اي من هو معه منهم اذا اراد ان يتكلم
بشيء في حقه صلى الله عليه وسلم سرا معه اسكت ولا تنطق بشيء من امره ثم بين وجه امره بالسكوت
مقسما عليه ليحققه ما قاله فوالله لو لم يكن عنده من يخبره بما نقوله في شانه من ملك او جن يبلغه
ما يقال فيه لاخبرته حجارة البطحاء وهي ارض مستوية يسيل فيها الماء والمراد بحجارتها ما فيها من الحصباء
يعني ان الحجارة تعلمه بما غاب عنه وهذا اشارة ايضا لما وقع له صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة
وامر بلالا بان يعلو ظهر الكعبة ويوذن عليها وابو سفيان بن حرب وعتاب بن اسيد والحارث
بن هشام جلوس بفناء الكعبة فقال عتاب لقد اكرم الله اسيدا اذ لم ير هذا اليوم وقال الحارث
اما وجد محمد موذنا غير هذا الغراب الاسود فقال ابو سفيان لا اقول شيئا ولو تكلمت لاخبرته هذه
الحصباء فخرج عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال علمت الذي قلتم وذكر مقالتهم فقال الحارث
وعتاب نشهد انك رسول الله ما اطلع على هذا احد كان معنا فنقول اخبرك به واعلامه بالجر
معطوف على ما اخبر به وهو اشارة الى ما في الصحيحين عن عائشة رضي الله تعالى عنها وهو مصدر مضاف
لفاعله ومفعوله محذوف اي اعلامه الناس بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الاعصم وهو يهودي
من بني زريق وقصة سحره مشهورة في السير والتفسير وكونه اي السحر المذكور الذي وضعه في مشط
بضم الميم وكسرها وسكون الشين المعجمة وطاء مهملة اسم آلة معروفة يسرح بها الشعر ويقال له ممشط
ايضا ومشاطة بضم الميم وهي ما يسقط من الشعر اذا سرح وفي نسخة مشاقة بقاف بدل الطاء وهما
بمعنى والاول من الشعر والثاني من الكتان في جف بضم الجيم وتشديد الفاء وهو وعاء الطلع الذي يكون
عليه كالغشاء وفي نسخة جب بباء موحدة بمعنى داخل وجوف ومنه جب البير وهو مضاف لقوله طلع
نخلة ذكر والطلع ما يخرج من النخل في طرف منطبق عليه معروف والنخل منه ذكر وانثى تحمل بثمرها المعروف
وانه بفتح الهمزة والضمير للسحر المذكور الذي في بير ذروان اي وضع في هذه البير وهي بير بالمدينة لبني زريق
وهي بذال المعجمة مفتوحة وراء مهملة ساكنة وواو بزنة فعلان فكان ما اخبر به رسول الله صلى الله
عليه وسلم كما قال ووجد السحر على تلك الصفة التي وصفها فهو من اخباره بالغيب بوحي من الله
كما فصلوه وعن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها ان صلى الله عليه وسلم لما سحر قال
اتاني رجلان فقعد احدهما عند راسي والاخر عند رجلي فقال احدهما لصاحبه ما وجع الرجل قال
مطبوب اي مسحور قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال في اي شيء قال في مشط ومشاطة وجف طلع
ذكر قال واين هو قال في بير ذروان فجاءها صلى الله عليه وسلم في ناس من اصحابه فاستخرجه فلما رجع
قال يا عائشة كان ماءها نقاعة الحناء وكان رؤوس نخلها رؤوس الشياطين فقالت هلا اخرجته
يا رسول الله قال قد عافاني الله فكرهت ان اثير على الناس منه شرا فامر بها فدفنت قال ابو عبيدة
هو عند المحدثين هكذا بير ذروان وقال ابن قتيبة عن الاصمعي هو خطا وصوابه اروان بالهمزة
انتهى وفي القاموس بير ذروان بالمدينة وهي ذروان بسكون الراء وقيل بتحريكها انتهى وفي مسلم
بير ذي اروان قال النووي وهو صحيح والاول اجود واصح ويحتمل ان الاول مخفف منه واعلامه
صلى الله عليه وسلم قريشا كما رواه البيهقي عن الزهري في الدلائل باكل الارضة بفتحات دودة

تاكل الورق وتستكون بعيه اذا انطبق زمانا بحيث لايمر به الهوا وهي معروفة وعلى انواع ومنها ما ياكل الخشب
فمن فسروها هنا بدويبة تاكل الخشب قال تعالى ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته والارض
بالسكون مصدر ارضت اذا كانت بها ارضة اضيفت اليه لانها لم تطق الفعل وليست هي الدابة المسماة
سرفة كما قيل وكذا من قال انها سوس الخشب ما في صحيفتهم الاضافة للعهد اي الصحيفة المشهورة
وسياتي بيانها التي تظاهروا بها اي تعصبوا وتعاونوا باتفاقهم على عهود كتبوها في تلك الصحيفة
كما سياتي على بني هاشم وهم فخذ من قريش وقطعوا بها رحمهم اي قصدوا بما كتب في الصحيفة قطع
رحمهم اي قرابتهم اي ابطلوا حقوق القرابة بينهم وبين بني عمهم من بني هاشم واصل الرحم مقر الولد
ثم شاع في القرابة حتى صار حقيقة فيها وانها اي الارضة وهو معطوف على اكل الارضة اي واعلامه
صلى الله عليه وسلم بانها ابقت فيها اي الصحيفة كل اسم لله دون غيره مما عاهدهم عليه فمحته
لانه باطل وابقت اسم الله تبركا وتادبا وهذا على احدى الروايتين والاخرى سياتي وتوجيهها فوجدوها
كما قال صلى الله عليه وسلم والخبر عن الغيب فهو من معجزاته وما ذكره المص من انها ابقت اسم الله
تعالى تادبا ومحت غيره للاشارة الى ان امرها ظل على احدى الروايتين كما علمت وفي رواية اخرى انها لحست
اسم الله وابقت غيره من عهودهم الفاسدة للاشارة الى ان الله بريء منهم وانه لا يليق ذكر اسمه
بين ذكر عهودهم ولكل وجهة والروايتان ذكرهما ابن سيد الناس في سيرته فاذا صحت الروايتان اشكل
ذلك لان القصة واحدة والصحيفة واحدة وقول البرهان في التوفيق بينهما ان نقل رواية انها لحست
اسم الله اقوى والمعول غالبا هو عليها اذ كتب لنسختان علقت احداهما في الكعبة والاخرى كانت عندهم
بعيد اذ لم يقع ذلك في رواية اصلا وقد قيل ان كاتبها شلت يده وهو منصور بن عكرمة وقيل
بغيض بن عامر بن هشام وحاصل قصتها انهم لما اشتد عليهم امره صلى الله عليه وسلم واشتد
على المسلمين قهرهم ارادوا قتله فلم يرض به ابو طالب وبنو هاشم فقالوا اما ان تسلموه لنا او تعتزلوا
عنا جميعا في الشعب بحيث لا تعاملونا ولا تجتمعون معنا فرضوا بذلك وكتبوا بالعهد صحيفة
علقوها في الكعبة فكان كلما جاء اهل البادية بما يباع منعوهم عنهم فمكثوا ثلاث سنين كذلك حتى
ضاق عليهم الحال وندم بعض قريش وارادوا نقض العهد فبينما هم كذلك اذ قال النبي صلى الله عليه
وسلم لابي طالب يا عم ان الله ابطل عهدهم واكلته الارضة فخرج اليهم فظنوه انه اتاهم ليسلم
لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالقصة فاتوا بالصحيفة فوجدوها كما قال فاذن لهم بالخروج
من الشعب على ما فصل في السير وكان ذلك مما اطلعه الله تعالى عليه وهذا يقتضي صحة ما قاله
المص وان الرواية الاخرى غير ثابتة عنده وعلى كل حال فلم نجد ما يشفي الصدور ووصفه لكفار
قريش بعد الاسراء كما تقدم تفصيله بيت المقدس مفعول وصفه وقوله حين كذبوه في خبر الاسرا
اي في اخباره بانه اسرى به لبيت المقدس ونعته اياه اي بيت المقدس نعت من عرفه بالنصب مفعول
نعته والنعت والوصف متقاربان والمص غاير بينهما تفننا وقيل النعت يقال في غير الله ولا يقال نعت الله
كما ذكره بعض النحاة ولم يذكر له وجها واعلامهم بالجر اي اعلام الكفار بعيرهم بكسر العين اي
قافلتهم من عار بمعنى سار واما بالفتح فهو الحمار وليس بمراد هنا التي مر عليها في طريقه لما رجع من الاسرا

وانذارهم بوقت وصولها لهم والانذار هنا بمعنى الاعلام مجازا واصله التخويف والاخبار بما فيه خوف
ضد التبشير كما تقدم ومن فسره بالتخويف هنا لم يصب يعني قوله صلى الله عليه وسلم انها تقدم
وقت كذا يقدمها جمل اورق كما مر وكان ذلك اي وجد ووقع كما قال صلى الله عليه وسلم من غير
زيادة ولا نقص فيما اخبر به وقد قدمنا تفصيله ثمة فلا حاجة لاعادته الى ما اخبر به من الحوادث
اي ما تقدم بيانه وينضم لغيره مما اخبر به مما سيحدثه الله بعده من الامور التي تكون في المستقبل
ولم يات بعد مبني على الضم اي لم يقع عقب اخباره بل بعده بازمان متباعدة بعضها ظهرت مقدماته
وبعضها لم تظهر فاذا جاء الاوان يجيء فان خبره صلى الله عليه وسلم لا يتخلف والى ذلك اشار
بقوله منها ما ظهرت مقدمات بكسر الدال اي علامات المتقدمة كقوله صلى الله عليه وسلم
في حديث رواه ابو داود في سننه عمران بيت المقدس بضم العين مصدر كالغفران بمعنى كونه
معمورا بتمام بنايه وكثرة سكانه وذلك باستيلاء الكفرة عليه وتعميره وتقدم معنى كونه مقدسا
بما فيه وهو مبتدا خبره خراب يثرب بالمثلثة ومنع الصرف وهو اسم المدينة الشريفة وجعله عينه
مبالغة كقولهم عتابه السيف وليس المراد به التشبيه فالحمل في قوله عمران بيت المقدس خراب يثرب
وما بعده على طريق المجاز في النسبة الاسنادية بجعل ما يقرب من الشيء ويلاصقه كانه هو بعينه فلا
يقال انه غيره فكيف اخبر به عنه وخراب يثرب الذي يعمر عنده بيت المقدس خروج الملحمة اي ظهورها
والملحمة بميم مفتوحة ولام ساكنة وحاء مهملة وهي موضع المعركة والقتال ويكون بمعنى الحرب نفسه كما في النهاية
الاثيرية وفي الصحاح انها الوقعة العظيمة في الفتنة من التحم بمعنى اشتبك ودخل بعضه في بعض كالسدا
واللحمة او من اللحم لكثرة لحوم القتلى فيها ومنه الملحمة اسم كتاب يذكر فيه احكام النجوم واثار الجو من السحاب
ونحوه والمراد به الفتن العظيمة والهرج الذي يكون في اخر الزمان وخروج الملحمة فتح القسطنطينية وفي نسخة
قسطنطينيه بغير الف ولام وبعد النون الثانية يا تشدد وتخفف وهي مدينة عظيمة هي قاعدة ديار
الكفر وكرسيها وهي منسوبة لقسطنطين اسم اول ملك بناها وهو اول من اظهر دين النصرانية وهي مدينة
عظيمة الشكل منها جانبان في البحر وجانب في البر ولها سبعة اسوار وسمك سورها الكبير احدى
وعشرون ذراعا وفيه مائة باب وبابها الكبير يسمى باب الذهب وهو باب مموه بالذهب وفيها منارة
من نحاس قد قلبت قطعة واحدة وليس لها باب وفيها منارة قريبة من مارستانها قد البست كلها بالنحاس
وعليها قبر قسطنطين وهو راكب على فرس وقوايمه محكمة بالرصاص ما عدى يده اليمنى فانها مطلقة
في الهوى لانه سائر والملك على ظهره ويده موقوفة في الجو وقد فتح كفه يشير نحو بلاد الشام ويده
اليسرى فيها كرة مكتوب عليها ملكت الدنيا حتى بعثت وكفى مثل هذه الكرة وخرجت منها كما ترى وفيها
لغات ضم القاف وفتح الطا الاولى وضمها مع تخفيف اليا الاخيرة وتشديدها وحذفها فهي ستة ووقعت
في الحديث بالالف واللام واستعملها الناس بحذفها كقول ابي تمام حتى النوى من نفح قسطلها على
حيطان قسطنطينة الاعصار وهي المسماة برومية وقد اختلف هل فتحت هذه ام لا فقيل فتحت
في زمن الخلفا والاصح انها انما تفتح في اخر الزمان قبل خروج المهدي وهو الذي صححه المقدسي في كتاب الدرر
في اخبار المهدي المنتظر والنحاة وقعهم في اللبس اشتراك الاسم فانه سمي بها مدن متعددة والمذكور

فى هذا الحديث كله يكون اذا قرب نزول عيسى عليه الصلاة والسلام وكذا ما معه من الاشراط واليه اشار
بقوله ومن اشراط الساعة واياتها حلولها معطوف على قوله من الحوادث والاشراط جمع شرط بفتحتين وهى
العلامة قيل والمقدمة وهى والاية بمعنى وقيل هى ما يذكره الناس من صغار امورها وعلامات القيامة التى
تكون فى اخر الزمان كالدجال ودابة الارض وغيرهما مما هو مشهور غنى عن البيان وهذا كله مما اخبر به صلى الله
عليه وسلم من المغيبات وقد فصله القرطبى فى تذكرته وذكر النشر والحشر الذى هو اخر الاشراط واخر الدنيا
اذا نفخ فى الصور والنشر للميت ان يحيى فيقوم من قبره من نشر الثوب اذا بسطه قال الشاعر طوتك
خطوب دهرك بعد نشر كذاك خطوبه طيا ونشرا والحشر سوق الناس الى المحشر للحساب واخبار
الابرار بالجزاء مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما ورد فى الحديث من اخباره عن صلحاء امته ونجائهم
واخبارهم بما يسرهم وتفريح اعينهم واخبار غيرهم بما يسوءهم ويبكيهم فاخبار بفتح الهمزة جمع خبر وبكسرها مصدر
خبر والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وصاحب واصحاب وهو النقى الصالح والفجار جمع فاجر وهو الفاسق
المجاهر بالمعاصى والمعنى انه صلى الله عليه وسلم اعلم امته بما سيكون فيهم وهو كثير فى الاحاديث والجنة
والنار اى ذكر احوالهما واهلهما وما سيكون فيهما وعرصات القيامة بفتحات جمع عرصة بسكونها وهو كل
موضع واسع لا بناء فيه اى مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما ورد فى الحديث من بيان مواقف القيامة
وعرصاتها ووصفها بصفاتها وبحسب هذا الفصل الزيادة كما فى قولهم بحسبك درهم وهو بسكون السين
المهملة مبتدا خبره ان يكون ديوانا اى كتابا مدونا مستقلا وقد تقدم لفظ الديوان ومعناه وهذا
الفصل اشارة الى الفصل المعقود لاخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات وهذا عبارة عن المبالغة
فى كثرته كما ذكره فى اوله وانه لو الف فيه تاليف مستقل دون غيره من معجزاته لم يكن امرا غريبا مفردا عن غيره
من المعجزات يشتمل ذلك الديوان المفرد له على اجزاء تميز انواعه وافراد كل نوع بباب وحده منفردا من بينها
ثم اغتذر لعدم افراده بالتاليف بقوله وفيما اشرنا اليه اى ما ذكره فى هذا الفصل منه وهو خبر مقدم
نكت من نكت الاحاديث التى ذكرناها اى لطائف وفوائد نفيسة وقد تقدم بيان النكت مفصلا وقوله كفاية
مبتدا موخر ولو حذف قوله نكت كان احسن لانه اذا كان نكت مبتدا كان قوله كفاية مبتدا اخر او بدلا او صفة بتاويله
بكافية وكله تكلف اى المقدار الذى قد اقتصر عليه المص كاف عن افراده بالتاليف واكثرها اى النكت المذكورة
فى هذا الفصل منقول فى الصحيح من كتب الحديث المعتمدة وموجود عند الايمة من علماء الاثر ومشايخ المص
وفى تعبيره بالاكثر اشارة الى ان فيه ما هو ضعيف ولم يثبت كما بيناه لك فى اثناء شرحه

فصل

فى عصمة الله له صلى الله عليه وسلم من الناس اصل معنى العصمة الامساك والشد قال الراغب الاعتصام
التمسك فى الشىء واستعصم استمسك كانه طلب ما يعتصم به من ركوب الفاحشة وعصمة الله للانبياء عليهم
الصلاة والسلام حفظه اياهم بما خصهم من صفاء الجوهر ثم بما اولاهم من الفضائل الجسمية والنفسية
ثم بالنصرة وتثبيت اقدامهم ثم بانزال السكينة عليهم وبحفظ قلوبهم وبالتوفيق انتهى يعنى ان حقيقتها
التمسك ثم صار حقيقة فى المنع عن ارتكاب المعاصى وفى الحفظ من نيل المضرة من اعدائهم والمراد هنا المعنى
الاخير كما اشار اليه بقوله وكفايته من اذاه اى كفاية الله اياه بحفظه ممن قصد اذيته والمراد بالناس
ما يشمل الانس والجن فانه ورد بهذا المعنى كما ذكروه فى تفسير المعوذتين وخصهم لانهم الذين عادوه

صلى الله

95

صلى الله عليه وسلم وقصدوا اذيته وقوله من اذاه من ذكر العام بعد الخاص ليشملهم صريحا
واستشهاده له بقوله قال تعالى والله يعصمك من الناس يقتضى انه لم يقصد الاخير بحسب الظاهر وهذه
الاية وسورتها مدنية على الاشهر وقال العلامة الخيضرى فى الخصايص يرده ما روى عن ابن عباس وغيره
انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج بعث معه ابو طالب من يحرسه حتى نزلت هذه
الاية فقال له يا عم ان الله عصمنى من الجن والانس فلا حاجة لى بمن تبعثه معى وهذا يدل على انها مكية وفى مسلم
عن عايشة رضى الله تعالى عنها ارق رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة اى عند مقدمه المدينة
فقال ليت رجلا صالحا من اصحابى يحرسنى الليلة فسمعت صوت السلاح فقال من هذا قال سعد ابن ابى وقاص
جئت لاحرسك فنام حتى سمعنا غطيطه وروى الترمذى عن عايشة رضى الله تعالى عنها قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت الاية الخ اى فهذا يدل على انها مدنية فيحتاج للجمع وكونها نزلت مرتين
بمعنيين فالناس على الاول اهل مكة والثانى اعم خلاف الظاهر ثم قال اكثر المفسرين ان هذا الذى كان يخشاه
فعصم منه القتل لا الاعم فلا يرد عليه انه اذا عصم لم لبس الدرع وشج وكسرت رباعيته وكان
يحرس مع انه قيل انه كان تشريعا لامته ليأخذوا بالحزم وكسر الرباعية والشج قيل انه حكمة وهى كما مر
ان يشارك المؤمنين فى المصيبة لتسليته لهم عما نالهم من فقد احبابهم وليشتد غيظهم على الكفار فيشتد
بطشهم بهم انتهى واما العصمة عن الذنوب فسياتى فى محله والى ما قدمناه اشار فى الكشاف ومن لم يفهم
كلامه اعترض عليه بما لا محصل له وقد تقدم انه صلى الله عليه وسلم سم بخيبر وقال انه سبب موته
لقوله اكلة خيبر قطعت ابهرى وقالوا حكمته ان ينال اجر الشهادة ورتبتها مع مرتبته العلية فيرد هذا
على ما قالوه واجيب بان الله كفاه قتله بالسم حين اكله فلم يوثر فيه فلما قضى اجله اثر فيه بقيته لعلو
مقامه وليس لاحد صنع فيه والقول بان الشج وغيره كان قبل نزول الاية ينافيه ثبوت انها نزلت بمكة
ولا مانع من ضمان الله عصمته بوحى غير متلو بمكة وضمانه بالمتلو بالمدينة انتهى ولا يخفى ما فى كلامه كما
يعلم مما مر وقصة السم غير واردة على العصمة من القتل لان المفهوم منه حفظه عن ان يقتله عدوه مجاهرة
بالبطش فيه بسلاح ونحوه خصوصا ولم يظهر له اثر حال اكله ولا بعده مما يطلع عليه اعداوه وانما كان
بالسراية بعد زمان طويل ومثله لا يعد قتلا وقال تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا امره بالصبر
على اعباء الرسالة ومشقة تبليغ ما امر بتبليغه ثم سلاه بان لا يخاف من احد فانه محفوظ بعين العناية
من الله فاستعار العين للحفظ وجمعها جمع قلة لانه محفوظ من جهاته الست ومن ظاهره وباطنه
وهذا اظهر مما فى الكشاف ومما قيل انه للمبالغة والتاكيد قال الراغب يقال فلان بعينى اى احفظه وارعيه
كقولهم هو منى بمرأى ومسمع وقوله واصنع الفلك باعيننا اى بحيث نرى ونحفظ وفيه كلام مفصل
ليس هذا محله وقال اليس الله بكاف عبده فيه اثبات كفاية الله تعالى له على ابلغ وجه لانه استفهام
انكارى وهو نفى معنى ونفى النفى اثبات بمعنى ان عبادى يحفظون عبيدهم فكيف لا احفظ عبدى ولما كان
العبد غير معين هنا اشار بقوله نقلا عن السلف انه قيل ان معناه بكاف محمدا المراد بعبده لان الاضافة
عهدية اعداءه المشركين وبهذا يكون دالا على المقصود ومطابقا لما قدمه وما قيل من انها نزلت لما قالوا له
صلى الله عليه وسلم اما تخاف ان تخبلك الهتنا لكونك تعيبها ليس مطابقا لهذا المقام وقوله

اعداه المشركين باباه وقيل في تفسير هذه الاية غير هذا كالقول بان المراد انه تعالى تكفل بارزاق جميع عباده
ويؤيده انه قرئ بكاف عباده بصيغة الجمع ومما يدل على عصمة الله تعالى قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين
الهزو السخرية والتهكم على سبيل التحقير والمراد بهم نفر من قريش كانوا يؤذونه صلى الله عليه وسلم ويهزؤن
فاهلكهم الله لما اشتدت اذيتهم ودعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بينه المفسرون
والمحدثون في تفسير هذه الاية وهذا نوع من حفظ الله تعالى له بتعجيل اهلاك عدوه وقد تقدم الكلام
على هذه الاية وبيان هولا المستهزئين وذكر هلاكهم والمقصود من ذكر هذه الايات الاستدلال
على ما عقد له الفصل بما يدل عليه وبذكر بعض افراده المثبت لمراده وقال واذ يمكر بك الذين كفروا الاية
وقد تقدمت هذه الاية وبيان معناها وانما اتى بها المصنف هنا استشهادا على عصمة الله له كما هو دابه والمكر
الحيلة والخداع ولا يوصف به الله الا مجازا على طريق المشاكلة وهي اشارة الى ما كان منهم بدار الندوة وهو
مشهور غير محتاج للبيان واعلم ان الشيخ الاكبر قال في بعض رسايله ان الله تعالى كما عصم نبينا في حياته
عصم روياه في المنام بعد وفاته من دعاية الشيطان التخيل وتمثله في صورته الشريفة كذانه معصوم
من ان تؤذيه الاحلام وعبارته كل من يرى في المنام فيمثله في خيال الراى الملك او النفس او الشيطان الا
الانبيا عليهم الصلاة والسلام فان الشيطان لا يتمثل بهم عصمة لهم كما كانوا في حياتهم معصومين
في البواطن من القايه فانسحبت عليهم حياة وموتا في المحل الذي كانوا معصومين فيه والروية والنوم
من عالم الباطن انتهى ثم شرع في ذكر الحديث الذي رواه الترمذي عن عايشة فقال اخبرنا القاضي الشهيد
ابو علي الصدفي الاندلسي المعروف بابن سكرة ووصف بالشهيد لانه استشهد في وقعة بالاندلس وقد
تقدم الكلام عليه وترجمته والصدفي بفتحتين نسبة لصدف بفتحتين قرية بقرب قيد وان يقرا عليه
لا بالاجازة والفقيه الحافظ ابو بكر محمد بن عبد الله المعافري هو القاضي ابو بكر بن العربي ويقال
ابن عربي ايضا معرفا ومنكرا وبعضهم يخصه بالتعريف ويقول بن عربي بدونها لهو الشيخ محي الدين
الصوفي نفعنا الله تعالى به وهذا المذكور هو محمد بن عبد الله صاحب التصانيف الجليلة وابوه
من كبار اصحاب ابن حزم الظاهري وابنه ممن اخذ عن الغزالي وغيره ورحل لملاقاة الكبار والاخذ
عنهم وتوفي بفاس في ربيع الاخر سنة ثلاث واربعين وخمسماية والنسبة لمعافر بفتح ميم وعين مهملة
وفا وراء مهملة وميمه مفتوحة وحكي في اسم الحي الضم وانكره بن السكيت حي من همدان وبلدة
لا ينصرف واليه تنسب الثياب المعافرية قال احدثنا ابو الحسين الصيرفي المبارك بن عبد الجبار
والحسين بالتصغير وما في بعض النسخ الحسن مكبرا خطا من الناسخ وقد تقدمت ترجمته قال
حدثنا ابو يعلى بفتح المثناة التحتية واللام والف البغدادي نسبة للمدينة المعروفة قال حدثنا
ابو علي السنجي نسبة لسنج بسين مهملة مكسورة ونون وجيم وهي قرية بمرو قال حدثنا ابو العباس
المروزي وهو محمد بن احمد ابن محبوب راوي الترمذي وقد تقدم قال حدثنا ابو عيسى الحافظ
ابن سعد الترمذي صاحب السنن امام الحديث المشهور شهرته تغني عن ذكره قال حدثنا عبد بن حميد
بلا اضافة العبد وقد تقدم قال حدثنا مسلم بن ابراهيم الازدي الفراهيدي ابو عمرو الامام
الحافظ الذي خرج له الستة توفي سنة مايتين واثنين وعشرين قال حدثنا الحارث ابن عبيد ابو قدامة

الايادي البصري له ترجمة في الميزان عن سعيد بن الجريري بضم الجيم وفتح الرا كالمصغر نسبة لجرير الضبي كما
في الكشاف للذهبي عباد وترجمته في الميزان عن عبد الله بن شقيق التابعي العقيلي من كبار التابعين توفي سنة
ماية او ثمان وماية عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس بصيغة المجهول اي يحرسه
الصحابة رضي الله عنهم في وقت الحاجة لذلك كالليل ووقت القيلولة اذا كان خارج بيته حتى نزلت هذه
الاية والله يعصمك من الناس ونزولها بالمدينة لان سورة المايدة من اخر ما نزل وتقدم قول اخر بانها مكية
لكن الصحيح خلافه وفي بعض الحواشي عن ابن عرفة انهم اختلفوا في صحة الدعا بالعصمة لغير النبي صلى الله
عليه وسلم والاية تدل على صحته فان العصمة مقولة بالتشكيك وقد كان صلى الله عليه وسلم
معصوما قبل نزولها والمراد بالناس الكفار فهو عام مخصوص ولا مانع من ابقايه على عمومه لان من المسلمين
من تتصور اذيته له من غير قصد انتهى قلت قال شيخنا والذي للشهاب بن حجر في شرح الارشاد اختلف في سوال
العصمة فقيل يجوز لقول مالك والشافعي في الرسالة نسالك العصمة وكذا قول الشاذلي نسالك
العصمة في الحركات والسكنات وفي الحديث اذا دخل احدكم المسجد فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم
وليقل اللهم اعصمني من الشيطان وقيل يمتنع والحق انه ان سال التوقي عن جميع المعاصي والرذايل في جميع
الاحوال امتنع لانه طلب مقام النبوة فان قصد التحصن عن افعال السوء فلا باس انتهى وهذا كله كلام
غير مهذب لان العصمة لها معنيان احدهما الحفظ من اذية الناس والثاني حفظه في نفسه عن ارتكاب المعاصي
وكل منهما يكون مقيدا ومطلقا فان قيد فهو جايز فيهما كاللهم احفظني من الكذب والزمانة او اللهم
احفظني من باس الكفار واعصمني من كيد الشيطان والفجار او اطلق فيهما ولا مانع منه ايضا اذ لا مانع
ان يقول اللهم اعصمني من جميع الذنوب ومن جميع الناس فانه امر مطلوب وقوله انه طلب مقام النبوة
كلام واه والذي اختص به الانبيا عليهم الصلوة والسلام وقوعه لهم لا طلبه فقد خلط هولا العصمتين
ولم يقفوا على الفرق بين المقامين فاعرفه فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من القبة بالضم
وتشديد الموحدة وهي كل ما يرفع من البنا والخيمة والخبا من قبب اذا علا وليس معناه ما هو مستدير
على شكل كري كما تفهمه العامة فانه عرف طارئ والمراد به هنا خبا كان فيه صلى الله عليه وسلم في بعض
اسفاره وقيل انه بيت صغير مستدير من الخيام وبيوت العرب ومن يحرسه من الصحابة ناس كثيرون
عدهم الحلبي في شرحه ولا يترتب عليه فايدة هنا فلذا تركناه فقال لهم يا ايها الناس انصرفوا من حولي
واتركوا حراستي فقد عصمني وحفظني ربي عز وجل فلا حاجة لي ان يحرسني الناس وروي بصيغة المجهول
انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اي اقام به زمانا اختار اصحابه شجرة يقيل تحتها من قال يقيل
قيلولة اذا نزل في وقت القايلة وهي الظهيرة وما قرب منها للاستراحة سوا نام ام لا وان كثر فيها
النوم فاتاه اعرابي هذه فاء فصيحة اي فاختار واله في بعض اسفاره شجرة لقيلولته فنزل تحتها وليس
معه من يحرسه فاتاه الخ والاعرابي رجل من اهل البادية تقدم بيانه فاخترط سيفه اي سله واخرجه
من قرابه ليضربه به وضمير سيفه اما للاعرابي فمعناه سل سيفا كان معه او للنبي صلى الله عليه وسلم
فانه كان سيفه معلقا بالشجرة فلما هجم عليه الاعرابي اخذه وسله وهو صريح ما ياتي في لفظ رواية
الصحيحين واصل معنى الاخترات ازالة ما على القضيب من ورق وقشر فشبه ازالة غمده بذلك

او هو من اخترطه اذا اخرجه من خريطته بجعل الغمد كالخريطة ثم قال الاعرابي بعد اختراطه له صلى الله عليه
وسلم من يمنعك منى الاستفهام انكارى بمعنى النفى اى لا يمنعك منى احد لانى دخلت على حين غفلة وليس
معك احد وعطف بثم والظاهر الفا اذ لا مهلة هنا فاما ان يكون تربص لينظر ما يصنع او كان اتاه من خلفه
او استعمل ثم بمعنى الفا وهو كثير فقال الله اى يمنعنى الله او الله منعنى وحمانى فارعدت يد الاعرابي وقع
فى بعض النسخ بالهمزة المضمومة مبنى للمجهول اى اصابته رعدة بكسر الرا وفتحها وهى اهتزاز اليد واضطرابها
من غير قصد لشدة الخوف وقال التلمسانى انه الصواب يعنى لا رعدت الثلاثى وهو خطا منه فان الذى
صححه البرهان انه رعدت ثلاثى مبنى للمفعول وتبعه الشمنى وغيره وقالوا انه من الافعال التى لم يسمع فيها
الا المجهول كحج وهو الموافق للرواية واللغة وسقط سيفه من يده لشدة ارتعاده من خوفه وضرب
ذلك الاعرابي براسه الشجرة لما اعتراه من ذهاب عقله فلم يزل ينطحها حتى تكسر عظم راسه وسال
دماغه لما كسر قحفه الذى كان فيه الدماغ فنزلت الآية المذكورة والله يعصمك من الناس الخ وسيلان
دماغه لانه كالدهن فلما انكسر راسه سال منها وليس فيه كما توهم حذف لتذهب النفس كل مذهب
ممكن اى سال دما او نحوه وهذا الحديث بهذا اللفظ قالوا لم يوجد فى الكتب المعتبرة عند اهل الاثر
ولم يذكروه فى اسباب النزول واليه اشارة ما بقوله وقد رويت هذه القصة يعنى قصة الاعرابي
فى الصحيح اى فى الحديث الصحيح وفى صحيح البخارى وان غورث بن الحارث وفى نسخة غويرث بالتصغير
وغورث بغين معجمة مضمومة وواو ساكنة ورا مهملة مفتوحة فى المكبر ومثلثة صاحب هذه
القصة وان النبى صلى الله عليه وسلم عفى عنه وهذا يخالف ما قبله فى تلك الرواية من انه ضرب
براسه الشجرة الخ اذ صريحها انه هلك بذلك السبب فينافى العفو عنه فرجع الى قومه وقال
جيتكم من عند خير الناس لما راه من حلمه وعفوه عنه مع قدرته عليه وهذا الحديث رواه البخارى
ومسلم عن جابر رضى الله عنه قال غزونا قبل نجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قفلنا
ادركتنا قايلة فى واد كثير العضاه فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون
بالشجر ورسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة علق بها سيفه ونمنا نومة فاذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعونا وعنده اعرابى فقال ان هذا اخترط سيفى وانا نايم فاستيقظت
وهو فى يده مصلتا فقال لى من يمنعك منى فقلت الله عز وجل ثلاثا ولم يعاقبه وروى انه شام السيف
اى اغمده وفى سيرة ابن سيد الناس ان غورث رجل من محارب قال لقومه الا اقتل لكم محمدا افتك به
فاقبل اليه وسيفه فى حجره فقال يا محمد اعطنى سيفك انظر اليه فاعطاه له فاستله وجعل يهزه
ويهم به فمنعه الله فقال يا محمد اما تخافنى وفى يدى السيف قال لا يمنعنى الله منك ورد السيف
فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم الآية وروى ان السيف سقط من يده
فاخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له من يمنعك منى فقال له كن خير اخذ واسلم فرجع
الى قومه وقال جيتكم من عند خير الناس وقد حكى مثل هذه الحكاية وفى كثير من النسخ حكيت مثل
هذه الحكاية بتا التانيث لان المضاف يكتسب التانيث من المضاف اليه كقوله كما شرقت صدر القناة
من الدم وهو كثير وجعله صفة مونث مقدر اى حكاية مثل هذه الخ كما قيل تكلف لا حاجة

اليه وفى بعض النسخ وقد حليت هذه الحكاية وهى ظاهرة بحسب اللفظ والاولى اظهر بحسب المعنى وانها
جرت له صلى الله عليه وسلم اى وقعت يوم بدر اى فى وقعة بدر يقال جرى لنا كذا اى وقع وهو مجاز
من الجرى فاستعير لما ذكر ثم صار حقيقة عرفية فيه وقوله وقد انفرد من اصحابه جملة حالية من ضمير له
اى منفردا عنهم لقضا حاجته كناية عن البراز مشهورة فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله بالنصب
مفعول ذكر وما ثلته له فى سل سيفه وقوله من يمنعك ونحوه مما ذكر قبله وهذا الرجل لا يعرف
كما قاله البرهان والحديث لم يخرج ايضا وقد روى رواه ابن اسحاق فى سيرته عن جابر بن عبد الله
رضى الله تعالى عنهما انه وقع له صلى الله عليه وسلم مثلها اى مثل هذه الحكاية والواقعة
فى غزوة غطفان بغين معجمة وطا مهملة مفتوحين وهى قبيلة مشهورة غزاها النبى صلى الله عليه
وسلم فى سرية نحو اربعماية وخمسين فارسا فى ربيع الاول بعد خمسة اشهر من الهجرة بذى امر بهمزة وميم
مفتوحتين ورا مهملة وهو اسم مكان وتسمى غزوة غطفان وغزوة انمار وغزوة ذى امر وانمار اسم
ذلك المكان ايضا مع رجل متعلق بوقع اسمه دعثور بضم الدال وسكون العين المهملتين ومثلثة
وواو ساكنة ورا مهملة وهو علم بزنة بهلول منقول من اسم الحوض الصغير ابن الحارث وهو رجل
من بنى محارب وتقدم انه غورث ابن الحارث وقال ابن سيد الناس فى غزوة ذات الرقاع ان الخبرين
والرجلين واحد وكان جمع بنى ثعلبة ومحارب للاغارة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع
بذلك خرج لحربه واستخلف على المدينة عثمان بن عفان فهربوا فى روس الجبال وكان قبل ذلك
يدعى انه يهجم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غرته ويقتله فكان منه مثل هذه القصة وروى
ان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه به اى حرضوه على الفتك برسول الله صلى الله عليه
وسلم فعصمه الله منه وكان ذلك الرجل سيدهم واشجعهم جملة معترضة بين لما وجوابها
بيان لسبب اغرائهم له واقدامه على ذلك قالوا له جواب لما انما كنت تقول انكارا عليه لما هرب وقد
كان يقول انى اقتل محمدا وقد امكنك فاعله ضمير مستتر يرجع لما وامكنه الامر اذ لم يمنعه مانع
فصار ممكنا له ويجوز ان يكون للنبى صلى الله عليه وسلم لعلمه من السياق اى تمكنت منه لمصادفته
له وحده ومعه سيف مسلول فى يده فقال انى نظرت الى رجل ابيض طويل حال بينى وبينه ودفع
فى صدرى فوقعت لظهرى اى وقعت على ظهرى لشدة دفعه وقوته وسقط السيف الذى كان بيدى
من يدى فعرفت انه اى الرجل الذى دفعنى ملك لانه لم يكن ثمة احد حين هجمت عليه ولان قوة دفعه
ومهابته ليست مما عهدته واسلمت لما شاهدته مما يدل على نبوته قال ابن اسحاق اصابه صلى الله عليه
وسلم فى بعض اسفاره مطر فنزع ثوبه ونشره على شجرة ليجف واضطجع تحته فقالوا لدعثور انفرد
محمد فعليك به فاقبل بسيفه حتى قام على راسه وقال من يمنعك منى اليوم فقال الله فتمثل له جبريل
عليه الصلاة والسلام ودفع فى صدره فوقع سيفه فاخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال له من يمنعك منى فقال لا احد وانا اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ورجع لقومه
فدعاهم للاسلام قيل وفيه اى فى هذا الرجل وقصته نزلت هذه الآية يا ايها الذين امنوا اذكروا
نعمة الله عليكم اذ هم الآية وفى سبب نزولها اقوال اخر فقيل نزلت بعسفان لما شرعت صلاة

الخوف وقيل في بني قريظة وقيل في بني النضير كما سياتي وفي رواية للخطابي وهو حميد او احمد بن محمد بن
ابراهيم الامام الجليل في العلوم الشرعية ينسب لجده الخطاب وقيل لزيد بن الخطاب اخي امير
المومنين عمر رضي الله تعالى عنه وتاليفه جليلة مشهورة ككتاب الاثار وشرح السنن وغيره
ان غورث بن الحارث المحاربي منسوب لمحارب القبيلة المشهورة وفي نسخة غويرث بالتصغير
كما تقدم وقدم لابن سيد الناس قال في غزوة ذات الرقاع في دعثور ابن الحارث ان المذكور
في غزوة ذي امر من الخبر يشبه هذا الخبر فالظاهر ان الخبرين واحد وقال الذهبي في التجريد غورث بن
الحارث لعطفاني الاشبه انه غورث وقال البرهان انه ضبب عليه فهو عنده غلط
وفي هامش نسخته من الشفا عوض دعثور غويرث وعليها علامة لنسخة وصحت ايضا انتهى
وهو كلام مضطرب يحتاج للتحرير اراد ان يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم يفتك بتثليث
التاء الفتك وهو الهجوم من حيث لا يشعر به على امر عظيم فيه مخاطرة ويطلق ويراد به القتل مطلقا
وقيل الفتك القتل مجاهرة فلم يشعر به اي لم يعلمه ويحس به في حال من الاحوال الا وهو قايم على راسه
المراد بقيامه على راسه وقوفه خلفه متصلا به منتضيا بضاد معجمة ومثناة تحتية او مجردا وسالا
سيفه ليضربه به فلما راه قال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنيه بما شيت الضمير لغورث
وبما شيت ما موصولة عايدها مقدر اي بالامر والسبب شيته واردته والمراد تفويض امر كفايته
الى الله وتسليم امره له كما ورد اللهم اكفنا السوء بما شيت وكيف شيت وهو اقرب الى الاجابة
من تعيين ما يدفعه عنه فعقب قوله من غير مهلة انكب لوجهه السلام بمعنى على اي سقط على وجهه
يقال كبه فاكب وانكب اذا وقع وثلاثيه متعد ومزيده لازم على خلاف القياس واللام بمعنى على كما
في قوله فخر صريعا لليدين وللفم وقوله من زلخة متعلق بانكب والزلخة بضم الزاي المعجمة وفتح
اللام المشددة وخا معجمة وتا لغيره وروى بعضهم تخفيف لام زلخة زلخها بضم الزاي وتشديد
اللام المكسورة وخا مفتوحة معجمة وها ضمير للزلخة وقراه بعضهم بالجيم وهو غلط كما قاله الخطابي
وهو ماض مجهول متعد لمفعولين من باب اعطا وفاعله الله والمراد وجدها الله حين سل السيف
وقوله بين كتفيه لا ينافي تفسير الزلخة المذكور فان ما بين كتفيه من اعلى الظهر فهو تاسيس واشارة
لعلة سقوط سيفه فانه اذا امتد للكتفين ضعفت اليد عن حمله وندر سيفه من يده اي من داخل
قبضة كفه واصابعه وندر بنون ودال مهملة مفتوحتين ورا مهملة اي سقط يقال ندر اذا خرج وسقط
من جوف او من بين اشيا والزلخة وجع ياخذ في الظهر فيمنع الانسان من الحركة من الزلخ وهو الزلل ويقال
لزحلوقة يلعب بها الصبيان وقيل اي قال غير الخطابي في قصته اي قصة غورث غير هذا المذكور
من ارادته الفتك فانه روي انه جمع ناسا للاغارة على المسلمين فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
لهم هربوا في روس الجبال كما مر وان الامر والشان فضمير مقدر فيه اي في غورث نزلت اية يا ايها الذين امنوا
اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الاية وقيل كان صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه
وهي يا ايها الذين امنوا الخ وقوله والله يعصمك من الناس استلقى اي نام صلى الله عليه وسلم
واضطجع على ظهره على الارض لامنه اعداه واطمينان قلبه ثم قال من شا فليخذلني بخا وذال معجمة مجميين

والخذلان ترك النصرة واللام للامر وظاهره غير مراد فانه انشا بمعنى الخبر اي اني غني عن المعين والحرس
لان الله حماني وضمن لي ان لا يصل الي ولذا استلقى على ظهره واظهر هيئة الامن والتبري
من حوله وقوله اعتمادا على وعد الله وحكاه بقيل لانه يقتضي ان هذه الاية مكية لان خوفه من قريش
انما كان بمكة وسورة المايدة كلها مدنية على الصحيح وتكررا لنزول بعيد كما تقدم وذكر عبد بن
حميد الحافظ المشهور وقد تقدم بيانه وهذا رواه ابن جرير في تفسيره مرسلا قال كانت حمالة الحطب
وهي ام جميل بنت حرب بن امية اخت ابي سفيان بن حرب زوجة ابي لهب وسميت حمالة لانها كانت
تضع العضاة بفتح وضاد معجمتين واحدة العضا وهو شجر له شوك اذا اوقد كان شديد
الاحتراق فلذا قالوا نار العضا للنار لقوته وقوله يحتمل ان يكون تفسيرا للعضا لانه يطلق على نار
كما يطلق على محله قال فسقى العضا والساكنيه وان هم شبوه بين جوانحي وضلوعي وان يكون
حالا من العضا وجمر بمعنى متوقدة اي تضعه حالة كونه جمرا على طريق رسول الله وهي جبهة صلى الله عليه
وسلم وتمره من بينه للحجر وغيره تقصد بذلك ان يمشي عليه فيوذيه ويوثر في قدمه وقد قيل
في تسميتها حمالة الحطب وجوه اخر مذكورة في التفاسير منها انه على ظاهره ومنها انه عبارة عن النميمة
وحمل الاوزار فكان صلى الله عليه وسلم وفي نسخة فكانما بزيادة ما يطوها اي يضع قدمه على تلك
العضاة وهو حاف ونبعل يوثر مثلها فيه فيجدها كثيبا بالمثلثة ومثناة تحتية وموحدة وهو ما تل
من الرمل اهيل مبني للمجهول يقال هال الرمل اذا اساله ولم يجمعه كالربوة والمشي عليه جبنيذا سهل
والين لي يجده صلى الله عليه وسلم سهلا لا يوذيه كما كانت نار الخليل عليه الصلاة والسلام
قال ابن مقبل يمشين هيل النقات لا انتجوا بنه ينهال حينا وينهاه الثرى حينا وذكر ابن اسحق امام
اهل السير وهو محمد بن اسحاق بن يسار الامام الثقة الصدوق وان طعن فيه بعضهم وترجمته مفصلة
في الميزان وغيره انها لما بلغها نزول سورة تبت يدا ابي لهب فذكرها مصدر مرفوع معطوف على نزول بما ذكرها
الله به مع زوجها من الذم بيان لما وهو ما في السورة اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس
في المسجد ومعه ابو بكر رضي الله تعالى عنه وفي يدها فهر بكسر الفا وسكون الهاء ورا مهملة وهو حجر ملء
الكف او هو الحجر مطلقا وهو في قوله يهود حزجوا من فهرهم بيت دراستهم كلمة معربة اصلها بهر بالبا
وقوله من حجارة بيان لفهر فلما وقفت عليهما اي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر لم تر الا ابا
بكر ولخذ الله ببصرها اي قبض وحبس نظرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم اي عن رويته وهو جالس
عندها فاخفاه الله تعالى عصمة له صلى الله عليه وسلم عن اذيتها وهذا يقتضي ان عصمته صلى الله
كانت ثابتة قبل الهجرة كما تقدم فقالت يا ابا بكر ان صاحبك فقد بلغني انه يهجوني اي يذمني على ان الهجو
لا يختص بالشعر حقيقة او مجازا او هو منها لتوهمها انه شاعر كما ادعاه غيرها تريد به ما نزل في حقها
في سورة تبت والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه خصته لانه محل النطق بذمها فوجعت
خاسية وهذا رواه البيهقي وغيره عن اسما بنت ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما كما رواه ابن اسحاق
وروى ابو نعيم في الدلايل والطبراني بسند جيد عن الحكم بن ابي العاص والد مروان وهو ممن اسلم
عام الفتح وتوفي في خلافة عثمان وفي الصحابة من وافقه في اسمه واسم ابيه ولكن المشهود

هو هذا فلذا لم يميزه المص تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم اى تواعد هو وبعض الكفرة على قتله
صلى الله عليه وسلم والفتك به في بعض الليالي وخرجنا في الميعاد فوقفنا نرقبه حتى اذا رايناه اى لما
قرب منا وابصرناه بحيث تمكنا منه سمعنا صوتا اى صيحة عظيمة خلفنا اى من خلفنا ما ظننا انه لم يبق بتهامة
احد ما يحتمل ان تكون زايدة ان كان التقدير انه لم يتولحد بتهامة الا وقد هلك بتلك الصيحة وان تكون نافية
اذا اريد ان جميع اهل تهامة صاحوا علينا صيحة واحدة وقد لحقونا ليقتلونا والمعنى انا تيقنا وجودهم
خلفنا والمعنيان متقاربان والمال واحد ولهم هنا كلام لم يفصح بالمراد وتهامة بكسر التاء معناها ارض
منخفضة ويقابلها نجد من التهم وهو الانخفاض وشدة الحر والريح او لتغير هواها تقال تهم الدهن
اذا تغير وهي ارض معينة وراء مكة من المغرب من ذات عرق الى البحر والمدينة لا تهامية ولا نجدية
فوقعنا مغشيا علينا من هول تلك الصعقة والغشي كالاغماء ذهاب العقل مع سقوط القوى
فما افقنا من ذلك الغشي حتى قضى صلاته اى فرغ منها واتمها ومضى الى اهله عدم صلى الله عليه
وسلم من صلاته بالمسجد الحرام الى منزله ليلا ولم نظفر منه بشيء اردناه ثم تواعدنا على ما قصدنا
وان نعود لذلك ليلة اخرى فجينا حتى رايناه بقربنا وهو مار للمسجد ليصلي به كما في المرة الاولى جاءت الصفا
والمروة حمارا اذا ربوتان مرتفعتان في محل سعي الحاج معروفتان والمراد بمجيها تحركهما من مكانهما حتى
كانا بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم كما بينه بقوله فحالتا اى الصفى والمروة بيننا وبينه فمنعتا
من الوصول اليه لعصمة الله تعالى له والصفى كالمروة مونثه باعتبار البقعة والربوة وافرد ضميرها
وكان الظاهر فحالتا لتاويله بحالت كل واحدة منهما وفي هذه معجزة له صلى الله عليه وسلم ظاهرة
وعن عمير بن الخطاب رضي الله تعالى عنه تواعدت انا اكد ضميره ليعطف عليه قوله وابو جهم ابن حذيفة
واسمه عامر وعبيد بن حذيفة بن غانم بن عامر العدوى سلم عام الفتح وصحبه صلى الله عليه
وسلم وكان معظما في قريش توفي في ايام معاوية وترجمته معروفة وهو صاحب الانبجانية ليلة
منصوب على الظرفية منون قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم منصوب على انه مفعول له او
بنزع الخافض اى على قتله او لقتله او بعقد راى واضمرنا قتله ونحوه فجينا منزله ليلا خفية
فسمعنا اليه وفي نسخة له وفي نسخة فتسمعنا اى اطلنا السماع لا تكلفناه كما قيل وعدى بالحرف
لتضمنه معنى اصغينا لقراته حتى نسمعها وهو يقرا في صلاة الليل فافتتح ابتدا قراته وقرا الحاقة
ما الحاقة حتى انتهى الى قوله فهل ترى لهم من باقية يعني من قوله كذبت ثمود وعاد بالقارعة فاما
ثمود فاهلكوا بالطاغية واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال
وثمانية ايام حسوما فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية والمراد
بالحاقة ما حق وقوعه بهم من الداهية او الساعة التي وقعت فيها من حق بمعنى وجب وثبت وقوله
وما ادريك ما الحاقة تهويل وتعظيم لها والطاغية الداهية المتجاوزة الحد وهي الصيحة
او الرجفة وعاتية شديدة العتو والطغيان والحسوم ايام نحسة من صبيحة يوم الاربعا
الى اربعا اخر الشهر وقوله فهل ترى لهم من باقية استفهام بمعنى النفي وما ترى لهم بقية او بقا
على انه مصدر بزنة فاعلة وهو قليل في كلامهم او نفسا باقية فضرب ابو جهم على عضد عمر

وقال

وقال العمر ابخ اى قم لننجو من وقع الهلاك بك جوفا من ان يحل بهما ما حل بثمود وعاد لانهما كانا مكذبين
له كما كذبا وليك رسلهم وقراها رتبنى عقا ما من محلهما مس عين جادين في الهرب لخوفهما مما ذكر
وهو كقوله تعالى فتبسم ضاحكا منه منزل ضما ربني حال موكدة وعلى الاول هو بتجريد نحوى مكانه
اى ما ذكر من هذه القضية من عقد ما ت اسلام عمر لتاثيرها في قلبه فاسلم بعدها بمدة
يسيرة وهذا الحديث لم يوجد بهذا اللفظ الا انه في مسند احمد بما يقرب منه وهو ان عمر رضي الله
تعالى عنه قال خرجت ليلة لا تعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان اسلم فوجدته
قد سبقني الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح الحاقة فجلست اعجب من تاليف القران وقلت والله
ما هو بشاعر كما قالت قريش فقرا انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تومنون
فقلت هو كاهن فقرا ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين الخ فوقع الاسلام
في قلبي كل موقع وليس فيه انه صحبا باجهم وفي التعبير بمن التبعيضية اشارة الى انه له مقدمات
اخر الى ان اسلم لما سمع سورة طه في بيت اخته في قصته المشهورة ومنه اى مما يشهد لان الله
تعالى عصمه صلى الله عليه وسلم من اعدايه العبرة المشهورة بكسر العين وسكون الموحدة
وهو الامر العجيب الذي يعتبر به ويتعظ من الاعتبار والعبرة هي الحالة التي يتوصل بها من معرفة
الشاهد الى الغايب من العبور ومنه العبارة واشار بقوله المشهورة الى انها ثابتة مشهورة
بين المحدثين غير محتاجة الى النقل من كتاب معين والكفاية التامة اى كون الله عصمه وصانه
صيانة تامة ليست ككفاية غيره كما قال تعالى يا ايها النبي حسبك الله عندما اخافته قريش فعل
من الخوف وهو توقع المكروه يقال خوفه واخافه اذا فعل او قال ما يدل على انه يهم بايقاع المكروه به
وفسره بقوله واجتمعت على قتله اى اتفقوا على ذلك الا قليل منهم لقلتهم لم يعدوا وبيتوه اى
قصدوا قتله فعلا وايقاعه ليلا في خفية قال الراغب التبييت قصد العدو ليلا ويقال لكل فعل
دبر بالليل تبييت قال تعالى اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وعلى هذا حديث لا صيام لمن لم يبيت الصيام
من الليل وبات موضوعة لما يفعل بالليل كظل لما يفعل بالنهار انتهى ويقال لهذا امر بيت بليل اى
دبر فعله ليلا لتوقع تعطيله على غيره فخرج صلى الله عليه وسلم عليهم من بيته وهم لا يشعرون
كما رواه ابن اسحاق والبيهقي فقام على روسهم اى وقف عندهم وهم نيام وقد ضرب الله على ابصارهم
اى لم يحسوا به ويروه لاستغراقهم بالنوم وحجب عيونهم عنه وقد كانوا احاطوا ببيته ليقتلوه
عليه الصلاة والسلام وذر بذال المعجمة وراء مهملة مشددة اى نثر التراب على روسهم اهانة
لهم وخلص منهم اى نجا مما دبروه وهموا به واصل ذلك كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان قريشا
حين اسلم الانصار رضي الله تعالى عنهم خافوا ان يتقوا امره عليه الصلاة والسلام عليهم
فاجتمع كبارهم في دار الندوة واتفقوا على قتله وبيتوه فخرج عليهم وفعل ما ذكر وذهبا الى الغار
مهاجرا الى الله كما فصل في السير وذكر فيها هولا الذين اجتمعوا وبيتوا باسمايهم وهم نحو مائة
وانه صلى الله عليه وسلم خرج من ظهر البيت وطاطات له جارية اسمها مارية خادمته حتى
تسور الجدار الذي من ظهر البيت وحمايته اى حماية الله له صلى الله عليه وسلم وحفظه بعصمته

من اعدايه ومنعهم عن رويتهم اياه وابا بكر وهما في الغار اى غار ثور وثور اسم جبل بجنب مكة والغار
كالمغارة نقرة في الجبل كالبيت وسمى بثور بن عبد مناه لنزوله به ويقال له ثور اطحل وهو اسم جبل
اخر خلف احد بما هيا الله اى عما اعده وليس له والجار متعلق بحمايته والبا للسببية العادية من الايات
بيان لما اى المعجزات والعلامات الدالة على نبوته وصدقه وعصمته ومن العنكبوت الذى نسج عليه
لنسج سنين في طرفة عين والعنكبوت دويبة معروفة يذكر ويونث وتنسج خيوطا دقيقة تمدها
في الهوا لصيد الذباب وانما يكون ذلك في مكان خال لا يمس به شى حتى قال امية بن خلف احد صناديد
قريش وقد تقدم انه مات كافرا ببدر وهو اسم موضع معروف حين قالوا اى كفرة قريش لما قصوا اثره
صلى الله عليه وسلم وانتهوا الى فم ذلك الغار ندخل الغار لنفتشه لاحتمال انه مختف به
ما اربكم بفتح الهمزة والرا المهملة والموحدة ويجوز كسر الهمزة وتسكين الرا وهو الحاجة المطلوبة وما استفهامية
منه او نافية اى ليس لكم مطلوب وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولا حاجة فيه اى في الغار وعليه
اى على فم الغار ومدخله وروى ما اربكم من الريبة اى ما اوقعكم في الشك فيما لا شك فيه من نسج العنكبوت
ما اراى بضم الهمزة وفتحها اى اظن واعتقد انه قديم قبل ان يولد محمد اى قبل وجوده وولادته لان مثله
لا يكون الا في مدة طويلة وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم كما قيل القنى في لظى فان احرقتنى
فتيقن ان لست بالياقوت جمع النسج كل من حاك لكن ليس داود فيه كالعنكبوت وقال
الابوصيرى رحمه الله تعالى وقاية الله اغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الاطم
ووقفت حمامتان ذكر وانثى على عش فيه بيض لهما ومثله لا يكون الا في محل خال من الناس ووقفت
بالفاء وروى بالعين المهملة من وقوع الطاير وهو نزوله بمحل على فم الغار اى مدخله فقالت قريش لو كان
فيه اى في الغار احد لما كان هنالك الحمام لما عرفته انفا وفي نسخة هنالك باللام وهو اسم اشارة
للمكان وقصة الحمام كما رواه البزار مسندا وغيره ان الله امر العنكبوت فنسجت على فم الغار وارسل
حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجهه فصد به المشركين عنه وحمام مكة من فراخهما وفي المواهب
ان الحمامتين باضتا في اسفل فم الغار ونسج العنكبوت عليه فقالوا لو دخلاه تكسر البيض وزال
النسج وروى ايضا كما تقدم انه نبت في فمه شجرة صغيرة تسمى شجر الرا وهي شجرة مقدار القامة لها
زهر وشى كالقطن يحشى به الوسايد كما مر امرها الله بان تنبت لتسترهما لما اقبل فتيان من قريش
باسلحتهم حتى اتوا الغار فلما راوا ما به من الامور المذكورة رجعوا وقال ابو بكر لو نظر احدهم الى قدمه
دانا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقد قص القافة اثرهما
فانتهى للغار فلما راهم ابو بكر اشتد حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان قتلت انا
فانما انا رجل واحد وان قتلت انت هلكت الامة فقال له لا تحزن ان الله معنا فانظر قوله لا تحزن
دون لا تخف فان فيه اشارة الى انه لم يخف على نفسه وانما حزن على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وامته لانه احب اليه من نفسه وكل شى ولسع ابو بكر في هذه الليلة غير مرة فمزق ثوبه وجعله
في الشقوق التى في الغار وسد بعضها بقدمه اتقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم واقام فيه
ثلاثة ايام ثم خرج منه فلقيه سراقة ولذلك ذكر المص قصته عقب ذلك بقوله وقصته

صلى الله

صلى الله عليه وسلم اى ومما يدل على عصمة الله له وحمايته سيرته الواقعة له مع سراقة بن
مالك بن جعشم بضم الجيم والشين وروى فتح شينه ايضا وفي بعض النسخ شجعم بتقديم
الشين كما في المغنى وفيه نظر وقصته في الصحيحين وهي مشهورة فانهم كما ذكره المص جعلوا
الكل من دل عليه صلى الله عليه وسلم جعلا عظيما فلما خرج من الغار راه سراقة وكان ينزل
بقديد بين مكة والمدينة وهو من جملة من توجه اليه لطلبه فركب فرسه ليدركه فلما دنا
منه صلى الله عليه وسلم ساخت قوايم فرسه الى ابطها في الارض لدعايه عليه كما ياتى بقوله
اللهم اكفنا سراقة ثم ان الله هداه للاسلام فاسلم فمرجع النبى صلى الله عليه وسلم من حنين
فهو صحابى مدلجى حجازى كنانى وهو الذى اخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بلبس سوارى
كسرى لما راى ذراعيه دقيقين اشعرين في حديثه المشهور المتقدم وقوله حين الهجرة اى في وقت
هجرته من مكة الى المدينة وذكر ابن سعد ان سراقة عارضهم يوم الثلاثا بقديد والهجرة ترك
الوطن من الهجر وهو بكسر الها وفتحها وقد تضم وقد جعلت قريش جعالة حالية وجعلت من الجعل
وهو ما يعطى في مقابلة عمل تما فيه اى في شان رسول الله صلى الله عليه وسلم والاخبار به
وفي ابى بكر لانه كان رضى الله تعالى عنه معه كما عملت الجعايل جمع جعيلة وهى كالجعالة معنى
والجعالة مثلث الجيم ويقال الجعال ككتاب وجعل بزنة قفل ومعناه تقدم وتلك الجعالة كما قاله
السهيلى كانت مائة ناقة اى جملا كما قاله الماوردى في الاعلام وانذر به بالبنا للمجهول اى اعلم سراقة
بالنبى صلى الله عليه وسلم يقال انذرته بكذا بنون ومعجمة اى اعلمته ويكون الانذار بمعنى
التخويف ايضا وكيفية الاعلام مشهورة في السير ايضا وحاصلها ان رجلا اتى سراقة وقال له
انى رايت اسودة بالساحل اظنهم محمدا واصحابه فقال بعدما عرف انهم هم ليسوا هولا ثم خرج بعد
ذلك فرسه وذهب خلفهم فكان ما ذكره المص بقوله فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا
عليه النبى صلى الله عليه وسلم فساخت قوايم فرسه اى غاصت في الارض ودخلت فيها حتى
كادت تبتلعها وتخسف من تحتها يقال ساخ يسوخ ويسيخ بسين مهملة وخا معجمة في اخره
بمعنى غاص ودخل وبمعنى انخسف فيقال ساخ الوهو وساخت الارض وهما بمعنى واحد يختلف باختلاف
المسند اليه وهذا مما اتفقت عليه كلمة اهل اللغة وفي القاموس ساخت قوايمه تاخت والشى
رسب والارض بهم سبوخا انتهى وتاخت في تفسيره بثا مثلثة بمعنى غاصت كما ذكره في فصله
وقد تحرف على الشارح الجديد فتوهم انه ناخت بنون بمعنى بركت فقال لا ينبغى هذا والذى ينبغى
ان يفسر بغاصت وهو غلط فاحش منه وقوايم الفرس رجلاها ويداها فخر عنها اى سقط من فوق
ورمى نفسه عنها خوفا من ان تخسف به الارض فيهلك لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليه لما الحقه كما مر وضمير عنها للفرس لانها تذكر وتونث ويقع على الذكر والانثى وقد قيل انها كانت
انثى تسمى العوذ وقد نقل بعض اهل السير ان الصديق رضى الله تعالى عنه له قصيدة فيها هذه
القصة منها حتى اذا قلت قد ابحرت عارضها من مدلج فارس في منصب وارى
يردى به مشرف الاقطار معتزم كالسيد ذى اللبدة المستاسد الضارى

فقال كروا فقلنا ان كرتنا من دونها لك نصر الخالق البارى ان تخسف الارض بالاحوى وفارسه
فانظر الى اربع فى الارض غوار فهيل لما راى ارساخ مهرته قد سيخن فى الارض لم يحفر بحفار
فقال هل لكم ان تطلقوا فرسى وتاخذوا معرفتى فى نصح اسارى واستقسم بالازلام جمع زلم
بفتحتين وبضم وفتح بزنة عمر وهى قداح اى سهام لا ريش لها ولا نصل كانوا فى الجاهلية يكتبون على بعضها
افعل وعلى بعض لا تفعل ويضعونها فى متاعهم اذا سافروا فاذا عرض لهم مهم اخرجوا منها زلما يتفألون به
فيفعلون او يتركون وهو معنى الاستقسام اى طلب ما قسم وقدر له وقيل كان يكتب على بعضها امرنى
ربى وعلى بعضها نهانى ربى وبعضها غفل اى خال من الكتابة فاذا اخرج غير الغفل عملوا به وان خرج الغفل
اعادوا حتى يخرج غيره ويسمون ذلك استقساما ولهم ازلام اخر اى سهام كانت فى الكعبة مكتوب
عليها النوازل وهى التى استقسم بها عبد المطلب على ذبح ولده ولذا كان عند كهانهم ولهم مثلها
قداح الميسر السبعة التى كانوا يتقامرون بها وقيل الازلام حصى صغار يتفائل بها والصحيح الاول فخرج له
اى لسراقة ما يكره اى ما لم يرده لانه اتى ليرده صلى الله عليه وسلم وابا بكر ويأخذ من قريش
الجعل المتقدم فخرج له لا تفعل فلم يلتفت ثم ركب فرسه ثانيا بعد ما سقط عنها وساخت قوايمها ودنا
اى قرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سائر بفرو حتى اذا سمع قراة النبى صلى الله عليه وسلم
وهو لا يلتفت له لعدم مبالاته ولاعتماده على ربه تعالى وكان ابو بكر يلتفت وراءه لخوفه على رسول الله
صلى الله عليه وسلم او ليرى ما يصدر من سراقه وخوفه لشدة حبه وان كان قال له فى الغار
لا تحزن ان الله معنا لانه قد يتوهم انه مخصوص بذلك الوقت عند بر فقال ابو بكر له صلى الله عليه
وسلم اتينا بالبنا للمجهول اى اتانا العدو وادركنا من يطلبنا منهم فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تحزن ونخف من اتانا ان الله معنا اى مصاحبا لنا بتاييده ونصره وحفظه
وعصمته لنا من جميع الاعدا فلا تخف ممن لحقنا منهم ولذا لم يلتفت النبى صلى الله عليه وسلم
لتمكنه وشدة ثقته وحزن ابى بكر رضى الله تعالى عنه لخوفه وشفقته على رسول الله صلى الله
عليه وسلم كما تقرر وليس بمعصيته لنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه لانه امر طبيعى ولا
نسيانا لقوله له فى الغار فان المحب طين وضنين بمحبوبه لا سيما هذا الرسول العظيم وليس
هنا ما يحتاج لجر ذيل البيان فانه تطويل بغير طايل فساخت قوايم فرس سراقة مرة ثانية بعد المرة
الاولى الى ركبتيها تثنية ركبة وهى ما بين يديها ورجليها وخرعتها اى وقع وسقط عن فرسه لما
ساخت وانكبت على وجهها وزجرها اى صاح عليها فنهضت اى قامت وخلصت قوايمها من الارض
ولقوايمها مثل الدخان اى غبار مرتفع فى الجو كانه دخان كما ورد التصريح به فى السير قال ابن سيد
الناس ولقوايمها عثان مثل الدخان والعثان بضم العين المهملة ومثلثة هو الغبار هنا ويكون
بمعنى الدخان والدخان بضم الدال وتخفيف الخا المعجمة وقد تشدد ويقال دخ ودخ والكل
بمعنى وفى رواية ولقوايمها دخان وهو استعارة للغبار فناداهم اى نادى سراقة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعامر بن فهيرة رفيقهما بالامان اى رفع صوته به قايلا لهم
الامان الامان كما يفعله الناس والمراد تامينهم منه وانهم لا يلحقهم منه ضرر وخوف باخباره

الاعدا

الاعدا او طلبه منهم والمراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعطوه امانا فلا يلحقه ضرر لخوفه منه
ومن دعايه عليه وقد ورد التصريح بالامانين فى سيرة ابن اسحاق والى الثانى اشار بقوله فكتب له النبى صلى الله
عليه وسلم امانا اى امر بكتابته له فالاسناد مجازى لقوله كتبه اى كتاب الامان وهو رقعة من ادم وفى
رواية ابن اسحاق فكتب لى كتابا فى عظم او رقعة او خرقة ثم القاه الى فاخذته ثم جعلته فى كنانتى ثم رجعت
ابن فهيرة مصغر فهرة وهو عامر بن فهيرة مولى ابى بكر رضى الله تعالى عنه وهو من مولدى الازد مملوك
للطفيل فاشتراه ابو بكر منه واعتقه واسلم وكان يرعى غنما لابى بكر ويجى لهما كل ليلة فى الغار
باللبن يتغديانه ثم هاجر معهما وشهد بدرا واحدا وقتل ببير معونة فلم يوجد جسده مع القتلى
فيقال ان الملايكة دفنته وقيل رفعته الى السما وقيل كتبه ابو بكر وجمع بينهما بان ابن فهيرة كتبه
اولا فلم يرض سراقه بكتابته وطلب كتابة ابى بكر لشرفه وشهرته فكتبه له وللنبى صلى الله عليه
وسلم كتاب تزيد على الاربعين مذكورة فى المفصلات وافردها ابن ابى الحديد بتاليف
مستقل واخبرهم اى اخبر سراقة النبى صلى الله عليه وسلم وابا بكر وابن فهيرة بالاخبار اى باخبار قريش
وما جرى منهم بعد خروجهم من مكة وجعلهم الجعايل لمن ياتى بهم او قتلهم ديتهم كما مر وامره النبى
صلى الله عليه وسلم اى امر سراقة ان لا يترك احدا من قريش ان لا يدع احدا ويمكنه باخبارهم حين
يلحق بهما اى يسير خلفهم ويصل اليهم بان يقول لهم ادهم ونحوه ولو كذبا اذ هو يجوز عند الضرورة
والحاجة وقد يجب وفى حديث انس فقال يا نبى الله مرنى بما شيت قال تقعد مكانك لا تتركن احدا
يلحق بنا قال فكان اول النهار جاهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اخر النهار مسلحة له فانصرف
اى رجع سراقه عنهم حال كونه يقول للناس جملة حالية مضارعية لا تفترن بواو فى الفصيح اى قايلا
للناس والمراد بالناس ان كان من لقيهم ممن ذهب لطلبهم فقوله كفيتم ما ها هنا معناه ارجعوا
كفيتم الطلب فانى لم اجدهم وما موصولة ويحتمل ان تكون نافية اى ما هنا احد وان كان المراد النبى
ورفيقاه فالمعنى عصمتم وسلمتم مما ها هنا من الخوف والى كلا الوجهين ذهب الشراح وفى الشرح الجديد
خلط هنا غنى عن الرد وذكر ابن سعد انه لما رجع قال لقريش قد عرفتم بصرى بالطريق وبالاثر وقد استبرأت
لكم فلم ار شيئا فرجعوا وقيل بل قال لهما اى للنبى صلى الله عليه وسلم وابى بكر رضى الله تعالى عنهما ولم يذكر
ابن فهيرة لانه انما خافهما لاعتقاده فيهما انى اراكما دعوتما على فلذا كادت الارض تبتلعنى فادعوا الى البلاء
فدعوا الله فنجا اى ذهب امنا مما خافه ووقع فى نفسه اى خطر بباله ووقر فى قلبه واعتقد لما شاهده
ظهور النبى صلى الله عليه وسلم اى ظهوره على اعدايه وغلبتهم وظهور نبوته وعلو شانه وكان ذلك
من مقدمات اسلامه قال ابن اسحاق وقال ابو جهل لما بلغه ما لقى سراقة فلامه فى تركهم فقال
بنى مدلج انى اخاف عليكم سراقة يستغوى بعض محمد عليكم به ان لا يفرق جمعكم فيصبح منى بعد
عز وسودد فاجابه سراقة وقوله ابا حكم واللات لو كنت شاهدا لامر جوادى اذ تسيخ
قوايمه عجبت ولم تشكك بان محمدا نبى وبرهان فمن ذا يكاتمه وفى خبر اخر
يتعلق بما نحن فيه الا انه قيل انه لا يعرف من رواه ان راعيا من رعاة الغنم فى البرية عرف خبرهما
اى خبر النبى صلى الله عليه وسلم بوقوفه على مكانهما فى الغار فخرج الراعى من محله يشتد اى يسرع فى مشيه

قال الراغب اشتد اذا اسرع يجوز ان يكون من قولهم اشتدت الريح انتهى وانما اسرع لاجل ان يعلم قريشا بخبرهما
ومكانهما فلما ورد اى مكة اى جاها من محله الذى يدعى فيه الغنم واصل الورود المجى للما فاستعير للعزيب القادم
لحاجة ثم عم لكل جاى او شاع فيه حتى صار حقيقة فيه ضرب بالبنا للمجهول اى ضرب الله على قلبه اى منع
من الادراك وذهل عما جا له كقوله تعالى وضربنا على اذانهم وهو مستعار من ضرب الخيمة فى الارض ليضرب
اوتادها واصله ايقاع شى على شى كما قاله الراغب فليس كناية عن الذر العقلة كما قيل فما يدرى ويعرب ما يصيح
ويقول وانسى بجهول ايضا ما خرج اى ملجاله من مكانه الذى خرج حتى رجع الى موضعه الذى جا منه وهذه
معجزة ظاهرة وعصمة قوية وفى دلايل ابى نعيم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم
جاه فيما ذكر اى رواه ابن اسحق فى سيرته وغيره ابو جهل عمرو بن هشام فرعون هذه الامة لعنه الله وهو فاعل جاه
وقوله بصخرة متعلق به اى بحجر عظيم وهو اى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ساجد وقريش
ينظرون له ما يصنع وكان ذهب ليطرحها اى ليرمى الصخرة عليه وفى نسخة هنا وقد كان حلف ان راه ساجدا
ليدمغنه اى ليضربه بها ضربة تكسر راسه وتقلع دماغه وتسمى هذه الدامغة احد الشجاج التى ذكرها
الفقها فى الجنايات فلزقت الصخرة بيده ولم تقع عليه صلى الله عليه وسلم ولزق بلام وزاى معجمة
لغة فى لصق بالصاد بمعنى التصق وبيست يداه الى عنقه اى تيبست بحيث لا يمكنه تحريكها واقبل اى انصرف
اى انصرف من مقصده نحو قريش حال كونه يرجع اى لجعا القهقرى ومعناه الى خلفه موليا عن وجهته وفى
العين القهقرى الرجوع على الدبر وهو قريب منه وهو مفعول مطلق موكد للرجوع ثم ساله اى سال ابو جهل
لعنه الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو له ففعل اى دعا له صلى الله عليه وسلم لكرمه
وحلمه فانطلقت يداه اى عادتا لما كانتا عليه ولم يلتصقا ببركة دعايه صلى الله عليه وسلم
وكان ابو جهل تواعد مع قريش بذلك اى بطرح الصخرة عليه صلى الله عليه وسلم اذا راه يصلى وحلف
لين راه ساجدا ليدمغنه اى ليضربنه بصخرة يكسر راسه ويخرج دماغه وهو احد الشجاج يقال دمغه
اذا اصاب دماغه فقتله وهذا مقدم فى بعض النسخ كما مر ويدمغنه بفتح اليا وجوز بعضهم ضمها والظاهر
الاول فسالوه اى سال قريش ابا جهل عن شانه اى امره وما منعه عما قصده فذكر لهم انه اى الشان او ابو جهل
عرض لى اى له كما فى نسخة ففيه التفات وقيل غلب معنى التكلم لانه ذكر بمعنى قال دونه ظرف
اى حال بينى وبينه فحل اى جمل عظيم هايج وهو مخصوص بالبعير الذكر ما رايت مثله فى عظمته وشدته
قط اى فى جميع الزمان وهى ظرف لتوكيد نفى الماضى بفتح القاف وتشديد الطا المهملة وكسرها وسكونها مخففة
فهم بى اى عزم على الحملة على والهجوم وقوله ان ياكلنى بدل اشتمال من ضمير المتكلم اى هم باكلى فقال النبى صلى الله
عليه وسلم لما سمع مقالته لهم ذلك جبريل تمثل له بصورته فحل لو دنا اى قرب ابو جهل من رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالصخرة التى اراد طرحها لاخذه واكله واهلكه اخذ عزيز مقتدر وتفصيله كما
فى دلايل البيهقى والسيران ابا جهل قال يا معشر قريش ان هذا الرجل قد ابى الا ما ترون من عيب ديننا
وشتم ابايا والهتنا وتسفيه احلامنا وانى عاهدت الله لاجلسن غدا عند الحجر بحجر ما اطيق حمله
فاذا سجد رضخت به راسه فاسلمونى او امنعونى وليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم فقالوا والله
لا نسلمك لاحد فامض لما تريد فلما اصبح جلس ينتظره صلى الله عليه وسلم وجلسوا فى انديتهم

ينظرون ما هو فاعل فلما جا صلى الله عليه وسلم وصلى فعل ما ذكره المص وله وقايع مثل هذه
حماه الله منها وعصمه وذكر السمرقندى امام الحنفية المشهور وقد تقدمت ترجمته ان رجلا من بنى
المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم جد ابى جهل وهذا الرجل قال البرهان لا اعرفه وقال غيره
انه الوليد بن المغيرة وقيل انه ابو جهل اتى النبى صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله بصره
اى غطاه وغشاه حتى لم يره لانه اعماه واذهبه بالكلية كما يدل عليه قوله فلم ير النبى صلى الله
عليه وسلم فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه باسمه فعرف مكانهم واتاهم ثم راهم بعد ذلك
بشهادة حتى ويحتمل انه عمى وذهب بصره وذكر السمرقندى ان فى هاتين القصتين اى قصة ابى
جهل وقصة هذا الرجل نزلت انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا الايتين يعنى فهى الى الاذقان
فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون
قال البغوى فى تفسيره هذه الاية نزلت فى ابى جهل ورفيقه المخزومى حين حلف ان راه
صلى الله عليه وسلم ليرضخن راسه وذكر ما ذكره المص غير قوله انه حال بينه وبينه فحل
وقال المخزومى انا اقتله بهذا الحجر فاتاه وهو يصلى فاعماه الله الى اخر ما ذكره المص وفى تفسير
القرطبى انها نزلت فى ابى جهل وصاحبيه المخزوميين ثم ذكر قصة ابى جهل وان صاحبه الثانى
هو الوليد بن المغيرة وانه الذى عمى الله بصره ولم ير اصحابه حتى نادوه فقال الثالث والله
لاشدخن راسه وانه رجع وقال لعد ما خر مغشيا عليه وسيل عن امره فقال حال بينى وبينه
فحل لو دنوت منه اكلنى وانه لم ير مثله فنزلت هذه الاية فقيل انه معارض لما ذكره المص فانه يقتضى
ان الذى حال بينه وبينه الفحل الرجل الثانى لا ابا جهل واما كونه من بنى المغيرة او مخزومى فلا منافاة فيه
لان كلا نسبه الى احد جديه كما قيل واجيب بان قصة ابى جهل تكررت فعلها مرة وحده وراى الفحل ومرة
مع غيره او اقتصر فى هذه الرواية على بعض القصة وفيه نظر والاية على هذا من الاستعارة التمثيلية
فشبه بيبس يديه وعدم قدرته على تحريكها والرمى بمن غلت يده لعنقه وشبه حالهم وما حال بينهم
وبينه بمن بينه وبين مقصده سد مانع عن الوصول وما قيل من ان الاية تعريض لتصميم اهل مكة
على كفرهم وابطال الله كيدهم فشبهت حالهم بهذه الحال لا منافاة بينه وبين ما قبله لصدق هذا
على ما قبله ومن هنا علم ما فى كلام البيضاوى من سوال يجاب كما بيناه فى حواشيه ومن ذلك اى
حفظ الله وعصمته ما ذكره ابن اسحاق امام اهل السير فى سيرته وغيره كالكلبى فى تفسيره فى قصته
صلى الله عليه وسلم اذ خرج الى بنى قريظة بالظا المعجمة وصيغة التصغير كجهينة قبيلة من يهود
خيبر معروفة فى اصحابه اى فى جماعة منهم ابو بكر وعمر فجلس مستندا الى جدار بعض اطامهم بالمد
والطا المهملة جمع اطم بضمتين وهو الحصن هنا ويكون بمعنى البيت المربع والقصر فانبعث
مطاوع بعثه فانبعث اى توجه وقام واصل معنى البعث الاثارة وقيل معناه هنا اسرع واندفع
عمرو بن جحاش بفتح الجيم والحا المهملة المشددة واخره شين معجمة وهو من بنى قريظة قتل كافرا
احدهم اى بنى قريظة ليطرح من فوق الجدار عليه صلى الله عليه وسلم رحى فقتله بها لانه صلى الله
عليه وسلم لما جلس تحت الحايط تخافتوا بينهم وقالوا لن تجدوه على مثل هذه الحالة ابدا فمن يعلو

الجدار ويرسل عليه حجرا يقتله فقال سلام بن مشكم لا تفعلوا فوالله ليخبرن بما هممتم به ويكون هذا
سببا لنقض العهد بيننا وبينه فاخبره جبريل عليه الصلاة والسلام بذلك فقام
النبي صلى الله عليه وسلم وانصرف الى المدينة وكان هذا سببا لغزوهم ونقض عهدهم او علمهم قصتهم
اى اخبر بني قريظة في نبذ عهدهم واصحابه بعد انصرافهم او قبله وقد اعترض على المص بان هذه القصة ليست
مع بني قريظة كما في السير وسياتي ايضا في هذا الكتاب وانما هو مع بني النضير وهو سبب غزوة بني النضير
واما سبب غزوة بني قريظة فهو وقعة الخندق وتظاهرهم مع قريش ونقضهم العهد وهو الصواب
قال ابن سيد الناس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني النضير ليستعين بهم في دية القتيلين
اللذين قتلهما عمرو بن امية الضمري لحلف بينهم وبين بني عامر فلما اتاهم قالوا نعينك يا ابا القاسم على ما جيت له
ثم خلا بعضهم الى بعض وهموا به كما مر وقال ابن الملقن انه روى ان بني النضير لما تآمروا القوا عليه
حجرا فاخذه جبريل ولم يصل اليه صلى الله عليه وسلم ويأتي ما فيه وقد قيل ان قوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم في هذه القصة نزلت وجعل الهم حينئذ
بالمؤمنين وان بسط اليد اليهم مع انه بالنبي صلى الله عليه وسلم وحده لان ما يصيبه يصيبهم
ومونه موتهم ولذا قيل انها نزلت في الكفرة لما كانوا غالبين على المؤمنين يوصلون اليهم الضرر
الاذية وقيل نزلت في الاعرابي الذي اخترط سيفه اذ وجده صلى الله عليه وسلم وحده كما مر
وقوله وقد قيل يحتمل ان يكون اشارة الى ان هذه القصة في بني قريظة وانه خالف الصحيح المنقول
الواقع وقع في بعض التفاسير فتامله فان غفلته عما ذكر بعيدة مع قوله عقبه وحكى السمرقندي انه
صلى الله عليه وسلم كما رواه ابن سيد الناس وغيره من اصحاب السير وقد تقدم ان الصحيح وان في كلام
المص اشارة اليه خرج من المدينة الى بني النضير بنون مفتوحة وضاد معجمة مكسورة وهم قوم من يهود
خيبر يستعين بهم في عقل الكلابيين مثنى كلابي رجل منسوب لبني كلاب وهي قبيلة من قريش والعقل
مصدر عقل البعير يعقله اذا ربطه بالعقال المانع له من الحركة واصل معنى العقل المنع ومنه
العقل المعروف لمنعه عما لا يليق كما اشار اليه القايل قد عقلنا والعقل اى وثاق
وصبرنا والصبر مر المذاق وسميت به دية المقتول لانها كانت عند العرب ابلا يسوقها القاتل
ونحوه فيعقلها بفنا اهل القتيل لياخذوها واستعانته صلى الله عليه وسلم المراد بها طلبه
ان يعينوه في الدية لما سياتي للذين قتلهما عمرو بن امية وفي نسخة الكلابي بالافراد وقتل مفرد ايضا وعمرو بن
امية هو الضمري بضاد معجمة مفتوحة وميم ساكنة وراء مهملة نسبة لبني ضمرة وهم قومه فهو عمرو بن امية بن
خويلد بن عبد الله بن اياس الصحابي الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه في اموره وهو الذي ذهب
للنجاشي بكتابه فاجابه واسلم وزوجه صلى الله عليه وسلم ام حبيبة اسلم بعد احد وشهد بير معونة
ومات بالمدينة في خلافة معاوية رضي الله تعالى عنه وهو الذي قتل الكلابي مثنى مرفوع فاعل قتل والتثنية
هي الموافقة لما في السير من انه صلى الله عليه وسلم بعث المنذر بن عمرو الساعدي حد نقبا ليلة العقبة
في ثلاثين راكبا من المهاجرين والانصار الى بني عامر بن صعصعة فلقوا عامر بن الطفيل ببير معونة فاقتتلوا
فقتل المنذر واصحابه ونجا عمرو بن امية والضمري وحده او وصاحب له على الخلاف في الرواية ورجعا فلقيا

رجلين من بني سليم وكان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم موادعة فانتسبا لهما الى بني عامر فقتلاهما وكان عمرو
ولا يعرف ذلك العهد ولو عرفه لم يفعله ولذا لزمته الدية لانه خطا فقدم قومهما على النبي صلى الله
عليه وسلم يطلبون ديتهما فخرج لبني النضير هو وابو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم
يستعينهم في العقل لانهم كانوا عاهدوه على ترك القتال والاعانة في الديات فلما دخل عليهم وطلب
ذلك منهم اجابوه وقالوا له اجلس نأتي لك بما سالت فجلس بجنب جدار من بيوتهم كما اشار الى ذلك
بقوله فقال له اى لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل منهم اسمه حيي بضم الحاء المهملة ومثناتين
تحتيتين الاولى مفتوحة مخففة والثانية مشددة ابن اخطب بزنة افعل بخاء معجمة وطاء مهملة
وموحدة ويجوز في حاء حيي الكسر وهو من يهود بني النضير ومن روسايهم والد صفية ام المؤمنين
رضي الله عنها اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سالتنا في الدية وهو عطف تفسير
على نطعمك لان الطعم بالضم في الاصل الماكول فيتجوز به عما ذكر كما يقال اقطعه الارض طعمة له اى
عطية فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر وزاد ابو نعيم الزبير وطلحة وسعد بن
معاذ واسيد ابن حضير وسعد بن عبادة وفي سيرة ابن اسحاق في نفر من اصحابه فيهم ابو بكر وعمر
وعلي ولا منافاة بين الروايات وتوامروا بفتح التاء الفوقية والواو ويقال بالهمز تفاعل من الامر اى نظر
كل امر الاخر والمراد به هنا المشاورة يقال واحره وامره وقيل الواو لغة العامة حتى معهم اى
مع بني النضير اى تشاوروا واتفقوا على قتله صلى الله عليه وسلم بالقاء الحجر عليه فاعلم جبريل
النبي صلى الله عليه وسلم بذلك الذي ارادوه قبل وقوعه فقام من تحت الجدار بسرعة كانه يريد حاجة
اى اراهم صلى الله عليه وسلم انه يريد حاجة له وفي نسخة حاجته بالاضافة فيحتمل قضا الحاجة
المعهودة للانسان فانه يكنى بها عنها كثيرا حتى دخل المدينة ثم سار اليهم وحاصرهم ست ليال وهم
داخل حصنهم فقطع نخلهم وحرقها تنكيدا لهم كما قال حسان وهان على سراة بني لوى
حريق بالبويرة مستطير فقال صلى الله عليه وسلم لهم اخرجوا ولكم ما حملت الابل فنزلوا على
ذلك وحملوا ما لهم من الامتعة على ستمائة بعير ولحقوا بخيبر واخذ منهم صلى الله عليه وسلم
الاموال ومن الحلقة خمسين درعا وخمسين بيضة وثلاثمائة واربعين سيفا فكان ذلك مرصدا
لنوايبه ولم يسهم منها لاحد غير ابي دجانة وسهل بن حنيف لفقرهما ثم قسمها بين المهاجرين رفقا بالمؤمنين
عن الانصار اذ كانوا قاسموهم الاموال والديار لما هاجروا الى المدينة ثم انه قيل ان ما ذكره المص
يقتضي ان اليهود هموا بالقاء الحجر عليه ولم يلقوه وذكر ابن الملقن كما مر انهم القوه عليه صلى الله عليه
وسلم فاخذه جبريل عليه الصلاة والسلام ومنعه عن الوصول اليه والمشهور الاول
وذكر اهل التفسير معنى الحديث عن ابي هريرة كما رواه مسلم والنسائي عنه وهذا المعنى وفي
بعض النسخ وروى اهل التفسير الحديث عن ابي هريرة وهما احسن مما في بعض النسخ وذكر اهل
التفسير ومعنى الحديث بالواو العاطفة فانه محتاج للتقدير اى وذكر اهل الحديث
وعلى هذا فقوله عن ابي هريرة خبر عن معنى وهو مبتدا والجملة معترضة بين ذكر ومفعوله ان ابا
جهل وعد قريشا لين راى محمدا جواب قسم مقدر لما مر من انه حلف لهم على ما وعدهم به وقوله يصلى

جملة حالية ليطان رقبته اي يدوس على عنقه الشريف برجله حماه الله فلما صلى النبي الله عليه وسلم
بالمسجد الحرام اعلموه اي اعلمه قريش به فاقبل متوجها اليه ليدوسه اهانة منه لمن اعزه الله فلما
قرب منه ولى ورجع عن مقصده حال كونه ناكصا على عقبيه اي متاخرا راجعا الخلف والعقب
مؤخر القدم متقيا بيديه اي مادا يديه يمكن يدفع امرا يتقيه وفي بعض النسخ ولى هاربا ناكصا على
عقبيه فهي حال متداخلة او مترادفة ونكص على عقبيه يستعمل فيمن ولى عن خير او عن شر يخاف
عاقبته كما هنا الا انه قيل ان الثاني نادر وذهب الجوهري وصاحب النهاية الى انه يختص بالاول
وفي القاموس نكص عن الامر تكاكا عنه واحجم وعلى عقبه رجع عما كان عليه من خير فهو خاص بالرجوع
عن الخير ووهم الجوهري في اطلاقه او هو في الشر نادر انتهى وفي نفوذ السهم فيما في الجوهري من الوهم
كون النكوص مخصوصا بما ذكر غير ثابت في اللغة وقوله تعالى فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه لا دليل
فيه لانه وان كان رجوع الشيطان عن معاونة الكفار بعد دليس رجوعا عن خير يحتمل الاستعارة
التهكمية وقدم الكلام عليه ايضا في اعجاز القران فتامله فسيل اي سال قريش ابا جهل عن ذلك
اي عن رجوعه كذلك وما سببه فقال مجيبا لهم لما دنوت منه اشرفت اي اطلعت قريبا مني على خندق
حفير مملوء نارا كدت اهوى اي اقع واسقط فيه وابصرت هولا عظيما اي امرا مخوفا عظيما لم ار مثله
مما ذكر ومن غيره كالتخيل الذي اراد اهلاكه وخفق اجنحة اي اجنحة يضرب بعضها بعضا لها اصوات
قد ملأت الارض التي كان فيها وهي اجنحة الملائكة التي ارسلت لحمايته ونصره صلى الله عليه وسلم كما
اشار اليه بقوله فقال عليه الصلاة والسلام تلك الملائكة لو دنا اي قرب منه لايقاع ما قصده
لاختطفته الملائكة عضوا عضوا اي من فتنة وفرقت اعضاءه وهو منصوب على الحال بتاويل مفرقا كقرأته
النحو بابا بابا كما فصله النحاة ثم انزل الله وحيه على النبي صلى الله عليه وسلم في شان ذلك فقال كلا
ان الانسان ليطغى ان راه استغنى الى اخر سورته يعني ان الى ربك الرجعى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى الخ
ويناسبه ما ذكر قوله كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية وقوله سندع الزبانية كلا لا تطعه
واسجد واقترب فالمراد بالانسان ابو جهل وطغيانه تجاوزه حده قيل هذه القصة
في صحيح مسلم فالذي ينبغي نقلها منه دون التفاسير وهو امر سهل لا ينبغي الاعتراض بمثله وتفصيل
معنى الاية في التفاسير فلا حاجة لذكره وروى الراوي له ابو نعيم في الدلائل ان شيبة بن عثمان الحجبي
بفتح الحاء المهملة والجيم ومهملة وبالنسبة للحجبة جمع حاجب ككتبة جمع كاتب وفي النسبة الى
الجمع يرد الى مفرده والقياس حاجبي لكنه لما غلب الحجبة الكعبة جاز النسبة اليه كانصاري اولانه
على زنة المفرد ومثله ينسب اليه على قول والحاجب من يتولى الحجابة وهو البواب ومن بيده المفتاح من الحجب
وهو المنع وشيبة علم منقول من الشيب المعروف وهو شيبة بن عثمان بن ابي طلحة بن عبد العزى بن عثمان
بن عبد الدار بن قصي الصحابي المشهور خادم الكعبة ومن بيده الاذن الى الان اسلم يوم الفتح وقيل يوم
حنين ومات سنة تسع وخمسين واخرج له البخاري واحمد في مسنده وابو داود وترجمته معروفة
وما في بعض النسخ الجمحي بجيم غلط من الناسخ ادركه صلى الله عليه وسلم اي لحقه ووصل اليه يوم
حنين في غزاتها وهو واد قريب من الطائف معروف وكان قبل ذلك حمزة عم رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم وسيد الشهداء قد قتل اباه عثمان بن ابي طلحة وعمه طلحة ابن ابي طلحة المشهور وكان قتله لهما
باحد وكان طلحة ليث الكتيبة وحامل لواء الكفرة فلما قتل حمل اللواء اخوه عثمان فقتل الا انه قيل
ان المروي في السير ان الذي قتل طلحة علي بن ابي طالب فلما اخذ اللواء اخوه عثمان حمل عليه حمزة فقتله
وقال الذهبي في تجريده ان الذي قتل ابا شيبة علي ايضا وهو مخالف لما قاله المص كما قاله البرهان
الحلبي وفي سيرة ابن سيد الناس ان عليا ضرب اباه فازال منعته فحمل عليه حمزة فقطع يده
وكتفه وقده حتى بدا سحره اي رئته فكل من علي وحمزة له دخل في قتله الا ان عليا لما ازال منعته
وقوته نسب القتل له حتى استحق سلبه فلا منافاة بين كلام المص وكلام غيره فقال شيبة
لما ادركه اليوم المراد به الوقت الحاضر اذكر ثاري بمثلثة وراء مهملة بينهما الف مهموزة وهي الاصل
وهو طلب الدم واخذه من قتله من محمد لانه سبب قتله فاراد ان ينتقم منه ويشفي غيظه
وحرارة نفسه لتمكنه منه فلما اختلط الناس في القتال وازدحموا ورسول الله صلى الله عليه
وسلم فيهم اتاه من خلفه بحيث لا يراه ورفع سيفه بيده ليصبه عليه اي ليضربه ويقتله
ويأخذ ثاره ويشفي غليله ممن كان سببا لقتل ابيه وعمه واصل الصب اراقة الماء واستعير للضرب
بالالة كالسيف قال تعالى فصب عليهم ربك سوط عذاب ولعل لمعان السيف يشبه بالماء لرونقه
وفرنده قال شيبة فلما دنوت منه اي لما قصدت ذلك ارتفع الي اي علا وصعد الي من جانبه شواظ
اي لهب من نار والشواظ اللهب مطلقا او لهب لا دخان له او لا يخالطه غيره او يخالطه شي اخر وهو بضم
الشين المعجمة وكسرها وقوله من نار بيان له وكلا لان اللهب لا يكون الا من النار اسرع في ارتفاعه من البرق ولوليت
هاربا خوفا من ان يحرقني فحس بي رسول الله صلى الله عليه وسلم اي علم رجوعي عنه فدعاني بجنبيه
فوضع يده على صدري وهو ابغض الخلق الي لانه اسلم خوفا من القتل ولم يخلص ايمانه وفي قلبه حقد
على رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل ابيه وعمه فما رفعها اي يده عن صدري الا وهو احب
الخلق الي فبدل الله بغضه بحبه وازال عن صدره وقلبه الحقد واثر الكفر فلما علم ذلك منه
الرسول صلى الله عليه وسلم احبه وقال له ادن من العدو وامنع وقاتل في سبيل الله خالص
السريرة مخلصا ببركة مس يده صلى الله عليه وسلم له فتقدمت امامه بين يديه اضرب بسيفي كل
من لقيته من الكفار واقيه بنفسي اي اجعلها وقاية له صلى الله عليه وسلم مانعة عنه ولو لقيت
تلك الساعة التي انا فيها ابي لاوقعت به سيفي فقتلته وفي بعض النسخ دونه وانما خص اباه للمبالغة
في عموم قتله لمن لقي حتى اعز الناس وللاشارة الى ان سبب بغضه وهو قتل ابيه قد زال بالكلية حتى
يجوز عنده ان يقتله بنفسه فضلا عن قتل قاتله والحديث مفصل في سيرة ابن سيد الناس بسند
صحيح مروي عن شيبة نفسه وكان صالحا ذا فضل حدث باسلامه وانه انما سار لحنين ليغتال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لكراهته له وان ذلك لم يزدد في قلبه وتصميم عزمه على
قتله فلما اختلط الناس نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بغلته فدنوت منه وذكر ما
وان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح صدره وقال اللهم اعذه من الشيطان فاذهب الله
ما بقلبه حتى صار احب اليه من نفسه واهله وابيه فلما رجع ودخل خباءه فدخلت عليه كغيره حبا

لرويتي وجهه فقال لي يا شيب الذي اراد الله بك خير مما اردت بنفسك وحدثني بكل ما اضمرته في نفسي
مما لم اذكره فقلت اني اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ثم قلت استغفر لي فقال غفر الله لك
وعن فضالة بن عمرو عن ابن اسحاق وابن سيد الناس وفضالة بضم الفا وفتحها وتخفيف الضاد المعجمة
واللام وابوه عمرو ويقال عمير بالتصغير بن الملوح الليثي والتصغير اصح والملوح بكسر الواو المشددة
وفتحها واقتصر على الثاني في القاموس قال اردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح
اي فتح مكة وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال افضالة الهمزة للندا وفي نسخة فضالة بدون
همزة وحرف الندا مقدر فيه قيل ويمكن ان تكون الهمزة للاستفهام وفضالة خبر مبتدا محذوف
تقديره انت فضالة فقال نعم تصديقا له والاستفهام حقيقي وكونه للتعجب مما يختلج في صدره
او اجابة لندايه او اعلام له بانه فضالة كما قيل تكلف لا يخفى قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك
حديث النفس عبارة عما يخطر بالقلب قلت لا شي اي لم يخطر بقلبي شي مما ظننته فضحك واستغفر لي
اي دعا لي بان يغفر الله لي ما يخطر بقلبي ووضع يده على صدري ليذهب الله ما فيه من الضلال
وما عزم عليه من الاوهام فسكن قلبي اي اطمان وذهب ما فيه من الوسواس وتكذيب
الرسول صلى الله عليه وسلم وثلج صدره ببرد اليقين قال فضالة فوالله ما رفعها اي
رفع يده عن صدره حتى ما خلق الله شيا احب الي منه وحديثه كما في سيرة ابن اسحاق وابن
سيد الناس انه اراد قتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف عام الفتح وذكر ما ذكره
المصنف ثم قال فرجعت الى اهلي ومررت بامراة كنت اتحدث اليها فقالت هلم الى الحديث فقلت
لا وانبعثت اقول قالت هلم الى الحديث فقلت لا يابى عليك الله والاسلام
لو ما رايت محمدا وقبيله بالفتح يوم تكسر الاصنام لرايت دين الله اضحى بينا
والشرك يغشى وجهه الاظلام وفضالة الليثي هذا هو ابن وهب بن بحرة بن يحيى بن مالك
وليس هو الزهراني فانه تابعي غيره ومن ظنه هذا فقد اخطا ومن مشهور ذلك اي عصمة الله
لنبيه صلى الله عليه وسلم ما رواه ابن اسحاق والبيهقي بلا سند وابو نعيم في الدلايل
مسندا الى عروة خبر عامر بن الطفيل العامري وهو عامر بن الطفيل بن عامر بن مالك سيد
بني عامر في الجاهلية مات كافرا بالاتفاق واربد بن قيس بفتح الهمزة وسكون الرا المهملة وفتح
الموحدة ودال مهملة وهو اخو لبيد بن ربيعة الصحابي لامه وكان شاعرا مفلقا ومات على الكفر
ايضا حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انه لما فرغ رسول الله صلى الله عليه
وسلم من تبوك واسلمت ثقيف ودخل الناس في الاسلام افواجا قدمت عليه وفود الناس افواجا
فوفد عليه اربعة من رؤسايهم عامر بن الطفيل واربد بن قيس وغيرهما وكان عامر قال له اي لاربد
انا اشغل عنك وجهه اي الهيه حتى تبطش به فاضربه انت وخصه بسره لما بينهما من الصداقة
فامتثل امره وهم بذلك فانتظره ليفعل ما امره به فلم يره اي لم ير عامر اربد فعل شيا مما اتفقا عليه
من البطش به وعامر يكلمه صلى الله عليه وسلم ويلهيه فلما كلمه اي كلم عامر اربد في ذلك
اي في الامر الذي اتفقا عليه بان قال له ما لك لم تفعل ما اتفقنا عليه من البطش برسول الله

صلى الله عليه وسلم فاعتذر اليه وقال والله ما هممت ان اضربه اي اضرب النبي صلى الله عليه
وسلم بالسيف الا وجدتك بيني وبينه اي ارى جسدك حايلا بيني وبين النبي صلى الله عليه وسلم
بحيث لو ضربته ضربت صاحبه افاضربك انكار له اي كيف اضربك وكان عامر شاعرا وريسا مطاعا الى قومه فقالوا له
لما جات العرب افواجا للاسلام ان الناس قد اسلموا فاسلم فقال اني اليت لا انتهي حتى تتبع العرب عقبي
فاتبع فتى من قريش ثم قدم هو واربد على قتل النبي صلى الله عليه وسلم وقاله ما قصه المصنف
جوار جعين ليلا وقدهم وفي الدلايل انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم خالني يا محمد فقال لا حتى تومن
بالله وحده وقال ذلك مرارا وهو يجيبه بذلك فقال والله لاملانها عليك خيلا ورجالا توعدا منه
بان يغزو المدينة فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفني عامرا فلما رجع اصابه طاعون في عنقه
فمات في بيت امراة من سلول فكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية يعني اخس موته في اخس
قبيلة فمات كافرا وواروا جثته التراب ورجع اصحابه لقومهم فقالوا لاربد ما وراك يا اربد فقال
لا شي لقد دعانا لعبادة شي ولقد وددت انه عندي لان فارميه بالنبل حتى اقتله ثم خرج بعد مقالته
هذه بيوم او بيومين ومعه جمل له فاصابته صاعقة احرقتهما فهلك كافرا كما روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان عامرا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد مع اصحابه وكان
من اجمل الناس الا انه كان اعور فجعل الناس ينظرون لجماله واخبروا به رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ان يرد الله به خيرا يهده فقام وقال يا محمد ما لي ان اسلمت فقال لك ما للمسلمين
وعليك ما عليهم فقال اتجعل لي الامر من بعدك قال ذلك ليس لي انما هو لله يجعله حيث يشا
قال تجعلني على الوبر وانت على المدر اي حكم البادية وحكم المدن قال لا قال فما تجعل لي قال اجعل لك
اعنة الخيل الغازية في سبيل الله قال وليس لي اعنة الخيل اليوم فقم معي اكلمك فقام صلى الله
عليه وسلم معه وكان عامر ومى اربدا اذا خلا به ان يدور من خلفه ويضربه بسيفه وروي ان الغدة
كانت في ركبته وروي القصة على وجوه اخر هذه محصلها كما في السير وكتب التفسير غير ان البغوي
والقرطبي في التفسير ذكرا ان اربدا من خلفه صلى الله عليه وسلم واخترط سيفه فقال اللهم
اكفنيهما بما شيت فوقعت عليه صاعقة فاهلكته وهو يقتضي انه مات قبل عامر وفي هذين التفسير
ان اربد بن ربيعة والمصنف قال انه ابن قيس ولا منافاة بينهما كما توهم لان ربيعة جده الاعلى وفي اربد
نزل قوله تعالى ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء واجمعوا على ان عامرا مات كافرا وفي التجريد للذهبي
عامر بن الطفيل بن مالك العامري سيد بني عامر في الجاهلية روى عنه ابو امامة كما ذكره المستغفري
ونقله البرهان الحلبي وفيه نظر ومن عصمته اي حفظ الله له ان كثيرا من اليهود والكهنة جمع
كاهن وهو الذي يخبر عن المغيبات وما يقع في المستقبل بما يتلقاه او يعرفه بفراسته ويسمى الثاني
عرافا انذروا به اي اخبروا واعلموا والانذار اعلام لمخوف قبل وقوعه وعينوه لقريش اي بينوا
ذاته الشريفة لهم واخبروهم بسطوته بهم اي انه يغزوهم ويقتلهم وحضوهم على قتله اي
حثوهم وحرضوهم على ذلك حتى يسلموا منه فعصمه الله عز وجل بان حفظه وعصمه ومنعه من كيدهم
مع انه صلى الله عليه وسلم كان بين اظهرهم بغرهم حتى ابلغ الله بلطفه وحفظه له فيه امره

بان نصره واظهر دينه على جميع الاديان ان الله بالغ امره وبلغ بفتح اللام المخففة من البلوغ قال
الراغب هو الانتهاء الى اقصى الامد والمنتهى مكانا او زمانا او امرا من الامور المقدرة انتهى ومن ذلك
اى عصمه الله تعالى له صلى الله عليه وسلم وصيانته مارواه الشيخان وهو نصر بالرعب اى بالقاء
الخوف منه فى قلوب اعدايه ومن لم يتبعه مسيرة شهر اى من مكان بعيد عنه اقل ما انقطع مسافته فى شهر اى
فى ثلاثين يوما كما قال صلى الله عليه وسلم اى انه ثابت بهذا اللفظ فى الحديث الصحيح كما تقدم وهو
فى الصحيحين وفى مسند احمد عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه انه قال عليه الصلاة والسلام بعثت بجوامع
الكلم ونصرت بالرعب قيل وهو مخصوص به صلى الله عليه وسلم ولو كان وحده وتقييده بالشهر
لانه لم يكن بينه وبين اعدايه اكثر منه وتخصيصه به باعتبار من قبله فان ابن حجر رحمه الله تعالى قال
ان ذلك لامته من بعده ايضا ويويده ان فى مسند احمد الرعب يسعى بين يدى امتى شهرا والرعب كناية
عما يلزمه من الظفر فضل مما اكرمه الله به صلى الله عليه وسلم من معجزاته اى اموره الخارقة للعادة التى
عجز غيره عنها وعن معارضتها والاتيان بمثلها وتا المعجزة للمبالغة كها علامة او للتانيث لان المراد الاية
والعلامة او الخصلة المعجزة الباهرة اى الغالبة او الظاهرة على غيرها من بهر القمر بضوئه الكواكب حتى اخفاها
وهو تشبيه بليغ او استعارة مصرحة ما جمعه الله له من العلوم والمعارف جمع معرفة لا معروف
كما قيل لانه على تقديره غير مناسب والعلم والمعرفة بمعنى وقد يفرق بينهما بتخصيص الثانى بالامور الجزئية
او بما يسبقه جهل على كلام فيه تقدم تفصيله ومن بيانية ويجوز ان تكون تبعيضية والاول
اظهر وخصه به اى جعله مخصوصا به دون من قبله وكذا خص امته بما لم يكن لغيرهم من الامم من العلم
وكثرة التاليف والتصانيف الذى لم يكن لامة من الامم مع قصر اعمارهم وضعف ابدانهم والبا تدخل على
المقصور والمقصور عليه وفى ايهما الاصل كلام مفصل فى حواشى المطول لا حاجة لنا به هنا من الاطلاع
اى الوقوف والعلم وهو بيان لما على جميع مصالح الدنيا والدين متعلق بالاطلاع ومصالح الدنيا
ما يصلح به امر المعاش ومصالح الدين معرفة احكامه المصلحة لهم فى الدارين ولا ينافى هذا اى الاطلاع
على مصالحهما قصة بدر فى اختياره صلى الله عليه وسلم الفدا وكان الاولى به ما رواه عمر رضى الله تعالى
عنه من قتلهم حتى عوتب صلى الله عليه وسلم على ذلك وكذا منعه صلى الله عليه وسلم الناس
من تابير النخل فلم يثمر فى ذلك العام فقال انتم اعلم بامور دنياكم منى انما لانه كما قيل كان له حالان واطوار
منها ما يغلب عليه فيه عدم الالتفات للاسباب الظاهرة لقصره نظره على تفويض الامر لله والتوجه
للعلم به وقطع نظره عن الحوادث الكونية وعلم عمر رضى الله تعالى عنه مقتبس منه ومن نور مشكاته كما
قيل كالبحر يمطره السحاب وما له من عليه لانه من مائه وما قيل من انه صلى الله عليه وسلم
نحا امره فى ذلك على الظن دون الجزم والانبيا قد يظنون فى امور الدنيا المجردة عن الاخرة فقد يظنون امرا
فيها ويكون الامر على خلافه ليس بشى وقيل انه انما كان ليعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم ذلك
بالمشاهدة ويبين له الحكم فيه حتى يكون شرعا متبعا ولو بقى الامر كما كان فقد يقال انه كما وجد تقوى الحكم
بالدليل اقوى منه بالسكون وفيه نظر وقال السنوسى اراد صلى الله عليه وسلم ان يحملهم
على خرق العوايد فى ذلك اعتمادا على التوكل فلم يتسلوا ولم يصبروا ولو صبروا كان خيرا لهم بان

يتسلوا ويصبروا سنين فاكثر فلو فعلوا كفوا ذلك لانه اعلم منهم بذلك وعزم قيل وهو فى غاية
الحسن لمن تامله وسياتى تتمته ان شا الله تعالى ومعرفته صلى الله عليه وسلم بامور شرايعه التى
شرعها الله تعالى له ولعباده على لسانه جمع شريعة وهى فى الاصل طريق مسلوكة ومورد ماء يباح
نقلت لوضع الهى موصل لسعادة الدارين والمناسبة بينهما ظاهرة وقوانين دينه جمع قانون وهى
لفظة معربة من الرومية معناه الاصل المقيس عليه ثم نقل لقضية كلية يستخرج منها احكام
جزئياتها بجعلها كبرى لصغرى سهلة الحصول تنتج المطلوب كما تقرر فى محله والدين والملة بمعنى
وان تغايرا مفهوما والمراد بمصالح الدنيا والدين منافع ذلك وحكمه وفوايده وهو غير ضبطه لامور
الشريعة وقوانينها فما قيل من انه اذا حصل له العلم بجميع مصالح الدنيا والدين فقد خص بما لم يخص
بشر قبله فيكون الثانى غير الاول فما موقع قوله ومعرفته الخ لان جملة الدين مبنية على جلب المصالح
ودرء المفاسد خبط لا فايدة فيه كما يعلم مما قررناه وسياسته عباده اى القيام بضبط العامة
من عباد الله فالضمير لله والسياسة لفظ عربى من ساسه يسوسه اذا دبر امره ومن قال انه معرب من سه
سا اى ثلاثة قوانين فقد اخطا ولها معنى اخر عند الفقها وربما تجعل مقابلة للشرع
ولا يصح ذلك هنا وفى القاموس انها مصدر سست الرعية سياسة اذا امرتها ونهيتها
ومصالح امته المراد امة الاجابة وامة الدعوة والظاهر ان المراد غير ما تقدم كالسوال عن امورهم
واقتصاديونهم والاحسان الى فقرايهم وغير ذلك من لطفه بهم ومعرفة ما كان فى الامم قبله
مما وقع لهم وجرى بينهم من الاختلاف اى مخالفة بعضهم لبعض وما جرى لهم من النعم والنقم التى
لا يعلمها الا القليل من اهل الكتاب وعلمايهم وهو صلى الله عليه وسلم امى نشا فى امة امية
ولم يرحل للبلاد النائية ولم يعاشر بقايا الامم الخالية مما بينه احسن بيان وقرره
تقرير وقصص الانبيا والرسل من عطف العام على الخاص والفرق بينهما مشهور وقصص
بكسر القاف جمع قصة او بفتحها مصدر قصه يقصه قصصا اذا حكاه والجبابرة جمع
جبار وهو المتكبر قال الراغب الجبار فى صفة الانسان الذى يجبر نقصه بادعا منزلة
من التعالى لا يستحقها ولا يقال الا على طريق الذم كقوله تعالى وخاب كل جبار عنيد
ويقال للقاهر لغيره جبار كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار انتهى وقد تقدم
ما فيه الكفاية والقرون الماضية قبله من الامم وقد تقدم معنى القرن ومقدار زمانه
واصله الزمان ثم اطلق على اهله قيل يجوز ان يراد الامم التى هلكت ولم يبق منها احد لانه يطلق
على ذلك وان يراد الزمن نفسه من لدن ادم الى زمنه لدن ظرف زمان مبنى ومعرب فى لغة
قيس وهو قريب من معنى عند وبينهما فرق ذكره النحاة اى احاط علمه بذلك واخبر به امته
واحفظ شرايعهم وكتبهم ولم يقرا ولم يكتب ووعى سيرهم الوعى الحفظ والجمع والسير
جمع سيرة بالكسر وهى حالة الانسان غريزية او مكتسبة يقال سيرة حسنة وسيرة
قبيحة قال الله تعالى سنعيدها سيرتها الاولى اى حالتها الاولى اى حفظه وجمعه فى ذهنه
لاحوالهم وما كانوا عليه وسرد انبايهم اى سوق اخبارهم للناس سوقا حسنا منتظما كسرد

حلقات الدرع ونسجها وايام الله فيهم اى وقايعهم التى قدرها الله لهم والايام تطلق على الوقايع
والحروب كايام العرب وهو معنى مشهور صار حقيقة عرفية · وقيل المراد نعمه ولا وجه له
وصفات اعيانهم اى كبارهم ورؤسايهم وقيل المراد ذواتهم كما وقع فى الاسرا من ذكر الانبيا
عليهم الصلاة والسلام وصفات ذواتهم واختلاف ارايهم جمع راى اى عقايدهم ونحوها
والمعرفة بمددهم جمع مدة وهى مقدار من الزمن اى كم كانت مدة كل امة ومدة ملكهم وملوكهم
وانبيايهم واعمارهم جمع عمر بضم العين وفتحها وهى مدة الحياة وحكم جمع حكمة وهى القول
الصواب المتضمن النصيحة اى موعظة حكمايهم جمع حكيم وهو العالم بالحكمة الناصح لغيره المعلم
للحكمة فى عصره كحكما الفرس والعرب وغيرهم ومحاجة كل امة من الكفرة اى ذكر حجته وبرهانه
وما حاج به غيره وقيل المراد محاجته نفسه لغيره كمحاجته لنصارى نجران ومباهلته لهم
والظاهر ما قدمناه ومعارضته اى مخالفته ورده كل فرقة وطايفة من الكتابيين اى اهل الكتاب
والمراد به التوراة والانجيل لان الزبور والصحف لم تتضمن الاحكام ولم تشتهر وهو جمع كتابى
بيا النسبة بما فى كتبهم متعلق بمعارضه وجمعها لاشتمالهما على ما فى غيرهما ولان الجمع باعتبار
المعنى كثير واعلامهم باسرارها اى دقايق معناها التى لم يطلعوا عليها وخبيات علومها
واخبارهم بكسر الهمزة مصدر مضاف للفاعل ويجوز فتحها اى ما خفى عليهم منها بما كتموه اى
اخفوه كصفته صلى الله عليه وسلم وقصة رجم الزانى المشهورة من ذلك الاعلام ومامعه
وغيره بتحريف لفظه وتاويله بغير معناه الى الاحتوا اى الاشتمال والحفظ والتضمن متعلق
بجمع السابق اول الفصل لتضمنه معنى ضم او الى بمعنى مع على لغات العرب جميعها من غيره مه
وغريب الفاظ فرقها جمع فرقة وهى الطايفة المنفرقة والاحاطة بضروب فصاحتها تركيبا
وافرادا فكان صلى الله عليه وسلم يخاطب كل قوم بلغتهم كما تقدم وامثالها جمع مثل وهو
كلام شبه مضربه بمورده وحكمها اى جوامع كلمها فى النصايح فان العرب بذلك
وحكما العرب وحكمتهم مشهورة ومعانى اشعارها فانه صلى الله عليه وسلم كان يعرفها وان لم
ينشدها موزونة ويتكلم بها والتخصيص اى تخصيص الله اياه بنطقه بجوامع كلام العرب
اى الالفاظ الحسنة البليغة الجامعة للمعانى الكثيرة فى الفاظ قليلة وقد يراد به القران وليس
بمراد ومفرده جامعة الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة الامثال المتقدمة امثال صادرة ممن قبله
وهذه امثال ابتدعها صلى الله عليه وسلم والامثال النبوية مشهورة مدونة والى كالتى تقدمت
والجار والمجرور هنا وما بعده متعلق بمقدر او بدل مما قبله او متعلق به بعد تقييده والى فيها
بمعنى اللام لان العامل الواحد لا يتعدى بحرفين بمعنى واحد فاكثر الا على هذه الوجوه كما قرره
فى قوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا وتقدم تفسير المثل وانه من ضرب الخاتم اذا طبعه
وصاغه وانما صادرة كثيرا من الانبيا عليهم الصلاة والسلام لتقرير المعانى فى النفوس وايضاحها
بجعل المعقول كالمحسوس كما حققه فى الكشاف والحكم البينة اى الظاهرة فى نفسها المظهرة
لامور بديعة ومعان لطيفة لتقريب التفهيم للغامض اى المعنى الخفى الدقيق وهو فى الاصل كان

المخفض

المخفض فاستعير لما ذكر وتقريبه ايضاحه والجار الاول متعلق بضرب الامثال والثانى بالتفهيم
وقوله والتبيين للمشكل اى اظهار ما التبس وان كان غير غامض واصل معنى الاشكال كونه
غير متميز عن اشكاله واشباهه وهو متعلق وراجع للحكم البينة الى تمهيد اى بسطه
بتوطيته له وبيان مقدمات قواعد الشرع اى اساسه وقضاياه واصوله الكلية المحمدية
الذى جاء بوحى من الله الذى لا تناقض فيه اى لا تخالف بين قضاياه واحكامه لاحكامها ولو كان
من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولا تخاذل بتخاذل بحاء ودال مهملتين ولام تفاعل من الخذلان
وهو ترك نصرة من يستحق نصرته وهو استعارة تمثيلية لان الشرع يعضد بعضه بعضا ويؤيده
واحكامه متناسبة متعاضدة كما ان القران يفسر بعضه بعضا ومن حسنه بان قواعد الشرع
مشتملة على انه لا يخذل اخاه اذا ظلم لاقتضا قواعد الشرع استوا الرفيع والوضيع والمالك
والمملوك والعالم والجاهل فى جريان احكامه عليه من غير فرق بين صغيره وكبيره لم يات بشئ بعيده
مع اشتمال شريعته وتضمنها واحتوايها على محاسن الاخلاق اى على بيانها للناس وحث الناس
على التخلق بها وقد ورد فى الحديث بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقد تقدم معنى الخلق وانه
مكتسبا وطبعيا وان الخلق يقبل التغير ولذا ورد فى الشرع النهى عن الاخلاق المستردية
والامر بضدها ولولا ذلك لم يفد ومحامد الاداب جمع محمدة وهى ما يحمد فعله والاداب جمع
ادب بفتحتين وهو معاملة الخلق بلطف ومداراتهم كما قال صلى الله عليه وسلم
ادبنى ربى فاحسن تاديبى وهو من اضافة الصفة للموصوف اى الاداب المحمودة وفسر
الادب فى القاموس بالظرف وحسن التناول والفعل الجميل وكل شئ مستحسن عند ارباب
الطباع السليمة وهو مجرور معطوف على محاسن الاخلاق مفضل بزنة اسم المفعول بالضاد
المعجمة والصاد المهملة كما قاله اى مفضل على غيره او فضله للناس تفصيلا لم ينكر منه ملحد
اى عادل عن الحق زنديق ومعناه لغة الميل وخص بالميل عن الحق قال الراغب الالحاد ضربان الحاد
الى الشرك بالله والحاد الى الشرك بالاسباب فالاول ينافى الايمان ويبطله والثانى يوهن
عراه ولا يبطله انتهى ذو عقل سليم مستقيم مدرك ادراكا سالما عما يضعفه ويمنعه
من العدول عن الحق شيئا مفعول ينكر الا من جهة الخذلان تقدم ان الخذلان لغة عدم النصر
والمراد به هنا عدم التوفيق والتوفيق خلق قدرة الطاعة فى العبد عندنا وفسره المعتزلة
بلطف الله بعبده والخذلان المقابل له عدم لطفه به كما فصل فى علم الكلام يعنى لا ينكره
الا من خذله الله ولم يوفقه للعلم به ومشاهدة احواله ثم ترقى عما ذكره فاضرب اضرابا
انتقاليا او ابطاليا لانكاره باثبات ضده فقال بل كل جاحد اى منكر له اى لما ذكر مما قدمه
وكافر بما جاء به من الجاهلية اى اهلها به اذا سمع ما يدعو صلى الله عليه وسلم الخلق اليه
من الحق المبين صوبه اى اعتقد واعترف به ابكاره مكابرة تاباها العقول السليمة والطباع
المستقيمة واستحسنه اى عرف حسنه واعترف به دون طلب اقامة برهان وحجة عليه
اى على ما اتى به لظهور حقيقته كما ردعلى علم كعبد الله بن ابى بن سلول وغيره مما ذكر فى كتب

الحديث والسير ثم ما احل لهم من الطيبات اى اشتمال شريعته على ما جعلته حلالا للناس مما
حرمه غيره كبني اسرائيل الذين حرموا كل ذي ظفر من طير وابل ومن البقر والغنم شحومهما الا ما حملت
ظهورهما او الحوايا وحرم عليهم من الخبائث كالميتة والدم ولحم الخنزير والزنا وغير ذلك
من المحرمات وعطف بثم لما بينهما من تفاوت الرتبة وقيل لان الاول تفصيل وهذا اجمال
وبينهما تفاوت وبون ظاهر وفسر الشافعي الطيبات بما ليس بمستقذر والخبائث بضده
والعبرة في ذلك بالطباع السليمة واشتمال شريعته على ما صان به انفسهم
من الهلاك كتحريم قتل النفس بغير حق وقصاص القاتل واعراضهم بفتح الهمزة جمع عرض
بكسر العين وسكون الراء وهو في العرف كل ما يخل تركه بالانسان وهو المراد واختلف
في معناه الحقيقي لغة فقيل هو ما يمدح به المرء او يذم سواء وصف به دون اسلافه
ام لا وفي الحديث كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وفي حديث اهل الجنة لا يبولون
ولا يتغوطون وانما هو عرق من اعراضهم فنفس بكل موضع يعرق من الجسد وقال الاصمعي
يقال هو طيب العرض اى الريح وفسر بعضهم العرض بالنفس فعلى هذا هو عطف تفسير
واموالهم فمن امن به صلى الله عليه وسلم واتبع شرعه صان دمه وعرضه وماله من المعاقبات
بيان للماصان كالحد والتعزير والحبس والحدود كحد الزنا والسرقة والقذف وشرب الخمر عاجلا
اى في الدنيا وهو حال مقيد للعاقبات والحدود والتخويف بالنار آجلا في الآخرة لانه مستقبل
من الاجل وهو الوقت المحدود وفي بعض النسخ بدل التخويف التحريق تفعيل من الحرق بالنار اى
نار جهنم واختلفوا فيمن حد وعوقب في الدنيا هل يسقط عنه عذاب الآخرة ام لا فقيل
يسقط مطلقا وقيل بشرط التوبة ايضا واليه ذهب المعتزلة وقيل لا يسقط وانما
شرع زجرا ليرتدع الناس عنه والاصح الاول لما ورد في الحديث من اصاب من ذلك شيئا
فعوقب فهو كفارة له ومن اصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو الى الله ان شاء عفى عنه
وان شاء عاقبه وما ورد في الحديث من انه صلى الله عليه وسلم قال لا ادري الحدود كفارة
لاهلها ام لا فقيل الاول اصح وقيل انه صلى الله عليه وسلم قاله قبل العلم به فهو منسوخ
وقوله مما لا يعلم بالبناء للمجهول اى لا يعلمه غيره من الناس وهو بيان لجميع ما تقدم من اول الفصل
الى هنا ولا يقوم بحمله اى يحفظه ويتقنه كما هو حقه وبه فسر القيوم بل ولا بعضه فضلا
عن كله الا من مارس الدرس اى لازم دراسة الكتب واجتهد فيها والعكوف على الكتب السالفة
قال الراغب العكوف الاقبال على الشيء وملازمته على سبيل التعظيم ومنه الاعتكاف انتهى
وهذا تابيد لانه منحة الهية يخصه الله تعالى بها فما قيل انه لا حاجة اليه وهم من قائله فاعرفه
فانه في غاية الظهور ومناقثه في بعض هنا الظاهر انه بميم ونون وقاف ومثلثة وهو بمعنى الاستخراج
كما في القاموس معطوف على الدروس والمعنى ظاهر وما في بعض النسخ من انه بالفا مفاعلة من النفث
وهو تفل الريق من الساحر والراقي ويطلق على لازمه وهو السحر والسحر قد شاع في الدقة وكانه
المراد اى والدقيق في بعض هذه الامور وقوله مما لا يعلم الى هنا ساقط من اكثر النسخ ولم يتعرض له

الشراح الى الاحق اى مع اشتمالها او مضموما الى الاشتمال على ضروب العلم اى انواعه جمع ضرب
بفتح الضاد وكسرها ويكون بمعنى المثل ايضا وفنون المعارف اى اقسام المعرفة المتعلقة
باحوال الدنيا واهلها كما ان ضروب العلم المراد بها ما يتعلق بالشرايع والآخرة فهو من عطف
المتغايرين لا من غيره على انه تفنن والفرق بين العلم والمعرفة مشهور كالطب اى معرفة ما يتعلق
ببدن الانسان من حيث الصحة والسقم وكان صلى الله عليه وسلم اعرف الناس به كما
في الطب النبوي وهو من العلوم القديمة المدونة وله معان في اللغة وهو مثلث الطا
مشدد الباء والعبارة بكسر العين المهملة اى تعبير رؤيا المنام وفعله عبر تخفيف الباء
والناس يشددونها وقد انكره بعض اهل اللغة الا انه سمع في بيت انشده المبرد رحمه الله
تعالى في الكامل وهو قوله رايت رؤيا ثم عبرتها وكنت للاحلام عبارا كما
في الكشف ووقع في بعض النسخ العبارة مضبوطا بفتح العين ولم اقف عليه والفرايض
جمع فريضة وهو النصيب من الميراث والفرايض صار علما للعلم بذلك وهو قسم من علم
الفقه افرد بالتاليف فصار علما مستقلا ولذا نسب اليه فقيل فرايضي والحساب هو علم
يتعلق بالعدد ولابتناء الفرايض عليه في الاكثر قرنه به والنسب اى معرفته بانساب
العرب وغيرهم وهو من علم التاريخ وكان الصديق رضي الله عنه اعلم الناس به بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من العلم وانواعه مما اتخذ اهل هذه المعارف
لو قال الادلة كان اظهر واشمل واخصر كلامه صلى الله عليه وسلم فيها اى في هذه العلوم
والمعارف وقيل الضمير للشريعة اى في شريعته وهو خلاف الظاهر قدوة واصولا اى ادلة
مثبتة لها او قواعد وضوابط يرجعون اليها في الحوادث الجزئية اذا وقعت لهم في علمهم اى
علومهم التي دونوها في هذه الفنون كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابن ماجه
عن انس الرؤيا اى ما يرى في المنام من الاحلام مصدر يختص بذلك ويقال في غيره رؤية بالتاء والرؤيا
لاول عابر متعلق بمقدر اى مصادقة موافقة لاول تفسير تفسيره والعابر هو الذي يبين الرؤيا
ويفسرها واول الحديث استعبروها باسمائها وكنوها بكناها والرؤيا لاول عابر اى
فسروها بما يناسب الفاظها كما اذا قيل سالم فاول بالسلامة وهو نوع من التعبير والتكنية ليس
من الكنية المشهورة بل المراد به التمثيل كما في النهاية وهي عند اهل السنة امر يلقيه الله في قلب عبده
كالالهام وورد ان ملكا يلقيه وهو ملك الرؤيا وعند الحكماء ان الروح في النوم تفارق
البدن وتتصل بالملأ الاعلى فتلقى اليها ما يفيضه على ذهن النائم فمنه ما يقع بعينه ومنه
ما يؤول بغيره ومنه اضغاث احلام ودعابة شيطان لا تاويل له ومن هذا القبيل ما هو
من غلبة الاخلاط كالصفراء اذا غلبت يرى النائم نارا والبلغم يرى ماء والسوداء يرى شيئا اسود
وليس كل رؤيا كذلك كما يوهمه كلام الاطباء وانكار هذا القسم لا وجه له ايضا والكلام على الرؤيا
وحقيقتها واقسامها مبسوط في محله قيل المراد بالعابر هنا العالم باحوال الرؤيا لا كل عابر
وظاهر كلام اهل هذا الفن يخالفه لانه عندهم كالفال والالهام فلا يختص بمن ذكر وقد قيل

ان رجلا راى انه شرب البحر فقصه على ابن سيرين فقال له هل ذكرته لاحد قال نعم قال لست قال لك قال قولا
راه ينشق بطنك فلم يعبرها له وقال لقضى الامر وقوله هي على رجل طاير رواه ابو داود والترمذي عن ابي
رزين وصححه ويؤيده بل بعينه واول الحديث رويا المؤمن جزء من ستة واربعين جزا من النبوة وهي
على رجل طاير ما لم تعبر فاذا عبرت وقعت فلا يحدث بها الا حبيبا او لبيبا ورجل بكسر الرا وسكون
الجيم ولام وهو تمثيل لكونها كالفال على قدر جار من خير او شر قدر لصاحبها فكانها بصدد وقرب
من ان تقع بادنى حركة فهو بمعنى قوله لاول عابر وفيه من لطايف البلاغة وسرها ما لا يخفى فان الطاير
يكون للفال ومنه النظير وليس المراد به ظاهره كما توهم وقد وقع في بعض الكتب الرويا على جناح
طاير اذا قص وقع ولا ادري هل هي رواية بالمعنى نظرا او رواية وفيه تورية في القص لانه يكون
من قص الجناح اذا قطع ريشه ومن قص الرويا اي ذكرها للعابر فوقع يحتمل المعنيين ايضا
من الوقوع والسقوط وقد نظمه بعض المتاخرين فقال رويا اذا قصصتها وافت كبدد
قد طلع على جناح طاير فهو اذا قص وقع وهذا الحديث روي من طرق اختلف
العدد فيها فروي سبعين واربعة وعشرين وستة واربعين جزا والاخير من رواية البخاري
وجعلها جزا من النبوة لان رويا هم وحي صادق فقيل حقيقة العدد وقد ان غير مقصود
والمقصود التكثير وقيل وجهه انه صلى الله عليه وسلم اوحي اليه احدى وعشرين سنة
ستة اشهر منها ضام والباقي وحي نفيطة على انواع بينوها وجات امراة للنبي صلى الله عليه وسلم
فقالت رايت جذع السقف من بيتي وقع وعندي ولد اعور فقال يقدم زوجك وتلدين ولدا برا
ثم راتها بعد ذلك فقصتها على ابي بكر رضي الله تعالى عنه فقال يموت زوجك وتلدين فاجرا لانها
في زمن الرويا كان زوجها غايبا وهو عمود البيت فسقوطه بمجيه قالت سقط علينا كسقوط
الندا بالميل لاناه ولا ادرة واول العور بالبر لغض بصره عن المحرمات وفي وقت كلام منها
لابي بكر كان زوجها مقيما وسقوطه موته والاعور ينشام به فالمنام واحد اختلف تاويله
بحسب الحال وامثاله كثيرة وقوله صلى الله عليه وسلم الرويا ثلاث انواع رويا حق
بالاضافة والتوصيف والظاهر الثاني وهو المناسب لما بعده وعلى الاول الاضافة بيانية
اي رويا هي حق في المعنى واحد ورويا يحدث بها المرء نفسه المراد انها خواطر تخطر بالبال لا امور
مفاضة من عالم المثال والملك ليشبه بمن حجا ورعى في خلوة لما يورده عليها من الاماني
والاوهام وهو في معنى التجريد المذكور في علم البديع فهو بديع وليس المراد من نفسه ذاته
وهما معنيان متغايران يعني انه راى في منامه ما كان في فكره قبله وهو من اضغاث الاحلام ورويا
من تحزين الشيطان بان يلقي له ما يكره ويخاف بوسوسته وورد في الحديث انه ينبغي للانسان ان يتحول
من شقه الذي نام عليه ويستعيذ بالله من شره ويتفل عن يساره او يصلي ركعتين ان انتبه ولا يحدث به
احدا قال السيوطي في مناهل الصفا في تخريج احاديث الشفا هذا الحديث رواه الشيخان وغيرهما عن بضعة
عشر من الصحابة الا انه قيل ان الذي في مسلم عن ابن سيرين عن ابي هريرة اذا اقترب الزمان لم تكد رويا
المؤمن تكذب واصدقكم رويا اصدقكم حديثا ورويا المسلم جزء من خمسة واربعين جزا من النبوة

والرؤ

والرويا ثلاث رويا صالحة بشرى من الله ورويا تحزين من الشيطان ورويا يحدث بها المرء نفسه
فان راى احدكم ما يكره فليقم فليصل ولا يحدث بها الناس قال واحب القيد واكره الغل
والقيد ثبات في الدين فلا ادري اهو في الحديث ام قاله ابن سيرين انتهى ما في مسلم وقد
اختلفوا في ما ذكر من كون الرويا ثلاثا الخ فقيل هو مدرج في الحديث من كلام ابن سيرين
وقيل هو موقوف على ابي هريرة وقيل فيه انه مرفوع ويؤيده ان ابن حنبل رفعه مسندا والحافظ
السيوطي اعتمده وكذا المص فلا يرد عليه ان ابن الملقن قال في شرح البخاري ان الصحيح
انه ليس من كلامه صلى الله عليه وسلم واختلف في قايله والصحيح انه ابن سيرين وقول
ابن حجر في فتح الباري انها ليست منحصرة في الثلاث فان منها رابعا وهو تهويل الشيطان
وخامسا وهو ما يهم به المرء في يقظته وسادسا وهو تلاعب الشيطان وسابعا وهو
ما يعتاده الانسان وبينه وبين حديث النفس عموم وخصوص وليس بشي لانه راجع
لما ذكر او في معناه وقد بسطنا الكلام على الرويا في تعليقة مستقلة يضيق عنها نطاق
المقام فانظرها ان شيت وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان
عن ابي هريرة مسندا اذا تقارب الزمان لم تكد رويا المومن تكذب التقارب تفاعل من القرب
ضد البعد واختلف في المراد به هنا فقيل المراد به زمان الربيع وقرب الليل والنهار من التساوي
وهو زمان تدرك فيه الثمار وتتفتح الازهار ويرق النسيم فتعتدل الطباع البشرية فيه
فيقوى قواها على تلقي ما يفاض عليها ولذا قال اهل التعبير اصدق زمان لوقوع الرويا
زمان الربيع وقيل المراد به اخر الزمان اذا قربت الساعة كما في زمان المهدي وتقاربه وقصره
اما حقيقة لما في الحديث في ايامه السنة كشهر والشهر كجمعة والجمعة كيوم واليوم
كساعة وقيل انه لكثرة اشتغال الناس بالدنيا لسعتها عليهم او لغير ذلك وذهب كل
لترجيح احد الوجهين لورود ما يؤيده وقوله لم تكد الخ نفي الكذب بابلغ وجه برهاني لان
ما حر يقرب من الوقوع ابلغ مما لا يقع فليس نفيها اثباتا واثباتها نفيا كما توهم الغرابه
واجيب عنه كما فصله النحاة وشهرته تغني عن ذكره وخص المومن لان نفسه اقوى
وعقله اتم من غيره وقيل لانه لبعد العهد بالوحي عوضوا المبشرات وقوله صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه الدارقطني وضعفه فلا وجه لما قيل من انه لا صحة له اصل كل داء
اي مرض وتغيير مزاج البردة بوحدة وراء ودال مهملتين مفتوحات وهي والتخمة الاكثار
من الطعام حتى لا تقدر المعدة على هضمه سميت بها لبرد المعدة حتى تضعف عن طبخه وتصفية
اخلاطه والمراد بكونها اصلا لذلك انه منشوه ومبدوه في الغالب فان الدا اكثر ما تراه
يكون من الطعام او الشراب وما روي عنه صلى الله عليه وسلم والراوي له الطبراني
في الاوسط كما ياتي بيانه في حديث ابي هريرة من قوله صلى الله عليه وسلم المعدة بوزن
كلمة وبكسر الميم وسكون العين ودال مهملة مقر الطعام كالكرش للحيوان والحوصلة للطاير
حوض البدن لتشبيه بليغ والحوض مجمع الما فشبهها به وشبه البدن بما يستقي منه

وقيل شبهها بعروق الشجرة والبدن بفروقها وهو مكدر لما في الحوض من الصفا والتشبيه ثم رشح
ذلك بقوله والعروق اليها واردة جمع عرق وهو مجرى الدم وا لورود الاتيان للما مفردا وجمع وارد
فشبه ايضا لخلاصة الغذا الى الاعضا بالاخذ من الحوض للمورود والعروق تنقسم الى شريانات
واوردة كما ذكره اهل التشريح وان كان هذا صيتا خبر كان وقوله لا تصححه اى لا يحكم بصحته خبر
ما الموصولة قبل وروى حديث بالرفع بدلا من هذا او النصب اولى لضعفه وكونه موضوعا بالجر
ترقى من ضعفه ويجوز رفعه على انه مبتدا خبره تكلم عليه الامام ابو الحسن الدارقطني نسبة لدار
القطن محلة ببغداد ولا يرد على المصنف انه كيف ذكر الموضوع وهو كذب عليه صلى الله عليه وسلم
وهو ممتنع لان ذلك في ذكره مع بيانه وقد اختلف فيه فقيل انه مرفوع قال الطبراني في الاوسط عن الزهري
عن ابي هريرة مرفوعا المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة
واذا فسدت المعدة صدرت العروق بالسقم ولم يروه عن الزهري الا زيد بن ابي انيسة تفرد به الرهاوي
وقوله تكلم الخ اى بحث في سنده وكونه مرفوعا وقال في كتاب العلل اختلف فيه عن الزهري فرواه ابو فروة
الراوي عنه وقال عن عايشة ولم يقل عن ابي هريرة وكلا الروايتين عن ابي هريرة لم يصح ولا يعرف من كلام
النبي صلى الله عليه وسلم وانما هو من كلام عبد الملك بن سعيد بن ابجر وقيل انه من كلام الحارث
بن كلدة وعن ابن منبه ما يقرب منه وذكر ابن ابي الدنيا انه اجمعت الاطبا على ان راس الطب الحمية
والحكما على ان راس الحكمة الصمت وعن عايشة رضي الله تعالى عنها انها قالت الازمة دوا والمعدة دا
وعودوا كل بدن ما اعتاده وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي عن ابن عباس
رضي الله عنهما خير ما تداويتم به السعوط بفتح السين وضم العين المهملتين وواو وطا مهملات
وكذا كل ما تداوى به فانه على فعول بالفتح وهو ما يجعل في الانف ويستنشق به لفتح السدد الدماغية
ومنع النزلات واللدود بفتح اللام وضم الدال المهملة وواو ودال مهملة وهو ما يجعل في احد شقي
الفم ويتغرغر به لدفع ورم يعتري الصبيان غالبا وهما في الاصل اسمان لمرضين في الراس واعلى الحلق
ويسمى الثاني نزلة الحلق وهو ورم فيه معروف وكان النسا يعالجنه برفعه بالاصبع فنهاهم
صلى الله عليه وسلم عنه وامرهم بما ذكر وهو العود الهندي يحك في الما ثم يفعل به ذلك فيحلله
بحرارته وهو ما خوذ من اللديد وهو جانب الوادي كما قاله الاصمعي وهذا من معجزاته صلى الله عليه
وسلم فانه مرض خفي لا يعرفه اكثر الاطبا قديما فضلا عن زماننا وفي الهدي النبوي لابن القيم
من هذا النوع ما فيه شفا للصدور والحجامة وهي مص الدم بالة معروفة في الراس وبين الكتفين
وهي في موخر الدماغ تورث النسيان وهي دوا للشقيقة في الراس مع انه مرض مزمن وورد فيها احاديث
منها انه صلى الله عليه وسلم ما مر ليلة الاسرا بملا من الملايكة الا قالوا له مر امتك بالحجامة
والمشي بفتح الميم وكسر الشين المعجمة وتشديد المثناة التحتية وهو المسهل يقال شربت مشيا
ومشوا سمي به لان صاحبه يكثر المشي للخلا وفي الحديث لو كان شي فيه شفا من الموت كان في السنا
ولبعض الشراح هنا كلام مختل تركه خير منه وخير الحجامة اى انفعها بعد نصف الشهر يوم سبع
عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين في الوتر دون الشفع وهذا الحديث رواه الحاكم عن ابن عباس رضي الله

عنهما وصححه وابو داود عن ابي هريرة مرفوعا وشينه مفتوحة وساكنة وغلب فيه المونث على المذكر
وذكر لحذف المميز ونهى عن الحجامة في يومي الاربعا والسبت والاحد وروى عن ابن حنبل انه كره الحجامة
في غير هذه الايام وانما كانت الحجامة في النصف الاخير والربع الثالث من الشهر انفع لان الاخلاط
تهيج في اوله وتسكن بعده لهبوط القمر فالاستفراغ فيه اقل فلا يضعف ويقولون انه ينبغي
ان يكون في الساعة الثانية او الثالثة ولا يكون عقب حمام ولا جوع ولا شبع ولا في الصوم
وفي العود الهندي سبعة اشفية والمراد بالعود الهندي العود المعروف وقيل القسط الابيض
وهو مبين في باب المفردات من الطب والاشفية جمع شفا على خلاف القياس والقسط بضم
القاف ويقال الكسط بالكاف والسبعة انه ينفع من ذات الجنب وحصر البول وضعف شهوة الطعام
والجماع والسم ويدر الطمث وينفع امراض الكبد من حمى والربع والسبعة علمت بالوحي وما عداها
بالتجربة وقوله صلى الله عليه وسلم كما تقدم الكلام فيه ما ملا ابن ادم وعا شرا من بطن
شبه البطن بالوعا الذي فيه الطعام وفي بعض النسخ من بطنه والشرية في البطن محققة لانه يفسد
ويورث الكسل المانع من العبادة وفي المفضل عليه تقديرية فان كان ولا بد اى ان لزم واصل معنى
البد المفارقة يقال لا بد من كذا ولا محالة اى لا مفارقة ولا تحول فاريد به لازمه فثلث من البطن
للطعام وثلث للشراب وثلث يكون خاليا للنفس اى لدخوله وخروجه وهذا ايما الى انه لا ينبغي
ملوه بتمامه وان يكون ما فيه اقل من ملي ثلثيه وهذا بعض حديث رواه ابن ماجه والترمذي وابن
خزيمة مرفوعا وحسنوه وهو ما ملا ابن ادم وعا شرا من بطن حسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه
فان كان لا محالة فثلث الخ وجعله من طبه لانه بين مبدا الصحة والمرض ومقدار ما يكفي البدن
وربما توهم بعضهم انه يضعفه وقد قال بعض اهل الكتاب ليس في كتابكم الطب فقال له بعضهم
قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال انها جمعت طب جالينوس ثم ذكر ما يتعلق بعلمه صلى الله
عليه وسلم بالانساب ولم يراع في اللف والنشر ترتيبا فانه ليس بلازم وقد يستحسن تركه اعتمادا
على فهم السامع فقال وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي عن فروة واحمد
عن ابن عباس مسندا وقد سيل عن سبا بهمزة في اخره يجوز ابدالها الفا وعلى همزه يصرف ولا يصرف
فيجوز تنوينه وعدمه وهذا ما اختلفوا فيه وفي مسماه اهو رجل ام امراة ام هو اسم ارض كان يسكنها
وينزل بها فقال هو اسم رجل سمي باسمه ارض وهي مدينة بلقيس باليمن فلا خلاف في بين القولين فصرفه
ظاهر ومنعه لانه اريد به قبيلته فان اريد به الارض فباعتبار البقعة ولد عشرة من الاولاد الذكور
ولذا قال عشرة تيامن منهم ستة اى سكن اليمن فنسبوا اليه اكثرهم ونسبوا اليه وهم مذحج وحمير
وكندة والازد والاشعريون كما ذكره علما النسب واهل التاريخ واليمن اقليم معروف منه تهامة
ومنها المدينة وتشام اربعة اى سكنوا الشام بالهمزة وقد تمد وتبدل الفا وهو من الفرات الى العريش
وهم لخم وجذام وعاملة وغسان كما قاله الواحدي في تفسيره وتحت هولا قبايل وبطون وافخاذ
ليس هذا محل تفصيلها الحديث بطوله بالنصب اى اذكر هذا الحديث وفيه اشارة الى انه اقتصر
على بعض منه يكفي فيما اراده وترك الباقي لطوله والغنى عنه واختلف في وجه تسمية الشام شاما

فقيل لانها في جانب اليسار وقيل له شامي كسرى وقيل سميت باسم سام بن نوح وعربت بالاعجام وقيل
انه بمعنى الشامة لشامات حمر وسود فيها وكذلك اي مثل ما تقدم من علمه صلى الله عليه وسلم
بالانساب جوابه صلى الله عليه وسلم لمن سأله وهو عمرو بن مرة في نسب قضاعة في حديث
رواه احمد وابو يعلى والطبراني عن عمرو بن مرة الجهني انه صلى الله عليه وسلم قال من كان هنا
من معد فليقم فقمت فقال اقعد فقلت ممن نحن قال انتم من قضاعة بن مالك بن حمير وقضاعة
بضم القاف وضاد معجمة وعين مهملة ابو حي من اليمن لقب به لانفصاله عن الناس لان القضاعة
ما ينفصل عن اصل الحايط وقيل من قضع يعني قهر لقهره بشجاعته من عاداه وقيل القضاعة
من اسماء الفهد او كلب الماء وغير ذلك المذكور مما اضطرت بالبناء للمفعول وهو لغة القران الفصحى والفاعل
افتعال من الضرورة والاحتياج قال تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه العرب على اي مع شغلها بضم الشين
المعجمة ويجوز فتحها والاول هنا اولى اي اشتغالها وتقيدها بالنسب اي بمعرفته وحفظه لاعتنائهم
بضبط انسابهم ومع ذلك اضطروا فالتجاوا الى سواله صلى الله عليه وسلم عما اختلفوا فيه
لخفائه عليهم من ذلك اي معرفة ذلك اي مشكل انسابهم ومعرفة ما اشكل عليهم مما جل امرهم
ضبطه وهو صلى الله عليه وسلم لا يعتني به ولا يشتغل بحفظه وذلك يدل على قوة معرفته
بالانسان وفي نسخة مصححة ومن ذلك بالواو فهو خبر مقدم وقوله قوله مبتداوه اي قوله
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البزار حمير وهم قوم من العرب بوزن درهم بن سنان بن
يشجب راس العرب اي منزلتهم من الشرف في العرب بمنزلة الراس من الجسد ونابها وهو سن كبير خلف
الرباعية اي هم عمدتهم ومن اشدهم وهم من ولد معد بن عدنان ومن ذريته اسماعيل ومذحج بفتح
الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة وجيم وهما حيان من العرب ملك وطي سميا باسم
اكمة ولدتهما امهما عندها وميمه زايدة فوزنه مفعل وقال الجوهري اصلية فوزنه فعلل ووهم فيه
على ما فصل في كتاب سيبويه وشروحه وليس هذا محله هامتها اي راسها وغلصمتها بفتح الغين
المعجمة وسكون اللام وفتح الصاد المهملة وميم وهاء وهي لحمة بين الراس والعنق او راس الحلقوم
وفيه اشارة الى اشتراكهما في الشرف وتخصيص كل بفضيلة مع التفنن في التعبير فان الراس والهامة
متقاربان والناب والغلصمة يحتاج لكل منهما في اساغة الطعام الذي هو مادة الحياة وقيل انه
تفضيل لمذحج لان الحاجة للغلصمة اشد ولك ان تقول انه اشارة الى ان في حمير مع الشرف شدة وقهرا
وفي مذحج لين ونفع وعلى كل حال فما وصفوا به دال على المدح والشرف على طريق التشبيه البليغ
او المجاز المرسل بتسميته الكل باسم الجزء وقوله ابي بكر رضي الله عنه في حديثه المشهور ام من هامها
ام من لهازمها اي اشرافها او اوساطها يدل على تفضيل حمير والازد بهمزة مفتوحة وزاي معجمة ساكنة
ودال مهملة وهو الازد بن الغوث وهو بالسين افصح كما في القاموس ابو حي باليمن منه الانصار
ويقال الازد شنوءة وعمان وسراة وازد بن الفتح محدث كاهلها بوزن فاعل وهو ما يلي العنق من اعلى الظهر
كما قاله الخليل وعليه الكحل والحجل وقيل ما بين كتفيه او موضع العنق في الصلب وجمجمتها بضم الجيمين
وميمين الاولى ساكنة والثانية مفتوحة وهي عظام الراس وتطلق على الراس نفسها وجماجم العرب

بطون

بطون منها والجمجمة ايضا اسم قدح وتعل معروف وفيه اشارة الى ان غيرهم وان كان اشرف كالمهاجرين
والخلفاء فهم لهم الفضل عجاوتهم وحمل كدهم لان الانصار منهم وهمدان بسكون الميم ودال مهملة
قبيلة باليمن وبفتح الميم اسم بلدة غاربها هو من البعير كالكاهل من الانسان والكتف وذروتها
بكسر الذال المعجمة وضمها وسكون الراء المهملة اي اعلاها وسنامها نفيه من المعرفة بانساب العرب
ومنازلها في الشرف والاحاطة باحوالها ما لا يهتدي له سواه صلى الله عليه وسلم وقيل الذروة
بالذروة اعلى السنام وان قال بالضعف والنكارة لا يتجه على هذا الحديث لتكرير ذكر الراس
بالفاظ مختلفة ولذا جزم ابن حجر بانه منكر قلت اما انكاره من جهة الرواية فمسلم واما من جهة
تكراره المذكور ففن بديع ونوع من الفصاحة فلا وجه للاستدلال به وهو عليه وقوله صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابي بكرة في خطبة حجة الوداع ولفظ قوله في جميع
ما وقع هنا بالجر رواية عن المص وان جاز رفع بعضها ان الزمان قد استدار اي عاد لما كان
عليه كالدايرة التي يرجع انتهاوها الى ابتدايها كهيئته يوم خلق الله السموات والارض
وتتمة الحديث السنة اثنى عشر منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة
والمحرم ورجب مضر بين جمادى وشعبان انتهى وقيد بذلك دفعا للنسيء وتغيير الشهور الذي كانت
الجاهلية تفعله فانهم كانوا اهل حروب وغارات فربما اتاهم بعض الاشهر الحرم وهم محاربون
فيشق عليهم الترك فيحلونه وينقلونه من شهر الى اخر ويستمر نقله من شهر لاخر سنة بعد سنة حتى
يعود لموضعه الاول فينتقل بذلك شهر الحج وكانوا يحجون في كل شهر عامين فوافق حجة ابي بكر العام
الثاني من حجة ذي القعدة فلما حج صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وافق حجة شهر ذي الحجة المشروع
فوقف كما هو الان فخطب واعلمهم ان حجه في هذا الشهر ليس اتفاقيا بموافقته لدور الشهور في الجاهلية
وانما هو امر شرعه الله وقدره في الازل وامره بنسخ ما كانوا يفعلونه وامرهم صلى الله عليه وسلم
بالمحافظة عليه وان لا يبدل ويدور دور الجاهلية الاولى فقوله استدار يعني رجع لما في علم الله
وقضايه قديما وهو معنى قوله يوم خلق الله الخ فنفى النسيء ونسخ وكانوا اذا ارادوا ذلك يقوم
رجل من بني كنانة لانهم اهل غارات على حجاج بالموسم وينادي باعلى صوته ان الهتكم قد احلت لكم الحرم
فاحلوها واستدارته بموافقة حجه للمشروع ولذا لم يحج صلى الله عليه وسلم قبله وارسل ابا بكر
رضي الله تعالى عنه بالعهد ليطهر الحرم قبل حجه ونقل ابن حجر ان حجة الوداع كانت والشمس في الحمل
وقد تساوى الليل والنهار واعتدل لشرف شمس النبوة وقال الصدر القونوي في شرح الاربعين
حديثا له ان في هذا الحديث اسرار الهية لا يطلع عليها الا بعض الكمل ثم قال ان النوع الانساني
اوجده الامر الالهي في اول دور السنبلة ومدته سبعة الاف سنة بعث نبينا في الالف الاخيرة منها
الجامع بين احكام السنبلة والميزان المختص بالاخرة والبروج ثم امتزج بالقرب فامتزج في زمان بعثته
الدنيا بالاخرة البرزخية كالصبح بالنسبة للنهار فظهور النور تدريجي نطلع الشمس وكذلك
ظهور احكام الاخرة من حين المبعث الى طلوع الشمس من مغربها ومنه ظهر سر ختمية النبوة
والولاية انتهى ملخصا ومن لم يفهم الحديث ذكر ما لا مساس له به ولا ينبغي ذكره وذكر هذا الحديث

هنا اثباتا لعلمه عليه الصلاة والسلام بالحساب فان الزمان وحركاته الدورية مبنية عليه وقوله
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما في الحوض اي في شان حوضه الذي
يكون يوم القيامة يشرب منه العطاش وقد تقدم الكلام فيه رزقنا الله وروده وسقانا منه شربة
لا نظما بعدها زواياه سواجمع زاوية وهي ما يحصل من تلاقي خطين من داخله وسوا بمعنى متساوية وهذا
يقتضي انه مربع متساوي الاضلاع مستقيمها فانه لا تتساوى زواياه الا اذا استقامت اضلاعه
وهذا امر مبني على المساحة ودقائق الهندسة وذكر ابن ابي الاصبع انه نوع من البديع غريب سماه
الاستقصا وان منه قوله تعالى الى ظل ذي ثلاث شعب فقال انه ايما الى انه ليس بظل لان المثلث
لا ظل له وهذا كله كلام يحتاج للتحرير لكن لكل مقام مقال وهذا لا ينافي ما ورد فيه من ان مسافته
ما بين ايلة وصنعا ومسافة شهر وغير ذلك كما مر لانه اعلم بالحوال شيئا بعد شي كما قيل بل لان
المراد من كل زيادة سعته فهو كما في المثل كلا جانبي هرشى اليه طريق وقوله صلى الله عليه وسلم
في حديث رواه ابو داود وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله تعالى عنهما في حديث الذكر
وهو انه صلى الله عليه وسلم قال خصلتان لا يحصيهما رجل مسلم الا دخل الجنة وهما يسير ومن يعمل
بهما قليل يسبح الله عز وجل دبر كل صلاة عشرا ويحمده عشرا ويكبر عشرا قال فرايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعقدها بيده فذلك خمسون ومائة باللسان والف وخمسمائة في الميزان فاذا اوى
الى فراشه سبح وحمده وكبر مائة فتلك مائة باللسان والف في الميزان فايكم يعمل في اليوم الفين
وخمسمائة سيئة الى اخر الحديث وان الحسنة بعشر امثالها فتلك مائة وخمسون على اللسان اي
اذا جرت على اللسان وذكرت في دبر كل صلاة من الصلوات الخمس فانها ثلاثون مضروبة في خمسمائة
والف وخمسمائة في الميزان التي توزن به الاعمال والوزن اما لصحفها او لها نفسها بجعل الاعراض
اجساما وعند المعتزلة انه تمثيل المضاعفة لجرها فان الحسنة بعشر امثالها كما ورد به النص
وهو اقلها وقد يزيد على ذلك وهذا استدلال من النص على معرفته صلى الله عليه وسلم
بالحساب وهو بالنسبة لمقامه وحدة ذهنه امر سهل وقوله يعقدها اشارة الى انه لم
يكن له صلى الله عليه وسلم مسبحة يسبح بها ولذا قال بعضهم انها بدعة وقد وقال السيوطي
في رسالة سماها المنحة في السبحة انها سنة وان لم يباشرها بنفسه لانه صلى الله عليه
وسلم راى عند بعض الصحابيات نوى تعد به الذكر فاقرها عليه وقوله صلى الله عليه وسلم
في حديث رواه الطبراني عن ابي رافع بسند قالوا ان فيه ضعفا وهو في موضع جملة حالية وفي نسخة
وهو موضع نعم موضع الحمام هذا بفتح الحا المهملة وتشديد الميم بيت يتخذ للغسل يذكر ويونث ولم يكن
في عصره صلى الله عليه وسلم بالمدينة حمام ولم يدخله وهذا تمثيل لما لم يذكره فان فيه الاخبار
بحال البنا ومهايا المقرى ونعم للمدح والمخصوص به هذا وقيل هو موضع الحمام كقوله فنعم دار المتقين
وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي عن ابي هريرة وصححه ما بين المشرق والمغرب
قبلة القبلة تطلق على المسجد كما في قوله واجعلوا بيوتكم قبلة في احد التفاسير وعلى الكعبة وعلى
جهتها وسمتها وهو المراد هنا لانه المراد عند الاطلاق وهو اما بيان لقبلة اهل المدينة لانهم

المخاطبون

المخاطبون او على من هو في جنوبها او شمالها والتثبت عليه وقال ابن عمر اذا جعلت المغرب عن يمينك
والمشرق عن يسارك فما بينهما قبلة واما كون الواجب استقبال عين الكعبة او جهتها فبحث
طويل مفصل في التفسير وكتب الفقه لا يسعه هذا المقام والشاهد في الحديث انه يدل
على علمه صلى الله عليه وسلم بعلم الميقات فان معرفة سمت القبلة باب منه تضمنه هذا
الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره ابن الاثير في النهاية ولم يخرجه
السيوطي لانه لم يقف عليه لعيينة ابن حصن الفزاري ويكنى ابا مالك واسلم يوم الفتح
وكان من المولفة وكان من جفاة الاعراب وهو الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم انه الاحمق
المطاع لانه كان سيد قومه وعيينة علم منقول من تصغير العين او الاقرع بن حابس
بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع التيمي واسمه فراس ولقب بالاقرع لقرع في راسه
وهو من المولفة ايضا وكان شجاعا فارسا شريفا في قومه في الجاهلية والاسلام اسلم
وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني تميم وهو الذي نزل فيه ان الذين ينادونك
من ورا الحجرات وقصته مذكورة في السير والشك في المقول له من الراوي وقال ابن الاثير
انه صلى الله عليه وسلم عرض عليه الخيل وعنده عيينة فقال انا اعلم بالخيل منك
فقال صلى الله عليه وسلم انا افرس بالخيل منك اي ابصر واعرف ومصدره الفراسة
بالكسر من التفرس وهو معنى اخر وهو رد عليه باسلوب حكيم ولم يقل له لست كذلك لما يعلمه
منه من انه اعرابي جافي وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي عن زيد بن ثابت لكاتبه
وكان له كتبة عدة كما مر والمقول له منهم قيل انه معاوية رضي الله تعالى عنه وقد عد البرهان في حاشيته
هنا كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فبلغ عددهم ثلاثة واربعين وعدهم شيخه الحافظ العراقي
وقال ان شيخه الجمال الانصاري افردهم بتاليف قلت وقد وقفنا انا ايضا على تاليف لابن ابي الحديد
فيهم وكانه لم يقف عليه ولم نفصلهم هنا لان له مقاما اخر وكان المداوم على الكتابة له صلى الله
عليه وسلم زيد ومعاوية ضع القلم على اذنك لم يعينها والمراد اليمنى فانه اي وضعه كذلك اذكر
اي اكثر ذكرا بكسر الذال وضمها وهو ضد النسيان للمملي اسم فاعل من املى الملل ويجوز فيه ان يكون
اسم مفعول ايضا اي ما يذكر ويملى واملى واملى بمعنى وهو القا ما يكتب على الكاتب وبهما ورد القران
قال تعالى فليملل الذي عليه الحق وقال تعالى فهي تملى عليه والاصل امللت فقلب تخفيفا كما قاله
الراغب واما قوله تعالى واملي لهم ان كيدي متين فمعناه امهلهم هذا اي خذ هذا او اذكره وقيل ها
اسم فعل بمعنى خذ من غير تقدير والرسم يخالفه وهي كلمة مستعملة في الانتقال والتخلص من كلام
لاخر وما يتممه وهي كذلك في القران وكلام العرب اي معرفته صلى الله عليه وسلم بالكتابة واحوالها
مع انه صلى الله عليه وسلم امي من امته امية لا يكتب ولا يحسب فهو من معجزاته لانه كان لا يكتب
كما تقدم بيانه وانه قيل انه كان كذلك في اول امره وانه كتب بعد ذلك في الحديث كما ذكره بعضهم وقد
ردوه وشنعوا عليه كما فصله ابن حجر في تخريج احاديث الرافعي وقد تقدم بيانه في غير ما موضع
ولكنه صلى الله عليه وسلم اوتي بالبنا للمفعول للعلم بان المؤتي له هو الله علم كل شي حتى قد وردت

اثا رجع اثر وهو ما يوثر ويروى مطلقا وقد يخص بما يقابل الحديث المرفوع من كلام بعض الصحابة
او التابعين بمعرفته حروف الخط اى كيفية رسمها وحسن تصويرها اى صورتها المستحسنة عند
اهلها ومن مارسها كقوله صلى الله عليه وسلم لكاتبه لا تمد بسم الله الرحمن الرحيم
اى لا تجعل السين مدة طويلة من غير بيان لسناتها فانه يلبس صورتها وفى نسخة لا تمدوا رواه ابن شعبان
من طريق ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وابن شعبان هو محمد بن القاسم بن شعبان بن اسحاق المصرى المالكى
توفى سنة خمس وخمسين ومائة وضعفه ابن حزم وله ترجمة فى الميزان وقال السيوطى حديث ابن عباس
لا تمد بسم الله الرحمن الرحيم لم اجده وللديلمى من حديث انس اذا كتب احدكم بسم الله الرحمن الرحيم
فليمد الرحمن وله من حديث زيد بن ثابت اذا كتبت فبين السين فى بسم الله الرحمن الرحيم وقوله صلى الله
عليه وسلم فى الحديث الاخر الذى يروى بالبنا للمجهول وربما بخا عله قوله عن معاوية بن ابى سفيان احد
كتبته صلى الله عليه وسلم كما تقدم وفى نسخة الذى يروى معاوية اى الذى يرويه عنه صلى الله
عليه وسلم مبنى للفاعل على هذا انه كان يكتب بين يديه اى عنده وفى مجلسه فقال له الق الدواة الق
امر بفتح الهمزة وكسر اللام والقاف لا لتقاء الساكنين يقال الاق الدواة يليقها ليقة ولتقا ولا قها ولاق
يتعدى ولا يتعدى اى اصلح مدادها من قولهم لاق به اذا الصقه ومنه يليق بك كذا ولا يليق
اى يناسب واشتهر استعمال ذلك فيما يجعل فى الدواة من حرير ولبد ونحوه لانه يصلحها لمنعه كثرة
اخذ المداد فى القلم الذى قد يفسد الخط وحرف القلم اى اجعل قطه محرفا فانه اعون على تصوير
السنان ويكون تحريفه من جهة اليمين واقم البا اى اجعلها مستقيمة او طولها قليلا لانها عوض
عن القاسم وفرق السين اى اجعل سنتها منفصلا بعضها عن بعض ولا تعور الميم اى لا تجعل
دايرتها مطموسة كالعين العورا وهو بضم المثناة الفوقية وفتح العين المهملة وكسر الواو المشددة
وراء مهملة وحسن الله اى كتابته وصورة لفظه تعظيما لمسماه ومد الرحمن لم يبينوا معنى المد فيه
فهو بمعنى مد ما بين الميم والنون هكذا الرحمن عوضا عن الالف الساقطة خطا او المراد رسم الفا
بعده ويبعد مخالفة رسم المصحف العثمانى وجود الرحيم اى حسن كتابته والتجويد مطلق التحسين
ويختص فى العرف بتحسين الخط وفى عرف القرا تحسين التلفظ بالحروف ورعاية مخارجها وصفاتها
وهذا الحديث رواه الديلمى فى مسند الفردوس وهذا اى معرفته صلى الله عليه وسلم بالخط
وهو مبتدا خبره قوله الاتى فلا يبعد والفا زايدة او هو خبره مقدر اى محقق ونحوه والفا فى جواب
الشرط وان لم تصح الرواية انه عليه الصلاة والسلام كتب بيده الشريفة اشارة الى قاله الباجى
من انه روى انه صلى الله عليه وسلم كتب بيده فى الحديبية كما تقدم وانه لا يضر فى كونه اميا لانه كان
فى بدء امره لا انه انتفى بانتفا سببه فهو معجزة اخرى له صلى الله عليه وسلم فلا يبعد عقلا
ان يرزق علم هذا اى علم الخط من غير تعليم ويمنع الكتابة والقراءة من المصحف مثلا ولا يبعد ان يفتح منه
الكتابة والقراءة فى وقت معجزة اخرى له بشهادة ما فى البخارى انه صلى الله عليه وسلم اخذ الكتاب
فكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فى عمرة القضا وانه قال لعلى كرم الله وجهه امح رسول الله
لما اباها بعض المشركين فقال والله لا امحوها ابدا فاخذ الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى

عليه محمد بن عبد الله اقول قد علمت ان هذه مقالة صدرت عن الباجى انكرها عليه بعض اهل عصره
ونسبوه للزندقة وعقد له مجلس حاجه علماء عصره وقالوا انه مخالف لنص الحديث والقران وكونه عد من معجزاته
فاجاب بانه صرح به فى حديث البخارى والنحوز خلاف الاصل وفى القران ما يشير اليه لان قوله ما كنت
تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك يقتضى كتابته من بعده وهو معجزة كونها اخرى امية معجزة فى اول
امره وقد ذكره ابن حجر وغيره من شراح البخارى واما علمه صلى الله عليه وسلم بلغات العرب جميعها
قبايل وبطونا وكل احد لا يعرف ولا ينطق الا بلغته حتى لو حاول التكلم بغيرها لم يطق وحفظ معانى
اشعارها وانه كان لا يقول الشعر ولا ينشده وان انشده نادرا غيروزنه فى اكثر احواله الا انه كان
ترد عليه شعرا العرب المغلقون بمدايح يمدحونه بها وتنشد بين يديه فيصغى لها ويعلم سنها ما لم
يعلمه غيره من فصحايهم الا ترى كعبا لما انشده قصيدته وقال فيها قنوا فى حرتيها للبصير بها
عتق مبين وفى الخدين تسهيل قال الصحابة رضى الله تعالى عنهم الحرتان العينان فقال لهم
صلى الله عليه وسلم لا بل الاذنان وهو كذلك عند العرب الا ترى قول علقمة له حرقان
يعرف العتق فيهما كسامعتى مذعورة وسط ربرب وقد نقل بعضهم نظاير لهذه القصة
والثمرة تدل على الشجرة وفى ذكره الشعر بعد الكتابة مناسبة اذ كل منهما مما عرفه صلى الله عليه وسلم
اتم معرفة ولم يتلبس به وهو من مقاصده الحسنة وفيه دليل على ان ذكر الشعر والبحث عنه امر مسنون
كغيره من العلوم وقد قالوا ان معرفته من فروض الكفاية حتى شعر المولدين كما ذكره السيوطى فى شرح
منظومته المعانى والبيان واختلفوا بعد الاتفاق على امتناع الخط حتى قال بعض الشافعية
بحرمتهما هل كان يحسنهما اولا فقيل بكل من القولين كما فى الروضة والحفظ يتعلق بالمعانى والالفاظ
فلا وجه للاعتراض عليه بانه لو قال فهم معانى اشعارها كان اظهر فامر مشهور وقد نبهنا على بعضه
فى اول الكتاب فى فصل فصاحته كما تقدم وكذلك اى مثل معرفته للغات العرب حفظه لكثير
من لغات الامم غير العرب وهذا ارق فى معرفته لذلك ودليل على انه معجزة وموهبة ربانية كقوله
فى الحديث الذى رواه البخارى عن ام خالد سنه سنه قاله صلى الله عليه وسلم لام خالد وهى بنت
خالد بن سعيد بن العاص واسمها اميمة بنت خلف تزوجها الزبير وهى صحابية ولدت بالحبشة
وتربت بها وهى صغيرة ولذا تلطف النبى صلى الله عليه وسلم بها وخاطبها بما تعرفه من لغتهم وان كانت
عربية من صميم العرب وقاله لها لانه اتى بثياب فيها خميصة صغيرة سوداء فيها اعلام صفر وخضر فدعاها
والبسها اياها وقال لها ذلك كما فصله البخارى وفيها لغات سنه سنه كما ذكر وسنا سنا بالقصر
سناه سناه مع تخفيف النون وتشديدها وانكر بعضهم تخفيفها وروى كسر سين سنا فقال
الكرمانى انها عربية واصلها حسنة خففت بحذف الحا كقوله كفا بالسيف شا اى شاهدا تاياه
هذه الروايات وان الحنفى لا سما فى غير ترخيم النداء مع شذوذه لم يعهد من الاول وهى اى سنه
بمعنى حسنة انها باعتبار الخميصة ولمناسبته سنه لفظ بالحبشية اى بلغة الحبشة وهم جيل
معروفون وقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان وغيرهما من طرق فى حديث الفتن
المتقدم ويكثر الهرج بفتح الهاء وسكون الراء المهملة وجيم وهو القتل اى بلغة الحبشة فعربه

صلى الله عليه وسلم وقال ابن قرقول في المطالع فسر في الحديث بالقتل بلغة الحبشة وهو وهم من بعض
الرواة والا فهي عربية صحيحة واصل معناه اختلاط الناس بعضهم ببعض ومنه لن يزال الهرج الى يوم
القيامة والعبادة في الهرج كهجرة الي انتهى وهو رد لما قاله المص ولمن توهم ان تفسيره تروى في الحديث
ومنه يعلم انه ورد بمعنى الفتنة وما قيل من ان المهرجان اسم يوم لانه يوم قتل يحيى بن زكريا لا وجه
له لانه يقتضي انه فارسي ولم يقله احد وقيل انه من توافق اللغتين وهو اقرب الى الصواب ان صحت
الرواية فيه ومنه المثل هم في هرج ومرج والمرج بمعناه وتسكينه للازدواج وقد نظم القايل
اتى زمن الربيع فهاج قوم الى الصهباء في هرج ومرج وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث
ابي هريرة الذي رواه ابن ماجه عنه اشكنب درد وفي بعض الروايات اشكنب دردم بزيادة ميم
ساكنة واشكنب بهمزة مفتوحة وشين معجمة ساكنة وكاف عربية مفتوحة ونون ساكنة وباء موحدة
ساكنة وفسره المص بالبطن وفي الفارسية بهمزة مكسورة وقد تفتح ويزاد فيها ها فيقال
شِكَنبة بكسر الشين فعربت وغير لفظها ومعناها فان معناها الكرش عند العجم ودرد بدالين
مهملتين مفتوحتين بينهما راء مهملة ساكنة والميم عندهم ضمير المتكلم وسياتي ما فيه وقد علمت
ان الصحيح اهمال الدالين واسقاط الميم كما رواه ابن ماجه وضبطت به الرواية عنه فانه قزويني عالم
بلغته وثقة في الرواية فما قيل ان دال درد الاولى معجمة وهم من راويه كرواية الميم لانه لا يناسب
قوله اي وجع البطن فانه لو صح ذلك قال اي وجع بطني وفسره غيره بوجع بطنك وهو انسب بترك
الميم الا ان يقال ترك معناه التعريب والذي رواه ابن ماجه شكم بشين مكسورة وكاف مفتوحة
وهو اصح لان شكم بالفارسية معناه البطن وفي سننه قال ابو هريرة هجر النبي صلى الله عليه وسلم
فهجرت وصليت ثم جلست فالتفت الي وقال شكم درد فقلت نعم يا رسول الله فقال قم فصل فان في الصلاة
شفاء كذا صححه الشارح الجديد نقلا عن شيخنا ابن عبد الحق السنباطي وغيره وهو الحق المعتمد فاعرفه
فان شيخنا هذا خاتمة الحفاظ بمصر واليه انتهى علم القراات وله تاليف مشهورة رحمه الله وروي
اشكنب بكسر الهمزة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله لابي الدرداء والمشهور الاول كما قاله
التلمساني ولم يذكروا وجه تكلمه صلى الله عليه وسلم معه بالفارسية وهو ليس بعجمي فلعله
اراد ستره ولدا ورد انه قال ثم فسره لي وذكر البرهان بعضا مما تقدم وقال انه في بعض النسخ
اشقنب بالقاف وهو غريب ولم يسنده لرواية فاعتمد على ما قدمناه وقوله بالفارسية اي باللغة
الفارسية نسبة لفارس ابن كومرث وكومرث ابن سام او يافث وقيل انه ولد لصلبه وقيل انه
ادم عندهم ويقال لهم الفرس ومما تكلم به صلى الله عليه وسلم بالفارسية لفظ سور في حديث
جابر وهو الدعوة للطعام وبالفارسية الحرص الى غير ذلك اي مضموما ماذكر من معرفته باللغات
او من معارفه التي لا تحصى الا بعلم بعض هذا وفي نسخة بعضه فضلا عن كله ولا يقوم به اي يوفي حقه
كله ولا بعضه فضلا عنه كله الا من مارس الدرس اي عالجه واجتهد في حفظه ودراسته وتلقيه
من اهله وفي نسخة الدروس والعكوف على الكتب اي ملازمة مطالعتها ومذاكرتها والنظر فيها
من الاعتكاف وهو ملازمة المكان فاستعاره لما ذكر وفيما تقدم دليل على جواز التكلم بغير العربية

ولو بلا مروءة خلافا لمن ذهب لكراهته وروي فيه احاديث واهية كمن تكلم بالفارسية نقصت
مروءته وانه يورث النفاق وانه لسان اهل النار ويدل لعدم الكراهة احاديث كحديث
الفارسية الدرية لسان اهل الجنة في الجنة وثافنة اهلها مفاعلة من ثفن بثلثة
وفاء ونون اي جالسهم ولازمهم وهو ابلغ منه لانه من ثفن البعير اذا برك والثفنات ما غلظ
لطول مسه للارض كالركب وصدر الدابة من ذوات الاربع يعني جلس بين يديهم للتعلم كالبعير
البارك على الارض وهذه هيئة المتعلم في ادبه وقال التلمساني هي المشفقة من ثافنته اعنته
وروي مثاقبة بمثلثة وقاف وموحدة كما تقدم انتهى وفي بعض النسخ منافثة بنون وفاء ومثلثة
اي مباحثة ونظر في الدقايق التي كنفثات السحر وفيه نظر وفي بعض الشروح ما لا معنى له هنا عمره منصوب
على الظرفية متعلق بجميع ما قبله اي فعل ذلك مدة عمره كلها ولم يتركه طرفة عين وهو صلى الله عليه
وسلم رجل كما قال الله تعالى امي منسوب الى الام كانه كما خرج من بطن امه لم يتعلم وهو منزه من كل عيب
او الى امة العرب لانهم معروفون بذلك كما روي قال الشاعر عمي خالي وابي امي فقوله لم يكتب
لم يقرا صفة كاشفة مفسرة وانما ذكر قوله كما قال الله تعالى يعني لم اصفه صلى الله عليه وسلم بهذا الا
اتباعا لما وصفه الله به بقوله ان اوحينا الى رجل منهم وهو قيد لما بعده وما قبله فلا يقال انه ترك
ادب فان مثله لا يقال له يا رجل كما لا ينادى باسمه فلله در المص ما ابعد مرماه ولا عرف بصحبته من علمه
اي الكتابة والقراة صفته حتى يقال انه تعلم منه فهذه الصفة في حقه معجزة وفي حق غيره نقص كما قال
كفاك بالعلم في الامي معجزة ولا نشا اي لم يكن منذ نشاته وبدء امره الى بعثته بين قوم لهم علم
اي معرفة بشيء من العلوم لانهم من الجاهلية ولا قراءة لشيء من هذه الامور اي الكتب وغيرها لانهم لم يكونوا
اهل كتاب ولا عرف هو صلى الله عليه وسلم قبل مبني على الضم اي قبل بعثته وظهور معرفته بما ذكر
بشيء منها اي مما ذكر من المعارف اللدنية ثم استدل على ذلك بقوله قال الله تعالى وفي نسخة عز وجل وما كنت
تتلوا من قبله اي القران وما علمك الله من كتاب ولا تخطه بيمينك اي بيدك اليمنى التي يكتب بها وهو تاكيد
وتصوير وبين الله علة ذلك بقوله اذا لارتاب المبطلون اي شكوا وقالوا لعله تعلمه ممن قرا وكتبه ثم
بين حال قومه في عدم ما ذكر بقوله انما كانت غاية معارف العرب اي ما انتهى اليه علمهم النسب اي معرفة
انساب قبايلهم الى اجدادهم واخبار اوايلها اي ما وقع لابايهم واسلافهم من الحروب والوقايع
والشعر اي حفظ شعر من قبلهم من القصايد والمقطعات والابيات والبيان ليس المراد به علم
البيان المعروف لانه امر حدث كانوا في غنى عنه بالسليقة ولا غيره علم البلاغة كله كما توهم ايضا
وانما المراد به المنطق الفصيح المعرب عما في الضماير وعنى به الخطب والرسايل ونحوها من الكلام
المنثور الذي كانوا يذكرونه في محافلهم لمقابلته للشعر وهو المعني بقوله صلى الله عليه
وسلم ان من البيان لسحرا وانما حصل ذلك لهم اي معرفة النسب وما بعده بعد التفرغ
لعلم ذلك اي مع ذلك لم يكن علمهم بما ذكر الا بمزاولة واكتساب وصرف زمان لكسبه حتى
عرف به بعضهم دون بعض فكان يقال فلان نسابة وفلان راوية ونحوه والاشتغال
بطلبه ومباحثة اهله عنه بالسوال عنه والحفظ له ولم يعهد منه اعتنا بذلك في اول امره

وهذا القرآن اى النوع الذى كانت العرب تعرفه وتعتنى به نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم
اى اقل قليل بالنسبة لما ظهر من علمه لهم ونقطة استعارة وبحر علمه استعارة او كلجين
الما ولا سبيل الى جحد الملحد اى لا يمكن الكفرة المايلين عن الطريق المستقيم انكاره وهو اشارة
لتفسير قوله اذا لارتاب المبطلون لشى مما ذكرناه من معارفه متعلق بجحد واللام زايدة
للتقوية ولا وجد الكفرة حيلة يبدونها تلبيسا فى دفع ما قصصناه مما قدم تفصيله
الا قولهم اساطير الاولين استثنا متصل لانه مما احتالوا به على بعض ضعفا العقول او منقطع
لانه لا حيلة فيه وهو جمع اسطورة كاحدوثة او جمع اسطار جمع سطر او اسطير او اسطور
اى هى احاديث مما سطره من قبله واكاذيب وقالوا انما يعلمه بشر اى هو مما تلقاه من غيره وتعلمه
فرد الله قولهم المذكور وابطله بقوله لسان الذى يلحدون اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين
اى لسان من ادعوا انه تعلم منه لسان عجمى فكيف يمكن تعليمه او التعلم منه ومعنى يلحدون
يميلون عن الحق عقائلتهم هذه ثم ما قالوا من انه يعلمه رجل اعجمى وفى نسخة قالوه بها الضمير
مكابرة للعيان بكسر العين ولا تفتح فيه كما ورد والمكابرة الانكار من غير دليل واصل معناه
هجوم السارق نهارا اى معاندة فى المحسوس لا تفيد فان الذى نسبوا تعليمه له
صلى الله عليه وسلم بزعمهم الباطل اليه متعلق بنسبوا اى سندوه له اما سلمان
الفارسى الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه لانه كان عنده صلى الله عليه وسلم
او العبد الرومى وهو يعيش غلام حويطب بن عبد العزى الرومى وكان ممن قرا الكتب ثم
اسلم وسياتى تفصيل قصته وسلمان انما اسلم وعرفه بالمدينة بعد الهجرة وعلومه
صلى الله عليه وسلم ومعارفه هذه كانت ظاهرة قبل ذلك فكيف انه كان يعلمه
وبعد نزول الكثير من القرآن حتى هذه الاية وبعد ظهور وفى نسخة نزول ما لا يعد لكثرة
من الايات القرآنية او العلامة الدالة على نبوته من المعارف المذكورة الدالة على ابطال
زعمهم واما العبد الرومى فكان اسلم قبل الهجرة ولكنه كان يتردد على النبى صلى الله
عليه وسلم ويتعلم منه فكيف يقال انه يعلمه واختلف بالبنا للمجهول اى اختلف
المحدثون فى اسمه كما سياتى فى كلامه فقيل انه بلعام او يعيش وجبر او يسار اما بلعام
فموحدة مكسورة وقول البرهان انها مفتوحة لا اصل له ولام ساكنة وعين مهملة
والف وميم ويعيش ياتى انه بفتح التحتية وعين مهملة مكسورة وتحتية ساكنة
وشين معجمة ذكره الذهبى فى الصحابة وقال انه غلام المغيرة وهو الذى نزل فيه قوله
تعالى انما يعلمه بشر وجبر ياتى ايضا انه بجيم مفتوحة ساكنة وراء مهملة قال البرهان
لم اقف عليه فى الصحابة وكذا يسار بفتح التحتية المثناة وسياتى تتمة لهذا فى محله وقيل
بل كان النبى صلى الله عليه وسلم يجلس عنده اضراب عن اسلامه وقراته عليه الى انه
كان عبدا روميا يحترف بصقل السيوف عند المروة مع الناس فكيف قالوا انه تعلم
منه وهو لم يخل به ولم يعرف وقيل المخالفة بينه وبين الاول فى انه كان يجلس عند الاخر

فالاضراب انتقالى او ابطالى وكلاهما اى سلمان والغلام الرومى اعجمى اللسان اى لسان كل منهما فيه
عجمة وهم اى الطاعنون فيه بما ذكروا سنا داى التعلم له الفصحاء اللد جمع الد وهو الشديد الخصومة
ويجمع على لداد ايضا من اللدد وهو العناد وفى الحديث ابغض الرجال الى الله تعالى الالد الخصم
وهم الخطبا جمع خطيب وهو من يقوم على روس القوم بكلام بليغ ملزم مفحم ولا يشترط فيه
ان يكون سجعا وقد كان للعرب ولكل قوم منهم خطبا معروفون بالبلاغة وارتجال الكلام الجزل
اللسن بضم اللام وسكون جمع لسن ككحل وهو الفصيح اللسان الطلق البيان ويقال جمع السن فلا اشتباه
فيه كما قيل وقد عجزوا بفتح الجيم وكسرها عن معارضة ما اتى به اى مقابلته بكلام يحكيه
والاتيان بمثله عطف تفسير مع تحديه وطلبه منهم وتقريعهم بل عجزوا كلهم عن فهم وصفه
ومعرفة كنه بلاغته ووجه اعجازه ونظمه فتارة قالوا هو شعر وتارة قالوا انه سحر وكهانة
والحش يكذبهم والفصاحة تنادى على فضاحتهم وصورة تاليفه اى عجزوا عن فهم
صورة تاليفه ونظمه المعجز فانه لا يشبه كلام البشر والتاليف اخص من التركيب لانه
تركيب مع الفة ومناسبة وفى كثير من النسخ رصفه بالراء المهملة جمع رصف بفتحتين
وهو فى الاصل وضع بعض الحجارة على بعض فاستعير لترتيب الكلام المتين المحكم وفى بعض
النسخ ونظمه وهو وما قبله معطوف على وصفه ويجوز عطفه على معارضة والاول
اقرب والنظم مستفاد من نظم الدر لقنا سق الكلمات التى هى كالجواهر ولا تكرار فيه بل
ترق فى العجز ومغايرته لما قبله ظاهرة لا تحتاج لتوجيه الا عند عدم الفهم فكيف هى للا
ستفهام عن الحال والوصف المبهم ويراد بها التعجب نحو كيف تكفرون بالله وقوله باعجمى
متعلق بمقدر اى كيف الظن باعجمى وهذا التركيب شايع فى كلامهم تقول كيف بك جا الشتا
الكن من اللكنة وهى عدم افصاح اللسان وبيان النطق نعم بفتحتين وقد تكسر عينه
ويقال نعام ايضا فى لغة وهى كلمة تقع فى جواب الكلام الموجب وقد تقع فى ابتدا الكلام
كما هنا فكانها جواب سوال مقدر وفى غير جواب كما يقال لمن طرق الباب نعم نعم
وعليه حمل قوله بجدد نعم وارى الهلال كما تراه كما ياتى وقال بعضهم انها زايدة
فى مثله وفيه كلام لم يحضرنى الان وقد كان سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه
او بلعام وهو بفتح البا الموحدة على ما تقدم والاشهر كسرها ويقال بلعم ايضا وهو اسم
الغلام الرومى او يعيش بفتح المثناة التحتية وعين مهملة مكسورة وياء تحتية ساكنة
وشين معجمة علم منقول من المضارع او جبر بفتح الجيم وسكون البا الموحدة وراء
مهملة وهو عبد للفاكه بن المغيرة وقيل لعباد الحضرمى قيل ان سيده كان يضربه
ويقول له انت تعلم محمدا فيقول لا والله بل هو يعلمنى ويهدينى او يسار بفتح المثناة
التحتية وهذا المذكور مبنى على اختلافهم فى اسمه كما تقدم بين اظهرهم خبر كان
اى مقيما بينهم يعرفونه ويقال ظهرانيهم بالف ونون مفتوحة كانه لاستناده اليهم
ظهره وراه وظهره قدامه ثم كثر فشاع فى الاقامة بين قوم يخالطهم يكلمونه مدة اعمارهم

فكيف لا يعرفون حاله وهو استفهام انكاري بيان لتكذيبهم واصل معنى المدا الغاية ويطلو على اعمارهم يخاطبهم
ويكلمهم ويكلمونه جميع المدة الطويلة كما في النهاية وذكر الماوردي ان غلامين نصرانيين
من عين التمر احدهما يسار والاخر جبر كانوا يسندون لهما ما ذكر وقيل غير ذلك فهل حكى عن واحد منهم
اي من الكفرة شيء من مثل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فيه حذف تقديره نقله عن هذين
فان كان ضمير منهم لسلمان والغلام فهو تعبير عن المثنى بضمير الجمع تجوزا وفي نسخة من مثل ما كان
يجي به صلى الله عليه وسلم وهل واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الايات الباهرة وهو كالذي قبله وما منع العدو حينئذ اي حين حضورهم معه على كثرة
عدده بفتح العين اي ما منع لهم مع كثرتهم وحرصهم على تكذيبه ودؤوب طلبه بدال مهملة وهمزة
وواو وموحدة مصدر بوزن القعود من الدؤوب وهو الجد والتعب يقال دأب دأبا اذا اتعبه ثم
صار بمعنى العادة المسببة عن ذلك وما رحقيقة منه وقوة حسده بحاء مهملة وهو مما
يبعثهم على الطلب ويحثهم ان يجلس الى هذا الذي زعموا انه يعلمه فياخذ عنه اي يتلقن يتعلمه منه
ايضا اي كما تعلم منه النبي صلى الله عليه وسلم على زعمهم الفاسد ما يعارض به ما جاء به ويتعلم
ما يحتج به اي يجعله حجة ودليلا على شغبه اي لجاجه في خصومته وعناده وتهييج الشر بفتنته
يقال شغب به وعليه وهو بفتح الغين المعجمة هنا لوقوعه قافية لقوله طلبه وهو لغة فيه كما
في القاموس وغيره وتسكن ايضا وهي اللغة المشهورة فيه ومن انكر الفتح وقال انه لغة عامية
كالحريري لم يصب مع ان الكوفيين يجوزون تحريك كل ما عينه حرف حلقي كالشعر على انه لو صح
ما قاله قلنا له انه ازدواج ومشاكلة وحرفه بعض بشيعته كفعل النضر بن الحارث وهو من كفار قريش
وكان ذهب الى الحيرة ليتعلم منهم اخبار ملوك الفرس رستم واضرابه فكان اذا قرا النبي
صلى الله عليه وسلم القران وقص عليهم قصص الامم وحذرهم ما وقع جلس النضر بين
قريش وقص عليهم قصص ملوك الفرس وقال قد اتيتكم باحسن مما جاء به محمد والذي
نزل فيه ومن قال سانزل مثل ما انزل الله الاية ثم انه لم يزل كذلك مصرا على عداوته صلى الله عليه
وسلم حتى اظفره الله عليه فقتله كما ذكر في السير بما كان يمخرق متعلق بفعل ويمخرق بمعنى يكذب
والمخرقة لفظة مولدة ومعناها افتعال الكذب يتلهى به اخذوها من المخاريق وهي خرقة يلعب بها
من يرقص وهذه لفظة عربية ميمها زائدة تصرف فيها المولدون وتوهموا اصالة ميمها
كما في قولهم تمسكن ويمخرق بضم التحتية وفتح الميم وخاء معجمة وراء مهملة وقاف من اخبار كتبه
التي كان ياتي بها ويقصها عليهم ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا خرج من بلده
الى بلاد بعيدة اقام بها اقامة يحتمل انه لقي بها من تعلم منه وهذا معطوف على قوله ولا عرف
الخ ولا يضره طول الفصل وما اعترض بين المعطوفين ولا كثرت اختلافاته اي رواحه ومجيئه
مراعيته يقال فلان يختلف الى بلاد كذا اي يسافر ويذهب اليها لانها مخالفة لمقره المعروف
الى بلاد اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى والتعبير بالكثرة هنا اشارة الى ما ياتي انه صلى الله
عليه وسلم وقع له ذلك مرة او مرتين الا انه فيهما لم يفارق رفقائه من قومه ولم يقم عند

عزهم

116

غيرهم حين سافر الى الشام كما ياتي فيقال انه استمد منهم اي طلب المدد والاعانة من اهل الكتاب
بتعليمه لشيء مما كان يتلوه على قريش بل لم يزل مقيما عندهم بين اظهرهم في وسطهم مختلطا معهم وتقدم
انه يقال بين اظهرهم وظهرانيهم يرعى اضبطه بعضهم بضم المثناة التحتية اي يلاحظ ويحفظ
فهو برأي منهم ومسمع لا يخفى امره عليهم وبعضهم فتحه وجعله من رعاية الغنم والمواشي وهو المناسب
لقوله في صغره اي وهو طفل وشبابه اي بعدما بلغ وصار شابا وكان من ذهب الى الاول نفى جعله
صلى الله عليه وسلم راعيا ولكنه وقع ذلك له ولغيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام
ولم يكن معيبا عندهم وهو اقوى في اثبات مدعاه لان من يرعى يكون في الغالب معتزلا عن الناس
بعيدا عن التعلم ثم لم يخرج من بلادهم بعد ما شب وبلغ او بعد ما وجد وعرف حاله الا في سفرة
واحدة او سفرتين الى بلاد الشام مرة مع ابي طالب وردّه من الطريق باشارة بحيرا الراهب كما مر ومرة
في تجارة لام المؤمنين خديجة رضي الله تعالى عنها مع غلامها ميسرة فلم ينفرد عن اهل بلدته ابدا سفرا واقامة
ولم يتردد المصنف في السفرتين حتى يرد عليه قول البرهان ان السفرتين محققتان كما في السير فكان ينبغي ان يقول
الا في سفرتين جزما لان السفرة الاولى لما رده فيها عمه ابو طالب من الطريق كانت كالعدم فانه يقال
لم يرجع انه لم يسافر فلا وجه للاعتراض عليه ومثله لا يخفى واما ذهابه صلى الله عليه وسلم
مع مرضعته حليمة لبني سعد فلا يعد مثله سفرا الا سيما والمراد سفر خاص لديار اهل الكتاب وسفر
يمكنه التعلم فيه وكذا ذهابه صلى الله عليه وسلم الى الطائف الى بني عبد ياليل فانه لقربه
لا يعد سفرا واهلها جهلة اهل شرك لا علم عندهم يعلمونه له وقوله لم يطل فيهما اي في جنس السفرة
مكثه اي اقامته وهو بفتح الميم مدة يحتمل منها اي في المدة تعليم القليل وتعلمه من علم وغيره فكيف
الكثير الذي كانوا يعرفونه منه وهو استفهام انكاري بنفيه بطريق برهاني ثم اكده واثبت مدعاه
بقوله بل كان في سفره في صحبة قومه لم يفارقهم ولم يخالط غيرهم طرفة عين ورفاقة بفتح اوله
مصدر كالسماحة بمعنى المرافقة وهي الاجتماع في السير والسفر من الرفق لان كلا منهما يرفق بصاحبه
عشيرته اي قومه وقبيلته من العشرة وهي الاختلاط قال في القاموس عشيرة الرجل بنو ابيه الادنون
او قبيلته لم يغب عنهم ويفارقهم مفارقة تحتمل ملاقاة اهل الكتاب وتعلمه منهم ولا خالف
حاله التي نشا عليها وعرف بها مدة مقامه بالضم مصدر بمعنى الاقامة بمكة الى ان هاجر
صلى الله عليه وسلم الى المدينة وفاعل خالف ضمير يعود له صلى الله عليه وسلم وحاله مفعوله
وقوله من تعليم بيان لمقدر في قوة المذكور لعلمه مما قبله اي ما خالفه لامر اخر من تعليم الخ
وليست من زائدة في الفاعل ومحله رفع كما قيل واختلاف اي مجي وذهاب واصله مجي القوم
بعضهم خلف بعض فاستعمل المقيد في المطلق ومنه اختلاف الليل والنهار الى حبر بكسر
الحاء وفتحها وهو العالم من علماء اليهود ومنجم اي عالم بالنجوم واحكامها او قس بفتح القاف
كما في القاموس وغيره واشتهر ضمه وذكره ابن السيد في المثلثات رئيس علماء النصارى او كاهن
وهو من العرب من يخبر عن المغيبات بواسطة جن ونحوه فاستوفى اقسام من يمكن التعلم
منه من انواع الناس ثم ترقى في ابطال ما قالوه فقال بل لو كان هذا اي لو فرض خلاف ما ذكر

من احواله صلى الله عليه وسلم ما ان فوضنا اسفارا كثيرة له ومكثا مع اهل الكتاب واختلافا
للقسيسين والاحبار بعد مبنى على الضم والتقدير بعد ثبوت خلافه لا بعد مكثه بين اظهرهم
يرعى في صغره وشبابه كما قيل فانه غيرهما سبلمن نامل كلامه كله لكان ما اتى به صلى الله عليه وسلم
من معجز القران الذى لا يشبه شيا من كلام البشر قاطعا لكل عذر عند ذوا به عن نحا لفتهم له
عنادا او بغيا منهم وجحله عندا ايما الى انهم معترفون بجرمهم بدلالة الحال ومدحضا اى مزيلا
ومبطلا من الادحاض وهو الازلاق ففيه استعارة مكنية لتشبيههم بمزلة قدامه لمشيه
في وحال الشرك لكل حجة تستشبثوا بها وهى وهى من بيت العنكبوت ونى لسخة لكل شبهه ومجليا
بضم الميم وفتح الجيم وكسر اللام المشددة ويجوز تخفيفها وتسكين الجيم وقال البرهان انه بضم
الميم وسكون الخا المعجمة والظاهر ما قدمناه اى موضحا وكاشفا او مزيلا ومبعدا لكل درعيب
تخيلوه وتلبيس احتالوا به فصل ومن خصايصه صلى الله عليه وسلم التى
خصه الله بها عن غيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام وساير الخلق وكراماته التى
اكرمه الله تعالى وشرفه بها وباهر اياته اى ظاهر علامات نبوته ومعجزاته ولها والمجرور
خبر مقدم للحصر والاعتنا وقوله انبائه بفتح الهمزة جمع نبا وهو الخبر اى اخباره الصحيحة
الواقعة له صلى الله عليه وسلم مع الملايكة والجن وامداد الله له بالملايكة
بكسر الهمزة مصدر امده امدادا من المد قال الراغب سددت الجيش بمدد والانسان بطعام
واكثر ما جا الامداد في المحبوب والمد في المكروه نحو امددناهم بفاكهة ونمد له من العذاب
مدا انتهى اى ارسال الملايكة عليهم الصلاة والسلام مددا له صلى الله عليه وسلم
واعانته كما سياتى وطاعة الجن له بانقيادهم واسلامهم لا بامدادهم ولذا خالف فى العبارة
بينهم وبين الملايكة ورؤيته كثير من اصحابه لهم اى الملايكة والجن كما سياتى ولا وجه
لتخصيصه بالجن ثم ابتدا بما يثبت ما قاله من القران فقال قال الله تعالى وان تظاهرا اى تعاونا
عليه اى النبى صلى الله عليه وسلم بما تسوءه فان الله هو مولاه اى ناصره ومعينه وجبريل
وصالح المومنين ابو بكر وعمر معطوف على محل اسم ان فيكونون ناصريه الاية اى والملايكة
بعد ذلك ظهير وضمير تظاهرا لحفصة وعايشة ام المومنين والاية وسبب نزولها
وتفسيرها مبسوط فى محله وقد تقدم فى اول الكتاب بعض منه وقال تعالى اذ يوحى ربك
الى الملايكة انى معكم بنصرى وتاييدى فثبتوا الذين امنوا بالقتال معهم وتقوية قلوبهم
بوعدهم بالنصر وظهورهم على اعدايهم وهذا كان ببدر وتذكر اعداوه المشركون وعددهم
وقلة المسلمين وضعفهم وهو تعالى يويد بنصره من يشا وقال فى وقعة بدر اذ تستغيثون
ربكم تطلبون غوثه واعانته فاستجاب لكم اجاب دعاكم وانجز وعده لكم انى ممدكم الايتين
اى اقرا هما الى اخرهما اى انى ممدكم بالف من الملايكة مردفين اى متتابعين وقال تعالى واذ صرفنا
اليك نفرا من الجن يستمعون القران الاية اى املناهم واوصلناهم اليك والنفر ما دون
العشرة وهولا جن نصيبين وهذا كان ببطن نخلة فى منصرفه صلى الله عليه وسلم

من الطايف وقد ذكر هولا النفر وعدتهم واسماءهم فى مفصلات التفسير واجتماع الجن به
صلى الله عليه وسلم وقع مرتين بل اكثر وهو شاهد على انه صلى الله عليه وسلم
رسول للجن ولا شبهة فيه ولا خلاف عند من يعتد به حدثنا سفيان بن العاص الفقيه بسماعى
عليه تقدم بيانه وبيان السماع ورتبته قال حدثنا ابو الليث السمرقندى تقدمت ترجمته قال حدثنا
عبد الغافر الفارسى تقدم ايضا قال حدثنا ابو احمد الجلودى تقدم ضبطه وترجمته قال حدثنا ابن
سفيان هو ابراهيم بن محمد بن سفيان راوى صحيح مسلم عنه وترجمته معروفة قال حدثنا
مسلم القشيرى النيسابورى صاحب الصحيح المشهور قال حدثنا عبيد الله بن معاذ
بن عمرو العنبرى الحافظ الفصيح الثقة توفى سنة ماتين وسبع وثلاثين واخرج له اصحاب السنن
قال حدثنا ابى معاذ ابن معاذ التميمى الحافظ قاضى البصرة واليه انتهى علم الحديث توفى سنة
ماية وستة وتسعين واخرج له اصحاب السنن ايضا قال حدثنا شعبة تقدمت ترجمته ايضا
قال حدثنا سليمان الشيبانى بن ابى سليمان فيروز او خاقان الشيبانى بالمعجمة مولاهم الكوفى
الحافظ الثقة توفى سنة ثمان وثلاثين او احدى واثنين واربعين وقال الواقدى وابن كثير سنة
تسع وعشرين غلط واخرج له الايمة الستة سمع زر بكسر الزاى المعجمة وتشديد الرا المهملة ابن
جيش بالتصغير بحا مهملة وموحدة وتحتية ساكنة وشين معجمة وهو ابو مريم الاسدى ادرك
وسمع عليا وعمر رضى الله تعالى عنهما وعاش ماية وعشرين سنة وتوفى سنة اثنين وثمانين واخرج
له الستة عن عبد الله بن مسعود الصحابى المشهور وهذا التفسير الاتى اخرجه مسلم
والترمذى والنساى موقوفا والذى ذكره المصنف رواية السنن وقال الترمذى انه حسن صحيح
وله قال تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه فى تفسيره وهو
موقوف له حكم الرفع راى جبريل فى صورته الاصلية التى خلق عليها له ستماية جناح اللام
جواب قسم مقدر اى راى الاية الكبرى من ايات ربه الكبرى اسم تفضيل مونث اكبر ومن تبعيضية
وفيه ايما الى انه راى ربه وهو قول الاكثر فقد راه بعين بصره وهو مذهب ابن عباس وارتضاه
الاشعرى والنووى وما نقل عن عايشة رضى الله تعالى عنها من انكاره فقيل ان الذى قالته
كما فى مسلم عن مسروق انه قال كنت متكيا عند عايشه فقالت يا ابا عايشة ثلاث
من تكلم بواحدة منهن فقد اعظم على الله الفرية قلت ما هن قالت من زعم ان محمدا صلى الله
عليه وسلم راى ربه فقد اعظم على الله الفرية قال وكنت متكيا فجلست وقلت يا ام
المؤمنين انظرينى ولا تعجلى الم يقل الله عز وجل ولقد راه بالافق المبين ولقد راه
نزلة اخرى فقالت انا اول من سال عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
انما هو جبريل لم اره على صورته غير هاتين المرتين رايته منهبطا من السما سادا عظم
خلقه ما بين السما والارض الحديث فليس فيه نفى رؤيته لربه وانه صلى الله عليه وسلم
ذكر لها ذلك وقد تقدم جميع ذلك مع ما فيه وقد ذكر هنا انه راى جبريل وله ستماية
جناح سدت ما بين السماء والارض والعدد لا مفهوم له فلا ينافى ان تكون اجنحته تزيد

على ذلك فان الملائكة اجسام مجردة قابلة للتشكل والخبر اى الحديث الصحيح المسند فى محادثته
صلى الله عليه وسلم مع جبريل واسرافيل وغيرهم من الملائكة اعاد ضمير الجمع على المثنى تعظيما
لهما تنزيلا لهما منزلة الجماعة او لتنزيل ذلك منزلة تعدد الصور الذى يشير اليه ما قبله وبينه
بقوله بعده وما شاهده من كثرتهم وعظيم صورهم ليلة الاسرا مشهور وفى نسخة
وصوت بعضهم وفى نسخة وعِظَم صُوَرِهِنّ وحديث الاسرا ورويته صلى الله عليه وسلم
الملائكة والانبياء مشهور وقد تقدم طرف منه ورويته للملائكة كملك الجبال وملك
المطر واسرافيل صحيح مشهور ايضا ومن اراد تفصيله فلينظر كتاب السيوطى المسمى بالحبايك
فى اخبار الملائك فانه كتاب جليل فى بابه وفيه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما عيّره المشركون بالفاقة اى الفقر وقالوا ما قصه الله من قوله ما لهذا
الرسول ياكل الطعام الاية حزن لذلك فنزل عليه جبريل وقال له رب العزة يقريك السلام
ويقول لك وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام الخ الاية فبينما جبريل والنبى
صلى الله عليه وسلم يتحدثان اذ ذاب حتى صار مثل البردة وهى العدسة فقال له صلى الله
عليه وسلم مالك يا جبريل فقال له فتح باب من ابواب السما لم يفتح قبل ثم عاد لحاله وقال
ابشر يا محمد هذا رضوان خازن الجنة فاقبل رضوان وسلم وقال يا محمد رب العزة يقريك
السلام ومعه سفط من نور يتلالا ويقول لك هذه مفاتيح خزاين الارض فنظر لجبريل
كالمستشير فضرب جبريل بيده الارض وقال تواضع لله عز وجل فقال يا رضوان لا حاجة لى
فى الدنيا قال اصبت اصاب الله بك ويرون ان هذه الاية انزلها رضوان تبارك الذى ان شاء جعل لك
خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا اقول ومن هذا علم انه لم ينزل
بالقران الا جبريل غير هذه الاية والسر فيما ذكر ان نزول رضوان وهو ملك الجنان وتخييره دون
بت باعطايها علم منه جبريل ان الله اراد له صلى الله عليه وسلم ما هو ارقى من ذلك فى الجنة
وانه لم يرض بعجوز الدنيا الفانية ان يكون له ولو اراد خلافه اتاه ملايكة الارض ومن له التصرف
فيها كاسرافيل والا فجبريل عليه الصلاة والسلام لا يقول شيا برايه ولا يفعل الا ما يوحى
فافهم وقد رآهم اى الملائكة بحضرته اى فى مجلسه صلى الله عليه وسلم والحضرة
مثلث الحا مصدر حضر يحضر اذا جا وقدم ويتجوز فيه تجوزا مشهورا عن مكان الحضور
نفسه ويستعمل للتعظيم فى صاحب المجلس فيقال الحضرة العالية تارة كذا كالمقام كما يكتبه
اصحاب الترسل جماعة من الصحابة فى مواطن جمع موطن وهو محل الوطن وهو هنا المطلق المكان
مجازا مرسلا مختلفة اى متعددة واصل معناه المتغايرة فاستعمل فى لازم معناه وقد تقدم
بعض من الكلام على روية بعض الصحابة للملائكة عنده صلى الله عليه وسلم وفى بعض النسخ
فراى اصحابه جبريل فى صورة رجل سايل عن الاسلام والايمان والاحسان وعن الساعة
وهو اشارة الى الحديث الذى فى اول البخارى والكلام عليه وعلى الفرق بينه وبين الاسلام
مفصل فى شرحه وراى ابن عباس واسامة ابن زيد وغيرهما من الصحابة كعايشة رضى الله

تعالى عنها وام سلمة وعمر وحارثة عنده صلى الله عليه وسلم جبريل فى صورة دحية بن خليفة
الكلبى الصحابى الجليل المشهور توفى فى خلافة معاوية رضى الله تعالى عنه وكان من اجمل الناس
واجلهم ولذا كان جبريل عليه الصلاة والسلام ياتى للنبى صلى الله عليه وسلم على صورته
رضى الله تعالى عنه ودحية بفتح الدال وكسرها ومعناه الرييس بلغة اليمن وتمثل
الملك مع عظم خلقته الاصلية بصورة صغيرة ليس بافنا بعض اجزايه ولا بازالتها ثم
اعادتها كما قيل بل لانهم انوار لطيفة قابلة للتشكل والتضام والانتشار كما يشاهد فى الحب
فى هبوب الرياح وقول امام الحرمين انه كالقطن المنفوش تمثيل وتقريب للعقول ايضا فلا ينقلب حقيقة
اذا تمثل رجلا انسانا لمن يخاطبه ولا بعد فى ان يخص الله بعض الانفس القدسية الملكية بقوة
يقدر بها على التصرف فى بدنه كما يريد كما قيل ان الابدال سموا ابدالا لانهم كانوا يرى لهم فى بعض الامكنة
شبحا يقوم مقامهم لقدرة ارواحهم القدسية على التصور بصورتهم وهو المسمى بعالم المثال وفيه
كلام فى كتب الاصول والحكمة وبعض اهل الشرع ينكره وتبعهم شارح المقاصد وقوله
فى صورة دحية بتقدير مضاف اى فى مثل صورة دحية وما قيل من انه تمثيل لتمكنه منها واستقراره
فيها استقرار المظروف فى ظرفه تكلف لا حاجة اليه لان مثله للشمول والاحاطة يعد ظرفا
حقيقة فى العرف وروية ابن عباس رضى الله عنهما له مرتين رواها الترمذى وروية اسامة له
رواها الشيخان عنه فقول الشارح الجديد اقف عليها من قصور النظر وراى سعد بن ابى
وقاص فى حديث رواه الشيخان على يمينه ويساره جبريل وميكايل لف ونشر مرتب فى صورة رجلين
عليهما ثياب بيض تسميتهما وقع فى الحديث عن غير واحد وهذا كان بغزوة احد وقد قاتلا معه صلى الله
عليه وسلم قال النووى فى شرح مسلم هذا مما اكرمه الله تعالى به وفيه رد لمن قال ان الملائكة
لم تقاتل معه بغير بدر وقد صح انهم قاتلوا معه بحنين وهذا هو الصواب وقال القرطبى فى تفسيره لم
تقاتل الا ببدر ووعد الله المومنين باحد ان صبروا وثبتوا ان يمدهم بالملايكة فلم يصبروا ولم
يمدهم وكان للنبى صلى الله عليه وسلم ملكان يقاتلان عنه دايما وفى الحديث دليل على ان
روية الملائكة لا تختص بالانبيا عليهم الصلاة والسلام فيراهم الصحابة والاوليا
ومثله عن غير واحد اى روى مثل ما فى هذا الحديث عن ناس كثيرين متعددة وسمع بعضهم اى بعض
الصحابة وغيرهم من الحاضرين زجر الملائكة زجرها حثها لخيلها على الجرى بصوت يوم بدر اى وقتها
حين القتال وهذا رواه ابو نعيم والبيهقى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان رجلا من غفار قال
قدمت انا وابن عم لى ونحن مشركان وصعدنا على جبل مشرف على بدر ننظر الوقعة وننظر على
من تكون الدبرة فبينما نحن كذلك اذ دنت سحابة فيها حمحمة خيل فسمعت قايلا يقول اقدم حيزوم
فمات ابن عمى من خوفه وكدت اهلك وحيزوم منادى اسم فرس الملك بالميم وروى حيزون
بالنون والصحيح الاول وبعضهم راى تطاير الروس اى سرعة وقوعها بخفة كطاير طار عن مقره
وهذا رواه البيهقى عن سهل بن حنيف وابى واقد الليثى من الكفار فى يوم بدر ولا يرون الضارب
لانه ملك خفى عنهم وبعضهم راه وعرفه وقد روى كلاهما فى احاديث ذكروها ويجوز ان يقال

ان التطاير استعارة شبهت بطاير وحمام طار من برج بدنه بنفسه كانه ليس جزا منه بدليل قوله ولا يرون الضارب ولا الضربة قال ابو داود المازني انى لاتبع رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه فوقع راسه قبل ان يصل اليه سيفى وكانوا يعرفون قتلى الملائكة بان بهم سمة نار ونحوه وراى ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قبل اسلامه يومئذ اى يوم بدر رجالا بيضا وجوههم وابدانهم على خيل بلق اى فيها بياض ولون اخر ما يقوم لها شئ اى لا يمكن ان يقاوم شدتها وقتالها شئ غيرهم قال او كثير لما راه من مهابة بطشها وسرعته وقيل ان الرائى لذلك سهيل بن عمرو كما رواه البيهقى وهو يخالف لما رواه المص هنا وهو هكذا فى تخريج السيوطى لاحاديث هذا الكتاب وفى الشرح الجديد انه رواه ابن اسحاق فى سيرته ونقله فى حديث طويل فى مهلك ابى لهب والعهدة فيه عليه وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن حصين باكفها والذى رواه مسلم انها كانت تسلم عليه ولا منافاة بينهما فان المتلاقيين يستحب لهما السلام والمصافحة تحية واكراما لان السلام امان والمصافحة تسليم يده له فهو امان لفظا ومعنى وحسا وعمران بن حصين هذا هو الصحابى الخزاعى رضى الله تعالى عنه وحصين علم منقول من مصغر حصن وهو كما قالوا افضل من نزل البصرة توفى فى خلافة معاوية سنة اثنين وخمسين ومصافحة الملائكة له مشهورة فى الكتب المعتمدة واما السلام ففى صحيح مسلم مسندا الى مطرف ان عمران رضى الله تعالى عنه قال له كانت الملائكة تسلم على حتى اكتويت فتركت الملائكة السلام على ثم تركت الكى فعادوا وقال له اكتمه ما دمت حيا قال النووى رحمه الله كان به بواسير فاكتوى لها لقطع دمها وكان عظيم الصبر والتوكل وفى العلاج ترك التوكل فلذا قطعت الملائكة السلام عليه والا فالكى ليس محرما وان قيل بكراهته اذا امكن العلاج بغيره كما ورد فى المثل اخر الدواء الكى وروى انه كان يسمع فى داره السلام عليه من غير ان يرى اهل الدار المسلم كما ذكره الترمذى وهذا وان كان خارجا عما عقد له الفصل من رؤية النبى صلى الله عليه وسلم الملائكة ورؤية الصحابة لهم عنده فهو يعلم منه المقصود بالطريق الاولى او هو استطراد واراى النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه البيهقى مرسلا عن عمار بن ياسر رضى الله عنهما واراى بصيغته تعدت بالهمزة لمفعولين اولهما حمزة بن عبد المطلب عمه صلى الله عليه وسلم وفى نسخة لحمزة باللام فهى زائدة كما فى ردف لكم وثانيهما جبريل فى الكعبة اى فى داخلها او عندها فخر مغشيا عليه خوفا من مهابته لانه راه على صورته ففى دلائل البيهقى وطبقات ابن سعد عن عمار بن ياسر ان حمزة رضى الله تعالى عنه قال يا رسول الله ارنى جبريل على صورته قال لا تستطيع ان تراه قال بلى فارنيه فقال له اقعد فقعد فنزل جبريل على خشبة كانت فى الكعبة فقال له صلى الله عليه وسلم ارفع طرفك فانظر فرفع طرفه فراى قدمه مثل الزبرجد الاخضر فخر مغشيا عليه واعلم ان راى اذا تعدى بالهمزة لمفعولين كان من باب اعطى قال ابن مالك لا تدخل اللام عليهما الا انه يلزم تعدى فعل بحرفين بمعنى وان تعدى احدهما لزم الترجيح بلا مرجح ما لم يتقدما او احدهما فتعديه هنا باللام لا وجه له وقال ابن هشام انه شاذ واللام زايدة تقول الاخيلية

انجاج لا يعطى العصاة مناهم ولا الله يعطى للعصاة مناها فان كان نحو دروركذا فهو من الشاذ المسموع ولا اعتراض عليه واعلم ان الحافظ السخاوى قال فى كتابه عمدة الناس فى مناقب العباس رضى الله تعالى عنه ان العباس بعث ابنه عبد الله الى النبى صلى الله عليه وسلم فقام وراءه وعنده رجل فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فراه فقال له متى جئت فقال منذ ساعة قال هل رايت رجلا قال نعم قال ذاك جبريل ولم يره خلق الا عمى الا ان يكون نبيا لكن اسال الله ان يجعل ذلك فى اخر عمرك وله طرق من الاسانيد الا انه معارض برؤية جماعة من الصحابة جبريل لم يعموا ولكن هذا ضعيف وتلك صحيحة فلا يتكلف الجمع بينهما وقد عمى ابن عباس فى اخر عمره فقال ان ياخذ الله من عينى نورهما ففى لسانى وقلبى منهما نور عقل صحيح وراى غير ذى زلل وفى فمى صارم كالسيف مشهور وقال له بعض الامويين ما لكم يا بنى هاشم تصابون فى ابصاركم فقال وانتم يا بنى امية تصابون فى بصايركم انتهى اقول ما ذكره من حديث عمى الراى لجبريل اذا ورد من طرق صار قويا وليس من قبيل الاحكام فيجعل معارضه ناسخا فلا بد من التوفيق فيحمل على من راه وحده فى بيت ونحوه من مكان مخصر كالبيت من غير علم النبى صلى الله عليه وسلم برؤيته فلا يرد رؤية عايشة وغيرها له وذلك لانه نور شديد قد يورث ضعفا للبصر المودى للعمى اذا حدق فيه الناظر واطال نظره فى نوره الذى لم يتفرق وهو من الاسرار الالهية فتامله ثم ان المص قدم الملائكة لشرفهم ثم ذكر امر الجن فقال وراى ابن مسعود فى حديث رواه البيهقى الجن فى ليلة الجن اى فى ليلة راى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الجن وقدرهم بانذارهم ودعوتهم للاسلام فدعاهم وسمع كلامهم قال البرهان فى المقتفى الذى فى صحيح مسلم من حديث ابن مسعود انه لم يكن مع النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الجن وقال ابن سيد الناس فى سيرته ان حديث ابن مسعود فى كونه كان حاضرا فى ليلة الجن روى من طرق وفيه انه توضا بنبيذ التمر وذكر الشارح هنا كلاما لا محصل له والحق ما قاله ابو البقا الشبلى الحنفى فى كتابه اكام المرجان فى احكام الجان من انه روى فيه احاديث متعددة منها ما رواه ابو داود عن ابن مسعود ان علقمة قال له هل صحب النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الجن احد قال ما صحبه منا احد ولكن فقدناه ليلة فالتمسناه فى الاودية والشعاب فقلنا اغتيل فبتنا بشر ليلة فلما اصبحنا جاء من قبل حرا وقال اتانى داعى الجن فذهبت معه وقرات عليهم القران وانطلق بنا وارانا اثار نيرانهم وذكر انهم سالوه الزاد فقال لكم العظم والبعر ونهى عن الاستنجا بهما رواه احمد وهذه الليلة غير الليلة التى حضرها ابن مسعود وهى فى دلائل البيهقى مسندة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه بمكة من احب منكم ان يحضر الليلة الجن فليفعل فلم يحضر احد غيرى فانطلقنا حتى اذا كنا باعلا مكة خط لى برجله خطا امرنى بالجلوس فيه وانطلق حتى قام وافتتح القران فغشيته اسودة كثيرة حالت بينى وبينه حتى ما اسمع صوته الى الفجر وسمعتهم يقولون له من يشهد لك انك رسول الله وثم شجرة فقال ارايتم ان شهدت هذه الشجرة تؤمنون قالوا نعم فدعاها والله فشهدت له فامنوا به وجمع البيهقى بين الروايتين فقال قوله ما صحبه منا احد اراد به حال ذهابه لقراءة القران الا ان قوله انه اعلم اصحابه بخروجه ينافى فقدهم له حتى قالوا انه

استطيرا او اغتيل وفيه تصريح بانه ممن فقده والتمسه وفي هذا الحديث انه خرج له وخط له خطا
جلس فيه فلا يصح ما قاله البيهقي وهذا كله منشاؤه ظنهم انها ليلة واحدة ولا شك انها تعددت
فمنها ما كان بمكة كما تقدم ومنها ما كان بالمدينة كما في دلائل النبوة لابي نعيم مسند الابن مسعود
وانه قيل له اكنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة وفد الجن قال اجل اخذ كل رجل رجلا
من اهل الصفة يعشيه ولم يأخذني احد فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما اخذك
احد يعشيك قلت لا قال انطلق معي لعلي اجد لك ما يعشيك فانطلقت معه لحجرة ام سلمة
فتركني ودخل ثم خرجت جارية فقالت لي لم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لك عشاء فرجعت
الى المسجد والتففت بثوبي فجاءت الجارية وقالت اجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيته
ارجوا العشاء فخرج وبيده عسيب نخل فوضعه على صدري وقال انطلق معي حيث انطلقت
فقلت ما شاء الله وكررتها ثلاث مرات فانطلقنا حتى اتينا بقيع الغرقد فخط بعصاه
خطا وقال اجلس فيه حتى اتيك ولا تبرح فانطلق وانا اراه خلال النخل فثارت مثل عجاجة
سوداء فخفت عليه وقلت الحق او استغيث الناس فظننت هوازن مكرت به ثم ذكرت قوله صلى الله
عليه وسلم لا تبرح فسمعته يقول اجلسوا وهو يقرعهم بعصاه فجلسوا حتى كاد ينشق عمود
الصبح فذهبوا واتى لي فذكرت له ما في نفسي فقال هم وفد نصيبين الحديث فهذه الليلة كانت بالمدينة
حضرها ابن مسعود وما سئل عنه اولا كان بمكة وقد وفدوا عليه صلى الله عليه وسلم مرة
اخرى حضرها ابن الزبير رواها الطبراني ومرارا اخر ذكرها في باب مستقل بطولها ثم قال وهذه
الاحاديث تدل على ان وفادة الجن كانت ست مرات الاولى فقد فيها وقيل اغتيل والتمس بمكة
والثانية كانت بالحجون والثالثة كانت باعلى مكة بالجبال والرابعة كانت ببقيع الغرقد وفي ليلته
كانت خارج المدينة حضرها ابن الزبير والسادسة كانت في بعض اسفاره حضرها بلال انتهى
ملخصه وشبههم اي ابن مسعود لا النبي صلى الله عليه وسلم لقول قتادة ان ابن مسعود
لما قدم الكوفة راى شيوخا سودا افزعوه فقال اخرجوهم ما اشبههم بالنفر الذين صحبوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني الجن وفيه دليل على انه راهم برجال الزط متعلق بقوله
شبههم والزط بالزاي المعجمة وتشديد الطاء المهملة قوم من السودان طوال وفي القاموس
انهم جيل بالهند معرب جت بفتح الجيم والقياس يقتضي فتح معربه والواحد زطي وذكر ابن سعد
وهو محمد بن سعد كاتب الواقدي وقد تقدم وهو بصري ان مصعب بن عمير القرشي العبدري الصحابي
البدري وهو ممن اسلم قديما وكان يحمل راية رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه
لما قتل يوم احد اي في وقعته قتله ابن قمئة لعنه الله ظانا انه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي صحيح البخاري عن خباب ان مصعبا لما قتل لم يكن له الا نمرة كنا اذا غطينا راسه بها بدت رجلاه
واذا غطي رجلاه بدت راسه فجعلوا على رجليه شيا من الاذخر فاخذ الراية ملك على صورته اي
تشكل بشكله وبرز على صورته حتى لا تقع راية المسلمين فان وقوع راية العسكر فيه ضعفهم
ولتمام تلك الصورة فيه جعل كانه عليها راكبا متمكنا فيه فكان النبي صلى الله عليه وسلم

يقول له تقدم يا مصعب نحو الاعداء في القتال فان الراية يتبعها المقاتلون لانه صلى الله عليه وسلم
لشدة توجهه للقتال لم يشعر بقتل مصعب ولم يتأمل حامل الراية فقال له الملك لست بمصعب
كما ظننته وفيه لطف وتبشير بسهولة الامر وظهور النصر وان مع العسر يسرا وهذا بناء على انه
لم يعلمه كما رواه ابن سعد في طبقاته وعلى ما رواه ابن ابي شيبة في مصنفه من انه صلى الله عليه وسلم
قال يوم احد أقدم مصعب فقال له عبد الرحمن بن عوف لما سمع مقالته يا رسول الله الم يقتل مصعب
يعني فكيف تناديه قال بلى ولكن ملك قام مقامه وتسمى باسمه فهو الذي ناديته يكون علم النبي
صلى الله عليه وسلم انه ملك وانما سمي باسمه لئلا يعلم الناس قتل حامل الراية فيحصل فيهم
اضطراب ولتشمت الاعداء بهم ويتمونا انهزامهم فعله صلى الله عليه وسلم قتل مصعب على
الاول لم يشعر بقتله وكونه علمه ونسي او ظن ان الله احياه كما قيل بعيد فلا يقال كيف ناداه
باسمه بعد ما علم انه ملك مع ان هذا السؤال غير وارد راسا بعد علمه انه تسمى باسمه لما مر وكان
مصعب رضي الله تعالى عنه حامل راية المهاجرين باحد ولواء الخزرج حامله الحباب بن المنذر
وقيل سعد بن عبادة وراية الاوس بيد اسيد ابن حضير وما روي من ان حامل رايته باحد علي
ابن ابي طالب كرم الله وجهه لا ينافيه لان الراية كانت اولا بيد مصعب فلما استشهد اخذها
الملك فلما انجلى الامر وعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل كما شنع به ابن قمئة وصرخ
ابليس اللعين ان محمدا قد قتل اخذ علي عليها الراية بعد ما امسكها الملك لحظة لئلا تسقط
ويتخذل المسلمون وتقر اعين الكفار وقول الملك لست بمصعب يعني لست مصعبا المعروف لكم
فلا يقال كيف قال ذلك بعد ان تسمى مصعبا وذكر غير واحد من المصنفين كالبيهقي وابن ماكولا
عن عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه انه قال بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم
اذ اقبل شيخ بيده عصى كونه بيده عصا تحقيق لشيخوخته فان العصا سلاح المشايخ ولله در
الباخرزي في قوله حمل العصا للمبتلى بالشيب عنوان البلا وصف المسافر انه
ألقى العصا كي ينزلا فعلى القياس سبيل من حمل العصا ان يرحلا وهو تلميح لقوله
فالقت عصاها واستقرت بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر فسلم
على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم سلامه بان قال له
وعليك السلام وجواب السلام يقال له رد حقيقة وهو في الاصل مجاز للتشبيه بمن اعطى
شيا فاعاده لصاحبه ثم صار حقيقة فيما ذكر وقال صلى الله عليه وسلم لمن سلم عليه
بعد رده جوابه نغمة الجن وفي نسخة جناء هذه او نغمتك نغمة الجن وصوتهم فهو خبر مبتدا
مقدر وقال الثعالبي في فقه اللغة النغمة جرس الكلام وحسن الصوت والنغمة بالفتح
جمعها نغم ونغم بفتح النون وكسرها وهو شاذ ومع شذوذه فله نظاير كهضبة وهضب
وخيمة وخيم وبضعة وبضع وجفنة وجفن من انت من الجن وما اسمك وشمتك
وفيه اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم يعرفهم لانهم وفدوا عليه مرارا كما تقدم
قال انا هامة بن الهيم بهاء مكسورة فمثناة تحتية فميم بن لاقيس بن ابليس في ضبطه

الاسما اختلاف فقيل هامة بوزن قامة وقيل امه بالف وميم دونها والصحيح الاول والهيم
بوزن الفيل كما مر وقيل انه مهموز بوزن كتف وَوَعْل وفي الشرح انه مضبوط بخط الحافظ
بتشديد اليا بوزن قيم ولا يعتمد عليه والكلام على ابليس مشهور وهو ابو الجن كما ان ادم
عليه السلام ابو البشر ويسمى عزازيل وقيل الحارث ويكنى بابي مرة ولاقيس بزنة فاعل
وفي بعض النسخ لاقيس بزيادة يا وهو الاشهر لا اصح حتى قيل ان اليا سقطت سهوا من الكاتب
فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم انه لقي نوحا عليه الصلاة والسلام ومن بعده من الرسل
والانبيا في حديث طويل وان النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا من القران ستاتي والحديث
عن عمر رضي الله تعالى عنه قال بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبل من جبال
تهامة اذا قبل شيخ في يده عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه
وسلم مشيته الجن ونغمتهم قال نعم فقال له من انت قال هامة بن الهيم بن لاقيس بن ابليس قال ليس
بينك وبين ابليس الا ابوان قال نعم قال فكم لك من العمر قال افنيت الدنيا عمرها وكنت مع نوح
في مسجده مع من امن به من قومه فلم ازل اعاتبه على دعوته عليهم حتى بكى وابكاني فقال لاجرم
اني على ذلك من النادمين واعوذ بالله ان اكون من الجاهلين وقلت له يا نوح اني ممن شارك
في دم الشهيد هابيل فهل تجد لي من توبة قال يا هام هم بالخير وافعله قبل الحسرة والندامة
اني قرات فيما انزل الله علي انه ليس من عبد تاب الى الله بالغا ذنبه ما بلغ الا تاب الله عليه فقم
وتوضا واسجد لله سجدتين ففعلت من ساعتي ما امرني به فناداني ارفع راسك فقد نزلت توبتك
من السما فخررت ساجدا لله وكنت مع هود في مسجده مع من امن به من قومه فلم ازل اعاتبه على دعوته على قومه
حتى بكى وابكاني وكنت مع يوسف بالمكان المكين وكنت القى الياس بالاودية واني القاه الان ولقيت
موسى بن عمران فعلمني من التوراة وقال ان لقيت عيسى بن مريم فاقراه مني السلام وان عيسى قال ان لقيت
محمدا فاقراه مني السلام فبكى صلى الله عليه وسلم وقال على عيسى السلام ما دامت الدنيا وعليك
يا هامة لادايك الامانة فقال يا رسول الله افعل بي ما فعله موسى بن عمران فانه علمني من التوراة
فعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المرسلات وعم يتساءلون عن النبا العظيم
واذا الشمس كورت وقل هو الله احد والمعوذتين وقال ارفع الينا حاجتك يا هام
ولا تدع زيارتنا فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينعه لنا فلست ادري احي هو ام ميت
انتهى واعلم انهم اختلفوا في هذا الحديث فقال ابن الجوزي انه حديث موضوع لا اصل له وذكر له
طرقا ذكر من في رواتها من الكذابين ومن لم تقبل روايته وخالفه غيره وقال ان تعدد طرقه
تدل على صحته وابن الجوزي له مجازفة في موضوعاته اكثرها مردودة وقد روى هذا الحديث من يعتمد
عليه كالبيهقي كما علمت وابن عساكر وغيرهما وذكر الواقدي محمد بن عمر بن واقد المدني صاحب
التاليف الكثيرة الغريبة وقد وثقه كثير وطعن فيه اخرون توفي ببغداد سنة سبع ومائتين وعمره
ثمان وسبعون كما تقدم وهذا حديث صحيح رواه البيهقي والنساي وغيرهما وهو مذكور في اكثر
التفاسير قتل خالد بن الوليد وهو مصدر مضاف لفاعله ومفعوله السودا عند هدمه العزى

وفي النسخة

121

وفي نسخة قطعة وهي اظهر لان العزى كانت شجرة او ثلاثة اشجار في مكان واحد بنوا عليها بنا وكانوا
يعبدونها ويسمعون منها اصواتا فذكر الهدم باعتبار ما حولها فهو بتقدير مضاف هو مفعول
هدم كقطع اي قطعها او هدم بنايها وكانت لغطفان وهي سمرة السودا مفعول قتل كما مر وفي نسخة
للسودا واللام للتقوية وهو شيطان في صورة امراة سودا التي خرجت له اي لخالد رضي الله تعالى
عنه لما باشر قطعها ناشرة شعرها عريانة واضعة يدها على راسها صايحة يا ويلاه وناشرة
وما بعده منصوب على الحالية وشعر بسكون العين وفتحها فجزلها بجيم وزاي معجمة مفتوحتين
والزاي مشددة للمبالغة ومخففة اي جعلها جزلين اي قطعتين وروي جدلها بدال مهملة مشددة
وروي عن خطه بخا وزاي معجمتين يعني قطعها ومعانيها متقاربة واشهرها اولها والضمير للسودا
اي قطعها قطعا بسيفه وهو يقول يا عز كفرانك لا غفرانك اني رايت الله قد اهانك والعزى تانيث
الاعز واعلم خالد بما فعله النبي صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى ان كانت الاشارة لما وقع
الفعل من الشجرة فظاهر وان كانت الاشارة للسودا فتسميتها عزى وهي اسم للشجر والبنا باعتبار انها
هي التي عبدوها حقيقة وسمعوا منها ما كانت تخبرهم به من المغيبات ونحوها كما يقال الحج الثج والعج
باطلاق الشي على المقصود منه فهو مجاز وكانت بنخلة تعبدها قريش وكنانة وهي من اجل اصنامهم وقصة
هدمها مفصلة في السير وكان خرج خالد لها في ثلاثين فارسا والجن قادرة على التشكل بصور مختلفة
كالملايكة الا ان الجن اذا قتل ما تصور منها هلك ولما قتلها خالد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تلك العزى لن تعبد ابدا وقتل سادنها اي خادمها الموكل بها وهو دُبَيَّة بضم الدال المهملة وفتح البا الموحدة
وتشديد المثناة التحتية بن حرمي من بني مرة وقال صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه الشيخان
عن ابي هريرة رضي الله عنه ان شيطانا هو المتمرد من الجن من شطن اذا بعد او من شاط اذا احترق فنونه زايدة
او اصلية تفلت بتشديد اللام تفعل اي توثب بسرعة بغتة واصله التخلص بغتة يقال انفلتت الدابة
اذا تخلصت من ربطها البارحة هي الليلة الماضية قبل وقتك التي تكلمت فيه يعني في ليلة يومه وقد يرد
بمعنى اليوم الذي قبل يومك وفيه كلام في شرحنا لدرة الغواص ليقطع على بتشديد اليا متعلق بيقطع بمعنى
يبطل صلاتي التي كنت اصليها ويجوز ان يتنازعه هو وتفلت فامكنني الله منه اي اقدرني عليه وعلى
اخذه وحبسه فاخذته اي امسكته وعقته عن مضيه وهروبه مني فاردت ان اربطه بكسر البا وضمها
اي اوثقه بوثاق يضمه الى سارية اي عمود واسطوانة من عمد المسجد ومن سواري جمع سارية المسجد
المدني حتى تنظروا اليه كلكم لاجل ان تروه مربوطا فذكرت دعوة اخي سليمان بن داود نبي الله عليهما
الصلاة والسلام وهي قوله في دعايه رب اغفر لي كل ما صدر مني من تقصير بالنسبة لمقام
النبوة وان كان معصوما وهب لي ملكا اي سلطانا عظيما لا ينبغي لاحد من بعدي اي لا يتيسر
لاحد غيري وهو احد معاني الانبغا مطاوع بغى بمعنى طلب وليس هذا حرصا منه عليه الصلاة
والسلام على الملك وسعة الدنيا وانما طلب وخلة ينفرد بها لتكون خارقة للعادة دالة على نبوته
مقدرة له على تنفيذ اوامر ربه واظهار دينه وفي تقديم الدعا بالمغفرة على حصول الملك ايما الى
ان السلطنة لا تخلو من امور تحتاج لعفو الله تعالى وحيا من الله لطلبه امرا لا يليق بغيره

ولتركه مقام العبودية الذي ارتضاه نبينا صلى الله عليه وسلم وقال الزمخشري ان سليمان
عليه الصلاة والسلام نشا في بيت ملك ونبوة فاراد ان يكون ماورثه زايدا على غيره خارقا للعادة
ليتم به امره ويعلم انه باستحقاق للفيض الالهي لا بمجرد ميراث كاولاد الملوك ولا يتوهم انه طلب بغض
نعم الله عليه والمومن يحب لاخيه ما يحب لنفسه فكيف بالنبي صلى الله عليه وسلم لا نخصايص
الانبيا وطلبها امر اخر وقد علم ان هذا الشيطان مارد من المردة التي على النبي صلى الله عليه وسلم
شعلة نار وهو يصلي ليقطع صلاته فاخذه بنفسه لا ملك تمنعه عنه كما قيل ولبعضهم هنا ابحاث
ونوايد لا طايل تحتها وقوله رب اغفر لي بدل مفسر لقوله دعوة اخي وتسخير الجن داخل في هذه الدعوة
لقوله بعدها فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب والشياطين الخ ولما استجاب الله دعوته
ترك صلى الله عليه وسلم ذلك تادبا منه وتواضعا وتوقيرا لسليمان صلى الله عليه وسلم
قال ابن عرفه رحمه الله وما نقل عن الحجاج من انه قال في حق نبي الله سليمان انه كان حسودا
من فسقه وجهله بل من كفره وعدم علمه بمقامات الانبيا عليهم الصلاة والسلام فان للانسان
ان يطلب من الملك شيا يخصه به اذا علم انه لا يعطيه الا الواحد من مملكته فيجوز ان يكون هو ذلك
الواحد وقوله فرده الله اي رد الله ذلك الشيطان باقداري عليه وتمكيني منه خاسيا اي خايبا
حقيرا مطرودا من كلامه صلى الله عليه وسلم كما هو واضح وقوله البخاري قال روح فرده الله
خاسيا بيان لانه وقع من روايته لانه روى فردته وهي صحيحة في ذلك وهذا الحديث روي من طرق
وفيها زيادة واختلاف ففي بعضها عرض لي في صورة هر واخذته فخنقته حتى وجدت برد لسانه على يدي
وروي انه سمع صلى الله عليه وسلم يقول في صلاته اعوذ بالله منك والعنك بلعنة الله
ثلاثا وبسط يده كانه يتناول شيا فسالوه عن ذلك فقال انه عدو الله ابليس لعنه الله جا
بشهاب من نار ليجعله في وجهي وقوله في الرواية المارة فاخذته وخنقته يعلم منه ان قول المص
في شرح مسلم انه يحتمل انه لم يقدر عليه لا وجه له فانه صلى الله عليه وسلم كان قادرا
على ذلك فانه اوتي مثل كل معجزة لغيره كما ياتي وفي بعض طرق هذا الحديث تصريح بان الشيطان
هو ابليس وقيل يحتمل انه غيره وان الواقعة تعددت قال ابن عبد البر الجن على مراتب جني وعامر
وهو الذي يخالط الناس وارواح وهم الذين يتعرضون للصبيان واجنتها قيل وقرين الانبيا
والعباد يقال له الابيض كما في تفسير القرطبي وهذا اي ما كان له صلى الله عليه وسلم مع
الملايكة والجن باب واسع اشارة الى ان ما ذكره قليل من كثير وغيض من فيض وفي كلام المرجان
ربطه للسارية من التصرف الملكي الذي تركه لسليمان وتصرف صلى الله عليه وسلم
بنوع الدعوة للاسلام والامر والنهي فانه كان عبدا رسولا وهو افضل من الملك النبي ثم ان خنقه
وفعله به ما فعله في صلاته احتج به على جواز مثله في الصلاة كدفع المار وقتل الاسودين
والمسابقة في صلاة الخوف انتهى وفيه تامل فصل ومن دلايل نبوته صلى الله عليه
وسلم والدلايل ما يعلم منه شي اخر ويكون قطعيا وظنيا قال استاد والدي الشيخ احمد بن
قاسم في الايات البينات هي جمع دليل على خلاف القياس ويحتمل ان يكون جمع دلالة بمعنى دليل

فان امام

فان امام الحرمين قال ان الدليل يسمى دلالة وجمع فعالة على فعايل قياسي والظاهر ان تسميته الدليل دلالة
مجاز انتهى وقال الراغب الدلالة ما يتوصل به الى معرفة الشي وتسميته الدال والدليل دلالة كتسمية
الشي بمصدره انتهى وفيه دليل لما قاله امام الحرمين وانه سمع فلا وجه للتوقف فيه ولا لقول بعض
شراح المنهاج الاصولي في قوله دلايل الفقه صوابه ادلة الفقه وقال ابن مالك في شرح الكافية
لما يات فعايل جمع اسمه جنس على فعيل فيما اعلم لكنه بمقتضى القياس جايز في علم المونث كسعيد علم
امراة جمع على سعايد وذكر النحاة انه في غاية القلة ورد منه لفظين لا يقاس عليهما وهما وصايد جمع
وصيد وهو الباب وسلايل جمع سليل وهو واد وزاد الجوهري تبايع جمع تبيع وافايل جمع افيل وهو
الصغير من الابل وقول بعضهم انه قيده بعلمه فقد يقال انه لا يمنع سماعا ولا قياسا خبط لا معول له
وعلامات رسالته العلامة الامارة واكثر ما تستعمل في الظنيات وفيما يكون قبل الوقوع والفرق
بين النبوة والرسالة مشهور وقد يكون ان يعني واضاف الدلايل للنبوة والعلامات للرسالة
تفننا وقيل لان النبوة اصل والرسالة وصف زايد انتهى والظاهر ما قلناه انه غاير بينهما تفننا
والمراد بالدلايل الدلايل القطعية وقدمها لشرفها واضافها للنبوة لسبقها على الرسالة وكل
ما دل على النبوة دل على الرسالة للزوم تصديقه بعد ثبوت نبوته في قوله اني رسول الله اليكم
وكذا الرسالة مستلزمة للنبوة ومبنية عليها فعلاماتها علاماتها ما ترادفت به الاخبار
اي تتابعت بمجيء بعضها يتبع بعضا من غير انفصال كان بعضها ركب خلف الاخر ففيه استعارة
مكنية وتخييلية والاخبار جمع خبر عن الرهبان وهم عباد النصارى وعلماوهم كبحيرا في قصته
المشهورة جمع راهب من الرهبة وهي الخوف لاظهارهم خشية الله والخوف منه مقابل الراغب
لتركهم الرغبة في الدنيا كما قيل يتهوى غلاما من نصارى راهبا فاعجب له من راغب في راهب
والاحبار جمع حبر بالفتح والكسر كما مر وهو العالم من اهل الكتاب واشتهر في علما اليهود وقوله
وعلما اهل الكتاب من عطف العام على الخاص واهل الكتاب غلب على اليهود والنصارى فالمراد
بالكتاب التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب السماوية وفي نسخة الكتب جمعا وهما بمعنى من صفته
صلى الله عليه وسلم وصفة امته واسمه وعلامته ففي التوراة عن كعب محمد رسول الله
عبدي المختار الخ وامته الحامدون وفي الزبور عن وهب بن منبه يا داود سياتي من بعدك نبي يسمى احمد
ومحمد امته مرحومة اعطيتهم مثل ما اعطيت الانبيا الى غير ذلك مما نقله الثقات كقوله في علامته
في الانجيل صاحب المدرعة والعمامة والهراوة الجعد الراس الصلت الجبين الى اخر ما ذكره من حليته
فيه وذكر الخاتم بالفتح والكسر يعني خاتم النبوة الذي بين كتفيه وقد تقدم الكلام عليه وانه
مثل زر الحجلة او بيضة الحمام وانه ختم به بعد شق صدره وفيه شعرات وخيلان عند نغض
كتفه اليسرى وهو مذكور في كتب الله القديمة وما وجد بالبنا للمفعول من ذلك اي مما يدل على نبوته
ورسالته في اشعار المتقدمين من العرب المتالهين قبل بعثته صلى الله عليه وسلم العالمين
بما في الكتب السماوية القديمة من شعر تبع بيان لما وجد وتبع بضم التا وتشديد البا الموحدة
اسم لملك اليمن وجمعه تبابعة سمي به لكثرة اتباعه المنقادين له واصل معناه الظل

ولا يسمى تبعا الا اذا ملك حمير وحضرموت واشتهر منهم اثنان تبع الاكبر الاول ويسمى ابا كرب وتبع
الثاني هو الذي اراد تخريب المدينة واستيصال اليهود لما شكى له الانصار منهم لانهم من اليمن
نزلوا عندهم فقال له رجل معمر الملك اجل من ان يطير به نزق او يستخفه غضب وامره اعظم من ان يضيق
حلمه او يحرم صفحه وهذه البلدة مهاجر نبي يبعث بدين ابراهيم قال السهيلي وهذا الرجل من اليهود
وهو احد الحبرين اللذين كلما الملك سحيت ومنبه او بنيامين ويأتي ان شاء الله كلمه ايضا فامن به
عليه الصلاة والسلام وكسى الكعبة وهو اول من كساها والشعر المذكور قوله

شهدت على احمد انه نبي من الله باري النسم فلو مد عمري الى عمره لكنت وزيرا له وابن عم
وجاهدت بالسيف اعداه وفرجت عن صدره كل غم له امة سميت في الزبور
وامته هي خير الامم وقوله ويأتي بعدهم رجل عظيم نبي لا يرخص في الحرام

يسمى احمدا يا ليت اني اعمر بعد مبعثه بعام والاوس بن حارثه بن ثعلبه العنقا بن عمرو
مزيقيا بن عامر ماء السما بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبه البهلول بن مازن بن
الازد دراء بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان والاوس
في اللغة الذيب والعطية سمي به وله تنسب الانصار وكان اوس من عدة ناس في الفترة
هداهم الله تعالى للتوحيد ولم يعبد الاصنام وكانوا يعاشرون اهل الكتاب فيخبرونهم بما
في كتبهم من ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فيذكرونه في خطبهم واشعارهم ولاوس شعر فيه
لم يذكره احد من الشراح وهو سيد جواد طائي كان صديقا لحاتم الطائي والاوس بالالف
واللام للمح ولذا قال السهيلي انه منقول من اسم العطية لا من اسم الذيب لانه علم جنس كاسامة
لا تدخل عليه الالف واللام قبل النقل فبعده اولى وقال التلمساني انه روى هنا بدون
الالف واللام وهو مخالف لما قاله الامام السهيلي وكعب بن لؤي هذا هو الصواب وفي بعض
النسخ لؤي بن كعب وهو غلط من الناسخ ولؤي يهمز ولا يهمز وهو تصغير لاي بمعنى البطء وهو اول
من جمع يوم الجمعة وسماها جمعة وكانت تسمى عروبة في الجاهلية فكان يخطب فيه الناس
ويبشر بالنبي صلى الله عليه وسلم فمما نقل من كلامه نظما ونثرا انه قال في خطبة له اما بعد
فاسمعوا وتعلموا وافهموا واعلموا ليل ساج ونهار وهاج والارض مهاد والسما بنا
والجبال اوتاد والنجوم اعلام الى قوله الدار امامكم والظن غير ما تقولون حرمكم زينوه
وعظموه فسيأتي له نبأ عظيم وسيخرج منه نبي كريم وينشد نهار وليل كل يوم بحادث
سواء علينا ليلها ونهارها منوتان بالاحداث حتى تنوبا وبالنعم الصافي علينا
ستورها على غفلة يأتي النبي محمد فيخبر اخبارا صدوقا خبيرها الى اخر ما رواه
ابن الجوزي مسندا في كتاب الوفا وسفيان بن مجاشع التميمي الدارمي المجاشعي جد الفرزدق
والاقرع بن حابس وكان احتمل عن قومه ديات فخرج لحي من تميم فاذا هم مجتمعون عند كاهنة
فاتاهم وجلس عندهم فسمع الكاهنة تقول العزيز من والاه والذليل من خالاه
والموفور من والاه والموتور من عاداه فقال سفيان من تذكرين لله ابوك فقالت

صاحب

صاحب هدى وعلم وبطش وحلم وحرب وسلم وراس رؤس ورابض شموس
وماحق بؤس وماهد عوس وناعس ومنعوس فقال سفيان لله ابوك من هو قالت
نبي مؤيد قد اتى حين يوجد ودنا اوان يولد يبعث الى الاحمر والاسود بكتاب لا يفند اسمه محمد قال سفيان
لله ابوك اعربي هو ام اعجمي فقالت اما والسما ذات العنان والشجر ذات الافنان انه لمن معد
ابن عدنان فامسك عن سوالها ثم ان سفيان ولد له ولد فسماه محمدا رجا ان يكون هو النبي
المذكور وهو احد من سمي باسمه صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه كما تقدم وهذا ما ذكره
المص من تبشيره به وله شعر فيه الا ان الشراح قالوا لم نقف عليه وما ذكر يكفي في المقصود
وقس بن ساعدة الايادي قس بضم القاف وتشديد السين والقس لغة العالم والايادي بكسر الهمزة نسبة
لاياد حي من معد وكان من الحكما الزهاد كهمه وخاله منقطعا للعبادة في برية وامن بالنبي صلى الله عليه
وسلم قبل مبعثه وراه النبي صلى الله عليه وسلم مرتين بسوق عكاظ ولذا عده ابن شاهين
وغيره في الصحابة وعمر حتى قيل انه عاش ستمائة او سبعمائة وادرك الحواريين فكان على دين عيسى عليه
الصلاة والسلام قيل وكانت السباع تدور عنده ولا تؤذيه وربما ضربها بعصاه وهو خطيب مفلق
يضرب به المثل وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما قدم الجارود على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان سيد قومه قال يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد وجدت صفتك في الانجيل وبشر بك
ابن البتول وانا اشهد ان لا اله الا الله وانك محمد رسول الله فامن هو وكل سيد من قومه
وسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له يا جارود هل في وفد عبد القيس من يعرف
قسا قال كلنا نعرفه وكنت اقفو اثره كاني انظر اليه يقسم بالرب الذي هو له ليبلغن الكتاب
اجله ويقول هاج للقلب من جواه اذكار وليال خلالهن نهار في ابيات اخر فقال له
صلى الله عليه وسلم فلست انساه بسوق عكاظ يذكر كلاما ما احفظه فقال ابو بكر
رضي الله تعالى عنه كنت حاضرا وانا احفظه سمعته يقول في خطبته يا ايها الناس اسمعوا وعوا
واذا وعيتم فانتفعوا انه من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو ات ات مطر ونبات
وارزاق واقوات واباء وامهات واحيا واموات وجمع واشتات وايات
بعد ايات ان في السما لخبرا وان في الارض لعبرا ليل داج وسماء ذات ابراج وارض
ذات رتاج وبحار ذات امواج ما لي ارى الناس يذهبون فلا يرجعون ارضوا بالمقام فاقاموا
ام تركوا هناك فناموا اقسم قس قسما حاتما لا حانثا فيه ولا اثما ان لله دينا هو احسن من دينكم
الذي انتم عليه ونبيا قد حان حينه واظلكم اوانه فطوبى لمن امن به فهداه وويل لمن خالفه
فعصاه تبا لارباب الغفلة من الامم الخالية والقرون الماضية يا معشر اياد اين
الاباء والاجداد واين المريض والعواد واين الفراعنة الشداد واين من شيد وزخرف ونجد
وغره المال والولد اين من بغى وطغى وجمع فاوعى وقال انا ربكم الاعلى الم يكونوا اكثر منكم اموالا
واموالا واطول منكم اجالا وابعد منكم امالا طحنهم الثرى بكلكله ومزقهم بتطاوله
فتلك عظامهم بالية وبيوتهم خاوية عمرتها الذئاب العاوية كلا بل هو الله احد الواحد

المعبود ليس بوالد ولا مولود وانشا يقول
في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصاير
لما رايت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورايت قومي نحوها يمضي الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضي الي ولا من الباقين غابر
ايقنت اني لا محاله حيث صار القوم صاير
انتهى وروي له اشعار كثيرة فيها ذكر النبي صلى الله عليه وسلم كقوله الحمد لله الذي لم يخلق
الخلق عبث ولم يخلقنا سدى
من بعد عيسى واكثر الرسل فينا احمدا خير نبي قد بعث
صلى عليه الله ما حج له ركب وحث الى اخر ما ذكروه الا ان ابن الجوزي قال الحديث هذا المذكور
موضوع وذكر اسانيده وتبين من فيها من الكذابين ورده السخاوي وقال انه مجازف في الوضع ولا يلزم
من كون السند فيه كذاب ان يكون المتن كذبا اذا تعددت طرقه وقد رواه ابن سيد الناس بسند ليس
فيه كذاب ورواه غيره ايضا فالصحيح انه ليس بموضوع وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم بن ذي
يزن من ملوك حمير وتنسب اليه الرماح فيقال الرمح يزني وازني ويزاني وفيه وفي اشتقاقه
كلام طويل للصاغاني وقال البرهان انه مصروف والذي في القاموس انه ممنوع من الصرف
لوزن الفعل واصله يزان ورد الصاغاني في الذيل والصلة منع صرفه واطال فيه وقال
مادة زان غير معروفه ولا انصاف فيه وهنا الا الى اسما الاجناس وفي شرح الدريديه لابن الخما
ان فيه قولين احدهما انه من وزن حذفت الواو لوقوعها بين فتحه وكسره ثم ابدلت الكسره فتحه
تخفيفا فلا ينصرف على هذا الثاني انه ماض اصله وزن قلبت الواو همزه كما في احد ثم ابدلت يا وسمي به فهو
منصرف انتهى وهذا لا يرد عليه ما اورده الصاغاني وقوله لا انضاف ذوا الا اسما الاجناس ممنوع
فانه يضاف للاعلام كما هنا وهي لغة اهل اليمن فيضيفونه لاعلام ملوكهم وعظمايهم وهو من اضافة
المسمى للاسم وبقيا الملوك اليمن الاذوا وقصة سيف مشهور في التواريخ والسير وكان ظهر على اليمن
وظفر بالحبشة فبقاهم بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين فاتته وفود العرب بتهنيته وتعديه
فاتاه وفد قريش وفيهم عبد المطلب وامية ابن عبد شمس وخويلد بن اسد وغيرهم من وجوه قريش
واستاذنوا عليه فاذن لهم وهو معطر بالمسك والعنبر وحوله ابنا الملوك فقال لعبد المطلب
ان كنت ممن يتكلم بين الملوك فتكلم فقال ايها الملك ان الله قد احلك محلا رفيعا شامخا منيعا
وانبتك منبتا طابت ارومته وعذب جرثومته وثبت اصله وبسق فرعه في اطيب موطن واكرم
معدن وانت ابيت اللعن ايها الملك راس العرب وربيعها التي تخصب به وراسهم الذي له
ينقاد وعمودها الذي عليه العماد ومقيلها الذي اليه يلجا اليه العباد وسلفك خير سلف
وانت لنا منهم خير خلف ولن يخمل ذكر من انت خلفه ولن يهلك من انت سلفه ونحن ايها الملك اهل حرم الله
وبيته اشخصنا اليك الذي بهجنا بكر من كشف الكرب الذي فدحنا فنحن وفد التهنية لا وفد المرزية
فقال له سيف وايهم انت ايها المتكلم قال انا عبد المطلب بن هاشم قال ابن اختنا قال نعم قال ادنه
فادناه واقبل عليه وعلى القوم وقال مرحبا واهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا وملكا
ربحلا يعطي عطا جزلا قد سمعت مقالتكم وعرفت قرابتكم وقبلت وسيلتكم وانتم اهل الليل
والنهار لكم الكرامة ما اقمتم والحبا اذا ظعنتم ثم انهضوا الى دار الضيافة والوفود واجرى لهم الانزال

فاقاموا

124

فاقاموا شهرا لا يصلون اليه ولا ياذن لهم في الانصراف ثم ارسل الى عبد المطلب وقال له بعد ما قربه مجلسه
يا عبد المطلب اني مفض اليك بسر لو يكون غيرك لم ابح به ولكن وجدتك معدنه فليكن عندك مطويا
حتى ياذن الله فيه فان الله بالغ امره اني اجد في الكتاب المكنون والسر المخزون الذي اخترناه لانفسنا دون
غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس كافة ولرهطك عامة
ولك خاصة فقال عبد المطلب مثلك ايها الملك من سر وبر فما هو فداك اهل الوبر والمدر زمرا
بعد زمر فقال له اذا ولد بتهامة غلام به بين كتفيه شامة كانت له الامامة ولكم به الزعامة الى يوم
القيامة فقال له عبد المطلب ابيت اللعن لقد ابت بخير ما اب بمثله وافد قوم ولولا هيبة الملك
واجلاله لسالته من ما ازداد به سرورا قال له الملك هذا حينه الذي يولد فيه او قد ولد اسمه
محمد يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه قد ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا انصارا
يعز بهم اولياءه ويذل بهم اعداه ويضرب بهم الناس عن عرض ويستفتح بهم كرايم الارض يعبد
الرحمن ويدحض ويدحر الشيطان ويخمد النيران ويكسر الاوثان قوله فصل وحكمه عدل
يامر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله فقال عبد المطلب ايها الملك عز جارك وسعد
جدك وعلا كعبك ونما امرك وطال عمرك هل للملك ان يسرني بافصاح فقد اوضح لي بعض
الايضاح فقال والبيت ذي الحجب والعلامات على النقب انك لجده بلا كذب
فخر عبد المطلب ساجدا فقال له ارفع راسك فقد ثلج صدرك وعلا امرك فهل احسست
شيئا مما ذكرت فقال نعم ايها الملك انه كان لي ابن كنت به معجبا وعليه رفيقا فزوجته كريمة
من كرايم قومي امنة بنت وهب بن عبد مناف فجاءت بغلام سميته محمدا ومات ابوه وامه
وكفلته انا وعمه بين كتفيه شامة وفيه كل ما ذكرت من علامته فقال له ان ذي بيننا الذي ذكرت
كما ذكرت فاحتفظ به واحذر عليه اليهود فانهم له اعدا ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا
واطو ما ذكرت لك دون هذا الرهط الذين معك فاني لست امن ان تداخلهم النفاسة
فيبغون لك الغوايل وينصبون لك الحبايل وهم فاعلون او ابناوهم غير شك ولولا اعلم ان الموت
مجتاحي قبل بعثه سرت بخيلي ورجلي حتى اتي يثرب واصيرها دار مملكتي فاني اجد في الكتاب الناطق والعلم
السابق ان يثرب استحكام امره وموضع قبره واهل نصره ولولا اني اقيه الافات واحذر عليه العاهات
لاوطات العرب كعبه واعلنت على حداثة سنه ذكره ثم امر لكل رجل منهم بماية من الابل وعشرة اعبد
وعشرة اما وعشرة ارطال فضه وخمسة ارطال ذهبا وكرش مملو عنبرا وحلتين من البرود وامر لعبد المطلب
بعشرة اضعافه وقال له اذا كان راس الحول فاتني بخبره وما يكون من امره فمات قبل راس الحول فكان عبد المطلب
يقول لا يغبطني احد من قريش بجزيل عطا الملك فانه الى نفاد ولكن الغبطة بما يبقى لي شرفه وذكره في العقبى
فاذا سيل عنه قال سيظهر بعد حين وفيه شعر له وعن ابن عباس انه قال لعبد المطلب اشهد ان في احد
يديك ملكا وفي الاخرى نبوة فكانت النبوة والخلافة العباسية كما في كتب السير والتواريخ وبما ذكرناه
من انه مات قبل الحول يعلم انه ليس بصحابي ولا تابعي فذكر الذهبي له في الصحابة لا وجه له والعجب من بعض
الشراح حيث نقل ما ذكرناه وقال انه تابعي فالحق انه ليس كذلك ولا مخضرم ايضا كما قيل ولعل الذي

سارة أيامي م

ذكره الذهبي اشارة الى ان مثله لا يقال بالرأي ايضا وما عرف به من امره وكونه نبيا مرسلا وعرف بتشديد الرا
مبني للفاعل لا للمفعول وان صح بناؤه على انه عرفه به اهل الكتاب والفاعل ونائبه زيد بن عمرو بن نفيل قال الذهبي
هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح العدوي الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
يبعث امة وحده لانه كان يطلب دين ابراهيم ويكره الشرك واهله ويوحد الله ويقول لقريش ما انتم على شيء
قد اخطأتم دين ابراهيم باوثن لا تضر ولا تنفع بعد وكان يخالفهم ولا ياكل ذبائحهم فاجتمع بالنبي صلى الله
عليه وسلم قبل نبوته وتوفي قبل مبعثه وقال لشاممت اليهودية والنصرانية فكرهتها وكنت بالشام
فاتيت راهبا فقصصت عليه فقال اراك تريد دين ابراهيم يا اخا اهل مكة انك لتطلب دينا لا يوجد
اليوم وهو دين ابيك ابراهيم فالحق ببلدك فان الله يبعث لك من ياتي بدين ابراهيم الحنيفية وهو اكرم
الخلق على الله تعالى انتهى المراد منه ومن خطه نقلت وروى غيره ايضا انه لقي راهبا بالجزيرة فسأله
عن دين ابراهيم فقال له ان كل من رايته من الاحبار والرهبان في ضلال وانك لتسأل عن دين الله
وقد خرج في ارضك او هو خارج نبي يدعو اليه فارجع اليه وصدقه فلقيه قبل بعثته باسفل بلدح
فقال يا عم مالي ارى قومك قد ابغضوك فقال اما والله ان ذلك لثائرة مني اليهم ولكن راهم على
ضلالة فخرجت ابتغي هذا الدين ثم اخبره بما عرفه به الراهب من امره صلى الله عليه وسلم وهذا ما
اشار اليه المصنف وعدُّه من الصحابي توسع لانه لم يجتمع به صلى الله عليه وسلم بعد النبوة ونفيل
تصغير نفل وهو العطية نقل العلقمي وقيل ان اليهود قتلوه بلخم وورقة ابن نوفل احد النفر الذين
كانوا في الفترة على الدين الحق من قريش وهو ورقة بن نوفل ابن اسد بن عبد العزى بن قصي وهو معطوف
على زيد اي وما عرف به ورقة من امره صلى الله عليه وسلم ولخبره بخديجة ام المؤمنين رضي الله
تعالى عنها كما ذكره البخاري وآمن به بعد رسالته ولذا قيل انه اول الصحابة وكان شيخا كبيرا يقرأ
الكتب ويعرف العبرانية وقال للنبي صلى الله عليه وسلم لما اخبره بامره ابشر فانك الذي بشر
ابن مريم وراه صلى الله عليه وسلم في الجنة عليه ثياب خضر وقال لا تسبوا ورقة كما تقدم وله
اشعار مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم وعثكلان الحميري بفتح العين المهملة وسكون المثلثة
وكاف ولام والف ونون والحميري نسبة لحمير قبيلة باليمن سميت باسم حمير ابن سبا اي وما عرف به من امره
صلى الله عليه وسلم عمن لقيه من الرهبان وقال الشارح لم نقف على قصة عثكلان وفي الخصائص
ان ابن عساكر اخرج من طريق عبد الرحمن بن عوف ابن عبد عوف بن عبد الزهري قال سافرت الى اليمن
قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم بسنة فنزلت على عثكلان بن عواكن الحميري وكان شيخا كبيرا
انزل عليه اذا جئت اليمن فنزلت عليه مرة فسألني عن مكة والكعبة وزمزم وقال هل ظهر منكم
احد خالف دينكم فقلت لا ثم قدمت عليه بعد بعثته صلى الله عليه وسلم وقد ضعف وثقل
سمعه فنزلت عليه واجتمع عليه ولده وولد ولده واخبروه بمكاني فشد على عينيه عصابة
واستند وقعد وقال لي انتسب يا اخا قريش فقلت انا عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن
الحارث بن زهرة قال حسبك يا اخا زهرة الا ابشرك ببشارة هي خير لك من التجارة قلت
بلى قال انبيك بالمعجبة وابشرك بالمرغبة ان الله قد بعث في الشهر الاول من قومك نبيا

ارتضاه

ارتضاه صفيا وانزل عليه كتابا وجعل له ثوابا ينهى عن الاصنام ويدعو الى الاسلام يامر بالحق
ويفعله وينهى عن الباطل ويبطله فقلت ممن هو قال لا من الازد ولا ثماله ولا من الشرف ولا ابناله هو
من بني هاشم وانتم اخواله يا عبد الرحمن اخف الوقعة وعجل الرجعة ثم امض ووازره وصدقه واحمل
اليه هذه الابيات اشهد بالله ذي المعالي وفالق الليل والصباح انك في السر
من قريش يا ابن المفدى من الذباح ارسلت تدعو الى يقين يرشد للحق والفلاح
اشهد بالله رب موسى انك ارسلت بالبطاح فكن شفيعي الى مليك يدعو البرايا
الى الفلاح قال عبد الرحمن فحفظت الابيات واسرعت في تقضي حوائجي وانصرفت فلما قدمت
مكة لقيت ابا بكر رضي الله تعالى عنه واخبرته الخبر فقال هذا محمد بن عبد الله قد بعثه الله رسولا الى
خلقه فاته فاتيته في بيت خديجة فلما رآني صلى الله عليه وسلم ضحك وقال اري وجها خليقا
ان ارجو له خيرا فما وراءك قلت وما ذاك يا محمد قال حملت الي وديعة ام ارسلك مرسل الي برسالة هاتها
فاخبرته واسلمت فقال اما ان اخا حمير من خواص المؤمنين ثم قال رب مؤمن بي ولم يرني ومصدق بي
وما شاهدني اولئك من اخواني حقا انتهى وعلماء يهود وفي نسخة علماء اليهود بالالف واللام
وكلاهما صحيح كما بينه سيبويه في باب العلم فانه يكون علما لهذه القبيلة فيمنع من الصرف
ولا تدخله الالف واللام قال الشاعر اولئك اولى من يهود بمدحة اذا انت يوما قلتها لم تؤنب
واذا قلت اليهود فانه بمعنى اليهوديين ولكن حذفوا ياء النسبة انتهى وفصله شارحه اي
ما عرف به من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم علماؤهم مما قرأوه في كتبهم ورووه عن اسلافهم
كابن صوريا وابن اخطب حيي وابي ياسر وهب بني يهود وغيرهم ممن لا يحصى ومنهم من اسلم ومنهم
من عاند حسدا فمات على كفره ثم ذكر بعضا منهم وعطفه عطف الخاص على العام فقال وشامول
عالمهم بشين معجمة وميم ولام بينهما الف بوزن فاعول وهو من علماء اليهود وكان مع تبع وصاحبه
وفي كتاب الوفا لما قدم تبع المدينة لنصرة الاوس والخزرج على اليهود قال في تخريب هذه البلدة
حتى لا يقوم بها يهودية ويرجع الامر لدين العرب فقال له شامول اليهودي وهو يومئذ اعلم اليهود ايها
الملك ان هذه البلدة مهاجر نبي من بني اسماعيل مولده مكة واسمه احمد وهذه دار هجرته وان منزلك
الذي انت فيه سيكون فيه من القتلى من اصحابه واعدائه امر عظيم فقال تبع ومن يقاتله وهو نبي
قال قومه قال واين قبره قال بهذه البلدة قال فاذا قوتل لمن تكون النصرة قال تكون له مرة وعليه
اخرى ثم تكون العاقبة له فيظهر حتى لا ينازعه احد ثم سأله عن صفته فاخبره بها كما مر
في حديث الحلية الشريفة وقوله صاحب تبع اي الذي كان معه ورهبانا اخرين لما قدم المدينة
فقالوا له لما قص عليهم شامول القصة المارة انا لن نبرح هاهنا لعلنا ندركه او ابناؤنا فاعطى
كل واحد منهم مالا وجارية فمكثوا فيها وقوله من صفته وخبره صلى الله عليه وسلم كما
عرفته آنفا بيان لما عرف به وما الفي من ذلك اي من صفته وخبره في التوراة والانجيل والفي بهمزة
مضمومة ولام ساكنة وفاء مكسورة ومثناة تحتية مبني للمجهول بمعنى وجد ونصوص التوراة
والانجيل كثيرة وسيأتي طرف منها واعلم ان التبابعة اربعة وقد اختلفوا في ايهم آمن به صلى الله

عليه وسلم هل هو الاكبر او غيرهم كما قاله السهيلي وليس هذا محل تفصيلة وتقدم بيانه اجمالا
وقوله مما جمعه العلما في تاليفهم بيان لما الفي فيهما من صفته صلى الله عليه وسلم وخبو ويبينوه
اي اظهروه ووضحوه للناس ونقله عنهم ثقات من اسلم منهم اي من اهل الكتابين مثل عالمهم وحبرهم
عبد الله بن سلام بتخفيف اللام وهو من اليهود وتقدم الكلام عليه وعلى اسلامه وبني سعية
بجمع ابن وسعية بسين مفتوحه وعين مهملتين ساكنة ومثناة تحتية وقيل صوابه النون
بدل المثناة التحتية وقيل النون اكثروا شهر وهم ثعلبة واسيد بالتصغير والتكبير وفتح
الهمزة وزيد وقيل انهم سبعة لكن الذي في سيرة ابن سيد الناس عن ابن اسحق ان ثعلبة بن سعية
واسيد بن سعية واسد بن سعية عبيد وهم نفر من هدل بنو اعم قريظة والنضير اسلموا في الليلة
التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البرهان وهذا هو الذي
اعرفه وانما اثنان لا جماعة فيحتمل ان القاضي راى معهم اسد بن عبيد فظنه اخاهم ويحتمل انه
وقف على انهم ثلاثة انتهى وسبب اسلامهم انه قدم عليهم رجل من اهل الشام يقال له ابن الهيبان
اقام عندهم وكان عالما يتبركون به ويستسقون به فيسقون فلما حضرته الوفاة قال يا معشر
يهود انما اقدمني هذه البلدة خروج نبي قد اظل زمانه وهذه البلدة مهاجره وقد كنت ارجو ان ادركه
فاتبعه فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجر وحاصر بني قريظة قال لهم بنو سعية
وهم احداث والله انه هو الذي عهد اليكم فيه ابن الهيبان فقالوا ليس به قالوا بل هو هو بصفته
فنزلوا واسلموا واحرزوا اهلهم واموالهم ودماهم كما في الاكتفا ودلايل البيهقي وابن يامين بن عمير بن
عمرو بن كعب بن جحاش من بني النضير وقيل انه بنيامين وقيل ابليامين باللام وهو احد الحبرين اللذين قدما
من اليمن مع تبع واسم الاخر سحيت كامر وكانه تصغير سحت كما قاله التلمساني وقال الشارح الجديد
لم اطلع عليه ومخيريق بضم الميم وفتح الخا المعجمة واليا الساكنة وكسر الرا المهملة واليا الساكنة وقاف
بصيغة المصغر وهو كما مر كان عالما حبرا من احبار اليهود كثير المال والخيل وكان يعرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم بصفته الا انه غلبه الف دينه فلما كان يوم احد يوم السبت قال يا معشر
يهود انكم لتعلمون ان نصر محمد لحق عليكم فقالوا اليوم يوم السبت فقال انكم لا سبت لكم ثم اخذ
سلاحه وخرج حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه باحد وعهد الى قومه ان قتلت
هذا اليوم فاموالي لمحمد يصنع بها ما اراه ثم قاتل حتى قتل فجعل ماله صدقة بالمدينة وكان صلى الله
عليه وسلم يقول مخيريق خير يهود ويهود كما مر اسم هذه القبيلة ولا شك انه منها ومن خيرها
فلا يقال كيف اضافه لهم بعد اسلامه والامر فيه سهل وكعب بن ماتع وهو كعب الاحبار كما تقدم
التابعي المشهور ادرك زمنه صلى الله عليه وسلم واسلم في خلافة ابي بكر رضي الله عنه وقيل في خلافة
عمر رضي الله تعالى عنه وتوفي في خلافة عثمان سنة ثنتين وثلاثين ودفن بحمص على ما مر وروى عنه اثار كثيرة
في صفاته صلى الله عليه وسلم في التوراة كما في الوفا وكتاب الشرف لابي سعيد وفي البشر لابن ظفر وساله
عمر رضي الله تعالى عنه عن صفته صلى الله عليه وسلم في التوراة فقال ان فيها انه سيد الناس
والصفوة من ولد ادم وخاتم النبيين يخرج من جبال فاران ومنبت القرظ من الوادي المقدس فيظهر

التوحيد والحق ثم ينتقل الى طيبة فتكون حروبه واياما بها ثم يقبض ويدفن بها الى غير ذلك مما لا يحصى
كثرة واشباههم من علمايهم الذين كانوا يعرفون امره صلى الله عليه وسلم واخباره من كتبهم ممن لم
يؤمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وراه كبحيرى او لم يره ككعب من علما يهود وبحيرا عطفه
على علما اليهود لانه ليس منهم فانه كان نصرانيا وبحيرا بفتح الموحدة وكسر الحا المهملة ومثناة تحتية
ورا مهملة والف مقصورة على المشهور الا ان البرهان قال ان راه ممدودة بخط العلامة ابن المرحل
فلعله وقف على لغة فيه وقصته صحيحة مشهورة في السير وهو راهب كان منقطعا للعبادة
بصومعة له عند محل يقال له بصرى في طريق الشام وكانت قافلة قريش تمر عليه فلا يلتفت
لاحد منها فلما ذهب ابو طالب للشام ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صغير ابن تسع
او اثني عشرة سنة نزلهم وقال يا معشر قريش اني صنعت لكم طعاما فذهبوا معه وتركوه صلى الله
عليه وسلم في رحالهم لصغر سنه فقال لهم هل بقي احد قالوا لا الا ولد صغير فدعاه حتى اتى فسالوه
عن سبب هذا ولم يكن جابة فقال اني رايت غمامة تظله ولما نزل عند الشجرة مالت لجانبه وان مثله
لا يكون الا لنبي وانا نجده في كتابنا وهذه صفته ونظر لخاتم النبوة فيه فقال لابي طالب احترس عليه
من اليهود واقسم عليه ان يرده فقيل انه رده وقيل اسرع في سفره وعاد به والقصة مفصلة في السير
وبحيرا هذا من اول من امن به وعد من الصحابة ان قلنا ان من اجتمع به مومنا مطلقا يعد من الصحابة
ونسطور الحبشة احترز به عن نسطور الشام وغيره ونسطور معرب ويقرا بالسين والصاد كما في
بعض الشروح ولنسطور الشام قصته مذكورة في السير وهي قريبة من قصة بحيرا وفي بعض النسخ
نسطور بدون اضافة للحبشة وقد قال الشراح ان نسطور الحبشة غير معروف ولعله من علما اهل الكتاب
الذين كانوا عند النجاشي وصاحب بصرى بضم البا كحبلى بلدة بالشام وهي بين المدينة والشام وقيل
انها حوران وهذا هو المعروف وفي نسخة راهب بصرى وصاحبها ملكها الذي ارسل اليه النبي صلى الله
عليه وسلم دحية بكتابه وهو الحارث ابن ابي شمر الغساني كما قاله ابن حجر وقال انه مات عام الفتح
ولم يذكر قصته واسلامه وما اخبر به عن امره صلى الله عليه وسلم واسقف الشام وفي نسخة
اساقفة الشام ويعني بهم صاحب ايليا وهرقل وابن الناطور وغيرهم واسقف بضم الهمزة وسكون
السين المهملة وضم القاف وتشديد الفا ولا نظير له الا اسرب وحكى ابن سيده ثالثا وهو الاسلف
للصالح وقال العيني في شرح البخاري ولا يرد عليه الاترج لانه جمع والكلام في المفرد وفيه نظر لا يخفى
وقال عبد الغافر الفارسي في كتاب مجمع الرغايب والغرايب في الحديث في كتابه صلى الله عليه وسلم
لاهل نجران لا يمنع اسقف من سقيفاه وجمعه اساقفه والسقيفي مصدر كالخليفي ومعناه لا يمنع
اسقف من تسقيفه ولا راهب من ترهبه والمسقف الطويل مع انحنا وكذا الاسقف ويقال هو
بين السقف وفي خطبة الحجاج المعروفة اياكم وهولا السقفا قال القتيبي اكثرت السؤال عنه فلم يعرفه
احد وقال بعض اهل اللغة انما هو الشفعا اي الذين يشفعون عند السلطان في المهيا انتهى
وفي القاموس وقول الحجاج اياكم وهذه السقفا تصحيف صوابه الشفعا كانوا يجتمعون عند السلطان
فيشفعون في المهيا انتهى وليس كما قال فان الزمخشري اثبته في الفايق والاسقف عالم النصارى ورييسهم

وضغاطر بضاد وغين معجمتين مفتوحتين بعدهما الف وطا وراء مهملتان ويقال ظفاطن بنون ويفاطر
بموحدة تحتية مفتوحة وفا وهو اسقف من كبار الروم اسلم على يد دحية رضي الله عنه لما ارسله
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل وغير لباسه واظهر اسلامه فقتلوه كما ذكره الذهبي
وكان ذلك في سنة ست من الهجرة وهو الذي بهمه البخاري اوله في قصة قيصر حيث قال كتب هرقل
الى صاحب له برومية كان نظيره في العلم قال لدحية لما خرج عظما الروم من عنده هرقل ادخلني
عليه وارسل الى اسقف كان صاحب امرهم فسأله عن امر النبي صلى الله عليه وسلم فقال له
هذا الذي كنا ننتظر وبشرنا به عيسى عليه الصلاة والسلام اما انا فمصدقه ومتبعه فقال
قيصر له ان فعلتُ ذهب ملكي فقال الى الاسقف خذ هذا الكتاب واذهب به الى صاحبك واقرا عليه
السلام واخبره اني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واني قد امنت به وصدقته
وروى ابن اسحاق ان هرقل ارسل دحية الى ضغاطر الرومي وقال انه في الروم انفذ قولا مني فاظهر اسلامه
والقى ثيابه ولبس ثيابا بيضا وخرج ودعا الروم الى الاسلام وشهد شهادة الحق فقتلوه فلما
رجع دحية الى هرقل قال له اما قلت لك انا نخافهم على انفسنا فضغاطر كان عندهم اعظم مني
وحينئذ فضغاطر تابعي مخضرم وقيل انه المراد باسقف الشام السابق لكونه كان ساكنا بها
وهو عندهم رئيس دينهم وعالمهم المتعبد المتخشع وهو فوق القسيس ودون المطران وكان
عالما بصفة النبي صلى الله عليه وسلم في كتبهم وقيل انه غير دحية رضي الله تعالى عنه وفد
على هرقل مرتين والجارود ابن عمرو بن العلا او ابن العلا ويكنى ابا غياث او ابا عتاب واسمه بشر
وكان سيد عبد القيس على دين النصرانية وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة
تسع فعرض عليه الاسلام ورغبه فيه فاسلم هو واصحابه وحسن اسلامه وكان متصلبا
في دينه وادرك الردة ولما ارتد قومه دعاهم الى الحق وقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده
ورسوله واكفر من لم يشهد وله اشعار رويت في السير كقوله شهدت بان الله حق وسامح
بنات فؤادي بالشهادة والنهض فابلغ رسول الله عني رسالة باني حنيف حيث كنت
من الارض وسكن بالبصرة وقيل بفارس وقتل بها او بنهاوند سنة احدى وعشرين وسمي الجارود
لانه غار على بكر بن وايل فجردهم كما قال العبدي ودسناهم بالخيل من كل جانب كما جرد الجارود بكر بن
وايل وقيل لانه فر بابله وبها دا الى اخواله بني شيبان ففشا الدا في ابلهم حتى اهلكها فهو فاعل
من الجرد بالجيم وهو الاستيصال وسلمان الفارسي وقصة اسلامه وملاقاته للرهبان وتبشيرهم
له ببعث النبي صلى الله عليه وسلم مشهورة تقدم بعض منها وتميم الداري ينسب للدار وهم بطن
باليمن من لخم هم ولد هاني بن حبيب ابن غارة بن لخم بن عبد الحارث بن عمرو بن الدار منهم تميم بن اوس بن
خارجة بن سواد ويقال سود بن جذيمة بن دراع بن عدي بن الدار ويكنى بابي رقية واسلم تميم سنة
تسع وسكن المدينة ثم انتقل الى الشام بعد قتل عثمان وكان من اهل الكتاب عالما بكتبهم فقرا فيها
بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبشير به فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
واسلم به واقطعه اراضي بالقدس وقصته مشهورة افردها ابن حجر وكذا السيوطي بالتاليف

والنجاشي بفتح النون وكسرها وتشديد اليا وتخفيفها واسمه اصحمة وقيل غير ذلك كسليم بالتصغير
وهو ملك الحبشة توفي في السنة التاسعة من الهجرة في شهر رجب وصلى عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم صلاة الغايب وهاجر اليه المسلمون الهجرة الاولى وكان من قصة اسلامه المشهورة
انه قال للقسيسين اشهد انه رسول الله وانه الذي بشر به عيسى ولولا ما انا فيه من الملك لاتيته
وكنت احمل نعليه وكان من علم اهل عصره بالانجيل يقرأ صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويبكي حتى يبل لحيته وقد تقدم الكلام في ترجمته ونصارى الحبشة هم قوم منهم عرفوا صفته
صلى الله عليه وسلم في الانجيل واخبروا بها واساقفة نجران وفي نسخة اساقف بدون ها جمع
اسقف وقد تقدم الكلام عليه قريبا اي علماؤهم ورؤساؤهم ونجران بفتح النون وسكون الجيم
وراء مهملة والف ونون وهو موضع باليمن سمي بنجران بن زيدان بن سبا بينه وبين مكة سبع مراحل وليس
من الحجاز وبه يسمى اهله وهم نصارى وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ستين راكبا من اشرافهم
وكان لهم علم بالكتاب واشرفهم ابو حارثة كان ملوك النصارى يجلونه لعلمه بالنصرانية فملكوه وموّلوه
وبنوا له كنايس واخدموه فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه اخوه كوز بضم الكاف
وآخره زاي يسير على بغلة له فعثرت فقال له كوز تعس الابعد يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له ابو حارثة بل انت تعست فقال له ولم يا اخي قال بلى والله انه للنبي الذي كنا ننتظره فقال له اخوه
كوز فما يمنعك منه وانت تعلم هذا قال لما صنع هؤلاء القوم شرفونا وموّلونا وقد ابوا الا خلافه فلو
فعلت نزعوا منا كل ما ترى فاضمرها في نفسه حتى اسلم وكان يحدث به فلما دخلوا المسجد الشريف
وقت العصر وعليهم الحبرات في جمال لم ير مثله فحانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصلون الى الشرق فقال دعوهم ثم اتوه صلى الله عليه وسلم فكلمه منهم ابو حارثة
والعاقب والايهم ودينهم النصرانية والتثليث فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسلموا قالوا اسلمنا قال كذبتم يمنعكم الاسلام دعاؤكم لله ولدا وعبادة الصليب واكل الخنزير
فانزل الله فيهم اول سورة ال عمران فلما اراد صلى الله عليه وسلم ملاعنتهم تشاوروا فقالوا انه
ما لاعن نبي قوما الا استؤصلوا ثم نزلوا على امره فاسلم بعضهم وقبل بعضهم الجزية وارسل معهم ابا
عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه يقضي بينهم والقصة مفصلة في كتب التفسير والسير وغيرهم
ممن اسلم من علما النصارى وقد اعترف بذلك اي ببعثته صلى الله عليه وسلم وانه بشر به في الكتب القديمة
هرقل ملك الروم وقصته مذكورة في اول البخاري وهرقل بكسر الها وفتح الرا وسكون القاف كما مر وحكى
اسكان الرا وكسر القاف وكان يعرف امره صلى الله عليه وسلم في الكتب الالهية ولكن احب الملك فحكم
بشقاوته مالك الملك وفي الاستيعاب انه امن به صلى الله عليه وسلم وفيه نظر لانه قاتل المسلمين
بمؤتة ووعدهم ان ياتيهم في العام القابل فالاصح الاول وقد مات على النصرانية وكان عالما بالكتاب
وباحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما اخبر به دحية وصاحب رومة بضم الرا وسكون الواو
وميم مخففة مفتوحة يليها ها في اكثر النسخ وفي بعضها رومية بيا مخففة عند اهل اللغة كانطاكية
وغيرها وعدوا التشديد لحنا لانه ليس بنسبة عربية وبعضهم يشددها واختلف فيه فقيل هو ابن

الناطور بطاء مهملة وهو لفظ اعجمي معناه حارس الكروم والعامة تقول ناطر بدون واو ويجعله بمعنى الحارس
مطلقا واعجمه بعضهم وقيل هو ضغاطر الذي تقدم واعترض بانه اسلم فلا يناسبه قوله بعده انه
ممن حمله الشقا على البقا على كفره الا ان يخص ذلك باليهود وهو بعيد وفي القاموس رومة بلدة عند
طبرية فيها رياستهم وعلمهم وقيل غير ذلك ولا وجه لما قيل ان الصواب وصاحب له برومة كما ورد
في الحديث ولا دليل لما ذكره على ما زعمه عالما النصارى شني عالم ورييسا هم مثنى رييس وهو سيد
القوم او حاكمهم وهذا صريح فيما قلناه من انه كان صاحب رومية اي حاكمها ومقوقس صاحب مصر
اي ملكها ومقوقس بزنة اسم فاعل من علم رومي قيل معناه عندهم مطول البنا وهو الذي اهدى الى النبي
صلى الله عليه وسلم قدحا من قوارير وجاريته مارية ومنه اختها وحصن ولم يسلم وغلط من عده
من الصحابة كيف وهو لم يلاق النبي صلى الله عليه وسلم وما زال نصرانيا على الاصح واسمه جريج بن مينا
كما قاله الدارقطني ولهم مقوقس اخر عد في الصحابة قاله الذهبي ولعله الاول وهو ملك القبط
وصاحب الاسكندرية وارسل له النبي صلى الله عليه وسلم كتابا يدعوه فيه الى الاسلام فاجابه
بما هو معلوم في كتب الحديث والسير وقد يدخلون عليه الالف واللام والشيخ صاحبه اي صاحب
المقوقس قال البرهان وغيره وهذا الشيخ لا نعرفه الا ان المسعودي ذكره وذكر له قصة في كتاب العجايب
احال عليها في مروج الذهب فان وقفنا عليها الحقناها بما هنا وابن صوريا بضم الصاد المهملة وواو
ساكنة يليها را مهملة مكسورة ومثناة تحتية والف مقصورة وقيل انها ممالة وهو عبد الله بن صوريا
الاعور اليهودي ولم يكن في زمانه اعلم منه بالتوراة وقال النقاش انه اسلم وقيل اسلم ثم ارتد ولم يذكر
ابن اسحق اسلامه وعده في الاصابة من الصحابة وفي معالم التنزيل انه الذي نزل فيه قوله تعالى من كان عدوا
لجبريل وكلام المص مبني على عدم اسلامه وابن اخطب بزنة افعل من الخطبة وهو حيي ابو ام المومنين
صفية رضي الله تعالى عنها واخوه ابو ياسر اليهوديان اللذان قتلا كافرين صبرا في اسر بني قريظة وكانا
يعلمان ان النبي صلى الله عليه وسلم وما في التوراة من ذكره بصفته ومع ذلك كانا اشد الناس
عداوة له كما ذكرت ذلك صفية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما اسلمت وقالت لما قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة غدا اليه ابي وعمي ثم جاءا بالعشي فسمعت عمي يقول
لابي اهو هو قال نعم الحديث وكعب بن اسد من بني قريظة وهو صاحب عقدهم وقال لهم لما حاصرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر يهود انكم ترون ما نزل بكم من الامر فتعالوا نتابعه
ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه نبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم فتامنوا على نسايكم
واموالكم واهلكم فقالوا لا نفارق حكم التوراة ولا نستبدل به غيره الى اخر القصة وما فيها
من نقضهم العهد وقتلهم وقيل ان اسم كعب كند بفتحتين وكاف ومثناة فوقية ودال مهملة
والزبير بن باطيا الزبير هنا بفتح الزاي المعجمة وهو من يهود بني قريظة ايضا قتل كافرا في وقعة بني
قريظة وهو جد عبد الرحمن بن الزبير بضم الزاي وقيل انه بفتحها كاسم جده قيل والصحيح انه بالضم
كما في تاريخ البخاري وقال ابن عبد البر الزبير بفتح الزاي في اليهود وفي غيرهم بالضم والزبير هذا قتله ثابت بن
قيس بن شماس يوم بني قريظة وكان من علماء اليهود روي عن ابنه انه كان يقول اني وجدت سفرا كان ابي

يختمه

يختمه فيه ذكر احمد نبي يخرج بارض القرظ صفته كذا وكذا فتحدث به الزبير بعد ابيه والنبي صلى الله
عليه وسلم لم يبعث فما هو الا ان سمع بان النبي صلى الله عليه وسلم خرج بمكة فعمد الى السفر فمحاه
وكتم شانه صلى الله عليه وسلم وصفته وقال ليس به وباطيا بموحدة والف تليها طاء مهملة
ومثناة تحتية والف مقصورة وفي بعض النسخ باطا بدون يا وكتب عليها صح وقال التلمساني انها رواية
فيه وغيرهم من علماء يهود الذين عرفوا نبوته صلى الله عليه وسلم وذكروه بصفته نقلا عن كتبهم
ولجبارهم ولهم ذكر في مفصلات السير ممن حمله الحسد له صلى الله عليه وسلم كابن سلول
والحسد للعرب اذ كان هذا الرسول منهم دون بني اسرايل والنفاسة بفتح النون بمعنى المنافسة
وفسرت بالحسد وهي مغايرة له لانها المنازعة في الانفسية بان يدعي انه انفس واحق بما هو فيه
وانه لا يستاهله ويستحقه وحمله بمعنى بعثه ودعاه لما ذكر حتى كانه حمله حتى اوصله ثم
صار حقيقة عرفية فيما ذكر على البقا على الشقا اي اصراره على كفره او ارتداده عنادا والشقا
ضد السعادة وبين الشقا والبقا تجنيس والاخبار الواردة في هذا الباب كثيرة لا تحصى
اشارة الى ان ما ذكره قليل بالنسبة لما تركه منها اذ هي لا يمكن حصرها اي الاحاطة بها وقد قرع
بالبنا للفاعل والتخفيف والتشديد والقرع الضرب والصدم بما يسمع له صوت فاذا شدد
كان للمبالغة ويكون بمعنى التوبيخ والتعيير فاذا خفف فهو استعارة للمبالغة في الزجر حتى
كانه يضرب اسماعهم فاذا شدد فالمراد به توبيخهم بما ذكر اسماع اليهود والنصارى خصهم لانهم
اهل الكتاب وقدم اليهود لانهم اشد عداوة له صلى الله عليه وسلم واكثر انكارا وعنادا
وفي بعض النسخ يهود والنصارى فعرف النصارى بال دون يهود لانه علم كما مر وقيل لان
اليهود اشد عداوة للمؤمنين وفيه نظر بما ذكر ان في كتبهم متعلق بقرع وفاعله النبي صلى الله
عليه وسلم من صفته صلى الله عليه وسلم وصفة اصحابه وفي نسخة وصفة امته
وكلاهما صحيح متقارب المعنى فانه وقع في الكتب الالهية ذكرهما خصوصا وعموما ففي التوراة
انهم خير امة هم الاخرون السابقون يوم القيامة اناجيلهم صدورهم يؤمنون بالكتاب
الاول والاخر ويقاتلون اهل الضلالة الى غير ذلك مما استوفاه ابن ظفر في كتاب خير البشر
بخير البشر واحتجاجه صلى الله عليه وسلم اي اقام الحجة عليهم بما انطوت عليه صحفهم اي
بما حوته واشتملت عليه وفيه اشارة الى اخفاء ما فيها وكتمه لان الصحيفة اذا طويت لم ينظر
لما فيها وصحف بضمتين وتسكن تخفيفا جمع صحيفة وهي الكتاب والاكثر جمعه على صحايف
لان فعيلة لا تجمع على فعل الا نادرا من ذلك اي صفته صلى الله عليه وسلم وصفة امته
وذمهم بتحريف ذلك المذكور في كتبهم بتغيير بعض الفاظه وتفسيره بغير المراد منه كقوله تعالى
من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه الاية فبدلوا صفته صلى الله عليه وسلم حتى
اضلوا جهالهم وقالوا ليس هو الموعود به في كتابنا وكتمانه اي اخفا صفته صلى الله عليه وسلم
وصفة امته كما قال تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون وليهم السنتهم
ببيان امرهم اي صرفوه لغيره حسدا وبغيا بان يتركوا بيانه ويعدلوا عنه لغيره واصل اللي الفتل

الجبل ويحو فاستعير لصرفها عن الصدق الى الكذب قال الراغب لوى لسانه بكذا كناية عن الكذب قال
تعالى يلوون السنتهم بالكتاب ثم دعوتهم الى المباهلة على الكاذب اى قرع اسماعهم بدعوتهم اليها
وطلبها منهم كما وقع له صلى الله عليه وسلم مع نصارى نجران اذ دعاهم للمباهلة فابوا وبذلوا الجزية
كما مر والمباهلة الملاعنة من البهل وهى اللعنة بان يقول كل منهما لعنة الله على الظالم والكاذب منا وقد
جرب ان المباهل لا تمضى عليه سنة وقيل معناها التضرع والاجتهاد فى الدعا ويتعدى بعلى فما احد
منهم اى اليهود والنصارى الا من نغر اى اعرض وهرب عن معارضته فيما قرع به اسماعهم وذمهم به
فترك المعارضة لعدم قدرته عليها وابدا فاعله ضمير من وافرده نظرا للفظه وجمعه فى قوله ما الزمهم
نظر المعنى من وفاعل الزم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله من كتبهم بيان لما اى ما الزمهم به
من نصوص كتبهم كقصة الرجم المشهورة اظهاره مفعول الزم اى الزمهم اظهاره اذ كتموه ولو وجدنا
خلافه قوله فى كتبهم لكان اظهاره اسم كان وقوله اهون عليهم اى اسهل خبر كان من بذل النفوس بوحده
وذال مهجمة اى اعطائها له بالقتل والاموال التى غنمها واخذها منهم قهرا وتخريبا للديار كما وقع ليهود خيبر
وبنى النضير ونبذ القتال اى تركه وهو اشفى لغليلهم يقال نبذ النواة اذا طرحها وقد قال لهم بجملة
حالتهم اى لليهود لما قرع اسماعهم بقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم
وبصدهم عن سبيل الله وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر فقالوا لسنا اول من حرمت
عليه فقد حرمت على ابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فقال لهم قل فاتوا بالتوراة فاتلوها
ان كنتم صادقين لتظهر انها لم تحرم الا عليكم لظلمكم وبغيكم فاذ يحاجهم بما فيها توبيخا لهم فلما قال
لهم ذلك بهتوا ولم ياتوا ببنت شفة لانقطاع حجتهم وظهور كذبهم كما فى قصة الرجم وكانوا ادعوا ان لحوم
الابل حرمت على يعقوب وبنيه فى التوراة فنحن نحرمها فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لم تحرم
عليه وانما امتنع يعقوب من اكلها لانه كان به عرق النسا ومن تضرع الى ما انذر به الكهان جمع كاهن
وهو الذى كان يخبر بالامور قبل وقوعها ويدعى الاطلاع عليها والانذار الاعلام بما فيه موعظة
وتخويف والى غاية لما تقدم اى انتهى ما ترادف من الاخبار الى انذارهم به بقرب زمانه اوالى بمعنى مع
وكانت الكهان تتلقى ذلك من الشياطين مثل شافع بن كليب شافع بشين معجمة كاسم الفاعل من الشفاعة
وكليب مصغر كلب وهو كاهن من كهان العرب اخبر تبعا بخبر النبى صلى الله عليه وسلم وبهاجرته الى المدينة
كما تقدم بيانه وقال الحافظ ومن تبعه لا اعرفه وشق وسطيح وهما كاهنان من كهان العرب وشق بكسر الشين
المعجمة هو شق بن صعب بن يشكر وجده الاعلى ربيعة بن انمار وكان بيد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة
وكانت العرب تاتيه فيخبرهم بما سياتى وسطيح بفتح السين وكسر الطا المهملتين ومثناة تحتية ساكنة وحا
مهملة وهو ابن ربيعة بن مسعود بن مازن بن غسان قيل ان جسده كان لا عظم فيه غير جمجمة راسه
فكان يدرج كالثوب فاذا غضب انتفخ وقيل انه عاش ثلثمائة سنة وقصتهما وذكرهما للنبى صلى الله
عليه وسلم لما ارسل كسرى عبد المسيح يسالهما عن رؤياه التى مذكورة فى السير مشهورة ولهما
قصص كثيرة فى التواريخ وادركا زمانه صلى الله عليه وسلم وسواد بن قارب بلفظ السواد ضد البياض
وقارب بزنة اسم فاعل من القرب هو سواد الدوسى الصحابى وكان كاهنا من كهان العرب له رئى من الجن يأتيه

ويخبره بالمغيبات فبينما هو ذات ليلة اذ اتاه فضربه برجله وقال له قم يا سواد بن قارب فاسمع وتعقل
ان كنت تعقل انه بعث رسول من لوى بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم اتاه ليالى يقول له
مثل مقالته فركب ناقته واتى المدينة واجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وامن به واخبره
بخبر رؤيته وما قال له من الاشعار فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفصيله فى السير
وخنافر بضم الخا المعجمة ونون والف بعدها فا مكسورة ورا مهملة وهو كاهن من حمير له رئى من الجن
اخبره ببعثة النبى صلى الله عليه وسلم فاسلم على يد معاذ رضى الله تعالى عنه كما ياتى ولم ير
النبى صلى الله عليه وسلم فهو تابعى وهو ابن التوام الحميرى وله جنية تسمى شصار او شاصيا
وكان عاتيا ذا مال وسعة فاسلم وحسن اسلامه وفى امالى القالى عن الكلبى قال كان خنافر
ابن التوام الحميرى كاهنا قد اوتى بسطة فى الجسم وسعة المال وكان عاتيا فلما وفدت وفود
اليمن على النبى صلى الله عليه وسلم وظهر الاسلام اغار على ابل لمراد فلحق باهله وبها الشحر
فحالف بها جودان وهو سيد منيع ونزل عنده بواد مخصب وكان له رئى فى الجاهلية لا يكاد
يغيب عنه فلما فشى الاسلام فقده مدة حتى ساءه ذلك فبينا هو بذلك الوادى هوى عليه
هوى العقاب وناداه خنافر فقلت شصار فقال اسمع اقل قلت قل اسمع فقال عه تغنم لكل مدة
نهاية وكل ذى ابتدا الى غاية قلت اجل قال لكل دولة الى اجل ثم يتاح لها حول انتسخت النحل ورجعت
الى حقايقها الملل انك سجير موصول والنصح لك مبذول انى انست بارض الشام نفرا من ال
العدام حكاما على الحكام يرددون ذا رونق من الكلام ليس بالشعر المولف ولا السجع المتكلف
فاصغيت فزجرت فعاودت فظلفت فقلت بم تهينمون والى م تعتزون فقالوا خطاب كبار جا
من عند الملك الجبار فاسمع يا شصار اصدق الاخبار واسلك اوضح الاثار تنج من اوار النار
فقلت وما هذا الكلام قال فرقان بين الكفر والايمان اتى رسول من مضر ثم من اهل المدر
ابتعث فظهر فجا بقول قد بهر واوضح نهجا قد دثر فيه مواعظ لمن اعتبر ومعاذ لمن ازدجر
الف بالاى الكبر قلت ومن هذا المبعوث من مضر قال احمد خير البشر فان امنت اعطيت الشبر
وان خالفت اصليت سقر فامنت يا خنافر واقبلت اليك ابادر فجانب كل نجس كافر وشايع
كل مومن طاهر والا فهو الفراق عن لا تلاق قلت من اين ابغى هذا الدين قال من ذات الاحرين
والنفر الميامين اهل الما والطين قلت اوضح قال الحق بيثرب ذات النخل والحرة ذات النعل
فهناك اهل الطول والفضل والمواساة والبذل ثم املس عنى فبت مذعورا اراعى الصبح
فلما برق لى النور امتطيت راحلتى واذنت عبدى واحتملت باهلى حتى وردت الجوف فرددت
الابل على اربابها بحولها واستقابها واقبلت اريد صنعا فاصبت بها معاذ بن جبل امير
رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته على الاسلام وعلمنى سورا من القران
فمن الله على بالهدى بعد الضلالة والعلم بعد الجهالة ثم ذكر له شعرا وشرح ما فى الخبر
من اللغة فان اردته فارجع اليه وفيما ذكرناه كفاية وافعى نجران هو ملك من ملوك نجران
كان كاهنا وهو الافعى بن الافعى الجرهمى فعن عاصم بن عمر بن قتادة قال قدم شيخ من صدا

على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه اربعون رجلا يحفون به فقال يا رسول الله خرفت ودردت
وشمطت ثم رجع ذلك فاسود شعري وثار عقلي ونبتت اسناني وهولا ولدى لصلبي وخلفهم من نسلهم
اضعافهم وقد سمعنا فمي نجران يذكر في غابر الزمان انه سيبعث نبي من صفته انه خاتم يسطع نور
بين كتفيه يبعث بمكة ويهاجر الى طيبة بالذى فضلك بالرساله وايضاح الدلالة الا كشفت لى عن
خاتم نبوتك فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لحفظت على طول العهد وان فيك لمعتبر
ثم كشف له عن خاتم النبوة فاكب عليه يقبله وافمي نجران هذا هو الذى حكم بين ولاد نزار لما تشاحوا
في ميراث ابيهم وهم مضر وربيعة وانمار واياد وقال يا مضر انت ابو البنى التهامى فانا نجد في الاثار انه
من ولد نزار بن معد بن عدنان وانى لارى للبنوة بين عينيك نورا واجلسه على سرير ملكه وجلس تحته وهذا
ما اشار اليه المصوا لشراح كلهم لم يقفوا عليه وجذل بن جذل الكندى قال الحافظ الحلبى لا اعرفه
وتبعه غيره من الشراح وهو كاهن من كهان العرب اخبر ببعثته صلى الله عليه وسلم قديما ولم ار تفصيل
قصته الا ان التلمسانى قال جذل بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة ولام وقيل انه بجيم ودال مهملة مفتوحتين
من كندة وهى قبيلة معروفة لما ولدته امه التمست ذكى فلم تجده من شدة البرد فظننته جارية فطرحته
وزوجها فى سكرات الموت فاشتغلت بموته ثم ذكرت بعد ثلاث رويا بشرت فيها بولد ذكر تسميه
باسم ابيه فقامت وهى تظن انه مات فوجدت كلبة ترضعه فحملته وسمته باسم ابيه وابن خلصته
الدوسى بخا معجمة ولام وصاد مهملة مفتوحات هو كاهن من كهان العرب بشر بالنبى صلى الله عليه وسلم
ولم يذكروا له ترجمة ودوس بفتح الدال المهملة قبيلة معروفة وقال فى الخصايص الكبرى نقلا عن الهواتف
عن مرداس بن قيس الدوسى قال ذكرت الكهانة عند النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله
كانت عندنا جارية يقال لها خلصته لم نعلم عليها الا خيرا فجاءتنا فقالت يا معشر دوس هل علمتم به
الا خيرا قلنا وما ذاك قالت انى لفى غنمى اذ غشيتنى ظلمة ووجدت كحس الرجل مع المراة فخشيت فلما
دنت الولادة وضعت غلاما اعصف له اذنان كاذنى الكلب فمكث فينا وكان لا يقول شيا فلما
كان مبعثك صار يكذب فقلنا له ما هذا فقال ما ادرى كذبنى الذى كان يصدقنى اسجنونى فى بيتى
ثلاثا ثم ايتونى ففعلنا وفتحنا عنه فاذا هو كانه جمرة نار فقال يا معشر دوس حرست السما وخرج
خير الانبيا فقلنا متى بن قال بمكة وانا ميت فادفنونى براس جبل فانى ساضطرم نارا فاذا رايتم
ذلك فاقذفونى بثلاثة احجار قولوا مع كل حجر باسمك اللهم فانى اهدى واطفى ففعلنا ذلك
واقمنا حتى قدم علينا الحاج فاخبرونا بمبعثك يا رسول الله انتهى ومنه نعلم ان الشراح لعدم
وقوفهم على قصتها ظنوها كاهنا ذكروا انما هى كاهنة فاعرفه فان خلصته امراة والكاهن
ابنها وسعدى بنت كريز بضم الكاف العربية وبالرا المهملة واخره زاى معجمة وفى النسخ هنا
اختلاف والصحيح ما ذكرناه وهى خالة عثمان بن عفان اخت امه كانت فى الجاهلية لها علم وكهانة
فاخبرت عثمان ببعثة النبى صلى الله عليه وسلم وتزوجه بابنته رقية فصدقها وكان ذلك
سبب اسلامه فلما اسلم كانت تنشد هدى الله عثمانا بقولى الى التى بها رشده والله يهدى
الى الحق وفى بعض النسخ سعد بن بنت كريز وفاطمة بنت النعمان قال التلمسانى هى فاطمة بنت

النعمان النجارية كان لها تابع من الجن وكان اذا جا اقتحم عليها فى بيتها فلما بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتاها وقعد على حايط الدار فقالت له لم لا تدخل فقال قد بعث نبى بحرم الزنا فكان ذلك اول
ما سمع بذكر النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة وكانت فى الجاهلية عالمة كاهنة ونعمان بضم النون
هو نعمان بن قراد وقيل هو على بن نعمان بن قراد وروى عن ابن عمر وغيره فهو تابعى ونعمان اسم موضع واسم
الدم ايضا ومن لا يعد كثرة وفى نسخة ينعد مطاوع يعد اى لا يعد لكثرته لعدم اعتباره مضموما
او منتهيا الى ما ظهر على السنة الاصنام الظاهر انه استعارة تمثيلية شبهها فى ظهور صوت
شخص تكلم بكلام وقيل هذا لا يصح لانه على مذهب الجبائى الذى يشترط الالة المخصوصة للنطق
ونحن لا نشترط الا الحياة فالصواب كلام الاصنام او نطق الاصنام الا ان يراد باللسان الكلام
وليس بشى لما علمت من انه استعارة وهو تعبير فى وجوه الحسان وقد ذكر ابن اسحاق وغيره كثيرا
مما سمعه المشركون من اجواف اصنامهم يقول ان امرهم وقد جا الحق من نبوته صلى الله عليه وسلم
وحلول وقت رسالته ومن بيانية لما كصنم كان لمازن الطائى قرب له يوما قربانا فسمعه يقول يا مازن
اقبل الى قبل تسمع ما لا تجهل هذا نبى مرسل جاء بحق منزل امن به كى تعدل عن حر نار تشعل الى الخرما فى البيت
من انه سمعه منه مرارا فكسره ورحل الى النبى صلى الله عليه وسلم واسلم ونظايره كثيرة وكانت
الشياطين هى التى تسمعهم الكلام من غيران يروهم وسمع مبنى للمفعول معطوف على ظهر من هواتف الجن
وفى نسخة الجان وهما بمعنى وقد فرق بينهما بان الجان ابو الجن والجن الجنس كله والهواتف جمع هاتف
من الهتف وهو الصوت العالى مطلقا ثم خص بصوت يسمع ممن لا يرى شخصه من صحيح ولذا خص بالجن
عند العرب وكانت عند مبعث النبى صلى الله عليه وسلم كثر ذلك وللخرايطى كتاب الهواتف
جمع فيه ذلك فكانت تلك الهواتف تخبر ببعض احواله صلى الله عليه وسلم وهذه اية
عظيمة من اياته وظهور بنيانه كسماع ذباب بن الحارث هاتفا يقول يا ذباب يا ذباب اسمع العجب
العجاب بعث محمد بالكتاب يدعو فلا يجاب وسماع بن قرة الغطفانى هاتفا يقول جاء حق فسطع ودمر
باطل فانقمع وسماع قريش هاتفا يخبر بنزوله صلى الله عليه وسلم على ام معبد الى غير ذلك فكل
الكون السنة تنطق تخبر به وتدل على علو منزلته ولكن الله يضل من يشا ويهدى من يشا والصوفية
يسمون الواردات الالهية هاتفا كما مر ومن ذبايح النصب اى ما سمع منها اذا قربت للذبح والذبايح جمع
ذبيحة وهى ما يذبح من بقر ونحوه والنصب بضمتين جمع نصب بفتح فسكون وهو ما ينصب من الحجارة
والاصنام للعبادة وهو مثل ما سمع عمر رضى الله تعالى عنه من عجل قرب رجل ام يجيح رجل فصيح يقول
لا اله الا الله الى اخر ما رووه واجواف الصور اى ما سمع من الاصنام التى كانوا يصورونها فهو جمع
صورة بمعنى جثة مصورة وهى التمثال والاجواف جمع جوف وهو داخل كل شىء وما وجد من اسم النبى
صلى الله عليه وسلم مكتوبا فى الحجارة والقبور اى وعلى القبور بالخط القديم المتقادم عهد كتابته
والشهادة له بالرسالة بذكر اسمه وانه نبى مرسل من الله ما اكثره المشهور بين الناس وما الثانية بدل
من الاولى وخبر والاولى مبتدا او هما موصولتان وقد نقله ثقات المورخين فى قصص لا تحصى ومكتوب
روى مرفوعا خبر مبتدا محذوف ومنصوبا مفعول ثان لوجد والخبر مقدر اى ثابت وقد تقدم انه

وجد بخط غرابي على بعض الحجارة محمد تقي مصلح امين وان تفسير قوله تعالى وكان تحته كنز لهما عن ابن عباس
انه لوح من ذهب مكتوب فيه عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب وعجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك
وعجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها كيف يطمين اليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي وتقدم شرح ذلك
كله بما فيه الكفاية واسلام من اسلم بسببه ذلك اي بسبب ما راه من الكتابة القديمة والمراد
انها بغير اللسان العربي وهو مما يدل على صدق ما كتب فاعرفه معلوم مذكور في السير والتواريخ فصل
ومن ذلك اي مما يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته ما ظهر من الايات اي العلامات اوالادلة
عند مولده اي ولادته صلى الله عليه وسلم فهو مصدر ميمي وما حكته امه امنة بنت وهب وهي
اشهر من ان تذكر ومن حضر ولادته من العجايب قبل اخر هذا الفصل وكان ينبغي تقديمه لانه اول احواله
لتقدم المعجزات بحسب الشرف ويا باه انه ذكر فيه ما يتعلق بوفاته صلى الله عليه وسلم وهي متاخرة
فهو ناظر لذلك اولانه لا يختص بزمان وهو كالاجمال لما قدمه والقذلكة توخروا العجايب وما معه
اشارة الى ما رواه ابو نعيم عن ابن عباس من ان امه صلى الله عليه وسلم لما حملت به اتاها ات
في منامها بعد ستة اشهر وقال لها يا امنة انك حملت بخير العالمين فاذا ولدتيه فسميه محمدا واكتمي
شانك فلما اخذني ما ياخذ النسا لم يعلم بي احد واني لوحيدة في منزلي في طرفه فسمعت وجبة عظيمة
وامرا عظيما هالني فرايت كان جناح طاير ابيض قد مسح على فوادي فذهب عني الرعب وكل ما اجد
ثم التفت فاذا بنور غالب ونسوة طوال حولي فقلت من اين علمن بي وفي رواية انهن قلن نحن اسيه
امراة فرعون ومريم ابنة عمران وهولا من الحور العين فبينا انا كذلك واذا انا بديباج ابيض
بين السماء والارض وقايل يقول خذاه عن اعين الناس ورجال في الهوا بايديهم اباريق من فضة
وقطعة من الطير مناقيرها من زمرد واجنحتها من الياقوت فكشف الله عن بصري فرايت مشارق
الارض ومغاربها ورايت علما بالمشرق وعلما بالمغرب فوضعته صلى الله عليه وسلم وكانت
قريش مجدبة فاخصبت الى غير ذلك مما ذكروه وقال ابن الجوزي في تلقيح الفكر اتفقوا على انه
ولد يوم الاثنين في شهر ربيع الاول عام الفيل واختلفوا فيما مضى منه على اربعة اقوال فقيل
لليلتين خلتا منه وقيل لثمان وقيل لعشر وقيل لاثنتي عشرة خلت منه ومات ابوه وهو
ابن خمس وعشرين سنة ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل وقيل ابن سبعة اشهر
وقيل ابن ثمان وعشرين شهرا والاول اصح وكونه رافعا راسه عندما وضعته اي رفعه نحو
السماء كما رواه البيهقي شاخصا ببصره الى السماء قال الراغب شخص من بلده ذهب وشخص سهمه
وبصره واشخصه صاحبه وقوله شاخصة ابصارهم اي اجفانهم لا تطرف انتهى وقوله
الى السماء تنازعه رافعا وشاخصا وهذا اشارة الى تعلقه صلى الله عليه وسلم
بالملا الاعلى وتوجهه لذلك من اول العمر كما قال الابوصيري رافعا راسه وفي ذلك الرفع
الى كل سودد ايما رافعا طرفه السما ومرمى عين من شانه العلو العلا وروي انه خرج
معه نورا ضا له المشرق والمغرب وروي انه ولد واصابعه مقبوضة مشيرا بالسبابة
كالمسبح وما راته امه كما رواه احمد والبيهقي من النور الذي خرج معه عند ولادته وحديث

النور الذي خرج معه اضا له جميع الارض رواه جماعة وصححه ابن حبان والحاكم وعن اسحاق بن
عبد الله ان امه صلى الله عليه وسلم قالت لما ولدته خرج من فرجي نور اضا له قصور الشام وتقدم
في كلام المص عن امه انها قالت فولدته نظيفا ما به قذر قال ابو شامه كان امر هذا النور اشتهر ذكره
في قريش واليه اشار العباس كما رهبقوله وانت لما ولدت اشرقت الارض وضاءت بنورك الافق
الى اخره وقال حسان رضي الله تعالى عنه نور اضاء على البرية كلها من يهد للنور المبارك يهتدي
قال ابن رجب رحمه الله تعالى وهو اشارة الى نور هدايته الذي محى ظلمة الشرك كما قال تعالى قد جاءكم من الله
نور وكتاب مبين وقوله واضا له قصور الشام خصه لانه مشرق انوار النبوة وهي دار ملكه
وما راته اذ ذاك اي وقت ولادته ام عثمان بن ابي العاص ابو عبد الله بن بشير الثقفي وامه اسمها فاطمة
بنت عبد الله وعثمان هذا من اكابر الصحابة وله فتوحات وتولى قضا البصرة وروى عنها ابنها انها
شهدت مولده صلى الله عليه وسلم ورات ما راته من تدلي النجوم التدلي الدنو والقرب كما قاله
الراغب وهو في الاصل استعارة من الدلو صار حقيقة عرفية في القرب وظهور النور الذي خرج معه
كامر ويحتمل انه نور النجوم لقربها حتى ما تنظر اي ام عثمان المذكورة بتا المضارعة ويجوز ان يقرا بالنون
للحاضرين او الموجودين والاول اولى رواية ودراية الا النور اي لا ترى شيئا غير النور وهو مبالغة في قوته
وانتشاره في جميع النواحي والظاهر ان تدلي النجوم على ظاهره قال الابوصيري رحمه الله وتدلت زهر
النجوم اليه فاضاءت بضوئها الارجاء وقيل معنى تدليها سقوطها ولا ينبغي من مثله وقول الشفا ام
عبد الرحمن بن عوف والشفا بشين معجمة مفتوحة وفا مشددة ومد كما قاله الدلجي والمعول عليه ما قاله
البرهان الحلبي انه بكسر الشين والقصر وهي كما قال الذهبي بنت عوف بن عبد الزهرية من المهاجرين
والدة عبد الرحمن وبنت عم ابيه عوف ابن الحارث وقال السهيلي ان اسمها عيدا ايضا وفي الاستيعاب انها
اخت عبد الرحمن بن عوف وحكاه عن الزبير قال وقد قيل انها امه لما سقط صلى الله عليه وسلم
على يدي اي وضعته امه فنزل على يديها واستهل عطس لا صاح وان كان يقال استهل الصبي اذا صاح
بدليل قوله سمعت قايلا اي ملكا يقول له صلى الله عليه وسلم يرحمك الله او رحمك ربك او يرحمك
ربك تشميتا له بنا على ان رحمك بفتح الكاف وقال التلمساني انه روي بكسرها والظاهر الاول وهو
لم يفسر فالخطاب لامه او له صلى الله عليه وسلم باعتبار النسمة وتفسيرا استهل بعطس ذكره الدلجي
ويشهد له قول الابوصيري شمتته الاملاك اذ وضعته وشفتنا بقولها الشفا وهذا الحديث
رواه ابو نعيم في الدلايل عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه واضا لي ما بين المشرق والمغرب
حتى رايت قصور الروم ولا منافاة بين هذه الرواية وبين رواية قصور بصرى والروم لانها كانت اذ ذاك
بيد الروم وتتمة الحديث ثم اضجعته فلم انشب ان غشيتني ظلمة ورعب وقشعريرة ثم غيب عني فسمعت
قايلا يقول اين ذهب به قال الى المشرق فلم يزل ذلك على بالي مني حتى ابتعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم فكنت اول الناس اسلاما وفي الخوارق امور غريبة من تنكيس اسرة الملوك وذهاب الحيوانات
من المغرب للمشرق للتبشير به صلى الله عليه وسلم وروي كما تقدم من كلام امه انه ولد مختونا مسرورا
اي مقطوع السرة كما تقدم الجزم به في كلام المص بل قال الحاكم في مستدركه انه تواترت به الاخبار

وقال الذهبي لا اعلم صحته فضلا عن تواتره واجاب بعضهم بانه اراد بالتواتر الاشتهار فقد جات احاديث
كثيرة في ذلك قال الحافظ ابن كثير من الحفاظ من صححها ومنهم من ضعفها ومنهم من راها من الحسان وقد علمت
ان هذا الجواب بعيد وقيل انه ختن يوم سابعه وتقدم ما عليه من الكلام وما تعرفت به حليمة بنت
ابي ذويب السعدية مرضعته صلى الله عليه وسلم وخبرها مشهور وزوجها الحارث بن عبد العزى
ظئراه عطف بيان او بدل من حليمة وزوجها وهو تثنية ظئر وهو المرضعة في الاصل وتطلق على الاب
من الرضاعة كما هنا والظير مشترك معنوي لانه من ظار اذا عطف فلا اشكال في تثنيته فانه ليس
نحو عينين من معانه مسموع ايضا من بركته صلى الله عليه وسلم لما اخذته من امه ودرور لبنها له
اي زيادة خروجه له صلى الله عليه وسلم ولاخيه من الرضاعة بعد قلته ولبن شارفها اي ودر
ولبن شارفها والشارف الناقة المسنة والغالب ان لبنها لا يدر وخصب غنمها بكسر الخا اي رعيها
في مكان مخصب في سنة مجدبة او هو مجاز عن سمنها وكثرة لبنها وكان ذلك ببركته صلى الله عليه وسلم
لكونه عندها واصل معنى الخصب بكسر الخا المعجمة المكان الكثير العشب واول من ارضعته صلى الله
عليه وسلم ثويبة جارية ابي لهب ثم حليمة رضي الله تعالى عنها وقد تقدم ان حليمة وفدت على النبي
صلى الله عليه وسلم فاكرمها وبسط لها رداه لتجلس عليه وقال ابن عبد البر انها اسلمت
وانكره الدمياطي وصنف فيه مغلطاي جزا وله صلى الله عليه وسلم اخوة من الرضاعة مفصلة
في السير كما فصل فيها احوال مرضعته وذهابها به صلى الله عليه وسلم الى ارض قومها وسرعة شبابه
وحسن نشانه اي سرعة نمو خلقه وقامته ونشانه ابتدا امره في صغره من نشا ينشا فهو ناشي
وان حليمة قالت والله ما بلغ سنتيه حتى صار غلاما جفرا وما جرى اي وقع وحدث من العجايب
في ليلة مولده اي في ليلة ولادته مما رواه البيهقي وغيره وفي نسخة ميلاده وهما بمعنى وهذا يدل على
انه ولد ليلا وهو الذي رواه ابن السكن في حديث نقلوه والذي في مسلم وصححوه انه ولد نهارا بعد الفجر
وقبل طلوع الشمس وجمع بينهما بان تلك الحصة قد تعد ليلا لقربها منه وبعضهم يرى ان اليوم من طلوع
الشمس ومحصله انه لا ينافي ما تقرر من ولادته نهارا الحديث المتقدم عن ام عثمان ابن ابي العاص
على تقدير صحته من دلالته على انه ولد ليلا فان زمان النبوة صالح للخوارق ويجوز ان تسقط النجوم
نهارا اي فضلا عن ان تكاد تسقط سيما ان قلنا انه ولد عند الفجر لان ذلك ملحق بالليل كما تقرر
من ارتجاج اي تحرك واضطراب ايوان كسرى وهو قصره ومن الاولى بيان لما والثانية بيان للعجايب
وقيل بيان لما ايضا وفيه نظر وكسرى تقدم انه بكسر الكاف وفتحها معرب خسرو وكسرى هذا
انوشروان بن قباد وهو غير كسرى الذي كتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمزق كتابه
فهو ابرويز بن هرمز بن انوشروان وهذا الحديث رواه البيهقي وابن ابي الدنيا وابن السكن والايوان
الصفة العظيمة والبنا العالي العظيم واصله اوان بتشديد الواو فابدلت الواو الاولى
يا وفسر بعضهم الايوان ببيت الملك العظيم المعد لجلوسه مع وزرايه لفصل الامور
وسقوط شرفاته بضمتين كما في تثقيف اللسان ويجوز سكونها وفتحها كما قاله البرهان جمع
شرفة بضمتين وبضم فسكون بوزن غرفة وفسرت باعاليه وانما هي ما يبنى على الحايط منفصلا

بعضه من بعض على هيئته معروفة وله شرفات كثيرة فسقط منها اربعة عشر بعدد من ملك من اولاده
بعد ظهور الاسلام وانقضت مدتهم في زمان قليل واطلاق شرفات على ما ذكر لاستوا القلة
والكثرة فيه لاضافته اولانه لا جمع له سواه اولانه يجوز استعمال كل من الجمعين في معنى الاخر وغيض
بحيرة طبرية غيض بفتح الغين المعجمة وسكون اليا التحتية وضاد معجمة مصدر غاض يغيض اذا قل
او ذهب يقال غاض الما وغاضه الله واغاضه فيتعدى ولا يتعدى وبحيرة تصغير بحرة وهي البركة
الكبيرة التي كثر ماوها ويطلق على الارض الواسعة والمراد الاول وطبرية بلدة بالشام معروفة
من الارض المقدسة بينها وبين القدس مرحلتين وبحيرتها عظيمة الى الان البرهان قال المعروف بالغيض بحيرة
ساوة التكلم الان يريد عند خروج ياجوج وماجوج فانه ولهم يشربها ويجي اخرهم فيقول كان ههنا
ما انتهى اقول ما قاله غير صحيح هنا لان الكلام فيما حصل عند ولادته صلى الله عليه وسلم
من الايات والعجب من تابعه على هذا مع ظهوره وساوة بلدة اخرى بينها وبين الري اثنان وعشرون
فرسخا والجواب الحق ان المراد بحيرة طبرية وطولها ستة اميال وكذا عرضها وقد روى الحديث
البيهقي وابن ابي الدنيا وابن السكن كما نقله السيوطي وغيره فالمعترض لم يقف على هذه الرواية فلعل
ماها نقص نقصا لا ينقص مثله في زمان طويل وغار ماوها ثم عاد بعد ذلك لما فيها من العيون النابعة
التي تمدها الامطار وقد علمت ان بحيرة تصغير بحرة لا بحر والتا زايده كما قيل وهي ممنوعة من الصرف
للعلمية والتانيث وليست التا زايدة فيها بعد العلمية كذي الشدية لتاويلها بالبقعة وهو تكلف
لا داعي له وخمود نار فارس بمنع الصرف لانه علم اعجمي وفارس اقليم معروف هو واهله فكان ما غاض
من الما فاض على النار فاطفاها والخمود الانطفا وكان هذا ليلة مولده صلى الله عليه وسلم
كما تقرر وكان لها اي لتلك النار الف عام لم تخمد لشدة اشتغالهم بها وكثرة امدادها دايما وكانوا
يعبدونها كما قال ابن هاني سجدت الى النيران عصرها ومذ شعرت به سجدت له نيرانها وقالوا
وذلك دليل النجاة من اللظا به لانطفا النار من كل موقد وقوله لم تخمد بضم الميم وفتحها لانه
ورد من باب نصر وعلم وكان كسرى واتباعه يعبدونها ويرمون فيها المسك والعنبر ونحوه ولهم بها
فتنة عظيمة اذ لم تزل توجج وان لم تمد وقصة النار ورويا كسرى وقصها على سطيح مذكورة
في السير مشهورة وانه صلى الله عليه وسلم كان وهو طفل صغير كما رواه ابن سعد وغيره عن
ابن عباس اذا اكل مع عمه ابي طالب واله اي اهل بيته وكان صلى الله عليه وسلم عنده في حضانته
بعد عبد المطلب وهو صغير جملة حالية شبعوا من الطعام ورووا اذا شربوا لبنا ونحوه لا ماء
ولذا جعله ماكولا لانه غذا ببركته صلى الله عليه وسلم مما لا يشبع منه مثلهم لقلته واذا غاب
عنهم فلم يكن معهم فاكلوا وحدهم في غيبته عنهم لم يشبعوا وباتوا جياعا وكان ساير ولد ابي
طالب اي جميعهم او بقيتهم بعده صلى الله عليه وسلم منهم تغليبا وانكر بعضهم ورود
ساير بمعنى جميع ورددناه في شرح الدرة يصبحون اذا قاموا من نومهم شعثا جمع اشعث وهو المغبر
الراس المتغير لون كما هو عادة الاطفال اذا قاموا من نومهم في مضاجعهم ويصبح صلى الله عليه
وسلم اي يدخل في وقت الصباح اذا قام من نومه صقيلا اي نقي اللون غير متغير البشرة فهو

استعاذة من المراة الصقيلة دهينا اى كان وجهه دهن بغالية ونحوها مما كانوا يدهنون به حتى تبرق
وجوههم كحيلا اى مكحل العين وكل ذلك من غير صنع لاحد وهى منصوبة بيصبح ان كانت ناقصة او حال
وكان اولاد ابى طالب سبعة اذ ذاك عقيل وجعفر وطالب وعلى وام هانى وام طالب وجمانة وكلهم اسلموا
الا طالبا فانه مات كافرا وهذا مجاز او حقيقة وفسر المدهون بخلاف الاشعث والمصقول بالمستوى
الشعر والكحيل بالذى لا رمص بعينيه ولا قذى وكان ابو طالب يحبه صلى الله عليه وسلم حبا شديدا
او يوثره على اولاده فاذا اتى بطعام يقول لا تاكلوا حتى ياتى ابنى وروى فى بعض النسخ وقالت ام ايمن هى بركة
بنت محصن بن ثعلبة بن عمرو بن حفص بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان مولاة رسول الله صلى الله
عليه وسلم حاضنته اى التى كانت تربيه طفلا سميت حاضنة لانها تجعل الولد فى حضنها وقيل انها
ارضعته وهى حبشية وابنها ايمن بن عبيد الحبشى وتزوجها زيد بن حارثة وكانت وصيفة لعبد الله
ابيه صلى الله عليه وسلم وروى عنها فى الصحيحين وادركت خلافة عثمان رضى الله عنه كما نقله
الذهبى عن الواقدى وفى مسلم عن الزهرى انها توفيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة
او ستة اشهر وهو الذى صححه النووى وخطا الواقدى فيما قاله وانما حضنته لموت اسد امه ما رايته
صلى الله عليه وسلم يشكو جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا لان الله تكفل به فكان يبيت عند ربه
يطعمه ويسقيه كما قال الم يجدك يتيما فاوى وحاضنه اسم فاعل مونث من الحضن وليس فعلا من المفاعلة
وانه عدل عن حضنته لحاضنته للاشعار بالفاعلية من جانبه تبركا به كما توهم وهو خطا فاحش على
عادته ومن ذلك اى دلايل رسالته المشاهدة عند ولادته حراسة السما بالشهب وهى شعل النار
المرئية فى نجوم السما جمع شهاب وقطع رصد الشياطين اى ترصدهم وترقبهم لسماع ما تقوله
الملائكة فيحفظه وتلقيه للكهنة فهو مصدر ويكون بمعنى راصد وجمعا له فلذا اطلق على الواحد
وغيره والشياطين مردة الجن ومنعهم اى منع الله لهم من استراق السمع وهو ان يختفى احد ليسمع كلام
من لم يرد سماعه فكانه يسرق الكلام الذى سمعه واعلم ان رمى الشياطين بالشهب لم يحدث فى زمنه
صلى الله عليه وسلم فانه كان قبل ذلك ايضا ولكنه لما ولد صلى الله عليه وسلم فى زمان
كان كثير الكهنة وكانت الجن تخبرهم ببعض المغيبات فيلقونها للناس منعهم الله من ذلك
بالكلية حتى لا يلبس الوحى بغيره فكثر الرجم بالشهب من جميع النواحى فبطلت الكهانة ومنع الجن
من الاطلاع على المغيبات ولذا لما رات قريش كثرة القذف بالنجوم قالوا قرب الساعة وخراب الدنيا
فقال لهم عتبة ابن ربيعة انظروا الى العيوق ان كان رمى به فقد ان قيام الساعة والا فلا والى هذا اشير
قوله تعالى وانا لمسنا السما فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا الاية وروى ان ابليس كان يخترق
السموات فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام حجب عن ثلاث سموات فلما ولد صلى الله عليه وسلم
حجب عن جميعها ومنع غيره من القرب منها والشهاب الذى يرمى به قيل انه لا يخطيه ولكنه يحرقه ولا يقتله
وقال الحسن انه يقتله فقد علمت ان رمى الشهب لم يحدث فى زمنه صلى الله عليه وسلم كما توهمه
بعضهم وانما كثر واشتد فيه وكانوا فى الجاهلية اذا راوا شهابا سقط قالوا يموت او يولد عظيم كما ورد
فى الحديث ومن دلايل نبوته صلى الله عليه وسلم ما نشا عليه اى ما خلقه الله عليه من ابتدا نشا

وطفوليته

وطفوليته من بغض الاصنام وكراهة قربها ومسها كما روى البيهقى ان زيد بن حارثة مر بصنم فتمسح به
فقال له صلى الله عليه وسلم لا تمسه ونهاه عن القرب منه كما نهى ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام
ازرعنها والعفة عن امور الجاهلية التى كانوا يرتكبونها فخلقه الله تعالى متخليا عنها لسلامة طبعه
كاللهو واللعب وغيره والعفة حالة للنفس تمنع من غلبة الشهوة والتعفف عن تعاطيها كما قاله
الراغب وما خصه الله به من ذلك بجعل فيه اخلاقا مرضية واعمالا زكية ونفسا قدسية فصانه
وحماه قبل بعثته من الصفات الردية حتى فى ستره بفتح السين المهملة وسكون المثناة الفوقية
مصدرا اى ستر بدنه حتى لا يرى احد منه صلى الله عليه وسلم ما لا ينبغى رويته كالعورة فكان لا يتعرى
عند احد وكانت الجاهلية تفعله حتى كانوا يطوفون عراة احيانا وفى نسخة حتى سترة بجور رابحى
وهو غاية لما قبله من الحماية وما قيل ان كان المراد كشف العورة فهو قبيح عقلا وما دونها ليس بقبيح عقلا
وشرعا الا ان يقال انه من خصوصياته الدالة على نبوته امر لا طايل تحته فى الخبر المشهور الذى رواه
الشيخان عن جابر رضى الله عنه والبيهقى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عند بنا الكعبة اى لما
بنتها قريش ونقلهم الحجارة لبنايها وكان صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة معهم اذ اخذ ازاره
اى ملحفته التى كان متزرا بها ليجعله على عاتقه اى اخذ الازار ليجعله على كتفه الذى يضع عليه
الحجارة حتى لا تؤذيه ليحمل عليها اى على عاتقه او ازاره الحجارة وتعرى اى انكشف اسفله لنزع الازار عنه
فسقط الى الارض مغشيا عليه وعينه شاخصة للسماء حتى رد ازاره عليه وستر عورته فقال
له عمه وهو العباس كما مر جوابه ما بالك اى ما شانك وحالك الذى عرض لك حتى سقطت قال انى
نهيت بالبنا للمجهول عن التعرى وكشف العورة لغيرى وكانت قريش بنت الكعبة لسيل اتى من فوق
الردم ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن خمس وثلاثين سنة قال العباس فكانوا ينفردون
رجلين رجلين ينقلون الحجارة فكان العباس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا يجعلون
ازرهم على عواتقهم فاذا دنوا من الناس لبسوها فبينما هو كذلك صرع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يستغيث رافعا بصره الى السما فقال له ما بالك يا ابن اخى فقال نهيت ان امشى عريانا
فكتمها حتى بعثه الله تعالى مخافة ان يقال انه مجنون وفى رواية ان ملكا مهيبا ناداه اشدد ازارك
وروى انه لكمه لكمة شديدة قيل وهو اول ما نودى به ومن ذلك اى مما دل على نبوته فى اول امره
ما رواه الترمذى والبيهقى اظلال الله تعالى له بالغمام فى سفره اى لون غمامة تسير معه صلى الله عليه
وسلم انى سار تقيه حر الشمس ونحوه من الكرب كما راه بحيرا الراهب لما سافر للشام مع عمه وراه ميسرة
غلام خديجة لما سافر معه للشام وخص السفر لانه محل التاثر من الشمس وفى رواية لابى سعيد ان
خديجة ام المومنين ونساها اى النسا اللاتى كن معها عند الروية فالاضافة لادنى ملابسة رايته
لما قدم لمكة من سفره للشام فى تجارة لها وملكان يظللانه اى يمدان اجنحتهما عليه ليكون ظلا له
ووقاية من الشمس فذكرت خديجة ذلك اى ما راته لميسرة غلامها الذى بعثته معه صلى الله
عليه وسلم فى سفره وميسرة بفتح السين وضمها فاخبرها ميسرة انه راى ذلك اى كونه مظللا
من السماء بالملكين فلا تنافى ان خديجة رات تظليل الملايكة وميسرة راى تظليل الغمام او ان الغمام

كانت تسوقه ملايكته فجعلت تظلله له كحامل الظلة يتبعي تظلله منذ خرج معه في سفره الى الشام
اي معاوله الى الخ وهذا الحديث رواه الواقدي عن نفيسة بنت منية وهي احدى النسا اللاتي كن مع
خديجة في علية لها تنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم قال البرهان لم يذكر
ميسرة في الصحابة فكانه مات قبل نبوته صلى الله عليه وسلم وفي رؤية خديجة الملايكة كرامة لها
رضي الله تعالى عنها وقد روي بالبنا للمجهول والذي رواه الواقدي وابن سعد وابن عساكر في تاريخه
عن ابن عباس ان حليمة بنت ابي ذويب السعدية التي ارضعته صلى الله عليه وسلم رات غمامة
تظلله وتقيه من حر الشمس وهو مقيم عندها لما اخذته صلى الله عليه وسلم لتحيها لترضعه
روي ذلك اي تظليل الغمامة له عن اخيه من الرضاعة يعني انه راه في صغره ورواه بعد كبره لانه كان
معه والظاهر ان مراده انه هو الذي ذكره لامه وانها لم تشاهده لان عبارة الواقدي عن ابن عباس
ان حليمة خرجت تطلبه صلى الله عليه وسلم فوجدته مع اخيه من الرضاعة وهو ولدها فقالت
اني حر الشمس فكيف شفقة عليه صلى الله عليه وسلم منها فقال الخوه يا اماه ما وجد اخي حرا رايت
غمامة تظلله اذا وقف وقفت واذا سار سارت معه وهذا يدل على انه ليس امرا اتفاقيا وهل
كان هذا دايما او احيانا لم ينقل فيه شي وما في المواهب نقلا عن الزركشي في شرح البردة عن بعض
العارفين انه صلى الله عليه وسلم كان مزاجه معتدل الحرارة والبرودة فلا يحس بالحر ولا بالبرد
فكانه صلى الله عليه وسلم في ظل غمامته من اعتداله قيل عليه انه ساقط لانه يقتضي ان تظليل
الغمامة لم يكن حقيقيا محسوسا وانما هو على طريق التمثيل قلت ان اراد ذلك فهو وارد عليه ويحتمل
انه يريد انه لم يدم ذلك ولم يكن بعد بلوغه سن الاعتدال بعد النبوة لتمام اعتداله المغني عنه
او انه كان غنيا عنه وانما هذا تكريم من الله له لم يرد عليه شي فاعرفه فانه لا يخفى مثله على مثله
وقد علمت ان الذي في نسخ الشفا كما قاله البرهان عن اخيه مذكرا بالتحتية والذي في سيرة ابن سيد الناس
اخته بالمثناة الفوقية فهذا تصحيف او رواية رواها ايضا ومن ذلك اي مما يدل على نبوته صلى الله
عليه وسلم وهذا لم يذكروا من رواه من المحدثين انه نزل اي قعد في محل نزل به في بعض اسفاره
قبل مبعثه مصدر ميمي بمعنى بعثه ونبوته تحت شجرة يابسة اي ليست مخضرة وليس لها ورق
فاعشوشب ما حولها من الارض اي ظهر به عشب لم يكن واخضرت من ساعتها وافعوعل للمبالغة
اي كثر عشبه ونباته والعشب الكلا ما دام رطبا وقدمه لما فيه من المبالغة واينعت هي اي الشجرة
وابرز الضمير ليلا يتوهم انه عايد على ما حولها باعتبار انه ارض وهي مونثة سماعية ومعنى اينعت
ظهر خضرة ورقها وزهرها او ثمرها يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا واينعت ايناعا اذا انضجت قال
تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر وينعه وقرئ وينعه وهو جمع يانع وهو المدرك قاله الراغب فاشرفت
اي نمت وعلت اغصانها وتدلت عليه صلى الله عليه وسلم قضبانها لتقيه وتظلله اغصانها
جمع غصن وهي اعلاها وفروعها بمحضر من راه اي ان من كان عنده شاهد حدوث ذلك وعلم منه
ما يدل على كرامته لسرعته ومن ذلك ميل في الشجرة التي هو الظل مطلقا او بعد الظهيرة لانه من فا اذا
رجع والكلام عليه مفصل في كتب اللغة وميل الفي اما وحده او مع ميل الشجرة نفسها في الحز

الآخر

الآخر الذي روي عنه صلى الله عليه وسلم في سفره الى الشام وقصته مع بحيرا الراهب كما تقدم
حتى اظلته علة او غاية مقصودة من ميلها وكان رفقاوه صلى الله عليه وسلم سبقوه فجلسوا
في الفي فلما جلس في الجانب الاخر مالت الشجرة عليه بفيئها فظللته فراه الراهب في قصته التي تقدمت
وكان مع عمه ابي طالب وهو ابن عشر سنين ومن دلايل نبوته صلى الله عليه وسلم ما ذكر بالبنا للمجهول
اي الذي ذكره ابن سبع من انه بيان لما الموصولة لا ظل لشخصه اي لجسده الشريف اللطيف اذا كان في شمس
ولا قمر مما ترى فيه الظلال لحجب الاجسام ضوء النيرين ونحوهما وعلل ذلك ابن سبع بقوله لانه
صلى الله عليه وسلم كان نورا والانوار شفافة لطيفة لا تحجب غيرها من الانوار فلا ظل لها كما هو
مشاهد في الانوار الحقيقية وهذا رواه صاحب الوفا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لم يكن لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ظل ولم يقم مع شمس الا غلب ضوءه ضوءها ولا مع سراج الا غلب ضوءه ضوءه
وقد تقدم هذا والكلام عليه ورباعيتنا فيه وهي ما جر لظل لاحمد ذيل في الارض كرامة كما قالوا
هذا عجيب وكم به من عجب والناس بظله جميعا قالوا وقالوا هذا من القيلولة وقد نطق القران بانه
النور المبين وكونه بشرا لا ينافيه كما توهم فان فهمت فهو نور على نور فان النور هو الظاهر بنفسه
المظهر لغيره وتفصيله في مشكاة الانوار للغزالي ومن دلايل نبوته صلى الله عليه وسلم
ان الذباب كان لا يقع على ما ظهر من جسده ولا انه يقع على ثيابه وهذا مما قاله ابن سبع ايضا
الا انهم قالوا لا يعلم من روى هذا والذباب واحده ذبابة قيل انه سمي به كلما ذب اي كلما
طرد رجع وهذا مما اكرمه الله به لانه طهره من جميع الاقذار وهو مع استقذاره قد يجي من مستقذر
قيل وقد نقل مثله عن ولي الله العارف به الشيخ عبد القادر الكيلاني ولا بعد فيه لان معجزات
الانبيا قد تكون كرامة للاوليا من امته وفي رباعية لي من اكرم مرسل عظيم جلا لم تدن
ذبابة ازاما حلا هذا عجب ولم يذق ونظر في الموجودات من خلاه احلا ونظرف
بعض علما العجم فقال محمد رسول الله ليس فيه حرف منقوط لان الموجودات النقط تشبه الذباب
فصاني عنه اسمه ونعته كما قلت في مدحه صلى الله عليه وسلم لقد ذب الذباب فليس يعلو
رسول الله محمد احمد ونقط الحرف يحكيه بشكل لذاك الخط عنه قد تجرد ومن ذلك
اي من دلايل نبوته صلى الله عليه وسلم في اول امره ومنتهاه كما رواه الشيخان تحبب الله
بجعله طبيعة له الخلوة اي الوحدة والانفراد عن الناس للعبادة اليه حتى وحي اليه اي انه
كان يفعل ذلك قبل بعثته حتى نزل الوحي عليه تكريما له صلى الله عليه وسلم وفي البخاري ثم
حبب اليه الخلا اي العزلة عن الناس لانها فراغ القلب والاعانة على التفكر والانقطاع عن الوفا
النفس فكان يخلو بغار حرا فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل النبوة فاذا نزل
منه طاف بالبيت وذهب لاهله وخص حرا كما قاله ابن ابي جمرة لانه كان يتبرك به وينظر منه
البيت فيستقبله وقال حبب بصيغة المجهول اشارة الى انه ليس تقليدا لغيره وانما هو جبلي
بالهام الله تعالى له وهو من الارهاصات حتى جاه الوحي وهو فيه ثم اعلامه صلى الله عليه
وسلم اي اعلام الله له بقرب موته ودنو اجله اي اخر عمره الذي اجل له وقدر وهذا مما رواه

الشيخان وفهمه صلى الله عليه وسلم من قوله تعالى فسبح بحمد ربك وفي الصحيحين انه صلى على قتلى
احد بعد ثمان سنين كالمودع للاحيا والاموات ثم طلع المنبر فقال اني بين يديكم فرط وانا عليكم
شهيد وان موعدكم الحوض الخ وقوله في خطبته له ان عبدا خيره الله بين ان يوتيه من زهرة الدنيا
ماشا وبين ما عنده فاختار ما عنده فبكى ابو بكر رضي الله تعالى عنه وقال فديناك بابائنا وامهاتنا
فقال عمر انظروا لهذا الشيخ يقول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خير بين زهرة الدنيا وما عنده
فاختار ما عنده فكان اعلمهم بكلامه صلى الله عليه وسلم واسر بذلك لفاطمة كما تقدم في الحديث
الصحيح الى غير ذلك مما لا يحصى واعلامه صلى الله عليه وسلم بان قبره بالمدينة كما رواه ابو نعيم
عن معقل بن يسار بلفظ المدينة مهاجري ومضجعي من الارض وان قبره في بيته فقبره صلى الله عليه
وسلم في مسكنه وكذا كان كثير من الانبياء عليهم الصلاة والسلام اشارة الى انهم احيا عند ربهم
يرزقون وان بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة كما سياتي يعني انها تنقل وتجعل روضة في الجنة او
ان العمل فيها يوجب لصاحبه روضة من رياض الجنة وقال ابن ابي جمرة الاظهر ارادة المعنيين والجمع
بينهما معا اذ لا مانع منه ومن لم يعرف هذا قال لابد من تاويله باعتبار القرب من قرب الخلق الى الله
ومن قرب منه كالجالس في رياض الجنة لتنزل الرحمات وتلذذه بالمشاهدات كما يقال اللهم اجعل
قبر فلان روضة من رياض الجنة وتخيير الله له عند موته لما قرب حتفه خيره الله بين البقا في الدنيا والرحيل
للاخرة كما سمعته انفا ورواه البيهقي في دلايله وعن عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم في صحته يقول لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده في الجنة ويخير فلما اشتكى صلى الله عليه وسلم
غشي عليه فلما افاق شخص بصره لسقف البيت وقال اللهم الرفيق الاعلى فقلت لا يختارنا وعرفت
انه خير وفهمت ما فهم ابوها رضي الله تعالى عنهما وهو حديث صحيح رواه احمد في مسنده وغيره وقد صح
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اوتيت مفاتيح خزاين الارض وخيرت بين الخلد فيها وبين الجنة
فاخترت الخ مما يطول ذكره وما اشتمل عليه حديث الوفاة اي وفاته صلى الله عليه وسلم وهو حديث
طويل رواه الشافعي والبيهقي في سننه من كراماته التي اكرمه الله تعالى بها عند موته كسماع بكا الملايكة
وسماع صوت من السما ينادي واحمداه الحديث وقول جبريل له صلى الله عليه وسلم ان الله يقريك
السلام ويقول لك وهو اعلم كيف تجدك الى غير ذلك وتشريفه بما مر وغيره وصلاة الملايكة على جسده
وفي نسخة عليه وكان المقام للجسد هنا لان الصلاة معناها الدعا وروحه صلى الله عليه وسلم
غير محتاجة لذلك او لنكتة اخرى قيل هي ان الصلاة على جسده وروحه مستمرة دايما لقوله ان الله
وملايكته يصلون على النبي الاية على ما روينا في بعضها اي في بعض طرق حديث الوفاة وهو ما روى
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه لما جهز صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثا وضع على سريره في بيته
فصلت عليه الملايكة فوجا فوجا ثم الناس فوجا فوجا ثم نساوه ثم النسا ثم الصبيان ولم يومهم
احد وكان صلى الله عليه وسلم اوصى بذلك وذلك لعظم امره ولئلا يتنافسوا في الامامة والخلافة
لان الخليفة يستحقها ومن زعم ان المراد بالصلاة مجرد الدعا دون صلاة الجنازة لم يات بشي وكونه
لم يؤمهم احد ذكره الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه في الام وغيره وصححوه وحكمته ما ذكر ولم يدع له

صلى الله

صلى الله عليه وسلم بدعا الجنازة المشهور كما ذكره السهيلي بل قالوا اللهم انا نشهد انك بلغت
الامانة ونصحت الامة الى اخر ما ذكره والحديث بطوله مذكور في كثير من كتب الحديث تركناه لطوله
واستيذان ملك الموت عليه اي طلب الاذن منه في قبض روحه الشريف ان اراد او تركه حيا
ولم يستاذن على غيره نبيا او غيره قبله روى ان جبريل قال له صلى الله عليه وسلم ان ملك الموت
بالباب يستاذن عليك ولم يستاذن على احد قبلك ولا بعدك فقال ايذن له فقال السلام
عليك يا محمد ان ربي امرني ان اطيعك فيما امرتني به ان اقبض نفسك قبضتها وان تركتها فقال اقبض
يا ملك الموت كما امرت فقال جبريل السلام عليك يا رسول الله هذا اخر موطئي من الارض وندايهم
اي ندا الملايكة لهم الذي سمعوه ولم يروا من ينادي ان لا اي بان لا الى اخره فان مصدرية ولا نافية
ينزعوا القميص عنه اي قميصه الذي عليه لما ارادوا نزعه عند غسله بضم الغين ويجوز فتحها
اشارة لما في حديث ابي داود والبيهقي الصحيح عن عايشة رضي الله تعالى عنها انهم لما ارادوا غسله
صلى الله عليه وسلم قالوا لا ندري انجرده من ثيابه كما نجرد موتانا ام نغسله وعليه ثيابه واختلفوا
فغشيهم النوم فاذا قايل من ناحية البيت لا يرونه غسلوه في ثيابه فغسلوه وعليه قميصه يصبون
الما فوق القميص ويدلكونه بالقميص وهو من جملة حديث الوفاة وهذا تكريم له باجرايه على عادته
فانه صلى الله عليه وسلم كان لا يتجرد عند احد واشارة الى ان تغسيله ليس لاحتياج اليه
وانما هو لاجل السنة وكفن في ثلاثة اثواب بيض سحولية وما روي من تعزية الخضر عليه الصلاة
والسلام كما رواه البيهقي في دلايله بسنده لما روي عن علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه انه قال
لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعوا صوتا ولم يروا شخصا وهو يقول السلام عليكم
اهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذايقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة وان في الله
عزا من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فايت فبالله فثقوا واياه فارجوا
واعلموا ان المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته فكانوا يرون انه
الخضر عليه الصلاة والسلام كما رواه البيهقي وابن ابي حاتم وقال في مراة الزمان ان المعزي هو
جبريل لا الخضر ورواه العراقي في تخريج احاديث الاحيا بلفظ ان في الله خلفا من كل احد ودركا
لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فالله فارجوا وبه فثقوا اخر بعضه يقول ان في الله عزا من كل مصيبة
وعوضا من كل رغبة فالله فاطيعوا وبامره فاعملوا فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه هذا الخضر واليسع
ولم اجد في رواية ذكر اليسع واما ذكر الخضر في التعزية فقد انكر النووي وجوده في كتب الحديث
وانما ذكره الاصحاب قلت بل رواه الحاكم في المستدرك من حديث انس ولم يصححه ولا يصح
ورواه ابن ابي الدنيا في كتاب العزا قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع اصحابه
حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل شعر المنكبين في ازار ورداء فتخطى الصحابة حتى اخذ بعضادتي
الباب وبكى ثم قال ان في الله عزا من كل مصيبة وعوضا من كل ما فات وخلفا من كل هالك فالى الله
فانيبوا ونظر الله اليكم في البلا فانظروا فان المصاب من حرم الثواب فقال ابو بكر لعل هذا الخضر اخو
نبينا جا يعزينا ورواه الطبراني في الاوسط واسناده ضعيف جدا وابن ابي الدنيا عن علي بسنده

ايضا وذكره الشافعي في الام من غير ذكر الخضر انتهى وانما قال الحاكم وغيره انه غير صحيح لحديث انه
لا يبقى على وجه الارض ممن هو عليها احد على راس ماية سنة من تلك الليلة واراد به انخرام كل احد
فيشمل الخضر وغيره يعني به انكار وجوده وسيل عنه ابن حجر رحمه الله تعالى فقال سنده ضعيف
ولو قدر ثبوته لم يخالف الحديث المذكور لانه يخص من عمومه ان صح ما ينقل عن بعض الصالحين
من اجتماعه بالخضر الا انا لم نجد خبرا صحيحا يقتضي انه صاحب موسى عليه الصلاة والسلام
والعلم عند الله والحاصل انهم قد اختلفوا في وجوده فالصوفية يثبتون وجوده وان منهم
من راه والمحدثون ينكرونه وبعضهم توقف فيه كابن حجر ومنهم من شدد النكير على من اثبت
حياته كصاحب مراة الزمان حتى صنف في ابطاله كتابا مستقلا سماه عجالة المنتظر في شرح
حال الخضر وكذا لا انكروا ما قالوا المشايخ واختلفوا فيه هل هو نبي او ملك او عبد صالح من اولياء الله
تعالى اطال عمره وجعل مرجع الاولياء والاقطاب اليه وما مر من انه لم ير شخصه يقتضي انه ملك
وقوله والملايكة بالجر عطف على الخضر ليشير لما قلناه اهل بيته مفعول التعزية وهي الارشاد للصبر
والتسلية عند المصيبة واعلم انه ليس الخلاف في وجود الخضر صاحب موسى عليه الصلاة
والسلام انما هو في كونه عاش الى زمن النبوة والى الان الى ما ظهر على اصحابه صلى الله عليه وسلم
والى هذه متعلقة بعقد اي مضموما ما ذكر من اول الفصل الى هنا او منتهيا وهو كما يقوله المصنفون
الى اخره اشارة الى انه ترك امورا كثيرة من جنس ما ذكر والمراد بظهورها عليهم انه شرف بصحبته صلى الله
عليه وسلم اثر فيهم حتى ظهرت منهم امور تشابه ما ظهر منه ببركته صلى الله عليه وسلم من كراماته
وبركاته اي من مثل ذلك في حياته ومرته اي وبعد موته كاستسقا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بعمه
العباس رضي الله تعالى عنه بن عبد المطلب اي تقديمه في دعا الاستسقا كما رواه البخاري وتعبيره عمه
صلى الله عليه وسلم بالعباس وان كان له اعمام غيره لانه لم يعش بعده صلى الله عليه وسلم منهم
غيره العباس وقد صح به في الحديث واعمامه ابو طالب والزبير وعبد الكعبة وحمزة والمقوم وحجل
واسمه المغيرة والعوام وضرار والحارث وهو اكبرهم وقثم مات صغيرا وابو لهب واسمه عبد العزى
والغيداق واسمه مصعب ونوفل فهم ثلاثة عشر ولم يسلم منهم غير حمزة والعباس وجعل بعضهم الغيداق
وحجل واحدا فعدهم اثني عشر واسقط بعضهم العوام وعبد الكعبة فعدهم احد عشر وبعضهم عدهم
سبعة وبعضهم عشرة لاسقاط بعضهم وحاصل ما اشار اليه انه كان في زمن عمر رضي الله تعالى عنه اذا
وقع قحط استسقى بالعباس رضي الله تعالى عنه فوقع جدب شديد في خلافته عام الرمادة سنة سبع
عشرة فقال كعب يا امير المؤمنين ان بني اسرايل كانوا اذا حصل لهم مثل هذا استسقوا بعصبة
الانبيا فقال عمر هذا عم النبي صلى الله عليه وسلم صنو ابيه وسيد بني هاشم ثم صعد المنبر ومعه
العباس وقال اللهم انا نتقرب اليك بعم نبيك ونستشفع به اتيناك مستغفرين مستشفعين
ثم اقبل على الناس وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الى قوله انهارا ثم
قام العباس رضي الله تعالى عنه وعيناه تنضحان فقال اللهم ان عندك سحابا وعندك ماء فانشر
السحاب ثم انزل الماء منه علينا فاشدد به الاصل وصل به الفرع وادرر به الضرع اللهم انك لم تنزل بلاء

الابذنب ولم تكشفه الابتوبة وقد توجه القوم بي اليك فاسقنا اللهم الغيث وشفعنا في انفسنا
واهلينا وفيمن لا ينطق من بهايمنا وانعامنا اللهم اسقنا سقيا وادعا نافعا طبقا سحا عاما اللهم
انا لا نرجو الا اياك ولا ندعو غيرك ولا نرغب الا اليك اللهم اليك نشكو جوع كل جايع وعري
كل عار وخوف كل خايف وضعف كل ضعيف اللهم انا لواعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير
بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى وانت تعلم السر واخفى اللهم
واغثهم بغياثك قبل ان يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فلم
يستتم دعاه حتى نشات سحابة فقال الناس ترون ترون ثم تلاحمت ومشت وانتشرت ثم درت
وارخت عزاليها كافواه القرب فما برحوا حتى علقوا الحذا وقلصوا المازر وطفق الناس يتمسحون
بالعباس ويقولون هنيا لك يا ساقي الحرمين وفي ذلك يقول حسان رضي الله تعالى عنه
سال الامام وقد تتابع جدبنا فسقى الغمام بغرة العباس
احيى الاله به البلاد فاصبحت مخضرة الارجا بعد الياس
في ابيات اخر وتبرك غير واحد اي كثير من الناس بذريته صلى الله
عليه وسلم من السادة الاشراف نفعنا الله تعالى بهم ولهم في ذلك حكايات كثيرة ليس هذا
محلها وقد افرده السيد السمهودي شكر الله تعالى سعيه بتاليف مستقل نافع فصل فيه

الفصل الثلاثون من الباب الرابع

فذلكة هذا الباب قال القاضي ابو الفضل عياض المولف رحمه الله تعالى قد اتينا اي ذكرنا وجمعنا
في هذا الباب الرابع المذكور فيه معجزاته صلى الله عليه وسلم ودلايل نبوته واصل الاتيان المجي
بسهولة وقد يكون بمعنى المرور فيتعدى بعلى ولذا قال على نكت من معجزاته واضحة الا انه يتجوز به
عما ذكر من الجمع وعداه بتعديته الاصلية لانه من لوازم من يريد اخذ شي وجمعه ان ياتي له حتى يصل اليه
ويقال اتى على كذا اذا استوفاه واستوعبه والنكت جمع نكتة وهي الامر الدقيق الذي يحصل بفكر
يقارنه من نكت الارض بقضيب ونحوه كما مر والنكث بمثناة فوقية ومن نطقها بالمثلثة فقد اخطا
فلا وجه لما ذكره البرهان هنا وجمل جمع جملة وهي الامر المجمل من علامات نبوته صلى الله عليه
وسلم مقنعة اي كافية عن غيرها مستعار من القناعة وفي نسخة مغنية بالغين المعجمة والنون
اي يستغني بها عن غيرها وهو مجرور صفة جملة ويجوز نصبه على الحالية في واحد منها الكفاية عن غيره
كالقران اي في الاقتصار عليه وضمير منها للنكت والجمل والغنية بالضم والسكون في ثانيه اي الاستغنا
عن غيره لانه يدل عليه دلالة قوية وتركنا الكثير منها سوا ما ذكرنا اشارة الى ان ما ذكره قليل بالنسبة
لما تركه واقتصرنا من الاحاديث الطوال بكسر الطاجمع طويل على عين الغرض عين الشي المختار منه
وهو المراد منه لا الحقيقة وان كان احد معانيها والغرض ما يقصد منه وفايدته واصل معناه
الهدف كما مر وفص المقصد اي الامر المقصود مثلث الفا بمعنى الاصل يقال اتى بالامر
من فصه اي من اصله قال الشاعر وربامرء تزدريه العيون ويأتيك بالامر من فصه
وفص الخاتم ما يزين به من الجواهر ويقال نقل الحديث بفصه اذا استوفاه وتظرف ابن نباته رحمه
الله في قوله جملت خاتمي فيه فصا ازرقا من كثرة اللثم الذي لم احصه لولاه ما علم
الرقيب بحاله من خاتم نقل الحديث بفصه وقول الجوهري العامة تقول الفص بالكسر ظاهره انه

غير صحيح وقد نقل الثقات كابن السيد وغيره تثليثه كما علم والمقصد بكسر الصاد وهو القياس وفتحها
بعضهم والمراد به المقصود كما صرح به مصدر ميمي تجوز فيه واقتصرنا من كثير الاحاديث وغيرها هو بمعناه
اللغوى اى ما يعد مستغربا غير معهود او غير مشهور والمراد به ما اصطلح عليه المحدثون وهو كما قال ابن
الصلاح ما انفرد به بعض الرواة سوا انفرد بجميعه او بزيادة فيه كزيادة ثلاث في حديث حبب الى
من دنياكم ثلاث النسا والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة التي تفرد بها ابن فورك وتبعه غيره كما
وهو لا ينافي الصحة اذا كان راويه ثقة وقد يكون ضعيفا واضافة كثير من اضافة الصفة للموصوف
اى الاحاديث الكثيرة على ما صح نقله وروايته واشتهر بين المحدثين الا يسيرا اى قليلا نورده وان لم يصح
ويشتهر واليسير ما تيسر وسهل وشاع استعماله بمعنى القليل لسهولته من غريبه اى غريب الحديث
وانما اقتصر على المشهور الصحيح الشامل للحسن لان المعجزات الخارقة للعادة لا تخفى غالبا ثم اعتذر
عن ايراده في كتابه بقوله بما ذكره مشاهير الائمة لانهم يعتمد على نقلهم لشهرة علمهم وفضلهم وان لم يره
لغيرهم وحذفنا اى تركنا وعبر بالحذف وهو الترك بعد الذكر اما لتنزيل ذكر غيره منزلة ذكره او لجعله
لكونه متهما وحقه ان يذكر بمنزلة المذكور والحذف اخص من الترك الاسناد اراد السند تسمحا شايعا وهم
رواة الحديث او هو بمعناه الحقيقي في جمهورها اى معظم الاحاديث واكثرها وقد يورد الحديث
مسندا طلبا للاختصار وعدم التطويل وهو مفعول لاجله وبحسب هذا الباب المذكور في المعجزات
وحسب بفتح فسكون بمعنى كاف او كفاية وهو مبتدا مجرور بالباء الزايدة وخبره ان يكون الاتى اى يكفيه
في شرفه والعلم بكثرة ما ورد فيه عن ذكره واستقصايه وهو في المعنى تعليل ثان لاختصاره
الا ان العبارة لا تخلو من الحزازة لو تقصى مبنى للمجهول بقاف وصاد مهملة اى استوفى وبلغ اقصاه ونهايته
وضبطه بعضهم بفا بدل القاف وهو غير مناسب هنا لان التفصى التخلص وهو غير مراد وتفسيره
بتتبع وتخلص من مظانه تكلف لاحتاج ان يكون ديوانا اى كتابا مستقلا مدونا جامعا لما في غيره وتقدم
الكلام على الديوان وانه معرب بكسر الدال وفتحها يشتمل على مجلدات عدة اى كتب من شانها ان تجلد
متعددة وعدة بكسر العين بمعنى معدودة ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم اظهر من معجزات
ساير الرسل عليهم الصلاة والسلام اى من بقيتها او جميعها بوجهين احدهما كثرتها وشهرتها لان الكثرة
تستلزم الشهرة تنبيه قال التلمساني مجلدات جمع مجلدة وهي الكتب الكثيرة وهي عبارة فقهية
مولدة ولا وجه لان المجلد ما عليه جلد كما في القاموس وفي رسالة المجلد لابي العلا المعري المجلد
لا يزال فيما غبر من الزمان نقيض مجلد العرب من شام ويمان قال الراجز هل انت كاسل المعتمل
مجلد يكشف عن مخض الابل انتهى فقد اثبت ذلك وناهيك به من امام في اللغة فان اراد تخصيصها
بالكتب الضخمة وانها لم ترد في كلام العرب فهو مجاز لا يتوقف على السماع والمجلد يكون بمعنى المنصب
وتظرف بعض المتاخرين في قوله سلكت كتابا اخلق الدهر جلده وما احد في دهره بمخلد
اذا عاينت كتبي القديمة جلده يقولون لا تهلك اسى وتجلد وانه لم يوت نبي معجزة الا وعند
نبينا صلى الله عليه وسلم مثلها اى من نوعها مساويها لها او مقاربة في الاعجاز او ما هو ابلغ منها
ابلغ ليس من البلاغة كما توهمه من قال لكالقران فانه ابلغ معجزة اوتيت فان معناها هنا اعظم

واقوى وليس مقيدا بالقران لان بلوغ الشيء وصوله لغايته ومنتهاه او هو من المبالغة على خلاف القياس
وكثيرا ما يقولونه بهذا المعنى والمعجزة هنا في سياق النفي فتعم وتفيد الكثرة والخارق للعادة اذا
عظم من شانه الشهرة والظهور فلا يرد عليه انه كان ينبغي ان يقول اظهر وانه لا يلزم مما ذكره
الظهور الذى ادعاه وقد نبه الناس على ذلك اى نبه علما الحديث والاثار وفضلوه في كتبهم
كابن المنير في كتابه المقتفى فان اردته اى اردت معرفته والوقوف على ما بينوه فتامل فصول هذا الباب
اى اعد النظر فيه وتامل وتدبر معانيه ومعجزات من تقدم من الانبيا عليهم الصلاة والسلام
تقف بحذف الراء في جواب الامر على ذلك ان شا الله تعالى والوقوف في الاصل القيام تجوز وابه عن المعرفة
وهو مجاز مشهور ثم ان بعض الشراح ذكر هنا امورا شرفه الله بها لغيره من الانبيا لا مساس لها
بالمعجزات تركناها ولم نطول بذكرها واما كونها كثيرة فهذا القران كله معجز وفي بعض النسخ
وكله معجز بالواو فالتقدير فهذا القران موجود معروف وجميع اجزايه معجزة فناهيك به
كثرة ثم شرع في بيان المقدار الذى يقع به الاعجاز فقال واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض
ايمة المحققين سورة انا اعطيناك الكوثر وهي اقصر سورة في القران او اية بقدرها اى مساوية
لها في الحروف والكلمات وسورة مرفوع خبرا قال وفي نسخة بسورة بالجر وذهب بعضهم الى
ان كل اية منه كيف كانت طويلة بقدر سورة ام لا معجزة وزاد بعضهم وفي نسخة اخرون اى
ترقى عن هذا المقدار الى ان كل جملة منتظمة منه اى مفيدة تامة معجزة وان كانت من كلمة
او كلمتين فان قلت كيف تكون جملة منتظمة وهي كلمة قلت يكون فيها مقدر كمدهامتان ونحوها
فتامل وليس هذا مبنيا على ان اعجازه بالصرفة كما قيل والحق ما ذكرناه اولا من ان المعجز اقصر سورة
او مقدارها لقوله تعالى فاتوا بسورة اى سورة كانت من مثله في الاعجاز والضمير للقران
او للنبي صلى الله عليه وسلم كما في الكشاف وفيه كلام مشهور ودخل مقدار السورة
فيه بدلالة النص فلا يتوهم انه ليس فيه التعرض للدليل على مدعاه فهو اى ما ذكر اقل ما تحداهم
الله او الرسول صلى الله عليه وسلم به اى طلب منهم معارضته مع ما ينضم لهذا القول المذكور
اولا اى يقويه ويؤيده من نظر اى فكر وتدبر وتحقيق يطول بسطه ببيان الحق بالادلة والبراهين
القايمة لمن تدبره ونظر ما فيه من مراعاة كل مقام وما احتوى عليه من الجزالة واللطافة التى
تحير العقول فقد تحداهم اولا بجملته فقال فاتوا بكتاب من عند الله ثم تحداهم بعشر سور
فقال فاتوا بعشر سور ثم تحداهم بسورة فسجل عجزهم بعد ارخا عنان التكليف والحاصل
ان الكلام اللفظي الذى وقع التحدى به لا النفسي فانه لا يتصور فيه ذلك على الصحيح
اختلفوا في مقدار معجزه فذهب بعض المعتزلة الى انه بجميع القران ورد بالايتين المذكورتين
وقال القاضي يتعلق بسورة طويلة او قصيرة لظاهر الاية وقال في موضع بها او بمقدارها قالوا
ولم يقم دليل على العجز عن اقل من هذا القدر وقيل لا يحصل العجز الا بايات كثيرة وقيل قليله
وكثيره معجز لقوله فليأتوا بحديث مثله فاذا كان هذا اى ثبت ان ما تحداهم به هذا القدر
الاقل ففي القران من الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف اى وزيادة على هذا

المقدار من ناف يعني زاد ويا وي تخفف وتشدد وكلما زاد على عقد حتى يبلغ ما بعده فهو نيف على عدد
بعضهم اي هذا مقداره عند بعض دون غيره فانه كما قال الداني رحمه الله تعالى سبعة وتسعون
بالتا الفوقية الفا واربعماية وتسع وثمانون كلمة وحروفه ثلاثماية الف وثلاثة وعشرون
الفا وقيل ثلثماية الف واحد وعشرون الفا وخمسماية وثلاثة وثلاثون حرفا وقيل انه الصواب
لا ما ذكره المص وهذا مع تصريحه بالنقل واثباته بلفظه غير وارد عند من انصف والحمق في عدده
اختلاف قيل لان الكلمة والحرف لهما اطلاقات وقول السخاوي لا فايدة في عد حروفه لانه لا يقبل
زيادة ولا نقصا لا وجه له غير الكسل وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فيجزى
القران بصيغة المصدر وفي نسخة فيجزى بالمضارع المجهول واخره مهموز ويجوز ابداله الفا اي بان نعد
عشر ايات عشرة اجزا على نسبة انا اعطيناك الكوثر اي على مقدارها وانما زاد نسبة ليشمل اية
واحدة بمقدارها كما مر فالنسبة مجاز عن المقدار ومعناها الحقيقي لغة واصطلاحا مشهور
ازيد بالرفع خبر تجزى المصدر وبالنصب ان كان فعلا اي تجزيه ازيدا ويكون زيد من سبعة
الاف جز كل واحد منها معجز في نفسه اي بقطع النظر عن غيره ففيه ازيد من سبع الف معجزة وهذا
مبني على ما تقدم من التعدد ثم اعجازه اي القران كما تقدم من ذكر الاختلاف في مقداره بوجهين
الاول بلاغته اي ما فيه من مراعاة الوجوه التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال والثاني طريق نظمه
اي اسلوبه وكونه على نسق لا يشبه غيره من الكلام نظما وسجعا ونثرا وتناسب كلماته وجمله واتيا
كل كلمة منه ما تستحقه وتنزيلها في محل لا يليق بها غيره كما يعرفه من ذاق طعم البلاغة فقارية لا عيله
وان كرره كما لا يخفى على من تامله حق التامل وتطرقه بنور الايمان فصار في كل جزء من هذا العدد
المذكور انفا معجزتان من جهة بلاغته ومن جهة نظمه فتنضاعف العدد اي عدد معجزاته وهو ماض
من التفاعل ومضارع من المفاعلة من هذا الوجه اي من هاتين الجهتين البلاغة والنظم فان قلنا
كلماته معجزة صار فيه من المعجزات ما لا يعد ولا يحصى قال ابن عطية رحمه الله تعالى الصحيح الذي
عليه الحذاق ان اعجازه بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة الفاظه لانه عز وجل احاط بكل شي
علما وبكل كلام فاتى كلامه بما لا يحيط به علم غيره وقدرته وبهذا ابطل القول بالصرفة ثم فيه
وجوه اعجاز اخر غير ما ذكر من الطريقين من الاخبار بعلوم الغيب بيان الوجوه اي الامور المغيبة بما
سبق وسيقع فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزية اي الاجزا المذكورة المضاعفة
من جهتي الاعجاز الخبر اي الاخبار عن اشيا من الغيب اي الامور المغيبة عن علمنا كل خبر منها بنفسه
معجز اي باعتبار اخباره عن الغيب وقطع النظر عن غيره من وجوه الاعجاز فتنضاعف بصيغة
الماضي والمضارع كما مر العدد المذكور اي العدد المضاعف لقوله كرة اخرى اي بعد مضاعفته
السابقة وكرة بمعنى مرة واصل الكر الرجوع بعد الفر فهو ضد الفر قال امرء القيس مكر مفر مقبل
مدبر معا ثم وجوه الاعجاز الاخر التي ذكرناها وهي ذكر المغيبات توجب التضعيف والزيادة
الى ما لا يكاد يحصى كثرة هذا في حق القران دون غيره من المعجزات التي تزيد على معجزات ساير الانبيا فلا
يكاد يأخذ العد معجزاته وفي نسخة العدد وهما بمعنى والمراد بالاخذ الاحاطة مجازا بليغا كقوله

لا تاخذه سنة ولا نوم اي لا يغلبه ذلك اي لا يحيط بها العدد لكثرتها وهو مبالغة ولذا قال لا يكاد
ولم يقل لا يعد ولا يحوي الحصر اي الاحاطة براهينه اي براهين اعجازه لان كل جزء فيه معجزة قاطعة البرهان
واضحة البيان ولما فرغ من وجوه الاعجاز العقلية اردفها بالنقلية فقال ثم الاحاديث النبوية
الواردة في الروايات الصحيحة والاخبار الصادرة عنه عليه الصلاة والسلام في هذه الابواب
اي ابواب اعجاز القران والتحدي به او ابواب معجزاته عليه الصلاة والسلام كما يؤيده قوله وعن ما دل
على امره اي نبوته وعلو شانه مما اشرنا فيما سبق من هذا الكتاب الى جملة منه وفي نسخة الى جمل يبلغ
نحو اي قريبا من هذا المقدار الكثير الوجه الثاني من وجهي ظهور معجزاته وشهرتها وانها اظهر من معجزات
ساير الرسل قبله ووضوح معجزاته اي شهرتها بحيث لا يجهل وهذا عين ظهورها او مستلزم له والمراد
شدة ايضاحها بحيث لا تخفى على احد غير اعمى الفكر والنظر وانها لا يرتاب فيها عاقل مع تعاقبها
على مر الدهور وازدياد شهرتها في كل عصر كالشمس في رابعة النهار وهذا مما يدل على ظهورها
دلالة ظاهرة لا عينها فسقط ما قيل ان المدعى ان معجزاته اظهر من غيرها والوضوح عين الظهور
فهو مصادرة للاستدلال على الشي بنفسه وحاصله الظهور بالكثرة فيرجع الى الوجه الذي قبله
الا ان يقال المراد بقاؤها على وجه الدهر الى يوم القيامة فيكون المراد الزيادة في الوضوح بهذا الاعتبار
وان كان فيه الاخبار بمعجزات الرسل وفيه خلط وخبط لا يخفى وقد اشار الى ما ذكرناه المص بتفسيره
فان معجزات الرسل كانت بقدر همم اهل زمانهم اي همتهم فيما يهتمون به ويعتنون وبحسب بفتح الحا والسين
المهملتين وقيل انه بسكون السين وهو بمعنى المقدار الفن اي النوع الذي سما اي اشتهر وعلا مقداره
بينهم لاعتنايهم به فيه قرنه بفتح القاف وسكون الرا اي عصره والمراد به اهله مجازا او بتقدير مضاف
والقرن الزمن المقترن فيه اعمارهم واحوالهم واختلف في مقداره هل هو ماية سنة او ثمانون او اقل
كما تقدم ثم فصل هذا بقوله فلما كان زمان موسى كليم الله عليه الصلاة والسلام اي زمن بعثته
ونبوته غاية علم اهله اي اهمه واعظمه عندهم السحر وهو معروف تقدم الكلام عليه بعث
اليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه وليست منه للفرق بين السحر والمعجزة فجاءهم
على يد موسى عليه الصلاة والسلام منها ما خرق عادتهم اي خالف ما يعتادونه ويسهل عليهم
فعله واصل الخرق بانه جسم من اخر فتقبل لما ذكر كخرق الاجماع اي مخالفته وهو استعارة صار
حقيقة عرفية وذلك كقلب العصا حية واليد البيضاء من غير سوء ولم يكن ما جا به في قدرتهم
اي لا يقدرون عليه فيدخل في جملة مقدوراتهم وقد ابطل سحرهم بما عارضهم به وهي جملة حالية
يشير الى ما قصه الله تعالى في كتابه العزيز وفي نسخة وابطل بدون قد فهو معطوف على جاءهم
وكذلك اي كزمن موسى عليه الصلاة والسلام زمن عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم اغنى
ما كان الطب اي اعظم ما كان في عصره وعهد رسالته عليه والطب في اللغة معناه العادة
والسحر وفي العرف علم يعرف به احوال الانسان من حيث الصحة والسقم واغنى افعل تفضيل
بغين معجمة ونون من الغنا وهو الفايدة وقيل انه بعين مهملة ومثناة تحتية اي اكثر مشقة
وتعبا وقيل انه بغين معجمة ومثناة تحتية من الغاية وهو النهاية وهو بعيد ولم نره في كلامهم

لتفسيره بانه في الطب مثلث الطا مشدد البا او وقوما كان اهله اى اهل الطب وعلماوه اى اكثر ما كان
في زمانهم فجاهم على يد عيسى عليه الصلاة والسلام امر لا يقدرون عليه بواسطة علمهم بالطب
فانهم لا يقدرون على ازالة الامراض المزمنة والخلقية وقدرتهم في الاكثر على حفظ الصحة وكم مرض
اعيى الطبيب المداويا واتاهم ما لم يحتسبوا اى ما لم يخطر ببالهم وقدر حسابهم وما لم يرو قبوه
وجعل امرهما فاعلا ولم يقل اتاهم بامر وبما وهو الظاهر اشارة الى انه من عند الله من غير تصنع وحيلة
وفي نسخة يحسبوا اى يظنوا ويقدروا قيل ويجوز فيه ضم اليا اى يتكرونه وهو بعيد لفظا لا معنى
من احيا الميت بتخفيف اليا وتشديدها وابرا الاكمه اى الذى ولد اعمى مطموس العين اى فتح عينه حتى يبصر
والابرص وهو الذى عينه بياض خالف لونه والخفيف منه يسمى بهقا من دون معالجة المعالجة المزاولة
وعند الاطبا مداواة الامراض بعد تشخصها وطبا المراد به هنا المعنى المصدرى اى اعطا الدوا وانما كان
مداواة عيسى عليه الصلاة والسلام بالدعا والتوجه الى الله تعالى وكان يجتمع عنده من المرضى العدد
الكثير ومن لم يقدر على المجى اليه يذهب بنفسه اليه وكان اطبا عصره لا يقدرون على ما ذكر فلذا كان
معجزة له صلى الله عليه وسلم تنبيه قال البخارى في تفسير الاكمه انه الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل
انتهى وقال السهيلى انه قول غيره فلا يرد الاعتراض بانه معنى الاعشى وانما الاكمه من ولد اعمى وهكذا
اى مثل ما ذكر ساير معجزات الانبيا في انها كانت بمقدار علم اهل زمانهم وما يمتون به من الاحوال والعلوم
ثم ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وجملة معارف العرب جمع معرفة بمعنى المعروف عندهم لا جمع معروف
ضد المنكر المجهول كما قيل وعلومها اى ما يعلمونه من الجزيات والكليات اربعة انواع البلاغة اى الملكة
والحيلة التى يعرفون بها تادية الكلام حقه في كل مقام من مقاماته نظما ونثرا وهم فرسان ميدانها
والشعر الكلام الموزون المقفى والخبر عمن سلف وما لهم من الوقايع والايام والانساب والمنازل
والكهانة بفتح الكاف مصدر وبكسرها صناعته وحرفته وهى معاناة علم المغيبات بتلقيها عن الجن
كما مر فانزل عليه القران اى انزل الله عليه صلى الله عليه وسلم ما يناسب قرنه واهل عصره اعنى القران
اى كلامه الموحى اليه الخارق اى المخالف لهذه الاربعة فصول اى الانواع المذكورة وهى البلاغة وما معها
فهى جمع فصل وهو النوع المستقل المنفصل المتميز عن غيره من الفصاحة وهى خلوص الكلام عن الغرابة
وغيرها مما يشينه من فصح بمعنى خلص وشمل البلاغة والفرق بينهما اصطلاح طارى في علم المعانى
ومعناهما عندهم غنى عن البيان لشهرته والايجاز اى اختصار الكلام اختصارا غير مخل ويقابله الا
طناب والمساواة ولم يذكرهما لعلمهما بالمقابلة ولانهما الاكثر ونكات الايجاز اكثر واعظم فهو اهم
عندهم والبلاغة وقيدها بقوله الخارجة عن نمط كلامهم اى كلام العرب لدخولها في الفصاحة
كما مر والنمط بمعنى الجنس والطريقة اى لا يعرفون مثل بلاغته لخروجها عن جنس بلاغتهم وما يعهدونه
في مخاطباتهم ومحاوراتهم والنمط الجماعة من الناس امرهم واحد فاستعير لما ذكر اى نوعه وطريقه
ومن النظم اى تاليف الكلمات وتركيبها متناسبة كنظم الجواهر وعقدها وليس المراد الكلام المنظوم
شعرا الغريب الذى لم يعهده البلغا في كلامهم والاسلوب اى الطريق العجيب اى الذى يتعجب منه سامعه
او يعجبه ويستحسنه الذى لم يهتدوا اى لم يصلوا ويقدروا في المنظوم اى المولف من كلامهم الى طريقه

فضلا عن الاهتدا اليه نفسه حتى يعارضوه وينسجوا على منواله الذى هو نسيج وحده ولا علموا في اساليب
الكلام مطلقا او المنثور من خطبهم واسجاعهم والاوزان الشعرية الموزونة على بحوره منهجه اى طريقه
ومن الاخبار بكسر الهمزة ويجوز فتحها جمع خبر عن الكواين اى عما سيكون في المستقبل من المغيبات جمع
كاين وهو معطوف على قوله من النظم واعاد من لانه نوع اخر من الاعجاز ولطول الفصل بينهما كقوله
فان لم تفعلوا ولن تفعلوا او الحوادث اى ما يحدث في المستقبل ايضا والاسرار اى ما اسروه في انفسهم
كقوله تعالى في قصته ازواجه صلى الله عليه وسلم واظهره الله عليه والمخبآت اى ما اخفوه
عنه فاطلعه الله عليه والضماير اى ما اضمروه في انفسهم كقصة مسجد الضرار ثم فسر ذلك بقوله
فتوجد تلك الامور المخبر عنها وما اسر واخفى عنه على ما كانت عليه ذاتا وصفة مطابقة لما قاله
ويعترف ويقر المخبر بفتح البا اسم مفعول اى من اخبره الرسول بما اطلعه الله عليه عنها بصحة ذلك
الخبر الذى اخبره به وصدقه بمطابقته للواقع وان كان المخبر بالفتح اعدا العدو اى اقوى اعدايه
واشدهم عداوة له صلى الله عليه وسلم فاعدا افعل تفضيل من العداوة مسموع على خلاف
القياس والعدو بمعنى الاعدا لانه يطلق على الواحد وغيره كقوله تعالى من قوم عدو لكم اى مع
شدة عداوته لا يمكنه انكاره هربا من وصمة التكذيب لظهور صدقه فابطل القران او النبى صلى الله
عليه وسلم الكهانة بفتح الكاف مصدر وبكسرها صناعته وحرفته كما مر والرواية هنا الكسر
لان الانسب التى تصدق مرة وتكذب عشرا صفة الكهانة اى التى كذبها اكثر من صدقها كما ورد
في الحديث انه تعالى كان اذا قضى امرا في السما سبحت حملة العرش ثم اهل كل سما حتى ينتهى الى السما الدنيا
فتستخبر اهل كل سما من فوقهم حتى ينتهى الخبر الى اهل هذه السما فتخطفه منهم الجن ويزيدون فيه
من عندهم ما يريدون من اكاذيبهم وبما فسرناه ظهر سقوط ما قيل صوابه ماية بدل قوله عشرا لانه
ورد في الحديث يكذب ماية او اكثر من ماية ثم اجتثها بجيم ومثناة فوقية ومثلثة والضمير
للكهانة اى قطعها بعد ابطالها وعطف بثم لانه ابلغ مما قبله وابعد رتبة واصل معناه نزع
الشجر ونحوه بعروقه واصوله كقوله اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار ففيه استعارة
مرشحة بقوله من اصلها وان كان المراد به ازالتها بالكلية برجم الشهب بضم الها وسكونها جمع
شهاب اى رمى الشياطين بشهب تمنعهم من استراق السمع لما تلقى الكهنة والمراد زيادة الرمى
وكثرته فانه كان قبل كما مر وفي نسخة رجم بدل رمى ورصد النجوم رصد بسكون الصاد مصدر
رصده يرصده اذا ترقبه واعد له ما يمنعه ويجوز فتحها ويكون واحدا وجمعا للراصد
كخدم فهو من اضافة الصفة لموصوفها اى النجوم المرصدة اى المعدة لمنعهم من السمع وذلك
لان الشهب نجوم او شعل نار تنفصل منها وارتضاه كثيرون فوضعها لانها مبدا ما يمنعهم
وجا في القران من الاخبار عن القرون والامم السالفة اى الماضية قديما وانبا جمع نبا وهو
الخبر الانبيا والامم البايدة اى الهالكة الفانية في الزمن السابق يقال باد يبيد اذا هلك وفي
الحديث الجنة لا تبيد ابدا اى لا تهلك ولا عرف اهلها والحوادث اى الامور الواقعة من خير
وشر في الازمان السالفة الماضية قبل ذلك ما يعجز عن تفرغ لهذا العلم اى العلم بالاخبار

وتواريخ الامم عن بعضه اى عن معرفة بعض منه فضلا عن جميعه وما فاعل جاو من فاعل يعجز
على الوجوه التى بسطناها اى جا مبنيا على وجوه تقدمت مفصلة وبيّنا المعجز فيها اى اوضحنا المعجزات
فيها بما اغنى عن اعادته ثم بقيت هذه المعجزة اى القران وفى نسخة المعجزات باعتبار وجوه اعجازه
الجامعة لهذه الوجوه اى وجوه الاعجاز المذكورة انفا المضمومة الى الفصول الاخر يعنى الاربعة
المتقدمة التى ذكرنا فى معجزات القران ثابتة الى يوم القيامة لا تبدل ولا تغير ولا تذهب بقاها الله
بينة الحجة اى ظاهرة الدلالة على رسالته صلى الله عليه وسلم لكل امة تاتى بعد نزول القران
جيلا بعد جيل وعصرا بعد عصر ولا يخفى وجوه ذلك الاعجاز الذى ذكرا ولا على من نظر فيه اى
نظر فى القران بتلاوته او سماعه وتامل وجوه اعجازه اى اطال النظر فيها وكرره وهو من الامل
تفعّل يتجوزبه عما ذكر لترقب الامل وامتداده الى ما اخبر به من الغيوب اى مع ما اخبر به من المغيبات
على هذا السبيل والطريق المذكور فلا يمر عصر وزمن اى يجى كالمار على اهله وليس المراد به
ينقضى لقوله الا ويظهر فيه صدقه القران والنبى صلى الله عليه وسلم بظهور مخبره
بفتح البا اى ما اخبر به او خبره على ما اخبر اى كاينا متحققا على وفق خبره او باقيا على حاله
فى وجوه اعجازه السابقة اى اخبر فهو مبنى للفاعل فيتجدد الايمان به كل ما ظهر امر جديد مصدق له
بوقوع ما فيه وتتظاهر البرهان اى يقوى الدليل ويزيد قوة واصل التظاهر المعاونة والمساعدة
كانه يستند لظهره وليس الخبر كالعيان وهو بكسر العين المعاينة والمشاهدة ولا تفتح العين
وهو مثل وورد فى الحديث الصحيح ليس الخبر كالمعاينة لان الخبر يحتمل الصدق والكذب بقطع
النظر عن قايله فاذا شوهد معناه بان المراد واطمان الفواد ولذا قال ابراهيم ولكن ليطمين
قلبى كما قيل ولكن للعيان لطيف معنى له سال المعاينة الكليم وللمشاهدة بحس البصر
زيادة فى اليقين الذى كان بالبرهان القاطع والنفس اشد طمانينة الطمانينة والاطمينان السكون
بعد الانزعاج الى عين اليقين اى الى ما يتيقن بالمعاينة والمشاهدة منها اى من طمانينتها الى علم
اليقين اى العلم المتيقن بالبرهان القاطع فالنفس مفضل ومفضل عليه باعتبار حالتين
وان كان كل من عين اليقين وعلم اليقين عندها اى عند النفس وفى علمها فان عند تكون بمعنى العلم
كافى عند الله بعلمه تارة وحكمه اخرى حقا اى متحققا ثابتا بلا مرية لكن الاول اقوى وفيه اشارة
الى الفرق بين عين اليقين وعلم اليقين وحق اليقين وفيه كلام فصلناه فى غير هذا المحل والاول
ضرورى وغيره نظرى وساير معجزات الرسل تقدم وفصلناه فى شرح الدرة ان لفظ ساير ورد بمعنى
الباقى من السؤر المهموز وبمعنى الجميع من السور المعتل وان من انكر الثانى كالحريرى وغيره لم يصب
انقرضت بانقراضهم اى انقطعت وذهبت معهم بسبب ذهابهم وعدمت بعد وجودها وعدم
مبنى للمجهول لانه يتعال عدمته كعلمته بمعنى اعدمه وعدم بزنة كرم بجدم بفتحتين وبضم فسكون
ذواتها اى الرسل وفى نسخة ذواتهم جمع ذات بمعنى نفس وفى ثبوتها فى اللغة كلام تقدم ويانى والمعروف
انه بمعنى صاحبة مونث ذو والمشهور فى الغريبة اى تلك المعجزات تعدم فتنقرض وان علم ثبوتها
لكونها امرا غير مؤبد ومعنى عدم ذوات الانبيا ذهابها من الدنيا وعن الحس وان كانت باقية

في البرزخ

فى البرزخ احيا الا يموتون كما فى حديث الاسرا والاجتماع بالانبيا ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم
يعنى القران لا تبيد اى لا تفنى وتعدم ولا تنقطع اى تذهب بالكلية وايانه اى معجزاته صلى الله
عليه وسلم التى تضمنها القران تتجدد ولا تضمحل بالضاد المعجمة والميم والحا المهملة واللام المشددة
اى لا تتخلل وتفنى كاضمحل السحاب اذا انقشع ولهذا المذكور من بقا معجزاته صلى الله عليه وسلم
اشار صلى الله عليه وسلم بقوله فى حديث صحيح رواه البخارى رحمه الله تعالى والاشارة هنا
بمعنى التصريح او عبر به لانه غير صريح فيما ذكر لان الوحى الاتى اعم من القران فيحتمل ان المراد به احكام
شريعته الباقية الى يوم القيامة والظاهر ان المشار اليه ما ذكر من ان القران فيه معجزات لا تحصى
وليس بصريح للحديث كما سنبينه فيما حدثنا به القاضى الشهيد ابو على بن سكرة وقد قدمنا ترجمته
قال حدثنا القاضى ابو الوليد تقدم ايضا قال حدثنا ابو ذر الهروى وقد تقدم قال حدثنا ابو محمد
بن حموية السرخسى وقد تقدم وابو اسحق المستملى كما تقدم وابو الهيثم الكشميهنى كما تقدم قالوا
حدثنا الفربرى راوى صحيح البخارى وقد تقدم ضبط نسبته قال حدثنا البخارى صاحب الصحيح
المشهور قال حدثنا عبد العزيز بن عبد الله العامرى الاويسى الفقيه الحافظ الثقة وترجمته فى الميزان
قال حدثنا الليث تقدمت ترجمته عن سعيد المعروف بالمقبرى عن ابيه كيسان ابو سعيد
المقبرى نسبة للمقبرة لانه كان يتولى حفرها وهو مولى بنى ليث روى عنه اصحاب الكتب الستة
وتوفى سنة مائة فى خلافة الوليد وهو ثقة عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه عبد الرحمن بن صخر
وفى اسمه اختلاف كبير لشهرته بكنيته كما مر عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث صحيح رواه
البخارى ومسلم والنساى وما ذكره المص لفظ البخارى قال ما من الانبيا نبى ما من نبى من الانبيا
الا اعطى بالبنا للمجهول اى الا اعطاه الله من الايات اى المعجزات الظاهرة ما مثله ما موصولة
او موصوفة امن بالمد ماض اى صدق عليه البشر على تقليليته كما فى قوله تعالى على ما هداكم
او تقديره مستقرا عليه البشر يعنى اهل عصره وانما كان الذى اوتيت من الايات والمعجزات
وحيا اوحاه الله الى يعنى القران المعجز المتحدى به ثم رتب عليه قوله فارجو من الله بما اكرمنى به
من المعجزة المشتملة على معجزات لا تتناهى الباقية الى يوم القيامة التى ليست كمعجزة غيرى
تنقرض بانقراضهم فيؤمن بها فى كل امة ما لا يحصى فلذا رجوت ان اكون دونهم اكثرهم تابعا
اى امة يوم القيامة اذا حشرت الامم لا يقبل نسخا ولا تبديلا ولا ينسى كغيره من الكتب
والمعجزات ومثله المتقدم المراد به نفسه كما فى قولهم مثلك لا يبخل وعليه للتعليل كما مر
وغيرها لما فيها من الدلايل على الاستعلا بالقهر والغلبة الملزوم لهم بالايمان به وقال
اعلم مع كثرة ماله من المعجزات اشارة الى انه اعظم معجزاته والعرب قد خص النبى فخر كامل
منه بادعا ان ما عداه لا يعد معه لكفايته عن غيره وقد حقق الله رجاه صلى الله عليه
وسلم وهو الظاهر من معنى الحديث والصحيح ان شا الله وقد تقدم الكلام على هذا الحديث
مستوفى ثم اشار الى ان فيه وجها اخر بقوله وذهب غير واحد اى كثير من العلما اى علما
الحديث فى تاويل هذا الحديث اى تفسيره وبيان ما يؤول اليه وعزا لتاويل اشارة الى انه

مع انبيائهم هذا بمعنى هذا الحديث
عند بعضهم من فسره وبين المراد
منه ففيه اشارة الى كثرته ما فيه
من المعجزات باق على وجه
الدهر الى يوم القيامة
حر حر حر
حر

خلاف الظاهر بعد ما صرح به وظهور معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم اى في بيان وجه ظهورها الى
معنى لاخر غيرها ارتضا لامن ظهورها اى بيان ظهورها بكونها اى هذه المعجزة الباهرة وحيا اى كلاما
موحى اليه من الله فقوله وكلاما عطف تفسير لان الوحى يحتمل المعنى المصدرى ثم بين وجه الظهور
على هذا فقال لا يمكن ان يكون التخيل فيه تفعل من الخيال بالخا المعجمة وفي نسخة التخييل بالتفعيل منه
والاولى انسب بقوله ولا التحيل عليه بالحا المهملة لانه كلام بليغ دال على معناه وما قصده
دلالة لا يمكن الواقف عليه ان يقول انه تخييل وتمويه لا اصل له ولا ان يعمل حيلة في الاتيان
بمثله كما فعل سحرة موسى عليه الصلاة والسلام بحبالهم اذ جعلوها تتحرك كعصاه والتشبيه
به فان غيرها اى غير المعجزة القرانية من معجزات الرسل كلها قد رام اى قصد وطلب المعاندون
اى المنكرون لها عنادا وابا شيا متعلق برام طمعوا اى توهموا الجعل كالمتوهم لقربه منه معنى
في التخييل والتمويه بها باظهار ما لا حقيقة له على الضعفا المراد بهم العامة الذين ضعف
عقلهم عن الفرق بين السحر والمعجزة لعدم تمييزهم كالقا السحرة عند فرعون جمع ساحر حبالهم وعصيهم
جمع حبل وعصا لابطال معجزة عصى موسى بالاتيان بمثلها فلما ابتلعت عصى موسى عليه الصلاة
والسلام ما القوه وابطلته علموا انها معجزة فامنوا به واختاروا القتل على اتباع فرعون
ولم يغن كيده شيا وشبه هذا المذكور في قصة موسى مما يخيله بالمعجمة اى يلبس به وغيره
الساحر او يحيل فيه بالحا المهملة اى ياتى به حيلة منه غير واقعة ثم اشار الى ان معجزة نبينا
صلى الله عليه وسلم لا تقبل ما ذكر بقوله والقران كلام من جنس الكلام البالغ غاية البلاغة
ومثله ليس للحيلة عن لا يقدر عليه ولا للسحر في التخييل فيه بان يعمل بقوة السحر ما يوري شخص
لا بلاغة له حتى يتكلم بكلام بليغ خطبة او شعرا عمل اى تاثير كما عرفته انفا فان ساحرا الوانى
عاميا لا قدرة له على كلام حسن لو سحره بجميع انواع سحره لا يمكنه ان يقوم في نادى منشدا
او خطيبا فانه امر جبلي لا يمكن ايجاده لغير خالق القوى والقدر فتجد الجلف الاعرابي يتكلم بكلام
عند اعقل الناس واظرفهم لا يمكنه ان ياتي بشي منه وبهذا علم ان الكلام لا يكون بحيلة
ولا سحر فما بالك بكلام افحم جميع الفصحا واخرس السنة البلغا وهو المراد بقوله فكان القران
من حيث كونه كلاما من هذا الوجه اى من الجهة المذكورة بقطع النظر عن غيرها من جهات الاعجاز
عندهم اى عند المفسرين لهذا الحديث بما ذكر ثانيا اظهر من غيره من المعجزات لعدم قبول التخييل
والتمويه كما لا يتم اى يحصل ويتيسر وعبر بالتمام لانه يتحقق به الامر ولذا يقال الاعمال بخواتيمها اى
باواخرها الشاعر يتكلم بالمنظوم ولا لخطيب يتكلم بالمنثور ان يكون شاعرا او خطيبا بضرب اى
بشي ونوع من الحيل جمع حيلة والتمويه اى التخييل والتلبيس وهو ماخوذ من قولهم موه النحاس
بذهب او فضة ليتوهم من راه انه ذهب او فضة وهو في الاصل من المايعات يذاب فيصير
كالماء ثم يطلى به وتقول العامة لمذابه ما الذهب وما الفضة وصنعة فعل يكون للتشبيه
كثيرا فانكار اهل المعاني لقوله انف مستسح بمعنى كالسراج في البريق واللمعان لا وجه له كما مر
والتاويل اى التفسير الاول الذي قال انه الظاهر الصحيح لخلصا فعل تفضيل من خلص مخايجه

ولام وصاد مهملة اى اصفا من الكدر اى الاشكال قال في المغرب الخلوص الصفا ويستعار
للوصول انتهى وهو بمعنى اجود او من الخلاص بمعنى النجاة والسلامة وارضى افعل تفضيل من الرضى اى
اكثر رضى وقبول عند العقول السليمة وفي هذا التاويل الثاني الذي ذهب اليه غيره من علما الحديث
ما يغمض بالبنا للمجهول وتشديد الميم قبل ضاد معجمة من تغميض الجفن وهو غطا العين ومعنى
يغمض عليه الجفن ان يغض عنه البصر والنظر فلا يلتفت اليه ويعتنى به او هو كالقذى في العين
الذي يمنع انفتاح الاجفان وهو كناية عن انه غير سالم من الاعتراض ويغضى بغين وضاد معجمتين
والف مبنى للمجهول لاجل قافية السجع من اغضى الجفن اذا اطبقه او بمعنى سكت وهو قريب مما
قبله قيل جعله مهجوا لما فيه من ايهام ان معجزات الانبيا عليهم الصلاة والسلام تمكن
معارضتها ولو بطريق التخييل والحيلة وفيه وجوه اخر وجه ثالث في اعجاز القران وانه اعظم
معجزاته صلى الله عليه وسلم على مذهب من قال بالصرفة على ان اعجازه بصرف الله قدرتهم وتمكنهم
من معارضته مع انهم بحسب الجبلة قادرون على الاتيان بمثله لولا ما ذكر واليه ذهب النظام
وكثير من المعتزلة والشريف المرتضى من الشيعة وان المعارضة له والاتيان بمثله كانت
في مقدرة البشر فصرفوا عنها اما بسلب قدرتهم ودواعيهم او بسلب علمهم بتاليف كلام مثله
وتمكنهم منه او على احد مذهبي اهل السنة من ان الاتيان بمثله من جنس مقدورهم على الاتيان
بكلام من جنسه اى مما هو في قدرتهم متمكنون منه ولكن لم يكن ذلك قبل بالبنا على الضم اى
قبل ظهوره ولا يكون بعد بالضم وقيل المراد قبل التحدي وبعده لان الله لم يقدرهم بسكون
القاف وفتحها وتشديد الدال وتخفيفها اى لم يجعل فيهم القدرة على الاتيان بمثله قبله لانهم
لم يسمعوا كلاما مثله ولا يقدرهم عليه بعده ولما كان هذا المذهب قريبا مما قبله اشار
الى الفرق بينهما بقوله وبين المذهبين اى مذهب الصرفة والمذهب المذكور بعده فرق بين
بالتشديد واضح ظاهر لتمكنهم على الاول من الاتيان بمثله لكن صرفوا عنه ولعدم تمكنهم
منه على الثاني مع انه من جنس مقدورهم ومثله في الجملة وليس هذا نوعا من الصرفة وذهب
اليه بعض اهل السنة كما توهم وهو عجيب من قايله فتدبر وعليهما جميعا اى على هذين القولين
فترك العرب الفصحا على المذهب الاول الاتيان بما في مقدورهم اى قدرتهم على الاتيان بما هو من مثله
او مثل بعضه كاقصر سورة منه او تركهم على الثاني ما هو من جنس مقدورهم اى من جنس كلامهم
البليغ الذي يقدرون عليه ورضاهم اى اختيارهم بالبلاء اى بما ابتلوا به لعنادهم والجلا بفتح
الجيم واللام والمد بوزن البلا وهو الخروج من ديارهم واوطانهم والسبا بكسر السين المهملة
والموحدة والمد وهو سبي اولادهم واهلهم واسترقاقهم والاذلال لانفسهم واهليهم
وتغيير الحال التي كانوا عليها من العزة والشهامة وسلب النفوس بالقتل والفتك فيهم والاموال
باخذ الغنايم منهم والتقريع باللوم والزجر والتعيير والتوبيخ بذمهم وتقبيح ما هم عليه
من الجهل والتهجين باظهار عجزهم بالتحدي والتهديد لهم بانذارهم بعذاب الدنيا والاخرة
والوعيد بما يقع بهم ان لم يومنوا ابين اية اى اظهر علامة وهو خبر قوله فترك العرب

للعجز عن الاتيان بمثله اى بمثل القران فى فصاحته واعجازه والنكول وهو النكوص اى الرجوع والاعراض
عن معارضته اى الاتيان بمثله وانهم منعوا من شئ هو من جنس مقدورهم اى كلامهم الذى يقدرون عليه
لامن نوع المشابه له من جميع الوجوه والى هذا المذهب وهو انهم قادرون على شئ من جنسه عاجزون
عن مثله لا بالصرفة وهذا هو الفرق بين القولين ذهب اى اختاره مذهبا الامام ابو المعالى الجوينى
منسوب الى جوين بزنة المصغر اسم بلدة وهو امام اهل السنة عربا وعجما فرد الائمة عبد الملك بن
عبد الله بن يوسف النيسابورى الشافعى امام الحرمين اعلم ائمة الشافعية هو ووالده ولد فى ثامن
عشر المحرم سنة تسع عشرة واربعماية وتوفى سنة ثمان وسبعين واربعماية فى الخامس والعشرين من ربيع
الاخر وغيره من اهل السنة قال ابو المعالى وهذا الاعجاز عندنا ابلغ اى اقوى واكثر مبالغة فى خرق
العادة بالافعال البديعة المبتدعة الغريبة فى انفسها اى فى حد ذاتها وهو متعلق بالبديعة وفى لمحة
فى انفسنا وهو متعلق بابلغ كقلب العصى حية لموسى عليه الصلاة والسلام وكان من شجر اللوز وفيها
معجزات كانت تمر له وتضئ وينتفع بها الى غير ذلك مما فصلوه ونحوها كاليد البيضا وابراء الابرص والاكمه
واحيا الموتى فانه اى الامر والشان او كونه ابلغ قد يسبق الى بال الفاطن فيها ومنكره وخاطره بدارا اى مبادرا
بسرعة فى اول نظره ان ذلك الامر البديع الخارق للعادة نشا من اختصاص صاحب ذلك الامر الذى ظهر على
يديه بمزيد معرفة اى بزيادة معرفة امتاز بها عمن لم يقدر عليها فى ذلك الفن اى النوع الذى كان يعتنى به
اهل زمانه وفضل علم به ولحوا له الى ان يرد ذلك الخاطر الذى سبق لفهمه صحيح النظر بالتامل
والتدبر فيه حتى يعلم اعجازه ثم بين ابلغيته وقوته بقوله واما التحدى اى طلب معارضة الكلام
وتقدم انه مشتق من الحد المتقابل الحداة فى حداتهم للابل للخلايق جمع خليقة بمعنى خلق مينين بكسر الميم
جمع ماية من السنين فى عصر النبوة وبعده الى غير النهاية بكلام من جنس كلامهم المقدور لهم ليأتوا بمثله
علة للتحدى فلم يأتوا اى لم يقدروا على مثله وهم فحول البلاغة وقد تحدوا وعيروا على رؤس الاشهاد ولم
يتوبعد توفر الدواعى اى كثرة ما يدعوهم لمعارضته ويحثهم عليها من الحمية الجاهلية على المعارضة ثم عجزهم
اى المعارضة مع كثرة دواعيها الا ان منع الله الخلق عنها بالصرفة او بعدم القدرة على نوعه دون جنسه
فيصدق على المذهبين وفى نسخة الا منع الله الخ بمثابة اى هذا المنع بمنزلة واصل المثابة المكان
الذى يرجع الناس اليه او يكتسبون فيه الثواب ثم شاع فيما ذكر كما اشار اليه الراغب وقيل اصله
مبلغ جموم البير والحجارة حولها ثم نقل لما ذكر وقد اصطلح الفقها على استعماله للتشبيه كما قيل فالمراد
انه نحو ما لو قال النبى ومعجزتى ان يمنع الله القيام عن الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم
بان لا يكونوا مقعدين وهو بيان لمقدرتهم على القيام والمقدرة بضم الدال وفتحها كما تقدم فلو كان ذلك
اى عدم قيامهم وعجزهم بتشديد الجيم اى جعلهم الله عاجزين عنه لكان ذلك من بهر آية اى اقوى
معجزة واظهر دلالة على نبوته وبالله التوفيق فيه اشارة الى ان فيه توفيقا بين القولين لاتفاقهم من وجه
واختلافهم من آخر وقد غاب عن بعض العلما اى خفى عليهم لان من شان الغايب ان يخفى فاريد لازمه
ظهور آيته صلى الله عليه وسلم ولتضمينه معنى العلو قال على ساير آيات الانبيا الذين حتى
احتاج للقدر عن ذلك اى عن كون معجزته اظهر من معجزات غيره مع ان احيا الموتى ونحوه من آيات الانبيا

قد يتوهم انه اقوى واظهر بدقة افهام العرب اصل معنى الدقة كون الشئ دقيقا ثم استعير للوقوف
على ما خفى من الامور وذكا الباب جمع لب وهو العقل الخالص والذكاوة للذهن تقتضى سرعة الانتقال
ووفور عقولها الوفور من الوفرة وهى الكثرة والزيادة والعقول جمع عقل وهو القوة المدركة يعنى
ان هذا من شان هذا الجنس ولا يضره تفاوتهم بحسب الاشخاص فيما ذكر كما توهم مع انه لا يرد على المص
لانه حكاه عن غيره وانهم لما خصوا به من الذكا والفطنة ادركوا المعجزة فيه اى فى القران لما علموه من حسن
تراكيبه وجزالة معانيه وحسن نظمه واتساقه بفطنتهم اى قوة ذكايهم وجاهم من ذلك اى
حصل فى نفوسهم من معرفة اعجازه وظهوره على غيره بحسب ادراكهم بفتح السين اى حصل منه على
مقدار ادراكهم وقوته وغيرهم من الامم من القبط وغيرهم القبط بكسر القاف جيل من الناس كانوا قوم فرعون
بمصر وبنى اسرايل اى اولاد يعقوب بن ابراهيم واسرايل لقب يعقوب لم يكونوا بهذه السبيل اصل معناه الطريق
وهو هنا كناية عن عدم ذكايهم وفهمهم كالعرب ونفى سبيل الشئ ابلغ من نفيه بل كانوا من الغباوة وقلة
الفطنة الغباوة عدم الفهم والبلادة وعطف قلة الفطنة عليه عطف تفسير ورجل غبى جاهل قال
ليس الغبى بسيد فى قومه لكن سيد قومه المتغابى بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم حيث ظرف مكان
وهو خبر كان اى بلغت غباوتهم ان فرعون قال لهم انا ربكم الاعلى فسلموا له ذلك وهذا بالنسبة للقبط وجوز
عليهم السامرى وهو رجل من بنى اسرايل يسمى موسى بن ظفر وهو منسوب لرجل اسمه سامر ذلك فى العجل
اى انه ربهم فعبدوه والعجل الصغير من البقر بعد ايمانهم بالله فاضلهم السامرى وكان من اهل كرمان
من قوم تسمى السامرة يعبدون البقر وكان منافقا يظهر الاسلام فلما مضى موسى عليه الصلاة والسلام
صاغ لهم عجلا من الحلى وزينه بالجواهر وقذف فيه ترابا من اثر فرس ركبه جبريل فكان يتحرك فقال لهم هذا
الهكم واله موسى وان موسى اخطا الطريق اليه فجاكم يكلمكم كما كلمه فاتبعوه لسخافة عقولهم
كما فصلوه المفسرون وغيرهم وعبدوا اى بنو اسرايل المسيح عيسى ابن مريم مع اجماعهم على صلبه واذا
كان ربا كيف يصلب مع انه اعتقاد باطل وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم التى شبهه على رجل
اسرايلى فظن اليهود انه عيسى عليه الصلاة والسلام فصلبوه وهذا جهل عظيم منهم فجاهم من الايات
الظاهرة البينة للابصار اى لعدم دقة افهامهم كانت اياتهم فى غاية الظهور تدرك بالبصر تقدر
غلظ افهامهم ما لا يشكون فيه فاعلجا وعدم شكهم لظهور ما جاهم ومع هذا الظهور قالوا لموسى
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة اى معاينة بابصارنا لشكهم فيما اتاهم به وتفصيله فى التفاسير غنى
عن البيان ولم يصبروا اى بنو اسرايل على المن وهو طل كالعسل ينزل على الاشجار فيجمع ويوكل والسلوى
وهو طاير كالسمان واحده سلواه وكانوا لما خرجوا من التيه قالوا لموسى عليه الصلاة والسلام اخرجتنا
من العمران للقفر فادع الله ان يرزقنا قوتهم المن ثم سالوه ان يطعمهم من اللحوم فاتاهم بالسلوى فكانوا ياخذونها
بايديهم ثم قالوا لن نصبر على طعام واحد واستبدلوا الذى هو ادنى اى طلبوا بدلا ادنى مما عندهم وهو
الفوم والعدس والبصل بالذى هو خير وهو المن والسلوى والباء داخلة على المتروك ومنها تفصيل افرد
بالتاليف والعرب على جاهليتها اى على حالها التى كانت عليه قبل الاسلام من الجهل وانها امة امية
والجاهلية مصدر بمعنى الجهل وعلى بمعنى مع وقيل انها مستعارة لتمكنهم فى الجهل كقوله على هدى

من دينهم اكثرها يعترف بالصانع اى بوجوده تعالى وليست معطلة لبعض الامم والاطلاق الصانع على الله
صحيح ثبت فى السنة كما ذكره السيوطى رحمه الله تعالى وليس مما احدثوه وفى قوله اكثرها اشارة الى ان منهم
فرقة دهرية قالوا ما يهلكنا الا الدهر وفرقة عبدوا الملائكة وفرقة عبدت الكواكب وانما كانت عبدة
الاصنام منهم تتقرب بالاصنام الى الله زلفى ولا تدعى انها خالقة رازقة وزلفى مقصور بمعنى الحظوة
من ازدلف بمعنى دنى وهو مصدر كالزلفة موكد ليتقرب من غير لفظه ومنهم من امن بالله وحده من قبل بعثه الرسول
صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية كابن نفيل وقس بن ساعدة وامية بن ابى الصلت بدليل عقله وصفا لبه
الذى هداه الى معرفة الله تعالى وتوحيده للنظر فى مصنوعاته وفى كل شىء له اية تدل على انه الواحد
ولما جاءهم الرسول صلى الله عليه وسلم اى بعثه الله تعالى ليهديهم الى الله بكتاب الله المنزل عليه
فهو لحكمته اى ما فيه من الحكم والعلوم النافعة وتبينوا الفضل ادراكهم وزيادة عقلهم لاول وهلة
اى فى اول نظرة بالبديهة منهم يقال لقيته اول وهلة بسكون الهاء وفتحها اى اول شىء ولام لاول توقيتية
اى عند اول وهلة معجزته يعنى القران فامنوا به وازدادوا كل يوم ايمانا وتصديقا بنبوته ومعجزته والايمان
بمعنى التصديق يقبل الزيادة قوة وضعفا عند المحققين وان لم نقل ان الاعمال داخلة فيه كما تقرر
فى علم الكلام ورفضوا اى تركوا الدنيا كلها فى صحبته اى لاختيار صحبته على كل شىء وهجروا ديارهم
واموالهم طلبا لرضى الله ورضاه صلى الله عليه وسلم وقتلوا اباءهم وابناءهم المعادين له لاجل نصرته
واعزاز دينه فى نصرته فى هنا تعليلية واتى هذا القايل الذى غاب عنه ما تقدم فى معنى هذا وزعم ان ظهور
اياته لما قاله بما يلوح له رونق اى يظهر له لفظ حسن يعجب منه زبرج بكسر الزاى المعجمة وسكون الباء الموحدة
وكسر الراء المهملة وجيم وهى الزينة والوشى الذى هو كالطلاء وفيه اشارة الى عدم قبول لضعفه ولذا
قال او احتج اليه وحقق اى بينت حقيقته لكنا قدمنا من بيان معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها
من غير حاجة لما ذكر من ذكا العرب وفهمهم ما يغنى عن ركوب بطون هذه المسالك اى ادعا مثل هذه الامور
الخفية المتكلفة وظهورها اى ما يظهر منها فتبل تدقيق النظر والتدبر وبالله استعين والحمد لله
وحده وصلى الله على من لا نبى بعده سيدنا وسندنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم القسم

القسم الثانى

الثانى فيما يجب على الانام من حقوقه عليه الصلاة والسلام الوجوب الشرعى ما يلزم شرعا
وهو ظاهر والانام الخلق والناس والحقوق جمع حق وهو ما يستحقه عليه الصلاة والسلام
وهذا قسم من الاقسام الاربعة التى ذكرها المص رحمه الله لخصنا الكلام فيه اى اختصرناه من غيره
من الكتب وبيناه وسهلناه فى اربعة ابواب على ما ذكرناه اول الكتاب فى اجمال ما اشتمل عليه وفهرسته
ومجموعها اى محصلها ولجمالها من قولهم جمل الحساب والضمير للابواب الاربعة فى وجوب تصديقه
عليه الصلاة والسلام فى كل ما جاء به عن ربه ويدخل فيه الايمان بانه رسول والايمان بساير الرسل
والكتب المنزلة وقدمه لانه الاصل فلا حاجة لما قيل من انه خصه لانه المقصود من تصنيف
الكتاب لانه اشرفهم وخاتمهم واتباعه صلى الله عليه وسلم اى الاقتداء به فيما ليس من خواصه
وهو مجرور معطوف على تصديقه اى بانه يجب اتباعه فى وجوب الواجب وسنية المسنون واباحة
المباح وتحريم المحرم وقيل ينبغى تقييده بالواجب لا المسنون وطاعته بامتثال اوامره واجتناب

نواهيه والطاعة كما قال الراغب الانقياد ويضادها الكره قال تعالى ائتيا طوعا او كرها واكثر ما يقال الامتثال
امر ونهى فلذا عطفها على الاتباع فانه قد يكون كرها بغير قال فى القران ان المطيع مسلوب الاختيار مع المطاع وفى
الصحاح فلان مطيع لك اى منقاد لم يصب فى مدعاه واستدلاله ومحبته بان يكون صلى الله عليه
وسلم احب اليه من نفسه واهله وماله والمحبة الميل النفسانى وهى معروفة ومناصحته له وهى لغة الخلوص
وشرعا ارادة الخير للمنصوح وستاتى وعبر بالمناصحة دون نصحه لانها ابلغ ولان الرسول صلى الله عليه
وسلم نصح الامة وبالغ فى نصحهم وتوقيره اى تعظيمه والتادب معه بما هو لايق به صلى الله عليه
وسلم وبره صلى الله عليه وسلم ببذل ما فى وسعه له من المال وغيره من امور الدنيا مما قيل من انه
تكرار ينبغى تركه لانه الطاعة لا وجه له وحكم الصلاة عليه والسلام من الوجوب ومحله وزيارة
قبره اى وحكم زيارة قبره عليه الصلاة والسلام وعبر بالحكم فيهما لان وجوب ما قبلهما مستمر وثمنا
وتغيير به لانه فى بيته صلى الله عليه وسلم وهذا لحكمة دفنه فيه دون المقابر الباب الاول
تقدم وجه تقديمه فى فرض الايمان به صلى الله عليه وسلم وعبر فيما سبق بوجوب تصديقه وهنا بفرض
الايمان تفننا واشارة الى ان الفرض والواجب بمعنى عنده هنا وان المراد بالتصديق الايمان لا معناه
اللغوى والحنفية تقدم انهم فرقوا بين الفرض والواجب بان الفرض ما ثبت بدليل قطعى بخلاف
الواجب فان الفرض لغة القطع وخالفهم فيه غيرهم كما بين فى الاصول ووجوب طاعته اتى بوجوب هنا
لما ذكرناه وللاشارة الى انه فيما سبق معطوف على تصديقه لا على وجوب فلا وجه لما قيل انه لا حاجة
اليه وانه ينبغى تقديمه واتباع سنته اى طريقته التى سنها صلى الله عليه وسلم وشرعها فهو بالمعنى
اللغوى فيدخل فيه السنن الاصطلاحية وغيرها وهو مقابل لقوله اولا اتباعه ولم يعد فيه لانه غير مغاير
لما قبله لان اتباع سنته طاعة له فلا يقال انه ينبغى ذلك اذا تقرر وثبت بما قدمناه فى هذا الكتاب
ثبوت نبوته بالوحى اليه وصحة رسالته لجميع الخلق ولخرها الا انه لخصوص عبر بالصحة تفننا ولان من الكفرة
من ادعى عدم صحتها كاليهود المنكرين للنسخ وبعض من غيرهم ادعى عدم عموم رسالته وجب الايمان به
وتصديقه فى جميع ما اتى به واخبرنا به ومنه الايمان بالله ورسله وكتبه وغيرها ان لم نقل ان الايمان
بالله واجب عقلا مقدما على ما عداه لئلا يلزم الدور كما ارتضاه بعض الماتريدية وخالف فيه بعض
الاشعرية كما حقق فى كتب الكلام وقيل الايمان بالله تعالى مقدم على الايمان بالرسل والايمان بالرسل
متوقف على ثبوت الرسالة كما قال ثم من امن به وجب عليه طاعته بامتثال ما جاء به من الشرايع انتهى
وفيه نظر قال تعالى فامنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم والنور الذى انزلنا يعنى ما اوحى
اليه صلى الله عليه وسلم من الشريعة وهذا هو المناسب لما قبله وقيل المراد به القران اذ هو
باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره ببديع بيانه فاطلق النور عليه استعارة كما ذكره اولا لانه يهدى
والامر للوجوب والاستدلال بالاية ظاهر وقال تعالى انا ارسلناك شاهدا على من صدق وكذب ليثاب
او يعاقب ومبشرا المؤمنين بسعادة الدارين وحذف المبشر به تفخيما لتذهب نفس السامع كل مذهب
كما فى قوله ونذيرا اى منذرا ومخوفا لمن عصاك لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب فى انا ارسلناك له
صلى الله عليه وسلم ولام لتؤمنوا لام كى وقيل انها تحتمل ان تكون لام امر وهو بعيد وقرئ ليؤمنوا

بالغيبة وهي ظاهرة لان خطابه صلى الله عليه وسلم خطاب لامته وفيه كلام بيناه في حاشية القاضي
والاستدلال بالاية على التعليل لان الانذار يقتضي وجوب ابتاعه على انه في غنية عنه بما قبله وبعده
من قوله وقال تعالى فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الاية اي الذي يومن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم
تهتدون وقد تكرر الامر به في القران في ايات كثيرة فالايمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم واجب
لامر الله به مرارا متعين اي فرض عين لا فرض كفاية فيجب الاعتراف به باللسان اذ قدروا التصديق
بالجنان فلا بد منهما شرعا اذ لا يتم ويصح ايمان لاحد بالله الا به اي الا بالايمان برسوله صلى الله عليه
وسلم وبكل ما جاء به ولا يصح اسلام الا معه اي الا مع الايمان بالله والايمان برسوله بعينه وليس
هذا مبنيا على تغاير الايمان والاسلام على قول بل هو تاكيد لما قبله لتغايرهما بحسب المفهوم
وان اتحدا بحسب الماصدق فانه لا يكون مومن الا وهو مسلم ولا مسلم الا وهو مومن لقوله
تعالى فاخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين قال تعالى ومن لم يومن بالله
ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا وفي الاية نص على ان الايمان المعتد به انما يكون بالجمع بين الايمان
بالله وبرسوله فينتفي بانتفا احدهما لتفريع قوله فانا اعتدنا عليه الخ حدثنا ابو محمد الخشني بقراتي
عليه وهو حديث صحيح رواه مسلم والبخاري والخشني بضم الخا وفتح والشين المعجمتين ونون
ويا نسبة تقدمت ترجمة قال حدثنا الامام ابو علي الطبري تقدمت ترجمته قال حدثنا عبد الغافر
الفارسي تقدمت ترجمته قال حدثنا ابن عمرويه الجلودي وقد تقدم وان عمرويه بفتح العين وسكون الميم
وفتح الراو وضمها وان مثله صيغة تصغير عند اهل البصرة مولده قال حدثنا ابن سفيان ابراهيم
بن محمد بن سفيان راوي مسلم قال حدثنا ابو الحسين هو الامام مسلم القشيري صاحب الصحيح المشهور
قال حدثنا امية بن بسطام بكسر البا الموحدة وفتحها وفيه الصرف وعدمه توفي سنة احدى وثلاثين
ومائة وهو امام جليل اخرج له الشيخان والنسائي قال حدثنا يزيد ابن زريع بزنة مصغر الزرع الامام
الحافظ ابو معاوية البصري كما تقدم قال حدثنا روح بفتح الرا المهملة وواو ساكنة وحا مهملة
وهو ابن القاسم التميمي البصري الامام الثقة مات سنة نيف وخمسين ومائة عن العلا بفتح العين
المهملة والمد بن عبد الرحمن بن يعقوب عالم المدينة وهو ابو شبل مولى الحرقة اخرج له مسلم واصحاب
السنن عن ابيه عبد الرحمن عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت
بنيا للمجهول اي امرني الله اذ لا امر له صلى الله عليه وسلم سواه ان اقاتل الناس اي بان اقاتلهم ومحله
بعد حذف الجار نصب او جر وهو عام للناس كلهم خص منه من ضربت عليه الجزية حتى يشهدوا
ان لا اله الا الله غاية لقتالهم ينتهي به ويختص بالغاية ويومنوا بي اي بكوني نبيا رسولا ويومنوا
وبما جئت به من الله واوحاه اليه من شريعته التي امر بتبليغها وتكليفهم بها فاذا فعلوا ذلك المذكور
من الشهادة والتصديق لما جاء به والتزام احكام شريعته عصموا اي صانوا وحفظوا مني دماهم بعدم
المقاتلة لهم واموالهم فلا توخذ بالغنايم ولا بسبب من الاسباب الا بحقها اي ان لم تستحق اباحة
دمايهم بقتل نفس ظلما ونحوه او تستحق اموالهم بمنع زكاة او ثبوت حق عليهم وحسابهم على الله اي
امرهم بعد ما ذكر موكول الى الله تعالى اذ حاسبهم على ما اسروه في انفسهم وما لم نقف عليه من الكفر

والعاصي فيثيب من يشا ويعاقب من يشا والمنافق لا يقتل الا اذا ظهر منه ما يقتضي كفره ومثله الزنديق
واختلفوا في قبول توبته فقيل تقبل مطلقا وقيل قبل الاخذ وقيل لا تقبل مطلقا وتوبته ان خلصت
نفعته في الاخرة وقيل ان تاب حرة قبل وان تكررت لا وقيل لا تقبل ان ادعى لزندقته وقوله صلى الله
عليه وسلم ويومنوا بي اشارة الى ان اهل الكتاب لا يمنع قتالهم مجرد الشهادة بان لا اله الا الله
ودخل قتال البغاة ومانعي الزكاة وتاركي الصلاة في قوله الا بحقها وفي الحديث دليل على ان الايمان
يكفي فيه الاقرار بما ذكر فيه وانه لا يشترط فيه معرفة الادلة الاصولية كما قاله النووي رحمه الله
تعالى وليس مبنيا على قبول ايمان المقلد كما توهم قال القاضي ابو الفضل عياض المولف رضي الله تعالى عنه
والايمان به صلى الله عليه وسلم هو تصديق نبوته اي التصديق بها ورسالة الله له اي رساله
والاضافة لخصاصيته لا بمعنى اللام كما توهم وان كان المعنى عليها وتصديقه في جميع ما جاء به عن الله
بالوحي بانواعه وما قاله اي وفي جميع اقواله لانه صلى الله عليه وسلم معصوم لا يصدر عنه
ما يخالف الواقع لا سيما ما امر بتبليغه ومطابقة اي موافقة تصديق القلب اي اعتقاده والجزم
به واصل المطابقة وضع شي على شي هو طبقه وقوله بذلك اي بالتصديق بالنبوة والرسالة وما جاء به
شهادة اللسان بنطقه واعترافه بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق به صلى الله عليه وسلم
بالقلب والنطق بالشهادة بذلك المذكور من رسالته وما جاء به باللسان تم الايمان الحقيقي المنجي
في الدنيا والاخرة والتصديق له اي كيفيته ولفظه كما ورد في هذا الحديث الذي رواه المصنف عن ابي
هريرة نفسه بالجر تاكيد للحديث من رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وهذه رواية مسلم عن ابن عمر وفيها ويقيموا الصلاة ويوتوا
الزكاة فاذا فعلوا الى اخره وقوله تم الايمان اي تحقق وصح وليس مراده انه اذا وجد احدهما كتصديق
القلب كان ايمانا ناقصا كما سنفصله والنطق بالشهادة مع انه لا بد منه اختلف فيه هل هو شطر
او شرط والاعمال ليست داخلة فيه عند المحققين وفيه كلام مفصل في كتب الاصول وشروح
الصحيحين يضيق عنه المقام وقد زاده وضوحا اي زاد صلى الله عليه وسلم ما ذكر بيانا في حديث جبريل
عليه الصلاة والسلام الذي رواه الشيخان كما تقدم اذ قال له جبريل لما جاءه صلى الله عليه وسلم
في صورة انسان اخبرني عن الاسلام اي حقيقته ومعناه شرعا وهو في اللغة الانقياد والطاعة
كما علم وقيل السوال عن شرطيته وشروطه فقال صلى الله عليه وسلم ان تشهد ان لا اله
الا الله ان مخففة من الثقيلة وتشهد بمعنى تعلم بان تقول اشهد الى اخره وقد اختلف هل يشترط
فيه لفظ الشهادة او يكفي ما يودي معناه والصحيح عندنا الثاني معاشر الحنفية ولو بغير لفظ
العربية لمن لا يقدر عليه وان محمدا رسول الله ارسله لجميع خلقه وذكر اركان الاسلام يعني
قوله وتقيم الصلاة بالنصب عطف على تشهد وجوز بعضهم رفعه استينافا نظرا الى انه يكفي
في اجرا احكام الاسلام الشهادتان وكذا ما بعده وجوابه انه بيان لا كماله واقامة الصلاة
اداوها وتوتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت فعجبنا له
كيف يسأله ويصدقه ثم سأله صلى الله عليه وسلم عن الايمان اي عما يجب التصديق به شرعا

فقال مجيبا له ان تؤمن بالله اى تصدق بوجوده وانه واحد فى ذاته وصفاته وافعاله ولا شريك له فى ذلك
وليس هذا تعريفا للشى بنفسه لان الاول يكون متعديا بنفسه ومعناه ان يامن التكذيب ومتعديا بالبا
لتضمنه معنى الاعتراف وقد يتعدى باللام لتضمنه معنى القبول والاذعان والمعروف هو الاول وما وقع
فى التعريف هو الثانى بل لان الاول معلوم والمسؤل عنه بيان متعلقاته التى يجب الايمان بها اجمالا وعلم من الحديث
تغاير مفهوم الاسلام والايمان فان الاسلام كما مر لغة الاستسلام والانقياد وهو جزء من مفهوم
الايمان الذى هو التصديق بالقلب واللسان وقيل انهما مترادفان والاظهر انهما متلازمان لا ينفك
احدهما عن الاخر وقيل بينهما عموم وخصوص مطلق وان الاسلام يتناول التصديق واصل الطاعات كما
فصل فى علم الكلام وملائكته جمع ملك من الالوكة وهى الرسالة واصله مالك ثم قلب وجمع
وخفف مفرده وتاؤه لتانيث الجمع او المبالغة وتقدم الكلام على ذلك فى الخطبة وانهم اجساد
نورانية سالمة من الكدورات الجسمانية قابلة للتشكل والايمان بهم ان تؤمن بانهم عباد الله
معصومون لا يفعلون غير ما يؤمرون ولا يعلم عددهم الا الله وكتبه التى هى كلامه تعالى المنزل
على رسله الازلى فيصدق بحقيتها وحقية ما تضمنته ورسله جمع رسول وهو من اوحى اليه بشرع
وكتاب وامر بتبليغه عباده الحديث بالنصب اى اذكره او اقراه واعرف ذلك الى اخره وهو واليوم
الاخر والقدر خيره وشره واقتصر المص على المقصود منه فقد قرر اى بين صلى الله عليه وسلم
فى هذا الحديث ان الايمان به اى بالله او بما ذكر فى الحديث محتاج الى العقد اى الاعتقاد الجازم
بفتح الجيم وهو القلب سمى به لاستتاره او استتار ما فيه من جنه اذا ستره والاسلام به اى
بالله اى بما ذكر مضطرا اى محتاج اليه ضرورة لانه لا يظهر الانقياد بدونه ولذا غاير بينهما
الى النطق باللسان ليعلم ما فى قلبه وهذه الحالة اى اعتقاد الجنان والنطق باللسان هى المحمودة
عند الله عنه والناس التامة بنا على انه اسم لفعل القلب واللسان كما ذهب اليه بعض الاشعرية
ووصفها بالتمام اشارة الى ان عقد الجنان كاف وان لم ينطق به والنطق شرط لاجرا احكام
الاسلام عليه فى الدنيا كالصلاة عليه ودفنه فى مقابر المسلمين فمن امن بقلبه ولم يعلم به احد نفعه
ايمانه الا على وجه الاباء واما الحالة المذمومة لضررها فى الاخرة فالشهادة باللسان اى الاقرار
والتلفظ بالشهادة به دون تصديق القلب بالاعتقاد الجازم وهذا هو النفاق الذى يسمى
صاحبه منافقا وهو من يظهر الايمان ويخفى الكفر وهو لغة اظهار خلاف ما يضمر من نافقا
اليربوع وهو ما يخفيه من ابواب جحره ليخرج منه اذا احس بصائده كما قال ويستخرج اليربوع
من نافقائه قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون الخطاب له صلى الله عليه وسلم قالوا نشهد انك
لرسول الله فاقروا بالشهادة مواطئة لقلوبهم بزعمهم فرد عليهم علام الغيوب بقوله والله
يعلم انك لرسوله وهو توطئة لقوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون فى قولهم ذلك اى
قولهم انك لرسول الله عن اعتقاد وتصميم لان سياقه مؤكدا بهذه التاكيدات يقتضى انه
ناشئ عن اعتقادهم الجازم وتصديقهم القلبى لا اللسانى وهم لا يعتقدونه جملة حالية
اى والحال انهم ليسوا معتقدين لذلك كما اخبر الله تعالى به فلما لم يصدق ذلك القول ضمائرهم

اى ما اضمروه فى قلوبهم اى قلبهم لان الضمير يطلق عليه لم ينفعهم اذ يقولوا اى قولهم لم يفدهم فى الاخرة
لانهم فى الدرك الاسفل من النار بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم لاعتقادهم خلافه فهو كذب غير
مطابق للواقع وليس هذا مبنيا على ان الكذب ما خالف الاعتقاد كما حققه اهل المعانى
وهذه الاية نزلت فى ابن ابى بن سلول راس المنافقين واصحابه وقصته مشهورة فى كتب الحديث
فلا نطيل بها فخرجوا عن اسم الايمان اى عن ان يسموا ايمانا اشتق منه فيقال لهم مؤمنين فى الدنيا
عند من عرفهم ولم يكن لهم فى الاخرة حكمه وهو دخول الجنة فهم فى الدرك الاسفل من النار
مع الكفار كما ياتى وقوله فى الاخرة اشارة الى انهم يجرى عليهم فى الدنيا حكمه نظرا لظاهر حالهم
كما بينه بقوله اذ لم يكن معهم ايمان فى الاخرة لانكشاف حالهم وافتضاحهم فيها وقال معهم
ولم يقل اذ لم يكونوا مؤمنين ايما الى ان ايمانهم لم يكن فى قلوبهم فكانه كان رفيقا لهم لتلفظهم
فاذا ما ترافقا دفنهم وبطل حكمه ولحقوا بالكافرين فى الدرك الاسفل من النار والدرك بفتح
الراء وسكونها ما ينزل به لاسفل ضد الدرج يعنى انهم فى قعر جهنم واخر طبقة منها وهى سبع
طبقات جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية ويطلق اسم كل طبقة منها على
الجميع ايضا بالاشتراك اللفظى والمعنوى ويجر عليهم حكم الاسلام فى الدنيا فيعاملون
معاملة المسلمين فيما لهم وعليهم باظهار شهادة اللسان اى بسببه لانا نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر
والمراد بحكم الاسلام كل ما كان داخلا فى احكام الدنيا اى ما يحكم به لهم وعليهم من احكام الشرع
المتعلقة بالائمة اى السلاطين والخلفا لا العلما لانهم ليسوا مامورين باجرايها وحكام المسلمين
كالقضاة وغيرهم من النواب وهذا حكم من لم يظهر لنا حاله منهم فان من ظهر حاله يكون كافرا فلا وجه
لايراده نقضا هنا كما توهم ولذا لم يصل النبى صلى الله عليه وسلم على ابن ابى بن سلول وان كان صلى عليهم
وانما لم يقتله لمصلحة اشار اليها فى الحديث الاتى بقوله لئلا يتحدث الناس بان محمدا يقتل اصحابه فكان
هذا من خصايصه فى ابتدا الاسلام ثم انتهى بانتها سببه ولذا رفع عمر رضى الله تعالى عنه حكم المؤلفة
قلوبهم وهذا من عطف العام على الخاص ثم زادهم بيانا بقوله الذين احكامهم جارية ومبنية
على الظواهر من احوال الناس كلهم بما اظهروه من علامة الاسلام اى ان احكام الدنيا جارية عليهم
بسبب اظهارهم الاسلام بانقيادهم له والتزامهم احكامه ظاهرا وان لم يعتقدوها بقلوبهم
وفى نسخة علامات وزادها اشارة الى انهم ليسوا مسلمين حقيقة وانما عليهم علامته اذ لم يجعل
بينا المجهول اى لم يجعل الله للبشر اى الناس كلهم سبيلا اى طريقا الى السراير جمع سريرة وهى ما فى
القلب مما لم يطلع عليه فلم يكلفهم بمعرفته واحكامه ولا امروا الضمير للبشر باعتبار المعنى
بالبحث اى التفحص والتفتيش عنها اى عن السراير ثم ترقى فقال بل نهى صلى الله عليه وسلم
عن التحكم عليها اى الحكم على السراير وعبر بالتحكم لما فيه من التكلف او لانه ليس بحكم كما يقال تحكم
الرجل لمن لا حكم له فقال صلى الله عليه وسلم لاسامة بن زيد فى حديث صحيح رواه البخارى لما
اضطر بعض الكفار واسلم فقتله اسامة لاعتقاده ان اسلامه بلسانه خوفا من القتل فقال له
اقتلته بعد ان اسلم هلا شققت عن قلبه وهلا اداة تحضيض اذا دخلت على المستقبل افادت

الا او اذا دخلت على الماضى افادت الانكار والتوبيخ وشق متعد بنفسه وعداه بعن لتضمينه معنى
التفتيش اى شققت قلبه لتفتش عما فيه من الاعتقاد وتعلم اقالها قاله خوفا ام لا وهو كناية
عن استحالة الوقوف عليه لانه بشقه لا يدرى ما فيه والذم فيه ظاهر لما فيه من التوبيخ على ما لا
يليق به وكان عليه ان يختبره حتى يعلم هل هو مخلص ام لا لكن لما راه لم يسلم حتى دفع السيف لقتله
فظن انه ايمان ياس لا يفيد كحال الغرغرة فهو متاول لا متعمد للخطا فى قتله والحديث كما فى الصحيحين
عنه بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحرقة من جهينة فهزمناهم ولحقت انا ورجل
من الانصار رجلا منهم فلما غشيناه قال لا اله الا الله فكف عنه الانصارى وطعنته برمحى
حتى قتلته فلما قدمنا بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى يا اسامة اقتلته بعد
ما قال لا اله الا الله قلت يا رسول الله انما كان متعوذا فقال اقتلته بعد ما قال لا اله الا الله
ولم يزل يكررها وقال لهلا شققت عن قلبه فكيف تصنع بلا اله الا الله اذا جاءت يوم القيامة
فقلت استغفر لى يا رسول الله فقال كيف تصنع بلا اله الا الله الى اخره فلم يقبل عذره وفيه تنبيه
وموعظة وزجر والرجل المقتول اسمه مرداس الفزارى والفدكى وبما ذكرناه علم ان اسامة رضى الله
تعالى عنه متاول فى قتله ولم يسمع منه كلمة الشهادة بتمامها حتى يحكم باسلامه وانما لامه
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعجلته وعدم تثبته وانما كان يجب عليه ان يختبره فلم يقتله
وهو مسلم شرعا كما لا يخفى فقول الداودى انه يلزمه الدية لقتله لمسلم خطا وانما سكت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذكرها لعله يعلم السامع بذلك او لانه كان قبل نزول
اية الدية والكفارة وقول القرطبى انه لا يلزم من السكوت عدم الوقوع وقول غيره انه يحتمل انه لم يجب
عليه شى لانه ماذون له فى اصل القتل فهو كالطبيب والخاتن ولم يكن له وارث مسلم ولا ولى واسامة
رضى الله تعالى عنه اقر بذلك لا حاجة اليه اقول اذا لم يكن له وارث ديته لبيت المال ولا يصح عفو الامام
عنه عندنا وان رجح السبكى فى فتاويه جوازه لمصلحة ولا دليل فى الحديث له لما عرفته ولانه يستحق
من بيت المال فتعين له الدية لا يكون عفوا والفرق بين القول اى مجرد التلفظ بالشهادة بلسانه
والعقد اى التصديق بقلبه واعتقاد جنانه ما جعل ما مصدرية اى جعله فى حديث جبريل الذى
تقدم فى سؤاله عن الاسلام والايمان الشهادة اى التلفظ بها ركنا من الاسلام لما قال فى جوابه
ان تشهد الى اخره وجعله التصديق من الايمان اى الاعتقاد بالقلب وهذا بناء على تغاير الاسلام
والايمان وفيه اشارة الى تفسير تؤمن فى قوله ان تؤمن بالله الى اخره وبقيت حالتان اخريان بين هذين
اى الاقرار بلسانه والتصديق بجنانه اى الجمع بينهما احداهما ان يصدق المكلف بقلبه ثم يخترم بخاء معجمة
وتاء مثناة فوقية وراء مهملة مبنى للمجهول يقال اخترمته المنية والموت اذا اتاه بغتة بسرعة واصل
معنى الخرم القطع وتفرق المتصل فقيل له ذلك لقطعه الحياة كما اشار اليه بقوله قبل اتساع
وقت الشهادة اى التلفظ والنطق بها لضيق الزمن فهذه حالة بين الحالتين السابقتين وهما الا
قرار اللسانى والتصديق بقلبه الموافق له وهو مؤمن بالاتفاق والثانية الاقرار باللسان وقلبه
غير مصدق وهو منافق بالاتفاق وحكمه ما مر وهذه حالة بينهما فاختلف فيه اى فى هذه حالة

اهو مؤمن ام لا فشرط بعضهم اى قال ان من تمام الايمان القول والشهادة به باللسان فلا يكون هذا
مؤمنا عنده لعدم تمام ايمانه وفقد شرطه عنده وعند بعضهم ان الشهادة جزء من الايمان
وركن لا شرط فعرفه بانه اقرار باللسان وتصديق بالجنان وهو المشهور عند الاشاعرة فلا
ايمان لانهما الا عند العجز عن النطق وراه ماض من الراى بعضهم مؤمنا فقال من اعتقد بقلبه
واخترم قبل تمكنه من النطق مؤمن كالعاجز فيكون مؤمنا حقيقة مستوجبا اى مستحقا للجنة
ودخولها لعذره بعدم تمكنه ولقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان يخرج
روى بالبناء للفاعل والمفعول من النار من كان فى قلبه باعتقاده مثقال ذرة اى وزنها ومقدارها
فى الثقل والذرة بالمعجمة صغار النمل والهباء وهو كناية عن غاية القلة وان كان عند الله عظيما وهو
بعض من حديث فى الصحيحين ولم يقل يدخل الجنة ابتداء الا ان المراد به العصاة المعذبون بسبب اخلاد
بترك الشهادة فيكون عاصيا بذلك والظاهر الاول ولذا بينه وبين الاستدلال به بقوله
فلم يذكر فى الحديث شيا سوى ما فى القلب من ايمان بمقدار ذرة وهذا المصدق بقلبه دون
لسانه لعدم تمكنه من النطق مؤمن بقلبه فينفعه ايمانه عند الله لانه غير عاص اى تارك
لما يلزمه ولا مفرط بتشديد الراء المهملة اى مقصر عمدا بترك غيره وهو التلفظ بالشهادة
وهذا الراى الذى راه بعضهم هو الصحيح فى هذا الوجه اى الحالة المعذور فيها بعدم
اى الحالة المعذور فيها بعدم تمكنه وهذا وان صححه المتكلمون الا انه قيل ان ما استدل به
النص لا يثبت ما ادعاه لان هذا فى عصاة امته الذين ثبت ايمانهم ويدل عليه ما فى الصحيح
عن انس انه صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه وزن
شعيرة من خير ثم انه ذكر الوزن فى الايمان وهو من المعانى لانه كما قال الكرمانى شبه بالجسم
فاضيف اليه ما هو من لوازمه وهو الوزن ففيه استعارة بالكناية الثانية اى الحالة الثانية
من هاتين الحالتين ان يصدق بقلبه ويعتقد اعتقادا جازما ويطول بضم التحتية وفتح
الطاء المهملة وتشديد الواو المكسورة مهلة بميم وهاء مفتوحتين مفعول يطول ويجوز
تسكين هائه مع فتح ميمه وضمها وهى التؤدة والتانى فاريد به لازمه وهو طول الزمان
والمراد زمان سكوته وعدم نطقه بالشهادة وعلم ما يلزمه من الشهادة والنطق بها
وهذه جملة حالية بتقدير قد اى سكت زمانا طويلا مع علمه بلزوم النطق والاعتراف
بما صدق به قلبه فلم ينطق بها اى بالشهادة جملة منصوب على الحالية والمراد بمجموعها
بان لم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره تفصيلا واجمالا لان
لا تفصيل الملائكة والكتب ونحوها ولا استشهد فى عمره ومدة حياته اى اتى بالشهادة
وفى نسخة شهد ولا مرة اى مرة واحدة فهذا اختلف فيه ايضا كما اختلف فى الذى قبله
وهو فى الاصل مصدر راض اذا رجع وشاع فى التشبيه وفى نصه كلام مشهور فقيل
هو مؤمن لانه مصدق وحقيقة الايمان هو التصديق القلبى وقد اتصف به فيكفيه
والشهادة من جملة الاعمال الزائدة على حقيقة الايمان وان كانت لازمة شرعا فهو عاص

بتركهما كمرتكب الكباير بغير كافر فهو غير مخلد في النار عند اهل السنة القايلين بان اصحاب الكباير غير
مخلدين وقيل ليس بمومن لان الشهادة شرطيه او شطر حتى يقارن عقده اي اعتقاد قلبه وجزمه
شهادة اللسان التلفظ بها مطابقة لما في قلبه اذ الشهادة انشاء عقد عند الاصوليين لانها
عندهم انشا يتضمن الاخبار بالمشهود به لا اخبار وعزي الثاني اي انه خبر لابي حنيفة وانكره السروجي
وقال لا اعرفه وانما هو انشا عندنا ايضا ونظر فيه بانهم عرفوها بانها اخبار بحق للغير على الغير وقد يقال
انه بحسب ظاهره لانه خبر لفظا اريد به الانشا كقوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ومن لم
يفهم مراده قال انشاوه يعني ابتدائه والتزام ايمان اي التزام لاحكامه وهي اي الشهادة مرتبطة
اي ملازمة متصلة مع العقد الجناني لا تفارقه فلا يكتفي باحدها ولا يتم التصديق ويكتفي به
مع المهلة اي تاخير النطق زمانا طويلا من غير مانع الا بها اي بالشهادة والنطق بها وهذا القول
هو الصحيح من انه ليس بمومن لعدم مقارنة الاعتقاد للاقرار مع التمكن منه ومن يقول انه التصديق
فقط يقول انه مومن وان لم يقر بلسانه وان لم تجر عليه احكام الايمان في الدنيا فهو ينفعه في الاخرة
والا انه لا بد منه في الاعتداد به في الدنيا والاخرة وهو شرط او شطر ثم انهم اتفقوا على انه يلزم
المصدق ان يعتقد انه متى طولب به اتى به فانه ان طولب به فلم يقر فهو كفر عناد وهذا نبذ بفتح النون
وسكون الموحدة وذال معجمة وهو الشي اليسير واصله الرمي والطرح فكانه لقلته مما يطرح وفي نسخة
هذه نبذ بضم النون وفتح الموحدة جمع نبذة بزنة غرفة وقيل انه بضم فسكون والمعروف ما قدمنا
تفضي الى متسع من الكلام تفضي بضم المثناة الفوقية وسكون الفا وكسر الضاد المعجمة قبل يا ساكنة
مضارع افضى بمعنى وصل واصل معناه الايصال الى الفضا والمتسع بزنة اسم المفعول وهو مصدر
ميمي او اسم مكان يعني انها تحتاج الى بسط وانتشار لكثرة مباحثه وما للعلماء فيه من القيل والقال
في الاسلام والايمان اي فيما يتعلق بهما وابوابهما المعقودة لتفصيلهما وفي الزيادة فيهما والنقصان
فيهما والكلام في انهما يقبلان زيادة ونقصا وفيه اختلاف مشهور وهذا التجزي بالزيادة
والنقص فيهما ممتنع على مجرد التصديق فهو في نفسه من غير نظر لما ينضم له من الاقوال والاعمال
لا يقبلهما فانه كما قيل انهما مجرد التصديق وهو لا يزيد عليه ولا ينقص وقيل انه قول واعتقاد
وقيل انه قول وعمل واعتقاد فعلى هذا يقبل التجزي وقوله لا يصح فيه اي في التصديق تجزي بزيادة
ونقص جملة اي مجموعة او الاجمالي منه لا يقبل التجزي وانما يرجع تجزيه والزيادة فيه الى ما زاد
عليه اي ما زاد على التصديق من عمل ونحوه فانه قد يزيد وقد ينقص بل قد لا يكون كمن اسلم ثم
مات فجاة فلم يات بشي من الاعمال الطالحة وقد يعرض فيه اي قد يطرء على التصديق نفسه زيادة
او نقص وتجزي فانه من الكيفيات النفسانية وهي تتفاوت قوة وضعفا فان العلم بطلوع
الشمس وان الواحد نصف الاثنين ليس كالعلم بحدوث العالم ولا شك في ان ايمان ابي بكر الصديق
رضي الله تعالى عنه ليس كايمان غيره وقال الشمني في الصحاح باعرض له كذا يعرض اي ظهر وعرضت
العود على الانا تعرضه وتعرضه هذه وحدها بضم وعرضت له القول بالكسر الى اخره لاختلاف
صفاته قوة وضعفا وتباين اي بعد وافتراق حالاته بعضها عن بعض من قوة يقين بيان للصفات

والحالات وتصميم اعتقاد اي الجزم به بحيث لا يقبل الشك لمشاهدة وقوة ادلة ووضوح معرفة
اي ظهورها كمن شاهده صلى الله عليه وسلم وغاين معجزاته ودوام حالته اي استمرار التصديق
وامتداده فانه زيادة فيه وحضور قلب اي حضور التصديق فيه حتى لا يغفل عنه قلبه المطمين
وفي بسط هذا اي بسط الكلام فيما ذكر وذكر تفاصيله وتحقيق دلائله مع ما لها وعليها خروج
عن غرض التاليف اي المقصود منه وهو بيان علو مقامه صلى الله عليه وسلم وما يجب له
وهذا يكفي فيه الاجمال وقطع النظر عن الاستدلال وفيما ذكرناه غنية بضم الغين
المعجمة ونون ساكنة ويا مثناة تحتية مفتوحة اي كفاية مغنية عن غيره فيما قصدناه في هذا
الكتاب ان شا الله تعالى وهذا الذي ذكره المص مذهب المحققين الاظهر المختار ان التصديق
يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الادلة ولا شك في ان ايمان الصديقين اقوى من ايمان غيرهم
فصل واما وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم بامتثال اوامره واجتناب نواهيه
فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جا به من الله وقد علم هذا مما تقدم في اول الباب وجبت
طاعته لان من صدقه واخبره بما يلزمه لزمه اتباع امره ونهيه فلو خالفه من غير انكار منه
كان عاصيا بترك ما يجب عليه لان ذلك اي وجوب طاعته مما اتى به عن الله بوحيه كما يدل عليه
ما قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله قدم طاعة الله تمهيدا لوجوب طاعة رسوله
واشارة الى ان طاعته تعالى بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وهما شي واحد ولذا افرد الضمير
في قوله ولا تولوا عنه وهو قياس منطقي تقديره وجوب طاعته مما اتى به من عند الله تعالى وكل ما اتى به
من عند الله يجب الايمان به فتجب طاعته وشرك بينهما في صيغة الامر كما ذكرناه وقال الله قل اطيعوا الله
واطيعوا الرسول قال القاضي امر الله ان يبلغ المومنين ما خاطبهم به مبالغة في تبكيتهم يعني
ان هذه الاية نزلت في بشر المنافق لما دعى خصما له يهوديا الى كعب بن الاشرف ودعاه خصمه الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم الاتي بيانه ولا ينافي هذا ان الكلام في وجوب طاعته على المومنين
لان العبرة بعموم اللفظ دون خصوص السبب وقال تعالى واطيعوا الله والرسول لعلكم
ترحمون الترجي بلعل وعسى على لسان العباد للاشارة الى عزة المطلوب وان العبد دايما بين الرجا
والخوف وقال تعالى وان تطيعوه تهتدوا فجعل هدايتهم متوقفة على طاعته والهداية للحق والايمان
وغيره امر لازم لهم وقال من يطع الرسول فقد اطاع الله فجعل طاعته هي طاعة الله لانه لا يامر
الا باوامره ولا ينهى الا بنهيه ولذا اردفه بقوله وقال تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا هذا محمول على العموم في جميع اوامره ونواهيه لانه لا يامر الا بصلاح ولا ينهى الا
عن فساد وان كانت الاية نزلت في الفي والغنايم كما يدل عليه قوله وما اتاكم الرسول فخذوه
اذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما تقرر فلا يتوهم انها غير مناسبة لما هو بصدده وقال
ومن يطع الله والرسول فاولئك المطيعون مع الذين انعم الله عليهم الاية من النبيين والصديقين
والشهدا والصالحين وسياتي ان هذه الاية نزلت في ابن عبد ربه الانصاري حين قال للنبي
صلى الله عليه وسلم اذا مت كنت في عليين فلا اراك وذكر شدة حزنه لذلك فنزلت فلما

مات رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الله ان يعمي بصره حتى لا يرى غيره فعمي مكانه وهو الذي راى
واقعة الاذان وقيل نزلت في ثوبان مولاه صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله
لا يصبر عن رؤيته فحزن حتى تغير لونه فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال
ما بي ضر غير اني لا اصبر عنك فذكرت الاخرة واني لا اراك ثمة لرفعة مقامك وهبوط منزلتي
والمراد بالمعية سهولة الاجتماع والتزاور بينهم في الجنة وان تفاوتت مراتبهم ومنازلهم فيها
وقال تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله الاذن مجاز عن ارادة التسهيل
والتوفيق او هو نفس التسهيل والتوفيق اي الا ليطيعه من بعث اليه ويرضى بحكمه فمن لم يرض
لم يرض برسالته فهو تارك لما يجب عليه كافر وقيل اذن بمعنى امر وقال القاضي كانه اي الله احتج
بذلك على ان الذي لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كافر مستوجب القتل انتهى وقيل في توجيهه
انه لم يرض بحكمه لم يرض بحكم الله ومن لم يرض بحكم الله كافر ولذا لما تخاصم المنافق واليهودي
وطلب اليهودي حكم رسول الله وكان محقا يعلم حكم رسول الله له فابى المنافق وطلب ان يتحاكما
عند كعب بن الاشرف وابى اليهودي واتى رسول صلى الله عليه وسلم فحكم له فلم يقبل
المنافق فاتيا ابا بكر رضي الله عنه فحكم بما حكم به رسول الله فلم يرض فاتيا عمر وذكر له اليهودي
ما وقع فقال رويدكما ودخل بيته وخرج بسيفه وضرب به المنافق فقتله وبلغ ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلم ينكره فجعل طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم طاعته فهما شيء واحد
لانه لا يامر الا بامره ولا ينهى الا بنهيه بنص قوله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وقرن طاعته
بطاعته في القران كما في قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول وفيه من تعظيمه ووجوب طاعته
ما لا يخفى ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب الجزيل بمعنى العظيم
او الكثير وعبر في جانب الثواب بالوعد وفي جانب العقاب بالايعاد المزيد لما اشتهر من الفرق
بينهما في اصل الاستعمال كما قال الشاعر واني اذا اوعدته او وعدته لمخلف ايعادي
ومنجز موعدي وقد يستعمل كل منهما مكان الاخر لنكتة وقد تقدم الكلام على ذلك مبسوطا
في خطبة الكتاب وسوء العقاب بمعنى العقاب السيء وهو ظاهر واوجب الله تعالى امتثال امره
بالاتيان بما امر به واجتناب نهيه بتركه ما نهاه عنه فقال وما اتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا كما تقدم بيانه وقال المفسرون في تفاسيرهم والائمة اي ائمة الدين
من الفقهاء والمحدثين طاعة الرسول التي امرنا الله تعالى بها في القران متحققة ومتبينة
في التزام سنته اي المداومة على سلوك طريقته فالسنة بمعناها اللغوي فيعمل ما عمله
ويترك ما ترك والتسليم اي الانقياد والمتابعة له لما جاء به من شرعه الموحى اليه الذي
اخبرنا به وتصديقه فيما اخبر به من غير تحكيم العقل وقالوا ايضا ما ارسل الله من رسول
من زائدة في النفي لتاكيد العموم الا فرض طاعته اي جعلها فرضا محتما يثاب فاعله ويعاقب
تاركه على من ارسله اليه لتبليغ شرعه والضمير لمن باعتبار لفظه وقالوا اي المفسرون
والائمة من يطع الرسول في سنته بنون وتاء مثناة فوقية اي في طريقته وشريعته من امر ونهي

وسنة

وسنة وفرض وليس المراد بها ما يقابل الفرض كما يوهمه قوله يطع الله في فرائضه جمع فريضة
بمعنى الفرض وفي بعض النسخ سننه بنونين جمع سنة ويحتمل ان تفسر السنة والسنن بمعنى
ما يقابل الفرض لان من تبع الرسول فيما سنه من غير ايجاب عليه كان متبعا له في فرائض الله بالطريق
الاولى والمراد ان طاعة الله وما جاء به عين طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم لا ينفصل احدهما
عن الاخر وفي الام للشافعي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا الفين احدكم متكئا على اريكته
ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله عملنا به
وسياتي بيان الفاظه عند ذكر المصنف له قريبا حرتين لاحر اقتضاه فهذا بيان لان العمل بسنة
رسول الله عمل بكتاب الله وهو معنى ما قالوه هنا وسئل سهل بن عبد الله التستري الامام
الزاهد المشهور عن شرائع الاسلام اي ما المقصود منها والمراد فقال سهل في الجواب وما اتاكم
الرسول فخذوه اي تمسكوا به وقال الامام ابو الليث المشهور السمرقندي يقال في طاعة الله
ورسوله ان معناه اطيعوا الله في فرائضه اي فيما فرضه عليكم في كتابه الكريم والرسول
في سنته اي ما سنه وشرعه لنا وقيل في معنى اطيعوا الله واطيعوا الرسول اطيعوا الله فيما حرم
عليكم باجتناب جميع محرماته وكان الظاهر ان يقال فيما اوجبه وحرمه وعبر كما عمم اتباع
الرسول بقوله والرسول اي واطيعوا الرسول فيما بلغكم عن الله تعالى من اوامره ونواهيه مخلصا
في ذلك فانه مأمور بتبليغه وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقيل في معناه اطيعوا الله
بالشهادة اي الاقرار والاعتراف له بالربوبية اي انه رب خالق مالك لجميع الموجودات منفرد
بالملك والربوبية والنبي بالنصب اي واطيعوا النبي صلى الله عليه وسلم بالشهادة له بالنبوة
المراد بالنبي هنا محمد صلى الله عليه وسلم قال المجد وهو الفرد الكامل المتبادر عند الاطلاق
فيدل حينئذ على رسالته وانه رسول وان قلنا النبي اعم من الرسول بناء على المشهور فلا حاجة
لما قيل ان المراد النبوة المقترنة بالرسالة وانه كان ينبغي له الجمع بينهما اظهارا للنعمة بهما عليه
وتعظيما للمنة لديه والعدول عن الظاهر ان قلنا ان النبوة افضل ظاهر لا لرعاية السجع كما قيل
حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه وهو حديث رواه الشيخان ومحمد بن عتاب تقدمت ترجمته
قال حدثنا حاتم بن محمد المعروف بابن الطرابلسي كما تقدم قال حدثنا ابو الحسن علي بن محمد بن
خلف الحافظ القابسي كما تقدم قال حدثنا محمد بن احمد وهو ابو زيد المروزي كما تقدم قال حدثنا محمد بن
يوسف الفربري راوي صحيح البخاري كما تقدم قال حدثنا البخاري قال حدثنا عبدان يعني عبد الله
بن عثمان بن جبلة بفتح الجيم والموحدة ابن ابي رواد الحافظ المروزي الثقة توفي سنة
احدى وعشرين ومائتين قال اخبرنا عبد الله بن المبارك المروزي قال حدثنا يونس بن يزيد
الايلي الامام الثقة توفي سنة تسع وخمسين ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة عن الزهري
محمد بن عبيد بن عبد الله بن شهاب الزهري الامام المشهور كما تقدم مرارا قال اخبرني ابو سلمة بن
عبد الرحمن احد فقهاء المدينة السبعة على قول الاكثر واسمه عبد الله او اسماعيل انه سمع ابا هريرة
يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله

لانه لا يامر الا بما امر الله به ولا ينهى الا عما نهى الله تعالى عنه فمن امتثل امره واجتنب نهيه امتثل اوامر الله
ونهيه او ان الله عز وجل امر بطاعة رسوله وامره ونهيه فمن امتثل امره ونهيه اطاع الله في امره ونهيه
بطاعته كما تقدم ومن اطاع اميري اي من جعله هو او خلفاؤه حاكما على امته فقد اطاعني لان طاعته
طاعة من امره لانه مبلغ عنه ومن عصى اميري فقد عصاني قيل ان قريشا وساير العرب كانوا لا يعرفون
الامارة وانما كانوا يطيعون رؤساء قبايلهم فلما ان ظهر الاسلام وولى عليهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم الامراء انكروا ذلك ولم يطيعوا الامرا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك
اعلاما لهم بانهم يلزمهم طاعة امرايه وتوقيرهم والاقتدا بهم في اقوالهم وافعالهم رواه مسلم
الامير بالالف واللام فطاعة الرسول اي رسول الله صلى الله عليه وسلم من طاعة الله المرسل له
اذ الله امر بطاعته اي لان الله امر جميع الناس باتباعه فيما جاء به من الله فطاعته اي الرسول ورسوله
امتثال لما امر الله به في قوله اطيعوا الرسول وطاعة له اي لله لانه امرهم اجمالا بطاعته فطاعته لرب
لانا نطيعه لامرنا بطاعته في اوامره ونواهيه وهو انما يامرنا بما امر الله تعالى بتبليغه وما ينطق
عن الهوى ويدخل ما كان باجتهاده لانه امر بالاجتهاد على الاصح وهذا بسط لما قدمه وايضاح له
ولا تكرار فيه كما قيل وقد حكى الله عن الكفار ما سيقولونه اي ذكر في القران اخبارا عنهم بما سيكون
وهذه العبارة ماثورة عن السلف من غير انكار لها الا ان العارف بالله ابن عباد المغربي قال انه ليس
بصواب لان كلام الله صفة قديمة فلا يقال حكى الله في كلامه عن كذا لان الحكاية متاخرة
عن المحكي وانما يقال اخبر الله ونحو انتهى وهذا مما لا وجه له لانه تعالى قال نقص عليك
القصص والحكاية بمعنى وما احتج به لا حجة له فيه فانه وارد على الاخبار بعينه من غير فرق
في دركات جهنم اي محلهم الاسفل فيها يوم تقلب وجوههم في النار اي تصرف من جهته الى اخرى
لاضطرابهم فهي كلحم تغلي في قدر يغور وتقلبها تغيرها عن حالها وحيانها او تبدل الوانها
وخص الوجه لانه اشرف الاعضا واظهرها او المراد به الجملة يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا
الرسول للتسليم مما نحن فيه لندمهم حيث لا ينفعهم الندم فتمنوا طاعته صلى الله عليه وسلم
حيث لا ينفعهم التمني اي في زمان او مكان لا ينفعهم تمنيهم فيه والتمني طلب ما لا يمكن حصوله
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان اذا نهيتكم عن شي محرم او مكروه فاجتنبوه
اي اتركوه كانه طرح في جانب عنكم واذا امرتكم بامر اي بما مور به ايجابا او ندبا فاتوا منه ما استطعتم
اي قدرتم عليه من غير ترك للواجب بغير عذر واول هذا الحديث دعوني ما تركتكم انما هلك من قبلكم
بسوالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا نهيتكم عن شي فاجتنبوه الخ وسببه انه صلى الله عليه
وسلم قال في خطبته ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل اكل عام يا رسول الله فسكت حتى
قالها ثلاثا فقال لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال دعوني الحديث وزاد الدارقطني فنزلت
يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسؤكم وروى ذلك عن ابن عباس في التفسير
وشي عام خص منه ما اكره عليه المكلف وفيه خلاف في هل الاكراه على المعصية يبيحها او هي
باقية على حرمتها ولا يا ثم مرتكبها وهو مبني على الخلاف في ان المكره مكلف ام لا ومعنى او تراتنه

ما استطعتم فعلوا على قدر استطاعتكم قال النووي وهذا الحديث من جوامع الكلم وقواعد الاسلام
يدخل فيه كثير من الاحكام كمن عجز عن ركن من اركان الصلاة او شرط من شروطها ياتي بمقدوره
ولا يسقط عنه مقدوره ولذا قال الفقها الميسور لا يسقط بالمعسور وفي الحديث اشارة الى
اعتنا الشارع بالمنهيات لاطلاقه الاجتناب ولو مع مشقة الترك وتقييد المامورات بالاستطاعة
والطاقة كما قال له احمد بن حنبل فان قلت الاستطاعة معتبرة في النهي فلا يكلف الله نفسا الا وسعها
قلت قال ابن حجر الاستطاعة لا تدل على المدعى وهو الاعتنا بل هو جهة الكف وكل احد قادر عليه
لولا داعية الشهوة فكل احد قادر على الترك بخلاف الفعل فان العجز عنه محسوس فلذا قيد الامر بالاستطاعة
دون النهي وقال الماوردي الكف عن المعاصي ترك وهو سهل وعمل الطاعة فعل وهو شاق فلذا لم يبح
ارتكاب المعاصي مع العذر وابيح ترك العمل للعذر وقال بعضهم في قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم
انه يتناول امتثال الماموره واجتناب المنهي وقيد الامر بالاستطاعة لكثرة فان العجز في النهي محصور
في الاضطرار لقوله الا ما اضطررتم اليه وقيل ان قوله تعالى اتقوا الله ما استطعتم منسوخ
بقوله اتقوا الله حق تقاته والصحيح انه غير منسوخ والمراد بحق تقاته امتثال امره واجتناب نهيه مع
القدرة دون العجز عنه وفي حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه الذي رواه الحاكم كل امتي يعني امة
الاجابة يدخلون الجنة الضمير لكل باعتبار معناه ويجوز افراده باعتبار لفظه ولفظ الحاكم كلكم
يدخل الجنة والخطاب خطاب مشافهة للامة ايضا وقيل انه لم يرو بهذا اللفظ والسيوطي
في تخريجه سكت عنه لنكتة الا من ابى اي امتنع ثم فسره بقوله قالوا يا رسول الله ومن يابى فهموا
منه اباي دخول الجنة ولا يابا ها احد لانه دوى كما في النهاية وشرحه قال صلى الله عليه وسلم
مجيبا لهم من اطاعني وانقاد ممتثلا لامري ومجتنبا لنهيي دخل الجنة وفاز بنعيمها المقيم ومن عصاني
وخالفني فقد ابى اي امتنع من دخول الجنة لانه بسبب تركه للطاعة باختياره كانه دعي الى الجنة
فامتنع واعلم انه ان اريد بالعصاة المذنبين من المؤمنين فهو تمثيل ولا ينافي العفو عنهم ولا تخريجهم
من النار وان اريد الكفار فهو استعارة ايضا والمراد خلودهم في النار قال التلمساني بعد قوله الا من
ابى اي امتنع قولا وفعلا ولم يقبل شيا فالامة امة الدعوة اي كلهم الا من ابى وهم الكفار يدخلون
الجنة ويحتمل ان يريد بالامة امة الاجابة فالابي هو العاصي من امته فاستثناهم تغليظا عليهم
وزجرا لهم عن المعاصي وزاد في الجواب فقد ابى توضيحا لبيان الصنفين والتقدير من اطاعني وتمسك
بالكتاب والسنة دخل الجنة ومن اتبع هواه ضل عن سوا السبيل ودخل النار انتهى
وفي الحديث الاخر عرفه اشارة الى انه معلوم مشهور لانه رواه البخاري في كتابه ولذا وصفه
بقوله الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام مثلي ومثل ما بعثني الله به ضرب للناس مثلا
فيما جاءهم به مما يورث الفوز بخير الدارين وانتظام امر المعاش والمعاد والمثل بفتحتين كالمثل
والمثيل في الاصل بمعنى النظير كشبه وشبه وشبيه نقل لقول شبه مضربه بمورده واكثر
ما يكون بامر عجيب غريب ثم نقل لكل حالة وقصة او صفة والذي في البخاري مثل ما بعثني الله
وليس فيه به فقال ابن حجر انه مقدر وما موصولة وقيل عليه شرط حذف العايد المجرور جر

الموصول بمثله لفظا ومعنى وان لم يتحدا متعلقا فما مصدرية لا عايد لها اقول ما ذكره النحاة انما هو
لجوازه قياسا مطردا الا لعدم صحته فيما سمع منه واقتضاه المقام وذكر المصرح له انه كان لو روايته وقعت
فظاهر او لبيان انه مقدر فيه فهو رواية بالمعنى يدل على ما قاله ابن حجر والمعنى عليه وفيما ذكره تكلف
لا يخفى كمثل رجل اتى قوما اى يحذرهم وينذرهم بعدو هو الذى قرب مجيئه لهلاكهم فقال يا قوم انى
رايت الجيش هم جمع كثيرون سايرون للمحاربة والقتال بعينى هو مفرد مكسور النون مضاف ليا
المتكلم الحقيقة او بفتحها ويا مشددة مفتوحة مثنى هو لتاكيد الروية وتحقيق انها روية
حقيقية بصرية ضرورية حسية وانى انا النذير اى المنذر المعلم بما يحذر قبل وقوعه العريان
اى المجرد عن ثيابه المكشوف جميع بدنه وهو مثل تمثل به صلى الله عليه وسلم والمراد به المبالغة
فى الانذار ووضوح ما انذر به وعدم احتمال خلافه واصله ان الرجل كان اذا راى العدو قرب
جدا وليس بينه وبينهم حجاب يمنعهم عن رويته وخشى ان يسبق خبره وقف على مكان عال ونزع
عنه ثوبه ورفعه يلوح به اى بادروا الى الحذر والفرار فقد جاءكم من العدو ما لا تطيقوه
واصله كان فى رجل معين من خثعم قطع رجل يده ويد امراته فاتى قومه يحذرهم بفعله ذلك
وقيل انما هى امراة وقيل هو عوف بن عامر اليشكرى وامراة من كنانه وقيل امراة من بنى عامر وقيل
ابرهة الحبشى وقيل انه رجل سلبه العدو فاتى قومه عريانا لما انفلت عنهم فحققوا صدقه
وعلى كل حال فهو استعارة ومن اللطايف ما قاله الامام السهيلى فى قوله تعالى يا ايها المدثر
قم فانذر ان تعبيره بالمزمل والمدثر فيه ملاطفة له صلى الله عليه وسلم كانه يقول له انا ارسلناك
نذيرا والنذير يكون عريانا لا ملفوفا فتنبه به وهى نكتة سرية فالنجا النجا بالنصب على المصدر بعامل
محذوف لضيق المقام ومعناه الخلاص والفرار اى انجوا النجا بسرعة من غير لبث فناب عن عامله
وعرف وهو ممدود ومقصور بنية الوقف ورواه البخارى النجا النجا بالتكرير بمدهما وقصرهما
وبمد الاول وقصر الثانى وهو منصوب على الاغرا اى اطلبوا النجا بالهرب ويجوز رفعه اى النجا منكم
فاطاعه طايفة اى جماعة وفرقة من قومه لما اتاهم وقال لهم ما قاله فادلجوا اى ساروا من اول
الليل او ساروا الليل كله هربا من عدوهم وهو بتخفيف الدال وتشديدها وقيل المخفف
سير اول الليل والمشدد سير اخره والاسم الدلجة بالضم والفتح وانطلقوا اى ساروا طالبين
النجاة من عدوهم على مهلهم اى متمهلين بتؤدة وتان بعد ذلك وفى سيرهم هذا السعة وفتح
ومهل بفتح الميم مع فتح الهاء وسكونها وبضم الميم وسكون الهاء كما روى فى مسلم مهلتهم بزيادة
تا والكل بمعنى واحد فنجوا بفتح النون مع الجيم اى سلموا من عدوهم وكذبت طايفة منهم النذير
فى انذارهم بالعدو فاصبحوا اى مكثوا بمكانهم اى فى مكانهم الذى كانوا فيه حتى دخلوا فى الصبح
فصبحهم الجيش اى اتاهم فى وقت الصباح فاهلكهم واجتاحهم بجيم ومثناة فوقية والف
وحا مهملة اى اهلكهم جميعا واستاصلهم فلم يبق لهم باقية من الذرارى والاموال والجايحة
الافة التى تصيب الثمار فتستاصلها اى تفنيها من اصلها وكل مصيبة عظيمة فهى جايحة فذلك
المذكور والمثل المضروب لكم مثل من اطاعنى فتشبه بمن صدق النذير فنجا واتبع ما جيت به فصدقه

وعمل

وعمل بما امره به مما اوحاه الله اليه فسلم ونجا وفاز بالسعادة الابدية واجتنب ما نهاه عنه فسلم ونجا
وفاز بالسعادة الابدية ومثل من عصانى وكذب ما جيت به من الحق فهم كمن كذب النذير ومكث مكانه
حتى هلك ومن معه وفى شرح المشكاة للطيبى انه صلى الله عليه وسلم شبه نفسه وانذاره
بالعذاب القريب بالرجل الذى انذر قومه بالجيش المصبح وشبه من اطاعه من امته ومن عصاه
بمن كذب الرجل ومن صدقه وقيل عليه انما هو تشبيه تمثيلى شبه فيه المجموع وهيئته بالمجموع
وهيئته لا تشبيه الاجزا بالاجزا فان الاول ابلغ واحسن اقول اعادة مثل فى الحديث تقتضى ما قاله
الطيبى والمال واحد وبلغيه ما ذكره فى هذا المقام غير مسلمة بسلامة الامير وقيل انه
تشبيه بليغ استعير فيه المثل للحال والقصة والصفة الغريبة العجيبة وهو وجه وجيه
تحقيقه فى شروح الكشاف وفى الحديث الاخر الذى رواه الشيخان فى مثله اى تمثيل حاله وصفته
صلى الله عليه وسلم مع امته فى دعوته لهم كمثل بفتحتين اى كصفة وقصة من بنى دارا عظيمة
انشاها وفرشها بفرش نفيسة وجعل فيها مادبة بميم مفتوحة وهمزة ساكنة ودال مهملة مثلثة
والاشهر الضم ثم الفتح وبا موحدة وها وهى الاطعمة الكثيرة النفيسة المعدة لاكرام الضيوف
والاصحاب وفى القاموس انها طعام صنع لدعوة او عرس والمشهور الاول فهى عامة لكل دعوة
وفى فقه اللغة القرا بكسر القاف والقصر وفتحها والمد طعام الضيف الغريب وهو للزاير تحفة
وللاملاك شندخة وللعرس وليمة وللولادة خرس وللحلق شعر المولود عقيقة وهو فى الاصل
اسم لنفس الشعر من عقه قطعه وللختان عذيرة وللعلل قبل الغدا سلفة وللمستعجل الغدا
عجالة وللكرامة منزلة من النزل النى والمادبة من الادبة بالضم وهى الطعام وبعث داعيا يدعو
لنزله واكل طعامه فمن اجاب الداعى اى امتثل دعوته وذهب معه دخل الدار التى بناها واكل
من طعام المادبة التى اكرم بها ومن لم يجب الداعى لدعوته لم يدخل الدار ولم ياكل من المادبة التى
حرم منها ثم فصل التشبيه وبينه وسكت عن بيان من بنى وهو الله الذى خلق الجنة وهيا اسباب
دخولها لظهوره مما بعده وهو قوله فالدار الجنة التى اعدها الله لمن اختاره من عباده ومادبتها
ما فيها من النعيم وما تشتهيه الانفس والداعى لها محمد صلى الله عليه وسلم مما بلغهم
عن الله وامرهم به مما يدخلهم جنته ويوصلهم للسعادة والنعيم المخلد فمن اطاع محمدا
فقد اطاع الله تقدم بيانه ومن عصى محمدا فقد عصى الله لان مخالفه مخالف لامر الله كما مر ومحمد فرق
بين الناس فرق بفتح الفا وسكون الرا المهملة وتنوينه مصدر بمعنى فارق بين المومنين والكافرين
بطاعته وعصيانه وروى فرق بصيغة الماضى مشددا لرا المهملة اى فرق بين مومنهم وكافرهم
وبين من دعى للجنة وبين من لم يدع لها وهذا انسب بالسياق والمعنى واحد واول هذا الحديث
انه صلى الله عليه وسلم نام وكان اذا نام نفخ فجاءه ملايكة وهو نايم فقال بعضهم لبعض
ان العين نايمة والقلب يقظان فقالوا امثله كمثل رجل الخ وفيه فقالوا اولوها له يفقهها
فقالوا الدار الجنة الخ فالممثل الملايكة وكذا المبين له وهذه رواية غير رواية المصنف وفيها
ان القايل جبريل وميكايل ولا يخفى ان ظاهر الحديث انه تشبيه مركب فقول الكرمانى انه ليس

المقصود تشبيه المفردات بل هو تشبيه تمثيل مما لا وجه له فصل واما وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم وامتثال سنته السنة هنا بمعناها اللغوي وهي الطريقة والسيرة
بمعنى وهي اقواله وافعاله وتقريراته وليس المراد بها ما يقابل الفرض حتى يتوهم منافاتها للوجوب
لانه معطوف على اتباعه والاقتدا بهديه هدي بزنة ضرب بمعنى سنته وطريقته ايضا وفي نسخة
والاهتدا بهديه فقد قال الله تعالى هو جواب اما اي فقد ثبت ذلك بنص القران كقوله عز وجل
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني اي اقتدوا بسنتي واهتدوا بهديي يحببكم الله ويغفر لكم
ذنوبكم الاية هنا ومحبة الله ورسوله باتباعهما ومحبة الله له بانعامه وفضله وهذا تفسير
بلازمه المتجوز فان المحبة الحقيقية ميل النفس لما يستلذه وهو غير متصور هنا ولذا قال
الغزالي ان العصيان يضاد اصل المحبة وقال البيضاوي يحببكم الله يرض عنكم ويكشف الحجب
على قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم ويقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة
على طريق الاستعارة او المقابلة اي المشاكلة ولبعض الشراح من المتاخرين هنا كلام لا طايل
تحته غير التطويل وقال تعالى فامنوا بالله ورسوله النبي الامي والايمان به وتصديقه يقتضي
اتباعه وطاعته الذي يؤمن بالله وكلماته التي نزل بها الوحي عليه وما اوحي الى من قبله من الرسل
من الكتب والشرايع وعبر عما ذكر بالكلمات اشارة الى انها بالنسبة لعلمه المحيط بكل شيء
وكلامه الذي ينفى مداد البحار في دواة الامكان كالكلمات القليلة وجمع بين النبوة والرسالة
لان المقام مدح واطناب ولانه يجب الايمان بكل من الوصفين وان كان ذكر الاخص يكفي هنا
اعني الرسول وعبر بالظاهر ولم يقل نحو لبلاغة الالتفات وليجري عليه الصفات الداعية
للايمان به واتباعه وعبر بالرجا في قوله واتبعوه لعلكم تهتدون اي راجين الاهتدا باتباعه
تحريضا لهم على اتباعه وايما الى ان من امن به ولم يقتد بما شرعه لهم لا ينجو من الضلال والرجا
بالنسبة للمخاطبين وهو مجاز عن التعليل كما ذهب اليه بعض النحاة وقال تعالى فلا وربك
لا يؤمنون لا مزيدة للتاكيد ونفي لما تقدمها اي ليس الامر كما يزعمون من انهم امنوا بما انزل
اليك وقيل لا الثانية زايدة والقسم معترض بين حرفي النفي حتى يحكموك اي يرجعون لحكمك
ويرضون به وهو غاية لصحة ايمانهم فيما شجر بينهم اي فيما وقع بينهم من المشاجرة وهي المخاصمة
واصل معناه الاختلاط ومنه الشجر لتداخل اغصانه واختلاطها الى قوله تسليما يعني قوله
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما والحرج ضيق الصدر او الشك
وهذه الاية نزلت في بعض الانصار لما اختصم مع الزبير في ما سقى به ارضه وسياتي تفصيله
اي ينقادون لحكمك تفسير لقوله ويسلموا تسليما واكده ليفيد الانقياد ظاهرا وباطنا
وفي نسخة ينقادوا وقيل وهو الظاهر لانه منصوب بحذف النون لا سيما ان قيل انه عاطفة
وليس بلازم لانه مفسر للجملة بتمامها لا للمضارع وحده يقال سلم بالتشديد واستسلم
اي طلب السلامة بانقياده واسلم اذا انقاد هذا هو المصرح به في كتب اللغة كما ذكره
الراغب وغيره فما قيل ان المذكور في القاموس ان التسليم الرضا والاستسلام الانقياد

فلو فسر

فلو فسر التسليم في الاية بالرضا الاخص كان احسن ليس بشيء وقال تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة
بالكسر والضم اي قدوة يقال اسيته بمعنى اسوة واسيته لغة قليلة وقيل هي الصواب فهي
الخصلة التي يراد الاتصاف بها حسنة اي خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها اي يقتدى
ويجوز ان يراد بالاسوة النبي صلى الله عليه وسلم نفسه لانه قدوة يحسن التاسي به في اقواله
وافعاله وحسنة هنا على الاول صفة موكدة ويجوز ان يكون احترازا عما هو من خصايصه صلى الله
عليه وسلم فيكون صفة مقيدة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر اي يرجوا ثوابه ولقاه ونعيم
الاخرة او ايامه الاخر خصوصا مع قوله لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر وفي الكشاف ان لمن بدل
من لكم قيل والاكثر على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه فهو صلة او صفة لحسنة وقرنت كثرة بالرجا لا يذانها
بملازمة الطاعة اذ المؤتسي من شانه ذلك وقال محمد بن علي الترمذي هو المعروف بالحكيم الترمذي
الصوفي صاحب نوادر الاصول وليس هو صاحب السنن وقد تقدمت ترجمته الاسوة في الرسول
تعريفه للعهد الخارجي فالمراد به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم او هو للعهد الذهني والاستغراق
فهو اعم اي فحق رسول من الرسل او كل رسول الاقتدا به في اقواله وافعاله كما في قوله فبهداهم اقتده
والاتباع لسنته اي لطريقته وشريعته وترك مخالفته في قول قاله امرا او نهيا او ارشادا او فعل
فعله ليقتدى به فيه لانه ليس من خصايصه صلى الله عليه وسلم وقال غير واحد تقدم ان معناه
ناس كثيرون من المفسرين معناه اي قالوا قولا بمعنى ما قاله الترمذي وقيل معنى الاية المذكورة هو عتاب
من الله اي توبيخ ولوم للمتخلفين عنه صلى الله عليه وسلم ممن لم يخرج معه لمحاربة اعدايه لانهم كان
عليهم ان يقتدوا به في جهاد اعدا الدين ومقاساة اهوال الحروب وكان ذلك في غزوة الاحزاب
او تبوك حبا للبقا والراحة وكان عليهم المبادرة لطاعته صلى الله عليه وسلم وبذل انفسهم له
لانه سبب سعادتهم وحياتهم الابدية وفيه دليل على ما ذكر على التفاسير ومعنى الظرفية ان قلنا
الاسوة اقواله وافعاله المتبعة ظرفية الموصوف للصفة لانها قايمة به كقيام المظروف بظرفه
فان قلنا الاسوة نفسه صلى الله عليه وسلم فهو تجريد جعل كانه فيه مقتدى به منتزع كقوله
لهم فيها دار الخلد وليس هذه الظرفية كقولهم الدار في نفسها تسا وي كذا او في البيضة عشرون
منا من حديد كما قيل وقد اشرنا الى ان الاقتدا انما يجب فيما ليس من خصايصه كالامور الجبلية فيه
فانها لا يمكن ان تكون لغيره وقال سهل بن عبد الله التستري وقد قدمنا ترجمته في قوله تعالى صراط
الذين انعمت عليهم لم يبين ما انعم به على من سلك الطريق المستقيم قال سهل في تفسيره انه انعم عليهم
بمتابعة السنة اي اتباع طريقه الذي هو الصراط المستقيم الذي يجب اتباعه فامرهم الله تعالى بذلك
اي باتباعه ووعدهم الجزا عليه اعني الاهتدا باتباعه اي حصول الهداية التي طلبوها بقولهم اهدنا
الصراط المستقيم فقال واتبعوه لعلكم تهتدون وفيه ايما الى ان الترجي من الله وعد منه لا يخلف
الميعاد لان الله ارسله بالهدى اي بما فيه هدايتهم ودين الحق اي الدين الحق ودين الله ليزكيهم اي
يطهرهم من الشرك والمعاصي ويعلمهم الكتاب اي القران والحكمة اي العلوم النافعة المحكمة
والشريعة التي صيرتهم حكما متقنين للعلم والعمل ويهديهم الى صراط مستقيم بالاسلام

الفصل الثاني من الباب الاول من القسم الثاني

وطاعة الله ورسوله الموصل لهم للنعيم المقيم و وعدهم محبته تعالى اى محبة الله لهم فالمصدر مضاف للفاعل
فى الاية الاخرى يعنى قوله تعالى ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله و مغفرته بقوله ويغفر لكم ذنوبكم
اذا اتبعوه لان جواب الامر فى معنى جواب الشرط واثروه بالمد اى قدموه واختاروه من الاثرة على
اهوائهم جمع هوى بالقصر وهو ما تميل اليه النفس و تدعو اليه وهو اذا اطلق يراد به ما ليس
بمحمود من الشهوات وما يجنح بجيم ونون وحاء مهملة ويجوز فى نونه الفتح والكسر بمعنى يميل
واصله الميل على احد شقيه ماخوذ من الجناح اليه نفوسهم وضع الظاهر فيه موضع الضمير
اذ المعنى يجنحون اليه ويقدمون اتباعه ومحبته على محبة انفسهم واموالهم واولادهم والناس
اجمعين كما ورد فى الحديث واخبرهم بان صحة ايمانهم فى انقيادهم له فى جميع ما امرهم به ونهاهم
عنه ورضاهم بحكمه فيما تخاصموا فيه يعنى قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وترك الاعتراض عليه
فيما حكم به وبخالفته ومعارضته وعدم رضاه كما تقدم فى قصة الانصارى مع الزبير
وروى عن الحسن البصرى رحمه الله تعالى والراوى له ابن المنذر فى تفسيره و يحتمل انه الحسن
بن على رضى الله تعالى عنهما ان اقواما قالوا يا رسول الله انا نحب الله اى تميل اليه انفسنا ونخصه
بالعبادة والرغبة لما رغبنا فيه فانزل الله مبينا لهم محبتهم والمراد منها بقوله قل ان كنتم تحبون الله
الاية اى فاتبعونى يحببكم الله يعنى ان محبته تعالى انما تتحقق بطاعة الله وطاعته بطاعة
رسوله صلى الله عليه وسلم واحب الله احبه الله كما قيل ما جزاء من يحب الا ان يحب وروى
فى سبب نزول هذه الاية ان الاية نزلت فى كعب بن الاشرف وهو رجل من عظماء اليهود من بنى النضير
وامه من طى وقتل كافرا بعد بدر بستة اشهر كما تقدم وقصته مشهورة مفصلة فى السير
وغيره من اليهود اتباعه وانهم اى ابن الاشرف واتباعه قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اشد حبا لله
وهذا ما حكاه الله تعالى عنهم فى قوله وقالت اليهود والنصارى الخ وكان اتوه صلى الله عليه
وسلم فانذرهم وخوفهم عذاب الله فقالوا اما تخوفنا يا محمد نحن ابناء الله الخ فقال لهم معاذ بن
جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب يا معشر اليهود اتقوا الله فانكم تعلمون انه رسول الله
وكنتم تصفونه قبل مبعثه فقالوا ما قلنا هذا وما انزل الله بعد موسى كتابا ولا بعث رسولا
ومعنى قول النصارى نحن ابناء الله انهم اشياع عيسى صلى الله عليه وسلم الذى زعموا انه ابن الله ومعنى
قول اليهود ذلك انهم اشياع عزير الذى زعموا انه ابن الله وقيل تقديره ابناء رسل الله فانزل الله
الاية جوابا لهم بقوله قل فلم يعذبكم الاية وقال الزجاج فى تفسير هذه الاية معناه ان كنتم تحبون الله
اى تقصدون طاعته اذ لا يصح تفسير المحبة فيها بما تعارفه الناس وفى نسخة ان تقصدوا وهذا
تفسير لمحبة العبد فافعلوا ما امركم الله به الفاء فصيحة اى اتبعونى فافعلوا الى اخره اذ محبة العبد الله
والرسول اى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاللام عوض عن المضاف طاعته لهما باتباع امرهما
ونهيهما ورضاه بما امر بان يطيعه ظاهرا وباطنا اذ لو لم يطعه باطنا كان منافقا ومحبة الله لهم
اى لعباده فسر محبة الله بعد تفسير محبة عباده لذكرهما فى الاية عفوه عنهم بغفر ذنوبهم

ومقدمة

ومقدمة على قوله وانعامه اى الله عليهم اى على عباده برحمته اهتماما به والرحمة فى حق الله بمعنى الانعام
وارادته فى حقه تعالى لان معناها الحقيقى لا يصح فى حقه تعالى فالمراد بها هنا لطفه بعباده ورافته
بهم ويقال فى تفسير محبة الله ومحبة عباده له ان معنى الحب من الله عصمته اى حفظ الله لعبده
من مخالفة امره ونهيه والعصمة بمعنى مطلق الحفظ لا تختص بالنبى صلى الله عليه وسلم فتكون لغيره
ويجوز الدعاء بها لكل احد كما تقدم والذى يختص به صلى الله عليه وسلم دون غيره هو ان يخلق الله
فيه جبلة تمنعه عن كل ما لا يرضاه الله وان لا يقدر احد على قتله ونحوه واليه اشار بقوله وتوفيق
اى يخلق الله فيه قدرة على طاعة الله ومراقبته فى السر والعلانية حتى يمتنع من المخالفات ومبدا ميل
نفسانى بتعالى الله عنه والمحبة معناها طاعة وانقياد لله ورسوله كما قال القائل اى معنى ما ذكر
هو معنى قول هذا الشاعر وهو كما فى زهر الاداب للحصرى محمود بن الحسن الوراق وقيل انه لمنصور الفقيه وهو
بليغ مفلق كان فى اول الدولة العباسية وكان كثيرا ما ياخذ حكم المتقدمين من الفلاسفة وغيرهم
فينظمها فى شعره كقوله اذا كان شكرى نعمة الله نعمة علىّ له فى مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله وان طالت الايام واتصل العمر اذا مس بالسرا
عم سرورها وان مس بالضرا اعقبها الأجر فما منهما الا له فيه نعمة يضيق بها الاوهام
والبر والبحر تعصى الاله وانت تظهر حبه هذا لعمرى فى القياس بديع لو كان حبك صادقا
لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع وفى معناه قول منصور الفقيه ايضا غلط فاحش
وجهل مبين وعمى لا يحول لا بل جنون طمع العبد فى كرامة مولاه واصراره على ما يهين
ومعنى الشعر انك تدعى محبة الله وانت عاص له ولو كنت صادقا لم تعصه لان المحب لا يخالف حبيبه
والعمر بفتح العين الحياة كالعمر بضمها الا انهم فى القسم التزموا فتحها الا شذوذا وهو مبتدا خبره
محذوف تقديره قسمى والقياس لغة تقدير الشى بذراع ونحوه وفى الاصطلاح الحاق شى بشى لمناسبة
بينهما ويطلق بمعنى الدليل المعروف والمراد قياسه بغيره وبديع بمعنى غريب عجيب يعنى ان المعاصى لا تضر
المحب لان المتحابين لا يؤاخذ احدهما الاخر وهو امر عجيب ومقتضى القياس ان المحب لا يعصى محبوبه
ويجوز ان يراد القياس المنطقى كما قيل وهو تكلف ويقال محبة العبد الله تعظيمه له وهيبته منه
اى خوفه اذا تامل عظمته ومحبة الله له اى لعبده رحمته له اى احسانه واكرامه لان معناه الحقيقى
لا يليق به فاريد به غايته وارادة الفعل الجميل له وتكون بالمثناة الفوقية وفيه ضمير المحبة
وقيل انه بالتحتية والضمير للجميل والاول اولى بمعنى مدحه والثناء عليه اى على العبد قال القشيرى
الامام الزاهد ابو القاسم صاحب الرسالة وقد تقدمت ترجمته فاذا كان اى الرحمة وذكره لتاويله
اولان تانيث المصدر غير معتبر لتاويله بان والفعل والضمير للجميل بمعنى الرحمة والارادة عطف
تفسير لان الرحمة تفسر بالانعام فيكون من صفات الافعال والمدح فى كلامه الازلى كالثناء على المؤمنين
فى القران كان من صفات الذات اما الارادة فظاهر واما المدح فلانه يرجع لصفة الكلام والكلام
على صفات الذات والافعال المفروغ منه فى علم الكلام وسياتى بعد مبنى على الضم لقطعه عن الاضافة
اى بعد هذا فى ذكر محبة العبد غير هذا فاعل سياتى اى غير ما ذكرهنا بحول الله تعالى اى باعانته

وقوة الا بالله معان منها هذا ثم ذكر حديثا مسندا رواه الاجرى شاهدا لوجوب اتباعه صلى الله
عليه وسلم فقال حدثنا ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر الفقيه بن احمد شيخ المصر قال حدثنا ابو الاصبغ عيسى بن
سهل اصبغ بصاد مهملة وموحدة وغين معجمة وحدثنا تقدم انه ح بمهملة يذكرها المحدثون اذا ارادوا
التحول من رواية لرواية اخرى كما بينه ابن الصلاح ابو الحسن يونس بن مغيث بميم مضمومة وغين معجمة
ويا تحتيه ساكنة ومثلثة الفقيه بقراتى عليه قال حدثنا حاتم بن محمد تقدم بيانه قال حدثنا
ابو حفص الجهنى نسبة لجهينة مصغر قبيلة مشهورة قال حدثنا ابو بكر الاجرى بفتح الهمزة الممدودة
وضم الجيم وتشديد الرا المهملة نسبة للاجر وهو الطوب المعروف وهو الامام الحافظ محمد بن الحسين
وقد تقدم بيانه قال حدثنا ابراهيم بن موسى الجوزى بفتح الجيم وسكون الرا وزاى معجمة مكسورة وبالنسبة
وهو ابو اسحاق الجوزى نسبة لجوزة قرية من قرى بغداد وعلى هذا اقتصر الحافظ الحلبى وقال التلمسانى
انه كذا فى اصل المصدر ورواه العزفى خوزى بخا معجمة مضمومة وواو ساكنة وزاى معجمة نسبة لخوز
جيل من الناس او قرية مشهورة قال حدثنا داود بن رشيد بالتصغير علم منقول وهو ابو الفضل
الخوارزمى الحافظ الثقة روى عنه اصحاب السنن وتوفى فى شعبان سنة تسع وثلاثين ومايتين
قال حدثنا الوليد بن مسلم الحافظ ابو العباس عالم الشام صاحب التاليف الجليلة روى له اصحاب
الكتب الستة الا انه نسب الى التدليس وتوفى سنة خمس وتسعين ومايتين وله ترجمة فى الميزان
عن ثور بن يزيد الحافظ الحمصى ثقة لكنه نسب الى القدرية حتى اخرج من حمص وتوفى سنة ثلاث
وخمسين ومائة عن خالد بن معدان الكلاعى الزاهد الفقيه الجليل خرج له اصحاب الكتب الستة
توفى سنة اربع وثمانين ومائة قيل انه كان يسبح فى كل يوم اربعين الف تسبيحة عن عبد الرحمن
بن عمرو الاسلمى كذا فى النسخ وصوابه كما قال البرهان الحلبى السلمى بضم السين المهملة وفتح اللام
وهو ابن عبسة وهو حافظ ثقة توفى سنة عشرة ومائة وحجر الكلاعى حجر بضم الحا المهملة
وسكون الجيم وراء مهملة والكلاعى بفتح الكاف ولام والف وعين نسبة الى كلاع بن سحاب
بلدة بالاندلس وذو الكلاع من ملوك اليمن المسمين بالاذوا وهذه النسبة لاحدهما توفى
سنة خمس وسبعين وروى له اصحاب السنن عن ابى نجيح العرباض بعين مهملة مكسورة وراء ساكنة
وبا موحدة وضاد معجمة واسمه الطويل وتقدم الكلام عليه بن سارية بسين مهملة والف وراء
مكسورة ويا اخر الحروف صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الصفة سكن حمص
فى حديثه فى موعظة النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اى فى حديث وعظ فيه النبى صلى الله عليه
وسلم من كان فى مجلسه من الصحابة وذلك ان عبد الرحمن بن عمرو السلمى وحجر بن حجر قالا اتينا
العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه قوله تعالى ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد
ما احملكم عليه وقلنا اتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين فقال صلى بنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم الصبح ذات يوم ثم اقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت بفتح الذال المعجمة
والرا المهملة اى سالت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قايل يا رسول الله كان هذه موعظة
مودع لما جا فيها من الوجل لله تعالى وقلوبهم وجلة فماذا تعهد الينا فقال اوصيكم بتقوى الله

والسمع والطاعة وان عبدا حبشيا فانه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم
بسنتى وسنة الخلفا الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات
الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة رواه على عن الوليد كذا قال الذهبى فى تاريخه ومن خطه
نقلت واعلم ان الموعظة هى التذكير بما يحث على الطاعة وعليكم اسم فعل يتعدى بنفسه ان كان بمعنى
الزم كقوله عليكم انفسكم وبالبا ان كان بمعنى تمسك كما هنا والسنة الطريقة مما هم عليه والخلفا
جمع خليفة والراشدين جمع راشد ضد الغاوى والمراد بهم الخلفا الاربعة ومن كان على طريقتهم كعمر
بن عبد العزيز وايمة الاسلام المجتهدين فى اعلا كلمة الله وقوله عضوا الخ فعل امر والنواجذ بالذال
المعجمة جمع ناجذ اقصى الاضراس وهى اربعة او الانياب او التى تليها والمراد الاجتهاد فى التمسك بها
فهو استعارة تمثيلية لما ذكر او كناية ويجوز ان يكون استعارة تصريحية تبعية وقيل المراد بالنواجذ
جميع الاسنان هنا وقال البرهان عن المنذرى ان يجوز ارادة الخالة وفيه نظر لمخالفته لكتب اللغة
واياكم تحذير اى احذروا المحدثات والوضا بها وهى جمع محدثة اسم مفعول وهو ما احدث مما خالف
الكتاب والسنة واجماع المسلمين والبدعة بمعناها وهى ما لم يعهد فى عصره صلى الله عليه وسلم
وهى كما قال العز بن عبد السلام تنقسم الى واجبة ومحرمة ومندوبة ومباحة فالمندوبة كتدوين
الكتب وعلم النحو واللغة والاشتغال بذلك واحداث الربط والمدارس ومن المكروه تزويق
المصاحف والمساجد وتكبير العمايم وتوسيع الملابس ومن الواجب وفرض الكفاية تعلم علم
العربية الذى يتوقف عليه فهم كلام الله وكلام رسوله ولا ينافى هذا قوله كل بدعة ضلالة لان
البدعة لها معنيان كل ما حدث بعد العصر الاول وهو المقسم للاقسام المذكورة ولذا قال صلى الله
عليه وسلم من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها واليه الاشارة بقوله سنة
الخلفا وقد خصها الشارع بما هو مذموم لعدم دخوله تحت القواعد الشرعية وهذا هو المراد
بالبدعة عند الاطلاق وهو الذى جعل ضلالة وفى عوارف المعارف واحيا الغزالى البدعة المذمومة
ما زاحم السنة الماثورة او كان يفضى الى تغييرها وفى كتاب المدخل لابن الحاج بيان لها شاف كاف
وزاد على ما رواه العرباض فى حديث جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما الذى رواه مسلم بمعناه
اى متلبسا بمعنى حديث العرباض موافق له وليس المراد انه رواية بالمعنى كما قيل وكل ضلالة اى ضال
بارتكاب البدعة المذمومة فى النار اى معذب بها ومستحق للعذاب وقيل انه متضمن لشكل منطقى
منتج لما ذكر اى كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة معذب مرتكبها فكل محدث ضلالة مستوجب
للعذاب الاليم وفى حديث ابى رافع الصحيح الذى رواه ابو داود والترمذى وابن ماجه وابو رافع
هو الصحابى مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قبطيا واختلف فى اسمه فقيل ابراهيم
وقيل اسلم وقيل ثابت وقيل هرمز ولهم ابو رافع غيره اوى هذا الحديث معدود فى الصحابة
ايضا يروى عنه عليه الصلاة والسلام لا الفين نفى بمعنى النهى اى لا اجدن والفى بمعنى وجد قال تعالى
والفيا سيدها لدى الباب وروى لا الفين كما تقدم عن الام للشافعى والصحيح رواية الاول وان صح
هذا ايضا كانه للتحقيق وجده هو وهو بضم الهمزة وسكون اللام وكسر الفا وفتح المثناة التحتية

وتشديد النون اى لا يفعل احدكم معاشر الامة او الصحابة فعلا يكون هذا من سببه وهو نهى فى الحقيقة
عن التكبر والبطر متكئا اى مائلا مستندا معتمدا او هو بالهمزة والياء ايضا وقد تقدم ان العامة لا تعرف
المتكى الا من مال فى قعوده معتمدا على احد شقيه وتاوه مبدلة من واو من الوكاء على اريكته هى سرير مزين
متخذ فى قبة او بيت وليس مطلقا لسرير اريكة وقيل هو سرير فى حجلة وقيل كل ما اتكى عليه من سرير او فراش
او منصة او محنة مما يفعله المترفون وجمعه ارائك وقال الراغب سمى به لاتخاذه من الاراك او لانه
محل الاقامة من ارك بالمكان اروكا اذا اقام به واصله الاقامة لرعى الاراك ثم تجوز به عن كل اقامة
ياتيه الامر من امرى اى شئ مما امرت به فقوله مما امرت به تفسير لقوله من امرى بدل منه ومن بيانية فيهما
وقيل الثانية بمعنى الباء كقوله ينظرون من طرف خفى اى به متعلقة بامرى والامر الاول بمعنى الشان شامل
للنهى وغيره والثانى مقابل النهى لقوله او نهيت عنه فيقول لا ادرى هذا الامر الذى تقولونه لنا ولا اتبع
ولا اعرف غير القران ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه دون غيره مما روى فى الاحاديث ولم يعرف ان ما فى
الحديث عن الله ايضا وان الوحى وحيان متلو وغير متلو وان السنة لا تخالف الكتاب وقد قال تعالى
وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فهو تحذير عن ترك امتثال امره واجتناب نهيه والعمل
بهما وسنة رسوله ككتابه يجب اتباعه سواء تواترت ام لا وفى الحديث الصحيح الذى رواه الترمذى الا انى
اوتيت القران ومثله معه الا يوشك رجل شبعان على اريكته يقول عليكم بالقران فما وجدتم فيه
من حرام فحرموه وان ما حرم رسول الله كما حرم الله الحديث ومعلوم ان هذه شبهة فاسدة مبطلة
لكثير من الشرع كشبهة الخوارج وفى حديث عائشة المروى فى الصحيحين وما ذكره المص لفظ البخارى
صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا باتى بيانه ترخص فيه اى ارتكب فيه من الرخصة وترك
العزيمة والرخصة الامر المتغير من صعوبة الى سهولة كقصر المسافر صلاته وافطاره وهذه الرخصة
انه صلى الله عليه وسلم كان يصبح جنبا وهو صايم فبلغ ذلك بعضهم فقال لسنا كرسول الله صلى الله
عليه وسلم فسمعه صلى الله عليه وسلم فغضب فقال لارجو ان اكون اخشاكم لله واتقاكم
وقيل هو ان بعض الصحابة سال ازواجه صلى الله عليه وسلم عن عبادته ليلا فلما اخبر بها استقلها
وقال انه غفر له ما تقدم وما تاخر فانا اصلى الليل كله وقيل ان بعضهم قال اعتزل النساء ولا اتزوج
وقال البرهان نقلا عن شيخه ابن الملقن انه افطاره صلى الله عليه وسلم عام الفتح والكل صحيح
فتنزه اى تباعد قوم عن العمل بما ترخص فيه فبلغه ذلك نقل له صلى الله عليه وسلم تنزه هو
لا فخطبهم موعظة على عادته فحمد الله واثنى عليه ثم قال ما بال قوم اى ما شانهم وحالهم وهو استفهام
انكارى يتنزهون عن الشئ حال كونى اصنعه فتركهم له لانهم يظنون ان خوفهم من الله اشد
من خوفى له لان الله تعالى غفر لى ما تقدم وما تاخر ولم يكلفنى ما كلفهم فوالله تاكيدا وتقريرا لقوله
انى لاعلمهم بالله واشدهم له خشية اى خوفا وقدم اعلميته به لان الخشية بمقدار العلم كما قال
الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فانكر عليهم ذلك لظنهم ان حالهم ليس كحاله وان ارتكاب
مثلهم الرخص يفضى الى عدم الخوف والتهاون بالعبادة وليس كذلك بل ان الله يحب ان يؤتى
رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه فانها صدقة تصدق الله بها عليهم لا يليق عدم قبولها وقيل انه

ليس

ليس محل انكار لكنه نزلهم منزلة المنكرين لما لاح عليهم من علامات الانكار وليس بشئ وروى عنه
صلى الله عليه وسلم كما رواه الديلمى وابو نعيم وابو الشيخ مسندا انه قال القران صعب بسكون
العين ضد السهل مستصعب بكسر العين اسم فاعل من استصعب الامر بمعنى صَعُبَ وبفتحها من استصعبت
الامر بمعنى وجدته صعبا او صيرته صعبا اى هو فى نفسه عسر على من اراد حفظه وفهمه والعمل به
وقد صيره الله ايضا صعبا على من كرهه اى من لم يرد حفظه وتدبر اياته واما من احبه وتلذذ
بتلاوته وداوم على مدارسته وتامله فيسهله الله تعالى عليه وهو اى القران الحكم بفتحتين
اى الذى يحكم على الناس بما تضمنه من الاحكام والحكم من الامثال والمواعظ وجعله حكما اى
حاكما بنفسه مبالغة فمن استمسك بحديثى المروى عنى وفهمه وحفظه بتدبر معانيه وضبط
الفاظه جاء يوم القيامة محشورا مع القران اى اذا تمسك به وعمل بما فيه وفيه استعارة
بتشبيه العامل به بالمتمسك بشئ محكم وثيق لا ينقطع فانه حبل الله المتين والعروة
الوثقى كما ورد التعبير به عنه فى الاحاديث وفيه اشارة الى ان الحديث لا يفارق القران
وانهما كشئ واحد لان السنة تبين القران ومجيئه معه اما مجيئه مع اهله او مع ثواب اعماله
التى عمل بها منه او هو على ظاهره بان يجئ ناطقا له فيشفع فيه ويقال له اقرا وارق كما ورد فى
الحديث والمراد بالقران الفاظه لا الكلام النفسى الذى هو صفة ذاتية ومن تهاون بالقران
اى اعرض عنه ولم يتوجه اليه فكونه لاهانته او عدم تعظيمه وحديثى بعدم حفظه والعمل به
فقد خسر الدنيا لانه يجئ جاهلا مهانا فقيرا والاخرة لفوات السعادة والفوز بنعيمها
كما قال الله تعالى ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى الاية
امرت بالبناء للمجهول اى امر الله امتى ان ياخذوا بقولى اى يتمسكوا بحديثى ويعملوا به كما سياتى ويطيعوا
امرى لقوله واطيعوا الرسول ويتبعوا سنتى اى يقتدوا بى ويسلكوا طريقى وشريعتى السمحة كما قال
واتبعوه لعلكم تهتدون فالعمل بسنته عمل بالقران لانهما توامان وفيه رد على من قال لا اعمل الا
بالقران ونهى عن ترك السنة وخبر الاحاد كما تقدم فمن رضى بقولى فاتبعه وعمل به فقد رضى بالقران
لانه موافق له وغير مخالف له فهما كالشئ الواحد قال تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا عنه فارضوا بما رضيه واكرهوا ما كرهه فان سنته مبينة موضحة للقران
فمن خالفه فقد ضل ولذا قالوا من اراد تفسير القران فليتامله فان بعضه يفسر بعضا فان لم
يجده فيه فعليه بالسنة فان لم يجد ما اراده فيها فعليه باقوال الصحابة فانها فى حكم المرفوع
لانه صلى الله عليه وسلم كان يقرئهم القران ويبين لهم معانيه كما رواه ابن تيمية وقال صلى الله
عليه وسلم فيما رواه عبد الرزاق عن الحسن مرسلا بلفظ من استن بسنتى اى تبعها وعمل بها
والمص رواه بلفظ من اقتدى بى فى سنتى وشريعتى فهو منى اى من اتباعى واشياعى الذين يحشرون
معى ويتصلون بى حتى كانهم بعض منى لا ينفصل عنى ومن هذه تسمى من الاتصالية كقوله صلى الله
عليه وسلم لعلى انت منى بمنزلة هارون من موسى ومن رغب عن سنتى اى تركها واعرض عنها يقال
رغب عنه اذا كرهه وضده رغب فيه وسنته طريقته او احاديثه المروية عنه الشاملة

لاقواله وافعاله وتقريراته وهما متقاربان معنى فليس حق هذا ترى منه كقوله لست من قيس
ولا قيس مني وعجزه هذا مذكور في الصحيحين ايضا ومعناه ليس حقها بمنى اى هو كافر وليس هو
على ملتي لاهانته الحديث وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ولم يخرجه السيوطى بهذا اللفظ
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان احسن الحديث كتاب الله كما قال الله تعالى الله نزل
احسن الحديث كتابا الاية وخير الهدى بالنصب ويجوز رفعه هدى محمد بفتح الها وسكون الدال
المهملة وتحتية وهو مصدر بمعنى السيرة والطريقة من قولهم تهادى فى مشيته قيل روايته هنا
كما قال القاضى فى الاكمال الهدى بضم الها وفتح الدال المقصور والهداية بمعنى الدلالة والتدبير
بالعصمة وهذه هى التى تضاف الى الله وشر الامور محدثاتها بفتح الدال تقدم تفسيره وعن عبد الله
بن عمرو بن العاص فى حديث رواه ابو داود وابن ماجه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم العلم
ثلاثة اقسام حصره فيها ان قلنا العدد يفيد الحصر لعدم الاعتداد بغيرها فما سوى ذلك وفى نسخة
وما سوى ذلك فضل اى زائد لا حاجة اليه ولا يفتقر اليه وتفسيره بالبقية غير سديد هنا والا ظهر
ما قيل ان المراد كل علم غير هذه الثلاثة وما يتعلق بها وما يتوقف عليه فهو زائد لا ضرورة داعية
لمعرفته ومعنى الفضل فى اللغة الزيادة كما علم اية من كتاب الله محكمة غير متشابه بقوله تعالى
فيه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات او غير منسوخة لان المحكم يفسر بهذا ايضا
او المراد ما يشملهما الاحكام بيانها حتى لا يحتاج لزيادة ولحكام نظمها فلا خلل فيها ويطلق
المحكم على جميع القران ايضا كما قال تعالى احكمت اياته ويجوز ارادته ايضا او سنة قايمة اى دايمة
مستمرة يعنى لم تنسخ لدوام العمل بها او فريضة عادلة اى لا جور فيها وفسرت هنا بالاحكام
المستنبطة من القران والحديث تسمية لها باعظم اقسامها او لانها استنبطت بالاجتهاد
المنوص على هذه الامة وسميت عادلة لمساواتها للنص والمراد بها فريضة المواريث وقسمتها
وهو المشهور ويطلق على ما يقابل العايلة وليس بمراد هنا وفيه اشارة الى ان العلم اللازم
العلوم الشرعية وهى التفسير والحديث والفقه وعن الحسن بن ابى الحسن هو الحسن بن يسار البصرى
وقد تقدم وهو حديث رواه عبد الرزاق عن معمر مرسلا والدارمى متصلا عن ابن مسعود عنه صلى الله
عليه وسلم وفى نسخة قال عليه الصلاة والسلام عمل قليل فى سنة فى هنا بمعنى مع كقوله تعالى
ادخلوا فى امم اى موافق للسنة ومصاحب لها وان قل خير من عمل كثير فى بدعة وان كثر لزيادة نفعه
وكثرة ثوابه والتعبير بفى اشارة الى انه يراعى السنة فى جميعه عددا وهيئته حتى تحيط السنة به
وقيل انه لمصاحبته للسنة وتمكنه فيها شبه بالظرف والمظروف وهذا كمن تهجد منفردا
ركعتين ولم يصل الصلوات التى ابتدعها بعض الصوفية بجماعة كالرغايب ووجهه ظاهر
وخير اسم تفضيل يقتضى الخيرية فى البدعة بحسب ظاهره وليس مرادة وانما عبر بها هنا بناء على
اعتقاد فاعلها القربة فيما فعله وقيل المراد الابتداع بالاعمال التى لها اصل فى العبادة كوصال الصوم
وما اشبهه وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة الواحدة وان قلت
تمسك بها اى امتثلها وعمل بها مخلصا وعن ابى هريرة فى حديث رواه الطبرانى فى الاوسط المتمسك

بسنتى اى العامل بها والسالك طريقتى عند فساد امتى اى تغير احوالها وتركها امور الدين واتباع البدع
وذلك فى اخر الزمان له اجر ماية شهيد فيه اشارة الى ان المراد بالتمسك بها العمل بها والعزم ما يعمل
ايضا فيامر بالمعروف وينهى عن المنكر وهو الجهاد الاكبر وايضا هو يجاهد نفسه حتى يترك ما الفه
الناس ومثله مما يرغب الناس عنه فيوذيه اشد الاذا فلذا اعطى ثواب الشهدا وجعل اجره
ماية للتكثير او للاشارة الى ان اكثر ما يقال ومه عشرة والحسنة بعشر امثالها وقيل ان الشهيد
فى منزلته بترك الدنيا وبذل نفسه فى نصرة الدين وثناء غيره عليه ودعايه له ومن وفقه الله تعالى
مع فساد عصره واهله فقد اختار دار البقا على دار الفنا وارتكب المشاق بمخالفة الناس والتقوى
بين الفجار كالمعصية بين الابرار كما ان الجود بين اللئام يعز عزة البخل بين الكرام كما قيل
رايت عبيد الله اكرم من مشى ... واكرم من فضل بن يحيى بن خالد
اوليك جادوا والزمان مساعد ... وقد جاد ذا والدهر غير مساعد
وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الترمذى ان بنى اسرايل
افترقوا اى صاروا فرقا واسرايل لقب يعقوب بن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام انتسب
كل من كان من قبيله وهم قوم مشهورون على اثنتين وسبعين ملة اى مذهبا او دينا الا ان الملة
والدين بمعنى وان افترقا مفهوما واستعمالا وقد تقدم تفصيله وان امتى تفترق على ثلاث وسبعين ملة
مختلفة الاعتقاد والمذاهب وروى فرقة مكان ملة وفى الحديث روايات مختلفة كلها فى النار الا واحدة
قالوا ومن هم يا رسول الله هكذا روى قالوا وعاطفة على مقدر اى هذا عددهم ومن هم وهى زايدة قال
هم الذين على الذى انا عليه واصحابى وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم لاخباره بالغيب فان ذلك
لم يكن فى عصره ولا عصر الخلفا الراشدين من بعده وقد وقع ذلك كما قال وهذا باعتبار اصول
الفرق فان شعبها كثيرة وقد الف فى بيانها تاليف اجلها كتاب الملل والنحل للشهرستانى وقد عددها
فكانت كما ذكر صلى الله عليه وسلم وهم اهل السنة والشيعة والخوارج والمعتزلة ونحوهم
من الفرق واصنافها مما يطول ذكره والمراد بكونهم فى النار انهم مستحقون للعذاب دون الخلود
الا ان يكون فى اعتقادهم ما يقتضى الكفر كبعض غلاة الرافضة والفرقة الناجية اهل السنة
والجماعة لاتباعهم القران والحديث فى الاعتقاد من غير ارتكاب تاويلات بعيدة وزعم الطوسى
وابن مطهر انهم الامامية ورده الجلال الدوانى فى شرح العقايد كما بيناه فى حواشيها ومطابقة
الجواب للسوال ظاهرة من غير احتياج للتاويل كما توهم وعن انس رضى الله تعالى عنه قال صلى الله عليه
وسلم فى حديث رواه الاصفهانى فى ترغيبه وغيره من احيى سنتى اى اظهرها بالعمل بها والحث على
اتباعها جعل ذلك بمنزلة الاحيا ففيه استعارة تبعية او مكنية وتخييلية وهو كالحديث
الذى رواه ابو هريرة لان المراد اظهارها بعد تركها اى اظهر ذكرى ورفع امرى فجعله بمنزلة احيايه كما
قيل وحسبه قد عاش لخردهم الى الحشر ان ابقى الجميل من الذكر ومن احيانى ببقا ذكرى وشرعى
كان اى تحقق ان جزاه ان يكون معى فى الجنة والمراد دخوله فيها وعلو رتبته لا مساواته فيها وحذف
طرف المعية من الزمان والمكان تفخيما له وللذهب نفسه كل مذهب وعن عمرو بن عوف بن زيد بن ملحة
المزنى الصحابى وهو قديم الاسلام شهد المشاهد وتوفى فى زمن معاوية وهو منسوب لمزينة قبيلة

فقد احيانى حرم

مشهور ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث بن عاصم بن سعيد بن قرة بن مازن
ابو عبد الرحمن المزني الصحابي وفد على النبي صلى الله عليه وسلم مع وفد مزينة وسكن وراء المدينة وتوفي
سنة ستين وسنه ثمانون سنة من احيى سنة من سنتي قد اميتت بعدي اي تركت وترك العمل بها
فشبه الترك بالموت لاشتراكهما في العدم وسنته طريقته وشريعته فهي تشمل السنن وغيرها فلا توجه
لما قيل الظاهر سنني بصيغة الرواية بالافراد والاماتة ضد الاحيا وتختص بالحيوان حقيقة كان له
من الاجر اي الثواب مثل من عمل بها فيه مضاف مقدر اي اجر من عمل بها من غير ان ينقص ذلك اي الاجر
الذي له من اجورهم شيا دفعا لتوهم انه يعطى من ثوابهم فينقص اجرهم ومن ابتدع بدعة ضلالة وفسرها
بقوله لا ترضي الله ورسوله لانها بدعة غير مرضية كان عليه مثل اثام بالمدجع اثم وهو الوزر من عمل بها
لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيا وهذا رواه الترمذي وابن ماجه وحسنه وفي من الموصولة
من العموم ما لا يخفى وكذا قوله شيا وقوله بدعة ضلالة بالاضافة والتوصيف ولا ينافي هذا قوله ولا
تزر وازرة وزر اخرى لان هذا وزره وكسبه لانه بجعله سنها لهم وارشدهم لفعلها وحسنها لهم
فكان في فوق الامر لهم كما ذكره شراح الحديث وقيل المراد ان عليهم اثما بالغا في المقدار مثل اثام العاملين
بها من جهة انه كان طريقا لهم في العمل بها ولذا غاير بين المقابلين لفظا فقال له من الاجر مثل الخ ولم يقل
عليه من الاثم انتهى ولا حاجة لما طوله وتحقيقه انه كان سببا في الخير والثاني سببا لضده والسبب
منزل منزلة الفاعل فله ما له وعليه ما عليه اي مثله وفي الحديث الدال على الخير كفاعله كمن حفر بيرا
فوقع فيها غيره فانه يضمن في بعض الصور وهو لا ينافي الاية اما لان المراد بها ان وزر غيره لا ينتقل له
او لانه مخصوص بغير السبب بالاحاديث المذكورة فصل واما ما ورد عن السلف الصالحين
يعني الصحابة والتابعين في اول القرون واما اشارة الى انه قسيم لما قبله مما في القرآن والحديث ولذا
قال وردوا الايمة يعني من بعدهم من العلما والمجتهدين من اتباع سنته اي طريقته وهو بيان لما وفي
نسخة في اتباع متعلق بورد بمعنى جا والاقتدا بهديه وسيرته عطف تفسير لما قبله وهديه وسيرته
بمعنى وهو الهيئة والطريقة ايضا فحدثنا الشيخ اصل معناه الكبير سنا ثم شاع عرفا بمعنى من كان
قدوة مفيدا لطلبة العلم لانه في الغالب يكون مسنا وهذا مما استعمل قديما واول من اطلق
عليه شيخ الاسلام الصديق رضي الله تعالى عنه كما قاله السخاوي رحمه الله ابو عمران بن عبد
الرحمن لم يعني علامة عصره بالغرب وقد تقدمت ترجمة ابن ابي تليد بفتح المثناة الفوقية منقول
من تليد بمعنى قديم الفقيه سماعا عليه وهذا الحديث من احاديث الموطا ورواه النسائي وابن ماجه
قال حدثنا ابو عمر الحافظ هو ابن عبد البر وتقدم بيانه قال حدثنا سعيد بن نصير تقدمت ترجمته
قال حدثنا قاسم بن اصبغ بالغين المعجمة كما تقدم ووهب بن ميسرة كذا في بعض النسخ بتحتية بعد الميم
وقال التلمساني انه مسرة مفعلة من السرور ووهب يحرك ويسكن وهو وهب بن مسرة بن مفرج بن
بكر التميمي مات بقرطبة منتصف شعبان سنة اثنين واربعين وثلثمائة انتهى قالا بالتثنية وهو الصحيح
وروي قال اي كل واحد منهما او اكتفاء باحدهما حدثنا محمد بن وضاح تقدم ايضا قال حدثنا يحيى بن يحيى
الليثي راوي الموطا قال حدثنا مالك امام دار الهجرة الغني عن البيان عن ابن شهاب محمد بن مسلم الزهري

وقد تقدم بيانه عن رجل من آل خالد اي اهله وقومه وهو غير مسمى فقال الحلبي لا اعرفه وقال التلمساني هو
امية بن عبد الله بن خالد بن اسيد بفتح الهمزة وكسر السين وبضمها وفتح السين والاول اصح
وهكذا رواه مالك ولم يدخل بينه وبين ابن شهاب احدا ورواه الليث بن سعد فسمى الرجل وادخل
بين ابن شهاب وامية عبد الله بن ابي بكر وامية هذا يروي عن ابن عمر توفي في سنة سبع وثمانين انتهى
وقال القرطبي في تفسيره انه يعلى بن امية بن عبد الله الخ وخالد هو ابن اسيد بفتح الهمزة وكسر السين
على ما رويا ودال مهملة وهو ابن ابي العيص بن امية بن عبد شمس اخو عتاب بانه سال عبد الله بن
عمر فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر بفتحتين اي الصلاة من غير قصر مذكورة
في القرآن ولا نجد صلاة السفر المقصورة في القرآن فقال ابن عمر في جوابه يا ابن اخي هذا جار على عادة العرب
في الشفقة بالصغير وقولهم له يا ابني ويا ابن اخي كما يقال للكبير يا ابي ويا عمي ان الله بعث الينا محمدا
اي نباه وارسله صلى الله عليه وسلم ونحن لا نعلم شيئا من امور الدين فانما نفعل كما رايناه يفعل
وروي ما رايناه بدون كاف وما موصولة او مصدرية اي نقتدي به فيما جاء به وهذا هو
المقصود هنا اما صلاة الخوف فقد ذكرت في القرآن وهي سنة خلافا لمن قال انها مخصوصة
به صلى الله عليه وسلم واما قصر الصلاة سفرا فقد ذكرت في القرآن في قوله لا جناح عليكم
ان تقصروا من الصلاة لكنها مقيدة بقوله ان خفتم الاية ولذا سالوا عنها لان اطلاقها
مبين بالسنة فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصرها فقال تلك صدقة
تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وقد يذكر الله شيئا مقيدا بشرط ويجيء على لسان
نبيه صلى الله عليه وسلم من غير شرط وقد ورد فيها احاديث اخر وقال عمر بن عبد العزيز
الخليفة العادل الزاهد المشهور رضي الله تعالى عنه سن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي اتى بافعال واقوال وطريقة شرعها هو وولاة الامر بعده بضم الواو جمع وال وهو من يتولى
امور الناس والمراد بهم هنا الخلفا الراشدون سننا جمع سنة الاخذ بها اي العمل بها
واتباعها تصديق بكتاب الله بالبا واللام لانه امر بالعمل بها واتباع سبيل المؤمنين
واستعمال لطاعة الله لان طاعتهم طاعة له في الحقيقة لانهم لا يقولون شيئا من عند انفسهم
وانما يقولون ما رووه عنه صلى الله عليه وسلم او ما استنبطوه من الكتاب والسنة
وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها اي تغيير تلك السنن بوجه من الوجوه ولا تبديلها
بتبديل لها يغايرها وهو اخص من التغيير لشموله الزيادة والنقص ويجوز ان يكونا بمعنى
ولا النظر في راي من خالفها اي لا يلتفت اليه ولا يعتبر ما خالفها اصلا وليس المراد
بالنظر حقيقته حتى يقال يجوز ان ينظر فيه ليرده من اقتدى بها اي عمل بتلك السنن
فهو مهتد لانهم على هدى من الله ومن انتصر بها فهو منصور على من خالفه ومن خالفها
واتبع غير سبيل المؤمنين غير ما هم عليه من اعتقاد وعمل ولاه الله ما تولى اي جعله
واليا لما تولى من الضلال وخلى بينه وبين ما اختاره من الضلالة واصلاه جهنم اي
ادخله فيها وساءت مصيرا جهنم وفي ذلك دليل على حرمة مخالفة الاجماع وقال الحسن ابن ابي

الحسن هو الحسن البصري كما تقدم عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة تقدم هذا وقد بينا
معناه قيل ولا تكرار فيه لانه ذكره اولا خبرا وذكره هنا اثرا وفيه نظر وقال ابن شهاب الزهري
بلغنا عن رجال من اهل العلم انهم قالوا الاعتصام بالسنة اي التمسك بها نجاة مما يخاف المرء
في الدنيا والاخرة وفي القاموس اعتصم بالله امتنع بلطفه من المعصية اي عن تلبس بالسنة
حفظ من ان تقع في معاصي الله وفيه حث على حفظها والعمل بها وكتب عمر بن الخطاب رضي الله
تعالى عنه الى عماله ونوابه وامرهم بتعلم السنة اي ما روي عنه صلى الله عليه وسلم
في اقواله وافعاله في اسفاره واقامته والفرائض اي قسمة المواريث لانها نصف العلم وفقدها
من اشراط الساعة واللحن بفتح اللام وسكون الحا المهملة وفسره بقوله اي اللغة والمراد بها
لغة العرب وما يتعلق بها من الاعراب وعلم البلاغة وقال الازهري معناه تعلموا لغة في القران
واعرفوا معانيه واللحن بسكون الحا كما علمت وقد تفتح وله معان منها التعريض وفحوى الكلام
كقوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول والخطا في الاعراب وقال الزمخشري معنى اللحن في كلام عمر
رضي الله تعالى عنه وقوله تعلموا اللحن الغريب واللحن علم الغريب الواقع في القران والحديث ومن لم
يعرفه لم يعرف اكثر كلام الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهذا رواه سعيد بن
منصور في سننه فاللحن من الاضداد ومن معانيه الفطنة وقال ابن الاعرابي ان اللحن بالسكون
الفطنة والخطا وقال غيره من اهل اللغة الفطنة بالفتح والخطا بالسكون وقال اي عمر
رضي الله تعالى عنه في اثر اخر رواه عنه الدارمي ان ناسا يجادلونكم يعني بالقران اي يخاصمونكم
وينازعونكم في بعض الاحكام التي قلتم بها فيقولون القران فيه ما يخالفكم نظرا لظاهره مما
بينته او خصصته او نسخته السنة فخذوهم انتم اي حجوهم واغلبوهم بالسنن الواردة
عنه صلى الله عليه وسلم فان اصحاب السنن اي علما الحديث ونقاده اعلم بكتاب الله اي
بمعاني القران ممن يتمسك بظواهر القران لمعرفتهم بناسخه ومنسوخه ومخصصه ومؤوله
فان تفسير القران انما يعلم من السنة وفي خبر اي خبر عمر الذي رواه عنه مسلم حين صلى عمر
رضي الله عنه بذي الحليفة بضم الحا المهملة ولام وفا بصيغة المصغر اسم مكان على ستة
او سبعة او اربعة اميال من المدينة من جهة الشام وهو ميقات اهل المدينة والشام
الذي يحرمون منه ركعتين اختلف فيهما والاصح انهما سنة لمن اراد ان يحرم بنسك موكدة عنه
اكثر الفقها في تركهما فوات فضيلة من فضايل الاحرام ولم يخالف فيه الا الحسن البصري فانه
استحب كونه صلاة فرض لانه روي انها كانت صلاة الصبح والصحيح غيره ولو كان كذلك لم يسال
عنها ولم يحتج لقوله فقال اصنع كما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع فاقتدي باثاره
وكل ما صنعه وعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه في اثر رواه عنه البخاري والنسائي حين قرن
بين الحج والعمرة في حجة حجها فقال له اي لعلي عثمان بن عفان وهو خليفة اذ ذاك وفي نسخة
فقال عمر والصحيح رواية ان القايل له عثمان رضي الله تعالى عنه كما في الصحيحين وغيرهما فهذا وهم
من الناسخ تراني وفي نسخة ترى اني اي تعلم او فشاهدني وانا انهى الناس عنه اي عن القران وتفعله

انت فانكر عليه عدم اتباعه له قال علي لعثمان رضي الله تعالى عنهما لم اكن ادع واترك سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم لاحد من الناس اي لاجل احد من الناس خالف فعله فعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاقتدي بغيره مع علمي بما صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم والحديث عن مروان بن الحكم
قال شهدت عثمان وعليا رضي الله تعالى عنهما وعثمان ينهى عن المتعة وان يجمع بينهما وعلي رضي الله
رضي الله تعالى عنه اهل بهما وقال لبيك بعمرة وحجة فلما كلمه عثمان في ذلك قال له ما ذكره المص
والمتعة تستعمل بمعنيين احدهما ان يحرم بالعمرة ثم يحرم بالحج كالمكي فالعطف من عطف المتغايرين
وان يجمع بين الحج والعمرة معا باحرام واحد والعطف على هذا تفسيري وهذا هو المراد كما هو صريح
الحديث واحتمال ارادة الاول كما قيل يأباه الحديث وسمي متعة لما فيه من ترك السفر والاحرام مرتين
وكل منهما جايز وانما نهى عن ذلك لترك الافضل عنده وعلي رضي الله تعالى عنه انما خالفه لاعتقاده
خلافه للاتفاق وليلا يتوهم احد انه ممتنع وكل منهما مجتهد ماجور وهذا مبني على مسيلة اصولية
وهي انه اذا وقع الاختلاف في عهد الصحابة في حكم شرعي هل يصح الاجماع بعدهم على احد قولي
الصحابة فذهب احمد واكثر الاشاعرة والشافعية ان حكم الخلاف لا يرتفع وذهب الغزالي وبعض
الشافعية واكثر الحنفية الى ارتفاع الخلاف كبيع ام الولد فان الصحابة اختلفوا فيه ثم اجمع
الفقها على منعه وفيه بحث وهذا الخلاف بين علي وعثمان مبني على الاختلاف في حج رسول الله
صلى الله عليه وسلم او على ما روي ان عثمان رضي الله تعالى عنه لما كلم عليا كرم الله وجهه في ذلك
قال له علي قد علمت انا تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اجل ولكنا كنا خايفين
يعني ان فعله ذلك لعارض لا انه الافضل وروي ان عثمان رجع لما قاله علي وقال ما كنت لادع
عليا لكنه مما انفرد به مسلم وكان الكلام بينهما بعسفان وهو اسم موضع معروف وعنه اي مما
روي عن علي رضي الله تعالى عنه ولم يذكروا من رواه عنه الا اني لست بنبي ولا يوحى الي بالبنا
للمجهول ولكن اعمل بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما استطعت اي ما لم اضطر
الى خلافهما فان الضرورات تبيح المحظورات وفي نسخة وسنة نبيه وكان ابن مسعود رضي الله
عنه يقول في اثر رواه الدارمي والطبراني عن ابي الدردا القصد اصل معنى القصد التوجه الى جهة
ويطلق على استقامة الطريق ثم شاع في الاعتدال بين الافراط والتفريط كما قاله الراغب وهذا هو
المراد في السنة اي في سلوك طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من الاجتهاد اي الاكثار
منه وبذل الجهد والطاقة في العمل الملتبس بغيرها وهو معنى قوله في البدعة وتقدم تفسيرها وانها
تنقسم لواجب وسنة ومحرم ومكروه كما قاله ابن عبد السلام وقال ابن عمر رضي الله عنهما فيما رواه
عبد بن حميد في مسنده بسند صحيح صلاة السفر اي المقصورة فيه وجوبا او استحبابا ركعتان
من خالف السنة اي طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصر الصلاة سفرا كفر اي صار
كافرا ان قصد مخالفة فعله صلى الله عليه وسلم عنادا او انكر جواز فعله والا فهو مجرد الاثم
مبتدع عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى وبعض الفقها وقيل الكفر بمعنى كفران النعمة التي انعم الله
تعالى بها عليه من احسانه عليه بتسهيل امره وقال ابي بن كعب رضي الله تعالى عنه فيما رواه الاصفهاني

في ترغيبه وغيره وابي هو المنذر البخاري الانصاري الصحابي توفي سنة تسع عشرة على الاصح وقيل سنة
اثنين وثلاثين في خلافة عثمان عليكم هو هنا اسم فعل بمعنى الزموا وتمسكوا بالسبيل اي طريق الله
وصراطه المستقيم وهو العمل الخالص تقربا الى الله تعالى والسنة اي طريقة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهديه وقدم السبيل اهتماما بالاخلاص ان لم نقل ان العطف تفسيري وهو جايز فانه
تعليل للحث على التمسك بالسنة والضمير للشان ما على الارض الظاهر ان المراد من عليها كل موجود
من الاحيا العقلا من هذه الامة من عصره الى يوم القيامة وقيل المراد به من كان موجودا في عصره
من الصحابة وخصهم لان قرنه خير القرون وثوابهم اكثر من ثواب غيرهم والظاهر ما قدمناه لما روي
ان العامل بسنتي عند فساد امتي له اجر ماية شهيد ومن عبد من زايدة للاستغراق على السبيل والسنة
متمسك بها والسبيل كالطريق يذكر ويونث وجعله لتمكنه كانه راكب مستعل عليها فهو تمثيل ذكر الله
صفة مخصصة لعبد ففاضت عيناه اي فاض ما عينيه ببكايه من خشية الله وخوفه وفي نسخة
من خشية ربه فيعذبه الله ابدا اي الا لم يعذبه الله ابدا ولا يدخله النار وان كان مذنبا ولا يعذبه
في قبره ايضا ويعذبه بالنصب في جواب النفي المحض كقوله لا يقضى عليهم فيموتوا وما على الارض من عبد
على السبيل والسنة اي متمسك سالك طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومصدقا به في اقواله
وافعاله ذكر الله في نفسه اي احضر الله في قلبه وفرغ فكره وذهنه لملاحظة ربه وجلاله وعظمته
والظاهر ان هذا بمجرد التصور من غير لفظ لمقابلته للذكر قبله والذكر المذكور المراد به المقارن للفكر
لانه لا يفيض ما عينيه الا لتصوره واحضاره في قلبه وقيل ان هذا يحتمل التصور المجرد والمقارن
للذكر اللساني ولا يخفى ما فيه فاقشعر جلده اقشعر بالتشديد اي اخذته قشعريرة وهي الرعدة كما في القاموس
من خشية الله اي من شدة خوفه قال الراغب الخشية خوف يشوبه تعظيم واكثر ما يكون عن علم
بما يخشى منه ولذا خص العلما بها في قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلما انتهى الا كان مثله بفتحتين
اي صفته وحاله العجيبة كمثل بفتحتين اي كهذه الصفة شجرة ذات اغصان وورق قد يبس
ورقها صفة شجرة وانما وصفها بهذا توطية للتحات الاتي لانه لا يكون كذلك الا الورق اليابس وهو
اشارة الى انه له خطايا كثيرة قديمة فهي كذلك اي فهي دايمة قايمة على هذه الحالة من قدم ورقها
ويبسها واصله فبينما هي كذلك اذا اصابتها ريح شديدة والريح مونثة فتحات عنها ورقها اي سقط
وفي القاموس حته فركه وقشره فانحت وتحات الورق سقطت كانحتات انتهى وفتحات بفتحات وتا مشددة
اخره مطاوع حته الا حط الله خطاياه المراد بالحط هنا المغفرة وعبر بها على طريق الاستعارة وعبره
لمناسبة المشبه وخطاياه جمع خطيئة وهي الذنب وهذا بدل من الا الاولى وما معها وكرر الا مع
البدل لتاكيد البعد المسافة باعتراض المثل وقيل انه استينافا جوابا لمقدر كانه قيل ماذا يترتب
على اقشعراره من الخشية مع مراعاة النفي فقيل الا حط عنه خطاياه كما تحات اصله تتحات
مضارع بمعنى تسقط عن الشجرة ورقها فان اقتصادا اي اعتدالا وتوسطا من غير تفريط كما تقدم
وهو افتعال من القصد وهو تعليل لما تضمنه ما قبله من مغفرة الذنوب الكثيرة بمجرد ذكر الله
او تذكره مع الخشوع والخشية وهو قليل ظاهرا وان كان عظيما في نفسه في سبيل الله وسنة عن غير

لمناسبة السبيل ولان ذلك الاتباع والاقتدا محيط بعمله احاطة الظرف بالمظروف خير من اجتهاد
اي زيادة وبذل لجهده وطاقته في خلاف سبيل وسنة اي بدعة مخالفة لسنة الرسول صلى الله عليه
وسلم وتقدم تفسيره وانظروا المراد بالنظر هنا التدبر والتامل وهذا تتميم لما قبله وتاكيد له
ان يكون عملكم ان كان اقتصادا او اجتهادا اي تدبروا في جميع اعمالكم قليلة كانت وكثيرة سواء بالغتم
فيها او لم تبالغوا ان تكون اعمالكم كلها وهو مع ما بعده بدل مما قبله او تاكيد له واعاده للفصل
بينهما كما تقدم وان بفتح الهمزة هي المصدرية لا الشرطية مكسورة على منهاج الانبيا على طريقتهم
والمنهاج والمنهج بمعنى الطريق الواضح وسنتهم اي طريقتهم وشريعتهم وعبر بالانبيا والمراد منهاج
نبينا صلى الله عليه وسلم اشارة الى ان منهاجه جار على منهاجهم غير مخالف له كما قال تعالى فبهداهم
اقتده وجريه باعتبار التوحيد والعقايد الحقة والاعمال الصالحة والاخلاص لا لانا مامورون
باتباعهم فيما لم يرد فيه نص كما توهم وان كان صلى الله عليه وسلم نفسه كذلك وكتب بعض عمال
عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه وعمال بضم العين وتشديد الميم جمع عامل وهو الامير المولى
من جانب الخليفة لعمله في الاموال والمصالح الى عمر يحال بلده اي يخبره بحال بلده الذي ولاه عليها
وهي حمص كما قالوه وكثرة لصوصه عطف تفسيري للحال جمع لص بتثليث اللام وهو السارق
وقاطع الطريق وغيرهما من الذين ياخذون اموال الناس بالباطل وهذا رواه اللالكائي في السنة
كما قاله السيوطي رحمه الله هل ياخذهم اي يحبسهم ويعاقبهم بالظنة بكسر الظا المعجمة المثالة
وتشديد النون اي بمجرد الظن بانهم لصوص او يحملهم اي يطلب منهم ويكلفهم على البينة كما في قوله
تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها اي تكلفوا حملها كما قاله الراغب وضمير ياخذهم للصوص
وضمير يحملهم للمدعين عليهم المعلومين من السياق وعداه بعلى باعتبار معناه الاصلي كما تقدم
وما جرت عليه السنة اي ما اقتضته الشريعة من لزوم الثبوت بالبينة ونحوه مما يترتب
عليه الحكم دون السياسة المحضة وان كان ذلك يجوز للحاكم في بعض الاحيان فكتب اليه اي
الى عامله عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه خذهم اي احكم عليهم بالبينة وما جرت عليه
السنة اي وردت واستقرت عليه فان لم يصلحهم الحق اي حكم الشريعة دون السياسة
والعنف فلا اصلحهم الله اي ينتقم منهم اذ لم يوفقهم لعمل الخير وهذا من شدة تقواه وانقياده
للشريعة واحكامها قيل فكان من ثبت عليه سرقة مضا بقطع يده فما دار الحول وفيها سارق
وعن عطا في تفسير قوله تبارك وتعالى فان تنازعتم اي اختلفتم ايها الناس في شي من امور الدين
فردوه اي ارجعوا فيه الى الله والى الرسول اي ما قالا اي الى كتاب الله وشريعة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهذا مويد لما قاله عمر رضي الله تعالى عنه ولذا ساقه عقبه وهنا لا ينافي ما ذكره
الفقها من حبس المتهم وضربه حتى يقر وانه قد يعمل بالقران كما ذهب اليه مالك وغيره فانه استحسان
منهم اذا قويت التهمة واقتضت الحال كما فصله الفقها وما قاله عمر رضي الله تعالى عنه شي اخر
وعطا هو عطا بن ابي رباح المفسر كان من كبار التابعين توفي سنة خمس عشرة ومائة وقال
الشافعي الامام المشهور امام الايمة وسلطان الامة ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه

وسلم اي لم يثبت في حديث في شريعته الا اتباعها اي اتباع السنة والعمل بها وكان يقول اذا صح الحديث
فهو مذهبي واذا خالف قولي الحديث فاضربوا به عرض الحايط وهكذا تبعه ايمتنا الشافعية
رضي الله تعالى عنهم وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كما رواه عنه الشيخان وقد نظر الى
الحجر الاسود في طوافه والجملة حالية بتقدير قد او معترضة موذنة بان قوله ذلك حال المشاهدة
انك حجر لا تضر ولا تنفع اي لا تقدر على ضر ونفع بالذات وان كان الله جعله سببا لاجابة
الدعا عنده وسنبينه ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك
اي في طوافه وانما استحب تقبيله لانه نزل من الجنة وكان ابيض كاللبن فسودته خطايا بني ادم
كما ورد ثم قبله عمر بعد ما ذكر وروى الحاكم ان عليا رضي الله عنه كان خلف عمر فلما سمع قوله
هذا قال له بل يضر وينفع فان الله لما اخذ الميثاق على بني ادم في عالم الذر كتب ذلك في رق والقمه
الحجر الاسود وسياتي يوم القيامة وله لسان يشهد به لمن استلمه بالتوحيد ووفايه العهد
وروي ان ذلك ذكر له صلى الله عليه وسلم فاقره وقد قالوا ان عمر رضي الله تعالى عنه كان
عالما بذلك ولكنه قال مقاله هذا واسمعه للناس لقرب عهدهم بالجاهلية وعبادة الا
حجار فخشي ان يضلوا ويعتقدوا معها نفعها قياسا عليه وقد ورد ان الحجر الاسود يمين الله
في ارضه اي وضعه في الارض ليقبل كما تقبل اليد اليمنى دون اليسرى تكريما لها او ان تقبيله
يفيض الانعام والرضى كتقبيل يدا العظما فهو استعارة والاضافة للتشريف كبيت الله
وفيه رد على من قال ان الحجر الاسود له خاصة في ذاته كخاصة المغناطيس لجذب الحديد وفي
الحديث من الاحكام انه يكره تقبيل ما لم يرد الشرع بتقبيله كما يفعله بعض العوام من تقبيل
قبور الاولياء والاماكن المباركة وقول الشافعي رضي الله تعالى عنه كل مكان قبل من البيت
حسن لم يرد به استحبابه وانما اراد اباحته لان المباح حسن عند بعض الاصوليين وربي يروى
للمجهول براء مهملة مضمومة وهمزة مكسورة ويا مفتوحة وقال ابن مرزوق انه بوزن قيل ففيه
ما فيه من اللغات ولحن همزة يا القلب المكاني وتبعه بعضهم فان ساعدته رواية فيها ونعمت
والا فهو تكلف لا حاجة اليه عبد الله بن عمر الصحابي المشهور رواه عنه احمد بن حنبل والبزار
بسند صحيح يدير ناقته في مكان وهو راكبها اي يلفت وجهها او يطيفها حوله حتى عادت
لموضعها الاول فسيل عن فعله ذلك لاي شي هو فقال لا ادري وجه ما فعلته وحكمته
الا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله اي يدير ناقته في هذا المكان ففعلته
اقتدايه صلى الله عليه وسلم وفيه انه يستحب الاقتدا بافعاله صلى الله عليه وسلم تبركا
وتيمنا الا انه قيل اذا صدر عنه امر يحتمل انه اتفاقي بمقتضى الجبلة البشرية لا بنية التعبد هل
يستحب فعله ام لا فذهبا لاكثرون الى انه لا يستحب الا انه لا باس به وهو الظاهر واما غيره
فيكره الاقتدا به في مثله كما يفعله بعض الصوفية في اتباع اثار مشايخهم ومن هذا القبيل
لبس الخرقة ونحوه فاعرفه وقال ابو عثمان الحيري شيخ الصوفية بنيسابور وهو بكسر الحا
والرا المهملتين وبينهما مثناة تحتية ساكنة وفي اخره يا نسبة مشددة نسبة للحيرة

اسم

اسم محلة بها كان يسكنها وهو ابو عثمان سعيد ابن اسماعيل توفي في سنة ثمان وتسعين وماتين وهو
من كبار الزهاد والمشايخ الصوفية وهو صاحب ابي حفص النيسابوري كما قاله ابن ماكولا والذهبي
وذكره القشيري في رسالته ونقل ما ذكره المص عنه وذكر انه صحب شاه الكرماني ويحيى بن معاذ
الرازي ثم ورد نيسابور مع شاه الكرماني على ابي حفص الحداد فتخرج عليه وزوجه ابنته وقد صحف
الناس هنا نسبته فقيل انه الحنيذي بحا مهملة مضمومة ونون مفتوحة بعدها يا ساكنة وذال معجمة
مكسورة ويا نسبة كذا في اصل ابي العباس الغزي وهو مخالف لما في اصل المص بخطه وهو الصحيح
وفي بعض النسخ الجنيدي بجيم مضمومة ودال مهملة وفي بعضها الحميدي مصغرا بحا ودال مهملتين
والكل تحريف وتصحيف والصحيح ما نقلناه اولا واذا جانهر الله بطل نهر معقل واقربها الحنيذي فانه
كان على طريقته في الزهد ولم يكن في عصره اعرف منه بطريق المشايخ ومن كلامه رضي الله تعالى عنه
الصحبة مع الله عز وجل بحسن الادب ودوام الهيبة والمراقبة والصحبة مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم باتباع سنته وظاهر فعله والصحبة مع اوليا الله بالاحترام والخدمة والصحبة
مع الاهل بحسن الخلق والصحبة مع الاخوان بدوام البشر والصحبة مع العوام بالدعا والرحمة لهم
من امر السنة على نفسه وهو بفتح الهمزة وتشديد الميم ورا مهملة خفيفة اي جعل سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وطريقته قولا وفعلا اي في اقواله وافعاله فهو منصوب على الظرفية او تمييز
محول عن المفعول اي جعلها اميرا عليه وحاكما وهو عبارة عن عدم مخالفتها وقيل انه بفتح الهمزة والميم
المخففة وتشديد الرا المهملة اي اجراها ومشاها عليه وهو بعيد نطق بالحكمة اي القول الصواب
النافع له في الدنيا والاخرة وكل كلام وافق الحق فهو حكمة ومن امر الهوى امره كالذي قبله ففيه
استعارة والهوى ما يهواه نفسه الامارة وتشتهيه نطق بالبدعة اي بما يخالف الحق مما زينه له
الشيطان من الضلالة وقال سهل التستري وهو سهل بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع شيخ
الصوفية الزهاد تقدمت ترجمته والكلام على بلدته تستر وهي مشهورة اصول مذهبنا اي التصوف
اي قواعده التي يدور عليها ثلاثة اولها واعظمها الاقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم واتباعه في الاخلاق
والافعال والثاني والثالث اخلاص النية في الاعمال وهذه الاصول وان كانت اصول الصوفية فهي
اصول الشريعة ايضا وقد ورد في الحديث بمعناه وهو ظاهر وجاء اي ورد عن السلف في التفاسير
الماثورة في تفسير قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه انه بفتح الهمزة فاعل
جا الاقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم فان العمل لا يكون صالحا مقبولا الا اذا وافق الكتاب والسنة
وموافقتهما عين الاقتدايه قولا وعملا وضميرانه للعمل الصالح وضمير يرفعه المرفوع والمنصوب
الاول للكلم الطيب وهو التوحيد والثاني للعمل والرفع بمعنى القبول ويجوز العكس اي يرفع
التوحيد برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقبل بدونه وعلى الثاني المراد بالكلم الطيب
الاذكار وما هو قريب منها وهي انما تقبل اذا وافقت السنة والكلام عليه مفصل في كتب
التفسير وحكي بالبنا للمجهول اي نقل لنا ان الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى وحنبل اسم جده
فانه احمد بن محمد بن حنبل كما اشار اليه المص فيما ياتي بن هلال الشيباني المروزي ثم البغدادي

الاكل من الحلال حرصهر

لانه تربى بها ودفن فيها ثاني عشر ربيع الاول سنة احدى واربعين ومايتين وهو امام السنة صاحب
المذهب الزاهد العابد وله مناقب افردت بالتاليف قال كنت يوما مع جماعة تجردوا وانا معهم عراة ودخلوا
الما للاغتسال فاستعملت الحديث اي عملت به فالسين للتاكيد وقيل المعنى طلبت ذلك من نفسي وقلت
لا توافقي هولا وهذا الحديث رواه مسلم والترمذي وهو من كان يؤمن بالله اي يصدق ويعترف بالله
واليوم الاخر اي يوم البعث والحشر وهو يوم القيامة والايمان بهما عبارة عن الايمان بجميع ما جاء به
الرسول صلى الله عليه وسلم فكنى بالطرفين عن الجميع فهو من باب الاكتفا فلا يدخل الحمام المراد به
كل مكان فيه ما يغتسل به ثم غلب في العرف على محل مخصوص الا بميزر المئزر بكسر الميم وهمزة ساكنة وتبدل
يا بمعنى الازار وهو ما يستر به نصف المرء الاسفل ولم اتجرد انا اي لم اخلع ثيابي واتعرى منها وهو عطف
تفسير لاستعملت الحديث فرايت في المنام تلك الليلة اي في تلك الليلة التي تلي يوم تجردهم قايلا
اي شخصا يقول لي يا احمد ابشر اي مبشرا من الله بما يسرك ان الله قد غفر لك اي عفا عنك وانعم عليك
بقبول ما صدر منك باستعمالك السنة اي بسببها فقد اتبعت الرسول صلى الله عليه وسلم والعمل
بحديثه وجعلك اماما يوتم بك ويقتدى بك لكونك مجتهد اصحاب مذهب قلت لمن رايت في المنام
من انت استفهاما يريد به تعيينه عنده قال جبريل اي انا جبريل رسول الله الى عباده

فصل

ومخالفة امره اي بترك ما امر الامة به وتبديل سنته اي تغييرها بوجه من وجوه التغيير ولو بتاويله على خلاف
مراده ضلال اي عدول عن الطريق المستقيم وهي طريق الرسول صلى الله عليه وسلم وشريعته وبدعة
اي امر محدث في الدين واذا اطلقت البدعة انصرفت الى غير الحسنة وهي المرادة هنا متوعد عليهما اي ورد
الوعيد لفاعلها في احاديث كثيرة تقدم بعضها وفي ايات قرانية من الله بالخذلان متعلق بقوله متوعد
والخذلان ضد التوفيق وهو ان يخلق الله فيه داعية المعاصي في الدنيا والعذاب الاليم في الاخرة قال الله
تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم ضمن يخالفون معنى يعرضون
فلذا عداه بعن وهو متعد بنفسه وضمير امره للنبي صلى الله عليه وسلم لانه المقصود بالذكر في الاية
وهو الذي بنى المص عليه كلامه هنا وفيه وجه اخر انه لله لانه الامر حقيقة والفتنة ما في الدنيا
من المصايب والمحن الدنيوية والعذاب الاليم في الاخرة وقال تعالى ومن يشاقق الرسول اي يعاديه
ويخاصمه فيكون في شق وهو في شق اخر من بعد ما تبين له الهدى اي ظهر الحق وثبت معاينة بمعجزاته
صلى الله عليه وسلم وهداية الله تعالى لمن هداه برسوله صلى الله عليه وسلم ويتبع غير سبيل
المومنين اي يسلك طريقا غير طريقتهم في الاعتقاد والعمل نوله ما تولى اي نجعله متوليا لما تولاه
من الضلالة والبدع الاية اي اقراها يعني قوله ونصله جهنم وساءت مصيرا وهذا وعيد شديد
لمن لم يقتد به صلى الله عليه وسلم واستدل بهذه الاية على حجية الاجماع كما بين في كتب الاصول
ثم ذكر حديثا رواه مسلم والامام مالك مسندا شاهد المذكور فقال حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابي
جعفر هو عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسني وقد تقدمت ترجمته وعبد الله بن عتاب تقدم ايضا
بقراتي عليهما بيان لطريق روايته ويسمى عرضا قالا حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد تقدم ايضا قال
حدثنا ابو الحسن القابسي تقدم قريبا قال حدثنا ابو الحسن بن مسرور الدباغ بسين مهملة منقول

من اسم المفعول وهو علي بن محمد بن مسرور توفي في منتصف رمضان سنة تسع وخمسين وثلثماية قال حدثنا
احمد بن ابي سليمان هو تلميذ سحنون وهو مولى لربيعة ويكنى ابا جعفر توفي سنة احدى وتسعين ومايتين
وقد ناهز السبعين قال حدثنا سحنون عبد السلام بن سعيد وستاتي ترجمته مفصلة قال حدثنا
ابن القاسم تقدمت ترجمته قال حدثنا مالك الامام المشهور عن العلاء ابن عبد الرحمن تقدم ايضا
عن ابيه عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة مثلثة البا والكسر لغة قليلة فيها
وذكر الحديث في صفة امته صلى الله عليه وسلم يعني قوله لكم سيما ليست لاحد من الامم تردون علي
غرا محجلين من اثار الوضو وفيه اي في الحديث المذكور فليذادن رجال عن حوضي اللام في جواب قسم مقدر
ويذادن مبني للمجهول بذال معجمة والف بعدها دال مهملة ونون توكيد مشددة والذود هنا بمعنى
الطرد والمنع وهذه رواية ابن القاسم ورواية غيره فلا يذادن ولا نافية او ناهية اي لا يفعل
احدكم فعلا يطرد بسببه عن حوضي على معنى التحذير والاشفاق وبحسب الرواية التي اختارها المص
كما يذاد البعير الضال اي كما يطرد البعير اذا ضل من صاحبه واتى ليدخل في ابل اخرى ليستقي فيطرد
من بينها لئلا ينقص شربها فانا ديهم اذا طردوا الا هلم الا هلم كرره للتاكيد على العادة في نداء من ضل
وهذا بيان لحرصه صلى الله عليه وسلم على ردهم لشفقته عليهم ورحمته لهم وهلم بفتح الهاء وضم
اللام وقد تفتح وهي اسم فعل بمعنى اقبل واحضر ويتعدى بنفسها وبالى واللام وميمها مشددة
مفتوحة يستوي فيها المذكر وغيره وهي بسيطة في الاصل او مركبة من ها ولم او هل ام وهذه لغة
اهل الحجاز وهي الفصحى لانها لغة القران ولغة غيرهم هلم وهلما وهلي وهلموا وهلممن فهي عندهم فعل
لان اسم الفعل لا يتصل به الضماير والمطرودون من المنافقين والمرتدين لكونهم اظهروا الاسلام
وتوضوا وصلوا فيكونون غرا محجلين ولذا دعاهم وناداهم ولو لم تكن هذه السيما الا للمومنين
لم يدعوا فان كان المراد اهل البدع من المومنين واصحاب الكباير فالامر ظاهر وقال النووي واختلف
في المراد به على اقوال احدها ان المراد بهم المنافقون فيجوز ان يحشروا غرا محجلين فيناديهم بسيماهم
فيقال انهم بدلوا ولم يموتوا على الاسلام والثاني ان المراد من كان في زمنه صلى الله عليه وسلم
ثم ارتد بعده فيناديهم وان لم يكن لهم سيما لانه يعرفهم والثالث ان المراد اصحاب الكباير المعاصي
الموحدين واصحاب البدع فيذادون عقوبة لهم فيقال بالبنا للمجهول اي يقول الله تعالى والملايكة
او من عرفهم من الصحابة انهم قد بدلوا بعدك اي غيروا سنتك وارتكبوا ما لم يعهده منهم وفي
نسخة انهم قد تبدلوا بعدك فاقول سحقا سحقا وفي نسخة فسحقا باعادة الفا للتاكيد وهو بضم
السين والحا وتسكن تخفيفا قال تعالى فسحقا اي جعلهم الله في مكان سحيق اي بعيد واصله
من سحقه اذا فتته والسحق الثوب البالي وهو على تقدير اسحقوا وابعدوا ابعادا شديدا ويحتمل
انه دعا عليهم تقديره الزمهم الله سحقا فنصبه على المصدرية او هو مفعول به واذا كان فعامله
محذوف وجوبا كجدعا وعقرا قيل هل هو مصدر لفعل ثلاثي وهو سحقه او لغيره اي اسحقه
على حذف الزوايد وقياسه اسحاقا ولا يحتاج لذلك وان اختاره ابو علي اقول بل له داع لان سحقه
بمعنى فتته كسحق المسك ونحوه واما من البعد فالمستعمل سحقه يقال بعده الله واسحقه كما قاله

بعدك

الراغب وروى انس ابن مالك في حديث رواه الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال من رغب عن سنتي
اي تركها لان رغب يتعدى بعن يكون بمعنى الترك ضد رغب فيه وسنته طريقته وشريعته
فليس مني اي ليس من اتباعي واشياعي ومن اتصل بي كما تقدم بيانه وهذا تبرء منه ورد له فهو في معنى
الحديث الذي قبله وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان من ادخل في امرنا اي احدث
بدعة في الدين وروى من احدث وهما بمعنى هذا عبر باسم الاشارة اشارة الى انه لظهوره بمنزلة
المحسوس المشاهد ما ليس منه اي امر مخالف للكتاب والسنة فهو رد اي مردود وعبر بالمصدر
للمبالغة كرجل عدل وهذا من حديث طويل من قواعد الدين وقال الطوفي انه نصف الدين وروي
ابن ابي رافع عن ابيه وهذا الحديث رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه كما تقدم قريبا عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا الفين احدكم بالبناء للمجهول نهي لنفسه والمراد به نهي غيره عن ان
يجدهم ويراهم على هذه الحالة متكيا على اريكته اي مترفها جالسا على سرير وتقدم بيان الاريكة
ياتيه الامر جملة حالية تقريرا لبطره وسوء ادبه من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول
لا ادري ما اتيت به لا ادري غير كتاب الله ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وقد تقدم قريبا الكلام
عليه زاد المقدام في هذا الحديث كما رواه الحاكم عنه وهو المقدام بكسر الميم بن معدي كرب
الكندي المكنى بابي صالح ممن وفد على النبي صلى الله عليه وسلم من كندة وتوفي بالشام سنة
سبع وثمانين وهو ابن احدى وسبعين سنة الا بفتح الهمزة كلمة استفتاح وان ما حرم رسول الله
مثل ما حرم الله لانه مبلغ عنه فيجب اجتناب ما حرمه وفيه رد على القايل لا نتبع الا كتاب الله
وفيه اشارة الى انه معصوم في اقواله وافعاله وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
الدارمي وابن المنذر وابن جرير وابو داود مرسلا وجيء بمجهول جاء والجملة حالية بتقدير قد او معه
بكتاب اي مكتوب في كتف اي في عظم كتف لانهم في الصدر الاول كانوا يكتبون فيها وفي الجلود
لعزة الورق اذ ذاك والجائي به عمر رضي الله تعالى عنه او ابنته حفصة او عايشة كما قيل
وقيل انه شيء كان كتبه بعض المسلمين عن اليهود فلما راه صلى الله عليه وسلم القاه وقال
كفى بقوم متعلق بكفى او الباء زايدة في المفعول حمقا او قال ضلالا شك من الراوي ونصبهما
على التمييز والحمق الغباوة وعدم الفهم والضلال ضد الهداية وجعله كذلك لنظرهم
في امور منسوخة محرفة وتركهم السنة ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم بين اظهرهم
كما بينه بقوله ان يرغبوا هو فاعل كفى اي رغبتهم عما جاءهم به نبيهم اي معرضين عنه مشتغلين
بما لا يعنيهم الى ما جاء به غير نبيهم اي ناظرين اليه راغبين فيه وهم لا يعلمون بصحته او ناظرين الى
كتاب غير كتابهم الذي انزله الله تعالى على رسولهم فلا ينبغي لهم الا الاقتداء به والسماع منه
اغتنا ما له وهو بين وفيه اشارة الى انه كان مما نقلوا عن اليهود كما نقله في زاد المسير فنزلت
اية اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب اي القران الذي ما فرطنا فيه من شيء فهو لوم على ما فعلوه
وهو عطف على ما قبله والهمزة مقدمة من تاخير او على مقدر معلوم من الحال اي قالوا ذلك
ونقلوه ولم يكتفوا الى اخره وهذا سبب نزول الاية كما نقله في اسباب النزول وقيل سبب

نزولها ان المشركين طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم باية من ايات الانبياء
عليهم الصلاة والسلام كعصى موسى وناقة صالح فقال الله تعالى ولم يكفهم معجزة
القران التي هي اعظم المعجزات وهي باقية مستمرة ولذا قال تتلى عليهم الاية وعبر بالمضارع والضمير
لليهود او المسلمين او المشركين وقيل ان كلا منهما سبب لنزولها ولا مانع من تعدد السبب ولا حاجة
لتعدد النزول كما قيل وفيه دليل على النهي عن قراءة الكتب المنسوخة الا لمصلحة ممن يعرف النسخ
والتحريف وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله تعالى
عنه هلك المتنطعون اي وقع في امر مهلك يودي الى غضب الله تعالى وعقابه من تنطع
اي بالغ وغالى في الامور وتشدق بكلام لا حاجة اليه من النطع وهو الفلك الاعلى من الفم
استعير لكل متعمق في قول وفعل غيرهم واصله من فتح فمه في تكلمه وقال الخطابي المتنطع
المتعمق المتكلف للبحث عن مذاهب اهل الكلام الخايض فيما لم يبلغه عقله ومناسبته
لما نحن فيه ان من تنطع خرج عن ظاهر السنة وعدل عن ظاهر سنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبه صرح اول الحديث وهو تعلموا الفرايض قبل ان يقبض واياكم والتنطع والتعمق
والبدع وهلك جاء من باب ضرب ومنع وعلم وقال ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وهذا
رواه عنه ابو داود والبخاري وغيرهما لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعمل به من سنة في اقواله وافعاله واحكامه وهديه الا عملته اقتداء به صلى الله عليه
وسلم واتباعا لاثاره الحميدة اني اخشى اي اخاف ان تركت شيئا من امره اي شانه وحاله الذي
كان عليه ان ازيغ بزاي وغين معجمتين اي اميل عن الحق والسنة واصل معنى الزيغ الميل عن الاستقامة قال
تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم اي لما فارقوا الاستقامة عاملهم الله بذلك

الباب الثاني

من القسم الثاني من الكتاب في ذكر ما يدل على لزوم محبته اي وجوبها على كل مكلف من امته وفي نسخة
فصل والصحيح الاول ووجوبها عقلا وشرعا لقوله قال تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم
وازواجكم اي زوجاتكم جمع زوج وهو يطلق على الذكر والانثى وزوجة لغة ايضا فرقا بين المذكر والمونث
وعشيرتكم وهم اقرباء النسب واموال اقترفتموها اي اكتسبتموها وملكتموها الاية اي اقرا ما بعد ما ذكر
وهو وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا
حتى ياتي الله بامره وسبب نزولها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما امر بالهجرة تخلف بعضهم عنه
فنزلت وتفسير الاية معلوم من التفاسير لا حاجة لذكره هنا فكفى بهذا المذكور في الاية حضا اي حثا
وتحريضا وترغيبا قال الراغب الحض التحريك كالحث الا ان الحث يكون بسير وسوق والحض لا يكون بذلك
واصل الحث على الحضيض وهو قرار الارض انتهى وتنبيها اي ايقاظا لهم من نومة الغفلة عن محبته
صلى الله عليه وسلم حتى لا يغيب عنهم طرفة عين ودلالة على ما يجب من محبته وحجة اي اثباتا
لدليل وجوب محبته عليهم والاحزان بالنسبة لمن لا يعرف ذلك وما قبله لخرم على التزام محبته
اي لزومها عقلا ووجوب فرضها عليهم شرعا وعظم خطرها اي قدرها وفايدتها واصله
ما يعطى عند الرهان واستحقاقه صلى الله عليه وسلم لها اي المحبة المذكورة كما قيل

تملك بعض حبك كل قلبي فان ترد الزيادة هات قلبا اللهم املا قلبي بنور ايمانك ومحبتك ومحبة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم حتى لا يكون فيه محل لغيرك اذ فرغ بفتح القاف والرا المهملة المشددة وعين مهملة اي فتح قيل وفي اصل المص تفرغ والصواب الاول تعالى من كان ماله واهله وولده احب اليه من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم بين تفريعه بقوله واوعدهم بقوله فتربصوا اي انتظروا امره وفيه من التوبيخ ما لا يخفى وفسقهم اي وصفهم ونسبهم للفسق بتمام الاية اي بما ذكر في اخرها حيث قال والله لا يهدي القوم الفاسقين فجعلهم فاسقين بتخلفهم عن الهجرة وسلب عنهم الهداية بوصف يشعر بنفيها وهو معنى قوله واعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده الله تبارك وتعالى حدثنا ابو علي الغساني الجياني الحافظ وتقدمت ترجمته فيما اجازنيه يعني انه رواه عنه بالاجازة ولم يقراه عليه مع انه معاصر له وهو اي هذا الحديث الذي رواه البخاري وغيره مما قراته على غير واحد من المشايخ غير فله في روايته طرق كثيرة اقوى من هذه وانما اختارها لعلو سنده وجلالته قال الغساني حدثنا سراج بن عبد الله القاضي تقدم بيانه حدثنا ابو محمد الاصيلي تقدم ايضا قال حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف هو الفربري راوي البخاري وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا محمد بن اسماعيل هو امام اهل المسند صاحب صحيح البخاري قال حدثنا يعقوب بن ابراهيم ابن كثير البغدادي الدورقي صاحب السنة وامام الحديث توفي سنة ثنتين وخمسين ومايتين ونسبه الى دورق اسم بلدة او الى صنعة الداورق وهي نوع من القلانس قال حدثنا ابن علية بالتصغير الامام الثقة الحافظ اسماعيل بن ابراهيم بن مقسم المشهور بابن علية اخرج له اصحاب السنن الستة وتوفي سنة ثلاث وتسعين ومائة وله ترجمة في كتاب الميزان وعلية امه عن عبد العزيز بن صهيب علم منقول من المصغر وهو البناني الاعمى الامام الثقة الحافظ اخرج له الستة وتوفي سنة خمس وثلاثين ومايه وترجمته مشهورة عن انس بن مالك الصحابي المشهور ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم هو من خطاب المشافهة فيعم الموجودين وغيرهم وقيل خص بالخطاب الموجودين والحكم عام بشهادة انه روي بغير خطاب في مسلم لا يؤمن عبد وفي رواية غيره احد اي لا يؤمن ايمانا كاملا كما في رواية ابن حبان لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى اكون بالنصب وهو غاية لما قبله احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين ايثارا له صلى الله عليه وسلم او كذا ماله واجلا لا واحب بمعنى اكثر محبوبية على خلاف القياس كاشغل من ذات النحيين ولم يذكر نفسه لدخولها في الناس وقوله اليه لا يقتضي خروجها لمغايرتها له من جهة كونه محبا وهي محبوبة والام وساير الاهل داخل في الناس ايضا ولا حاجة لادخالها في الوالد كما قيل وسياتي معنى محبتهم له صلى الله عليه وسلم وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه نحوه اي روي عنه حديث بمعنى الحديث المذكور وروي عن انس خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عنه عليه الصلاة والسلام ثلاث اي ثلاث خصال وخصال ثلاث فالوصف المقدر سوغ الابتدا بالنكرة كقولهم ضعيف عاذ بقرملة اي رجل ضعيف من كن اي الخصال فيه وجد حلاوة الايمان خبر المبتدا وصفته وكن بمعنى وجدن فكان تامة وحلاوة الايمان لذة فيه

استعمال او هو مجاز مرسل الخصلة الاولى ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما جمع الله وغيره في ضمير وقد نهى صلى الله عليه وسلم عنه كما تقدم حيث قال للخطيب الذي قال ومن يعصهما فقد غوى بيس خطيب القوم انت قل ومن يعص الله ورسوله لايهامه التسوية بين الله وغيره ولذا قيل انه مكروه واجيب عنه بان الخطبة مقام اطناب لا ايجاز وانه يجوز لله ورسوله ذلك دون غيرهما فهو من خصايصه واليه مال ابن عبد السلام وقيل انها واقعة حال لا تخصص لاحتمال انه كان بالمجلس من يتوهم التسوية او ان هذا كان في ابتدا الاسلام ووجود المشركين بين ظهرهم لا سيما اذا قصد المبالغة في تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لا يفصل بين محبته ومحبة الله بفاصل لفظي وملاحظة انه لا يمكن التسوية بين العبد وسيده وفيه كلام فصلناه في غير هذا المحل والثانية ان يحب المرء بالنصب مفعول يحب وفاعله ضمير من لا يحبه الا لله اي يخلص في محبته من غير ملاحظة انتفاع ما وعلامته ان لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفا كما قال يحيى بن معاذ والثالثة ان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار لتمكن الايمان من قلبه ومحبته له واطمينانه قلبه وفي رواية بعد اذ انقذه الله منه والانقاذ الاخراج وهذا ظاهر في حق من تلبس بالكفر كالعود فانه بمعنى الرجوع اما من ولد مسلما واستمر على اسلامه فيعلم بالمقايسة عليه وبالطريق الاولى وقيل الانقاذ بمعنى العصمة منه والعود بمعنى الصيرورة وعدي العود بفي وهو يتعدى بالى لتضمنه معنى الاستقرار كما في قوله وما يكون لنا ان نعود فيها وعن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه في حديث رواه البخاري عن عبد الله بن هشام انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي خبر انت واللام في جواب قسم مقدر من كل شيء في الدنيا وغيرها الا نفسي التي بين جنبي بتشديد اليا كما الي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه ايثارا له صلى الله عليه وسلم على نفسه وغيره فقال عمر مجيبا له صلى الله عليه وسلم والذي اي الله الذي انزل عليك الكتاب واوحى اليك القران لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الان نطقت بالحق او ظهر اتصافك بكمال الايمان فهو متعلق بمقدر وهو مبني على الفتح وال فيه لازمة كما اتفق عليه النحاة وهو الزمان الحاضر يا عمر صرح باسمه اشارة الى انه وصل لرتبة علية تخصه بالنسبة لبعض من عداه اي لا تكفيك المرتبة الاولى ولا يليق بعلو همتك الاقتصار عليها وانما اقتصر على الاولى احترازا عن المبالغة لان محبة المرء نفسه وترجيحها امر طبيعي لا يسلم منه الا من ملك نفسه وجاهدها وقال ابن حجر جوابه اولا كان بحسب ما طبع عليه ثم تامل فعرف بالاستدلال انه صلى الله عليه وسلم احب اليه منها لانه الذي نجاه من الهلاك في الدنيا والاخرة فاخبره بذلك ثانيا ولذا قال الان تحققت ونطقت وقيل معناه لن يؤمن احدكم ايمانا يعتد به حتى يقتضي عقله ترجيح رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما سواه وفيه شوء ادب ثم قال والحديث يومي الى ان محبة الرسول صلى الله عليه وسلم له امر غير اعتقاد عظمته كما زعمه المصور رده القرطبي ولا وجه فان عمر لا يشك انه صلى الله عليه وسلم اعظم من نفسه ومن كل شيء ولا يلزم من اعتقاد الاعظمية

المحبة كما لا يخفى والمراد بالحب هنا العقلي الاختياري الذي يقتضي العقل ايثاره وان خالفه
الطبع كمحبة المريض الدوا لا الطبيعي الذي لا يدخل تحت اختياره فان الله لا يواخذه به لانه
لا يدخل تحت استطاعته والمراد بالنفس هنا الذات ولوازمها من الحياة ونحوها وقيل المراد
الروح وان فرق بينهما واراد بالتي بين جنبيه السر القايم به الحياة واضافه اليهما لجري العادة
بسبب الحياة بسبب ما بينهما وهو القلب وما يتعلق به من ساير الاعضا الرييسه وليس هنا
موضع الكلام على الروح انتهى وابن عمر رضي الله تعالى عنه القسم بعد ما قدره تحقيقا
لخلوص طويته في مقالته ولذا قال له صلى الله عليه وسلم الان لما علمه منه وقال سهل
بن عبد الله التستري من لم ير اي يعلم ويتحقق يقينا ولاية الرسول عليه في جميع احواله الولاية
بكسر الواو وفتحها بمعنى نفوذ حكمه وسلطانه حتى كانه مملوك له وقال الراغب الولاية بالفتح
النصرة وبالكسر تولي الامر وقيل الولاية والولاية واحدة وهي مصدر نحو الدلالة والدلالة
وحقيقتها تولي الامر انتهى والمراد انه لا يخالفه في امر من اموره ويرى نفسه في ملكه بكسر الميم اي
تملكه حتى كانه عبده صلى الله عليه وسلم لا يذوق حلاوة سنته استعارة تصريحية
او مكنية وتخييلية والمراد انه اذا سلم ولاية رسوله بطيب قلب شرح الله تعالى صدره
لاتباعه والاقتدايه فاستلذ بالاعمال الصالحة فقام ذلك له مقام الغذا الحلو اللذيذ
وهذا ماخوذ من قوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا
مما قضيت ويسلموا تسليما كما تقدم بيانه لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم
اي لا يكمل ايمانه حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث منصوب باعني ونحوه وتقدم تمام الحديث ووجه
مناسبة كلام سهل المذكور فيه ولما علل انه يدل على ان من جعل نفسه تابعة للرسول صلى الله عليه
وسلم في اقواله وافعاله تلذذ بالاقتدا به ولا يستلذ بذلك الا اذا احبه فان المحب لا يخالف
محبوبه فيترك مراده لمراده وبهذا دل على الاحبية وطابقت العلة معلولها كما لا يخفى وقد تقدم
قوله ان المحب لمن يحب مطيع مع الكلام عليه فصل في ثواب محبته صلى الله عليه وسلم
بما يرجوه من بركتها في الدنيا ومن سعادته بها في الاخرة كما قال صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب
والثواب الجزا ثم اسند حدثنا في ذلك رواه البخاري فقال حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراتي عليه تقدم
بيانه وان القراة والاجازة سوا عند المص وعند غيره القراه اقوى وهو الظاهر قال حدثنا ابو القاسم
حاتم بن محمد تقدم ايضا والكلام على التكني بابي القاسم مشهور سياتي منه ما فيه الكفاية قال حدثنا
ابو الحسن محمد بن خلف القابسي تقدم قال حدثنا ابو زيد المروزي تقدم ايضا قال حدثنا محمد بن يوسف
الفربري وقد تقدم قال حدثنا محمد بن اسماعيل البخاري وقد تقدم قال حدثنا عبدان عبيد الله بن عثمان
وقد تقدم قال حدثنا ابي ابو عثمان بن جبلة بن ابي رواد العتكي الثقة اخرج له اصحاب السنن قال
حدثنا شعبة تقدمت ترجمته عن عمرو بن مرة الجملي بفتحتين نسبة الى جمل ابو حي احد الاعلام العاملين
اخرج له اصحاب الكتب الستة وتوفي سنة ستة عشر ومائة عن سالم ابن ابي الجعد الاشجعي الكوفي
توفي سنة خمس وخمسين ومائة واخرج له الستة واسمه رافع عن انس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم قيل ان الرجل اعرابي لا يعرف وقيل هو الاعرابي الذي بال في المسجد وقال ابن بشكوال انه
ابو موسى الاشعري رضي الله عنه او ابو ذر رضي الله تعالى عنه واحتج بحديثين لا حجة له فيهما
وقيل انه اعرابي اسمه ذو الخويصرة وقيل ان السايل عمير ابن قتادة وفي معلم الذهبي انه عمر بن
الخطاب وابان قيل ولذلك اورد البخاري هذا الحديث في مناقب عمر رضي الله تعالى عنه
قلت التعبير برجل من غير تعيين يابى كونه عمر او غيره من مشاهير الصحابة الا ان يكون الراوي
نسيه والظاهر انه اعرابي فقال متى الساعة يا رسول الله ساله عن تعيين زمان وقوعها
والساعة جزء من اربعة وعشرين جزا من اليوم والليلة ثم اطلق لغة على كل زمان قليل فتقول
جلست عندك ساعة اي قليلة ثم شاع في يوم القيامة وصار حقيقة فيه اما لانه قليل
بالنسبة لما بعده من الخلود او بالنسبة لما يقع فيه من الامور العظيمة وهو مجاز صار حقيقة
في عرف الشرع واللغة وقيل سميت بها لقربها كانها لتحقق وقوعها تقع بعد ساعة او لانها تاتي
بغتة او لان البعث من القبور يكون في اسرع من لمحة ولا يخفى ما فيه قال صلى الله عليه وسلم
ما اعددت لها اي ما هيات واحضرت لها من الاعمال الصالحة التي تنفعك فيها اذا قامت وهذا
اقرب من الاسلوب الحكيم لانه ترك جوابه وساله عما هو عمدة له فيها اشارة الى انها لا يتعين زمان
وقوعها لانه مما لا يعلمه الا الله قال لما هي نافية اعددت لها من كثير بالمثلثة وفي بعض النسخ بالموحدة
التحتية وهو صحيح ايضا صلاة ولا صيام ولا صدقة من اضافة الصفة للموصوف اي لم اعد لها
ما ينفعني فيها ولكني احب الله ورسوله استدراك على ما ذكره من تفريطه وتركه ما ينفعه اي ليس
عندي ما ينفعني ثمة الا الايمان بالله ورسوله ومحبتهما قال انت مع من احببت وفيه جواب له على اتم
الوجوه وتبشير له ولمن احب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولذا قال في تتمة الحديث انس
حضره من الصحابة قالوا يا رسول الله ونحن كذلك قال نعم قالوا ففرحنا بذلك فرحا شديدا وليس
المراد بكونه معه انه مساو له في منزلته وعلو مرتبته كما مر وانما المراد انه يدخل الجنة في زمرة المؤمنين
وان كانت مراتبهم متفاوتة وقد نظم معنى الحديث الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى كما تقدم فقال

وقايل هل عمل صالح | اعددته ينفع عند الكرب
فقلت حسبي جنته المصطفى | وجه فالمرء مع من حب

ومن شعر الصبا قولي

وحق المصطفى لي فيه حب | ولا ارضى سوى الفردوس ماوى
اذا عرض الرجا يكون طبا | اذا كان الفتى مع من احبا

وتقدم ايضا وعن صفوان بن قدامة الصحابي التميمي المرادي كما قاله الذهبي وله ولابنه صحبة واسمه عبد
الرحمن قال هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم اي سافرت ليلتقي رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي سافر ليلتقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيته فقلت يا رسول الله ناولني يدك اي
امددها الي كما كان عادته في المبايعة ابايعك مجزوم في جواب الامر والمبايعة الاقرار بما جا به
واتباعه صلى الله عليه وسلم مفاعلة من البيع نقلت لما ذكرنا ولني يده فقلت يا رسول الله
اني احبك قال المرء مع من احب تقدم تفسيره وكان قدم المدينة مع ابنيه له كما ذكره الترمذي
والنساي وروى هذا اللفظ يعني قوله صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب عن النبي صلى الله

عليه وسلم مخاطبا به من ذكر محبته له عبد الله بن مسعود وابي موسى الاشعري وانس رضي الله تعالى
عنهم وعن ابي ذر بمعناه وهذا سبب ما تقدم من اختلافهم في تعيين الرجل الذي ورد مبهما
في الحديث السابق ونسبه بعضهم الى الغلط فيه وعن علي بن ابي طالب في حديث رواه عنه
الترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين ابني علي رضي الله تعالى عنهم اي امسكهما
فقال وفي نسخة وقال من احبني واحب هذين اشارة الى السبطين الحسن والحسين واباهما عليا
رضي الله تعالى عنه وامهما فاطمة الزهراء اي مال اليهم ميلا اختياريا لله ورسوله صلى الله عليه
وسلم كان معي في درجتي اي رتبتي ومنزلتي قال الراغب الدرجة تعتبر بالصعود دون الامتداد
كدرجة السطح والسلم ويعبر بها عن المنزلة الرفيعة قال الله تعالى وللرجال عليهن درجة
انتهى يوم القيامة ان اريد بيوم القيمة في الحشر فالمعية على ظاهرها والمعنى انهم معه صلى الله
عليه وسلم في صعيد واحد لقربهم منه وتقدمهم على غيرهم من امته وساير الامم وان اريد به
الاخرة الشاملة للجنة فالمعية والدرجة عبارة عن زيادة القرب لا المعية الحقيقية
كما مر وروى رواه الطبراني وابن مردويه عن عايشة وابن عباس رضي الله تعالى عنهم ان رجلا
اتى النبي صلى الله عليه وسلم قال البغوي في تفسيره انه ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقيل هو صاحب الاذان اي قيل هو عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه وقيل هو عبد الله
بن زيد بن عبد ربه ابن زيد الانصاري الحارثي فقال لانت اللام في جواب قسم مقدر احب الي من اهلي
ومالي واني لاذكرك اي اتذكرك في ذهني واتصورك او اذكر اسمك وصفاتك فهو من الذكر بالكسر
او الضم فما اصبر عنك اي عن رويتك لشدة محبتي لك حتى انظر اليك فيطمين قلبي وتقر عيني برويتك
واذا ذكرت موتي وموتك اي انا سنموت وننتقل من هذه الدار لدار اخرى فعرفت وتحققت انك
اذا دخلت الجنة بعد الموت رفعت الى الدرجات العلى مع النبيين صلوات الله وسلامه
عليهم اجمعين وان دخلتها انا بفضل الله وعبرت في جانب النبي صلى الله عليه وسلم باذا التحقق
دخوله صلى الله عليه وسلم الجنة ورفعته فيها وفي جانبه هو بان لعدم جزمه في نفسه
بذلك لا اراك بعد الدخول لانك في مقام عال لا يصل اليه غيرك فانزل الله تعالى ومن يطع الله
والرسول صلى الله عليه وسلم في امتثال امره ونهيه وملازمة محبته له ايضا ولم تذكر
لتحققها لذكر الرجل لها وعلمه صلى الله عليه وسلم بخلوصه فيها فاولئك مع الذين انعم الله
عليهم بنعيم الجنة وعالي درجاتها ففيه تبشير له بمرافقة اكرم خلق الله واقربهم وارفعهم منزلة
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان للمنعم عليهم بما اخفي لهم من قرة الاعين
وحسن اولئك تعجب اي ما احسنهم رفيقا تمييز ولم يجمع لوقوعه على الواحد وغيره او لارادة كل
منهم فدعا به صلى الله عليه وسلم اي طلب حصول ذلك الرجل فقرأها اي هذه الاية عليه
جوابا له وتبشيرا وفي تفسير القرطبي انه لما قراها صلى الله عليه وسلم عليه دعا الله ان يعميه
حتى لا يرى احدا غيره في الدنيا فعمي مكانه وقسمهم كما قال البيضاوي اربعة اقسام باعتبار
منازلهم في العلم والعمل وهم الانبيا الفايزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة

التكميل

164

التكميل ثم صديقون صعدت نفوسهم تارة الى مراقي النظر في الحجج والايات واخرى الى معارج
القدس بالرياضة والتصفية حتى اطلعوا على ما لم يطلع عليه غيرهم ثم شهدا بذلوا انفسهم
في اعلاء كلمة الله واظهار الحق ثم صالحون صرفوا اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته والمراد
بالمعية ما تقدم وفي حديث اخر لسبب نزولها قيل انه كان رجل قيل هو ثوبان او من تقدم ذكره قريبا عند
النبي صلى الله عليه وسلم اي ملازما مجالسه ينظر اليه اي يديم النظر الى وجهه الكريم
لا يطرف بفتح اليا وسكون الطا وكسر الرا المهملتين وفا اي لا يطبق احد جفنيه على الاخر
ويغض بصره او يصرفه عنه من طرفة العين من طرف يطرف كضرب يضرب وما طرف البصر
اي تحرك وظاهر قول بعضهم اي لا يغض بصره مطرقا راميا ببصره الى الارض انه من الاطراق
بضم اوله وقاف وهو صحيح ايضا لكني لا اعرف هل هو رواية او تحرف عليه او تسامح في تفسيره
فقال له صلى الله عليه وسلم ما بالك اي ما شانك حتى تحد النظر وتديمه كالمبهوت قال
افديك بابي وامي جريا على عادتهم فيمن يحبونه ويجبونه اتمتع بالنظر اليك اي اتلذذ بادامة نظري
في وجهك ما دام ممكنا في الدنيا لانتفع به واتزود منه فاذا كان يوم القيامة وبعدها
رفعك الله الى المنازل العالية في جواره بتفضيلك اي بسبب تفضيل الله لك على ساير
مخلوقاته فانزل الله الاية المذكورة يعني قوله ومن يطع الله والرسول الخ وفي حديث انس رضي الله
تعالى عنه الذي رواه الاصفهاني في ترغيبه وسياتي اخراج المصنف له بطوله في فصل علامة
محبته ومن احبني كان معي في الجنة اي قريبا مني متمكنا من رويتي وزيارتي وليس المراد المعية
الحقيقية كما تقدم فصل فيما روي عن السلف من العلماء والصلحا والايمة وفي نسخة
بعكسه الايمة والسلف وهو من عطف الخاص على العام وقد يفسران بما يقتضي المغايرة
ففسر بعضهم السلف بالصحابة والتابعين والايمة باتباع التابعين ومن بعدهم من محبتهم
للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له والمحبة الميل الروحاني طبيعيا كان او مكتسبا
اختياريا والمحبة تكون في الحضور والغيبة والشوق انجذاب النفس في الغيبة فهو اخص
من المحبة وقال القيصري رحمه الله تعالى في شرح قول ابن الفارض قدس سره وما بين شوق
واشتياق فنيت في تول بحظر او تجل بحضرة الشوق انجذاب باطن المحب الى محبوبه
حال الفراق والاشتياق انجذابه حال الوصال لنيل زيادة او دوامها انتهى والفرق المذكور
اما من اللغوي او هو اصطلاح للقوم حدثنا القاضي الشهيد بن سكرة وقد تقدم قال حدثنا
العذري نسبة لبني عذرة وقد تقدم قال حدثنا الرازي تقدم وهو نسبة الى الري على خلاف
القياس قال حدثنا الجلودي تقدم بيانه وبيان نسبته قال حدثنا ابن سفيان هو ابرهيم
بن محمد بن سفيان كما تقدم قال حدثنا مسلم امام السنة وصاحب الصحيح كما تقدم قال حدثنا
قتيبة بن سعيد واختلف في اسمه فقيل يحيى وقيل علي وقيل سياد قال حدثنا يعقوب بن عبد
الرحمن القاري نزيل الاسكندرية الثقة اخرج له الستة وتوفي سنة احدى وثمانين ومايه
عن سهيل تقدم بيانه عن ابيه هو صالح السمان المعروف بذكوان عن ابي هريرة رضي الله عنه

في حديث صحيح رواه مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اشد امتي لي حبا نصب
على التمييز ولم يقل حبا مع انه اخصر لان هذا ابلغ وان وافق السماع والقياس لدلالته صريحا
على المراد وكونه بالصيغة والمادة كقوله تعالى اشد قسوة دون اقسى واتى بمن التبعيضية
لانهم مثل من كان في عصره وهو احب اليه من نفسه واهله ومن لم يرهم هذا مع ظهور ان الحب
يتفاوت شدة وضعفا ويبقى مفهوم قوله لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه ولا شيء
فوقه الا ان يقال انهم من جملة من بلغ هذا المبلغ في محبته انتهى والتفصيل تختلف جهاته
فلشدة محبته من لم يره الداخلة في الايمان تفضل غيرها بهذا الاعتبار ولذا قال ناس يكونون
بعدي فيبين شديته بهذا وبقوله يود احدهم اي يحب ويرغب في انه لو راني بصره وشاهدني
ولو للتمني باهله وماله الباء هنا للبدلية والمقابلة كبعته بكذا اي يتمنى لو بذل اهله وماله
لاجل رؤيته وفي لو في مثله اقوال فقيل انها شرطية محذوفة الجواب ومفعول يود مقدر اي يتمنى
رؤيتي ويودها ببذل كل ما يعز عليه والتقدير لو راني بمقابلة كل شيء له فعل وقيل انها
مصدرية وهي مع ما بعدها مفعول يود وقيل انها حرف تمن كما بينه النحاة ومثله اي بمعناه
وقريب منه لفظا عن ابي ذر الغفاري الصحابي المشهور وقد تقدم حديث عمر وقوله للنبي صلى الله
عليه وسلم لانت احب الي من نفسي وتقدم تفصيله في الفصل الذي قبل هذا وما تقدم عن الصحابة
كثوبان وصفوان وغيرهما في مثله من كونه احب اليهم من انفسهم وعن عمرو بن العاص بحذف
اليا واثباتها وقفا كما مر ماكان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا من حديث
صحيح طويل رواه مسلم فيه انه بكى عند موته وقال بعد ما ذكر مبايعته لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وطلب منه ان يدعو له بمغفرة ما صدر منه وانه كان ابغض الناس له وحرصهم
على قتله وبعد ما بايعه واسلم قال ماكان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا اجل في عيني منه وما كنت اطيق ان املا عيني منه اجلالا له حتى لو قيل لي صفه ما استطعت
ان اصفه الخ وسياتي الكلام عليه عند ذكر المص له بسنده في فصل تعظيم الصحابة له
صلى الله عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان بفتح الميم وسكون العين وفتح
الدال المهملتين والف ونون تقدم الكلام عليه واما بنته عبدة بفتح العين المهملة وسكون
الموحدة ودال مهملة قال البرهان الحلبي لا اعرفها وفي الصحابة عبدة بنت صفوان ذكرها
الحاكم قالت ماكان خالد يعني اباها ياوي الى فراش اي اذا اراد النوم ليلا وخصت هذا الوقت
لان المرء فيه يتذكر من يهواه غالبا كما قال الشاعر نهاري نهار الناس حتى اذا اتى
الليل هزتني اليك المضاجع الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
استثناء من اعم الاحوال اي لم يكن له غير هذه الحال والى اصحابه الضمير لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اولخالد من المهاجرين والانصار وخالد هذا هو الكلاعي الحمصي لقي سبعين
رجلا من الصحابة يسميهم اي يعدهم باسمايهم ويقول هم اصلي وفصلي يعني اني افتخر بهم وانتسب
اليهم دون ابائي وقبيلتي كذا قيل من غير نقل وهو ابتاع وفي المجمل ماله اصل وفصل اي حسب

وكذا في الصحاح وعن ثعلب قولهم لا اصل له ولا فصل الاصل الوالد والفصل الولد هذا ما ذكره
اهل اللغة والظاهر ان المراد ان عليهم عمدتي وبهم افضل واحكم فاليهم ولهم لا الى غيرهم يحن قلبي
اي يشتاق بتذكر عهودهم من الحنين طال شوقي اليهم لبعد عهدي بهم وطول مفارقتي لموتهم
فعجل يارب قبضي اليك اي عجل موتي حتى القاهم ولا يزال يردد ذلك حتى يغلبه النوم اي حتى ينام
ويستغرق في نومه فينزل قوله هذا وتمني الموت وان كان مكروها فانه يجوز اذا خاف فتنة في دينه
فلعل خالدا كان كذلك وسياتي لهذا مزيد بيان في الفصل الاتي عن الحكيم الترمذي وعن ابي بكر
الصديق رضي الله تعالى وفي نسخة وروي انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما اسلم ابو قحافة
والده كما رواه ابن عساكر في تاريخه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما والذي بعثك بالحق اي بالدين
الحق وهو قسم لاسلام ابي طالب جواب القسم يعني عمه صلى الله عليه وسلم كان اسلامه اقر لعيني
اي اسر واحب عندي وهو قرة عيني من القر وهو البرد لان دمع السرور بارد ودمع الحزن حار او
من القرار والثبات فان العين اذا رات ما يسرها سكنت ولم تلتفت لغيره من اسلامه يعني
اباه ابا قحافة رضي الله عنه وابو قحافة هو ابو الصديق وهو عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن
سعد بن تيم اسلم يوم الفتح وحسن اسلامه وتبقى بعد وفاة ابنه حتى توفي في سنة اربع عشرة
وليس في الصحابة من اسمه ابو قحافة غيره وغير ابي قحافة المزني كما ذكره الذهبي وسقط من بعض
النسخ هنا لفظ اباه وبيان ذلك المذكور من كون اسلام ابي طالب اقر لعينه من اسلام ابيه
ان اسلام ابي طالب كان اقر لعينك اي احب اليك من كثير من الامور فانه كان يحبه حبا شديدا
وكان بمنزلة والده اذ كان في كفالته وكان صلى الله عليه وسلم يتمنى ان يهديه الله للاسلام
فمات كافرا وهذا الحديث رواه احمد وابن اسحاق وابو حاتم وليس قول المص وروي كما في بعض
النسخ تمريضا له كما توهم حتى يعترض عليه بانه صحيح تعددت طرقه وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم الفتح دخل المسجد فاتاه ابو بكر رضي الله تعالى عنه بابيه يقوده وكان قد عمي
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هلا تركت الشيخ في بيته حتى اكون انا اتيه فقال
ابو بكر يا رسول الله هو احق ان يمشي اليك فاجلسه صلى الله عليه وسلم بين يديه ثم مسح
صدره وقال له اسلم فاسلم وراسه كالثغامة بياضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
غيروا هذا يعني بالخضوب ولما سر بابيه باسلامه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر والذي
بعثك بالحق الخ وفيه من محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى حيث قدم
ما يسره على ما يسره تقديما له على نفسه واعلم ان ابا طالب كانت محبته لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ومعرفته بانه رسول الله وتصديقه في قلبه محققة لكن الله لم يهده للاسلام وفيه
حكمة عظيمة وهو انه صلى الله عليه وسلم كان في جواره وحمايته ظاهرا حتى ماكان احد يجترئ
عليه فلو اسلم لم يقبلوا جواره اذ لا جوار للمسلمين عندهم فختم الله على لسانه لذلك ولذا
لما مات لزمت الهجرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم واهل بيته وهذا مما تفطن له بعض
العلما كابن القيم في الهدي النبوي وصاحب الامتاع ونحوه اي في معنى ما رواه البيهقي

والبزار عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال للعباس عم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان تسلم بكسر همزة ان الشرطية ان كان قاله له قبل اسلامه وبفتحها على انها مصدرية
ان كان بعده والصحيح الثانى لما يأتى احب الى من اسلام الخطاب يعنى اباه لان ذلك اى اسلام
العباس احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم ما يحبه رسول الله صلى الله عليه
وسلم على ما تحبه نفسه وكان قوله ذلك له فى فتح مكة لما اشرف النبى صلى الله عليه وسلم
على مكة وركب العباس بغلته صلى الله عليه وسلم واركب ابا سفيان بن حرب خلفه وهو
كافر وركضها فراه عمر فقال ابا سفيان عدو الله الحمد لله الذى امكننى منك فاشتد جريه حتى
دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر خلفه فقال دعنى اضرب عنقه فقال العباس
انى اجرته يا رسول الله فلما اكثر عمر فى شانه قال مهلا يا ابن الخطاب لو كان من رجال بنى عدى ما قلت
مثل هذا فقال مهلا يا عباس لاسلامك يوم اسلامك احب الى من اسلام الخطاب لو اسلم الخ
وعن ابن اسحاق صاحب السيرة وقد تقدمت ترجمته وهذا رواه ايضا البيهقى عن اسماعيل
بن محمد بن سعد ابن ابى وقاص مرسلا ان امراة من الانصار هى من بنى دينار ولم يسمها قتل ابوها
واخوها وزوجها شهدا يوم احد اسم جبل كانت عنده الغزاة المشهورة مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس المراد السؤال عن
فعله حقيقة وانما المراد السؤال عن سلامته وحياته وعبرت بذلك تادبا لان الفعل يستلزم
الحياة فاريد لازمه قالوا خيرا اى فعل خيرا والمراد انه بخير ولذا قالوا بعده هو بحمد الله كما تحبين
اى سالم منصور مظفر قالت لمن سالته ارنيه اى دلنى عليه حتى اراه وانلذذ بمشاهدته وفى نسخة
ارونيه فلما راته بعد ما دلها عليه قالت كل مصيبة تصيب المال والاهل بعدك اى بعد سلامتك
ورويتك جلل بفتح الجيم واللام ثم لام اخرى بمعنى هين لا ابالى به ولا احزن عليه ويكون جلل بمعنى
عظيم ايضا لانه من الاضداد والمراد الاول وشاهد الاول قول امرئ القيس بقتل بنى اسد ربهم
الا كل شئ خلاله جلل والثانى قوله فلئن عفوت لاعفون جللا ولئن سطوت لاوهنن عظمى
وهو دليل على قوة ايمانها وتقديمها محبته رسول الله صلى الله عليه وسلم على محبة غيره من الاهل
وسئل على بن ابى طالب كرم الله وجهه ولم يذكروا من رواه عنه كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اى ما مقداره فى شدته قال كان والله احب الينا من اموالنا واولادنا وابائنا وامهاتنا
بضم الهمزة وكسرها مع فتح الميم وكسرها جمع امهة بمعنى ام لغة فيه الا انه تختص ببنى ادم قال
مهتخندف والياس ابى ويقال فى البهايم امات واحب من الما البارد على الظما بمعنى شدة
العطش ويمد ويقصر والافصح قصره واعاد الجار لانه نوع اخر مما يحب ولشدة منفعته وخص
الظما لانه حال محبته الما وشدة الرغبة فيه وعن زيد بن اسلم الفقيه العمرى توفى سنة
ست وثلاثين ومائة اخرج له اصحاب الكتب الستة وله ترجمة فى الميزان قال خرج عمر بن الخطاب
رضى الله عنه من بيته لازقة المدينة ليلة يحرس الناس على عادته فى خلافته اذ كان يدور
فى الازقة ويعس ليعرف حال الناس فراى مصباحا موقدا فى بيت فقصده ليرى ما فى البيت

الذى هو فيه فراى عجوزا اى امراة مسنة ويقال العجوزة ايضا ولم ار من الشراح هنا من ترجمها بشئ
تنفش صوفا بضم الفا وشين معجمة ونفش الصوف والقطن لاصلاحه معلوم وهى تقول ايى
تنشد شعرا من بحر السريع على محمد صلاة الابرار معمول الصلاة مشهور وعلى متعلق بصلاة او بعقد
ويجوز تقدم الظرف على المصدر لتوسعهم فيه والابرار جمع بار او بر وهو كل مطيع لربه متوليه
ادعوله بكل ما تدعو به الابرار صلى عليه الطيبون الاخيار المراد بالطيبين المتقون الذين طابت
ظواهرهم وسرايرهم والاخيار جمع خير مخفف او جمع خير بمعنى اخير والتقى قد كنت قواما بكا
بالاسحار قواما متهجدا لان القيام يختص بصلاة الليل اى كثير القيام للعبادة وبكا بضم البا
والقصر مصدر بمعنى اسم الفاعل اطلق عليه للمبالغة وهو يمد ويقصر والاسحار جمع سحر وهو
اخر الليل والبا بمعنى فى هذا هو الصواب رواية ودراية وما قيل من انه بكا بتشديد الكاف فالكلام
سجع لا نظم لانكسار الوزن وكذا ما قيل من ان بكا ممدود مضاف للاسحار بدون باو الاضافة
على معنى فى تكلف وتعسف يا ليت شعرى والمنايا اطوار شعرى بمعنى علمى وهو اسم ليت وخبره محذوف
اى حاصل وقوله هل يجمعنى وحبيبى الدار قايم مقام معمول شعرى علق عنه والمنايا جمع منية وهى
الموت من منى بمعنى تصير وتقدر واطوار جمع طور وهو الحال اى امور شتى مختلفة ومرادها بالحبيب
كما قاله المص رحمه الله النبى صلى الله عليه وسلم والظاهر ان مرادها بالدار الاخرة اى هل اراه
صلى الله عليه وسلم بعد الموت فانه مقدر وله اسباب مختلفة كما قيل ومن لم يمت بالسيف
مات بغيره تعددت الاسباب والداء واحد وقيل المعنى هل تجمعنا الدار ويحول بينى وبينه
الموت فالمراد بالدار الدنيا وليس مناسبا هنا وهذه القصة حكاها ابن المبارك فى كتاب
الزهد وفيها فما زال عمر رضى الله تعالى عنه يبكى وطرق عليها الباب فقالت من هذا فقال عمر بن
الخطاب فقالت مالى ولعمر فى هذه الساعة فقال افتحى يرحمك الله فلا باس عليك ففتحت له فدخل
عليها وقال ردى الكلمات التى قلتيها انفا فردتها فقال ادخلينى معكما وتولى وعمر فاغفر له
يا غفار تعنى تقصد بقولها حبيبى النبى صلى الله عليه وسلم وفيه مناسبة لما نحن فيه فجلس
عمر رضى الله عنه يبكى وفى الحكاية التى نقلها ابن المبارك طول فقصرنا منها على المراد منها وروى
ان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما رواه ابن السنى فى عمل اليوم والليلة خدرت رجله بفتح الخا المعجمة
وكسر الدال وفتح الرا المهملتين اى اصابها خدر وهو امر يعترى الرجل لما يصيب العصب
فيمتنع عن تحريكها بسهولة ويزول سريعا لانه لو امتد كان فلجا او من مقدماته فقيل له اذكر
احب الناس اليك لان الناس جربوا فى الخدران من اصابه اذا ذكر محبوبه زال بسهولة لانه بسببه
تنتشر الحرارة الغريزية فتدفع الخدر فصاح يا محمداه يعنيه صلى الله عليه وسلم لانه احب
الناس اليه والى كل مؤمن كما مر ويا محمداه مفعول صاح لتضمنه معنى القول والقول مقدر
بعده كما هو مشهور فى مثاله عند النحاة ومن قال انه لم يعطف على جملة صاح لكمال الاتصال
بينهما فهو كابو حفص عمر عطف بيان لم يصب المحز فانتشرت رجله اى امتدت لزوال الخدر عنها
وهذا يقتضى صحة ما جربوه وقد روى انه وقع مثله لابن عباس رضى الله تعالى عنهما وذكره

النووى فى اذكاره وروى ايضا عن غيرها وفيه يقول ابو العتاهية وتخدد فى بعض الاحايين
رجله فان لم يقل يا عتب لم يذهب الخدر وهذا مما تعاهده اهل المدينة وقوله يا محمداه
بالف وها للندبة فى الندا لمن يتوجع او يتفجع كما ورد النجاة ولما احتضر بلال رضى الله عنه بالبنا
للمجهول اى حضرته الملائكة لتقبض روحه نادته امراته اى صاحت باعلى صوتها واحرباه بفتح
الحا والرا المهملتين وبا موحدة وهو فى الاصل النهب والسلب من حربته اذا سلبت
ماله وما يعيش به قيل فكانها لتفجعها لموته نهبت وسلبت وفى القاموس قيل ان اصله
ان حرب بن امية لما مات قيل فى نعيه واحرباه ثم نقل ذلك يعنى تعمم فى كل نعى وحرب كغارة وكلمة
ندبة والمندوب ما ميت ينعى او امر يتفجع منه نحو يا حسرتا وقيل انه روى حزناه بفتح الحا
والزاى المعجمة او بضم اوله وسكون ثانيه وروى ايضا حوباه بفتح الحا والواو ساكنة تليها با موحدة
من الحوب وهو الاثم والمراد انها لشدة جزعها وقلقها فى المصيبة فهى تتفجع على نفسها او هو من الحوبة
بمعنى رقة القلب وهو تكلف والرواية الاولى كما تقدم فقال بلال رضى الله تعالى عنه ردا لما
قالته واطرباه الطرب خفة تعترى المرء لحزن او سرور فهو مشترك بينهما والمراد هنا الثانى
والواهنا للندا والالف والها زيدته فى اخره كانه يستغيث بطربه ويدعوه فى سكرات الموت
لما يتيقنه من الثواب وملاقاة الاحباب لعلمه بان الارواح تتلاقى فى البرزخ كما اشار اليه
بقوله غدا القى الاحبه محمدا وحزبه محمدا وحزبه بيان لمراده بالاحبه والحزب الجماعة المتحزبين
اى المجتمعين والمراد بهم الصحابة رضى الله عنهم والمراد بقوله غدا الزمان المستقبل بعد الموت
وروى كما ياتى نلقى الاحبه محمدا وصحبه وهذا بيت مجزو بحر الوافر وفيه زحف يعلمه من له
خبرة بعلم العروض ذكره القشيرى رحمه الله ومثله روى عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما وروى
ان امراة قالت لعايشة رضى الله تعالى عنها اكشفى عن قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالته
لها لانه كان فى بيتها وكان مستورا عن الناس تكريما له صلى الله عليه وسلم فكشفته لها برفع
الستارة عنه فبكت حتى ماتت لشدة محبتها للنبى صلى الله عليه وسلم وهذا مما خرجه وروى
البيهقى عن عروة انه لما اخرج اهل مكة زيد ابن الدثنة بفتح الدال المهملة وكسر المثلثة وتسكن
ونون وها تانيث اسم والده من قولهم دثن الطاير اذا طار حول وكره ولم يسقط عليه او من دثن
اذا اتخذ عشا وزيد بن الدثنة ابن معاوية بن عبيد بن معاوية بن عامر بن بياضة الخزرجى الصحابى
وكان اسر يوم الرجيع من الحرم ليقتلوه فقتل صبرا وانما اخرجوه منه لانهم كانوا لا يقتلون فيه
تعظيما له وكان قتله فى السنة الثالثة من الهجرة قال له قبل قتله ابو سفيان بن حرب والدمعاوية
وكان ذلك قبل اسلامه وقيل ان الذى قيل له ذلك الاتى خبيب بن عدى حين دفع على خشبته
فقال لا والله فضحكوا منه كما نقله ابن سيد الناس فى سيرته عن ابن عقبة وما ذكره المص رواية
ابن اسحاق انشدك الله قسم وانشدك بفتح الهمزة وضمها يقال نشدته وانشدته وانشدته
اذا سالته وفى القاموس نشد فلانا عرفه وبالله استحلفه وقال له نشدتك الله اى سالتك
بالله ونشدك الله بالفتح انشدك الله وقد ناشده مناشدة ونشادا حلفه والله منصوب

بنزع الخافض اى اسالك بالله وفى النهاية انه متعد لمفعولين وقال الوقشى الصواب نشدتك
فليحر ريا زيد اتحب ان محمدا الان عندنا مكانك يضرب عنقه فيقتل حماه الله من ذلك وانك
بفتح الهمزة سالما مقيما فى اهلك فقال زيد رضى الله عنه والله ما احب واوضى ان محمدا فى مكانه الذى
هو فيه ثم تصيبه شوكة اى اقل شى من الاذى فضلا عما قلتم وانا جالس فى اهلى سالم من الاذى
وهو متاذ فقال ابو سفيان ما رايت احدا من الناس ما نافيه لا تعجبيه كما توهم وان كان مراده
بهذا الكلام التعجب من شدة محبته اصحاب محمد له يحب احد كحب اصحاب محمد محمدا مفعول
حب المصدر وهذه القصة مفصلة فى السير لا نطيل بذكرها هنا وعن ابن عباس رضى الله
تعالى عنهما فيما رواه ابن جرير والبزار كانت المراة اذا اتت النبى صلى الله عليه وسلم مهاجرة
الى المدينة احلفها بالله وفى نسخة حلفها بالتشديد وهما بمعنى اى كلفها القسم بالله انها ما خرجت
من ارضها وبلدها من بغض زوج لها ناشزة منه ولا راغبة بارض الى ارض عن ارض خرجت
منها وانها ما خرجت من ارضها لشى الا حبا لله ورسوله فهى هجرة خالصة لله وفيه وجوب
محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وهو الذى قصده المص هنا وكان ذلك لما وقعت
الهدنة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين وشرطوا عليه صلى الله عليه وسلم
ان يرد عليهم كل من اتاه من اهل مكة ولو كان مسلما فرد ابا جندل رضى الله تعالى عنه ولم يرد النسا
اما لعدم دخولهن فى العهد او لان الله لنسخه صونا للفروج ولضعفهن فكان صلى الله عليه وسلم
لا يرد من ظهر اسلامها وامره الله بامتحانهن باستحلافهن بما ذكر فاذا حلفن اعطى مهرهن ونفقتهن
وهو المراد بقوله تعالى فان علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن الى الكفار الاية وبما ذكرنا سقط
ما قيل فى نظم هذا فى هذا الفصل نوع نظر ووقف ابن عمر رضى الله عنهما كما رواه ابن سعد على
عبد الله بن الزبير بعد قتله رضى الله تعالى عنه حين قتله الحجاج وصلبه على جذع وقد حاصره ثم
قتله سنة ثلاث وسبعين يوم الثلاثا سابع عشر جمادى الاولى والاخرة كما فصل فى التواريخ
فاستغفر له اى دعا له ابن عمر بالمغفرة وقال ابن عمر مخاطبا له بعد موته كنت والله فيما علمت اى
فيما ثبت وتحقق عندى صواما اى مبالغا فى الصوم وكثرته قواما اى كثير القيام والتهجد كما حرر
قيل انه كان رضى الله تعالى عنه قسم لياليه ثلاثة اقسام ليلة يصلى قايما الى الصباح وليلة
راكعا الى الصباح وليلة ساجدا الى الصباح تحب الله ورسوله اى مخلصا فى محبتهما موثرا لها
على كل شى حتى على نفسه واهله اما عبادته رضى الله تعالى عنه وتوجهه الى الله فيها فنقل
عنه امور عجيبة فكان اذا توجه انتصب كانه جذع لا يحس بشى ولا يتحرك حتى يقع عليه
الطير ورمى بحجر من المنجنيق وهو يصلى فى ايام محاصرته فلم يقطع صلاته وقد جز به مغنا
طيس المحبة فدفن قريبا منه صلى الله عليه وسلم فانهم لما انزلوه عن جذعه الذى صلب عليه
غسلته امه اسما بنت ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنها بعد ان قطعت مفاصله وحنطته
وكفنته وصلت عليه وحملته الى المدينة ودفنته فى دار صفية ام المومنين رضى الله
تعالى عنها وهذه الدار زيدت فى المسجد النبوى على صاحبه افضل الصلاة اشرف والسلام

فصل في علامة محبته عليه الصلاة والسلام اي في ذكر صفات تدل على ان من اتصف بها
محب له صلى الله عليه وسلم اعلم امر لكل من يتوجه اليه الخطاب من غير تعيين سد مسد مفعوليه
قوله ان من احب شيئا اثره اي اختاره وقدمه على غيره وهو بفتح الهمزة والمد كقوله واثر موافقته في اقواله
وافعاله والاي وان لم توثر ويوثر موافقته واصله وان لا بان الشرطية ولا النافية لم يكن صادقا
في دعوى المحبة كما قال في حبه وكان مدعيا اي كاذبا في دعواه لان المدعي هو الزاعم عند الاطلاق
ولذا يقال مسيلمة مدعي النبوة لكن لا يقال مثله في حق النبي صلى الله عليه وسلم كما قال
وكل يدعي وصلا لليلى وليلى لا تقر له بذاكا وقال ولما ادعيت الحب قالت كذبتني
فما لي ارى الاعضا منك كواسيا فما الحب حتى يلصق القلب بالحشا وتذهل حتى لا تجيب المناديا
فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من يظهر عليه علامات ذلك الحب لدعاء دعاه
بحيث لا يخفى واولها اي اول تلك العلامات الاقتدا به صلى الله عليه وسلم باتباع اقواله وافعاله
واثاره واستعمال سنته اي العمل بها واتباع اقواله وافعاله فلا يخالفها وامتثال اوامره واجتناب
نواهيه بان يفعل ما امره به ويترك ما نهى عنه بقدر استطاعته قال ابن هشام في تذكرته ومن خطه
نقلت قال الاصوليون الامر يعني القول المخصوص يجمع على اوامر وبمعنى الفعل والشان على امور ولا نعلم
من وافقهم الا الجوهري وفي التهذيب خلافه ولم يذكر النحاة ان فعلا يجمع على فواعل وفي شرح البرهان
قول الجوهري غير معروف وصحح برجوع الاول انه جمع امر لانه اسم او صفة لما لا يعقل وهو مجاز لان
الامر الشخص لا القول ولم يقولوا انه مجاز وصرحوا بانه جمع امر فكيف يخرج عليه كلامهم الثاني انه
جمع امرة وهي الصيغة وفيه ما مر وقال ابن سيده امرة مصدر كالعافية وعليه جرت هذه
الصيغة ورد بانه لا يتاتى لان معناها ايجاد الطلب لا الصيغة الثالث انه جمع الجمع جمع
على افعل وجمع افعل على افاعل ورد بان اوامر فواعل لا افاعل والابدال فيه مطرد وقال الاسنوي
في شرح المحصول هذا التوجيه لا يتم في النواهي وكونه جمع ناهية مجازا تكلف وكونه لمشاكلة
الاوامر يرده استعماله مفردا النهي والتادب باداب الادب حسن تناول الامور والتلطف فيها
والمراد التخلق باخلاقه صلى الله عليه وسلم في الكرم وحسن الشيم والادب غلب في العرف
على هذا المعنى في عسره ويسره بضمتين فيهما ويسكن السين تخفيفا في الشدة والرخا والضمير
للنبي صلى الله عليه وسلم او لصاحب الحال المقصد ربه ومنشطه اي في نشاطه وخفته ومكرهه
اي كراهته لامر يحمله من غيره وميمها مفتوحة وشاهد هذا المذكور كله اي ما يشهد له ويدل عليه
حتى كانه شهد به واثبته قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله جعل محبة الله
لازمة لاتباع رسوله صلى الله عليه وسلم ومن احبه الله احب رسوله فكانه قال ان كنتم
تحبوني فاتبعوني وبهذا ظهر مطابقة هذه الاية لما عقد له الفصل وايثار ما شرعه من احكامه
الواجبة وغيرها وحض عليه اي حث الناس على فعله وحرضهم عليه على هوى نفسه اي ما تهواه
وتميل اليه وموافقة شهوته اي ما تشتهيه نفسه وتميل اليه طبعه لان الاشتها ميل طبيعي غير
مقدور ولذا يعاقب المكلف بارادة المعاصي عند بعضهم ولا يعاقب باشتهايها والشهوة

مغايرة للارادة فقد تتعلق بنفسها بخلاف الشهوة فانها لا تتعلق بنفسها بل بالذات فان تعلقت بنفسها
كانت مجازا عن المجازاة كما في قوله اشتهي ان اشتهي قال الله تعالى والذين تبوؤا الدار اي سكنوها
واستقروا بها وهم الانصار والمراد بالدار المدينة والايمان اي واخلصوا الايمان وعطفه
على الدار على حد قوله وزججن الحواجب والعيونا او جعل الايمان لملازمتهم له كالمنزل
المستقر فيه ساكنه وتحقيقه في الكشاف وشروحه من قبلهم يحبون من هاجر اليهم من المؤمنين
ولا يجدون في صدورهم اي في قلوبهم وانفسهم وما وقع في بعض النسخ في انفسهم سهو من الكاتب
حاجة مما اوتوا اي لا يخطر ببالهم ونظر انفسهم الى ما اعطي المهاجرون من فيء وغيره حسدا وطمعا
ويوثرون على انفسهم اي يقدمون المهاجرين على انفسهم تكرما منهم ولو كان بهم فيهم خصاصة
احتياجا وفاقة لما اثروهم به وسبب نزول هذه الاية انه صلى الله عليه وسلم قسم بين الصحابة
غنايم بني النضير ولم يعط الانصار منها الا ثلاثة من فقرايهم وقال لهم ان شيتم اشركتكم
معهم وقسمتم لهم من دياركم واموالكم وان شيتم كان لكم اموالكم ودياركم ولا تاخذوا منه
شيا فقالوا بل نوثرهم بالفي ونقسم لهم من ديارنا واموالنا فلله درهم ما اكرمهم واعونهم
على البر والتقوى وهذا كله محبة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم وكان المهاجرون قبل ذلك
نزلوا دور الانصار فلما فتح الله عليهم فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم واسخاط
العباد اي اغضابهم عليه بمخالفتهم في رضى الله اي فيما يرضيه وهذا وما قبله معطوف
على الاقتدا وهذا كما قال الحريري وابه رضى الله فاعنى الورى من اغضب المولى وارضى العبيد
قال حدثنا القاضي ابو علي الحافظ هو ابن سكرة وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو الحسين الصيرفي
تقدم ايضا وفي نسخة الحسين وهو سهو وابو الفضل بن خيرون وتقدم ايضا قالا حدثنا
ابو يعلى البغدادي الذي يقال له زوج الحرة كما تقدم قال حدثنا ابو علي السنجي تقدم ايضا قال
حدثنا محمد بن محبوب تقدم ايضا قال حدثنا ابو عيسى الترمذي صاحب السنن وهو محمد
بن عيسى بن سورة كما تقدم قال حدثنا مسلم بن حاتم الانصاري امام جامع البصرة قال حدثنا
محمد بن عبد الله الانصاري هو محمد بن عبد الله بن المثنى الانصاري قاضي البصرة الامام الثقة توفي
في رجب سنة خمسة عشر ومايتين وله ترجمة في الميزان عن ابيه هو عبد الله بن المثنى المصبري وقد
تقدم وله ترجمة في الميزان عن علي بن زيد ابن عبد الله بن ابي مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان بن عمرو بن
كعب الضرير احد الحفاظ وان قيل فيه لين وليس بثبت واخرج له الاربعة وله ترجمة في الميزان
توفي سنة احدى وثلاثين وتسعة وعشرين ومائة عن سعيد بن المسيب تقدم ايضا قال
قال انس بن مالك الصحابي المشهور قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني مصغر بتشديد
اليا ويجوز كسرها وفتحها والتصغير للشفقة والمحبة وكان خادمه صلى الله عليه وسلم
وفيه دلالة على انه صلى الله عليه وسلم ابو المؤمنين كما ان زوجاته رضي الله تعالى عنهن امهاتهم
وبناته اخواتهم وقد وقع اطلاق هذا كله في الاحاديث الصحيحة وقرئ وازواجه امهاتهم
وهو اب لهم وقوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم المنفي فيه ابوة النسب حقيقة خلافا

لمن لم يجوز الطلاق عليه صلى الله عليه وسلم عملا بظاهر الاية والصحيح خلافه كما تقدم بيانه في اول
فصل واما احسن عشرته الى الخرة ان قدرت ان تمسي وتصبح اى امكنك ذلك ولم يمنعك منه مانع
اى على ان اخر لان حذف الجار ههنا مطرد والمراد بالاصباح والامسا جميع زمانه لا خصوصهما اذ لا
للتخصيص وهما فعلان تامان وقوله ليس في قلبك غش لاحد جملة حالية بدون تقدير قد لجمود
فعلها او هي خبر وهما ناقصان والغش بكسر الغين المعجمة ضد النصح والمراد به هنا مجازا غل
وحقد وهو المراد اذا اضيف للقلب ولو كان على ظاهره فهو بتقدير مضاف اى نية غش والاول
احسن واقرب فافعل اى فكن مداوما على ذلك ثم قال صلى الله عليه وسلم لي يا بني وذلك اى نزع
الغش من القلب من سنتي اى طريقتي واخلاقي ومن احيا سنتي اى اظهرها واتبعها فقد احبني اى علم حبه
لي وهذه رواية والذي في الترمذي فقد احياني وهو الظاهر ومن احبني كان معي في الجنة لان المرء مع من احب
كما تقدم والمحب الصادق لا يخالف من احبه بل يقدم مراده على مراده لانه احب اليه من نفسه
ممن اتصف بهذه الصفة اى باحيا السنة واتباعها وقيل المراد بالصفة ان لا يكون في قلبه
غش لاحد فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها اى خالف السنة من بعض هذه الامور
كترك بعض ما امر به او اتى بعض ما نهي عنه احيانا فهو ناقص المحبة لا كاملها ولا يخرج بارتكاب
البعض عن اسمها اى عن الاتصاف بها وتسميته محبا في الجملة ولا ينافي هذا قوله المتقدم لو كان
حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع لان ذلك في المحبة الكاملة التي هي محبة الخواص
على نهج قوله لا يزني الزاني وهو مؤمن ولذا عقبه بقوله ودليله اى دليل ان بعض المخالفة لا يخرجه
عن اتصافه بالمحبة قوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البخاري عن عمر رضي الله تعالى
عنه للذي حده في الخمر اى اقام عليه الحد لشربه الخمر واللام كهي في قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين
امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اى قوله في حقه وشانه وهي في الحقيقة لام تعليل والصحابي
الذي حد في الخمر في هذا الحديث قيل هو عبد الله الملقب بحمار باسم الحيوان بحا مهملة وقيل بل
هو بخا معجمة مكسورة وانه الصواب وقيل ابن نعيمان او نعيمان نفسه بن عمرو بن رفاعة البدري
وهو الذي حد في الخمر مرارا وهو صاحب الدعابة الذي كان صلى الله عليه وسلم يضحك منه
توفي في زمن معاوية وصحح هذا وقصته حمار اخرى كانت بخيبر وقيل انه هو نفسه وقال الحافظ
الدمياطي ان كون هذا الرجل حمارا وهم وانما هو نعيمان وحمار هذا معدود في الصحابة ولم يذكر
نسبه فلعنه بعضهم اى قال اللهم العنه وروي انه قال له اخزاك الله تعالى والقايل له عمر بن
الخطاب كما رواه البيهقي وقال ما اكثر ما يؤتى به تعجب من كثرة ما اتوا به النبي صلى الله عليه وسلم
وهو سكران فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله وفيه
دليل على ان المسلم وان ارتكب الكباير لا يجوز لعنه ومن كان كذلك لا يجوز لعنه وفيه ان محبة الله
ورسوله من اعظم القربات وفيه رد على المعتزلة في ان مرتكب الكبيرة مخلد في النار ومن علامات
محبته النبي صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره صلى الله عليه وسلم وذكره بالصلاة
عليه ومنه علم فضيلة الحديث واهله لذكرهم له صلى الله عليه وسلم كثيرا ومن احب شيئا اكثر

من ذكره

169

من ذكره وهذا مثل مشهور وهو امر طبيعي عادي ومنها اى علامات محبته صلى الله عليه وسلم
كثرة شوقه الى لقايه اما في حياته فظاهر واما بعد موته صلى الله عليه وسلم فبان يشتاق
للقايه في الاخرة ويشاهد ذاته الكريمة اللهم ارزقنا ذلك فكل حبيب اى محب لقا حبيبه
اى محبوبه لان فعيل ياتي بمعنى اسم الفاعل والمفعول وان اشتهر هذا في الثاني وذكره معادلا
لقوله قبله من احب شيا اكثر وكل منهما علة لما قبله وهو من حسن التعليل البديعي والشيء
بالشيء يذكر ما احسن قول عروة بن حزام في قصيدة له واني لاهوى الحشر اذ قيل انني
وعفرا يوم الحشر ملتقيان ومنه اخذ ابن رواحة قوله ان كان يحلو لديك ظلمي
فرد من الهجر في عذابي عسى يطيل الوقوف بيني وبينك الله في الحساب وقلت اناني رباعية
كم قال لحبه المكثر الافات واطول وقوفنا بيوم العرصات هيهات لئن بدا محياه له
يغفر ويهب له جميع الزلات وفي حديث الاشعريين يعني ابا موسى الاشعري واصحابه المنسوبين
الى اشعر ابو قبيلة باليمن وكانوا قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم سنة سبع من الهجرة وكان
صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يقدم عليكم قوم ارق قلوبا منكم فقدم الاشعريون وكانوا
عند قدومهم المدينة منصوب بنزع الخافض لانه يقال قدم فلان على فلان وقدم الى بلد كذا
انهم كانوا يرتجزون اى ينشدون شعرا وكلاما موزونا وهو غدا نلقى الاحبة محمدا وصحبه اللهم
قالوا انما يقال ارتجز اذا انشد شعرا من بحر الرجز وتمامه مستفعلن ست مرات ومجزوه اربعا وهذ
ليس منه وانما هو من الوافر والهزج وقيل انما سماه رجزا لمشابهته له لتقارب اجزايه
وقلة حروفه ولعل العرب كانت تطلق على ما يقوله الركبان من الاوزان القصيرة رجزا وما ذكر
من تخصيصه بهذا الوزن اصطلاح حدث بعد الخليل رحمه الله والذي يظهر ان هذا كله
تكلف لا حاجة اليه فانه هنا بمعناه اللغوي وهو هنا يصيحون ويصوتون فانه اصل معناه
ومنه المرتجز اسم فرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم لحسن صهيله وصوته وكون المصر
يخفى عليه مثل هذا مسؤول به وفي نسخة وخربه بدل صحبه كما تقدم وتقدم قول بلال مثله يعني
ان بلالا ذكر مثله لفظا ومعنى وان اختلف مرادهما فان مراد هذا القايل لقا النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه في الحياة الدنيا وبلال رضي الله تعالى عنه اراد لقاهم في الاخرة ثم انه يحتمل انه توارد
معهم في هذا الكلام وانه تمثل به ومثله اى المذكور وان لم يساوه ما قال عمار ابن ياسر
الصحابي حين قتل اى قتله اهل الشام الذين كانوا مع معاوية اى لما قتل بصفين مع علي
رضي الله تعالى عنه سنة ست وثلاثين فيما رواه ابن سلمة قال كاني انظر الى عمار يوم صفين
وقد استسقى فاتته امراة بشربة من لبن فشربها ثم قال اليوم القى الاحبة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم عهد الي ان اخر شربة اشربها من الدنيا لبن ثم قاتل حتى قتل وقد قال صلى الله عليه
وسلم يقتل عمارا الفية الباغية كما تقدم ومنه علم ان عليا كرم الله تعالى وجهه كان على الحق
ومثله ايضا ما ذكرنا من قصة خالد بن معدان التي تقدمت من انه كان اذا اوى الى فراشه لا يزال
يذكر شوقه الى النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حتى يغلبه النوم وليس هذا من تمني

شربة

الموت المنهي عنه فان من أحبّ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وتمنى الموت لاجل لقايه والاستراحة
من الدنيا وغمها ليس من هذا كما قال في الفتوحات ومن هذا ما تقدم انه صلى الله عليه وسلم لما خير بين
البقا في الدنيا والانتقال للاخرة قال اللهم الرفيق الاعلى واعلم ان تحقيق هذا المقام ما قال الحكيم
الترمذي في فروقه ان تمني الموت على ثلاثة اقسام الاول تمني عبد اقترب الى ربه في منازل القرب
لما يطهره من دناس الشهوة وكدورة الاخلاق فكلما اقترب ازداد شوقا فتمنى الموت والثاني عبد راى
نعمة الله عليه في دينه شاملة بكل خير فخاف زوالها لما راى من نفس خادعة وعدو لا يالوه خبالا
فتمنى الموت رجا ان يحوز ذلك لنفسه في لحده فهذان محمودان ورد اعن الصحابة كسلمان رضي الله
تعالى عنه اذ قال لحبّ الموت اشتياقا وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لحبّ الموت لاني لا ادري
ما ينزل بي فاخاف على ديني والاول قول صديق والثاني قول صادق والحظ لصاحبه فيهما والثالث
عبد تربى في رفاهية عيش وثقل نعمة ثم انقلب لزمان عليه وعضته النوايب فقل صبره وتمنى
الموت وهذا مذموم ولذا جا في الحديث لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به واما تمني مريم رضي الله تعالى
عنها الموت وقولها يا ليتني مت قبل هذا الخبر فالخبر مضى ولذا لم تقل الان فهو لا حرج فيه رجا ان لا يزول
لما رات فتنا تموج وذلك لما اتهموا زكريا وهموا بقتله فجاها الندا والبشرى فصدقت بكلمات
ربها وسميت صديقة انتهى اذا علمت هذا فقول السخاوي كغيره تمني الموت منهي عنه ولذا جا
في الحديث الصحيح فان كان ولا بد فاعلا فليقل اللهم احيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني
اذا كانت الوفاة خيرا لي انتهى فاطلاقه ليس كما ينبغي والتحقيق ما عرفت ومن علاماته اي
علامة محب الله ورسوله فالضمير راجع للمحبة لتاويلها بالحب وليس راجعا للقا المحب به
وان كان اقرب وغير محتاج للتاويل كما قيل مع كثرة ذكره له صلى الله عليه وسلم تعظيمه له
وتوقيره حق توقيره عند ذكره له واظهار الخشوع اي الخضوع والانكسار اي التذلل والتوا منع
مع سماع اسمه اي اذا ذكر غيره لاسمه صلى الله عليه وسلم وقال اسحاق التجيبي هو امام المحدثين
ابو ابراهيم اسحاق ابن ابراهيم التجيبي توفي لثمان بقين من ذي القعدة سنة اثنين وخمسين وثلثماية
وهو منسوب لقبيله من كندة تسمى تجيب والخلف في تايه هل هي اصلية ام زايدة وضمها المحدثون
وكثير من الادبا وفتحها غيرهم قال في القاموس تجيب بالضم وتفتح بطن من كنده منهم كنانة بن بشر
التجيبي وتجوب بالواو قبيلة من حمير منهم ابن ملجم التجوبي قاتل علي كرم الله وجهه وغلط الجوهري
وحرف بيت الوليد بن عقبة الا ان خير الناس بعد ثلاثة قتيل التجيبي الذي جا من مصر
انتهى يعني انه انشده التجيبي وانما هو التجوبي كما في كامل المبرد واعلم ان بعضهم زعم ان تاه
اصلية لانه في العين ذكره في فصل التا وتبعه صاحب القاموس وهي زايدة كما قاله ابن السيد
ويجوز في تايه الوجهين اي الفتح والضم وقال النووي في شرح مسلم ان التا زايدة لانه من
جوب كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعده اي بعد وفاته لا يذكرونه الا خشعوا اي
اظهروا الخشوع والتذلل واقشعرت جلودهم اي عرض لها قشعريرة وبكوا حزنا لفراقه وشوقا
للقايه صلى الله عليه وسلم وكذلك اي ومثل الصحابة فيما ذكر كثير من التابعين لهم باحسان

يفعلون

يفعلون كفعلهم منهم من يفعل ذلك اي من المذكورين كلهم الصحابة والتابعين ومن التابعين
من يبكي ويخشع ويقشعر جلده محبة له وشوقا اليه تمييز او مفعول له اي من محبته وشوقه اولا
ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا اي لمهابته صلى الله عليه وسلم في انفسهم واجلاله وتكريمه
ومنها اي من علامات محبته صلى الله عليه وسلم محبته اي محبة الانسان لمن احب النبي صلى الله
عليه وسلم بالرفع والعايد محذوف اي احبه النبي صلى الله عليه وسلم ومحبة من هو بسببه
الملابسه اي تلبس بسبب من اسبابه وكان بينه وبينه علاقة بقرابة او صهارة وقال في النهاية
السبب الزواج واصله الحبل الذي يتوصل به لسقي الما فاستعير لكل ما يتوصل به قال تعالى
وتقطعت بهم الاسباب اي الوصل والمودات نكتة انما خص ابن الاثير السبب هنا بالزواج
وان كان عاما لان الزواج لمناسبة الما المخصص في المستعار لانه يطلق على المني كما في الحديث انما
الما من الما وفي قوله تقطعت في الاية لطف خفي وقوله من اهل بيته الخ بيان لمن احبه ومن هو بسببه
ويجوز ان يكون بيانا لمن هو بسببه بنا على عمومه وفي نسخة من ال بيته وفيهم خلاف والمشهور عند
الشافعي انهم المومنون من بني هاشم وبني المطلب ابني عبد مناف لا ابني عبد شمس وبني نوفل ابني عبد
مناف لانه صلى الله عليه وسلم اشرك الاولين في خمس الخمس الذي هو سهم ذوي القربى دون
هولا وقال انهم والفونا في الجاهلية والاسلام وصحابته بفتح الصاد جمع او اسم جمع صحابي
وهو في الاصل مصدر وهو كل مسلم لقي النبي صلى الله عليه وسلم بعد بعثته ومات على ذلك
فان تخللت ردة ولم تدم لم يضر وهم لا يحصون كثرة وقد روي انه صلى الله عليه وسلم قبض
عن ماية واربعة وعشرين الفا والله تعالى اعلم والمهاجرين هو من هاجر وترك وطنه لله
ورسوله صلى الله عليه وسلم فيدخل فيه مهاجروا المدينة والحبشة وقدمهم لانهم افضل
والانصار جمع ناصر او نصير غلب على الاوس والخزرج ولذا انسب اليه وقيل انصاري وهو
تخصيص بعد تعميم لانهم افضل من غيرهم وفي نسخة من المهاجرين والانصار والظاهر انه
عبارة عن جميع الصحابة ليشمل من مات قبل الهجرة كخديجة رضي الله عنها وقيل انهم في حكم
المهاجرين لانهم السابقون باحسان فيقال غيرهم فتامله وعداوة من عاداهم اي من علامات
المحبة لهم عداوة من عاداهم ظلما وبغيا كالخوارج فلا يدخل فيه ما وقع بين الصحابة ظاهرا وبغض
من ابغضهم اي كرههم وقلاهم وسبهم واظهر شتمهم كالروافض قاتلهم الله فان من احب
شيا احب من يحبه وكره من يكرهه كما قيل وقد تقدم اذا صافى صديقك من تعادي
فقد عاداك وانفصل الكلام وقد قال عليه الصلاة والسلام في الحسن والحسين
اي في حقهما وشانهما كما رواه البخاري اللهم اي يا الله ناداه بيانا لتحقق حبه وعلم الله به
وتوطية لما طلب منه اني احبهما فاحبهما اي اعطهما كل خير دنيوي واخروي كما سياتي في بيان
محبة الله وهذا بلفظه وقع في رواية الترمذي في حديث قال انه حسن صحيح والذي في الصحيحين
ذكر فيه اسامة والحسن وفيه روايات مختلفة وليس هنا محل تفصيلها واليه اشار المص
رحمه الله بقوله وفي رواية في الحسن وحده وليس المراد التخصيص اللهم اني احبه فاحب من يحبه

وقال صلى الله عليه وسلم في رواية اخرى من احبهما اي الحسن والحسين فقد احبني ومن احبني فقد
احب الله لعله بالطريق الاولى ومن ابغضهما فقد ابغضني ومن ابغضني فقد ابغض الله وقال
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي وغيره الله الله ينصبهما بتقدير كاتقوا الله
واحذروه واخشوه وفي تكريره تخويف وتحذير على وجه المبالغة في اصحابي اي في شانهم وحقهم
فاحذروا تنقيصهم ونسبتهم لما لا يليق بهم والطعن فيهم ثم بين ذلك بقوله لا تتخذوهم غرضا
بغين معجمة وراء مهملة مفتوحتين وضاد معجمة وهو الهدف الذي يرمى بالسهام فهو استعارة
او تشبيه بليغ على القول في مثله كما بين في المعاني اي لا تقصدوا ذكرهم بسوء ولا تجعلوا عماق
منهم ولذا منع السلف منه فمن احبهم فبحبي احبهم اي بسبب حبي لهم ويلزم من المحبة لهم ان لا يذكروا
بسوء ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ولذا ذهب بعض المالكية كما سياتي الى قتل من سبهم لانه كسبه
صلى الله عليه وسلم ومن اذاهم بذكر ما يسوءهم فقد اذاني لانه يسوءه ذلك ومن اذاني فقد
اذى الله اي عصاه وفعل ما لا يرضاه وهو المراد باذيته الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه
اي يهلكه سريعا ولا يمهله فياخذه اخذ عزيز مقتدر وفي النهاية يوشك ان يكون كذا اي يقرب
ويسرع وقال صلى الله عليه وسلم في فاطمة رضي الله عنها اي في حقها وشانها في حديث رواه
البخاري وغيره انها بضعة بفتح البا وكسرها اي قطعة وجزء مني لان الولد حاصل من ابيه وقطعة
من كبده يغضبني ما يغضبها اي يسوءني ويوذيني كلما اذاها لان الم الجزء يتالم به الكل فهو كالدليل
لما قبله وسبب الحديث ان عليا كرم الله وجهه خطب بنتا لابي جهل فسمعت بذلك فاطمة
رضي الله تعالى عنها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يزعم قومك انك لا تغضب
لبناتك وهذا علي ناكح بنت ابي جهل فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتشهد وقال اما بعد
فان فاطمة بضعة مني واني اكره ان يسوءها والله لا تجتمع بنت عدو الله عند رجل واحد فترك علي
ذلك والحديث وتفسيره مفصل في كتب الحديث وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
الترمذي عن عايشة وحسنه لعايشة في اسامة بن زيد اي في حقه وشانه احبيه فاني احبه وقد
قال صلى الله عليه وسلم اسامة ابن زيد احب الي فاستوصوا به خيرا ولذا امر عايشة ان تستوصي
خيرا بعده وهذا مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات وقال صلى الله عليه وسلم
فيما رواه الشيخان اية الايمان اي علامة تحققه وصدقه وكماله حب الانصار لمحبة النبي صلى الله
عليه وسلم لهم ومحبتهم له ولانهم نصروا الدين وساعدوا المؤمنين من الصحابة وواسوهم بما هو
معلوم واية النفاق المنافي لتحقق الايمان بغضهم وصحف بعضهم الحديث فقال انه بالهمزة المكسورة
والنون المشددة وضمير الشان وهو سهو ظاهر وفي حديث ابن عمر كما اخرجه البيهقي في دلايله
من احب العرب والمراد بهم هولاء الجيل المعروفون مطلقا فبحبي اي بسبب حبي احبهم ومن ابغضهم
من حيث ذواتهم لا لسبب اخر يكون لبعض منهم فببغضي ابغضهم وفي حديث رواه الترمذي
عن سلمان انه صلى الله عليه وسلم قال لا تبغضني فتفارق دينك قلت كيف ابغضك وبك هدانا
الله قال تبغض العرب فتبغضني وفي شعب الايمان للحليمي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ان الله عز وجل خلق الخلق فاختار منهم بني ادم واختار من بني ادم العرب واختار من العرب
مضر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بني هاشم فانا خيار من خيار فمن احب العرب فبحبي احبهم
ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم ولذا قبل اطلاق اللسان بالوقيعة فيهم كالشعوبية اذية لله
ورسوله صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى ان الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا
والاخرة وقد فصل ذلك الحافظ العراقي في تاليف له مستقل سماه انفع القرب في بيان فضل العرب
قال المولف رحمه الله تعالى فبالحقيقة اي بسبب النظر للحقيقة ونفس الامر المحقق عند العقول
السليمة من احب شيئا من الاشيا احب كل شي يحبه محبوبه وهذه سيرة السلف اي دابهم وطريقتهم
في محبتهم كل ما كان يحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى المباحات اي كانوا يحبون ما احبه
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الامور المباحة وشهوات النفس اي فيتبعونه صلى الله عليه
وسلم فيما يتعلق بشهوة النفس والطبيعة البشرية كمحبة الطيب وبعض الاطعمة والزوجات
وغير ذلك واستشهد لذلك بقوله وقد قال انس رضي الله عنه حين راى النبي صلى الله عليه
وسلم يتتبع الدبا بضم الدال المهملة وتشديد الموحدة والمد والهمزة للالحاق والواحدة دباه
وهي نوع من الماكول معروف عند الناس بالقرع ومعنى تتبعها انه ياخذ قطع القرع من اي محل وجدت
فيه فان قلت اكل الانسان مما يليه مستحب واكله من غيره مكروه لقوله صلى الله عليه وسلم
كل مما يليك لمن راه يجيل يده في الطعام الا في الفواكه فانه لا يكره فيها ذلك لعدم الاستكراه
واليه الاشارة بقوله تعالى وفاكهة مما يتخيرون قلت قالوا انه اذا كان الاكل ممن يتبرك به
لا يكره في حقه ذلك لا سيما النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هو مخصوص باللون الواحد وهذا
كان معه قديد وقيل انه صنع له صلى الله عليه وسلم وحده فله ان يفعل فيه ما يريد لعلمه
برضا صاحبه وقيل هو مخصوص بغير من ياكله اتباعه وخدمه واعلم ان القرع معروف واما الدبا
بالمد كما مر وجوز بعضهم قصره وانكره الطيبي فقيل هو القرع بمعنى واحد وقيل هو المستدير منه
وقيل هو اليابس منه وقال ابن حجر انه سهو من النووي وهو اليقطين وهمزته زايدة ولذا ذكره
في باب دبب وخطا صاحب القاموس الجوهري في ذكره في المعتل في مادة دبي فقال هو وهم
وليست همزته منقلبة عن واو ولا يا اقول الخطا من خطاه ومن تبعه هنا لان الزمخشري ذكره
في المعتل ايضا ووجهه ان الهمزة للالحاق كما ذكروه فهي في حكم الاصلية كما حرروه في باب الالحاق
من حوالي القصعة بفتح القاف انا معروف وحوالي مثنى حوال بمعنى حول وجانب والتثنية لمجرد
التعدد والتكرار كارجع البصر كرتين وهو بفتح الحا واللام ويجوز كسر لامه ويا تثنية ساكنة
وفيه لغات مذكورة في كتب اللغة فما زلت هذا مقول انس فتاوه مضمومة احب الدبا اي
احبا كلها تبركا بها من يوميذ اي من يوم اذ رايته يتبعها ويحبها لحب رسول الله صلى الله عليه
وسلم لها وهذا من علامات صدق محبته وهو شاهد لاتباعهم له في المباحات وما تشتهيه
الانفس وهذا الحديث اخرجه الشيخان كان والذي دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك
خياطا صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما من الدبا ودعاه له فذهب معه انس

وقال ابن حجر انه لم يقف على اسم هذا الخياط وهذا الحسن بن علي بن ابي طالب وكان الظاهر ان يقول
واتى الحسن وابن عباس الى اخره فعدل عنه لانه لشهرته كالمشاهد وابن عباس وابن جعفر ام سلمى
بفتح السين وهي زوجة ابي رافع ومولاة صفية عمته صلى الله عليه وسلم وقيل مولاته صلى الله
عليه وسلم وداية فاطمة الزهرا وهي التي غسلتها لما ماتت وقابلة ابراهيم بن النبي صلى الله عليه
وسلم وهي صحابية مشهورة وفي الصحابة سلمى غيرها خمس عشرة امراة وسالوها ان تصنع لهم
طعاما اي تطبخه وتحضره لهم مما يعجبه صلى الله عليه وسلم وانما سالوها ذلك لانها كانت
تخدمه صلى الله عليه وسلم وتعرف ماكوله ومشروبه والعجب عندهم حالة تعرض للانسان
عند الجهل بسبب الشي وحده لحالة تكون كثيرا مع الاستحسان فيلزمها الميل والمحبة
فاريد به لازمه وهو المحبة وفيه دليل على محبة ما يحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو المراد وهذا رواه الترمذي في الشمائل وابن جعفر هذا هو عبد الله بن جعفر بن ابي طالب
الطيار ذو الجناحين الصحابي بن الصحابي وتتمة الحديث مما كان يعجبه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويحسن اكله فقالت انا لا نستميه اليوم فقالوا بل اصنعيه لنا فقامت
وطحنت شيا من شعير وجعلته في قدر وصبت عليه شيا من زيت وفلفل وتوابل وقربته
اليهم وكان ابن عمر عبد الله الصحابي بن الصحابي رضي الله تعالى عنهما في حديث رواه الشيخان يلبس النعال
جمع نعل وهو كل ما وقيت به الرجل وهي مونثة السبتية بكسر السين المهملة وسكون الموحدة ويا نسب
الى السبت وهو جلد دبغ وازيل شعره من سبته اذا قطعه لازالة شعره وكانوا في الجاهلية
لا يلبس النعال المدبوغ منهم الا اهل السعة والجاه وهي منسوبة لمحل يسمى سوق السبت كما
قاله ابن عمر قول وقيل انه يجوز فتح اوله ايضا ويقال انها نعال سود ويصبغ بالصفرة وهو كل
ما يصفر الشعر وغيره كالحنا والكتم ويصبغ مثلث الموحدة وفيه تسمح لانه لا يصبغ بنفس الصفرة
وانما هو يصبغ اصفر والمراد انه يصبغ ثيابه بشي اصفر كالزعفران ونقل عن مالك جواز لبسه وما ورد
من النهي عنه ليس نهيا تحريميا وانما نهى عنه المحرم في الحج وعممه بعضهم ويدل على الجواز ما روي عن ابن
عن ابن جعفر انه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثوبان مصبوغان بالزعفران
كما رواه الحاكم والطبراني وغيرهما وكذا احاديث كثيرة صحيحة تدل على جوازه ايضا وقوله اذ رای
النبي صلى الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك تعليل لفعله ومحبته لما احبه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وذلك اشارة الى الصبغ اقل وللبس النعال وهو انسب باشارة البعيد وهذا
استشهاد للاقتدا به صلى الله عليه وسلم في المباحات بالنسبة اليه وان اختلف في الاقتدا
في مثله هل هو مباح في حق المقتدي به ام لا كذهابه في العيد من طريق وعوده من اخرى ورجحوا الندب
لمن نوى الاقتدا به صلى الله عليه وسلم وهو الظاهر ومنها اي من علامات محبته صلى الله
عليه وسلم بغض من يبغض الله ورسوله بغض الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهر من مثل
ابي جهل وبغض الله تعالى ما يبغض رسوله او بكفره او بانكاره كالمعطلة والدهرية ومعاداة
من عاداه اي من يتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم عدوا ولم يقل من عاداهما لان معاداة الله

انما هي معاداة رسوله صلى الله عليه وسلم لان عداوته تعالى حقيقة لا تتصور ومجانبة من خالف
سنته اي اجتناب من لم يتبع طريقته والبعد عنه وابتدع في دينه اي اظهر البدع وخالف
الشريعة وهو عطف تفسيري لما قبله واستثقاله كل من يخالف شريعته اي عده ثقيلا متغورا عنه
غير مقبول واصل الثقل في الاجسام ضد الخفة وفي نسخة كل امر ثم ذكر ما يثبته من الكتاب العزيز فقال
قال الله تعالى لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر اي لا يكون كذا حتى تجدهم فانه لا ينبغي ان يكون وهو
مبالغة في النهي يوادون اي يكون بينهم وبينهم مودة من حاد الله ورسوله اي يخالفونه ويعارضونه
وهولا اصحابه رضي الله عنهم اي مما علم من حال اصحابه حتى كانهم يشاهدون متلبسين به قد قتلوا احبا
اي اصدقاهم قبل الاسلام وقد وقع هذا لكثير من الصحابة وروي قتلوا اي بغضوهم وابعدوهم قال
تعالى ما ودعك ربك وما قلى وقاتلوا اباهم وابناهم الذين بقوا على الكفر في مرضاته في تحليليه والمرضاة
مصدر ميمي بمعنى الرضا كابي عبيدة بن الجراح قتل اباه ببدر وعمر رضي الله تعالى عنه قتل خاله العاص
ومصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه قتل اخاه ونحوه مما هو مذكور في السير وقال له صلى الله عليه
عبد الله رضي الله تعالى عنه ابن عبد الله بن ابي ابن سلول راس المنافقين وابنه عبد الله هذا كان
من الصحابة المخلصين محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شيت خطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم لاتيتك براسه يعني اباه عبد الله ابن سلول اي قتلته واتيت براسه لك
وكان ابن سلول رييس اهل يثرب قبل الهجرة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهر الاسلام
بطلت رياسته فكان لحرصه على الدنيا يكره الاسلام ويظهر النفاق وهو الذي نزل في حقه سورة
المنافقين واما ابنه عبد الله فكان من خيار الصحابة الصادقين كما علم فلما ظهر من ابيه ما ظهر
قال يا رسول الله اسالك بالله الا ما اذنت لي في قتل ابي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
بل ترفق به وتحسن اليه وهذا مما رواه البخاري ومنها اي من علامات محبته صلى الله عليه
وسلم ان يحب القران الذي اتى به للناس من عند ربه عز وجل وهدى به الخلق كلهم لسعادة
الدارين واهتدى هواي وصل الى الله به وتخلق به اي اتخذه خلقا له يعمل بكل ما فيه حتى قالت
عايشة رضي الله تعالى عنها وقد سيلت عن خلقه صلى الله عليه وسلم كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم خلقه القران اي كان دابه التمسك به والتادب بادابه والعمل بما فيه من مكارم
الاخلاق فجعلت القران نفسه خلقه مبالغة في شدة تمسكه به وانه صار سجية له وطبيعة
كانه طبع عليها فتخلق بمعنى اظهر الخلق كتجمل بمعنى اظهر الجمال كما في كامل المبرد رحمه الله تعالى وقد يكون
التخلق للتكلف كما في قوله يا ايها المتحلي عن شيمته ان التخلق ياتي دونه الخلق وليس بمراد هنا
وحبه للقران تلاوته اي كثرة تلاوته له على الوجه المرضي فيها عند اهل الادا وليس المراد مطلق القران
والعمل به اي بما فيه من الاحكام والمواعظ وتفهمه اي التقيد بفهم معانيه وجعل هذا عين الحب
لتسببه عنه ومن العلامات لمحبته صلى الله عليه وسلم ايضا ان يحب سنته اي طريقه وهديه
بالاقتدا به قولا وفعلا ويجوز ان يريد بسنته احاديثه المروية بقرينة جعلها قرينة للقران وكثيرا
ما تطلق عليه ويقف عند حدودها اي لا يتعداها ومن يتعد حدود الله فاوليك هم الظالمون

وحدود الله محارمه واحكامه من الحد وهو المنع والفصل ومنه حدود الدار واستعير الحد لما
ذكر كالوقوف فيه ترشيح مليح قال سهل بن عبد الله التستري وقد تقدم علامة حب الله اي امارة
ودليله حب القران وتقدم بيانه وعلامة حب الله وحب القران حب النبي صلى الله عليه وسلم
فان من احب الله احب حبيبه وكلامه وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة فان من احبه
لا يخالفه ولا يعصيه وعلامة حب السنة حب الاخرة لان من احبه واتبعه احب لقاه ورغب
في الاخرة كامر وعلامة حب الاخرة بغض الدنيا والزهد فيها لانهما ضرتان لا يجتمعان في قلب مومن
وبغضها لا يقتضي التبذير والاسراف كما توهم وانما هو كما قيل اللهم اجعلها في ايدينا ولا تجعلها في قلوبنا
وعلامة بغض الدنيا ان لا يدخل ويقتني منها الا زادا اي مقدارا يتزود به ويتقوت ولا يجمع منها
ما لا حاجة له به كما قيل يكفيك مما نبتغيه القوت ما اكثر القوت لمن يموت او بلغة
بضم فسكون اي ما يبلغ به الى الدار الاخرة كالمسافر يحمل من الزاد ما يبلغه لمقصده ومنزله فانما
الدنيا دار سفر لا دار مقر وانا لفي الدنيا كركب سفينة نظن وقوفا والزمان بنا يسري
وعن ابن مسعود في حديث رواه البيهقي في الادب وابن الضريس في فضايل القران وفي نسخة وقال
ابن مسعود لا يسال احد منكم عن نفسه اي عن احوال نفسه من محبتها الله ورسوله الا القران
فان كان يحب القران فهو يحب الله ورسوله فاذا اراد ان يعرف حاله ينظر في ذلك فيستدل به حتى
كانه ساله واجابه ببيان حاله فاذا استلذ بتلاوته وسماعه علم حاله وكيف يشبع المحب من كلام
محبوبه وهو غاية مطلوبه كما قيل ان كنت تزعم حبي فلم هجرت كتابي اما تاملت ما فيه
من لذيذ خطابي ومن علامات محبته للنبي صلى الله عليه وسلم شفقته على امته بان يحبهم
ويتلطف ويرق قلبه عليهم ونصحه لهم ببيان ما يصلحهم من امورهم وسعيه في مصالحهم بشفاعته
ومعاونته وقضا حوايجهم ورفع المضار عنهم بدفع المظالم وازالة مضايقهم كما كان صلى الله عليه
وسلم بالمؤمنين منا ومن غيرنا الا بغيرهم روفا شفوقا رحيما منعما متفضلا عليهم كما وصفه الله
في كتابه العزيز فعلينا الاقتدا به والتخلق باخلاقه ومن تمام محبته اي كمالها واقصى مراتبها التي لا تتم الا بها
زهد مدعيها اي المحبة في الدنيا وامورها وزخرفها وايثاره الفقر اي اختياره وتقديمه على الغنا وسعة
الدنيا وانصافه به اي جعله شعارا وصفة له تواضعا وزهدا وقد قال عليه الصلاة والسلام
لابي سعيد الخدري رضي الله عنه تقدمت ترجمته ان الفقر الى من يحبني منكم معاشر المسلمين او الصحابة اسرع
اي يصل اليكم بسرعة اقوى من سرعة السيل اذا انحدر ونزل من اعلى الوادي وهو الموضع الذي يسيل فيه
الما من ودي بمعنى سال ويسمى الفرجة بين جبلين واديا ويستعار للطريقة والمذهب كما قال تعالى الم تر
انهم في كل واد يهيمون او من الجبل الى اسفله والما النازل من علو لسفل في غاية السرعة فضرب مثلا
لسرعة افتقارهم والى متعلق باسم التفضيل وضمير اسفله لاحد الامرين من الوادي والجبل وافرد
لانه بعد شيين عطف باو وهذا بعض من الحديث الذي بعده وقد رواه الترمذي وحسنه وفي حديث
عبد الله بن مغفل بضم الميم وفتح الغين المعجمة وتشديد الفا المفتوحة ولام وهو صحابي من اهل
الشجرة اخرج له الستة وغيرهم وتوفي سنة ستين قال رجل من الصحابة ولم يسموه للنبي صلى الله عليه
وسلم

173

وسلم يا رسول الله اني احبك فقال انظر ما تقول اي تفكر فيه وتامل فان محبتي امر عظيم من اختارها صادقا
مخلصا ينبغي ان لا يعبا بامر من امور الدنيا وهو امر صعب قال والله اني احبك اكده بالقسم لما راى من قوله
صلى الله عليه وسلم له المشعر بالتردد فيه وزاد ان كرره ثلاث مرات ليزيل الشبهة قال له صلى الله
عليه وسلم ان كنت تحبني حبا خالصا صادقا لا تؤثر عليه شيا فاعدد اي احضر وهيئ للفقر
تجفافا بكسر المثناة الفوقية وسكون الجيم وفا بينهما الف وتاوه زايدة من جف اذا يبس وهي
شي يوضع على الخيل ليقيها في الحرب الاذى كالدرع للانسان وقد يلبسه الناس وجمعه تجافيف
اي اعدد له عدة تقيك من اذى الفقر فان النفوس لا تحمله يعني الصبر عليه ورياضة النفس في تحمله
فشبه الفقر بجواد يحصن بما يقيه لايصاله الى السعادة او شبه صاحبه بجواد والفقر بالمجاهدة
لمجاهدة النفس به وفيه ايما الى ان من احبه صلى الله عليه وسلم يبتلى بالفقر وكانه فقر اختياري
بزهده في الدنيا وقد اختلف في الفقر والغنى وفي الفقير الصابر والغني الشاكر ايهما افضل
وظاهر هذا الحديث والكلام عليه مفصل في كتب المشايخ وغيرها وقدمنا منه ما فيه الكفاية
وروي جلبابا بدل تجفافا ثم ذكر اي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا الكلام الذي
قاله للرجل المذكور نحو حديث ابي سعيد الخدري اي ما يشبهه بمعناه يعني قوله في الحديث الذي سبق
للفقر اسرع الى ما يجري من السيل الى منتهاه تشبيها له بالسيل واشارة الى تلاحق النوايب
سريعا حتى لا يخلص منها فيستعد لها فصل في معنى المحبة له للنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقتها
اي المعنى الذي وضعه لها واضع اللغة وعين لفظه اختلف الناس المراد بهم علما السلف والخلف
وسبب اختلافهم ان المحبة التي تعارفها الناس كما سنبينه بحسب الظاهر لا تليق بالله ورسوله
في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم اي في بيان المراد بهما وكثرت عباراتهم في ذلك
التفسير وليست ترجع بالحقيقة اي ليس مالها ان نظر الى نفس الامر المحقق في الواقع الى اختلاف مقال
اي ليس اختلافا في لفظها والمعنى واحد ولكنها اختلاف احوال اي سبب اختلافهم اختلاف حال المحب
وحال المحبة قوة وضعفا فكل نظر الى حال من احوالها وفسرها بتفسير ينا سبه فليس اختلافا
حقيقيا ولا لفظيا فانما هو باعتبار المحبوب والمحب وحالاتهما حتى انكر بعضهم امكان محبة الله
حقيقة كما في الاحيا وقال لا معنى لها الا المواظبة على طاعته وقال القشيري هي حالة للقلب تلطف
عن العبارة تحمل على التعظيم وايثار رضاه واشتقاقها قيل من حبب الاسنان وبياضها لصفاوها
وقيل من الحباب الذي يعلو الما اذا انصب وتحرك لفورانها في القلب وقيل من احب البعير اذا برك
لثبات القلب عليها وهو اشتقاق بعيد وحقيقتها ميل النفس ميلا كليا لما يدعوه المحبوب من رايق
جمال وفايق كمال وفايض احسان وافضال فقال سفيان يحتمل سفيان بن عيينة وسفيان الثوري
قيل والظاهر انه الثوري لطوله باعه في علوم القوم وعلو رتبته في العلم الظاهر ايضا فانه كان
مجتهدا وصاحب مذهب مستقل في غير المحبة يعني محبة الله بدليل الاية التي استدل بها اتباع
الرسول صلى الله عليه وسلم في اقواله وافعاله وكل ما جا به عن الله لان من احب الله لا يعصيه
فيما امر به وانما تعلم اوامره ونواهيه منه فهو تفسير لها بلازمها ولما كان في هذا خفاء لكانه

الفصل الخامس من الباب الثاني من القسم الثاني

اى سفيان الثورى اى نظر فى تفسير هذا الى قوله تعالى واستبط منه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى
يحببكم الله فانه اقام اتباعه مقام محبته اذ لم يذكر محبتهم وذكر محبته وهى لا تكون الا لمن احبه
والاية نزلت فى اليهود لما قالوا نحن ابناء الله واحباؤه فارشدهم الى ما يحقق مدعاهم فان حقيقة
المحبة ميل النفس الى شىء ادرك منه كمالا يحملها على ما يقربه اليه والكمال الحقيقى ليس الا لله وكل كمال
فى غيره فهو منه فحبه يقتضى طاعته والرغبة فيما يقرب اليه وليس ذلك الا بطاعته وطاعته
لا تقبل الا باتباعه صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم فى معنى محبة الرسول صلى الله عليه وسلم انها
اعتقاد لزوم نصرته بالمجاهدة لينصره ويعلى كلمته والذب بالمعجمة اى المنع والطرد عن سنته
اى طريقته وشريعته برد ما يخالفها ودفع الشبه الموردة عليها وتصحيح احاديثه وتفسيرها
وبيانها والانقياد لها بان لا يخالفها ويعمل بها وهيبة مخالفته اى الخوف من مخالفته مع تعظيمه
واجلاله وفى نسخة مخالفتها اى السنة وفى النسخة الاولى الضمير للرسول صلى الله عليه وسلم
وقال بعضهم فى تفسير مطلق المحبة ويحتمل انه بيان لمحبة الله تعالى دوام الذكر للمحبوب بان لا يذكر
شيئا اكثر من ذكره كما مر وقال اخر ايثار المحبوب اى اختياره وتقديمه على ما سواه بان يكون احب
اليه من نفسه واهله وماله كما تقدم وقال بعضهم المحبة معناها الشوق الى المحبوب بان يكون
نفسه وقلبه دائما تدعوه الى قربه وتحثه على لقائه وقد تقدم الفرق بين الشوق والاشتياق
وانه من الاصطلاحات الصوفية لا من المعانى اللغوية وقال بعضهم المحبة مواطاة القلب
بضم الميم وطاء مهملة تليها همزة ومعناها الموافقة واصله ان يطاء الرجل برجله موطاة صاحبه
قال تعالى ليواطئوا عدة ما حرم الله اى موافقة القلب لمراد الرب بان لا يريد الا ما اراده فيترك
ما يريده لما يريد الله ثم بينه بقوله فيحب مضارع لحب ما احب ويكره ما كره وفى نسخة ما يكره
والاول اولى وقال اخر المحبة ميل القلب الى قبول قوله اى المحبوب والمراد كل ما يقوله وهذا كله
من كلام اهل الطريقة وله امثال كثيرة كقول ذى النون قل لمن اظهر حب الله احذر ان تذل لغير الله
تعالى وقال اخر المحبة ميل القلب الى يوافقه اى موافق لما يرضاه ويريده محبوبه وهى اقوال متقاربة
واكثر العبارات المتقدمة من اول الفصل الى هنا اشارة الى ثمرات المحبة انما قال اشارة لانهم
لم يصرحوا بانها من ثمراتها واصل الثمرة نتاج الشجرة ثم قيل لكل نفع يصدر عن شىء ثمرة كثمرة العلم
فهو استعارة تصريحية او تخييلية ومكنية او مجاز مرسل دون حقيقتها اى لا حقيقتها ودون
تدل على ان هذا منها وانما قال اكثر لان منها ما هو سبب كاتباعه او لانه احتراز عن الا انه حقيقة لغوية
وفيه نظر ثم بين حقيقتها بقوله وحقيقة المحبة الموضوعة لها مطلقا الميل معناه حقيقة
العدول عن الوسط الى احد الجانبين ثم تجوز به عن ارادته والرغبة فيه الى ما يوافق الانسان
اى طبيعته قيل هذا بعينه هو المعنى الاخير وفيه ان معنى قوله موافق له ثمت موافق لمحبوبه وهنا
لنفسه فبينهما فرق نعم هو قريب منه وبين الموافقة بقوله وتكون موافقته له اى لنفس المحب اما لاستلذاذه
اى عده لذيذا تشتهيه نفسه وتستحسنه بادراكه منه ادراكا محققا محبوبا كالمطعم الحلو والمشرب
والغرب وكحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة اللذيذة واشباههما

كالروايح

كالروايح الطيبة والملابس الفاخرة وهو اشارة الى المحسوس بالحواس الظاهرة فمما كل طبع سليم
من غلظ الطبع وفساد الحواس كالمريض يجد الحلو مرا لفساد ذوقه فهذا لا يرد نقضا مايل اليه
لموافقته له طبعا وفى نسخة موافقتها اى المذكورات او لاستلذاذه اى وجود لذته واللذة
من الكيفيات النفسية وضدها الالم وتصور ذلك بديهى لانه من الوجدانيات وهى ادراك
الملايم من حيث هو ملايم والالم ضده والمراد بالملايم للشىء كماله اللايق به كالتكيف بالحلاوة
للذائق ونحوه من المحسوسات وكتعقل الاشياء على ما هى عليه بالقوة العاقلة وقيد بالحيثية
لان الشىء قد يكون ملايما من وجه دون اخر والمراد بادراكه ادراكه بعد الوصول لا بمجرد تخيله
كما تقرر فى كتب الحكمة فاللذة تكون حسية وعقلية واليه اشار بقوله او لا بادراكه الخ وهو
القسم الاول والثانى بينه بقوله بادراكه بعد الوصول اليه لا قبله بحاسة عقله وقلبه فيه
تسمح على راى الحكما لان المدرك عندهم القوى الباطنة فى الدماغ لا العقل المدرك للكليات
لكن لما كان اهل الشرع لم يثبتوها تسمح فيها معانى باطنة غير مدركة بالحواس الظاهرة شريفة
اى نفيسة القدر دقيقة عالية القدر كانها فى شرف اى مكان عال وحاسة العقل فوته المدركة
فالاضافة لامية او المراد حاسة هى العقل فالاضافة بيانية كحب الصالحين والعلما واهل
المعروف المراد بالمعروف كلما يعرف بالشرع والعقل حسنه كالجود كما قاله الراغب وحب
الماثور اى المنقول عنهم السير المراد بها الاحوال والصفات الجميلة الحسنة المحمودة شرعا
والافعال الحسنة كالكرم والعلم والزهد كالحسن البصرى فان طبع الانسان مايل الى الشغف
الى المحبة الزايدة وهو بشين وغين معجمتين وفاء من شغفه الحب اذا وصل الى شغاف قلبه اى غلافه
او نياطه او داخله وحبته وهذا انسب بالمراد وروى بعين مهملة فقيل هما بمعنى وقيل الثانى
بمعنى الاحراق يقال شعفه الحب اذا احرقه وامرضه ومع ذلك يجد له لذة فان عذابه عذب لذيذ
وياتى لهذا مزيد بيان وقوله بامثال هؤلاء اى بهؤلاء وامثالهم والمراد بامثالهم انفسهم كمثلك
لا يبخل وهو كناية عما تقرر فى كتب المعانى والاشارة للصالحين ومن بعدهم حتى يبلغ الشغف بهؤلاء
وفرط حبهم التعصب تفعل من العصبة وهى الجماعة المتعاضدة المتعاونة والمعنى اظهار الحمية
والمبالغة فى الصيانة حتى يفارقوا من خالفهم فى محبتهم الحمية والتعصب لمن احبه والتشيع
تفعل من الشيعة فهو هنا بمعنى التعصب ايضا وضمنه معنى الانفصال لقوله من امة اى فارقوا
امة خالفوهم وصاروا فى اخرين اى فى قوم اخرين وفى نسخة اخرى اى امة اخرى والشيعة
من المشايعة وهى المتابعة والشيعة الفرقة من الناس غلب على من والى عليا رضى الله عنه
كما مر ويأتى بما يودى اى يوصل يقال اداه الى كذا اى وصله وهو بهمزة ودال مشددة وهو مفعول
يبلغ اى يصل والتعصب فاعله فان نصب على انه مفعوله وفاعله ضمير الشغف فهو بدل
منه والثانى اقرب الى الجلاء بفتح الجيم واللام والمد الخروج عن الاوطان اى المساكن والبلاد
والاهل وهتك الحرم بضم الحاء وفتح الراء المهملتين جمع حرمة والهتك بمثناة فوقية
وكاف كشف الستر بازالته وتقطيعه والحرم جمع حرمة بضمتين وضم فسكون وفتح كهمزة

وهو كل ما يصان ويمنع ولذا قيل للمساحم اى فتضاح لنسابهم وذهاب عرضهم وكل
ما يلزم صيانته واخترام بخا معجمة ومثناة وراء مهملة النفوس اى الذوات او الارواح اى اهلاكهم
بسرعة يقال اخترمته المنية كانها قطعت عمره وكلما استاصل شيا اخترمه وفي نسخة القلوب
والاول احسن فتزى المرء يحب هولاء وان لم يرهم فحبهم يحمله على ما ذكر ثم ذكر سببا ثالثا للمحبة
فقال او يكون حبه اياه وميل نفسه وطبعه اليه لموافقته له اى لملايمته وموافقة طبعه
من جهة لحسانه اليه اى انعامه وبذله وجوده وفي نسخة له اى لاجل ذلك فقوله وانعامه
عليه عطف تفسير فقد جبلت النفوس بالبنا للمفعول اى جعلت مطبوعة ومخلوقة
على حب من احسن اليها كما جبلت على بعض من اساء اليها وقيل ان هذا من الفاظ النبوة ولم اره
بعينه حديثا الا انه ورد بمعناه ففي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم لا تجعل
لفاجر علي يدا فيحبه قلبي فاشار الى ان حب المحسن اضطراري وفي الاحيا ان المحبة قد تكون
لغير هذا من الالف لروحانية من غير سبب ظاهر وقال فيه ايضا في ايتلاف القلوب سر غامض
لا يطلع عليه فقد يحب المرء من غير حسن واحسان وسبب ظاهر بل لمناسبة روحانية وشبه
الشيء منجذب اليه وفي الحديث الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها
اختلف وقول المنجمين انه داير على الطالع ومقابله لا اصل له وورد في حديث رواه في الفردوس
لو ان مومنا دخل مجلسا فيه مائة منافق ومومن واحد لجاء حتى جلس اليه ولو ان منافقا دخل
مجلسا فيه مائة مومن ومنافق واحد لجاء حتى جلس اليه فما ذكره هو الاغلب المعروف فاذا تقرر
اى ثبت وتحقق لك هذا المذكور من اسباب المحبة نظرت الى هذه الاسباب كلها اى عرفتها
بنظر سديد وكلها تاكيد للاسباب ومبتدا خبره في حقه اى موجودة في حقه وشانه متقررة
محققة فعلمت انه صلى الله عليه وسلم جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة بمقتضى
العقل والشرع والطبع السليم ثم بين ذلك بقوله اما جمال الصورة وهو السبب الاول
وهو حب الصورة الحسنة والصورة الهيئة والمراد ما يظهر للناظر كالوجه والظاهر عطف
تفسير للصورة وكمال الاخلاق اى كونها في غاية الكمال فيه صلى الله عليه وسلم وهذا ليس
من الحسن الظاهري بل حسن باطني كالصورة لان حسن الصورة يدل على حسن السيرة فقوله
والباطن عطف تفسير له فقد قررنا اى بينا في هذا الكتاب سابقا منها قبل بني على الضم
فيما مر اول الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة فيه هنا واما احسانه صلى الله عليه وسلم وهذا
هو السبب الثاني وانعامه على امته يعني امة الاجابة فكذلك اى مثل ما قبله في عدم الحاجة
للبيان هنا لانه قد مر منه اشارة الى ان ما ذكر بعض منه لا يمكن استيفاوه وعلى تفنن ما جيه
ووصفه يعني لزمانه وفيه ما لم يوصف في اوصاف الله تعالى له صلى الله عليه وسلم
جمع وصف بمعنى صفة او توصيف ثم بينه بقوله من رافته بهم اى شفقته ولطفه بهم كما مر
ورحمته لهم اى انعامه صلى الله عليه وسلم عليهم وكرمه وهدايته اياهم اى من احسانه انه
هداهم الى سعادة الدارين واى احسان اعظم من هذا وشفقته اى حنوه عليهم ورحمتهم

واستنفاذهم

175

واستنفاذهم اى تخليص الله هذه الامة به اى بسببه صلى الله عليه وسلم اذ نجاه اليهم
من النار وعذاب جهنم اذ هداهم لطريق النجاة منها وانه بالمومنين روف رحيم كما في قوله تعالى
بالمومنين روف رحيم كما مر مع تفسيره وانه رحمة للعالمين فهو مرفوع وضبط في بعض النسخ
منصوبا اى كونه رحمة ويويد ذلك قوله ومبشرا بكل خير ونذيرا مخوفا لهم ليرتدعوا عما يضرهم
وداعيا الى الله ودينه الحق باذنه في الدعوة او بارادته كما مر وسراجا منيرا منقذا لهم من ظلمة
الجهالة والضلال ويتلو عليهم اياته المرشدة لهم فيقرا عليهم ما يوحى اليه من دلايل التوحيد
والنبوة ويزكيهم يطهرهم من الشرك والمعاصي ويعلمهم الكتاب اى القران العظيم والحكمة
ويكلمهم من المعارف والاحكام ويهديهم الى صراط مستقيم يدلهم على الطريق الموصل الى الله
تعالى بلطف وهذا مما وصفه الله به في كتابه العزيز واى احسان اى للتعظيم والتفخيم كما يقال
عندي رجل اى رجل اى رجل كامل الرجولية اجل قدرا وارفع رتبة واعظم خطرا بفتح الخا المعجمة
والطا المهملة اى قدرا وشرفا فغاير بينهما تفننا من احسانه اى احسان هذا النبي الكريم على امته
فكيف لا يحسن الى جميع المومنين خصهم لانهم هم المنتفعون به والا فاحسانه عام واى افضال
بمعنى احسان وتفضل اعم منفعة واكثر فايدة على كافة المسلمين اى جميعهم وقد قيل كما مر ان كافة
تلزم التنكير والنصب على الحالية واستعمالها على خلاف ذلك خطا وان وقع في عباراتهم
كما في درة الغواص وقد اجبنا عنه في شرح تلك الدرة وبينا انه سمع خلافه اذ تعليلية اى لانه
صلى الله عليه وسلم كان ذريعتهم اى وسيلتهم وسببا موصلا لهم الى الهداية اى ما يخلصهم
وينجيهم واصل الذريعة سترة يتخذها الصايد للتوصل بالصيد والوصول اليه وهو صلى الله
عليه وسلم سترة من النيران وجنة لمن طلب الجنان ومنقذهم مخلصهم من العماية
بفتح العين وهي الغواية والجهالة لانها تطلق على عمى القلب كما قال تعالى واما ثمود فهديناهم الاية
وسال بعض الفضلاء عن وجه تخصيص ثمود بالهداية دون غيرهم فاجيب بانهم خصوا بذلك لانهم
طلبوا اية يكون بها اهتداوهم فهدوا بها فتعرضوا اليها بالاتلاف فاستحبوا بذلك العمى على الهدى
المطلوب لهم واستحبابا لعمى لهم انما هو بالتقدير الالهي من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل
فلن تجد له وليا مرشدا وداعيهم الى الفلاح اى الفوز والظفر بسعادة الدارين والى الكرامة
اى الاكرام بنيل الخير ووسيلتهم الى ربهم اى موصلهم وعقوبهم اليه وجاعل لهم منزلة عنده
وشفيعهم في الدنيا والاخرة والمتكلم عنهم عند الله تعالى بيان اعذارهم وهم احوج ما يكون
الى الكلام وقد خرست الالسن ولم يوذن لاحد غيره صلى الله عليه وسلم ان يتكلم والشاهد لهم
بانهم امنوا وصدقوا يوم القيامة حين يشهدون للانبيا عليهم الصلاة والسلام انهم
قد بلغوا قومهم فيزكيهم كما تقدم والموجب لهم اى الذي يحقق لهم البقا الدايم بالخلود في الجنة
وليس المراد الوجوب الشرعي لانه لا يجب على الله شيء والنعيم في الجنة السرمد اى الدايم الذي
لا ينقطع ولولاه صلى الله عليه وسلم لم يكن شيء من ذلك فقد استبان لك بما ذكر اى
ظهر واتضح انه عليه الصلاة والسلام مستوجب اى مستحق للمحبة الحقيقية لان اسبابها

متوفرة فيه صلى الله عليه وسلم على اكمل وجه لا يتيسر لغيره شرعا بما قدمناه من صحيح الاثار
الموجبة له من يديش في حسن ترف وانه المحسن والمتفضل بكل خير وانا مامورون بمحبته
واتباعه بامر من الله له وعادة معطوف على قوله شرعا اى ما اعتاده الناس في كل عصر من محبة
من حاز الكمال كله وجبلة لان كل خير واحسان وصل الينا فهو منه صلى الله عليه وسلم
والنفوس مجبولة على حب من احسن اليها كما مر والجبلة بمعنى الصبيعة قال تعالى واتقوا الذى
خلقكم والجبلة الاولين اى المجبولين الاولين مما ذكرنا متعلق باستيناف انفا بالمد اى قريبا وهو
منصوب على الظرفية من انف بمعنى تقدم ومنه الانف اسم الجارحة لافاصته اى اعطايه
من بحر كرمه الاحسان بكل خير دنيوى واخروى وعموم الاجمال اى تعميم الجميل منه لكل احد وهذا
اجمال لما قدمه بذكر السابقة ثم وضحه بقوله فاذا كان الانسان يحب من منحه اى اعطاه والمنحة
العطية في دنياه اى في حياته في الدنيا مرة او مرتين معروفا اى شيا حسنا كما مر تفسيره او استنقذ
ونجاه من هلكة بفتح الها اللام امر مهلك او مضرة امر يضره ويوذيه بفتح الميم والضاد مدة
التاذى بها اى بالمضرة قليل منقطع اى ذايل في زمن قليل وذكره لان المدة بمعنى الزمان اولانه
فعيل ومنقطع لمشاكلته ومدة مضافة للتاذى او منون منصوب والتاذى مبتدا خبره قليل
وعلى الاول المبتدا مدة فمن منحه ما لا يبيد بمثناه تحتية مفتوحة وموحدة مكسورة وتحتية ساكنة
ودال مهملة اى يذهب وينفد من النعيم المخلد في الجنة وهذه النسخة اولى مما وقع في بعض النسخ
من النعم جمع نعمة للسجع في الاولى ووقاه بالتشديد والتخفيف اى صانه وحماه ما لا يفنى من عذاب
الجحيم اى النار من جحم بمعنى توقد ويخص بطبقة منها وقوله اولى ما يحب بالبنا للمفعول وفي نسخة اولى
بالحب واولى فعل تفضيل بمعنى احق وهو خبر من اى احق من كل شى يحب من نفسه وماله واهله واذا كان
يحب بمعنى المجهول ايضا بالطبع متعلق بيحب وخص هذا بالطبع لانه ليس محبوبا شرعا والعقل
والعادة لا تخالف انه يحب ملك بكسر اللام نايب فاعل يحب فهو مرفوع وكذا ما بعده وفي نسخة نصب
الجميع ويحب مبنى للفاعل لحسن سيرته بعد له في رعيته او حاكم غير ملك كامير لما يرى اى ينقل عنه
وهو مجهول ايضا من قوام طريقته اى حسن سلوكه وقوام بكسر القاف وهو العماد والنظام ويجوز
فتحها بمعنى الاعتدال قال تعالى وكان بين ذلك قواما اى معتدلا او قاض بضاد معجمة اى حاكم الشرع
اذا سمع بعدله وهو بعيد الدار عنه ويروى بصاد مهملة فبعيد تفسيره لما يشاد مبنى للمجهول
اى لاجل ما يشيع ويشتهر من ذكره بين الناس وهو مستعار من شاد البنا بشين معجمة ودال مهملة
اذا رفعه ومنه قصر مشيد وغلط من قال انه بذال معجمة من شاذت علت وفي نسخة لما فشا
بالفا والشين المعجمة اى ظهر وانتشر من علمه او كرم شيمته اى سجيته وخلقه وهذا مناسب
لاجمال قاص واذا كان يحب من فيه بعض هذه الخصال فمن جمع هذه الخصال كلها وحواها وكل منها
فيه مستقر على غاية مراتب الكمال بحيث لا يشبه صفاته صفات غيره كما قال الابوصيرى رحمه الله
تعالى انما مثلوا صفاتك للناس كما مثل النجوم الماء احق بالحب مما عداه واولى بالميل اليه
واعلم انه انما ذكر من قوله فقد استبان لك المز لدفع شبهة لمن لا بصيرة له وهى ان هذه الامور

انما التخلق

انما التخلق فيه صلى الله عليه وسلم عند من راه وشاهده منه لانها الموثرة في الطباع بان ومر
نفعه وخيره لمن بعده معلوم لكل مؤمن بالغيب وكمالاته صلى الله عليه وسلم لتواترها وبقا اثرها
كالمحسوس المشاهد وقد قال على رضى الله عنه في حديث الحلية السابق ذكره من راه صلى الله
عليه وسلم بديهة اى بصره في اول روية هابه توقيرا واجلالا لما يرى من نور نبوته ومن خالطه
اى صاحبه صلى الله عليه وسلم وعاشره معرفة احبه اى بعد ما عرف فضايله وفواضله
وشاهد شمايله لا بد ان يحبه وذكرنا في فضل ثواب محبته عن بعض الصحابة وهو ثوبان كما تقدم
انه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم فصل
في وجوب مناصحته النصح معناه الخلوص لغة ثم قيل لارادة الخير بقلبه ولسانه واتى فاله
بصيغة المفاعلة لان نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم امر مقرر لكل احد فاذا نصحه
احد من امته تحققت المناصحة من الجانبين واخر هذا الفصل عن المحبة لانها تترتب عليها
واعلم انه ياتى ان اصل معنى النصح تصفية العسل وخياطة الثوب ثم استعمل في ضد الغش
والاخلاص كالتوبة النصوح قال تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اثم بضيق
اذا تخلفوا من الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لفقرهم المانع لهم اذا نصحوا لله
ورسوله الخ اى اذا اخلصوا الايمان بهما والطاعة لهما ظاهرا وباطنا ما استطاعوا واخلصوا لهما
من فعل وقول يعود على المسلمين بالصلاح وفي الصحيحين عن جابر رضى الله تعالى عنه قال
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فقال ان بالمدينة ناسا ما سرتم مسيرا ولا
قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم المرض شركوكم في الاجر ففى الاية دليل على وجوب النصح لله
ورسوله كما اشرنا اليه ما على المحسنين من سبيل اى ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم
سبيل ووضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون في سلك المحسنين غير
معاتبين في ذلك والله غفور رحيم لهم وللمسى فكيف المحسن قال اهل التفسير في بيان
معنى الاية اجمالا اذا نصحوا لله ورسوله معناه اذا كانوا مخلصين في اقوالهم وافعالهم مسلمين
منقادين مطيعين حال لازمة في السر اى فيما في باطنهم مما اسروه والعلانية ظاهر حالهم
المطابق لما في ضمايرهم والعلن والعلانية بتخفيف اليا مصدر للجهر والاظهار فالنصح
هنا بمعنى الاخلاص والصدق ثم اتبع ما استشهد به من الكتاب العزيز بحديث رواه
ابو داود كما رواه مسلم فقال حدثنا ابو الوليد شيخ المصنف قرات عليه قال حدثنا حسين
بن محمد هو ابو على الغسانى وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا يوسف بن عبد الله هو حافظ
الاسلام ابن عبد البر وقد تقدم قال حدثنا ابو محمد ابن عبد المؤمن تقدم ايضا قال حدثنا
ابو بكر بن التمار قال حدثنا ابو داود صاحب السنن قال حدثنا احمد بن يونس ابو عبد الله
احمد بن عبد الله بن يونس اليربوعى الكوفى الحافظ الثقة المتقن المتفنن روى عنه الستة
توفى سنة سبع وعشرين ومايتين قال حدثنا زهير بن محمد المروزى نزيل الشام الثقة توفى سنة
اثنين وستين ومائة اخرج له الستة وترجمته في الميزان قال حدثنا سهيل بن ابى صالح

تقدمت ترجمته عن عطا بن يزيد الليثي الثقة التابعي توفي في سنة سبع او خمس ومايه ولخرج له
الستة عن تميم الداري وهو تميم بن اوس بن خارجة اللخمي المكني بابي رقيه وهي ابنة له لم يولد له غيرها
والداري نسبة الى جده الدار بن هاني ولدار اسم مكان ويقال الديري لدير كان يتعبد فيه وقيل انه
اسم قبيله وهو بعيد كما في المطالع وكان نصرانيا اسلم سنة تسع بالمثناه من الهجرة وتوفي سنة
اربعين منها وروى عنه في السنن ومسند احمد وقصته في الجساسة مشهورة قال تميم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة كررها ثلاثا لزيادة
الحث والتحريض ولذا عدل المص عن رواية مسلم مع ان كتابه اصح الكتب عند علما المغرب وما قيل
من انها مكررة في هامش نسخة مسلم فلا وجه للعدول عنه امر سهل وسوال ساقط والدين
ملة الاسلام والنصيحة تقدم بيانها وفي رواية انما الدين النصيحه وهما بمعنى لافادة تعريف
الطرفين الحصر قالوا اي الصحابة الحاضرون عنده لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه بالعمل بما فيه
وتعظيمه وحفظه ولرسوله بالايمان به واتباعه وطاعته ولايمة المسلمين الخلفا والسلاطين
والحكام وعامتهم ان اريد العوام فظاهر وان اريد جميعهم فهو من عطف العام على الخاص وسياتي
بيانه قال ايمتنا المراد بهم علما الاسلام او ايمة مذهبه النصيحة لله ولرسوله ولايمة المسلمين
وعامتهم واجبة اي فرض عين على كل مكلف ونقل النووي انها فرض كفاية فان خشي اذى فهو في سعة
من الترك قال الامام ابو سليمان البستي بضم الموحدة وسين مهملة ومثناة فوقية ويا النسبة البلدة .
بسجستان وهو ابو سليمان بن محمد بن ابراهيم بن خطاب المعروف بالخطابي الامام المشهور واختلف
في اسمه فقيل حمد وقيل احمد توفي ببست في ربيع الاول سنة ثمان وثلاثين وثلاثماية النصيحة كلمة
يعبر بها عن جملة بالتنوين فقوله ارادة الخير بدل منه او مرفوع او منصوب على هذا ولا مانع
من الاضافة للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها اي عن الجملة بكلمة واحدة تحصرها اي تجمع جميع
معانيها قيل بتقديره غيرها اي غير هذه الكلمة وهي النصيحة ومادتها كالنصح والنصاحه وفي كلامه
تسمح فان مجرد ارادة الخير لا يسمى نصحا فالظاهر ان يقول ارشاد المنصوح للخير وايضا في تركيبه شي
لان اسم ليس الظاهر انه ان يعبر وجملة يمكن خبرها فيتعين تاخيرها لما فيه من اللبس بالفاعل ومراده
ان هذه من اوجز الاسما واخصرها لدلالتها على معان بمفردها وكذا قيل في كلمة لفظ الفلاح انه
ليس في كلام العرب كلمة اجمع لخيري الدنيا والاخرة منها ثم اشار الى اصل معناها لغة بعد ما بين
حاصل معناها في عرف اللغة والشرع بقوله ومعناها في اللغة اي في عرف اهل اللغة الاخلاص
اي لنفسه وغيره من قولهم نصحت العسل اذا خلصته وصفيته من شمعه بسكون الميم وفتحها مضافا
لضمير العسل فهي فعيلة بمعنى فاعلة او مفعولة لانها خلصت من الغش كما خلص العسل من شمعه
وقال ابو بكر ابن اسحاق الخفاف وهو امام من ايمة اللغة ترجمته مذكورة في التواريخ وفي نسخة ابن
ابي اسحاق وهو ابو بكر احمد بن عمر بن يوسف الشافعي هو صاحب كتاب الخصال في مذهب الشافعيه
كما قاله الرافعي النصح فعل الشي الذي به الصلاح لنفسه وغيره واراد بالفعل ما يشمل القول
والملاومة بضم الميم ومد الهمزة من لامت بينهم اذا وفقت وتلاموا والتاموا بمعنى وقد يبدل الهمزة الفا

ماخوذة

ماخوذة اي مشتقة اشتقاقا وكثيرا ما يعبر عنه بالاخذ ويقولون دايرة الاخذ اوسع من دايرة
الاشتقاق من النصاح بكسر النون وتخفيف الصاد وهو الخيط الذي يخاط به الثوب فتلتيم
اجزاوه فالنصيحة على هذا ماخوذة من نصح الثوب اذا خاطه ولا حاجة لنقله عن الخفاف فانه
في اكثر كتب اللغة وقال ابو اسحاق الزجاج امام العربيه والتفسير تلميذ المبرد وشيخ ابي علي
الفارسي وهو ابراهيم بن سهل الزجاج منسوب لعمل الزجاج لانه كان حرفته توفي في جمادى
الاخرة من سنة احدى عشرة وثلثماية وقد ناف على الثمانين نحوه اي قريبا مما قاله الخطابي معنى
ثم وزع على ما بينه من معناه لغة وعرفا بيان اقسامه فقال فنصيحة الله معناها والمراد بها
صحة الاعتقاد اي اخلاص الايمان به ولذا عداه باللام في قوله له وذلك بتخصيصه بالوحدانية
اي بانه واحد احد لا شريك له في الالوهيه ولا يشاركه احد في ذاته وصفاته وهو مصدر بمعنى
الانفراد وزيد فيه الالف والنون على خلاف القياس قاله الكرماني ووصفه بما هو اهله اي
بما يستحقه ويليق به كما يقال هو اهل الحمد وهو مجاز مشهور ما ثور وتنزيهه عما لا يجوز عليه
في كل ما يوهم نقصا والرغبة في محابه بفتح الميم جمع محب اسم مفعول حب بمعنى محبوب اي يرغب
في كل ما يحبه ويرضاه والبعد عن مساخطه بفتح الميم جمع مسخط اسم مفعول اي كل ما يسخط الله
ويورث غضبه من المعاصي وقيل هما جمع مسخوط ومحبوب والاصل محابيب ومساخيط والاخلاص
في عبادته فيعبده امتثالا لامره من غير ريا ولا ارادة امر اخر ولا تضره العبادة رجا جنته وخوف
ناره وان قال الرازي انه الاخلاص نعم هو رتبة الخواص وقد فصلناه في محل اخر فالنصيحة لله
حقيقة راجعة الى العبد نفسه لانه تعالى ليس له ناصح ولا يتصور في حقه فلذا حملت على هذا
والنصيحة لكتابه معناها الايمان به اي بانه كلام الله المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم
فيصدق بذلك تصديقا لا ريب فيه والعمل بما فيه باتباع اوامره ونهيه والتسليم متشابهه
والايمان به وتحسين تلاوته بالتجويد والترتيل بان يخرج حروفه من حاق مخرجها من غير تكلف
وتشدق فيه ويدخل فيه تحسين الصوت به من غير تغن وزيادة مد وقد قال القران انجويد
واجب اختلف هل هو واجب شرعا او صناعة فذهب الى كل من القولين قوم من الفقها والمحققين انه
واجب شرعا للقادر عليه من غير مشقة لبعض العجم العجم والخشع عنده اي عند تلاوة القران
وسماعه فينبغي له ان يظهر الخشوع وان لم يكن خاشعا كبعض العوام كما قيل ان لم تكن باكيا
فكن متباكي ونميز عنده لكتاب وقيل انه لتحسين التلاوة والاول اولى وافيد وفي
التخشع ما يفيد انه لا ينبغي الصياح واظهار الوجد ما لم يكن عن حال مسلب اختياره
والتعظيم له بان لا يقرا محدثا وان لا يمد رجليه حال التلاوة ولا يجلس لها في محل قذر
ولذا كرهت القران في الحمام وعلى الطرقات والاسواق وتفهمه اي تدبر معانيه والفكر فيها بدقة
نظر والتفقه فيه اي فهم معانيه والنظر في احكامه الفقهية من حلاله وحرامه والاتعاظ
بمواعظه ونصايحه وامثاله والذب عنه بمعجمة وموحدة اي زجر من طعن فيه من الملحدين
من تاويل الغالين وطعن الملحدين في تاويله بما لا يليق به من الغلو وهو تجاوز الحد ولنا ليه

ومستمعه ادابكثيرة بينها النووي في كتاب التبيان في اداب حملة القران فعليك به والنصيحة
لرسوله صلى الله عليه وسلم التصديق بنبوته ورسالته الى الناس كافة والى غيرذلك من الملائكة
والجن وبذل الطاعة فيما امر ونهى عنه لان طاعته واجبة وهي طاعة لله كما مر قاله ابو سليمان
هو الخطابي الذي تقدم بيانه وقال ابو بكر هو ابن ابي اسحاق الخفاف الذي مر ذكره وهو الظاهر
الذي ذكره الثقات وقيل هو الحافظ الاجري الاتي قريبا ومؤازرته بواو مفتوحة او همزة من الازر
وهو القوة او من الوزر وهو الملجا اي معاضدته ومعاونته وهو معطوف على مقدر او على ما قبله
عطف تلقين ونصرته اي اعانته على اعدايه ونصرة دينه واعلاء كلمته وحمايته اي دفع السوء
عنه حيا بالمجاهدة معه وخدمته وميتا بتقوية دينه وتاييد شريعته وهو راجع لكل ما قبله
واحياء سنته اي هديه وطريقته وفيه استعارة تصريحية بالطلب لها بان يسال عنها ويجتهد
في معرفتها والذب عنها اي دفع الشبه عنها والتاويلات الفارغة ونشرها اي اظهارها واشاعتها
وتعليمها من نشر الحديث اذا شاع والتخلق باخلاقه اي الاتصاف بمثل صفاته الماثورة عنه
وان لم يتمكن مساواته فالتشبه بالكرام فلاح الكريمة اي المكرمة المجيدة وادابه الجميلة
التي فيها الجمال ويمدح لمن تصف بها وقال ابو ابراهيم اسحاق التجيبي تقدم بيانه وانه بفتح التاء وضمها
وانه المعروف بالوراق نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم معناها التصديق بما جاء به اي
الايمان بكل ما جاء به عن الله والاعتصام بسنته اي التمسك بها ونشرها والحض عليها اي حث
الناس وتحريضهم على اتباعها والدعوة الى الله اي الايمان به وتوحيده والى كتابه القران بالايمان
به والعمل بما فيه والى رسوله بالايمان به واتباعه واليها اي الدعوة الى سنته والى العمل بها كما مر
وقال احمد بن محمد هو الامام المشهور احمد بن حنبل نفعنا الله ببركاته وهذا ما وعدناك به من نسبته
الى ابيه محمد من مفروضات القلوب اي مما فرض ووجب اعتقاده وجزم القلوب به اعتقاد وجوب
النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمعنى المتقدم وقال ابو بكر الاجري الحافظ وقد تقدم
بيانه وغيره من الايمة النصح له صلى الله عليه وسلم يقتضي نصحين اي ينقسم الى قسمين نصحا
في حياته ونصحا بعد مماته ففي حياته اي النصح له وهو حي نصح اصحابه اي هو نصح اصحابه او كنصح
اصحابه له بالنصر له على اعدايه والمحاماة عنه بدفع السوء عنه ومن يريده ومعاداة من عاداه
ببغضه وتنقيصه وعدم موالاته والسمع اي امتثال ما يقوله وقبوله كما في قوله سمع الله لمن حمده
فانه فسر بقبله والطاعة له اي الانقياد التام وبذل النفوس اي الذوات او الارواح والاموال
دونه اي صرفها والجود بها في حمايته صلى الله عليه وسلم وتقديمها دون ما يضره كما قال تعالى
من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية اي عاهدوا الله على بذل ارواحهم واموالهم
في سبيل الله ونصر رسوله صلى الله عليه وسلم فاوفوا بعهدهم وهذه الاية كما في الصحيحين
نزلت في انس بن النضر وكان شق عليه انه لم يحضر بدرا فقال اول مشهد من مشاهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم غبت عنه لين اراني الله تعالى مشهدا بعده ليرين الله ما اصنع فلما كان
من العام المقبل وقعة احد استقبله سعد بن مالك فقال له يا ابا محمد الى اين فقال واها

لريح

لريح الجنة اجدها دون احد فقاتل حتى قتل رضي الله عنه ووجد فيه بضعا وثمانين ما بين طعنة
وضربة وقال تعالى وينصرون الله ورسوله الاية اوليك هم الصادقون وهذه الاية نزلت
في المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم ابتغاء رضوان الله واما نصيحة المسلمين له صلى الله عليه
وسلم بعد وفاته فالتزام التوقير اي الادب والتعظيم والاجلال لقدره برفع ذكره وتعظيمه
وشدة المحبة له بكونه احب عنده من نفسه واهله وماله والمثابرة بمثلثة وموحدة
وراء مهملة اي المداومة والمحافظة على تعلم سنته وفي نسخة تعليم وسنته طريقته وهديه
او حديثه والتفقه في شريعته بفهم معانيها والعلم باحكامها ومحبة اهل بيته وهم اقرباؤه
الذين لا تحل لهم الزكاة وقد تقدم بيانهم واصحابه وهم كل من اجتمع به صلى الله عليه وسلم
مومنا به ومات على ذلك ومجانبة من رغب عن سنته اي البعد عن كل من تركها وعدم الركون
اليه وانحرف عنها اي مال عنها ورغب في غيرها وبغضه اي اظهار عداوته والتحذير منه من لا يعرفه
بان يعرفهم حاله وينهاهم عن استماع كلامه والشفقة على امته اي التلطف بهم والاحسان
اليهم لاجله صلى الله عليه وسلم لا لامر اخر والبحث اي التفتيش عن تعرف احواله صلى الله
عليه وسلم اي احواله المعروفة وفي نسخة اخلاقه وسيرته قال المرزوقي معناها حالته
من احوال السيرة اجري مجرى الشيم والعادات انتهى وادابه ليقتدي بها والصبر على ذلك
اي حبس النفس عليها بحيث تصير طبيعة له فعلى ما ذكره الخفاف والاجري تكون النصيحة
احدى ثمرات المحبة لان كل ما ذكره متفرع عليها كما يعرفه من له تامل وعلامة من علاماتها
كما قدمناه في فصل العلامات ولذا قدم المنازل المحبة على النصيحة كما مر وحكى الامام ابو القاسم
القشيري عبد الملك بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري صاحب الرسالة وشيخ
الطريقة فريدة دهره علما وعملا وعمدة اهل السنة وفقها الشافعية الجامع بين الشريعة
والحقيقة وترجمته مشهورة وتقدم طرف منها توفي سنة خمس وستين واربعماية وعمره
تسع وثمانون سنة ان عمرو بن الليث احد ملوك خراسان اقليم معروف وعمرو هذا اخو يعقوب
الصفار وكان يعقوب هذا كما قال السعودي في خلافة المعتضد بالله احد الخلفاء العباسيين
في صغره صغارا فتغلب وصار له جيوش عظيمة فتسلطن ثم توفي سنة خمس وستين ومايتين
وخلف اموالا كثيرة خلفه عليها اخوه عمرو المذكور ومشاهير جمع مشهور الثوار بضم المثلثة
وتشديد الواو والف تليها راء مهملة جمع ثاير من ثار يثور اذا هاج ووثب بقوة والمراد بهم
المتغلبون على الملك فانه كان كذلك لشجاعته وكثرة جنده المعروف بالصفار منسوب
لعمل الصفر وهو نوع من النحاس تعمل منه الاواني وقد مر وجه التسمية به رُيِيَ مبني للمجهول
من الرويا وهو مهموز اي راه بعضهم في المنام وفي نسخة في النوم فقيل له ما فعل الله بك
فقال غفر لي ذنوبي ومحى سياتي فقيل بماذا اي باي سبب هذا الذي نلته فقال صعدت بكسر
العين في الماضي وفتحها في المستقبل اي ارتقيت وعلوت ذروة بكسر الذال المعجمة وضمها
وهي اعلى كل مرتفع من جبل ونحوه يوما فاشرفت على جنودي اي رايتهم من مكان عال واطلعت

عليهم فاعجبتني كثرتهم اى حسنت عندى حتى تمنيت انى حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم
اى كنت فى عصره فشهدت غزواته وحروبه بجندى فاعنته ونصرته على اعدايه بمقاتلتى انا وجندى
معه فشكر الله لى ذلك القول والتمنى كما قال ورقة يا ليتنى فيها جذعا اخب فيها واضع ومعنى
شكر الله اثابته وانعامه وعفره لى بسبب هو لى هذا وقال ابن قرقول شكر الله ثناؤه عليه وقيل
ذكره فى ملايكته وقيل هو مضاعفة ثوابه واما النصح لايمة المسلمين جمع امام وهو الخليفة
والسلطان المقتدى به والمراد الحكام مطلقا هنا فمعناه طاعتهم فى الحق الموافق للشرع اذ لا
طاعة لمخلوق فى معصية الله كما ورد فى الحديث ولقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى
الامر منكم ومعونتهم فيه اى فى الحق لا فى الباطل فالمعونة والاعانة بمعنى وامرهم به اى باتباعه
وتذكيرهم اياه بان يذكره لهم ويعظهم ويحثهم على اتباعه على احسن وجه برفق وتلطيف القول
وتحسينه فانه ادعى للامتثال وتنبيههم على ما غفلوا عنه لعدم العلم بالخفايه او لعدم الوقوف
عليه وكتم عنهم بان يخفى عليهم ولم يبلغهم شى من امور المسلمين فيصلحوه عليهم وترك الخروج
عليهم بمخالفتهم وعصيان امرهم وهو معطوف على طاعتهم وتضريب الناس بمثناة فوقية مفتوحة
وسكون الضاد المعجمة وكسر الرا المهملة ومثناة ساكنة وموحدة تحتيتين بجرور اى ترك
تضريبهم وهو اغراؤهم وتحريكهم عليهم يقال ضربه اذا اغراه وافساد قلوبهم اى ترك افساد
قلوب الناس عليهم بذمهم وتشهير مساويهم حتى تنفر عنهم القلوب فتودى الى التجرى عليهم
ومخالفتهم تجر الى مفاسد عظيمة واما النصح لعامة المسلمين المراد بالعامة هنا ما عدا الحكام
لا العوام بالمعنى العرفى فمعناه ارشادهم الى مصالحهم اى دلالتهم على ما يوصلهم الى ما فيه
صلاح امورهم ومعونتهم اى اعانتهم فى امر دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم
لما غفل عنه من مصالحه وتبصير جاهلهم اى تعريفه بما جهله ليكون ذا بصيرة فى امره
ورفدهم محتاجهم بفتح الرا المهملة اى اعانته ويجوز كسرها فان الرفد بمعنى العطا والصلة
وكل شى عمدته بشى وجعلت له عونا فقد رفدته ومنه الرفادة التى كانت لقريش فى الجاهلية
وستر عوراتهم اى يستر عليهم بعض معاصيهم اذ راها فلا يذكرها حتى يفتضح مرتكبها فاذا
ارشده لتركه ذكره خفية فان النصيحة بين الملا تقريع ودفع المضار عنهم اى ما يضرهم
فى دينهم ودنياهم وجلب المنافع لهم اى كل ما ينفعهم دينا ودنيا

الباب الثالث

فى تعظيم امره اى شانه وقدره والامور المتعلقة به ووجوب توقيره وبره وصلته بالدعا
والصلاة عليه وزيادة مقامه وبراهل بيته قال الله تعالى يا ايها النبى انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه هكذا فى اكثر النسخ
وليس موافقا للتلاوة لان اية الاحزاب المصدرة بيا ايها النبى ليس فيها لتؤمنوا الخ والتى
فى الفتح انا ارسلناك دون يا ايها النبى فقيل كانه بدا باية الاحزاب وثنى باية الفتح فسقط
الفاصل بينهما سهوا وتبيض له فوصله الناسخ وفى بعض النسخ انا ارسلناك فقط
وشاهدا وما بعده احوال مقدرة كجامعه صقر صايدا به غدا واستشهاده بالاية

بناء على ما ذهب اليه الضحاك من ان الضماير كلها له صلى الله عليه وسلم وشهادته لهم يوم القيامة
بما عملوه من طاعة وغيرها وعلى هذا فالوقف على قوله وتوقروه كما اشار اليه المصنف وهو وقف كاف
وقال القرطبى انه تام وفيه نظر فقوله وتسبحوه ابتدا كلام فان ضميره لله وقال عز وجل
يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله تقدموا بضم اوله مضارع قدم بمعنى تقدم وفى
القراة الاخرى بفتحها وهو مضارع قدمه المتعدى حذف مفعوله لتذهب النفس كل مذهب
او لتنزيله منزلة اللازم والمراد نفى التقديم راسا وعلى كل حال فالشاهد فيها ظاهر فلا يتوهم انه
لا شاهد فيها على القراة المشهورة وقال يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى اى
لا تجعلوا اصواتكم فى خطابكم جهرا فوق جهره صلى الله عليه وسلم بالقول واخفضوها تادبا وتكريما له
فانه لعظم مقامه لا يليق عنده الصخب واللغط على عادة جفاة الاعراب فى ترك الادب الايات
الثلاث وهى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون
ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر
عظيم واضافة ذى الالف واللام لمثله جايزة فى الثلاث ونحوه كما تقرر لمن عنده علم بالعربية والشاهد
فيها انه امرهم اذا خاطبوه صلى الله عليه وسلم ان لا يجهروا فيخفضوا اصواتهم تادبا معه لما
فى الجهر من الاستخفاف المودى الى الكفر المحبط للاعمال لما فيه من الاهانة وعدم الاعتنا بمقام النبوة
ثم اثنى على من غض صوته عنده بان الله بعد امتحانه وعده بان له مغفرة واجرا عظيما لارتضايه له وفيه
تعريض بشناعة الجهر وانه لا يغفر وان من ناداه صلى الله عليه وسلم وهو فى حجراته مع ازواجه مسلوب
العقل لعدم ادبه وارشدهم الى الاولى بهم وهو الصبر حتى يخرج اليهم من نفسه من غير ندا له فيكون
هو المفتتح بكلامهم والكلام على الاية مفصل فى كتب التفاسير وقال تعالى لا تجعلوا دعا الرسول
بينكم كدعا بعضكم بعضا بان تنادوه باسمه يا محمد ونحوه كما سياتى فلا تقيسوه بغيره فاوجب
تعالى على المؤمنين تعزيره بزاى معجمة ورا مهملة اى اجلاله وتوقيره اى التادب معه والتزام
اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس معنى تعزروه تجلوه الاجلال افعال من الجلال وهو التناهى
فى عظم القدر ولذا خص بالله فقيل ذو الجلال والاكرام كما قاله الراغب وقال المبرد شيخ
التفسير والعربية تعزروه تبالغوا فى تعظيمه وهو موافق لما قاله ابن عباس رضى الله عنهما
وليس خصمه كما توهم وقال الاخفش الكبير لتبادره وقيل هو الاوسط صاحب التفسير
المسمى بالمعانى والاخافشة المشهورة ثلاث وهو لقب له من الخفش وهو ضعف البصر
وهو من يرى ليلا ولا يرى نهارا وتنصروه وقال الراغب التعزير نصرة مع تعظيم وقال الطبرى
وهو محمد بن جرير كما تقدم تعينونه الاعانة اعم من النصرة والتعزير من العزر بفتح فسكون وهو
الرد والدفع ثم نقل لما ذكر لما فيه من دفع العدو والنقايص ولذا قيل لما دون الحد تعزير لرده
ودفع عوده لجنايته وله معنى اخر وهو الوقوف على الاحكام وقرى فى الشواذ تعززوه
بزايين معجمتين تفعيل من العز وهو القوة والغلبة كما فى قوله تعالى فعززنا بثالث والعز رفعة
القدر وهذه كالمفسرة للقراة المشهورة ونهوا اى نهاهم الله فى الاية الثانية عن التقدم

بين يديه اى بحضرته وعنده بالقول بان يسبقه بالكلام وسوء الادب بسبقه بالكلام في امرما
وهو قول ابن عباس وغيره واختيار ثعلب في تفسير الاية وثعلب لقب امام العربية واللغة وهو
ابو العباس احمد بن يحيى بن يزيد الشيباني البغدادي توفي في سنة احدى وتسعين ومائتين وقال
سهل بن عبد الله التستري الامام الزاهد شيخ الطريقة في تفسير قوله تعالى لا تقدموا بين يدي الله
ورسوله لا تقولوا قبل ان يقول فتستخفون الكلام عنده وهو ترك ادب واذا قال فاستمعوا له
وانصتوا اى اسكتوا ثم عطف عليه تفسير قوله وبهوا عن التقدم والتعجل بقضاء امر قبل قضائه
اى في الامر وان يفتاتوا اى يستبدوا ويستقلوا بشيء في ذلك اى في قضاء امر من الامور عنده يقال
افتات بفا وهمزة اصلية عند ابي عمرو وغيره من اهل اللغة او هي مبدلة من حرف العلة كما قالوا
في رثيت الميت رثاته فهو من الفوت عند بعضهم ويقال افتات بالقول ويقال فتات الباطل اذا
اختلقه من قفال وغيره منه نهيهم الايام ولا يسبقوه به والى هذا المذكور في تفسير الاية
يرجع الى قول الحسن البصري ومجاهد والضحاك والسدي وسفيان الثوري يعني انهم فسروا الاية
بما هذا حاصله وماله اشارة الى ان اكثر المفسرين ارتضوه ثم وعظهم الله في الاية بعدما ذكر
وحذرهم مخالفة ذلك اى امره في قضايه بعدما نهاهم عن سبقه بالقول فقال واتقوا الله فدل على ان
مخالفه عن تقوى ان الله سميع لاقوالهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عليم بافعالهم فهو رقيب
عليهم يخشى من غضبه وعقابه ففيه من الموعظة والتحذير ما لا يخفى قال الماوردي ابو الحسن
علي بن حبيب وقد تقدم ذكره اتقوه يعني اى يريد الله به هنا في التقدم بقرينة اول الاية وان كان
مطلقا وقال السلمي ابو عبد الرحمن كما تقدم اتقوا الله في اهمال اى ترك حقه وتضييع حرمته اى احترامه
وتوقيره انه سميع لقولكم عليم بفعلكم فسبقه صلى الله عليه وسلم بالقول ترك ادب من فعله
لم يراع حقه ولا وقر حرمته فهو في معنى ما قبله ثم انه تعالى نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته في الايات
الاخيرة واعاد النداء اهتماما به وتنبيها على انه امر اخر مستقل بالنهي ورفع الصوت بشدة الجهر
سوء ادب وغلظة يعتادها العوام والجهر له صلى الله عليه وسلم عطف تفسير على رفع الصوت
بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته والمراد النهي عن ارتفاع الاصوات عنده وان لم يكن الخطاب
له في النداء وقيل كما ينادي بعضهم بعضا فالمراد برفع الصوت النداء فنهاهم عن ان ينادوه كما ينادي
بعضهم بعضا باسمه فعبر عن النداء برفع الصوت لانه يلزمه غالبا فهو كقوله تعالى لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وبيانه ما قال ابو محمد مكي وهو مكي بن ابي طالب القيرواني المالكي
نزيل قرطبة كان متبحرا في العلوم لا سيما علوم القران منوا ضعا مجاب الدعوة له تصانيف جليلة
منها تفسيره المسمى بالهداية وكتاب احكام القران توفي في سنة سبع وثلاثين واربعمائة اى لا تسابقوه
بالكلام هو معنى قوله لا تقدموا الى اخره وتغلظوا له بالخطاب اى تخاطبوه بغلظة واصل
الغلظة ضد الرقة في الاجسام ثم شاع في المعاني والخطاب توجيه الخطاب للغير والمراد به
هنا الكلام المخاطب به ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم بعضا اى كندا بعضكم فهو منصوب
على المصدرية وهو عطف تفسير ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف ما يحب ان ينادى به

يا نبي الله يا رسول الله بدل من اشرف وهذا معنى قوله لا تجهروا له بالقول لان كثيرا من جفاة الاعراب
دابهم فيما بينهم هذا وهذا اى ما قاله مكي كقوله في الاية الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا وجهه ان النهي عن الشيء امر بضده او بتضمنه وقد نهى الله تعالى عن هذه الامور
التي تقتضي اهانة فكانه امر بتعظيمه وتوقيره على احد التاويلين اى المفسرين الذين ذكروا في
التفاسير وهو ان يكون الدعاء بمعنى النداء والتسمية اى لا تنادوه باسمه رافعين اصواتكم بان
تقولوا يا محمد يا ابا القاسم كما ينادي بعضكم بعضا اذا طلب اقباله بل خاطبوه بادب فقولوا
يا رسول الله يا نبي الله يا خير خلق الله ونحوه والثاني ان يكون المراد بالدعاء الدعاء على احد اى
لا تظنوا ان دعائه يحتمل الاجابة وعدمها كدعائكم سواء كان بخير او شر فان الله ضمن له اجابة دعائه
ووعده بها من لا يخلف الميعاد وهذا غير مراد هنا كما اشار اليه المص وهو الذي قاله مكي
وقال غيره اى غير مكي معنى الاية اى لا تجهروا له بالقول الخ لا تخاطبوه الا مستفهمين وفي نسخة
الا مشفقين من الاشفاق وهو الخوف وعلى الاول معناه الا سائلين له متعلمين منه بالادب
ثم خوفهم الله عز وجل من ان تحبط اعمالهم ان هم فعلوا ذلك اى جهروا له بالقول ولم يتادبوا معه
وحذرهم منه اى من فعلهم هذا بقوله ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون فان تحبط في محل نصب
بنزع الخافض او بحذف المضاف اى لان لا تفعلوا ما يؤدي الى احباط اعمالكم بالاستخفاف به وهو
كفر فليس فيه دليل لاحباط الاعمال بالكبيرة كما قاله المعتزلة والخوارج قال في الامتاع من خصائصه
صلى الله عليه وسلم انه لا يجوز لاحد ان يناديه باسمه وما ورد في الحديث من ان اعرابيا قال له
صلى الله عليه وسلم يا محمد انا رسولك الخ صدر منه قبل اسلامه او قبل النهي او قبل علمه
ثم انه لو ناداه احد بكنيته فقال يا ابا القاسم هل يحرم ام لا انتهى ويأتي ما فيه وان هذا مخصوص
بحياته ولا يخفى ان هذا مقيد بما فيه استخفاف فلو اقتضته حال لم يحرم كما في الحرب والمجادلة
قيل نزلت الاية في وفد بني تميم قبيلة مشهورة سموا باسم جدهم والوفد جمع وافد وهو القادم
على العظماء لامر ما وكان ذلك سنة تسع وهي سنة الوفود وكان صلى الله عليه وسلم ارسل لهم
سرية فهجموا عليهم واخذوا من اثيتهم واسارى فقدموا بها المدينة فحبسوا في دار رملة بنت الحارث
فارسلوا عشرة من رؤسائهم فجاؤا وابانه صلى الله عليه وسلم ونادوا يا محمد اخرج الينا كما فصل
في السير وقيل نزلت الاية في غيرهم اى غير بني تميم من العرب اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه
من خلف داره يا محمد اخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل بمقام النبوة وترك الادب ووصفهم
بان اكثرهم لا يعقلون بقوله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت
الاية الاولى اى قوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي في محاورة بفتح ميم مفعول منه وحاور ابهمليتين
وهي المجادلة ومراجعة القول بين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم
اى في مجلسه وحضوره واختلاف جرى اى وقع بينهما حتى ارتفعت اصواتهما وهو كما في البخاري
عن الزبير رضي الله تعالى عنه وهو ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه قال في امر بني تميم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
امر عليهم القعقاع بن معبد فقال عمر رضي الله تعالى عنه بل الاقرع بن حابس فقال ابو بكر ما اردت

الاخلاف فقال عمر ما اردت خلافك وتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزلت الاية فما كان عمر بعدها
يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يستفهمه والحكم عام وسببه خاص وقيل انه
فى امر الزبرقان والذى ارتضاه السيوطى الاول وقيل نزلت الاية كما روى عن ابن عباس
فى ثابت بن قيس بن شماس بن مالك بن امرء القيس الخزرجى الانصارى وكان خطيب الانصار
وكان ايضا خطيب النبى صلى الله عليه وسلم ليس المراد بالخطيب خطيب الجمعة والعيدين بل
ما كان من عادة العرب اذا اجتمعوا المهم يقوم واحد منهم ويذكر كلاما بليغا مقدمة للامر
الذى اجتمعوا له كالمفاخرة وتفضيل بعضهم بعد مآثره فكان له صلى الله عليه وسلم خطيبا
عند الوفود وشاعره حسان رضى الله تعالى عنه فى مفاخرة بنى تميم لما قدم وقدمهم عليه
صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ودخلوا المسجد ونادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اخرج الينا يا محمد ورفعوا اصواتهم فآذى رسول الله صلى الله عليه وسلم صياحهم فخرج
اليهم فقالوا جئناك لنفاخرك فاذن لخطيبنا وشاعرنا فاذن لهم فقام خطيبهم وهو عطارد
فقال الحمد لله الذى له علينا الفضل والمن وهو اهله الذى جعلنا ملوكا ووهب لنا اموالا عظاما
ما نفعل فيها المعروف وجعلنا اعز اهل المشرق واكثر عددا وعدة فمن مثلنا فى الناس السنا برؤس
الناس واولى فضلهم فمن فاخرنا فليعدد مثل عددنا ولو شئنا لاكثرنا الكلام ولكنا نستحيى
من الاكثار فيما اعطانا وانا نعرف بذلك اقول هذا لان ياتوا بمثل قولنا وامر افضل من امرنا ثم جلس
فقال النبى صلى الله عليه وسلم لثابت ابن قيس ابن شماس الخزرجى قم فاجبه فقام وقال الحمد لله
الذى السموات والارض خلقه قضى فيهن امره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شىء قط الا من فضله
ثم كان من قدرته ان جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا اكرمه نسبا واصدقه حديثا
وافضله حسبا فانزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله من العالمين دعا الناس
الى الايمان به فامن برسوله المهاجرون من قومه وذوى رحمه اكرم الناس احسابا واحسنهم
وجوها وخيرهم فعالا ثم كنا اول الخلق اجابة لله حين دعانا رسوله صلى الله عليه وسلم
فنحن انصار الله ووزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم نقاتل الناس حتى يومنوا فمن امن بالله
ورسوله منع ماله ودمه ومن كفر جاهدناه وكان قتله علينا يسيرا اقول قولى هذا واستغفر الله
للمومنين والمومنات والسلام عليكم ثم قام شاعرهم الزبرقان بن بدر فانشد شعرا فى فخر قومه
فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان فاجابه كما هو مبسوط فى السير فاسلم بنو تميم
ورد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيهم وما لهم وروى انه صلى الله عليه وسلم قال لهم
ما بالشعر بعثت ولا بالفخر ولكن هاتوا ما عندكم وكان فى اذنيه اى فى اذنى ثابت رضى الله عنه
صمم فكان يرفع صوته اى كان هذا دابه كما تراه فهو به صمم وانما المحتاج لرفع الصوت من يكلمه
ليسمعه او نسب الرفع له لانه سببه والاول هو المراد كما صرح به فلما نزلت هذه الاية التى نهت
عن رفع الاصوات عنده اقام فى منزله يعنى لم يات فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وخشى
ان يحبط عمله برفع الصوت عنده صلى الله عليه وسلم ثم اتى النبى صلى الله عليه وسلم

ليعتذر له

ليعتذر له عن سبب تخلفه عنه بعد ما سال عنه فقال يا نبى الله لقد خشيت ان اكون
هلكت اى تحقق هلاكى لانى ان حضرت عندك بطل عملى وان تخلفت فاتنى كل خير وليس المراد
بلزوم منزله انه ترك حضور صلاة الجماعة معه لمرض لحقه من شدة خوفه كما قيل اذا
ليس هنا ما يدل عليه وقد بين موجب هلاكه الذى تحقق عنده حتى كانه وقع بقوله
نهانا الله ان نجهر بالقول عندك وانا امرؤ جهير الصوت فقال صلى الله عليه وسلم
له يا ثابت اما ترضى ان تعيش حميدا اى محمودا عند الله والناس وهذا يدل على قبول عمله
وانه لا يحبط فهو الجواب حقيقة وتقتل شهيدا فيكون لك خير الدنيا والاخرة وتدخل
الجنة وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم لاخباره بالغيب كما اشار اليه بقوله فقتل
يوم اليمامة اى فى وقعة اليمامة فى خلافة الصديق سنة ثنتى عشرة فى ربيع الاول وهى
وقعة مسيلمة المشهورة واليمامة اسم مدينة من جانب اليمن على مرحلتين من الطايف
واربع من مكة وكان خرج فى وقعتها مع خالد بن الوليد فلما التقوا لم يثبتوا فقال ثابت وسالم
مولى ابى حذيفة ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فحفر كل واحد منهما
حفرة وثبتا وقاتلا حتى قتلا وروى رواه طارق بن شهاب ان ابا بكر الصديق رضى الله تعالى
عنه لما نزلت هذه الاية لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى قال ابو بكر امتثالا لامر الله
تعالى وخوفا من مخالفة نهيه ولذا اكده بالقسم فقال والله يا رسول الله لا اكلمك بعدها
اى بعد نزول هذه الاية الا كاخى السرار اى الا كلاما خفيا كالمسارة وهى الكلام بخفية
حتى لا يسمعه من عنده والسرار بكسر السين مصدر ساره مسارة وسرارا وهى مفاعلة
من السر والاخ فى النسب معروف يتجوز به عن المثل والشبه كقولهم كان واخواتها وتكون بمعنى
الصاحب والمراد الاول ويجوز ارادة الثانى وهذا وروى عن ابن عباس وعمر ايضا كما ذكره
المص بقوله وان عمر كان اذا حدثه صلى الله عليه وسلم حدثه كاخى السرار وهذه العبارة
من كلامهم قديما ما كان يسمع بضم الياء وكسر الميم وفاعله ضمير ابى بكر وعمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد نزول هذه الاية حتى يستفهمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة
اخفائه كلامه وهو تفسير لقوله كاخى السرار فانزل الله فيهما اى فى حق ابى بكر وعمر ومن ضاهاهما
كانت مدحا لهم ان الذين يغضون اصواتهم اى يخفونها عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله
قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم والامتحان التجربة والمراد انه عاملهم معاملة المحنة
ليظهر للناس ادبهم وتقواهم واستحقاقهم للاجر العظيم وقيل نزلت اية ان الذين ينادونك
الى اخره فى غير بنى تميم من الاعراب نادوه باسمه لجهلهم بمقامه وعدم ادبهم وروى رواه
الترمذى والنسائى عن صفوان بن عسال بفتح العين والسين المشددة المهملتين ابن الربض
بن زاهر المرادى الكوفى الصحابى المشهور روى عنه الستة بينا بالفكافة كبينما وفى نسخة
بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر اذ ناداه اعرابى بصوت له جهورى بفتح الجيم
وسكون الهاء والواو مفتوحة صياح شديد يقال الجهور وجهر اذا رفع صوته وهو جهورى

الصوت وجهيره اى رفيعه وبين طرفى مكان او زمان بحاب بجملة وقد تقترن باذا او اذا الفجائية والافصح تركها كقوله فبينا نحن نرقبه اتانا بعلق وفضه وزناد راعى وتقع بعدها الجمل اذ كهف بنا او الفا يا محمد يا محمد مرتين وفى نسخة ثلاثا ويا ينادى بها البعيد فقلنا له اى قال له الصحابة تعليما له وتاديبا اغضض من صوتك اى لا ترفعه فانك قد نهيت اى نهاك الله تعالى عنه حذف فاعله للعلم به واعلم ان رفع الصوت يكره فى بعض المواضع كمجلس العظما اذا تكلف ذلك من غير داع وقد يستحب فى بعض المواضع كالاذان ومجالس الوعظ والخطبة ولذا روى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا خطب وذكر الساعة غضب وعلا صوته حتى يسمع بالسوق وكانت العرب تفخر بالصوت الجهير كما قيل جهير الكلام جهير العطاس جهير الرواء جهير النعم فنهى الله عما اعتادوه فى الجاهلية وقول لقمان لابنه اغضض من صوتك نهى عن الجهر بها وتاب بالناس ثم ذكر من توقيره صلى الله عليه وسلم امرا اخر فقال وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا كان المؤمنون يقولونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خاطبهم يريدون تان فى خطابك حتى نفهم كلامك فراع مقامنا فانا لسنا فيه مثلك فانظر لنا فانتهز اليهود الفرصة وقالوها لانها كانت كلمة يتسابون بها كما ياتى عن الكشاف وقال بعض المفسرين هى لغة من الانصار كانوا يقولونها فى محاورتهم اذا ارادوا التفهم نهوا عن قولها تعظيما للنبى صلى الله عليه وسلم لا لانها ولاعتيار خطاب الاقران وتمجيدا له اى تفخيما له صلى الله عليه وسلم وهو ابلغ من التعظيم لان معناه قال له جل اى حسبك لان معناها ارعنا رعيك من المراعاة اى احفظنا نحفظك فنهوا عن قولها اى هذه الكلمة اذ مقتضاها السابق انهم لا يرعونه ويرعون مقامه الا برعايتهم اللائق به ان يرعى على كل حال دعاهم ام لا بخلاف انظرنا فان معناها انظر الينا وفهمنا وبين لنا وهى كلمة ادب فلذا امر الله تعالى بان يقال له انظرنا دون راعنا وقيل كانت اليهود تعرض بها له صلى الله عليه وسلم بالرعونة وهى الخفة والحماقة وجعلها تعريضا لانها تحتمل الرعاية احتمالا ظاهرا وقول البرهان انها انما تاتى على قراءة شاذة راعنا بالتنوين والنصب ليس بشئ لانه لو كان كذلك كان تصريحا لا تعريضا ولذا روى ان اليهود قالوا كنا نسب محمدا سرا فصار ذلك علنا فكانوا يقولون يا محمد راعنا ويضحكون ففطن لهم سعد بن معاذ رضى الله عنه فقال لليهود عليكم لعنة الله والله لاضربن عنق من سمعته يقولها فنهى المسلمين مبنى للمفعول اى نهاهم الله عز وجل عن قولها قطعا للذريعة الذريعة فى اللغة الوسيلة والسبب وقال بعض شراح المدونة ان اصل معناها لغة جمل يترك هملا فى فلاة يصاد بها الظبا والحمر الوحشية فيانس به الصيد ويدور معه فاذا ذهبوا للصيد لم يهرب بالجمل منهم لالفه بالناس فاذا وقت وقف الصيد معه فياخذون منه بسهولة ثم سمى به كل ما كان سببا للهلاك فانه سبب لهلاك الصيد الذى معه كما ان هذه سبب لهلاك من قالها فلذلك جعلت ذريعة وهى فعيلة بذال معجمة وراء وعين مهملتين

واعلم

واعلم ان الشراح رحمهم الله تعالى لم يتعرضوا هنا لبيان المراد بهذه العبارة هنا وهى اشارة الى قاعدة مشهورة فى مذهب الامام مالك وهى وجوب سد الذريعة اى يجب دفع كل ما يؤدى الى فساد فى امر مشروع وقد ظن كثير ان هذه المسئلة مخصوصة بمذهب مالك وانه واجب عنده مطلقا وليس كذلك كما قال العلامة القرافى حيث قال ليس كل ذريعة فساد يجب سدها مطلقا فان الذرايع ثلاثة اقسام فمنها ما اجمع الناس على وجوب سده كسب الاصنام عند من يسب الله اذا سبت وحفر الابار فى طريق المسلمين والقاء السم فى طعامهم ومنها ما اجمعوا على عدمه كالمنع من غرس الكروم لئلا يتخذ منها الخمر ومنها ما اختلف فيه كبيوع الاجال ومنها ما يكون خلاف الاولى وقد تكون ذريعة الفساد ذريعة لمصلحة ايضا فيقدم الارجح منها كدفع المال للكفار لافتداء الاسير بعضهم عن علمائهم المتاخرين ان سد الذريعة فى الاصل من باب الورع والاحتياط لا من الواجب اذ المفعول بها ليس فسادا فى حد ذاته والفساد معها مظنون وقد اشتهر نسبة هذه المسئلة للمالكية حتى ظن كثير انها من خواصهم وليس كذلك كما علم مما بينه القرافى ومنعا للتشبه بهم اى ان يتشبه المؤمنون باليهود فى قولها اى فى التكلم بهذه الكلمة لمشاركة اللفظ واتحاده وان كان قصد المسلمين غير ما قصده اليهود وقال الواحدى فى الوسيط النهى عن التكلم بهذه الكلمة مخصوص بذلك الوقت لاجماع الامة على جواز المخاطبة بهذه اللفظة الان ونقله الاصبهانى فى تفسيره وبقى الكلام فى استحباب تركه وقيل فى تفسير هذه الاية غير هذا المذكور فى تفسيرها ففى الكشاف كان المسلمون يقولون له صلى الله عليه وسلم اذا خفى عليهم شئ من كلامه راعنا اى تان حتى نفهم كلامك ونحفظه وكان لليهود كلمة سريانية او عبرانية يتسابون بها وهى راعنا فلما سمعوا قول المسلمين راعنا بمعنى انظر الينا انتهزوا الفرصة وقالوها يريدون سبه صلى الله عليه وسلم بها فنهى المسلمون عن قولها لما فيها من الايهام وامروا ان يقولون انظرنا من النظر اى امهلنا فصل فى عادة الصحابة فى تعظيمه عليه الصلاة والسلام وتوقيره واجلاله اى فى نقل اخبارهم فيما كانوا يعتادونه من المعاملة معه بالادب وغاية الاجلال فمنه ما رواه المص هنا من حديث طويل رواه مسلم فاشار اليه بقوله حدثنا القاضى ابو على الصدفى هو ابن سكرة وقد تقدم والصدفى نسبة لصدف قرية بالمغرب وابو الاسدى نسبة لقبيلة بسماعى عليهما فى اخرين مبتدا وخبر اشارة الى انهما من مشايخه ولطرق روايته هذا الحديث عنهما قالوا اى شيخاه لاهما والاخرون لانه لم يرو عنهم وعبر بضمير الجمع تعظيما او لان الواحد وما فوقه جمع حدثنا احمد بن عمر قال حدثنا احمد بن الحسن ابن العباس بن بندار الرازى المعروف بالرواية وفى بعض النسخ الحسين والصحيح الاول قال حدثنا محمد بن عيسى هو الجلودى كما تقدم قال حدثنا ابراهيم بن سفيان وقد مرت ترجمته قال حدثنا مسلم صاحب الصحيح وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا محمد بن مثنى تقدم تفصيل ترجمته وابو معن الرقاشى وهو زيد بن يزيد البصرى الثقة واسحق بن منصور

الحافظ الثقة المعروف بالكوسج اخرج له الستة وتوفي سنة احدى وخمسين ومائتين قالوا
حدثنا الضحاك بن مخلد ابو عاصم الشيباني البصري الثقة توفي في ذي الحجة سنة ثلاث
عشرة ومائتين وترجمته في الميزان قال حدثنا حيوة بن شريح تقدم ايضا وفي نسخة انبانا قال حدثنا
يزيد بن ابي حبيب الازدي محدث مصر وكان حبشيا من العلما الحكما الاتقيا توفي سنة ثمان وعشرين
ومائة واخرج له الستة عن ابن شماسة بضم الشين المعجمة وفتحها وميم والف وسين مهملة واسمه
عبد الرحمن المهري بميم مفتوحة مخففة وها ساكنة ورا مهملة ويا نسبة وهو حافظ ثقة توفي
في خلافة يزيد بن عبد الملك وما وقع في بعض النسخ من انه الفهري بالفا بدل الميم تحريف قال حضرنا
عمرو بن العاص يرسم بيا وقد تحذف كما مر فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان احد احب الي
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل في عيني منه تثنية عين ويجوز افراده والمعنى واحد
وما كنت اطيق اي اقدر ان املي عيني منه اي اطيل النظر اليه وملء العين تحقيق النظر وتطويله
وهو مجاز مشهور وقوله ولكن ملء عين تجيبها بمعنى اخر يعني ما يعجبه ويحسن منظره اجلالا له
اي لاجلاله ومهابته ولو شيت ان اصفه بحليته ما طقت وقدرت لعدم احاطة علمي به لاني
لم اكن املا عيني منه لو هنا لتحقيق الجواب على كل حال كقوله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله
لم يعصه اي لا اقدر ان اصفه على تقدير اني شيت فكيف اذا لم اشا فلا يقال ان لولا امتناع الشرط
والجواب فيقتضي انه يطيق وصفه والمراد خلافه وحديث مسلم في الايمان حضرنا عمرا في سياق
الموت يبكي طويلا وحول وجهه الى الجدار فقال ابنه عبد الله يا ابتاه اما بشرك رسول الله
صلى الله عليه وسلم بكذا فاقبل بوجهه وقال ان افضل ما بعد شهادة ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله اني كنت على اطباق ثلاث الخ فذكر حاله في جاهليته وبغضه لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم ذكر اسلامه وشدة حبه له بعد ذلك ثم ذكر ما ال اليه امره في الولاية
وخوفه من اثامها رضي الله تعالى عنه وروى الترمذي عن انس رضي الله تعالى عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يخرج من بيته على اصحابه من المهاجرين والانصار رضي الله عنهم وعداه
بعلى وهو يتعدى بالى ومعناه خروج خاص لمن لم ينتظره وهم جلوس في المسجد فيهم ابو بكر وعمر رضي الله
تعالى عنهما فلا يرفع احد منهم اليه بصره بل يطرقون لمهابته الا ابو بكر وعمر رضي الله عنهما ويجوز
الا ابا بكر وعمر نصبا فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما لما بينهما
من الالفة وقدم الصحبة والصهارة وتمكن مقامهما عنده صلى الله عليه وسلم وروى اسامة
بن شريك الصحابي الثعلبي من ثعلبة بن يربوع وهو الاصح وقيل من ثعلبة بن يشكر وقد اخرج له
اصحاب السنن واحمد في مسنده قال اي اسامة اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله اي
محيطون به في مجلسه كانما على رووسهم الطير هذا مثل تضربه العرب لشدة الرزانة والسكون
لان الطير لا ينزل الا على ساكن وقد تقدم في مقصورة البنوتية كانما الطير على رووسهم
من كل غصن في ربا الجدعا وهذا الحديث رواه الاربعة وصححه الترمذي وفي حديث صفته
بالتا المثناة الفوقية يعني حديث الحلية المشهور وصحفه بعضهم بصيغة باليا التحتية

اسم

183

اسم امراة ولا يعرف هذا وانما المعروف روايته عن هند بن ابي هالة كما تقدم اذا تكلم صلى الله
عليه وسلم اطرق جلساوه كانما على رووسهم الطير اي طاطاوا رووسهم تادبا وذكر هذا مع
ما تقدم اشارة لتعدد طرقه ولما بينهما من المغايرة بذكر وجه الشبه والعموم في الجلسا لما فيه
من ان كل من حضر مجلسه صلى الله عليه وسلم ولو من اعدايه يهابه لانه امر ذاتي له وقال عروة بن
مسعود رضي الله تعالى عنه ابن معتب الثقفي حين وجهته قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
سنة سبع بالحديبية لما صدوه عن دخول مكة معتمرا عام القضية اراد بها قضية الحديبية
وقيل اراد السنة التي قضا فيها العمرة فالقضية بمعنى القضا والمراد عام جرى فيه القضا
والقضية اذ القضا وقع بعد الحديبية وعروة انما جا بالحديبية فهو محتاج للتاويل
ولذا قيل ان القضية وقعت عام الحديبية سنة ست وعام القضا كان سنة بعد
فتح خيبر فلعل المصنف اراد القضية اللغوية التي جرت في الحديبية من الصلح والصد
عن البيت وبيعة الشجرة ولم يرد القضية التي ارادها اهل السير انتهى وهذا بنا على
ان عمرته صلى الله عليه وسلم بالحديبية لم تتم فسدت لما صدوه عن البيت وقد اختلف
الفقها في مثله فقيل يجب الهدي ولا قضا وقيل يجب القضا بلا هدي وقيل لا يلزمه هدي
ولا قضا وقيل يلزمه الهدي والقضا وقصة القضية مفصلة في السير وعروة هذا
اسلم لما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الطايف وادركه قبل وصوله الى المدينة
وكان حين ارسلوه مشركا وراى عروة من تعظيم اصحابه له صلى الله عليه وسلم ما راى هذا فيه
من المبالغة ما في قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم اي راى من اكرامهم له صلى الله عليه وسلم
وتعظيمهم له شيا عظيما لا يمكن التعبير عنه لفواته الحصر ولذا ابهمه وان ذكر بعضا منه
بقوله وانه صلى الله عليه وسلم لا يتوضا الا ابتدروا اي سرعوا لاخذ وضوه بفتح
الواو اي بقية الما الذي توضا به وما تساقط منه قبل وصوله الى الارض وكادوا اي
اي قربوا الازدحامهم ودفع بعضهم بعضا من ان يقتتلوا عليه اي على وضويه واخذه لحرصهم
على التبرك بما مسه صلى الله عليه وسلم بيده ولا بصق بصاقا اي رمى شيا من ريقه
الشريف ولا تنخم نخامة بضم النون لان فعالة وضعها لكل قليل انفصل من شي كالبراية
والتنخم اخراجه من الفم والفرق بين البصاق والنخامة ان الاول ما يخرج من الفم والثاني
ما يخرج من اقصى الحلق الا تلقوها اي النخامة باكفهم واكتفى بضميرها عن ضمير البصاق
وكان الظاهر تلقوهما او جعلهما شيا واحدا لاتحادهما جنسا فدلكوا بها وجوههم واجسادهم
تبركا بهما ولا يسقط منه شعرة بفتح العين وسكونها في حلاقة راس ونحوه الا ابتدروها
وسارعوا لاخذها واذا امرهم بامر ابتدروا امره بالامتثال والامر مصدر او بمعنى الماموه
وكان حقه ان يقول ابتدروه فصرح به تفخيما لشانه وتنويها لقدره واذا تكلم صلى الله
عليه وسلم خفضوا اصواتهم عنده ليتبين ما يقول لهم وما يحدون اليه النظر اي
لا ينظرون اليه صلى الله عليه وسلم نظرا حديدا اي قويا اي لا يبلغ نظرهم اليه حده ونهايته

بل ينظرون اليه من طرف خفي مطرقين رؤسهم تادبا واجلالا له في قلوبهم تعظيما له صلى الله عليه وسلم
علة للنفي لا للمنفي اي يتركون كمال النظر اليه لتعظيمه صلى الله عليه وسلم فلما رجع عروة الى قريش قال
لهم يا معشر قريش المعشر والمعشرة بمعنى اني جيت كسرى بفتح الكاف وكسرها ملك فارس كما تقدم
في ملكه في زمن سلطنته وقيصر ملك الروم في ملكه وجيت النجاشي ملك الحبشة في ملكه
ورايتهم وشاهدت عظمتهم والنجاشي بفتح النون وكسرها وياؤه مشددة ومخففة كما مر
واني والله ما رايت ملكا في قوم قط مثل محمد في اصحابه اي لا يعظمون ملكهم كما يعظمه صلى الله
عليه وسلم اصحابه وفي رواية لحديث عروة ان بكسر وتخفيف نافية بمعنى ما رايت ملكا قط يعظمه
اصحابه كمثل ما يعظم محمدا اصحابه فقصه مضاف مقدر وما مصدرية او موصولة اي كالتعظيم الذي
يعظمه اصحابه فالعايد مقدر وقد رايت قوما يعني بهم الصحابة رضي الله تعالى عنهم لا يسلمونه
بضم اوله وسكون ثانيه المهمل وكسر لامه مضارع اسلمه اذا القاه في هلكة فهو عام اريد به
خاص بدا طرف لاستغراق الزمان المستقبل كما ان قط لاستغراق الماضي يعني ان ما شاهدته
من احوالهم في تعظيمه صلى الله عليه وسلم وانقيادهم له يدل على انهم لا يقصرون في نصره ويبذلون
انفسهم دونه واياكم ان تطمعوا في خلافه وهذا بعض من حديث طويل رواه البخاري وعن انس
في حديث رواه مسلم قال فيه لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق بتشديد
اللام وهو الذي يحلق شعر راسه فقوله يحلقه بتقدير مضاف وقد اطاف به اصحابه اي جلسوا
حلقة حوله صلى الله عليه وسلم واطاف بمعنى داروا طاف بمعنى استدار من غير حركة فما يريدون
ان تقع شعرة من شعر راسه الا في يد رجل منهم حرصا على التبرك باثاره صلى الله عليه وسلم والذي
حلق راسه وقلم اظفاره معمر بن عبد الله العدوي في حجة الوداع وقال ابن الاثير في الانساب انه
خراش بن امية بن ربيعة الكليبي بضم الكاف منسوب الى كليب بن حلبيشة وكان ذلك يوم الحديبية
كما قاله ابن عبد البر والذي حلقه بالجعرانة ابو هند وكان صلى الله عليه وسلم لا يحلق راسه
الا في حج او عمرة ومن هذا اي تعظيم الصحابة له صلى الله عليه وسلم لما اذنت قريش لعثمان بن عفان
رضي الله تعالى عنه حين ارسله صلى الله عليه وسلم الى اهل مكة وهو بالحديبية وقد صدوهم
عن البيت وارساله لاعلامهم بانهم لم ياتوا لقتالهم فلا وجه لصدهم عن دخول الحرم فلم يرضوا
بذلك ولكنهم اذنوا لعثمان رضي الله عنه في الطواف بالبيت بعد منعهم منه له كغيره حين وجهه
اي ارسله صلى الله عليه وسلم اليهم في القضية اي قضية صدهم المسلمين عن البيت وهم
بالحديبية كما مر ابى الطواف وهو جواب لما وقال ما كنت لافعل الطواف وحدي ورسول الله
صلى الله عليه وسلم قد منع ولم يرسلني لذلك فلا اطوف حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه
وسلم ففيه من تعظيمه والوقوف عند امره ما لا يخفى وهذه القصة مفصلة في السير وحاصل
ذلك انهم لما صدوهم عن دخول مكة وارسلوا عروة لاعلامهم بذلك ارسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عثمان لعظماء قريش ليخبرهم بمجيه صلى الله عليه وسلم معتمرا لا مقاتلا فلما دخل
مكة اجاره ابان بن العاص حتى بلغ رسالته فلما بلغهم قالوا له يا عثمان ان شيت فطف فقال

ماكنت لافعل فاحتبسوه وبلغ المسلمين انه قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح
حتى نناجز القوم للحرب وبايع اصحابه بيعة الرضوان تحت الشجرة كما رواه الترمذي عن طلحة
رضي الله تعالى عنه وقال انه حسن غريب وقوله ما كنت لافعل ابلغ من لا اطوف وفي حديث طلحة
الذي رواه الترمذي وحسنه ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل
سله اي سل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن قضى نحبه في قوله تعالى من المؤمنين رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه والنحب النذر والعهد استعير هنا للموت لانه
للزومه كانه نذر في ذمته يجب قضاؤه والزام نفسه ان يجاهد في سبيل الله وقتال اعدائه
والثبات في مواقفه حتى كانه نذر عليه والمراد هنا الثاني فمن اقتصر على الاول فقد قصر اي منهم
من قاتل حتى مات شهيدا كحمزة رضي الله عنه وكانوا اي اصحابه يهابونه ويوقرونه فلا يكثرون سؤاله
صلى الله عليه وسلم اجلالا له فساله الاعرابي فاعرض عنه ولم يجبه اذ طلع طلحة اي كان
اعراضه في وقت طلوعه اي مجيه لمجلسه صلى الله عليه وسلم وقيل اذ هنا فجائية كقوله
فبينما العسر اذ دارت مياسير اي فاجاهم طلوعه عليهم بغتة فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه وهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد التيمي
احد العشرة وفي الصحابة طلحة يسمى غيره وهو الذي نزل فيه قوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا
رسول الله الاية وروى ابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم تلا هذه الاية على المنبر فساله رجل
من هؤلاء فاقبل طلحة بن عبيد الله فقال هذا منهم وكذا في سنن ابن ماجه وفي تفسير ابن ابي حاتم
ان عمار منهم وفي تفسير يحيى بن سلام هو حمزة واصحابه قال ابن التين كان ممن مات ذلك اليوم
عبد الله بن جحش ومنهم من ينتظر منهم طلحة بن عبيد الله انتهى قال ابن الملقن فاجتمع منهم انس
بن النضر وطلحة ابن عبيد الله وعمار وحمزة واصحابه الذين قتلوا معه باحد انتهى وطلحة هذا
هو الملقب بطلحة الخير والفياض وانما قال صلى الله عليه وسلم في حقه ذلك لانه كان قد غاب
عن بدر فقال لئن حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا اخر ليرين الله ما اصنع
فلما كان يوم احد ابلى فيه بلاء حسنا ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوميذ بنفسه
وتلقى النبل عنه بيده حتى شلت اصابعه وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهره حتى
استعلى الصخرة فلذا شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بما شهد وهذا اخذ العشرة
فالنحب هنا العهد لانه مشترك بينه وبين النذر والموت وفي الاية كلام طويل في التفاسير
وامالي ابن الحاجب ليس هذا محله وفي حديث قيلة الذي رواه ابو داود والترمذي وقيلة
بفتح القاف وسكون المثناة التحتية ولام وهي بنت مخرمة العنبرية الصحابية وقيل انها
تميمية كما تقدم وحديثها في الشمايل وفيه قالت فلما رايته صلى الله عليه وسلم جالسا
القرفصا وهو نوع من الجلوس محتبيا بيديه قال في القاموس القرفصا مثلثة القاف والفا مقصورة
والقرفصا بضم القاف والرا ان يجلس على اليتيه ويلصق فخذيه ببطنه ويحتبي بيديه ويضعهما
على ساقيه او يجلس على ركبتيه منكبا ببطنه بفخذيه انتهى ارعدت اي حصل لي رعدة واضطراب

من الفرق بفتحتين اى شدة الخوف وذلك اى ما كان يجد من الرعدة والخوف هيبة له وتعظيم اجلالًا له
وعظمه فى عين رائيه وفى حديث المغيرة بن شعبة الذى رواه الحاكم والبيهقى كان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا اتوه لامر وهو فى منزله يقرعون القرع ضرب بخفيف وسمع له صوت بابه
بالاظافير جمع ظفر على غير القياس وجمع اظفور او اظفار بمعنى ظفر فاظافير جمع الجمع فالاول والحاق
جمع المفرد اقيس من جمع الجمع وهذا ذكر الباب والقرع يقتضى ان حجرته صلى الله عليه وسلم كان
لها باب من خشب ونحوه وقد ورد انه كان عليه ستر او سجف وجمع بانه كان من جلد يقرع فلتحرر
فان مثله لا يقال بالراى واعلم ان مثل هذا هل يسمى حديثا اولا وعلى تقدير تسميته حديثا هل هو
مرفوع ام لا اختلفوا فيه كما قال الحافظ العراقى فى الفيته لكن حديث كان باب المصطفى
يقرع بالاظفار مما وقفا حكما لدى الحاكم والخطيب والرفع عند الشيخ ذو تصويب والمراد
بالشيخ ابن الصلاح رحمه الله وقال البراء بن عازب ابن حارث الخزرجى الانصارى توفى فى ايام
مصعب بن الزبير فى حديث رواه ابو يعلى وصححه لقد كنت اللام جواب قسم مقدر اى والله
اريد ان اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الامر من الامور التى تهمنى او يخطر بالى مما احتاج
لبيانه فاخر بهمزتين وقد تبدل الثانية واوا والافصح الاول سنتين مثنى سنة وفى نسخة سنين
بصيغة الجمع من هيبته صلى الله عليه وسلم اى من مهابته فى قلبى وعظمته فى نفسى فصل
واعلم امر من العلم معطوف على ما قبله والخطاب عام لكل من يصلح له وسد مسد مفعوليه
قوله ان حرمته صلى الله عليه وسلم بضم فسكون وبضمتين وكهمزة وهى المهابة اى احترامه
والتادب معه بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم على كل احد كما كان لازما فى حال حياته لتقابر به
ورسالته وذلك اى ما ذكر من احترامه وتعظيمه لازم عند ذكره وذكر حديثه وسنته وسماع
اسمه وسيرته ومعاملة آله تقدم بيان المراد بهم وعترته بكسر العين وسكون المثناة وكونها مثلثه
خطا من العامة وهم نسله ورهطه وعشيرته الادنون ومعاملتهم بمعنى مخالطتهم فى امور
دينية او دنيوية وتعظيم اهل بيته اى زوجاته وخدمه واتباعه وليس المراد به آله وعترته حتى
يكون اطنابا وصحابته رضى الله تعالى عنهم قال ابو ابراهيم التجيبى بضم التاء وفتحها كما تقدم واجب
على كل مومن خصه لان الكافر لا يجب عليه ذلك وقيل انه يجب عليه ايضا بناء على انه مخاطب
بفروع الشريعة والوجوب عليه بمعنى مطالبته به فى الاخرة وعقابه عليه متى ذكره صلى الله
عليه وسلم او ذكر عنده وسمعه ان يخضع اى يبدى التذلل والاستكانة وخفض الجناح
وخضع يكون لازما وهو المعروف ومتعديا يقال خضع الحديث اى لينه ويخشع الخضوع
والخشوع متقاربان كما قاله الراغب وقيل الخشوع اعم لانه يوصف به القلب والجماد كترى
الارض خاشعة ولا يخفى انه مجاز لا يدل على مدعاه ويتوقر اى يظهر الوقار والرزانة ويسكن
من حركته ويأخذ اى يشرع فى هيبته اى اظهار مهابته صلى الله عليه وسلم عنده واجلاله
بتعظيمه حق تعظيمه بما كان ياخذ به نفسه اى يكلفها ويلزمها لو كان بين يديه صلى الله عليه
وسلم حاضرا فى مجلسه فيعرض ذلك ويلاحظه ويتمثله فكانه عنده ويتادب بما ادبنا الله

مثل

مثل قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم الخ ولا ترفعوا اصواتكم وغيره كما تقدم انفا وفيه
اشارة الى ان هذا ثابت بالقران ايضا لدخوله فى عموم ما تقدم واطلاقه وان لم يرد تصريح فيه
بخصوصه فى النصوص القرانية ومن لم يتنبه لهذا قال كان على المصنف ان يقدم دليلا قرانيا
على الحديث يدل على ان وجوب حرمته ميتا كحرمته حيا كما هو دابه وان يذكر انه حكم عام فيه
صلى الله عليه وسلم وفى ساير الانبيا لما ورد فى حقهم من المدح والتعظيم وقوله فبهداهم
اقتده ولقوله ورفعنا لك ذكرك واقتران اسمه باسمه الواجب التعظيم يقتضى تعظيمه ولقوله
صلى الله عليه وسلم الا انى رغم انف من ذكرت عنده فلم يصل على ولا يخفى ما فيه قال القاضى
ابو الفضل عياض المؤلف رحمه الله وهذه الامور المذكورة من توقيره صلى الله عليه وسلم
حيا وميتا وانثه باعتبار ما ذكر لقوله كانت سيرة سلفنا الصالح اى داب وطريقة
من تقدم من الصالحين والعلماء العاملين رضى الله تعالى عنهم اجمعين ثم بين هذه السيرة
بقوله حدثنا ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعرى هو ابن سعيد القرطبى وقد تقدم وابو القاسم
ابن بقى بفتح الموحدة وتشديد القاف المكسورة ويا مثناة تحتية الحاكم وهو احمد بن محمد بن
احمد بن مخلد بن عبد الرحمن بن احمد بن بقى بن مخلد بن يزيد القرطبى ويقال هو احمد بن يزيد بن عبد
الرحمن بن احمد بن بقى بن مخلد بن يزيد بن بقى وغير واحد فيما اجازونيه اى رووه عنهم بطريق
الاجازة المعروفة بين المحدثين كما بينه ابن الصلاح وغيره قالوا اى قال هؤلاء كلهم انبانا
ابو العباس احمد بن عمر بن دلهاث بكسر الدال المهملة وسكون اللام وها والف يليها ثا مثلثة
بزنة جلباب علم مصروف منقول من اسم الاسد كدلهث ودلاهث قال حدثنا ابو الحسن
على بن فهر بالكسر كاسم القبيلة قال حدثنا ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج قال حدثنا ابو الحسن
عبد الله بن المنتاب بضم الميم وسكون النون وتا مثناة فوقية والف ويا موحدة
وهو عبد الله بن المنتاب بن الفضل بن ايوب قاضى المدينة قال حدثنا يعقوب بن اسحق بن
ابى اسرائيل قال حدثنا ابو حميد بالتصغير بن حميد بن ثعلبة احد رواة مالك قال ناظر
ماض من المناظرة وهى المباحثة فى امر من الامور وهى مفاعلة من النظر بمعنى الفكر لان كلا منهما
ينظر فى كلام من يجادله وفيه كلام فى شرح اداب البحث ليس هنا محله ابو جعفر امير المومنين
ثانى خلفا بنى العباس اخو السفاح المعروف بالمنصور وترجمته مفصلة فى التواريخ مالك
بن انس امام المدينة وعالمها المشهور رحمه الله تعالى فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرفع صوته فى مناظرته فقال مالك يا امير المومنين لا ترفع صوتك فى هذا المسجد النبوى المكرم
واول من سمى بامير المومنين على العموم عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه سماه به المغيرة بن
شعبة وقيل لبيد بن ربيعة وعدى بن حاتم حين وفدا عليه من العراق وقيل انه رضى الله
تعالى عنه قال للناس انتم المومنون وانا اميركم فسمى بذلك وكان قبل ذلك يقال له يا خليفة
خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فعدلوا عن ذلك لطوله واحترزنا بعلى العموم
عن عبد الله بن جحش فانه سمى بها على الخصوص فى ولايته على سرية اثنى عشر رجلا وقيل ثمانية

185

واول من سمي بامير المسلمين يوسف بن تاشفين الملثم فان الله ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم
الخ وتقدم تفسيرها ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم الخ وتقدم بيانها ايضا وذم قوما
فقال ان الذين ينادونك الخ كما تقدم وان حرمته صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمته حيا اى
ما يجب ان يراعى في حقه في حياته يراعى بعد مماته فاستكان لها ابو جعفر استكان افتعل من المسكنة
بمعنى خضع وذل اشبعت حركته كما في القاموس وفيه كلام في التصريف وضمير لها راجع لمقالة
الامام مالك المعلومة من المقام ولم يذكروا ما ناظره فيه لانه لا يترتب عليه فايدة هنا وقال
ابو جعفر للامام مالك يا ابا عبد الله كناه تعظيما له بسواله بقوله استقبل القبلة اصل الاستقبل
بهمزتين همزة الاستفهام وهمزة المضارع للمتكلم فحذفت الاولى للتخفيف ووجود القرينة وقد ورد
حذفها كثيرا كقوله فوالله ما ادرى وان كنت داريا بسبع رمين الجمار ام بثمان وهو من خصايص
الهمزة وادعوا اذا اردت زيارته صلى الله عليه وسلم ام استقبل رسول الله صلى الله عليه
وسلم اى اجعل وجهى مقابلا لجهته وحينيذ يكون مستدبر القبلة فلذا اشكل عليه لان استقبال
القبلة في الدعا مشروع فاذا عارضه هذا فايهما يقدم فقال له مالك رحمه الله تعالى ولم
تصرف وجهك عنه اى عن مقابلته ومواجهته حال الدعا وهو وسيلتك ووسيلة ابيك ادم
عليه الصلاة والسلام الى الله يوم القيمة المراد بالوسيلة وهى السبب ما يتوصل به الى اجابة
الدعا وكنى بذلك عن جميع الناس اى هو الشفيع المشفع المتوسل به الى الله تعالى يوم القيامة
اشارة الى حديث الشفاعة العظمى وقد تقدم والى ما ورد من ان الداعى اذا قال اللهم انى استشفع
اليك بنبيك يا نبى الرحمة اشفع لى عند ربك استجيب له بل استقبله صلى الله عليه وسلم بوجهك
في دعايك بما تريد واستشفع به الى الله تعالى في الاجابة فانه شفيع لا يرد من توسل به اليه فيشفعه الله
فيك ويقبل دعاك وفي نسخة فيشفعك الله وهى مشكلة اذ المراد الاول واولت هذه بان اصلها
فيشفعه فيك فحذف المفعول والجار ووصل به الضمير وقيل المعنى يقبل شفاعتك والمصدر
مضاف للمفعول ولا يخفى ما فيه وفي هذا رد على ما قاله ابن تيمية من ان استقبال القبر الشريف في الدعا
عند الزيارة امر منكر لم يقل به احد ولم يرد الا في حكاية مفتراة على الامام مالك يعنى هذه القصة
التى اوردها المص هنا ولله دره حيث اوردها بسند صحيح وذكر انه تلقاها عن عدة من ثقات
مشايخه فقوله مفتراة انها كذب محض ومجازفة من تراهاته وقوله لم ينقل ولم يرو باطل فان مذهب
مالك واحمد والشافعى رضى الله تعالى عنهم استحباب استقبال القبر الشريف في السلام والدعا
وهو مسطر في كتبهم وصرح به النووى في اذكاره وايضاحه وقال السبكى صرح اصحابنا بانه يستحب
ان ياتى القبر ويستقبله ويستدبر القبلة يقف من راس القبر بنحو ربع اذرع فيسلم عليه صلى الله
عليه وسلم ثم يتاخر ويسلم على ابى بكر رضى الله تعالى عنه ثم يتاخر ويسلم على عمر رضى الله تعالى عنه
ثم يرجع لموقفه الاول مستقبلا للقبر ويدعو بما اراد وقد نقل عن ابى حنيفة رضى الله تعالى عنه
انه يستقبله صلى الله عليه وسلم في الزيارة ثم يستقبل القبلة بعده ويدعو كما ذكره السروجى
من ايمتنا وقيل في قوله وسيلة ابيك ادم ان ادم عليه الصلاة والسلام لما اكل من الشجرة ثم ندم

قال يا رب اسالك بحق محمد الا غفرت لى فقال له الله كيف عرفت محمدا فقال لانى رايت على قوايم العرش
لا اله الا الله محمد رسول الله فعرفت انك لم تضف لنفسك الا احب الخلق اليك فقال صدقت
يا ادم انه لاحب الخلق الى ولولاه ما خلقتك وهو حديث صحيح رواه الحاكم قال الله تعالى ولو انهم
اذ ظلموا انفسهم جاوك الاية استدل بهذه الاية على ما ادعاه من التوسل به صلى الله عليه وسلم
وقبول التوسل به كما ينادى عليه لوجدوا الله توابا رحيما لتعليق قبول استغفارهم على استغفاره
صلى الله عليه وسلم طم واستوليس به لاستحباب استقباله ايضا دون استقبال القبلة لانه
صلى الله عليه وسلم حى في قبره يسمع دعا زايره ومن جاءه عظيما لرجا شفاعته له لا شك
فى انه يتوجه اليه بقلبه وقالبه كما قاله ابن المقرى رحمه الله تعالى تخاطبه لما تناجيه مقبلا
على غيره فيها لاتى ضرورة ولو رد من ناجاك للغير طرفه تميزت من غيظ عليه وغيرة فتدبر
وقال مالك وقد سيل عن ايوب السختيانى وهو الامام ابو بكر البصرى التابعى سيد الفقها
والمحدثين روى عنه مالك والثورى وغيرهم والسختيانى بكسر السين نسبة لعمل السختيان
وهو الجلد المدبوغ وهو معرب وتاوه تفتح وتكسر اخرج له الستة وتوفى في سنة احدى وثلاثين
وماية وقيل غير ذلك ما حدثتكم اى حدثت لكم عن احد من مشايخه الا وايوب افضل منه قال مالك
وحج حجتين وكنت حاجا اذ ذاك فكنت ارمقه اى انظر اليه يقال رمقه اذا نظر اليه ولا اسمع منه
شيا يتكلم به لطول صمته كذا قيل والظاهر انه اراد لا اسمع منه الحديث فاروية عنه لما سياتى
من قوله كتبت عنه غير انه كان اذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم عنده بكى حتى ارحمه اى يرق
قلبى عليه رحمة له لما اراه منه فلما رايت منه ما رايت واجلاله للنبى صلى الله عليه وسلم
واتباع سنته في جميع احواله المقتضية لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخشوعه لذكره
علمت شدة ديانته وانه ثقة ظاهر العدالة فسمعت منه وكتبت عنه الحديث وروايته عنه وهذا
يدل على كمال الورع في الرواية وانه لا يروى عن كل احد حتى يختبره وبكاؤه اما لتحسره على انه لم يره
صلى الله عليه وسلم واشتياقه له او لخوفه من تقصيره في اتباعه او لاجلاله وتذكر مهابته
حتى كانه يراه وهو اقرب للسياق وقال مصعب بصيغة المفعول علم منقول من الفحل الشديد
بن عبد الله ابن مصعب بن ثابت الزبيرى الحافظ احد رواة الامام مالك كان مالك بن انس
رضى الله تعالى عنه ورحمه اذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم عنده يتغير لونه بان يصفر كما
يعترى من اشتد خوفه من شيء وينحنى اى ينضاءل لشدة خشوعه حتى يصير كالمنحنى حتى يصعب ذلك
على جلسايه وتلامذته لخوفهم عليه فقيل له في ذلك اى سيل عنه وما سببه فقال لو رايتم
ما رايت من السلف من خشوعهم واجلالهم لذكره صلى الله عليه وسلم لما انكرتم على ما ترون
مما شاهدتموه من حالى لقد رايت محمد بن المنكدر بن عبد الله التيمى المدنى الحافظ توفى في سنة
خمس ومايتين اخرج له الستة وكان سيد القراء اى كان في عصره رييس العلما العارفين بالقران
وتفسيره ووجوه قراءاته واحكامه لا نكاد نساله عن حديث ابدا الا يبكى حتى نرحمه شفقة
عليه لما نراه من اضطرابه لشدة مهابته لذكره صلى الله عليه وسلم او لشدة شوقه الى لقاه

وتاسفه على عدم رويته صلى الله عليه وسلم وكاد هنا زايدة لتاكيد الكلام وقد ورد في كلامهم
كثيرا كما في القاموس وهو احد الوجوه في قوله تعالى لم يكد يراها اى لم يره وهو المراد وابدا المطلق
الاستغراق ويكون لاستغراق الازمنه المستقبلة فهى هنا لحكاية الحال الماضيه
وتنزيلها منزلة ما حضر واستمر كالمضارع في قوله هنا الا يبكى قال الامام مالك رحمه الله
ولقد كنت ارى جعفر بن محمد اللام في جواب قسم مقدر ووقع في بعض النسخ هنا تلقيب جعفر بانه
الصادق ومحمد هو الباقر بن زين العابدين بن على ابن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله تعالى
عنهم وكان كثير الدعابة بضم الدال والعين المهملتين والف وبا موحدة وهى المزاح والتبسم
وهو اقل الضحك والجملة معترضة ومع كثرة مزاحه وانشراح صدره اذا ذكر عنده النبى صلى الله
عليه وسلم اصفر لونه وتغير وجهه لمهابته واجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وما رايته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو طاهر اى بوضوء لنقل الحديث
فيعلم منه نفى الحدث الاكبر بالطريق الاولى وذلك لتعظيمه الحديث ولقد اختلفت اليه
زمانا كثيرا اى ذهبت اليه مرارا كثيرة يقال اختلف اليه اذا جا وذهب واتى وقتا بعد وقت
في اوقات مختلفة فنزل اختلاف الاوقات منزلة اختلاف الذوات وضمير اليه لجعفر المذكور
وما كنت اراه الا مستمرا على ثلاث خصال اما مصليا واما صامتا لا يتكلم واما يقرا القران
فيناجى به ولا يتكلم فيما لا يعنيه بفتح اوله اى يهمه ويجديه نفعا لصون لسانه عن اللغو وكان
من العلما بالعلوم الشرعيه ومن العباد الذين يخشون الله تعالى وهذا حاله في منزله وخلوته
والدعابة والتبسم اذا كان في ملا من الناس تلطفا بهم وحسن خلق فلا منافاة بينهما كما توهم قال
مالك رحمه الله تعالى ولقد كان عبد الرحمن ابن القاسم بن محمد بن ابى بكر الصديق احد فقها
المدينة توفى رحمه الله تعالى سنة احدى وثلاثين ومايه وابوه احد الفقها السبعة يذكر النبى
صلى الله عليه وسلم فينظر الى لونه كانه نزف منه الدم نزف مبنى للمجهول ومعناه سال وفيه تشبيه
او تقديره اذا اللون لا يترف فالمراد انه سال دمه فاصفر صفرة مفرطة لان حمرة البشرة بما تحتها
من الدم وتوهم بعضهم ان معناه انه احمر خجلا واعترض بان المناسب لقوله وقد جف لسانه
في فمه الاصفرار لا الاحمرار ثم قال ولعله يحصل له حالة تخجل ثم حالة تخوف وهو من عدم التامل
وجفاف اللسان بذهاب ريقه لخوفه هيبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم مفعول له اي جف
وقيل المقدر لانه لم يجد فاعلهما ولا حاجة اليه وان جاز ولقد كنت اتى عامر ابن عبد الله بن الزبير
بن العوام العابد الجليل القدر اخرج له الستة وفى بعد عشرين ومايه وترجمته معروفة فاذا ذكر
عنده النبى صلى الله عليه وسلم بكى حتى لم يبق في عينيه دموع اى لبكايه بكا شديد الماء
ولقد كنت اتى صفوان بن سليم مصغر وهو مولى حميد بن عبد الرحمن الزهرى القرشى مات سنة
اثنين وثلاثين ومايه وكان من اكثر اهل المدينة عبادة وزهدا وفضلا وبها توفى كما قال وكان
صفوان المذكور من المتعبدين اى المكثرين للعبادة المداومين عليها المجتهدين في العبادة المجدين
فيها بحملات ويكون وصل لمرتبة الاجتهاد في احكام الدين لزيادة فضله واحاطته بالسنة

وهو

وهو جملة معترضة فاذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم عنده يبكى فلا يزال يبكى حتى يقوم الناس
عنه ويتركوه لاتصال بكايه وطوله ولقد رايت الزهرى الامام محمد بن مسلم ابن عبيد الله بن عبد الله
بن شهاب التابعى الامام الجليل المشهور توفى في رمضان سنة اربع وعشرين ومايه وهو ابن اثنين
وسبعين كما تقدم وكان من اهنا الناس اى اسهلهم واحسنهم خلقا والينهم عريكة مستعار من هنا
الطعام اذا ساغ وسهل واقربهم الى الناس لحسن توده لهم ومع ذلك اذا ذكر عنده النبى صلى الله
عليه وسلم فكانه ما عرفك ولا عرفته لدهشته وحيرته واعراضه عمن عنده وذهوله عن معرفته
لاشتغال قلبه وحواسه بالفكر لاجلاله له وتعظيمه وقد ذكر مالك رحمه الله هولا بيانا
لانه اقتدى بهم واهتدى بهديهم وان حاله لم يصل لحالهم فلا يتعجب منه وروى عن قتادة
تقدم بيانه انه كان اذا سمع الحديث يقرا عنده اخذه اى عرض له واستولى عليه حتى كانه اخذه
العويل بعين مهملة هو صياح مع البكا والزويل بفتح الزاى المعجمة وكسر الواو ويا ولام وهو القلق
والانزعاج لشدة الخوف يقال زال زويلة في الدعا اى دعو فوق وهو ماخوذ من الزوال التغير
حاله عما كان عليه ولما كثر على الامام مالك الناس اى اجتمع عنده لسماع الحديث ناس لا يحصون
كثرة واتوه من كل فج قيل له لو جعلت مستمليا اى احدا يجلس قريبا منك ويملى عليه الحديث فيأخذه
عنك فيسمعهم ويسمعهم ما يعيده لهم لكثرتهم وبعد بعضهم عنك ممن في اخر الحلقة ولو للتمنى
للمناسبة بينهما في عدم الوقوع ولما الزم بما قالوه رفع صوت المبلغ كما هو المعتاد لم يرتض ما قالوه
من وضع مستمل في الحلقة والاستملا طلب الاملا وهو القا الكلام على الغير فقال مالك مجيبا
ارشادا لهم وتاديبا مستدلا بقوله تعالى قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم الخ
فقاس منع رفع الصوت في مجلس قراة الحديث على منعه في مجلسه حال حياته وبينه بقوله
وحرمته اى احترامه وتوقيره حيا وميتا سوا فحيث يلزم الاول يلزم الثانى ثم نقل ما يوافق ما قاله
مالك بقوله وكان ابن سيرين ربما يضحك فاذا ذكر عنده حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
خشع وكان عبد الرحمن بن مهدى بن حسان ابو سعيد الحافظ الثقة البصرى المعروف باللؤلؤى
احد اعلام الحديث وقال ابن المدينى اعلم الناس بالحديث ابن مهدى وتوفى سنة ثمان وتسعين ومايه
واخرج اصحاب الكتب الستة اذا قرا حديث النبى صلى الله عليه وسلم امرهم اى امر من حضر
في مجلسه بالسكوت والانصات للاستماع وقال مخاطبا لمن عنده لا ترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبى ويتاول الاية التي تلاها بجعل الصوت شاملا لحكايته وانه عام لهما ودال على
انه يجب له صلى الله عليه وسلم من الانصات عند قراة حديثه ما يجب له عند سماع قوله
حقيقة في حياته لما فيه من التوقير وحرمته وحسن الادب كما قيل حديثه او حديث عنه يطربنى
هذا اذا غاب وهذا اذ احضرا فان قلت ما نقله عن مالك من انه لم يرض بمستمل في مجلسه
ينافى ما نقل عنه انه كان له مستمل يبلغ الناس عنه قلت حاله الاول لكان قبل كثرة الناس جدا
بحيث يسمعون كلامه بغير واسطه ثم كثر الناس عليه بعد ذلك فراى ان المستملى لا بد منه
فاتخذه للضرورة وقد قال المحدثون انه لا يضع مستمليا اذا سمعوه لان على مرتبة السماع ما كان

البنى

من لفظه فان لم يتيسر ذلك اتخذ مستمليا واحدا فاكثر واستدلوا لذلك بانه صلى الله عليه وسلم
خطب الناس يعني على بغلته الشهبا وعلي رضي الله عنه يبلغ الناس فعلم مما تقرر انهم اذا كثروا بحيث
لا يكفي مستمل واحد زادوا بقدر الحاجة ويكون المستملي على مكان واحد مرتفع من كرسي ونحوه
او قايما ان امكنه فصل في سيرة السلف وعاداتهم في تعظيم رواية حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم وسنته عطف تفسير لشمولها لاقواله وافعاله وجميع ما يتعلق به وفي نسخة
سُنَنِه بصيغة الجمع وفي اخرى وسنتهم وهذا تتمة للفصل الذي قبله كما ادرجه في ترجمته لكنه
فضله لاختصاصه بالحديث واتى له بشاهد رواه مسندا فقال حدثنا الحسين بن محمد الحافظ
المعروف بابن سكرة كما تقدم قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون تقدمت ترجمته وانه يجوز فيه الصرف
وعدمه قال حدثنا ابو بكر البرقاني وهو احمد بن محمد بن احمد بن غالب الخوارزمي الشافعي شيخ بغداد
واحد الاعلام بها صاحب التصانيف الجليلة بها وتخريج الصحيحين روى عنه كثير كالصوري
والبيهقي والخطيب وابي اسحاق الشيرازي وابن خيرون المذكور توفي ببغداد في اول رجب سنة
خمس وعشرين واربعماية وترجمته معروفة والبرقاني بباء موحدة وراء مهملة وقاف وغيرهم قال
حدثنا ابو الحسن الدارقطني شيخ الاسلام الحافظ تقدم وانه منسوب لدارقطن محلة ببغداد
وراؤه مفتوحة وبعضهم يسكنها كما قاله ابن مرزوق والاولى الاول قال حدثنا علي بن مبشر
بن اسماعيل الكلبي الثقة وشينه معجمة مشددة مكسورة بوزن اسم الفاعل قال حدثنا احمد بن
سنان القطان ابو جعفر الحافظ الواسطي الثقة امام اهل زمانه توفي سنة ثمان وخمسين
وماتين واخرج له اصحاب السنن قال حدثنا يزيد بن هارون ابو خالد السلمي الواسطي العابد
الزاهد احد الاعلام قال ابن المديني ما رايت احفظ منه وعمي اخر عمره وتوفي سنة ست وماتين
واخرج له الستة قال حدثنا المسعودي عبد الرحمن بن عبد الله ابن عتبة بن عبد الله بن مسعود
ولذا عرف بالمسعودي وهو كوفي روى عنه خلق كثير وهو ثقة كثير الحديث توفي سنة ستين
ومائة وترجمته في الميزان عن مسلم البطين بفتح الموحدة وكسر الطا المهملة وهو مسلم بن عمران
ابو عبد الله الكوفي وثقه احمد واخرج له الستة عن عمرو بن ميمون العابد التابعي الازدي ادرك
زمنه صلى الله عليه وسلم ولم يلقه وهو ثقة حج ماية حجة وتوفي سنة اربع وسبعين وماية
قال اختلفت الى ابن مسعود اي ترددت عليه سنة تميز فما سمعته اذا حدث يقول قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم صونا للذكر وهيبة له واحتياطا في النقل عنه الا انه حدث يوما بحديث
فغلبه فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب اي ظهر عليه حزن وغم يودي
لضيق نفس فرايت العرق يتحدر اي ينزل سايلا منه منفصلا عن جبهته ثم قال ابن مسعود هكذا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رويته لكم مساويا له لفظا ومعنى ان شا الله اشار
الى انه لم يصدر عن جزم منه وهذا بنا منه على عدم جواز الرواية بالمعنى وفيه خلاف مشهور
تفصيله في كتاب ابن الصلاح وهو احتراز عن الكذب عليه وان يقول ما لم يقله او فوق ذا اي
يزيد عليه يسيرا وما دون اي ينقص عنه او قريب من ذا اي مخالفه بامر قليل جدا وهو احتياط

منه رضي الله عنه وفي رواية فتربد وجهه بباء موحدة بعد راء ثم دال مهملتين اي تغير لونه لكمودة
من شدة الكرب وقد تغرغرت عيناه اي امتلاتا بدمع متردد كالما في فم من يتغرغر به فهو مجاز
كما في حديث تقبل توبة العبد ما لم يغرغر اي تبلغ روحه حلقومه كما الغرغرة وانتفخت ودَاجه جمع
ودج بفتحتين وهو عرق غليظ في العنق والودجان يقطعهما الذابح وانتفاخهما كبرهما
بغليان الدم لانتشار الحرارة الغريزية بالخوف ونحوه وقال ابراهيم بن عبد الله بن قريم
بضم القاف وفتح الرا المهملة ومثناة تحتية وميم مصغر قرم الانصاري قاضي المدينة
ذكره في التهذيب والميزان واخرج له الترمذي في علل جامعه ولم يترجموه وروى عن مالك
كما قال مر مالك بن انس على ابي حازم بحا مهملة وزاي معجمة وهو سلمة ابن دينار الاعرج
احد الاعلام الذي روى عنه مالك وغيره وهو ثقة لم يكن في زمانه مثله توفي سنة اربعين
وماية واخرج له الستة وهو يحدث اي يروي الحديث لمن عنده فجازه اي تجاوز مجلسه ولم يقف
وقال حين سيل عن سبب ذلك اني لم اجد موضعا اجلس فيه لكثرة الناس فكرهت ان اخذ اي اسمع
لا اروي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا قايم صونا لحديثه عن الابتذال والامتهان
واستماعه في محل يخل بتعظيمه وهكذا كان دابه ولذا رفع الله قدره وسيد ذكره وهذا ينافي
ما نقل عنه من انه كان لا يعمل بالحديث ما لم يوافق عمل اهل المدينة فانه لشدة احتياطه في احاديث
الاحكام فلا وجه لايراد هذا هنا وقيل التعظيم شي اخر لا مساس له هنا وقال مالك جا رجل
الى ابن المسيب فساله عن حديث وهو مضطجع اي واضع جنبه على الارض والجملة حالية فجلس
وحدثه فقال له الرجل وددت اي كان احب الي انك لم تتعنّ اي لم تتعب وتترك راحتك فقال اني
كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مضطجع تعظيما للحديث وتادبا معه
وروي عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده في حال ضحكه حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم خشع اي اظهر الخشوع والاستكانة تادبا ومهابة وقال ابو مصعب
كان مالك لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو على وضوء اي متوضيا
متطهرا اجلالا له اي للحديث وحكى مالك ذلك اي الحديث على وضوء عن جعفر بن محمد الباقر ابن
زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب وقد تقدم قريبا وقال مصعب بن عبد الله وهو الزبيري
كما تقدم كان مالك بن انس اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان يحدث
عنه توضا وتهيا للحديث باصلاح هيته في ثيابه وجلوسه ثم يحدث تعظيما لذلك قال مصعب
فسيل عن ذلك اي عن الداعي له فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي نسخة
لانه وهو من بليغ المدح كما اذا قيل لك لم عظمت فلانا فتقول انه فلان ولا تزيد اي تحقيق بذلك
وشهرة استحقاقه تغني عن بيان وجهه فلا حاجة لتعديد وهو جدير بالتعظيم كما قيل وقال مطرف
بزنة الفاعل بطا وراء مشددة مهملتين وفا وهو مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان بن يسار
مولى ميمونة وهو ابن اخت الامام مالك توفي سنة عشرين وماتين وترجمته في الميزان كان اذا
اتى الناس مالكا لطلب العلم وهو داخل منزله وطلبوا خروجه لاقرائهم خرجت اليهم الجارية

اي ارسل لهم جارية له فيه فتقول لهم لما تعلم من العادة يقول لكم الشيخ تعني مالكا اتريدون الحديث
بتقدير اداة الاستفهام اي اتريدون قراة الحديث وسماعه او المسايل بتعريفه للعهد اي مسايل
الفقه فان قالوا نريد المسايل اي قراتها خرج اليهم بسرعة من غير تهيؤ وان قالوا نريد الحديث اي قراته
دخل مغتسله اي موضعه المعد للغسل والطهارة في بيته واغتسل وتطيب وتضمخ بما تطيب
رايحته ولبس ثيابا جددا بضم اوله وثانيه جمع جديد كسرير وسرر ولبس ساجه هو الطيلسان
مطلقا او الاخضر او الاسود منه وهو شي كالبرنس وتعمم اي وضع عمامته المعدة للتجمل على راسه
ووضع على راسه رداه على عادة اشراف العرب وتلقى له منصة في محله المعد له لاقراية وهي بكسر
الميم وفتحها شي عال كالكرسي والسرير من نصصته اذا رفعته فيخرج من بيته للناس ويجلس
عليها وعليه الخشوع اي السكينة والوقار ولا يزال يبخر بالبنا للمفعول ويجوز بناوه للفاعل بمعنى
يامر بالعود الهندي المعروف فيوقد عنده ليعطر مجلسه به حتى يفرغ من قراة حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم اجلالا وتكريما وتطييبا فانه صلى الله عليه وسلم كان يحب الرايحة
الطيبة فجعل مجلس حديثه كمجلسه حيا كما تقدم قال غيره اي غير مطرف ولم يكن يجلس على تلك
المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلم انه انما فعله رعاية للحديث لا لنفسه
قال ابن ابي اويس هو اسماعيل بن عبد الله بن ابي اويس بن ابي عامر وقيل اسماعيل بن عبد العزيز بن
عبد الله توفي سنة ست او سبع وعشرين وماتين في رجب وهو ابن عم الامام مالك وابن اخته
وزوج بنته روى عنه وعن غيره ولازم مالكا احدى وعشرين سنة واخرج له في الصحيحين
والسنن وضعفه النساي لانه كان مغفلا كما قال له ابو حاتم وترجمته في الميزان فقيل لمالك في ذلك
اي سيل عن سبب ما كان يفعله من لباسه واغتساله وبخوره وجميع ما تقدم عنه فقال احب
ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بما فعلته ولا احدث به اي بحديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا على طهارة كاملة متمكنا اي جالسا في مكانه على هيئة مستقرة غير
مستوفز لما فيه من عدم المبالاة بما حدث عنه صلى الله عليه وسلم وكان مالك رحمه الله
يكره ان يحدث اي ينقل الحديث وهو مار في الطريق او وهو قايم على رجليه او مستعجل اي على
عجلة فيتاني فان الخير كله في ترك العجلة ولذا قيل العجلة من الشيطان وقد يكون مع المستعجل الزلل
فيخطي فيما نقله وقال مالك احب ان افهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذا تاني في نقله
ليكون اعون على فهمه وقال ضرار بن مرة ابو سنان الشيباني الكوفي العابد الثقة اخرج له اصحاب السنن
كانوا اي السلف ومن لقيهم من التابعين يكرهون ان يحدثوا اي ينقلوا الحديث النبوي على غير وضوء
وطهارة ونحوه روي عن قتادة وقد تقدمت ترجمته وفي نسخة لعنا وكان الاعمش سليمان بن
مهران اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء ولم يتمكن منه تيمم وكان قتادة لا يحدث الا على طهارة
وياتي الكلام على ذلك اخر الفصل وقال عبد الله بن المبارك تقدمت ترجمته كنت عند مالك
ابن انس وهو يحدثنا اي ينقل لنا الحديث فلدغته عقرب اي في حال قراته والعقرب من ذوات
السموم المعروفة وسمها في راس ذنبها فاذا ضربت به احدا انتشر فيه سمها فيقتله ولدغها

ضربها بعقد ذنبها وقد اشتهر على الالسنة ان اللدغ بدال وغين معجمتين وقد قال الشراح هنا
ان الصحيح ان داله مهملة وغينه معجمة وانه يقال لدغته العقرب ولسعته الحية ويقال لعقرب
وعقربة ونقل بعض العلما ان الذال والغين المعجمتين لا يجتمعان في كلمة عربية اما لذع النار
فهو باعجام الاولى واهمال الثانية معناه الاحراق وقوله ست عشرة مرة كذا في النسخ وصوابه
ست عشرة بلحوق التا في جزئي الثاني كذا قيل وفيه نظر وهو يتغير لونه ويصفر ضعف تفسير ولا يقطع
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم احتراما له واجلالا فلما فرغ من المجلس اي اتم نقل
الحديث وتفرق عنه الناس المستمعون له قلت له يا ابا عبد الله لقد رايت منك اليوم عجبا
اي امرا يتعجب منه لصبرك وعدم تحركك قال نعم ما قلته صحيح انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ لم يتحرك وينزعج وهو يحدث وقال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك
الى العقيق وهو اسم لمواضع كثيرة بالحجاز والمراد به هنا موضع قريب من المدينة على نحو ميلين
منها متنزه اهل المدينة فسالته وانا ماش معه في الطريق عن حديث من احاديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانتهرني اي زجرني والنهر الزجر كما قال تعالى واما السايل فلا تنهر وقال
بعد الزجر بما سكت ونحوه موبخا لي كنت في عيني كناية عن اعتقاده فيه الناشي عن رويته اجل
من ان تسالني فيه ترشح معروف كالترشي ان يحصي اي اعظم من السايلين عن حديث رسول الله
عليه وسلم ونحن نمشي جملة حالية وساله يعني الامام مالك رحمه الله جرير بن عبد الحميد
القاضي الضبي الثقة المحدث صاحب المصنفات الجليلة روى عنه البخاري وغيره من اصحاب
الكتب الستة وكان رحلة توفي سنة ثمان وثمانين ومائة عن حديث وهو قايم الضمير لجرير
ويجوز ان يكون لمالك رحمه الله تعالى فامر مالك بحبسه قيل لمالك لم يكن حاكما حتى يحبسه
بامره واجيب بان الولاة كانوا يمتثلون امره فالمعنى ارسله للحاكم ليحبسه فحبسه وفي تاريخ
الذهبي ان مالكا كان يجلس في المسجد يحدث ويقضي فانه كان ماذونا له في القضا في بعض الامور
فهو على ظاهره فقيل له انه قاض لا يليق حبسه قال القاضي احق من ادب بالهمزة المضمومة
لا بواو وان رسم بها في بعض النسخ يعني ان العلما والاشراف اولى برعاية الادب فاذا تركوه
كانوا احق بذلك من العوام وذكر ان هشام بن الغاز بمعجمتين وزاي معجمتين بزنة فاعل من الغزو قالوا
وهذا ليس بصواب فان هشام بن الغاز بن ربيعة تابعي مات قبل مالك ولا يروي عنه والحكاية
المذكورة انما وقعت لمالك مع هشام بن عمار خطيب دمشق كما رواها مسندة البرهان الحلبي
وقيل انما تصحفت على الناسخ وصوابها القاري بالقاف والرا المهملة وقيل ما في الاصل
صواب وهو هشام بن الغاز بن ربيعة الشامي وفيه ان الحافظ الحلبي اسند رواية هذه
القصة عن هشام بن عمار كما علمت سال مالكا عن حديث وهو اي هشام او مالك رحمه الله
تعالى واقف فضربه عشرين سوطا وهذا دليل على انه كان ماذونا له في اجرا الاحكام على تلاميذه
او كان يعلم رضاهم بحكمه فيهم فهو محكم فيهم ثم اشفق عليه اي حصل عنده رقة قلب وشفقة
لضربه لا لانه ضربه بغير ذنب كما قيل وهذا بنا على انه يجوز ان تزاد التعزير على عشرة اسواط في غير

لحدود كما هو مذهب ابي حنيفة والحديث الوارد في النهي عنه فيه كلام للمحدثين ليس هذا محل
تفصيله ولعله وجه اشفاقه عليه فحدثه اي فاد مالك هشاما وروى له عشرين حديثا
تطييبا لخاطره فقال هشام بعد ذلك لاصحابه وددت اي احببت يقال وددت كذا اذا رغبت فيه
واحببته لو زادني سياطا اي ضربا بها ويزيدني حديثا وروي احاديث بعدد زيادة ضربه لي
ولو مصدرية او شرطية جوابها مقدر وقال عبد الله بن صالح الجهني ويقال له الحراني المحلي وله ترجمة
في الميزان مطولة توفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين وعمره ست وثمانون سنة واخرج له اصحاب
السنن كان مالك والليث ابن سعد ابن عبد الرحمن الفهمي المصري الفقيه البارع الذي قيل فيه
انه كان افقه من مالك الا ان اصحابه اضاعوه وهو من تبع التابعين توفي سنة خمس وسبعين ومائة
وحديث قال مالك اخبرني من ارضى به من اهل العلم فهو الليث لا يكتبان العلم الا وهما طاهران اي
على طهارة تامة وجملة هما طاهران حالية يجوز اقترانها بالواو وتركها لا صفة والواو للالصاق كما
قيل وتحقيقه في كتب العربية والظاهر ان المراد بالعلم مطلقه لا الحديث وكان قتادة يستحب
ان لا يقرأ احاديث النبي صلى الله عليه وسلم الا على وضوء اي متوضيا تعظيما لحديثه صلى الله عليه
وسلم ولا يحدث بتشديد الدال اي ينقل الحديث ويجوز بناؤه للمفعول اي يسمع من غيره حديثا
الا على طهارة قيل المراد انه يغتسل بقرينة ما قبله وكان الاعمش سليمان بن مهران كما تقدم
اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء جملة معترضة او حالية تيمم ان لم يحضر عنده الما بسرعة
لشدة اعتنائه بتعظيم الحديث وللمحدث اداب اخر ذكرها المحدثون كافتتاح اول مجلسه
وختمه بالحمد لله والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وان لا يقوم من مجلسه
لاحد من الناس فصل ومن توقيره صلى الله عليه وسلم اي تعظيمه وتبجيله وبره
اي صلته ورعاية جنابه وللبر معان اخر غير مرادة هنا والجار والمجرور خبر مقدم لقوله بر آله
تقوم ان في آله خلافا فقيل انهم ذووا القربى ومن تحرم عليهم الصدقة وهم المومنون
من بني هاشم وبني المطلب دون غيرهم كما بينه الفقها وان اصله اول وقيل اهل وبرهم الاحسان
اليهم ومعاونتهم ومودتهم ورعايتهم وذريته الذرية النسل من الاولاد واولادهم وهو بضم
الذال وكسرها وفي اشتقاقه خلاف فقيل من الذر وهو صغار النمل اعتبارا باول احوالهم وقيل
من ذرا بالهمز بمعنى خلق والتزام ابدالها يا بعد النقل وامهات المومنين هن بقوله ازواجه صلى الله
عليه وسلم ورضي عنهن جمع زوج لاطلاقه على الذكر والانثى او زوجة على لغة فيه والاطلاق
عليهن لحرمة نكاحهن بعده واختلف في وجهه هل هو لتكريمه صلى الله عليه وسلم
او انه جعل لذا وجبت النفقة عليهن لحرمة نكاحهن بعده وهل هن امهات للمومنات ايضا
فقيل لا والاحرم نكاحهن عليه وقيل نعم لوجوب اكرامهن لهن وهو تشبيه بليغ لا يراعى
فيه جميع وجوه الشبه واسما ازواجه صلى الله عليه وسلم مشهورة في السير قدمناها
ايضا كما حض اي حث وحرض بطلبه من كل احد عليه اي على بر من ذكر عليه الصلاة والسلام
بما روي عنه من الاحاديث وسياتي بعضها وسلكه السلف الصالح من الصحابة والتابعين

ومن بعدهم

ومن بعدهم من العلماء العاملين والمقتدين بسلك طريقه او شبهه بهم بطريق مسلوك فهو
استعارة مكنية تخييلية ثم ايده بدليل من القران فقال قال تعالى انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اصل معناه القذر الحسي ثم استعير للاثم والذنب وهو المراد اهل البيت
نصب على الندا او المدح والاختصاص ويطهركم تطهيرا ترشيح لاستعارة الرجس
للذنب واستشهاده بهذه الاية بناء على ان اهل بيته ذريته وازواجه كما اختاره ابن عطية
في تفسيره وهو احد الاقوال فيه وقيل هم اهل الكسا الاتي بيانهم علي وفاطمة وابناهما
لما روي في الحديث انه خرج عليه الصلاة والسلام غداة وعليه مرط مرحل فادخلهم
فيه ثم تلا الاية وقيل المراد زوجاته وتذكير الضمير يأباه ووجه الاستشهاد ان من طهره
الله من الاثام لحبه الله ورسوله ومن احباه يلزمنا محبته وبره وصلته وقال تعالى
وازواجه امهاتهم ان كانت شاهد التسمية بهن امهات فهو ظاهر وان كان للزوم برهن
وتكريمهن فلان حق الوالدة على الولد ولزوم برها امر معلوم مركوز في الطباع لان وجه التشبيه
وجوب احترامهن وبرهن والحصر يقتضي ان اكرامهن احق من الامهات الحقيقية ثم اسند المص
حديثا صحيحا شاهدا لما قدمه رواه من طريقه عن مشايخه مع انه في غيره من السنن كمسلم
والنسائي بسنده على ما هنا واعتذر له بانه تنويع لما فيه من الفايدة الزايدة ولانه
اسلم من التسليم فقال اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد التميمي العدل من كتابه وكتبت
من فعله اشارة الى ضبطه فيما رواه عنه والمراد باصله نسخته التي قرا منها قال حدثنا
ابو الحسن المقري الفرغاني بفا وغين معجمة نسبة لفرغانة اسم بلدة قال حدثتنا ام القاسم بنت
الشيخ ابي بكر الخفاف قالت حدثني ابي قال حدثنا حاتم هو ابن عقيل قال حدثنا يحيى هو ابن اسماعيل
قال حدثنا يحيى هو الحماني قال حدثنا وكيع هو وكيع بن الجراح بن فليح بن عدي الرواسي احد الاعلام
المشهورين توفي سنة سبع وتسعين ومائة اخرج له الائمة الستة عن ابيه الجراح عن سعيد
بن مسروق الثوري الثقة توفي سنة ست وعشرين ومائة واخرج له الستة عن يزيد بن حيان
بفتح الحا المهملة ومثناة تحتية وهو التيمي الثقة عن زيد بن ارقم رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انشدكم الله اي اسالكم الله واقسم عليكم به يقال انشدك الله وبالله
اي اذكرك به ثم استعمل في القسم وصار حقيقة فيه فليس السوال مرادا هنا بل المراد حقيقته
وتقدم فيه كلام واهل بيتي معطوف على الله اي واذكركم اهل بيتي فلا تنسوا حقوقهم ورعا
يتهم فان رعايتهم رعاية لي وقيل انه منصوب بنزع الخافض اي في اهل بيتي كما روي في هذا
الحديث ولا وجه له فانه تعسف من غير داع له ومثله قول المحشي ومن تبعه هنا لعله في اهل بيتي
ثلاثا كرره للاهتمام به والتشديد في رعايتهم قلنا لزيد بن ارقم راوي الحديث لما ذكر وما في بعض
النسخ ليزيد من غلط الكاتب من اهل بيته اي من المراد بهم في هذا الحديث قال قال علي بن ابي
طالب هم اولاده واهل بيته من اقاربه الادنون وال جعفر وال عقيل وال العباس وهم من حرم
عليهم الصدقة من اقاربه كما تقدم وهذا كما رواه مسلم في فضايل ال البيت في خطبة خطبها

صلى الله عليه وسلم وهو راجع من حجة الوداع في اخر عمره قال فيها اما بعد ايها الناس انما
انا بشر مثلكم يوشك ان ياتيني رسول ربي فاجيبه واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله فيه الهدى
والنور فتمسكوا به واهل بيتي وفيه ماذكره المص من تفسيره لاهل بيته بما ذكروهو الذي فهم
عنه صلى الله عليه وسلم هنا لانه علم بالوحي مايكون بعده في امر الخلافة والفتن فلذا خصهم
وحض على رعايتهم كما اقتضاه المقام وما قيل من ان جوابه هنا خاص باقاربه وهو احد الاقوال
ويعارضه الاية الدالة على دخول ازواجه صلى الله عليه وسلم واهل بيته كما تقدم لا وجه له
لما عرفته من وجه تخصيصه هنا وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي عن زيد بن
ارقم وجابر وحسنه اني تارك فيكم اشارة الى قرب اجله صلى الله عليه وسلم وانه وصية لامته
ما ان اخذتم به اي تمسكتم وعملتم به واتبعتموه وما موصوفة وان شرطية والجملة صفة او
موصولة وصلته لن تضلوا بمخالفة الشريعة والطريق المستقيم كتاب الله بدل مما مفسر له
وعترتي بمثناة فوقيه ومعناه اهل بيتي السابق بيانهم ووجه تخصيصهم هنا وروي لم تضلوا
وما قيل ان قوله اخذتم به هنا يدل على ارادة المجتهدين منهم فلا يبعد دخول الصحابة المتصفين
بهذه الصفة كما دلت الاية على دخول ازواجه صلى الله عليه وسلم غير مناسب لسياق الحديث
والمراد منه فانظروني كيف تخلفوني فيهما اي بعد وفاتي انظروا في عملكم بكتاب الله واتباعكم
لاهل بيتي ورعايتهم وبرهم بعدي فان مايسرهم يسرني وما يسوؤهم يسوؤني وقال عليه الصلاة
والسلام في حديث لم يخرجه معرفة ال محمد براءة من النار اي معرفة مقدارهم وحرمتهم ورعاية
مايجب من حقوقهم فان محبتهم لاجله صلى الله عليه وسلم تدل على خلوص محبته له وذلك
مرتبة مستوجبة لذلك تفضلا من الله وكرامة لرسوله صلى الله عليه وسلم وحب ال محمد
جواز على الصراط اي مرور عليه بسرعة جوازا موصلا للجنان فان المرء مع من احب ومن فسر الجواز
بالجايزة بمعنى العطية فقد تعسف تعسفا غريبا والولاية بفتح الواو ويجوز كسرها لانها ترد
بمعناها وان اشتهرت في الملك والحكومة اي الموالاة بالنصرة والمودة لال محمد امان من العذاب
وقال بعض العلما معرفتهم اي معرفة الال المذكورة هي معرفة مكانهم منه صلى الله عليه وسلم
والمراد بالمكان المنزلة المعنوية وهي قرب نسبهم ورتبتهم منه صلى الله عليه وسلم ولذا علق به
قوله منه واذا عرفهم بذلك اي بسبب علو رتبتهم لقربهم منه عرف وجوب حقهم وحرمتهم اي
احترامهم واكرامهم بسببه صلى الله عليه وسلم لا لغرض اخر وقد دعا النبي صلى الله عليه
وسلم ومن اراد تفصيل هذا فالينظر كتاب السيد السمهودي الذي صنفه في فضايل ال البيت [هذا]
فانه جمع فاوعى جزاه الله خيرا وعن عمر بن ابي سلمة في حديث رواه الترمذي وابن ابي سلمة هو
الصحابي المخزومي وبيته صلى الله عليه وسلم وابن اخيه من الرضاع وترجمته مشهورة لما نزلت
اية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية وقد قدمنا تفسيرها فكفينا مؤنته هنا
وذلك اي نزولها كان في بيت ام سلمة ام المومنين رضي الله تعالى عنها دعا جواب لما اي طلب صلى الله
عليه وسلم ونادى فاطمة الزهرا رضي الله تعالى عنها وحسنا وحسينا سبطاه وريحاناه

رضي الله

رضي الله تعالى عنهما فجللهم اي غشاهم وغطاهم ومنه الجل للفرس بكسا وهو مرط من شعر كما ورد
في رواية اخرى وعلي كرم الله وجهه خلف ظهره صلى الله عليه وسلم داخل الكسا ايضا وانما جعله
خلف ظهره ليفرق بينه وبين زوجته وقت الدعا ثم قال اللهم هولاء اهل بيتي ليس المراد الحصر وهو
مراد لارادته اقرب الناس اليه نسبا فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا اي جنبهم الاثام والمعاصي
ومايشينهم ولذا سموا اهل الكسا وادخالهم في الكسا اشارة الى قربهم منه صلى الله عليه وسلم
وان الله سترهم كما سترهم الكسا وانه صانهم واحرزهم ثما ولابد لك كما حول صلى الله عليه وسلم
رداه في الاستسقا اشارة الى تبدل الحال وتغيرها عما هي فيه وذلك سبب الدعا واعاد عالهم
بما ذكر بعد ماذكر الله تعالى انه اراد ذلك لهم وارادته تعالى لا تتخلف عن مراده اما تاكيدا او تنويها
بقدرهم ليعلم الناس به او المراد دوام ذلك وثباته وزيادته وعن سعد بن ابي وقاص في حديث
رواه مسلم في صحيحه لما نزلت اية المباهلة تقدم ان المباهلة مفاعلة من البهلة وهي اللعنة اي
الملاعنة وهي ان يقول كل من المتخاصمين في المجادلة لعنة الله على الظالم منا والاية هي قوله
فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم الى اخرها وذلك لما وفد
عليه صلى الله عليه وسلم نصارى نجران ودعاهم للاسلام فلم يسلموا وادعوا حقية
دينهم وانه لم ينسخ وقصتهم مفصلة في كتب التفسير والسير دعا النبي صلى الله عليه وسلم
جواب لما اي احضر عنده عليا وحسنا وحسينا وفاطمة رضي الله تعالى عنهم لانهم كانوا في المباهلة
يحضرون اولادهم واهلهم ويدعون بوقوع العقاب على الكاذب واهله جميعا ولذا لما قال
صلى الله عليه وسلم اللهم هولاء اهلي واقربائي فامتنعوا من المباهلة لعلمهم بانه صلى الله
عليه وسلم نبي وانه ما باهل نبي قوما الا اهلكهم الله تعالى ورضوا بالجزية وقال صلى الله عليه
وسلم لو باهلوا مسخوا قردة وخنازير واشتعل عليهم الوادي نارا وحكم المباهلة باق الى الان
وقد فعله ابن عبد السلام فلم يمض الحول حتى هلك من باهله وقال صلى الله عليه وسلم
في حديث تقدم في علي بن ابي طالب اي في حقه وشانه وسبب قوله هذا ان اسامة قال لعلي لست مولاي
انما مولاي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هذا في سفره وهو عند غدير خم وقد خطب الناس
فقال من كنت مولاه اي ولي عليه ولاية حكم والمولى له معان منها السيد وهو المراد والمعتق والمنعم
والمعاهد والصهر الى غير ذلك من المعاني وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه المراد ولاء الاسلام وقوله
فعلي مولاه اي سيده وناصره واستدل به على الولا بعض الفقها وغيرهم بقول المراد بره وصلته
وهو الموافق لسياق المص واستدل به بعض الشيعة على تقدم علي كرم الله وجهه على غيره
في الخلافة ولا دليل لهم فيه لما عرفته من معاني المولى وانما المراد من اجنبي حبه لقوله اللهم
وال من والاه وعاد من عاداه اي من كرهه غضب الله عليه وانتقم منه فالمعاداة من الله مجازا
ومشاكلة وقال فيه اي في حق علي كرم الله وجهه كما في مسلم لا يحبك الا مومن ولا يبغضك
الا منافق لان من احب اصحابه واقرباءه لمحبته فهو مومن ومن كان بخلاف ذلك ففي قلبه كفر
مضمر وان اظهر اسلامه كالخوارج والمقصود ذمه وتهديده والمبالغة في النهي عنه ولكون

ظاهر الاسلام وارتكب ما لا يليق باهل الاسلام سماه منافقا مجازا ومثله في الخطابيات كثير
وقال صلى الله عليه وسلم للعباس بن عبد المطلب عمه في حديث صحيح رواه الترمذي وابن ماجه
والذي نفسي اي روحي وما به حياتي بيده اي في قبضة تصرفه لانه المحيي والمميت وهو قسم للتاكيد
والتحقيق لا يدخل قلب رجل الايمان اي لا يؤمن ويصير مؤمنا كاملا ففي الدخول استعارة ظاهرة
حتى يحبكم يعني آل محمد صلى الله عليه وسلم واقرباه فجعل من راه وعرفه كمن فهم كلهم لله ورسوله
اي محبة خالصة من الاغراض الدنيوية والريا فانما هي لمحبة الله ورسوله ورضاهما ومن اذى عمي
بشيء يؤذيه فقد اذاني لانه ما يؤذي ابني يؤذيني وانما عم الرجل صنو ابيه الصنو بكسر الصاد المهملة
وضمها وهو هنا بمعنى المثل اي في المعنى ابوه والرجل نظير لابيه ويؤذيه ما يؤذيه واصل معناه نخلتان فاكثر
تخرج من اصل واحد فاستعير للاخ ولما ذكر اي كانه ابي يجب علي بره وكذا على غيري وروي العباس
صنوي اي مثلي في النسب في سبب قوله صلى الله عليه وسلم هذا ان العباس دخل عليه مغضبا
فقال له ما اغضبك قال يا رسول الله ما لنا ولقريش اذا تلاقوا فيما بينهم تلاقوا بوجوه مسفرة واذا لقونا
لقونا بغير ذلك فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمر وجهه ثم قال ما ذكره المصنف وقال
صلى الله عليه وسلم للعباس ايضا في حديث رواه البيهقي اغد علي يا عم اي ايتني يقال غدا عليه اذا
اتى واصل معناه المجي في وقت الغداة فاستعمل في مطلق المجي مع ولدك اي مع اولادك وكان له
رضي الله تعالى عنه اذ ذاك عدة اولاد عشرة ذكورا الفضل وعبد الله وقثم وعبيد الله ومعبد وعبد
الرحمن وغيرهم من الذكور والاناث واشهرهم عبد الله وهو البحر وترجمان القران وابو الخلفا فجمعهم
اي جمع العباس رضي الله تعالى عنه اولاده عند رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضمهم اليه وقال ابن الجوزي في الوفا ان الذين جمعهم من اولاده سبعة وجللهم
اي غطاهم وسترهم والبسهم بملائة بضم الميم ولام وهمزة ممدودة وهو ردا او ملحفة وقد يخص بما يكون
من ثوبين وقال صلى الله عليه وسلم بعد ما ضمهم كما فعل مع علي واهله فيما تقدم هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء
اهل بيتي اي اقربائي فاسترهم من النار كستري اياهم اشارة الى وجه ادخالهم في ملاءته كما تقدم فامنت
بتشديد الميم اي قالت بعد قوله صلى الله عليه وسلم ودعائه هذا اسكفة الباب بضم الهمزة وسكون
السين المهملة وضم الكاف وتشديد الفا بزنة طرطبه ويقال اسكوفة فابدل احد حرفي التضعيف
واوا وتخفف فاؤه ايضا وفسر بالعتبة التي في اسفل الباب وتطلق على ما يقابلها من اعلاه ايضا
وحوايطه جمع حايط وهو معروف امين امين بالمد ويقصر ويشدد وهو اسم فعل معناه استجب
وفيه كلام ليس هذا محله وهو مفعول امنت لانه تضمن معنى قالت او مقدر قبله وفيه معجزة له
صلى الله عليه وسلم بنطق الجماد له كرامة لاهل البيت وكان صلى الله عليه وسلم كما في حديث
رواه البخاري ياخذ بيد اسامة بن زيد والحسن اي يمسكهما بيده وليسقط لفظ بيد من بعض
النسخ فالمعنى يضمهما اليه ويقول داعيا لهما اللهم اني احبهما فاحبهما بالادغام ويجوز
فكه فيقال احببهما والامر الدعا ودعا بذلك لعلمه بان من احبه رسول الله صلى الله عليه
وسلم يحبه الله وعكسه والقول بان احبهما مشاكلة لا وجه له لان محبة الله لعبده

مجاز باعتبار غايته ورد كثيرا من غير مشاكلة واسامة بن زيد هو ابن حارثة مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحبه وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه ارقبوا محمدا ارقب وراقب من المراقبة
وهي ادامة النظر في مقابلة شي ثم اريد به لازمه وهو الحفظ فالمراد احفظوا محمدا اي حقه عليكم
في اهل بيته اي في رعايتهم واكرامهم وبرهم فان رعاية حقه تتحقق بذلك بعد موته وقال ابو بكر رضي الله
تعالى عنه ايضا اي كما قاله المذكور فيما رواه الشيخان والله الذي نفسي اي روحي وحياتي بيده بقبضة
تصرفه لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي مصدر صار اسم جمع لقريب النسب احب الي ان اصل
اي صلتهم بدل اشتمال من قرابة من قرابتي فيها مضاف مقدر اي من صلة قرابتي قال النبي صلى الله عليه وسلم
هذا لما ارسلت اليه فاطمة الزهرا رضي الله تعالى عنها تطلب ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم
من فدك وغيرها وقال له الامام علي كرم الله وجهه ورضي عنه قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلتهم لازمة فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لا نورث ليس لال محمد ان يزيدوا
على الماكل لا اغير شيئا كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم في
حديث رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه احب الله من احب حسنا دعا او خبر وفي حسين حسن وبعضه
قبيح وروي حسينا وقال صلى الله عليه وسلم في حديث تقدم من احبني واحب هذين واشار الى الحسن
وحسين واباهما عليا رضي الله تعالى عنهم معطوف على هذين وامهما فاطمة الزهرا رضي الله تعالى عنها
كان معي في درجتي بدل من معي اي في منزلتي ورتبتي في الجنة يوم القيامة ان كان على ظاهره وانه معه
في المحشر فهو كناية عن سلامته من هوله فان اريد بالاخرة مطلقا فالمراد قربه منه لانه لا يساويه صلى الله
عليه وسلم في درجته احد كقوله المرء مع من احب وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
الترمذي وحسنه من اهان قريشا اهانه الله لانهم اكرم الناس في الجاهلية فكانوا سادة العرب لهم
الرياسة والرفادة وفي الاسلام لان الامامة بحق لهم وقريش مصغر تصغير تعظيم لقب النضر بن
كنانة ونسله من التقرش وهو التجارة والاكتساب والتجمع لاجتماعهم في الحرم وهو من توافق اللغات
وقيل سموا باسم دابة عظيمة في البحر لا تطاق كما قيل وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البزار عن علي وابن ابي شيبة عن سهل قدموا قريشا
في كل امر من الامور لا سيما الامارة والخلافة واقتدوا بامارتهم ولا تقدموها نهي عن تاخيرهم والتقدم
عليهم مؤكد للامر قبله وهو بفتح المثناة والدال المهملة المشددة واصله تتقدموا بتاءين
حذفت احداهما تخفيفا وقال صلى الله عليه وسلم لام سلمة في حديث رواه البخاري لا تؤذيني
في عايشة رضي الله تعالى عنها وسببه انه قيل لام سلمة ام المؤمنين رضي الله عنها ان الناس يتحرون
بهداياهم يوم عايشة فقولي له صلى الله عليه وسلم يامر الناس بان يهدوا اليه حيث كان وحيث
يرى فذكرت ذلك له صلى الله عليه وسلم مرتين وهو يعرض عنها فلما كان في الثالثة قال لها يا ام
سلمة لا تؤذيني في عايشة فانه ما نزل علي الوحي وانا في لحاف امراة منكن غيرها فبين صلى الله عليه وسلم
لها محبته لها وتقدمها عنده وان الناس لذلك خصوا يومها بالهدايا واستدل بهذا على تفضيل
عايشة رضي الله تعالى عنها على ساير امهات المؤمنين حتى خديجة وقال السبكي الذي ندين الله

ان فاطمة افضل ثم خديجة ثم عايشة والحديث مخصوص بمن كان موجودا حال الخطاب بقرله منكن وقال ابن تيمية الراى فى هذا التوقف لتقابل احاديث التفضيل وتكافؤها ولخصاص نزول الوحى بلجا فيها وجه بانها كانت تبالغ فى التنظف والتعطر والعبادة مع شدة حبها وشوقها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظها لاوامره ونواهيه حتى غلبت صفاته صفاتها فصارت معه كشى واحد رضى الله تعالى عنها وعن عقبة بن الحارث فى حديث رواه البخارى عنه رايت ابا بكر رضى الله تعالى عنه وقد جعل الحسن على عنقه اى حمله على عاتقه المجاور لعنقه ففيه تجوز وهو يقول الجملتان حاليتان اى جاملا وقايلا شعرا من مجزو الكامل لا رجز وقيل انه منه وهو مخزوم بابى شبيه بالنبى اى يفدى بابى من اشتد شبهه برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كانه عن شدة المحبة وتقدم الرتبة عنده ليس شبيها بعلى اى ليس شبيها بابيه رضى الله عنه شبها تاما وانما تمام شبهه بجده صلى الله عليه وسلم والبا متعلقة بافدى فليست قسمية وقيل انها قسمية وقد ورد النهى عنه بحديث لا تحلفوا باباءكم واجيب بانه قبل النهى وهو بعيد والظاهر ان النهى عن القسم الحقيقى لا عما ورد للتعظيم والاستعطاف وهذا كله فى غير الله ورسوله فان لهما ان يقسما بما ارادا ويقال لتابى وبابا وبابا الرجل اذا قال بابى وعلى يضحك من فعل ابى بكر رضى الله تعالى عنهما وقوله هذا تعجبا منه وسرورا وفرحا بذلك وتعجبا من ان الظاهر ان كل احد يشابه اباه ومن يشابه ابه فما ظلم ولكنه جذبه عرقه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولذا سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنا له وجعل نسبه منه وهى خاصية لحكم ربانية وقد روى ان فاطمة رضى الله تعالى عنها كانت ترقص الحسن وهو طفل وتقول بابى شبيه بالنبى الخ فيحتمل التوارد او ان ابا بكر تمثل به بعد ما سمعه ووقع فى البخارى ليس شبيه بعلى بالرفع فقال ابن مالك ليس حرف عطف كما ذهب اليه الكوفيون وغيرهم يقول هو اسمها والخبر محذوف اى ليس الشبيه غيره وقد يأول بغير ذلك وهذا ينافى ما فى الشمايل لم ار قبله ولا بعده مثله لان المنفى المماثلة من جميع الوجوه والمثبت من بعضها وقيل المثل اخص من الشبيه ولا ينتفى الاعم بانتفا الاخص والذين شبهوا برسول الله صلى الله عليه وسلم نحو البضع الحسن والحسين وقيل الحسن كان اعلاه اشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم والحسين اسفله وجعفر بن ابى طالب وقثم ابن العباس والسايب بن يزيد احد اجداد الشافعى وابو سفيان بن الحارث وكابس بن ربيعة الاتى فى كلام المص مع ضبطه وعبد الله بن عامر بن كريز بضم الكاف ومسلم بن معتب وعبد الرحمن بن عبد الله ابن محمد بن عقيل بن ابى طالب وابنه القاسم رضى الله تعالى عنهم ونظم بعضهم ابن سيد الناس رحمه الله تعالى فقال بخمسة شبه المختار من مضر يا حسن ما خولوا من شبهه الحسن بجعفر وابن عم المصطفى قثم وسايب وابى سفيان والحسن وقال ابو محمد الاهدى وزاد اثنين وقيل انه للعسقلانى رحمه الله تعالى وسبعة شبهوا بالمصطفى فسما لهم بذلك قدر قد زكى ونما سبطا النبى ابو سفيان سايبهم وجعفر وابنه ذو الجود مع قثما وقال ابن حجر رحمه الله تعالى وزاد ثامنا قد اشبه المصطفى الهادى ثمانية من صحبه فعلا فى الناس قدرهم سبطاه وابن كريز وابن حارثهم وجعفر وابنه مع سايب قثم

دون

دون زاد عليه ابن سيد الحسن فقال قد اشبه المصطفى المختار من مضر جماعة عدهم يربو على عشرة سبطان وابن كريز وابن حارثهم وجعفر وابنه هم سارة الخيرة وقد زيد على هذا كثير بلغوا العشرين فى بعضها كلام وطعن ونظموها نظما متكلفا ولذا لم اتعرض له فتابعهم ابن الشحنة فى نظم له خمسة عشر زاد ابن عقيل الثانى وزيد عبد الله بن الحارث الملقب ببة وقد مات فى حياته صلى الله عليه وسلم وزيد عليه عثمان بن عفان لانه صلى الله عليه وسلم قال انه اشبه الناس بابيه ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام والنبى صلى الله عليه وسلم كان يشبه الخليل ايضا وشبيه الشبيه شبيه وعد ابن سعد منهم على بن بجاد بن رفاعة ولو ذكر كل من قيل انه يشبهه صلى الله عليه وسلم لبلغ عددا كثيرا فانه ذكر منهم عبد الله بن محمد بن عقيل وابراهيم وعبد الله بن الحسن بن الحسين بن على ويحيى بن القاسم بن جعفر العلوى ومنهم كما قيل المهدى الذى يخرج اخر الزمان والظاهر منهم انهم تشبهوا فى وجه الشبه فى الخلق والخلق فان الشبه التام لم يتيسر لاحد كيف وقد اعطى صلى الله عليه وسلم الحسن كله واعطى يوسف عليه الصلاة والسلام شطره فهو كما قيل انما مثلوا صفاتك للناس كما مثل النجوم الما وقد روى ان عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن ابى طالب وهو من ثقات ال البيت وفضلائهم وله ترجمة ولخرج له اصحاب السنن قال اتيت عمر بن عبد العزيز فى حاجة فقال لى اذا كانت لك حاجة فارسل الى واكتب لى كتابا تعلمنى فيه بحاجتك فانى استحى من الله ان يراك واقفا على بابى كما هو المعتاد لمن اتى باب عظيم ان يقف حتى يؤذن له وهذا تعظيم منه لال البيت لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم واله وعن الشعبى عامر بن شرحبيل كما تقدم وهذا رواه الحاكم والبيهقى وصححه قال صلى زيد بن ثابت بن قيس بن شماس الانصارى الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه وقال البرهان الحلبى زيد بن ثابت الكلبى على جنازة امه اى ام زيد والجنازة بفتح الجيم وكسرها الميت او التابوت وامه هى النوار بنت مالك بن معاوية بن عدى ابن عامر الانصارية ثم قرب له بغلته ليركبها فلما ركبها جاء ابن عباس رضى الله تعالى عنهما واخذ بركابه اى امسكه ليركب او مشى معه ماسكا ركابه فقال زيد لابن عباس خل عنه اى دع الركاب وتباعد عنه يا ابن عم رسول الله يعنى انه لا يليق مثله بال البيت لتعظيمهم وتكريمهم اللازم لكل احد فقال ابن عباس مجيبا له هكذا نفعل بالعلما اى مثل هذا التعظيم نعظم به علماءنا فقبل زيد يد ابن عباس تعظيما له وجزا لاكرامه فقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم وقول الصحابى امرنا كما بين فى مصطلح الحديث له حكم الرفع على كلام فيه ليس هذا محله والشاهد فيه تعظيم الرسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبتهم وراوى عبد الله ابن عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنهما احد العبادلة المشهور محمد بن اسامة بن زيد ابن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث فى صحيح البخارى فقال ليت هذا عندى بكسر العين وسكون النون او بفتحها والبا الموحدة الساكنة وروى بالوجهين والذى بحوه الاول وهكذا ضبطه الحافظ العراقى وتمنى ذلك ليعلمه ويؤدبه ولم يكن عرفه حين راه فقيل له هو محمد بن اسامة فطاطا راسه اى خفضها واطرق حيا لما عرفه ونقر بيده الارض وهو يتفكر فيما قاله

ندمًا عليه وقال ابن عمر لو راه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحبه كما كان يحب اباه اسامه وانما
فعل وقال ذلك تعظيما لموالي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الاوزاعي الامام
العابد الزاهد الحافظ صاحب المذهب الذي كان عليه اهل المغرب قبل اتباع مذهب
الامام مالك سكن الشام حتى مات وهو منسوب للاوزاع بطن من حمير او همدان او قرية
وقد تقدم دخلت بنت اسامة بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمها فاطمة
وكان من تسكن المزة بالشام كما ذكره ابن عبد البر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالجرصفة اسامه او زيد فان كلا منهما صحابي مشهور على عمر بن عبد العزيز وهو خليفة وقيل
انها دخلت عليه وهو امير بالمدينة قبل خلافته في خلافة الوليد ابن عبد الملك بن
مروان والصحيح الاول لان هذه القصة ذكرها ابن عساكر في تاريخه وان اسامة توفي
بقرية له بوادي القرى وخلف بنته فاطمة بالمزة فلم تزل بها الى ان ولي عمر بن عبد العزيز فاتت
ومعها مولى لها اي عبد يمسك بيدها لكبرها وضعف بصرها فلما راها عمر قام لها ومشى اليها
تكريما وتعظيما لها لكونها من نسل موالي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جعل يدها بين يديه
بان مسكها بدلا عن مولاها وتولى خدمتها ويداه في ثيابه اي مغشاة بكمه حتى لا يمس بدنه بدنه
اجنبية لتقواه ومشى بها حتى اجلسها على مجلسه اي على فراشه الذي كان جالسا عليه وجلس
بين يديها كما يفعله الصغير مع الكبير تادبا منه واكراما وتعظيما وما ترك لها حاجة ذكرتها
الا قضاها وانجزها وكان قد الهما ما جاءتك يا فاطمة قالت تحملني الى الحج فجهزها وحملها اليه
فانظر رحمك الله الى الخلفاء الراشدين لم تمنعهم الخلافة عن قضاء الحوائج للناس والتواضع
لهم ولما فرض عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في ديوانه الذي رتب فيه الوظائف للناس
وهذا مما رواه الترمذي وحسنه فلما عين من بيت المال لهم فرض لابنه عبد الله وظيفة في ثلاثة
الاف اي في الطبقة التي واحد منها ثلاثة الاف في السنة وفرض لاسامة ابن زيد في ثلاثة
الاف وخمسمائة فجعل وظيفته من بيت المال في رتبة اعلى من ابنه عبد الله قال الجواب لما عبد الله
ابيه لابيه عمر رضي الله تعالى عنهما لم فضلته علي بزيادة عطايه فوالله ما سبقني الى مشهد اي
محل شهده الناس من الجهاد وخدمة الدين التي ترتب الوظائف بعددها وبالتقدم فيها
فقال عمر له اي لابنه مجيبا له لان زيدا اباه احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيك
يعني نفسه فتقديمه انما هو لمحبته رسول الله صلى الله عليه وسلم لا لسبقه لك وهو امر
يقتضي التقديم وزيادة التكريم وهذا قيل انه تواضع منه لحرمته لموالي رسول الله
صلى الله عليه وسلم والا فهو احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحديث عمرو بن
العاص قلت يا رسول الله اي الناس احب اليك قال عائشة قلت من الرجال قال ابوها قلت
ثم من قال عمر ولك ان تقول الاجوبة تختلف فاسامة رضي الله تعالى عنه لحبيته لكونه
من خدمته المقربين له فلا ينافي كون عمر احب اليه من غيره لذلك الوجه فانه القريب منه على غيره
ثم ان ما ذكره من الفرض المذكور يخالفه ما في الاستيعاب بانه فرض لاسامة خمسة الاف

ولابنه

ولابنه ثلاثة الاف لكنه لا ينافي المقصود من القصة وهذا كله من الغنائم كما فصلوه فاثرت اي   194
اخترت وقدمت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي بضم الحاء فيهما اي محبته او بكسرها
بمعنى محبوبه على محبوبي وبلغ معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنهما فيما رواه ابن عساكر ان كابس بن
ربيعة ابن مالك بن لؤي الشامي البصري بسين مهملة من بني سامة بن لؤي وكابس بكاف وباء موحدة
بعد الف وسين مهملة وما قيل من انه بمثناة تحتية وانه صحح في نسخة العز في تلميذ المص
تصحيف من ناقله وقول القرطبي ان المحفوظ فيه عابس الصحيح خلافه يشبه برسول الله
صلى الله عليه وسلم بنوع من الشبه واين الثرى والثريا فلما دخل عليه من باب الدار الفا اليه
على مقدار اي وجه له من حضره فلما دخل باب داره قام عن سريره فمشى له وتلقاه وقبل بين عينيه
تكريما لمشابهته لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوجد في بعض النسخ وكان انس اذا راه
بكى لتذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم واقطعه المرغاب اسم ارض بمرو الشاهجان او قرية
بهراة كانت ذات غلة كثيرة يرغب فيها وهو بكسر الميم وغين معجمة والف وباء موحدة قبلها راء مهملة
والاقطاع ان يفوض اليه ارضا بتمليك ونحوه ويسوغه لمن هو اهل له وفي شرح احكام عبد الحق
انه اسم نهر بالبصرة وما في القاموس مما يقتضي ان ميمه مفتوحة مخالف لما نقله اهل اللغة كابي
عبيد في معجمه والظاهر انه لا وجه له وعبارته المرغاب ع ونهر بمرو الشاهجان وبلدة بهراة
وبالكسر سيف مالك بن حمار انتهى لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم اي كل ما فعله   وقوله م
معاوية رضي الله تعالى عنه من تعظيمه ع المشابهته له متعلق بما قبله جبهه والصورة ظاهر الوجه
وهيئة الانسان وصفته وصورة مضاف لما بعده مفعول او منصوب منون تمييز للنسبة
وروي ان مالكا هو ابن انس الامام المعروف لما ضربه الامير جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله
ابن عباس ونال منه ما نال من تجريده من ثيابه واهانته وسبه وكان سببه انه بلغه انه يقول
ان الايمان في بيعة الخلفاء ليست لازمة لان الناس يكرهون عليها فغضب لذلك ودعا محمل
منه ما الاخير فيه وحمل لمنزله مغشيا عليه من الضرب وانه مدت يده حين خلعت من كتفه
وجعفر كان واليا على المدينة من قبل عمه المنصور ودخل عليه الناس جواب لما فافاق من غشيته
فقال اشهدكم اني جعلت ضاربي اي الامر بضربي ومن باشره في حل بكسر الحاء يقال هو في حل من كذا
اذا ابرا ذمته من عهدته فسيل مالك بعد ذلك عن وجه ما قاله واسقاط حقه فقال اني خفت
ان اموت مما فعله بي والقى النبي صلى الله عليه وسلم في الدار الاخرة فاستحي منه لما يلحقني
من الخجل ومن فان يدخل بعض اله من اقاربه النار بسببي جزاء له على ما فعله لان حق العبد
لا يسقط الا برضاه فاذا لم يرض يعذبه الله عليه منه فلذا احب الله حذرا من ذلك ولذا جزم
بذلك واحتمال رضاء الله له وغيره امر مخالف للظاهر فلا وجه للاعتراض على جزمه بذلك كما
قيل ولله در الامام النووي رحمه الله تعالى في قوله من نال مني او علقت بذمته   ابراه الله
شاكر منته   والله ما طالبت عبدا بعده   ولين طلبت دجوة واسع جنته
اارى معوق مومن يوم الجزا   او ان اسوء محمدا في امته   وقيل ان المنصور الخليفة العباسي

المشهور اقاده من جعفر اى امر ان يقتص لمالك من جعفر فيضرب كما ضربه وسيأتى كلام
فى قصاص الضرب فقال اعوذ بالله والتجئ اليه فى الاعانة على عدم ما اريد وهو عبارة فى العرف
عن عدم الرضا والله ما ارتفع منها سوط عن جسمى فى حال الضرب الا وقد جعلته فى حل وبراءة
ذمته منه لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم تكريما له لتعظيمه ومحبته وقال ابو بكر بن
عياش بفتح العين المهملة وتشديد المثناة التحتية واخره شين معجمة بن سالم الاسدى المقرى احد الا
علام اختلف فيه فقيل شعبه وقيل اسمه كنيته وشهرته تغنى عن ذكره توفى سنة تسع وثلاثين ومائة
فى جمادى الاولى وعمره سته وتسعون سنة لو اتانى ابو بكر وعمر وعلى فى حاجة اقدر عليها لبدأت
بحاجته على قبلهما وقدمته عليهما وهما ما هما ايثارا له عليهما لقرابته وفى نسخة لقربه من رسول الله
صلى الله عليه وسلم لشدة قربه ومهارته فتقدمه ذاتى وعرضى وقربهما منه لا يمنعه ولان اخر
من السماء الى الارض هذا تمثيل لصعوبته حتى ان مخالفته عنده اشد عنده من انه يرفع الى
السماء ويرمى به منها الى الارض فتتقطع وتكسر جميع اعضايه ولخربجى اسقط احب الى
من اقدمه عليهما يعنى لولا قرابته منه صلى الله عليه وسلم ما قدمته عليهما مع علمى بافضليتهما
عليه وانما قدمه لما فيه من صلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ولاجل
عين الف عين تكرم ففى الكلام تقدير كما اشرنا اليه وقيل لابن عباس كما رواه ابو داود
والترمذى وحسنه ماتت فلانة كناية عن امرأة معينة كما بينه بقوله لبعض ازواج النبى صلى الله
عليه وسلم ولم يعينوها وقيل هى ميمونة وقيل زينب فسجد فقيل له اتسجد فى هذه الساعة اى
فى مثل هذه الساعة التى اخبرت فيها بهذه المصيبة والسجود انما يكون لشكر ونحوه فقال اليس
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رايتم اية فاسجدوا اى امرا عظيما فيه عبرة كالكسوف
والخسوف وجزم بعضهم بانها ميمونة خالة ابن عباس وهى اخر زوجاته صلى الله عليه وسلم
موتا وفى انقراضهن يخشى رفع الرحمة من الارض وغضب الله على اهلها وفى السجود والصلاة
تذلل يرفع غضب الرب ولذا استحب بعضهم الصلاة للخسوف والزلزلة واى اية اعظم
من ذهاب ازواج النبى صلى الله عليه وسلم وغلق بابه فانه امر عظيم يورث حزنا واسفا
وكان ابو بكر وعمر يزوران ام ايمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان النبى
صلى الله عليه وسلم يزورها فاقتديا به واحبا ما احب واسمها بركة بنت حفص بن
ثعلبة بن عمرو بن حفص بن مالك بن سليمان ابن عمرو بن النعمان كانت وصيفة لعبد الله بن عبد
المطلب تزوجها زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فولدت له اسامة وهاجرت
الهجرتين وكانت له اليه من ابيه وقيل كانت لامه وكان صلى الله عليه وسلم
يحبها ويحب زوجها وابنها ويقول هى امى بعد امى فلذا كان يزورها ويصلها وكانت
تحبه وتحضنه وامنت به صلى الله عليه وسلم قبل بعثته لان امه ذهبت به لاخواله
بنى النجار بالمدينة واقامت شهرا عندهم فكان اليهود يختلفون اليه وينظرونه فسمعتهم
ام ايمن يقولون هذا نبى هذه الامة فوقر ذلك فى قلبها فهى اول من امن به صلى الله عليه وسلم

ثم ر

ثم رجعت به فماتت امه بالابواء وقبرها هناك فحضنته ام ايمن ولما وردت حليمة السعدية
من بنى سعد وهى امه من الرضاعة وهذا الحديث رواه ابن سعد على النبى صلى الله عليه وسلم بعد
هجرته بسط لها رداءه لتجلس عليه اكراما لها لحق امومة الرضاع وقضى حاجتها التى سالته قضاها
فلما توفى صلى الله عليه وسلم وفدت اى جاءت وافدة وقادمة من محل بعيد على ابى بكر وعمر
فى خلافتهما لحاجة لها فصنعا بها مثل ذلك اى بسطا رداءهما واكرماها وقضيا حاجتها تأسيا به
صلى الله عليه وسلم ومحبة لمن احب واعترض عليه البرهان وقال ان التى قدمت عليه صلى الله
عليه وسلم انما هى بنت حليمة المسماة بالشيما وهى التى اسلمت لا حليمة كما ذكره الدمياطى وتبعه غيره لكن
رد عليه ذلك مغلطاى فى مؤلف له سماه التحفة الجسيمة فى اسلام حليمة والحاصل كما تقدم انهم
اختلفوا فى اسلامها وانها صحابية فانكره بعضهم وقال انه غلط من بنتها الشيما فانها اسلمت
وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب انها اتته صلى الله عليه وسلم يوم حنين فبسط لها رداءه وانه
روى عنها حديث ورد بانه لم يصح والتى اتته بنتها الشيما بنت الحارث كما مر واسمها حذافة واما هى
فاتته صلى الله عليه وسلم فى زمن خديجة فاعطتها اربعين شاة وجملا وانصرفت الى اهلها ولم يذكر
اسلامها الا ان ابن عبد البر اثبته وعدها فى الصحابة وقال هى التى اتته بحنين وروى عنها
عبد الله بن جعفر وذكر فى الوفا انها اسلمت هى وزوجها وكفى بهذا مستندا للمص رحمه الله تعالى
للمخطى والشاهد فيما ذكره المص فيه ان ابا بكر اكرمها وعظمها اقتداء به صلى الله عليه وسلم
ومحبته لمن احبه وهى فى حكم الابنية (?) لانها امه من الرضاعة وهى فى حكم القرابة وهذا مع ظهوره
لم يفهمه من قال معترضا على المص ان هذه القصة لا تدخل فى هذا الفصل لانه معقود لتوقير اله واصحابه
تكريما له وتعظيما وهذا انما هو من قبيل تعظيم النبى نفسه لغيره وهذه غفلة منه عجيبة
فصل ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره توقيره بتعظيمه وبره مصدر مضاف الى المفعول بمعنى
الاحسان والمراد به رعاية جانبه وصلته توقير اصحابه وبرهم اى تعظيمهم والاحسان اليهم
بمواساتهم ونصرتهم وكل ما يليق بهم قولا وفعلا فان من اكرم عظيما اكرم اتباعه والاصحاب جمع صحب
وتعريفه كما تقدم من راه صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على ذلك وتفصيله فى كتب الحديث
والاصلين ومعرفة حقهم اى ما يلزم لهم من تكريمهم وحسن معاملتهم وتنزيل كل منهم فى منزلته اللائقة به
وليس المراد مجرد المعرفة حتى يقال ينبغى ان يقول القيام بها لان ثمرة العلم العمل ولذا عطف عليه
قوله والاقتداء بهم اى اتباع اقوالهم وافعالهم فانهم على هدى ومنارات فى مشكاة الانوار النبوية فهم
خير الناس ومجموعهم افضل من مجموع من بعدهم واما كون كل فرد منهم افضل من كل فرد من غيرهم
فصرحوا بانه لا يلزم فقد يكون بعض التابعين افضل من بعض الصحابة واستدل بحديث امتى
كالمطر لا يدرى الخير فى اوله ام اخره والمشاحة فيه بانه باعتبار النفع لا الفضيلة غير مجدية
وبالجملة فكلهم عدول مطلقا صغيرهم وكبيرهم وحسن الثناء عليهم اذا ذكروا ومدحوا والاستغفار لهم
اى الدعاء لهم بالمغفرة والرحمة نحو رحمهم الله ورضى عنهم والامساك اى السكوت يقال امسك
عن ذكره اذا سكت وهو مجاز مرسل حقيقته منعه عما اى عن كل امر شجر بينهم اى وقع فيه خلاف ونزاع

ماخوذ من الشجر المختلف المتداخل اغصانه بعضها في بعض وفي الحديث اياكم وما شجر بين اصحابي
ومعاداة من عاداهم كالخوارج والرافضة والاضراب اي الترك والاعراض عن اخبار المورخين
التي نقلوها عنهم فانها تورث تنقيص بعضهم بما نقلوه وجهلة الرواة الذين رووا قصصا باطلة
تودي لسوء الظن بهم وضلال الشيعة بضم الضاد المعجمة وتشديد اللام جمع ضال والشيعة
كل فرقة تابعة لاحد ثم خصت بفرقة مخصوصة شايعوا عليا وبالغوا فيه قالوا ان الامامة
حقه وحق بنيه دون غيرهم وهو من اضافة الصفة لموصوفها اي الشيعة الضالة والصفة كاشفة
معرفة لا مقيدة حتى يتوهم ان من الشيعة فرقة غير ضالة او هي غير مفيدة للمعطوف والمعطوف
عليه اعني قوله والمبتدعين فان البدعة على اقسام كما تقدم والمراد ابتداع العقايد الفاسدة
كالخوارج وبعض المعتزلة القادحة صفة اخبار والقدح الذم والتنقيص بذكر ما يودي اليه
في احد منهم اي من الصحابة وان يلتمس اي يطلب لهم واصله ادراك ظاهر البشرة كاللمس فتجوز عن مطلق
الطلب لهم فيما نقل من مثل ذلك الامر المنقول عنهم عن الاخبار المروية فيما كان بينهم من الفتن كما وقع
بين علي ومعاوية رضي الله تعالى عنهما احسن التاويلات والمحامل لانها امور وقعت باجتهاد منهم
لا لاغراض نفسانية ومطامع دنيوية كما يظنه الجهلة ويخرج بضم اوله مجهول كقوله يلتمس المتقدم
ايضا اصوب المخارج بان يحمله على امر محمود ويأوله بما يخرجه عن غيره من المعايب الى الحاقه بالمحاسن
اذ هم اهل ذلك اي مستحقون بان يحمل ما صدر منهم على امر حسنه محموده ولا يذكر مبني للمجهول
احد منهم بسوء اي بامر قبيح ولا يغمص عليه امر بضم اليا التحتية وسكون الغين المعجمة وميم مفتوحة
وصاد مهملة مبني للمجهول اي لا يعاب ولا ينتقص في امر من اموره يقال غمصه اذا احتقره وتهاون به
وجوز فيه ايضا اعجام صاده من غمض جفنه اذا طبقه بعضه على بعض ثم استعير للتغافل والتساهل
قال تعالى الا ان تغمضوا فيه فالمعنى لا يحتقر والاول اولى رواية ودراية بل يذكر حسناتهم المروية عليهم
من عباداتهم وزهدهم وفضايلهم الكثيرة من علمهم وكرمهم وحلمهم وحميد سيرهم من انصافهم
وعدلهم واصابة رايهم وعلو همهم ويسكت بمجهول عما وراء ذلك اي عن غيره مما لا يليق بشرف مقامهم
كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الطبراني وابن ابي سامة عن ابن مسعود اذا ذكر اصحابي
بذكر احوالهم فامسكوا عن الطعن فيهم وذكرهم بما يوهم نقصا فيهم وقال تعالى محمد رسول الله والذين
معه اشداء على الكفار الى اخر الاية فتضمن خاتمة سورة الفتح الثنا عليهم كلهم وان الله وعدهم بمغفرة
واجر عظيم منه وانهم من ابتدا امرهم الى اخره نفع وخير كزرع تكامل شيئا فشيئا حتى تمت سنابله
وعم نفعه والاية وما فيها من التفاسير قد كفينا مونته هنا والذي يراد منها هنا ان من مدحه الله
وبالغ في مدحه في كتبه المنزلة على رسله لا يحتاج لمدح فكيف يقدح فيه قادح لكني اقول اعمى البصاير
بالتكحل لا يذهب وقال الله عز وجل في حقهم ايضا والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار
الاية وفي هذه الاية مدح عظيم ايضا لهم ووعد عظيم بما لهم في العقبى وهم على طبقات ثلاث الاولى
السابقون الاولون الذين صلوا للقبلتين وشهدوا بدرا والذين اسلموا قبل الهجرة الثانية السابقون
الاولون للبيعة وهم الانصار اصحاب العقبة الاولى والثانية والثالثة الذين اتبعوا هولا باحسان

وهم

وهم اللاحقون بالسابقين من اهل القبلتين وشمل هولا كلهم الثنا والوعد وقد قسموا اقساما
اخر ليس هذا محل تفصيله وقال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وهذه
قصة الحديبية وما وقع فيها مما تغني شهرته عن ذكره وقال تعالى من المؤمنين رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه الاية هذه الاية قدمنا انها نزلت في ناس من الصحابة منهم انس بن النضر
عم انس بن مالك كان لم يشهد بدرا وكبر عليه ذلك فقال ولو اشهدني رسول الله غبت عنه والله
لئن اراني الله مشهدا بعده ليرين الله ما اصنع فلما كانت وقعة احد من العام القابل قاتل فيها حتى
قتل ومنهم حمزة وسعد بن معاذ وطلحة بن عبيد الله كما تقدم حدثنا القاضي ابو علي هو ابن سكرة
كما تقدم حدثنا ابو الحسين تقدم ايضا وابو الفضل هو ابن خيرون قالا حدثنا ابو يعلى احمد بن عبد
الواحد البغدادي وقد تقدم حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب المعروف بالمحبوبي كما تقدم حدثنا
الترمذي الحافظ ابو عيسى صاحب السنن حدثنا الحسن بن الصباح هو البزار براء في اخره كما تقدم وهو
الحسن بن محمد بن الصباح ابو علي الزعفراني حدثنا سفيان بن عيينة تقدم ايضا عن زايدة بن قدامة
ابو الصلت الثقفي الكوفي الحافظ الثقة الحجة توفي غازيا بالروم سنة ثنتين واحدى وستين
ومائة واخرج له الستة عن عبد الملك بن عمير الكوفي التابعي روى عنه الستة توفي سنة ست
وثلاثين ومائة عن ربعي بكسر الرا المهملة وسكون الموحدة ابن حراش بكسر الحا المهملة وفتح الرا المهملة
واخره شين معجمة وما عداه خاش بخا معجمة وهو ابو مريم العبسي عن حذيفة بن اليماني باثبات اليا وهو
الافصح وتحذف وهو الاشهر وهو الصحابي المشهور رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حديث رواه الترمذي وابن ماجه اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر اراد بهم الخلفا الراشدين
مطلقا وخص منهم ابا بكر وعمر لزيادة فضلهما وتقدمهما على غيرهما وهذا الحديث اخرجه الحاكم
وابن حبان ايضا وفي طرقه اختلاف بزيادة ونحوها واوله قال حذيفة رضي الله عنه كنا جلوسا
عنده صلى الله عليه وسلم فقال اني لا ادري ما بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي واشار الى
ابي بكر وعمر واخرجه القضاعي بلفظ اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر فانهما حبل الله الممدود
من تمسك بهما فقد تمسك بعروة الله الوثقى لا انفصام لها والمراد الاقتدا بهما اذا قاساه في الخلافة
وهو دليل على خلافتهما وعلى ان قول الصحابي حجة مقدمة على القياس ومنهم من خصه بابي بكر
وعمر واستدل بهذا الحديث كما فصل في كتب الاصول وقال صلى الله عليه وسلم في حديث
اخر رواه الدارقطني وابن عبد البر في العلم من طرق اسانيدها كلها ضعيفة حتى قال ابن حزم انه
موضوع وقال الحافظ العراقي كان ينبغي للمصنف ان لا يورده بصيغة الجزم وما قيل من انه ليس
بوارد لان المصنف ساقه في فضل الصحابة وقد اتفقوا على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضايل
الاعمال فضلا عن فضايل الرجال لا وجه له لان قوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم
فيه العمل بما فعلوه وقالوه من الاحكام وليس هذا من قبيل الفضايل التي يجوز العمل فيها
بالضعيف فلو قال انه بمعنى الحديث الذي قبله وهو حديث صحيح يعمل به ولذا ساقه بعده
كالمتابعة له ولذا لجزم به كان اقوى واحسن مما قاله وقال ابن الرومي   قوم اذا دجت الخطوب فانما

اراؤهم في الحادثات نجوم منها مصابيح في الدجا ومعالم فيها الهدى والاخريات رجوم
وليس هذا مع ما قبله حديثا واحدا كما نبه عليه المص بقوله وقال فوجه التشبيه ما ذكر
مع العلو والشرف وعن انس بن مالك فيما رواه البزار وابو يعلى قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم مثل اصحابي زاد في المصابيح في امتي كمثل الملح في الطعام اي فيما يطبخ ويوكل مما يعتاد
صلاحه بالملح ووجه الشبه الاصلاح وان ضر كثير الملح واصلح قليله ولدفع توهم ضرر
كثرتهم قال لا يصلح الطعام بالبنا للفاعل ويجوز بناوه للمفعول ايضا الا به اي بوضعه فيه
وهذا الحديث رواه ابن ابي حاتم وغيره من طرق مختلفه وقال الحسن البصري قد ذهب ملحنا فكيف
نصلح واصلاحهم بارشادهم وهدايتهم وحثهم على الطاعات وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر
وخلافتهم وبيان الشريعه وامور الدين فعلينا باتباعهم واقتفا اثارهم ومن اشراط الساعة
فساد العلما كما قيل بالملح يصلح ما يرجى تغيره فكيف بالملح ان حلت به الغير قيل فيه دقيقة
وهي الاشارة الى الاعتدال وانهم امة وسط ولا يخفى بعده ولو قيل انه اشارة الى قلتهم وسرعة
انقراضهم كان اظهر فتامل وقال صلى الله عليه وسلم في حديث تقدم الله الله في اصحابي اي اتقوا الله
وكرره للحث والتاكيد وهو منصوب على التحذير بعامل يجب حذفه لقيام التكرير مقامه ولولاه
حسن اظهاره كما قاله ابن مالك وفي البسيط يجوز اظهاره وقال الجزولي انه يجوز مع قبحه لا تتخذوهم
غرضا بعدي الظرف متعلق بالفعل لا صفة غرضا والغرض الهدف الذي يرمى بالسهام والمعنى
لا تذموهم وتطعنوا فيهم باسناد امور قبيحة لهم فمن احبهم ومن اعراضهم فبحبي احبهم اي فانما احبهم
لاجل محبتي لهم فمحبتهم عين محبتي وبرهم بري ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني
ومن اذاني فقد اذى الله اذية الله عبارة عن فعل ما لا يرضاه اذ معناها الحقيقي لا يتصور في حقه
تعالى فهو مشاكلة ومن اذى الله يوشك بكسر الشين وقد تفتح بمعنى يقرب ويسرع ان ياخذه اي يهلكه
ويستاصله بعذابه ويوشك يجوز رفعه وجزمه لان من شرطية او موصولة ورواه في المصابيح
فيوشك بالفا والرفع بتقدير مبتدا او هو مستانف دليل على الجواب وقال صلى الله عليه وسلم
في حديث رواه مسلم وغيره لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا وفي بعض الروايات
من طريق ابي بكر بن عياش زيادة كل يوم احد اسم جبل معروف او لو بذل في سبيل الله مقدار وزنه
ذهبا ما بلغ اي ما وصل وساوى ثوابه ثواب مد احدهم ولا نصيفه الذي يتصدق به من تمرا
وشعيرا وقمح ونحوه ففيه من المبالغة ما لا يخفى والمد بضم الميم ربع صاع وهو اقل ما يتصدق به
عادة وهو رطل وثلث عراقي عند الشافعي ورطلان عند ابي حنيفة وروي مد بفتح الميم اي
مداه وغايته كذا لبصرو مداه والنصيف بفتح النون وكسر الصاد المهملة وياء رغيف وفيه
اربع لغات نصف بكسر النون وضمها وفتحها ونصيف بزيادة تحتية لغة في النصف كثمير بمعنى ثمن
وقيل النصيف مكيال دون المد اي على صدقتكم وانفاقكم لله لا يبلغ اجره وموقعه عند الله
اقل صدقتهم لسبقهم في الخير وخلوص نيتهم بدون ريا منهم وقد انفقوا رضي الله عنهم وهم
في فاقة وقلة ومن بعدهم انفق والدنيا واسعة دارة عليهم مع شدة الحاجة لما افتقروه

في اول

في اول ظهور الاسلام وفقال وعدا لدين مع بذلهم مع ما لهم اهلهم وارواحهم في سبيل الله كما قيل
رايت عبيد الله اكرم من مشى واكرم من فضل بن يحيى بن خالد اولئك جادوا والزمان مساعد
وقد جاد ذا والدهر غير مساعد ولمهيار جدت وقارا والزمان زهازلي وجاد عفوا
والزمان حامد والخطاب للموجودين من غير الصحابة ولمن يوجد بعدهم كما قيل والمراد باصحابه
هنا السابقون الاولون منهم كما قال تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك
اعظم درجة الاية فالاصحاب جماعة مخصوصون منهم واختلف في حكم من سبهم هل
هو كبيرة يعزر فاعله او كفر فيقتل وسياتي تفصيله لخر الكتاب وقال صلى الله عليه وسلم
فيما رواه الديلمي وابو نعيم في الحلية عن جابر من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين اللعنة بمعنى الابعاد والطرد والمراد بعده من رحمة الله وهذا تمسك من قال بكفره وقتله
ومثله كثير في احاديث التهديد والتخويف حتى لا يتجرا عليه احد من الناس لا يقبل الله منه اي
ممن سبهم صرفا ولا عدلا في تفسيرهما اقوال فقيل الصرف التوبة وقيل التصرف في الامور وقيل
وقيل الوزن وقيل الغنيمة وقيل المثل وقيل ما انصرف عنه وقيل الزيادة والعدل قيل الفرض
وقيل الفدية وقيل الكيل وقيل المثل وقيل الفضل قال النووي ومعنى الفدية انه لا يجد في
القيامة من يفديه فان بعض المومنين قد يفديه الله ببعض الكفار كما ورد في الحديث وقال
صلى الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابي فامسكوا اي اذا ذكروا بسوء وغيبة فاتركوا ذلك ولا تخوضوا
مع الخائضين فيهم وقد تقدم هذا وبيانه وقال صلى الله عليه وسلم في حديث جابر رضي الله عنه
الذي رواه البزار والديلمي عنه صلى الله عليه وسلم ان الله اختار اصحابي على جميع العالمين اي
فضلهم على الناس كلهم وجعلهم خيرة خلقه عدولا ثقات كلهم سوى الانبياء والمرسلين
فانهم افضل منهم واختار لي منهم اي من الصحابة فضلهم على غيرهم من الصحابة ابا بكر وعمر وعثمان
وعليا اربعة ثم فسر اختيارهم له بقوله فجعلهم خير اصحابي اي افضلهم وفي اصحابي كلهم خير
اي فضل وتقوى فكلهم علما عدول كما في حديث خير القرون قرني ثم ثم وهذا سبب ما حكاه
امام الحرمين رحمه الله تعالى من الاجماع على عدالتهم كلهم صغيرهم وكبيرهم فلا يجوز الانتقاد
عليهم بما صدر عن بعضهم مما ادى اليه اجتهاده لما اوجب القطع بانهم خير الناس بعد النبيين
والمرسلين ولما الفوه من الهجرة وترك الاهل والاوطان وبذل النفوس والاموال في نصرة الدين
وقتل الاباء والابنا والمناصحة في الدين وقوة الايمان واليقين وغير ذلك من المنح الالهية
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الطبراني في اوسطه بسند حسن من احب عمر
فقد احبني ومن ابغض عمر فقد ابغضني خصه بذلك لما كان فيه من الشدة على امور الدين التي
قد تورث حزازة في بعض النفوس القاصرة ولا يلزم منه تفضيله على ابي بكر رضي الله عنه وقد
جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بغضه نفاقا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم احبه
وقدمه وارتضاه فعدم ارتضائه يفضي الى عدم ارتضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قيل
عن المرء لا تسل وسل عن قرينه نكتة من خصايص ابي بكر وعمر رضي الله عنهما انهما جليساه

ومجيعاه في حياته ومماته صلى الله عليه وسلم وقد ورد في حديث ان كل احد يدفن في التربة التي خلق منها
وهو يدل على انهم خلقوا من طينة واحدة وليس بعد هذه المنقبة شرف اعظم منها وقال مالك بن انس
شيخ السنة وامام دار الهجرة وغيره من الايمة اشارة الى انه رحمه الله لم ينفرد بهذا الاستنباط
فانه سبقه له ابن عباس كما نقله ابن تيميه في كتاب رد الروافض من ابغض الصحابة وسبهم فليس له
في فيء المسلمين حق اي الفيء مما اخذ غنيمة من الكفار وهو رصد للمسلمين فعدم نصيبه منه عقوبة
له على ما فعله وفيه اشارة الى انه يخرج بذلك عن الاسلام ولذا حكم بعض المالكية بقتله ان لم يتب
كما سياتي والفيء هنا شامل للغنيمة فان كلا منهما يطلق على الاخر وان فرق بينهما الفقها واهل
اللغة وقد قال مشايخنا في هذا ونحوه كالمسكين والفقير اذا افترقا اجتمعا واذا اجتمعا افترقا
وهو معنى بديع سمعته من شيخنا النور الزيادي ونزع بنون وزاي معجمة وعين مهملة مبني للفاعل ويجوز
جعله مبنيا للمجهول ايضا فعلى الاول فاعله ضمير من ذكرا وضمير مالك وغيره وعلى الثاني نائب
فاعله قوله باية سورة الحشر وقيل ضمير من ابغضهم وفيه نظر وفسر نزع بمعنى استدل واستخرج
من الاية وسياتي في اخر الكتاب قال مالك من انتقص احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فليس له
في هذا الفيء حق قد قسم الله الفيء في ثلاثة اصناف فقال للفقرا المهاجرين الاية فمن نقصهم فلا حق له في [illegible]
وعطف سبهم على بغض عطف تفسيري لان البغض امر قلبي لا يطلع عليه وهذا اقوى امارته فلا يرد
عليه ان تعليق الحكم بهما يقتضي انه لا يكفي احدهما فيه وهو محل نظر كما قيل ومن فسر نزع ببعد
عن الايمان بشاهد حديث انشد الله في صحابي الخزم لم يصب واصل معنى النزع القلع والخروج فيتجوز به
عما ذكر فليس من النزوع عن الاوطان والتغرب كما توهمه هذا القايل والاية المذكورة هنا قوله تعالى
وما افا الله على رسوله الى قوله والذين جاوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين
سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك رءوف رحيم ووجه الاستدلال
بالاية انه جعل ما افا الله على رسوله حقا للفقراء المهاجرين والفقرا الذين تبوءو الدار والايمان
والفقرا الذين جاوا من بعدهم مهاجرين بعدما قوي الاسلام والتابعين لهم باحسان ممن امن
بعد المهاجرين والانصار الى اخر الزمان وجملة يقولون الى اخره حال اي قايلين ربنا اغفر لنا ولاخواننا
وهي حال مقيدة فجعل شرط استحقاقهم قولهم ذلك ومن سبهم لم يقل لاقتضايه محبتهم والشفقة
عليهم وانهم لا غل ولا بغض لهم فيهم حيث قالوا ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا وسيذكره المص
في اخر الكتاب ثم انه بين ان هذا يقتضي كفرهم والكفار لا حق لهم في الفيء فلذا قال وقال مالك بن انس
رحمه الله من غاظه بظاء مشالة وقيل وبالضاد ايضا وهي لغة فيه لا ابدال واختلف في الغيظ
والغضب هل هما بمعنى والمغيظ اشد الغضب او الكمين في النفس او الغضب للقادر والغيظ
للعاجز اي من اغتاظ ولحقه اذا ذكر اصحاب محمد عنده فهو كافر لان من ابغضهم فقد ابغضه
صلى الله عليه وسلم وبغضه كفر وهذا رواه الخطيب البغدادي عن عروة الزبيري قال
كنا عند مالك بن انس فذكر عنده رجل انتقص الصحابة فتلى قوله تعالى محمد رسول الله والذين
معه اشداء على الكفار الى اخره وقال من اصبح في قلبه غيظ على اصحاب محمد فقد اصابته هذه

الاية

الاية لانها صدرت بلام التعليل فهي اسا علة لما قبلها من تشبيههم بالزرع في النمو والاستحكام
ثم ذكر انه انما شبههم بذلك ليغيظهم قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار فالمومن لا يكون عنده غيظ
منهم او علة لقوله بعده وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم فانما وعدهم ليغيظ الكفار
بوعده لهم والحاصل انه لا يغيظ باصحابه مومنا من غيرهم فخرج غيظ بعضهم على بعض لما اداه
اليه اجتهاده وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا من كل امر يشينه وينقصه
عند الله الصدق بان يتحرى الصدق في جميع اقواله حتى يكون عند الله صديقا وحب محمد
صلى الله عليه وسلم كبيرهم وصغيرهم حتى يقدمهم على نفسه واهله وليس هذا من كلام ابن
المبارك بل هو حديث رواه ابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الصدق يهدي
الى البر وان البر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب
يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا
وقد روي من طريق اخر بمعناه وترتب النجاة على ما ذكر سيذكره من سر ان الله يطلع الله عليه
من شا من خلص عباده ومنهم ابن المبارك وناهيك به وقال ايوب السختياني التابعي المشهور
من احب ابا بكر فقد اقام الدين لان الدين استقام به في صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم
في اول البعثة وفي اول الهجرة وفي قيامه مقامه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته وقد تزلزل
الناس وارتد بعضهم وفاض النفاق وانفرج الخلاف بين القول والعمل وقد نزل بهم ما لو نزل
بالجبال لهاضها فحمل اعبا الخلافة حتى قر الدين وقام فاه ومن احب احدا كان معه وتخلق
باخلاقه ومن احب عمر فقد اوضح السبيل اي بين طريق الحق لمن اراد سلوك الطريق المستقيم
لانه بعده صلى الله عليه وسلم اظهر الدين وانتشر به الاقطار وقضى لاهله الاوطار
ففتح الفتوح حتى بلغ صيت الاسلام اقصى الارض كما في حديث الشيخين بينا انا نايم
رايتني على قليب عليها دلو فنزعت منها ما شا الله ثم اخذها ابن ابي قحافة فنزع بها ذنوبا او ذنوبين
وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم استحالت غربا اي دلوا كبيرا فاخذها ابن الخطاب فلم ار عبقريا
من الناس ينزع نزع عمر وفي رواية فلم ار عبقريا من الناس يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن وهو
تمثيل لطول مدة خلافته وكثرة فتوحاته في الاسلام ومن احب عثمان فقد استضا بنور الله
الذي اظهره الله فيه ولذا لقب بذي النورين لما فيه من الكرم والحلم والزهد والورع والصبر
على ما ابتلاه الله به حتى لقي الله وهو راض عنه وكان اشد الناس حيا ومن احب عليا فقد
اخذ بالعروة الوثقى اي تمسك بها لكونه عالما بعلم الحقيقة وقايما بالذب عن حوزة الدين
لا يلحقه في الله لومة لايم وهو باب مدينة العلم فمن احبه فهو مستمسك بالعروة الوثقى
اي بالحق والراي القويم الذي هو عروة لا انفصام وهو استعارة مصرحة من عروة الكلا
وهو ما له اصل ثابت واطراف لا تنفصل اذا سقطت الاوراق ومن احسن الثنا بمدح ناش
عن محبة خالصة فان الظاهر عنوان الباطن على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم تعميم
بعد التخصيص فقد برئ اي سلم وخلص من النفاق المراد به معناه العرفي وهو مخالفة

الظاهر للباطن مطلقا واصله اخفا الكفر واظهار الاسلام ويجوز ان يراد هذا والمراد بالثنا
ثنا من غير غلو كغلو الشيعة ومن انتقص اى نقص احدا منهم بذمه وذكر ما يشينه فهو مبتدع لمخالفته
السنة واتيانه ما نهى الله تعالى عنه ورسوله وفى نسخة ابغض ثم فسر بقوله لمخالف السنة اى الحديث
وطريقته صلى الله عليه وسلم فى جميع اقواله وافعاله والسلف الصالح من الصحابة والتابعين
ولخاف اى اظن واعلم ان لا يصعد له عمل من اعماله الصالحة اى لا يقبله الله تعالى منه ويثيبه
عليه ورفع الاعمال يعبر به عما ذكر وليس الخوف هنا بمعناه الحقيقى وهو ضد الامن لعدم مناسبته
هنا قال الراغب الخوف توقع مكروه عن امارة مظنونة او معلومة ومنه قوله ان خفتم شقاق بينهما
بعرفتم انتهى الى السماء لعدم تمسكه بالكتاب والسنة حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما من بغضهم
مقتديا بالسلف الصالح وفى حديث خالد بن سعيد بن العاص بن امية ابن عبد شمس الصحابى وهو
ثالث ورابع او خامس من اسلم وسبقتى غيره ويقال اسلم قبل الصديق ويقال اسلم قبل على وليس
فى الصحابة من اسمه خالد بن سعيد غيره ولم يرو عنه حديث فى الكتب الستة ولا فى مسند احمد
ولا فى مسند بقى بن مخلد وهذا الحديث رواه الطبرانى وابن منده وما ذكره المص نقله البرهان
الحلبى وقال غيره انه خالد بن عمرو بن سعيد فسعيد جده وذكره بن عبد البر فى الاستيعاب وذكر
سبب اسلامه فى واقعة رآها وخالد بن سعيد ان كان غير المذكور لانه لم تشتهر عنه الرواية فالحديث
مرسل والا فمعضل والظاهر هو المقدم واول هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم لما قدم من حجة
الوداع المدينة صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال يا ايها الناس انى راض عن ابى بكر فاعرفوا له ذلك اى رضاى عنه فى صحبته له وانه لم يال الجهد
فى خدمته ولم يفارقه فى حياته ومماته ولم ير منه الا ما يسره وفى تقديمه وافراده له بالذكر
وعدم تشريكه له مع غيره ما يدل على خلافته له وفضله على ساير الصحابة وهو صريح فيه الا
عنده من ختم الله على قلبه وسمعه وسياتى ان من انكر خلافة ابى بكر يبدع ولا يكفر ومن سب
احدا من الصحابة ولم يستحل يفسق والا كفر ايها الناس انى راض عن عمر وعن عثمان وعن على وعن طلحة والزبير
بن العوام رضى الله عنهم وسعد ابن ابى وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعبد الرحمن بن عوف
الزهرى فاعرفوا ذلك اى كونى راضيا عنهم لهم والمراد بمعرفتهم رعاية حقوقهم وتوقيرهم ومحبتهم
والواو لا تدل على الترتيب وان كان اهل السنة على تقديم ابى بكر ثم عمر بالاتفاق ثم اختلفوا فى عثمان
وعلى ايهما افضل والمشهور تقديم عثمان ومنهم من قدم عليا ومنهم من توقف فى ايهما الافضل فان
هذه المسالة غير قطعية عندهم لكن الذى عليه اعتقاد السلف الصالح واعتقادنا ما ذكر
وبقية الصحابة لم ينصوا على شئ فيهم ولم يذكر عاشرهم وهو ابو عبيدة بن الجراح لدخوله فى الصحابة
وشهرته ايها الناس ان الله قد غفر لاهل بدر كلهم جميع ما صدر منهم لحضورهم اول مشهد
اعز الله به الاسلام والمسلمين وبدر اسم موضع معروف سميت باسم رجل حفر بيرها كما تقدم
اهل الحديبية بتشديد اليا وتخفيفها وهى اسم مكان قريب من مكة من الحرم او خارجه او بعضه
منه اقوال وفيه الشجرة التى كان تحتها بيعة الرضوان وقصتها معروفة فى السير وقد تقدم

ذكرها ايها الناس احفظونى اى احفظوا حقى وقدرى برعاية ما يجب منه كما تقدم تفصيله فى اصحابى
اى وحفظ حقى فيهم ويتحقق بحفظ اصحابى ومحبتهم وتوقيرهم فان من يبغضهم يبغضنى ولم يحفظنى
ثم خص بعد التعميم احتياطا وحثا بقوله واصهارى واختانى الاصهار جمع صهر بكسر فسكون
قال الجوهرى هو اهل المراة عن الخليل قال ومن العرب من يجعل الصهر من الاحماء والاختان جميعا
والختن بفتحتين واحد الاختان كل من كان من قبل المراة كالاب والاخ وعند العامة ختن
الرجل زوج ابنته وكل شئ من قبل الزوج فهو حمو وفيه لغات مشهورة فالمراد بهما هنا من بينه
صلى الله عليه وسلم وبينه علاقة سببية بتزويجه او التزوج منه لا يطالبنكم معاشر الناس
اجمعين اى لا يكون لاحد منهم عليكم حق يستحق ان يطالبكم به ويدعيه عليكم احد منهم اى من المذكورين
من اصحابى واتباعى بمظلمة بكسر اللام وفتحها وهى ما يوخذ ظلما وجورا فيطالب به ويشكى ممن اخذه
والكسر فيها اكثر واشهر فانها مظلمة اى حق للعبد اخذ منه ظلما لا توهب فى القيامة غدا اى
لا يهبها الله لانها حق العبد فما لم يرض صاحبها لا تترك وقوله غدا اشارة الى قرب اليوم الذى
يواخذ فيه العباد ترهيبا لهم وتخويفا وقال رجل للمعافى بفتح الفا والقصر بن عمران بن مسعود
الازدى الموصلى احد الاعلام المحدثين كان يقال له ياقوتة العلما توفى سنة خمس وثمانين ومائة
واخرج له البخارى وغيره والقايل له لا يعرف ابن عمر بن عبد العزيز الخليفة العابد الزاهد العادل
من معاوية بن ابى سفيان رضى الله تعالى عنهما اى ايهما افضل وخصهما بالسوال لانهما امويان فكان
تذهب انت فى الفرق بينهما فغضب على السايل لما لاح عليه من تفضيله لابن عبد العزيز
نظرا لظاهر الحال وقال لا يقاس اى لا يستوى فضلا عن التفضيل باصحاب النبى صلى الله عليه
وسلم احد وفى نسخة على اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وقاس يتعدى بالبا وعلى وقد يعدى
بالى لما فيه من معنى الجمع والضم قال المتنبى بمن تضرب الامثال ام من تقيسه اليك واهل
الدهر دونك والدهر ثم اشار لفضل معاوية على غيره بقوله معاوية صاحبه صلى الله
عليه وسلم وصهره لان اخته زوجته ام حبيبة بنت ابى سفيان ام المؤمنين رضى الله عنهم
وكاتبه لما ثبت من احد كتابه صلى الله عليه وسلم وامينه على وحيه لانه بعد ان استكتبه
كان يكتب ما ينزل عليه من الوحى ولو لم يثق منه صلى الله عليه وسلم ما استكتبه الوحى
وكفاك بهذه منقبة لم يصل اليها عمر بن عبد العزيز واضرابه وبما ذكره المعافى ان صح عنه يرد
ما قيل ان معاوية لم يكتب له صلى الله عليه وسلم شيئا من الوحى وانما كان يكتب له كتبه الى الاطراف
ولم يذكر فضل معاوية بقرب نسبه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لان عمر بن عبد العزيز شاركه
فى ذلك وروى ان عمر سمع مثله فقال لغبار غزوة غزاها معاوية مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم خير من عمر وال عمر وفى الطاعنين فى معاوية ما قيل ومن يكن يطعن فى معاوية فذاك كلب
من كلاب الهاوية وروى الترمذى عن جابر وضعفه انه قال اتى بالبنا للمفعول النبى صلى الله عليه
وسلم بجنازة رجل بفتح الجيم وكسرها الميت ونعشه او فرق لفوق وتحت لتحت وقد يعكس
فلم يصل عليه وقال كان هذا الميت يبغض عثمان فانا ابغضه فلذا لم يصل عليه لان صلاته

على الميت دعا له وشفاعة له فحرم من ذلك والعياذ بالله تعالى وفي نسخة بدل ما ذكر فابغضه الله
خبر او دعا عليه وليس في هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة عليه حتى يقتضي كفره كما
توهم لجواز ان لا يصلي هو ويصلي غيره كما في المديون والبغض لا يقتضي الكفر وقال صلى الله عليه وسلم
في حديث رواه الشيخان عن انس في الانصار اي في حقهم والوصية بهم وقيل في شانهم وفضلهم
اعفوا عن مسيئهم اي عمن وقع منه اساءة ما واقبلوا من محسنهم كل ما احسنوه فحذف مفعوله تعميما
وفي البخاري اوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين والانصار ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم اي
ما فرط منه من زلة والانصار اسم حدث لهم في الاسلام وهم الاوس والخزرج والتجاوز عن مسيئهم في غير
الحدود وحقوق الناس وما ذكر بعض من الحديث الذي رواه الشيخان ففي البخاري عن انس بن مالك ان ابا
بكر والعباس رضي الله عنهما مرا بمجلس من مجالس الانصار وهم يبكون في مرضه صلى الله عليه وسلم
فقالا ما يبكيكم قالوا ذكرنا مجلسه صلى الله عليه وسلم منا فدخلا عليه صلى الله عليه وسلم
فاخبراه بذلك فخرج وقد عصب على راسه حاشية برد فصعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر ولم
يصعده بعد ذلك فحمد الله واثنى عليه ثم قال اوصيكم بالانصار فانهم كرشي وعيبتي وقد قضوا
الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم وهذا تمثيل لان الكرش يجمع
الغذا الذي به حياة الحيوان ونماؤه ويقال لفلان كرش منثورة اي عيال كثيرة والعيبة بفتح العين
المهملة ما يحرز فيه المتاع يريد صلى الله عليه وسلم بذلك انهم موضع سره وامانته قال ابن
دريد وهو من موجز الكلام الذي لم يسبق اليه صلى الله عليه وسلم وقيل الكرش بمنزلة المعدة
والعيبة مستودع الثياب والاول امر باطن والثاني ظاهر فضرب مثلا لاختصاصهم باموره الباطنة
والظاهرة وهو تشبيه بليغ او استعارة واراد صلى الله عليه وسلم بما عليهم نصرته وقضاها بايعوه
عليه وما لهم الجزا في الدنيا والاخرة وقد علمت ان معنى وتجاوزوا عن مسيئهم اي في غير الحدود وحقوق
الادميين وهذا ايضا محمل الخبر الصحيح اقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم ومن ثم ورد في رواية الا في الحدود
وفسرهم الامام عنه الشافعي رضي الله عنه بانهم الذين لا يعرفون بالشر ويقرب منه قول غيره هم
اصحاب الصغاير دون الكباير وقيل من اذا اذنب تاب وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
ابو نعيم الديلمي عن عياض الانصاري وابو نصيح عن انس رضي الله عنه احفظوني في اصحابي واصهاري
تقدم بيانه فانه اي الشان من حفظني فيهم برعاية حقوقهم واكرامهم حفظه الله في الدنيا والاخرة
حفظه في الدنيا مما يسوءه وتوفيقه لترك المعاصي وفي الاخرة من العذاب والعقاب ومن لم يحفظني
فيهم بترك ما مر تخلى الله منه اي اعرض عنه وتركه في غيه استدراجا له ومن تخلى الله منه يوشك
يسرع ويقرب ان ياخذه اخذ عزيز مقتدر بان يهلكه ويستاصله مستعار من الاخذ المعروف وقوله
تخلى الخ اخبار عما يقع به وكونه انشا للدعا عليه يا باه السياق فما قيل انه اقرب ليس بشي ولهذه
الزيادة ذكره المص وان تقدم وعنه صلى الله عليه وسلم في حديث رواه سعيد بن منصور
عن عطا مرسلا من حفظني في اصحابي برعاية حقي فيهم كنت له حافظا يوم القيمة اي مانعا له من هول
المحشر وما يسوءه فيه وقال صلى الله عليه وسلم كما رواه الطبراني بسند ضعيف من حفظني في اصحابي

ورد

ورد على الحوض اي وصل اليه وشرب منه حتى لا يظما بعده ومن لم يحفظني في اصحابي بتضييع حقوقهم
وعدم محبتهم ورعاية ذريتهم لم يرد على الحوض ولم يرني الا من بعيد فلا يقرب منه صلى الله عليه
وسلم لان من ابغض الصحابة مقته الله فاستحق الطرد عن الحوض وعدم شفاعته صلى الله
وسلم له ويفوته بركته وعنايته في مثل ذلك اليوم الشديد الهول قال مالك امام دار الهجرة
ونجم السنة رحمه الله تعالى هذا النبي صلى الله عليه وسلم عبر باسم الاشارة القريب لانه
لحضوره في قلبه وذهنه قدر نفسه كانه بين يديه بمراى منه صلى الله عليه وسلم الذي
هدانا الله به لخيري الدنيا والاخرة والضمير للناس كلهم وجعله رحمة عامة للعالمين
وجميع المخلوقين يخرج في جوف الليل اي فيه شبهه بالجوف وهو داخل البدن وعبر بالمضارع
لحكاية الحال الماضية الى البقيع اسم موضع بظاهر المدينة واصله اسم كل مكان متسع
فيه شجر ويقال له بقيع الغرقد بغين معجمة وهو اسم لنوع من شجر العضاة كان به ثم زال
وصار مقبرة لاهل المدينة المنورة وانما كان صلى الله عليه وسلم يخرج له ليناجي ربه متخليا
عن اهله فيدعو لهم اي يدعو لمن بتلك المقبرة منهم ويستغفر لهم اي يدعو لامواتهم واحيايهم
بالمغفرة كالمودع لهم كانه يودع من بتلك الجبانة لعلمه صلى الله عليه وسلم بقرب اجله
ومفارقة زيارتهم وبذلك امره الله اي امره بان يدعو لامته اولا مواتهم ويستغفر لهم
وفيه دليل على شدة محبته لهم فيجب علينا اتباعه في ذلك وامر بالبنا للمجهول النبي صلى الله
عليه وسلم اي امره الله بمحبتهم لله وموالاتهم اي معاونتهم ونصيحتهم كما امر بذلك
ومعاداة من عاداهم من الكفرة والمنافقين وهو اشارة لما رواه مسلم عن عايشة رضي الله
عنها انه صلى الله عليه وسلم كان في ليلتها يخرج اخر الليل الى البقيع ويقول السلام
عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شا الله بكم لاحقون اللهم اغفر لاهل بقيع الغرقد
وكان لما خرج خرجت عايشة وراه مستخفية منه فاحس صلى الله عليه وسلم
بذلك وسالته عما صنع فقال ان جبريل اتاني وناداني ولم يدخل عليك ولم اوقظك
خشية ان تستوحشي فقال ان ربك يامرك ان تاتي اهل البقيع فتستغفر لهم فقلت كيف اقول
فقال تقول السلام على اهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله عز وجل المستقدمين
منا والمستاخرين وانا بكم ان شاء الله لاحقون وهو ما اشار اليه مالك رحمه الله وقيل
انه اشارة الى قوله تعالى فاعف عنهم واستغفر لهم فاذا امر بذلك فنحن احق به والظاهر
ما قدمنا وقال كعب الاحبار التابعي المشهور وهذا رواه عنه ابن سعد بلفظ ليس مؤمن
بدل قوله ليس احد من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وهذا اما مروي عنه صلى الله
عليه وسلم فهو مرسل او هو مما قراه في الكتب القديمة لانه كان عالما بها الا وله شفاعة
في غيره من المؤمنين يوم القيامة وفيه تكريم لهم وما يقتضي محبتهم رجا شفاعتهم فيمن احبهم
وطلب اي كعب الاحبار وهذا دليل على صحة اعتقاده لما قاله وانه كان محبا لهم مترجيا
لشفاعتهم رضي الله عنهم من المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي

ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة وكان من انصار على رضى الله تعالى عنه
وقيل انه لم يدرك من حياة رسول الله الا ست سنين وكان قاضيا فى خلافة عثمان وعد من القراء
وطلب كعب منه ان يشفع له يوم القيامة يدل عليه ونوفل والده هو ابن عم رسول الله
صلى الله عليه وسلم والحارث جده لم يدرك الاسلام وهذا ما ذكره البرهان ومن تبعه وقال
التلمسانى نوفل والده هو ابن معاوية بن عروة الدؤلى من كنانة سمع النبى صلى الله عليه وسلم
ومات فى زمن يزيد بن معاوية وقد بلغ المائة كما قاله الواقدى وقال البرهان الحلبى الحارث بن
عبد المطلب قال ابن عبد الغنى المقدسى انه لم يدرك الاسلام واسلم من اولاده اربعة نوفل
وربيعة وابو سفيان وعبد الله ونوفل اسن اخوته واسن من اسلم من بنى هاشم ولم يذكر
المغيرة فيهم ومنهم من جعل المغيرة اسم ابى سفيان والصحيح خلافه انه غيره ولم يتعقب
ابا الفتح اليعمرى حين ذكره وقال الذهبى فى التجريد ابو سفيان اسمه المغيرة قاله ابن المنذر ولم يتعقبه
وقال سهل بن عبد الله التسترى تقدم ضبطه لم يؤمن بالرسول صلى الله عليه وسلم ايمانا كاملا
من لم يوقر اصحابه بتعظيمهم ومحبتهم ولم يعز من اعزه اذا نصره وقواه وجعله عزيزا مبجلا موقرا
معظما اوامره جمع امر وقد تقدم الكلام عليه قيل وهذا يقتضى ان سب الصحابة وتنقيصهم
كفر وقيل انه كبيرة قال الزركشى وينبغى ان يقيد الخلاف بغير من فعل ذلك بهم لكونهم صحابة لا لامر
اخر وهو مقتضى مذهبنا ايضا وفى منظومة ابن وهبان رحمه الله تعالى الخاف على من قال ابغض
عالما من الكفر اذ لا مقتضى لكفر يظهر وسياتى تفصيله اخر الكتاب ان شاء الله تعالى فصل
ومن اعظام واكباره صلى الله عليه وسلم اعظامه واكباره بمعنى تعظيمه وتكبيره واجلاله
وفى القاموس اعظمه فخمه وكبره واستعظمه راه عظيما اى من تفخيمه وتعظيمه اللذين هما واجبان
على المؤمن اعظام جميع اسبابه قيل هو بالمعنى العرفى وهو كل ما ينسب اليه صلى الله عليه وسلم
من فراشه ولباسه مما لا روح له او له روح كعبده ودوابه وقال الراغب السبب الحبل الذى
يصعد به النخل قال الله تعالى فليرتقوا فى الاسباب ويسمى كل ما يتوصل به سببا وتسمى العمامة والخمار
والثوب الطويل سببا تشبيها بالحبل فى الطول انتهى واكرام مشاهده جمع مشهد وهو محل
الشهود اى الحضور من المشاهدة وهى الادراك بالبصيرة والبصر ومشاهد الحج مواضع المناسك
وامكنته جمع مكان عطف تفسير من مكة والمدينة بيان للامكنة فالمراد به مساكنه ومحل اقامته
لا مطلق المكان ومعاهده اى المحال اللاتى عهده النبى صلى الله عليه وسلم بها كالاساطين التى
كان يصلى عندها ومحل صلاته فى المساجد والاماكن المباركة ومنازله وما لمسه بيده او بغيره
من اعضائه كالحجر الاسود والركن اليمانى والملتزم والمستجار وبئر... او عرفة كالاماكن التى جاهد
فيها والغار الذى دخله صلى الله عليه وسلم وروى عن صفية بنت نجدة فى الحواشى التلمسانية
ان هذه المراة زوجة ابى محذورة وقد روى عنها ايوب بن ثابت وروت هى عن زوجها ابى محذورة
واختلف ضبط فى اسم ابيها نجدة فقيل انه بنون مفتوحة وجيم ساكنة ودال مهملة وهاء وقيل
مجداه بدال مهملة تليها الف وهاء وقيل بجراه براء مهملة بدل الدال المهملة وقيل الصواب بجرة بموحدة

مفتوحة وحاء وراء مهملتين وهاء قالت كان لابى محذورة بحاء مهملة وذال معجمة وبعدها راء مهملة الاتى ذكره
وهاء بزنة اسم المفعول وهو محذورة بن معين بميم مكسورة وعين مهملة ساكنة ومثناة تحتية مفتوحة
وراء مهملة وقيل معين بنون بدل الراء ابن لوذان بفتح اللام وضمها وواو وذال معجمة القرشى مؤذن رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يزل الاذان فيه وفى عقبه واختلف فى اسمه اختلافا كثيرا
فقيل سمرة وقيل اوس وقيل سلمان وقيل سلمة وهو جمحى صحابى توفى فى سنة تسع وخمسين او سبعين واخرج له
مسلم واحمد واصحاب السنن قصة بضم القاف وتشديد الصاد المهملة وهى خصلة من شعر الراس
فى مقدم راسه مما يلى وجهه من الناصية سميت بها لانها مما يقص وقال ابن دريد كل خصلة من الشعر قصة
وقال الجوهرى هو شعر الناصية وسبب توفيرها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسحها بيده فابقاها
تبركا بمماسته وهو محل الشاهد وكان لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة واذن له بها مع فتية
من قريش سمعوا الاذان فاستهزؤا وجعل ابو محذورة يحاكى الاذان استهزاء فسمعه رسول الله فامر باحضاره
فلما مثل بين يديه ظن انه مقتول فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصيته وصدره بيده قال فامتلا
قلبى يقينا وايمانا وعلمت انه رسول الله فاسلم وعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذان وامره
ان يؤذن لاهل مكة وهو ابن ست عشرة سنة فكان مؤذنهم حتى مات اذا قعد وارسلها اى حل عقصها
وسدل شعرها اصابت الارض اى وصلت اليها لطولها فقيل له اى قال الناس لابى محذورة الا تحلقها
بكسر اللام مضارع حلق بفتحها والا للعرض والاستفتاح فقال لم اكن بالذى احلقها وقد مسها رسول الله
صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة فابقاها تبركا بمماسته يده وبهذا زال الكراهة وان قيل بها فى غيره
وفى حديث رواه ابو يعلى قال كانت فى قلنسوة خالد بن الوليد بن المغيرة الصحابى المخزومى المشهور والقلنسوة
ما يوضع على الراس تحت العمامة وتسمى شاشية وقبعا ويقال قلنسيه وهو بفتح القاف وضمها وضم السين
وكسرها ففيه لغات شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم جعلها فى داخلها تبركا بها فسقطت قلنسوته
عن راسه فى بعض حروبه قيل هو فى غزوة اليمامة فى خلافة ابى بكر فشد اى كر كرة قوية رضى الله تعالى عنه
فشد عليها الصديق اى رجع لاخذها وهو بعيد وامر عدوا شديدا اسرع يقال شد اذا جرى جريا قويا
اى كر عليها لياخذها خوفا من ضياعها انكر اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم رجوعه لاجل عمامته
لظنهم انه حرص عليها لذا لما كثرة من قتل فيها اى فى شدته هذه ممن رجع معه لجانب العدو وبسببه وكثرة
منصوب مفعول انكروا وهو مفعول لاجله فقال لم افعلها اى هذه الشدة والكرة بسبب اخذ هذه
القلنسوة كما ظننتم بل فعلتها لما تضمنته اى لما فى ضمنها وداخلها من شعره صلى الله عليه وسلم بفتح
العين وسكونها لئلا تسلب بالبناء للمجهول ونائب فاعله بركتها وتسلب بمعنى تذهب بركتها منى وذلك
امر عظيم يخاطر بالارواح لاجله وفى نسخة اسلب ويحتمل انه من السلب بفتحتين اى باخذها العدو
ويدل عليه قوله وتقع فى ايدى المشركين الذين لا يليق ان تكون عندهم اثار رسول الله صلى الله عليه
وسلم ورئى مبنى للمجهول بهمزة قبل الياء اخره ابن عمر واضعا يده على مقعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم اى موضع قعوده من المنبر ثم وضعها على وجهه اى مسحه بها تبركا بمس ما مس جسده الشريف
وثيابه وهذا رواه ابن سعد وياتى الكلام على ذلك عند اعادة المصنف له ايدل على جواز التبرك

بالانبيا والصالحين واثارهم وما يتعلق بهم ما لم يؤد الى فتنة اوفساد عقيدة وعلى هذا يحمل ما روى
عن عمر رضي الله عنه من انه قطع الشجرة التي وقعت تحتها البيعة ليلا يفتتن بها الناس لقرب عهدهم
بالجاهليه فلا منافاة بينهما ولا عبرة بمن انكر مثله من جهلة عصرنا وفي معناه انشدوا اي تمثلوا امر
على الديار ديار ليلى اقبل ذا الجدار وذا الجدار وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا
وقيل شغاف القلب غلافه وهو جلدة عليه وقيل هو وسط القلب والمعنى في هذه الاقوال متقارب
اي ما وصل حب الديار الى شغاف قلبي فتقلب عليه ولكن الواصل انما هو حب من سكن الديارا قال النابغه وقد حال هم
دون ذلك داخل دخول الشغاف قبتغيه الاصابع وروى الشعف بالعين المهملة ومعناه الاحراق وعلى الاول
العمل قال الجوهري شعفه الحب احرق قلبه وقال ابو زيد امرضه وقد شعف بكذا فهو مشعوف وروى
عن الشعبي انه قال الشعف بالغين المعجمة حب وبالمهملة جنون وقيل الاول الحجاب للقلب والثاني سويدا القلب
ويقال ان الشغاف الجلدة اللاصقة بالكبد التي لا ترى وهي الجلدة البيضا وهذا النشد وقع مقدما في بعض
النسخ ولهذا اي للتبرك باثاره صلى الله عليه وسلم كان الامام مالك لا يركب بالمدينة دابة فرسا ونحوها
مما يركب بها لان يتخر جسده ترابا مشى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما ذكره ايضا بقوله
وكان يقول اذا سيل عن ذلك استحي من الله اي اخشى واهاب ان اطا تربة اي ايضا ذات تراب عدسب
الوطاله مع انه للدابه لانه منسوب له فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابته وللحافر
للفرس ونحوها كالخف للبعير والقدم للانسان ثم بين ان عدم ركوبه لم يكن لكونه ليس له دواب بل لتعظيمه
صلى الله عليه وسلم فقال وروى عنه اي عن الامام مالك انه وهب للامام الشافعي لما كان
عنده بالمدينة وضمن وهب معنى اهدى فعداه باللام وهو متعد لاثنين بنفسه كراعا بوزن غراب وهو جمع
من الخيل وله معان اخر فيطلق على الخيل والسلاح وما استدق من الساق واسم موضع كثيرا وهو
يدل على كرمه واجلاله للامام الشافعي كان عنده اي في ملكه وحيازته فقال له الشافعي لما وهبه
جميع دوابه امسك منها دابة اي ابقها عندك لتركبها فاجابه بمثل هذا الجواب الذي اجاب به من تقدم
بانه يستحيي من الركوب بالمدينة وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمي بضم السين وفتح اللام الامام الجليل شيخ الامام
القشيري صاحب الرسالة عن احمد بن فضلويه بفتح الفا وسكون الضاد المعجمة وفتح اللام والواو وسكون
اليا ويجوز ضم اللام وسكون الواو وفتح اليا وهي طريقة المحدثين يقولونه كراهة من لفظة ويه فانه كلمة تدل
على مكروه كالويل وقال المعري انه كلمة تصغير عند عوام البصرة ثم وصفه بقوله الزاهد وكان من رماة
الغزاة كان ممكنا للمجاهدة في سبيل الله مجيدا لرمي السهام ملازما للمجاهدة بها انه قال ما مست القوس
بيدي ولمسته حال الرمي وغيره الا على طهارة اي متوضيا منذ بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم
اخذ القوس بيده اي امسكها وهو كناية عن الرمي بها وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم حث على الرمي
وامر به فهو سنة ففي صحيح مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو على المنبر يقول واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل الا ان القوة الرمي وكررها
ثلاثا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه والرامي
ومنبله اي من ناوله السهم ليرميه وصح انه صلى الله عليه وسلم رمى بالسهام في غزوة احد وكان له

فبقي

فبقي بيت مذكورة في السير ثم انه قيل ان تخصيصه الطهارة بمس القوس دون السيف وغيره مما مسه
وتعظيمه ازيد من غيره من الات الحرب لما فيه من دفعه عنه دون مشقة كما في غيره ولذا كانت العرب
تسميها اي السهام رسل المنايا وما قيل انه يحتمل انه كان يفعل ذلك في كل نوع من الالات لا يساعده
لفظه وافتى الامام مالك فيمن قال تربة المدينة اي ارضها ردية لمن يحل فيها غير طيبة ذات وبا
متغيرة الهوى ورديه مهموز وغير مهموز ماخوذة من الردى يضرب ثلاثين درة بكسر الدال
وتشديد الرا والمهملتين وهي الة من جلد غليظ يضرب بها معروفة وفي الكلام مقدر اي
وقال انه يضرب بدل من افتى وان يحبسه تعزيرا له وكان الذي حبسه له قدر عظيم وشرف بين الناس وذكر
هنا لان التعزير يختلف حاله بحال من عزر ففيه اشارة الى انه اذنب ذنبا عظيما اذ لو كان امرا سهلا صدر
من شريف لعزر باللسان والزجر والى هذا اشار بقوله وقال الامام مالك ما احوجه تعجب من استحقاقه
العقاب اشد مما فعله وفيه تجوز لانه جعل استحقاقه بمقتضى ما صدر عنه كانه له حاجة اليه
لان العاقل لا يفعل ما لا يحتاج اليه ففيه تهكم به يومي الى عدم شعوره بمصالحه الى ضرب عنقه اي الى
القتل تربة وارض دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم انها غير طيبة اي ردية متغيرة الهوى ذات
وبا وهي وان كانت ذات حمى قبل الهجرة فقد دعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها بنقل حماها
وعفونة هواها الى الجحفة فصارت معتدله طيبة كما هو مشاهد فيها وعبر بيزعم للاشارة الى انه قول
باطل وان كان الزعم يجي بمعنى القول ولذا قالوا الزعم مطية الكذب وهذا مبالغة في زجره تاديبا عن تنقيص
ما هو افضل الاماكن عند الله وان امكن حمله على محمل اخر من ان بعض اماكنها سباخ ولكونها كانت ذات
وبا لما قدم الصحابة لها واخذتهم الحمى قال صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة
او اشد اللهم بارك لنا فيها وصححها لنا وانقل حماها الى الجحفة فطابت وطابت تربتها حتى صار
ترابها شفا من الجذام كما ورد في الاثار وقال ابو الحديث صيري لا طيب يعدل تربا ضم اعظمه طوبى لمنتشق
منه وملتثم وفي الصحيح اي الصحيح الذي رواه الشيخان عن انس انه صلى الله عليه وسلم قال في المدينة
اي في حقها وشانها من احدث فيها حدثا اي من فعل امرا قبيحا ابتدعه كالمظالم واصل الحدث كل ما حدث
وتجدد ثم خصه العرف بما ذكر من البدع المنكرة شرعا كما في النهاية ومن موصوله او شرطيه او اوى بالمد
ويجوز قصره اي ادخله وضمه لاهلها يقال اوى اليه كذا انضم اليه محدثا بكسر الدال اسم فاعل
من احدث اي ادخلها جانيا فاجرا وبضمه على خصمه وفتح داله كما قيل على انه بمعنى الامر المبتدع
وايواوه الترضي به كتكلف الحاجة اليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله
منه صرفا ولا عدلا وقد تقدم تفسيره وانه تغليظ في الزجر او ماول كما قدمناه وفيه من تعظيم
المدينة لكونها مكانه صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى ولها حرمة الحرم كما فصلوه وسياتي
وحكي بالبنا للمفعول والذي حكاه هو ابن عبد البر كما تقدم ان جهجاها الغفاري بن سعيد بن حرام
قال الطبري كذا رواه المحدثون والصواب جهجا بلا ها وقال الذهبي جهجاه بن قيس وقيل بن سعيد
وهو مدني صحابي شهد بيعة الرضوان وبعض الغزوات وتوفي بعد عثمان بسنة وتقدم وسياتي
انه مات قبل الحول اخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم القضيب عصا قصيرة كان يمسكها

في يده وكذا فعله الصحابة بعده رضي الله عنهم من يد عثمان رضي الله عنه وتناوله منه ليكسره على ركبته
كما هو معتاد في كسر ما يحتاج كسره لقوة فصاح به الناس تحذيرا له وزجرا ليرتدع عما اراده فاخذته اي
اصابته وبدت به الاكلة قال في القاموس الاكلة بضم الهمزة وسكون الكاف وورد كسرها ايضا قال
بعض اهل اللغة وما اشتهر من مدهم يخطا وفيه نظر فقد روى الثعالبي في ثمار القلوب شعرا فيه ذكر
الاكلة ولم ينكره وهو ما قيل في هجا الاصمعي ومن انت هل انت الا امرء اذا صح نسلك من باهلة
والباهلي على خيره كتابا لاكله الاكلة في ركبته لو ضعه القضيب ليكسره عليها فقطعها لان
العضو المتاكل ان لم يقطع سرت اكلته للبدن واهلكته ومات قبل الحول الذي بعده او قبل تمام
الحول الذي فعله فيه وروى انه مات عقبه كما تقدم والاكلة كالاكال لمرض يفسد الاعضا كالجذام
معروف وليس في كلام القاضي رحمه الله هنا وفيما تقدم ما يقتضي انه كسر القضيب وروى الطبري
في الرياض النضرة انه كسرها ورواية انها عصي ليست مخالفة لما ذكرهنا لان القضيب يسمى عصا وكان
هذا في الفتنة لما حصب الناس عثمان وهو على المنبر فلما نزل اخذ الجهجاه العصا التي كانت بيده
وكان ممن قام عليه في قضيته المشهورة وقد تقدم الكلام عليها في فصل الكرامات وانقلاب
الاعيان وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مالك وابو داود والنسائي وابن ماجة عن ابي
هريرة من حلف على منبري المراد بكونه على المنبر انه عنده ويجوز ابقاوه على ظاهره بان يصعد عليه
ويحلف وقد نص عليه الشافعية وانه يجوز ان يومر بصعوده ولكن الاصح الاول عندنا وهذا بناء على
ان اليمين تغلظ بالمكان والزمان فيذهب بالحالف لمسجد وكان في حياته صلى الله عليه وسلم يحلف
عند المنبر لان ما بينه وبين القبر الشريف افضل بقعة بالمدينة بعد مرقده الشريف وما ضم جسده
العظيم المنيف كاذبا فليتبوا مقعده من النار يتبوا بمعنى يتخذه مباءة اي مقرا ومسكنا يقال بواه
اذا اسكنه وهو دعا او امر اريد به الخبر وجعل استحقاقه العذاب بمنزلة حضوره وحضور محله
فامر بان يجعله مقرا له على طريق التمثيل وهو من بليغ الكلام وبديعه الذي يعرفه من ذاق حلاوة
البلاغة والفصاحة وحدثت بالبنا للمجهول ان ابا الفضل الجوهري ليس هو عبد الله بن الحسن
المصري الواعظ بجامع مصر في حدود السبعين واربعماية وكان من العلما الصالحين يتبرك به
ويقتدى به في السلوك وانما هو كما في تاريخ الاندلس عبد الله بن الحكيم الرندي الاندلسي ذو الوزارتين له
فضل وحسب وفضل باهر وادب عالم بالقرات والحديث والعربية وله شعر رايق ونثر فايق
وارتحل للمشرق فاخذ بها عن ابن عساكر واكثر الرواية عنه وله رياسة في عصره صار بها كالمثل
السائر الى ان ردت منه الايام ما وهبت فانقضت ايامه وذهبت فقتل لما خلع سلطانه فنهبت
امواله وكتبه ومات شهيدا رحمه الله لما ورد المدينة زايرا وقرب من بيوتها ترجل اي نزل عن دابته
التي كان راكبها تادبا ومشى باكيا خضوعا وخشيته وغلبة شوق او مسرة فان من المسرة قد يحصل
البكا منشدا انشادا لشعر قراته والمراد انه تمثل به لان الشعر من قصيدة المتنبي اولها فدينا لك
من ربع وان زدتنا كربا لانك كنت الشرق للشمس والغربا ومنها ولما راينا رسم من لم يدع لنا فواد
لعرفان الرسوم ولا لبا نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة لمن بان عنه ان نلم به ركبا وغيره قليلا لانه

في ديوانه

في ديوانه وكيف عرفنا رسم الخ والقصيدة في مدح سيف الدولة ولقد اجاد في تمثله به ونقله لمحل
لايق به وقد ضمنه المص ايضا في قصيدة نبوية له فقال بعده وتهنا باكناف الخيام تواجدا
نقبلها طورا ونرشفها حبا ونبكي سرورا والفواد بحبها تقطع والاكباد اورى بها الهبا
اقدم رجلا بعد رجل مهابة واسحب خدي في مواطنها سحبا واسكب دمعي في مناهل حبها
وارسل حبا في اماكنها النخبا وادعو دعا اليايس لولا الذي براه الهوى حتى بدا شخصه شحبا
والرسم اثار الديار الدارسة والمراد اثاره صلى الله عليه وسلم في معاهده ومساكنه والفواد
القلب وداخله والعرفان والمعرفة بمعنى واللب العقل اي الخالص من الشوايب سمي به لانه خالص
ما في الانسان من قواه كاللباب واما تفسيره بمطلق العقل اخذا من القاموس ففيه نظر والاكوار جمع
كور بضم الكاف وهو للابل بمنزلة السرج وبان هنا بمعنى بعد اي لا يليق به الركوب لمن قرب
من مقامه تادبا ونلم ناتيه لزيارته والالمام الاتيان قليلا ويكون بمعنى القرب ومن فسر بان
بمعنى ظهر لم يصب والركب اسم جمع لراكب ويختص بالابل وقد يعم وقد شرح البيت هنا
بعضهم بما استحي من ايراده وحكى عن بعض المريدين والمراد صاحب الارادة لغة والمراد به
ما اصطلح عليه مشايخ الصوفية من هو طالب للحق على يد المرشد الكامل بجعل ارادته ما عدا
الحق عبثا انه لما اشرف اي قرب منها بحيث يراها واصل الاشراف النظر من مكان عال اريد به لازمه
على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم انشا اي شرع والانشا يكون بهذا المعنى وبمعنى الايجاد
ابتدا يقول متمثلا التمثل انشاد شعر الغير في مقام يناسبه وهو من قصيدة لابي نواس يمدحها في مدح
محمد الامين الخليفة بن هارون الرشيد العباسي من قصيدة قصد المتمثل به مدح النبي صلى الله
عليه وسلم لموافقة اسمه اسمه وهو نوع من البلاغة قريب من التضمين وهو ان يورد شعرا
لغيره في مقام يكون احق به من صاحبه ولم يتعرض له اصحاب البديع الا ان الامام محمد التوزري
اورده في كتابه الغرة اللايحة واورد منه ما ذكره المص رحمه الله تعالى هنا بقوله
دفع الحجاب لنا فلاح لناظر قمر تقطع دونه الاوهام واذا المطي بنا بلغن محمدا
فظهورهن على الرجال حرام قربتنا من خير من وطي الثرى فلها علينا حرمة وذمام
واول هذه القصيدة المذكورة يا دار ما فعلت بك الايام لم يبق فيك لبشاشة
تستقام والمراد برفع الحجاب في كلام ابي نواس ستاير ابواب الملوك والعظام وهو هنا بمعنى
انقضا المسافة والقرب من المدينة والقمر الممدوح فيهما وتقطع فعل ماض او مضارع حذفت
احدى تاييه تخفيفا والاوهام جمع وهم وتقطعها اضمحلالها باليقين وناظر اسم فاعل
من نظر او ناظر العين وانسانها والمطي جمع مطية ناقة تمتطى اي تركب ولاح بمعنى بدا وظهر
ودونه بمعنى قريبا منه ويجوز في تقطع بناوه للمجهول ايضا وقوله فظهورهن الخ جمع
ظهر وهو معروف والرحال بحا مهملة جمع رحل وهو للابل كالسرج للخيل وبجيم جمع
رجل ذكر من بني ادم والمعنى متقارب اي اذا وصلتم لمقاصدهم كان لها حرمة تقتضي رعايتها
وراحتها فلا يركبها بعد ذلك رجل ولا يوضع على ظهرها رحل بل تترك سارحة منعمة

فى رعاها و معناه ظاهر ثم بين علة هذه الرعاية بقوله قربننا وهى جملة مستانفة استيناقا بيانيا والحرمه
الحق الذى يلزم احترامه والذمام مفرد بمعنى ما يلزم احترامه او جمع ذمة وهى العهد وما يجب الوفا به والمعنى
ظاهر لا حاجة للتطويل بشرحه ومن وطى الثرى وهو التراب كناية عن الناس كلهم وما قاله ابو نواس
من تحريم ركوبها كناية بديعية لانه يشير الى ان من وصل له لا يرحل بعده لعدم حاجته لسواه ولانه لا يقدر
على مفارقة من هو غاية ما تمناه وقد كان ذلك وكما قال عبد الله بن رواحة فى قصيدة له اذا ادنيتنى وحملت
رحلى مسيرة اربع بعد الحساء فشانك فانعمى وخلاك ذم ولا ارجع الى اهلى ورائ
وفيه رد على الشماخ فى قوله اذا بلغتنى وحملت رحلى عرابة فاشرقى بدم الوتين وقال المبرد
بعد ما انشد قول ابن رواحة لقد احسن كل الاحسان حيث قال لا احتاج الى ان ارحل لغيره وقد عاب الرواة
قول الشماخ المذكور ولذا قال صلى الله عليه وسلم للانصارية التى اتته على ناقته لما وقالت انى نذرت
ان نجوت عليها ان انحرها بيس ما جزيتها وقال فى الموازنة ان الشماخ راى ناقته شفها السير وهزلت ودبرت
كما قال اليك بعثت راحلتى تشتكى كلوما بعد نحفدها السمين فقال اذا بلغتنى عرابة فلا ابالى
ان تهلكى وليس دعا عليها وانما اراد انه بلغ المنى وليس هذا مضادا لقول ابى النواس وانما يضاده
قول الانصارية وللشعراء والادباء هنا كلام لا يسعه هذا المقام وقلت انا فى معناه اذا بلغتنا النوق
حتى نلثمنه وتربه عينى فى اعز المسارح وحق لها تجزى الحدود وتفتدى بانفسنا من فادحات
الطوايح فيا ليتها عتقى لاكرام مثلها جميع فيافى الارض ناقة صالح وحكى عن بعض المشايخ يعنى
به كبار الصالحين والعلماء انه حج ماشيا تواضعا وقصد الزيادة فى الثواب وقد قال الفقهاء انه افضل
لمن قدر عليه من داره فان لم يقدر فمن الميقات فان لم يقدر فمن عند الدخول ونحوه وذكر مجاهد ان ابراهيم
واسماعيل عليهما الصلاة والسلام وحج الحسين رضى الله عنه ماشيا ونجايبه تقاد معه فقيل له
فى ذلك اى سيل لم فعله فقال العبد الابق اى الفار من سيده اذا رجع اليه لا ياتى الى بيت مولاه اى سيده
راكبا وفى نسخة ياتى بدون لام وتقديرها اياتى بتقدير الاستفهام الانكارى واراد بالابق المذنب المقصر
فى خدمة مولاه مجازا اى انا مذنب مقصر حقيق بالخضوع والتذلل لو قدرت ان امشى على راسى المشى على الراس
عبارة عن غاية الجهد والاجتهاد والتذلل كما قيل سعيا على الراس لا سعيا على القدم ما مشيت على قدمى
مثنى قدم مضاف لياء المتكلم قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه يعنى المص عياض رحمه الله فى بيان
ايضاح انه ينبغى للزاير المشى واظهار الخضوع والمذلة وجدير اى خليق وحقيق وهو خبر مقدم لمواطن
اى اماكن ومساكن جمع موطن وهو محل التوطن والاقامة واراد بها مكة والمدينة عمرت اى صارت معمورة
بالوحى والتنزيله من عطف العام على الخاص والبا للسببيه او هى للتعدية بجعل الوحى بمنزلة ساكن
عمرها وتردد التردد بمعنى المجى والذهاب من قولهم فلان يتردد الينا وليس من التردد بمعنى الشك جبريل
وميكائيل اما تردد جبريل فظاهر واما ميكائيل فكان ينزل عليه صلى الله عليه وسلم احيانا وعرجت
اى صعدت من عنده منها اى من المواطن الملايكة والروح هو جبريل عطفه عليهم عطف الخاص
على العام وقيل ملايكة كالحفظة على الملايكة لا تراهم الملايكة كما انا لا نراهم واما ان المراد به ارواح
الناس فمما لا يليق ذكره هنا وضجت عرصاتها الضجيج والضجاج الصياح ورفع الاصوات المختلفة

واصله صياح العاجز المغلوب والعرصات بفتحتين جمع عرصة وهى الارض والساحة المتسعة
من غير بنا والمراد هنا الارض مطلقا بالتقديس والتسبيح وهما لغة التطهير والتنزيه والمراد بهما هنا توحيد الله
وذكره كقوله سبحان الله ولا اله الا الله واسناد الضجيج للعرصات تجوز للمبالغة فى كثرة الذكر
والتلاوة واشتملت تربتها اى تضمنت وحوت ارضها على جسد سيد البشر وهو صلى الله عليه
وسلم اشرف المخلوقات فالمكان الذى حواه افضل الامكنة فيلزم تعظيمه والسعى اليه ماشيا
بالذلة والادب ثم ذكر بعد فضيلتها الذاتية ما نشا عنها وعرض منها فقال وانتشر اى شاع وتفرق
واشتهر فى الارض منتقلا عنها اى عن تلك المواطن وفى نسخة منها من دين الله وسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم ما انتشر اى امر عظيم كثير لا يعلمه الا الله ولذا عبر بما المبهمة كقوله الحاقة
ما الحاقة مدارس ايات عطف بيان او بدل من مواطن اى محال يدرس فيها القران جمع مدرس من درس
اذا قرا وتلى وقيل جمع مدراس ومفعال غريب فى اسم المكان كالمرصاد ولا حاجة لارتكابه ومساجد
جمع مسجد بالكسر ويجوز فتحها اسم موضع السجود وهو وضع الجبهة على الارض خضوعا وعبادة وليس
المراد به الموضع المعد للعبادة وان صحت ارادته وصلوات جمع صلاة وهى العبادة المعروفة واصل
معناها الدعا ويجوز ارادته هنا وفى نسخة مساجد صلوات بالاضافة على تقدير لام الاختصاص
ومن قال معناه مساجد لاجل الصلوات لم يصب ومشاهد الفضايل والخيرات المشاهد جمع
مشهد وهو محل يشهده الناس ويجتمعون فيه والفضايل جمع فضيلة كالعلم وتعليم الاداب
وغيرها من الكمالات والخيرات هى خير الدنيا والاخرة ومعاهد البراهين والمعجزات اى عهد فيها ظهور
معجزاته صلى الله عليه وسلم وبراهين نبوته الدالة على صدقه وهو عطف تفسير وقيل البراهين اعم
من المعجزات ومناسك الدين جمع منسك وهو محل العبادة والنسك ومشاعر المسلمين اى محال
معالمهم التى يجب القيام بها من الواجبات وغيرها ومواقف سيد المرسلين اى المحال التى قام فيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعلاء كلمة الله واظهار دينه كمحاربه ومحال صلاته ومتبوا
خاتم النبيين بفتح التاء وكسرها اى مساكنه ومحل اقامته حيث انفجرت النبوة اى ظهرت وفاض
على جميع الخلق منافعها واشرق فى القلوب انوارها ففيه استعارة مكنية وتخييلية اما بتشبيه
النبوة بالفجر والصبح الصادق فى ظهوره الماحى لظلمة الكفر او بمنبع الماء المروى للناس بعد ظماء
الجهل وحيث يكون ظرف زمان ومكان وفيه لغات مشهورة ففتله واين فاض عبابها بضم العين
وهو الماء الكثير كالسيل او الماء الكثير المندفق الفايض واين اسم يستفهم به عن المكان تجرد عن
الاستفهام لمجرد المكان وقيل انها باقية على اصلها او جواب من سال وقال اين فاض عباب النبوة
فيقال فى هذه الاماكن ومواطن مهبط الرسالة مهبط مصدر ميمى بمعنى الهبوط اى محال نزول
الوحى برسالة الله وامره بتبليغ الخلق ما ارسل به اليهم والمراد مكة لانه اراد مدح الحرمين كما فسرنا به
المواطن اولا ولذا قال واول ارض مس جلد المصطفى ترابها هو يكنى به عن مولد كل احد لانه لو فرض
انه سقط على ارضها كان كذلك كما قال بلاد بها نيطت على تمايمى واول ارض مس جلدى ترابها
ومنه اخذ المص كلامه ولمح به ان تعظم عرصاتها جمع عرصة وهى كما تقدم ارض لا بنا فيها فالمراد بها هنا

مطلق الارض ومعناها الحقيقي فهو ساحة المدينة ومكة وفنا ارضهما فيعلم منه غيرها بالطريق
الاولى وهذا هو المبتدا الذى قدم خبره وطول ليتشوق سامعه اليه وينتظره وتنسم نفحاتها
تفعل من التنسيم مبنى للمجهول والمراد ما فى النسيم من نفحاتها الطيبة فى الاصل دفعة من الريح بجوز بها
عن الطيب الذى ترتاح له النفس من نفح الطيب اذا فاح وفى الحديث ان لربكم فى ايام دهركم نفحات الا
وفيه تعرضوا النفحات رحمة الله تعالى فتعرضوا لها فشبه ما فيها من بركاته بطيب نسيم روايحه استعارة تبعية
او مكنية وتخييلية وتقبل اى يلثم ويتبارك بالشفاه ربوعها جمع ربع وهو المنزل فى الربيع ويطلق على المنزل
مطلقا وهو المراد هنا وجدرانها بضم الجيم وسكون الدال المهملة والف ونون جمع جدار وهو اصل الحايط
ويطلق عليه ايضا ويجوز ان يكون بتا التانيث جمع الجمع ثم لما تزايد شوقه لما هده صلى الله عليه
وسلم قال مخاطبا لها بتنزيلها منزلة العقلا فى شعر له روى عنه وهو قوله اعنى المولف رحمه الله
يا دار خير المرسلين ومن به هدى الانام وخص بالايات اراد بداره محل اقره فيه مطلقا فيشمل
مكة والمدينة وفى نسخة المسلمين والاولى اولى وهدى مبنى للمجهول اى هدى الله به والانام الخلق
مطلقا او كل ذى روح كما مر وقوله خص بالايات المراد بها القران وجميع المعجزات لان الله تعالى خصه منها
بما لم يكن لغيره او التعريف فيه للعهد عندى لاجلك لوعة وصبابة وتشوق متوقد الجمرات اللوعة
اللوعة شدة الحب وحرقته والصبابة رقة الشوق من صبا اليه اذا مال والتشوق زيادة الشوق
وشبه ما فى القلب منه بجمرات بجمرة متوقدة ومتوقد بكسر القاف من اضافة الصفة للموصوف وضبط
بفتحها ايضا كما فى المنتقى وعلى عهد ان ملات محاجرى من تلكم الجدرات والعرصات على عهدى
موثق التزمته وهو يمين كما يقال على عهد الله والمحاجر جمع محجر وهو جوانب العين وملؤها مجاز
عن النظر اليها وابصارها وتلكم الجدرات جمع مونث لجدر جمع جدار كما تقدم والعرصات تقدم
تفسيرها لاغفرن مصون شيبى بينها من كثرة التقبيل والرشفات التعفير تمريغه فى التراب ويقال
له عفار واراد بشيبه لحيته المبيضة وبينها اى بين ترابها وارضها وجعله مصونا لانه محفوظ
عما يلوثه ويشينه والتقبيل اللثم والرشفات جمع رشفة وهى مص الريق ونحوه وفسرهنا بالتقبيل
ايضا وتفسيره بمص ريق المحبوب غير مناسب هنا واللام فى جواب القسم الذى تضمنه قوله
على عهد لولا العوادى والاعادى زرتها ابدا ولو سحبا على الوجنات العوادى جمع عادية وهى الامور
التى تمنع عن زيارتها والعوايق او الظلمة جمع عادية بمعنى غاية ظالمة والاعادى جمع عدوا وهو
جمع اعدا جمع الجمع والوجنات جمع وجنة وهى على الخد وهو ما ارتفع منه وغلظ وسحبا منصوب
بمقدر اى سحب وجهى على الارض مذلة وخضوعا وضمير زرتها للدار وابدا ظرف مستغرق لما
يستقبل من الزمان والمعنى لولا عوايق الدهر لم افارقها لكن سا هدى من حبيل تحيتى لقطين تلك
الدار والحجرات استدرك على ما افاده ما قبله اى ان منعت عن زيارتها والاقامة بها والتضمخ
بتربتها فانى اهدى لمن سكن بها يعنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المدفونين بها والاهدا
الارسال والجفيل بحا مهملة مفتوحة وفا مكسورة ويا مثناة تحتية ولام بمعنى كثير نفيس حفل
والتحية من الحياة بمعنى السلام ولقطين بقاف مفتوحة وطا مهملة مكسورة ومثناة تحتية

ساكنة

205

ساكنة ونون بمعنى المقيم ويطلق على الاتباع والخدم والحجرات جمع حجرة وهى بيت صغير من الدار تحجر
اشارة الى حجراته صلى الله عليه وسلم التى كانت بها ازواجه امهات المومنين رضى الله تعالى عنهن اجمعين
فكان سيدى الشيخ احمد بن الرفاعى كل عام يرسل مع الحجاج السلام على النبى صلى الله عليه
وسلم فلما زاره وقف تجاه مرقده وانشد فى حالة البعد روحى كنت ارسلها تقبل الارض
عنى فهى نايبتى وهذه نوبة الاشباح قد حضرت فامدد يديك كى تحظى بها شفتى فقيل
ان اليد الشريفة بدت له فقبلها فهنيا له ثم هنيا ازكى من المسك المفتق نفحة يغشاه بالاصال
والبكرات اذكى بمعنى اكثر طيبا ورايحة طيبة والمفتق بزنة مكرم بالتشديد من فتق المسك
والطيب اذا خلط بغيره مما يزيد طيبه كما الورد ونفحة تقدم تفسيره وهو منصوب تمييزا
وروى بالرفع واضافته لها اى رايحته نايب فاعل المفتق ويغشاه يعرض له او يعطيه
ويجلله من الغشا والاصال جمع اصيل وجمع اصل جمعه فهو جمع الجمع وهو ما قرب من الغروب
والبكرات جمع بكرة وهى اول النهار وخصهما لطيب النسيم ولطافة الهوا فيهما
وتخصه بزواكى الصلوات ونوامى التسليم والبركات وتخصه بتا التانيث فاعله ضمير
التحية او بنون المتكلم مع الغير والزواكى جمع زاكية وهى المتزايدة بمعنى النوامى جمع نامية وحركت
ياؤهما بالكسر للضرورة والتسليم والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم معناهما ظاهر ويأتى
قريبا ولقد اجاد فى الختم بهما والبركات جمع بركة ولا وجه لما قيل انه فاسد الوزن وصوابه ان يقول
ويخصه ازكى صلاة دايما بنوامى التسليم والبركات مع انه وقع فيما هرب منه روى ان المص
رحمه الله تعالى لم يحج ولم يزره صلى الله عليه وسلم فقال هذه الابيات الثمانية متحسرا على ما فاته
كما وقع للعارف بالله تعالى ابى العباس بن العريف فقال متاسفا على فوات ذلك سار الركاب وسوء
الحظ اقعدنى ولم اجد لبلوغ القصد مفتاحا يا سايرا الى المختار من مضر سرتم جسوما
وسرنا نحن ارواحا انا اقمنا على عجز ومسكنة ومن اقام على عجز كمن راحا

الباب الرابع

من القسم الثانى فى حكم الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وحكم التسليم والصلاة اصل معناها
الدعا والعبادة المخصوصة لما فيها من تحريك الصلوين والمراد بها انتقال صلى الله عليه وسلم
والتسليم مصدر سلم تسليما ككلمة تكليما اذا انقاد له وسلم امره اليه وفرض ذلك اى
وجوبا على امته فى اى مقام وفضيلته اى فضيلة ما ذكر من الصلاة والتسليم وليس الضمير للتسليم
فقط والمراد بفضيلته ما هو اعم من الوجوب فيشمل الندب والاستحباب وقال ابو ذر ابتدا
مشروعية الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كان فى السنة الخامسة من الهجرة وقيل كان
الابتدا بمكة لانه ورد فى حديث الاسرا وما قاله ابو ذر هو ابتدا اظهاره للناس وهذا مما خص به
صلى الله عليه وسلم دون الانبيا كلهم فانه لم يشرع ذلك لاممهم وان كانت الصلاة والكرامة
عليهم مشروعة كما سياتى قال الله تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبى الاية صدر بهذه الاية
لاثبات مدعاه لان الامر يحتمل الايجاب والندب واعلم ان معنى الصلاة كما تقدم لغة الدعا وتطلق
شرعا على العبادة المخصوصة واختلف هل هى منقولة من المعنى اللغوى لمعنى اخر وضعه الشارع

لمناسبته لمعناه الاصلى لاشتمالها على الدعا ولما فيهما من تحريك الصلوين كامر وهما طرفا العجز او هي مجاز
لاشتمالها على الدعا والظاهر الاول وقال ابن القيم وبعض المتاخرين انها باقية على معناها اللغوي ولا نقل
فيها ولا تجوز لان المصلي في جميع صلاته في دعا وعبادة غايته ان الشارع خصها بفرد من افراد الحقيقة
كالدابة لذوات الاربع ورد بانه كلام من لم يعرف معنى النقل واهل الشرع اذا استعملوها لا يلاحظون
معناها اللغوي ولا ينظرون اليه وهو كلام غير مهذب فان المجاز اذا اشتهر يتناسى فيه المعنى الاصلى
ويصير كالعلم بالغلبة وهو المراد بقولهم انه حقيقة عرفية شرعية فالمال واحد والخلاف لفظي
وهذه الاية مدنية اخبر الله عباده فيها بشرف منزلته صلى الله عليه وسلم عنده وان الله وملائكته
يثنون عليه في الملا الاعلى ثم امر اهل العالم السفلى بان يفعلوا كفعلهم وفي الكشاف لما نزلت هذه الاية
قالوا لما خصك الله بشرف الا شركنا فيه فنزل هو الذي يصلي عليكم وملائكته قال الحافظ السخاوي
لم اقف على اصله الى الان وقال شيخ مشايخنا ابن حجر الهيتمي رحمه الله هو موافق لما اخرجه ابو نعيم
في الدلايل في ترجمة سفيان بن عيينة انه سيل عن قوله اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت
على ابراهيم وعلى ال ابراهيم فقال اكرم الله امة محمد صلى الله عليه وسلم فصلى عليهم كما صلى
على الانبيا فقال هو الذي يصلي عليكم وملائكته وقال لنبيه عليه الصلاة والسلام وصل عليهم
ان صلاتك سكن لهم اي سكينة فصلى عليهم كما صلى على ابراهيم واسحق ويعقوب والاسباط وهولاء
الانبيا مخصوصون منهم وعم هذه الامة بالصلاة وادخلهم فيما ادخل فيه نبيهم صلى الله عليه وسلم
ولم يدخل في شي الا دخل فيه امته ثم تلى ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية وقال هو الذي يصلي عليكم
وملائكته واشار الى مزيد خصوصيته على امته باسناد الصلاة عليهم اليه والى ملائكته وصلاة
الملائكة على الامة لا تكون الا بتبعيته وجمهور القرا على نصب الملائكة عطفا على اسم ان ويصلون
خبر عنهما وقيل خبر ملائكته وخبر الجلالة محذوف لدلالة يصلون عليه ورجح بتغاير الصلاتين
ورجح الاول ابو حيان والجملة اسمية خبرها مضارع لافادة الاستمرار التجددي فالملائكة استمرت
صلاتهم عليه وهذه منقبة لم توجد لغيره اعظم من سجود الملائكة لادم الذي وقع وانقطع
وقال على النبي دون محمد او الرسول تنويها بقدره صلى الله عليه وسلم والنبوة اشرف من الرسالة
لانها اتصال بالله واشتغال به والرسالة اشتغال بالناس ثم انه اكد اللام وخصه بالمؤمنين
قيل لان الصلاة مركدة معنى بصدورها من الله وملائكته فكيف لا تصلي عليه امته ولانها موكدة
بان والجملة الاسمية والسلام سوا كان بمعنى الانقياد او بمعنى السلامة من الايذا لا يليق اسناده
الى الله والملائكة ولذا استحق التاكيد لصدوره خلافه من جنسهم ولا يرد عليه قوله تعالى سلام
على ابراهيم وقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم كما اورده السخاوي لانه تحية
واكرام وبقي هنا كلام بيناه في رسالة مستقلة ثم شرع في بيان معنى الصلاة فقال قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما معناه اي معنى الصلاة وذكره لتاويله بالدعا او لان تانيث المصادر غير معتبر
وهذا رواه ابن جرير وابن ابي حاتم ان الله وملائكته يباركون على النبي صلى الله عليه وسلم اي
يدعون له بزيادة بركة لايقة بمقامه وشرف قدره وسياتي فيه كلام واصل معنى البركة النمو والزيادة

الخير اللازم وقيل في معناه انه بمعنى ان الله يترحم على النبي صلى الله عليه وسلم اي يدعوله بالرحمة
وفي القاموس ترحمت عليه وترحمت والاولى الفصحى وهو رد على من قال ترحمت عليه لحن كما نقله الصاغاني
ورد بانه ورد في الحديث وتاتي الاشارة اليه ايضا وملائكته يدعون له ولم يبين الدعا لتفسيره
بقوله وقال المبرد معنى الصلاة الترحم اي الانعام او الدعا بالرحمة ومعنى الدعا من الله ارادته
او التبشير به لان معناه الحقيقي لا يتصور في حق الله فاريد به لازمه وغايته ولذا فسره بقوله
فهي من الله رحمة اي انعام او ارادته ومن الملائكة رقة اي شفقة عليه ومحبة واستدعا للرحمة
من الله له اي طلبها والدعا بها وقد ورد في الحديث الذي رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله
عنه صفة صلاة الملائكة على من جلس ينتظر الصلاة في المسجد اللهم اغفر له اللهم ارحمه
فهذا دعا لهم بالمغفرة والرحمة وقد صرح بهذا في قوله في حق الملائكة والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به
ويستغفرون للذين امنوا وفي قوله والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض وقد بينا
وجه الدعا بخصوص الاستغفار فيما ياتي في فصل المواطن ولفظ الحديث ومسلم لا يزال العبد
في صلاة ما كان في مصلاه ينتظر الصلاة والملائكة يقولون اللهم اغفر له اللهم ارحمه
حتى ينصرف او يحدث وقال الامام ابو بكر القشيري الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي اي لمن هو
دون منزلته دون منزلته من الامة رحمة اي طلب ان يرحمه الله واما النبي فمرحوم باعلى انواع الرحمة
فهو غير محتاج لان يدعى له بها وفي فتاوى الصوفية لو قال اللهم ارحم محمدا كما رحمت وترحمت على ابراهيم
قال الصفار انه مكروه في حق الانبيا والرسل وحكى عن محمد انه كان يكرهه ويقول فيه ظن نوع تقصيرهم
فانه لا يستحق الرحمة الا من اتى بما يلام عليه وقد امرنا بتعظيم الانبيا وتوقيرهم فاذا ذكر النبي صلى الله
عليه وسلم لا يقال رحمه الله بل صلى الله عليه وسلم بل لا يقال للصحابة رحمهم الله بل رضي الله
عنهم وكذا قال خواهرزاده وصاحب المحيط والظهيرية وانا اقول ان اللهم ارحم محمدا وال محمد
حديث متوارث وكان الشيخ الزاهد الرستغفني يقول معنى ارحم محمدا ارحم امة محمد فالترحم لامته
لا له كما يقال لمن يراد عقابه وله ابن حاضر يتوجع لابنه ارحم هذا الشيخ الكبير وهو لم يجن ولم يوخذ
كما في جامع المضمرات وقال الزيلعي رحمه الله تعالى الصحيح انه لا يكره لانه صلى الله عليه وسلم
من اشوق الناس الى رحمة ربه انتهى وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة مكرمة بميم في اوله
وراء مضمومة وفي نسخة تكرمة بتاء بدل الميم وراء مكسورة وهما مصدران وظاهره ان معنى الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم غير الرحمة وانما هي في حقه بمعنى التشريف والتعظيم اللايق به وقد علمت
ما فيه وانه ورد الدعا له بالرحمة ولكن استحبوا الدعا له بلفظ الصلاة تادبا وفرقا بينه وبين
غيره وقال ابو العالية صلاة الله عليه صلى الله عليه وسلم ثناؤه عليه بمدحه وبيان منزلته
عنده عند الملائكة اي بحيث يطلعون على ذلك وصلاة الملائكة الدعا له كامر وقال القاضي ابو الفضل
عياض مصنف هذا الكتاب رحمه الله تعالى وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم
الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة فدل تفريقه بينهما بعطف احدهما على الاخر على انهما
بمعنيين متغايرين وحديث تعليمهم الصلاة سياتي بيانه وبيان طرقه ووارده ان بعضهم فسر

الصلاة بالبركة وهذا الحديث يدل على خلافه وكونه عطف تفسير خلاف الظاهر والفرق بينهما ان الصلاة
كما تقدم معناها الرحمة والبركة كما قال الراغب اصلها من البرك وهو صدر البعير ومنه برك البعير
اذا القى بركه واعتبر فيها معنى اللزوم ولذا سمى محبس الماء بركة فالبركة ثبوت الخير الالهى فى الشى والمبارك
ما فيه ذلك الشى ولما كان ذلك الخير الالهى يصدر من حيث لا يحس وعلى وجه لا يحصى قيل لكل ما يشاهد
فيه زيادة غير محسوسة مبارك وفيه بركة ولكل ما ذكر فيه مبارك تنبيه على اختصاصه تعالى
بالخيرات المذكورة معه انتهى فمعنى صل وبارك على محمد ارحمه وادم خيراتك التى لا تحصى عليه ثم
ان اطلاق الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى غيره مشهور فهى على انبيائه ثنا وتعظيم
وعلى غيرهم رحمة من رحمته التى وسعت كل شى وقال الغزالى لفظ الصلاة مشترك فى الاعتنا بالمصلى
عليه ثم لما فسر الصلاة وذكروا الاقوال فيها ذكر تفسير السلام الذى هو قرينها فقال واما التسليم
الذى امر الله تعالى به عباده فى قوله وسلموا تسليما فقال القاضى ابو بكر بن بكير بالتصغير وهو ابو بكر
محمد بن احمد بن عبد الله بن بكير التميمى المالكى البغدادى الفقيه الثقة صاحب التاليف الجليلة التى
منها احكام القران وهو عراقى من اقران ابن الجهم وقيل اسمه احمد بن محمد بن بكير وقيل محمد بن
بكير لا غير فبكير ابوه او جده نزلت هذه الاية يعنى قوله ان الله وملائكته يصلون على النبى الاية الخ
على النبى صلى الله عليه وسلم فامر النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه ان يسلموا عليه امتثالا لامر الله
وكذلك من بعدهم وهذا مبنى على ان الامر العام النازل عليه صلى الله عليه وسلم هل يختص
بالموجودين او يعمهم ومن بعدهم وهو خطاب المشافهة والكلام عليه مبسوط فى كتب الاصول
وعلى الاول اذا قام دليل وقياس جلى على شموله لمن بعدهم يعمل به وما نحن فيه من هذا القبيل
امروا ان يصلوا على النبى صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره فى ساير مجالسهم
كما سياتى بيانه وفى معنى السلام عليه صلى الله عليه وسلم ثلاثة اوجه وفى نسخة وجوه
باستعمال جمع القلة للكثرة وهو جايز شايع فى كلامهم احدها انه بمعنى السلامة من النقايص
والافات ثابتة لك ومعك اى مصاحبة وملازمة لك ويكون على هذا التفسير السلام مصدر
بمعنى السلامة كاللذاذ واللذاذة بمعنى التلذذ باللذة فمعناهما واحد بتا ودونها ومثلها كثير
كالملام والملامة والمقال والمقالة ولما فى السلام من معنى الثنا عدى بعلى لا لانه بمعنى القضا
والمعنى قضا الله عليك السلام كما قيل لان القضا كالدعا لا يتعدى بعلى للنفع ولا لتضمنه معنى
الولاية والاستيلا لانه وجه اخر ذكره بقوله الثانى اى السلام مداوم على حفظك ورعايتك
اى اكرامك وعنايته بك ومراقبتك ومتول له اى قايم به بحيث لا يكل امرك لغيره وكفيل به اى
متكفل ملتزم له ويكون هنا اى فى هذا الوجه السلام من اسما الله تعالى ومعناه ذو السلامة
وليس فى اسما الله تعالى مصدر غيره الثالث من الاوجه ان السلام بمعنى المسالمة له والانقياد
عطف تفسير فالمسالمة التسليم وعدم المخالفة كما قال تعالى فلا وربك قسم جوابه لا يومنون
اى لا يظهر ايمانهم ولا يكمل حتى يحكموك اى يفوضون الحكم اليك فيما شجر بينهم اى وقع بينهم
من المنازعات والدعاوى ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا اى ضيقا لعدم رضاهم مما قضيت حكمت به

عليهم

عليهم ويسلموا تسليما اى يذعنون وينقادون لامرك منشرحة صدورهم لقبوله قال الراغب
السلام والسلامة التعرى من الافات الظاهرة والباطنة والسلام من اسمايه لسلامته
وتنزهه عما لا يليق به انتهى وقال الخطابى صيغته خبر معناها الدعا والطلب ومثله يحتاج
للنية الا اذا شاع فيه عرفا فانه لا يحتاج حينيذ للنية انتهى ومعناه فى صلى الله وسلم
على محمد ونحوه فانه لا يتصور فى حقه الطلب من غيره اذ هو المطلوب منه انه يريد من نفسه له الخير
والسلامة والعزة حتى ينقاد الناس كلهم له فبين الطالب والمطلوب تغاير اعتبارى ومثله
يكفى فى هذا المقام وقد افرد السلام بتاليف نفيس للسيد السمهودى وقفت عليه وفيه لطايف
يضيق المقام عنها وفى الشرح الجديد هنا كلام غير محرر راينا ترك التعرض له اولى وفى الاذكار
للنووى انه يكره افراد الصلاة عن السلام فى حقه صلى الله عليه وسلم وياتى فيه كلام
وهذه الاية الاخيرة نزلت فى حق من خاصم الزبير رضى الله عنه فى سقاية الما وسياتى الكلام عليه
ان شا الله تعالى مع تقدم بعضه والله اعلم فصل اعلم ان الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم
فرض فى الجملة اى اجمالا من غير تعيين زمان ومحل غير محدد بحاء ودال مشددة مهملتين اى غير معين واصله
ما له حدود فاستعمل فى لازم معناه بوقت من الاوقات المعلومة واستدل على مطلق الوجوب بقوله
لامر الله تعالى واصل الامر للوجوب بالصلاة عليه بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما وحمل الاية
من السلف والعلما من اهل التفسير له على الوجوب اى على انه امر ايجاب لا ندب اى فسروه بان المراد
منه ذلك يقال حملت كلامه على كذا اذا فسرته به واجمعوا عليه اى على انه للوجوب من غير تعيين
محل وزمان والاية تدل على ذلك عند الجمهور لان الاصل فى الامر وحقيقته عند الاكثر وتقريره
فى كتب الاصول ومستند الاجماع هذه الاية وما عضدها من الاحاديث لا الاية فقط حتى يقال
انه ينافيه ما حكاه عقبه من قوله وحكى ابو جعفر الطبرى هو الامام محمد بن جرير وقد تقدم
بيانه ان محمل الاية اى المراد منها وما فيها من الامر عنده على الندب اى عند ابى جعفر وفيه تقدير
اى تبعا لغيره والا فلا معنى لحكايته ما عنده ويدل على المقدر قوله وادعى فيه اى فى ان الامر
فيها للندب الاجماع وفى قوله ادعى اشارة الى ان ما قاله ممنوع عنده لثبوت خلافه عنده ثم
وفق بينه وبين ما ذكره قبله فقال ولعله اى ما ادعاه فيما زاد على مرة واحدة فى العمر فانه لا خلاف
فى وجوبه على كل احد والواجب منه مبتدا خبره مرة الاتى الذى يسقط به الحرج اى التضييق
على الناس لو وجب دايما او كلما ذكر او الاثم فان الحرج ورد بهذين المعنيين كما صرحوا به وماثم
ترك الفرض اى يسقط به الاثم عمن تركه اذا كان فرضا والماثم بالمثلثة مصدر ميمى بمعنى الاثم
مضاف لترك المضاف للفرض بمعنى الواجب مرفوع على الخبرية كالشهادة له صلى الله عليه
وسلم بالنبوة والرسالة فانها واجبة فى العمر مرة فاذا سقط الوجوب بمرة يتحقق فى ضمنها
ماهيته المورثة فالصلاة بالطريق الاولى وهو احد المذاهب فى الصلاة كما ياتى بيانه
وما عدا ذلك اى المرة الواحدة فى الصلاة والشهادة فمندوب مرغب فيه بكثرة ثوابه وفوايده
من سنن الاسلام وشعار اهله اى دابهم الذى هو علامة لهم وهو لغة بمعنى العلامة وله

معا الخ وهذا جواب عما اعترض به على ابن جرير مما خالف الاجماع الذى حكاه المص وليس مذهب مالك
كما نقله بعض الشراح وما نقله المص صرح به ابن عبد البر من غير عزوله لمذهب وهو ظاهر قال القاضى
ابو الحسن بن القصار بقاف وصاد مشددة ورا مهملتين وهو على بن عمر بن احمد الفقيه الثقة
له كتاب فى الخلاف كثير الفوايد لم يصنف فى بابه احسن منه وفى بعض النسخ الصفار بصاد مهملة
بعدها فا والف ورا قال التلمسانى والاول هو المعتمد وهو من ايمة المالكية منسوب لصنعة قصارة
الثياب وهى تبييضها والثانى لبيع الصفر وهو النحاس المشهور عن اصحابنا يعنى المالكية ان ذلك
اى الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب فى الجملة اى اجمالا او مطلقا من غير تعيين
وقت له على الانسان وفرض عليه اشارة الى ان الواجب والفرض عنده بمعنى كالشافعية
خلافا للحنفية ان ياتى به مرة من دهره اى فى مدة عمره لخروجه بذلك عن عهدته مع القدرة على ذلك
اى شرط فى وجوبه مرة فى عمره ان يقدر على التكلم به فلو عجز عنه لمانع منعه من التلفظ به سقط
عنه كساير الواجبات كمن اخترمته المنية وقوله لا ينافى ما تقدم من الاجماع لانه لا مفهوم له
وقصده انه مع الاجماع مما اشتهر بين الايمة ايضا او اشارة لما نقله عن الطبرى وان كان عنده
لا ينافى الاجماع لكونه واه او ماول كما تقدم ولم يتعرضوا لحكم السلام عنده ونقل الحطاب عن متا
خرى المالكية عن الرصاع ان الذى يظهر ان السلام عليه صلى الله عليه وسلم واجب مرة مثل
الصلاة عليه والزايد مستحب لقول ابن عباس رضى الله عنهما فريضة من الله علينا ان نصلى على نبينا
ونسلم تسليما وما نقل عن مشايخ المغاربة من التوقف فى وجوبه لا اصل له والحق ان حكمه حكم
الصلاة انتهى وقال القاضى ابو بكر بن بكير وقد تقدمت ترجمته افترض الله عز وجل افترض
وفرض بمعنى اوجب وفيه زيادة تاكيد لزيادة بنيته على خلقه جميعا ان يصلوا على نبيه ويسلموا
تسليما كما مر نقله عن ابن عباس من فرض الصلاة والسلام وينبغى ذكره مع مصدره المؤكد
امتثالا للماثور ولم يجعل ذلك الافتراض لوقت معلوم واللام فيه للتوقيت او الظرفية كما
يقال كتبت لستة عشر مثلا فالواجب على الخلق ان يكثر المرء اى الرجل والمراد به الانسان
ولو امراة تغليبا منها اى من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ولا يغفل عنها اى يتركها ويشتغل
عنها بغيرها وفى كلامه شىء لانه بصدد بيان وجوبها مرة وكونه يكثر منها ولا يغفل عنها مناف له
لا قتضائه مرات كثيرة فان اراد انه ان فعلها فى وقت ما يكرر ها مراراً فى ذلك الوقت فاجاب
مثله غير ظاهر مما نقله قبله فان كان قولا اخر فسياقه لا يساعده واما الاعتراض عليه
بانه امر مطلق لا تعرض فيه لعدم تعين وقتها لا معنى له وفى بعض الشروح انه قول ثالث انه يجب
الاكثار منها مطلقا من غير تعيين مقدار ووقت وهو كلام حسن وقال القاضى ابو محمد ابن نصر
المالكى وهو القاضى عبد الوهاب بن نصر بن احمد بن حسين وقيل ابن الحسن ابن احمد بن هارون
ابن مالك ادرك الشيرازى وسمع منه فى النظر وكان فقيها شاعرا بليغا اديبا له شعر كثير
وكتب كثيرة فى كل فن وارتحل فى اخر عمره لمصر فحصلت له ثروة وتوفى سنة احدى وعشرين
واربعمائة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم واجبة فى الجملة اى من غير تعيين مقدار

ولا زمان

208

ولا زمان ولا غيره قال القاضى ابو عبد الله محمد بن سعيد قيل هو محمد ابن سعيد بن بشير بن شراحيل
الفقيه كتب فى حداثته للقاضى مصعب بن عمران ثم رحل الى المشرق فلقى مالكا رضى الله عنه
فقرا عليه ثم انصرف للاندلس والتزم ضيعته بباجه الى ان توفى سنة ثمان وتسعين ومائة
كما قاله القاضى فى المدارك ذهب مالك واصحابه وغيرهم من اهل العلم الى ان الصلاة على النبى صلى الله
عليه وسلم فرض بالجملة اى اجمالا من غير تعيين مقدار ووقت بعقد الايمان اصل معنى العقد
ربط اطراف الشىء كعقد الحبل وعقد الايمان والايمان بفتح الهمزة وكسرها بمعنى تصميمها واعتقادها
يقينا فقوله بعقد الايمان هو بكسر الهمزة والباء سببية او بمعنى بعد اى هى اول ما يفرض بعد الايمان
بالله ورسوله لا يتعين فى الصلاة اى ليس وجوبها مخصوصا او موقتا بها وان من صلى عليه مرة
واحدة فى عمره ومدة حياته الى موته سقط الفرض عنه لخروجه عن عهدته قيل حاصل ما ذكره المص
غير ما نقله عن الطبرى ولم يرتضه قولان الاول انها فرض فى الجملة تسقط بمرة الثانى انه يجب الاكثار
منها من غير تعيين وقد تقدم ما فيه والفرق بين القول بانها تجب مرة والقول بانها تجب فى الجملة
مطلقا ان ما زاد على المرة فى القول الاول يقع نفلا وعلى الثانى يقع الكل فرضا ويثاب عليه ثواب
الفرض قيل وهو التحقيق ونظيره ما قاله الشافعى رحمه الله فى مسح الراس انه يجب مسحها مطلقا فلو
مسح شعرة حصل الفرض ولو مسح الجميع وقع فرضا وبقى قول اخر غير ما ذكره المص منها انها تجب فى
كل مجلس مرة فى جلسته وهل هى فرض كفاية على اهل المجلس فلو صلى واحد كفى عن الجميع او فرض عين ومنها
انها تجب كلما ذكر وقيل كلما ذكر او سمع ونقلوا عن الطحاوى وبعض الحنفية والشافعية للحديث الاتى
رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل على وقيل انه مبنى على ان الامر يفيد التكرار وهو ضعيف وقيل
عليه انه يلزم له شغل المرء عن غيرها من العبادات وانه يقتضى وجوب ذلك على المصلى وقارى القران
والمتشهد ويلزمه التسلسل وفيه مشقة على الناس ولم ينقل مثله عن احد من الصحابة والتابعين
ولو كان كذلك وجب الثنا على الله كلما ذكر بالطريق الاولى ولم يقله احد واجيب بانه منقول عن الايمة
الاجلة وانه مخصوص بما لم يكن فى الصلاة ونحوها والحرج فيه غير مسلم وانا نلتزم وجوب الثنا
على الله تعالى ايضا ونقول بالفرق بينهما بانه تعالى غنى مطلق وعظمته غير متوقفة على ذكرها وان هذا
حق العبد وذاك حق الله وهو مبنى على المشاححة والقول بانه حق الله ايضا لامره به ناش من عدم
فهم المراد بحق الله وقال اصحاب الشافعى الفرض منها الذى امر الله به فى الاية المذكورة اولا وامر به رسوله
عليه الصلاة والسلام كما سياتى بيانه هو فى الصلاة هو عقب التشهد قبل التحلل وسياتى
تفصيله وذكر الاحاديث التى استدل بها الشافعى واصحابه كما صرح به فى الام وقول القرافى
فى الذخيرة انه استدل بالاجماع مردود بانه صح بخلافه والاجماع على وجوبها فيه وقالوا اى
اصحاب الشافعى واما فى غيرها اى غير الصلاة وهو خارجها فلا خلاف فى انها غير واجبة المراد انه
لا خلاف عند الشافعى واصحابه والا فقد تقدم القول بوجوبها وتقديرها مرة واحدة كما مر ولا يجدى
نفعا الا ان نفى الخلاف بناء على المشهور عندهم وفى الشرح الجديد ما نقله المص عن الشافعية
غير صحيح فان المفتى به عندهم ان الصلاة واجبة فى الخطبة الاولى والثانية للجمعة لانه لم ينقل

عن الخلفا الراشدين تركها فيهما ووافقه احمد وهما امام السنه وقال الشافعي ايضا بوجوبها في صلاة
الجنازة اي بعد التكبيرة الثانية كما سياتي بيانه ووافقه احمد واتباعه ايضا ورووا فيه احاديث صححوها
واما في الصلاة اي حكمها فيها فحكى الامامان ابو جعفر يعني محمد بن جرير الطبري وقد تقدمت ترجمته والطحاوي
احمد بن محمد بن سلامه كما تقدم بيانه وهما ممن قال بعدم وجوبها في الصلاة وغيرهما من الايمة اجماع جميع
المتقدمين والمتاخرين من علما الامة على ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد الاول
والاخير منها غير واجبه وشذ الشافعي رحمه الله تعالى اي اتى بقول شاذ انفرد به عن جميع ايمة الدين ولم ينقل
احد قبله ولم يوافقه عليه احد في ذلك اي بقول بوجوبها في تشهد الصلاة الاخير فقال من لم يصل
على النبي صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد الاخير وقبل السلام فصلاته فاسدة لانها ركن
من اركان الصلاة فتفسد بتركها في التشهد الاخير فقط وان صلى عليه صلى الله عليه وسلم قبل
ذلك اي قبل التشهد الاخير وقوله فيه اشهد ان محمدا رسول الله لم تجزه صلاته اي لم تصح ولم يسقط
عنه الفرض فيجب عليه اعادة صلاته ولا سلف له في هذا القول بوجوبها في التشهد الاخير اي
لم يقل به احد من السلف يعني متقدمي الايمة يستند لقوله ويتبعه ولا سنة يتبعها اي يثبت في السنة
والاحاديث النبوية ما يكون دليلا على ما قاله الامام الشافعي رضي الله عنه وقد بالغ في انكار هذه
المسالة عليه لمخالفته فيها من تقدمه من الايمة والسلف جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها مفعول
شنعوا يعني قبحوا اي عدوا ما قاله امرا قبيحا وقولا مبتدعا منه منهم الامام محمد بن جرير الطبري والامام
القشيري قيل المراد به ابو نصر ابن صاحب الرسالة او ابو بكر بن العلا القشيري المالكي واما الامام
القشيري صاحب الرسالة فهو شافعي لم ينكر عليه شيا مما ذكر وغير واحد اي ناس كثيرون من الفقها
والعلما وقال ابو بكر بن المنذر بصيغة اسم الفاعل وهو الامام الاوحد ابو بكر محمد بن ابراهيم النيسابوري
الثقة الحجة امام عصره وشيخ الحرم توفي بمكة سنة تسع او عشرة وثلثماية يستحب ان لا يصلي احد
صلاة ما فرضا كانت او نفلا او جنازة الا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد التشهد
وبعد التكبيرة الثانية فان ترك ذلك تارك اي واحد اي واحد كان في اي صلاة كانت فصلاته مجزية
اي صحيحه وان كان الافضل عدم الترك في مذهب مالك واهل المدينة اي علمايها وهو من عطف العام
على الخاص وسفيان الثوري صرح به لانه مجتهد صاحب مذهب واهل الكوفة اي علمايها من اصحاب الراي
المراد بالراي القياس في عرف الفقها والمالكيه والشافعيه يريدون بهذه العبارة اتباع ابي حنيفة
ويقابلهم اهل الحديث لاقتصارهم في العمل عليه وغيرهم من العلما وهو قول جل اهل العلم الجل
بضم الجيم المعظم والاكثر من كل شي وحكي عن مالك وسفيان الثوري انها في التشهد الاخير مستحبة
لا واجبه وخص الاخير لانه محل الخلاف ولذا تاركها في التشهد مسي غير محسن لارتكابه امرا مكروها
قصده وشذ الشافعي اي انفرد رحمه الله بهذه المقالة المخالفة عن غيره من الايمة واوجب على تاركها
في الصلاة الاعادة لتركه ركنا بتمامه سوا تركها عمدا او سهوا واوجب اسحق بن ابراهيم بن مخلد وهو الامام
الجليل ابو يعقوب بن راهويه عالم خراسان ومحدثها توفي سنة سبع وتسعين سنة في شعبان
سنة ثمان وثلاثين ومايتين الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان وحكى الشيخ ابو محمد بن ابي زيد

هو

هو صاحب الرسالة المشهورة وهو من ايمة المالكية عن محمد بن المواز بفتح الميم والواو المشددة واخره
زاي معجمة وهو الامام محمد بن ابراهيم ومن اجل الايمة في مذهب مالك وعليه المعول فيه وهو اسكندراني
تفقه بابن الماجشون وابن عبد الحكم واعتمد على اصبغ وتوفي ببعض حصون الشام وقد هرب في فتنة
واختفى به ووفاته سنة احدى وثمانين ومايتين ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فريضة
ولم يعين لوجوبها وقتا ولا غيره وقال ابو محمد هو ابن ابي زيد المار ذكره قريبا في تفسير كلام ابن المواز
يريد ليست من فرايض الصلاة بل فرض في الجملة كما تقدم وسياتي ما يخالفه وقال محمد بن عبد الحكم
وغيره هو ابو عبد الله محمد بن عبد الحكم المصري صاحب الامام الشافعي لم يكن في عصره اجل منه ولا
اعرف باقوال الصحابة والتابعين منه ولد سنة اثنين وثمانين ومايه وتوفي لليلة خلت من ذي القعدة
سنة ثمان او تسع وستين ومايتين واخرج له النساي وحكى ابن القصار وعبد الوهاب من ايمة
المالكيه ان محمد بن المواز يراها فريضة في الصلاة كقول الامام الشافعي وقد نقل الاسنوي رحمه الله
ايضا ان للشافعي رضي الله عنه قولا اخر غير ما اشتهر عنه انها سنة في الصلاة لا ركنا ولا واجبا
وقال ابن عبد السلام المالكي ظاهر كلام ابن المواز وصححه ابن الحاجب في مختصره الفرعي
وابن العربي في سراج المريدين وحكى ابو يعلى العبدي المالكي عن المذاهب اي مذهب الامام مالك رحمه الله
تعالى فيها اي في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة اقوال في الصلاة الاول الوجوب والثاني
السنية والثالث الندب جريا على اصطلاحهم في التفرقة بين السنة والندب وقد خالف الامام
الخطابي من اصحاب الشافعي وغيره الشافعي في هذه المسيلة قال الخطابي وليست بواجبة في الصلاة
وهو قول جماعة الفقها الا الشافعي فانه ذهب لوجوبها فيها ولا اعلم له فيها قدوة اي ما يقتدي به
من الايمة والسلف وسياتي رد هذا والدليل على انها ليست من فروض الصلاة كما قال الشافعي
عمل السلف الصالح قبل الشافعي من الصحابة والتابعين وهذا لا وجه له كما سياتي بيانه واجماعهم
عليه سياتي ايضا انه لا اجماع فيه وقد شنع الناس عليه في هذه المسيلة جدا اي قبحوه وانكروه
اي تشنيعا كثيرا اجتهدوا وجدوا فيه جدا فبين وجه الانكار بقوله وهذا تشهد ابن مسعود
جعله لشهرته كمحسوس حاضر عنده يشير اليه الذي اختاره الشافعي رضي الله عنه اي رجحه على غيره
فان التشهد له طرق مختلفة وهو الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم وما قاله مردود ايضا فانه انما اختار تشهد ابن عباس الذي فيه زيادة لفظ
المباركات لموافقته لقوله تحية من عند الله مباركة طيبة ولتاخره عن تعليم ابن مسعود كما قاله
البيهقي رحمه الله وكذلك اي مثله في عدم ذكر الصلاة فيه كل من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه
وسلم من الصحابة الذين علمهم التشهد كابي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وابي سعيد الخدري
وابي موسى الاشعري وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم كلهم لم يذكروا فيه اي في تشهدهم الذي تعلموه
الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم هذا اعظم ما تمسك به المص في رده لما ذكر لما يلزم
من عدم ذكرهم انه صلى الله عليه وسلم لما يامرهم به وهو مردود ايضا لان تعليمهم ذلك
كان في ابتدا الهجرة قبل نزول الاية والامر بها في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه الاية فلذا

لم يامرهم صلى الله عليه وسلم بما لم يومر به فلما نزلت امرهم وهذا مصرح به في الحديث وسياتي نقله
مفصلا بطرقه وقال ابن عباس وجابر في حديث رواه مسلم كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد
كما يعلمنا السورة من القران فيقروه عليهم ويامرهم بتلقيه بالفاظه وحفظه فكيف يترك ما هو مذكور
فيه وقد عرفت جوابه ونحوه اي مثل ما ذكر عن ابي سعيد الخدري كما رواه ابن ابي شيبة في مصنفه
وقال ابن عمر رضي الله عنهما كان ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر وهو يخطب عليه في خلافته
كما تعلمون الصبيان في الكتاب بضم الكاف وتشديد المثناة الفوقية وهو اسم للمحل الذي يعلم
فيه الصبيان منقول عن جمع كاتب فهو تسمية للمحل باسم الحال فيه وقد ورد بهذا المعنى في كلامهم
كما ذكره الزمخشري في الاساس وغيره ولا عبرة بمن انكره وقال انه مولد والصواب المكتب وعلمه
اي التشهد ايضا على المنبر عمر بن الخطاب كما علمه عليه ابو بكر في خلافته يعني بذلك شهرته
بحيث لا يخفى على احد ولا يترك ولا دليل له فيه لان ما علم على المنبر لم يذكر ولم ينقل بدون ذكر
الصلاة حتى يتم له ما ادعاه ثم اشار الى الجواب عن بعد ما استدل به الشافعية فقال
وفي الحديث الذي رواه ابن ماجه والحاكم في مستدركه والطبراني والدارقطني والبيهقي وفي بعض
الفاظه اختلاف ثم لا صلاة لمن لم يصل علي بالتشديد وروي لمن لم يصل على نبيه وهو نظاهر
دليل للشافعي على ان الصلاة لا تصح بدونها قال ابن القصار معناه المراد منه كاملة الاجر وهو
صرف للنفي عن المتبادر منه من نفي الصحة الى نفي الكمال فتصح وان لم تكمل وهذا مبني على قاعدة اصولية
وهي ان النفي اذا دخل على شيء ليس بمنفي هل تقدر الصحة او الكمال فقال الشافعي الارجح تقدير الصحة
لانه اقرب الى نفي ذات الشيء وقال غيره يقدر الكمال وقد بينه البيضاوي في شرح المصابيح في حديث
انما الاعمال بالنيات او لمن لم يصل علي خرم في عمره وهو تحكم وترجيح بلا مرجح وسياتي تفصيله
ثم بين ما فيه بحسب الرواية سقبوله وضعف اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث لانه كما قاله الامام
الخيضري في كتاب اللوا المعلم من حديث عبد المهيمن بن عباس عن ابيه عن جده وعبد المهيمن ليس
بحجة وروي من طرق اخرى لم تثبت انتهى وفي حديث ابي جعفر محمد الباقر بن زين العابدين عن ابي مسعود
عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه وهذا مبني
على ان الصلاة على الال في التشهد الاخير واجبة كالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فيه
وفيها قولان للشافعي والصحيح في المذهب انها غير واجبة واما في التشهد الاول فمن قال انها
واجبة في الاخير قال باستحبابها فيه ومما ينسب للشافعي رضي الله عنه في ذلك

يا اهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القران انزله
كفاكم من عظيم القدر انكم من لم يصل عليكم لا صلاة له

فيحتمل لا صلاة له صحيحة فيكون موافقا لقوله بوجوب الصلاة
على الال ويحتمل لا صلاة له كاملة فيوافق اظهر قوليه قال الدارقطني الصواب انه منقول عن ابي
جعفر محمد الباقر بن زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب لو صليت صلاة لم
اصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على اهل بيته لرايت انها لا تتم وهذا يوافق
ما قاله الشافعي رحمه الله تعالى ففيه تاييد له دون ما قاله المص واعلم ان الامام الخيضري

رحمه الله

210

رحمه الله صنف في هذه المسالة كتابا سماه زهر الرياض في رد ما شنعه القاضي عياض
طالعته بتمامه وقد قال فيه ما قصدت به تنقيص مقداره فانه طراز هذه العصابة
وتلخيصه ان الامام الشافعي رضي الله عنه قال في الام فرض الله عز وجل الصلاة على رسوله
صلى الله عليه وسلم فقال ان الله وملائكته الاية فلم يكن فرض الصلاة عليه في موضع اولى
منه في الصلاة ووجدنا الدلالة بما وصفت عنه صلى الله عليه وسلم ثم ساق باسناده
الى ابي هريرة رضي الله عنه انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك يعني في الصلاة قال قولوا
اللهم صل على محمد الخ وساق بسنده ايضا الى كعب بن عجرة عنه صلى الله عليه وسلم انه
كان يقول في الصلاة اللهم صل على محمد الخ فلما روي انه كان يعلمهم التشهد في الصلاة وانه
علمهم كيف يصلون عليه فيها لم يجز ان نقول التشهد واجب والصلاة غير واجبة والخبر فيهما
عنه صلى الله عليه وسلم فعلى كل مسلم وجبت عليه الفرايض ان يتعلم التشهد والصلاة
عليه فمن صلى ولم يتشهد ولم يصل عليه صلى الله عليه وسلم فعليه اعادتها انتهى ثم ذكر ما قاله
المص وقال هذا قول لا ينبغي الاعتماد عليه ولا الاستناد اليه ولقد عجبت منه كيف قدم
على هذه المقالة الشنيعة وتجاسر على الاتيان بهذه العبارة الوضيعة وهي قولة غير صحيحة
ينادي مدعيها على نفسه بفضيحته واي فضيحة وستري حجاجا بالغة وسننا متبوعة وغار براهين
لا مقطوعة ولا ممنوعة فمن الادلة على وجوبها في التشهد الاخير الاية المذكورة لاتفاقهم على ان الامر
المطلق يقتضي الوجوب ما لم يقم الدليل على خلافه والله قد امر عباده بالصلاة والتسليم
عليه صلى الله عليه وسلم وثبت ان الصحابة رضوان الله عليهم سالوه عن كيفية هذه الصلاة
المامور بها فقال قولوا اللهم صل على محمد الخ والسلام الذي علموه هو السلام الذي في الصلاة
والتشهد فمخرج الامرين والتعليمين والمحلين واحد ويوضحه انه صلى الله عليه وسلم لما علمهم
التشهد علمهم التسليم فيه فقالوا كيف الصلاة عليك المامور بها فقال اللهم صل الخ
وهما في الصلاة في ظاهر الحال ويؤيده انه لو كان خارج الصلاة كان كل من دخل عليه صلى الله
عليه وسلم يقول له السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته كما علموه وكذا كل من واجهه
بالصلاة عليه بهذه الالفاظ بتمامها والمنقول انهم كانوا يقولون في تحيته السلام عليك
يا رسول الله او نبي الله صلى الله عليك ونحوه مما نعلمه زايد على التحية في الصلاة فخرج هذا مخرج
البيان لما في القران وظهر وجه دلالة الاية عليه واورد عليه ان قول الصحابة قد عرفنا السلام
عليك فكيف الصلاة يحتمل ان يراد به السلام في الخروج من الصلاة كما قاله ابن عبد البر والدليل
اذا تطرقه الاحتمال بطل به الاستدلال وان غاية ما ذكرتم دلالة اقتران الصلاة بالسلام
على الوجوب في الصلاة ودلالة الاقتران ضعيفة وهذا انما يتم اذا سلم وجوب السلام وهو
غير مسلم واجيب بان الاول فاسد يرده لفظ الحديث وقولهم هذا السلام عليك لا السلام
فقط حتى يكون المراد السلام من الصلاة والسايل لم يستدل باقترانه وانما استدل بالامر بها
في الاية وبهذا سقط ما بعده والدليل الثاني من السنة ما في البخاري مسندا قال عبد الرحمن بن ابي

ليلى لقيني كعب بن عجرة فقال الا اهدي لك هدية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا يا رسول الله
قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد كما صليت على ابراهيم انك
حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد واخرجه مسلم
واصحاب السنن وغيرهم من طرق ساقها فان قلت قد علمنا من الاحاديث صفة الصلاة لكنها مطلقة
لم تقيد بالصلاة قلت قد علم هذا من اطباق العلما والمحدثين من غير نكير على ان المراد بها في الصلاة
ولذا وردت مذكورة بعد التشهد في كتبهم دون باب الادعية ولا نكتفي بهذا بل نقول ورد التصريح
بذلك في الحديث ايضا فيما رواه احمد في مسنده من طريقين عن ابن اسحاق قال حدثت في الصلاة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا المرء المسلم صلى عليه في صلاته وساقه الخبر والعجب من المص
رحمه الله تعالى انه قال في شرح مسلم في سوالهم عن الصلاة يحتمل انه في غير الصلاة وفي الصلاة
والاظهر الثاني لقوله والسلام كما علمتم انتهى فسبحان الله كيف ينكر بعد هذا على الشافعي وهذا
من زيادة الثقة فهي مقبولة وقد رواها الشافعي في مسنده فدعاه ذلك الى حمل الاية عليها فان قلت بعد
تخصيصه بالصلاة ليس في الحديث ما يدل على الوجوب قلت الوجوب معلوم من قوله صلى الله
عليه وسلم صلوا كما رايتموني اصلي ولا يلزمه وجوب ما في صلاته من السنن لقيام دليل خارج
على عدم وجوبها ثم ذكر احاديث لخصوصيته فيما ذكر رواها بمعنى ما سبق ومن الادلة ما في مسند احمد
الاتي في كلام المص ايضا انه صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يدعو في صلاته فلم يحمد الله ولم يصل
عليه في صلاته فقال صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له او لغيره اذا صلى احدكم
فليبدا بتحميده والثنا عليه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو بعد بما شا وهو حديث
صحيح اخرجه الترمذي والحاكم وابن حبان وقال انه على شرط الشيخين فان قلت انه هذا يدل على عدم الوجوب
لانه لم يامره باعادة الصلاة وقد يقال ايضا ان هذا الدعا كان خارج الصلاة لان الترمذي روى
هذا الحديث في جامعه عن فضالة بن عبيد بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا اذ دخل عليه
رجل فصلى وقال اللهم اغفر لي وارحمني فقال له عجلت ايها المصلي اذا صليت فقعدت
فاحمد الله بما هو اهله وصل علي ثم ادعو وفي رواية بما يجب قلت انه كان غير عالم بوجوبها فلم
يامره بالاعادة ويحتمل انه اعادها او انها نفل لا تجب اعادته وما ذكر من الحديث رواته غير ثقات
فهو ضعيف لا يصلح لمعارضة الحديث الاخر مع قوته وروايته على شرط الشيخين وقد ورد التصريح
بانه يتشهد ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بعده في الصلاة ثم اورد على قول المص انه
اي الشافعي لا سلف له فيما قاله انه قال به جماعة من الصحابة والتابعين منهم عبد الله بن مسعود
راوي حديث التشهد وروي عنه انه كان يراها واجبة في الصلاة وابو مسعود البدري
روي عنه مرفوعا وموقوفا ومنهم عبد الله بن عمر وابو جعفر محمد بن علي بن الحسين والشعبي كما
نقله البيهقي ومقاتل بن حبان ومحمد بن كعب القرظي كما نقله الماوردي واسحاق بن راهويه كما
نقله المص واحمد بن حنبل في رواية عنه ومن العجايب ان المطرف نكر على الشافعي ما ذكر وقال في شرح
مسلم ما نصه حكى بعض البغداديين عن مذهب مالك في المسيلة ثلاثة اقوال الوجوب

والسنة

والسنة والفضيلة وحمل بعضهم كلام ابن المواز على الوجوب في الصلاة كمذهب الشافعي وكلامه
محتمل للوجوب على الجملة ونقله ايضا في كتابه هذا وعبارة ابن القصار في كتابه عيون الادلة وهو
من اجل كتبهم بعد ما نقل ما سياتي من ادلة المخالفين في فرضيتها في الصلاة وجه ما نقل عن ابن المواز
ما استدل به القايلون بالوجوب فتكون الجلسة الاخيرة للتسليم عليه وان الصلوة لما تضمنت
ذكر الله وتمجيده كما في فاتحة الكتاب وجب ان يذكر فيها الصلاة والسلام على الرسول
صلى الله عليه وسلم حتى لا تخلو الصلاة عن ذكره مع الله كما في الاذان والاقامة فذكر وجه ما يدل
على انه ما ل اليه وقال ابن العربي في احكام القران ان الصحيح ما قاله ابن المواز فقد عينت كيفية
ووقتا كما بيناه في مسايل الخلاف انتهى وهو امام مشهور من ايمتهم وكذا ذكر ابن الحاجب في منتهاه
وشارحه ابن عبد السلام فظهر منه انه قول راجح في مذهبهم وانه ذهب اليه كثير من السلف
فنسبته الى الشذوذ خطا ظاهر مع ما بينا فيه من كلامه هنا واذا نقل هذا عن الصحابي
ولم يصح غيره بخلافه يصير اجماعا سكوتيا وحكمه مفصل في الاصول وعمل الناس على الصلاة
عليه بعد التشهد وتعليمها للصبيان فكيف يدعى خلافه واما ادلة المخالفين للشافعي
كابي حنيفة واتباعه ومالك في احد قوليه واليه ذهب بعض الشافعية كابن المنذر
والخطابي والقشيري والطبري كما نقله المص فلهم ادلة وحديث التشهد المروي عن نحو
اربعة وعشرين من الصحابة وليس في رواية منه ذكر الصلاة ثم سردها ورواها وفصلها
تفصيلا لم يسبق اليه ثم قال والجواب عنه من وجوه منها انه لم ينقل انه جميع الواجب في
الجلسة الاخيرة فايجاب الصلاة فيها بدليل اخر لا ينافيه ومنها انكم قلتم بوجوب السلام
ولم يامرهم به في هذا التشهد فيلزمكم عدم وجوبه وقد اوجبتموه فما كان جوابكم فهو جوابنا
لثبوته بدليل اخر وايضا التشهد ثبت بتعليمه وكذا الصلاة فاي فرق بينهما وقد بينا
انه مخصوص بالصلاة كالسلام ومنها ان احاديث التشهد لو كانت نافية للوجوب
كان الوجوب مقدما عليها لان النافي مستصحب للاصل من عدم الوجوب والموجب ناقل
وهو مقدم على المستصحب لزيادة علمه فكيف اذا لم يعارضه راسا ورد ايضا بان التشهد
فرض حين فرضت الصلاة وفرضت الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم حين نزلت اية
الاحزاب بعد تخيير ازواجه فالتشهد تعليمه كان قبل فرضها فلا يقتضي عدم ذكره في تلك الرواية
فلذا قالوا قد عرفنا السلام فكيف نصلي عليك فان قلت فما تقول في الحديث الصحيح
المروي الذي فيه انه صلى الله عليه وسلم اخذ بيد ابن مسعود وعلمه التشهد الى قوله اشهد
ان محمدا عبده ورسوله ثم قال فاذا قلت هذا او قضيت هذا فقد قضيت صلاتك ان شيت ان تقوم فقم
وان شيت ان تقعد فانه يدل على ان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فيها ليست بواجبة ولا سنة
كما قاله ابن عبد البر في التمهيد قلت هذا مطعون فيه وقد قال الدارقطني في العلل انه من زيادة زهير
مدرجة في الحديث وصله بكلام النبي صلى الله عليه وسلم وليس منه وتتبع طرق الحديث شاهدة لما قاله
وايضا انه يحتمل انه قبل ايجاب الصلاة عليه وايضا هو ورد نفيا لما كانوا يقولون السلام على الله فالهم

لا تقولوا هذا فان الله هو السلام ولكن قولوا الذامع سايرما علمتم وجوبه ولذا لم يتعرض لذكر السلام مع
وجوبه مع ان المستدل بهذا اصحاب ابى حنيفة القايلون بان التشهد ليس بواجب انما الواجب الجلوس بقدره
فلو تم هذا كان دليلا عليهم لانهم لم يقولوا تمام الصلاة على التشهد وهم لا يقولون به فبطلت المعارضة
ولا يصح ان يقال المراد تمام الاستحباب لانه موقوف عليها عندهم انتهى زبدة ما ذكره الامام الخيضرى هنا وقد بالغ الشافعية فى الرد على المص وتخطيته فيما قاله كما سمعته حتى قال بعضهم هذا التشنيع انما هو شنيع
على نفسه لا على الشافعى اذ لم يخالف كتابا ولا سنة ولا اجماعا ولا مصلحة راجحة بل تمسك بادلة واضحة تامة
وعد ذلك من محاسن مذهبه ولم ينفرد بذلك قال بعض المحققين ولو سلم تفرده بذلك لكان حبذا التفرد انتهى وقد
شيخنا ابن قاسم قلت واى محذور فى تفرد بنادر ونفيس واى حاجة له الى موافقة غيره له انتهى ولكن اذا امعنت
النظر علمت انه اى المص فاقل لما قاله الطحاوى ومن تبعه وما على الناقل الا تصحيح ما نقله وما على الرسول
الا البلاغ فيما قالوه ايضا تحامل عليه لكن الجرا من جنس العمل وهذا من الباب الذى لا تجده فى غير هذا
الكتاب وهاهنا بحث ذكره الاسنوى فى التمهيد وهو ان الامر بعد سوال التعليم كالامر بعد الاستيذان
او بعد التحريم يفيد الاباحة عند الشافعية والوجوب عند ابى حنيفة فلا يستقيم استدلالهم على
وجوب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بقوله قولوا اللهم صل الخ بعد قولهم كيف نصلى عليك الا ان يقال
استفيد الوجوب من امر خارجى فيكون الامر للوجوب لانه بيان لكيفيته واجب انتهى وفيه نظر فصل فى المواطن اى
الاماكن فهو من قبيل المستقر لان معناه مكان التوطن والاقامة التى تستحب وتسن فيها الصلاة والسلام على
النبى صلى الله عليه وسلم ويرغب بالبنا للمفعول وتشديد المعجمة من الترغيب ويجوز تخفيفها وهو عطف
تفسير والرغبة بمعرفة ما فيه من الفوايد والثواب من ذلك المستحب المرغب فيه فى تشهد الصلاة وهو الثنا على الله
فى الجلسة فيها وسمى تشهدا باسم جزيه وهو قوله فيها اشهد الخ واطلقه ليشمل الاول والاخير فانها مستحبة
فى الاول واجبة فى الاخير تقدم تفصيله كما قدمناه فى الفصل الذى قبله وذلك اى موطنه ومحله المعلوم
مما قبله بعد التشهد اى قوله اشهد ان محمدا رسول الله وقبل الدعا الماثور فى كتب الفقه او بما شاحدثنا
القاضى ابو على هو ابن سكرة شيخه كما تقدم بقراتى عليه لا بغيرها من طرق الاجازة حدثنا ابو القاسم البلخى نسبة
لبلخ مدينة معروفة قال حدثنا الفارسى تقدمت ترجمته عن ابى القاسم الخزاعى عن الهيثم بن كليب عن ابى عيسى
الحافظ هو الترمذى صاحب الشمايل والسنن وقد تقدم قال حدثنا محمود بن غيلان ابو احمد الحافظ
المروزى اخرج له اصحاب السنن وتوفى سنة تسع وعشرين ومايتين قال حدثنا عبد الله بن يزيد المقرى
وفى نسخة زيد بدون يا والصواب الاول وهو المعروف بالقصير البصرى نزيل مكة ومولى لعمر بن الخطاب
وحافظ ثقة روى عن ابى حنيفة وغيره وتوفى سنة ثلاث عشرة ومايتين عن حيوة بن شريح تقدم بيانه
وحيوة على حذو الفياس فى الاعلام وقياسه حية قال حدثنى ابو هانى الخولانى اسمه حميد بن هانى وهانى
بهمزة فى اخره يجوز ابدالها يا وقال ابن البرهان انه احمد بن هلال وهو ثقة توفى سنة اثنين واربعين ومايتين
ان عمرو بن مالك الجنبى فى نسخة عمرو بواو وهى الصواب وهو ابو على الجنبى بفتح الجيم ثم نون ساكنة موحدة
ويا نسبة لجنب بطن من مذحج وهو مصرى ثقة وذكره فى الميزان توفى سنة اثنين او ثلاث ومائة اخبره
انه سمع فضالة بفتح الفا وبالضاد المعجمة ولام وها تانيث ابن عبيد بالتصغير بن نافذ بن قيس

الانصارى الاوسى ابو محمد الصحابى وولى قضاء دمشق وتوفى سنة ثلاث وخمسين ومائة واخرج له احمد وغيره
يقول سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو فى صلاته بعد التشهد فى الجلسة الاخيرة فلم يصل
على النبى صلى الله عليه وسلم بعد تشهده فقال صلى الله عليه وسلم عجل هذا بفتح العين وكسر الجيم
اى اسرع بدعايه واتى به فى غير محله قبل ان يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم لان الدعا ملوحى يصلى
عليه كما ياتى فان من سال حاجة لا بد له ان يقدم وسيلة توصل لقضا حاجته ثم دعاه اى طلبه ذلك الرجل
وقربه اليه ثم قال له او لغيره اى وجه خطابه لغيره وهو يسمع وهو المراد بالاعلام وفى نسخة ولغيره
بالواو اذا صلى احدكم فليبدا بالجمز اى يقدم على دعايه ليقبل بتحميد الله والثنا عليه عطف تفسير
لبيان ان المراد ما يفيد المدح والثنا لا مخصوص الحمد والمراد قوله التحيات الخ وفى كيفيته روايات مختلفة
بلغت نحو ثلاثة عشر كما فصل فى محله ثم ليصل على ثم ليدع بلام مكسورة او ساكنة للامر بما شا
من الخير والدعا بالماثور افضل ويروى من غير هذا السند رواه المص عن الترمذى ورواه ابو داود
بتحميد الله بميم وجيم ودال مهملة ومعناه التعظيم ومعناهما متقارب والرواية الثانية لابن ماجه
بسند اخر وهو اصح رواية لقوة سنده لا من حيث المعنى وان قيل انه امدح وفيه نظر وانما تم استدلال
المص به ان كان فى الصلاة وكذا استدل به الشافعى على وجوبها فيها كما مر وقد نوزع فيه بانه ورد
من طريق اخر تقدمت قريبا بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا دخل عليه رجل فصلى وقال
اللهم اغفر لى وارحمنى فقال له صلى الله عليه وسلم عجلت ايها المصلى اذا صليت فقعدت
فاحمد الله بما هو اهله وصل على ثم ادع وظاهر قوله فقعدت انه كان بعد الصلاة فلا يدل على مدعاه
اقول قد اجاب الخيضرى عنه باجوبة حاصلها انه ليس نصا فيما ذكرت لان المراد بالقعود الجلسة
الاخيرة فى التشهد وقد ورد التصريح به فى رواية اخرى فاندفع الايراد وعن عمر بن الخطاب رضى الله
عنه كما رواه الترمذى قال الدعا والصلاة عطف تفسير او المراد به العبادة المخصوصة الا انه
قيل ان هذا اللفظ اى الصلاة ليس مذكورا فى الترمذى وهو المشهور معلق كل منهما اى موقوف
قبوله فهو استعارة او حقيقة لان الملايكة لا تصعد به بين السما والارض لا يصعد الى الله منه
شى لعدم رضاه برفعه اليه حتى يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم لان اعمال المومنين تكتب
وترفع الى السماء اذا قبلت وقبولها متوقف على الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لانه هو الذى
هدانا وارشدنا الى الله وهو وسيلتنا العظمى اليه وقد فسر قوله تعالى لا تفتح لهم ابواب السماء
بهذا والرفع والصعود من صفات الاجسام فالمراد رفع صحفها وقيل انها تجسم ولا مانع منه
وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه رواه عنه البيهقى وابن عساكر وغيره عن النبى صلى الله عليه
وسلم بمعناه اى بمعنى حديث عمر الا انه زاد فيه عن عايشه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال
وعلى ال محمد فلا بد من الصلاة على الال مع الصلاة عليه وهذا هو الاكمل ووجوبها تقدم
الكلام عليه وروى رواه عبد الرزاق والطبرانى بسند صحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه
ان الدعا محجوب عن السماء فلا يفتح له ويلزمه انه لا يقبل ويجوز ان يكون تمثيلا واستعارة
لعدم القبول حتى يصلى الداعى على النبى صلى الله عليه وسلم وليس فى هذا دليل على وجوبه

في الصلاة اذ القبول ليس من شرايط الصحة ومن دعاه فقد تبرع بما لا يملكه ولا يقبل ولو عد المصنف هذا
موطنا مستقلا كان اولى كما فعله غيره لكنه ادرجه في التشهد لانه محل الدعا ايضا وعن ابن مسعود
في حديث صحيح مسندا اذا اراد احدكم ان يسيل الله شيئا و يدعو به فليبدا بمدحه والثنا عليه بما هو
اهله اي بما يستحقه ويليق به كما ارشدنا لذلك في سورة الفاتحة قال ابن برجان في تفسيره اذا قبل
لك ان احدا احيى ميتا بسورة الفاتحة فلا تنكره وليقراها ملاحظا للثنا عليه وحمده لانه المنعم
بجميع النعم الدنيوية والاخروية جليلها ودقيقها كما اشار اليه بقوله بسم الله الرحمن الرحيم
الى اخرها ثم يلاحظ عظمته وجلاله المشير اليه بقوله مالك يوم الدين ثم يخضع غاية الخضوع
كما يشير اليه قوله اياك نعبد ثم اياك يفوض امره اليه بقوله واياك نستعين ثم يسال حاجته
لقوله اهدنا الخ ولذلك سميت سورة تعليم الدعا ثم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم ليستشفع
باقرب مخلوقاته واجمهم اليه فانه الوسيلة العظمى فانه اي دعاوه بهذه الكيفية اجدر اي احق
واليق ان ينجح بضم اوله مبني للفاعل من انجح اذا فاز وبلغ مقصوده ومطلوبه وهذا الحديث رواه
عبد الرزاق والطبراني وابن ابي الدنيا بسند صحيح فيقدم صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم
ويختم بها ويوسطها في دعايه كما قاله الخيضري ويدل له ما ياتي فجعلها اكثر من صلاته عليه صلى الله
عليه وسلم تحقق الاجابة وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فيما رواه البزار وابو يعلى والبيهقي
في شعب الايمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب قيل وما قدحه
يا رسول الله قال فان الراكب اي من يريد ركوب راحلته لسفر ونحوه يملو قدحه وهو انا صغير من خشب
ونحوه ليشرب منه ثم يضعه عنده ويرفع متاعه الذي يريد حمله على راحلته فان احتاج الى شراب
اي شرب ماء شربه اي شرب ما قدحه الذي وضعه فيه او الوضو من ما قدحه توضا بالهمزة ويجوز
ابدالها الفا والا اي وان لم يكن محتاجا لشرب او وضو هراقه بتقدير مضاف اي هراق ماءه اي صبه
على الارض لاستغنايه عنه واصل هراقه اراقه فابدلت همزتها ها وقد يجمع بينهما فيقال اهراقه
وتفصيله في كتب اللغة والعربية قال ابن الاثير وغيره معناه لا تؤخروني اذا صليتم علي في الذكر ويجعل
ذكري تبعا ليغيره بل اعتنوا به فقدموه واذكروه في وسطه واختموا به كما اشار اليه بقوله ولكن اجعلوني
اي اجعلوا ذكري بالصلوة علي في اول الدعا واوسطه واخره ففيه تشبيه تمثيلي بليغ لتاخير ذكره عنه
كان من يريد الركوب لراحلته يبدء بمتاعه فيحمله ويجمع ما له وقدحه موضوع على الارض ثم ينظر
لقدحه فياخذ ما فيه او يريقه وهذا كقول حسان رضي الله عنه في هجايه فانت هجين نيط في ال
هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد والراكب يجعل القدح خلفه وفي هذا الحديث
زيادة على ما قبله بجعله اولا ووسطا واخرا وقال ابن عطا ابو العباس احمد بن محمد بن سهل الادمي
وهو من اجل مشايخ الصوفية توفي سنة تسع وثلاثماية للدعا اركان اي امور مهمة لا بد منها اشبهت
باركان البنا ومنه اركان الصلاة عند الفقها واجنحة جناح الطير كاليد للانسان يحصل بها
ما يريد وفيه استعارة تخييلية ومكنية شبه ما هو سبب مقدمته لقبوله ورفعه الى السماء بالاجنحة
للطاير واسباب اي وسايل للوصول للمطلوب والفوز به واوقات مخصوصة يكون فيها اسرع

اجابة

اجابة كاوقات الصلاة فان وافق اركانه اي قارنها وكانت تامة قوي اي كمل وتم كما يتقوى البنا
والبدن باركانه وان وافق اجنحته بان كانت له اجنحة كاملة طار في السماء اي صعد اليها وقبل كما مر
وان وافق مواقيته جمع ميقات بمعنى الوقت اي ان وقع في وقاته فاز اي ظفر بالاجابة وحصلها
وان وافق اسبابه انجح اي تم وكمل نجاحه وسعادته ثم بين ذلك فقال فاركانه حضور القلب
اي توجهه توجها تاما بجميع فكره وحواسه والرقة اي رقة القلب وفسرها بقوله والاستكانة
اي الخضوع والانقياد والخشوع بالذلة والخوف وعدم رفع الصوت والبصر وتعلق القلب
بالله بقطع النظر عما سواه وقطعه الاسباب بان لا يرجو غيره كما في الدعا الماثور اللهم اقذف في
قلبي رجاك واقطع رجاي عما سواك واجنحته الصدق بان يوقن بانه لا معطي ولا مانع غيره تعالى
وفي الحديث الصدق يهدي الى البر فالصدق معناه خلوص النية والطوية ومواقيته الاسحار
اي اواخر الليل لانها محل الاجابة وتجلي الرحمن وقرب عباده منه وهو اقوى في التوجه وفيه تهب نفحات الرحمة
ونسمات الخير كما قال وبالاسحار هم يستغفرون وقال وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا واسبابه
المسرع لحصول المراد الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم كما تقدم وقال اسبابه والمراد اسباب
اجابته ففي ذلك اشارة الى انه بدون الاجابة كالعدم وفيه اشارة الى الحديث ينزل ربنا كل ليلة
الى سماء الدنيا في الثلث الاخير فيقول من يدعوني فاستجيب له ومن يسالني فاعطيه ومن يستغفرني
فاغفر له كما في الصحيحين وقد اختلف اهل الدعا افضل لما فيه من التذلل والافتقار او السكوت لما فيه
من التسليم والرضا فذهب الى كل طايفة وقيل انه يختلف باختلاف الاحوال وهو الارجح عند
البعض وفيه كلام ليس هذا محله وفي حديث لم يذكروا من رواه الدعا الواقع بين الصلاتين على النبي صلى الله
عليه صلى الله عليه وسلم قبله وبعده لا يرد اي فيستجاب ذلك الدعا فان الصلاة عليه مقبولة
ومن كرمه الله تعالى اذا قبل الطرفين لا يترك ما بينهما وسيل السنوسي رحمه الله عن القطع بقبول
الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فاجاب بانه منصوص عن السلف واستشكله بانه لو قطع به
للمومن المصلي عليه القطع له بحسن الخاتمة اذا دعي بها مع الصلاة وبين الصلاتين عليه وهي مجهولة
لكل احد واجاب بان معنى القطع بقبولها انه اذا قضى الله له بخاتمة الايمان ووجدت حسنة الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم فهي مقبولة بلا ريب فيها بفضل الله بخلاف ساير الحسنات فانه لا وثوق
بقبولها ويحتمل انها اذا صدرت على سبيل المحبة من صاحبها يقطع بانتفاعه بها في الاخرة بوجه
ما ولو بتخفيف العذاب وفيه نظر وفي حديث كل دعا محجوب دون السما كما مر في حديث الترمذي عن عمر
رضي الله عنه فاذا جات الصلاة علي اي ذكرت معه صعد الدعا الى السماء اي قبل واستجيب واخرج
الديلمي انه صلى الله عليه وسلم قال الدعا محجوب حتى يصلي على محمد واهل بيته وفي دعا ابن عباس الذي
رواه عنه حنش بفتح الحا المهملة والنون وشين معجمة وهو ابن عبد الله ابن عمرو بن حنظلة بن نهد ابو
راشد التابعي الصنعاني احد الداخلين الى الاندلس في صدر الاسلام وله رواية عن علي وابن عباس
وغيرهم الا ان هذا الحديث لم يروه عنه في الكتب وروى له غيره توفي بافريقية سنة ماية وقيل ان قبره
بسرقسطة فقال في اخره اي اخر الدعا واستجب دعاي ثم بدا بالصلاة على النبي صلى الله عليه

وسلم قبل ما تدعو به وتقول اسالك ان تصلي على محمد عبدك ورسولك صلاة من افضل ما صليت على احد
من خلقك اجمعين امين اي استجب وهو اسم فعل له فان قلت هل يحسن ان يقال صلى الله على سيدنا محمد
قلت نعم ويجوز اتباع الماثور فيه ولكن اختلف في ايهما الافضل رعاية الادب وامتثال الامر فذهب
الى كل من القولين بعض وقيل امتثال الامر عين الادب وهو الظاهر ولنا عودة الى بسط الكلام فيه
واطلاق السيد عليه صلى الله عليه وسلم جايز وكذا على الله وفيه خلاف ليس هذا محله
ومن مواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم واماكنها عند ذكره وسماع اسمه او كتابته
وتقدم القول بان ذلك واجب كلما ذكر او سمع وذكره اعم من ان يكون في الصلاة او عند قراة
القران كما ذكره الخيضري في كتابه اللوا المعلم ورواه عن السلف وقوله او كتابته اي عند كتابة
اسمه وهل يكتفي بكتابة الصلاة عليه او الافضل ان يتلفظ بها تردد فيه بعضهم والافضل ان يكتبه
ويتلفظ به ويحصل له الثواب الاتي في حديث من صلى علي في كتاب الخ على ما ياتي فيه او عند الاذان
اي بعده وهو مستحب للموذن وسامعه لما رواه مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم
الموذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا الحديث الاتي
مع الكلام عليه وهل يقتصر على الصلاة او يذكر معها السلام لما ذكره من كراهة الاقتصار
عليها مطلقا للاية السالفة كما صرح به النووي وقال غيره يقتصر عليها لظاهر حديث مسلم وقال
بعض الحفاظ كنت اكتب الحديث فاكتب الصلاة فقط فرايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم
فقال لي اما تتم الصلاة في كتابك فما كتبت بعد ذلك الا صليت عليه وسلمت قال الخيضري
وتستحب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ايضا بعد الاقامة لما رواه الطبراني في كتاب الدعا
عن ابي الدردا انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمع الموذن يقيم يقول
اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القايمة ات محمدا سوله يوم القيامة يتبعها من حوله
ويجب ان يقولوا مثله وهذا مما سكتوا عنه انتهى وفيه ان الذي فيه انما هو استحباب الدعا عند
الاقامة لا الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
مسلم عن ابي هريرة رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي فيدخل فيه ما في المواطن كلها لان الذكر
يشمل ذكره وذكر غيره والكتابة ذكر معنى وهذا دعا عليه بان يذله الله لعدم اعزاز رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا ذكر عنده فلم يصل عليه ورغم كسال يسال رغما وارغمه الله اذله وهو
من الرغام بمعنى التراب فجعل عبارة عما ذكر ولذا ذكر الانف الذي هو انف رفعته ويقال رافع انفه
اذا تكبر وهذا الحديث رواه الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه ولفظه انه صلى الله عليه وسلم
قال رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم انف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل
ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه الجنة ورواه الحاكم ايضا وقال هو
صحيح الاسناد وسياتي الكلام عليه عند ذكر المصنف له برمته وكره ابن حبيب وهو عبد الملك بن
حبيب بن سليمان بن هارون السلمي من ولد العباس بن مرداس الصحابي وقيل عبد الملك بن سليمان
وهو فقيه نحوي طبيب مفسر محدث الا انه لم يكن له تقدم ونظر تام في الحديث توفي سنة ثمان او تسع

وثمانين

وثمانين ومايتين ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح وهو مذهب مالك وقال غيره يستحب وانما كره
ليلا يكون مما اهل به لغير الله والى هذا ذهب الحنفية كما في المحيط وخالفهم الشافعي في الام فقال
وتسن التسمية على الذبيحة عند الذبح بسم الله ولا اكره ان يقول وصلى الله على رسول الله بل احبه
وقال المزني انها لا تستحب ولا تكره فهي مباحة وقال الاذرعي يخص ذلك بما اذا كان قربة كالاضحية
وقال الرافعي لا يجوز ان يقول باسم محمد ولا باسم الله واسم محمد وذهب بعضهم الى ان ما ذبح باسم غير الله
لا يحل اكله وكذا ما ذبح للكعبة او عند قدوم سلطان وقيل ان قصد التبرك جاز ونقل عن ابن
حنبل فيه خلاف وكذا قيل انه لا يستحب عند العطاس كما ياتي وقيل انما يكره اذا لم يقصد بعد
الحمد الصلاة من غير سنة وقال الخطاب الذي تحصل من كلام المالكية ان في الصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم عند الذبح والعطاس قولين وتكره عند الجماع والحاجة انتهى وكره سحنون الفقيه
المشهور المالكي واسمه عبد السلام بن عبد السلام بن سعيد بن حبيب بن حسان التنوخي وهو
برتبة من الكمال فضلا وزهدا وسماحة ولد في رمضان سنة ستين او احدى وستين ومايتين
وتوفي لتسع خلون من رجب سنة اربعين ومايتين وعمره ثمانون سنة كما في الميزان وسينه مضمومة
ويجوز منع صرفه وفتح سينه ايضا كما سياتي الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند التعجب
لروية امر عجيب وهو مذهب مالك واليه ذهب الشافعية كما في الاذكار للنووي وقال الحليمي من الشافعية
لا تكره كسبحان الله لان التسبيح تنزيه لموجد العجايب والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لانه
اعظم المخلوقات واعجبها والشيء بالشيء يذكر وقال قاضي خان لو راى شيا جيدا فقال اللهم صل على
محمد ان قصد الاعلام بجودته كره والناس يستعملونه نظما ونثرا لعرفه اقبل يهتز في غلايله
من ليس يشفي لعاشق علله فقال كل امرى تامله الفصلاة على رسول الله وقلت في مطلع قصيدة
ظبي على القضب سلم صلى على المصطفى وسلم وقال سحنون لا يصلى عليه صلى الله عليه وسلم
الا على طريق الاحتساب اي من غير سبب بل خالصا لوجه الله وحسبته وطلب الثواب لا للتعجب وغيره كما
اذا الله به تعظيما له صلى الله عليه وسلم واما عند الضحك ورويه مستقذر فقالوا يخشى
عليه الكفر وقال العيني رحمه الله لا يوتى بها عند الغضب خوفا من ان يحمله الغضب على الكفر ونقله
النووي في اذكاره عن بعض الشافعية واقره عليه وقال اصبغ هو ابو عبد الله اصبغ بن الفرج بن
سعيد بن نافع الاموي مولى عمر بن عبد العزيز المصري الفقيه الجليل المحدث روى عنه البخاري
وغيره وتوفي سنة خمس وعشرين ومايتين في قول عن ابن القاسم عبد الرحمن بن خالد بن جنادة المصري
امام الفقه صاحب الامام مالك وهو ثقة حجة توفي سنة احدى وتسعين ومائة وارتحل الى
الامام مالك اثنتي عشرة مرة انفق في كل مرة الف دينار وموطنان لا يذكر فيهما الا اسم الله الذبيحة
والعطاس فلا يقل فيهما محمد رسول الله اي لا تقل فيهما باسم الله وباسم محمد رسول الله ليلا يكون
الاهلال في الذبيحة لغير الله والعطاس يدل على قوة الدماغ الدافعة لادى البخار فهو نعمة من الله
خفية لا يقدر عليها غير الله فيذكر اسمه شكرا له على نعمه دون غيره قال اصبغ ولو قال بعد ذكر الله
فيهما وصلى الله على محمد لم يكن ذلك تسمية له مع الله ولكنه صلاة عليه بنية التقرب الى الله

بالصلاة عليه فلا يكره وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم قال من عطس
فقال الحمد لله على كل حال وصلى الله على محمد وعلى اهل بيته اخرج الله عز وجل من منخره الايسر طايرا يقول
اللهم اغفر لقايلها اخرجه الديلمى فى الفردوس بسند لا باس به وعطس رجل عند ابن عمر رضى الله عنهما
فقال الحمد لله فقال له لقد بخلت هلا حيث حمدت الله صليت على نبيه صلى الله عليه وسلم ولذا رجح
البيهقى استحباب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند العطاس واليه ذهب جماعة وقال اخرون
لا يستحب ولكل موطن ذكر يخصه واستدلوا بحديث لا تذكرونى فى ثلاث مواطن عند العطاس والذبيحة
والتعجب وروى بعد تسمية الطعام بدل التعجب اخرجه الديلمى فى مسنده وفيه من اتهم بالوضع وقال
الحيضرى يستحب لمن تعجب ان يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ذكره شيخنا وقال الاخذ من نص الشافعى
فى قوله احب ان تكثر الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فى كل الحالات فتدخل ذلك فى عمومه
وفيه نظر وقوله اشهب اى كما قاله اصبغ واشهب لقب وهو ابو عمرو مسكين بن عبد العزيز بن داود بن
ابراهيم القيسى ولد سنة اربعين ومائة وقيل سنة ست وخمسين وتوفى سنة ثلاث او اربع
ومائتين بعد الشافعى بثمانية عشر يوما وسنه اربع وستون ولخرج له اصحاب السنن وهو احد
فقهاء مصر المالكية حتى فضل على ابن القاسم قال اشهب ولا ينبغى ان تجعل الصلاة فيه اى فيما ذكر
من الذبيحة والعطاس استنانا اى سنة وطريقة لانه تشريع فيما لم ينقل وقيل الاستنان هنا بمعنى
الفرح والنشاط واللعب وقيل معنى استن جرى فى غير طريق وهو خلاف الظاهر والذى عليه
الشراح الاول والكلام على ذكر الله والتسمية عند الذبح وانه سنة او واجب مفصل فى الفروع
وروى النسدى وابو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه عن اوس بن اوس الثقفى الصحابى
ويقال اوس بن ابى اويس كما فى الاستيعاب عن النبى صلى الله عليه وسلم الامر اى الطلب بالاكثار
من الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وليلتها لانه افضل الاوقات ولما ورد ان
الصلاة لانه افضل الاوقات ولما ورد ان الصلاة عليه تعرض عليه صلى الله عليه وسلم فيه
والحديث المذكور طرف من حديث وهو من افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق الله ادم وفيه قبض
وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا من الصلاة فيه على فان صلاتكم معروضة على قالوا يا رسول الله
وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد ارمت اى بليت فقال ان الله حرم على الارض ان تاكل اجساد
الانبيا وفيه احاديث اخرجناه وهذا احد مواطن الصلاة عليه ومن مواطن الصلاة اى
استحباب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم والسلام دخول المسجد عند ارادة دخوله والخروج
منه ايضا كما سيصرح به لورود الامر به فى الحديث وفى الاذكار يقول اعوذ بالله العظيم وبوجهه
الكريم وبسلطانه القديم من الشيطان الرجيم اللهم صلى على محمد وعلى ال محمد اللهم اغفر لى
الخ وروى النساى وابن ماجه اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبى صلى الله عليه وسلم
ثم ليقل اللهم افتح لى ابواب رحمتك فاذا خرج صلى وقال اللهم انى اسيلك من فضلك وروى
اجرنى من الشيطان وما فى معناه وفيما ذكره النووى زيادة قيل وينبغى ذكر السلام ايضا وقال
ابو اسحق بن شعبان هو محمد ابن قاسم المصرى وقد تقدم بيانه وينبغى لمن دخل المسجد ان يصلى على النبى

صلى الله

صلى الله عليه وسلم وعلى آله بتعاله صلى الله عليه وسلم كما ر وان يترحم عليه وعلى اله
اى فيقول اللهم ارحم محمدا وال محمد وقد تقدم الكلام فى الدعا له بالرحمة وما فيه ويبارك عليه
وعلى اله اى يقول اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد اى زد البركة وادمها لهم كما تقدم شرحه وسلم
تسليما اى يقول صل عليه وسلم تسليما فياتى بالسلام موكدا كما ورد الامر به فى الاية الكريمة وتقدم
ان النووى كره افراد الصلاة عن السلام ويقول بعد الصلاة والسلام وفى الاذكار يقول اعوذ
بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم اللهم صل على محمد وعلى ال
محمد اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب رحمتك وروى النساى وابن ماجه اذا دخل احدكم المسجد
فليصل على النبى صلى الله عليه وسلم ثم ليقل اللهم افتح لى ابواب رحمتك فاذا خرج صلى
وقال اللهم انى اسيلك من فضلك وروى اجرنى من الشيطان وما فى معناه وفيما ذكره النووى
زيادة وسياتى للمص دخولها فى داب دخول المسجد النبوى قيل وينبغى ذكر السلام ايضا وسياتى
ما يصرح به وذلك لان المساجد محل العبادة والثواب والرحمة والمراد بابواب الرحمة انواعها
وفتحها تيسيرها واعطاوها وعبر بالفتح والابواب لمناسبته للدخول ففيه من اللطف ما لا يخفى
وكذا فى قوله واذا خرج من المسجد فعل مثل ذلك اى يقول ما قاله بعينه وجعل موضع رحمتك
فضلك لان من خرج من المسجد يخرج لكسبه ومصالحه ملتمسا لفضل الله كما قال فاذا قضيت
الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله وسياتى بسط الكلام على ذلك والحديث فى مسلم
الا قوله يترحم ويبارك وقال عمرو بن دينار هو ابو محمد مولى قيس الامام المكى الشافعى توفى سنة
ست وعشرين ومائة وله ترجمة فى الميزان فى قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم فهذا
احد المواطن التى تستحب فيها الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم عند دخول المرء منزله وفى هذه
الاية اقوال للمفسرين فقيل البيوت المساكن وقيل المساجد كما ياتى وفى قوله على انفسكم وجهان
ايضا فقيل هو على ظاهره وقيل المراد به من فيها يجعل كنفسه لاتحاد جنسه واهله وقال تحية
من عند الله مباركة طيبة ومعنى كونها من عند الله انه امر بها وكونها مباركة لحصول البركة
وسعة الرزق بها وطيبها لذلك ولطيب الانفس بها فايدة قال الامام الخيضرى فى اللوا المعلم
روى ابو موسى المدينى عن سهل بن سعد قال جا رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فشكى اليه الفقر
وضيق العيش والمعاش فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخلت منزلك فسلم
ان كان فيه احد وان لم يكن ثم سلم على ثم اقرا قل هو الله احد مرة واحدة ففعل الرجل فادر الله
عليه الرزق حتى افاض عليه خيرا انتهى قال اى ابن دينار ان لم يكن فى البيت احد فليسلم
عليه فقل السلام على النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
من الملايكة وغيرهم السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته كلام المص هنا فى استحباب
الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم لمن دخل المسجد وهذا التفسير لا يوافقه لانه
لم يذكر فيه صلاة وهو مبنى على ان المراد بالبيوت المنازل فاما انه قال ذكره استطرادا وتتميما
لكلام المفسرين فيها او يقال انه اذا شرع التسليم على اهل كل بيت فبيت الله واهل ولى

ولكن حمل التحية على هذا على الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم مع انه خلاف الظاهر لم يقله
المفسرون فان التحية عندهم على هذا بمعنى السلام على من بالمنزل لما رواه الترمذي من انه
صلى الله عليه وسلم قال اذا دخلت على اهلك فسلم يكن بركة عليك وعلى اهل بيتك
كذا قيل وهو تكلف لا داعي له قال ابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه عنه ابن ابي حاتم المراد بالبيوت هنا
اي في هذه الاية المساجد لانه ورد اطلاقها عليها حقيقة فاذا دخلها سن له الصلاة عليه صلى الله
عليه وسلم كما تقدم تفصيله وقال النخعي بفتح المعجمة نسبة لقبيلته وهو ابراهيم ابن يزيد بن الاسود
بن عمرو بن ربيعة فقيه الكوفة المشهور توفي سنة خمس او ست وتسعين لا الاسود بن يزيد الكوفي كما
قيل لان الاول هو المتبادر لشهرته اذا لم يكن في المسجد احد ودخله يا رجل فقل السلام على رسول الله
صلى الله عليه وسلم تحية من عند الله مباركة عليه طيبة واذا لم يكن في البيت احد فقل السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين وهذا يقتضي استحباب السلام عليه صلى الله عليه وسلم وان لم يذكر
معه الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وهكذا ورد في الحديث كما تقدم وقد عدوا من مواطن الصلاة
عليه صلى الله عليه وسلم دخول المسجد والمنزل كما علم وعن علقمة بن قيس ابو شبل الفقيه
كما تقدم اذا دخلت انا المسجد اقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته
على محمد كما تقدم من انه يسن لداخل المسجد والخارج منه ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذا
زيادة السلام عليه على الصلاة وتقديمه عليها ونحوه مروي عن كعب الاحبار وقد تقدم بيانه اذا
دخل المسجد واذا خرج منه ولم يذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهي مستحبة ايضا
واحتج ابن شعبان لما ذكره فيما تقدم من استحباب ان يصلي عليه صلى الله عليه وسلم وعلى اله ويترحم
عليهم وتبارك عليهم ويسلم تسليما بحديث فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى الله
عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد اي بقوله الذي تقدم الا انه ليس فيه ترحم ولا تبرك ومثله
اي حديث فاطمة وبمعناه روى عن ابي بكر بن عمرو بن حزم هو محمد ابن عمرو بن حزم قاضي المدينة واميرها
ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين فسماه النبي صلى الله عليه وسلم محمدا وقيل
ولد بنجران وابوه عامل عليها من قبله صلى الله عليه وسلم في سنة عشر من الهجرة فسماه ابوه
سليمان وكتب بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر ان يسميه محمدا ويكنيه بعبد الملك
ففعل وتوفي في سنة عشرين ومائة واخرج له الستة وذكر اي ابن حزم السلام والرحمة اي لدعا بهما
وقد ذكرنا هذا الحديث يعني حديث فاطمة الزهراء في اخر هذا القسم الثاني من هذا الكتاب وذكرنا الاختلاف
في بعض الفاظه لتعدد طرقه وتغاير بعض الفاظه ومن مواطنها اي الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
التي تستحب فيها الصلاة على الجنائز وهي عند الشافعي رضي الله عنه من اركانها بعد التكبيرة الثانية
ويقرا بعد الاولى سورة الفاتحة ثم يدعو للميت بعد الثالثة كما بينه الفقهاء وتجزئ الفاتحة بعد
غير الاولى وعن ابي امامة هو اسعد ابن سهل بن حنيف بن واهب بن العليم بن ثعلبة الانصاري ولد
في زمنه صلى الله عليه وسلم فحنكه وبرك عليه ولم يسمع منه صلى الله عليه وسلم وحديثه
مرسل وتوفي سنة مائة واخرج له الستة انها اي الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من السنة

فنستحب

فنستحب في صلاة الجنازة عنده وليست من اركانها وذكر الشافعي في احد قوليه انها واجبة واستدل
بقول ابي امامة هذا قائلا لان مراده بالسنة طريقته صلى الله عليه وسلم فيشمل الواجب وغيره
وقول الصحابي ونحوه من السنة كذا في حكم المرفوع واختلفوا في الصلاة على الال هنا ايضا فقيل
واجبة وقيل سنة وروى المزني انه يحمد الله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو للمؤمنين
والمؤمنات وقيل ان التحميد لا يعرف هنا ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم عند ادخال الميت قبره
ايضا فيقول بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رواه الترمذي وابو داود وهذا
الحديث رواه الشافعي رضي الله عنه في الام الا ان في سنده ضعفا كما قاله الخيضري ورواه الحاكم
والبيهقي وغيرهما وهذا وجه عند ابي حنيفة واحمد ومالك ومن مواطن الصلاة التي تستحب فيها التي مضى
عليها عمل الامة ولم تنكرها الائمة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اله تبعا له في
الرسائل جمع رسالة كعصابة بمعنى المفعول وهو المكتوب الذي يرسل مطلقا ولا وجه لتخصيصه
بما يكتب بين الاخوان كما قيل وما يكتب بعد البسملة اي كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وهو من باب
النحت كالحوقلة والسبحلة وليس بمولد كما قيل لسماعه من العرب كما رواه الثقة وكتابة البسملة
سنة في الكتب مقتدية في القران والسنة كقوله تعالى انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم
وتقدم على غيرها وذكر سليمان انما هو عنوان للكتاب لا فاتحة له كما ذكره المفسرون ولم يكن
هذا اي ابتداء الكتب بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصدر الاول اي في ابتداء
الاسلام وزمن الخلفاء الراشدين فالصدر مستعار للابتداء والاول صفة موضحة ومفسرة له
واحدث عند ولاية بني هاشم يعني بني العباس واختلف في اول من كتبه منهم فقيل السفاح عبد الله
بن محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس وقيل هارون الرشيد وارد عليه ان الكلاعي قال في كتاب
الاكتفاء عن الواقدي بسنده ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه كتب في ردة بني سليم الى طريفة
بن حاجز عامله ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم من ابي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى طريفة بن حاجز سلام عليك فاني احمد الله الذي لا اله الا هو اليك واساله
ان يصلي على محمد صلى الله عليه وسلم اما بعد الخ فهذا يدل على ان اول من فعله الصديق الا انه
ترك ذلك في زمن بني امية وفي الاذكار مثله وهو يدل على انه سنة قديمة وهذا غفلة من مورده
عن قوله بعد البسملة فانهم احدثوا ان يكتب بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على
سيدنا محمد فتصديره بذلك على جميع ما بعده وليس فيما ذكره ذلك فتفطن له ثم اختلفوا
في الصلاة هل تعطف ولا على قولين فمن عطف فظاهر ومن قطعه راه انشاء وفي عطفه على الخبر
كلام طويل في كتب النحو والمعاني فمضى عليه عمل الناس في اقطار الارض اي استمر فصار سنة
او بدعة حسنة مستحبة ومنهم من يختم به ايضا الكتب اي كما بداها به فيجعل في الاول والاخر
ليشمل بركته جميع ما كتبه وقال عليه الصلاة والسلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة
تستغفر له ما دام اسمي مكتوبا في ذلك الكتاب اي المكتوب مطلقا وليس المراد به المصنفات
كما يتوهم حتى يقال ان تدوين الكتب حدث بعد العصر الاول وهو من المغيبات التي اخبر بها

صلى الله عليه وسلم وقال الشيخ زروق في معنى ذلك يحتمل ان يكون المراد كتب الصلاة وهو
اظهر او قرا الصلاة المكتوبة وهو اوسع وارجى انتهى وقال بعضهم انه يشترط في حصول الثواب
المذكور ان يتلفظ بالصلاة في حال الكتابة وهو خلاف ظاهر الحديث وكلام العلما وقال السخاوي
في كتاب القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع هذا الحديث رواه الطبراني في الاوسط والخطيب
في شرف اصحاب الحديث وابو الشيخ والمستغفري وصاحب الترغيب بسند ضعيف واورده ابن الجوزي
في الموضوعات وقال ابن كثير انه لم يصح وروى من كتب في كتاب صلى الله على محمد لم تزل الملايكة تستغفر له
مادام في كتاب انتهى والمراد باستغفار الملايكة دعاوهم لبني ادم مطلقا حيث ورد حتى للانبياء
بالاستغفار قال تعالى والملايكة يسبحون بحمد ربهم ويومنون به ويستغفرون للذين امنوا وكان
وجهه انهم لما علموا ان ما ركب في طبيعة النوع الانسان من الشهوات والمشاغل التي هي من لوازم البشرية
يقتضي الاشتغال بغير الله تعالى وهم لا يفترون عن التسبيح ولا يغفلون الا ما يومرون اشفقوا
عليه وراموا ان الله لا يواخذه بشي من تبعاته فاعرفه فاني لم ار من نبه عليه وذكروا في ذلك اثارا عن
السلف الصالحين ومنامات منها ان الشافعي رضي الله عنه روي في المنام فقيل له ما فعل الله بك
فقال غفر لي ولم يحاسبني واكرمني بصلاة صليتها عليه صلى الله عليه وسلم في اول الرسالة وهي
اللهم صل على محمد كلما ذكره الذاكرون وصل على محمد كلما غفل عن ذكره الغافلون وصل عليه
في الاولين والاخرين افضل واكثر وازكى ما صلى عليه احد من خلقك وقد روي هذا من طرق بالفاظ
مختلفة ومن مواطن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم اي الاماكن التي يستحب فيها السلام
عليه صلى الله عليه وسلم تشهد الصلاة الذي يذكر في اخرها واطلقه ليشمل الاول والثاني
كما هو وارد في ذلك حديثا رواه البخاري وهو حدثنا ابو القاسم خلف بن ابراهيم المقري الخطيب
وغيره قال حدثني كريمة بنت محمد وتقدمت ترجمتها قالت حدثنا ابو الهيثم تقدم ايضا قال حدثنا
محمد بن يوسف هو الفربري كما تقدم قال حدثنا محمد بن اسماعيل قال حدثنا ابو نعيم الفضل بن دكين بن
عمرو ابن حماد الحافظ توفي في سلخ شعبان سنة تسع عشرة ومايتين اخرج له الستة وترجمته في الميزان
قال حدثنا الاعمش سليمان بن مهران وقد تقدم عن شقيق بن سلمة الاسدي المخضرم توفي سنة احدى
وثمانين كما تقدم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال اي ابن مسعود فهو موقوف له حكم المرفوع
وفي نسخة عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو مرفوع اذا صلى احدكم صلاة تما فرضا او نفلا فليقل
التحيات التحية تفعلة من الحياة ومعناها الاحيا والابقا والملك والبقا وكل منها صحيح هنا اي
كل تحية يحيى بها الملوك والعظما ثابتة لله لا تليق بغيره والصلوات اي انواع الدعا الذي يراد به
الثنا وقيل الصلاة المعتادة والطيبات اي جميع كلمات الثنا الطيب لله لا لغيره السلام
عليك ايها النبي حكاية لما علمه لهم حال حياته صلى الله عليه وسلم ثم استمروا على ذلك تعبدا وعن
ابن مسعود رضي الله عنه كنا نقوله وهو بين اظهرنا فلما قبض قلنا السلام على النبي ورحمة الله
وبركاته اي كل نعمة وخير كثير لازم ثابت له صلى الله عليه وسلم في كل زمان السلام علينا
معاشر الامة وعلى عباد الله الصالحين من جميع الامم السالفة وملايكة السماء والارضين

والجن

والجن المومنين كما قال فانكم اذا قلتموها اي قلتم هذه الكلمات وهي السلام علينا الخ اصابت
رحمتها وبركاتها كل عبد لله صالح في السماء والارض لعموم الجمع المحلى بالالف واللام ومن هنا
ان المصلي محسن لنفسه ولجميع خلق الله وان تارك الصلاة ظالم لنفسه ولجميع خلق الله قيل
الفصل معقود لمواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وهو وان لم يقل بوجوبها لا ينكر
كونها سنة واجيب بانه لما ذكر الصلاة عليه شرع في مواطن السلام عليه وقد يقال انه
طوى ذكر الصلاة لعلمها مما تقدم هذا اي التشهد في الصلاة احد مواطن التسليم عليه اشارة
الى ان له مواطن اخر وسنته اي استحبابه وفي نسخة سنيته بيا النسبة وهي اولى اول التشهد
اي قبل ان يقول اشهد ان لا اله الا الله وبعد التحيات لله وفي التشهد وكيفيته روايات
مفصلة في كتب الفقه وروى مالك عن ابن عمر رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان يقول
ذلك اي السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم سلام التحلل اي الخروج من الصلاة واستحب مالك في المبسوطة
اسم كتاب له وفي نسخة المبسوط ان يسلم بمثل ذلك المذكور من السلام على النبي صلى الله عليه
وسلم الخ قبل السلام من صلاته وهو فيما قيل خلاف المشهور من مذهبه قال محمد بن مسلمة
بفتح الميمين وهو محمد بن مسلمة بن هشام ابن الوليد بن المغيرة توفي سنة ست عشرة ومايتين اراه ما جا
مرويا عن عايشة وابن عمر رضي الله عنهم انهما كانا يقولان عند سلامهما اي قبل سلام الخروج السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ثم يقول السلام
عليكم وهو خاتمة الصلاة واستحب اهل العلم ان ينوي الانسان المصلي اماما او مقتديا او منفردا
حين سلامه اي قوله السلام في صلاته كل عبد اي السلام على كل عبد صالح في السماء والارض
من الملايكة ونوع بني ادم ومومني الجن وقيل الامام ينوي السلام على من اقتدى به وهم ينوون
الرد عليه وغيره ينوي به من على يمينه ويساره وهم الرد وغيرهم ينوي به من حضر او غاب قال مالك
في المجموعة قيل اراد بها المدونة واجب للماموم اذا سلم امامه ان يقول قبل ان يسلم هو السلام
على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ثم يقول السلام عليكم
واعلم ان المصنف عقد الفصل الذي قبل هذا الوجوب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
وعقبه بفصل عقده للمواطن التي تستحب فيها الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وقد افرد له
الامام الخيضري رحمه الله كتابا مستقلا سماه اللوا المعلم في المواطن التي تستحب فيها الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم ولما اتم المصنف رحمه الله ما قصده شرع في بيان كيفيتها فقال
فصل في كيفية اي بيان الفاظ الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وهو لفظ مولد نسب لكيف
اسم الاستفهام لانه من شانها ان يسال بها عن مثله والتسليم اي كيف يذكر السلام عليه والمراد
بيان الهيئة الفاضلة اذ اصلها معلوم وبدا بحديث رواه في الموطا وهو قوله حدثنا ابو اسحاق
ابراهيم ابن جعفر الفقيه وقد تقدم وقوله بقراتي عليه هو احد طرق الرواية كما مر قال حدثنا القاضي
ابو الاصبغ عيسى بن سهل صاحب كتاب الاعلام في نوازل الاحكام قال حدثنا ابو عبد الله بن عتاب

تقدم بيانه قال حدثنا ابو بكر بن واقد وعنزه بالقاف وهو معروف قال حدثنا ابو عيسى هو عم يحيى بن كثير الذى
تقدم بيانه قال حدثنا عبد الله قال حدثنا يحيى بن يحيى الليثى احد رواة الموطا عن مالك كما تقدم قال حدثنا
مالك الامام المشهور عن عبد الله بن ابى بكر بن عمرو بن حزم عن ابيه تقدم ترجمته عن عمرو بن سليم الزرقى
سليم بضم السين وفتح اللام والزرقى بضم الزاى المعجمة وفتح الرا المهملة قبل القاف وهو من الانصار
وترجمته فى الميزان قال اخبرنى ابو حميد الساعدى اسمه عبد الرحمن بن عمرو بن سعد وقيل المنذر بن سعد
وهو خزرجى مدنى له صحبة اخرج له الستة واحمد فى مسنده وتوفى فى حدود الستين انهم اى الصحابة قالوا
يا رسول الله كيف نصلى عليك سالوه عنه بعد ورود الامر به فى الاية ان الله وملائكته الخ فقال صلى الله
عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته ازواجه صلى الله عليه وسلم امهات
المؤمنين معلومة والذرية النسل والولد بضم الذال وكسرها فعيلة من ذرا بمعنى خلق ترك همزه فى
الاستعمال تخفيفا وقيل انه نسبة الى الذر لصغرهم فالذرية الولد وولده ويشمل اولاد البنات
كما ذكروه مفصلا فى كتب الفقه وسوالهم بكيف المراد به السوال عن العبارة التى يعبر بها وباى كيفية
تؤدى وقيل عن معناها ولا يخفى ما فيه فانهم لما سمعوا السلام عليه فى التشهد وامروا بالصلاة
سالوه عما يقولونه فعلمهم ذلك وفيه من التعظيم ما لا يخفى فانه امرهم ان يطلبوا من الله ان يصلى هو عليه
فكانهم قالوا لا نقدر على ادا الصلاة حق الادا فافعل انت ما يليق به كما صليت على ال ابراهيم اى
ازواجه وذريته والتشبيه انما وقع بهم لشهرتهم وتقرره وفى الرواية الاتية المسلسلة اللهم
صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم الخ واله فيهم انبيا ورسل فتشبيه المجموع بالمجموع
او الال بالال فلا يرد عليه ان المشبه دون المشبه به فكيف شبه صلاة نبينا بصلاة ابراهيم
وهو افضل منه فى السوال المشهور وقد اجيب عنه باجوبة هذا محصلها وللجلال الدوانى
فيه رسالة مشهورة شهرتها تغنى عن ذكرها وياتى الكلام عليه ايضا قريبا فان قلت الذى فى الاية
الامر بالصلاة عليه فقط من غير تشبيه بابراهيم واله قلت لما كان معنى الصلاة الرحمة وهو صلى الله
عليه وسلم مرحوم ومنعم عليه فى الدارين باعظم النعم ضم ذلك للصلاة عليه اشارة الى ان
المقصود من رحمته رحمة اهل بيته كما يقال المزداد عقوبة ولده ارحم هذا الشيخ كما اشير اليه
بقوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وبارك على محمد وازواجه
وذريته كما باركت على ال ابراهيم اى ادم وكثر الخيرات النازلة عليهم كما ادمت ذلك لال ابراهيم
واله فى العالمين انك حميد مجيد اى رحمته وبركة منتشرة فى جميع الخلق وحميد فعيل من الحمد وهو الثنا
بالجميل ومجيد فعيل من المجد وهو الشرف والكرم وفعيل فيهما بمعنى فاعل ومفعول اى انت فاعل
او مفعول اى انت فاعل الجميل وواهبه او انت المحمود المعظم فكل حمد واكرام لرسلك واتباعهم
عايد اليك فانه لاجلك وامتثال امرك وهو تذييل فى موضع جليل ومما ذكرناه علمت معنى قوله
على ال ابراهيم دون ابراهيم فتفطن لهذه الدقايق وفى رواية مالك فى الموطا عن ابى مسعود الانصارى
الصحابى البدرى رضى الله عنه قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى اله كما صليت على ال ابراهيم وبارك
على محمد كما باركت على ال ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد ذكره اشارة الى ان له طرقا كثيرة وانه

انما قدم

انما قدم رواية الموطا لعلو سنده فيها فلا وجه لما قيل انه لا فايدة فى ذكره وهو بعينه ما قبله والكلام
اى كيفيته ولفظه كما قد علمتم فى التشهد كما ذكره المص سابقا وسياتى ايضا شرحه فى كلامه وعلمتم بفتح
العين وكسر اللام المخففة مبنى للفاعل او بضمها وتشديد اللام مبنى للمجهول من العلم او التعليم
وكلاهما صحيح رواية ودراية كما قاله النووى وقيل الاول اصح ولفظ الموطا عن ابى مسعود قال
اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد امرنا الله ان نصلى
عليك يا رسول الله فكيف نصلى عليك فسكت رسول الله حتى تمنينا انه لم يساله ثم قال قولوا اللهم
صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ال ابراهيم فى العالمين
انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم وفى رواية كعب بن عجرة فى الترمذى وهو بضم العين وسكون
الجيم وراء مهملة وهو ابو محمد او ابو عبد الله او ابو اسحاق من بنى سالم بن عوف ومن غيرهم صحابى شهد
بيعة الرضوان وتوفى سنة اثنين او احدى وخمسين واخرج له الستة وغيرهم قال قلنا يا رسول الله
هذا السلام عليك قد علمناه فكيف الصلاة عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما
صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد
قال الترمذى حديث كعب بن عجرة حديث حسن صحيح وهذا الحديث ايضا رواه الشيخان عن عبد الرحمن
بن ابى ليلى عن كعب قال قلت يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك فقال قولوا
اللهم صل الخ وهو متفق عليه الا ان لفظ البخارى على ابراهيم وعلى ال ابراهيم فى الموضعين
وسقط منه ال فى الموضعين ورواية المص تخالفه وعن عقبة بن عمرو وعبد الله الانصارى
الصحابى توفى بالمدينة سنة احدى واربعين فى ايام على ومعاوية وكان على كرم الله وجهه استخلفه
على الكوفة لما خرج لصفين فى حديثه الذى رواه اللهم صل على محمد النبى الامى وعلى ال محمد هم
المؤمنون من ازواجه وذريته ومن تحرم عليه الصدقة من قرابته على الراجح وفسر بجميع امته
ايضا كما ياتى جميعه فى كلام المص وهذا الحديث اخرجه احمد وابن حبان والدارقطنى والبيهقى
ومسلم بدون لفظ النبى الامى وفى رواية ابى سعيد الخدرى بن مالك بن سنان كما تقدم اللهم صل على
محمد عبدك ورسولك اخرجه الحاكم بسند فى بعض رجاله كلام وذكر معناه اى معنى الحديث السابق
من قوله كما صليت الخ ورواه البخارى ايضا ثم اورده المص من طريق اخر مسلسل فيه زيادة
والمسلسل ما وقع معه امر من النبى صلى الله عليه وسلم من قول او فعل ونحوه ووقع مثله قصدا
من جميع رواته تبركا بحكاته فى حال صدوره كالعد فى اليد هنا وهو قوله وحدثنا القاضى ابو عبد الله
التميمى تقدم بيانه سماعا عليه بقراءة غيرى عليه وابو على الحسن بن طريف النحوى طريف بفتح الطا وكسر
الرا المهملتين ومثناة تحتية ساكنة وفا احد شيوخ المص ولم يذكره فى كتابه الا فى هذا الموضع
توفى تاسع ذى الحجة سنة احدى او عشرين وخمسماية ومنهما توفى ابن رشد بقراءتى عليه قالا حدثنا
ابو عبد الله بن سعدون الفقيه يعرف به كما تقدم فى ذكر التشوق قال حدثنا ابو بكر المطوعى
بضم الميم وفتح الطا المهملة وكسر الواو المشددتين وعين مهملة يليها يا نسبة غلب على المجاهد
تطوعا بلا اجرة وهو محمد بن على الغازى النيسابورى قال حدثنا ابو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله

بن حمدويه بن نعيم الضبي النيسابوري الامام الحافظ شيخ الحديث في عصره عرف بابن البيع صاحب
التصانيف الجليلة ولد في ربيع الاول سنة احدى وعشرين وثلثماية وتوفي في صفر سنة خمس واربعمائة
وله ترجمة في الميزان وفي مستدركه احاديث ضعيفة وموضوعة انتقدت عليه عن ابي بكر ابن
ابي دارم الحافظ المسند السبيعي الحاكم احمد بن محمد بن السري ابن يحيى بن السري التميمي الكوفي محدث
الكوفة روى عنه الحاكم وغيره وهو متهم بالكذب توفي في المحرم سنة اثنين او ست وخمسين وثلاثماية
وله ترجمة في الميزان عن علي بن احمد العجلي هو ممن يروي عنه ابو بكر المذكور ولم يعرف عن حرب بن الحسين
في نسخة ابن الحسين وهو الطحان قال في الميزان ليس حديثه بذاك وذكره ابن حبان في الثقات
عن يحيى بن المساور بميم مضمومة وسين وراء مهملتين قيل انه كذاب عن عمرو بن خالد ابو خالد القرشي
مولى بني هاشم الكوفي روى عنه خلق الا انه كذاب له قبايح مذكورة في الميزان عن زيد بن علي بن
الحسين بن علي بن ابي طالب وهو ابو الحسين العلوي المدني اخو محمد الباقر النسيب الامام الثقة راى جماعة
من الصحابة واستشهد رضي الله عنه سنة اثنتين وعشرين ومائة عن ابيه علي ابن الحسين بن علي بن
ابي طالب قال الزهري ما رايت قرشيا افضل منه توفي سنة اربع وتسعين وهو امام ثقة جليل
اخرج له الستة عن ابيه الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب قال علي رضي الله عنه عدهن في يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم صفة لمقدر اي كلمات تذ في التشهد وصلوات ذكرها الى النبي
صلى الله عليه وسلم وكان في حال ذكرها يعدها لي في يدي باشكالها يشير الى انه حديث مسلسل
بالعد في اليد الحجبريل عليه الصلاة والسلام نبيها على حفظها وانه لا يترك واحدة منها
قال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا اي بهذا العدد نزلت من عند رب العزة سبحانه وتعالى والعزة
كما قال الراغب حال يقتضي الامتناع من القهر والغلبة من الارض العزاز وهي الصلبة ورب العزة اما
بمعنى منزله العزة وهو مالكها كما قال تعالى ولله العزة ولرسوله او من يعطيها من يشاء كما قال تعالى تعز
من تشاء وتذل من تشاء وله هنا موقع لاعزازه واكرامه لرسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم
صل على محمد وعلى ال محمد اي افض عليه وعلى اله رحمتك وانعامك كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم
جعله مشبها به لشهرته لا لانه افضل واعلى كما مر انك حميد مجيد محمود ممجد او المستحق للثنا والشرف
من اثنيت عليه وشرفته اللهم بارك على محمد اي انزل البركة عليه ولذا عداه بعلى وعلى ال محمد كما
باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى ال محمد كما ترحمت
على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد وفيه انه يدل على جواز الدعاء للانبياء عليهم الصلاة
والسلام بالرحمة والترحم كما تقدم ويأتي ذلك مطولا في كلام المص مع الكلام على ما فيه اللهم
وتحنن على محمد وعلى ال محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد تحنن تفعل من الحنين
صار بمعنى الرحمة والشفقة والحنان المنان من اسماء الله بمعنى الرؤف المنعم اللهم وسلم على محمد
وعلى ال محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد قال السيوطي في الجامع الكبير قال الحاكم
هكذا بلغنا هذا الحديث واسناده ضعيف واخرجه الديلمي وابن منده والترمذي وقال العراقي
ضعيف جدا وعمرو بن خالد كذاب وضاع وكذا ابن مساور وحرب بن الحسن اورده الازدي في الضعفا

وقال

وقال حديثه ليس بذاك وقال ابن حجر في اماليه اعتقادي انه موضوع وفي سنده ثلاثة ضعفاء وبعضهم
ممن ينسب الى الوضع والكذب قلت وجدت له متابعات بخبره وان لم تخل من الضعف ووجدت له طريقا
اخر عن الشريف مسنده انتهى قلت ذكر البرهان انه رواه مسندا ايضا فتعدد هذه الطرق يقتضي انه
غير موضوع غاية ما يقال فيه انه ضعيف فاعرفه وقد علمت ان الحديث مسلسل فانه ما تواردوا
على حالة واحدة او صفة في اسناده او صيغ ادايه ومن قوله وترحم الخ يرد قول ابن العربي ان زيادة
الترحم في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بدعة وقال الصيدلاني انه مع انه لم يرد غير
صحيح لانه لا يقال رحمت عليه بل رحمته وفي الترحم معنى التكلف فلا يصح اطلاقه على الله
ويأتي رده وفي الاذكار ان زيادة ارحم محمدا بدعة لا اصل لها وقال ابن ابي زيد المالكي وبعض المالكية
يستحب زيادة ارحم محمدا في التشهد ويأتي نقله عنه في كلام المص مع رده وفي شرح مسلم
الاختيار تركه اذ لم يات في خبر صحيح وقال السخاوي من زاده راه من فضايل الاعمال يكفي فيه
الحديث الضعيف وقال ابو جعفر والسرخسي من الحنفية باستحبابه لتواتر العمل به ورحمه الله
لا يستغني احد عنها وذهب كثير الى انه لا يدعى للانبياء عليهم الصلاة والسلام بالرحمة وفي شرح
البخاري لابن حجر انه غير مسلم لوروده في احاديث كثيرة ففي التشهد السلام عليك ايها النبي
ورحمة الله وبركاته وسبقه اليه صاحب القاموس واستدل عليه بقول الاعرابي له صلى الله
عليه وسلم اللهم ارحمني وارحم محمدا وتقريره له وفي حديث ابن عباس اسيلك رحمة من عندك
وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم استغفرك لذنبي واسيلك رحمتي يا حي يا قيوم برحمتك
استغيث وفي الذخيرة من كتب الحنفية كراهته وجزم الغزالي بعدم جوازه مفردا لايهامه النقص
وانه صلى الله عليه وسلم كغيره يدعى له بالرحمة اقول هذا كلام مضطرب وتحقيقه ان يقال دعاؤه
صلى الله عليه وسلم لنفسه بالرحمة لا منع منه اصلا واما دعا غيره له فيما لم يوثر فعلى الانفراد
مكروه وبالتبع للصلاة ونحوه لا كراهة فيه وهذا هو الحق عندي ثم ان الصاغاني نقل في العباب
ان قول الناس ترحمت عليه لحن والصواب رحمت ترحيما وفي الحديث ما يرده وخص ابراهيم عليه
الصلاة والسلام بالتشبيه قال البغوي عن مقاتل لانه افضل الانبيا بعد نبينا عليه الصلاة
والسلام ومكافاة له على دعايه لامة محمد صلى الله عليه وسلم بقوله ربنا اغفر لي ولوالدي
وللمؤمنين والمؤمنات او لمشاركته له في التاذين للحج والايمان او امره بذلك اجابة لدعايه
بقوله واجعل لي لسان صدق في الاخرين ولانه امر بالاقتدايه واما التشبيه به والمشبه
دون المشبه به فقد عرفته واجيب عنه ايضا بانه قاله قبل ان يعلم انه افضل منه او لسبق
زمانه واشتهاره لا لعلو رتبته وقيل انه من باب من التهييج وفيه نظر وقيل الكاف
للتعليل وقيل ان المشبه ال محمد وفيه تحقيقات في رسالة الجلال الدواني المتقدمة
وفي الدر المنضود لشيخ مشايخنا ابن حجر ان التشبيه للمجموع بالمجموع فان الانبياء
من ال ابراهيم كثيرون فاذا قوبلت تلك الذوات الكثيرة من ابراهيم واله بالصفات
الكثيرة التي لمحمد صلى الله عليه وسلم امكن انتفا التفاضل وتقرب منه قول ابن عساكر

وابن عبد السلام ماحاصله ان الصلاة على النبي صلى الله عليه واله شبهت بالصلاة
على ابراهيم واله فيحصل لنبينا واله من اثار الرضوان ماتقارب الحاصلة لابراهيم واله الذين هم معظم
الانبياء ثم تقسم الجملة فدة يحصل لاله منها ماحصل لال ابرهيم اذ غير الانبياء
الشاملة لمحمد واله على محمد واله صلى الله عليه وسلم وهذا يشعر بانه افضل من ابراهيم انتهى واعترض
بانه جا في رواية مقابلة الاسم بالاسم فقط ولفظها اللهم صل على محمد كما صليت ابراهيم انتهى
وعن ابي هريرة رضي الله عنه في حديث رواه ابو داود وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم من سره
ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت اي من حبان يأتي باحسن صلاة واعظمها اومن
اراد ان ينال الجزاء الذي لا يساويه فيه غيره فالاكتيال عبارة عن ذلك استعارة تبعية مصرحة اوشبه
الاجر بما يشترى من الحبوب والتمر وشبه ذكره اومثله باكتياله لاستيفائه على طريقة المكنية والتخييلية
والاجر لظهوره ادته في قوة المذكور ووجه الشبه انه به البقا والمكيال بكسر الميم الة الكيل والاوفى
افعل تفضيل من الوفا وهو استيفا الشي وحيازته والمراد الترغيب في الصلاة عليه صلى الله
عليه وسلم وعلى اهل بيته بهذه العبارة المخصوصة فليقل اذا صلى عليهم اللهم صل على
محمد النبي وازواجه امهات المؤمنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد
ففضل هذه الصلوة لما فيها من شمول ال بيته كلهم وتعظيمه صلى الله عليه وسلم بوصفه
بالنبوة التي هو اقرب منزلة اليه وتعظيم ازواجه بما يجب وذكر الصلاة على ابيه ابراهيم والايتان
به وبغيره من الانبياء وهذا الحديث صحيح اخرجه ابو داود والطبراني وغيرهما كما علمت وفي رواية زيد بن
خارجة الانصاري الصحابي المعروف توفي في خلافة عثمان وله قصة في تكلمه بعد موته تقدمت
وهذا اخرجه الديلمي في مسند الفردوس وابونعيم والنسائي والطحاوي والبغوي سئلت النبي
صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك هذه الجملة محمولة لسالت لتضمنه القول فقد رفقال
صلوا علي واجتهدوا في الدعا المراد به الصلاة وعبر به تفننا والمراد الدعا لانفسهم بما يريدون
وليجتهدوا بمعنى يبلغوا في ذلك بالاتيان بجهدكم وطاقتكم ثم قولوا بعد الصلاة عليه وعلى اله
وازواجه وذريته اللهم وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد تقدم
ما يغني عن اعادته وعن سلامة الكندي هو سلامة ابن قيصر الحضرمي التابعي ذكره ابن حبان
في الثقات وانه يروي عن علي كرم الله وجهه كان علي يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
وفي رواية يعلم الناس ويقول قولوا وفي الدر المنضود ان ذلك جا عن علي بسند ضعيف وله طرق
اخرى رجالها رجال الصحيح الا انها مرسلة لان راويها لم يدرك عليا اللهم داحي المدحوات
وروي المدحيات ودحي بمعنى بسط قال تعالى والارض بعد ذلك دحاها اي مدها وبسطها لانها
خلقت اولا مدورة ثم بسطت ومهدت والمدحوات الاراضي السبع ومنه اطلاق الداحي على الله
واستدل به من قال الاسما ليست توقيفية وانه يكفي ورودمادتها كدحي وبارئ بالهمزة اسم فاعل
من برا بمعنى خلق على غير مثال اوميز وابرز المسموكات بمعنى المرفوعات والمراد بها السموات وروي
سامك المسموكات وسمك بمعنى رفع وارتفع متعدي ولازم اجعل شرايف صلواتك اي افضل

صلاتك

220

صلاتك واعلاها جمع شريفة بمعنى عالية رفيعة المقدار في الشرف واصله ماعلا من الارض على غيره
ونوامي بركاتك اي ما زاد الى غير النهاية من خيراتك اي بركاتك النامية فهو من اضافة الصفة
لموصوفها ورافة تحننك اي لطفك ورحمتك وعنايتك نازلة متوالية على محمد عبدك
قدمه لشرف العبودية على غيرها يدلالتها على القرب ورسولك الذي ارسلته لجميع خلقك الفاتح
لما اغلق بضم الهمزة وكسر اللام مبني لما لم يسم فاعله من غلق الباب والقفل ونحوه اذا قفله وهو
ضد الفتح هذا حقيقته ويستعار لما صعب واشكل وابهم فالمعنى انه فتح ماكان غير مفتوح
من الشرايع لارسال له بعد الفترة الجاهلية اوانه فتح الله به على عباده انواع الخيرات
وابواب السعادات الدنيوية والاخروية اوبين لامته صلى الله عليه وسلم ما اوحي اليه
بتفسيره وتبيينه وايضاحه وفك ماكان مشكلا له بايضاح براهينه وحججه وتفسيره
بانه اول الناس خلقا واخرهم بعثا كما فسر به جعلتك فاتحا وخاتما كما قيل بعيد هنا كما لا يخفى
وفيه استعارة وتلميح لقوله صلى الله عليه وسلم اوتيت مفاتيح الكلام لما اوضحه
ببراعته وبلاغته ويجوز ان يراد به ما فتح الله به عليه وعلى امته من تيسير الفتوحات
وتسخير الممالك كما في قوله صلى الله عليه وسلم اوتيت مفاتيح خزاين السموات والارض
والخاتم لما سبق من النبوة والرسالة فانه لا نبي ولا رسول يرسل بعده ولا في عهده
وعيسى عليه الصلاة والسلام اذا نزل كان على شريعته ومن امته والخضر والياس
ان قيل بنبوتهما بعد بعثته من امته ايضا ولا حاجة لتفسير ما سبق بالانبيا والرسل
وجعلها بمعنى من والمعلن اسم فاعل بمعنى المظهر من الاعلان وهو الجهر الحق بالنصب
مفعول المعلن والجر باضافته له وليس منصوبا بنزع الخافض اي بالحق وقوله بالحق اي
بالامر الحق لا بالقهر والغلبة والمراد بالحق الدين والشرع ففيه اقامة الظاهر مقام
الضمير والحق الثاني المراد به الله عز وجل فانه من اسمايه اي بعونة الله وتاييده الدامغ
اي الدافع والمزيل ومنه شجة دامغة وهو مستعار من دمغه اذا كسر دماغه كما قاله
الراغب قال الله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه جيشات الاباطيل جمع جيشة
وهي المرة من جاش يجيش اذا فار وارتفع والاباطيل جمع باطل وهو مقابل الحق على خلاف
القياس وجمع مفرد مقدر اي الدافع لما ظهر من الباطل وشاع ففيه استعارة وتمثيل
لما ظهر من الكفر والفساد باجر علا والقي عليه صخرة رضته والصقته بتراب المذلة
وتفسير الجيشات بالاجناد لا ينبغي وقيل الاباطل جمع ابطولة او ابطيلة او بطالة
ولم يسمع كما حمل بضم الحا المهملة وكسر الميم المشددة مبني للمجهول فاضطلع يضاد
معجمة وطا مهملة بمعنى قوي على حمله ونهض به لشدة تحمل عليه وقيامه باعبايه
وهو افتعال من الضلاعة وهي القوة واصلها قوة الاضلاع والكاف للتشبيه
وجوز ان يكون للتعليل وان يكون بمعنى على والاول اولى واظهر فهو متعلق بما قبله
اوخبر مبتدا مقدر اي هذه الحالة المذكورة ثابتة له صلى الله عليه وسلم كما تبع له

تحمله اثقال الرسالة واعباءها فقام بها اتم قيام اوصل وسلم عليه لقيامه بذلك
او افعل به هذا جزاء له على ذلك بامرك اى قائما بها بسبب امرك امتثالا له لا لغرض اخر والمراد
بامره تيسيره واعانته وقوله بطاعتك بدل مما قبله او متعلق به لا دع بطاعتك فامتثله
وادى ما كلفت به وفى نسخة لطاعتك باللام مستوفزا حال من الضمير فى حمل والمطلع
والاستيفاز الوثوب فى الانتصاب من قعود والمراد به التقييد وعدم الاهمال اى مشى عا
مستعجلا فى الاتيان بما امرته به جادا غير متوان ومنه قولهم لقيته على اوفاز اى على
عجلة جمع وفز ومن العجيب ما قيل انه اسم مكان بزنة المفعول يشير به الى المستوى الذى سمع فيه
صريف الاقلام وتاخر عنه جبريل وفيه خبط لا يخفى على عادته فى مرضاتك مصدر ميمى بمعنى الرضى
وفى ظرفية ويجوز كونها بمعنى لام التعليل كما فى حديث دخلت امراة النار فى هرة وفى بعض النسخ بغير
نكل فى قدم ولا وهن فى عزم اى لا جبن يطرء عليه فى اقدامه ولا ضعف فى عزيمته ويروى واهنا
بالمثناة التحتية واعيا اى حافظا بطالوحيك الذى اوحيته اليه لم يشغله عنه ما حمله
من الاعباء وما لقيه من المشاق فى تبليغ الرسالة ومنه اذن واعية واصل الوعى جعل الشئ فى وعاء
قال والشر اخبث ما اوعيت من زاد وحفظه شامل للعمل به حافظا لعهدك اى متمسك ومداوم
على ما عاهدته عليه من الايمان بك والاخلاص فى طاعتك وامتثال امرك ونهيك كما قال صلى الله
عليه وسلم وانا على عهدك ووعدك ما استطعت ماضيا اى مجتهدا مستمرا على امضاء ما عهد
وانزلته مداوما على نفاذ امرك بذال معجمة من انفذ كذا اذا امضاه وبلغ اقصاه حتى اورى قبسا
لقابس لا ايراقدح الزناد لخروج النار شررا وقدمته والقبس ما يتناول من الشعلة قال
تعالى او اتيكم بشهاب قبس والاقتباس طلبه ثم استعير ذلك لاظهار الحق وما يهدى به الناس
وفى المثل ما كل قادح زنده يورى اى لم يزل صلى الله عليه وسلم مجاهدا قائما على الحق حتى اظهره
ابلج نيرا فاهتدى بنوره من كان فى ظلمات الجهالة وقوله لقابس اى لقابل وطالب نور الحق والهداية
التى هى من الاء الله بالمد جمع الى وفيه لغات بكسر الهمزة وبفتحها وبالتنوين فيهما والخامسة الى بكسر
فسكون فتنوين ومعناها النعم الالهية والسعادة الابدية فى الدارين بواسطته صلى الله
عليه وسلم تصل باهله اسبابه الجملة صفة قبس اى ذلك القبس سبب يوصل لمن طلبه من اهله
الذين اهلهم الله له ووفقهم لقبوله ونور بصايرهم بانواره والسبب تقدم ان معناه الحبل
ثم صار بمعنى كل واسطة موصلة به اى بذلك القبس الذى وراه فواه من داه وقيل الضمير له
صلى الله عليه وسلم هديت بالبنا للفاعل والمفعول القلوب الضالة عن طريق الحق فى ظلمة
الجهل بعد خوضات الفتن والاثم جمع خوضة بمعجمتين وهى المرة من الخوض وهو الدخول فى الماء واستعمل
للشروع والدخول فى كل امر ذميم والاثم الذنب والفتن جمع فتنة وهى ما يفتتن به المرء وتطلق
على الكفر وبه فسر قوله والفتنة اشد من القتل وهو المراد هنا اى بعد كفرهم وارتكابهم الاثام
انهج موضحات الاعلام وقع فى النسخ هنا اختلاف فسقط من اكثرها لفظ انهج فموضحات بفتح
الضاد اسم مفعول لهديت بنزع الخافض اى بموضحات الاعلام او هو حال من القلوب والاعلام

جمع علم

جمع علم بمعنى علامة وقيل انه جمع علامة ولا وجه له ويجوز رفعه على انه خبر مبتدا مقدر وهو
ضمير القلوب اى هى ظاهرة ادلة هدايتها وجوز فيه كسر الضاد وجمع موضحة اسم فاعل من الايضاح وهو
الكشف اى صارت القلوب بما رزقت من الهداية منشورات الاعلام او ناشرة لها فالعلم بمعنى اللواء استعا
لما ذكر ومن اثبت انهج ماض فهو بالنون من النهج بمعنى اوضح وبين وسهل وقوم كما ذكره ابن القوطية كما
فى بعض الشروح وفى بعضها ابهج بالبناء الموحدة من البهجة اى انار واشرق وهذا ساقط من خط المص
رحمه الله فان قلت على النسخة المشهورة الساقط منها لفظ انهج فالمعنى ظاهر لان ما له الى
انه هديت به القلوب للادلة الدالة على ما هداهم الله له من احكام الشريعة الظاهرة ولما
يظهر الاسلام ويؤيده من نصرة الاسلام باليد واللسان واما على النسخة الاخرى التى فيها ابهج
بمعناه ففيه تحصيل الحاصل لان ما لها اظهار الظاهر والمظهر قلت على هذه الرواية انه
ظاهر فى نفسه لمن له بصيرة ونفس قدسية واظهاره بالنسبة لغيرهم او اظهاره اشاعته وانتشاره الى
ان يصل الى اقصى الارض فتذعن له الجبابرة والملوك ونايرات الاحكام جمع نايرة اسم فاعل من النور
والضيا من نار لازم بمعنى ظهر واتضح والاحكام احكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرهما وفى القاموس
نار نورا وانار واستنار ونور وتنور انتهى ومنيرات الاسلام من انار المتعدى والاسلام بمعنى
الدين او الاستسلام والانقياد لامر الله فهو صلى الله عليه وسلم امينك على وحيك واسرار ملكك
وملكوتك التى اطلعته عليها المامون الذى ارتضيته لحفظ اسرارك او خلقته حفيظا عليها كما اشار
اليه بقوله وخازن علمك المخزون فى خزاين ملكوتك وكنوز عرشك حتى انزلته له وائتمنته عليه دون
غيره وارتضيته بايصاله لمن يليق له الاطلاع عليه وشهيدك فعيل بمعنى فاعل صيغ للمبالغة فارتضاه
للشهادة على الانبيا وامتهم اى بتصديقهم على تبليغهم له كما قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
وجئنا بك على هؤلاء شهيدا كما تقدم يوم الدين اى القيامة والجزاء بما يعلمه الله وبعيثك فعيل بمعنى
مفعول مبعوثك ورسولك الذى بعثته وارسلته لتبليغ اوامرك ونواهيك نعمة مفعول لاجله اى بعثته
ليكون نعمة ورحمة للعالمين ورسولك الذى ارسلته للناس كافة خاتما للنبوة والرسالة بالحق متعلق
برسولك اى ارسلته بالدين الحق الثابت فى نفس الامر رحمة عامة لجميع خلقك وهو منصوب مفعول له ايضا
فهو رحمة فى الدنيا والاخرة لمن امن به وفى الدنيا لمن كفر بحقن دمه وصيانة ماله وقد يحصل لبعضهم رحمة
فى الاخرة بتخفيف عذابه ايضا وقد يفرق بين النعمة والرحمة هنا بان يقال النعمة ما حصل به من الخير والبركة
ليمنه والرحمة هدايتهم بسببه التى كانت سببا لخلوصهم من الكفر والضلال لئلا يكون تكرارا وافسح له
فى عدنك الفسحة التوسعة وعدن بسكون الدال اسم للجنة ومعناها دار الاقامة والخلود من عدن
بمعنى اقام فهو اسم للجنة مطلقا ولها اسماء اخر ويكون اسما لجنة مخصوصة ايضا اعرفها لهم والمراد بالدعاء
بالفسحة طلب بهجة مقامه وزيادة حسنه وشرف منظره لان سعة المنزل امر مستحسن ولذا قالوا
احسن المنازل ما سافر فيها النظر والافسحة الجنة معلومة قيل روى عدلك باللام اى بعدلك وجلالك
بما يليق به واجزه مضاعفات الخير من فضلك المعنى اعطه من انعامك وفضلك ما تضاعفه له من الخيرات
الاخروية مما لا عين رات ولا اذن سمعت وهو ظاهر الا انه قد اختلف فى ضبطه بعد الاتفاق على انه بهمزة

وجيم وزاى معجمة فيقال انه بتمام وصل وجيم ساكنة من الجزا انه ثلاثى وقيل انه بهمزة قطع مفتوحة وجيم مكسورة
وزاى ساكنة من الجايزة وهى العطية وقال السخاوى فى القول البديع فى الصلاة على الحبيب الشفيع انه بفتح
الهمزة وجيم ساكنة وزاى مكسورة من الجزا كما ضبط فى بعض نسخ الشفا والصواب كما وجد فى بعض الاصول
المعتمد بها وصل الهمزة لان فعله ثلاثى كما قال تعالى وجزاهم بما صبروا انتهى اقول ان صحت الرواية بما ذكره
اولا فتوجيهه انه من الاجزا بمعنى الكفاية ابدلت همزته الاخيرة ثم عومل معاملة المعتل كما رم
والمعنى كفه عنى سواك لما كلفته به من القيام باعباء رسالتك والضعف المثل فما زاد وليس
بمحصور كما حققه اهل اللغة وقوله من فضلك اشارة الى ان الثواب تفضل من الله لانه لا يجب عليه
شئ خلافا للمعتزلة كما بينه المتكلمون مهنات له صلى الله عليه وسلم جمع مهناة بتشديد النون
وبالهمزة اسم مفعول من الهنئ وهو السائغ وكلما اتى من غير تنغيص وتعب وهو حال من مضاعفات
غير مكدرات اى منغصات وهو حال ايضا او صفة لمهناة موكدة من هوز نبغا وزاى معجمة عند الاكثر
وهو الظفر بنيل البغية وقيل انه براء مهملة بمعنى سريع عاجل كما قيل اهنوء البر عاجله استعارة من فارت
القدر اذا غلت ثوابك العظا فى مقابلة عمل المحلول بحا مهملة اسم مفعول من حل المكان وبه وفيه اذا
نزل اى الكاين فى الجنة او الذى وصلته له فصار صفة حالة فيه وقيل معناه المستوجب بفتح الجيم
اى الذى استوجبه واستحقه من حل اذا وجب وهو بعيد متكلف وفى رواية المضنون بدل المحلول
اى الذى يضن به لنفاسته وجزيلا اى كثيرا عظيم عطايك اى احسانك وانعامك المعلول اى المضاعف
من العلل وهو الشرب مرة بعد اخرى ويقابله النهل وهو الشرب مرة قال كعب رضى الله عنه كانه منهل
بالراح معلول فشبه عطاؤه بمنهل عذب ترده العطاش كما تريد مرارا فهو استعارة والمراد انه
كثير لا ينقطع اللهم اعل بقطع الهمزة على بنا الناس بموحدة ونون وروى بدل الناس البانين جمع
بان بناه بموحدة ونون اى اجعله عاليا رفيعا اى اجعل مقامه فى الجنة فوق كل مقام او اجعل مقداره
ارفع من كل مقدار او ذاته اشرف من جميع الذوات لان الذوات بنا الله كما ورد فى الحديث وصحح فى بعض
النسخ ثنا الناس وثنايه بمثلثة اى اجعل مدحه والثنا عليه فوق ما يثنى به الناس عليه فانهم
لا يقدرون على اداء حق الادا واكرم مثواه لديك اى اجعل مقامه عندك كريما اى حسنا مرضيا من ثوى
بالمكان اذا اقام به ونزله بضم النون وسكون الزاى ويجوز ضمها وهو القرى المعد للضيف اذا نزل
والمراد به ثوابه واجره وحسن استعارته هنا ذكره بعد المثوى وهو المنزل فانه كرم على كرم واتمم له نوره
اى اجعل النور الذى اودعته فيه تاما كاملا فيكون فى ساير جهاته وحواسه وقلبه كما ورد فى دعايه
عليه الصلاة والسلام اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى سمعى نورا وفى بصرى نورا وفى ساير جهاتى نورا واجزه
فيه ما تقدم من الضبط قريبا من ابتعاثك افتعال من البعث بموحدة ومثلثة اى بعثك له بالنبوة والرسالة
فقوله له متعلق به وليست اللام تعليلية متعلقة باجزه كما قيل اى كافيه على ما قام من امور الرسالة
مقبول الشهادة اى شهادته فى المحشر للانبياء عليهم الصلاة والسلام وعلى الامم مرضى المقالة اى
ما يقوله ثمت من الشهادة والشفاعة فلا يسخط ولا يرد له قول ذا منطق عدل مصدر ميمى بمعنى النطق
وعدل بمعنى معتدل مستقيم وهو حال ايضا والمراد به ما يقوله بعد الشفاعة من حمده تعالى بمحامد

لا تتضاهى وخطة فصل بتقدير مضاف اى وذا خطة وهى بضم الخا المعجمة وتشديد الطا المهملة وهو
الامر والشان والفصل الجزل الفاصل بين الحق والباطل يوم القيامة وبرهان عظيم اى دليل نبوته
ورسالته القوى القاطع من معجزاته الباهرة وقد ذكر هذا صاحب القاموس فى كتابه المسمى بالصلات
والبشر فى الصلاة على خير البشر مع ما فيه من الزيادات واختلاف الروايات وحسبك من القلادة
ما احاط بالجيد وزاد ابو بكر بن ابى شيبة فى رواية فيها مجهول اللهم اجعلنا سامعين مطيعين
واولياء مخلصين ورفقاء مصاحبين اللهم بلغه منا السلام واردد عليه منا السلام
وعنه اى عن على كرم الله وجهه لكن قال الحافظ السخاوى انه لم يقف على اصله ايضا فى كيفية
الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله وملايكته يصلون
على النبى الاية اى وتلا الاية الامرة بذلك الى اخرها لنفع صلاته بعدها امتثالا لامر الله فى قوله عقبها
لبيك اللهم وسعديك اى اجابة بعد اجابة واسعادا بعد اسعاد فى طاعتك وامتثال اوامرك
والتثنية فيهما لمجرد التكرار وعاملهما محذوف وجوبا كما فصل فى النحو صلوات الله البر الرحيم
اى المنعم المتفضل بانواع البر والرحمة ومعنى البر العطوف اللطيف بعباده وهو من اسمايه تعالى
ولم يسمع بار لان البر ابلغ منه وصلوات الملايكة المقربين كجبريل واسرافيل وخصهم لشرفهم
والنبيين والصديقين اى المبالغين فى الصدق والاخلاص من اشراف المومنين الصالحين
والشهدا والصالحين كل خير القايمين من غير تقصير بحقوق الله وحقوق عباده والشهدا جمع
شهيد فعيل بمعنى فاعل او مفعول وهو من قتل مجاهدا فى سبيل الله لاعلاء كلمته تعالى ومن الحق بهم
كالمبطون والغريق ونحوهما سمى به لان الله وملايكته ومنه يشهدون له بالجنة او لانه حى
فكانه شاهد حاضر او لان ملايكة الرحمة تشهده او لقيامه لشهادة الحق او لشهوده ما اعد له
من الكرامة حين قتل وما سبح لك من شئ ما مصدرية ومن زايدة وهو للتاييد اى صلوات هولاء دايمة
مستمرة مدة تسبيح الاشيا لك وان من شئ الا يسبح بحمده وهذا بنا على ما وقع بدون واو فى قوله ما سبح
الحزو فى نسخة وما سبح لما موصولة معطوف على الاسم ومن بيانية اى وصلوات الله وصلوات كل شئ
يسبحك يا رب العالمين اى جميع المخلوقات فهو شامل للعقلا وغيرهم تغليبا كما حقق فى التفسير
على محمد بن عبد الله متعلق بمقدر خبر لصلوات خاتم النبيين اى اخرهم بعثة وسيد المرسلين
اى افضلهم واشرفهم واضافة خاتم للنبيين متابعة لما فى القران وسيد المرسلين تفننا واطلاق
السيد عليه ثابت بالاحاديث كقوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر واما قوله
لا تسمونى سيدا فموول بلا تصفونى بسيادة كسيادتكم او هو تواضع منه صلى الله عليه وسلم
وورد اطلاقه على الله تعالى ايضا بمعنى المالك كما فصلناه فى غير هذا المحل وامام المتقين
الذين يقتدون به فى العلم والعمل ورسول رب العالمين اى الخلق اجمعين الشاهد على الانبياء
وانهم بلغوا اممهم وعلى اممهم بما بلغوهم يوم القيامة كما قال تعالى وجينا بك على هولاء شهيدا
كما تقدم تحقيقه البشير للمومنين بسعادة الدارين الداعى اليك اى الذى دعى الخلق الى طاعة الله
وتوحيده باذنك اى بامرك له بدعوتهم او تيسيرك وتسهيلك السراج المنير شبهه بذلك

لازالته ظلمة الكفر وتنويره لقلوب المومنين بنور هدايته وتوضيحه لطرق الحق والحقيقة ولا نذاته
صلى الله عليه وسلم نور ولذا ورد انه لم يكن له ظل كما مر وعليه السلام اى السلامة من كل ذنب
ونقص وعن ابن مسعود كما رواه ابن ماجه والبيهقي في كيفية اخرى للصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك المراد بجعلها انزالها ولذا عداه بعلى فقال على سيد المرسلين
وامام المتقين وخاتم النبيين محمد بالجر بدل مما قبله عبدك ورسولك قدم وصفه بالعبودية
لشرفها بالاختصاص وتقدمها امام الخير اى امام الاخيار او المقتدى به في كل خير ورسول الرحمة
اى الذى ارسله الله رحمة للعالمين وقد ورد في حديث مسلم انا نبي الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا
يحمده فيه جميع الانبيا وساير الخلق وهو مقام الشفاعة العظمى وقد ورد تفسيره بهذا ومقاما منصوب
على الظرفية بابعثه بمعنى اقمه وفسر بعضهم البعث بالاحيا والتنكير للتعظيم يغبطه فيه الاولون
والاخرون اى يتمنون نيل مثله من غير زواله وهذا هو الفرق بين الغبطة والحسد ولذا قيل
ان الغبطة حسد غير مذموم وقد يراد بالغبطة لازمها وهى المحبة والسرور وربما راوه فقط
وهو اللايق بمقام الرسل والكمل فان منهم من تمنى مقام غيره الذى خصه الله به كانه يقول
هلا ساويته في مقامه وفيه اعتراض خفى ولذا لما قيل له صلى الله عليه وسلم هل يضر
الغبط قال لا الا كما يضر العضاة الخبط فاشار الى ان فيه ضررا ليس كضرر تمنى الزوال
فان الخبط يقطع الورق دون الاغصان والساق فاعرفه فانه دقيق اللهم صل على محمد
وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد تقدم بيانه وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت
على ابراهيم وال ابراهيم انك حميد مجيد وكان الحسن البصرى رحمه الله يقول من اراد ان يشرب
بالكاس الاوفى اراد به انا فيه ما يرويه ويزيد من الوفا وهو الكثرة وفي القاموس وفر ارفى تم
وكثر فهو وفي ووافٍ وهو المراد ورده الزبيدى في لحن العوام بانهم يقولون درهم واف اذا كان
يزيد في وزنه وقال ابو بكر الوافى الذى لا زيادة فيه ولا نقص وهو الذى في بزنته انتهى من حوض
المصطفى الذى يستى منه العطاش يوم القيامة وهل هو الكوثر او غيره فيه ما فيه فليقل اللهم
صل على محمد وعلى اله واصحابه واولاده وازواجه وذريته بضم المعجمة وقد تكسر كما مر نسل
الانسان من ذكر وانثى وقد يخص بالنسا والاطفال ومنه ذرارى المشركين من الذرء وهو الخلق
ولكنهما اسقط الهمز وقيل من ذر تفرق او من الذر لانهم خلقوا اولا مثل الذر وهو النمل الصغير
وعليهما فلا اصل له في الهمز ويدخل فيهم اولاد البنات اتفاقا على ما قاله ابن الحاجب لكن رد بان
مذهب ابى حنيفة انهم لا يدخلون وهو رواية عن احمد نعم اجمعوا على دخول اولاد بنات فاطمة
في ذريته صلى الله عليه وسلم خصوصيته لهم لشرف هذا الاصل العظيم والمحتد الكريم
وبين الازواج والال عموم وخصوص من وجه وبين الذرية والال عموم وخصوص مطلق واهل
بيته واصهاره وانصاره واشياعه اى اتباعه جمع شيعة وشيعة الرجل اتباعه والفرقة
على حدة وتقع على الواحد المذكر وغيره وغلب بعد ذلك على طايفة ادعت تفضيل على كرم الله
وجهه على غيره كما سياتي بيانهم في محله ومحبيه المراد بهم من بلغت محبته منه محلا لا يصل

اليه غيره بحيث يكون احب اليه من نفسه واهله وماله وامته من عطف العام على الخاص ليشمل
جميع الامة وعلينا يعنى المتكلم ومن يختص به معهم اجمعين يا ارحم الراحمين ولتعميمه في هذا
وتفصيله تفصيلا تاما كان نجزا من صلى عليه صلى الله عليه وسلم ودعا له بهذا الدعا من جنس
عمله بان يكون مشربه اوفى وعن طاوس هو الامام ابو عبد الرحمن بن كيسان كما تقدم عن ابن عباس
رضى الله عنهما انه كان يقول اذا صلى عليه صلى الله عليه وسلم اللهم تقبل له شفاعة محمد الكبرى
يوم القيامة اذا قيل له صلى الله عليه وسلم اشفع تشفع وقال الكبرى لان له صلى الله عليه
شفاعات ثمت بلغها النووى رحمه الله خمسا وقد تقدم ذكرها والمراد بها شفاعته لفصل
القضا لا لاخراج عصاة المؤمنين من النار كما قيل فان قلت شفاعته صلى الله عليه وسلم مقبولة
فما فايدة الدعا له صلى الله عليه وسلم بهذا قلت هذا امرنا به تعبدا لنيل الثواب وان كان امرا
محققا كما في قوله وارفع درجته العليا وزد رتبته في جنات النعيم والمراد بهذا كله تعظيمه صلى الله
عليه وسلم واته اى اعطه وانعم عليه سوله فعل بمعنى مفعول كخبز بمعنى مخبوز اى مسؤوله ومطلوبه
وما يحبه ويبتغيه في الاخرة والاولى اى الدنيا سميت اولى لتقدمها على الاخرة ومطلوبه في الاخرة
درجات قربه ونجاة امته وفي الدنيا اعلا كلمة الله ونصره ونصر امته وسعة ملكهم وان لا يسلط
عليهم اعداهم ولا يستاصلهم ولا يهلكهم بسنة عامة ونحوه مما ورد في الحديث كما اتيت ابراهيم
وموسى فان قلت الفصل معقود لبيان كيفية الصلاة وليس في هذا ذكرها قلت المراد بالصلاة
الدعا له صلى الله عليه وسلم وهو دعا فيه تعظيم وثنا عليه بما يليق به وعن وهيب بالتصغير
ابن الورد ويقال ابن ابى الورد المخزومى المكى الزاهد الثقة مولاهم واسمه عبد الوهاب ووهيب
لقبه وكنيته ابو عثمان روى عن عطاء مرسلا وغيره وروى عنه كثير واخرج له مسلم واصحاب
السنن وله احاديث ومواعظ توفى سنة ثلاث وخمسين ومائة وفي بعض النسخ وهب مكبر
والمعروف الاول انه كان يقول في دعايه له صلى الله عليه وسلم اللهم اعط محمدا افضل ما سيلك
لنفسه اى اجب دعاءه بما احبه لنفسه واعط محمدا افضل ما سيلك له اى لاجله احد من خلقك
فاستجب دعاهم له واعط محمدا ما انت مسؤول له الى يوم القيامة تعميم بعد تعميم وعن ابن مسعود
رواه عنه ابن ماجه والبيهقى والديلمى والدارقطنى وتمام في فوايده انه قال اذا صليتم على النبى صلى الله
عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه اى اقصدوا احسنها وقولوه فانكم لا تدرون انما تبلغه ام
لعل ذلك الدعاء والصلاة يعرض عليه ويبلغه صلاتكم عليه فينبغى ان يتحرى الاحسن حتى يسره
صلى الله عليه وسلم ما يبلغه منه وقيل لعل هنا للجزم فانه ورد انها تعرض عليه صلى الله عليه وسلم
وسيل ابن حجر رحمه الله هل الافضل والاحسن في الصلاة عليه ان يقول صل على محمد او على سيدنا محمد
بصفة السيادة فاجاب بان اتباع الاثار الواردة افضل وارجح لا يقال لعله تركه تواضعا منه
كما لم يكن يقول عند ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم وهو مندوب لغيره لانا نقول لو كان كذلك
جا عن الصحابة والتابعين ولم يرد عنهم الا في حديث ضعيف في الشفا عن ابن مسعود وذكر الشافعية
انه لو حلف احد ان يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم افضل صلاة فبره بان يقول اللهم صل على

محمد كلما ذكره الذاكرون وسهى عن ذكره الغافلون وقال النووى رحمه الله افضله ما فى التشهد والحاصل
انه لم يرد ذكر سيدنا عن احد من الصحابة ولو كان مندوبا ما خفى عليهم والخير كله فى الاتباع انتهى
وهذا يقرب من مسيلة اصولية واهى ان الادب احسن او الاتباع والامتثال ورجح الثانى وقيل انه
هو الادب كما مر وقوله وقولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك الى قوله انك حميد مجيد تقدم بيانه
بما يغنى عن اعادته الان قيل انه بيان للحسن الذى ذكره بن مسعود وارشادلما امر به من الاحسان
فى الصلاة عليه وانه الاحسن وقيل انه يحتمله ويحتمل ان يكون تمثيلا للحسن منه وان كان فوقه
ما هو احسن منه وانه هو الظاهر وفيه نظر وما يوثر بالبنا للمجهول اى ينقل عنه صلى الله عليه
وسلم وعن الصحابة والتابعين وما اسم موصول مبتدا خبره كثير الاتى من تطويل الصلاة وتكثير
الثنا على اهل البيت وغيرهم من الصحابة وتفضيلهم كامر كثير فى الاثار المروية عن السلف حتى افرد
بتاليف من احسنها القول البديع للسخاوى المتقدم ذكره وقوله فى الحديث المتقدم فى التشهد
والسلام كما علمتم يعنى فى تشهد الصلاة فى قوله السلام عليك ايها النبى الخ وهو اشارة الى تفسير
ما سبق فى رواية مالك عن ابن مسعود لما سالوه كيف نصلى عليك اخره الى هنا وهو اشارة الى ما علمهم
من التشهد وعلمتم بالبنا للمجهول وتشديد اللام او بالبنا للفاعل وتخفيف اللام كما تقدم والمعنى
ظاهر وهما متلازمان لانهم اذا علموا علموا لكن ما بعده يقتضى الاول اعنى قوله وهو ما علمهم فى
التشهد من قوله صلى الله عليه وسلم السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين تقدم تفسيره وفى تشهد على رضى الله عنه وتقدم ان التشهد
روى عن الصحابة من طرق كثيرة اسندوها وهذا المتن رواه عن على كرم الله وجهه السلام
على نبى الله السلام على انبياء الله ورسله قدمه لبيان شرفه وتفضيله عليهم السلام على
رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل اخر وصفه بالرسالة اشارة الى تاخر رسالته بحسب
الزمان لانه مسك الختام السلام على محمد بن عبد الله كرر السلام عليه باسمه ونسبه تاكيد
السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم ومن شهد اى حضر اللهم اغفر لمحمد سياتى
بيان الدعا له صلى الله عليه وسلم بالمغفرة وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لى ولوالدى
بالتشديد مضاف لياء المتكلم وما ولدا زاده ليشمل اقاربه المسلمين وحاشى نسبه الان
فيه اشكالا لان عليا كرم الله وجهه هو الذى قاله فكيف يدعو لوالديه وامه فاطمة بنت
اسد بن هاشم بن عبد مناف وهى اول هاشمية ولدت هاشميا اسلمت وتوفيت بالمدينة
وكفنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قميصه واضطجع فى قبرها وقال جزاك الله
من ام خيرا لانها ربته صلى الله عليه وسلم واحسنت صنيعها معه كما ذكره الطبرى فى الرياض
النضرة وانما اضطجع صلى الله عليه وسلم فى قبرها ليخفف عنها ضغطة القبر كما صح به
فى الحديث وابو طالب توفى كافرا وادعاء بعض الشيعة انه اسلم لا اصل له وقد نهى عن الاستغفار
للمشركين كما فى الاية الكريمة واجيب عنه باجوبة فقيل انه تغليب لامه ولا وجه له وقيل المراد
بابويه ادم عليه الصلاة والسلام وحوى ولا يخفى بعده وقيل المراد تعليم من يدعو من المومنين

ان يقول

ان يقوله وهو اقربها وما قيل انه سهو من الناسخ زاد فيه الفا وانما هو ولدى يعنى الحسن
والحسين واولادهما ليس بشئ وكذا ان كان من كلامه صلى الله عليه وسلم او هو بنا على اسلام
ابويه على ما ارتضاه السهيلى وسياتى بيانه وارحمهما فيه ما تقدم السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته تقدم بيانه جا فى هذا الحديث عن على
الدعاء للنبى صلى الله عليه وسلم بالغفران وهو المغفرة وهى كما قال الراغب الباس الشئ ما يصونه
فهى من الله صون عبده عن مس العذاب والدعا له بها صلى الله عليه وسلم من امته لا ينبغى
لايهامه القصور من المدعو له واما قول الله تعالى له ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
ودعاؤه لنفسه بالمغفرة فلا يقاس عليه وفى حديث الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
عنه ايضا اى عن على مثله فهل بالبنا على الضم اى قبل هذا تقدم من طريق الحاكم الدعا له صلى الله
عليه وسلم بالرحمة وانما يدعى له بالصلاة والبركة اقتصارا على ما ورد فى حقه وان كان معناها
الرحمة لكنها رحمة خاصة مشعرة بنوع تعظيم ولم يات فى غيره اى فى غير هذا الحديث من الاحاديث
المرفوعة المعروفة المنسوبة اليه صلى الله عليه وسلم وهو بيان لغيره وقد ذهب ابو عمر بن عبد
البر الامام الجليل القدر كما تقدم وغيره من علماء المالكية والحديث الى انه لا يدعى للنبى صلى الله عليه
وسلم بالرحمة فهو مكروه عندهم لايهامه التقصير وانما يدعى له بالصلاة اى بهذا اللفظ الماثورة
فى القران والبركة التى تختص به يعنى التى بمعنى الدوام والثبوت على التشريف والتكريم تكثرة الخيرات
الالهية وفيض المواهب اللدنية ويدعى لغيره من المومنين بالرحمة والمغفرة لانه غير معصوم ولا يخلو
من تقصير فهو محتاج لمغفرة الله ورحمته اشد الاحتياج لا كالرسول المعصوم الذى غفر الله ما تقدم وما تاخر
والمراد غيره صلى الله عليه وسلم من امته لا الانبيا فان من الادب ان لا يدعى لهم بذلك ايضا وكذا
الصحابة ينبغى ان يقال فيهم رضى الله عنهم ولا يرد على هذا ان الصلاة معناها الرحمة فانه
لا يلزم من كون لفظ بمعنى لفظ ان يستعمل فى محله مع انه غير مسلم فان الصلاة فيها معنى التعظيم
ولو كان مطلق الرحمة لزم استعمالها فى حق غيره وليس كذلك وقد ذكر الامام ابو محمد بن ابى زيد
فى مذهب مالك صاحب الرسالة المشهورة كما تقدم فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم
فى تشهد الصلاة اللهم ارحم محمدا وال محمد كما ترحمت على ابراهيم وال ابراهيم ورده المص رحمه الله
بقوله ولم يات هذا فى حديث صحيح وحجته فى جواز الدعا له صلى الله عليه وسلم بالرحمة الذى
منعه غيره قوله صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه فى السلام المروى فى التشهد السلام عليك
ايها النبى ورحمة الله وبركاته فاطلاقه الرحمة عليه هنا يدل على جواز الدعا له صلى الله عليه
وسلم بالرحمة اذ لا فرق بينهما وقال الرافعى فى الشرح الكبير من الناس من زاد وارحم محمدا كما رحمت
على ابراهيم وربما يقولون ترحمت على ابراهيم بالتا ولم يرد فى خبر وهو غير فصيح فانه لا يقال ترحمت
عليه وانما يقال رحمته وفى الترحم تكلف لا يحسن اطلاقه على الله تعالى وقال الاسنوى فيه
اقوال وقد اسقطها النووى فى الروضة وقول الرافعى انه لا يقال ترحمت عليه غير مستقيم قال
الصغانى يقال ترحمت عليه قال الغزالى لا يجوز ترحم بالتاء اى وهو مراد الرافعى بقوله انه

لا يحسن وقال النووي انه بدعة وبالغ ابن العربي في انكاره وتخطية ابن ابي زيد وفي الاذكار ما قاله
بعض اصحابنا وابن ابي زيد من استحباب زيادة وارحم محمدا وال محمد بدعة لا اصل لها وقد حقق ابن
العربي في شرح الترمذي قايله لانه ليس في التشهد الذي علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة
فالزيادة استدراك عليه وقال بعضهم انكاره غلط لان الحاكم رواه في مستدركه باسانيد صحيحة
عن ابن مسعود وكذا رواه الذهبي وقد قاله الشافعي في رسالته وهو رد لما قاله مقلدوه كما قاله
البرهان الحلبي في حواشيه اقول محصل كلامهم باسرهم انهم اختلفوا في جواز الدعاء له صلى الله
عليه وسلم بالرحمة والمغفرة وفي وروده في الحديث والذي صححه اكثر الفقهاء والحفاظ ثبوته
وجوازه ومنشاء الخلاف ان الرحمة والمغفرة تقتضي قصورا وذنبا حاشاه الله منه واعطاه براة منه
اذ قال له صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وسوى بينهما ايما الى
ان المتقدم كالمتاخر في عدم الوقوع ولذا قيل المراد بذنبه ذنب امته كما تقدم فينبغي ان يقال
بجوازه مقرونا بغيره غير منفرد تعبدا وطلبا للثواب والمغفور له ليس ذنبا كذنوبنا بل امور تقتضيها
الجبلة البشرية وتاباها العادة الملكية من الاشغال الدنيوية وان كانت مباحة اولازمة لمقامه
صلى الله عليه وسلم ولذا قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم
والليلة ماية مرة وسياتي تحقيقه ان شا الله تعالى فصل في فضيلة الصلاة عليه صلى الله
عليه وسلم اي ثوابها وفوايدها المترتبة عليها والتسليم عليه اي قوله السلام عليك ايها النبي ونحوه
والدعاء له الماثور نحو اللهم اته الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة والمراد تعظيمه
صلى الله عليه وسلم واظهار محبته بطلب بغيته فليس من تحصيل الحاصل ولا لاحتياج له
صلى الله عليه وسلم وقدم المصنف حديثا مسندا تبركا به رواه النساي ومسلم
عن ابن عمر رضي الله عنهما حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه قالوا ان روى عنه المصنف
من مشايخه واسمه احمد بن محمد غيره ناس منهم احمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عثمان بن غلبون
الخولاني واحمد بن محمد بن عبد العزيز اللخمي وابن المرتضى ابو جعفر واحمد بن محمد بن عبد الله الشاري والمراد
الاول لانه اشهر مشايخه وكان عليه ان يذكر ما يعينه فكانه اعتمد على شهرته قال حدثنا القاضي
يونس بن مغيث تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو بكر بن معاوية بن الاحمر الاندلسي وهو محمد بن
معاوية بن عبد الرحمن بن معاوية بن اسحاق بن عبد الله بن معاوية ابن هشام بن عبد الملك بن مروان
ابو بكر القرطبي الامام الثقة الجليل رحل الى المشرق سنة خمس وتسعين وماتين وسمع من النسائي
وغيره ودخل الهند تاجرا وتوفي سنة ثمان وخمسين وثلثماية قال حدثنا النساي امام الحديث
وصاحب السنن المشهورة واسمه احمد بن شعيب كما تقدم بيانه قال حدثنا وفي نسخة اخبرنا ابن هنا
الحز سويد بن نصر ابو الفضل المروزي المعروف بالشاه الامام روى عن ابن المبارك وغيره واخرج له
اصحاب السنن وتوفي سنة اربعين وماتين قال اخبرنا عبد الله عن حيوة بن شريح هو ابو عبد
الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح التيمي مولاهم المروزي شيخ خراسان وابوه تركي تاجر وامه
خوارزمية ولد سنة ثمان وعشرين وماية وتوفي سنة احدى وثمانين وماية وقبره مهيب يزار

واخرج له

واخرج له الستة كما تقدم وحيوة بن شريح تقدمت ترجمته وما فيه قال اخبرني كعب بن علقمة بن
كعب بن عدي التنوخي المصري التابعي الثقة توفي سنة ثلاثين وماية واخرج له اصحاب السنن
وفي بعض النسخ كعب عن علقمة وهو سهو وقد تقدم هذا الحديث انه سمع عبد الرحمن بن
جبير مولى نافع الامام الجليل الثقة اخرج له اصحاب السنن وتوفي سنة سبع وتسعين
انه سمع عبد الله بن عمر الصحابي المشهور رضي الله عنهما يقول سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن وهو يؤذن للصلاة اي او غيرها مما يشرع فقولوا
مثل ما يقول من تكبير وتشهد وصلاة وحيعلة تصديقا وهو سنة معروفة وقيل انه واجب وتقدم
بسط الكلام فيه وصلوا علي وفي مسلم ثم صلوا علي والمعنى واحد وقد علمت ان هذا احد المواطن
التي تستحب فيها الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كما تقدم وانه يقرن فيه الصلاة
بالسلام فانه الافضل وارتكاب خلافه مكروه ولا يحتج له بتعليمهم كيفية الصلاة
السابقة لان السلام سبقها في التشهد ولا افراد فيه وقد جاء ذكر الصلاة مقرونة بالسلام
في مواطن منها عقب ما يقال عند ركوب الدابة كما رواه الدارقطني في الدعاء مرفوعا وكذا في غيره وانما
حذف في بعض المواضع اختصارا وكذا تستحب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الاقامة
كما ذكره الخيضري فيما تقدم فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا فان الحسنة بعشر امثالها
وكون الله عز وجل يصلي عليه فيه من الرحمة له واعلاء قدره ما لا يخفى وقال يقول بالمضارع
اشارة الى انه يقوله من غير تاخير لما بعد الاذان وظاهره انه يتابعه في الحيعلتين وهو قول فيه
وفي قول معتمد انه يقول عندهما لا حول ولا قوة الا بالله اي لا قدرة للعبد على طاعته التي دعي
اليها الا بتوفيقه وكان ابن جبير يقول سمعنا واطعنا وينبغي ان لا يرفع المجيب صوته في الاجابة
لان التشبيه ليس من كل الوجوه ثم سلوا الله لي الوسيلة بان يقولوا اللهم رب هذه الدعوة
التامة والصلاة القايمة ات محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته
فان من قال ذلك حلت له شفاعتي يوم القيامة والوسيلة لغة ما يتقرب به الى كل كبير وفسرت
في الحديث بقوله فانها منزلة في الجنة من اعلى منازلها وقد يرد هذا لمعناها اللغوي فانها تقربه
الى الله لا تنبغي لاحد من عباد الله اي لا تليق بكل احد فانها اعلى المنازل فلا تليق الا باقرب البشر
وانا ارجو ان اكون انا هو عبر بالرجا وان كان الله اعطاه ذلك لوعد من لا يخلف الميعاد تواضعا
منه صلى الله عليه وسلم وتفويضا للامر فيما يستقبل الى الله تعالى وتعليما لامته وارشاد
لهم لان يكونوا بين الخوف والرجا دايما لا سيما في امور الاخرة وقد فسرت الوسيلة ايضا بالشفاعة
العظمى كما مر وجمع بينهما بان صاحب تلك المنزلة هو صاحب الشفاعة العظمى ايضا وانا تاكيد لاسم
كان المستتر وهو خبرها وضع موضع اياه استعير ضمير الرفع لضمير النصب وتقدم ان ذلك
خلاف الظاهر وقيل اسمها ضمير مستتر وانا هو مبتدا وخبر والجملة خبر اكون ما قيل من انه هو
وضع موضع اسم الاشارة اي ان اكون ذلك العبد كما في قول روبة فيها خطوط من سواد
وبلق كانه في الجلد توليع البهق لا وجه له فان مثله انما ذكروه في وضع الضمير المفرد

موضع غيره لا في موضع المرفوع موضع غيره كما ذكره النحاة فمن سأل الى الوسيلة حلت عليه
شفاعتي اى استحقت ووجبت له بفضل الله من حل بمعنى نزل وفي البخاري حلت له وهما بمعنى والشفاعة
هنا مطلقة فان كان زمن بنا خاصته شفاعته صلى الله عليه وسلم من العذاب والا شفع له
باعلاء درجته او بادخال الجنة من غير حساب وفي شرح مسلم للمص انه هذا مختص بمن قاله مخلصا
قاصدا بذلك تعظيمه صلى الله عليه وسلم لا مجردا للثواب وقال ابن حجر انه تحكم غير مرضي ولو اخرج
الغافل لكان اشبه وتقدم الكلام على ذلك كله وفي الحث على الدعا في اوقات الصلاة لانه محل
الاجابة كما قالوه وروى انس ابن مالك رضي الله عنه في شعب الايمان للبيهقي ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال من صلى على صلاة واحدة في وقت ما صلى الله عليه عشر صلوات اى رحمه الله رحمة
مضاعفة معظمة لا تشابه غيرها لان اضافته الى الله اضافة تعظيم وتشريف وان كان كل من جا
بحسنة له عشر امثالها وحط عنه عشر خطيات ان كان ارتكب خطيته ورفع له عشر درجات
باعلا مقاماته في جنة النعيم وعلو منزلته بقربه من الله وفي رواية اخرى رواها ابو يعلى وكتب له
عشر حسنات فان الصلاة حسنة وكل حسنة بعشر امثالها والزيادة هنا باسناد ذلك الى الله
تعالى وانه فعل ذلك بنفسه ولم توكله للملايكة الكتبة فيدل على انها اعظم من ساير الحسنات
وصلاة الله كما علمت رحمته رحمة خاصة به فهي على حقيقتها من غير مشاكلته كما قيل وعن انس
بن مالك رضي الله عنه انه روى عنه صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابن ابي شيبة في مسنده
انه قال ان جبريل عليه الصلاة والسلام ناداني اى قال لي ويحتمل انه راه في الافق فناداه
بصوت عال قال فيه له من صلى الخ ويويد الاول قوله في بعض النسخ فقال من صلى عليك صلاة
باخلاص يقصد بها تعظيمك على ما مر صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات فوق مقامه الذي
يستحقه وصلاة الله على من صلى عليه ثابتة في عدة احاديث كثيرة مسندة صحيحة وفي بعض
الروايات زيادة على العشر والاقل لا ينفي الاكثر وفي رواية عبد الرحمن بن عوف التي رواها
الحاكم والبيهقي وصححاها عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لقيت جبريل عليه الصلاة
والسلام فقال ابشرك اى اخبرك بما يسرك سرورا عظيما يظهر في وجهك ويسرك وهو اصل معناه
ان الله اى بان الله يقول من سلم عليك اى قال السلام عليك ايها النبي داعيا لك بالسلامة
من كل نقص وسوء ومُلقيا اليك عنان تسليمه سلمت عليه اى سلمته من كل سوء وحفته
عنايتي وعبر بهذا مشاكلة ومن صلى عليك صليت عليه ليس في هذه الرواية عدد ولا غيره
فهي محمولة على ما مر والحديث صحيح روي من طرق وسببه ان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه
كان يلازم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخدمه ليلا ونهارا فاتبعه ليلة وقد خرج
من منزله فدخل حايطا وسجد سجودا طويلا حتى ظن انه قبض روحه فبكى فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما لك فاخبره بما خطر بباله فقال له جاني جبريل واخبرني بان الله
يقول لي من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه فسجدت شكرا له وهو
حديث صحيح المتن والسند وقال الحاكم لا اعلم في سجدة الشكر اصح منه والاحاديث في فضل

الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كثيرة لا تحصى ونحوه اى مثل هذا الحديث لفظا ومعنى
من رواية ابي هريرة رضي الله عنه ومالك ابن اوس بن الحدثان بفتح الحا والدال المهملتين ومثلثة والف
ونون علم منقول من المصدر ومالك هذا هوازني مخضرم ادرك الجاهلية والاسلام ولم يخرج له
الستة واختلف فيه هل هو صحابي راى النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه احاديث مرفوعة
او تابعي روايته مرسلة والاصح عند الذهبي وغيره انه تابعي وتوفي في سنة اثنين وتسعين وهو
ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم خرج يتبرز ولم يجد من يتبعه
ففزع عمر رضي الله عنه واتبعه بمطهرة فوجده ساجدا في مشربة فتنحى عنه حتى رفع راسه فقال له
احسنت يا عمر لتنحيه عنه تادبا ثم قال له ان جبريل اتاني فقال لي من صلى عليك واحدة صلى الله عليه
عشرا ورفعه عشر درجات اخرجه البخاري في الادب وغيره وعبيد الله بن ابي طلحة الانصاري
وهو بالتصغير وفي نسخة عبد الله مكبرا قال البرهان وهو الاصح بل الصواب وهو عبد الله بن ابي
طلحة زيد بن سهل الانصاري اخو انس لامه ووالد اسحاق واخوته وهو صحابي له رواية توفي في زمن
الوليد وحنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماه وحديثه رواه احمد والحاكم وابن حبان
والنسائي قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم والبشر يرى في وجهه فقال لما
سيل عن سبب بشره جاني جبريل فقال لي ما يرضيك يا محمد انه لا يصلي عليك احد من امتك
الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا واخرجه ابن الجوزي
في الوفا بزيادة ولا يكون لصلاته منتهى دون العرش ولا تمر بملك الا قال صلوا على قايلها كما صلى
على النبي صلى الله عليه وسلم وعن زيد بن الحباب بضم الحاء المهملة وموحدتين بينهما الف قال
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ظاهره انه صحابي سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما في ساير النسخ وهو كما قالوه وهم او بعضه له او سقط من الكاتب فان ابن الحباب ليس بصحابي
ولا تابعي وانه وابن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وان صحت روايته وقيل انه
لم يكن به باس ورحل في طلب الحديث الى الاندلس مع تقدمه وله ترجمة في الميزان وكان المص لما اراد
كتابة الحديث اسقط اول سنده ولذا قال يحيى بن علي القرشي المحدث انه وهم ظاهر فانه ليس تابعي
ولا من اتباعهم وانما روى عن مالك وامثاله وليس له نظير في اسمه واسم ابيه من الصحابة وهذا
الحديث رواه ابن الحباب عن ابن لهيعة عن بكر بن سوادة عن زياد بن نعيم عن ابن شريح الخضرمي
عن رويفع بن ثابت الصحابي عبد الله ورواه جرير عن حسين الخلقاني عن ابن الساب عن زاذان
عن عبد الله عنه صلى الله عليه وسلم فهو معضل لا مرسل كما قيل وابن الحباب توفي سنة ثلاث
ومايتين وقيل انما حذف سنده لضعفه وهو اعتذار اعظم من الذنب فانه ليس بمعضل ايضا
لان المعضل اذا قال سمعت يكون كذبا فالصواب انه وهم وجواب الشمني عنه بان المص
اسقط ما عدا زيد لانه لا غرض له في ذكر رواته لا وجه له وانما يصح لو لم يقل سمعت وزيد
هذا هو ابو الحسين الحافظ الخراساني والذي يخطر بالبال ان قوله سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليس من قول زيد وانما هو من قول ابي هريرة وهو المقصود بالرواية وما بعده متابعة

له وبيان لكثرة طرقه وهذا غاية ما يمكن في توجيهه لحسن الظن به وليس ببعيد الا ان نظر لزيادة
قوله وعن من قال في صلاته على رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على محمد وانزله اى
اعطه المنزل المقرب بصيغة اسم المفعول ويجوز كسر رايه يوم القيامة هو على ظاهره والمراد في الاخير
والقرب عنده رفعة معنوية المراد منه تعظيم الثواب وفيض المواهب الربانية لا قرب مكاني لان الله
منزه عنه وجبت له شفاعتي اى تعينت وتحققت بلا تردد لان الله لا يجب عليه شي عندنا وروى
ابن مسعود في حديث صحيح رواه الترمذي وابن حبان وفي نسخة وعن ابن مسعود اولى الناس بي يوم
القيامة اى احقهم بشفاعتي وعنايتي واقربهم مني منزلة اكثرهم صلاة علي لان ذلك يدل على محبته
والمرء مع من احب وعن ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب كتبه
من تاليف ورسالة وغيره كما هو بيانه لم تزل الملايكة تستغفر له اى تدعو له بالمغفرة ما بقي اسمي
اى مدة بقايه مكتوبا في ذلك الكتاب والمراد التابيد كقوله تعالى ما دامت السموات والارض
قال الطبراني في الاوسط رواه الشيخ في الثواب والمستغفري وقال العراقي في تخريج احاديث الاحيا
رووه بسند فيه ضعف ومثله يعمل به في فضايل الاعمال وقال خاتمة العلما المالكية الحطاب
في معنى ذلك يحتمل ان المراد كتب الصلاة علي في كتابه ويحتمل انه قرا الصلاة عليه المكتوبة
وهو اوسع وارجى والاول اظهر واقوى انتهى وتقدم نقله عن الشيخ زروق قلت الاول هو المراد
لان المعنى انه سن بذلك سنة حسنة لما كتبه وكان سببا للقراءة فله اجره واجر من قراه اجرا غير
مقطوع ولا ممنون به وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي
صلت عليه الملايكة ما صلى علي فليقلل من ذلك عبد او ليكثر العطف للتخيير والفا فصيحة اى
اذا عرفت مقاهذا ودوامه ونفعه لك فان شيت اكثرت من كتابته كما استفيد من الاول او التلفظ
كما استفيد من هذا لتربح ربحا كثيرا دايما وان لم تشا فاقتصر على قليل منه نافع لك وهذا في الحقيقة
حث له على الاكثار فان العاقل لا يترك الخير الكثير ما امكنه ولذا قيل التخيير بعد الاعلام بما هو
خير اكثر تحذيرا من التفريط في تحصيله قريب من التهديد وفيه من المبالغة ما لا يخفى وعن ابي بن كعب
في حديث رواه الترمذي وحسنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل اى
الاول وكان فعل ماض لكنها تستعمل عرفا للدوام نحو كان الله غفورا رحيما كما ذكره ابن جني
في الخصايص قام من نومه وانتبه بعد استراحته فقال لمن عنده من زوجاته واهل بيته
يا ايها الناس اذكروا الله بتمجيده وتحميده باسمايه الحسنى ثم ذكرهم وعظهم وقيامه لتهجد
وخص هذا الوقت بما ذكر لانه وقت غفلة بمقتضى الطبيعة البشرية جات الراجفة تتبعها الرادفة
والراجفة من الرجف وهي الحركة بشدة والرعدة معها صوت واضطرات ولذا قيل للبحر
رجاف وقد تظرف فيه ابن نباته المصري كما في وصف من حدثته له رعشة في كفه فقال ما كان
من رجاف ككفك منكر والبحر من اسمايه الرجاف والمراد بالراجفة ما يكون بين يدي الساعة
من الفتن والهرج والمرج والزلازل والرادفة من ردف بمعنى تبع والمراد الساعة او الصيحة
او النفخة او زلزلة اخرى والمراد اخبارهم بقرب الساعة واشراطها جا الموت بما فيه من سكراته

واهواله

واهواله وهو اقرب لكل احد من حبل الوريد والمراد حثهم على طاعة الله وايقاظهم من نومة الغفلة
فقال ابي بن كعب لما قاله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اني اكثر الصلاة عليك واشغل بها اوقاتي
بعد اداء الفرايض ونحوها فكم اجعل لك من صلاتي اى ما مقدار الوقت الذي اصلي عليك فيه قال
ما شيت اى اي مقدار تريده ويتيسر لك قال الربع اى اصرف ربع اوقاتي لها قال ما شيت فان زدت
على الربع فهو خير لك نافع في الدنيا والاخرة قال الثلث اى اصرف لها ثلث وقتي قال ما شيت اى
يكفي هذا وان زدت فهو خير لك واحسن لك قال النصف قال ما شيت وان زدت فهو خير قال الثلثان
قال ما شيت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله اجعل صلاتي كلها لك قال اذا تكفى اى تكفيك
عما عداها لان فيها خير الدنيا والاخرة وزيادة الرزق ببركتها ويغفر ذنبك لانها مكفرة لساير الذنوب
اقول الصلاة في هذا الحديث بمعنى الدعا كما ذكره في كتاب الصلاة والبشر ومعناه انه في موطن الدعا
كعقب الصلوات ونحوها اذا اراد ان يدعو لنفسه وله صلى الله عليه وسلم هل يزيد في دعايه
لنفسه على الصلاة عليه او يسوي بينهما او يزيد في الصلاة عليه او يجعل دعاه كله له ويترك
دعاه لنفسه فانه اذا فعل ذلك كفاه عن الدعا لنفسه فان الله يصلي عليه اضعاف صلاته فينال
كل خير من الله من غير طلب وهذا اولى واحب الى الله ورسوله اذا عرفت هذا فما قيل هنا من ان هذا
الحديث يقتضي ان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم افضل من ساير العبادات لان الشارع اذا
خص وقتا بعبادة تكون فيه افضل من غيرها كاذكار الركوع والسجود فانها افضل من غيرها وان كان
غيرها في نفسه افضل فالصلاة عليه لمن يريد الدعا افضل من قول لا اله الا الله وان ورد
في الحديث افضل ما قلته انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وقد سيل شيخ الاسلام السراج
البلقيني عن قراءة القران وذكر الله والصلاة على رسول الله ايهما افضل فاجاب بان كلا منهما
افضل في محله فالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في وقت الدعاء وهي في الصلاة واجبة فهي
افضل من غيرها فاذا جعل الانسان دعاه كله صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فانه يكفى
عما اهمه وهي افضل من الاستغفار ونحوه من الدعا لا وجه له ولا حاجة بنا اليه فان الحديث كما علمت
انما يدل على ان صلاته على رسول الله صلى الله عليه وسلم تغني عن دعايه لنفسه ولا تقتضي انها افضل
من ساير العبادات ولا من قراءة القران وغيرها كما لا يخفى وقد اطال هذا القايل من غير طايل وبعد
عن المرام بمراحل ولبعض الشراح هنا كلام لا مناسبة له بهذا المقام وهذا الحديث في المعنى كالحديث
القدسي من شغله ذكري عن مسالتي اعطيته افضل ما اعطي السايلين وعن ابي طلحة زيد بن
سهل الصحابي رضي الله عنه وفي الصحابة ابو طلحة اخر وهو الذي نزل فيه قوله تعالى ويوثرون
على انفسهم ولو كان بهم خصاصة كما قاله الخطيب وقال البرهان لا اعرف في الصحابة من اسمه
ابو طلحة غير ابن سهل هذا وحديثه هذا اخرجه النساي انه قال دخلت على النبي صلى الله عليه
وسلم فرايت في وجهه من اثار بشره اى سروره وانشراحه وطلاقته ما لم اره قط فيه لان دابه
عليه الصلاة والسلام الخشوع والسكون والطلاقة مصدر بمعنى البشاشة قال الراغب
يقال هو طلق الوجه وطليق الوجه اذا لم يكن كالحا انتهى وهو في الاصل من الاطلاق من الوثاق

فاستعير للبشاشة والسرور فسئلته عن سبب ذلك فقال وما يمنعني من السرور وانشراح الصدر وقد خرج جبريل من عندي انفا اي قريبا من مجيئك فاتاني ببشارة من ربي الظاهر ان منه قلبا اي اتاني ببشارة ثم خرج ومثله كثير في كلامهم والحديث صحيح اخرجه احمد واصحاب السنن ان الله بفتح الهمزة بدل مما قبله وبكسرها والجملة مفسرة للبشارة وهي الخبر السار بعثني اي ارسلني اليك ابشرك انه ليس احد من امتك يصلي عليك الا صلى الله عليه وملائكته بها اي بصلاته التي صدرت عشرا وقد تقدم هذا وتفسيره وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في حديث رواه البخاري قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع النداء اي الاذان فتعريفه للعهد اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة اي الدايمة او التي تقوم لها الناس فهي كعيشة راضية ات محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي اي تحققت يوم القيامة وظاهره انه يقوله وهو يسمع الاذان من غير اجابته وبه استدل الطحاوي على انه لا تتعين الاجابة او المراد انه يقوله حين يسمع النداء بتمامه فيكون بعد الاجابة والرواية تنكير مقاما حكاية لما في القران وهو منصوب بمفعولات والذي بدل او عطف بيان او هو منصوب على الظرفية والذي مفعول وروي المقام المحمود بالتعريف كما قاله النووي ولا وجه لانكاره وقد تقدم بيانه وعن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه في حديث صحيح رواه مسلم من قال حين يسمع المؤذن اي اذانه وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا غفر له اي جميع ذنوبه وذكره استطرادا لمناسبته لما قبله لانه ليس فيه شيء مما نحن فيه من فضيلة الصلاة عليه وما قيل انه يعلم منه التزاما لانه بمجرد الرضا به اذا كان سببا للمغفرة فكيف اذا قرن به الصلاة والسلام عليه بعيد جدا لانه ليس في الكلام ما يدل عليه بوجه من الوجوه وروى ابن وهب هو الامام ابو محمد عبد الله الفهري كما تقدم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم علي عشرا اي قال السلام عليك يا رسول الله عشر مرات فكانما اعتق رقبة اي عبدا وعبر بالجزء عن الكل اي كان ثوابه مثل ثواب ذلك وفي بعض الاثار جمع اثر بمعنى الخبر الذي يؤثر اي ينقل والمراد به هنا الحديث ليردن علي اقوام اي ياتوني على الحوض لا اعرفهم الا بكثرة صلاتهم علي وفي نسخة ما يدل لا يعني انه صلى الله عليه وسلم يرى في وجوههم نورا وعلامة من اثار الصلاة عليه وفي حديث اخر ان انجاكم اي اسرعكم نجاة وخلاصا يوم القيامة من اهوالها اي شدايدها وخوفها ومواطنها الضمير للاهوال او للقيامة التي يخافونها اكثركم علي صلاة يعني ان بركتها تسهل عليه شدايدها وهذا الحديث رواه الاصبهاني في ترغيبه عن انس رضي الله عنه وفيه ايضا عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب اي اشد ابطالا واذهابا من محق الشيء اذا ابطله من الماء البارد للنار فانه اذا صب عليها اطفاها واذهب ضررها ففيه تشبيه الصلاة بذلك والسلام عليه صلى الله عليه وسلم افضل من عتق الرقاب انما خص السلام بجعل ثوابه كثواب عتق الرقاب لان السلام فيه تسليم له من ساير النقايص ومن اعتق رقبة اعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار فسلم مما يخشاه في الاخرة فلذا جعل السلام عليه واجره كالاعتاق واجره وشبهه به دون الصلاة وهذه

نكتة لطيفة لا تنافي ما مر لان وجه الشبه قد يكون اقوى في المشبه وفي الدر المنضود بعد كلام القيدي هذا وجب رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من مهج الانفس وقال عن ضرب بالسيف في سبيل الله وله حكم المرفوع اذ مثله لا يقال من قبل الراي واخرجه التيمي وعنه ابو القاسم بن عساكر ومن طريقه اليمن ابن عساكر بلفظ الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من عتق الرقاب او قال من ضرب بالسيف في سبيل الله وسنده ضعيف قيل وانما كان السلام عليه افضل من عتق الرقاب لان ثواب العتق انما علم من جهته ولان العتق يقابله العتق من النار لما في الحديث الصحيح من اعتق رقبة اعتق الله بكل عضو منها عضوا منه حتى الفرج بالفرج والسلام عليه يقابله سلام الله على المصلي عشرا وسلام الله عز وجل افضل من مايه الف الف الف جنة فناهيك بها من منة انتهى وفي بعض الشروح هنا كلام تركه خير منه

فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم واثمه لتركه الواجب عليه وذمه بترك الافضل في حقه ففيه اشارة الى انه قد يجب وقد يندب كما مر ولهذا اخر هذا الفصل عما قبله وصدره بحديث مسند رواه مسلم والترمذي كما هو دابه في كتابه هذا فقال حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله هو ابن سكرة وقد تقدم مرارا قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون هو احمد ابن الحسين بن خيرون البغدادي الحافظ الناقد وقد تقدم ايضا وابو الحسن الصيرفي كذا في النسخ والصواب ابو الحسين بالتصغير وقد تقدمت ترجمته ايضا قالا حدثنا ابو يعلى هو احمد بن عبد الواحد المعروف بزوج الحرة كما تقدم قال حدثنا السنجي تقدم بيانه وبيان نسبته وضبطها قال حدثنا محمد بن محبوب تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي المشهور وتقدم بيانه قال حدثنا احمد بن ابراهيم الدورقي هو احمد بن ابراهيم البغدادي الحافظ والدورقي بفتح الدال المشددة والراء المهملتين بينهما واو ساكنة يليها قاف وياء نسبة منسوب لبلد وهو في الاصل اسم انا للماء كالجرة ولنون من القلانس شبهت بالاواني لطولها ووهم من غلط المزي في قوله انه اسم بلد فانه سبقه اليه الحاكم في كتاب الكنى والمعترض اعتمد على كتاب الرشاطي وقد رده البرهان الحلبي في المقتفى والدورقي كان امام الحديث في عصره اخرج له وغيرهم وتوفي سنة ست واربعين ومايتين قال حدثنا ربعي بن ابراهيم هو ربعي بن مقسم الاسدي الثقة الحافظ توفي سنة سبع وتسعين ومايه عن عبد الرحمن بن اسحق بن عبد الله بن الحارث بن كنانة القرشي العامري المدني ويقال له عباد بن اسحاق وثقوه وضعفه بعضهم وله ترجمة في الميزان عن سعيد بن ابي سعيد المقبري وقد تقدم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل اي اذله الله واخزاه وحقيقته الصق الله وجهه بالرغام وهو التراب فكني به عما ذكر واضيف للانف لتقدمه ذكرت عنده فلم يصل علي لان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم تعظيم له وثواب لقايله وعزة له باعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم فمن تركه مع سهولته عليه كان مستحقا للاهانة وهذا الحديث اخرجه الترمذي كما علمت وحسنه والحاكم وصححه ورغم انف رجل دخل رمضان اي جاء زمانه والتعبير فيه بالدخول حقيقة عرفية اي عرف اللغة ثم انسلخ اي تم ومضى واصل السلخ نزع جلد الحيوان فاستعير

ككل الخراج يقال سلخت درعه اى نزعته ومنه سلخ الشهر لاخره قال تعالى واية لهم الليل نسلخ منه النهار
ومما قلته ادهم الليل حين كان نحرونا سلخته بذى الاهلة سلخا قبل ان يغفر له اى ولم يغفر له
وفى التعبير بالقبلية اشارة الى انه لكون محل المغفرة كانت كالموجودة فذهبت قبلها ورغم
انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر اى ادركا الشيخوخة وعمرا وهو معهما الا انه لم يبرهما ولم
يعاملهما بما يرضيهما فلم يدخلاه الجنة لانه لو فعل ذلك بهما اثابه الله وادخله الجنة فان الجنة
تحت اقدام الوالدين كما ورد فى الحديث قال عبد الرحمن بن اسحاق الذى تقدم قريبا واظنه اى
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال واحدهما اى احد ابويه ويجوز عود الضمير لابى هريرة رضى الله
عنه ففيه شك من الراوى وستاتى تتمة الكلام على هذا الحديث والجامع بين هذين ان فى صوم رمضان
رضا ربه وخالقه وفى رضا الوالدين بر من هو سبب لوجوده وفى الصلاة على النبى صلى الله عليه
وسلم رضا من هو سبب لبقايه فى النعيم المخلد والصوم رضا للرب بامر ليس عليه فيه كلفة
كالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فقد حرم نفسه من فايدة عظيمة بترك امر لا مشقة فيه
ورواه مسلم بثم بدل الفا لاستبعاده ممن له عقل والفا نظرا لكون ذلك واقعا عقبه لان الفا
بمعنى ثم كما قوهم وقيد بر الوالدين بحال الكبر لانها حالة العجز ورحمتهما والاسناد فى قوله يدخلاه اسناده
مجازى للسبب وفى حديث اخر رواه الحاكم وصححه عن كعب بن عجرة رضى الله عنه بطريق اطول من هذا
ان النبى صلى الله عليه وسلم صعد المنبر صعد بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المستقبل كما قاله
البرهان الحلبى والمنبر بكسر الميم اسم الة من نبر بمعنى ارتفع لارتفاع الخطيب عليه فقال امين
اذ صعد درجة وامين اسم فعل بمعنى استجب كما مر وقوله امين يقتضى انه سمع داعيا يدعو ولم يكن
معه احد فلذا سالوه عن سبب قوله هذا كما سياتى ثم صعد درجة اخرى من درجات المنبر
فقال امين ثم صعد درجة فقال امين فساله معاذ راوى الحديث عن ذلك اى عن قوله امين ثلاثا
وما سببه فقال مجيبا للسايل عن سوال ان جبريل اتانى لما صعدت المنبر وروى انه اتاه قبله
فقال يا محمد وروى انه قال له لبيك وسعديك من سميت للمجهول وتا الخطاب المفتوحة نايب
الفاعل اى ذكر اسمك بين يديه اى عنده وهو حاضر يسمع فلم يصل عليك فمات تاركا للصلاة
عليك والتعقيب عرفى ككروح فولد له دخل النار عقوبة له على ترك الصلاة وقد قدمنا انه يقتضى
وجوبها كلما سمع اسمه والجواب عنه فابعده الله عن رحمته ويغنم جنته وقال له جبريل قل امين
طلب منه التامين على دعايه ليستجاب وفيه تعظيم له لا يخفى فقلت امين امتثالا للامر الذى بلغه
عن ربه قال ابن حجر فى الزواجر ولهذا الوعيد بتكرير الدعا عليه بالبعد والسحق وعده ابخل الناس
عدوا ترك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند ذكره من الكباير بنا على وجوبها كلما سمع ذكره
كما ذهب اليه طايفة من الحنفية وغيرهم ويمكن حمله على من ترك الصلاة عليه لاشتغاله بلهو ولعب
على وجه يشعر بالاستخفاف بحقه صلى الله عليه وسلم فيكون الترك حينيذ كبيرة مفسقة فلا
منافاة بين هذا وبين القول بعدم الوجوب بالكلية وهذا امر مهم لم ار من نبه عليه انتهى وقال
فمن ادرك رمضان وصومه فلم يقبل منه مبنى للمجهول اى لم يقبله الله منه بان بطل ولحبط عمله

فمات

فمات مثل ذلك اى فدخل النار فابعده الله قل امين فقلت امين ومن ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما
اى لم يقم بواجب حقوقهما وما يستحقانه يقال بره بفتح عين الماضى يبره بضمها لانه مضاعف متعد والمطرد
فيه ذلك الا ان فعا لا قليلة جا فيها الضم والكسر كما قاله ابن القوطية وغيره كما فصل فى كتب التصريف
فمات مثله بالنصب اى وذكر مثله اى فدخل النار فابعده الله الخ وعدم قبول رمضان اما لانه لم يات به
على وفق امر الله له بان اخل به او اما لانه لم يخلص نيته فيه وهذا حديث صحيح روى من طرق كثيرة باسانيد
متعددة وعن على بن ابى طالب كرم الله وجهه من حديث صحيح رواه الترمذى وصححه والبيهقى والنسائى
عنه عليه الصلاة والسلام انه قال البخيل كل البخيل الذى اذا ذكرت عنده فلم يصل على وتعريف
الطرفين يدل على الحصر اى لا بخيل الا هذا والبخل الامساك عن بذل ما ينبغى شرعا او مروة والشرع
يقتضى ذلك لانه امر به وكذا المروة لانها تقتضى الثنا على من انعم واحسن واى منعم مثله صلى الله
عليه وسلم فانه واسطة لكل احد فى جميع النعم التى وصل اليها والبخل بكلمة تنفع فى الدنيا
والاخرة بخل لا يضاهيه بخل وفى الحديث روايات مختلفة فروى البخيل كل البخيل وموكدا
بان كما ياتى وفيه مبالغة لا تخفى وهو هنا استعارة تبعية بتشبيه ترك الصلاة
بترك الانفاق او مكنية وتخييلية بتشبيه الصلاة بالمال الذى ينبغى انفاقه وعن جعفر
الصادق بن محمد الباقر عن ابيه محمد الباقر وهو تابعى فالحديث مرسل كما فى شعب الايمان
للبيهقى ورواه الطبرانى فى الكبير متصلا عن الحسين بن على جده رضى الله عنهم قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل على خطى به طريق الجنة خطى
بضم الخاء وكسر الطا فى اكثر النسخ مبنيا لما لم يسم فاعله وجوز بناوه للفاعل ايضا اى دخل النار
لانه اخطا عن طريق الجنة فكانت طريقه الى النار لانه قد اضله الله عن طريقها وهذا رواه
جماعة من طرق متعددة وفى بعضها خطى وعن على بن ابى طالب كرم الله وجهه قال ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على وكل هنا
صفة البخيل للمبالغة كانه جمع افراده كلها وتجب حينيذ اضافته لظاهر مماثل الموصوف
لفظا ومعنى كما هنا وكقوله وان الذى حانت بفلج دماوهم هم القوم كل القوم يا ام خالد
وقد يضاف لمماثله معنى فقط وهذا الحديث اخرج من طرق متعددة اخرجه النسائى
والبيهقى والبخارى فى تاريخه وعن ابى هريرة رضى الله عنه رواه ابو داود والترمذى
وحسنه والحاكم وصححه قال ابو القاسم صلى الله عليه وسلم ايما قوم ما هنا للعموم
وما مزيدة اى كل قوم جلسوا مجلسا اى فى مجلس ما ثم تفرقوا اى قاموا من مجلسهم قبل ان يذكروا الله
اى من غير ذكر له تعالى فى مجلسهم وعند قيامهم منه وقبل ان يصلوا على كانت عليهم من الله ترة
وتره بكسر التا المثناة وفتح الرا المهملة وها تانيث عوض من الفا المحذوفة كعدة وزنة وهى مرفوعة
اسم كان وعليهم خبر مقدم وجوز نصبها على الخبرية واسم كان ضمير مستتر راجع الى الجلسة
المفهومة مما قبله والترة لها معان الظلم والذنب والنقص والتبعة وقد فسرت بالحسرة وهو
اقربها لانه ورد كذلك فى رواية كما ياتى وقوله ان شا عذبهم وان شا غفر لهم يقتضى انه بمعنى الذنب

والخطيئة فهو كالتفسير لما قبله والمعاني كلها متقاربة وقيل انها بمعنى الحجة القايمة عليهم فهم
في مشيئة الله ان شا عذبهم بترك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وان شا غفر لهم لانه الغفور
الرحيم وقد علم ان الترة هي في الاصل النقص قال تعالى ولن يتركم اعمالكم ومعناها هنا التبعة كما
في شرح السنة وفي غريب المدونة ان بعض الفقها حرفه وقراه بالثا المثلثة من الثار بالهمزة اي طلب الدم
من القاتل وابن هو منه لفظا ومعنى اذا علمت هذا فينبغي لمن اراد القيام من مجلس ان يقول لا اله الا الله
وصلى الله وسلم على رسوله ليكون مكفرا لما في ذلك المجلس وعن ابي هريرة رضي الله عنه في حديث
رواه البيهقي في الشعب من نسي الصلاة علي نسي بضم اوله وتشديد ثانيه مبني للمجهول وفي نسخة
نسي مخفف مبني للفاعل طريق الجنة ففيه جعل الصلاة كانها دليل ترشده لطريق الجنة او مذكر يذكره بها
ففيه استعارة او النسيان بمعنى الترك مجازا من ذكر المقيد وارادة المطلق كقول الله تعالى نسوا الله فنسيهم
وقوله وكذلك اليوم تنسى وعن قتادة عنه صلى الله عليه وسلم في حديث رواه عبد الرزاق عن معمر
والحديث مرسل يستدل به في الفضايل دون الاحكام كما علم مما مر من الجفا ان اذكر عند الرجل وفي نسخة
رجل وفي اخرى احد فلا يصلي علي الجفا ترك الصلة والبر ويكون بمعنى غلظة الطبع ومنه قيل
للاعراب اهل الجفا بمد ويقصر وهو ضد الصلة والمراد بالرجل الجنس كاللئيم في قوله ولقد امر على اللئيم
يسبني وعن جابر رضي الله عنه في حديث رواه البيهقي عنه صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا ثم
تفرقوا منه على غير صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الا تفرقوا عن انتن ريحة تفوح منهم انتن افعل من النتن
وهي الرايحة الخبيثة التي يكرهها كل طبع ويكون من اللحوم المتغيرة بعد الموت وفعلها نتن بالكسر
والضم عند ابن القرطيه فافعل من الثلاثي على القياس ومن انتن على مذهب سيبويه فما قيل ان صوابه
اشد نتنا لا وجه له مع انه يكفي لصحته وروده في كلام افصح الناس صلى الله عليه وسلم من ريح الجيفة
الريح اما على ظاهره او بمعنى الرايحة والجيفة في الاصل رمة الحيوان اذا انتنت وتغيرت لانهم اتوا بامر
مذموم فشبه المعقول بالمحسوس وقيل انه لما صدر عنهم من الكلام المذموم شرعا من غير مكفر له
وهو تقييد من غير دليل انه يجهم في الملا الاعلا او يوم القيامة يشمه اهل الموقف وهو بعيد لا يلايمه
السياق فالظاهر انه على التشبيه او المراد انه كذلك في الدنيا وقد نقل عن بعض المشايخ انه كان
يشم من اهل الغيبة رايحة خبيثة وهذا الحديث رواه الطيالسي والبيهقي والنساي والضيا
في المختارة بسند صحيح الا انه فيه ذكر الله مع الصلاة كما مر والمشبه به اما فرد من افراد
الجيفة او شي غيرها اشد نتنا منها وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه في حديث رواه البيهقي
وسعيد بن منصور وغيرهما من طرق صحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسا
اي في مجلس يتحدثون فيه ولا يصلون فيه على النبي صلى الله عليه وسلم في اثنايه او في اخره
الا كان ذلك المجلس حسرة عليهم اي ندامة وتاسفا على ما فاتهم فيه وان دخلوا الجنة لما يرون
من الثواب لمن صلى عليه والقوم جماعة الرجال خاصة لقوله او قوم ان حصن ام نساء ويطلق على
ما يشملهم تغليبا وقيل انه عام لكل جماعة وهو المناسب هنا وقد تقدم معنى حسرة وهي
في الاصل بمعنى الانقطاع من حسرت الناقة اذا انقطعت عن السير لكلال ويجوز في كان

ان تكون

230

ان تكون تامة وناقصة وجعله نفس الحسرة مبالغة كقوله وانه لحسرة على الكافرين او اسناده
مجازي وحكى ابو عيسى الترمذي امام الحديث وصاحب الجامع والشمايل وقد قدمنا ترجمته وشهرته تغني
عن ذكره عن بعض اهل العلم انه قال اذا صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس
اجزا بالهمزة عنه ما كان في ذلك المجلس اي كفت المرة عن تكريرها بقدر ما ذكر اسمه في ذلك المجلس
فهو سنة كفاية او فرض كفاية بنا على الخلاف السابق وفي بعض الحواشي اختلفت الروايات فيه
فعن صاحب المجتبى من الحنفية انه يتكرر الوجوب بتكرر ذكره وقيل لا يتكرر كما لو تكررت ايات
سجدة في مجلس فانه يكفي فيها سجدة واحدة وقيل المراد بما كان في ذلك المجلس اللغط ونحوه مما يحتاج
للكفارة ويؤيده ما ورد في الحديث من صلى علي مرة واحدة محا الله عنه بها ذنوب ثمانين سنة فيعلم
منه ما ذكر بالطريق الاولى وكذا ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه من قال اذا قام من مجلسه
سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك غفر الله له ما كان
في مجلسه ذلك فاذا انضم اليه ذلك الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم حاز فضلا
عظيما وكفر عنه ما صدر منه ومن اهل مجلسه واعلم انه قال في الخزانة انه صلى الله عليه وسلم
لا يجب عليه ان يصلي على نفسه انتهى قيل فاذا كان لا يجب عليه ذلك فهل كانت صلاته صلى الله
عليه وسلم على نفسه في صلاته بطريق الاستحباب او لم يكن يصلي على نفسه فيها قيل لم يصرح
احد انتهى وفي فتاوى السبكي الحلبيات الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم واجبة بالاجماع
وكونها ركنا من الصلاة مذهب الشافعي والظاهر ان النبي صلى الله عليه وسلم مشارك لامته
في هذا الحكم من كونها واجبة عليه في صلاته ركنا فيها فان نقل اجماع انه لم يكن يجب على الامم المتقدمة
ان يصلوا على انبيايهم فينبغي ان تعد من الخصايص واما غيره من الانبيا فاقل من ان يتوهم مشاركتهم
في الوجوب حتى يقتضي خصوصيته وما نقله الجرجاني من انها لا تجب على غيره استقلالا بالاجماع
ان اريد في غير هذه الامة ان صح ثبتت الخصوصية وان اريد انه لا يجب علينا في ملتنا ان نصلي على
غيره استقلالا فيفهم انه يجب بغير استقلال ولا نعرفه انتهى

فصل في تخصيصه

عليه الصلاة والسلام بتبليغ صلاة من صلى عليه او سلم من الانام كسحاب مطلق وكل ذي روح
او الجن او الانس خاصة ويقال الانام بالمد كساباط وانيم كاسير وبدا بحديث رواه احمد وابو
داود والبيهقي بسند حسن وهو قوله حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي قال حدثنا الحسين ابن محمد
ابو علي الغساني وقد تقدما قال حدثنا ابو عمر الحافظ بن عبد المؤمن هو ابن عبد البر كما تقدم
قال حدثنا ابن داسة تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو داود امام الحديث وصاحب السنن كما
تقدم قال حدثنا ابن عوف محمد بن عوف الطاي الحمصي شيخ ابي داود والنساي توفي سنة اثنين
وسبعين وماتين قال حدثنا المقري ابو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد البصري المقري مولى عمر
رضي الله عنه وهو ثقة اخرج له الستة وتوفي سنة ثلاث عشرة وماتين كما تقدم قال حدثنا
حيوة بن شريح كما تقدم قريبا عن ابي صخر حميد بن زياد الخراط قال احمد لا باس به وله ترجمة
في الميزان عن يزيد بن عبد الله بن قسيط بالتصغير الليثي التابعي الثقة توفي سنة اثنتين

وعشرين ومائة واخرج له الستة وترجمته في الميزان عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام اي اجيبه وكلام
المص في تبليغ الصلاة له وهذا في تبليغ السلام ولذا قيل انه مخصوص بوقت الزيارة وان نوزع
فيه كما ياتي فاما ان يكون ذكره لمناسبته الصلاة او فهم منه ان المراد بالسلام قولهم الصلاة
والسلام عليك يا رسول الله وفيه دليل على انه صلى الله عليه وسلم حي حياة مستمرة لان
الكون لا يخلو من مسلم عليه في كل لحظة وقد ثبت بالاحاديث الصحيحة انه صلى الله عليه وسلم
وساير الانبيا عليهم الصلاة والسلام احياء حياة حقيقية كالشهدا وان كان حال البرزخ لا يقاس
على حال الدنيا وقد قال ابن العماد رحمه الله ان رد الروح يقتضي الموت وهو خلاف المقصود وقد
اجيب عنه باجوبة منها ما قاله صاحب القاموس في كتاب الصلاة والبشر ان البيهقي قال معناه
ان الله رد روحه الشريفة لاجل رد سلام من يسلم عليه ثم استمرت في جسده وقال عبد الكافي
السبكي شيخه انه يحتمل انه رد معنوي بان تكون روحه مشتغلة بشهود الحضرة الالهية والملا الاعلى
عن عالم الدنيا فاذا سلم عليه اقبلت روحه لهذا العالم لرد السلام وقال السخاوي في كتاب
القول البديع رد روحه الشريفة يلزمه تعدد حياته ووفاته في اقل من ساعة اذ الكون لا يخلو
من مسلم عليه بل قد تعدد في ان واحد كثيرا واجاب الفاكهاني وبعضهم بان الروح هنا بمعنى
النطق مجازا فكانه قال رد الله علي نطقي والنطق من لوازم وجود الروح بالفعل او بالقوة
فعبر باحد المتلازمين عن الاخر ويؤيده ان الحياة مرتين لا غير لقوله تعالى امتنا اثنتين واحييتنا
اثنتين وقيل انه على ظاهره بلا مشقة وقيل المراد بالروح ملك وكل بابلاغه السلام وفيه نظر
انتهى وفي رواية كما قال له السبكي ما من احد يسلم علي عند قبري فان ثبتت فهو مخصوص ولا يرد
بالراي قال في الدرر زيادة عند قبري بعد علي قال السخاوي لم اقف عليها فيما رايته من طرق الحديث
اقول هذا جملة ما في الحديث من القيل والقال وللنظر فيه مجال اما اولا فاستعارة رد الروح للنطق
بعيدة وغير معروفة ولا مالوفة وليس لها رونق يليق بالفصاحة النبوية ولو سلم لكان ركيكا
لان قوله حتى ارد عليه السلام يا باه ولو قيل انه مجاز عن المسرة كان اقرب فانه يقال لمن سر عادت له
روحه ولضده راحت روحه ولولا خوف الاطالة اوردت له شواهد وهذا يكون جوابا
سادسا وجواب البيهقي خلاف الظاهر كما لا يخفى وكون المراد بالروح الملك يا باه الاضافة
لضميره الا ان يقال انه ملك كان ملازما له صلى الله عليه وسلم فاختصر به على انه اقرب
الاجوبة وقد ورد في بعض الاحاديث وقال ابو داود بلغني ان ملكا موكلا بكل من صلى عليه
صلى الله عليه وسلم حتى يبلغه سلامه ويأتي الكلام عليه وقد ورد ايضا اطلاق الروح
على الملك في القران واذا خص هذا بالزوار هان امره وجملة رد الله علي روحي حالية ولا يلزمها
قد اذا وقعت بعد الا كما ذكره السهيلي وهو استثنا من اعم الاحوال وبالجملة فهذا الحديث
لا يخلو من الاشكال واقرب الذي يظهر في تفسير الحديث من غير تكلف ان الانبياء والشهدا
احيا وحياة الانبيا اقوى ولذا لم تتسلط عليهم الارض فهم كالنايمين والنايم

لا يسمع ولا ينطق بنيه كما قال تعالى والتي لم تمت في منامها اي يرسلها فالمراد بالرد الارسال الذي في الاية
وحينئذ فمعناه انه اذا سمع السلام والصلاة بواسطة او بدونها تيقظ ورد لا ان روحه
تقبض قبض الممات ثم تنفخ وتعاد كموت الدنيا وحياتها لان روحه صلى الله عليه وسلم مجردة نورانية
وهذا من ذاره ومنوه في الدر وما قيل ان رده صلى الله عليه وسلم مختص بسلام زايره مردود
لعموم الحديث فدعوى التخصيص تحتاج لدليل ويرده ايضا الخبر الصحيح ما من احد يمر بقبر اخيه
المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام فلو اختص رده صلى الله عليه
وسلم بزايره لم يكن له خصوصية به لما علمت ان غيره يشاركه في ذلك قاله ابو اليمن بن عساكر
واذا جاز رده صلى الله عليه وسلم عن من يسلم عليه من الزايرين لقبره جاز رده على من يسلم
عليه من جميع الافاق من امته على بعد مسافته وذكر ابو بكر بن ابي شيبة هو عبد الله بن محمد العبسي
الكوفي الحافظ الثقة صاحب التصانيف الجليلة اخرج له الايمة الستة وتوفي سنة خمس وثلاثين
ومايتين وترجمته مفصلة في الميزان عن ابي هريرة رضي الله عنه كما رواه البيهقي وابو الشيخ قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا اي بعيدا عني والنائي
بالهمز البعيد بلغته بالبنا للمفعول اي بلغتني الملايكة سلامه وصلاته كما ورد مصرحا به
في الحديث وفي بعضها انه ملك معين وقوله عن ابي مسعود عقبة بن عمرو الانصاري وفي نسخة
ابن مسعود وهو غلط ان لله ملايكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام وفي اخرى
ان لله ملايكة يسيحون في الارض يبلغوني صلاة من صلى علي من امتي وهذا يقتضي انهم جماعة كثيرة
لا واحد معين والسياحين جمع سياح صيغة مبالغة من السياحة وهي الطواف في الارض
والدوران فيها والذهاب الى البلاد البعيدة وكانت النصارى تفعله تعبدا فنهى عنه
صلى الله عليه وسلم بقوله لا سياحة في الاسلام لما فيه من ترك الجمعة وهو مستعار من ساح
الماء اذا جرى على وجه الارض اما الملايكة اذا امروا بذلك لهذه الحكمة فهي عبادة لهم لانهم
لا يفعلون الا ما يؤمرون وقوله يبلغوني الخ صفة لملايكة او جملة مستانفة استينافا بيانيا
وليس هذا الحديث موقوفا بل هو مرفوع رواه احمد والنساي والبيهقي والدارمي وابن حبان
وابو نعيم والخلعي بسند صحيح ونحوه عن ابي هريرة رضي الله عنه اي بمعناه ما رواه في الترغيب
عن ابي هريرة وفي الحلية لابي نعيم اللفظ والذي في الترغيب عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
ان الله عز وجل سيارة من الملايكة اذا مروا بحلق الذكر قال بعضهم لبعض اقعدوا فاذا دعا القوم
امنوا على دعايهم فاذا صلوا على صلوا معهم حتى يفرغوا ثم يقول بعضهم لبعض طوبى لهولاء
فانهم مغفور لهم وفي الحلية انه يبلغ صلاتهم ويكفوا امر دنياهم واخراهم وعن ابن عمر رضي الله
عنهما ولم يخرجوا هذا الحديث اكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة المراد به الصلاة عليه في يوم
الجمعة وليلتها ويحتمل ان يريد السلام وحده فانه اي ما ذكر من الصلاة والسلام يؤتى به
منكم في كل جمعة لانه يوم تعرض فيه الاعمال وللصلاة فيه فضل على غيره وذكر في الدر المنضود
ان في رواية ليس احد يصلي علي يوم الجمعة الا عرضت علي صلاته صححها الحاكم والبيهقي وفي سندها

راو ثقة البخاري وضعفه غيره وفي رواية اخرى فان احدا لا يصلي علي في ذلك اليوم وليلته
الا عرضت على صلاته حين يفرغ منها قال السخاوي رحمه الله تعالى هذا الحديث لم اقف عليه
وفي الدر المنثور وفي رواية رجالها ثقات الا انها منقطعة اكثروا من الصلاة علي
يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة وان احدا لن يصلي علي الا عرضت صلاته حين
يفرغ منها قال راويه ابو الدردا وبعد الموت قال وبعد الموت وروى البيهقي عن انس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اقربكم مني يوم القيامة اكثركم علي صلاة في الدنيا
ومن صلى علي يوم الجمعة وليلة الجمعة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الاخرة
وثلاثين من حوائج الدنيا وورد في الاحاديث الحث عليها في يوم الجمعة وانه يوم مشهود
والانبيا احيا في قبورهم كما تقرر فان قلت ورد تبليغ الصلاة عليه له صلى الله عليه وسلم
مطلقا في احاديث تاتي وفي بعضها مقيدا بيوم الجمعة كما مر وياتي فما وجهه قلت يجوز ان يكون
عرضها وتبليغها كل يوم من بعض الملائكة وما في يوم الجمعة من اخرين او ذلك عرضها افرادى
وهذا جملة على وجه خاص او لتكتب في صحف عنده كما وقع في بعض الروايات وعن الحسن بن
علي بن ابي طالب في حديث رواه ابن ابي شيبة والطبراني وابو يعلى بسند صحيح عنه صلى الله عليه
حيثما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني اي تبلغها له الملائكة كما تقدم وحيث اذا اتصلت بما
فهي شرطية وهي ظرف مكان وتاتي للزمان كما في قوله حيثما تستقم يقدر لك الله نجاحا في غابر الازمان
وعن ابن عباس في حديث موقوف رواه البيهقي وابن راهويه ليس احد من امة محمد صلى الله عليه
وسلم يسلم او يصلي عليه الا تبلغه بضم البا وكسر اللام المشددة مبني للمجهول اي تبلغه
الملائكة صلاته وسلامه وهذا يحتمل تعيين المصلي وعدمه فلذا اردفه بقوله وذكر بعضهم
ان العبد اذا صلى او سلم على النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه صلى الله عليه وسلم
صلاته وسلامه واسمه واسم ابيه وعشيرته فيثبت عنده في صحيفة كما ورد في حديث مرفوع
وقيل المراد ببعضهم النميري عن حماد ويأتي قريبا ما يؤيد صحة ما قاله وعن الحسن بن علي اذا دخلت
بتا الخطاب لغير معين المسجد تعريفه للجنس فان كل من دخل مسجدا اي مسجد كان يستحب له ان يصلي
على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذكره الخيضري في كتابه اللوا المعلم وقيل تعريفه للعهد
والمراد به مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر الموافق للرواية الاولى والذي حمله
على هذا قوله فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا تتخذوا بيتي عيدا فان بيته عند مسجده ولذا قيل المراد ببيته قبره فانه دفن في بيته ويأتي في رواية
اخرى ولا تجعلوا قبري عيدا مع الكلام عليها والعيد الموسم الذي يجتمع فيه وياؤه منقلبة عن الواو
لانه سمي به لعوده في كل عام وانما جمع على اعياد وقياسه الجمع على اعواد للفرق بينه وبين جمع عود ونهيه
صلى الله عليه وسلم عما كان يفعله اليهود والنصارى عند قبور انبيائهم من الزينة واللهو والطرب
وقيل النهي عن تعظيمها لما فيه من الفتنة بها حتى لا تتخذوه وثنا يعبد وقيل المراد لا تتخذوها كالعيد
تزورونها في العام مرة بل اكثروا من زيارتها ولا تتخذوا بيوتكم قبورا اي لا تتركوا الصلاة والعبادة

فيها

فيها فتكونوا فيها كانكم اموات ولذا قيل فيا نايم الليل هنيته فقبل الممات سكنت القبورا
وقيل المراد لا تدفنوا في البيوت بل في الجبانة ولا يرد عليه انه صلى الله عليه وسلم دفن
ببيته لانه اتبع فيه سنة الانبيا قبله كما ورد ما قبض نبي الا دفن حيث قبض وصلوا
علي حيث كنتم اي في اي مكان فلا يحتاج للاتيان لمسجده ولا لقبره الشريف حتى يسلم عليه
وهذا دليل على ان المسجد في اول الحديث ليس المراد به مسجده صلى الله عليه وسلم
فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم اعاد حيث كنتم لئلا يتوهم ان الصلاة انما تبلغه ممن كان
عنده في مسجده الشريف او عند قبره الشريف وليس تاكيدا لما قبله لافادته تعميما
اخر لا يعلم مما قبله وهذا الحديث اخرجه الطبراني وابو يعلى وفي حديث اوس بن اوس
بن اوس الصحابي الثقفي اكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة خصها لما فيها من الفضل وهو يوم
تشهده الملائكة وتعرض عليه فيه صلاة من صلى عليه صلى الله عليه وسلم وللصلاة
عليه فيه فضل على غيرها ولما فيه من الصلة ولانه يوم مزار فيه وهذا الحديث رواه ابو
داود والنساي واحمد في مسنده والبيهقي وغيرهم وصححوه وقيل انما خص يوم الجمعة
لانه كما ورد في الحديث افضل ايام الجمعة وفيه خلق ادم عليه الصلاة والسلام
وقبضت روحه وفيه النفخة والصعقة قيل وحد اقل الكثرة من الصلاة ثلثماية وبضع
عشرة كما في قوت القلوب قال السخاوي ولم اقف له على مستند فلعله تلقاه عن احد من الصالحين
عرفه بتجارب او غيره او راه اقل ما يحصل به الكثرة فان صلاتكم معروضة علي تقدم بيانه
قريبا وعن سليمان بن سحيم بالتصغير وسين وحا مهملتين وهو مولى ال العباس وقيل ال
الحسين وهو من علما الحجاز المشهورين وحيث اطلق في النقل فهو المراد ولهم سليمان بن
سحيم اخر لكنه لم يشتهر النقل عنه وهو ثقة توفي في خلافة المنصور وهذا رواه عنه ابن
ابي الدنيا والبيهقي في حياة الانبيا رايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ومن راه في المنام
فقد راه حقا فان الشيطان لا يتمثل في صورته فقلت يا رسول الله هولا الذين ياتونك فيسلمون
عليك اذا زاروا مقامك بعد الانتقال اتفقه سلامهم اي تسمعه وتفهمه قال نعم وارد عليهم
وفقه يفقه ورد من باب نصر وفرح ومعناه فهم وعن ابراهيم بن شيبان تقدمت الى القبر الشريف
فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته من داخل القبر يقول وعليك السلام ووقع
للسيد نور الدين بن العفيف الايجي انه سمع جواب سلامه من داخل القبر الشريف عليك السلام
يا ولدي وفي مسند الدارمي ان الاذان والاقامة تركا ايام الحرة وان ابن المسيب لم يبرح
مقيما في المسجد فكان لا يعرف وقت الصلاة الا بهمهمة يسمعها من قبره صلى الله عليه
وسلم وقوله وارد عطف على قول السايل اتفقه ويسمى هذا عطف التلقين وقد فصل
في شروح الكشاف في قوله تعالى قال ومن كفر فامتعه قليلا ويجوز في الجمل والمفردات كما تقدم
ونعم وقع في الجواب عما سيل عنه وهو ظاهر تنبيه اذا راى احد النبي صلى الله عليه وسلم
في منامه وامره بامر هل يلزمه العمل بما قاله فيه تفصيل فان وافق الشرع فله نفسه العمل به

ولا يلزمه امر غيره به وما عداه لا يلزمه العمل به لان الرويا لا يضبطها النايم ويحتمل التاويل
وهذا هو الصحيح وفيه كلام ليس هنا محله وعن ابن شهاب هو الزهري كما تقدم وهذا رواه
عنه النميري بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال وفي نسخة بلغنا ان
رسول الله قال اكثروا من الصلاة علي في الليلة الزهرا واليوم الازهر يعني ليلة الجمعة ويومها
ومعنى الازهر الابيض المستنير ولذا كان الازهر لا يطلق في وضع اللغة على غير اللون الابيض
وان شاع بعد ذلك في مطلقه ونورهما لبركتهما وما في ذلك اليوم من العبادة التي تخص بها
وما فيه من ساعة الاجابة وغير ذلك مما ذكر في فضايله وهو عند المومنين وينزل فيه الملايكة
كثيرا فانهما اي يوم الجمعة وليلتها يؤديان عنكم بضم المثناة التحتية وفتح الهمزة والدال المهملة
المشددة اي يوصلان صلاتكم علي الي ويبلغانها الي والاسناد الى الزمان اسناد مجازي
اي تؤدي الملايكة فيهما ذلك وكونهما يخلق لهما نطق بذلك الاداخلاف الظاهر وان جاز الا ان النصح
بعده بجمل الملك لذلك باباه وبما تقرر في هذه الاحاديث علم انه صلى الله عليه وسلم تبلغه
الصلاة والسلام عليه اذا صدرا من بُعدٍ ويسمعهما اذا كانا عند قبره الشريف بلا واسطة
سوا ليلة الجمعة وغيرها وافتى النووي فيمن حلف بالطلاق الثلاث ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يسمع الصلاة عليه هل يحنث بانه لا يحكم عليه بالحنث للشك في ذلك
والورع ان يلتزم الحنث وان الارض لا تاكل اجساد الانبياء لانهم عليهم الصلاة والسلام
احيا في قبورهم لا تبلى اجسادهم وهذا جواب عن سؤال مقدر كانه قيل كيف يكون ذلك لمن مات
واكلته الارض كما ورد مصرحا به في حديث اخر وان بكسر الهمزة والجملة حالية او بفتحها بتقدير
وبلغنا ان الارض الخ وقيل انه بيان لخاصية اخرى والاول اولى ولا ينافي ما تقرر من حياتهم
ما في صحيح ابن حبان في قصة عجوز بني اسرايل انها دلت موسى عليه الصلاة والسلام على الصندوق
الذي فيه عظام يوسف فاستخرجه وحمله معهم عند قصدهم الذهاب من مصر الى الارض
المقدسة اما لانها ارادت بالعظام كل البدن او لان الجسد لما لم تشاهد فيه روح عبر عنه
بالعظم الذي من شانه عدم البلا او ان ذلك باعتبار ظنها ان ابدان الانبيا كابدان غيرهم في البلا
وما من مسلم من زيدت للتعميم اي كل مسلم يصلي علي وهو بعيد الا حملها اي صلاته وسلامه ملك
حتى يؤديها اي يوصلها الي ويسميه حتى انه بكسر الهمزة يقول ان فلانا يقول لك كذا وكذا فيذكره فافاد
بعينه بعد تعيينه باسمه واسم ابيه ومكانه وشهرته واخرج جمع انه صلى الله عليه وسلم
قال ان الله ملكا اعطاه اسماع الخلايق فهو قايم على قبري اذا مت فليس احد يصلي علي صلاة
الا قال يا محمد صلى عليك فلان فيصلي الرب تعالى على ذلك الرجل بكل واحدة عشرا وفي رواية
فهو قايم على قبري حتى تقوم الساعة ليس احد من امتي يصلي علي صلاة الا قال يا احمد فلان
بن فلان باسمه واسم ابيه يصلي عليك كذا وكذا وضمن لي الرب ان من صلى علي صلاة صلى الله
عليه وسلم عشرا وان زاد زاده الله وتقدم انه كان من عادة السلف ايضا ان يرسلوا
السلام له صلى الله عليه وسلم مع الزوار ايضا كل عام كما قيل الا ايها الغادي الى يثرب

مهلا

233

مهلا لتحمل شوقا ما اطيق له حملا   تحمل رعاك الله مني تحية   وبلغ سلامي روح من طيبة
حلا. فصل في الاختلاف الواقع بين العلما في الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم
اي في جواز الصلاة على غيره من المؤمنين غير الانبيا كالصحابة ونحوهم وساير الانبياء اي
بقيتهم غيره كابراهيم وموسى ونحوهما فسا بمعنى باقي كما تقدم والخلاف في جواز الصلاة على
من ذكر استقلالا لا بطريق التبعية له صلى الله عليه وسلم كالصلاة على اله وازواجه
قال القاضي ابو الفضل عياض المولف رحمه الله تعالى عامة اهل العلم اي جميعهم متفقون
على جواز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم من الانبياء والملايكة والمؤمنين ودعواه
الاتفاق مطلقا ليست بمسلمة وقد قال النووي في الاذكار اجمعوا على طلب الصلاة على نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم وكذلك اجمع من يعتد به على استحبابها على ساير الانبيا والملايكة
استقلالا واما على غيرهم ابتدا فالجمهور على انه لا يصلى عليهم واختلف في هذا المنع فقال بعض
اصحابنا انه حرام والاكثر على انه مكروه كراهة تنزيه وذهب كثير الى انه خلاف الاولى وليس
مكروها والصحيح الذي عليه الاكثرون كراهته تنزيها لانه شعار اهل البدع انتهى ملخصا فدعوى
الاتفاق مخالفة للمنقول وقال الجويني ان السلام مثل الصلاة فلا يقال علي عليه السلام اللهم
الا ان يقال المراد بغير النبي بقيته الا انه تخصيص من غير دليل وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه
لا تجوز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم رواه البيهقي في الشعب وسعيد بن منصور
في سننه والطبراني وابن ابي شيبة وعبد الرزاق ومراده بغيره بقية امته لقوله فيه ولكن يدعى
للمسلمين والمسلمات بالاستغفار ولقوله وروي عنه اي عن ابن عباس رواه القاضي اسماعيل
في احكام القران لا تنبغي الصلاة من احد على احد الا للنبيين وهذا مفسر لما قبله وقال سفيان
الثوري يكره ان يصلى الا على نبي وهو موافق لكلام ابن عباس ولما في الكراهة من معنى النفي عمم وصحح
وقوع الاستثنا المفرغ بعده وهذه احدى الروايتين عن سفيان رواها عنه عبد
الرزاق والبيهقي والاخرى تفرد بها البيهقي يكره ان يصلى على غير النبي صلى الله عليه وسلم
ووجدت بخط يد بعض شيوخي مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلى على احد من الانبياء سوى محمد
صلى الله عليه وسلم فعلى هذا لا يصلى على غيره من الانبيا استقلالا وهذه احدى الروايتين
عن الثوري كما تقدم وهذا غير معروف من مذهبه اي مذهب مالك وايد كونه غير معروف
من مذهبه بقوله وقد قال الامام مالك في المبسوطة اسم كتاب كالمدونة ليحيى ابن اسحق الذي
روى المبسوطة عن مالك وهو يحيى بن اسحاق بن عبد الله بن اسحق بن المهلب ابن جحش ويكنى
ابا بكر وله بيت شريف بقرطبة اكره الصلاة على غير الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به
فلا نتجاوزه لغيره لانه امر تعبدي لا يعقل معناه بالراي ونقتصر فيه على ما روي عنهم وقال
يحيى بن يحيى الليثي عالم الاندلس وراوي الموطا عن مالك رحمه الله لست اخذ بقوله اي لا
اتمسك بقول مالك ما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
فقط يعني قوله تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي الاية ومن عزا لمالك عدم الجواز

حمل قوله ما ينبغي على عدم الجواز فعزاه له وهي تستعمل لهذا المعنى ووردت لغيره ايضا ولا باس
بالصلاة على الانبياء كلهم وعلى غيرهم من الملايكة والمؤمنين واحتج يحيى بن يحيى لما قاله
بحديث ابن عمر رضي الله عنهما الاتي انه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر
تبعا وبما جا في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة الصلاة عليه كما مر وفيه
اي في حديث تعليمه ايضا وعلى ازواجه وعلى اله فهذا ونحوه يدل على ان الصلاة على غير الانبياء
جائزة الا ان هذا بطريق التبعية والخلاف في الصلاة على غيرهم استقلالا كما مر وحينئذ فما
ذكر لا ينافي ما قاله مالك ولا تتجه ما قاله يحيى بن يحيى رحمه الله وفي بعض النسخ زيادة وهي
وقد وجدت معلقا اي مكتوبا في بعض الكتب وقيل التعليق هنا ما اصطلح عليه المحدثون
من ذكر حديث طوى سنده او بعضه وقوله وجدت من الوجادة وهي في اصطلاح المحدثين ان يجد
حديثا بخط من يعرفه سوا عاصره ام لا فيرويه عن ابي عمران الفاسي هو موسى بن عيسى الغفجومي
بفتح الغين المعجمة وسكون المثلثة وجيم و واو وميم نسبة لقبيلة من البربر والفاسي نسبة
لفاس بلدة بالمغرب وقوله في القاموس انه بهمزة لا اصل له وابو عمران فقيه المغرب توفي سنة
ثلاثين واربعماية في ثالث شهر رمضان روي عن ابن عباس رضي الله عنهما كراهة الصلاة على غير
النبي صلى الله عليه وسلم نبيا او غيره قال ابو عمران وبه نقول اي نعتقده ونعمل به ولم تكن
الصلاة على غير نبينا استقلالا تستعمل فيما مضى من عصر الصحابة فمن بعدهم وهو غير مسلم كما
تقدم وقد روى عبد الرزاق وهو امام الحديث ابو بكر ابن همام بن نافع الحميري وله تصانيف
جليلة وروى عنه احمد وغيره وتوفي سنة احدى عشرة ومايتين عن ابي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على انبياء الله ورسله فان الله بعثهم
كما بعثني تعليلا للصلاة عليهم بانهم ساووه صلى الله عليه وسلم في اصل البعثة فينبغي
ان يصلى عليهم كما يصلى عليه وهذا الحديث رواه الطبراني والقاضي اسماعيل والتيمي والترغيب
وغيرهم بسند صحيح قالوا والاسانيد عن ابن عباس رضي الله عنهما الواردة في منع الصلاة
على غيره صلى الله عليه وسلم لينة اي ليست بقوية فلا تعارض ما روي عنه وعن غيره من طرق
متعددة باسانيد صحيحة قوية وهذا اصطلاح المحدثين يقال فلان لين الحديث وسند لين
اذا كان لا يصلح للاحتجاج به واللين غير الضعيف لكنه يقرب منه وقيل ان رجاله رجال
الصحيح فليس بلين فهنا مثله لم يرده بوجه اخر مقبول فقال والصلاة معناها التي وضعت له
في لسان العرب اي في لغتهم واللسان اسم للجارحة التي هي الة النطق تجوز بها عما ذكر كما قال تعالى
وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه بمعنى الترحم والدعا بالرحمة وذلك اي الدعا بالرحمة
على الاطلاق اي يجوز مطلقا على نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى غيره وليس قوله وذلك
اشارة الى قول يحيى لا باس بها على الانبيا وغيرهم كما قيل حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع لان
الاصل ان كل لفظ وضع لمعنى يجوز اطلاقه على ما وجد فيه ذلك المعنى الا ان هذا غير مسلم
فانه لم يوضع لمطلق الدعا بالرحمة بل هو مقيد بنوع من التعظيم يليق بمقام النبوة ثم انه اورد

دليلا

234

دليلا اقوى من هذا فقال وقد قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملئكته وفي هذه الاية
دليل على انه تجوز الصلاة على كل مومن فضلا عن الانبيا عليهم الصلاة والسلام
لان سبب نزولها كما قرر انه لما نزل عليه صلى الله عليه وسلم ان الله وملايكته يصلون
على النبي قالت الصحابة هذا لك يا رسول الله خاصة وليس لنا فيه شيء فانزل الله هذه
الاية وتقدم ان صلاة الله رحمته وصلاة الملائكة الدعا والاستغفار لساير المؤمنين
وقال تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم الاية
فامره بالدعا لهم بلفظ الصلاة لمن ادى الصدقة فكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم
صل على ال ابي اوفى كما ياتي وفي دعايه بذلك على جوازه مطلقا وتطهيرهم بمغفرة ذنوبهم
وسكنهم باطمينان قلوبهم وقال تعالى اولئك الاشارة لمن صبر من المومنين عند المصيبة
عليهم صلوات من ربهم ورحمة وعطف الرحمة عطف تفسير وان قلنا انها اعم لانه يجوز
التفسير بالاعم المقصود منه فلا يرد عليه ان العطف يقتضي المغايرة لان الصلاة رحمة
مشتملة على تعظيم وتكريم وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان اللهم
صل على ال ابي اوفى بفتح الهمزة والفاء بينهما واو ساكنة وهذا الحديث روي عن عبد الله بن
ابي اوفى وتتمته كان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على ال فلان فاتاه ابي بصدقته
فقال اللهم صل على ال ابي اوفى والصدقة هنا المراد بها الزكاة وان كانت عامة ومعنى
صل عليهم ارحمهم وطهرهم وزك اموالهم التي بذلوا زكاتها واله اهله واتباعه وقيل
المراد نفسه وذاته كما في قوله لقد اوتي مزمارا من مزامير ال داود اي من مزامير داوود
عليه الصلاة والسلام نظير ما ذكره المص في تفسيره اله صلى الله عليه وسلم
كما ياتي وابو اوفى هو علقمة بن خالد بن الحارث الاسلمي الصحابي وهو اخر من مات من الصحابة
بالكوفة سنة سبع وثمانين وابنه صحابي ايضا شهد مع ابيه بيعة الرضوان وهذا
الحديث من اقوى ما استدل به على جواز الصلاة على غير الانبيا استقلالا وفي حديث
الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في التشهد وقد تقدم بيان سنده وطرقه
مفصلا اللهم صل على محمد وعلى ازواجه وذريته وهم نسله واولاده كما تقدم وفي حديث
اخر روي في صلاة التشهد وعلى ال محمد وفسر الال بقوله قيل اله اتباعه جمع تابع او تبيع
وهو من يقفو اثره ويلحقه وخص عرفا بمن يخصه من الاهل والخدم وقيل اله امته والمراد
امة الاجابة وهم كل من امن به وامة الدعوة اعم منهم وقيل هم الاتباع والرهط والعشيرة
الرهط القبيلة مطلقا وهو في الاصل ما دون العشرة ثم عم والعشيرة بنو ابيه الادنون
وقبيلته وقيل ال الرجل ولده اي نسله مطلقا وقيل قومه وقيل اهله الذين حرمت عليهم
الصدقة لانها اوساخ الناس فلا تليق بهم وقد طهرهم الله وهم بنو هاشم والمطلب الذين
لهم نصيبهم من خمس الخمس يكفيهم وفي رواية انس سيل النبي صلى الله عليه وسلم من ال محمد فقال كل
تقي وهذا حديث صحيح روي من طرق رواه الطبراني والديلمي وشيبان وغيرهم وهذا معنى

مجازي كقوله صلى الله عليه وسلم سلمان منا آل البيت لان الله طهر اهل البيت ووعدهم
بمغفرة ذنوبهم فاطلق على كل تقي اكرمه الله وغفر سيأته وهذا معروف في لسانهم كما قيل
رُبَّ أخٍ لي لم تلده امي ويجى على مذهب الحسن البصري رحمه الله والضمير المستتر في يجي للال
ان المراد بال محمد الوارد في الصلاة عليه محمد نفسه اي فعنده ان الال معناه الذات والنفس
فيقال ال فلان بمعنى ذاته وغيره من النحاة واللغويين يجعله في مثله زايدا مقحما والزيادة في الاسماء خلاف
ما عهد من كلامهم وان امكن حمل كلامه عليه الا ان بن حبيب نقل عن محمد بن سلام ان الحسن قال
ذلك فايدة روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ستكون ارض يقال لها البصرة اقوم
الارضين قبلة قاريها اقرأ الناس وعابدها اعبد الناس ومتصدقها اعظم الناس
صدقة وتجارها اعظم الناس تجارة منها قرية يقال لها الابلة على اربعة فراسخ يستشهد عند
مسجدها تسعون الف شهيد من افضل الشهداء قلت وعلماؤها اقواهم في العربية مقدمة على
غيرهم لمدحه صلى الله عليه وسلم لها فانه كان يقول في صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم
في التشهد اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على ال محمد يريد به نفسه لانه كان لا يخل بضم اليا
وكسر الخاء وتشديد اللام ام لا يترك والخلل ياتي بمعنى الترك والنقص بالفرض يعني به الصلاة
على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ويأتي بالنفل يعني به الصلاة على اله صلى الله عليه وسلم
واعترض عليه بما تقدم من الصلاة عليه في التشهد ليست بفرض الا عند الشافعي وعند المص
انه شذ فيه ولم يوافقه غيره فيه كما مر لان الفرض الذي امر الله به في اية صلوا عليه وسلموا تسليما
هو الصلاة على محمد نفسه لا على اله كما ذهب اليه الشافعي فموافقة الحسن له تنافي الشذوذ
الذي ذكره وشنع به عليه والجواب عنه ان مراده بالفرض ما لا بد منه لمن اراد الصلاة فانه
يلزمه ان يذكره ولا يتركه مقتصرا على غيره او يقول انه مذهب الحسن وموافقة واحد لا تنافي
في الشذوذ عنده وهذا اي ذكر الال وارادة الذات منه مثل قوله صلى الله عليه وسلم
في حق ابي موسى الاشعري رضي الله عنه لما سمعه يتلوا القران بصوت حسن كما رواه الشيخان
عنه لقد اوتي اي والله لقد اوتي الله ابا موسى مزمارا من مزامير آل داود يريد صلى الله
عليه وسلم من مزامير داود نبي الله صلى الله عليه وسلم قاله بمعنى نفسه كما في صلاة
الحسن وقد تقدم بيانه والمزامير جمع مزمار بكسر الميم وهو اسم الة ويقال مزمور ايضا والزمر
النفخ في المزمار والصوت الحسن بغير الة لان اصل معنى الزمر الحسن كما قال الشاعر
ثنا ثان تجتان بينهما رجل الحسن غناؤه زمر اي حسن كما قاله ابن الانباري فمزامير
بمعنى ترنماته لا انه كان له الالة المعروفة والمنقول انما له نفسه لا الالة وكان الحسن
صوته اذا قرأ بلا جينه الزبور وادعيته تقف له الطيور والدواب حتى قيل ان الما
الجاري يقف له وهو مبالغة في نهاية حسنه واول هذا الحديث انه صلى الله عليه
وسلم مر هو وعايشة على بيت ابي موسى وهو يقرأ القران ليلة فوقفا يستمعان له
وكان من احسن الناس صوتا فلما اصبح صلى الله عليه وسلم اخبره بانصاته له وقال

له

235

له لقد اوتيت مزمارا من مزامير ال داود فقال لو علمت بذلك لحبرته تحبيرا اي لزدت في تحسين
صوتي به لاستماعك لي وفي حديث ابي حميد بالتصغير الساعدي وهو عبد الرحمن بن عمرو بن
سعد الخزرجي كما تقدم الذي رواه في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في التشهد اللهم
صل على محمد وازواجه وذريته وهو يدل على جواز الصلاة على الانبياء لكن تبعا لهم
وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما انه اي ابن عمر كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى
ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ذكره مالك في الموطا من رواية يحيى بن يحيى الاندلسي عن مالك وانما
قيده بالاندلسي لان الموطا رواه عن مالك اثنان كل منهما يسمى يحيى بن يحيى احدهما يحيى
بن يحيى بن كثير الاندلسي الليثي مات سنة اربع وثلاثين ومايتين والاخر ابو زكريا يحيى
بن يحيى بن بكر بن عبد الرحمن التميمي النيسابوري توفي سنة ست وعشرين ومايتين
وله رواية في الصحيحين كما قاله السيوطي في مناقب مالك وتقدم ضبط الاندلسي
بفتح الهمزة والدال وضمها والصحيح رواية غيره ويدعو لابي بكر وعمر رضي الله عنهما وروى
ابن وهب عن ابن مالك كنا ندعو لاصحابنا بالغيب حال اي في حال غيبتهم عنا وعدم
حضورهم معنا فنقول في دعائنا لهم اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين
يقومون بالليل للتهجد والعبادة ويصومون بالنهار ففي هذا دليل على جواز الصلاة
على غير الانبيا استقلالا وقوله الذين بدل من قوم مفسر له قال القاضي ابو الفضل عياض
المؤلف رحمه الله تعالى والذي ذهب اليه المحققون وامیل اليه اي ارجحه واعتقد صحته
والميل في الاجسام معروف وشاع في المحبة والمص يجوز به عما قلناه ما قاله مالك ابن
انس امام اهل الحديث وسفيان الثوري رحمهما الله تعالى وروي عن ابن عباس واختاره
غير واحد اي كثير من الفقها والمتكلمين اي اهل علم الكلام لان منهم من ذكرها في السمعيات
كمسايل الامامة انه بفتح الهمزة بدل من ما لا يصلى على غير الانبيا بانفراده ولا عند ذكرهم
اي ذكر الانبيا والصلاة عليهم فلا يصلى على غيرهم تبعا والصحيح جوازه تبعا وعود ضمير
ذكر لغير الانبيا يأباه قوله بل هو اي المذكور وهو الصلاة او ذكر رعاية للخير شي يختص به
الانبيا عليهم الصلاة والسلام لا يشاركهم فيه غيرهم مطلقا وقيل لا يشاركهم في الانفراد
وفيه نظر توقيرا لهم وتعزيرا اي تعظيما وتبجيلا بجعله شعارا لهم كما يخص الله عند ذكره بالتنزيه
اراد به قوله سبحانه فان معناه انزهه والانبيا عليهم الصلاة والسلام منزهون
عن النقايص ولكن لا يجوز ان يقال في حقهم ذلك والتقديس باطلاق قدس وقدوس
ونحوه وهو بمعنى التطهير والتعظيم المخصوص به عز جل جلاله وعز وجل فتعريفه للعهد
وليس المراد به هذه المادة لعدم صحته ولا يشاركه فيه غيره اي لا يشارك الله فيما ذكر
من التنزيه وما بعده غيره من نبي وغيره كذلك يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم
وساير الانبيا بالصلاة والتسليم اي بهما معا ولا يشارك مبني للفاعل والمفعول هنا
فيه اي في ذكر الصلاة والتسليم سواهم من غير الانبيا وفي نسخة ولا يشاركهم كما امر الله

بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما وقوله المذكور بيان لما ذكر لا دليل لما ذكره لانه ليس فيه جواز
الصلاة على غيره ولا منعها عن من عداهم لان التخصيص بالذكر لا يفيده ثم بين كيفية
الدعا لغيرهم فقال ويذكر من سواهم اى من سوى الانبيا والرسل في الدعا لهم من الايمة اى ايمة
الدين والخلفا وغيرهم من سايرا العلما والمؤمنين بالغفران والرضا فيقال غفر الله لهم ورضى
عنهم كما قال تعالى ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وقال تعالى والسابقون
الابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين تبعوهم باحسان رضى الله عنهم فيدعى بذلك
المذكور من المغفرة والرحمة والترضى لساير المومنين والصحابة وقيل في الاستدلال بما ذكر
نظر فان قوله رضى الله عنهم ليس دعا لهم بل اخبار بان الله رضى عنهم واعد لهم جنات النعيم
ولا يلزم منه جواز الدعا به كما ان اخبار الله بالصلاة على المؤمنين بمعنى رحمتهم لا يدل على
جواز الصلاة عليهم وهو مردود بان من رضى الله عنه يدعى له بزيادة رضوانه
ولا مانع منه وقياسه على الصلاة قياس مع الفارق واما ما قيل من انه لا يدعى للصحابة
الا برضى الله عنهم فهو احسن للادب وليس بلازم فلو قال للصحابى رحمه الله او غفر له كان
حسنا الا اذا اوهم وقوع ذنب ونحوه ومن لا يعلم صحة نبوته كريم ولقمان والخضر لا يصلى
عليهم وقال النووى لا باس به والارجح ان يقال رضى الله عنهم وقول امام الحرمين في الارشاد
مريم ليست نبية بالاجماع مردود بذهاب بعضهم لنبوتها ورجحه ابن السيد وايضا فهو اى
الصلاة عليهم امر لم يكن معروفا في الصدر الاول اى عصر الصحابة ومن قرب منهم والفا في
فهو جواب شرط مقدر اى فان اردت دليلا واضح مما ذكر فهو الخ وفيه بحث سياتى في اخر هذا
الفصل كما قال ابو عمران موسى ابن عيسى الفاسى فقيه القيروان كما تقدم قريبا وانما احدثه
الرافضه والمتشيعه في بعض الايمة المراد على واولاده وفي نسخة في بعض ايمتهم وهما
طايفتان من اهل البدع والاهوا المخالفين لاهل السنة والرافضة قيل انهم فرقة
من الشيعه وكلاهما ممن اتفق على تفضيل على كرم الله وجهه وان الخلافة حقه وسموا
رافضة من الرفض وهو الترك لانهم رفضوا زيد بن على بن الحسين لما طلبوا منه ان يتبرا
من الشيخين وان يقول انما تمما باطلة فابى وقال ان الخلافة فرضت لابى بكر لمصلحة
راوها من تسكين نايرة الفتنة وتطييب قلوب العامة فتركوه حتى قتل وصلب وليست
الشيعه قوما اظهروا بغض على كما توهم واصل معنى الشيعه الجماعة مطلقا ثم خص بهولا والذى
احدثه هولا انما هو الصلاة على على وحده فترك ذلك لكونه شعارهم وطردوه في ساير الصحابة
حسما لمادة المخالفة فسقط ما قيل ان الكلام في الصلاة على غير الانبيا مطلقا والشيعه
انما يصلون على على فقط فلا مناسبة لما هو بصدده والرافضة اسم جمع لرافضى
والمتشيعه اسم جمع لمتشيع من تشيع اذا عد نفسه من الشيعة وفي نسخة الشيعة بدل
المتشيعه فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة عليهم بانفرادهم وان لم يكونوا تبعا له
صلى الله عليه وسلم وساووهم بالنبى صلى الله عليه وسلم في ذلك اى في قولهم

في الدعا لكل واحد منهم صلى الله عليه وسلم لاعتقادهم عصمتهم وان الامامة العظمى
لهم كالنبى صلى الله عليه وسلم فصلوا عليهم استقلالا كما صلوا عليه وايضا بما يدل
على عدم الصلاة على غير الانبيا فان التشبيه باهل البدع المراد بهم اصحاب المذاهب الباطلة
منهى عنه شرعا فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك اى الصلاة على غيره صلى الله عليه وسلم
وفيه ان ذلك غير واجب عند من لم يمنعه فتامله ثم اجاب عما ورد عليه بقوله وذكر الصلاة
على الال والازواج مع النبى صلى الله عليه وسلم بحكم التبع والكلام في ذكرهم مستقلا
فلا يرد هذا نقضا عليه والاضافة اليه صلى الله عليه وسلم اى انما ذكر الصلاة
عليهم بعد ذكر الصلاة عليه فتعظيمهم بذلك انما هو لكونهم من اتباعه صلى الله عليه
وسلم فتعظيمهم تعظيم له في الحقيقة لا على التخصيص لهم بذلك قالوا اى جمهور
العلما الذاهبين لمنع الصلاة على غيره بانفراده مجيبين عما استدل به من خالفهم وصلاة
النبى صلى الله عليه وسلم على من صلى عليه بانفراده كقوله اللهم صل على ال ابى اوفى كما تقدم
مجراها مجرى الدعا بضم الميم وفتحها فيهما والجرى المشى السريع والمجرا محل الجرى او الاجراء وجريه
في مجراه جعله مثله ومن نوعه اى المقصود بها الدعا بالرحمة لهم والمواجهة لهم بالدعا لهم
بان يرحمهم تعطفا عليهم وجبرا لقلوبهم فهى كالسلام يقال تحية لكل احد تواجهه والايقال
فلان عليه السلام دون مواجهة لانه في المواجهة يقصد به مجرد معناه الحقيقى وفي ذكره
في الغيبة زيادة توقير لا تليق بكل احد كما قال ليس فيها اى في المواجهة معنى التعظيم والتوقير
الذى في الغيبة فانه من خصايص مقام النبوة وهذا مما دل عليه الاستعمال وعرف التخاطب
ويدرك بالذوق ومن لم يذق لم يعرف وقالوا تاييدا لما ذكر من الفرق بين المواجهة وغيرها
تمسكا بقوله وقد قال الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فالدعاء
وقوله بينكم خصه بالمواجهة فلا تنادوه باسمه كما ينادى بعضكم بعضا فلا يقال
يا محمد بل يا رسول الله ونحوه فاذا كان له صلى الله عليه وسلم شان يخصه فيما يطلق
عليه مواجهة ليس لغيره فكذا الدعا له بغير مواجهة ينبغى ان يكون بغاية التعظيم
والتوقير فسقط ما قيل من انه ليس في هذه الاية مناسبة لمقصوده وما هو
بصدده فكذلك اى مثل ما يجب له في الدعا مواجهة يجب ان يكون الدعا له في غير حال
المواجهة مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض فلذا خص بالصلاة عليه التى يقصد بها
التوقير وغاية التعظيم وهذا اى اختصاصه بالصلاة استقلالا وفي نسخة
وهو اختيار الامام ابى المظفر الاسفراينى من شيوخنا اى من كبار علما اهل السنة بقرينة
مقابلة الرافضة واسفراين بلدة بخراسان معرفة وابو المظفر كنيته واسمه طاهر بن احمد
وهو الملقب بشاه كما تقدم وبه قال الامام ابو عمر بن عبد البر رحمه الله وتقدمت ترجمته
واعلم ان حاصل ما تقدم ان الصلاة والتسليم على نبينا صلى الله عليه وسلم مطلوبة
امرنا بالتعبد بها فهى واجبة له على اختلاف محل الوجوب كما تقدم والصلاة على غيره

من الانبياء ايضا استقلالا مستحبة وما نقل عن الامام مالك من انها منهي عنها مخالف للقول
الصحيح وقال القرطبي انه مجمع عليه والصلاة على غير الانبياء تبعا لنبينا صلى الله عليه
وسلم مستحبة ايضا كما في التشهد فلا عبرة بمن خالف فيه ايضا فلم يبق محل الخلاف الا في الصلاة
على غير الانبيا بانفرادهم فالصحيح انه مكروه وان كراهته كراهة تنزيه لا تحريم لانه اختص
صلى الله عليه وسلم كما اختص عز وجل بالله تعالى فلا يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا
جليلا هذا هو الصحيح فلا يعتد بخلافه وقد قيل ان السلام مثل الصلاة مخصوص
بالانبياء ايضا فلا يقال في غيرهم عليه السلام كما صرح به الفقها فهو مكروه تنزيها
فصل في حكم زيارة قبره عليه الصلاة والسلام اي ذكر ما يتعلق به من سنيته
واداب وما يلزم من اتاه والزيارة مصدر زاره يزوره زيارة ومزارا فالمزار مصدر واسم
مكان ايضا والزيارة تختص بمجي بعض الاحيا لبعض مودة ومحبة هذا اصل معناها لغة
واستعمالها في القبور للاموات لاعطايهم حكم الاحيا وصارت حقيقة عرفية فيه لشيوع عرفها
وفضيلة من زاره بالجر عطفا على الحكم او على ما اضيف اليه والضمير له صلى الله عليه وسلم
او للقبر وفضيلته ما يستحقه من الثنا والثواب وسلم عليه وكيف يسلم من زاره صلى الله
عليه وسلم اي ما يقوله ويفعله عند الزيارة ويدعو له اي وكيف يدعو له صلى الله عليه
وسلم عند زيارته بما يليق بمقامه وزيارة قبره سنة ما ثورة مستحبة مجمع عليها اي
على كونها سنة ولا يعتد بمن خالف فيها كابن تيمية كما سياتي بيانه وفضيلة مرغب فيها بصيغة
المفعول مشددة الغين المعجمة اي رغب السلف فيها وحثوا عليها وزيارة القبور اما
ليتذكر بها الموت ويتعظ وهذا يجري في جميعها او للدعا لاهلها المسلمين كما زار صلى الله
عليه وسلم البقيع وهذا مستحب او ليتبرك بمن فيها من الانبيا والصالحين فينتفع
بزيارتهم فذهب بعض المالكية الى انه مخصوص بالانبياء وانه في غيرهم بدعة واما
في الانبياء فهي مشروعة وتوقف فيه السبكي وقد يقصد بالزيارة برهم واكرامهم كزيارة
قبر الوالدين ومن له عليه حق لاكرامه فان الميت يكرم كالحي وقد يقصد بالزيارة تانيس
الميت ورحمته وهو مستحب ايضا لما روي عنه صلى الله عليه وسلم ان الميت انس ما يكون
اذا زاره من كان يحبه في دار الدنيا وزيارته صلى الله عليه وسلم جامعة لهذه المعاني
كلها فلذا كانت سنة وان كان غنيا عن الدعا وما عدا ذلك بدعة كتقبيل القبور وغيره
مما يفعله العوام وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما رواه عنه ابن خزيمة والبزار والطبراني
والذهبي وحسنه وله طرق وشواهد تعضده والطعن في رواته مردود كما بينه السبكي
واطال فيه وقول البيهقي انه منكر يجاب عنه بان معناه انه تفرد به رواته والفرد قد يطلق
عليه ذلك كما قال له احمد في حديث دعا الاستخارة مع انه في الصحيحين وقول الذهبي طرقه
كلها لينة يقوي بعضها بعضا لا ينافيه لان غايته انه بتسليم ذلك حسن وهو يطلق
عليه الصحة كما بين في محله وفي نسخة هنا حدثنا القاضي ابو علي تقدمت ترجمته

قال

قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون تقدم ايضا قال حدثنا الحسن بن جعفر قال حدثنا ابو الحسن
علي بن عمر الدارقطني المشهور كان علي علم قال حدثنا القاضي المحاملي قال حدثنا محمد بن عبد
الرزاق قال حدثنا موسى بن هلال عن ابن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما
فذكره قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي اي سوال الله له
ان يتجاوز عنه مكافاة له ومعنى وجبت تحققت وثبتت فهي ثابتة له بالوعد الصادق
لا بد منها وليس المراد به الوجوب الشرعي وروي حلت له شفاعتي والمراد ان يخصه صلى الله
عليه وسلم بشفاعة ليست لغيره واضافته لنفسه للتنويه به والتعظيم قال الشيخ
والدي الشيخ شهاب الدين احمد بن حجر الهيتمي وافاد قوله له مع عموم شفاعته له ولغيره
انه يخص بشفاعة تناسب عظيم عمله اما بزيادة النعيم واما بتخفيف الاهوال عنه في ذلك
اليوم واما بكونه من الذين يحشرون بلا حساب واما برفع درجات في الجنة واما بزيادة
شهود الحق والنظر اليه واما بغير ذلك مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
هذا كله ان اريد انه يخص بشفاعة لا تحصل لغيره ويحتمل ان المراد انه يفرد بشفاعة مما تحصل
لغيره والافراد للتشريف والتنويه بسبب الزيارة وان يراد انه ببركتها يجب دخوله فيمن
تناله الشفاعة فهو بشرى بموته مسلما فيجري على عمومه ويضمن فيه شرط الوفاة على الاسلام
والا لم يكن لذكر الزيارة معنى لان الاسلام وحده كاف في نيل مثل هذه الشفاعة بخلافه
على الاولين وافادت اضافة الشفاعة له صلى الله عليه وسلم انها شفاعة عظيمة
جليلة اذ هي تعظم بعظم الشافع ولا اعظم منه صلى الله عليه وسلم ولا اعظم
من شفاعته ثم اشار الى هذا الثواب العظيم وهو الفوز بتلك الشفاعة العظيمة منه صلى الله
عليه وسلم لا يحصل الا لمن اخلص وجهته فيها بان لا يقصد بها او معها امرا اخر ينافيها
بقوله وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من زار قبري في المدينة محتسبا اي ناويا بزيارته وجه الله من غير غرض مخلصا في نيته وقصد
اكرامه لا ينوي غيره والاحتساب افتعال من الحساب بمعناه الاعتداد والاسم منه
الحسبة وعن عمر رضي الله عنه ايها الناس احتسبوا اعمالكم فان من احتسب عمله كتب له
اجر عمله واجر حسبته فالمراد ان يقصد بالزيارة اكرامه صلى الله عليه وسلم وتفويض
لجوه فيه الى الله كان في جواري اي له منزلة رفيعة في الاخرة او المراد انه يكون في امانه
وعهده فلا ينا له مكروه اصلا والجوار مصدر بكسر الجيم وضمها والكسر افصح وكنت له
شفيعا يوم القيامه المراد به شفاعة خاصة غير الشفاعة العامة فانه له صلى الله عليه
وسلم شفاعات كما تقدم وفي قوله في المدينة اعلام بانه صلى الله عليه وسلم يموت
بالمدينة ويدفن فيها فهو من اخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات وان كان لا تدري
نفس باي ارض تموت وفي حديث اخر رواه البيهقي والدارقطني والطبراني وابن منصور
عن ابن عمر من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي لانه صلى الله عليه وسلم حي

في قبر يدري من يزوره ويرد سلامه كما تقدم وروى هذا بلفظه من طرق كثيرة وكره مالك
ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم هكذا روي عنه واختلف في معنى ذلك وما اراده
مالك رحمه الله لانه خلاف المعروف بين الناس فقيل كراهة للاسم اي اسم الزيارة واطلاقه فيها
لما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله زوارات القبور فلعنهن من حيث انهن زوارات
يقتضي ذم الزيارة وهذا رواه احمد والترمذي وابن حبان عن ابي هريرة رضي الله عنه
وهذا يرده قوله صلى الله عليه وسلم نهيتم بالبنا للمجهول والرواية كنت نهيتكم عن زيارة
القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا فهذا ناسخ له لانه امر بعد نهي وهذا الدليل وجوابه اوهى
من بيت العنكبوت لان الاول في حق النسا المكثرات للزيارة وهذا المطلق زيارة الرجال
ودخول النسا تغليبا لا يسلمه المعترض ولكن عهدته على قايله لا على المصنف فانه ناقل عن مرتضي
لما نقله وقيل ان الحديث الاول خاص بزوارات القبور المتخذات عليها مساجد وسرجا
كما ورد مصرحا به في حديث رواه ابو داود والترمذي وحسنه فليس بمنسوخ والحديثان
مرويان في السنن من طرق صحيحة ولما كان هذا في غير ما نحن فيه من اطلاق الزيارة على قبره
صلى الله عليه وسلم اورد ما يدل عليه ايضا فقال وقوله صلى الله عليه وسلم
في الحديث الذي تقدمت روايته عن ابن عمر من زار قبري فقد اطلق اسم الزيارة فدل على
ان الكراهة التي رويت عن مالك ليست لهذا كما توهم وقيل وجه كراهته لان ذلك لما
قيل ان الزاير افضل من المزور وهو من يزار ولا يقال فيه مزار بضم الميم وقول العامة الذي
في قبضة المزار خطا قبيح وهذا ايضا كالذي قبله ليس بشي يعتد به بل عكسه اقرب الى
الصواب منه اذ ليس كل زاير بهذه الصفة وهي الافضلية فقد يكون مساويا له وادنى
منه وليس عموما في كل زاير وقد ورد في حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم في الجنة وهم عبيده
لا مناسبة بينهم وبينه في العظمة فكيف يتوهم هذا ولم يمنع اطلاق هذا اللفظ في حقه
تعالى ولو كان كذلك لم يجز وحديث الزيارة هذا روي على وجوه منها ما رواه ابو نعيم
عن علي كرم الله وجهه اذا سكن اهل الجنة الجنة اتاهم ملك يقول ان الله يامركم ان تزوروه
فيجتمعون ثم يوضع لهم مايدة الحديث والذي عندي في وجه الكراهة عنده وفي نسخة
والاولى عندي اي في اعتقادي وحكي في توجيه الكراهة عنده ان منعه من اطلاق الزيارة
على قبره ووجه كراهة مالك له اي لقولهم زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم للاضافة
اي نسبة الزيارة الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم بايقاعها عليه فليست الاضافة
هنا نحوية بل عرفية بذكر القبر وجعله مزورا وانه لو قال اي كل قايل زرنا النبي صلى الله
عليه وسلم بدون ذكر القبر لم يكرهه اي على ما ياتي قيل وهو مناف لما قدمه من حديث
ابن عمر من زار قبري وجبت له شفاعتي الا ان نقول انه ضعيف وان الصحيح حديث انس
من زارني بدون ذكر قبرا الا انه غير مسلم لان عبد الحق رواه في الاحكام ولم يتعقبه
وتقدم ايضا الكلام فيه لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا

اي

238

اي كالوثن وهو الصنم من الحجارة يعبد بعدي اي بعد وضعي فيه وقيل الفرق بين الوثن والصنم
ان الاول ما كان منحوتا من حجارة وغيرها والثاني ما كان صورة مجسمة وقيل هما بمعنى فيطلقان
عليهما معا وهو المشهور اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيايهم مساجد اي يسجدون
لها كما يسجدون للاوثان قال الشراح هنا كالنصارى وهو مشكل كما تقدم لان نبي النصارى
عيسى صلى الله عليه وسلم ولا قبر له فانه رفع الى السماء اللهم الا ان يقال انه تغليب اي قبور
كبارهم ممن يعتقدونه ويعظمونه الا انه بعيد جدا فلا حاجة لتفسير الحديث هنا بهذا انتهى
وقع في حديث اخر لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيايهم مساجد وهذا يشكل عليه
بما ذكرناه ويحتاج الى الجواب بما قلناه والمص لم يورده هنا فلا حاجة الى الكلام عليه واعلم
ان هذا الحديث هو الذي دعا ابن تيمية ومن تبعه كابن القيم الى مقالته الشنيعة التي كفروه بها
وصنف فيها السبكي مصنفا مستقلا وهي منعه من زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وشد
الرحال اليه وهو كما قيل لمهبط الوحي حقا ترحل النجب وعند ذاك المرجى ينتهي الطلب
فتوهم انه حمى جانب التوحيد بخرافات لا ينبغي ذكرها فانها لا تصدر ممن عاقل فضلا عن فاضل
سامحه الله واما قوله صلى الله عليه وسلم الاتي لا تتخذوا قبري عيدا فقيل كره الاجتماع
عنده في يوم معين على هيية مخصوصة وقيل المراد لا تزوروه في العام مرة فقط بل اكثروا
من الزيارة له كما مر واما احتماله للنهي عنها فهو بفرض انه المراد محمول على حالة مخصوصة اي
لا تتخذوه كالعيد في العكوف عليه واظهار الزينة عنده وغيره مما يجتمع له في الاعياد
بل لا يوتى الا للزيارة والسلام والدعا ثم ينصرف عنه اي صان مالك رحمه الله اضافة
هذا اللفظ اي لفظ الزيارة اضافة معنوية الى القبر يعني قبره الشريف صلى الله عليه
وسلم والتشبه بفعل اولئك الكفرة الذين اتخذوا قبور الانبيا مواطن للسجود قطعا
للذريعة وحسما اي قطعا وسدا للباب اي باب الذريعة وهذا مبني على سد الذرايع
التي هي من قواعد مذهب مالك وقد قدمنا تحقيقه والله اعلم بمراد مالك فيما قاله وهذا
كما قيل مما يتعجب منه فانه لا تشبيه فيه بوجه من الوجوه اصلا بفعل اولئك فالظاهر
انه لم يصح عنه وانما المروي عنه كما وقع هنا بعض النسخ وهو كما قال ابو عمران موسى
بن عيسى الفاسي فقيه القيروان وقد تقدمت ترجمته انما كره ان يقول طواف الزيارة
الذي يكون بعد رمي الجمار فقال انما يقال له طواف الافاضة وطواف الصدر لانه لا
معنى للزيارة هنا عنده وان خالفه في اطلاقه غيره فالتبس عليهم كراهة اطلاق الزيارة
في كلام مالك وفي نسخة بدل هذه النسخة قيل قوله والذي عندي الخ وقال ابو عمر بن
عبد البر انما كره مالك ان يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم
لاستعمال الناس ذلك بينهم بعضهم لبعض فكره تسوية النبي صلى الله عليه وسلم
مع الناس بهذا اللفظ واحب ان يخص بان يقال سلمنا على النبي صلى الله عليه وسلم
قال وايضا الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد المطي الى قبره صلى الله عليه وسلم

يريد بالوجوب هنا وجوب السنن لا وجوب الفرايض فالمراد الندب والترغيب والتاكيد تنبيه
ما ادعى المص انه الاولى لا وجه له رواية ودراية فقد ورد اطلاق الزيارة لقبره في احاديث
كثيرة منها ما تقدم وما رواه ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم قال من حج فزار قبري بعد موتي
كان كمن زارني في حياتي وصحبني الان قوله وصحبني تفرد به بعض رواته كما قاله ابن عساكر
وقال ابن حجر انها زيادة منكرة ورُدّ بان له متابعات وليس التشبيه من كل الوجوه فلا ينافي
في خبر لو انفق احدكم مثل احد ذهبا الحديث وروي ايضا في معناه احاديث كثيرة قال
السبكي كانها لم تبلغ مالكا رحمه الله مع انه روي عنه كراهة ان يقال زرنا النبي لانه اعظم
من ان يزار ولانه اشتهر في الموتى وهو صلى الله عليه وسلم حي في قبره وقيل كرهه لان الذهاب
للزيارة ليس لصلته ونفعه وانما هو رغبة في الثواب قال السبكي وهو الاقرب في توجيه
كلام مالك وان كان المختار الصحيح انه لا يكره شيء من ذلك وقيل كرهه لان الزيارة من شا
فعلها ومن شا تركها وهي كالواجب عنده والذي اختاره ابن رشد انه انما كره لفظ القبر لانه
صلى الله عليه وسلم قال اسحق بن ابراهيم الفقيه ومما لم يزل من شان من حج اي انه استمر
من عادة السلف اذا حجوا ان ياتوا المزور قيل انه بكسر الميم وسكون الزاي المعجمة وفتح الواو
مصدر ميمي بمعنى الزيارة وقوله بالمدينة متعلق به وهو تكلف لا يخفى ولا رواية تدعو اليه والظاهر
كما في بعض النسخ انه بضم الميم وراءين مهملتين مصدر مرّ اي من حج يمر بالمدينة ويقصدها
ويدل عليه قوله والقصد الى الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتداء به
صلى الله عليه وسلم فانه كان اذا قدم من سفر دخل المسجد وصلى فيه والتبرك برؤية روضته
وهي ما بين قبره الشريف ومنبره سميت روضة لقوله صلى الله عليه وسلم فيها انها روضة
من رياض الجنة ومنبره وكيفية التبرك به ستاتي ومجلسه اي موضع جلوسه في الروضة
المأثور وملامس يديه اي المحال التي لمسها بيديه في سجوده فيها ومواطن قدميه والعمود
الذي استند اليه باسناد ظهره الشريف اليه في جلوسه ومنزل جبريل عليه الصلاة
والسلام بالوحي فيه عليه وكان مراده ان يقصد التبرك بمسجده الشريف لانه كان
محلا لما ذكر وان لم يكن ذلك مبينا الان فان نقل تعيين شيء من ذلك فعل به ذلك رزقنا الله
الفوز بالوصول الى السعادة العظمى بمشاهدة تلك المآثر والمشاهد بجاه محمد صلى الله عليه
وسلم وبن عمر بتخفيف الميم اي سكنه واما تشديد الميم فمن التعمير وهو بلوغ العمر بضم الميم
اي مدة الحياة كما اعتمده اهل اللغة وعن قصده من الصحابة وايمة المسلمين والاعتبار
بذلك كله اي الاعتنا به تعظيما وتكريما او التفكر فيهم وفي ماثرهم وقال ابن ابي فديك محمد بن
اسماعيل بن مسلم بن ابي فديك بضم الفا ودال مهملة وياء تصغير وكان الامام الثقة روى عنه
الستة واحمد توفي سنة مايتين وله ترجمة في الميزان وحديثه هذا رواه البيهقي سمعت
من ادركت يقال ادرك فلان فلانا اذا ادرك زمانه ورآه والمراد من ادركه من العلما والصلحا
يقول انه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم متوجها له ثم قال تاليا هذه الاية ان الله

وملئكته الخ ثم قال بعد تلاوتها صلى الله عليك يا محمد سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك
يا فلان ولم تسقط له حاجة وفي رواية ولم تسقط لك اليوم حاجة اي لا ترد ولا تحجب بسبب
عدم قبولها بسقوط شيء يضيع منه وخص السبعين لانها محل الاجابة كما قال تعالى ان
تستغفر لهم سبعين مرة وقد قيل على هذا انه ينافي ما قالوه كما مر من انه لا يجوز ندائه صلى الله
عليه وسلم باسمه يا احمد يا محمد في حياته وبعد مماته لقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا بل يقال يا رسول الله ونحوه تعظيما وكذا لا ينادى بكنيته كابي
القاسم وقد تقدم فان كان هذا ماثورا عنه فيغتفر اتباعا للماثور ولتقديم تعظيمه هنا بقوله
صلى الله عليك فليتأمل هذا وفي الدر المنظم بعد ذكره اخراج البيهقي لما ذكر عن ابن ابي فديك
ما نصه ولا دليل فيه لجواز ندائه صلى الله عليه وسلم باسمه فقد صح ايضا بحرمة
ذلك وظاهره انه لا فرق بين ان يتقدمه تعظيم له وان لا وهو ظاهر خلافا لمن بحث تخصيصه
بالثاني وذلك لما في الندا بالاسم وان تقدمه تعظيم كما هو حيز من ترك التعظيم اذ مثله يقع
من بعضنا لبعض وما تقدمه لا نظر اليه لانقضائه قال ايمتنا وانما ينادى بنحو يا نبي الله يا رسول الله
فقول الزين المراغي الاولى لمن عمل بالاثر ان يقول يا رسول الله وهم بل الصواب ان ذلك واجب لا اولى
انتهى وعن يزيد بن ابي سعيد المهري بفتح الميم نسبة الى مهرة قبيلة وهو محدث مشهور اخرج له
مسلم وغيره قال قدمت على عمر بن عبد العزيز اي اتاه قاصدا له واجتمع به فلما ودعته اي لما اردت
الانصراف من عنده قال لي اليك حاجة اسيلك قضاها وهي انك اذا اتيت المدينة سترى قبر
النبي صلى الله عليه وسلم اذا زرته فاذا رايته فاقره مني السلام اي بلغه سلامي واني مسلم
عليه يقال قرا عليه واقراه السلام اذا بلغه سلاما من غايب عليه وقيل لا يقال اقرا الا اذا
كان مكتوبا والمشهور انهما بمعنى وهو الذي يناسب الحديث الذي نحن فيه وقال غيره اي غير يزيد
المذكور والقايل هو حاتم بن وردان كما ذكره البيهقي في شعب الايمان كان اي عمر بن عبد
العزيز الخليفة المشهور الجليل القدر يبرد بضم اوله من ابرد بمعنى ارسل اليه صلى الله عليه
وسلم البريد من الشام لانها كانت مقر الخلفا اي يرسل رسولا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليبلغه سلامه ويقريه السلام لا لقصد غير ذلك البتة وكان ذلك في صدر زمن
التابعين ولم ينكر ذلك احد منهم فالبريد كما علمت هو الرسول الذي يكون مستعجلا
لتبليغ امر الخلفا ونحوهم وهو في الاصل فارسي معرّب عن بريده دم اي مقطوع الذنب لانهم
يضعون في المنازل بغالا لا تركبها الرسل لتبليغ الاخبار بعجلة ويجعلون قطع اذنابها علامة
لها ثم اطلق على الرسول وصار حقيقة فيه مطلقا وقيل سمي الرسول بريدا لانه يقطع
البريد وهو اثني عشر ميلا وصاحب البريد رجل يعد لتبليغ الاخبار واحوال البلاد والولاة
فاصحاب البريد قوم معدودون لذلك عندهم براذين سياقة فاذا وقع امر عظيم وجهوا
صاحب البريد للاخبار به وتقدم انه كان من داب السلف انهم يرسلون السلام الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر يفعله ويرسل له عليه الصلاة والسلام ولابي بكر وعمر

رضي الله عنهما ورسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان يبلغه سلام من سلم عليه وان كان
بعيدا عنه لكن في هذا فضيلة خطابه عنده ورده عليه السلام بنفسه كما مر الا انه قيل انه
لا يجب عليه تبليغه بخلاف من قال سلم لي على فلان فانه يجب عليه اذا امانته له اي ان لم يصرح له
بعدم القبول كما هو ظاهر ويجب على المسلَّم عليه الرد بلسانه فورا كما لو كان المسلم حاضرا وفرق
بينهما بان القصد بالسلام ابتدا وردا من الاحيا التواصل وعدم التقاطع الذي يغلب
وقوعه بين الاحيا وحينيذ فارسال السلام للغايب لقصد به مواصلته وعدم تقاطعه
واذا كان هذا هو المقصد به كان تركه مع تحمله تسببا او وسيلة الى المقاطعة المحرمة اي
من شانه ذلك وللوسايل حكم المقاصد واما ارسال السلام له صلى الله عليه وسلم
فالقصد به الاستمداد منه وعود البركة على المسلِّم فتركه ليس فيه الا عدم اكتساب فضيلة
للغير فالتبليغ سنة لا واجب ولا يقال تفويت الفضايل على الغير حرام لانا نقول فرق واضح
بين عدم اكتساب الفضيلة للغير وتفويت الفضيلة الحاصلة على الغير فايدة قال صاحب
القاموس في رسالة الصلاة له ان السلام عليه صلى الله عليه وسلم عند قبره افضل
من الصلاة عليه اي للاخبار الكثيرة ومنها ما احد يسلم علي عند قبري الخ وفيه نظر ثم
رايت في الدر المنظم بعد ذكره له ويعارضه ما تقدم انه تعالى يصلي هو وملايكته على المصلي
بدل الصلاة الواحدة عشرا او مائة على ما مر وصلاة الله افضل من رده صلى الله عليه وسلم
على ان رده صلى الله عليه وسلم يرد الصلاة عليه كالسلام فالاولى ان توجه افضلية
السلام بانه شعار اللقا والتحية وحينيذ يختص افضليته بحالة اللقا عند كل زيارة
اما اذا سلم سلام اللقا فالصلاة بعده اولى من استمرار السلام وان كان باقيا في مقام الزيارة
ويدل لذلك صنيع العلما فانهم لما ذكروا ان الزاير يبدا بالسلام ذكروا انه يختم بالصلاة
عليه قال بعضهم رايت انس بن مالك الصحابي رضي الله عنه خادم رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم لزيارته فوقف عند القبر فرفع يديه للدعا
فانه مستحب لمن زاره صلى الله عليه وسلم ان يدعوا ويستشفع به ويتضرع حتى ظننت انه
افتتح الصلاة لانه ليس رفع اليدين لافتتاح الصلاة ولعله كان مستقبل القبلة للظن
المذكور فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم بعد رفع يديه ودعايه ثم انصرف من عنده قال
مالك في رواية ابن وهب عنه وهو عبد الله بن وهب عالم مصر كما تقدم وهو ممن روى
عن الامام مالك اذا سلم الزاير للقبر الشريف على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا
بما يريد الدعا به يقف عنده ووجهه الى القبر لا الى القبلة كما يستحب للداعي في غير هذا
الموطن لان استدباره خلاف الادب ويدنو اي يقرب من القبر في حال الدعا ويسلم عليه
صلى الله عليه وسلم ولا يمس القبر بيده فيكره الصاق الظهر والبطن بجدار القبر الكريم
ويلحق بجداره جدار الساتر عليه المستور بالحدير الان لما في ذلك من مخالفة الادب معه
صلى الله عليه وسلم ومن ثم تعين على كل احد ان لا يعظمه صلى الله عليه وسلم الا بما اذن

الله

الله فيه لامته في جنسه مما يليق بالبشر فان مجاوزة ذلك تفضي الى الكفر والعياذ بالله بل مجاوزة
الوارد من حيث هو ربما تودي الى المحذور فليقتصر على الوارد ما امكن واستقبال وجهه
صلى الله عليه وسلم واستدبار القبلة مذهب الشافعي والجمهور ونقل عن ابي حنيفة
وقال ابن الهمام ما نقل عن ابي حنيفة انه يستقبل القبلة مردود بما روي عن ابن عمر رضي الله
عنهما من السنة ان يستقبل القبر المكرم ويجعل ظهره للقبلة وهو الصحيح من مذهب ابي
حنيفة وقول الكرماني ان مذهبه بخلافه ليس بشيء لانه صلى الله عليه وسلم حي في قبره
يعلم بزايره ومن ياتيه في حياته انما يتوجه اليه ويستحب القيام في حال الزيارة كما نبه
عليه المص بقوله يقف وهو افضل من الجلوس عند القبر عند الجمهور ومن خير بينهما
اراد الجواز دون المساواة فان جلس فالافضل ان يجثوا على ركبتيه ولا يفترش ولا يتربع
لانه لا يليق بالادب وقال مالك في المبسوط اسم كتاب له كما تقدم لا ارى اي لا استحسنه
ولا اعده رايا ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو اي في حال كونه داعيا بما اراد
ولكن يسلم عليه صلى الله عليه وسلم ويمضي اي ينصرف من عنده من غير وقوف وظاهره
ان مذهب مالك عدم استحباب الوقوف مطلقا ونقل الشافعية عنه ان استحباب عدم
الوقوف عنده لاهل المدينة المقيمين بها لا للغربا الزوار فانه يستحب لهم الوقوف للدعا له
صلى الله عليه وسلم ولابي بكر وعمر ففرق بين المدني وغيره فلا يجعل المدني قبره الشريف
كالمسجد ياتيه في اكثر ايامه للعبادة والقربة بناء على قاعدته في سد الذرايع وسياتي
ايضا بيان ذلك في كلام المص عن المبسوطه والصحيح عند غيره انه لا فرق بين المدني
وغيره من استحباب الاكثار من زيارته والوقوف عنده للدعا ففي المسيلة ثلاثة مذاهب
وقال ابن ابي مليكة هو عبد الله ابن عبيد الله بن ابي مليكة بالتصغير وهو من اعلام
التابعين وابوه ابو مليكة صحابي جليل وابنه توفي سنة سبع عشرة ومائة واخرج له
اصحاب الكتب الستة من احب ان يكون وفي نسخة يقوم وجاه النبي صلى الله عليه
وسلم اي في مواجهته ومقابلته ووجاه مثلث الواو وبمعنى تجاه وهو مثلث التا
ايضا كما في مثلثات صاحب القاموس ومعناه ان تقابل وجهه وتا تجاه مبدلة من الواو
كتخمة فليجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر الشريف على راسه اي محاذيا لها
والقنديل بكسر القاف مصباح من زجاج يعلق وهو معروف وبفتح القاف معناه
العظيم الراس ووزنه فعليل وقيل فنعيل ونونه زائدة وهو ارشاد لكيفية الزيارة
وانه يكون بينه وبين القبر فاصل فقيل انه يبعد عنه بمقدار اربعة اذرع وقيل ثلاثة
وهذا مبني على ان البعد اولى واليق بالادب كما كان في حياته صلى الله عليه وسلم وعليه
الاكثر وذهب بعض المالكية الى ان القرب اولى وقيل بما مله معاملته في حياته
فيختلف ذلك باختلاف الناس وهذا باعتبار ما كان في العصر الاول واما اليوم
فعليه مقصورة تمنع من دنو الزاير فيقف عند الشباك وقال نافع هو ابن هرمز مولى

بن عمر اشتراه من سبي خراسان وهو تابعي جليل توفي بالمدينة سنة سبع عشرة ومائة
وهو غير نافع بن عبد الرحمن المدني المقري وهذا رواه البيهقي وغيره كان بن عمر الصحابي
المشهور رضي الله عنهما يسلم على القبر الشريف رايته مائة مرة واكثر يأتي القبر بدل
من قوله يسلم مفسر له فيقول السلام على النبي السلام على ابي بكر السلام على عمر وفي نسخة
ابي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم ينصرف قيل وفيه اشارة الى انه لا ينبغي له ان يطيل
الكلام عند السلام ويختصر وقيل يطيل ما شا في الثنا والدعا والتوسل وقيل يختلف
باختلاف الناس والاحوال ويأتي للزيارة من قبل راسه الشريف صلى الله عليه وسلم ثم
يتاخر لابي بكر وعمر رضي الله عنهما فيبدا بالاشرف فالاشرف فتعظيما لهما كما يليق وقيل يأتي
من قبل رجل عمر لانه من الادب ويتاخر قليلا قليلا وفي كيفية وضع القبور الثلاثة اختلاف
مذكور في تاريخ المدينة الكبير للسيد السمهودي مفصلا ليس هذا محله وفي الموطا من رواية
يحيى بن يحيى الليثي تقدم ان يحيى بن يحيى راوي الموطا عن مالك اثنان انه كان يقف على قبر
النبي صلى الله عليه وسلم على هنا بمعنى عند وهذا اشارة الى اختيار القرب منه صلى الله
عليه وسلم كما مر فيصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر تبعا له او يصلي
بمعنى يدعو وعند بن القاسم عبد الرحمن فقيه مصر كما تقدم والقعنبي بفتح القاف وسكون
العين المهملة وفتح النون بعدها با موحدة ويا نسبة وهو عبد الله بن مسلمة بن قعنب
الحارثي ابو عبد الرحمن احد الاعلام روى عنه البخاري وابو داود وغيرهما وهو ثقة
حجة توفي سنة عشرين واحدى وعشرين ومائتين اخرج له الشيخان وغيرهما كما علم في
روايتهما عن مالك بلفظ ويدعو لابي بكر وعمر لا بلفظ يصلي كما مر قال مالك في رواية
ابن وهب عنه يقول المسلم والزاير السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته وقال
مالك في المبسوط ونسلم على ابي بكر وعمر بعد السلام عليه صلى الله عليه وسلم
قال القاضي ابو الوليد الباجي تقدمت ترجمته وعندي اي الراجح عندي انه يدعو للنبي
صلى الله عليه وسلم بلفظ الصلاة لما فيها من التعظيم كما تقدم ويدعو لابي بكر وعمر
كما جا في حديث بن عمر رضي الله عنهما الذي تقدم وقوله فيه السلام على ابي بكر السلام
على عمر فيدعو لهما بالسلامة من كل مكروه ولا يصلي عليهما المام من الخلاف اي مخالفة
الدعا لهما للدعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفي المناسك هنا تفصيل طويل فيما
يقوله الناس ليس هذا محله وقال بن حبيب عبد الملك بن حبيب القرطبي الامام الجليل
الثقة مصنف كتاب الواضحة ولا يلتفت لمن نسبه للكذب وترجمته في الميزان ويقول
الزاير اذا دخل مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بسم الله وسلام على رسول الله صلى الله
عليه وسلم السلام علينا من ربنا وصلى الله وملايكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي
وافتح لي ابواب رحمتك وجنتك اي يسر لي ما يوصل اليهما فان دخوله من باب المسجد الموصل
لجنته روضة شوقه الى الجنان وقوى رجاه فناسب دعاه بما ذكر ولما سلك الطريق

الموصلة

241

الموصلة اعتصم بالله من قطاع طريقها بقوله واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد
بعد الدعاء الى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر واركع فيها ركعتين تحية المسجد شكرا لهذه النعمة
قبل وقوفك بالقبر اي عنده بحمد الله حمدا اي في تلك الصلاة وتساله تمام ما خرجت اليه
من زيارتك وسفرك والعون عليه اي المساعدة بتيسيره له وان كانت ركعتاك في غير الروضة
من المسجد النبوي اجزاتاك بالهمز اكفاتاك في ادا السنة وفي الروضة افضل اي اكثر ثوابا
اقتدا به صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه الصلاة والسلام ما بين قبري ومنبري روضة
من رياض الجنة ويأتي الكلام عليه وما بين القبر والمنبر نحو خمسين ذراعا ومعنى كونه روضة
من رياض الجنة انه يودي الى دخولها فكانه منها فاطلق السبب واراد المسبب او هو تشبيه
بليغ وقيل انه على حقيقته وانه ينقل الى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم في حديث لم يات
وان اوهم كلامه هنا انه من تتمة الاول ومنبري على ترعة من ترع الجنة ترعة وترع بمثناة
كغرفة وغرف قيل هي الروضة تكون في مكان مرتفع وقيل الباب والروضة محل الاشجار
مطلقا او في مكان مطمين يجمع اشجارا ورياحين والترعة تكون ايضا محل الما وبمعنى الدرجة
كما ذكره اهل اللغة والكل محتمل هنا والكلام في هذا كما تقدم في قوله روضة من رياض الجنة
في احتمال التشبيه والاستعارة ويأتي بيان الحديث في كلام المص ثم تقف بالقبر اي عنده
متواضعا متوقرا اي بتواضع ووقار اي سكون تادبا بهيبة واجلال وغض طرف وقال الكرماني
الحنفي في مناسكه انه يضع يمينه على شماله كما يقف المصلي في الصلاة وقال غيره الاولى الارسال
لئلا يشبه بالمصلي فانه منهي عنه فتصلي بالخطاب لكل زاير عليه صلى الله عليه وسلم وتثني
عليه ثنا يليق به بما يحضرك اي يخطر ببالك من غير تكلف لامر تستعد لها بسجية ونحوها
الانحنا وتقبيل الارض وما يظنه جهلة العوام لبني ان فيه زيادة تعظيم ليس بشي وتسلم
على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وتدعو لهما بما يناسب مقامهما كما مر واكثر من الصلاة في مسجد
النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار والمراد بمسجده هنا هو المراد بقوله صلى الله عليه
وسلم صلاة في مسجدي هذا تعدل الف صلاة في غيره كما يأتي وهو ما كان مسجدا في زمنه
صلى الله عليه وسلم لا ما زيد فيه كما قاله النووي وغيره والاشارة بقوله هذا تعينه
واعترض ابن تيمية عليه بما ورد في الحديث لو زيد في مسجدي الى ذي الحليفة كان مسجدي
ورد بانه لا يقتضي مساواته من كل وجه ولا شك في ان الاول افضل من غيره وفي حديث الزيادة
معجزة والاخبار بالغيب ولا ينبغي للزاير جعل القبر خلف ظهره ولا بجانبه كما قاله ابن عبد
السلام ولا تدع بالخطاب والجزم اي تترك ان تاتي مسجد قبا بضم القاف ويمد ويقصر ويذكر
ويونث فيجوز صرفه ومنع صرفه وهو اسم موضع قريب من المدينة بنى فيه عمرو بن عوف الانصاري
مسجدا فاتاه النبي صلى الله عليه وسلم وصلى فيه وهو المراد بقوله تعالى لمسجد اسس
على التقوى على الراجح كما يأتي وكان صلى الله عليه وسلم يزوره راكبا وماشيا في كل سبت
وحكمة تخصيصه ان في اتيانه زيارة اهله والموتى يعلمون بزوارهم يوما قبل يوم الجمعة

ويوما بعده واعطى اهل احد يوم الخميس لانهم افضل فبقى السبت لاهل قبا وقال صلى الله عليه
وسلم صلاة ركعتين فيه كعمرة ويقال له مسجد الفتح وكان عمر رضى الله عنه ياتيه فى كل اثنين
وخميس وقال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه يشدون حجارته على بطونهم فلو كان فى طرف
الارض لضربنا اليه اكباد الابل وقال لصلاة ركعتين فيه احب الى من ان ااتى بيت المقدس مرتين وكذا
يستحب اتيان غيره من المساجد الماثورة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها كمسجد القبلتين
وقبور الشهدا المعهودين وهم شهدا احد رضى الله عنهم فانه صلى الله عليه وسلم كان يزورهم وينبغى
ان لايدع زيارتهم وان يبتدا منهم بحمزة رضى الله عنه سيد الشهدا فى الدنيا والاخرة وقال مالك
فى كتاب محمد ويسلم عليه صلى الله عليه وسلم اذا دخل وخرج اى اذا دخل مسجد المدينة وخرج
منه اى بالفعل لا عند ارادة ذلك وفيما بين ذلك اى فى ايام اقامته بالمدينة يدخل المسجد ويسلم
عليه صلى الله عليه وسلم كلما دخل وخرج قال محمد واذا خرج من المدينة من اتاها زائرا جعل اخر
عهده بالمدينة الوقوف بالقبر اى عنده للوداع وكذلك كل من خرج مسافرا من المدينة
يجعل اخر عهده زيارته صلى الله عليه وسلم والسلام عليه وروى ابن وهب عن فاطمة
الزهرا رضى الله عنها بنت النبى صلى الله عليه وسلم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لها
اذا دخلت المسجد يعنى مسجده صلى الله عليه وسلم اوالاعم فصل على النبى صلى الله
عليه وسلم وقولى اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب رحمتك وفيه مناسبة تامة
لان العبادة مكفرة للسيات وللدخول بفتح الباب وهو باب موصل لاعظم رحمة واذا
خرجت من المسجد النبوى والاعم منه فصل على النبى صلى الله عليه وسلم وقولى اللهم
اغفر لى ذنوبى ببركة العمل الصالح وافتح لى ابواب فضلك وذكر الفضل هنا انسب لان
الخارج من المسجد يخرج لكسب مصلحته والفضل الرزق وفتح الباب كناية عن تسهيل
اموره وتيسير مسالكه واسباب معاشه وقد علم بذلك حكمة ذكر الرحمة فى الدخول
والفضل فى الخروج وحاصلها ان المساجد محال رحمة الحق تعالى لعباده رحمة مخصوصة تناسب
قصدهم وعبادتهم فطلب تلك الرحمة الخاصة عند دخولها واما الخروج منها فهو الى محال
الاسباب والاكتساب التى بها تحصل الارزاق والغنا عن الناس وهذا مظهر الفضايل التى
تفضل بها على عباده فسال عند التوجه ليفاض عليه منه ما يتوفر به خشوعه
وانقطاعه الى الله تعالى قالوا ويصلى ركعتين نفلا مطلقا وقيل انهما سنة الوداع واختلف
هل يقدم الوداع على الصلاة او يوخرها ليكون اخر عهده ملاقاته صلى الله عليه وسلم
ويحسن ان يقول اللهم لا تجعل هذا اخر العهد بحرم رسولك صلى الله عليه وسلم ويسر لى
العود اليه وارزقنى العفو والعافية فى الدنيا والاخرة ويتاسف على مفارقته واعلم ان هذا
الحديث رواه اصحاب السنن على انه سنة لدخول كل مسجد وليس مخصوصا بالمسجد النبوى
كما ذكره الخيضرى فى اللوا المعلم الا انه يكفى انه يدخل فيه دخولا اوليا وزاد بعضهم فى المسجد
النبوى رب وفقنى وسددنى واصلحنى واعنى على ما يرضيك عنى ومن على بحسن الادب فى هذه

الحضرة

الحضرة الشريفة وفى رواية اخرى من طريق اخر فى حديث فاطمة رواه احمد وابو يعلى والترمذى
وحسنه فليسلم مكان فليصل فيه ويقول اذا خرج اللهم انى اسالك من فضلك وفى رواية
اخرى اللهم احفظنى من الشيطان الرجيم وهذه الامور كلها محل ذكرها مناسك الحج
وفضايلته ثم روى عن محمد بن سيرين التابعى المشهور كان الناس يقولون اذا دخلوا المسجد النبوى
صلى الله وملئكته على محمد السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته بسم الله دخلنا
وبسم الله خرجنا اى ندخل ونخرج وعبر بالماضى مشاكلة واشارة الى ان المساجد انما هى للعبادة
وليست محل مكث واقامة لغير المعتكف وعلى الله توكلنا اى فوضنا له امورنا كلها لترك
من دخل المسجد امور دنياه فان توجهه فيه انما هو لله وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل ذلك
وهذا ليس خاصا بمسجد المدينة بل هو مستحب فى كل مسجد واستحب الصلاة عليه صلى الله
عليه وسلم عند دخولها والخروج منها لانه صلى الله عليه وسلم هو الذى بين لنا العبادة
فيها وهدانا الطرق للخير فكان حقا علينا ان ذكره ثمت والدعا له والمراد بالناس هنا الصحابة
ففعلهم يدل على انه سنة ماثورة فلا يتوهم انه كيف يكون دليلا على انه سنة ولذا اردفه
بما يوضحه من قوله وروى عن فاطمة ايضا اى كما روى عنها مثل هذا كان النبى صلى الله عليه
وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفى رواية
حمد الله الذى وفقه للعبادة وسمى الله تيمنا وتبركا ليتم ما شرع فيه وصلى على النبى صلى الله
عليه وسلم لما مر وذكر مثله اى ما هو بمعناه وفى رواية يقول اذا دخل المسجد بسم الله
والسلام على رسول الله فهذا صريح فى انما فعله الناس فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم
بنفسه فهم مقتدون به وروى عن غيرها اى عن غير فاطمة رضى الله عنها كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لى ابواب رحمتك وانعامك بنعم
الدنيا والاخرة ويسر لى ابواب رزقك اى سهلها ويسر اسبابها والتعبير بالتيسير اشارة
الى انه مما قضى وفرغ منه وعن ابى هريرة رضى الله عنه اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبى
صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لى يعنى ما تقدم بتمامه وحاصله ان هذه الاحاديث
تدل على ان من دخل المسجد او خرج منه او مر به اى مسجد كان يستحب له ان يسمى الله ويصلى ويسلم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعو بخير من خيرى الدنيا والاخرة والماثور
افضل وهذا مما اتفقوا عليه ووردت فيه احاديث صحيحة مسندة فى باب الدعوات
وقال مالك فى المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد النبوى وخرج منه من اهل المدينة
المقيمين بها الوقوف بالقبر اى عنده للزيارة وانما يلزم ذلك اى الوقوف لازم للغربا
الذين جاوا المدينة للزيارة وليس اللزوم هنا بمعنى الوجوب الشرعى بل المتاكد فى حقه وقال
مالك فيه اى فى كتاب المبسوط ايضا كما نقل عنه اولا لا باس لمن قدم من سفر او خرج
الى سفر من اهل المدينة ان يقف على قبر النبى صلى الله عليه وسلم اى يقوم عنده زايرا
فيصلى عليه صلى الله عليه وسلم ويدعو له ولابى بكر وعمر رضى الله عنهما بعد الصلاة

على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له ان ناسا من اهل المدينة لا يقومون من سفر ولا يريدونه
اى الخروج للسفر فهم مقيمون يفعلون ذلك اى الوقوف عند القبر والصلاة عليه والدعا لصاحبيه
فى اليوم الواحد مرة او اكثر ومن ربما وقفوا فى الجمعه او الايام المرة او المرتين او اكثر عند القبر فيسلمون
عليه صلى الله عليه وسلم ويدعون لابى بكر وعمر ساعة فقال مالك لما ذكر له ذلك لم يبلغنى
هذا اى وقوف المدنى من غير سفر عند القبر عن احد من اهل الفقه ببلدنا يعنى المدينة لان عمل اهلها
حجة عنده رحمه الله وتركه اى ترك هذا الفعل واسع اى اكثر واولى ولا يصلح اخر هذه الامة
المحمدية واخرها من بعد الصحابة والعصر الاول الا ما اصلح اولها اى لا يصلح لاخرهم الا ما اصلح
لاولهم ولا يستحب لهم الا ما استحبوه اولا ولم يبلغنى عن اول هذه الامة وصدرها من الصحابة ومن
الحق بهم انهم كانوا يفعلون ذلك اى الوقوف للزيارة من غير الغربا بل لارادة سفر اى لم اسمعه بنقل
صحيح ويكره ذلك الا لمن جا من سفر او اراده من اهل المدينة وقال ابن القاسم من اتباع الامام مالك
ورايت اهل المدينة اذا خرجوا منها للسفر او دخلوها قادمين من السفر اتوا القبر فسلموا عليه
صلى الله عليه وسلم قال ابن القاسم وذلك راى اى قول لمالك وفى نسخة رأيى باضافة اى انه
يقوله وقال الباجى بموحده نسبة لباجه اسم بلدة بالغرب وهو ابو الوليد الحافظ من ايمة
المالكية وقد تقدم ففرق مالك او ابن القاسم رواية عنه بين اهل المدينة والغربا فاستحب
للغربا الزيارة فى الدخول للمسجد فى كل حين ولم يستحبه للبلدى الا اذا خرج لسفر او قدم منه لان الغربا
قصدوا المدينة لذلك اى لاجل الزيارة فينبغى لهم فعل ذلك فى كل حين واهل المدينة مقيمون بها
لم يقصدوها من اوطانهم من اجل زيارة القبر والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم قال السبكى
فى كتابه شفا السقام بعد نقل ما هنا مذهب مالك ان الزيارة قربة لكنه كره الاكثار منها للمقيم
بالمدينة على قاعدته فى سد الذرايع وغيره من اهل المذاهب قالوا باستحباب الاكثار منها مطلقا
واتفقوا عليه وهو الحق الذى لا شبهة فيه والذريعة ليست بممنوعة فى كل مقام كما تقدم عن
القرافى وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه عبد الرزاق ومالك فى الموطا عن عطا بن يسار
اللهم لا تجعل قبرى وثنا اى كالوثن وهو الصنم الذى يعبد اى يتخذ معبودا وتقدم فيه زيادة
بعدى اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيايهم مساجد اى يسجدون لها كما يسجدون لله
وقد تقدم الكلام عليه وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه ابن ابى شيبه وغيره بسند
متصل لا تجعلوا قبرى عيدا اى كالعيد باجتماع الناس عنده وقد تقدم تاويل الحديث وانه
لا حجة فيه لما قاله ابن تيميه وغيره فان اجماع الامة على خلافه يقتضى تفسيره بغير ما فهموه فانه
نزعة شيطانية وقوله وقال اخر يحتمل انه من كلام الباجى ومن كلام مالك وابن القاسم
تاييد لما قال وهو الظاهر واحتمال انه من كلام الناس غير مناسب لما عقد له هذا الفصل
ونقل من كتاب احمد بن سعيد الهندى عالم الاندلس توفى سنة تسع وتسعين وثلثماية وعمره
سبع وسبعون سنة وترجمته مبسوطة فى التواريخ وفى نسخة سعد الهندى والصحيح الاول
فيمن وقف بالقبر اى قال فى حقه وبيان حاله انه ينبغى له ان لا يلصق به صدره ولا يمسه بشى

من جسده فلا يقبله فيكره مسه وتقبيله والصاق صدره به لانه ترك ادب وكذا كل ضريح
يكره فيه ذلك وهذا امر غير مجمع عليه ولذا قال احمد والطبرى لا باس بتقبيله والتزامه وروى
ان ابا ايوب الانصارى كان يلتزم القبر الشريف فقيل وهذا لغير من لم يغلبه الشوق والمحبة
وهو كلام حسن ولا يقف عنده طويلا بل بمقدار الصلاة عليه والدعا تادبا منه فهذا مستحب
عنده وفى العتبية بضم العين المهملة وسكون المثناة وكسر الموحدة وياء نسبته اسم كتاب يعرف
بالعتبيه وبالمستخرجة من الاسمعة اى بما سمع من مالك من مسايل المدونة وصاحبها يسمى
العتبى نسبته لعتبة بن ابى سفيان وهو فقيه الاندلس محمد بن احمد بن عبد العزيز ابن عتبة
ابن ابى سفيان القرطبى توفى فى منتصف ربيع سنة خمسين او اربع وخمسين وماتين
واخذ عن يحيى ابن يحيى الليثى وطبقته ويقال انه من موالى عتبة وله رحلة الى الشرق وفى تاريخ
الاندلس محمد العتبى هو محمد بن احمد بن عتبه الاموى من اهل قرطبه وقيل هو مولى لال عتبه
بن ابى سفيان وهو الاصح وسمع من سحنون واصبغ وغيرهما وجمع كتابا سماه المستخرجه اكثر فيه
من الشواذ والمسايل الغريبة فاذا سمع غريبة قال ادخلوها فى المستخرجه وقال ابن وضاح فى
المستخرجة خطاء كثير يبدؤ بالركوع المراد به الصلاة اى تحية المسجد اذا دخله تسمية باسم
الجزء كالركعة قبل السلام على قبره عليه الصلاة والسلام وزيارته وهو احد القولين
كما تقدم فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم وقيل يسلم اولا ثم يصلى ويتحرى بصلاته محلا
كان صلى الله عليه وسلم يصلى فيه وله علامة ذكروها وتبعهم المصر وهو
على يسار محراب الشافعية وشمل ذلك عموم قوله واحب افعل تفضيل من المحبة مواضع التنفل
اى افضلها للصلاة النافلة وتحية المسجد والزيارة مصلى النبى صلى الله عليه وسلم اى محل
صلاته الماثور وبين محله بقوله حيث العمود المخلق بضم الميم وفتح الخا المعجمة وتشديد اللام
وقاف وهو ما عليه الخلوق بالفتح وهو نوع من الطيب اكثر فيه زعفران والعمود هو السارية
والاسطوانة وسمى مخلقا لانه كان يطيب بالخلوق تعظيما وهذا هو المعروف وقيل انه محلق بحا
مهملة اى له حلقة من حديد ونحوه فقيل وهو محل جذع الذى كان صلى الله عليه وسلم يخطب
عنده قبل عمل المنبر له وهذه الاماكن الشريفة واسماوها وفضايلها من اراد الوقوف عليها
فليطالع تاريخ المدينة الكبير للسيد السمهودى وفضيلة هذا المحل والصلاة عنده انما هو
للتنفل للزاير اما فى صلاة الفريضة فى التقدم الى الصفوف اى التقدم فى الصف الاول
افضل من غيره مطلقا والتنفل اى صلاة النافلة فيه اى فى المسجد النبوى للغربا الذين
قدموا للزيارة وليسوا من اهل المدينة المقيمين بها احب الى اى افضل عندى من التنفل فى البيوت
اى مساكنهم ومحل نزولهم وهذا مستثنى مما قاله الفقها واطلقوه ان الافضل فى الفرض الصلاة
فى المساجد والنافلة الافضل فيها ان تصلى فى المنازل ووجه المخالفة ان الصلاة فى مسجد
المدينه افضل من الصلاة فى غيره على ما ياتى وهذا مبنى على ان المضاعفة تختص
بمسجد المدينه وذهب بعضهم الى ان الصلاة فى المدينة مطلقا مضاعفة لا فرق بين فرضها

ونقلها ومسجدها وغيره فعلى هذا انا فلتها كغيرها الا ان الغريب يستحب له الاكثار من المكث
في مسجدها والزيارة والتبرك بمواطن عبادته فله شان يخصه وهو الظاهر فصل فيما يلزم
من دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من الادب الازم لمن حضر مجلسه في حياته سوى ما قدمنا
في الفصل الذي قبل هذا وفضله اى المسجد النبوى وفضل الصلاة فيه اى زيادة ثوابها على ثواب
غيرها وفي مسجد مكة وفضله وفضل الصلاة فيه وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكة
والمجاورة فيهما في بعض نسخ الشهاب ما لفظه لم يتكلم في الشفا على المجاورة الام ر الشارح اشار
الى ذلك فيما ياتي به قلت ولعل هذه زيارة فادخلها بعضهم في هذا الكل ظنا منه انها منه قال تعالى
لمسجد اسس على التقوى من اول يوم موضع اساسه فيه احق ان تقوم فيه للصلاة من غيره وقد اختلف
فيه كما سياتي روى عنه صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم وغيره ان النبي صلى الله عليه
وسلم سئل عن المراد به في هذه الاية اى مسجد هو فقال مسجدى هذا يعني به الذي هو داخل المدينة
وهو معروف وهو اى كونه المراد في الاية قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وبن عمر ومالك بن انس
وغيرهم من كبار الصحابة قيل كان ينبغي له تقديم بن عمر ثم زيد ثم ابن المسيب ثم مالك لكنه قدم
الاسن والترتيب في الذكر ليس بلازم وعن ابن عباس انه مسجد قبا الذي تقدم بيانه وهو
المراد في الاية عنده لانه صلى الله عليه وسلم اسسه وصلى فيه ايام اقامته من الاثنين
الى الاثنين وكلاهما مما اسسه على التقوى لان تاسيس مسجد قبا كان في ابتدا دخوله
صلى الله عليه وسلم دار الهجرة ثم انتقل منه واسس الاخر فالاولية ظاهرة فيه الا ان يجعل
شاملة للحقيقية والنسبية والمراد بالتقوى الاخلاص في رضا الله لا كمسجد الضرار وما ذكره
ابن عباس هو الذي ارتضاه المفسرون وهو الظاهر والاول ايضا روى عن كبار الصحابة
مسندا له صلى الله عليه وسلم وقد رواه مسلم واصحاب السنن ولذا قيل كان ينبغي
للمص ان يقول صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا روى بصيغة المجهول التي يغلب
استعمالها في الضعيف فكانه ايما منه الى ان الاقوى ما قاله ابن عباس وهو مشكل وغاية ما يقال
فيه ان الاولية اضافية باعتبار ما بنى بعد الهجرة ومسجد مكة فيشمل مسجد قبا ومسجد المدينة
والمراد اخراج مسجد الضرار ولا ينافيه ما بعده لانه اثنى على اهل المسجدين بزيادة الطاهرة وانما
فسره صلى الله عليه وسلم بمسجده لاجل قوله احق ان تقوم فيه لانه انما كان اكثر قيامه به فلو فسر
بمسجد قبا لكان صلى الله عليه وسلم تاركا للاحق ففسره بما يدل على دخوله مع مسجد قبا في الحكم
ونص على ما خرج عن منطوقه لانه هو المحتاج للبيان فاعرفه فانه دقيق جدا حدثنا هشام بن
احمد الفقيه هو احد شيوخ المص رحمه الله لقوله بقراءتي عليه قال حدثنا الحسين بن محمد الحافظ
هو الغساني وقد تقدم قال حدثنا ابو عمر هو ابن عبد البر كما تقدم النمري تقدم بيانه ايضا قال
حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن تقدم بيانه قال حدثنا ابو بكر بن داسة تقدم ايضا قال حدثنا
ابو داود صاحب السنن تقدم ايضا قال حدثنا مسدد تقدم قال حدثنا سفيان هو ابن
عيينة وقد تقدم عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة رضي الله عنه تراجمهم

تقدمت كلها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تشد الرحال لا نافيه وتشد مضارع
مجهول وهو خبر اريد به النهي وهو ابلغ في النهي لانه جعله كانه امر لا يقع في الخارج اخبر عنه لتحققه
والرحال بالحاء المهملة جمع رحل وهو للجمال كالسروج للخيل كما مر لا جمع راحلة كما توهم وهي البعير
ونحوه والمقصود منه المنع او نفي شدها كناية عن منع السفر اى لا ينبغي السفر وقطع المسافة
الا الى ثلاثة مساجد جمع مسجد وهو المكان المعد للعبادة واصله موضع السجود مسجد الحرام
بالحركات الثلاث وفي نسخة المسجد الحرام وهو مسجد مكة ويطلق على مكة نفسها وكلاهما
جائز هنا والاول من اضافة الموصوف للصفة اى المسجد الذي جعله محترما وهو مشهور
غني عن البيان ومسجدى هذا اى مسجد المدينة المعروف ومسجد الاقصى بالاضافة كالاول
وفي نسخة والمسجد الاقصى اى الابعد لانه ابعد من مكة بالنسبة المدينة وفيه كلام مشهور
ليس هذا محله واختلف في هذا النهي هل هو على ظاهره للتحريم كما ذهب اليه بعضهم والصحيح
انه مؤول اى لا تشد الرحال للنذر لعبادة الا فيها ولذا قالوا لو نذر الصلاة في غيرها لم تلزمه
فلا يكره له شد الرحال لبعض الاماكن المتبرك بها او لزيارة من فيها من الصالحين او لطلب العلم
بل قد يكون هذا واجبا عليه وقد تقدمت الاثار والاحاديث في الصلاة والسلام على النبي
صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد النبوى في الفصل الذي قبل هذا كما سمعته انفا
والاثار كل ما اثر اى روى فيشمل الحديث وغيره ويطلق على ما يقابله والفرق بين الحديث والخبر
والاثر مشهور في مصطلح الحديث ككتاب ابن الصلاح وغيره وعن عبد الله بن عمرو بن العاص
رضي الله عنهما في حديث رواه ابو داود باسناد جيد حسن كما في الاذكار للنووي ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان اذا دخل المسجد اى مسجده بالمدينة وتقدم ان هذا مستحب في كل مسجد قال
اعوذ بالله العظيم اى التجئ في اموري كلها وفي التوفيق للعبادة واخلاصها الى عظيم لا يخاف
من التجاء اليه وبوجهه الكريم الوجه معروف فاذا اضيف الى الله فالمراد به ذاته المكرمة
المبجلة وسلطانه القديم سلطانه بمعنى قهره وغلبته والقديم صفة سلطانه وذلك
ثابت له في الازل والقدم من الشيطان الرجيم المطرود عن رحمة الله وقربه واستعاذته منه
لئلا يصده عما نواه من العبادة ويشغله بوسوسته وتتمة الحديث فاذا قال ذلك قال
الشيطان حفظ مني ساير اليوم وقال مالك بن انس في حديث رواه البخاري والنسائي فيه
سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صوتا عاليا كالصياح في المسجد اى مسجد النبي صلى الله
عليه وسلم فدعا بصاحبه اى امر بمجيئه اليه فجئ له به وسقط هذا من بعض النسخ فالفا في قوله
فقال ممن انت فصيحة اى من اى قبيلة وطايفة من الناس قال من ثقيف قبيلة من العرب مشهورة
من هوازن قال عمر رضي الله عنه له لو كنت من اهل هاتين القريتين يعني مكة والمدينة لادبتك كما في
نسخة وفي اخرى لعلوتك بالدرة بكسر الدال وفتح الرا المهملتين المشددتين وهي سوط
عريض يضرب به وعلوتك بمعنى ضربتك وهو تعبير فصيح مشهور لانه يضرب على راسه واعالي
بدنه يقال علاه بالدرة وجلله وقنعه بالسيف وهذا ساقط من بعض النسخ فالجواب مقدر

كقوله تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال ونحوه واغا قال له هذا لان من كان من اهل الحرمين
وهما مهبط الوحي ومقر الدين لا يعذر بالجهل بالشرع واداب ثم بين له وجه ما قاله بقوله ان مسجدنا
يعني مسجد المدينة او الاعم منه لا يرفع فيه الصوت فعلى الاول يعلم غيره بالقياس وعلى الثاني
هو داخل نصا وهو الظاهر لانه ورد من الطرق الاخر ومساجدنا وذهب كثير من الفقها ان رفع
الصوت في المساجد مطلقا مكروه لحديث جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم ورفع اصواتكم
وخصوماتكم لانها متخذة للعبادة ولذا يكره النوم فيها لغير ضرورة الا انه قيل ان مرتكب المكروه
لا يعزر وكلام عمر رضي الله عنه يدل على انه لو كان من اهل القريتين عزره لانه لا يعذر بجهله
واجيب بانه علم منه عدم اكترائه بحضرته صلى الله عليه وسلم وهو حرام يودي الى الكفر
والعياذ بالله قلت ليس كما قاله بل لانه يمتنع رفع الصوت عنده صلى الله عليه وسلم لقوله
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اي عنده وهو في حياته كما تقدم الا ان قوله ان مسجدنا ياباه
فان قيل المراد بمسجدنا مسجده صلى الله عليه وسلم بخصوصه فالاضافة عهدية لم يرد عليه شيء
فاعرفه ويستثنى من هذا رفع الصوت باذان والاقامة وكذا التلبية كما صرحوا به على ما ياتي
قال محمد بن مسلمة بميمين مفتوحتين كما تقدم لا ينبغي لاحد ان يعتمد المسجد اي يقصده وفي نسخة
يتعمد برفع الصوت فيه يقال عمده واعتمده اذا قصده فان فعله لا عن عمد لجهل وغيره
جاز له ذلك وقوله ولا بشيء من الاذى هو كل مستقذر لان الطبع يتاذى به وان ينزه بالبنا
للمجهول اي يبعد عنه فيبعد هو عما يكره مجهول ايضا والمكروه المراد به ايضا المستقذرات
ولا ينبغي تحتمل الكراهة والحرمة وخلاف الاولى وقد صرح الفقها بمنع جعل النجاسة
والمستقذرات في المساجد حتى النخاعة والروايح الخبيثة كرايحة البصل والثوم الى غير
ذلك مما فصل في احكام المساجد وقد افرده بالتاليف الامام الزركشي فلا حاجة لذكره
هنا لانا لسنا بصدده قال القاضي ابو الفضل هو المص عياض رحمه الله حكى ذلك المذكور
كله القاضي اسماعيل بن اسحق ابن اسمعيل الازدي البصري العلامة الرحلة في ساير الفنون
والادب وكان بمنزلة معرفة بكتاب سيبويه حتى عُدّ من اقران المبرد حتى قيل لولا اشتغاله
بالقضا اندرس ذكر المبرد ومات سنة اثنين وثمانين ومايتين ببغداد فجاة في مبسوطه اسم
كتاب له كما تقدم في باب فضل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والعلما كلهم متفقون
على ان حكم ساير المساجد هذا الحكم لان المقصود منها واحد وشرفها كلها لكونها محلا لعبادة الله
تعالى فاذا تساوت في ذلك كان حكمها واحدا قال القاضي اسماعيل بن اسحق المتقدم وقال
محمد بن مسلمة المتقدم يكره في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم
صلاتهم اي يشوش عليهم والخلط مزج شيء بشيء من المايعات ونحوها بحيث لا يميز احدهما
عن الاخر كالدقيق والشعير بالبر فالمراد ان اصواتهم لشدة الجهر تلهيهم عن قراتهم وصلاتهم
فاستعير لذلك الخلط وليس كراهة رفع الصوت مما يخص به المساجد فيثبت كراهة رفع
الصوت رفع اسم ليس خبره الجار والمجرور قبله ويكره رفع الصوت بالتلبية اي قول الحاج

لبيك اللهم لبيك في مساجد الجماعات التي يجتمع فيها لصلاة الجمعة ونحوها الا المسجد الحرام
يعني مسجد مكة ومسجدنا يعني مسجد المدينة لان محمد ابن مسلمة كان من شكانها فرفع الصوت بالتلبية
مامور به لحديث افضل الحج العج والثج فالعج رفع الصوت والثج اراقة الدما ورفع الصوت مستحب
لغير المراة والخنثى وهذا مذهب مالك وخالفه غيره فجعله مستحبا في جميع المساجد وانما كرهه مالك
في المساجد لانها محل الخشوع وقال ابو هريرة رضي الله عنه في حديث رواه الشيخان عنه عليه
الصلاة والسلام صلاة في مسجدي هذا خير اي افضل واكثر ثوابا من الف صلاة فيما سواه
من جميع المساجد الا المسجد الحرام يعني مسجد مكة المشرفة وسمي حراما لحرمة القتال فيه وكذا الصيد
وقطع اشجاره وتتمة الحديث وصلاة في المسجد الحرام افضل من ماية صلاة في مسجدي هذا قال القاضي
ابو الفضل مصنف هذا الكتاب وهو عياض رحمه الله تعالى اختلف بالبنا للمجهول اي اختلف
العلما والفقها في معنى هذا الاستثنا يعني المراد بقوله الا المسجد الحرام واختلافهم فيه مبني على
اختلافهم في المفاضلة اي القول بايهما افضل من الاخر بين مكة والمدينة فذهب الامام مالك
في رواية اشهب ابن عبد العزيز ابو عمرو القيسي المصري تلميذ الامام مالك في روايته عنه اي
عن مالك وقال عبد الله بن نافع صاحبه اي صاحب الامام مالك الذي يروي عنه وجماعة
اصحابه اي اصحاب مالك الى ان معنى الحديث المذكور والاستثنا فيه لانه ان لم يكن خيرا من الف
صلاة فيما سواه احتمل ان تكون الصلاة في المسجد الحرام اكثر ثوابا من الصلاة في المسجد النبوي
وان الصلاة فيه تفضل صلاة المسجد الحرام باقل من الف او ان الصلاة في المسجد النبوي لا تفضله
بل تساويه والكل محتمل وهذه رواية اشهب عنه ورواية ابن وهب وبن مطرف وابن حبيب من اصحاب
مالك عنه موافقة للجمهور في تفضيل مكة على المدينة والاولون على ان معناه ان الصلاة في
مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم افضل من الصلاة في ساير المساجد اي باقيها بالف صلاة
الا المسجد الحرام وان الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم افضل من الصلاة فيه اي في
المسجد الحرام بدون الالف اي اقل منه وهو تاويل بعيد وممن استبعده من المالكية ابن عبد
البر رحمه الله وناهيك به لما ثبت في مسند احمد عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما انه صلى الله
عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام
وصلاة في المسجد الحرام افضل من ماية صلاة في مسجدي هذا او سيذكره المص قريبا وهو حديث
حسن كما ذكره البيهقي كيف لا وقد مدحه الله وامر بالحج اليه وفي الحديث ايضا انه صلى الله
عليه وسلم وقف على راحلته بمكة وهو يقول والله انك لخير ارض الله واحب ارض الله الى الله
ولولا اني اخرجت منك ما خرجت رواه الترمذي والنساي وقال انه حديث حسن واحتجوا
لما ذهبوا اليه من تفضيل المدينة بما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلاة في المسجد الحرام
خير من ماية صلاة فيما سواه اي غير مسجد المدينة لما علم مما تقدم فتاتي فضيلة مسجد الرسول
صلى الله عليه وسلم عليه اي على المسجد الحرام بتسعماية وعلى غيره بالف اي غيره من المساجد
ورد بان هذه الرواية شاذة والمحفوظ ما رواه سليمان بن عتيق عن ابن الزبير عن عمر رضي الله

عنهم بلفظ صلاة في المسجد الحرام افضل من الف صلاة فيما سواه الا مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فان فضله عليه بماية صلاة وقد روى من طرق وهذا اى ما ذكر من ان الصلاة في مسجد الرسول افضل من الصلاة في مسجد مكة بدون الالف مبنى على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه قريبا وهو اى تفضيلها عليها قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومالك في احدى الروايتين عنه واكثر المدنيين اى علمايها لقوله صلى الله عليه وسلم ما بين قبرى ومنبرى الخ ونحوه وذهب اهل مكة وعلما الكوفة الى تفضيل مكة على المدينة وهو قول ابن وهب وعطا وابن حبيب من اصحاب مالك في رواية عنه وحكاه الساجى بسين مهملة وجيم لنسبته الى ساج بلدة وهو ابو يحيى زكريا بن يحيى الضبى البصرى عن الشافعى رضى الله عنه لانه من ايمة الشافعيه توفى بالبصرة سنة سبع وثلثماية وله كتاب جليل في علل الحديث وكتاب في اختلاف الفقها وهو حجة وان ضعفه بعضهم وله ترجمة في الميزان وحملوا اى المفضلون لمكة الاستثنا في الحديث المتقدم على ظاهره من استثنايه واخراجه مما فضل عليه مسجد المدينة فلا يكون مفضلا عليه بل دونه لما عرفته فلا يرد انه يحتمل المساواة وهو على هذا مستثنى مما سواه لقربه واحتجوا لما قالوه بحديث عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم الذى اخرجه احمد وابن حبان بمثل حديث ابى هريرة رضى الله عنه وفيه اى في حديث ابن الزبير وصلاة في المسجد الحرام افضل من الصلاة في مسجدى هذا بماية صلاة وروى قتادة مثله اى مثل حديث ابن الزبير في افضلية مكة فياتى فضل الصلاة في المسجد الحرام على هذا الذى رواه ابن الزبير وقتادة على الصلاة في ساير المساجد بماية الف وفيما قاله شىء لانه كما قيل اسقط منه مضاف الى صلاة اى ماية الف صلاة وهو كذلك في رواية احمد وابن ماجه باسنادين صحيحين فلا يخفى ما فيه وحديث ابن الزبير هذا روى عنه ابو هريرة ونحوه عمر فاعرفه ولا خلاف بين العلما والمحدثين في ان موضع قبره اى الموضع الذى قبر فيه صلى الله عليه وضم جسده الشريف افضل من ساير بقاع الارض كلها بل هى افضل من السموات والعرش والكعبة كما نقله السبكى لشرفه صلى الله عليه وسلم وعلو قدره وقال القرافى في القواعد للتفضيل اسباب فقد يكون للذات كتفضيل العلم وقد يكون بكثرة العبادة او لما وقع فيه وقد يكون بالمجاورة كتفضيل جلد المصحف وقد يكون بالحلول كتفضيل قبره صلى الله عليه وسلم على البقاع فلا وجه لانكار ما في الشفا بان التفضيل انما هو بكثرة الثواب على الاعمال ولا عمل على القبر فانه ممنوع ويلزمه ان لا يكون جلد المصحف بل المصحف مفضلا والملازمة معلوم من الدين بالضرورة ووافقه السبكى رحمه الله فقال الاجماع على ان قبره صلى الله عليه وسلم افضل البقاع وهو مستثنى من تفضيل مكة على المدينة كما قيل جزم الجميع بان خير الارض ما قد حاط ذات المصطفى وحواها ونعم لقد صدقوا بساكنها علت كالنفس حين زكت زكى ماواها وقال ابن عبد السلام التفضيل يكون لامور غير العمل فقبره صلى الله عليه وسلم افضل الامكنة لتجلى الله له بما نزل عليه من الرحمة والرضوان والملايكة ولا حاجة الى ما قيل انه صلى الله عليه وسلم حى في قبره له اعمال فيه مضاعفة وان كان صحيحا ولو سلمنا ان المكان

لافضل له

246

لافضل له في ذاته كفى انه لاجل ما حل فيه وقول السروجى من الحنفية لم نجد من تعرض له في مذهبنا ليس بتوقيف فيه بل العدم وقوفه عليه ويكفى لفضله ما اشتهر من ان كل احد يدفن في التربة التى خلق منها قلت وفي هذا فضل لشيخيه وكفى بذلك شرفا لهما كما حرر حتى قال في عوارف المعارف روى عن ابن عباس ان اصل طينته صلى الله عليه وسلم من سرة الارض وهو موضع الكعبة بمكة فاول ما اجاب دره صلى الله عليه وسلم ومنها دحيت الارض فهو اصل التكوين والكاينات تبع له ولما تموج الطوفان اتى بطينته لمحل دفنه ففى الحقيقة لم يدفن الا في اصل الكعبة الذى خلق منه صلى الله عليه وسلم انتهى وهو غريب لا يعلم مثله الا بالنقل وهو ثقة ويؤيده ما جا في بعض الاثار ان لسليمان عليه الصلاة والسلام زار محل قبر نبينا واخبر انه سيقبر فيه وترك ثمار بعماية من احبار بنى اسرائيل ينتظرون بعثته وهجرته اليهم فلما جاهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وههنا بحث وهو ان البقعة التى ضمت الجسد العظيم اذا كانت افضل من ساير البقاع يلزم ان تكون المدينة افضل من مكة بلا نزاع لان المدينة هى تلك البقعة مع زيادة وزيادة الخير خير فكيف يتصور الخلاف بينهم على هذا بل نقول المدينة بعد هجرته صلى الله عليه وسلم اليها واقامته بها تفضل مكة حينيذ لان شرف المكان بالمكين فلا بد من تحرير الخلاف حتى يقام عليه الدليل وفي كلام شيخنا ابن قاسم مقتضى ما تقرر ان فضل البقعة التى ضمت اعضاءه عليه الصلاة والسلام ثابت قبل دفنه فيها بل وقبل موته بل وقبل هجرته نعم قد يقال تفضيلها على الكعبة والعرش والكرسى انما ثبت بعد دفنه فيها لشرفها به لا قبله لانها حينيذ ليس فيها الا انها جزء من الكعبة محمد فلا تزيد على بقية اجزايها الا ان يقال لاعدادها لدفنه صلى الله عليه وسلم فيها اقتضى مزيتها على جميع الاجزا قبل دفنه فيها ايضا وهل البقعة المذكورة افضل من منزل عليه الصلاة والسلام في الجنة او منزله فيها افضل كما يسبق الى الفهم وقد يقال هذه افضل ما دام فيها فاذا صار في الجنة صار منزله افضل وقد يقال يجوز ان تكون هذه منقولة من منزله في الجنة او ينقل اليها فلها حكمه فليتامل واعلم ان العز بن عبد السلام لما قال ان الازمنة والامكنة متساوية لا تفاضل فيها ظن بعضهم ان القبر الشريف لا يتصور تفضيله لذاته فان التفضيل للمكان انما هو بحسب فضل الاعمال الواقعة فيه ورد بان التفضيل له اسباب غير ذلك كما مر وفضل الاعمال في المدينة على اعمال مكة غير مسلم كما مر ولو سلم ففيها اعمال كثيرة ليست بغيرها كالحج والعمرة والمناسك فهى تزيد بذلك فان قال مالك في المدينة من الفضيلة ايضا ما ليس في غيرها كمجاورة رسول الله صلى الله عليه وظهور الاسلام ونحوه فالخلاف لفظى فتدبر قال القاضى ابو الوليد الباجى بموحدة وقد تقدمت ترجمته الذى يقتضيه الحديث المتقدم الذى في فضل مسجديهما مخالفة حكم مسجد مكة لساير المساجد حتى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم لانه ذكر فيه التفاضل بين الصلاة في المسجدين ولا يعلم منه اى من الحديث الذى استدلوا به حكمها اى حكم مكة في التفاضل مع المدينة اى بالقياس اليها بالتفاضل وايهما الفضلى وهو الذى ذكر الخلاف فيه

بين مالك وغيره وذهب الطحاوي هو الامام ابو جعفر احمد بن محمد الحنفي كما تقدم الى ان هذا التفضيل
المجمع اي تضعيف اجر الصلاة باحد المسجدين مسجد مكة او المدينة وضبطه بعضهم بالصاد
المهملة وقال انه المسموع عن المص في الاصول والظاهر الاول انما هو في صلاة الفرض وانه
وانه الذي يضاعف ثوابه وعممه بعضهم في الفرض والنفل وهو المختار واليه اشار بقوله
وذهب مطرف بضم الميم وفتح الطا وكسر الرا المهملتين المشددة وفا وهو ابو مصعب مطرف
عبد الله بن مطرف اليساري المدني بن اخت الامام مالك روى عنه البخاري وهو من جاز
القنطرة حتى روى عنه مالك وان كان من اتباعه في الفقه توفي سنة عشرين ومايتين وعمره
ثلاث وثمانون سنة من اصحابنا اي المالكية وقيد به احترازا عن مطرف بن عبد الله بن الشخير
البصري الزاهد توفي سنة خمس وتسعين كما في الحلية لابي نعيم الى ان ذلك اي مضاعفة ثواب
الصلاة في النافلة ايضا اي كالفرض لظاهر عموم الحديث وهو المختار عند الشافعية اذ لا داعي
للتخصيص بل شامل لساير العبادة بدلالة النص كما اشار اليه بقوله قال اي مطرف وقيل
الضمير للطحاوي وجمعة خير من جمعة اي ثواب جمعة فيه يزيد على جمعة في غيره ويحتمل ان جمع
جمعه مضاف لضمير المسجد والاول اولى ورمضان فيه خير من رمضان في غيره وهو منون
مصروف لتنكيره وقد ذكر عبد الرزاق بن همام الحافظ المحدث كما تقدم في تفضيل رمضان
بالمدينة وغيرها من البلاد حديثا نحوه اي مثل الحديث المذكور في فضل الصلاة وهو ما رواه
الطبراني وغيره عن بلال رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال صيام شهر رمضان
في المدينة كصيام الف شهر فيما سواها ثم رجع الى بيان فضايل المدينة فقال وقال صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه الشيخان ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة تقدم بعض
من الكلام عليه وان الروضة ارض في مكان مطمين ذات اشجار ومياه ومثله في معناه ولفظه
عن ابي هريرة رضي الله عنه وابي سعيد الخدري رضي الله عنه وزاد فيه ابو سعيد كما في الموطا
ومنبري على حوضي قيل انه تمثيل لان الذكر والعبادة عنده والايقاظ تورث الري من العطش
في هول القيامة وفي حديث اخر تقدم منبري على ترعة من ترع الجنة وتقدم بيانه وهو تمثيل
ايضا وتقدم تفسير الترعة قال الطبري محمد بن جرير لا الكيا كما قيل فيه معنيان اي وجهان
واحتمالان احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه الذي كان يسكنه وهذا مبني على الظاهر
المتبادر من لفظه مع انه ورد في بعض الروايات ما بينه ويعين المراد منه وهو ما بين حجرتي
ومنبري لان الحجرة بضم الحا محل السكنى على وجه الارض وقد فسرت بالغرفة فلم يبق احتمال
ارادة القبر لانه لا يطلق عليه حجرة والثاني ان البيت هنا اي في الحديث المذكور المراد به
القبر فانه يطلق عليه بيت مجازا لان معناه ما يبيت فيه الحي وقربه هنا انه صلى الله عليه
وسلم حي في قبره وهو قول زيد ابن اسلم الفقيه العمري كما تقدم في هذا الحديث وسنده به
كما روى ما بين قبري ومنبري فهذا يؤيده ووفق بين القولين بما قال الطبري واذا كان
قبره في بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن بينها خلاف بحسب المعنى لان قبره في حجرته

وهو بيته واخباره به صلى الله عليه وسلم قبل موته اخبار باحدى المغيبات الخمس فهو من معجزاته
وقوله في هذا الحديث ومنبري على حوضي في تفسيره اقوال منها ما قيل انه يحتمل ان منبره المعروف بعينه
الذي كان في الدنيا وهو الاظهر لتبادره من غير داع لتاويله فينتقل ويجعل ثمة كما ان الجذع الذي
كان صلى الله عليه وسلم يخطب عنده يغرس في الجنة كما مر وياتي والقول الثاني ان يكون له
هناك اي في المحشر عند الحوض منبر اخر يوضع له عند الحوض تكريما له صلى الله عليه وسلم
فيقوم عليه لدعوة الخلق لحوضه تكريما له ولامته والقول الثالث انه ليس على حقيقته بل من باب
ذكر السبب وارادة المسبب فالمراد ان قصد منبره والحضور عنده في الدنيا الازمة الاعمال
الصالحة متعلق بقصد او حضور او علة مقدمة لقوله تورد الحوض وتوجب الشرب منه لاعماله
الصالحة في الدنيا قال الباجي تقدم بيانه وقوله في الحديث روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين
وتفسيرين انه موجب لذلك اي مقتض له اقتضا محققا فكانه موجب له اي لدخول روضة
من رياض الجنة لمن دخله في الدنيا وان الدعا والصلاة فيه اي فيما بين المنبر والقبر يستحق صاحبها
ذلك من الثواب بيان لذلك او تعليل له ففيه تجوز كما قيل في حديث صحيح في الترغيب في الجهاد
والشهادة فيه الجنة ظلال السيوف كناية عن دنو المجاهد من الجنة حتى كانه اذا رفع سيفه
للضرب به او علاه سيف لمن يضربه وظهر ظله فالجنة تحت ذلك الظل وظلال السيوف كناية
عن القتال بها لجعله سببا لدخول من اظلته الجنة وهذا مراد القاضي هنا والثاني من معانيه
المحتملة ان تلك البقعة من بقاع المسجد التي بين القبر والمنبر قد ينقلها الله من الدنيا الى الاخرة فتكون
في الجنة بعينها فهو على حقيقته قاله الداوودي هو احمد بن نصر شارح البخاري وهو ابو جعفر الاسدي
اليشكري التلمساني توفي بتلمسان سنة اربعين واربع ماية وتلمسان بكسر التا واللام ويقال تلمسين
ويجوز تسكين لامها وفي نسخة الماوردي وقال ابن حجر ان معنى قول روضة الخ انه كروضة من رياض الجنة
في نزول الرحمة وحصول السعادة لمن يلازم حلق ذكرها لا سيما في عهده صلى الله عليه وسلم فهو
تشبيه بليغ ومعناه ان العبادة فيه تودي للجنة او هو على ظاهره بان ينقل من الدنيا للاخرة قال
والوجوه الثلاثة على ترتيبها في القوة فالوجه الاخير اضعفها وقال بعضهم انه اقواها لانه الاصل
في الحقيقة ولا يخفى ما فيه ثم قال ابن حجر والاظهر الجمع بين المعنيين يعني انها تنقل الى الجنة وتوديه
الى رياضها ويؤيده ويقويه ان الصلاة فيه بالف صلاة في غيره وان الجذع الذي كان صلى الله عليه وسلم
يخطب عنده يغرس في الجنة فهذا يقتضي ان البقعة تنقل اليها ايضا ولا يخفى ما بين اول كلامه واخره
من التدافع وقوله الجنة تحت ظلال السيوف حديث صحيح كما مر رواه الشيخان ايضا عن عبد الله
بن ابي اوفى واوله انه صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته انتظر حتى مالت الشمس ثم قام
في الناس خطيبا فقال يا ايها الناس لا تتمنوا لقا العدو وسلوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا
ان الجنة تحت ظلال السيوف اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا
عليهم وفي النهاية انه كناية عن الضرب والجهاد والدنو منه والظل والفي بمعنى وقد يقال الظل لما قبل
الزوال والفي لما بعده كما فصله اهل اللغة وقلت في قطعة قلت له لما رنا طرفه بناظر اهدى الينا الحتوف

اجنة من تحتنا هدابه ام جنة تحت ظلال السيوف وروى ابن عمر في حديث رواه وجماعة من الصحابة
رضي الله عنهم انه صلى الله عليه وسلم قال في حق المدينة والساكنين بها انه لا يصبر على لأوائها بفتح
اللام وسكون الهمزة وواو بعدها ممدود وشدتها عطف تفسير لان اللاواء هي الشدة والمشقة والضيق
وجات بمعنى القحط ورجح الاخير فيكون تاسيسا احد فاعل يصبر الا كنت عبر بالماضي لتحققه اي اكون
له شهيدا او شفيعا يوم القيمة قال المص والنووي وهنا ليست للشك من الراوي لانه رواه نحو
عشرة من الصحابة كذا ولا يظهر اتفاقهم على الشك فهو صلى الله عليه وسلم قاله هكذا او للتقسيم
اي شهيدا لبعض وشفيعا لبعض او شهيدا للمطيعين او لمن مات في حياته وشفيعا للعاصين
او لمن مات بعده وشهادته لهم بانهم ماتوا على خير وشفاعته لهم بتضعيف ثوابهم او تخفيف حسابهم
وغير ذلك وينبغي ان تكون هذه خصوصية زايدة لعموم شفاعته صلى الله عليه وسلم وشهادته
كما قال تعالى وجينا بك على هؤلاء شهيدا او ان او بمعنى الواو وقال بعضهم انها للشك وعليه فرواية
شهيدا اظهر ورواية شفيعا المراد بها شفاعة خاصة لهم بعلو درجاتهم وجعلهم في جواره
دنيا واخرة وفي الحديث دليل لمن استحب الجوار بالحرمين ومن كرهه لامر خاص ممن لا يراعي حقوقهما
لمضاعفة الاعمال ثمة وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان فيمن تحمل عن المدينة
اي رحل عنها وفارقها مختارا لسكنى غيرها عليها ومعنى تحمل رفع حمله وامتعته منها فكنى به
عما ذكر وفي نسخة يحتمل وهما بمعنى والمدينة خير لهم من غيرها من البلاد لو كانوا يعلمون فيه ايجاز اي
لو كانوا يعلمون فضلها ما اختاروا غيرها من البلاد ويحتمل ان لا يقدر شي والمعنى لو كانوا من ذوي
العلم والادراك وهو ابلغ في ادا المراد ولو شرطية او للتمني اي ليتهم علموا ذلك وهو من حديث طويل
معناه انه ستفتح بلاد اليمن والشام وياتي منها قوم يسوقون اهلهم ودوابهم ثم يترحلون عن المدينة
وهي خير لهم والحديث في البخاري وشروحه وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم باخباره بالمغيبات
لانها فتحت في زمن الخلفا واختاروا سكناها وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان
عن جابر رضي الله عنه انما المدينة كالكير بكسر الكاف وسكون المثناة التحتية وراء مهملة
وهو اله الحداد معروفة ينفخ بها النار لايقادها على الحديد والكور المبنا من طين ونحوه يوضع
عليه وقيل هما بمعنى واليا منقلبة عن الواو وهما من الكور وهو الزيادة وقيل الكير حانوت الحداد
وفي النهاية الكير المبني من الطين الذي يبنيه الحداد لاجل النار وقيل هو الزق والحصر فيه اضافي
وفي الصحاح خلافه ووجه الشبه انها تنفي خبثها بفتحتين واخره مثلثة نصب على المفعولية
اي تخرج ما خبث منها ولا تقبله كما ينفي الكير خبث الحديد لان ما فيه من الصدا والاجزا التي
ليست خالصة منه تطير عنه مع الشرر وتبقى خالصته فكذلك المدينة لا يخرج عنها ويختار
غيرها من غير ضرورة الا من خبثت طويته فهو لا يترك فيها من في قلبه غل وعدم صدق فتميزه
عن غيره كما يميز الحداد بكيره جيد الحديد من رديه وتنصع طيبها بكسر الطا وسكون المثناة التحتية
وموحدة وروى طيب بزنة سيد وهو مرفوع فاعل وتنصع بفتح اليا وسكون النون وفتح الصاد
المهملة وبعدها عين مهملة اي يخلص ويبقى خالصا فيها ما طاب كما يبقى من الحديد جيده ويذهب

رديه من النصوع وهو صفا البياض ومنه ابيض ناصع واكثر الرواة على تشديد يايه وان ينصع
بمثناة تحتية ورفع طيبها على الفاعلية حتى قيل وان التشديد متفق عليه وروى تنصع بمثناة فوقية
ونصب طيبها وفاعله ضمير المدينة وضبط القزاز طيبها بكسر اوله وستشكله بان النصوع لا يعرف
في الطيب والمعروف فيه يضوع بضاد معجمة وواو مشدده واغرب في الفايق فقاله بموحدة وضاد
معجمة من ابضع التاجر اعطى البضاعة اي يعطي طيبها من يسكنها وتبعه في النهاية وقال الصاغاني
انه خالف فيه جميع الرواة وكانه تصحيف وروى تنضح بضاد وخا معجمتين ففيه روايات مختلفة
اصحها انه بصاد وعين مهملتين بعد النون وقال المص في شرح مسلم الاظهر ان هذا مختص
بزمنه صلى الله عليه وسلم والهجرة واجبة لانه يصبر على الهجرة والاقامة بها الا من ثبت على ايمانه
لا المنافقون وجهلة الاعراب كما وقع للاعرابي الذي اصابه الوعك وقال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اقلني فقال هذا في حقه وقال النووي ليس هذا اظهر لما في صحيح مسلم لا تقوم الساعة
حتى تنفي المدينة شرارها يعني في زمن الدجال وان المدينة ترجف ثلاث رجفات فيخرج منها كل كافر
ومنافق ويحتمل ان يكون هذا في ازمنة متفرقة انتهى قلت ان اراد المص انه المراد بهذا الحديث
بقرينة سببه وقصة الاعرابي لا يرد عليه ما قاله النووي وروى عنه وفي نسخة وقال صلى الله عليه
وسلم كما في رواية مسلم عن جابر رضي الله عنه لا يخرج احد من المدينة رغبة عنها من غير داع له ولا ضرورة
الا ابدلها الله خيرا منه يقال رغب عنه اذا كرهه فالمنهي عنه ذلك فلا ينافي ان بعض الصحابة ارتحل
عنها كبلال ومعاذ وابي موسى الاشعري او هو مخصوص بزمنه صلى الله عليه وسلم اذ كانت الهجرة
لها واجبة وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال في حديث رواه البيهقي والدارقطني عن عايشة
رضي الله عنها بسند ضعيف من مات في احد الحرمين حرم مكة والمدينة حاجا او معتمرا اي قاصدا
الاحرام بحج او عمرة وهو حال من الفاعل بعثه الله يوم القيامة لا حساب عليه ولا عذاب وانما فسرناه
بقاصد الذلك لان الاحرام من المدينة لا يتصور الا لمن احرم من دويرة اهله او لقرب ميقاتها
والاحرام من الميقات افضل عند بعضهم وقيل انه بتقدير او زايرا واكتفي بما لاحد الحرمين بعلم
ما للغير وهو متجه ايضا وقوله لا حساب عليه ولا عذاب حال مقدرة او ماوله بمبشر ونحوه
وفي طرق اخرى في هذا الحديث للبيهقي والطبراني بعث اي احيي بعد موته من الامنين يوم القيمة
اي امنا من مناقشة الحساب والعذاب وعن ابن عمر رضي الله عنهما في حديث رواه ابن ماجه وابن
حبان والترمذي وصححه من استطاع ان يموت بالمدينة اي يقيم بها حتى يموت لان الموت ليس
بقدرته واختياره فليمت بها اي فليقم بها حتى ياتيه الموت كما سمعته انفا والامر للاستحباب
فاني اشفع لمن يموت بها شفاعة خاصة به كما مر لانه في جواره وحمايته وهو صلى الله عليه وسلم
اوصى بالجار وروى فانها تشفع على الاسناد المجازي فان قيل قد جا ما يعارض هذا وهو ما رواه
النساي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال مات رجل بالمدينة ممن ولد بها فصلى
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا ليته مات بغير مولده قالوا لم ذاك يا رسول الله
قال ان الرجل اذا مات بغير مولده يقاس له من مولده الى منقطع اثره في الجنة وذكره ابن طاهر في الصفوة

وبوب عليه ايثارهم الغربة عن الوطن فالجواب ان صح ذلك فلا معارضة بل الحديث خاص بمن لم يولد
بالمدينة وقد احسن المص بختم ما يتعلق بالمدينة مع ذكر الحرمين لذكره بعده ما يتعلق بمكة كما اشار
اليه في الترجمة وقوله وقال تعالى ان اول بيت وضع للناس الى قوله امنا شروع في بيان فضل
مكة ووضعه للناس جعله معبدا وقبلة لهم وبكة ومكة بمعنى عنه جماعة والباء تعاقب
الميم كثيرا وقيل بكة موضع الكعبة ومكة اسم البلد وقال اخرون مكة الحرم كله وبكة
المسجد خاصة حكاه الماوردى عن الزهرى وزيد ابن اسلم وبكة من بكه اذا دقه فهى تدق
اعناق الجبابرة اذا قصدوها بسوء او هو اشارة الى ازدحام الناس اذا طافوا وسئل
صلى الله عليه وسلم عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس فقيل كم
بينهما فقال اربعون سنة وهو حديث صحيح لكنه مشكل لان وضع المسجد فى زمن ابراهيم عليه
الصلاة والسلام ووضع بيت المقدس فى زمن داود وسليمان وبينهما زمان اطول من تلك
باضعاف مضاعفة واجيب بان داود عليه الصلاة والسلام لم يضعه وانما عمره كما
بيناه فى حواشى البيضاوى وتفسير الاية ظاهر تكفلت به التفاسير وبركته كثرة الخير فيه
ومضاعفة ثواب العمل فيه قال بعض المفسرين فى هذه الاية يعنى قوله ومن دخله كان امنا امنه
من النار وعذابها فى الاخرة اذا دخله مومنا به ووردانه يدخل الجنة بغير حساب وقيل المراد
بالامن امنه فى الدنيا وفى بعض النسخ بل اضراب عن التفسير الاول كان يامن من الطلب
من احدث حدثا اى فعل امرا يستحق به العقوبة كالقتل ولجا بالهمز بوزن ضرب بمعنى التجا
واعتصم من عدوه اليه اى الى المسجد الحرام بدخوله فيه هاربا فى الجاهلية هو زمن الفترة
بين عيسى ونبينا صلى الله عليهما وسلم سمى بها لكثرة الجهل فيه فكان الرجل اذا جنى جناية
ودخله لا يمسكه احد حتى يخرج وقال ابو حنيفة من لزمه القتل ودخل الحرم لا يتعرض له
ولكنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يعامل حتى يضطر للخروج منه وغيره يقول ان الحدود
تقام ويوخذ من دخله فارا والية اشار المص بقوله وهذا اى قوله من دخله كان امنا مثل
قوله تعالى واذ جعلنا البيت اى الكعبة وحرمها مثابة للناس اى ملجا ومرجعا من ثاب يثوب
اذا رجع ومثابة اسم مكان منه ومعناه ملجا لكل مطلوب يحميه ولا يليق تفسيره هنا بمرجع
الزيارة لانه يا باه سياق المص لقوله وامنا فى قول بعضهم اشارة الى ان فى الاية اقوالا
اخرمنها انه محل الثواب وحكى ان قوما اتوا سعدون الخولانى بخاء معجمة نسبة لخولان قبيلة
من اليمن مشهورة واسمه ابو القاسم بن احمد بن مالك وهو من اهل القيروان وعظما علمائها وسعدون
لقب له بصورة الجمع ومثله يجوز فيه الصرف وعدمه للعلمية وشبه العجمة وقول بعض
الشراح انه منصرف ولا وجه لما وقع فى بعض كتب الحديث من ضبطه غير منصرف غفلة
منه بالمنستير البا بمعنى فى والمنستير بميم ونون وسين مهملة ومثناة فوقية وراء مهملة
وهذا اللفظ رومى معناه عندهم خانقاه للرهبان على الطريق لينزل فيه ابناء السبيل
والذى سمعناه منهم فتح الميم والقمع سكون السين وكسر التاء الفوقية وياء تحتية

وقد

وقد يخفف بحذف الالف والياء وهذا مما لا شبهة فيه عندهم فقوله فى القاموس منستير بضم
وفتح النون موضع بافريقية معبد الزهاد والمنقطعين وبلد اخر بافريقية اهله من قريش بينه
وبين القيروان ستة مراحل وموضع بشرقى الاندلس انتهى مخالف لما صح سماعا فان ظنه عربيا
فهو خطا وان قال معرب وغيره كان عليه ان ينبه عليه وقال التلمسانى انه بضم الميم والنون
ويجوز كسر نونه والعامة تفتحها وعليه اقتصر الشمنى وهى بلدة بساحل البحر او حصن رباط بافريقية
له سور بناه هرثمة ابن اعين حين بعثه الرشيد لافريقية سنة تسع وسبعين ومائة وهو الذى بين سور
طرابلس المغرب فاعلموه ان كتامة بضم الكاف وفتح المثناة الفوقية والف وميم مخففة اسم لقبيلة
من البربر واصلهم فيما قيل من حمير قتلوا رجلا واضرموا عليه النار اى اوقدوها وقودا شديدا طول
الليل منصوب على الظرفية والطول بضم الطاء المهملة مصدر ان طال وطول الليل بمعنى الليل كله
والناس يستعملونه بهذا المعنى تسمحا وتجوزا ووجهه الطول ابعد الامتداد فيما شغله شغل
غيره بالطريق الاولى وقد سمع فى كلامهم كقول الوزير المهلبى قال الحمام والبين قد جد
وفى مهجتى لهيب الحريق ما الذى فى الطريق تصنع بعدى فلنا بكى عليك طول الطريق ثم استعمل
فيما لا طول له ولا عرض كقوله تعالى فذو دعاء عريض فلم تعمل فيه هو مجاز بمعنى لم تؤثر فيه وبقى ابيض
اللون لم يتغير لونه ولو حرق اسود لونه وفى نسخة ابيض البدن فقال لعله اى الرجل المقتول والفا
فصيحة اى وسيل عن وجهه فقال الحج ولعل هنا مجاز عن الظن اذ لا وجه للترجى هنا حج ثلاث حجج
بكسر الحاء بمعنى حجة وهى المرة من الحج قالوا نعم اى الامر كذلك فقال حدثت بالبناء للمجهول اى روى لى من سمعت
منه الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ان من حج حجة اى عزم ادى فرضه لانه فرض على كل احد ان يحج
فى عمره مرة لقوله تعالى ولله على الناس حج البيت الاية ومن حج ثانية بعد اداء الفرض فقد اقرض ربه اى فرضه
لقوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا والدين والقرض دفع شىء الى غيره ليرد مثله او بدله
قال الراغب قال ابو عبيدة يقال دنته اذا اقرضته فهو داين وذاك مدين ومديون وهو ما لم يكن
هذا الحج فرضا عليه كانه اعطاه هنا لله قرضا يرد عليه ثوابه الذى هو كبدل القرض فهو استعارة
ومن حج دان بمعنى اطاع وعبد لم يصب وفى نسخة داين مفاعلة منه وهما بمعنى وتمام الحديث
فينادى غدا ملك من عند الله من كان له عند الله دين فليقم ومن حج ثلاث حرم الله شعره وبشره
اى ظاهر جلده وبدنه على النار اى لم يعذب ولم يدخله نار جهنم وفيه كناية بليغة وقوله فينادى
الخ سقط من بعض النسخ والمراد بقوله غدا يوم القيامة واصل معناه اليوم الذى قبل يومك فتجوز
اى القربة وهذا الحديث لا يعرف من رواه ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة لما
هاجر او فى حجة الوداع او يوم الفتح كما رواه الطبرانى فى الاوسط عن جابر رضى الله عنه قال
مرحبا بك بفتح الكاف وكسرها اصله دعاء للقادم بالرحب والسعة اريد به هنا اظهار
محبته لها والفرح بمرتبتها من بيت بيان للمدعو له ما اعظمك عند الله وعند الخلق واعظم حرمتك
اى احترامك وشرفك وهو تعجب اريد به المبالغة فى عظمته وتعظيمه وفى الحديث عنه صلى الله
عليه وسلم ما من احد يدعو الله عند الركن الاسود المراد به الركن الذى فيه الحجر الاسود وهو

معروف الا استجاب الله له اى قبله واعطاه ما دعا به او خيرا منه والحجر الاسود لما نزل من الجنة
كان اشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بنى ادم وابقى سواده ليكون عبرة والكلام عليه مبسوط
فى تاريخ مكة وكذلك يستجاب الدعا عند الميزاب والملتزم والصفا والمروة وغيرها من المواطن التى
جاء فى الحديث الصحيح استجابة الدعا عندها والميزاب هو المسمى الان ميزاب الرحمة وهو مسيل
ما السطح وهو معروف من جانب الحجر وفى كتاب العلل لابن فارس الميزاب مهموز واصحابنا يقولون
ليس فيه همز لانه من وزب يزب انتهى ووزب بمعنى سال ويقال انه فارسى معرب معناه بل الما واطال
التلمسانى هنا بذكر مساحة البيت والحرم وغيره مما ليس هذا محله وعنه اى روى عنه صلى الله
عليه وسلم والراوى هو الحسن البصرى فى رسالته الى اهل مكة من صلى خلف المقام اى مقام
ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام المعروف الذى قام عليه لما بنى الكعبة ركعتين نافلة
غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وحشر يوم القيامة من الامنين من العذاب وهول المحشر والمغفور
الصغاير والكباير وقيل الصغاير فقط والمقام معروف فى موضعه الذى كان فيه قديما وتفصيله
فى تاريخ مكة قرات على القاضى الحافظ ابو على هو بن سكرة كما تقدم قلت حدثك ابو العباس العذرى
قد تقدمت ترجمته وهذا طريق من طرق الرواية يقولها التلميذ لشيخه ويصدقه عليه قال حدثنا
ابو اسامة محمد بن احمد الهروى قال حدثنا الحسن بن رشيق عبد الغنى بن سعيد العسكرى الحافظ
العالى السند وترجمته فى الميزان بطولها سمعت ابا الحسن محمد بن الحسن بن راشد فى الميزان محمد بن
الحسن بن على بن راشد الانصارى وفيه كلام سمعت ابا بكر محمد بن ادريس ذكر كنيته وقدمها ليلا
يلتبس بمحمد بن ادريس الشافعى رضى الله عنه فان كنيته ابو عبد الله لا ابو بكر وهو محمد بن ادريس
بن عمر وهو من اهل مكة سمعت الحميدى بالتصغير وهو عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبد الله القرشى
الاسدى المكى صاحب الشافعى ورفيقه فى رحلته لمصر وهو شيخ البخارى وهو لاهل الحجاز كا
حمد بن حنبل لاهل العراق وهو نسبة لحميد بطن من اسد بن عبد العزى وقيل نسب للحميدات وهى
قبيلة توفى سنة تسع عشرة او عشرين ومايتين قال سمعت سفيان بن عيينه تقدم بيانه قال
سمعت عمرو بن دينار تقدمت ترجمته قال سمعت بن عباس رضى الله عنهما يقول سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ما دعى احد بشىء فى هذا الملتزم الا استجيب له بزنة اسم المفعول
من الترمة اذا امسكه سمى به لالتصاق الناس فى الدعا عنده وهو ما بين باب الكعبة والحجر
الاسود وقدره عشرة اشبارا واربعة اذرع وتسميته بهذا قديمة وردت فى الحديث
ويسمى المدعى والمتعوذ بفتح الواو المشددة وهو احد المواضع التى ورد استجابة الدعا فيها
وقد جرب كذلك قال بن عباس رضى الله عنهما وانا فما دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا
الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا استجيب لى الى اخر الحديث وهو ظاهر غير محتاج
للشرح الا كلمات يسيرة فيه والنا فى قوله فما دعوت الله بشى الخ اما زايدة بناء على انه يجوز
زيادتها فى الخبر مطلقا والمشهور زيادتها فى الخبر اذا تضمن المبتدا معنى الشرط نحو وما بكم
من نعمة فمن الله وبعضهم قيد زيادتها بكون الخبر امرا او نهيا كقوله وقايلة خولان فانكح

فناتهم

فناتهم واما عاطفة على مقدر تقديره وانا جربت ذلك فما دعوت الخ واما جواب شرط مقدر اى
ان سالت عما عندى فيه فما الخ وقوله منذ فى الجميع روى مذ بدون نون ومنذ بضم اوله وكسره
معناه اشهر ان يذكر وقال عمرو بن دينار رحمه الله الراوى عن ابن عباس وانا فما دعوت الله بشىء
فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس الا استجيب لى وقال سفيان المتقدم ذكره وانا
فما دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو بن دينار الا استجيب لى وقال محمد بن
ادريس المكنى بابى بكر وانا فما دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدى الا
استجيب لى وقال ابو الحسن محمد بن الحسن وانا فما دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا
من محمد بن ادريس المتقدم الا استجيب لى وهذا الحديث مسلسل بالسماع رواه البيهقى وسعيد بن
منصور وغيرهما من طرق بكلنوها وقال ابو اسامه وما اذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيا اى
لم يحفظ عنه انه قال كغيره وانا فما دعوت الله بشىء الا استجيب لى والتسلسل قد يكون يقطع
بعض منه فى اوله او اخره او وسطه فلا يضر التسلسل مع ان هذا ليس بقطع فى الواقع والاحاديث
المسلسلة صحتها قليلة وتقدم ان التسلسل يقع بامور متغايرة من الاقوال والافعال والازمنة
كما فصل فى مصطلح الحديث وانا فما دعوت الله بشى فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن
رشيق الا استجيب لى من امر الدنيا وانا ارجوا ان يستجاب لى من امر الاخرة قال العذرى وانا فما دعوت الله
بشى فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابى اسامة الا استجيب لى قال ابو على وانا قد دعوت الله
فيه باشيا كثيرة استجيب لى بعضها وارجو من سعة فضله ان يستجيب لى بقيتها اى ارجو ذلك
لزيادة كرمه وسعه بفتح السين وكسرها بمعنى الوسع بمعنى قال القاضى ابو الفضل عياض مصنف
هذا الكتاب رحمه الله ذكرنا نبذا بفتح النون وسكون الموحدة وذال معجمة اى شيا قليلا
واصل معناه الطرح والرمى كانه لقلته مما يطرح ويجوز ضم اوله وفتح ثانيه على انه جمع نبذه
كما من هذه النكت جمع نكتة وتقدم بيانها فى هذا الفصل الذى نحن فيه وان لم تكن من الباب
اى من المعانى التى عقد لها الباب فانه معقود للصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه
فذكر فضايل مكة وحرمها ليست منه بل من موضوع كتابه لتعلقها اى مناسبتها بالفصل
الذى قبله من ذكر مسجده صلى الله عليه وسلم وما يتعلق به هل صا على تمام الفايدة بافادة
امور مهمة يرغب فيها والشى بالشىء يذكر والله الموفق للصواب برحمته اى بفضله وانعامه
لا بكدنا وكسبنا القسم الثالث من هذا الكتاب فيما يجب للنبى صلى الله
عليه وسلم المراد به الوجوب الشرعى والعقلى لقوله وما يستحيل فى حقه اى يعد كالمحال عقلا
لانه لا يليق بجنابه العظيم او عادة واصل معنى الاستحالة التغير من حالة الى اخرى ومنه تحال
الخمر خلا او يجوز عليه مما لا يخل بتشريف مقامه وما يمتنع فى حقه شرعا او عادة وعقلا او يصح
وصفه به واطلاقه عليه كما سياتى من الاحوال البشرية التى تطرو عليه باعتبار انه وهو بيان
لما ان يضاف اليه اى ينسب اليه والاضافة بمعناها اللغوى لا النحوى ثم صدر الكلام
باية دالة على ما سياتى اجمالا فقال الله تعالى فى حقه صلى الله عليه وسلم وما محمد الا رسول

قد خلت من قبله الرسل افاين مات او قتل الاية فهذا بيان لما يجوز عليه ويصح من الاحوال
البشرية كالموت والقتل كما ان الرسل قبله منهم من مات ومنهم من قتل والقصر فيها قصر
افراد اى ليس محمد حتى يستبعد موته او قتله وهذا كما وقع باحد لما نادى ابليس لعنه الله ان
محمدا قد قتل فقال ناس من المنافقين ارجعوا الى دينكم فان محمدا لو كان نبيا ما قتل وقال
المومنون ان كان محمد مات فرب محمد لا يموت فما نصنع بالحياة فقاتلوا على ما قاتل عليه وكما
وقع لبعض الصحابة رضى الله عنهم لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم ذهلوا
من عظم المصيبة فخطبهم ابو بكر رضى الله عنه وتلى هذه الاية كما مر والقصة مشهورة
وقوله افاين الخ انكار توبيخى لما توهم خلافه والانقلاب على العقب كناية عن الرجوع
عما كانوا عليه من الدين وقال الله تعالى ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله
الرسل وامه صديقة الاية اى ليس المسيح الا رسول كغيره من الرسل له ايات ومعجزات
مثلهم وليس باله كما زعمت النصارى وامه صديقة اى صادقة فى اقوالها وافعالها
او مصدقة للرسل وهذا غاية امرها دون ما يزعمون فيه ولذا اتى باثبات صفات بشرية
تنافى الالوهية من الاكل ونحوه ولذا قال تعالى انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر انى يوفكون
وقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون فى الاسواق
فهو كغيره من البشر يصح له ما صح لهم وقال قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى الاية فلا يزيد على البشر
الا بما خصه الله من الوحى والرسالة والتوحيد فهذا تمييز عنهم ولذا قال محمد صلى الله عليه
وسلم وساير الانبيا اى باقيهم فهو من عطف المتغايرين لا من عطف العام على الخاص كما توهم
وانما يكون كذلك لو ضمن بجميع كما تقدم من البشر اى من جنسهم تميزوا عنهم بانهم ارسلوا الى
البشر لتبليغ ما امرهم الله به ووضع فيه الظاهر موضع الضمير ولولا ذلك اى كونهم
من جنس البشر بان كانوا ملايكة لما اطاق الناس مقاومتهم اى مقابلتهم فى الامور الدنيوية
اى ما بلغوهم عن الله مما ارسلوا به ومخاطبتهم حتى بلغوهم عن الله ثم اثبت هذا بقوله
ولو جعلناه اى النبى صلى الله عليه وسلم المرسل اليهم ملكا اى قدرنا ارسال الملك للبشر
من غير جنسهم كما اقترحوه لجعلناه رجلا اى لما كان الا فى صورة البشر تفسير لجعله رجلا
واشارة الى انه بحسب الصورة لان الملك متصور باى صورة اراد ثم بين وجهه بقوله
الذين يمكنكم بحسب الطاقة البشرية مخالطتهم اى معاشرتهم والاختلاط معهم وفى نسخة
مخاطبتهم وفى اخرى مخاللتهم اى اتخاذهم اخلاء وهى متقاربة معنى اذ لا يطيقون مقاومة
الملك ومخاطبته ورويته اذا كان على صورته الاصلية التى خلق عليها ابتداء وقال الله تعالى
قل لو كان فى الارض ملايكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا هذا جواب
عن شبهة المشركين وقولهم بعد مشاهدة الايات التى القمتهم الحجر فقالوا لم لم يرسل
الله ملكا يبلغ اوامره ونواهيه فقال الله لرسوله قل لهم جوابا عن شبهتهم الواهية
انما يرسل الله الملايكة لو كان اهل الارض ملايكة من جنسهم كما قال المص اى لا يمكن

في سنة الله

فى سنة الله اى طريقته وعادته المستمرة ارسال الملك الا لمن هو من جنسه حتى يمكنه مخاطبته
وتلقيه عنه ولما نافى هذا الحصر ارسال الرسل من الملايكة الى الانبيا بين وجهه بقوله او من خصه الله
معطوف على من هو من جنسه اى خصه بنفس قدسية ملكية واصطفاه اى اختاره من نوع البشر
لتلقى وحيه من الملك وقواه على مقاومته اى مقاومة الملك ومخالطته لمناسبة تامة بينه
وبين الملك باستعداده حتى يكون واسطة بينه وبين الناس كالانبيا والرسل صلوات الله
وسلامه عليهم اجمعين فانهم خلقهم الله بابدان بشرية وارواح ملكية فكانوا دون غيرهم
مستعدين لمقاومة الملك ومخالطته ومخاطبته ثم فصل هذا فقال فالانبياء والرسل صلوات الله
وسلامه عليهم اجمعين وسايط بين الله وبين خلقه وتوسطهم لامرهم انهم يبلغونهم عن الله
اوامره ونواهيه اى كل امر ونهى لهم وفى كتب الاصول تبعا للصحاح ان الامر بمعنى القول المخصوص
يجمع على اوامر وبمعنى الفعل والشان يجمع على امور ولم يوافقهم عليه احد من النحاة واهل اللغة
فان فعلا لا يجمع على فواعل ونقل ابن هشام فى تذكرته انه صحح بوجهين احدهما انه جمع امر اسم فاعل
لما لا يعقل وسمى القول امرا مجازيا وكلامهم لا يدل عليه والثانى انه جمع امرة مصدر كالعاقبة اى
صيغة امرة للامر بها وقد نقله ابن سيده وقيل انه جمع الجمع فجمع امر على أمر كاكلب ثم جمع على اوامر كا
كالب فهو فواعل او افاعل وقال الاصفهانى فى شرح المحصول ان هذا التوجيه لا يتم فى النواهى وكونه
جمع ناهية مجاز انكلف وكذا كونه مشاكلة للاوامر فانه استعمل مفردا انتهى وقد تقدم ايضا ذكرنا
لهذا ووعده ووعيده الوعد يستعمل فى الخير والوعيد فى الشر كما فصلوه فى محله ويعرفونهم
ما لم يعلموه من امره هو الفعل والشان كاحد الامور كما راى قوله وافعاله فيما سبق قضاوه فى كل شىء
وقيل يجوز ان يراد بالامر هنا عالم الامر بقرينة قوله وخلقه وعالم ما ابدعه الله من غير مادة وتولد
من اصل بمجرد كن وعالم الخلق مقابله قال تعالى الا له الخلق والامر وعلى الاول الخلق بمعنى الايجاد وجلاله
اصل معناه العظمة وهى فى صفاته تعالى كما يقتضيه كلام الغزالى والقشيرى الصفات
الثبوتية وكلام غيرهما يقتضى انه من الصفات السلبية او ما يعمهما وقال الغزالى فى معنى ذى الجلال
والاكرام ان الجلال كماله فى ذاته والاكرام ما كان منه لغيره وسلطانه اى قهره وغلبته وحجته
الباهرة او ملكه اى انهم يبينون للناس ذلك وجبروته وملكه التاقيه زايده اى كونه جبارا
قهارا ومالك الملك الذى لا راد لقضايه ولا معقب لحكمه ثم فصل هذا بقوله فظواهرهم
اى ما يظهر من حال انبيا الله ورسله وصفاتهم واجسادهم اى ذواتهم الظاهرة المشاهدة
وبنيتهم بكسر البا اى هيية تركيب ابدانهم التى خلقهم الله عليها لانه بناه الله وهو فى الاصل
مصدر ثم اطلق على الهيكل المخصوص والبدن المحسوس متصفة باوصاف البشر من الخلق والتركيب
ونحوه طارية بهمته فى اخره وابدالها يا اى حادث متجدد عليها ما يطرا على البشر لان الاجسام كلها
متساوية فى قبول ذلك من الاعراض جمع عرض والمراد به مطلق الالام او ما يكون فادا منها
ويقابله عند الاطبا الامراض والاسقام جمع سقم وسقم كحزن وحزن والموت والفنا الموت
ضد الحياة واختلف فيه هل هو عدمى او وجودى كما بين فى محله ويطلق مجازا على النوم والجهل كما فى قوله

ذو الجهل ميت وثوبه كفنه   واما الفنا فهو تفرق الاعضا وتفتتها حتى تضمحل وهذا لا يكون
في الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان الله حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبيا كما في الحديث
المتقدم ولذا قيل انه كان ينبغي للمص ان يبدل قوله الشابت متصفة بقوله قابلة وقد يقال المراد
بالفنا هنا كبر السن والهرم ومنه الشيخ الفاني الا ان قرنا انه بالموت يبعده ونعوت الانسانية
جمع نعت وفسره النحاة واللغويون بالوصف مطلقا فهما مترادفان ومنهم من فرق بينهما فقيل انه
لا يطلق على الله ولم يبين وجهه فقيل لانه ما يصيب ويطرا من العوادي وهذه قضية مطلقة
فلا تقتضي ان الانبياء لا يصيبهم بعض الامراض المنفرة وهي ما يفسخ بها النكاح كالبرص والجذام
والعمى واما ما اصاب ايوب ويعقوب عليهما الصلاة والسلام فلم يكن من ذلك ويعقوب انما ضعف
بصره وقيل ان بعضها يطرو عليهم بعد استقرار النبوة فيهم وانما يمتنع عند ابتدا الدعوة والحق
انها لا تطرو عليهم اصلا وارواحهم وبواطنهم كالقلب والدماغ وما لا يدرك بالحواس الظاهرة
والباطن خلاف الظاهر متصفة باعلى من اوصاف البشر اي باوصاف اعلا منها من الفضايل الروحانية
والتبري من العلايق الجسمانية كحب المال والتنعم بالماكل والمشارب فارواحهم وبواطنهم متعلقة
بالملا الاعلى هو كالرفيق الاعلى الملايكة العلوية وتعلقها به اتصالها قال الراغب الملا جماعة تملو العيون
رواء والقلوب جلالة وبهاء متشبهة بصفات الملايكة في القوة والتجرد من العلايق الدنيوية وترك
الشهوات والانهماك ولا يفعلون الا ما يومرون غالبا سليمة من التغير اي تبدل احوالهم
الصالحة بغيرها والافات وهي النقايص لا يلحقها اي لا يطرو على ارواحهم وبواطنهم غالبا
عجز البشرية كالجبن والخوف المفرط المانع من تحصيل المهمات وقال غالبا لانهم قد يلحقهم شي منه
كما في قوله فاوجس في نفسه خيفة ولا ضعف الانسانية فانه لا يلحقهم وان كان الانسان خلق
ضعيفا الا انه قد يعرض لهم شي من ذلك بحسب الجبلة البشرية ولا يخرجهم عن كمال القوة والهمة
اذ لو كانت بواطنهم اي امورهم الباطنة وهو شامل لارواحهم هنا خالصة للبشرية كظواهرهم
وظواهر غيرهم وبواطنهم لما اطاقوا الاخذ اي قدروا على تلقي الوحي عن الملايكة برويتهم ومخاطبتهم
اي مكالمتهم ومخالتهم بضم الميم وفتح الخا المعجمة والف ولام مشددة مفاعلة من الخلة بالضم
وهي المحادثة خليلا وصديقا وقد تقدم معناه والفرق بينه وبين المحبة ويجوز مخاللتهم بفك
الادغام كما مر والاول افصح كما لا يطيقه اي وما بعده غيرهم اي غير الانبياء من البشر لضعف
ارواحهم وبواطنهم ولو كانت اجسامهم اي الانبيا وفي نسخة اجسادهم وظواهرهم متسمة اي
موصوفة مستعار من السمة وهي العلامة والوسم بمعنى الكي بنعوت الملايكة اي صفاتهم الذاتية
وهياتها الحقيقية وبخلاف صفات البشر بما خلقت عليه الملايكة وصورهم التي صوروا عليها
عظما ونورانية لما اطاق البشر غير الانبياء ومن ارسلوا اي الانبيا اليهم من اممهم مخاطبتهم
ورويتهم ومخالطتهم تقدم من قول الله تعالى يعني قوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا
وهو يدل على انهم لا يطيقون روية الملك على خلقته الاصلية بخلاف ما لو تمثل بصورة البشر
فانه يمكن البشر رويته كما كان ياتي بصورة دحية وتراه الصحابة رضي الله عنهم وكما كان يتمثل لمريم

فما قيل

ثم ما قيل من ان هذا لا يتم ان لو كان رويتهم ومخالطتهم وهم على خلقتهم والوارد في القران والحديث
خلافه وقد راهم بعض الصالحين واصحاب الرياضة خلط وخبط ناش من عدم الفهم فجعلوا اي
الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين من جهة الاجسام والظواهر مع البشر اي موافقين
لهم في صورتها ومن جهة الارواح والبواطن مع الملايكة اي متصفين بصفاتهم والمراد بالمعية
المشاكلة في الروحانية والقوى الباطنية حتى اطاقوا رويتهم ومخالطتهم ومخالتهم كما قال صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه البخاري وغيره يشهد لمخالته للملايكة لو كنت متخذا من امتي خليلا
لاتخذت ابا بكر خليلا فانه اقرب الناس اليه واصدقهم محبة له واعظمهم مواساة له بماله
ونفسه واسبق الناس لاتباعه له فاذا لم تتخذه خليلا لم تتخذ احدا غيره وهذا دليل على انه صلى الله
عليه وسلم لم يكن مع البشر بباطنه فهو لا يعتمد على غير الله ولا يحتاج لاحد سواه ثم استدرك
على ما يتوهم من نفي خلة ابي بكر من انه لا مناسبة بينه وبينه فقال ولكن بيني وبين ابي بكر اخوة الاسلام
اي ان لم يكن خليلي فهو اخي في الله وفي دين الاسلام لاشتراكه معي في محبة الله وطاعته واتباع
دينه والاخلاص فيه والاخوة بضم الهمزة مصدر اي كونه اخا لي ويقال خوة بضم الخا وحذف
الهمزة وهي لغة قليلة فيه والحاصل ان بواطنهم وقواهم الروحانية ملكية ولذا ترى مشارق
الارض ومغاربها وتسمع اطيط السما وتشم رايحة جبرايل عليه الصلاة والسلام اذا اراد
النزول اليهم كما شم يعقوب عليه الصلوة والسلام رايحة يوسف صلى الله عليه وسلم
ولذا عرج به صلى الله عليه وسلم الى السماء ولما نفى الخلة عن ابي بكر رضي الله عنه استدرك
توهم ثبوتها لغيره من الناس فقال لكن صاحبكم خليل الرحمن وقال صاحبكم ولم يقل ولكني وهو
اخصر واظهر اشارة الى ان مناسبته لهم بحسب الظاهر وانه بين اظهرهم لا بحسب الحقيقة وقال خليل
الرحمن دون خليل الله اشارة الى ان خلته الله برحمته وتخلقه بصفة الرحمة فليس خليله الا الله
لان الخلة تخلل المحبة في باطنه وباطنه مشغول بمحبة الله عما سواه وهذا لا ينافي ما ورد في حديث
اخر لم يكن نبي الا وقد اتخذ من امته خليلا الا ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا لان النفي
للخلة الحقيقية المقتضية لاعتماده عليه ظاهرا وباطنا والمثبتة الخلة بحسب الظاهر بحيث
يكون وزيره ووكيله في امور الدنيا وايضا خليل فعيل بمعنى فاعل ومفعول وابو بكر رضي الله
عنه خليله بمعنى الفاعل وليس مخاللا له بمعنى المفعول وانه كان خليله اولا ثم تمحضت خلته
بعد ذلك لله عند ما قربت رحلته للقاء ربه فان اول الحديث كما في البخاري عن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال ان الله عز وجل خير عبدا
بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله فبكى ابو بكر رضي الله عنه فعجبنا لبكايه
من اخبار عن عبد خير فكان أعلمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من امن الناس علي في صحبته
وماله ابو بكر ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام ومودته لا يبقين
في المسجد باب الا سد الا باب ابي بكر وهو نص منه صلى الله عليه وسلم على خلافته كما يعرفه من له
بصيرة وكما قال صلى الله عليه وسلم فيما يدل على ان باطنه ملكي وظاهره بشري تنام عيناي

بتغميض الاجفان والنوم ظاهرا ولا ينام قلبي لبقا احساسه وتعلقه بالملا الاعلا وكذا سائر الانبياء
تنام اعينهم دون قلوبهم كما ورد مصرحا به في حديث البخاري فليس ذلك من خواصه صلى الله عليه
وسلم كما توهمه القضاعي ومن تبعه هنا وهذا دليل على ان ظاهره صلى الله عليه وسلم بشري
وباطنه ملكي ولذا قالوا ان نومه صلى الله عليه وسلم لا ينقض وضوءه كما صرحوا به ولا يقاس عليه
غيره من الامة كما توهم وتوضيه صلى الله عليه وسلم بعد نومه استحبابا او تعليما لغيره او لعروض
ما يقتضيه وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان في النهي عن الوصال في الصوم
مع فعله صلى الله عليه وسلم له اني لست كهيئتكم اي لست في حالي وامري مثلكم فان الخواص
خصني الله بها اكراما منه واصل معنى الهيئة الصورة الظاهرة تجوز بها عن الكيفيات النفسانية
بتنزيل المعقول منزلة المحسوس ثم بين ذلك بقوله اني اظل نهاري اي اكون عند ربي حضورا لربا شارة
الى تربيته له باعطايه ما يقويه فلذا وقع موقعه هنا ولم يقل عند الله ونحوه يطعمني ويسقيني
اي يهبني قوة على ذلك حتى اكون كاني اكلت وشربت وليس المراد انه يطعمه ويسقيه حقيقة وطعام
الجنة وشرابها لا ينافي كما قيل لانه ينافي الغرض المقصود منه من اختصاصه بامر ليس لغيره مع
ان قوله اظل يابا ه بحسب الظاهر وان امكنه التجوز فيه لان ظل حقيقته فعل نهارا ولو كان كذلك
لم يكن صايما وكون طعام الجنة لا يفطر لم يقل به احد وهذه القوة تدل على انه صلى الله عليه وسلم
ملكي الباطن وقول ابن حبان وغيره اذا اعطاه الله قوة الصوم من غير جوع لم يكن فيه عظيم
اجر فهو لا يناسبه وقوله انه يدل على ان ما روي من انه صلى الله عليه وسلم كان يجوع حتى يشد
الحجر على بطنه لا يصح وانما هو الحجز بزاي معجمة وشد الحجر لا معنى له في ذهاب الجوع غير ظاهر لان جوعه
صلى الله عليه وسلم وشكواه منه وخروجه لاصحابه وسوالهم له فاخبرهم فشكوا له مما اشتكاه
وشد الحجارة على بطونهم امر ثابت في الاحاديث لا وجه لانكاره وشد الحجر يخفف الم الجوع ببرده
واقامة صلبه ومنع امعاه من الارتخا ولا ينافي هذا انه يطعمه ربه لاختلاف الحالتين فان في الصوم
رياضته وانجذاب للملا الاعلا واشتغال الروح عن البدن يمنع الجوع الا ترى المريض يمكث
اياما لا ياكل ولا يضره وقد بين وجهه الشيخ في اخر كتاب الاشارات فهذه القوة ملكية
روحانية واستبعد القرطبي ما قيل ان الله يخلق فيه شبعا كما يخلقه فيمن اكل ورده بما ذكرناه
فلا وجه لاستبعاده بنوا طنهم اي بواطن الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم منزهة عن الافات
اي ما ينقص قواهم الملكية مطهرة عن النقايص والاعتلالات اي العلل المضعفة لهم فهذه
جملة فيما يختص بالانبيا عليهم الصلاة والسلام اجمالا لا لن يكتفي بمضمونها اي ما تضمنته
ودلت عليه كل ذي همة في تحصيل الفضايل بل الاكثر يحتاج الى بسط اي تطويل وتفصيل على ما ناتي به
صفة لبسط وتفصيل اي تفصيل على نهج ما ناتي به بعد هذا في البابين المذكورين عقب هذا بعون الله
اي اعانته على ما قصده وهو حسبي ونعم الوكيل الذي لا يكل من توكل عليه لغيره الباب الاول
فيما يجب للانبيا عليهم الصلاة والسلام ويمتنع عليهم فيما يختص بالامور الدينية اي ما هو
من الدين والشرايع النبوية والكلام في عصمة نبينا اي وفي الكلام في عصمته صلى الله عليه وسلم

وفي عصمة سائر الانبياء اي باقيهم صلوات الله وسلامه عليهم والعصمة قالوا تخصيص قدرته
بالطاعة دون المعصية او خلق مانع فيه عن المعصية لكن لا بحيث ان يلجئه ويسلب اختياره
ويجبره على الطاعة بل هي لطف من الله تعالى يحمله على الطاعة ويزجره عن المعصية مع بقا الاختيار
تحقيقا للابتلا والتكليف كما قال الماتريدي وياتي الكلام على ذلك مبسوطا قال القاضي ابو الفضل
عياض المصنف رحمه الله تمهيد مقدمة لما سياتي اعلم ان الطواري اي ما يحدث من غير ما قارن
من التغيرات المغيرة لما خلق عليه والافات جمع افة وهي ما يفسد ما اصابه والماووف
ما اصابته وانكره ابو حاتم وقال انما هو مئيف كما في افعال السرقسطي على احاد البشر بالمد جمع
وحد ابدلت واوه همزة ثم الف لانه من الوحدة اي افرادهم واشخاصهم لا يخلو من ان يطرا على جسمه
اي ظاهر بدنه وجسده او على حواسه جمع حاسة وهي ما يدرك به من البصر والسمع والشم واللمس
والذوق فالمراد الحواس الظاهرة وفعله احس وحس لغة قليلة ومعناهما ادرك وحواس
وحاسة من هذه اللغة غير الفصحى وانكره بعضهم وقال انه لم يسمع وقياسه محسة بغير قصد
واختيار بل يخلق الله ما فيه كالامراض والاسقام السقم بمعنى المرض كما في الصحاح وقيل السقم
مسبب عن المرض فالحمى مرض وتغير البدن وضعفه سقم ويقال سقم وسقم وسقام بمعنى او يطرا
بقصد واختيار كافعال العبد واعماله وكله اي كل ما يطرا باختيار وغيره في الحقيقة اي حقيقة
الامر في الواقع عمل وفعل قال في القاموس الفعل بالكسر الانشا وكناية عن كل عمل فهما على هذا بمعنى
وقال الصاغاني بينهما فرق فالفعل احداث شي من عمل وغيره فهو اعم وقال الحربي الفعل ما يكون
في زمان يسير من غير تكرير والعمل ما يتكرر وطال زمنه وقيل الفعل يختص بما يعقل ورد بقوله
صلى الله عليه وسلم يا ابا عمير ما فعل النغير ولكن جرى رسم المشايخ اي استمرت عادتهم
والرسم التصوير بكتابة ونحوها والفقها استعملوه بمعنى العادة وهو المراد هنا والمراد
بالمشايخ العلما بتفصيله اي تفصيل ما يطرا الى ثلاثة انواع الاول عقد بالقلب اي نية
نية جازمة وعزما مصمما صادقا والعقد بهذا المعنى ورد في الحديث واصل معناه الربط المحكم
والثاني قول باللسان عمل بالجوارح جمع جارحة وهي العضو من اعضا البدن من الاجتراح وهو الا
كتساب وجميع البشر يطرا عليهم الافات والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار اي لهم حالات
مختلفة تنتقل منهما من حال الى حال من نعيم وبوس وحرو قر وهذا امر عام شامل وليس المراد به
المراد به والحول القلب كما قيل في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله عليه وسلم او جنس النبي
او كل نبي فتعريفه جنسي او استغراقي وليس المراد نبيا مخصوصا لاستوايهم فيما ذكر وان كان من
جنس البشر ويجوز على جبلته بكسر الجيم وكسر البا الموحدة وفتح اللام المشددة يعني الصبيعة
والخلقة التي خلق عليها بحيث لا يقبل التغير بسهولة ما يجوز على البشر سواه وما موصولة
في محل رفع فاعل يجوز الذي تقدم فقد قامت اي تحققت وظهرت البراهين جمع برهان وهو الدليل
والحجة كما تقدم القاطعة اي القطعية دلالتها على ما ثبتت بها وتمت كلمة الاجماع اي انعقد
اجماع من يعتد باجماعه واتفقوا عليه حتى كان كلامهم كلمة واحدة تامة على خروجه عنهم

اى خروج النبى عن جنس البشر غيره وتنزيهه اى تبريته بنفى ذلك عنه وتبعيد ساحته عن كثير
من الافات اى العوارض التى تطرء على البشر فتنتقص بها ما تهم العلية التى تقع اى تصدر وتحقق
فى الواقع والخارج على الاختيار وعن الاختيار لتكريم الله لهم بالعصمة من امثالها كالامور
القبيحة والاخلاق الذميمة كما سنبينه ان شا الله تعالى فيما ناتى به من هذا الكتاب وهذا
القسم من التفاصيل الموضح لها فصل فى حكم عقد قلب النبى صلى الله عليه وسلم
والمراد بعقد قلبه ما انعقد عليه اعتقاده وجزم به مما ثبت عنده يقينا من وقت نبوته
ورسالته اى اظهارها للناس بعدا لوحى اليه والغاية محذوفة للعلم بها اى الى اخر عمره فعقد
القلب هو الاعتقاد الجازم الذى لا يحتمل النقيض اصلا اعلم تقدم ان مثله يبتدء به
فيما يهتم به والخطاب عام لكل من يصلح للخطاب منحنا الله عز وجل اى اعطانا وانعم علينا
واياك الخطاب كالذى قبله وهو معطوف على المفعول الاول وقوله توفيقه المفعول الثانى وقوله
ان ما تعلق منه بطريق التوحيد ضمير منه لعقد قلب النبى صلى الله عليه وسلم اى اعتقاده وعلمه
اليقين الجازم الذى تصف به بعد نبوته وما موصولة والعايد ضمير منه اى علمه الذى له
تعلق بالتوحيد والعلم بالله اى بذاته وحقيقته وصفاته الذاتية الثبوتية والسلبية
والاضافية وغيرها والايمان به اى بما ذكر من توحيده وتحقق ذاته وصفاته وبما اوحى اليه
بالبنا للمجهول اى بكل ما اوحاه الله اليه من شرعه ليعمل به او يبلغه لغيره فعلى غاية المعرفة
الفا زايده فى خبر الموصول ودخول البا لا يمنع كما بينه النحاة يعنى ان علم الانبيا المتعلق باصول
الدين والعقايد وصل الى النهاية والغاية التى لا يصل اليها سواهم ووضوح العلم واليقين
اى لتيقنهم ذلك انكشف لهم انكشافا تاما بحيث انه لا يقبل الزوال ولا ترتاب فيه انفسهم
القدسيه وعلى غاية الانتفا عن الجهل بشئ من ذلك فليس لهم جهل بشئ من ذلك اصلا والشك
او الريب فيه اى التردد واحتمال نقيضه لانه حق اليقين الذى لا يطرء عليه شئ من ذلك والعصمة
بالجر عطف على المعرفة اى على غاية العصمة وتقدم معناها عن كل ما يضاد المعرفة بذلك المذكور
من التوحيد وما بعده بان يجهل شيا منها ويضاد اليقين من شك او ريب فى شئ منها هذا
المذكور من علم الانبيا بما ذكر ما وقع اجماع المسلمين عليه ولم يخالف فيه احد منهم ولا يصح
بالبراهين الواضحة التى هى فى غاية الظهور ان يكون فى عقود الانبياء اى عقايدهم التى ارتبطت
عليها قلوبهم سواه اى غيره مما يخالفه اصلا ولا يعترض على هذا اى ما وقع عليه الاجماع
وكشفته البراهين القاطعة حتى لا يحتمل غيره بوجه من الوجوه بقول ابراهيم الخليل صلى الله عليه
وسلم فيما حكاه الله عنه اذ قال بلى ولكن ليطمئن قلبى بجعل اطمينان قلبه بمشاهدة الاحياء
يقتضى ان عنده ريبة وشبهة فى ذلك وزده بقوله اذ لم يشك ابراهيم متعلق بالنفى اى انتفى
الاعتراض بما ذكر فى اخبار الله تعالى له باحيا الموتى اى بما اخبر الله به من انه هو الذى يحيى الموتى
ويوجدها من العدم ولكن اراد بما قاله مما يوهم الشك طمانينة القلب قال الراغب الاطمينان
السكون بعد الانزعاج واطمان وتطامن متقاربان لفظا ومعنى انتهى فطمانينته زوال قلقه

وازعاجه من امرتما وترك المنازعة مفاعلة من النزع وهو جذب الشى عن مقره كنزع القوس
ويعبر بها عن المخاصمة والمجادلة ومنازعة القلوب ميلها الى شئ تما والمراد هنا ترك القلق وترك
الميل الى الشبهة فى كيفية ذلك بعد تحققه عنده كما اشار اليه بقوله بمشاهدة الاحيا وكيفية
صدوره عن القدرة فحصل له العلم الاول بوقوعه اى تيقن وقوعه من الله اجمالا من غير شبهة فيه
واراد بسواله ربه العلم الثانى بكيفيته ومشاهدته اى مشاهدة صدوره عن الله تفصيلا
ليزيد علمه واطمينانه لا انه شك فيه وهو جواب عن الاعتراض الوارد على قولهم ان علم الانبياء
عليهم الصلاة والسلام بالله لا يعتريه شك فان الخليل عليه الصلاة والسلام من اجلهم
وقد شك فاجاب بانه لم يشك ولم يجهل وانما اراد الانتقال عن علم اليقين الى عين اليقين
وهذا امر لا ضير فيه الوجه الثانى فى جواب الاعتراض على ما وقع من الخليل ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم
انما اراد بسؤال ربه اختبار منزلته عند ربه المراد بالاختبار لازمه وهو العلم اى ان يتحقق رتبته
عند الله وعلم اجابته دعوته اى يعلم انه مقبول عنده حتى لم يرد دعاه ولا يخيب فيه رجاه
وان يريه كيف احيا الموتى وفى نسخة اجابة دعوته بالاضافة وعدم تحقق رتبته عند الله ليس
فيه ما يضره وينقص معرفته بربه فما قيل انه يقتضى شكه فى منزلته عند الله وهو غير واقع لا وجه له
ولما كان قوله تعالى فى جوابه اولم تؤمن يقتضى الاعتراض دفعه بقوله ويكون على هذا قوله اولم تؤمن
بالاستفهام الانكارى المقتضى بحسب الظاهر نفى ايمانه فيأول اى لم تصدق بمنزلتك منى وخلتك اى
اى اتخاذك خليلا وان مطنايك اى لختيارك على غيرك تشريفا وتكريما لك فالايمان بمعناه اللغوى
وهو التصديق والمصدق به المنزلة والاصطفا فانه لا يلزم من النبوة اصطفاوه بحيث يطلعه
على اسرار قدرته ولعله كان فى اول امره الوجه الثالث انه سال من ربه زيادة يقين وقوة طمانينة
اى ان يقوى طمانينة قلبه وسكونه بحيث يقر قرارا متمكنا غاية التمكن وان لم يكن فى علمه الاول الذى
كان قبل المشاهدة شك فى شئ من امور الرب وتوحيده وقدرته وهو دفع لما يتوهم من ان هذا الطلب
يقتضى الشك منه بانه انما هو لقبول اليقين الزيادة كما بينه بقوله اذ العلوم الضرورية التى
تحصل من غير استدلال لظهورها والنظرية التى تتوقف على نظر واستدلال لكونها غير بديهية
قد تتفاضل اى يزيد بعضها على بعض لانه تفاعل من الفضل بمعنى الزيادة كما وكيفا فى قوتها لانها
كيفيات نفسانية تقبل التفاوت فى الوضوح والخفا والعلم ينقسم الى ضرورى ونظرى
وعلم الله حضورى لا يوصف بذلك اصلا وطريان بفتحات بمعنى حدوث الشكوك جمع شك
على الضروريات اى العلوم الضرورية كالواحد نصف الاثنين والضدان لا يجتمعان ممتنع لما
لما هو ظاهر ومجوز بصيغة المفعول اى يجوز العقل طريانها وعروضها فى النظريات المكتسبة
بالنظر والفكر يعنى ان علم الخليل عليه الصلاة والسلام بذلك اولا كان نظريا يقينيا لا شبهة له
فيه ولكن النظريات من شانها انها تحتمل الشكوك فاراد الانتقال الى رتبة اعلى منها يكون علمه
بقدرة الله على الاحيا ضروريا فيها لا يحتمل خلافه اصلا ليطمئن قلبه بذلك فقط وهذا معنى
ما فى المواقف من ان سوال الخليل عليه الصلاة والسلام لم يكن عن شك فى قدرته تعالى بل

طلبه لان في عين اليقين ما ليس في علم اليقين فان للوهم باحداث الوساوس والدغادغ سلطانا
على القلب عند علم اليقين دون عين اليقين وليس في كلام المص رحمه الله ما يقتضي ان ابراهيم عليه
الصلاة والسلام وقع منه شك في علمه النظري بل ان النظري من حيث هو يجوز طريان عليه الشك
وفرق بين الشك وجوازه فجوازه على العلم اليقين لا يقتضي وقوعه حتى يعترض عليه بان علم ابراهيم
يقيني لا يحتمل النقيض وانه يجوز ان يخلق الله فيه علما ضروريا بذلك بعد الوحي والكشف وكذا
ما قيل من انه اذا علم منه ذلك فما وجه قوله اولم تؤمن لان المص اشار الى دفعه في الجواب الثاني
فيعلم بالقياس عليه اي الم تعلم ذلك علما غير محتاج للمشاهدة والى هذا اشار المص
بقوله فاراد ابراهيم صلى الله عليه وسلم بسواله الانتقال من النظر اي من العلم الحاصل
من البرهان القطعي اليقيني الذي لا يحتمل النقيض او الخبر الصادق بالوحي اليه الذي لا شك
فيه الى المشاهدة والنظر بعينه والترقي اي الصعود الى الاعلى عن علم اليقين الحاصل بالنظر
او الخبر الى عين اليقين الحاصل بمشاهدته عيانا وهذا يقتضي ان المحسوسات والعلوم الضرورية
تسمى يقينا وايقانا وفي الكشاف وشروحه وتفسير القاضي ان العلم الذي من شانه ان يتطرق اليه
الشك والشبهة اذا انتفيا عنه كان ايقانا ولذلك لا يوصف به العلم القديم ولا الضروري
فلا يقال تيقنت ان الكل اعظم من الجزء وينافيه قوله في سورة التكاثر علم المشاهدة اعلى مراتب
اليقين وقد بيناه في حواشي القاضي فليس الخبر كالمعاينة هذا من الامثال النبوية ورد في حديث
مرفوع رواه احمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليس الخبر كالمعاينة ان الله اخبر موسى عليه الصلوة والسلام بما صنع قومه في العجل فلم يلق
الالواح فلما عاين ما صنعوا القى الالواح فانكسرت وقال الشاعر ولكن للعيان لطيف
معنى له سال المعاينة الكليم ولهذا قال سهل بن عبد الله التستري وقد مر ترجمته
سال الخليل عليه الصلاة والسلام كشف غطا العيان اي الغطا المانع للعيان بكسر
العين كما مر اي المعاينة والغطا ما يغطيه ويستره ليزداد بنور اليقين اي ما ينوره ويظهره
عيانا تمكنا في حاله من العلم والمشاهدة ليكون على بصيرة تامة في معرفة الله وفيه
استعارة مكنية مرشحة لتشبيهه بامر محتجب تحت غطا ازاله المشاهدة والكلام
على علم اليقين وحق اليقين وعين اليقين والفرق بينهما بحسب اللغة ظاهر وللصوفية
فيها اصطلاح اورده بعضهم هنا وبنى عليها امورا واهية ولا حاجة لنا به وها هنا
سوال مشهور وهو روي عن علي كرم الله وجهه انه قال لو كشف الغطاء ما ازددت
يقينا فقيل كيف يقول هذا والخليل عليه الصلاة والسلام يقول ولكن ليطمئن قلبي
فطلب كشف الغطا ليزداد يقينا وهو اجل رتبة ونقل السبكي عن الغزالي رحمه الله انه
قال اليقين يتصور ان يطرا عليه الجحود لقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم
ظلما وعلوا والطمانينة لا يطرا عليها ذلك وقال ابن عبد السلام اراد علي رضي الله عنه
ما ازددت يقينا في الايمان وان كان برويته يزداد بمعرفة تفاصيلها لكن راى بها عجيبا علم

انه شاكا

ان له صانعا قادرا فيطلب ان يرى كيف يبني وعندي ان السوال غير وارد راسا حتى يحتاج
لما قالوه فان كلا منهما لم يتوارد على محل واحد اذ مراد علي كرم الله وجهه ان امور الاخرة التي
عرفها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقف على حقايقها لو كشف له ان شاهدها
عيانا لا يزيد يقينه بها والخليل عليه الصلوة والسلام طلب في الدنيا ان يشاهد
كيفية الاحيا ونفخ الروح لا مراجعته وابن هذا من هذا حتى يحتاج للتوفيق الوجه
الرابع انه اي ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما احتج على المشركين يعني نمروذ وقومه
بان ربه يحيي ويميت بقوله ربي الذي يحيي ويميت طلب ذلك اي سئل ربه الاحيا وكيفيته
ليصح احتجاجه ويتحقق ما انكروه عيانا ومشاهدة ليقطع عنادهم ويبطل شوكتهم وهو
في نفسه غير متردد فيه ففوله اولم تؤمن تعريض لهم على حد قوله اياك اعني يا جارة ولا طريق
لالزامهم الا هذا فسقط ما قيل انه لا يلزم من اقامة البرهان بشيء مشاهدته الوجه الخامس قول
بعضهم هو سوال على طريق الادب والمراد منه حقيقة اقدرني على احيا الموتى ليكون معجزة له كما
وقع لعيسى عليه الصلاة والسلام ليفحم من عارضه ويوبخهم فلم يسند الاحيا اليه تادبا منه
واسنده الى الله لانه المحيي والمميت حقيقة وان اجراه على يد غيره ومعنى قوله ليطمئن قلبي على هذا
التقدير اطمينانه عن هذه الامنية بضم الهمزة ما يتمنى ويراد وهي معجزة احيائه الموتى عيانا وقوله
اولم تؤمن اي اولم تصدق باني مجيب دعوتك ومعطيك امنيتك او تعريض كما تقدم وقوله ارني
المتجوز به عن سببه ولازمه لانه اذا اقدره على صدوره فعل منه راه فلا يرد انه لا دلالة للفظ
على هذا المعنى ولا يمكن مع قوله اولم تؤمن الوجه السادس انه اري اظهر لغيره من نفسه وفي نسخة راي
في نفسه والاصح ما تقدم لاحتياج هذا لتكلف الشك اي صورته والتكلم به ومما شك حقيقة لقوة
يقينه وكمال علمه بالله وقدرته ولكن فعل ذلك ليجاوب بالبنا للمجهول اي يجيبه ربه تاديا منه
فيزداد قربه من الله حال مناجاته له وتلذذه بخطابه وشرفه بقرب منزلته عنده لاعتنائه باجابته
واستبعد هذا بانه كيف يظهر ما هو منتف عنه مما يودي الى تنقيصه وسوء الظن باعتقاده وليس
بشيء لانه انما يتم ما قاله لو استقر على حاله اما اذا ادى الى ما يحقق كماله ونفيه كما هو معروف
في طريق المجادلة والجري مع الخصم حتى يفحمه فلا وقول نبينا صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك
من ابراهيم هذا جواب عن سوال تقديره قد نفيت الشك عن ابراهيم عليه الصلوة والسلام في هذه
الاجوبة والنبي صلى الله عليه وسلم اثبته له في هذا الحديث وجعل نفسه احق بذلك منه
فاجاب بما اجاب به المزني صاحب الشافعي فقال هو نفي لان يكون ابراهيم شك وابعاد للخواطر
جمع خاطر او خاطرة بمعنى القلب والشبهة لانها في الاصل ما يعرض للانسان من الافكار والشبه
ويتجوز بها عن محله وهو القلب ويصح ارادة كل منهما هنا وقوله الضعيفة اي التي تدفع بادنى
تامل لظهور بطلانها ان يظن هذا اي الشك بابراهيم لان مقامه يجل عن مثله وحاصله انه
صلى الله عليه وسلم قصد نفي الشك عنه ببرهان قوي وقياس منطقي تقديره لو شك ابراهيم
كنت انا شاكا ايضا بل احق اي اولى واقرب لذلك منه لاني يجوز علي ما يجوز على غيري من الانبياء

عليهم الصلاة والسلام وما كنت بدعا من الرسل وقد علم انى لم يقع منى شك قط فكذلك
ابراهيم ايضا فنفاه بنفى لازمه الا انه صلى الله عليه وسلم افضل من ابراهيم ولا يلزم من نفى شئ
عن الفاضل نفيه عن المفضول فكيف قال انه احق منه واشار المص الى جوابه بقوله اى نحن
موقنون بالبعث واحيا الموتى عطف تفسير على البعث فلو شك ابراهيم عليه الصلاة والسلام
اشارة الى انه قياس استثنائى لكنا اولى بيان لانا احق يعنى اولى بالشك منه اى من ابراهيم ثم اشار
الى دفع السؤال الوارد على قوله احق كما قدمناه بانه اما على طريق الادب منه مع ابيه ابراهيم عليهما
الصلاة والسلام بقوله لنحن اوان يريد بقوله نحن امته الذين يجوز عليهم الشك لعدم عصمتهم لانه
صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يسند لنفسه ما هو لامته لكنه تفضيله اى انتم مع انكم دون
مقام ابراهيم لم تشكوا فكيف به لانه قيل ان بعضهم لما سمع قوله رب ارنى الخ قال ان ابراهيم شك او
قاله على طريق التواضع منه وهو قريب من الجواب الاول مع الفرق الظاهر والاشفاق اى الخوف من ان يبتلى
بما ابتلى به اجملت بالبنا للمفعول ونايب فاعله قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى السواله
ربه على اختبار حاله بالبلا الموحدة وهو الوجه الثانى من الاجوبة السابقة كما تقدم او زيادة يقينه
وقيل انه عليه الصلاة والسلام قاله قبل علمه بانه افضل من ابراهيم وقيل انما قاله لما عاين
من انكار قومه البعث فتامل ثم اورد دفع شبهة تتوهم من ظاهر بعض الايات وتقريرها ان الانبيا
عليهم الصلاة والسلام لا يطرء عليهم الشك فى عقايدهم وفيما اوحى اليهم فقال فان قلت
فما معنى قوله تعالى فان كنت فى شك مما انزلنا اليك بناء على ان الخطاب له صلى الله عليه وسلم لا عام له
ولغيره والشك فيه شك فى انه من عند الله ومطابق لما اوحى لغيره من الانبياء عليهم الصلاة
والسلام فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك الايتين يعنى لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن
من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين وفى الاربعين ان هذه الشرطية
غير ممكنة فاحذر ثبت الله قلبك جملة دعائية معترضة ان يخطر ببالك اى قلبك وفكرك ما ذكره
بعض المفسرين ممن لم يدقق النظر وليس من اهل التحقيق وهو مبالغة فى عدم اعتقاد مثله عن ابن عباس
او غيره من السلف من اثبات شك النبى صلى الله عليه وسلم فيما اوحى اليه بناء على ظاهر اللفظ وانه
من البشر فيطرء عليه صلى الله عليه وسلم ما يطرء عليهم فمثل هذا اى هذا وامثاله اذ مثله
غير جائز فكيف به لا يجوز ان يطرء عليه جملة اى لا يجوز كله ولا شئ منه بل اضرابى ابطالى وقد قال
ابن عباس رضى عنهما فيما صح روايته عنه كما قاله ابن ابى حاتم فى تفسيره لم يشك النبى صلى الله
عليه وسلم لان الشرطية فرضية غير ممكنة ولو قلنا الخطاب له صلى الله عليه وسلم
ولم يسئل احدا من اهل الكتاب ومثله عن ابن جبير والحسن البصرى وحكى قتادة كما رواه ابن جرير
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت الاية لا اشك وفى نسخة ما اشك ولا اسال فى شئ من ذلك
وعامة المفسرين اى كلهم يقال جاوا عامة وقاطبة اى جميعا على هذا اى متفقون على انه ليس المراد
انه شك او سال وبعد اتفاقهم على هذا اختلفوا فى معنى الاية المقصود بها فقيل المراد قل يا محمد
للشاك اى لمن يشك فى الوحى المنزل عليك ان كنت فى شك من دينى الاية فالخطاب ليس له صلى الله

عليه

عليه وسلم فلا ترد الشبهة وبراءة ساحته قرينة قريبة وتقدير القول كثير فى كلام العرب قالوا
اى الذاهبون لهذا التاويل وفى السورة نفسها عطف على مقدر اى فى القران ما يدل عليه وفى السورة
الخ ما يدل على هذا التاويل قل يا ايها الناس ان كنتم فى شك من دينى الاية وقوله قل بدل من ما او خبر
مبتدا تقديره هو ويجوز نصبه اى اعنى قوله والاية تمامها فلا اعبد الذين تدعون
من دون الله ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم ووجه السوال ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام
لا يعتريهم شك فى شئ من امور الدين والاية بحسب الظاهر دالة على خلافه فاجاب بان الخطاب
لغيره وايده بانه ورد مصوحا به فى هذه السورة والقران يفسر بعضه بعضا كثيرا ووصف الله
بانه الذى يتوفاهم ويميتهم كما احياهم تهديدا لهم وتنبيه ما على انه الذى ينبغى ان يخاف منه
ولا يشك فيه احد فضلا عن سيد الانبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام وقيل
بالخطاب فى قوله فان كنت فى شك الاية العرب وغير النبى صلى الله عليه وسلم وافرد الضمير
لتاويله بمن يسمع الخطاب فالخطاب بحسب الظاهر له والمراد غيره بطريق التعريض ومثله
كثير فى القران وكلام العرب كقوله يا ايها النبى اتق الله بدليل قوله بعده واتبع ما يوحى اليك
من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا ولو كان الخطاب له قال بما تعمل ووجه الخطاب تعظيما له
وتهويلا لامر الشرك كما قال الله عز وجل لئن اشركت ليحبطن عملك اى يفسد ويسقط
عن الاعتبار ويبطل من حبطت الدابة اذا افرطت فى المرعى حتى ماتت وانتفخت وجعل
هذه الاية مشبها بها لانها اظهر فى التعليق بالمحال لان الخطاب فيها للرسل كلهم اذ اولها
لقد اوحى اليك والى الذين من قبلك اى من الرسل لئن اشركت الخ وافرده لان المراد كل واحد
منهم وهم مبرؤن عن الشرك فالمراد بذلك امهم ممن يجوز عليه الشرك واليه اشار
بقوله الخطاب له والمراد غيره تعريضا لهم بالحميتهم حتى ينتهوا عنها لو وقع من احب
خلق الله لم يعف عنه ومثله اى ما ذكر من الخطاب المقصود به غيره قوله تعالى فلا تك فى مرية
اى شك وريب مما يعبد هؤلاء اى لا تشك فى انه ضلال باطل مؤد الى العذاب الشديد
ونظيره مما قصد بالخطاب الغير كثير فى القران وكلام العرب وهو باب واسع يسمونه التعريض
والتلويح وله نكات ومقاصد جليلة كحمله على قبول ما يلقى والاذعان واطفاء نار
الغضب والحمية كما فصله اهل المعانى وقسموه اقساما مشهورة قال بكر بن العلا بفتح
العين وهو القاضى بكر بن العلا من علما المالكية الاجلاء وما قاله مؤيد لما قدمه من ان الخطاب
لغيره الا تراه اى الله عز وجل يقول فى هذه الاية ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فهذا
اشاهد صدق فى غاية الظهور وهو صلى الله عليه وسلم كان يكذب بالتشديد وصيغة
اسم المفعول من التكذيب فهذا كله مما ذكر فى تلوين الخطاب يدل على ان المراد بالخطاب غيره
لانه لا يصح كونه مرادا بالخطاب لظهور فساده لما عرفته مما قررته ومثل هذه الاية فى ان
المقصود بالخطاب غير من القى اليه قوله تعالى فاسئل به خبيرا اتى بهذه الاية دليلا لما قاله
من انه قد يوجه الخطاب للرسول بامر والمقصود امر غيره من امته ان يسئل النبى صلى الله عليه وسلم

فهو مسئول وان كان ظاهر النظم انه سايل كما بينه بقوله المامور ههنا اى في قوله فاسئل به
خبيرًا غير النبي صلى الله عليه وسلم من امته ليسيل النبي صلى الله عليه وسلم والنبي هو
المقصود بقوله الخبير اى العارف بحقيقة الامر فهو في الحقيقة المسول منه لا المستخبر السايل
هو تفسير للمستخبر اى الطالب للخبر السايل عنه وهذا وما بعده من كلام بكر بن العلا رحمه الله
وهذا بنا على احد التفاسير في هذه الاية وقيل انه صلى الله عليه وسلم امر ان يسيل جبريل
او الله عز وجل والاية على ظاهرها وقيل انه امر بسوال اهل الكتاب فيصدقوه لتندفع شبهة المشركين
وقيل الضمير راجع الرحمن وان المشركين انكروا اسم الرحمن فالمعنى ان انكروا اطلاق الرحمن على الله
فاسيل اهل الكتاب ليخبروهم باطلاقه عليه في الكتب المنزلة على غيرك من الرسل وعلى هذا
فلا شاهد فيه لما نحن بصدده والبا سببيه او تجريديه او بمعنى عن وقال بكر بن العلا في قوله
تعالى فان كنت في شك الاية ان هذا الشك الذى امر به غير النبي صلى الله عليه وسلم بسوال الذين
يقرؤن الكتاب عنه من الاحبار والرهبان انما هو فيما قصه الله عز وجل في كتابه الكريم من اخبار
الامم السالفة مع انبيايهم ونجاة المؤمنين منهم وهلاك من كفر فانهم امة امية لا يعرفون احوال
الامم ولم يصدقوا ما قصه الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم لا فيما دعى النبي صلى الله
عليه وسلم اليه اى الى الايمان به من التوحيد اى الايمان بالله ووحدانيته والشريعة التى
شرعها على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وبلغها لهم وامرهم باتباعها من الملة الحنيفية
فان هذا امر لا تندفع شبهة المشركين فيه بسوال اهل الكتاب وانما تندفع بالبراهين والمعجزات
الباهرة وهذا اى امر النبي صلى الله عليه وسلم بالسوال والمقصود امر غيره مثل قوله عز وجل واسيل
من ارسلنا من قبلك من رسلنا الا اى اقرا الاية بتمامها وهو اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون
الاستفهام انكارى لتكذيبهم ونفى ما ادعوه ببرهان تقريره اى لم نجعل الهة غير الله تعبد في ملة
من الملل لاجماع من قبلك من الانبيا على توحيد الله فهو امر لم تبتدعه فكيف يكذب ويعادى من اتى به
ولما كان ظاهر الاية مشكلا لانه امره صلى الله عليه وسلم بسوال الرسل الذين قبله وهم غير
موجودين فكيف يتمكن من سوالهم وهو ايضا عالم بالتوحيد متيقن له كما خبره الله به غير محتاج
للسوال عنه اشار الى تاويلها بقوله المراد به المشركون والمسول منه اهل الكتاب واحبارهم
فالمعنى اسيلوا علما اهل الكتاب المعالمين بما انزل على الرسل من قبلك هل في كتبهم غير التوحيد
والخطاب في هذه الامة موجهه للنبي صلى الله عليه وسلم لا امره به ظاهرا والمقصود غيره
من المشركين قال اى هذا التاويل والتوجيه القتبى اختلفت النسخ هنا ففى اكثرها القتبى بقاف
مضمومة ومثناه فوقية مفتوحة وباموحدة ويا نسبة مشددة وفى بعضها القتيبى بزيادة
يا مثناة تحتية بعد التا الفوقية وهما بمعنى والمراد به امام اهل اللغة والتفسير ابن قتيبة
بن سعيد بن طريف بن جميل صاحب التاليف الجليلة المشهورة وفى بعضها العتبى بضم العين
المهملة وسكون التا المثناة الفوقية والموحدة وهو عمدة مذهب مالك فقيه الاندلس
محمد بن احمد بن عبد العزيز القرطبى العتبى نسبته لعتبة بن ابى سفيان لانه من مواليه وهو صاحب

كتاب

257

كتاب العتبيه المشهورة فى مذهب مالك وتسمى المستخرجة كما تقدم بيانه ورجح البرهان
الحلبى النسخة الاولى وقيل معناه المذكور فى هذه الاية سلنا اصله اسلنا فنقل حركة الهمزة
للسين فحذفت همزة الوصل وهى لغة مشهورة وضمير العظمة لله وحده عمن ارسلنا فحذف الخافض
اى عن الجارة وتم الكلام من غير تعلق له بما بعده بعد حذف المفعول والجار وايصال الفعل بنفسه
ومثله كثير وان كان غير مقيس ثم ابتدا الكلام واستانفه فقال اجعلنا من دون الرحمن الهة الى
اخر الاية يعنى الهة يعبدون على طريق الانكار لعبادة غير الله بالاستفهام الانكارى الذى هو
فى معنى النفى فلذا قال اى ما جعلنا الهة فلا عبادة لغيره وفى نسخة ما جعلناه قاله وفى نسخة
حكاه مكى بن ابى طالب الامام المفسر الزاهد صاحب التاليف الجليلة ولد بالقيروان واقام بالاندلس
بعد اقامته بمكة ولذا نسب اليهما كما تقدم وقيل فى تاويل الاية وامره بسوال الرسل وهم غير موجودين
انه امره صلى الله عليه وسلم وامر مبنى للمفعول والفاعل اى امره الله ورجح الاول هنا ان يسيل
الانبيا لما اجتمع بهم ليلة الاسرا كما مر من اجتماعه بهم فى السماء عن ذلك اى عن جعله الهة تعبد
من دونه فكان صلى الله عليه وسلم بما كشف له من عين اليقين اشد تيقنا واكثر علما بالله وبما جعله
من ساير الانبيا من ان يحتاج الى السوال منهم لانه اعرفهم بالله وبما فعله وفى قوله وقيل اشارة
الى ضعفه الان مثله لا يقال من قبل الراى وشدة يقينه صلى الله عليه وسلم معروف فامره بذلك
انما هو لاظهار امره ورفعة قدره فلا وجه للاعتراض عليه بما ذكر فروى انه صلى الله عليه وسلم
وروى مبنى للمجهول واوله انه صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به بعث الله له ادم وولده من الانبيا
عليهم الصلاة والسلام فاذن جبريل ثم قال يا محمد صل بهم فلما فرغ قال له عن الله سل من ارسلنا
من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون ومن ثم قيل ان هذه الاية قدسية بنا
على ان ذلك كان ببيت المقدس قبل العروج فقال لا اسيل احدا منهم قد كفيت وفى نسخة اكتفيت
بما عندى من اليقين الذى تلج به صدرى قال ابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن اسلم كما تقدم وليس
فيه مخالفة لامر الله له بالسوال لانه علم انه ليس امر ايجاب بل لاظهار علمه وشدة يقينه وقيل
معناها سل امم من ارسلنا بتقدير مضاف بقرينة ان الرسل لم يكونوا موجودين لما امر بالسوال
بل الاخبار من اممهم هل جاوهم اى هل جاهم رسلهم من عند الله بغير التوحيد اى اعتقاد وحد
انيته وعبادته وحده والاستفهام تقريرى اى ما جاوهم الا بهذا فهو لنفى مجيئهم بغيره وهو اى
ما ذكر معنى قول مجاهد والسدى والضحاك وقتادة فى تفسير هذه الاية والمراد بهذا اى ما قاله
مجاهد ومن ذكر معه والذى قبله مما حكاه بقيل وما ذكره ابن زيد ومن تقدمه وقيل المراد بهذا
قول واسيل من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية والذى قبله قوله فان كنت فى شك الخ اعلامه
صلى الله عليه وسلم بما بعثت به الرسل من التوحيد وانه سبحانه وتعالى لم ياذن لاحد من الرسل
واممهم فى عبادة غيره عز وجل ردا على مشركى العرب وغيرهم من عبدة الاصنام وغيرهم وردا
مفعول لاجله تعليلا لما قبله من مراد الله فانه لا يتصور نسبه ما ذكر له صلى الله عليه وسلم
فى قوله سبحانه وتعالى حكاية عنهم ما نعبدهم اى الاوثان الا ليقربونا الى الله زلفى اى قربى من زلف

يعني قريب فهو موكد لما قبله و في نسخة في قولهم انما بعدهم ليقرءونا وتفصيله في التفاسير و في الشرح
الجديد ان الاجوبة المذكورة كلها بعيده وان الداعي لهم لتاويل الاية بما ذكر قصور النظر عن تصور
مقامه صلى الله عليه وسلم واتصاله بالملا الاعلى في كل حين واجتماعه بارواح الانبيا واطال
في ذلك بنقل كلام ساداتنا الصوفية وهو قريب مما ذكره المص في سواله في قصة الاسرا
ولولا خشية الاطالة بلا طايل نقلنا كلامه هنا وكذلك اي مثل ما ذكر من الايات التي نسب له
صلى الله عليه وسلم الشك فيها والمراد غيره بلا شك قوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب
يعلمون انه اي القران منزل من ربك بالحق اي متلبسا به ونسب العلم لجميعهم لعلم احبارهم
وتمكن باقيهم من ذلك باد في تامل فلا تكونن من الممترين اي لا يكن عندك شك فالمراد ظاهره
نهيه عن الشك والمراد نهي غيره كقوله قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني ووجه اخر
اشار اليه بقوله اي في علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك اي بحقية ما نزل عليك
وانك رسول الله حسدا منهم بعد ما تبين لهم الحق وليس المراد به اي بقوله فلا تكونن من الممترين
شكه صلى الله عليه وسلم فيما ذكر في اول الاية يعني قوله فان كنت في شك كما يتوهم من ظاهر الاية
بل المراد ما قدمناه لك وقد يكون ايضا هذه الاية واردة على مثل ما تقدم اي على طريقة
في التاويل السابق بان يكون الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمقصود غيره على نهج الكناية
التعريضية التلويحية اي قل يا محمد لمن امترا وشك في ذلك اي في حقية ذلك وانك
رسول الله فلا تكونن من الممترين في ان القران نزل عليك من الله ارسلك به وايدك بمعجزاته
فليست الاية على ظاهرها بدليل قوله تعالى في اول الاية التي فيها والذين اتيناهم الكتاب
افغير الله ابتغي حكما الاية اي لا اريد حاكما غير الله يحكم بيني وبينكم يميز الحق والمبطل فهذا
صريح في انه صلى الله عليه وسلم مبرا عن الشك والريب وان النبي صلى الله عليه وسلم
يخاطب بذلك اي بما يدل على الشك والامترا غيره من اهل الكتاب والمشركين كما تقدم بيانه
وقيل هو اي ما ذكر مما نسب اليه فيه ما لا يليق وقيل المراد امره صلى الله عليه وسلم بالسوال
في الاية تقريرا اي حمل لغيره على ان يقر بما عنده فينزجر عنه او يلحق حتى يسجل عليه كقوله اانت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فانه استفهام تقريري حمله على الاعتراف
وتوبيخا لغيره ممن اسند ذلك لغيره وقد علم الله سبحانه وتعالى انه لم يقل ذلك وقيل معناه
اي معنى الامر بالسوال في الاية ما كنت في شك في حقية ما انزل اليك فاسئل الذين يقرءون
الكتاب تزدد بسوالك طمانينة اطمينان قلب وعلما الى علمك ويقينا الى يقينك فانه يقبل
الزيادة كما تقدم وقيل معناه وتاويله ان كنت لتشك فيما شرفناك وعظمناك وفضلناك
به لا في امر التوحيد والدين فسئلهم اي اهل الكتاب عن صفتك في الكتب المنزله على من قبلك
ولتشرو فضائلك اي ما انتشر فيها وشاع من فضايلك التي فضلك الله بها على غيرك من الرسل
وحكي عن ابي عبيده معمر بن المثنى التيمي امام اهل اللغة توفي سنة عشر او احدى عشرة ومايتين
وقد قارب المائة ان المراد من هذه الاية ان كنت في شك من غيرك من اعتقاد غيرك فيما انزلناه

عليك من الحق المنقذ من الضلال فاسئل الذين يقرءون الكتاب حتى يخبروك بما عندهم فيه
فان قيل فما معنى قوله عز وجل حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا على قراة
التخفيف في كذبوا اي تخفيف الذال والبنا للمفعول استياس استفعل من الياس ضد الرجا واستياس
بمعنى ييس كاستعجب بمعنى عجب الا ان فيه مبالغة في الياس عند الزمخشري لان زيادة البنا تدل
على زيادة المعنى وبهذه القراة قرا عاصم وحمزة والكساي وغيرهم والمعنى انهم لشدة مخالفة
اممهم لهم تيئسوا منهم فظنوا ان ما وعدوا به من النصر عليهم كذبا والوعد من الله الذي
لا يخلف الميعاد فهذا منهم يقتضي شكهم فيما جاءهم من الوحي وهم منزهون عن مثله فهذه
شبهة تقتضي خلاف ما قرره اولا وحتى غاية مغياها محذوف قدروه بوجوه متقاربة
منها ما ارسلنا قبلك الا رجالا اي تراخى النصر عنهم حتى ييسوا منه وظنوا تخلف ما وعدهم الله به
فاجاب المص عنه بقوله قلنا جوابا عن هذه الشبهة التي هي اقوى مما قبلها لان في تلك نسبة
الشك بحرف الشرط المقتضي لعدم وقوعه وفي هذه نسبة الظن باذا المقتضية لتحققه
المعنى في ذلك اي في نسبة الظن المذكور في الاية ما قالته عايشة ام المؤمنين رضي الله عنها
معاذ الله منصوب على المصدرية اي تنزه الله وابرئه ان تظن ذلك الرسل بربها اي تظن ان الله
اخلفهم ما وعدهم به وانما معنى ذلك اي ما ذكر في الاية ان الرسل لما استيئسوا ليس المراد انهم
وقع منهم ييس من انجاز ما وعدهم الله به بل المراد انهم طالت المدة عليهم فاستعاروا الياس
له او المراد انهم ييسوا من اتباعهم بقرينة قوله ظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم جمع تابع كاصحاب
جمع صاحب كذبوهم بالتخفيف والتشديد اي اخلفوا ما وعدهم رسلهم به من نصرهم على عدوهم
فليس ياسهم وظنهم التكذيب معناه الياس من نصر الله والتكذيب كذب وعد الله لهم فلا يرد
عليه ما ذكر من الشبهة وعلى هذا التاويل اكثر المفسرين وفيما نقله المص عن عايشة رضي الله
عنها نظر فان المروي عنها في صحيح البخاري ان عروة بن الزبير سالها عن هذه الاية فقال لها وقد تلا
الاية اهي كذبوا ام كذبوا اي بالتشديد او بالتخفيف فقالت كذبوا بالتشديد فقال الجل
لعمري لقد استيقنوا بذلك وظنوا انهم قد كذبوا فقالت معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك بربها
فقال لها فما هذه الاية قالت هم اتباع الرسل الذين امنوا بربهم عز وجل وصدقوهم وطال عليهم البلا
واستاخر عنهم النصر حتى استياس الرسل ممن كذبهم من قومهم فظنت الرسل ان اتباعهم قد كذبوهم
جاءهم نصر الله عند ذلك قلت لا منافاة بين ما ذكره المص هنا وبين ما في صحيح البخاري اذ مراده
انه على قراة التخفيف والتشديد المعنى واحد وانكارها قراة التشديد لانها لم تبلغها الا ان
معناها لا يصح ولانها لا تاول بما ذكر وقول عايشة معاذ الله ليس لانكارها هذه القراة بل
لما فهمه عروة منها من ان الرسل ظنوا بربهم ما هم معصومون عنه فضمير ظنوا للرسل وكذبوا
مبني للمجهول وفاعله اتباع الرسل لا الله كما تقدم وقيل الظن هنا بمعنى الوسوسة والهاجس
وان انفسهم كذبتهم حين حدثتهم بانهم ينصرون وله تفصيل في الكشاف وشروحه وقيل
ان الضمير في ظنوا عايد على الاتباع والامم اي امم الدعوة لا امم الاجابة المؤمنين برسلهم

لا على الانبيا والرسل فظن بعض اتباعهم ممن لم يؤمن بهم ان الرسل كذبوا فيما وعدوهم من النصر على عدايهم
والاتباع وان لم يسبق لهم ذكر معلومون من فحوى الكلام لان الرسل لا بد لهم من مرسل اليه مومنا كان
او كافرا ففي مرجع الضمير اختلاف بين المفسرين على ما ذكر ويجوز ان يراد منه الاجابة مطلقا وهذا
الظن يقع مثله وان كان منكر من المومن مثله وهو اى هذا التفسير المذكور قول ابن عباس والنخعي
وابن جبير وجماعة من العلما اى علما التفسير من السلف وبهذا المعنى اى بسبب هذا المعنى الذى جعل
فيه ضمير ظنوا للامم قرا مجاهد اى اختار ورجح قراة كذبوا بالفتح اى للكاف والتخفيف مبينا للفاعل
اى ظنوا ان رسلهم كذبوا فيما وعدوهم به من النصر على عدايهم فان القراة سنة متبعة لا تكون
بالراى وان جاز ترجيحها على غيرها كاختيارات القرا ووجهه كما قيل انه على هذه القراة يكون ضمير
ظنوا للاتباع اى ظن اتباع الرسل ان الرسل عليهم الصلاة والسلام كذبوا فيما وعدوهم به
من النصر على اعدايهم فلا ينافي هذا عصمة الرسل لان صدور مثل هذا الظن عن غيرهم جايز عقلا
ويمكن على قراة التخفيف والبنا للمجهول ايضا ان نفسر بهذا ايضا بان يجعل فاعل كذبوا المحذوف
راجعا الى الاتباع وقيل انه تمثيل كيقدم رجلا ويوخر اخرى فشبه حال الرسل لما ابطا عليهم
النصر وصاروا في غم وكرب بحال من وعد بامر يحتاج اليه ولم يحل له فقنط وحدثته نفسه
بان مواعيده عرقوبيه فبينما هو كذلك جاه الفرج واليه ذهب الزمخشري فلا تشتغل بالك
الفا فصيحة في جواب شرط مقدر اى اذا عرفت ما فسر به الاية جاريا على مقتضى مقام النبوة فلا
تجعل فكرك مشغولا بغيره مما يوهم خلافه فالبال بمعنى القلب والفكر وتشغل بفتح اوله وثالثه
هو الفصيح من شواذ التفسير اى غريبه ما لم يشتهر فالشاذ حقيقته المنفرد فتجوز به عما ذكر وهو
بيان لقوله بسواه اى بغيره والضمير لما ذكر وقيل لقول عايشة رضي الله عنها مما لا يليق اى
يناسب وهو بدل من قوله بسواه بمنصب العلما اى بمقامهم ومقدارهم وهذا معناه لغة ويكون
بمعنى الحسب واطلاقه على الاعمار السلطانية مولد وما موصولة عبارة عن الشك في مثله
فكيف بالانبيا اى فكيف يليق بهم عليهم الصلاة والسلام وكيف يجوز بها عن الاستبعاد
نحو كيف تكفرون بالله ويجوز ان يريد بالشاذ ما ذكر في مصطلح الحديث وهو ما خالف الراوى
فيه غيره من الثقات والمراد به ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم اخلفوا ما وعدهم الله به
لانهم بشر وتلا قوله تعالى وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله وقد ضعف
ابن الانبارى هذه الروية عن ابن عباس وقال الزمخشري ان صح عنه هذا فالمراد بالظن الوسوسه
وحديث النفس على ما عليه البشر لا الطرف الراجح فانه لا يليق بهم ان يظنوا ان الله يخلف وعده
وتوقف في صحة هذه الرواية عنه وتبعه البيضاوى واعترض عليه بانها ثابتة عنه في صحيح
البخاري وقال الخطابي لا شك ان ابن عباس لا يجوز على الرسل الشك في الوحى فيحمل كلامه على انهم
لشدة تاخره وابطايه توهموا ان انفسهم غلطت في تلقي ما ورد عليهم منه فالمراد بالكذب
الغلط كقولهم كذبتك نفسك وقال القشيري انه هاجس خطر على قلوبهم فصرفوه عنها فالمعنى

انهم قربوا من الظن وقال الحكيم انهم ظنوا تخلفه لتخلف بعض شروط لا انهم اتهموا الوحى ورجح بعض
ان الظانين اتباعهم وحمل عليه كلام ابن عباس وهو بعيد جدا وكذلك اى مثل ما ذكر مما
ظاهره المشك فيما جاه من الوحى وهو ما اول ومثل قوله استياس الرسل الاية ما ورد في حديث
السيرة اى الحديث المتعلق بسيرته وطريقته صلى الله عليه وسلم في النبوة وهو مما رواه
البخاري وغيره ومبدى الوحى اى ما وقع له صلى الله عليه وسلم في ابتدايه من قوله صلى الله
عليه وسلم لخديجة ام المؤمنين رضي الله عنها لما اخبرها برويته جبريل عليه الصلاة
والسلام وهو بحرا لقد خشيت على نفسي اى خفت عليها فان ظاهره انه شك في انه وحى
اتاه به الملك لان مثله صلى الله عليه وسلم لا يخشى وليس معناه الشك فيما اتاه الله اى
اوحى الله به اليه من الهدى والحق بعد رويته الملك اى ولخباره انه رسول الله ولكن لعله
خشي وخاف ان لا تحتمل قوته ان لا تطيق قواه البشرية مقاومة الملك اى مكالمته وان لا
يقوم بحقه ومكالمته واعبا الوحى استعارة لانه جمع عب وهو الحمل فاستعير لمقاساة مشاقه
ففيه استعارة مكنية وتخييلية فينخلع قلبه وفي نسخة لينخلع قلبه واصل معنى الخلع النزع
كما قال تعالى فاخلع نعليك فاستعير لشدة الخوف كانه نزع قلبه وتزهق نفسه اى تخرج روحه
من فزعه وهذا بنا على ما ورد في الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قاله اى قوله خشيت
على نفسي بعد لقايه الملك حين ظهر له وبشره بانه رسول الله او يكون قال ذلك قبل لقياه الملك
وقيل اعلام الله له بالنبوة اى انه صيره نبيا وفيما خشيه اثنا عشر وجها فقيل خشي الجنون وانه
هاجس ووسوسه او الموت او المرض او دوامه او العجز عن النظر للملك او القتل وعدم
الصبر على اذى قومه او تكذيبهم الى غير ذلك من الاقوال واضعفها الاولان والثالث هو الصحيح
لما في البخاري وغيره كما ياتي من انه غطه وقال له اقرا ومن قال انه قبله يقول في زمن الارهاص
والمنامات وضعفه الكرماني لان اول اللام بمعنى في كما في قولهم كتبته لست خلون من الشهر
ما عرضت عليه بالبنا للمجهول اى اظهر له وراه من العجايب اى الامور الخارقة للعادة المفسرة
بقوله انه وسلم عليه الحجر والشجر اى قال السلام عليك يا رسول الله والمراد الجنس او شي معين
منهما وقد روى انه الحجر الاسود كما تقدم في المعجزات وهو كان قبل النبوة وبعد مبعثه ايضا وبداية
المنامات الصالحة التي كان يراها صلى الله عليه وسلم في اول امره ورويا الانبيا قسم من الوحى
والتباشير اى العلامات المبشرة له صلى الله عليه وسلم بالنبوة والمقدمات الدالة على
النتايج قال في الاساس من المجاز تباشير الفجر وهي اوايله كانها جمع تبشير مفرد بشر وفيه مخايل
الخير وتباشيره وتباشير النخل بواكيره قال ابن كمال وهذا يبين ما في قول الجوهري التباشير
البشرى وتباشير الصبح اوايله وكذا اوايل كل شي ولا يكون منه فعل من الخلل قلت يعني
انه انكر فعله وكلام الزمخشري يدل على خلافه والمحشي ابن اخت خالته لان الفعل من البشارة
وهي الخبر السار لا من الاوليه والتقدم واعلم انه يقال في تباشير الصبح بشايره ايضا قال
ابو فراس اقول وقد نم الحلى بجرسه علينا ولاحت للصباح بشايره كما روى في بعض طرق

هذا الحديث اى حديث مبدى الوحى ان ذلك اى المذكور من التباشير كان فى المنام اولا اى فى ابتدا
البعثة ثم ارى فى اليقظة ضد المنام مثل ذلك اى مثل ما راى فى المنام الا تانيسا له صلى الله
عليه وسلم اى ليحصل له الانس بالملايكة والوحى فيراه اولا مناما ثم يراه جهرة ليلا يفجاه
اى يراه بغتة وابتدا من غير تدرج فى رويته مشاهدة برؤية البصر ومشافهته اى مخاطبته
بفهمه حقيقة فلا يحتمله اى يقدر عليه ويطيقه لاول حاله بالاضافة الى الضمير او بتا التانيث
اى فى اول احواله لعدم تدربه وتانسه بقية فعلة بالكسر لهيئة البنا والمراد جسده وما جبلت
عليه البشرية اى الانسان فانه لا يطيق روية الملايكة ابتدا وهذا اشارة الى حديث البخارى
من انه صلى الله عليه وسلم كان فى اول امره يجاور فى كل سنة شهرا فى غار حرا يتعبد فيه وكان
ذلك عادة قريش فاذا انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم منه طاف بالبيت ويرجع
لبيته فكان يرى فى منامه ما يرى ثم جاء جبريل الى اخر الحديث المشهور فى اول البخارى والكلام
عليه سفصل فى شرحه وفى الصحيح اى الحديث الصحيح او البخارى ومسلم عن عايشة رضى الله عنها
وهو من مرسل الصحابة لانها رضى الله عنها لم تكن معه حينيذ او هى سمعته منه فهو متصل اول ما بدى
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرويا الصادقة فكان لا يرى رويا الا جات كفلق
الصبح وهكذا رويا الانبيا عليهم الصلاة والسلام فانه قسم من الوحى كما مر وروى الصالحة
بدل الصادقة وهما بمعنى قالت عايشة رضى الله عنها ثم حبب بالبنا للمجهول اليه الخلا بفتح اوله
والمد وهو المكان الخالى او بمعنى الخلوة وهو الانفراد عن الناس لفراغ القلب وتوجه الفكر والرياضة
ليفرغ قلبه عما سوى الله ليتمكن الوحى منه اذا اتاه فصادف قلبا خاليا فتمكن وقالت الى ان جاءه
الحق اى الوحى الذى تحققه وراه عيانا وهو فى غار حرا الغار هو النقب فى الجبل وحرا بكسر اوله
والمد والقصر يذكر ويونث فيجوز صرفه وعدم صرفه وبينه وبين مكة ثلاثة اميال على يمين السائر
لمنى والجملة حالية للحديث بالنصب اى اذكره او اقراه وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى حديث مسند
رواه ابن سعد مكث النبى صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة قال البرهان الحلبى هذا
على القول المرجوح انه عاش خمسا وستين سنة والصحيح انه عاش ثلاثا وستين منها بمكة
ثلاث عشرة وبالمدينة عشرة وقيل انه عاش ستين سنة وقد جمع بين الاقوال الثلاثة انتهى
يعنى انه عد الكسر سنة وفيه نظر وبعث على راس الاربعين يسمع الصوت اى يسمع صوت ملك
يناديه ولا يراه وكان من الانبيا من يسمع الملك ولا يراه كما حكاه ابن سيد الناس عن ابن عباس
رضى الله عنهما ويرا الضوء اى نور الملك من غير روية ذاته لان الملايكة انوار مجردة سبع سنين
قبل ان يظهر له الملك لا يرا شيا وثمان سنين يوحى اليه اى ياتيه الملك ظاهرا له بالوحى من الله
وهذا مبنى على القول السابق لا على الثانى كما توهم وقد روى ابن اسحاق عن بعضهم هذه رواية
تخرج ان النبى صلى الله عليه وسلم قال وذكر جواره بكسر الجيم وضمها كما مر اى مجاورته واعتكافه
والجوار جا بمعنى الاقامة ومعناه الاخر معروف والجوار اعم من الاعتكاف لانه يختص بالمسجد
كما قاله ابن عبد البر بغار حرا اى اقامته به كما تقدم بيانه قال تاكيدا لقال الاول فجانى يعنى

الملك وهو جبريل عليه الصلاة والسلام وانا نايم الظاهر انه نوم حقيقى لما سياتى من قوله فهببت
من نومى ويحتمل ان يريد انه مضطجع على هيئة النايم فقال اقرا اى قلت ما اقرا استفهامية او نافية
لانه روى ما انا بقارى وتفصيله فى شروح البخارى وذكر الراوى نحو حديث عايشة فغطه له
بفتح الغين المعجمة وتشديد الطا المهملة مصدر بمعنى شدة ضمه وخنقه وعمه ليصرفه عن الدنيا
ويوقظه لما يلقيه له واستدل له به على تاديب المعلم للمتعلم منه واقرا يا محمد باسم ربك السورة
واستدل به على ان البسملة ليست اية من كل سورة وفيه نظر وهذه اول نازلة فى قول قال النبى
صلى الله عليه وسلم فانصرف جبريل عليه الصلاة والسلام عنى اى فارقنى وهببت بباين
موحدتين فعل ماض مسند الى ضمير المتكلم يقال هب اذا استيقظ من منامه وتحرك من هبت الريح
من نومى اى استيقظت منه وتقدم كلام فيه كانما صورت سورة اقرا فى قلبى اى مثلت السورة
فى قلبه صلى الله عليه وسلم فحفظها وفى رواية كانما كتبت فى قلبى وهو كناية عن حفظها وبقايها
فى قوة الحافظة بحيث لا ينساها بعده ورويا الانبيا وان كانت وحيا الا ان رواية ابن اسحق هذه
تدل على ان من القران ما نزل عليه صلى الله عليه وسلم مناما وقد قسموا النزول الى اقسام منها
ما نزل عليه عليه الصلاة والسلام سفرا وحضرا وقل من تعرض الى نزوله يقظة ومناما ولم
يتعرض له الشارح هنا ولم يكن كان ان كانت ناقصة فاسمها ضمير يرجع الى شى المفهوم من السياق
وخبرها قوله ابغض الى اى اشد بغضا عندى من ان يقال انى شاعر او مجنون وقيل ان اسمها ضمير
شان وابغض خبرها وهذا بنا على انه يجوز الاخبار عن ضمير الشان بمفرد نحو ان هى الا حياتنا الدنيا
وقيل اسمها ابغض وهو صفة موصوف مقدر والخبر محذوف ايضا وتقديره لم يكن شى ابغض
الى موجودا او كان تامة وابغض فاعلها وانما ابغض هذا لانه اذا اخبر قريشا انه جاه ملك
بوحى يتلوه عليهم منهم من يقول انه شاعر ومنهم من يقول انه مجنون ثم قلت اى قال صلى الله
عليه وسلم لما اوحى اليه وخشى مما مر لا تحدث مضارع مرفوع بتايين فوقيتين حذفت احديهما
تخفيفا ويجوز بناوه للمجهول وهو بمعنى فى صورة الجزاى لا يخبرهم احد سمعه منى ونقله عنى ابدا
وهذا اشارة الى كونه شاعرا او مجنونا لاعمدن جواب قسم مقدر اى والله لاعمدن اى اقصدن
مضارع من العمد بمعنى القصد بكسر الميم وفتحها وماضيه عمد بهما والمشهور فتحه كضرب يضرب
الى حالق من الجبل بالحا المهملة واللام المكسورة والقاف اى مكان مرتفع منه وقيل انه
الجبل المرتفع من قولهم حلق الطاير اذا ارتفع فى الجو فلاطرحن نفسى منه اى ارمين جسدى من على
الجبل فلاقتلنها برميها من الجبل حتى لا يبلغنى ما يتحدثون به انى شاعر ومجنون اذا بلغهم ما جرى لى
فبينا انا عامد لذلك اى وقع لى عقيب اذ كنت قاصدا لالقا نفسى من على الجبل لاهلكها حتى
لا اسمع ما تحدثوا به فى حقى وهذا كان هاجسا خطر على قلبه صلى الله عليه وسلم لشدة
حميته وغيرته على عرضه ولم يكن فى ابتدا امره معصوما عن مثله فلا يتوهم انه امر جزم به وهو
ممتنع شرعا اذ سمعت مناديا اى سمعت صوته وندائه لى ينادى من السما اى من جانبها يسمعه
ولا يراه كما تقدم وهو يقول يا محمد انت رسول الله وانا جبريل ارسلنى الله اليك لتبليغ

وجه تعيينا لمن ناداه ليلا يظنه غيره فرفعت راسي الى جانب السما الاراه فاذا اى فجاني بغتة
روية جبريل على صورة رجل حال من جبريل اى متمثلا بصورته دون صورته الحقيقيه حتى
لايهوله في ابتدا امره الحديث اى اذكر الحديث الذى رواه ابن اسحاق الخ ثم انه فسر ماذكر
بقوله فقد بين الراوى للحديث والنبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث ان قوله صلى الله
عليه وسلم لما قال بكسر اللام وتخفيف الميم اى لقوله وقصده مصدر معطوف على قوله
وقوله لما قصد متعلق به وما موصولة والعايد مقدر تقديرهما قصده وما قاله خشية
ان يتحدثوا بانه شاعر اذا تلى عليهم ما اوحى اليه او مجنون اذا قيل انه يسمع صوتا او يرى
فى الافق ملكا لتوهمهم ان كلامه شعر وما تراى له جنى انما كان قبل لقا جبريل عليه الصلاة
والسلام اى قبل رويته على صورة رجل وقبل اعلام الله له بالنبوة بواسطة جبريل واخباره له
واظهاره اى الله او جبريل عليه الصلاة والسلام واصطفايه اى الله له بالرسالة
اما بعد ذلك فلا فانه حينيذ لا يخشى احدا ولا يتوهم شيا يضيق به صدره ومثله
اى مثل حديث ابن اسحاق فيما ذكر حديث عمرو بن شرحبيل الذى رواه البيهقى وشرحبيل بضم
الشين المعجمة وفتح الرا وسكون الحا المهملتين وموحدة مكسورة ومثناة تحتية ولام وعمرو انه
تابعى عابد جليل توفى سنة ثلاث وستين ومائة وهو ابو ميسرة الهمدانى وهم عمرو بن شرحبيل الخز
خزرجى وليس بمراد هنا انه صلى الله عليه وسلم وهو بفتح الهمزة بدل من حديث عمرو قال لخديجة
ام المؤمنين رضى الله عنها انى اذا خلوت وحدى سمعت ندا يا محمد وقد خشيت والله
ان يكون هذا الندا لامر يصيبنى مما لم احط به خبرا فقالت له معاذ الله ما كان الله ليفعل بك
ذلك فوالله انك لتودى الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث فمثلك لا يخشى امرا شيطانيا
وفى رواية حماد بن سلمة كما رواه الطبرانى وابن منيع عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله
عليه وسلم قال لخديجة انى لاسمع صوتا من جانب السما وارى ضوءا اى نور الملك النازل
عليه قبل تمثله له وظهوره له عيانا واخشى ان يكون لى جنون يخيل لى ما ذكر وهذا كله
قبل ظهور الامر له صلى الله عليه وسلم كما مر وعلى هذا المذكور ينبغى ان يحمل لو صح رواية قوله
صلى الله عليه وسلم فى بعض الاحاديث التى ورد فيها ان الابعد شاعر او مجنون فخشى ان ما سمعه
شعر يلقيه الجن عليه كما كان فى الجاهلية لبعض الشعرا رئى من الجن ومثل هذه الكلمة يقولها
العرب اذا تحاشوا تادبا عن اطلاق شى على المخاطب اى الشاعر امر متباعد عنك وان كان
قاله غيرك فيا تون به فى مكان انت كذا وهو استعمال شايع فما قيل من انه شتم معناه الخاين الذى
لا خير فيه ليس بشى والالفاظ وردت عنه صلى الله عليه وسلم فى بعض الاحاديث يفهم منها
معانى الشك فى تصحيح ما راه اى فيما اوحى اليه ومثله صلى الله عليه وسلم لا يليق به شك
وتردد فى مثله فهو لا يرتاب فى شى مما ذكروا انه كان كله فى ابتدا امره وقبل لقا الملك له وقبل
اعلام الله له انه رسوله وبعده اطمان قلبه وشاهد الامر عيانا وبعض هذه الالفاظ الموهمة
لما ذكر لا تصح طرقها بحسب الرواية واما بعد اعلام الله تعالى له ولقايه الملك فلا يصح فيه ريب

ولا يجوز

ولا يجوز فيه شك فيما القى اليه من الوحى فان الانبيا عليهم الصلاة والسلام لا يتصور منهم ذلك
وروى ابن اسحق صاحب السيرة فى سيرته عن شيوخه ممن لقيه واخذ عنه وله شيوخ كثيرون
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى بالبنا للمجهول من الرقية المعروفة بمكة من العين
اى صيانة له صلى الله عليه وسلم من اصابة العين والعين حق كما ورد فى الحديث قال ابن القيم
فى كتاب الروح تاثير النفس امر لا ينكر لاسيما عند تجردها عن العلايق البدنيه وحينيذ تاتى ما يعجز عنه
البدن كمن نظر الى نحو فشقه او الى نعمة فازالها وهذا مما شاهده الناس على اختلاف الملل والاعصار
ويسمونه اصابة العين يضيفون الاثر الى العين وانما هو للنفس المتكيفة بالكيفيه الرديه السميه
فيكون بواسطتها وقد يكون بدونها فيوصف له شى فيتوجه اليه فيوثر فيه وان لم يره بعينه
وقد امر النبى صلى الله عليه وسلم ان يغسل مغابن العاين بما يصب على من اصابته عينه فيزول
عنه ما يجده والمغابن بغين معجمة وبا موحدة وهى المواضع القذرة من البدن كتحت الابط وهو امر
طبيعى اقتضته الحكمة فان الارواح الخبيثة تالف هذه المواضع فتساعدها فاذا غسلت انطفت
نارها كما فصله صاحب النهاية فى حرف العين فى حديث العين حق ولو كان شى سابق القدر سبقته
العين واذا استغسلتم فاغسلوا وفى شرح مسلم انهم اخذوا بظاهر الحديث وانكره بعض المبتدعة
واهل الطبايع زعموا انه ينبعث من عينه قوة سميه توثر فيما نظره وقيل انه ينفصل عنه اجزا لطيفة
يخلقها الله ولا ترى وقيل انه ليس بانفصال شى وقد قيل انه يجب عليه اذا استغسل ان يغسل وان
من عرف بذلك يلزمه الامام بيته ويرزقه من بيت المال وتداوى صلى الله عليه وسلم برقى
معروفة قبل الاصابة وبعدها ومن فسر العين هنا بما يلم به من العوارض عدل عن الظاهر بغير داع له
قبل ان ينزل بالبنا للمجهول اى قبل نزول القران عليه فلما نزل عليه القران اصابه ما كان يصيبه
من العين كما قال تعالى وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم ولم يبينه احد باكثر مما ذكر
فقالت له خديجة بنت خويلد ام المومنين رضى الله عنها اوجه اليك اى أأوجه اليك فحذفت
همزة الاستفهام ومعناه ارسل اليك من يرقيك اى يقرا عليك رقية قال اما الان فلا الان
الزمان الحاضر وهو ظرف متعلق بمقدر اى ان اردت ان ترقينى الان فلا تفعلى ذلك اى لا حاجة لى
بالرقى بعد نزول القران فانه شفا من كل دا وقد ورد فى احاديث كثيرة الرقا وجوازها والنهى عنها
وجمع بينهما بان الجايز منها ما كان بلسان عربى ظاهر المعنى كاسما الله وسورة الفاتحة وورد فى الحديث
ان جبريل جاءه عليهما الصلاة والسلام وقد اصابته حمى فقال بسم الله ارقيك من كل شى يوذيك
من شر كل نفس او عين حاسد الله يشفيك بسم الله ارقيك والممنوع المنهى عنه ما لم يكن بشى مما
ذكروا اعتقاد تاثيرها بنفسها ولذا ورد ما توكل من استرقى ولما كانت الرقى من باب مباشرة
الاسباب وتركها توكل وتسليم لله وهو اليق بمقام النبوة تركها صلى الله عليه وسلم وله ذوق
ماثوره استوفيت فى محلها وحديث خديجة رضى الله عنها الذى رواه ابن اسحاق والبيهقى وابو نعيم
فى الدلايل واختيارها بخا معجمة ومثناة فوقية ويا موحدة ورا مهملة اى تجربة خديجة امر جبريل
عليه الصلاة والسلام لما اخبرها النبى صلى الله عليه وسلم بمجيئه اليه فارادت ان تعرف امره

هل هو ملك ام لا بكشف راسها الحديث لان الملك لا يدخل بيتا فيه عورة مكشوفة والمراة الحرة بدنها
كله عورة وكانت قالت له صلى الله عليه وسلم اذا اتاك جبريل عليه الصلاة
والسلام اخبرني به فلما اتاه ولخبرها كشفت راسها فرجع فعلمت انه ملك لانه لو كان شيطانا
دخل البيت ولما كان في اقرار النبي صلى الله عليه وسلم لما فعلته خديجة ما يوهم الشك
دفعه بقوله انما ذلك الاختبار والتردد واقع في حق خديجة لا صادر منه صلى الله عليه وسلم
حتى يتوهم شك في نزول الملك عليه لتتحقق خديجة صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وان الذي
ياتيه ملك وزوال الشك عنها لا عنه صلى الله عليه وسلم كما توهم لا انها فعلت ذلك الاختبار
للنبي صلى الله عليه وسلم ولا نافية داخلة على ان المفتوحة وما وقع في بعض النسخ من لانها بالتعليل
خطا من الكاتب وليختبر اي يعرف هو صلى الله عليه وسلم حاله بذلك وهو معطوف على المنفي
فهو منفي اي لم تفعله لازالة شكه لا من الناسخ ولا اختباره فالاختبار بكشف راسها وهي كانت جازمة
بنبوته ولكن ارادت كشف الغطا لتزداد يقينا فالمراد بالشك مجرد الاحتمال المرجوح لا المتساوي
الطرفين كما يعرفه من وقف على جليته حالها بل اضرابا انتقاليا فقد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن
يحيى بن عروة بن الزبير المدني وقد قال ابن حبان فيه انه متروك الحديث يروي الموضوعات وله ترجمة
في الميزان عن هشام عن ابيه هو هشام بن عروة بن الزبير ابو المنذر وقيل ابو عبد الله القرشي مولاهم
توفي سنة ست واربعين ومايه وهو امام ثقة اخرج له الستة وقال ابن القطان انه اختلط في اخر
عمره ورده الذهبي كما فصله في ترجمته عن عايشة ام المؤمنين رضي الله عنها ان ورقة بن نوفل بن
اسد المشهور ام خديجة بنت خويلد بن اسد ام المؤمنين وورقة بن عمها كانت تاتيه وتذكر له ما كان
يراه النبي صلى الله عليه وسلم في اول بعثته اي تعرض عليه ما كان يراه وانه يقول انه ياتيه بالوحي
ملك فامرها ان تخبرا لامر امر الملك مع النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اي بكشف راسها اذا
اتاه وهو عندها فان رجع فهو ملك والا فلا ففعلت كما امر وتخبر تلاوتي بفتح المثناة الفوقية
وسكون الخا المعجمة وضم البا الموحدة وراء مهملة مضارع خبره اذا امتحنه وجربه وحاصله انه
لم يكن من النبي صلى الله عليه وسلم شك في امره وانما هو تردد تما من خديجة في اول امرها كما ذكره
في الحديث الذي بعده في قوله وفي حديث اسماعيل بن ابي حكيم الذي رواه ابن اسحاق ايضا وحكيم بفتح
الحا المهملة وكسر الكاف ومثناة تحتية وميم واسماعيل ابنه قرشي مدني ثقة كان كاتب العمر بن عبد العزيز
في خلافته اخرج له مسلم وغيره من اصحاب السنن وتوفي سنة ثلاثين ومايه انها اي خديجة قالت
قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عم وهو صلى الله عليه وسلم ابن عمها لاجتماع نسبهما
في قصي فانه صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي
وهي خديجة بنت خويلد ابن اسد بن عبد العزى بن قصي ولا حاجة لما قيل انه جار على عادة العرب في تخاطبهم
بل لا وجه له هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك يعني الملك الذي ياتيك وهو جبريل عليه الصلاة
والسلام اذا جاءك بالوحي جهرة وانما قالت له هل تستطيع لانها تخشى انه لا يقدر على اخبار غيره لما
يغشاه من دهشة الوحي وشدته عليه قال صلى الله عليه وسلم نعم اخبرك به فلما جاءه جبريل

وهو

وهو عندها اخبرها بمجيه اليه فقالت له اجلس الى شقي بكسر الشين المعجمة اي جنبي ملاصقا لي وذكر
اسماعيل الحديث الخ يعني من انه جلس وجبريل قادم عليه فكشفت راسها فلم يدخل جبريل عليه فاخبرها
بذلك وفيه فقالت ما هذا الاتي لك بشيطان هذا الملك يا ابن عم لانه لو كان شيطانا دخل البيت
وراسها مكشوفة فاثبت له اذا جاءك واسمع منه ما اتاك به من الوحي وابشر اي قر عينا وكن مسرورا بما
اكرمك الله به وانت به صلى الله عليه وسلم وبرسالته وهي اول من امن به مطلقا ومن النسا رضي الله
عنها فهذا اي ما روي عن خديجة يدل على انها اي خديجة مستثبتة اي طالبة للثبات باطمينان القلب وزيادة
اليقين بما فعلته من السوال والاختبار لنفسها ومستظهرة لايمانها اي طالبة لظهور ما امنت به حتى لم يبق
عندها شايبة تردد لا للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لا شبهة عنده ولا تردد اصلا ومما يوهم وقوع
ما نزهه عنه قول معمر بن راشد اليماني فيما رواه عنه احمد والبيهقي في حديث فترة الوحي اي انقطاعه
في ابتدا امره مقدار سنتين ونصف والفترة والفتر سكون بعد حدة ولين بعد شدة وضعف
بعد قوة قال تعالى على فترة من الرسل قاله الراغب والمراد مامر فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي عرض له حزن وغم لانقطاع الوحي فيما بلغنا رواية عمن عليه حزنا غدا بغين معجمة اي ذهب ومشى
اي بسبب حزنه وفي نسخة منه مرارا متعددة كي يتردى اي يلقي نفسه وهو في الاصل تفعل من الردى
بمعنى الهلاك لان من يفعله يهلك غالبا من روس شواهق الجبال اي من اعالي جبال مكة وهذا جواب
سوال تقديره اذا كان الامر كما قلت انه صلى الله عليه وسلم لا يعتريه شك فيما يتعلق بالعقايد
والنبوة فلم حزن حتى كاد تقتل نفسه فيما رواه معمر اجاب عنه بانه لا يقدح اي لا يطعن فيما قلناه
ولا يضر من القدح بمعنى الذم في هذا الاصل اي القضية الكلية من انه في غاية اليقين لامور الوحي
والتوحيد وليس المراد به ما قاله لخديجة كما قيل ثم بين عدم القدح بوجوه الاول قوله لقول معمر بفتح
الميمين وهو من اتباع التابعين عنه صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا ولم يسنده اي لم يرفعه الى
النبي صلى الله عليه وسلم فلا يستدل به ولا ذكر رواته جمع راو وهو من رواه عنه ولا من حدث به
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان ابن سيد الناس رواه مسندا من طريق الدولابي ولم يذكر فيه
معمر بل رواه عن الزهري عن عروة عن عايشة فقال لم ينشب ورقة ان توفي وفتر الوحي وذكر هذا الحديث
ولا ذكر معمر ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل ذلك وفي نسخة ولا يعرف هذا
من احواله الا من جهته النبي صلى الله عليه وسلم لان مثله لا يقال من قبل الراي فهو في حكم المرفوع
وان كان منقطعا والجواب الثاني ما اشار اليه بقوله على انه اي ما ذكر من حزنه الخ وفي نسخة مع انه
قد يحمل على انه كان اول الامر اي في اول امره قبل ان يلقاه جبريل عليه الصلاة والسلام ويعلمه
بانه رسول الله وانه اوحي اليه ويتمكن من حمل اعبا النبوة وجواب اخر اشار اليه بقوله او انه فعل
ذلك المذكور لما احرجه بكسر اللام وتخفيف الميم واحرجه بحا مهملة وجيم اي اوقعه في حرج وضيق
صدر من تكذيب من بلغه ما ارسل به اليهم وهو بتشديد اللام ويجوز تخفيفها كما قال تعالى
فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يومنوا بهذا الحديث اسفا وباخع بمعنى قاتل من بخع الشاة اذ
اذبحها والاسف الحزن على ما فات وعلى اثارهم اي بعدهم جمع اثر فحزنه صلى الله عليه وسلم لم يكن لشك

اعراه وانما كان لتكذيبهم له وعدم طاعتهم له وهو حريص على ان يهديهم الله رحمة منه لما فاتهم
من سعادة الدارين وهذا للشفقة عليه تسلية له صلى الله عليه وسلم ويصح معنى هذا التاويل
اى تاويل ما رواه معمر وجعله بمعنى الاية المذكورة حديث رواه شريك والراوى له عنه البزار وهو شريك
بن عبد الله النخعى الامام الثقة وقد وثقه ابن معين وقال غيره لا باس به وقد قيل انه كان سيئ الحفظ
توفى سنة سبع وسبعين ومايه وسنه ثمانون سنة وله ترجمة فى الميزان عن عبد الله بن محمد بن عقيل
بن ابى طالب بن عبد المطلب توفى بعد الاربعين ومائة وهو لين الحديث حتى قيل انه لا يحتج بروايته
عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ان المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة بفتح النون وسكون الدال المهملة
والندوة بمعنى الاجتماع ومنه النادى ودار الندوة دار كانت بمكة يجتمع فيها قريش للمشاورة والحكومة
بناها قصى بن كلاب فكانت ديوان رؤسائهم للتشاور فى شان النبى صلى الله عليه وسلم وكان ذلك بعد
موت خديجة رضى الله عنها وابى طالب وقد ادار النبى صلى الله عليه وسلم بانذارهم وانذرهم مرارا كما هو مشهور
مفصل فى السير وحضور ابليس لعنه الله تعالى ورأيه فى هذه القصة مشهورة واتفق رايهم على ان يقولوا
انه ساحر كما رعن ابى جهل والوليد بن المغيرة اشتد ذلك اى قولهم هذا واشتد عليه الامر بمعنى صعب وعسر
عليه صلى الله عليه وسلم وتزمل فى ثيابه اى تلفف فيها كالنايم وتدثر فيها اى تغطى بها فوق لباسه
الذى على بدنه ويلى جسده ومنه الحديث الانصار شعار ى والعربد ثارى فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام
فقال له جبريل يا ايها المزمل يا ايها المدثر اصله المتزمل والمتدثر تفعل من زمله اذا لفه ودثره اذا اعطاه
فابدل وادغم على قاعدة اهل الصرف فيل انه اجتمع فى دار الندوة ابو لهب وابو سفيان والوليد بن المغيرة
والنضر بن الحارث وامية بن خلف والعاص بن وايل السهمى ومطعم بن عدى وقالوا ان العرب يجتمعون
فى ايام الحج ويسمعون امر محمد صلى الله عليه وسلم وقد اختلفتم فيه فاجمعوا على راى فيما يقال لهم فقال رجل
منهم نقول انه شاعر فقال الوليد قد سمعت الشعر وكلام محمد لا يشبهه فقالوا نقول انه كاهن فقال الكاهن
يكذب ويصدق وما كذب محمد قط فقالوا نقول انه مجنون فقال المجنون يخنق ولم يخنق ثم انصرف لبيته
فقالوا صبا الوليد فذهب له ابو جهل وقال له انا نجمع لك شيا من المال فقال ما لى حاجة اليه ولم اصب
وانما فكرت فى امره فرايته يفرق بين المرء وزوجه وبين الوالد وولده وهو شان الساحر فنقول انه
ساحر فلما سمع هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا كما ذكره المصنف وغيره من غير تعقب له
ولا يخفى انه مخالف للرواية الصحيحة من ان اجتماعهم بدار الندوة انما كان وقت الهجرة ويا ايها المزمل
ويا ايها المدثر كان فى ابتدا نزول الوحى عليه كما فى البخارى وهو مخالف لما هنا فان صحت هذه الرواية
تكون نزلت عليه مرتين ومن العجب ان الشراح لم ينبهوا على هذا مع ظهوره ثم اجاب بجواب اخر عن هذه
الشبهة فقال وخاف صلى الله عليه وسلم زمان الفترة اى انقطاع الوحى عنه سنة ونصف
او سنتين ونصف على اختلاف فيه كان لامر صدر منه او سبب صدر منه لم يعرفه فخشى ان يكون
انقطاع الوحى عنه عقوبة من ربه لغضبه عليه ففعل ذلك اى الهم بان يلقى نفسه من اعالى الجبال
حتى يهلك بنفسه اى بذاته وجسمه ولم يرد بعد بالبنا على الضم اى بعد ما وقع له صلى الله عليه وسلم
وما هم به شرع مبنى بالنهى عن ذلك اى بنهيه عما فعله وخطر على قلبه فيعترض به بالبنا للمجهول اى

يكون

263

يكون سببا لان يعترض به عليه ويعده شبهة فى فعله ويعترض مرفوع اى فكيف يعترض ويجوز نصبه
ونحو هذا اى مثل ما صدر عن نبينا صلى الله عليه وسلم مما يتوهم فيه امر ويحتاج للتاويل اى ونحو ما روى
من حزنه صلى الله عليه وسلم وارادته لالقا نفسه من الجبل فرار يونس بن متى نبى الله صلى الله عليه
وسلم المعلوم وقد تقدم ان يونس مثلث النون بهمز ودونه ففيه ست لغات مشهورة خشية
بالنصب اى خوفا من تكذيب قومه له لما يكسر اللام وتخفيف الميم او لمو هم به من العذاب بيان لما وعد يونس
صلى الله عليه وسلم كما فى قراءة الزمان كان بعد سليمان نبى الله صلى الله عليه وسلم وقد علم انه
ابن متى ومتى اسم ابيه وقيل اسم امه وهو من ولد بنيامين بن يعقوب عليه الصلاة والسلام
وكان من عباد بنى اسرايل نزل بشاطى دجلة فبعثه الله نبيا رسولا لاهل نينوى من اهل الموصل
فلما بلغهم الرسالة لم يجيبوه فانذرهم بعذاب يصيبهم بعد اربعين يوما فقالوا ان راينا اسباب
العذاب امنا بك فلما مضى من ميقاته خمسة وثلاثون يوما غامت السما غيما اسود يدخن فلما
ايقنوا برزوا من القرية باهليهم وبهايمهم وفرقوا بين كل دابة وولدها وضجوا الى الله تعالى فقبل الله
توبتهم وقد ساح يونس عليه الصلاة والسلام فى الارض وروى ابن مسعود ان يونس صلى الله
عليه وسلم وعد قومه العذاب واخبرهم انه ياتيهم الى ثلاثة ايام ففرقوا بين كل والدة وولدها
وجاروا الى الله فرفع عنهم العذاب بعد مشاهدة الباس وذلك لم يكن لغيرهم وانتظر يونس
العذاب فلم ير شيا وخاف الكذب على ما ياتى فانطلق مغاضبا وركب سفينة فركدت وغيرها سايرة
فقال ما بالها قالوا لا ندرى فقال ان عبدا ابق من ربه لا تسير حتى تلقوه منها فقالوا اما انت فلا
نلقيك فقال اقترعوا فمن وقعت عليه القرعة القى فخرجت القرعة عليه ثلاث مرات فالقى فى البحر
وابتلعه الحوت وهوى به لقراره فسمع تسبيح الحصى فنادى فى الظلمات يعنى ظلمة بطن الحوت والليل
وجوف البحر الى اخر ما قصه الله من امره واختلفوا فى مدة مكثه فى بطن الحوت فقيل عشرون وقيل
اربعون وقيل ثلاثة ايام وقيل سبعة وقيل يوم وقول الله تعالى فى يونس اى فى قصته عليه الصلاة
والسلام فظن ان لن نقدر عليه جواب سوال مقدر تقديره انك قلت ان من الاصول المقررة كما
تقدم ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام منزهون من ان يكون عندهم شك وشبهة فى شئ
مما يتعلق بالعقايد وذات الله وصفاته فكيف يظن يونس نبى الله عليه الصلاة والسلام
ان قدرة الله لا تتعلق به وهو على كل شئ قدير اجاب عنه بقوله معناه ان لن نضيق عليه فانه
يقال قدر وقتر بمعنى ضيق اى ظن انا لا نضيق عليه وهذا مروى عن جماعة من ايمة التفسير
واللغة قال مكى رحمه الله طمع فى رحمة الله وان لا يضيق عليه مسلك فى خروجه مما هو فيه وقيل
انه لا يناسب قوله انى كنت من الظالمين واجيب بانه باعتبار مقامه فكانه امر بالصبر فكان
عليه ان يسلم امر الله عز وجل ولا يذهب مغاضبا لقومه وللانبيا عليهم الصلاة والسلام
مقامات لا تناسب مقامات غيرهم فليس من القدرة لانه غير مناسب هنا وقيل انه تمثيل لحاله
بحال من ظن انه لن نقدر عليه لما استعجل ولم ينتظر امر الله عز وجل وقيل حسن ظنه بمولاه يعنى الله
عز وجل انه لا يقضى عليه العقوبة هذا جواب ثان فهو من التقدير قال الجوهرى قدرت الشى اقدره

واقدره من التقدير وهو القضا والحكم اى ظن ان الله لا يقضى عليه بعقوبة ويجازيه على ذهابه وعدم
صبره وهذا قاله مجاهد وقتادة واختاره الفرا وثعلب وقيل في تاويله ان معناه نقدر بضم اوله
سكون ثانيه وكسر ثالثه مخففا ما اصابه من الابتلا بابتلاع الحوت له وقرى يقدر بالتشديد
فهذه القراة تدل على ان المخفف بمعنى المشدد كما قاله ثعلب رحمه الله تعالى وانشد شاهدا عليه
قوله   ولا عائدا ذاك الزمان الذى مضى   تباركت ما تقدر يقع ولك الشكر   وفي الاية قراات
لا حاجة لتفصيلها هنا وهذا قريب من الجواب الذى قبله فان الفعل فيهما من التقدير والفرق بينهما
انه في الاول عرف ان فعله مستحق للعقوبة ولكن رجا العفو من كرم ربه وفي هذا لم يكن يخشى عقوبة
ويظن ان الله لا يبتليه بما ابتلاه به وقيل معناه لن نواخذه الله اى يجازيه بغضبه على قومه
وذهابه مغاضبا لهم ولم يصبر منتظرا لامر الله فلن نقدر عليه بمعنى لن نواخذه بغضبه وذهابه
فاطلق السبب على المسبب فليس فيه ظن لعدم قدرة الله عليه وليس هذا راجعا الى معنى
القضا عليه لان المواخذة بالقضا والحكم السابق كما قيل ويقال ابن زيد هو كما تقدم عبد
الرحمن بن زيد بن اسلم   وقد تقدمت ترجمته وما في بعض النسخ ابو زيد وفي بعضها ابن دريد
من تحريف الناسخ والصحيح الاول كما في المقتفى للبرهان الحلبى معناه اتظن ان لن نقدر عليه على
تقدير حرف الاستفهام وقد ورد حذفه كثيرا كقوله   قالوا تحبها قلت بهرا   عدد الرمل
والحصى والتراب اى اتحبها ومفصل في كتب النحو والاستفهام انكارى اى افظن عدم قدرتنا
عليه اى لم يظنه ولم يخطر بباله كما اشار اليه بقوله ولا يليق اى لا يناسب عقلا ولا شرعا
ان يظن بالبنا للمجهول اى يظن احد بشئ من الانبيا ان يجهل صفة من صفات ربه وهى هنا قدرته
تعالى وتعلقها بكل شئ وفي نسخة انه جهل وكذلك اى مثل ما تقدم في انه مصروف عن ظاهره
قوله اذ ذهب مغاضبا الصحيح في معناه انه اراد مغاضبا لقومه بكفرهم اى لاقامتهم على كفرهم
فراغمهم بفراقهم رغما لهم لظنه انه سايغ شرعا حيث لم يفعله الا غضبا لله وانفة لدينه وبغضا
للكفر واهله وان ينتظر الاذن من الله كما قاله الزمخشرى وهو اى التفسير المذكور قول ابن عباس
والضحاك وغيرهما من السلف لا مغاضبا لربه اذ لا يليق ذلك بمقام النبوة اذ مغاضبته الله تعالى
معاداة له وهو تفسير باللازم لان العداوة تقتضى عدم الرضا ومعاداة الله تعالى كفر لا يليق
بالمؤمنين فكيف يليق بالانبيا عليهم الصلاة والسلام وكيف استفهام تجوز به عن الاستبعاد
لما بعده كما تقدم والمغاضبة مفاعلة اريد بها اصل الفعل وهى على ظاهرها لانها بمعنى العداوة
وهى من الجانبين لانه عاداهم لله وعادوه لجهلهم وكفرهم فلا حاجة لصرفه عن ظاهره
وقيل ذهابه في صورة الغضب لانه كان مستحييا اسم فاعل بيائين اى حييا من قومه ان يسموه بدل
من قومه بدل اشتمال اى يصفوه بالكذب لانه اوعدهم بعذاب يحل بهم لما خالفوه وعين لهم مدة
كما تقدم وهى من السمة بمعنى العلامة كالكى وغيره فاستعير للصفة لانها تميز كالعلامة اى كراهة
ان يصفوه به اذ كان اجلهم اربعين ليلة فقالوا ان راينا مخايله امنا فلما راوا ذلك امنوا فكشف عنهم
العذاب كما قصه الله بقوله الا قوم يونس لما امنوا الاية وقوله او يقتلوه اى وخوفا من ان يقتلوه

فهو كقوله

فهو كقوله متقلدا سيفا ورمحا كما روى في الخبر المذكور في قصص الانبيا عليهم الصلاة والسلام
وقد تقدم بعض منه وليس هذا راجعا الى القول بانه غضب من ربه كما حكاه ابن عطية فتوهمه
لا وجه له وفي مراة الزمان ان يونس عليه الصلاة والسلام لما ساح فراى راعيا في فلاة
فسقاه لبنا وهو مستند الى صخرة فاعلمه انه يونس وامره ان يقرا على قومه السلام فقال
يا نبى الله لا استطيع لان من كذب منا قتل قال فان كذبوك فالشاة التى سقيتنى من لبنها وعصاك
والصخرة يشهدن لك فاتاهم الراعى واخبرهم فانكروا فنطقت الشاة والصخرة والعصا وشهدن
له فقالوا له ان خبرنا اذ رايت نبينا وملكوه عليهم اربعين سنة وقيل انه ذهب مغاضبا
لبعض الملوك في عهده فيما امره به اى بسبب امر امره به من التوجه بيان لما الى امر امره الله تعالى به
على لسان نبى اخر اى بواسطته يبلغه له وضمير امره للملك فقال له اى قال يونس عليه الصلاة
والسلام للملك غيرى اقوى عليه منى اعتذارا له لخشيته من التقصير فيه فعزم عليه اى صمم
واقسم عليه انه يفعل ما امره به ولم يقبل عذره فخرج لذلك اى لما صنعه الملك معه مغاضبا
اى للملك لا لربه كما توهم وهذا اشارة لما في بعض التفاسير كما حكاه الاخفش من ان يونس عليه
الصلاة والسلام خرج مغاضبا لملك كان لقومه والنبى المذكور كما روى عن ابن عباس شعيب
والملك اسمه حزقيل فاوحى الله الى شعيب ان قل لحزقيل ان يبعث نبيا من انبيا بنى اسرائيل الى اهل
نينوى يامرهم بتخلية بنى اسرائيل فانى ملق على قلوب جبابرتهم وملوكهم فقال ليونس اخرج اليهم
فقال يونس هل امرك الله باخراجى   وسمانى فقال لا فقال ها هنا انبيا اقويا فالح عليه فخرج
مغاضبا الى اخر ما قصه الله وقد روى عن ابن عباس ان ارسال يونس عليه الصلاة والسلام
ونبوته اى بعثته نبيا مرسلا الى اهل نينوى من ارض الموصل انما كان بعد ان نبذه الحوت ونبذه
بلفظ الماضى المعلوم وفي نسخة بعد نبذه باضافة المصدر لمفعوله اى قذفه من بطنه والمراد
مطلق الالقا وقال الراغب النبذ القا الشئ وطرحه لقلة الاعتداد به ولذا يقال نبذه نبذ النعل
الخلق وقال تعالى فنبذوه ورا ظهورهم انتهى وفيه نظر لانه لا يناسب قوله فنبذناه بالعرا
فتامل واستدل لما قاله ابن عباس رضى الله عنهما بقوله وعلى هذه النسخة يكون فاعل المصدر
قوله الحوت تعالى فنبذناه بالعراء وهو سقيم العرا بالفتح والمد المكان المتسع الخالى من البنا
والشجر فهو كانه عار وكان الحوت يسير مع السفينة رافعا راسه ليتنفس واختلف في مدة لبثه
في بطنه كما مر وقوله وهو سقيم اى ضعيف كالطفل حين يولد من حرارة بطن الحوت وانبتنا
عليه شجرة من يقطين يفعيل من قطن اذا اقام وهى شجرة بين وقيل هى القرع وعلى هذين فاطلاق
الشجرة عليه مجاز لانها ما له ساق والمشهور الثانى لما روى انه صلى الله عليه وسلم كان
يحبه ويقول هى شجرة اخى يونس فانبتت عليه لتظله ويأكل منها لانها لا يقع عليها الذباب
وارسلناه الاية ووجه الاستدلال انه ذكر الارسال بعد اخراجه من بطن الحوت والواو
وان لم تفد الترتيب على الصحيح   لكن الترتيب الذكرى يقتضيه لان غيره مخالف للظاهر وهو
معنى ما نقل عن الشافعى اذ لا وجه للعدول عن الظاهر من غير قرينة وقوله او يزيدون او بمعنى

الواو والمراد وصفهم بالكثرة او تردد من راهم وقد اجيب عما استدل به ابن عباس رضى الله عنهما
بانه ارسال اللغوى اى ارجعه الى من ارسل اليه اولا او هو ارسال لغيرهم الى غير ذلك مما ذكره
للمفسرون ويستدل ايضا اى لقول بن عباس كما استدل بما قبله بقوله ولا تكن الخطاب له
صلى الله عليه وسلم كصاحب الحوت اذ ضجر ولم يصبر فاصبر فان الله ناصرك وذكر القصة
يعنى قوله اذ نادى وهو مكظوم الى ان ثم قال فاجتباه ربه فجعله من الصالحين وهذا بنا على ان
معنى اجتباه اصطفاه واختاره لرسالته وهذا ليس بمتعين فقوله فتكون هذه القصة قبل
نبوته وارساله لقومه غير مسلم لما تقدم واعاق لهذا ابن عباس لانه قبل النبوة يجوز صدور
ما ذكر عنه لانه لم يوح اليه بما يزيل الشك عنه ثم اورد سوالا على الاصل الذى قرره من براة
الانبيا عليهم الصلاة والسلام مما يعرض لغيرهم من الشك ونحوه فقال فان قيل فما معنى
قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه مسلم عن الاغر المزنى انه اى الامر والشان ليغان
على قلبى الغين بالغين المعجمة ويا ونون الستر والتغطية وهو قريب من الغيم ويكون بمعناه اى
ترد على قلبى امور تشغله ويقال غين على قلبه اذا عرض له وسوسة ونحوها ولما توهم من ظاهر
الحديث انه قد يعرض له صلى الله عليه وسلم شك فى بعض شؤونه ورد سوال بانه مخالف لما تقرر
لان قوله فاستغفر الله فى كل يوم وفى نسخة فى اليوم مائة مرة وفى طريق اى فى رواية له فى اليوم
اكثر من سبعين مرة يقتضى انه خواطر غير مرضية محتاجة للعفو عنها دفعه وقال اذا سمعت هذا
او عرفت ما يوهمه فاحذر ان يقع ببالك اى يخطر على قلبك وفكرك وذكر البال هنا فيه لطف صادف
محزه ان يكون هذا الغين الوارد فى هذا الحديث وسوسة او ريبا اى شكا فى شئ من امور المتعلقة
بالوحى وقع فى قلبه صلى الله عليه وسلم فى شئ من امور الدين ثم وضحه بعد بيان معناه حقيقة
فقال بل اصل الغين اى اصل معناه وما وضع له لغة فى هذا الكلام ما يغشى القلب ويغطيه
عطف تفسير وهو استعارة لما يشغله قاله الامام ابو عبيدة وفى نسخة ابو عبيد القاسم بن
سلام كما تقدم واصله اى ما وضع له اولا ماخوذ من غين السما وهو اطباق الغيم عليها اى على السماء
والطباقه تغطية جميع نواحيها وقريب منه ما قيل انه الغيم المطبق فيحتمل ان النون مبدلة من الميم
وقال غيره اى غير ابى عبيدة الغين شئ يغشى بفتح اليا والشين المخففة وبضمها وكسر الشين المشددة
والاول اظهر القلب اى يعرض له او يستره ولا يغطيه كل التغطية اى لا يغطيه كلا كالغيم الرقيق
الذى يعرض فى الهوا اى فى الجو فلا يمنع ضوء الشمس لرقته وكذلك اى مثل ما ذكر من انه لا يفهم
منه انه وسوسة لا نعهم من الحديث انه يغان على قلبه مائة مرة او اكثر من سبعين مرة فى اليوم
ثم بينه بقوله اذ ليس يقتضيه لفظه الذى ذكرناه اى لا يدل عليه دلالة متعينة وهو اكثر الروايات
اشارة الى ان فيه روايات اخر وانما هذا المذكور فى الحديث عدد الاستغفار لا للغين فانه
واقع بعد الاستغفار المرتب على الغين بالفا وان احتمل يكون كل استغفار لغين فيكون المراد
العدد واما الروايتان فلا تنافى بينهما لا باعتبار الاحوال او الا من سبعين
هو المائة نفسها فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات قلبه وفترات نفسه اى فتورها

وكسلها

وكسلها وسهوها اى زوال صورتها عن الفكر وبين ما غفل عنه فى فتروها بقوله من مداومة
الذكر اى ذكره صلى الله عليه وسلم لله بلسانه وقلبه ومشاهدة الحق ان اريد به الله تعالى
فالمراد مشاهدته فى مزايا مصنوعاته حتى كانه يراه بعين عيانه وان اريد به ما هو حق ثابت
متيقن من العلوم الحقة والامور اليقينية الدينية فالامر واضح ولما كان هذا يوهم امرا لا
يناسب مقامه صلى الله عليه وسلم حتى قيل انه لا ينبغى ذكره فانه يقتضى تفضيل الملائكة
على الانبيا عليهم الصلاة والسلام لانهم لا يفترون على العبادة والتسبيح طرفة عين اشار
الى دفعه بما لم يتنبه له المعترض فقال بما كان اى بسبب ما كان صلى الله عليه وسلم دفع اليه
بالدال المهملة المضمومة مبنى للمجهول اى فوض اليه واعطيه قال الراغب الدفع اذا عدى بالى
معناه الانالة لقوله تعالى فادفعوا اليهم اموالهم فان عدى بعن فمعناه الحماية نحو ان الله
يدفع عن الذين امنوا من مقاساة البشر المقاساة والمكابدة مباشرة ما فيه مشقة من امور
غيره وسياسة الامة السياسة هى الحكم والتدبير لامر غيره من ساسه يسوسه اذا قام عليه
لاصلاح اموره وهو لفظ عربى لا معرب كما توهم وهى حكم مخصوص بما يكون بطريق القهر
والضبط ومعانات الاهل اى الاعتنا بامرهم والتقيد بما فيه معاشهم ومقاومة الولى
اى القيام بالامر الذى يتعلق بالولى وهو من يواليه ويتبعه والعدو وهو من يظهر عداوته
ومقاومته مقابلته بالغلبة والقهر كما كان يفعله صلى الله عليه وسلم فى غزواته وتدبير
جيوشه ومصلحة النفس اى مصلحة نفسه فى امور معاشه وكلفه بالبنا للمجهول معطوف
على دفع اليه من اعبا ادا الرسالة جمع عبء بهمزة فى اخره وهو كالحمل لفظا ومعنى بكسر اوله وهو
ما يكون له فى تبليغها ودعوة الخلق وحمل بفتح الميم الامانة اى ما استودعه الله من اسراره
واعطا كل ذى حق حقه وليس المراد بها طاعة الله التى اوجبها عليه كما قيل وهو صلى الله عليه
وسلم فى كل هذا اى ما دفع اليه وكلفه مما ذكر من المقاساة وما بعدها فى طاعة ربه وعبادة
خالقه دفع لما يتوهم من انه كان اللايق به صلى الله عليه وسلم انه لا يشغله شئ عن ذكر ربه
ومشاهدته بانه لم يشغله به لحظوظ نفسانية ولا لامور رياسية وانما الله شغله بذلك
فما انقطع عنه الا لخدمته التى امره الله عز وجل بها كما قيل اريد صلاحه ويريد هجرى فاترك
ما اريد لما يريد ولما ورد عليه ان هذا اذا كان طاعة وعبادة فلم استغفر منه والاستغفار
انما يكون من الذنب وجهه على طريق الاستدراك بقوله ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم
ارفع الخلق عند الله مكانة اى له رتبة عند الله ومنزلة عالية على كل مخلوق والمكانة بالتا
تختص بالمحل المعنوى كالمنزلة واعلاهم درجة الدرجة ما كان فى جانب العلو ضد الدرك
ومكانة ودرجة تمييز واتمهم اى اكملهم به اى بالله معرفة فهو اعرف بالله مما سواه ولخو
هذا الاتم مرتب على ما قبله فى المعقول والمحسوس وكانت حالته الحال مونث اى امره وشانه عند
خلوص قلبه لله بحيث لا يمر به سواه وخلو همه اى جعل همته وعزمه وفكره خاليته عن غير الله
تعالى وتفرده بربه اى جعل امره منفردا بالتوجه لجنابه الاعلى فيكون قلبه معه وحده

فی خلوته فان ذاکر الله جلیس الرحمن کما ورد عنه واقباله بکلیته ای بذاته کلها قلبا وقالبا علیه
ومقامه هنالك ای اقامته مع الله فی حظیرة قدس قربه واشار بالبعد لعلو مقامه ثمة ارفع
ای اعلی حالیه ای حال اشتغاله بالظاهر وحالة کونه مع الله عالم السرایر وکل منهما رفیعة ولکن
هذا ارفع رای صلی الله علیه وسلم ای علم اوشاهد حال فترته عنها ای عن ارفع حالیه
وشغله بسواها ای اشتغاله بغیرها غضا عن علی حاله وهو مفعول ثان لرای وحال وغض
الطرف ارخاوه واطراقه ویکون بمعنی النقصان کما یقال غض صوته قاله الراغب وهو المراد
هنا وکنی به عن التنزل عما ذکر وخفضا ای حطا وتنزیلا عن رفیع مقامه وهذا بالنسبة
للحالة الاخری وان لم یکن کذلك فی نفسه فاستغفر الله تعالی ای طلب مغفرته وعفوه ومسامحته
له من ذلك لعده بالنسبة لمقامه الاخر کالذنب کما قال البحتری اذا محاسنی اللاتی ادل بها
کانت ذنوبی فقل لی کیف اعتذر ولذا ورد انه صلی الله علیه وسلم کان اذا قام من مجلسه
قال استغفر الله الذی لا اله الا هو الحی القیوم واتوب الیه وروی انه کان یقول رب اغفر لی
وتب علی انك انت التواب الرحیم مایة مرة وهذا التفسیر اولی وجوه الحدیث التی ذکرت فی توجیهه
واشهرها والی معنا ما اشرنا الیه مال کثیر من الناس رحام حوله ای دار باطرافه وقرب منه
کقوله صلی الله علیه وسلم من حام حول الحمی واصله دفرفة الطایر علی الما اذا اراد النزول
علیه وقارب ای حاول القرب والوصول الیه ولم یرد ای لم یصل الیه استعارة من ورد
الما اذا اتاه لیستقی منه وفیه اشارة الی ان ذلك فیه شفا العلیل وثلج الصدور
واز النفس لحاظما الیه وفیه من البلاغة ما لا یخفی وقد قربنا غامض معناه ای ادنیناه
لمن قاربه ففیه لطف لا یخفی ای خفیه الذی لم یتضح واصله المکان المنخفض فکنی به عما
ذکر ثم صار حقیقة فیه وکشفنا للمستفید ای طالب الفایدة العلمیة من تجارته الرابحة
محیاه بالضم والفتح والتشدید بمعنی الوجه وفیه استعارة مکنیة وتخییلیة بتشبیهه
بحسان مخدرة والکشف للحدیث هنا لرفع عنه واظهار محیاه لعینه وهو ای هذا
التفسیر مبنی ای متفرع علی جواز الفترات والغفلات والسهو علی سایر الانبیا علیهم الصلاة
والسلام فی غیر طریق البلاغ ای ما امر بتبلیغه لامته من الشرایع واما ما طریقه البلاغ
فلا یجوز فیه ذلك لمنافاته له علی ما سیاتی فی هذا الکتاب وفی کلامه نظر لا یخفی فانه جعل
الغفلة والفترة والسهو عبارة عن اشتغاله بامته واهله فلا غفلة ولا فترة ولا سهو
حقیقة فکیف بناه علی غیر اساسه وهذا عندی کالغفلة فیما قاله فتامله فانه عریب ومن هنا
علمت سر دعا الملایکة لبنی ادم بالمغفرة وتفسیر صلاتهم بها ومعنی قوله تعالی ویستغفرون
للذین امنوا ربنا وسعت کل شیء رحمة وعلما وبه تذییل هذه الایة بما ذکر فذهب طایفه
ای اختاروا مذهبا ورایا کقوله وللناس فیما یعشقون مذاهب من ارباب القلوب ای
اولیا الله الذین لا خوف علیهم ولا هم یحزنون الذین نور الله قلوبهم وطهرها حتی صاروا من
ارباب الکشف ومشیخة بفتح المیم وسکون الشین ویجوز کسرها جمع شیخ وهو الکبیر سنا

ثم شاع

ثم شاع فیمن کبیر قدره فی العلم والصلاح المتصوفة ای ارباب التصوف وهو علم السلوك
وهو لفظ اطلق علی هولاء بعد العصر الاول لتقشفهم ولبسهم الصوف او لصفا قلوبهم
او لمضاهاتهم لاهل الصفة کما بیناه فی کتاب شفا الغلیل ممن قال بتنزیه النبی صلی الله
علیه وسلم عن هذا ای ما ذکر من الغفلة وما بعده جملة ای کله ومجموعه واجله ای عظمه
صلی الله علیه وسلم بتنزیهه عن مثله عن ان یجوز بالبنا للمجهول بضم اوله وتشدید واوه
المفتوحة ای یراه جایزا اطلاقه علیه فی حال من احواله سهوا وفترة السهو الذهول
عن شیء یتنبه له سریعا وقیل انه فی الشی ترکه عن غیر علم وعن الشی ترکه مع علم
ومنه الذین هم عن صلاتهم ساهون والفترة السکون بکسل ونحوه کما تقدم
الی ان معنی هذا الحدیث والی متعلقة بذهبت ما یهم بضم اوله وکسر ها یه من اهمه
اذا اقلقه واحزنه وخاطره بالنصب مفعوله ای قلبه وفکره وجعل فکره ذا هم
مجاز کقوله ویغم فکره ای یجعله ذا غم والغم والهم الحزن وقد یفرق بینهما من امته
صلی الله علیه وسلم لاهتمامه بهم وکثرة شفقته علیهم وحنوه ورحمته لهم
فیستغفر لهم ای یدعو لهم بالمغفرة لما صدر منهم او لما سیصدر فالغین خواطره
فیما یتعلق بهم واستغفاره صلی الله علیه وسلم انما هو لهم فلا اشکال فی الحدیث
اصلا قالوا ای المشایخ المنزهون له صلی الله علیه وسلم عما ذکر وقد یکون الغین
ها هنا ای فی هذا الحدیث هو السکینة ای الوقار والتانی والطمانینة فی الامور
التی تغشاه ای تعرض له لقوله تعالی فانزل الله سکینته علیه ای طمانینته وحلمه ووقاره
وفی الضمیر فی علیه قولان احدهما علی النبی صلی الله علیه وسلم والثانی علی ابی بکر
قال ابن العربی قال علماونا وهو الاقوی لانه خاف علی النبی صلی الله علیه وسلم فانزل الله
سکینته علیه بتامینه النبی صلی الله علیه وسلم وسکن فسکن جاشه وذهب روعه
وحصل الامن والسکینة لها معان منها الوقار والسکون والرحمة وقیل انها وردت
بمعنی ذات لطیفة هوایة لها وجه کوجه الانسان او علی صورة هرة مع بنی اسرایل
اذا ظهرت انهزم عدوهم ووردت بمعنی السحابة کذا فی الشرح الجدید وقال الراغب
فی قوله وانزل السکینة فی قلوب المومنین قیل هی ملك یسکن قلب المومن فیومنه
ومنه ان السکینة تنطق علی لسان عمر وقیل هی العقل ویقال له سکینة اذا سکن
عن المیل والشهوة والسکینة زوال الرعب وعلیه قوله تعالی ان یاتیکم التابوت
فیه سکینة من ربکم وما ذکر من انها شی له راس کراس الهرة لم یصح ویکون استغفاره
صلی الله علیه وسلم عندها علی هذا اظهارا للعبودیة والافتقار الی ربه عز وجل
وهو لیس بذنب بل خضوع وخشوع وقال ابن عطا تقدمه توجبه استغفاره وفعله
هذا ای الواقع فی هذا الحدیث تعریف للامة ای تعلیم لهم یحملهم علی الاستغفار
ای طلب مغفرة ربهم وقال غیره ای غیر ابن عطا ویستشعرون ای یدرکون ویعرفون من تعریف

رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم واصله طلب الشعور فعبر به عما ذكر الحذر
اى الاحتراز من المعاصى والخوف منه كما قال تعالى ويحذركم الله نفسه وفى نسخة الحصر
اى حبس انفسهم على طاعة الله والامتناع من الذنوب ولا يركنون اى لا يميلون ميلا تاما
الى الامن من الوقوع فى المعاصى والذنوب عنهما قال من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه وقد يحتمل
الحديث ان يكون هذه الاغانة فى قوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبى حالة خشية
واعظام اى يخطر بباله عظمة الله والخشية منه تغشى قلبه اى تعرض له حالة من تصور
ذلك فيستغفر حينئذ اى حين ما غشيته هذه الحالة شكرا لله تعالى على نعمة جليلة اذ عرفه
عظمته وخشيته وهو اعظم المعلومات فهو نعمة لا يساويها غيرها وملازمته لعبوديته اى
مداومته عليها اذ مقتضاها عدّه نفسه مقصرة لا تفى باداء خدمته فلذلك يستغفره
كما قال صلى الله عليه وسلم فى ملازمته العبادة اى كما ورد فى حديث انه صلى الله عليه وسلم
اكثر من قيام الليل حتى تورمت قدماه فقال له الصحابة اتفعل هذا يا رسول الله وقد غفر الله
لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا عطفه بالفاء على كلام مهم بتقدير
اذا انعم الله على بمغفرة ما تقدم وما تاخر ففى مقابلة هذه النعمة اللايق من الشكر واعظمه
الاعتقاد بالجنان والعمل بالاركان ولا عمل له افضل من الصلاة وقد كمل شكره بلسانه لما قال
هذا فلذا قال عبدا شكورا فاعترف بعبوديته وهى من اعظم النعم عليه واتى بصيغة المبالغة
وفا السببية وهى معطوف على كلام مهم وتسمى عطف تلقين كما صرح به سيبويه وذكره
فى الكشاف كما مر وهذا الحديث رواه البخارى وغيره وفى رواية له افلا احب ان اكون عبدا
شكورا فان الشكر يديم النعم او هو معطوف على مقدر اى اترك التهجد فلا اكون الخ
وفيه حث لغيره ودليل على ان الشكر كما يكون باللسان يكون بالابدان كما قال تعالى اعملوا آل
داود شكرا لكن غيره اذا خشى الملال لا ياتى الا بما يستطيعه كما ورد فى الحديث فلا منافاة
بينه وبين قوله عليكم من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وعلى هذه الوجوه الاخيرة
قال الواهى قوله وقد يكون الغين الى هنا وقيل من قوله وذهبت طائفة من ارباب القلوب الخ
يحمل اى يفسر ما ورد بعض طرق هذا الحديث من رواية البخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه عنه
صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبى فى اليوم اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله فيفسر
الغين بما مر ويجعل الاستغفار له لما مر او لامته تعليما لهم والعدد للاستغفار لا للغين لبعده
لفظا ومعنى وقال الخيضرى فى خصايصه قال السهروردى لا تعتقد ان هذا الغين نقص
بل هو كمال او تتميم لكمال ومثله بجفن العين ليسبل لدفع القذا عن العين فيمنع من الرؤية فهو
نقص بحسب الظاهر وكمال فى الحقيقة وهكذا بصيرة النبى صلى الله عليه وسلم للاغبرة
الثايرة من انفاس الاغيار الى ستر حدقة بصيرته صيانة ووقاية لها وقول ابن الجوزى
هفوات الطباع البشرية لا يخلو احد منها والانبياء عليهم الصلاة والسلام وان عصموا
من الكباير لم يعصموا من الصغاير مبنى على خلاف المختار وقال ابن بطال الانبياء عليهم الصلاة

والسلام

والسلام اشد الناس اجتهادا فى العبادة فهم دائبون فى شكره معترفون بالتقصير عما يجب له
تعالى ويحتمل انه عد اشتغاله بالمباحات ذنبا كالاكل والشرب والجماع وغيره من امور الدنيا
والنظر فى امر العباد وغيره مما يشغله عن ذكر الله ومراقبته فعده ذنبا بالنسبة لعالى مقامه
يمنعه من اتصاله بحضرة القدس وكونه تعليما لامته مخالف للسياق وكذا ما قيل انه
لاطلاعه على ما يحدث من امته بعده وفى الاحيا كان صلى الله عليه وسلم دايما يترقى
فى المقامات فاذا انتقل من مقام الى على منه راه نقصا فتاب منه واستغفر وحسنات الابرار
سيات المقربين كما قاله الجنيد وتعقب هذا بانه يدل على وقوع الاستغفار مفرقا
بحسب الاحوال وظاهر الحديث يخالفه كما قال ابن حجر وفيه نظر لانه ليس فى الحديث ما يدل
على افتراق واجتماع انتهى وسيل العراقى عن هذا الحديث فاجاب بما مر ثم قال والظاهر ان
الجملة الثانية مترتبة على الاولى وان سبب الاستغفار الغين بدليل ما روى حتى استغفر الله
وفاستغفر الله ويحتمل ان الجمع بينهما من الراوى فاخبر بحصول ذلك الغين مع كثرة الاستغفار
فما ظنك بمن لم يكن كذلك والجملة حال مقدرة وقال بعض المشايخ من الصوفية الغين فى اصطلاح
ارباب السلوك شهود الحق بشهود الاغيار التى هى حجاب عن شهود الحق وهو منزه عنه فالمراد به
اختلاف التجليات كالتجلى الصفاتى والذاتى وقال الشاذلى اشكل على هذا الحديث فرايته صلى الله
عليه وسلم فى المنام فقال يا مبارك ذاك غين الانوار لا غين الاغيار وفى لطايف المنن لابن
عطا الله وحل الرموز للقدسى من ظنه غين غفلة وحجاب فقد اخطا وانما كان صلى الله عليه وسلم
يستغرق فى انوار التجليات فيغيب وذلك الحضور فيسال المغفرة اى ستر هذه الحالة
لانه من الغفر بمعنى الستر لان الخواص لو دام لهم تجلى ما يكاشفون به لتلاشوا عن ظهور
سلطان الحقيقة وهذا الستر لهم رحمة وللعوام عقوبة لانه حجاب يستر عين بصايرهم
فانهم مستورون عنه بغيره والخواص مستورون به عن ما سواه وهو ستر عن دنو الذات
المحرق للسوى كما قال ابن الفارض ولولا احتجابى بالصفات لاحرقت مظاهر ذاتى من سنا
سبحتى هذا محصل ما قاله اهل الباطن والظاهر وزبدة ما فى الحديث من الظواهر والسراير
فاختر لنفسك ما يحلو ثم انتقل لشبهة اخرى ترد على الاصل الذى قرره فقال فان قلت
فما معنى قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ولو شاء الله لجمعهم اى جعل الناس كلهم مجتمعين
متفقين على الهدى بهدايتهم للعقايد الحقة واتباع الشريعة اللازمة فلا يضل احد
منهم عن الطريق المستقيم فلا تكونن من الجاهلين اول الاية فان استطعت ان تبتغى نفقا
فى الارض او سلما فى السماء فتاتيهم باية وهو شفقة عليه صلى الله عليه وسلم لما راى
من حرصه على ايمان الناس فنهيه عن الجهل بقدرة الله لما شاء يوهم انه لم يحط بذلك وهو
منزه عنه ودفعه بما سياتى وكذلك قوله تعالى لنوح عليه الصلاة والسلام فلا
تسألنى ما ليس لك به علم انى اعظك ان تكون من الجاهلين حين ناداه وقال رب ان ابنى
من اهلى وان وعدك الحق يعنى ما وعده به من نجاة اهله لما قال له تعالى فاحمل فيها من كل زوجين

أثنين واهلك الا من سبق عليه القول و ابنه من اهله فسيله عن سبب عدم نجاته فانكر عليه
سواله ونسبه لما لا يليق بالانبياء عليهم الصلاة والسلام من الجهل والى دفع وجه السؤال
والشبهة اشار بقوله فاعلم امر لكل من يمكن توجيه الخطاب اليه وسد مسد مفعوليه
قوله انه لا يلتفت بالبنا للمجهول اى لا يتوجه التفات احد ونظره فى ذلك اى فى خطابه تعالى
لهما بما ذكر الى قول من قال من المفسرين فى اية نبينا اى فى الاية الاولى التى نزلت فى حقه صلى الله
عليه وسلم وقوله فيها فلا تكونن من الجاهلين وان معناها لا تكونن ممن يجهل ان الله لو شاء
لجمعهم على الهدى باسناد الجهل بمشيئة الله اليه ولا يلتفت ايضا لقول من قال فى اية نوح
عليه الصلاة والسلام لا تكونن ممن يجهل ان وعد الله حق لقوله ان وعدك الحق فانك
لا تخلف الميعاد وعلل عدم الالتفات لهذا القول بقوله او فيه اى فى هذا القول
وتفسير الايتين بما ذكر اثبات الجهل بصفة من صفات الله تعالى وهى قدرته وعلمه
وذلك لا يجوز على الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم لمعرفتهم بالله تعالى وصفاته والمقصود
اى المعنى المراد منها اى من الايتين وعظهم اى ارشادهم وتنبيههم على ان لا يتشبهوا فى امورهم
حين الدعوة للخلق شمات الجاهلين اى لا يتصفوا بصفاتهم من عدم الصبر والحرص على سرعة
المراد مما هو شان الجاهلية كما قال انى اعظك فهو دليل على انه ارشاد له صلى الله عليه وسلم
ان لا يتسم بما ليس من شانه ولا يتخلق بما يضاهى اخلاق الجهلة لانه جاهل بذلك وليس
فى اية منها اى من الايات المذكورة دليل على انهم على تلك الصفة اى صفة الجهل بصفة
من صفات الله فانهم اعلم الناس بها التى نهاهم عن الكون عليها اى الاتصاف بذلك
والنهى عن الكون ابلغ من النهى عن الاتصاف بها كما قرره ابن جنى فى كتاب المحتسب فكيف
يكونون وهم اعلم الخلق على صفة نهوا عن الكون عليها والاستفهام لاستبعاد ذلك
واية نوح عليه الصلاة والسلام المذكور فيها قصته وهى قوله انى اعظك الى اخرها
قبلها فلا تسئلنى ما ليس لك به علم فهى موذنة بان المراد نهيه عن التشبيه بالجهلة
لنهيه عن السوال عما لا يحتاج اليه فحمل ما بعدها على ما قبلها اولى من الجرى على ظاهرها
ونسبة ما لا يليق بهم اليهم لان مثل هذا السوال عما ليس له به علم من حال ابنه قد يحتاج
الى اذن من الله فلا يقدم عليه بدونه وقد تجوز اباحة السوال فيه ابتدا منه من غير اذن
فيختلف باختلاف الاحوال والمقامات فنهاه الله ان يسئله عما طوى عنه اى اخفى عنه علمه
به فشبه الامر المخفى عنه بثوب مطوى ملفوف لا يظهر باطنه وما فى داخله واكنة اى
ستر كقوله قلوبنا فى اكنة اى حجاب يمنع الادراك من غيبه اى من الامر المغيب عنه وفى نسخة
فى غيبه من السبب الموجب لهلاك ابنه باغراقه وعدم ادخاله فى سفينته بيان لما طوى
عنه واكنه لانه لم يكن على دينه لانه كان يبطن الكفر ونوح عليه الصلاة والسلام
لم يعلمه ثم اكمل الله نعمه عليه جمع نعمة وفى نسخة نعمته بالافراد باعلامه بذلك اى ما سال
عنه وانما جعله من كمال النعمة لانه علم ما لم يعلم وتبين له ما نهى عن السوال عنه بقوله

عزوجل له

عزوجل له انه اى ابنه ليس من اهلك لانقطاع الولاية بكفره وخروجه عن دينه انه عمل غير
صالح تعليل لنفى كونه منهم ومعدودا من اهله حكاه اى هذا التفسير حكاه عن السلف
مكى تقدمت ترجمته كذلك اى مثل قصة نوح عليه الصلاة والسلام فى انها مخالفة للظاهر
محتاجة للتاويل بانها تشبيه بمن امتطى مطية الجهل ذكر فعل مبنى للمفعول نبينا صلى الله عليه
وسلم فى الاية الاخرى السابقة وهى ولو شا الله الى اخرها بالتزام الصبر متعلق بامر
والمراد بالامر ما يلزم النبى وامره صلى الله عليه وسلم بالصبر مذكور صريحا فى ايات
اخر كقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل على اعراض قومه عن دينه وعنه ولا يخرج
من الحرج وهو ضيق الصدر والقلق عند ذلك اى عند اعراضهم عنه فيقارب حاله حال
الجاهل بشدة التحسر اى التاسف والندم على عدم اطاعة قومه له حكاه اى ما ذكر من التفسير
ابو بكر بن فورك تقدمت ترجمته والكلام على اسمه فى منع الصرف وعدمه وقيل معنى الخطاب
فى قوله فلا تكونن من الجاهلين لامة محمد لا له صلى الله عليه وسلم فهو تعريض كما تقدم تحقيقه
اى فلا تكونوا من الجاهلين اى ممن اتصف بصفاتهم وانخرط فى سلكهم حكاه مكى ايضا وقال
مكى مثله فى القران كثير فيخاطب النبى صلى الله عليه وسلم والمراد امته كقوله يا ايها النبى
اذا طلقتم النساء فبهذا الفصل الذى قرره فى حق الانبيا عليهم الصلاة والسلام من تاويل
ما يوهم نسبتهم لما لا يليق بعلى مقامهم وجب وفى نسخة اوجب القول بعصمة الانبيا عليهم
الصلاة والسلام منه لشرفهم وكمال علمهم ورجحان عقولهم وتبرئة الله لهم عن النقايص
بعد النبوة قطعا لقيام الادلة عليه والحاصل ان معنى الاية الاولى انه تعالى لما راى اشتداد
حرصه صلى الله عليه وسلم على ايمانهم وشق عليه حتى كاد يهلك نفسه لم يرض بها
لكنه فقال له ان كان عظم ذلك عليك فان امكنك ان تغوص فى الارض لتطلع منها اية لهم
او تنصب سلما تصعد به الى السما لتاتيهم باية منها حتى يومنوا اى انت لا تستطيع هذا فما
فايدة هذا الحرص ولو اراد الله هدى جميع الخلق فلا تحرص على ما لم يرده وقيل كانوا يقترحون
عليه ايات يود لو اجيبوا اليها حرصا على ايمانهم فقيل له ان استطعت ان تفعل هذا لتاتيهم
بما اقترحوه فافعل ليومنوا وقيل ابتغاسه النفق والسلم هو الاية نفسها فهذه ثلاثة اوجه
الاول بيان لشدة حرصه عليه الصلاة والسلام وانه لو قدر على المحال لفعله والثانى
بيان لحرصه على تثبيت مطلوبهم ومقترحهم والثالث حرصه على جعل الصعود والهبوط
اية لهم حتى يومنوا به وترك القاضى الاخرين لان عادة الله ان من اجيب لما اقترح عجل هلاكه
وهو مناف لحرصه على ايمانهم ولان المتبادر من الاية ان النفق والسلم غير الاية مع ما فيه
من النزعة الاعتزالية وقصة نوح وهلاك ابنه كنعان بعد ما سال الله نجاته فقيل له
انه سبق القول بهلاكه لكفره والكلام فيه مفصل فى التفاسير فلا نطيل بذكره ثم اورد
سوالا اخر على ما قرره من الشك فى شيء مما يتعلق بالعقايد والدين فقال فان قلت فاذا قررت
عصمتهم من هذا اى حفظ الله لهم عما ذكروا انه لا يجوز عليهم شى من ذلك ولا يصح اعتقاده

فيهم فما معنى اذن وقعت في جواب سوال مقدر فاصلة بين المضاف والمضاف اليه ملغاة
لعدم شروط عملها وعيد الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم اى تخويفه بتقدير صدور
شئ من ذلك منه وتهديده على ذلك ان فعله ونحوه مما يقتضي جواز مثله عليه وتحذيره
منه كقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك الاية حبوط العمل بطلانه بالكلية بحيث لا يثاب
عليه ولا يبقى له عمل من حبطت الدابة اذا وجدت مرعى طيبا فاكلت منه اكلا كثيرا حتى
انتفخت بطنها فماتت فالاتيان بالشرط واسناد الشرك له صلى الله عليه وسلم
بحسب الظاهر يدل على جواز مثله عليه وعلى غيره من الانبيا مع انهم منزهون عنه
واطلاق الاحباط في هذه الاية اما لانه مخصوص لان ذنب العظيم عظيم او هو مقيد
بموته على ذلك كما يعلم من قوله من يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم
والجواب علم مما تقدم واللام الاولى موطية لقسم مقدر والثانية في جواب وقوله بالجزاى
وما معنى قوله تعالى ولا تدع من دون الله ما ينفعك ولا يضرك الاية اى فان فعلت فانك
اذا من الظالمين ونهيه عن ان يدعو غير ربه اى يعبده لان الدعا هنا بمعنى العبادة يقتضي
صدوره منه صلى الله عليه وسلم وتاويله مما مر وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة
الاية اى وضعف الممات اى يضاعف له عذاب الدنيا والاخرة وقوله تعالى ولو تقول
علينا بعض الاقاويل اى لو افترى علينا لاخذنا منه باليمين جواب لو وعطف عليه قوله
ثم لقطعنا منه الوتين والكلام على الايتين وسبب نزولهما في التفاسير والذى
يهمنا هنا ما قصد المص بايراده هاهنا وقوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك
عن سبيل الله والمراد بهم الكفرة والجهلة واطاعتهم بموافقة ما هم عليه ومثله
لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم فكيف اسند اليه فيها وقد مر جوابه وقوله
تعالى فان يشا الله يختم على قلبك وهذا بنا على الظاهر من ان المراد يمنعه من قبول
الحق كما في قوله ختم الله على قلوبهم لا على تفسير مجاهد بانه ان يشا يربط على قلبك
بالصبر على اذاهم حتى لا تلقى مشقة وقوله تعالى وان لم تفعل ما امرت به فما بلغت
رسالته اى فكانك لم تبلغ شيا منها لتقصيرك فهذا يقتضي جواز تقصيره ظاهرا
في تبليغ جميع ما اوحى اليه فامره بان يبلغه جميعا ولا يخشى مكروها من احد فان الله
عصمه وصانه وجعله في حصن حمايته وكان عمر رضي الله عنه اول من اظهر ذلك
وقال لا يعبد الله سرا وقوله تعالى يا ايها النبي اتق الله ولا تخف من احد ولا تطع
الكافرين والمنافقين فيما يودى الى تفريط في شئ من امر الدين روى انه صلى الله
عليه وسلم لما هاجر الى المدينة كان يحب اسلام اليهود وقد بايعه ناس على نفاق
منهم فكان يلين جانبه لهم ويحيا وزعن قبايحهم فنزلت هذه الاية فيهم وقيل
في سبب نزولها غير ذلك كما ذكره الواحدى وغيره ثم شرع في الجواب عما ذكر في ذلك
فقال فاعلم وفقنا الله واياك للوقوف على معانى كلامه فانه لا يكون الا بتوفيق

منه تعالى

منه تعالى انه عليه الصلاة والسلام لا يصح عقلا ولا شرعا ولا يجوز عليه صلى الله عليه
وسلم ان لا يبلغ شيا مما امره الله بتبليغه كما يوهمه ظاهر قوله فما بلغت رسالته ولا ان يخالف
امر ربه كما يوهمه قوله فان لم تفعل ولا ان يشرك به ولا يتقول على الله اى يكذب عليه ويفترى
كما في قوله ولو تقول علينا الاية ما لا يجب بالجا المهملة اى ما لم يرده ولم ياذن له فيه
او يفترى عليه اى يكذب عليه وهو بمعنى يتقوله واعاده لانه صريح في المراد وقد يفرق بينهما
بان يراد بالتقول تكلفه فيما يقوله بزيادة او مبالغة فيه وهو المناسب لعطفه باو او يضل
على الصواب والطريق المستقيم باطاعة غير الله فهو اشارة الى قوله تعالى وان تطع اكثر من في الارض
يضلوك الخ او يختم على قلبه ويطبع عليه ما يمنعه عن قبول الحق او يطيع الكافرين والمنافقين
في امرهم واهوا انفسهم وهو اشارة الى قوله ولا يطع الكافرين والمنافقين فان الامة اجمعوا
على عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام قبل النبوة وبعدها عن الكفر غير الخوارج حيث
جوزوا عليهم بعض الذنوب وهى كفر عندهم وبعض الشيعة القايلين بجواز اظهار الكفر
تقية ولا يعتد باقوالهم الواهية فلذا كان المراد بقوله لئن اشركت تهييج الرسل واقناط
الكفرة على طريق الفرض اى اذا كان هولا يحبط عملهم به فكيف حال غيرهم وكذا قيل في نفي الافترا
والتقول عنهم وقس عليه ما بعده لكن ليس الله امره اى حاله صلى الله عليه وسلم وشانه
او ما امر به بالمكاشفة يتعلق بيسرا و بامره بهما على التنازع والبيان عطف تفسير لان المراد
بالمكاشفة كشفه له وتبيينه او المراد بالاول ما يكشفه بالهام وبالثاني ما يوحى به اليه في البلاغ
متعلق بامره وقيل بالمكاشفة للمخالفين متعلق بالبلاغ اى من خالفه فيما بلغه لهم عن ربه ويجوز
في قوله بالمكاشفة والبيان ان يراد به المبارزة والاظهار للبلاغ من غير مبالاة باحد فهو
متعلق بامره فاذا لم يبارزهم به فكانه لم يفعل وان ابلاغه بفتح همزة ان وهو معمول المقدر اى
واعلمه ان تبليغه لما امره ان لم يكن بهذه السبيل اى على هذه الحالة والطريقة من تبليغ
جميعه واظهاره والصدع به فكانه ما بلغ اصلا لانه كالعدم كمن ترك ركنا من اركان الصلاة
لم يعتد بصلاته وانث اسم الاشارة لان السبيل تذكر وتونث وطيب نفسه طيب النفس
جعلها مسرورة غير مكدرة ولا خايفة من شى وقوى قلبه اى كان قويا متحققا لانه لا يصيبه
مكروه ونفا بذلك ضعفه وهو خوفه مما يتوهمه بقوله والله يعصمك من الناس اى يحميك
ويصونك عنهم حتى لا يقدر احد على شى يضرك وهذه الاية ان كانت نزلت بعد احد فهى
على عمومها وكان قبل نزولها له صلى الله عليه وسلم حراس يحرسونه فلما نزلت ترك
ذلك وان كانت نزلت قبلها فالمراد عصمته من القتل فلا ينافى ما اصابه باحد من جراحته
وكسر ثنيته لحكمة تطييبا لقلوب المؤمنين وتكثيرا للثواب مما فطن من تلاقى الحروب انه لا يصاب
فقد ظن عجزا كما قال الله عز وجل لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام حين ارسلهما
لفرعون وقومه الجبابرة لا تخافا انني معكما اى حافظا وناصرا لكما على هولا مع عتوهم
وتجبرهم فبلغا واجهرا واصدعا بالحق لتشتدا اى لتقوى وتريد شدة بصايرهم اى موسى

وهارون ومحمد صلى الله عليه وسلم فيكونوا على بصيرة ويقين في امورهم في الابلاغ اي تبليغ
ما ارسلوا به لهم واظهار دين الله من غير خوف ويذهب عنهم بالبنا للمجهول والنصب معطوفا
على تشد خوف العدو لوعده تعالى بحفظهم ونصرهم عليهم المضعف للنفس صفة خوف اسم
فاعل بتخفيف العين وتشديدها اي المودي لضعف نفس من خاف فهو بنون وفا وسين مهملة
وروى لليقين بيا بين تحتيتين وقاف بينهما ونون والاول اولى رواية ودراية لان يقين
الانبيا عليهم الصلاة والسلام بربهم قوي ابدا وان جاز ضعف انفسهم بمقتضى البشرية
ويويده بل يعينه قوله تعالى فاوجس في نفسه خيفة موسى والخوف من المضرات امر طبع عليه
البشر مع انهم على يقين من ان الله هو الضار النافع وهو لاينافي التسليم والتوكل الا تراهم
خندقوا في الاحزاب وهاجروا عن عدوهم ودخلوا الغار وهو بحسب المقامات فلا يرد عليه
ان بعض الاوليا لا يفر من الاسد واما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية تقدم انه ليس
فيه شين له صلى الله عليه وسلم وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة فمعناه ان هذا العذاب
المضاف في الدنيا والاخرة جزا من فعل هذا التقول والافترا على الله وجزاوك لو كنت ممن يفعله
فاذا هدد به من لا يصدر عنه فما بالك بغيره وهو صلى الله عليه وسلم لا يفعله لعصمته ونزاهة
ساحته المطهرة عن ذلك وكذلك اي مثل ما ذكر في الايتين قوله وان تطع اكثر من في الارض
يضلوك عن سبيل الله الخطاب له صلى الله عليه وسلم ظاهرا والمراد غيره بطريق التعريض
ونعا للعصا ايقاظا لهم وتحريكا لغفلتهم لارتفاع قدره صلى الله عليه وسلم عن ارتكاب مثله
كما صرح تعالى بالمراد فقال مخاطبا لهم صريحا ان تطيعوا الذين كفروا الاية يعني قوله يردوكم
على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين فان الخطاب للمنافقين اذ قالوا للمؤمنين بأحد لما ارجف
بقتله صلى الله عليه وسلم ارجعوا لاخوانكم وادخلوا في دينهم فلو كان محمد نبيا ما قتل وكذلك
قوله فان يشا الله يختم على قلبك خوطب والمراد غيره وكذلك قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك
كما تقدم بيانه وما اشبهه مما خوطب به فالمراد به غيره تعريضا وايقاظا وان هذه الحال المذكورة
من الاحباط ونحوه حال من اشرك بالله لا حاله صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم
لا يجوز عليه هذا فلا بد من تاويله كما مر واما قوله تعالى اتق الله ولا تطع الكافرين فيما بما
تقدم فليس فيه انه اطاعهم وانما نزلت لما تابعه بعض اليهود على نفاق منهم فكان صلى الله
عليه وسلم يداريهم رجا ان يحسن اسلامهم وليس في الاية انه صلى الله عليه وسلم
فعل ما نهي عنه ولما استشعر سوالا وهو ان يقال حيث كان الامر كما ذكر فلم نهي عنه لجاب
عنه بقوله والله سبحانه يعامل نبيه صلى الله عليه وسلم بما لا يجوز ان يعامل به غيره ولا يسئل
عما يفعل فله ان ينهاه عما يشاء وان لم يتصور صدوره منه ويامره بما يشا وان لم يتصور
مخالفته له كقوله اتق الله وكما قال تعالى له ولا تطرد الذين يدعون ربهم اي يعبدونه وقوله
الاية اشارة لقوله بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شي وما من حسابك
عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين وما كان صلى الله عليه وسلم طردهم عن مجلسه

ولا كان

ولا كان من الظالمين اي ممن ظلمهم بطردهم وهم احقا بتقريبه لهم واكرامهم وان لا يطيع فيهم
من يبغي خلافه ارضا له وكان المشركون قالوا لا نرضى مجالسته مثل هولا يعنون سلمان وصهيبا
وبلالا وحسان فاطردهم عنك وطلبوا ان يكتب لهم بذلك فقاموا وجلسوا ناحية فنزلت الاية
فنهاهم عما قالوه كما في مسلم وانما هم بذلك رجا لاسلامهم مع ان ذلك لا يضر اصحابه لعلمه
صلى الله عليه وسلم باحوالهم ورضاهم بما يرضاه كما فسره المفسرون فصل واما
عصمتهم اي حفظ الله لانبيايه عليهم الصلاة والسلام من هذا الشي اي اعتقاد
ما لا يليق في التوحيد والعلم بالله وصفاته وبما اوحي اليه من امور الدين كما تقدم قبل النبوة
اي قبل ان ينبيهم الله ويايتهم الوحي من الله والنبوة والرسالة والفرق بينهما مشهور وليس
هذا محل تفصيله فللناس من علما الاصول والسلف خلاف جرى بينهم مذكور في كتبهم
والصواب اي القول الموافق للواقع والادلة التي على خلافه مخطا من قايله انهم معصومون
اي محفوظون مصونون قبل النبوة من الجهل بمعرفة ذات الله تعالى بوجه ما او بحقيقته
وصفاته فلا يجهلون شيا منها ومعصومون ايضا من التشكيك في شي من ذلك وفي نسخة
او التشكيك بالعطف باو الفاصلة اي لا يقع في نفسهم شك في ذات الله ولا في صفة
من صفاته لان فطرتهم جبلت على التوحيد والايمان واما قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان فالمراد به الايمان بما لا يعرف الا بالوحي كوجوب الصلاة ونحوه من فروع الشريعة
وقوله من الجهل بيان لما قصد من العصمة فلا وجه لما قيل انه اطلق فيما منه العصمة وكان
عليه ان يعينه وهو اظهر من الشمس لا يخفى على ذي بصيرة وقد تقرر ان العصمة عند المتكلمين
ان لا يخلق الله في النبي ذنبا وعند الحكما ملكة تمنع من الفجور حاصلة من العلم بالقبايح والمحاسن
فانه الزاجر عن المعاصي والداعي للطاعة وتتاكد في الانبيا بالوحي الالهي وقيل العصمة خاصة
في النفس او البدن بسببها يمتنع عن صدور الذنب ويابأه انه لو كان كذلك ما استحق
المدح او الثواب لانها ليست داخلة تحت الاختيار وهم مكلفون بالاتفاق وفي التحرير
لابن الهمام العصمة عدم القدرة على المعصية او خلق مانع منها غير ملجي وهو مناسب لقول
الماتريدي العصمة لا تزيل المحنة اي الابتلا المقتضي لبقا الاختيار ومعناه كما في الهداية
انها لا تجبره على الطاعة ولا تعجزه عن المعصية بل هي لطف من الله يحمله على فعله ويزجره
عن الشر مع بقا الاختيار تحقيقا للابتلا واعلم ان العلامة القرافي قال في التنقيد شرح
الاربعين للرازي العصمة لغة الامتناع ومنه العصم لبعض الوحش لبعده عن مظان
الاذى وامتناعه واستعصم الرجل امتنع ومنه عصمة الزوجية وحملة الشرع يطلقون
العصمة على معنيين احدهما عدم المعصية في الجملة ومنه قولهم في الدعا نسالك من العصمة
تمامها والثاني عصمة الانبيا والملايكة عن الكفر دون ساير البشر مع ان الله اثنى على الخلق
بدوام الايمان فلا بد من تفسير عصمة الانبيا بغيرهم الكفر ومنع الله منه حتى يصح قولنا
ليس احد منا معصوما وان كنا غير كافرين مساوين للانبيا في ذلك فتميزهم انما هو باعلام الله

لئلا انه صانهم فی قضایه وقدره عن الکفر وقدر لهم السعادة الابدیة حتما مقضیا فهذا الاعلام
الربانی هو عصمة الانبیا والملایکة ومجموع الامة دون کل واحد منهم انتهی وقد تفاضدت
ای تقوت وهو ماخوذ من العضد وهو ما بین المرفق الی الکتف ولکون عمل الانسان واعتماده بذلک
قیل عضدته بمعنی قویته کما اشار الیه الامام الراغب الاخبار والاثار وهما بمعنی وقد یفرق بینهما
کما تقدم ای قوی کل منهما الاخر حتی حصلت القوة التامة والمراد بهما ما اشتهر من احوالهم وصفاتهم
الماثورة المعروفة عند کل احد عن الانبیا کلهم والمرسلین باسرهم ولیس المراد انه نقل عنهم
بل عرف منهم وفی حقهم ممن قدرهنا وعن غیرهم لم یصب بشنزیهم ای تبریتهم عن هذه النقیصة
بصاد مهملة ای الصفة المنقصة لمن اتصف بها منذ والدرا ای من ابتدا زمن ولادتهم الی اخر
عمرهم والکلام علی منذ ومنذ معروف فی کتب النحو ونشاتهم بالجر معطوف علی تنزیههم
والنشاة ابتدا خلقهم لا زمن شبابهم کما توهم علی التوحید وهو عدم الشرک بالله والایمان
بالله وبکل ما یجب الایمان به بل للانتقال علی سبیل الترقی علی اشراق انوار المعارف جمع معرفة
والمراد معرفة الله تعالی وصفاته وکل ما یتعلق به واشراقها سطوع انوارها منهم وشدة
ظهورها فی احوالهم واقوالهم ونفحات الطاف السعادة والنفحة الرایحة الطیبة التی
تفوح والسعادة ای کونهم سعدا الدارین فشبه ما یلوح منهم من امارتها برایحة طیبة
تعبق منهم فتعطر الکون وفی الحدیث ان لله فی ایام دهرکم نفحات الا فتعرضوا لها کما نبهنا
علیه فی الباب الثانی من القسم الاول من کتابنا هذا فمن اراده ینظره ثمة ولم ینقل احد
من اهل الاخبار عن احد عن ان احدا نبی بالبنا للمجهول وهم اخر ای صیره الله نبیا واصطفی
ای اصطفاه الله واختاره لذلک وهو مجهول ایضا ممن عرف بکفر او اشرک وهو من عطف
الخاص علی العام قبل ذلک ای قبل نبوته واصطفایه ومستند اسم مفعول ای ما یستند
الیه ویعلم به هذا الباب ای باب معرفة احوال الانبیا علیهم الصلاة والسلام النقل
عن اهل الاخبار والاثار ویؤیده العقل الدال علی انه تعالی لا یختار من خلقه لنبوته الا من
کان کذلک فلیس المراد الحصر ولذا عقبه بما یدل علی ان العقل موافق للنقل فقال وقد
استدل بعضهم علیه بدلیل عقلی وهو ان القلوب والعقول السلیمة تنفر ای تکره
فکانها تفر عمن کانت هذه ای صفة الکفر والشرک سبیله ای طریقة والمراد عادته
ودابه قبل ان فیه اشارة الی ان منهم من خالف فی ذلک فجوز عدم عصمتهم عن الکفر قبل النبوة
الا انه لیس بصواب وقد نقل عن الباقلانی انه جوزه عقلا وان لم یقع ان الله بعث کافرا
ولا فاسقا وفی المواقف اجمعت الامة علی عصمتهم عن الکفر قبل النبوة وبعدها کما تقدم
وانا اقول تاقلا لما یوید ذلک ان قریشا قد رمت نبینا صلی الله علیه وسلم بکل ما افترته
علیه واصل الرمی فی الاعیان کرمی السهم والحجر واستعیر للشتم والقذف کالرجم والمراد
ذمته ونسبته لکل نقیصة مثل قولهم انه ساحر او مجنون او شاعر ای لم تترک شیا من نقایصه
بایتها التی وسعتها قوتهم حتی افترته علیه وعیر بفتح العین المهملة وتشدید الیا المثناة

التحتیة ورا مهملة کفار الامم انبیاها وفی نسخة انبیایهم ای نسبوهم للعار وهو الامر
الذی یستقبح وینفر منه وقال الراغب عیرته ذممته من العار وقولهم تعایر بنو فلان قیل معناه
تذاکروا العار وقیل تعاطوا العیارة ای فعل العیر فی الانفلات والتخلیة ومنه عارت الدابة
انتهی فالمعنی عیروهم بکل ما امکنها وفی نسخة امکنهم ای تیسر لهم وجاز صدوره منهم واختلقته
وکذبت علیهم بوصفهم بما لیس فیهم واصل اختلاق الشی اختراعه من غیر سبق لمثله فیعم
کل کذب مما نص الله علیه ای ذکره فی کتابه الکریم وفی غیره من الکتب الالهیة من تکذیبهم
ورمیهم بانواع البهتان ونقلته الرواة الینا نقلا مستفیضا بحیث لا یمکن انکاره ولم نجد فی شی
من ذلک ای من الکتب الالهیة والاخبار المرویة والمراد ما نقلته الرواة لقوله تعییرا لواحد
منهم ای من الانبیا علیهم الصلاة والسلام ای نسبتهم لعار بذمهم ووصفهم برفضه
ای ترکه بعد ابتاعه الهته ان کان هذا الضمیر راجعا لمن عیر المعلوم من السیاق فالامر واضح
لا للواحد لانه من الانبیا ولیس لهم الهة اللهم الا ان یکون علی طریق الفرض فحینئذ یصح تفسیر
ذلک بالکتب الالهیة والاخبار فارفه وتقریعه ای توبیخه وتعییره بذمه ای ذم احد من الانبیا
بترک ما کان النبی صلی الله علیه وسلم قد جامعهم ای وافقهم واجتمع معهم علیه ای علی عبادته
کما فعلوا ولو کان هذا لکانوا ای کفار الامم بذلک ای تعییره وتوبیخه برجوعه عن عبادة
الهتهم التی کان موافقا لهم علی عبادتها مبادرین بدال ورا مهملتین ای مسارعین لذکره مقدمین
له علی جمیع ما افتروه وتلونه بالبا الجارة ومثناة فوقیة ولام مفتوحتین وواو مکسورة
مشددة ونون وضمیر مضاف الیه مصدر تلون تلونا اذا تغیر وتنقل من حال الی حال اخر تفعل
من اللون کالبیاض والصفرة بتجوز به عن الاحوال کما عبر به عن الاجناس والانواع قال الراغب
یقال فلان اتی بالوان من الاحادیث وتناول الوانا من الطعام فی معبوده ای ما یعبده متعلق
بتلونه المتعلق بقوله محتجین ای مقیمین الحجة والدلیل فیقولون انت لا تستقر علی دین تارة تعبد
هذا وتارة تعبد ذاک فما صرفک عن معبودک الاول ومعبود قومک وکان توبیخهم له ای توبیخ
کفار کل امة لنبیهم بنهیهم مصدر مضاف للمفعول ای نهی النبی لامته عما کان یعبد قبل
ای قبل نبوته افظع بفا وظا معجمة ای اشد فظاعة وهی الشناعة والقباحة واقطع بقاف مهملة
ای اقوی واشد قطعا فی الحجة ای الدلیل الذی استدلوا به من توبیخه هو المفضل علیه فیما علی
التنازع او التجاذب بنهیهم عن ترکهم الهتهم ان قبل لنظاهر عن الهتهم وترک ترکهم وعن ترکه قیل
ضمیر نهیهم للکفار وضمیر ترکهم للانبیا علیهم الصلاة والسلام وما کان یعبد اباؤهم
من قبل ای قبل انبیایهم ففی اطباقهم ای اتفاق کفار الامم واجماعهم یقال اطبق القوم علی کذا اذا
اتفقوا علی الاعراض عنه ای عن التوبیخ بما ذکر وهو اقوی واظهر فی احتجاجهم علی رسلهم
دلیل علی انهم لم یجدوا سبیلا وطریقا موصلا الیه فی نص وخبر او اثر اذ لو کان لهم
سبیل الیه لنقل بالبنا للمجهول ای نقل الرواة لهم ذلک ونقل لنا من بعدهم احتجاجهم به
ولم ینقله احد فلو نقل لهم ذلک ما سکتوا عنه بل بادروا الیه قبل کل شی کما لم یسکتوا

اى الكفار عنى وفى نسخة عند تحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة فانهم وبخوا به وشنعوا
حين سفههم الله فقال سيقول السفها الاية وقالوا ما ولاهم اى ما صرفهم عن قبلتهم التى كانوا عليها
فى اول امرهم كما حكاه الله عنهم فى القران والكلام عليه مفصل مشهور فى كتب التفسير
والحديث وقد استدل القاضى القشيرى هذا هو الامام عبد الرحيم بن الامام عبد الكريم
ابن هوازن الاستاذ ابو نصر بن الاستاذ ابى القاسم القشيرى صاحب الرسالة المجمع
على جلالته وعلمه وزهده وامامته تخرج على امام الحرمين توفى سنة اربع عشرة وخمسماية
بنيسابور وله عدة اولاد كما فصله البرهان الحلبى وقال انه لم ير هو ولا احد من اولاده
القضا فقول المصر له القاضى لا اصل له وما قيل انه شخص اخر غير هو لاحتمال واه لنقله عن
شخص غير معلوم موهم لغير مراده على تنزيههم عن هذا اى عن الكفر والاشراك بالله قبل النبوة
لا عن نقيصة الجهل بالله وصفاته والشك فى شىء لعدم مناسبته لما بعده وان كان منزها عن ذلك
ايضا بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية تقدم ان الميثاق العهد وهو
ماخوذ من الوثاق وهو حبل يشد به الاسير استعير للعهد كما استعير له الحبل كما ورد فى الحديث
بيننا وبينهم حبال وتمام الاية ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقا
غليظا وخص هولا بالذكر لشرفهم وقدم نبينا صلى الله عليه وسلم لشرفه وفضله على جميع
الانبيا والميثاق الذى اخذ عليهم هو تبليغ الرسالة ودعوة الخلق الى دين الاسلام وان يصدق
بعضهم بعضا ويبشر به وكان هذا حين كتب وقدر كل ما هو كاين وقال مجاهد انه كان فى عالم الذر
ووجه الاستدلال على احد الوجهين انه اذا عهد اليهم قبل ظهورهم بتبليغ دينه وتوحيده فكيف
يصدر عنهم ما يخالفه قبل النبوة وبعدها وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد
على الفطرة الحديث وبقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين الى قوله لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم
جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه نعهد اليهم انفسهم والى اولادهم فهو على
تقدير مضاف او اكتفى بذكر انبيايهم او سماهم انبيا تهكما لقولهم نحن احق بالنبوة من محمد صلى الله
عليه وسلم وقد قدمنا الكلام على هذه الاية وان للسبكى فيها تاليفا مستقلا لخصناه فيما
قال القشيرى فطهره الله اى براه ونزهه عما لا يليق بعلى قدره فى الميثاق اى حين اخذ الميثاق عليهم
فى عالم الازل وبعيد غاية البعد عند العقول السليمة ان ياخذ الله منه صلى الله عليه وسلم
الميثاق والعهد الوثيق المحكم بالايمان وامور الدين كله وكذا اخوانه من الانبياء والمرسلين
قبل خلقه وظهوره فى عالم الارواح والذر وادم بين الما والطين ثم ياخذ ميثاق النبيين
بما عهده اليهم بالايمان به اى محمد صلى الله عليه وسلم ونصره على اعدايه ان ادرك زمانه
فيتبعه ويكون من امته قبل مولده اى زمان ولادته صلى الله عليه وسلم بدهور جمع دهر
وهو الزمان الطويل كما قيل ازدهر ايلم شملى بسعدى لزمانيهم بالاحسان ويجوز
بتشديد الواو ويجوز تخفيفها ايضا من الجواز او التجويز وهو منصوب معطوف على ياخذ اى
وان يجوز الخ ويجوز رفعه بتقدير وهو يجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب والضماير عايدة

عليه

عليه صلى الله عليه وسلم فلا يجوز عليه ولا على غيره من الانبيا الشرك ولا غيره من الذنوب بعد
اخذ الميثاق عليهم قبل خلقهم بالايمان واقامة شرعه القويم هذا اى تجويز الشرك والذنوب
عليهم بعد اصطفايهم واخذ الميثاق عليهم ما اى امر وشىء لا يجوزه عليه وعليهم الا شخص
ملحد فاسد العقيدة عادل عن طريق الحق ونهج الصواب يقال لحد اذا حفر حفرة مايلة عن الوسط
كلحد القبر ثم عم لكل ميل يقال لحد والحد وشاع فى الميل عن الحق وصار حقيقة فيه هذا المذكور
معنى كلامه اى كلام القشيرى واستدلاله على ما ذكر قال وكيف يكون ذلك وفى نسخة وكيف
ذلك وفى اخرى فكيف وهو اسم استفهام عن الكيفية والهيئة التى وقع عليها الامر تجوز به
عن التعجب الانكارى فهو انكار لتجويز ما ذكر عليه بانكار حالته التى يكون عليها لان كل امر
لا ينفك عن حالة وصفة يكون عليها فاذا انكرت حالته لزم انكار وجوده كناية على وجه
برهانى قوى من انكاره ابتدا كما قرروه فى قوله كيف تكفرون بالله وذلك اشارة لتجويز ما ذكر
وقد اتاه جبريل عليهما الصلاة والسلام كما تقدم عن انس فى رواية مسلم وشق قلبه صغيرا
اى فى حال الصغر وهو عند مرضعته حليمة كما تقدم تفصيله واستخرج منه علقة اى قطعة
صغيرة من دم متجمد تشبه العلقة المعروفة وقال جبريل عليه الصلاة والسلام هذا المستخرج
حظ الشيطان منك اى نصيبه فى وسوسته لبنى ادم الذى يشترى من غيرك لقبوله ما يلقيه له
فباخراجه لم يتوله عليه سبيل كغيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام لقوله تعالى ان عبادى
ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وجعلها نفس الحظ مبالغة وتقدم فيه كلام
نفيس ثم غسله بما زمزم او الكوثر كما تقدم اى قلبه الشريف وملاه حكمة وايمانا تمثيل
لاستغراقهما فيه او انه تعالى جسم ذلك بقدرته وقد تقدم الكلام عليه مفصلا فى قصة
الاسرا كما تظاهرت اى اشتهرت وقويت من قولهم ظاهره اذا اعانه به اى بشق صدره
الشريف صلى الله عليه وسلم وقد وقع مرارا كما تقدم اخبار المبدا اى الاحاديث
الصحيحة الواردة فى ابتداء امره ونبوته فهو مصدر ميمى او اسم زمان او مكان والاول
اظهر ولا يشبه عليك بضم اوله وفتح ثانيه المعجم وفتح الموحدة المشددة مبنى للمجهول
اى لا يشبه عليك ويوقعك فى شبهة وليس كقوله تعالى ولكن شبه لهم وهذه شبهة
شرع فى دفعها لايهامها فى حق الانبيا عليهم الصلاة والسلام ما يخالف ما قدمه فى تنزيههم
عن الشك فى معرفة الله وصفاته بقوله ابراهيم اى بسبب قول الخليل عليه الصلاة
والسلام لما جن عليه الليل فى الكوكب اذ راه طالعا والقمر اذ راه غاربا والشمس هذا ربى
هذا اكبر الاية اى لا تقع فى شبهة مما وقع لابراهيم عليه الصلاة والسلام فى اطلاقه
على هذه الكواكب ربا وهو من كبار اولى العزم وذلك اشارة الى ما روى وهو انه عليه
الصلاة والسلام لما كان فى السرب قال لامه من ربى قالت انا قال فمن ربك قالت
ابوك قال فمن رب ابى قالت اسكت فقالت لابيه الغلام الذى تحدثوا بانه يغير دين اهل
الارض هو ابنك واخبرته بما قال ثم اتاه ابوه فقال له مثل ذلك فلطمه ثم قال لابويه

اخرجاني من السرب فاخرجاه فنظر ابلا وغيرها سارحة فقال لا بد لهذه من خالق يطعمها
ويسقيها وتفكر في خلق السموات والارض فقال ان الذي خلقني ورزقني هو ربي لا اله سواه
ثم نظر الى كوكب طلع وهو المشترى او الزهرة طالعة فقال هذا ربي الى اخر ما قصه الله
عنه وهذا ما ذكره اهل الاخبار والى جواب هذه الشبهة اشار المص بقوله فانه قد قيل
كان هذا في سن الطفولية هو مصدر طفل اذا كان طفلا اي ولدا صغيرا كما تقدم لكن الذي
ذكره الراغب وغيره ممن يعتمد عليه من اهل اللغة انه يقال طفل طفولة وطفالة فاذا كانت
الطفالة مصدرا لا يحتاج ليا النسبة التي تصير بها الجوامد مصادر فان مثله سماعي
كالخصوصية كما فصله المرزوقي وغيره من ايمة اللغة الا ان المص ثقة فلعله وقف عليه
وابتدا النظر والاستدلال على واحدانية الله تعالى ووجوده لقوله تعالى وتلك حجتنا اتيناها
ابراهيم على قومه وقبل لزوم التكليف في ابتدا تمييزه من غير ثبات على ما قاله بل اراد الاستدلال
على وجود صانع قديم لا يجري عليه تغير الا انه جواب ضعيف لا قتضايه صدور شك منه
في صغره ومثله لا يليق بمثله صلى الله عليه وسلم وكونه تنبيها لابويه وقومه على خطايهم
في عبادة غير الله جواب اخر فادخاله في الكلام هنا غير مناسب لمنافاته لقوله وابتدا
النظر الخ وذهب معظم الحذاق جمع حاذق وهو من له ذكا وفهم ومعظم بمعنى اكثر من العلماء
والمفسرين اشارة الى ضعف ما قبله وان قايله لا يعتد به الى انه عليه الصلاة والسلام
انما قال ذلك اي هذا ربي الخ تبكيتا وفي نسخة مبكتا وينابها المعطوف الاتي لقوله لانهم
كانوا يعبدون الكواكب والتبكيت بالمثناة الفوقية والموحدة وكاف ومثناة تحتية
ساكنة واخره مثناة فوقية وهو اللوم والتقريع يقال بكته اذا عنفه واستقبله بمكروه
او غلبه بحجة وكله صحيح هنا وفي الكشاف انه قول من ينصف خصمه مع علمه انه مبطل
وهو جواب اخر قريب مما ذكر ومستدلا عليهم بالزام الحجة لان الظهور والاحتجاب تغير
يوذن بالحدوث مناف للالوهية فاراد ارشادهم الى النظر بارخا العنان حتى ينقادوا
للحق من غير عناد وقيل معناه معنى قوله هذا ربي هذا اكبر الاستفهام الانكاري بتقدير الهمزة كما بينه
بقوله الوارد مورد الانكار الذي صدر منه مصدرا للانكار لا على طريق الشك ولا الاعتقاد
ولا بعد فيه وان كان الاصل عدم التقدير والمراد افهذا ربي اي لا يليق بمثله ان يكون ربا معبودا
وقال الزجاجي قوله هذا ربي اي على قولكم وفي نسخة قولهم اي هو حكاية لقول الخصم حتى يكر عليه
بالابطال كما تقدم في كلام الكشاف كما قال الله تعالى في اية اخرى اين شركاي فاضافهم
الى نفسه لما سيلهم تهكما منه اي عندكم اي كونهم شركاه على زعمهم وادعايهم كما في هذه
الاية فسماهم الله شركا باعتبار اعتقادهم الفاسد وقومه ان كانوا يعبدون الكواكب فهو ظاهر
وان كانوا يعبدون الاصنام فابطال الوهية الاجرام العلوية النيرة يقتضي ابطال غيره بالطريق
الاولى وفي شرح المواقف هذا الكلام صدر عن الخليل عليه الصلاة والسلام قبل تمام النظر
في معرفة الله وكم بينه وبين نبوته اذ لا نصور نبوة الا بعد تمام ذلك النظر فلا اشكال او يختار

انه

273

انه لم يعتقده فيكون كذبا صادرا قبل البعثة او هو على سبيل الفرض ارشادا لقومه كما في برهان
الخلف اي الكواكب لو كانت اربابا كما يزعمون لزم ان يكون الرب متغيرا وذلك باطل وفيه ما فيه
ويدل على انه اي الخليل عليه الصلاة والسلام لم يعبد شيا من ذلك اي من جنس الكواكب
والاوثان ولا اشرك قط لاستغراق الازمنة بالله عز وجل طرفة عين اي في اقل الازمنة وطرفة
العين مقدار تحريك جفنها من اعلى لاسفل ويكنى به عن غاية القلة وطرفة مصدر منصوب
على الظرفية الزمانية ومثله كثير قول الله فيما حكاه عنه اذ قال لابيه آزر وقومه ما تعبدون
سايلا لهم مضيفا العبادة لهم قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين الاية ثم قال اي ابراهيم عليه
الصلاة والسلام لهم افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباوكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب
العالمين يريد انهم اعدا لعابديهم لتضررهم بعبادتهم فوق ضرر اعدى اعدايهم وهو الشيطان
فصور الامر في نفسه تعريضا لهم فانه انفع في النصح من التعريض واشعارا بانها نصيحة بداها
بنفسه ليكون ادعى الى القبول كما قاله البيضاوي وقوله الا رب العالمين استثنا منقطع والقول
بان هذا الاتيم لاحتمال انه بعد النبوة لا وجه له وفي المقام كلام يضيق عنه البيان وهنا فحسبك
ما فيه شفا الصدور وقال اذ جا ربه بقلب سليم اي من الشرك فضلا منه منه دليل على انه
لم يعرض له اصلا وقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام اي باعد بيني وبين عبادتها فهذا يدل
على انه هو وذريته لم يصدر منهم شيء من ذلك فان قلت فما معنى قوله اي قول ابراهيم عليه
الصلاة والسلام بعدا قول القمر لين لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين فانه ربما يتوهم منه
انه في شبهة قلت قيل في الجواب انه اراد به الاستيفاق بربه وقد استبحر نفسه وعلم انه انما يهتدي
بتوفيق الله له فقال لقوله ان لم يرد بي اي يقويني بمعونته اكن مثلكم انما القوم في ضلالتكم
وعبادتكم لغير الله وانما قال هذا وهو مهتد بلا شك على معنى الاشفاق على قومه ترحما لهم والحذر
اي الخوف من الله والاحتراز عما هم فيه والا اي وان لم يحمل ما ذكره على هذا لم يكن لذكره هنا فايدة
فهو معصوم في الازل قديما في قضا الله له بالسعادة وتطهير فطرته من الضلال وهذا السوال
وارد على ما قرره من عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن الريب والشبه وبعض
الشراح هنا حاطب ليل تركنا ما كثر به سواده فان قلت فما معنى قوله تعالى في سورة ابراهيم
عليه الصلاة والسلام وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا
فالعود يقتضي انهم كانوا على دينهم وكفرهم وهم معصومون من ذلك قبل البعثة وبعدها
كما تقدم فالاية تشكل ظاهرها عليهم ثم قال الله عز وجل بعد بالبنا على الضم اي بعد قول
الذين كفروا ما ذكر وقيل بعد قوله لنخرجنكم من ارضنا الاية وسياتي ما فيه عن الرسل اي حاكيا
عنهم وما تقدم كان محكيا عن قومهم لا عنهم والثاني اظهر في الاشكال لان قومهم قد يظنون
انهم قبل البعثة كانوا على دينهم واما الرسل فعلى يقين من خلافه فكيف يصح منهم
ان يفتروا ويرد على التقدير الثاني ان قوله تعالى قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد
اذ نجانا الله منها ليس بعد هذه الاية فان الاولى في سورة الاعراف وهذه في سورة ابراهيم

وكونها بعدها في النزول يحتاج الى نقل وقيل انها بعدها في الجملة لان القصة واحدة وهي قصة
شعيب وليس المراد بالرسل جميعهم بل الجنس الصادق على الواحد وقد وقع جوابا للكفرة
فهو اقوى في الشبهة فانهم لا يقولون على انفسهم ما لم يتصفوا به لانهم منزهون عن الكذب
ومعنى قد افترينا على الله الكذب اي ما كذبنا على الله ومعنى نجانا الله منها عصمنا عن الميل اليها
فضلا عن الدخول فيها وجواب الشرط مقدر يدل عليه ما قبله وهو ماض لفظا مستقبل
معنى لدخول حرف الشرط عليه تقديرا وقد مر به له المحال اذا عرفت هذا فلا يشكل عليك
لفظة العود بمعنى الرجوع الى الكفر المقتضية لاتصافهم به اولا وهم معصومون منه قبل
البعثة وبعدها كما قرره اولا فيشكل هو وانما تقتضي اي تستلزم بحسب الدلالة انهم اي الرسل
انما يعودون اي يرجعون الى ما كانوا فيه اي داخلين فيه ومتصفين به من ملتهم يعني الكفر
لان الملة تطلق عليه كالدين فان هذه اللفظة اي لفظة العود وردت كثيرا في كلام العرب
الفصحا لغير ما ليس له اي لما لم يثبت له ابتدا اي قبل حالة التي هو عليها مما ينافيها بمعنى الصيرورة
وهي وجود الشي بعد ان لم يكن تقول صار لفلان كذا وصار غنيا بعد فقره وفي المحصول ان ما صار
اليه شرع نسخ وقيل الضاير لذلك امهم فادخلوا فيهم بطريق التغليب او هو باعتبار
ظنهم وزعمهم او على حد قولهم ضيق فم الركية بجعل المتوهم كالمتحقق وفيه كلام في شرح المفتاح
وحواشيه كما جا في حديث الجهنميين اي الحديث الذي في حق اهل جهنم المروي في الصحيحين
عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عادوا حمما بضم اوله وفتح ثانيه بزنة صرد اي سودا كالفحم
جمع حممة واوله اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار يقول الله من كان في قلبه حبة
خردل من ايمان فاخرجوه فيخرجون قد امتحشوا وعادوا حمما فيلقون في نهر الحياة فينبتون
كما تنبت الحبة في حميل السيل وعاد هنا بمعنى صار ولم يكونوا اي الجهنميون قبل ذلك
كذلك اي حمما ومثله اي مثل الحديث في ان عاد بمعنى صار وحدث وان لم يكن موجودا
قبل قول الشاعر هو امية بن ابي الصلت من قصيدة مدح بها سيف بن ذي يزن ملك اليمن
لما ظفر بالحبشة وقد غلبوا على ملكهم فغزاهم ونفاهم عن بلاده وذلك بعد مولد النبي
صلى الله عليه وسلم بسنتين فاتته وفود العرب تهنيه ومنهم قريش وعبد المطلب
فانشده امية بن ابي الصلت قوله لا يطلب الثار الا كابن ذي يزن يمم البحر للاعداء احوالا
اتى هرقلا وقد سالت نعامته فلم يجد عنده للنصر تساءلا ثم انتحى نحو كسرى بعد تاسعة
من السنين يهين النفس والمالا حتى اتى ببني الاحرار يقدمهم تخالهم فوق متن الارض اجبالا
الى ان قال فيها فاشرب هنيا عليك التاج مرتفعا في راس غمدان دارا منك محلالا
ثم اطل بالمسك اذ سالت نعامتهم واسبل اليوم من برديك اسبالا تلك المكارم
لا قعبان من لبن شيبا بما فعادا بعد ابوالا وعارضها بعضهم بقصيدة في مدح
الصوفية فقال لله تحت قباب العز طايفة اخفاهم في ثياب الفقر اجلالا
هم السلاطين في اثواب مسكنة استعبدوا من ملوك الارض اقيالا عن جلا بسهم نسم

جرّوا

جرّوا على فلك العليا اذيالا هذي المناقب لا ثوبان من عدن خيطا قميصا فعادا بعد اسمالا
هذي المكارم لا قعبان من لبن شيبا بما فعادا بعد ابوالا والقصيدة الاولى بتمامها في ديوانه
وفي كثير من كتب الادب والتاريخ اولسين بما سايند صحيحة ولها قصة مشهورة وفيها البشارة
ببعثته صلى الله عليه وسلم كما فصله وليس الشعر المذكور منها كما توهمه من لا خبرة له
بالادب واساليبه وكلام العرب وليس كما قيل لابي الصلت ولا للاعشى ولا للنابغة ولا
لعمر بن عبد العزيز وانما تمثل رضي الله عنه بهذا البيت فتوهم الحافظ الحلبي انه له وهذا مثل
في الفخر بمعالي الامور وعدم التنزل لسفاسفها وشيبا بمعنى خلطا ومزجا والقعب انا معروف
يقول انك في معال وقصور رفيعة متلذذا بالخمور ام الشرور بجود بالاموال لست كعرب
البادية الذين جودهم سقي ضيفانهم لبنا بما مزج به يعود في يومه بولا مراقا وجودك
بمكارم واموال تبقى عند من انعمت عليه فشتان بينك وبين غيرك فعادا هنا بمعنى صار
لانه لا يتصور انهما كانت بولا قبل ذلك واليه اشار بقوله وما كان ما ذكر قبل ذلك
كذلك اي بولا وهو ظاهر وانما اطلنا فيه لما في الشرح هنا من الخلط ثم اورد سوالا اخر
على ما قرره من عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام فقال فان قلت فما معنى قوله
ووجدك ضالا فهدى الخطاب له صلى الله عليه وسلم واصله فهداك فحذف المفعول
رعاية للفاصلة فانه يقتضي نسبته صلى الله عليه وسلم للضلال قبل البعثة والضلال
شرعا اما بالكفر او بارتكاب المعاصي وهو صلى الله عليه وسلم منزه عنهما وجوابه قوله
فليس هو من الضلال الذي هو الكفر فانه صلى الله عليه وسلم معصوم من المعاصي
قبل النبوة وبعدها فضلا عن الكفر واذا كان كذلك فقيل معناه هنا وجدك ضالا
عن النبوة فهداك اليها لان الضلال معناه لغة العدول عن الطريق المستقيم وضد
الهداية فكل عدول ضلال سوا كان عمدا ام لا فمعناه غير مهتد لما سبق لك من النبوة
كقوله فعلتها اذن وانا من الضالين كما ياتي قاله اي التفسير المذكور محمد بن جرير
الطبري وقد قدمنا ترجمته وقيل معناه وتاويله وجدك بين اهل الضلال فعصمك عن
ان تنتظم في سلكهم وتعد منهم فصانك من ذلك اي من الضلال وموافقة اهله فيه
وهداك للايمان به ومعرفته اذ جعله فطرة لك ثم اودع فيك ما يرشدك له بعقلك
السليم اي ارشدك له بالوحي والى ارشادهم اي ارشاد من لم يكن مهتديا للحق افعال من الرشد
ضد الغي وهو قريب من الهداية كما قاله الراغب وله معان اخر اليه اي الى الايمان وسلوك
الطريق المستقيم بتبليغ ما اوحي اليه ونحوه اي قريب منه ومشابه له ونحوه نقل عن السدي
رحمه الله وقد تقدمت ترجمته ونقل ذلك ايضا عن غير واحد اي عن ناس كثيرين من اهل التفسير
فعلى هذا الضلال بمعناه المشهور وليس متصفا به ولكونه بين اهله اطلق عليه مجازا بعلاقة
المجاورة وليس من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا قتيلا كما لا يخفى ولم يبين وجهه الشراح هنا وقيل
معناه المراد ضالا عن شريعتك التي اوحاها الله سبحانه وتعالى اليك اي لا تعرفها قبل ان اوحي

اليك فالضلال بمعنى الغفلة وقد ورد بهذا المعنى كقوله ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى
كما قيل له صلى الله عليه وسلم بعدما اوحى اليه فلا تكن من الغافلين ويأتى ايضا انه بمعنى النسيان
واستدل له بهذه الاية ومثله قبل البلاغ ليس بنقص كذا قيل فهداك اليها وذلك الى ما لا تعرفه
وانت طالب له فعلمك ما لم تكن تعلم وقوله والضلال ههنا اى فى هذه الاية على هذا القول
التحير اى الوقوع فى الحيرة حتى لا يدرى اين يذهب وما يفعل حيرة تمت فأى فتى رام عرفانكم
لا يناسبه فانه ليس للغافل والناسى حيرة فالظاهر تفسيره بعدم المعرفة كما صح به ومن لم
يعرف شيئا وطلبه يتحير فتدبر ولهذا كان صلى الله عليه وسلم قبل نزول الوحى عليه يتخلى اى
يختلى ويعتزل الناس بغار حراء بالصرف وعدمه اسم جبل بمكة كما تقدم فى طلب ما يتوجه به
الى ربه اى بسبب تصفية باطنه واعمال فكره فى وسيلة توصله الى الله ويتشرع به اى يتخذه
شريعة وعبادة تقربه لربه وفى نسخة يتسرع بلا تاء بضم اوله وبكسر ثالثه وشينه معجمة
وقيل انه بسين مهملة من الاسراع فى اصل المص وقيل الرواية الصحيحة فى الاصول الاول
وهو الاظهر ولم يزل صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك حتى هداه الله ودله دلالة
موصلة الى الاسلام والدين الحق بما جاءه عن الحق كما تبين فى بدء الوحى قال اى حكى فى نسخة
معناه الامام القشيرى التى تقدمت ترجمته يعنى انه صلى الله عليه وسلم كان موحدا فى اول
امره طالبا لاتمام النعمة عليه بهدايته لما يرضيه ويكمله فمن عليه بذلك وقيل معنى ضالا
لا يعرف الحق اى الدين الحق لانه لا يعرفه الا بالوحى فهداك اليه بما اوحاه له وهذا فى المعنى مثل قوله
عز وجل وعلمك ما لم تكن تعلم من الشرع واحكامه او من خفيات واسرار الله التى لم تقف
عليها ومعنى ما لم تكن تعلم ما لم يكن فى قوتك وقدرتك علمه ولذا عدل عما لم تعلم وهو اخصر
واظهر واما كونه لغوا لان كل احد انما يعلم ما لم يعلم اذ تعليم ما يعلم تحصيل للحاصل ولذا
قال السبكى فى عروس الافراح وغيره ان قوله علم الانسان ما لم يعلم بتقدير ما لم يكن يعلم
فليس بشىء لانه للامتنان وتناول ما لم يكن من مقامك علمه والوقوف عليه ومن لهذا
تتمة عن بعض حواشى المطول قاله على بن عيسى الامام فى العربية والكلام شارح الكتاب
المعروف بالرمانى وقد تقدمت ترجمته قال ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير هذه الاية
لم يكن له اى من شانه وصفته ضلالة معصية اى ليس الضلال هنا بمعنى ارتكاب المعاصى
لعصمة الله له فالضلال ماقول ومفسر بما مر وقيل معنى هدى هنا اى بين امرك للضالين
اى من الناس بالبراهين والادلة القاطعة لعرق الشبه فيك وفيما جئت به حتى صرت
لا تخفى على احد والبرهان الدليل اليقينى ومن تفسيره الهداية به علم معنى ضالا وانه
وجدك خفيا وكنزا مخفيا لم يعرفه الناس ولم يطلعوا على شانه وعلو قدره فاظهره الله
حتى ذاع وشاع وملا الافكار والاسماع فتقدير مفعوله على هذا هدى الناس كلهم
وهدى العقول وقيل معناه وجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك الى المدينة بان
جعلها دار هجرتك ومثواك فالمراد انه بعد البعثة ودعوة الناس لدينه مع ما كان

وقد
عليه

عليه قومه فى القيام عليه صلى الله عليه وسلم واذيته وهجرة بعض المسلمين للحبشة
كان فى حيرة مترددا فى الاقامة بمكة والهجرة للمدينة يرجو ان يؤذن له فى الهجرة اليها حتى اذن الله
فى ذلك كما فصل فى السير وقيل المعنى وجدك قائما بأعباء الرسالة وبتبليغها وهو عالم بذلك
بين قومه ولكن هو تمثيل وتنويه بامره ومحبة الله له فكانه امر مطلوب لعظيم عثر عليه كما
يقال العلم ضالة المؤمن فهدى بك ضالا بارشادك له فضالا مفعول لهدى قدم عليه لرعاية
الفاصلة وليس صفة له حتى يتوجه السؤال وهو وجه متكلف عهدته على قائله لانا قلنا وعن
جعفر بن محمد هو جعفر الصادق الذى تقدم ومحمد هو الباقر بن زين العابدين فقال جعفر معناه
ووجدك ضالا عن محبتى لك اى لم يظهر لك انى اتخذتك حبيبا لى مقربا عندى فى الازل اى فى القدم
قبل خلقك اى لا تعرفها هو معنى ضالا فمننت عليك بمعرفتى اى انعمت وتفضلت لانى احبك وهو
تفسير لقوله فهدى فعلى هذا لا يتوهم فيه نقص لان معناه ليس لاحد كرم على مثلك قال فى المجمل الازل
القدم واصله انهم قالوا للقديم لم يزل ثم نسبوا له باختصار فقالوا يزلى ثم ابدلوا الياء همزة
فهو من النحت عنده وقال غيره هو من الازل وهو الضيق لضيق القلوب عن تقديره وهى كلمة محدثة
وقرأ الحسن بن على بن ابى طالب رضى الله عنهما ووجدك ضال بالرفع فالضلالة صفة لغيره على هذه
القراءة الشاذة فلا يرد السؤال فهدى فهو على هذا لازم اى اهتدى بك لسعادة الدارين
او المعنى فهداه الله بك ويجوز ايضا على القراءة المشهورة ان يكون فاعل وجد ضميرا للواجد المفهوم
منه وضال حال من هذا الضمير وهو بعيد وقال ابن عطاء فى تفسير الاية ووجدك ضالا
اى محبا لمعرفتى فهداك يا نزار هدايته وعنايته ولما كان هذا خلاف المشهور فى اللغة بينه
بقوله والضال ورد بمعنى المحب كما قال الله تعالى انك لفى ضلالك القديم هو من كلام اخوة
يوسف عليهم الصلاة والسلام لابيهم حكاه الله عنهم اى فارادوا انك على محبتك
القديمة ليوسف لا تنساه وهذا منقول عن قتادة وسفيان وقيل ارادوا بضلاله خطأه
وقيل جنونه من حب يوسف عليه الصلاة والسلام كما قاله الحسن ولم يريدوا اى لم يقصد اولاده
يعقوب عليه الصلاة والسلام ههنا اى فيما حكى عنهم فى هذه الاية ضلالة فى الدين بان يعتقدوا
خطاه فى دينه باعتقاد ما يخالفه او اصراره على ما ينافيه اذ لو قالوا ذلك معتقدين مثله
فى نبى الله الذى عصمه الله عن الخطا فى دينه علما وعملا لكفروا اى اختراعهم على نبى الله ونسبته
لما لا يليق به وتحقير ومثله كفر فى الشرع فلذا فسر الضلال بالمحبة ومثله اى مثل كون الضلال
بمعنى المحبة فى هذه الاية انا لنراها فى ضلال مبين هو فى حق زليخا وقد شغفها حب يوسف عليه
الصلاة والسلام اى فان المناسب للمقام انه بمعنى محبة بينة اى ظاهرة مكشوفة لافتضاحها
عند هذا اى ابن عطاء الذى فسر الضلال بالمحبة فوضع اسم الاشارة موضع الضمير لتمييزه
اكمل تمييز وفى بعض النسخ ومثله عند هذا الخ وقال الجنيد رحمه الله فى تاويل هذه الاية وهو
ابو القاسم بن محمد الزاهد العابد شيخ وقته ونسيج وحده واصله من نهاوند ونشأ بالعراق وتفقه
باخذه عن ابى ثور احد اصحاب الشافعى واخذ الطريقة عن السرى السقطى والمحاسبى وتوفى سنة سبع

وقيل ان كان يفتى على مذهب
سفيان الثورى رضى الله عنه

وتسعين ومايتين وهو من فقها الشافعية كما في طبقات السبكي ودفن بالشونيزية منه خاله السري
وجدك متحيرا في شان ما انزل اليك من القران تفسير لقوله ضالا فهداك لبيانه باظهاره وبيان ما خفي
من معانيه في حال تبليغه لامته كقوله وانزلنا اليك الذكر الاية المراد بالذكر القران لما ذكر من التذكير
والموعظة لتبين للناس ما نزل اليهم مما خفي عليهم فالضلال التحير فيما شق عليه في ابتدا امره ومثله
لا ضير فيه وقيل معناه وجدك ضالا اي بمعنى انك في خفا حالك بين الناس كمن ضل فهداه وفارق قومه
حتى خفي امره عليهم فهو استعارة وعبارة عن انك لم يعرفك احد من الناس ولم يعرف اتصافك
بالنبوة حتى اظهرك الله فهدا بك السعدا اي من اسعده الله بمعرفتك واتباعك والايمان بك
وفي الاية وجوه كثيرة منها انه بمعناه الحقيقي لانه صلى الله عليه وسلم وهو طفل ضل في شعاب
مكة فراه ابو جهل لعنه الله ورده لجده عبد المطلب كما رواه بن عباس رضي الله عنهما وعن ابن جبير
انه صلى الله عليه وسلم خرج مع ابي طالب في سفر فاخذ ابليس بزمام ناقته وعدل به عن الطريق
في ليلة مظلمة فجا جبريل عليه الصلاة والسلام ونفخ ابليس نفخة رماه بها للهند ورده صلى الله
عليه وسلم الى القافلة فمن الله عليه بذلك وعن كعب ان مرضعته حليمة لما اتت به لترده لعبد
المطلب جلست لتصلح ثيابها فلم تره وسمعت هدة شديدة فقالت اين الصبي قالوا لم نره فصاحت
واحمداه فرات ابليس لعنه الله على هيئة شيخ متك على عصا وقال اذهبي لهبل يرده عليك ثم جا
وقبل راس الصنم وقال زد ابن السعدية عليها فتساقطت الاصنام وقالت له اليك عنا
فارتعد وقالت لها لابنك رب يحميه فاطلبيه فطلبته في جماعة من قريش فيهم عبد المطلب فتضرع
الى الله تعالى قايلا في ذلك يا رب رد ولدي محمدا فاردده لي تتخذ عندي يدا فسمعوا قوما كلهم تبددا
فسمعوا مناديا يقول لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يضيعه وها هو بتهامة عند شجرة فوجدوه عندها
يلعب باوراقها وقيل المعنى وجدك ضالا عن طريق المعراج فهداك له ولا اعلم احدا من المفسرين
قال فيها اي في تفسير اية ووجدك ضالا فهدى ان معناها ضالا عن الايمان لانه صلى الله
عليه وسلم وساير الانبياء معصومون قبل النبوة وبعدها عن الكفر وكل ما ينفر عنهم
القلوب وفي الكشاف من قال انه صلى الله عليه وسلم كان على امر قومه اربعين سنة ان
اراد خلوه عن الامور السمعية فنعم وان اراد انه على كفرهم ودينهم فمعاذ الله فانه صلى الله
عليه وسلم وساير الانبيا معصومون قبل النبوة وبعدها عن الكباير والصغاير الشانية
فما بالك بالكفر والجهل بالصانع ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء وكفى نقيصة عند
الكفار ان يسبق منه كفر انتهى وما نقل عن الكلبي والسدي من ان الاية على ظاهرها ومعناها
وجدك كافرا في قوم كفار مخالف للاجماع ويبعد عن الادراك ان ينسب صلى الله عليه
وسلم الى الاشراك ولهذه الرواية الشاذة بل الفاسدة ردد الزمخشري فيما قاله والعجب
ممن نقل هذه المقالة وقال لا وجه لترديده مع حملها على الشي الثاني وكذلك اي مثل اية
ووجدك ضالا فهدى وتاويلها قوله تعالى في قصة موسى صلى الله عليه وسلم في قوله
قوله تعالى قال فعلتها اذا وانا من الضالين وقرا ابن مسعود من الجاهلين اي ومعناه

من المخطئين

من المخطئين الفاعلين شيا بغير قصد وتعمد لقتل النفس التي قتلها او الذاهبين الى ما يفضي اليه الوكز
قصدا من التاديب وهذا معنى جايز قبل النبوة فلا يتوهم من هذه الاية ان فيها نقيصة لموسى عليه
الصلاة والسلام لان الضلال بمعنى الخطا وضمير فعلتها للفعلة التي فعلها وهي قتله قبطيا
من اتباع فرعون بعصى قبل نبوته وبخه فرعون عليها لما دعاه وعدد نعمه عليه بقوله الم نربك فينا
وليدا الى قوله وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين فاجابه بقوله فعلتها اذا وانا من الضالين
فوصف نفسه بالضلال وهو معصوم منه فاجاب بان الضلال بمعنى الخطا وعدم القصد لقتله
وانما اراد دفعه فوكزه فمات من وكزه ومثله لا ضير فيه لانه خطا معفو عنه وياتي الكلام على ذلك
ايضا قال اي قال هذا التفسير لهذه الاية ابن عرفة وهو الحسن العبدي المودب المحدث الثقة
الذي روى عنه الترمذي وغيره وهو معمر عاش مايه وسبع او عشرة وتوفي سنة سبع وخمسين
ومايتين وهو المراد هنا عند الحافظ الحلبي وغيره الا ابن عرفه الذي هو ابو عبد الله ابراهيم بن محمد بن
عرفة المعروف بنفطويه وقال التلمساني انه المراد هنا وفيه نظر وقال الازهري ابو منصور محمد بن
احمد امام اهل اللغة صاحب التهذيب توفي سنة سبعين وثلثماية معناه اي معنى من الضالين
في الاية من الناسين وعروض النسيان للانبيا عليهم الصلاة والسلام جايز وهو تكذيب
لفرعون لعنه الله في قوله وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين والمراد به عدم
القصد اذ القتل لا يكون نسيانا اللهم الا ان يريد نسيانا انه من القبط وجند فرعون
وهو الظاهر لقوله وقد قيل ذلك اي ان الضلال بمعنى النسيان في قوله عز وجل في حق نبينا
صلى الله عليه وسلم كما تقدم ووجدك ضالا اي ناسيا فهدى اي فهداك وذكرك كما
قال ان تضل احداهما اي تنسى احدى المراتين ما شهدت به فتذكرها الاخرى ما نسيته ثم اورد اية
اخرى تخالف ما قرره من عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام عن الشرك وكل ما ينفر كالجهل
فقال فان قلت فما معنى قوله عز وجل لنبينا صلى الله عليه وسلم وكذلك اوحينا اليك
روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ووجه السوال انه نفى عنه صلى الله عليه
وسلم معرفته بالقران المنزل عليه وبالايمان والاول صحيح لان عدم معرفته بالقران قبل الوحي
امر محقق والمشكل انما هو الثاني لانه يقتضي انه صلى الله عليه وسلم لم يكن مومنا قبله وهو
معصوم عن الكفر قبل النبوة وبعدها كما تقدم ولذا قيل ان المراد به الايمان بما يجب الايمان به
من احكام الشريعة لا مجرد التوحيد والتصديق والكل ينتفي بانتفا جزيه ولا حاجة لما تكلفه
بعضهم من ان الايمان المراد به ما ذهب اليه المحدثون وهو التصديق بالقلب والاقرار
باللسان والعمل بالجوارح ومجموعه لم يكن معلوما له صلى الله عليه وسلم قبل الوحي فالجواب
عما ذكر في هذه الاية ان السمرقندي هو الامام ابو الليث رحمه الله وقد تقدمت ترجمته
قال معناه اي ما ذكر في هذه الاية ما كنت تدري قبل الوحي ان تقرا القران اي لا تعرف قراته ولا ادرايته
ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان وقيل انه بعيد غاية البعد فان قدر مثله في النظم فلا قرينة تدل
عليه وقد يقال لتعريف الايمان عهدي والمراد به ايمان امته اي لا تدري كيف يؤمن قومك وباي

طريق يدخلون في الايمان وملة الاسلام وهو يدعوه له وستسمع بيانه قريبا وقال بكر القاضي
تقدمت ترجمته نحوه اي نحو ما قاله السمرقندي مما هو قريب منه قال اي بكر لا السمرقندي كما قيل ومقوله
هو قوله ولا الايمان مصدر بمعنى المفعول اي ما يجب الايمان به الذي هو الفرايض والاحكام الشرعية
التي كلف بها علما وعملا مما لا بد منه قال اي بكر فكان صلى الله عليه وسلم قبل اي قبل نزول
الوحي ومجي الملك له مومنا اي مصدقا بتوحيده وانه لا اله الا هو ثم نزلت الفرايض التي لم يكن
يدريها قبل اي قبل نزولها وقبل بعثته فزاد بالتكليف اي بسبب ما كلفه الله من الفرايض ايمانا
وهو اي ما قاله السمرقندي وبكر احسن وجوهه اي احسن ما وجهت به هذه الاية واحسن
تفاسيرها لانه تعالى لم يرد انه صلى الله عليه وسلم لا يدري وانه لا يعرف الايمان لانه
لو كان الامر كذلك قال لما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فلما اتى بما الاستفهامية كان
معناه انه لم يدر حال الكتاب وحال الايمان وحال الكتاب تلاوته وحفظه وهو امي لا يعرفه
وحال الايمان لم يرد به ايمان النبي صلى الله عليه وسلم بالله وهو مجبول عليه متيقن له
من ابتدا خلقه الخ فالمراد به ايمان غيره من امته وهو انما يعرف ايمانهم المضمر في قلوبهم الا اذا
دعاهم فاجابوه وطابق لسانهم جنانهم فهذا تفسير له بلازمه البين وهو وجه دقيق كما
اشار اليه المص رحمه الله ومن لم يقف على مراده قال على هذا الايمان في هذه الاية معناه
التصديق والاقرار والعمل والتصديق بما جا به محمد صلى الله عليه وسلم هو معناه الحقيق
شرعا وما عداه غير داخل فيه الا على قوله واما تفسيره بدعوة الخلق ومعرفتها فلم يقله
احد فكيف يكون ما ذكر وجها حسنا ولا دلالة للفظ عليه بوجه من الوجوه والمراد
ما قدمناه وقيل معناه ما كنت تعرف الكتاب قبل نزوله عليك ولا الايمان بالفرايض والاحكام
التفصيلية قبل مجي الكتاب الذي هو تبيان لكل شي وهذا وجه اخر غير ما ذكر المص
رحمه الله ومنهم من نزل عليه كلام المص فخلط وخبط فان قلت اذا كان النبي صلى الله
عليه وسلم عالما بالله وصفاته فما معنى قوله تعالى له وان كنت من قبله لمن الغافلين
فوصفه بالغفلة اذ كان غفلة عن ايات الله قبل الوحي نا فاما قرنا اولا وردّه بقوله
فاعلم انه اي ما ذكر من وصفه بالغفلة ليس بمعنى الغفلة التي في قوله تعالى والذين هم
عن اياتنا غافلون فان الغفلة في هذه الاية غفلة عن العلم بالله وصفاته واول الاية
ان الذين لا يرجون لقانا ورضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها والذين هم عن اياتنا غافلون
اولئك ماواهم النار بما كانوا يكسبون وهو صلى الله عليه وسلم معصوم عن هذه
الغفلة بل بمعنى الغفلة المذكورة ما حكى ابو عبيد الهروي امام اهل اللغة ان معناه
لمن الغافلين عن قصة يوسف مع ابيه واخوته عليهم الصلاة والسلام فانه صريح
قوله نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القران وان كنت من قبله
لمن الغافلين اذ لم يعلمها الا بوحينا قبل ما قصه الله عليه والغفلة عن مثله مما لا
يعلم الا بالنقل لا نقص فيه وهذا اظهر من ان يذكر فالفرق بين الغفلتين ظاهر

وفي التعبير

وفي التعبير بالغفلة اشارة الى شدة استعداده للعلم بما لم يعلم حتى كانه عالم ونسيه
وكذلك اي ما ذكر مما يوهم ما لا يليق بعصمته قبل النبوة الحديث الذي يرويه ابو يعلى الموصلي
الموصلي في مسنده وعثمان بن ابي شيبة وهو من المحدثين الا انه ضعيف على ما ياتي لانه نسب اليه
اوهام بسنده عن جابر رضي الله عنه كما قال ابو يعلى حدثنا ابن ابي شيبة قال حدثنا جرير بن عبد
الحميد الضبي عن سفيان الثوري عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما
ان النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يشهد اي يحضر مع المشركين بمكة في صغره مشاهدهم اي
محل اجتماعهم عند اصنامهم وهذا هو محل الانكار من هذا الحديث فانه لم ينقل ذلك عنه
الا في رواية ذكرها السهيلي وقال انها مرة واحدة على ما فيها وكان ذلك بالحاح عليه من عمه
ابي طالب ثم لم يعد لها فسمع ملكين خلفه كانا موكلين به بحفظانه احدهما اي احد الملكين يقول
لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه نحفظه فقال الاخر كيف اقوم خلفه واقرب منه وعهده مبتدا خبر
محذوف اي قريب والعهد بمعنى الزمان كقولهم في عهد خلافة فلان باستلام الاصنام وفي الزاهر
لابن الانباري الاستلام افتعال من السلمة وهي الحجر ومعناه مس الحجر وهو استفعال من اللامة
وهي السلاح اي حصن نفسه بمسه وحكي عن الفرا استلمت الحجر واستلامته بالهمز انتهى ولم يقف
الدماميني في حاشيته البخاري على هذا فذكره بطريق البحث من عنده وفي كشف الكشاف انه ماخوذ
من عين لا من مصدر وفيه صيرورته تقديرية وهو افتعال للاتخاذ والاختصاص اي اتخذ
سلمة وحجرا لنفسه يعظمه بالاشارة اليه بيده ومسه ثم عم لكل تقبيل فلم يشهدهم اي لم يشهد
المشركين في مشاهدهم بعد اي بعدما سمع من الملكين ما قالاه وهذا الحديث مشكل لما تقرر من انه
لم يكن على شي مما كان عليه المشركون من ولادته الى وفاته صلى الله عليه وسلم ورده المص
رحمه الله تعالى بقوله فهذا حديث انكره احمد بن حنبل جدا اي انكارا شديدا ولم يقل بصحته
واصل الجد ضد الهزل استعير لما ذكر وقال هو موضوع وكذب لم يثبت والثابت خلافه
او شبيه بالموضوع على زنة فعيل بمعنى انه يشبه الموضوع بشدة ضعفه وليس من الفضايل
حتى تغتفر روايته وحرف بعضهم شبيه بتشبيه نقعل منه وروي يشبه مضارع مجهول
مشدد البا وقال الدارقطني ان عثمان وهم بوزن غلط ومعناه ويقال وهم واوهم بمعنى
غلط ايضا في اسناده والحديث بالجملة اي اجمالا منكر غير متفق على اسناده اي روايته فلا
يلتفت اليه اي لا يعتبر بل ينبغي تركه وعدم روايته اصلا لثبوت خلافه كما سيبينه المص
وقال انه مما انكر على عثمان وقد انكر عليه لحاديث لخر رواها مع ان الشيخين رويا عنه بعض
الاحاديث وعثمان هذا هو عثمان بن محمد بن ابي شيبة ابو الحسن العبسي الكوفي الحافظ توفي سنة
تسع وثلاثين وماتين وقد ضعفوه الا ان ابن معين قال انه ثقة مامون والسعيد من عدت
غفواته ثم اشار الى رده بعدما رد سنده وبين الوهم فيه ما قال والمعروف عن النبي صلى الله
عليه وسلم خلافه اي ما يخالفه معنى عند اهل العلم بالحديث وباحواله صلى الله عليه
وسلم من قوله صلى الله عليه وسلم بغضت بالتشديد والبنا للمجهول الى الاصنام اي

جعلني الله مجبولا على عدم حبها وهو يقتضي ظاهرا انه لم يشهد مشاهدها ولم يوافق قومه في امورها
ومن قوله في الحديث الاخر الذي دونه ام ايمن حاضنته صلى الله عليه وسلم وهي ام اسامة
واسمها بركة وهي صحابية وترجمتها مشهورة وحديثها هذا رواه بن سعد عن بن عباس عنها
حين كلمه عمه ابو طالب واله في حضور بعض اعيادهم وكان قال له صلى الله عليه وسلم
يا بني لم لا تشهد مع قومك مشاهدهم عند اصنامهم يريد بذلك ان تؤلف بينه وبينهم باظهاره
لموافقته لما هم عليه لما راى اجتنابه لهم ولاصنامهم وعزموا عليه اي الحوا عليه واقسموا
عليه فيه اي في شان الحضور معهم يقال عزم عليه اذا اقسم وهو قسم استعطاف وطلب
وضمير عزموا لاهل بيته لاخبارهم ابا طالب بانه لا يريد ذلك واليه اشار بقوله بعد ظهور
كراهته لذلك اي الحضور مشاهدهم فخرج صلى الله عليه وسلم معهم اي مع اهل بيته وقومه
الى اعيادهم ومجامعهم ورجع من عندهم مرعوبا اي ظاهرا عليه اثار الرعب والخوف وفي نسخة
منقولة من الام فقال الفا فضيحة اي فساله عمه عن سبب رعبه فقال كلما دنوت اي قربت
منها لامسها بيدي من صنم بدل من قوله منها مفسر له تمثل اي ظهر لي شخص وهو ملك موكل بحفظه
صلى الله عليه وسلم ظهر له على مثال رجل ابيض طويل يصيح بي وراك بالنصب على انه ظرف جعل
اسم فعل اي ارجع لا تمسه اي لا تمس صنما منها بيدك كما يفعلون وهذا سبب رعبه صلى الله
عليه وسلم لانه كان قبل بعثته وانسه بالملائكة الكرام عليهم الصلاة والسلام
فلم يشهد اي لم يحضر صلى الله عليه وسلم بعد مبني على الضم اي بعد ما راى ذلك الملك
الموكل بحفظه عيدا لهم يجتمعون فيه عند اصنامهم وهذا مناف لقوله انه كان يشهد مشاهدهم
المقتضي لوقوع ذلك منه باختياره مرارا فان كان يقتضي تكررها بعدها كقولهم كان حاتم
يكرم الضيف وهذا الحديث تقدمت الاشارة اليه في الاسرا حين نفر البراق وهو ضعيف
ايضا وقوله في قصة بحيرا الراهب بفتح البا والمد والقصر وقصته معروفة حين سار صلى الله
عليه وسلم الى الشام مع عمه ابي طالب ومر بصومعة بحيرا وراى السحاب تظله والشجرة
التي نزل صلى الله عليه وسلم تحتها تميل اليه لتظله وقصته مشهورة حتى استحلف النبي
صلى الله عليه وسلم اي اقسم عليه او طلب منه ان يحلف باللات والعزى اسم صنمين
معروفين اذ لقيه بالشام اي قريبا منها او بارضها واقليمها في سفرته مع عمه ابي طالب لما استصحبه
معه صغيرا لانه كان لا يفارقه سفرا ولا حضرا وهو صبي صغير وراى بحيرا عند قدومه
عليه فيه صلى الله عليه وسلم علامات النبوة كتظليل الغمامة له وميل الشجرة لجانبه
ونزوله صلى الله عليه وسلم في منزل كان الانبيا عليهم الصلاة والسلام ينزلون فيه
كما فصل في قصته وارهاصاته قبل النبوة فاخبره بذلك وفي نسخة فاخبره اي اخبر بحيرا
ابا طالب بذلك اي بعلامات النبوة التي شاهدها فيه فقال له اي لبحيرا النبي صلى الله عليه
وسلم لا تسلني اصله كما في نسخة لا تسالني فخفف بحذف الهمزة بعد نقل حركتها اي لا تقسم
علي بهما لما فيه من الشرك وتعظيم الاصنام فوالله اقسم صلى الله عليه وسلم ارشادا له

وبيانا لما حقه ان يقسم به وتاكيدا لقوله ما ابغضت شيا وكرهته قط بغضهما اي كبغضي
لهما فقال له بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما اسالك عنه فقال له صلى الله عليه وسلم وشرف
وكرم سل عما بدا لك اي عن كل شيء خطر ببالك وقد تقدم الكلام على هذا التركيب واعلم
ان قصته صلى الله عليه وسلم مع عمه ابي طالب رواها بن سعد في طبقاته وابن سيد الناس
في سيرته وحاصلها بيانا لما مر ان قريشا كانوا يجتمعون في كل سنة بمحل ورا ينبع يسمى بوانة
بضم البا وفتحها ثم واو مخففة وبعد الالف نون ثم تا تانيث اسم هضبة فيها اصنام لهم
عيد فيه في كل سنة فقال ابو طالب وعماته له صلى الله عليه وسلم اذهب معنا لعيدنا فابى
فقال له ابو طالب انا نراك تخالفنا في امر الهتنا ونحن نخاف عليك من ذلك والحوا عليه
حتى غضب ابو طالب فلم يزالوا به صلى الله عليه وسلم حتى ذهب معهم وبينما هو معهم ثمت
غاب عنهم ما شا الله ثم رجع مرعوبا فزعا فقالوا له ما دهاك فقال اخشى ان يكون بي لمم فقالوا له
ما كان الله ليبتليك بالشيطان مع ما فيك من خصال الخير فما رايت فقال اني كلما دنوت من صنم
منها يميل الي رجل ابيض طويل ينادي ني وراك يا محمد لا تمسه ثم ما عاد صلى الله عليه وسلم الى
عيد لهم حتى نبي واما قصة بحيرا فمذكورة ايضا في السير وقد عرفت محصلها وكذلك اي مثل
ما ذكر في الدلالة على خلاف ما رواه بن ابي شيبة او مثل ما تقدم من نزاهته صلى الله عليه وسلم
عما كان عليه اهل الجاهلية المعروف من سيرته عليه الصلاة والسلام واحواله المروية
عنه في السير وتوفيق الله له بهدايته وخلوص طويته من ابتدا خلقته الى وفاته والمعروف
مبتدا خبره قوله انه كان قبل نبوته بفتح همزة انه وقوله كذلك مبتدا خبره الجملة التي بعده او انه
مبتدا موخر وكذلك خبر مقدم والمعروف بدل من اسم الاشارة يخالف المشركين في وقوفهم
بمزدلفة في الحج فكان صلى الله عليه وسلم اذا حج يقف هو بعرفة اسم مكان معروف يقف به الحاج
ويسمى عرفات ايضا ويقال المعرف والتعريف قال ابن دريد في مقصورته ثم اتى التعريف يقرع مخبتا
واصله الوقوف بعرمة وعرفة علم منقول من جمع عارف سميت لتعارف ادم وحوى فيه وقيل
ان عرفة اسم مولد ويرده حديث الحج عرفة وقيل عرفات اسم المكان وعرفة اسم يوم الاجتماع
وفيه كلام ليس هذا محله لانه اي عرفة كان موقف ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم
فهداه الله لاتباع شريعته ومخالفة الجاهلية فيما كانوا عليه وكانت قريش تقف بمزدلفة
لانها من الحرم وساير العرب تقف بعرفات وهي خارجة عن الحرم فخالفهم صلى الله عليه وسلم
في ذلك كما في صحيح البخاري وفي هذا نزل ثم افيضوا من حيث افاض الناس الاية فصل قال القاضي
ابو الفضل هو كنية المولف عياض رحمه الله تعالى قد بان اي ظهر واتضح بما قدمناه في هذا
الباب عقود الانبيا عليهم الصلاة والسلام جمع عقد وهو الجزم والتصميم مستعار
من العقد وهو جمع الاطراف في التوحيد اي اعتقاد وحدانيته تعالى وعدم الشرك والايمان
اي التصديق بكل ما يجب الايمان به والوحي النازل عليه من الله وعصمتهم في ذلك اي حفظهم
عن اعتقاد خلاف ذلك المذكور كله على ما بيناه في الفصل الذي قبل هذا فاما ما عدا هذا

الباب اى غيرما ذكر من التوحيد والايمان والوحى وعصمتهم فيه من عقود قلوبهم اى جزمها
وهو بيان لما عدا فجماعها بكسر الجيم بمعنى جميع ومجتمع والمراد جملتها وما يجمعها اى جملة عقود
قلوبهم فى غيرها انها اى قلوبهم كلها مملوة علما ويقينا نصب على التمييز والمراد بما عداها ما لا
بد من علمه كاحوال الاخرة والبرزخ والملايكة على الجملة اى هذا حالها اجمالا لا تفصيلا لانه لا يحصى
لكثرته وانها قد احتوت اى اشتملت وجمعت وقوله من المعرفة والعلم بيان لما تقدم عليه بنا على
جواز تقدم من البيانية على تبيينها كما ذهب اليه بعض النحاة ومن منعه يقدر له مبينا يبينه
على ما ياتى والفرق بين المعرفة والعلم ان الاولى تتعلق بالجزئيات والعلم بغيرها او بما يسبقه
جهل ولذا قيل انه لا يطلق على الله معرفة الا ان ابن جماعة اعترض عليه وقال انه ورد فى الحديث
ما يخالفه وقد بيناه فى غير هذا المحل بامور الدين والدنيا جزئياتها وكلياتها ما لا شى فوقه
اى يزيد عليه ويفضله وفوق ضد تحت ويكون فى المكان والزمان والجسم والعدد ونحوه
فاستعيرت لما ذكر كما قاله الراغب ومن طالع الاخبار اى اطلع على ما فى كتبها والمطالعة
تختص عرفا بالنظر فى الكتب وقراتها واعتنى اى اهتم واشتغل بالحديث النبوى رواية ودراية
وتامل اى فكر ودقق النظر واصله تفعل من الامل استعير لما ذكر ما قلناه فيما تقدم وجده محققا
كما قلناه وقد قدمنا منه اى من الامور المتعلقة بعقد قلوب الانبيا فى كل ما ذكر فى حق نبينا
صلى الله عليه وسلم فى الباب الرابع فى ما اظهره الله على يديه من المعجزات وشرفه
به من الخصايص والكرامات فى القسم الاول من هذا الكتاب ما ينبه على ما رواه اى مع
ما ذكر بعده فى هذا الكتاب فعلى بمعنى مع او محتويا ذلك عليه الا ان احوالهم فى هذه المعارف
تختلف استثنا منقطع كالاستدراك على ما قبله اى لكن احوالهم مختلفة فبعضهم له رتبة
فيها اعلا مما عداه كنبينا صلى الله عليه وسلم فالتفاوت لا ضرر فيه وقال الباقلانى يجوز
عقلا عدم معرفة النبى ببعض شرايع من قبله وعدم معرفته ببعض الفروع الفقهية التى
فرعها الفقها لكنه اذا سيل عنها لا بد ان يعرفها وكذا علمه باللغات بشرط ان لا يخل
بالتوحيد كما قيل وفيه نظر لا يخفى فاما ما تعلق منها اى من العلوم المفهومة من السياق
لا بالعقود بامور الدنيا كامر المعاش واحوال الناس فلا يشترط بالياء التحتية مبنى للمفعول
ونايب فاعله العصمة فى قوله فى حق الانبيا العصمة من عدم معرفتهم ببعضها ويجوز ان يكون
مبنيا للفاعل ونصب العصمة على المفعولية والضمير فيه للعلما واجاد فى قوله ببعضها
لان عدم معرفتها بالكلية ينافى شدة فطنتهم وسلامة عقولهم والمراد ما لا تعلق له بالدين
اصلا فيجوز عدم معرفتهم بذلك او اعتقادها على خلاف ما هى عليه كقصة تابير النخل
وستاتى ورجوعه صلى الله عليه وسلم لراى الحباب ابن المنذر فى بدر وبالاعتقاد
والمراد ما يشمل الظن لا الجازم منه ولا وصم بفتح الواو وسكون الصاد المهملة اى
لا تقصير ولا نقص ولا عيب عليهم اى عايد على الانبيا عليهم الصلاة والسلام فيه
اى فى عدم معرفته وبين علته بقوله اذ هممهم جمع همة وهى العزيمة من هم بالامر اذا عزم

عليه

عليه متعلقة اى مشغولة بامور الاخرة وانبايها جمع نبا وهو الخبر وعبر به لانها انما تعلم
بالوحى واخبار الله لهم بها وامر الشريعة وقوانينها وهو لفظ رومى معرب وامور الدنيا
تضادها اى تخالفها فالاشتغال بها لا يليق بعلو هممهم بخلاف غيرهم من اهل الدنيا
اى غير الانبيا عليهم الصلاة والسلام من الناس الذين يعلمون بدل من اهل الدنيا
ظاهرا من الحياة الدنيا ففيه اشارة
لبلادتهم وانهم انما يعلمون ظاهر زخارفها الذى يتمتعون به دون باطنها الذى يستعدون
به للاخرة ويتزودون به لدار القرار من صالح الاعمال وتنكير ظاهرا اشارة الى انه
متاع قليل وهم عن الاخرة هم غافلون عنها لا يخطر ببالهم تدارك ما يلزمهم منها فهم
كالانعام وهم الثانية تكرير للاول وغافلون خبرها او مبتدا خبره غافلون والجملة
خبر الاولى وعلى كل حال فيه تاكيد لغفلتهم وهو اقتباس واشارة بالمضادة الى ان
المراد بالدنيا ما تمحض لها كرياستها وجاهها ولذاتها بخلاف امور المعاملات
فانها امور شرعية يلزمهم بيانها فلا حاجة لذكره هنا لانه سياتى واليه اشار بقوله
كما سنبينه هنا فى الباب الثانى ولكنه ضمير شان وهو استدراك على ما قبله لا يصح
ان يقال انهم لا يعلمون شيا من امر الدنيا اصلا فان ذلك اى عدم علمهم بشى منه يردى
الى نسبتهم الى ما لا يليق بهم من الغفلة والبله اى شدة البلادة وعدم الادراك
وهم المنزهون عنه اى عما ذكره من الغفلة والبله لكمال عقولهم وتمام خلقتهم فالله
نزههم وابعد خلقهم عن مثله واشار بتعريف الطرفين لكمالهم فيه حتى كانه مخصوص
بهم والحاصل ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام كلهم لا بد لهم من العلم بالعقايد
والشرايع والوحى يقينا من غير شك وشبهة واما امور الدنيا المتحية فلا يلزمهم العلم
بها لكنهم عليهم الصلاة والسلام لكونهم اكمل الناس فطنة وعقلا لا يكثر عدم
علمهم بها وانما يكون ذلك فى النادر وليس فى كلامه هنا ما يقتضى ان كل نبى اكمل اهل
زمانه واعلمهم كما قيل وهو غير مسلم لقول ابن الهمام انه اكمل اهل زمانه ممن ليس بنبى
وقيده فى الكشاف بمن ارسل اليه وهو الحق فلا يلزم ان يكون موسى عليه الصلاة
والسلام اعلم من الخضر عليه الصلاة والسلام لانه لم يرسل اليه ولا يحتاج
الى ان يقال انه موسى بن ميشا لا موسى بن عمران بل قد ارسلوا الى اهل الدنيا وقلدوا
بالبنا للمجهول اى ولوا وحكموا ومنه تقليد القضا وهو فى الاصل من قلادة العنق
سياستهم اى ضبط امورهم امرا ونهيا بالقهر واصلها القيام على الشى بما يصلحه
وهدايتهم اى ارشادهم لكل خير فى الدارين والنظر فى مصالح دينهم ودنياهم
ببيان ما ينتظم به صلاح المعاش والمعاد وهذا اى النظر والسياسة لا يكون
ويوجد مع عدم العلم بامور الدنيا بالكلية بان لا يعلم شيا منها اصلا لانه مانع
للنظر فى احوالهم لكن العلم بها ليس مقصودا لهم بالذات والاحوال الانبيا صلوات الله

وسلامه وتحياته عليهم اجمعين وليس هو جمع سيرته وقد تقدمت في هذا الباب اي في هذا النوع
من العلم وهو العلم بامور الدنيا معلومته بما اشتهر من اخبارهم ومعرفتهم بذلك المذكور مشهور
لا تخفى على اهل العلم واما ان كان هذا العقد اي عقد قلوبهم بالاعتقاد الجازم فيما يتعلق
بالدين وان كان له تعلق بالدنيا كالمعاملات فلا يصح من النبي صلى الله عليه وسلم الا بالعلم
يقينا وجزما من غير شك وشبهة فيه ولا يجوز عليه جهله جملة اي لا يجهل شيا منه ولا يخفى
عليه شي من جملته ويجوز ان يراد بالجملة الاجمال اي يعلم علما اجماليا اي انه يجب اعتقاد انه
صلى الله عليه وسلم لا يجهل شيا مما له تعلق بالدين وقيل انه قيد للنفي اي انتفى جهله به
انتفا كليا فيعلم جميع ذلك لانه اي علمه بذلك لا يخلو علمه من ان يكون حصل عنده ذلك
العلم صادرا عن وحي من الله بارسال ملك ونحوه فهو مما اي امر لا يصح الشك منه صلى الله
عليه وسلم فيه اي في الوحي وما يتعلق به بنا على ما قدمناه كما علمته قبل هذا واذا لم يحصل
منه ادنى شك في شيء من ذلك فكيف الجهل اي فكيف يصح منه جهل بشي منه وهو انكار لجهله
بانكار كيفيته وحاله على طريق برهاني لانه اذا وقع لابد ان يقع على كيفية مخصوصة بل حصل
له العلم اليقيني اي المتيقن واستدركه لانه لا يلزم من عدم العلم تيقن ضده او يكون فعل
ذلك الامر المتعلق بالدين ببيان لحكامه حلا وحرمة ونحوه باجتهاده وهو افتعال من الجهد
وهو الطاقة والوسع وبذله في تحصيل المطلوب وهو تحصيل الحكم بما اعلمه الله واستخرجه
من قواعد الدين بالتفاته اليه فيما لم ينزل عليه فيه شيء من الوحي في بيان حكمه فيعلم حكمه
بذلك وهو في غيره تحصيل ظن بحكم شرعي استخرجه من نص ونحوه على القول بتجويز وقوع الاجتهاد
منه صلى الله عليه وسلم في ذلك اي فيما لم ينزل عليه وحي فيه على قول المحققين الذاهبين
لجواز اجتهاده وهو القول الصحيح ثم على هذا هل يجوز وقوع الخطا منه فيما اجتهد فيه فمنعه بعضهم
وجوزه بعض مع الاتفاق على عدم اقراره صلى الله عليه وسلم على الخطا وهذا رجحه كثير
من الاصوليين وذهب كثير منهم الى ترجيح عدم وقوع الخطا في اجتهاده اصلا واليه مال المص
رحمه الله تعالى وادلتهم مبسوطة في كتب الاصول فمن ارادها فليأخذها من مجاريه وعلى مقتضى
بصيغة المفعول اي على ما يقتضيه ويدل عليه لزوما حديث ام المومنين هند بنت ابي امية
المشهورة بام سلمة رضي الله عنها بفتحات فيما روته عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
اني انما اقضي بينكم برأيي واجتهادي فيما لم ينزل علي فيه شي اي فيما لم ينزل من الله فيه شيء
من وحيه وهو صريح في وقوع الاجتهاد منه صلى الله عليه وسلم خرجه الثقات اي رواه
مسندا من يوثق به كابي داود وغيره فهو حديث صحيح دال على صحة اجتهاده صلى الله عليه وسلم
وسبب هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم اتاه رجلان يختصمان في مواريث واشيا قد درست
فقال اني الخ وهو كما علمت دليل على جواز اجتهاده ووقوعه منه خلافا لمن جوزه او جوزه وقال لم
يقع لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وخصه بالحروب لان اجتهاده في حكم
الوحي لاستنباطه منه بالقياس فليس هو وقوله صلى الله عليه وسلم لا ادري في بعض الاحيان

لاينافيه

لاينافيه لتقدم ظهور القياس له والقياس مستند الى الوحي لقوله تعالى فاعتبروا يا اولي الابصار
وكقصة اسرى بدر جمع اسير كاسارى وهما بمعنى وقيل الاسرى من لم يوثقوا والاسارى الموثقون
وهم سبعون رجلا والقصة كما في صحيح مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر والصحابة
رضي الله عنهم ما ترون في هؤلاء فقال ابو بكر رضي الله عنه بنو العم والعشيرة ارى ان تاخذ منهم
فدية يكون لنا بها قوة على الكفار فعسى الله ان يهديهم للاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما تقول يا عمر فقال ارى ان تضرب اعناقهم فانهم ايمة الكفر وصناديده فنزل ما كان لنبي
ان تكون له اسرى حتى يثخن في الارض بعدم الفدية فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وابو بكر
يبكيان فقال لهما عمر لم تبكيان اخبراني فان وجدت بكا بكيت والا تباكيت فقال صلى الله عليه وسلم
ابكي لما عرض من الفدا لقد عرض عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة عنده وتقدم ذلك مع ما فيه
فهذا دليل على وقوع الاجتهاد منه صلى الله عليه وسلم كما علمته وكقصة الاذن للمتخلفين عنه
صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فانه اذن لجماعة استاذنوه في القعود عنها فاذن لهم باجتهاد
منه ولم ينتظر الوحي فعاتبه الله على ذلك مع لطفه في تقديم العفو عنه بقوله عفى الله عنك لم
اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين الاية لانه كان مع من استاذنه واعتذر
باعتذار بعض المنافقين من لم يعرف نفاقهم حتى نزلت اية التوبة عليه على راي بعضهم راجع
للقصتين وللثانية فقط فانه قيل ان ذلك كان باجتهاد من اصحابه بنا على جواز وقوع الاجتهاد
منهم عنده صلى الله عليه وسلم بنا على ان العتاب لهم وخطابه لقبوله له واقرارهم مع انه
خلاف الاولى وان الله خيره في ذلك قبل واذن له ولا اجتهاد فيه وانما كان عليه ان ينتظر
الوحي حتى يتبين الاولى به وفيه مباحث وانظار دقيقة فلا يكون ايضا ما يعتقده مما يثمره
اجتهاد اي يترتب عليه ويكون ثمرة له ومن بيانية او تبعيضية او تجريدية الا حقا موافقا للواقع
وصحيحا في نفسه بقطع النظر عن الواقع ومطابقته وهذا بنا على انه صلى الله عليه وسلم
لا يخطي في اجتهاده اصلا كما ارتضاه الغزالي وبنى عليه انه يجوز القياس على ما اجتهد فيه
وهو اللايق بمقام النبوة ومثله في هذا كله ساير الانبيا عليهم الصلاة والسلام وذهب
ابن الحاجب وغيره الى انه يقع منه الخطا نادرا الا انه لا يقر عليه وليس ما استدلوا به
خطا بل خلاف الاولى فان اراده ارتفع الخلاف فتدبر هذا القول من ان اجتهاده صلى الله
عليه وسلم لا يكون الا حقا صحيحا هو الحق الذي لا يلتفت ولا يعتد الى خلاف من خالف فيه
بانه لا يجتهد اصلا او يقع في اجتهاده الخطا او لجتهاده مخصوص بالحروب ممن اجاز عليه
الخطا في الاجتهاد ونحو وهذا وقع في بعض النسخ وسقط من بعضها ان لو قام عليه دليل
لا على القول بتصويب المجتهدين بصيغة التثنية او بصيغة الجمع اي موافقة حكم كل منهما او منهم
للصواب وقوله الذي هو الحق والصواب مفعول تصويب في محل نصب اي ما اعتقده كل
موافق للحق والصواب فكل مجتهد مصيب كما قيل   دعي فاصاب قبلي ما اجتهاد   صدقتم
كل مجتهد مصيب   او الذي مبتدا خبره قوله عندنا وهو احد قولين ورجحه المص والاشعرية

فالضمير للاشعرية ولا على القول الاخر الذى ذهب اليه الجمهور القايلون بان الحق فى طرف واحد
غير معين فالاخر خطا الا انه لا اثم عليه فيه وهذا فى غير النبى صلى الله عليه وسلم لانه لا يخطى
او لا يقر على الخطا لعصمة النبى صلى الله عليه وسلم اى لعصمة الله له من الخطا فى الاجتهاد فى الشرعيات
قيده به لانه محل الخلاف بخلاف العقايد وامور الوحى كما تقدم وما لا تعلق له بالدين فان الاول
لا يجوز فيه الخطا بالاتفاق والثانى يجوز فيه بالاتفاق كما تقدم تفصيله ومحل الخلاف فى اجتهاد
غير الانبيا ولان القول فى تخطية المجتهدين اى كلام الاصوليين فيما يتعلق به انما هو بعد استقرار
الشرع فلا يتصور بدونه اجتهاد لانه يكون قياسا على حكم شرع قبله ونظر النبى صلى الله عليه
وسلم واجتهاده انما هو فيما لم ينزل عليه فيه شئ من الوحى ولم يشرع له قبل ذلك فيجتهاده
فيه ونظره ليظهر له الصواب فى محل الاجتهاد فلا يتصور خطاوه لان خطا المجتهد انما يظهر
بمخالفة نص او اجماع او قياس جلى وقد تقرر انه لم يسبق به شرع وهذا دليل على انه لا يقع الخطا
فى اجتهاده صلى الله عليه وسلم وفيه بحث لان الاجتهاد بالنظر فى نظايره فان اراد انه لم ينزل
شئ فى عينه فمسلم لكنه لا يمنع الاجتهاد وان اراد شئ من نوعه واشباهه فممنوع فهذه مغالطة
وتمويه فتامله هذا المذكور فيما اوحى اليه او عمل فيه برايه واجتهاده مما لم ينزل فيه شئ فيما عقد
صلى الله عليه وسلم اى علمه علما جازما او عزم عليه قلبه واعمل فيه فكره من امور الدين التى
لا بد منها سوا كان من العقايد وامور الوحى مما لا بد من علمه من غير شك فيه او من الشرع المعلوم
بالوحى او الاجتهاد كما فصله وليس هذا مخصوصا بالاعتقاديات كما قيل فاما ما لم يعقد النبى
صلى الله عليه وسلم عليه قلبه ولم يعلمه علما جازما من النوازل جمع نازلة وهى القضية التى
تحدث له ويحتاج لبيان الحكم فيها وقوله الشرعية اى المتعلق بها حكم شرعى من حل وحرمة
ونحوه فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يعلم شيا منها اولا اى فى ابتدا بعثته وقبل الوحى
والاذن له فى التشريع الا ما اعلمه الله بالوحى اليه شيئا فشيئا اى شيئا بعد شئ على سبيل التدريج
بحسب الوقايع واسبابها المقتضية لبيانها له وهذا منصوب على الحال كعلمته النحو بابا بابا
لانه ماول بمفصل ونحوه وليس الثانى تاكيدا وتفصيله فى كتب العربية حتى استقر علم جملتها
اى علم جميعها عنده اى فى علمه وحفظه لما نزل عليه منها اما بوحى من الله او اذن له فى تشريع
ذلك بفتح اوله وثالثه المخفف او بضم اوله وكسر ثالثه المشدد اى ياخذ فى بيانه او يبين
ما حكم الشرع فيه برايه واجتهاده ويحكم فى القضايا بما اراه الله اى عرفه وعلمه بوحى منه
او الهام ونظر فيما انزل عليه كما قال تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس
بما اراك الله والاية دالة على اجتهاده الماذون له فيه وانه مصيب فيه وقد كان صلى الله
عليه وسلم ينتظر الوحى فى كثير منها اى من النوازل الواقعة ليبين الله له الحكم فيها ويعينه
فى قليل منها احيانا ولكنه لم يمت حتى استقر علم جميعها عنده اى تحقق صلى الله عليه وسلم
وتقرر عنده العلم بجميع الاحكام الشرعية اللازمة ولذا قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم
وفى نسخة استفرغ بفا وغين معجمة اى استوفى واستكمل وهو استعارة من استفراغ الماو

كانه افاض ماءه على العطاش وتقررت وتحققت معارفها اى العلوم بالاحكام الشرعية
وجزيياتها لديه اى عنده وعند امته على التحقيق اى متيقنة محققة بلا تردد دور رفع الشك
والريب اى الاشتباه فى شئ منها وانتفا الجهل عن امته وبالجملة اى اجمالا وقد يراد بهذه الكلمة
على كل حال وبكل وجه فلا يصح ولا يجوز عقلا وشرعا منه صلى الله عليه وسلم ومن كل نبى
الجهل بشئ من تفاصيل الشرع اى شرعه صلى الله عليه وسلم الذى امر بالبنا للمفعول امره الله
بالدعوة اى دعوة امته اليه اى الى اتباعه والعمل به لان جهله به ينافى امره بدعوته ولا تصح دعوته
الى ما لا يعلمه لانه طلب للمجهول وهو ممتنع عقلا وشرعا وعبث غير مفيد فكان صلى الله عليه وسلم
اعلم الناس باحكام ربه وله الولاية العامة على جميع خلقه والامامة العظمى فكان يحكم
بالقضا والسياسة والافتا ويحكم بالظاهر والباطن كالخضر عليه الصلاة والسلام كما
قاله السيوطى والفرق بين احكامه بما ذكر فصله السبكى والقرافى فى قواعده وللعلامة ابى
شامه فيه تاليف مستقل لا يستطيع هذا المقام تفصيله وان تكلم بعضهم فيه هنا كلاما غير
مهذب فان اردت تحقيقه فانظر كلام القوم فيه واما ما يتعلق بعقده اى بجزم قلبه فيما بعث الله
به عليه الصلاة والسلام من ملكوت السموات والارض الملكوت مبالغة فى الملك كالرهبوت
والجبروت وقد يخص بغير المشاهد كعالم الامر كما مر والمراد علمه صلى الله عليه وسلم بحقيقة
الاجرام العلوية وانها حادثة مستغنى عنها وما فيها من الملايكة الموكلين بها والكواكب التى
خلقت فيها زينة لها وهداية لخلقه وعلامات لحكم الهية وكذلك الارض التى جعلها الله مقر
العباد وعلمه بما فيها علما اطلع به على حقيقتها وما اودع فيها وليست كما تزعم الفلاسفة
واهل الطبيعة من امور محزومة القواعد كثيرة المفاسد وخلق الله اى مخلوقاته التى بثها فيهما وابدعها
واودعها حكما تحار فيها العقلا وفى كل شئ له اية تدل على انه الواحد وتعيين اسمايه الحسنى
الدالة على ذاته وبديع صفاته وفى قوله تعيين اشارة الى انها توقيفية فلا يطلق عليه الا ما ورد به
اذن شرعى والكلام عليها مفرد بالتاليف واجل ما صنف فيها كتاب الامام القرطبى وقيل يصح
ان يطلق عليه كل اسم ثبت اتصافه به مما لا يوهم نقصا وقيل يجوز ما كان على سبيل التوصيف
والكلام عليه مفصل فى كتب الاصول واياته الكبرى اى عجايب مخلوقاته الدالة على عظمته
والكبرى بمعنى العظيمة مما اخبر عنه صلى الله عليه وسلم مما شاهده فى نفس الاسرا كما تقدم
وامور الاخرة كالحشر والنشر واهوال الموقف والصراط والميزان والنفخ فى الصور واشراط
الساعة اى علاماتها الدالة عليها جمع شرط بفتحتين وفى الاساس يقال لاوايل كل شئ اشراطه
ومنه اشرط اليه رسولا اذا قدمه واشراط الساعة مشهورة والساعة مقدار من الزمان
ثم خص بالقيامة وقيل الاشراط تختص بعلاماتها الصغار كما نقله الخطابى عن ابى عبيدة
والمشهور شمولها للصغار والكبار كخروج المهدى والدجال واحوال السعدا والاشقيا
فى البرزخ والدنيا والاخرة وما لهم من نعيم وعقاب وعلم ما كان من احوال الامم السالفة وما كان
فى ابتدا خلق العلم وما يكون بعده من الفتن وغيرها كما فى حديث حذيفة المشهور مما لا يعلمه

الا بوحي علمه الله به من المغيبات فعلى ما تقدم اى وقع على اسلوب ما تقدم و الغا فى جواب اما من انه
بيا ن لما تقدم معصوم فيه عن الخطا والشك فى شئ منه لا ياخذه اى لا يعرض له ولا يطرا عليه
فيما اعلم با لبنا للمجهول اى اعلمه الله بوجه وجوز فيه البنا للفاعل اى اعلم به امته منه اى مما ذكر
شك ولا ريب وتردد فى علمه به بل هو فيه اى فيما اعلم به على غاية اليقين والجزم به بلا تردد
فقلبه صلى الله عليه وسلم مطمين بعلمه لا يقلق ويضطرب لان اصل معنى الريب الاضطراب كما
حققه اهل اللغة لكنه استدراك من كونه على غاية من اليقين لانه ربما يتوهم احاطة علمه بتفا
صيلها فلذا قال لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك لانه مما يعجز عنه البشر وان كان عنده
صلى الله عليه وسلم من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر سواه لما خصه الله به من اطلاعه
على ما لم يطلع عليه احد غيره لقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه البيهقى انى لا اعلم الا ما علمنى
ربى اى لا اعلم شيئا مما يخفى على الناس الا بتعليمه تعالى وقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث روى
فى الصحيحين ولا خطر اى طرا علمه على قلب بشر اى احد من الناس وهو حديث قدسى اوله اعددت
لعبادى الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقروا
ان شيتم فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين الاية جزا بما كانوا يعملون ففيه دليل على ان من احوال
السعدا ما لم يطلع عليه صلى الله عليه وسلم وبله اسم فعل بمعنى دع والاية ايضا تدل على ان الله
تعالى اخفى ذلك حتى عن انبيايه من احوال السعدا الذين تتجافا جنوبهم عن المضاجع وقرة العين
سرورها اما لان دمعة السرور باردة او لانها تقر وتسكن لعدم التفاتها لغير ما هى فيه و
مما يدل على ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام قد يخفى عليهم بعض العلوم قول موسى كليم الله
عليه الصلاة والسلام وهو من كبار الانبيا عليهم الصلاة والسلام للخضر فى قصة التى
قصها الله فى القران هل اتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا وموسى هو ابن عمران وما روى عن نوف
البكالى من انه موسى بن منيشا وهو نبى اخر من بنى اسرايل ليس من اولى العزم هو قول اهل الكتاب يرون
ان موسى الكليم مقامه اجل من ان يتعلم من غيره وقد نقل ما قاله نوف لابن عباس رضى الله عنهما
فقال كذب عدو الله وانما هو ابن عمران واستشكل هذا بان نوفا تابعى صالح ثقة فكيف يقال
انه عدو الله فقيل انه قصد نجره فى حال شدة غضبه وتهويره لما سمع ما يخالف ما صح عنده
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واما كونه استعارة كما ناله الله فليس بشئ والخضر هو
صاحب موسى عليهما الصلاة والسلام وهو بليا بن ملكان والكلام فيه هل هو ولى او نبى او ملك
وهل هو حى الان مشهور وللعلامة الخيضرى فيه كتاب سماه الروض النضر فى احوال الخضر لم يدع
فيه مقالا لغيره يحتاج اليه وخضر كحذر لقبه سمى به لانه كان اذا جلس على ارض اخضرت له وقصته
معلومة وتفسير هذه الاية قد كفينا مونته ووجه استشهاد المص بهذه الاية والقصة غنى
عن البيان ومما يدل على ان النبى لا يجب ان يعلم تفاصيل كل شئ قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث
صحيح رواه الديلمى عن انس رضى الله عنه فى بعض الادعية الماثورة عنه صلى الله عليه وسلم
اسيلك يا الله باسمايك الحسنى تانيث احسن واسماوه عز وجل كلها حسنة لما دلت عليه من المعانى

الجليلة والحسن فى العرف العام يقال لما يدرك بالبصر واكثر ما جا فى القران لما تستحسنه البصيرة
كقوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه كما قاله الراغب فى مفرداته ما علمت منها وما لم
اعلم بدل من اسمايك وهذا الحديث يدل على ان لله اسما لم يعلمها صلى الله عليه وسلم مما لا يعلمه
الا الله ولا ضير فى مثله ومثله قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه احمد فى مسنده فيه
اسيلك بكل اسم هو لك اى مخصوص بك مما سميت به نفسك اى ذاتك وفيه دليل على
صحة اطلاق النفس على ذاته من غير مشاكلة كلمة خلافا لمن منعه وفيه لبعض المحققين تفصيل
حسن وهو انه ان كان بمعنى الذات صح اطلاقه مطلقا نحو كتب على نفسه الرحمة وان كان بمعنى
الروح ونحوه كقوله تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك لم يطلق الا مشاكلة فتدبر او
استاثرت به اى انفردت بعلمه دون غيرك فى علم الغيب عندك اى فى جملة معلوماتك
المغيبة عن غيرك والشاهد فيه كالحديث كالذى قبله وقد قال الله تعالى مما يدل على انه
لا يحيط بجميع العلوم غيره وفوق كل ذى علم عليم هو اعلم واعلى رتبة فى العلم فهذا
دليل على ان علم البشر متناه محصور وقال القاضى فى تفسيره المراد كل ذى علم من الخلق
لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله عز وجل الذى له العلم البالغ فلا فرق بينه وبين قولنا
فوق كل العلما عليم وهو مخصوص انتهى وهو اشارة الى دفع شبهة تقريرها ان الله ذو علم
فهو داخل فى هذه الكلية فيقتضى ان فوق الله عليم يعلم ما لم يعلمه بانها قضية مخصوصة
بالمخلوقين فالعليم الذى فوق كل ذى علم هو الله لا غيره فهو عام مخصوص وقال زيد بن
اسلم وغيره فى تفسير هذه الاية اشارة الى ما قلناه المراد ان رتبة العلما لا تزال ترتقى
فى العلم حتى ينتهى العلم الى الله تعالى فهو الذى فوق كل ذى علم فوقية بالغة الحد بينة ليس
فوقها شئ اصلا فهو العليم المحيط علمه بكل شئ علما بساير الجزئيات علما تفصيليا خلافا
للفلاسفة القايلين بانه يعلم الكليات دون الجزئيات وبطلان قولهم مذكور فى كتب
الكلام الا ان النصير الطوسى قال فى مقالة له فى هذا المبحث ان المخطيين لم يقفوا على مرادهم
وانهم لم ينكروا ذلك وهو كلام طويل لا يحيط به نطاق البيان هنا وقد ذهب الى
ما قاله النصير ابن عربى فى فتوحاته وارتضاه بعض مشايخ عصرنا ولكل وجهة
وفوق كل ذى علم عليم وهذا اى انتها العلم اليه تعالى مما لا خفا به عند من له عقل
سليم اذ معلوماته تعالى لا يحاط بها اى لا يقفون على جميعها ولا يحيطون بشئ من علمه
وهو احاط بكل شئ علما وهو فى الاصل استعارة من احاطة الحايط بما فى داخله ولا منتهى
لها عطف تفسير لعدم الاحاطه هذا اى ما ذكر من عصمة النبى صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق
بعقد قلبه فيما ذكر فى هذا الفصل كما اشار اليه بقوله حكم عقد قلب النبى صلى الله عليه
وسلم اى اعتقاده الجازم فيما ذكر فى هذا الفصل من التوحيد المراد به ما يتعلق بالعقايد
والشرع ونحوه مما اوحى اليه والمعارف والامور الدينية من عطف بعض افراد العام
عليه لمزيته والكلام على العلم وحقيقة علم الله الحضورى وما له وعليه مما تكفلت به

الكتب الكلامية وكل مقام مقال فصل واعلم ان الامة اى امة الاجابة مجمعة على عصمة
النبى اى حفظه صلى الله عليه وسلم من الشيطان فالتعريف فى النبى للجنس او للاستغراق
ويجوز ان يكون للعهد ويعلم غيره بطريق الدلالة فانه تعالى قال ان عبادى ليس لك عليهم سلطان
فاذا لم يكن له سلطان على خلص عباده علم انه ليس له تسلط على انبيائه عليهم الصلاة
والسلام بالطريق الاولى وكفايته منه اى حمايته لا فى جسمه بانواع الاذى اى اذى الشيطان
مما يكون من اصابته او اصابة جنده من الجن كالصرع والطاعون وذات الجنب فانها من الشيطان
ولذا لم يرض صلى الله عليه وسلم بلدوده فى مرض موته لظنهم ان به ذات الجنب فقال انها
من الشيطان وقد عصمنى الله منه كما ياتى ومنه علم ان الطاعون لا يصيب الانبيا عليهم الصلاة
والسلام ولا تسلط الشيطان على خاطره اى فكره وقلبه صلى الله عليه وسلم بالوساوس
جمع وسوسه وهو ما يلقيه الشيطان فى نفسه قيل ومن الوسوسة ما هو غير اختيارى لا يقدر
الانسان على دفعه ولا يواخذ به ما لم يعمل او يتكلم وهذا مما لم يعصم عنه لحله لانه من الاعراض
البشرية الا انه صلى الله عليه وسلم معصوم عن ان يقر فيه اذا عرض له نادرا وليس من هذا
القبيل السحر فتامله وقد اخبرنا القاضى الحافظ ابو على هو ابن سكرة وقد تقدمت ترجمته رحمه الله
قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون العدل تقدم ايضا قال حدثنا ابو بكر البرقانى وغيره بكسر البا
الموحدة وسكون الرا المهملة وقاف والف ونون نسبة لبرقانه قرية من نواحى خوارزم وهو الامام
الحافظ ابو بكر احمد بن محمد بن احمد بن غالب الخوارزمى الشافعى امام بغداد كما تقدم قال حدثنا ابو
الحسين على بن عمر الدارقطنى نسبة لدارقطن محلة ببغداد كما تقدم قال حدثنا اسماعيل بن محمد
ابن اسماعيل الامام العابد الثقة النحوى المشهور الصفار نسبة لعمل الصفر وهو النحاس توفى
سنة احدى واربعين وثلاثمائة وقد جاوز التسعين باربع سنين قال حدثنا عباس بمهملتين
بينهما موحدة الترقفى بفتح المثناة الفوقية وسكون الرا وضم القاف وفا مكسورة ويا نسبة
وهو امام ثقة روى عنه ابن ماجة وغيره وهو يروى عن الفريابى وترقف قيل اسم امراة وقيل
اسم بلدة قال حدثنا محمد بن يوسف هو الفريابى وقد تقدم عن سفيان الثورى وقد تقدم عن منصور
هو ابن المعتمر وقد تقدم عن سالم بن ابى الجعد الاشجعى الكوفى وقد تقدم ايضا عن مسروق
بن الاجدع الهمدانى العابد الزاهد التابعى توفى سنة ثلاث وستين واخرج له الستة عن عبد الله بن
مسعود الصحابى المشهور فى حديث رواه مسلم عن سالم بن ابى الجعد عن ابيه عن ابن مسعود
ورواه من طريق اخر لعلو سنده فيه وعظم رجاله قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما منكم اى معاشر الناس من احد من زايده واحد مبتدا خبره مقدم عليه
وهو منكم وزيادة من لتاكيد العموم الا وقد وكل مشدد مبنى للمجهول اى عين ملازما منه
كالحفيظ الملازم لمن يحفظه كما قال تعالى وما انت عليهم بوكيل فاستعمل المقيد فى المطلق
مجازا به قرينه اى الذى يكون مقارنا له من الجن وقرينه من الملائكة اما قرين الجن فانه موكل
بوسوسته واغوائه واما قرينه من الملائكة فهو من الحفظة لا من الكتبة كما قيل لعدم

مناسبته

مناسبته لما هنا قالوا اى قال الصحابة الحاضرون عنده صلى الله عليه وسلم واياك
يا رسول الله اياك ضمير نصب معمول المقدر واصله او كل بك قرين من الجن كغيرك فحذف الفعل
وحرف الجر فانتصب الضمير وانفصل وانما عدل عن الظاهر تادبا واشارة الى استبعاد
ان يكون كغيره فى ذلك لان معنى توكيله به تسليطه عليه بوسوسته واغوائه وهو صلى الله
عليه وسلم معصوم من مثله او الضمير مستعار من ضمير الرفع واصله وانت كما ورد
فى رواية صححها البرهان عن ابن عباس رضى الله عنهما وستاتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
واياى اى وكل بى قرين من الجن كغيرى ثم استدرك ببيان تميزه صلى الله عليه وسلم عنهم بقوله
ولكن بالتشديد والتخفيف الله بالرفع والنصب على وجهى لكن اعاننى عليه اى على قرينى من الجن
فحفظنى منه ومنعه من التسلط على لهدايته للاسلام فاسلم بصيغة الماضى من الاسلام
اى هدى الله قرينى للاسلام ببركة مقارنته له صلى الله عليه وسلم او بعد مضارع مرفوع فاعله
ضميره صلى الله عليه وسلم اى سلمنى الله منه وقال النصير الطوسى فى شرح الاشارات فى الحديث
ما من مولود ولد من بنى ادم الا ولد معه قرين من الشياطين فقيل وانت يا رسول الله كذلك
قال وانا كذلك الا ان الله اعاننى عليه فاسلم اى فاسلم الشيطان ومنهم من انكر هذه الرواية
وقال الرواية الصحيحة فاسلم ومعناها ان الله اعاننى عليه حتى اسلم من شره فان الشيطان
لا يسلم قط انتهى ومنهم من اوله فقال المراد بالشيطانية القوة الغضبيه واسلامها انقيادها
للعقل والنفس القدسيته واليه ذهب الامام الغزالى فى الاحيا ويجوز كون الروايتين بمعنى
على ان اسلم مضارع منصوب على نهج قوله والحق بالحجاز فاستريحا ولك ان تقول اعاننى عليه بمعنى
لم يسلطه على فالمضارع منصوب فى جواب النفى وقد يخرج عليه البيت زاد غيره اى غير سفيان
راوى هذا الحديث فيه عن منصور بن المعتمر الذى تقدم فى جملة رواة هذا الحديث فلا يامرنى هذا
القرين الا بخير فصار قرينه صلى الله عليه وسلم قرين خير وروى عن عايشة رضى الله عنها بمعناه
وروى اى عن عايشة رضى الله عنها فهو بيان لما قبله فاسلم بضم الميم وهمزة المتكلم مضارع مرفوع
اى فانا اسلم منه وفى نسخة اى فاسلم انا منه ومن وسوسته وصحح بعضهم هذه الرواية
ورجحها على الرواية الاولى ولم يخرجه المحدثون وقد تقدم فى كلام الطوسى وهو ليس من فرسان
هذا الميدان وروى بالبنا للمجهول والرواية فى صحيح البخارى فاسلم بصيغة الماضى يعنى
القرين تفسير لضمير الفاعل المستتر فيه ومعنى اسلم انه انتقل عن حال الكفر بنا على ان الشيطان
منهم من يسلم وقوله الى الاسلام متعلق بانتقل اى تحول من حال لاخرى فصار لا يامر الا بخير
كالملك القرين الموكل به وهو اى هذا المعنى وهو انتقاله من الكفر الى الاسلام ظاهر الحديث
المفهوم من سياقه بدليل قوله ورواه بعضهم فاستسلم اى انقاد وكف عن الوسوسة قال
ابن الاثير رواية اسلم بفتح الميم يشهد لها ما روى كان شيطان ادم كافرا وشيطانى مسلما
ورواية حتى اسلم ورواية مسلم بضم الميم وقد علمت ان المص رحمه الله رجح لرواية الفتح وان
فى الحديث ثلاث روايات وان اسلم جا بمعنى استسلم وانقاد ايضا قيل انه قد تقدم

ان الشيطان ممنوع من التسلط بالاذى على المؤمنين وفيه انا نجد منهم من حصل له مس وخلف
كثير رضى الله فلعله لتقدم سبب يمنع من حفظه انتهى ولا يخفى انه فى حق الانبيا محقق وفى غيرهم
اغلبى والنادر لا حكم له ومر ان القرين الملازم ولذا سميت الزوجة قرينة وقدم قرين الجن لمناسبة
المقام له وحديث عايشة هذا فى مسلم قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندها
ذات ليلة قالت فغرت فلما جاء قال مالك يا عايشة اغرت فقالت كيف لا يغار مثلى على مثلك
فقال اهذا من شيطانك قلت او معى شيطان يا رسول الله قال نعم ومع كل انسان قلت ومعك
يا رسول الله قال نعم ولكن الله اعاننى عليه حتى اسلم قال الخطابى رحمه الله الصحيح المختار
عندهم اى ورجحه القاضى عياض الفتح كما مر وهو المختار لقوله ولا يامر الا بخير واختلفوا فى الفتح
فقيل اسلم بمعنى استسلم كما رواه مسلم وقيل معناه صار مسلما وهو الظاهر انتهى وايد هذا
بما اخرجه البيهقى وابن الجوزى فى الوفا عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم
قال فضلت على ادم بخصلتين كان شيطانى كافرا فاعاننى الله عليه حتى اسلم وكن ازواجى عونا لى
وكان شيطان ادم كافرا وكانت زوجته عونا على خطيئته وقد اشار الى ذلك الصرصرى رحمه
الله فى نونيته بقوله فى خصلتين يفوق ادم فيهما وهما لاهل الحق واضحتان شيطان ادم
كافر يغوى وقد وصلت هدايته الى الشيطان وكزوجه عون عليه وانه بنسايه
قد كان خير معان ونقل الشيخ محمد الشامى فى سيرته عن المطلع ما اسلم من الشياطين الا شيطانان
شيطان نبينا صلى الله عليه وسلم وشيطان نوح عليه الصلاة والسلام وقال بعضهم
بل ساير الانبياء على هذا المنوال فتدبر قال القاضى ابو الفضل عياض مصنف هذا الكتاب
رحمه الله تعالى فاذا كان هذا حكم شيطانه صلى الله عليه وسلم فى احتياجه الى اعانة الله له
عليه حتى يسلم منه وحكم قرينه من الجن الذى وكل به وهو عطف تفسير لما قبله ووصفه
بقوله المسلط على كل احد من بنى ادم وفى نسخة المسلط على بنى ادم والمراد المسلط نوعه
وجنسه لان قرينه مختص به فكيف الظن بمن بعد منه ولم يقارنه من الشياطين اى توهم
احد انه لا يسلم منه فعدم تسلطه معلوم بالطريق الاولى لانه لا يقدر على الدنو منه
وهو لم يلزم صحبته لان الله لم يجعله قرينا له اذ القرين معناه الملازم للصحبة كما
تقدم ولا اقدر بضم الهمزة والبنا للمفعول اى لم يجعله الله قادرا على الدنو والقرب
منه صلى الله عليه وسلم لعصمة الله له عن تسلطه عليه وعلى ساير الانبيا وخلص
عبادة وقد جات الاثار والاحاديث المروية عنه صلى الله عليه وسلم بتصدى
اى تعرض الشياطين له صلى الله عليه وسلم فى غير موطن اى فى مواضع كثيرة كالصلاة
وغيرها رغبة مفعول له او حال فى اطفا نوره ويابى الله الا ان يتم نوره وامامة نفسه
اى اهلاكه او صده عما هو مشغول به من العبادة وادخال شغل عليه اى بالوسوسة
المانعة له عن الفكر فيما فيه صلاحه وصلاح امته فعلوا ذلك اذ ييسوا من اغوايه
واضلاله عن طريق الحق فانقلبوا اى رجعوا عما قصدوا له خاسرين خايبين لعدم قدرتهم

عليه صلى الله عليه وسلم وعلى القرب منه كتعرضه اى تعرض الشيطان له صلى الله
وهو مستغرق بالتوجه الى الله فى صلاته فاسره اى اخذه وقهره باستيلايه عليه قهرا وبينه بقوله
ففى الصحاح اى الاحاديث الصحيحة المروية فى البخارى ومسلم وغيرها قال ابو هريرة رضى الله عنه
فى حديث رواه عنه صلى الله عليه وسلم ان الشيطان تعرض لى وفى نسخة عرض لى اى اتانى ووقف
عندى قال عبد الرزاق بن همام الامام الحافظ كما تقدم فى ترجمته وهذا فى زيادته على الصحيحين
فى صورة هر وهو السنور الذى يقال له قط والشياطين تتمثل باى صورة ارادت من الحيوان وغيره
فشد على اى حمل ووثب وثبة على يقال شد يشد بكسر الشين المعجمة وضمها اذا حمل على العدو ونحوه
يقطع على الصلاة اى يبطل صلاتى باخراجى منها واصله ليقطع على الخ او اراد ان يقطع صلاتى ويفسدها
فامكننى الله منه اى اقدرنى عليه ومكننى من اخذه وقهره فذعته بفا ودال مهملة ومعجمة وعين مهملة
ومعجمة ويقال داته بدال مهملة ومعجمة وهمزة اى خنقته ودفعته حتى صرعته وروى فاخذت بحلقه
واصل الدعت بمهملة ومعجمة الدفع بعنف والمعك فى التراب كما فى النهاية وفى غيرها انه الغط فى الما
والخنق الشديد وانكر الخطابى المهملة وصححه غيره ولقد هممت ان اوثقه اى اربطه والوثاق ما يشد به
قال تعالى فشدوا الوثاق وهممت بمعنى عزمت ونويت الى سارية اى بسارية من سوارى المسجد والسارية
العمود المنصوب ليوضع عليه سقف ونحوه وكان ذلك ليلا فى تهجده ولذا قال حتى تصبحوا اى تدخلون
فى وقت الصباح تنظرون اليه فذكرت قول اخى سليمان عليه الصلاة والسلام والاخوة هنا
المراد بها اخوة النبوة لانها تطلق على المشابهة والمشاركة فى امر ما رب اغفر لى وهب لى ملكا الاية
لا ينبغى لاحد من بعدى انك انت الوهاب لان الملك الذى اعطاه الله له ملك الانس والجن والدنيا
كلها وليس طلب سليمان لذلك محبة للدنيا وزينتها انما هو لاجل ان يتم له اعلا كلمة الله وتنفيذ
امره وقدم الدعا بالمغفرة عليه لانه ادعى للاجابة وللاشارة الى ان القيام باعبا الملك والنبوة
شاغل عن العبودية فهو عنده صلى الله عليه وسلم كالذنب فرده الله اى رد ذلك الشيطان
خاسيا اى خايبا حقيرا العدم ظفره بما اراد ومنه قولهم للكلب اخسا لانها تدل على الطرد مع
التحقير قال الخطابى هذا يدل على ان سليمان واصحابه كانوا يرون الجن على خلقتهم الاصلية
فيجوز وقوعه لغيرهم فان قلت كيف ياتى الشيطان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال
لو سلك عمر فجا لم يسلكه الشيطان فكيف يخاف عمر ولا يخافه صلى الله عليه وسلم حتى
يتغلب عليه قلت عمر رضى الله عنه لما لم يكن معصوما محفوظا من الجن حفظه الله بالقاء الرعب
منه فى قلوبهم لحدته وشدته والنبى صلى الله عليه وسلم معصوم من الجن والانس فلو سلكوا
فجه اخذوا واوثقوا ويكون ذلك معجزة له صلى الله عليه وسلم لا تليق بغيره كما قيل وفى شرح
مسلم للنووى ان سليمان عليه الصلاة والسلام اختص بهذا عن غيره فامتناعه صلى الله عليه
وسلم عن امساكه اما لانه لم يقدر عليه لذلك او قدر وتركه تواضعا وتادبا منه وكونه لم يقدر
يرده قوله امكننى الله منه وفى حديث ابى الدردا عنه صلى الله عليه وسلم الذى رواه البيهقى
عن عبد الرحمن بن جبير وابو الدردا هو عويمر واختلف فى اسم ابيه على اقوال فقيل عامر وقيل

قلس وقيل ثعلبة وهو انصارى خزرجى اسلم عقب بدر وتوفى سنة اثنين وثلاثين ولم يخرج له
احد من الستة وله مناقب مشهورة ان عدو الله ابليس لعنه الله جاء بشهاب اى شعلة من نار ليجعله
فى وجهى اى يلقيه على ليقطع صلاته والنبى صلى الله عليه وسلم فى الصلاة جملة حالية او معترضة
فى كلام ابى الدردا وذكر ابو الدردا تعوذه صلى الله عليه وسلم بالله منه اى قوله صلى الله عليه
وسلم اعوذ بالله منك ولعنه له وقوله ثم اردت اخذه مصدر مفعول لاردت وفى نسخة
اخذه مضارع بتقدير ان كما فى بعض النسخ وذكر نحوه اى نحو قول ابى الدردا كهممت ان اوثقه وفاعل
ذكر النبى صلى الله عليه وسلم ولذا قال وفيه تقدير اى لو اوثقته لاصبح موثقا مربوطا يتلاعب به
ولدان اهل المدينة وولدان بكسر الواو جمع وليد وهو الصبى الصغير وهذا الحديث فى مسلم وفيه
مسايل فقهية منها ان الدعا على غيره بالخطاب لا يبطل الصلاة لقوله فيه لعنك الله ان لم نقل
انه مخصوص به صلى الله عليه وسلم او قبل تحريم الكلام وان الجن ترى بخلقتها الاصلية
وقوله تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم اغلبى وقد قيل انه مخصوص بالانبيا كروية
الملك قال الشافعى ومن زعم انه يراهم ردت شهادته وعزر لمخالفته القران وكان النووى اخذ منه
قوله من منع التفضيل بين الانبيا عزر لمخالفته القران وحمل بعضهم كلام الشافعى على زعم روية
صورهم التى خلقوا عليها واستشكل ما ذكر شيخنا ابن قاسم بان غاية ما فى الاية اثبات حالة
مخصوصة وهى تمكنهم من رويتنا فى حالة لا نراهم فيها وليس فيها عموم ولا حصر وذلك لا ينافى
ان لنا حالة اخرى نراهم فيها خصوصا وقد وردت الادلة بروىتهم وكذلك اى مثل حديث
ابى الدردا ما روى فى حديثه صلى الله عليه وسلم الوارد فى الاسرا وطلب عفريت له صلى الله
عليه وسلم وطلبه هنا بمعنى توجهه نحوه ليرميه بشعلة من نار فعلمه جبريل عليهما الصلاة
والسلام ما يتعوذ به منه بان قال له قل اعوذ بالله منك فانه حرزله وذكره اى امر الشيطان
معه فى الاسرا او تعليم جبريل له الامام مالك فى الموطا وهذا كان قبل صعوده صلى الله
عليه وسلم للسما وكونه قصد تعليم جبريل له لا معنى له والعفريت الشديد الخبث المتمرد
من الجن واطلاقه على غيرهم مجاز والكلام على اشتقاقه وغيره مبسوط فى كتب اللغة وما علمه
له جبريل هو قوله اعوذ بوجه الله الكريم وكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر
من شر ما ينزل من السما وشر ما يعرج فيها وشر ما ذرا فى الارض وشر ما يخرج منها وشر فتن الليل
والنهار وشر طوارق الليل الا طارقا يطرق بخير وقال له اذا قلتهن اطفات ناره ولما لم يقدر
الشيطان على اذاه اذ لم يصل اليه ولم يسلط عليه لعصمة الله له بمباشرته اى بالقرب منه
جدا لانها فى الاصل ملامسة البشرة وهى ظاهر البدن تسبب بالتوسط الى عداه بكسر العين وضمها
اسم جمع عدو اى لما لم يصل ابتدا وكان متمكنا من الوصول لاعدايه وهم الكفرة جعلهم واسطة
وسببا لايصال الاذى اليه باغوايهم وتحريضهم على اذيته واغرايهم كقصته اى الشيطان
مع قريش بعد موت ابى طالب لما جد صلى الله عليه وسلم فى دعوتهم وانذارهم فى الايتمار وهو
افتعال من الامر ومعناه المشاورة فى المهم بقتل النبى صلى الله عليه وسلم وهو رايهم الذى

استقروا

استقروا عليه وتصوره اى ظهور ابليس لعنه الله فى صورة الشيخ النجدى نسبة لنجد وهى ارض
فوق تهامة وانما تصور بصورة شيخ لما يعلمونه من تجربة الشيوخ وحسن رايهم وكانت صورته
صورة نجدى لانهم لما اجتمعوا بدار الندوة قالوا لا تدخلن عليكم ومعكم فى الشورى احدا
من اهل تهامة لان هواهم مع محمد ولما ورد فى الحديث انما محل الفتن ومنها نجم قرن الشيطان
وكان وقف بباب دار الندوة وهى دار قصى التى كانوا يجتمعون فيها لما يهمهم كما مر فقالوا
له من انت قال شيخ من نجد رايت اجتماعكم للشورى ولن تعدموا منى رايا ونصحا فقال
ابو البخترى ارى ان تحبسوه فى دار تسدوا منافذها غير كوة تعطوه منها طعامه وشرابه
فقال الشيخ بيس الراى ياتيكم من يقاتلكم ويخرجه منها فقال الاسود بن ربيعة ارى ان تخرجوه
من ارضكم فلا يضركم ما يصنع فقال الشيخ بيس الراى اذا اخرجتموه يفسد قوما غيركم ويقاتلكم
بهم فقال ابو جهل ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما معه سيف فيضربونه ضربة واحدة فيتفرق
دمه فى القبايل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فنعقله اى فيرضوا منا بالدية فقال
الشيخ صدق الغلام فتفرقوا على رايه واخبره جبريل عليهما الصلاة والسلام بذلك ونزل
عليه واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الاية وامر بالهجرة فكان ما فصل
فى السير وتصور الشيطان مرة اخرى فى غزوة يوم بدر فى حديث رواه ابن ابى حاتم عن ابن عباس
كما قاله السيوطى رحمه الله ولم يورد الحديث فى صورة سراقة بن مالك الذى قدمنا ترجمته
وهو قوله واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الاية وكان من امره ما رواه البيهقى رحمه الله فى دلايله
ان الشيطان تمثل لكفار قريش ببدر فى صورة سراقة ابن مالك بن جعشم الكنانى وكانت قريش
تخاف من بنى بكر ان ياتوهم من خلفهم لانهم كانوا قتلوا رجلا منهم فقال لهم ما اخبر الله به
من القا الشيطان لهم انهم لا ينهزمون وهم يقاتلون عن دين ابايهم وكان تمثل مع جنده لهم بصورة
قوم من بنى مدلج فيهم سراقة اتوا لامدادهم فقال الشيطان لهم لا غالب لكم اليوم من الناس
وانى جار لكم فامدهم الله بجنود من الملايكة فلما راهم ابليس ولى عنهم فقالوا انك جار لنا
فقال انى ارى ما لا ترون انى اخاف الله اى اهلاكه لى ولجندى وهو احد الوجوه فى الاية واليه
اشار المص رحمه الله وقيل المراد وسوسته لهم بما ذكر وتصور الشيطان ايضا مرة
اخرى ينذر قريشا ويخوفهم بشانه اى بامره صلى الله عليه وسلم عند بيعة العقبة وهى
منى السفلى التى بايعه الانصار عندها قبل الهجرة ثلاث مرات كما فصل فى السير والمراد
البيعة الثالثة وكان الانصار بايعوه صلى الله عليه وسلم بها بمحل فيه الان مسجد
يسمى مسجد البيعة فلما راى ذلك الشيطان صرخ باعلى صوته هذا محمد ومعه الصباه قد
اجمعوا على حربكم فقال صلى الله عليه وسلم لما سمعه هذا ازب العقبة اى شيطانها
واصل الازب بهمزة وزاى معجمة مفتوحتين الكثير الشعر سمى به الشيطان وتفصيله فى السير
ايضا وكل هذا المذكور من امر الشيطان الذى تعرض فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بما ذكر فقد كفاه الله امره الفا زايدة فى الخبر وهو بتقدير اما او توهمها وعلى ما فى بعض

النسخ وقد بالواو والخبر مقدر اى وقع حفظه منه وعصمه ضرع بفتح الضاد اى ضرره وضمها
غير مناسب هنا والضمير لكل او للشيطان وشره كما كفى ساير الانبيا عليهم الصلاة والسلام
اذ عصمهم منه وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله
عنه ان عيسى نبى الله عليه الصلاة والسلام كفى بالبنا للمجهول اى كفاه الله وحفظه من لمسه
اى من ان يلمسه او يمسه كما ياتى بيانه والضمير للشيطان للعلم به من السياق فجا الشيطان
لعيسى عليه الصلاة والسلام حين ولادته ليطعن اى لينخسه ويمسه بيده فى خاصرته بخا
معجمة وصاد مهملة هى جانبه مما فوق اضلاعه وهى الشاكلة ايضا حين ولد فطعن فى الحجاب
اى فى شى حجبه عن الوصول للمس جسده قيل هو المشيمة وقيل ما لف فيه وقيل انه امر حجبه الله
عنه او حجبته امه مريم عنه والفا سببيته اى بسبب كفاية الله له وقع طعنه فى الحجاب
والحديث كل بنى ادم يطعنه الشيطان فى جنبه باصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم عليه
الصلاة والسلام ذهب ليطعنه فطعن فى الحجاب وفى رواية ما من مولود يولد الا والشيطان
يمسه حين يولد ويستهل صارخا من مس الشيطان الا مريم وابنها وهو المذكور فى اية
انى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وليس هذا مخصوصا بعيسى كما قد يتوهم
من ظاهره وفى شرح مسلم عموم عدم طعن ابليس ونخسه لم يقم عليه دليل غير عصمة الانبيا
ولا يلزم منها ان لا يمس لما يلزمها عدم الاغوا والاذية لهم ولا يلزم من اختصاص عيسى
بهذه المنقبة تفضيله على نبينا صلى الله عليه وسلم وذكرامته معه مما يدل عليه دلالة
ظاهرة فقد يخص الله بعض عباده بامر لم يكن لافضل منه نعم حديث مولده صلى الله عليه
وسلم الدال على انه لم يستهل دال على انه لم يستهل صارخا فاختصاص عيسى وامه
انما هو بالنسبة لمن تمكن الشيطان من القرب منه لا لمن ملات الارض بالملايكة الحافين
فتدبر ولما ساق مسلم حديث ما من مولود يولد الا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسه
قال القرطبى فى شرحه اى فى اول وقت الولادة يسلط عليه بنخسه الا مريم وابنها عليهما الصلاة
والسلام لدعوة امها بقولها انى اعيذها بك الاية وامها امراة عمران وهى حنة بنت
فاقود وهو عام شامل للانبيا عليهم الصلاة والسلام والاوليا ومع ذلك عصمهم الله
منه لقوله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ولكل قرين من الشياطين وقد خص الله نبينا
صلى الله عليه وسلم بان قرينه اسلم فلا يامر الا بخير وهذه لم يوتها غيره انتهى وقد تقدم
ما فى ذلك ثم قال وقول مسلم صياح المولود نزغة من الشيطان روى بنون وزاى وغين معجمتين
وروى فزعة بفا وعين مهملة وللزمخشرى فى تاويل الحديث تخيل يا باه الحق الصريح فان اردته فانظر
الكشاف وشروحه وقال صلى الله عليه وسلم حين لد بالبنا للمجهول من اللدود بفتح اللام ودالين
مهملتين بينهما واو وابمايع من دوا والجراحات يوضع فى احد شقى الفم تيغرغر به ثم يشربه واسما الادوية
بهذه الزنة كالسعوط ولما لدوه صلى الله عليه وسلم قال لا يبقى احد فى البيت الا لد عقوبة لهم
لما نالهم فى مرضه الذى مات فيه فالاضافة فيه للعهد وقيل له صلى الله عليه وسلم خشينا

اى خفنا عليك ان يكون بك اى وقع بك واصابك ذات الجنب وهو اسم لمرض يكون فى باطن
الجنب كالدمل ينفجر فى الداخل وذو الجنب من يشتكى منه ويقال له الدبيلة ولذا انث وهو مخفف
قل من يسيل فهو مونث باعتبار انه سمى ذبيلة لا لانه لا يصدر الا من واحد كما قيل الا انه ارتبع
فيه الشراح بعضهم بعضا وهو مخالف لما قرره الاطبا فان الدبيلة مرض فى الكبد وذكر بعض
الاطبا انه قد يكون فى المعدة وذات الجنب فى الخاصرة واسمها معرب عن معناها فقال صلى الله
عليه وسلم انما اى ذات الجنب من الشيطان اى هى وخز يصيب الناس من الشياطين كالطاعون
لا انه بسبب وسوسته كما قيل وليست ايضا من طعنه المولود حين يولد ولم يكن الله لعصمته له
ليسلطه على تعظيما له صلى الله عليه وسلم ومن اللطايف ما قلته مما جنا لبعض الاخوان
وقد تزوج بعجوزة يا خليلى قد اصطفيت عجوزا هى امن الممات اشد قال ذات الجنب لتليت بها
ما لى لذوذها وخصى الد وهذا الحديث رواه فى الموطا وقال السهيلى وذات الجنب تسمى الخاصرة
وهى من شى الاسقام الذى استعاذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت تصيبه
صلى الله عليه وسلم فيظنها عرق الكلية وهو مرض اخر ومن هنا علم خطا من قال انها لا تصيبه
الا من كما تقدم ولما ارادوا ان يلدوه صلى الله عليه وسلم اشار اليهم بالمنع منه فظنوه
لكراهة المريض الدوا فلما افاق قال لا يبقى احد فى البيت الا لد كما مر وكونها من الشيطان
ومن طعنه ورد فى احاديث اخر واليه يومى قوله فان قيل فما معنى قوله واما ينزغنك من الشيطان
نزغ الاية فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فان اصل معنى النزغ لغة ادخال شى مفسد
كالطعن كما ذكره الراغب فاتصال السوال بما قبله وبما عقد له الفصل فى غاية الظهور
وان اطال فيه بعضهم بغير طايل يفيده وحاصله ان الله عصمه صلى الله عليه وسلم من تسلط
الشيطان عليه باذية او وسوسة وفى الاية ما يوهم خلافه وان كانت ان الشرطية لا تقتضى
الوقوع ولو سلم فالمراد امته لجعل ما يصيبهم كانه يصيبه واسند النزغ للمصدر مجازا
كقوله جد جده واصل النزغ الطعن ثم شاع فى كل مفسد كما علم فقد قال بعض المفسرين
فى تفسير هذه الاية انها اى هذه الاية راجعة الى قوله تعالى قبل واعرض الجاهلين ثم قال الله
واما ينزغنك من الشيطان نزغ اى يستخفنك غضب اى لا تكاف السفها الذين خفت احلامهم
اذا اغضبوك بمثل افعالهم واعرض عنهم ولذا قيل ان هذه الاية جامعة لمكارم الاخلاق
ولذا قال له جبريل لما ساله صلى الله عليه وسلم عنها ان الله امرك ان تصل من قطعك وتعطى
من حرمك وتعفو عمن ظلمك بحملك على ترك الاعراض عنهم لجزايه لهم بمثل فعلهم فاستعذ
بالله اى قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا تطعه وتفعل بنزغه وهذا من مكارم الاخلاق
لا من لم يشينه فان الغضب على السفيه وجزاوه بمثل فعله تاديبا له لا يعد من الامور
الشيطانية والاستعاذة عند الغضب مشروعة وعلى هذا ليست الاية منسوخة باية القتال
كما قيل وقيل النزغ هنا اى فى هذه الاية الفساد مستعار من النزغ بمعنى الطعن والنخس كما قال
تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى

اى افسد ما بينى وبينهم بما حملهم عليه فى قضيته معهم فالمراد هنا فساده بوسوسته له فى حال
غضبه وحمله على ما لا يليق به فاذا خطر بباله يستعيذ بالله طلبا للنجاة من كيده وقيل معنى
ينزغنك يغرينك من الاغراء بغين معجمة وراء مهملة وهو الحث والتحريض على امر ما ويحركك بازعاجك
للانتقام ممن اغضبه والنزغ ادنى الوسوسة اى اقلها كحديث النفس والتفكر واصل معنى الوسوسة
الصوت الخفى ومنه قيل لصوت الحلى وسوسة كما قيل قالوا كلامك وسواس فقلت لهم
وقد يقال الصوت الحلى وسواس وهذا تقوله العامة وشوشة بالاعجام فامره الله فى هذه الاية انه
متى تحرك اى طرا عليه وعرض له غضب على عدوه لسوء ما يصدر منه او رام الشيطان من اغوائه
وايقاعه بحثه على فتكه بعدوه فهو بغين معجمة وراء مهملة وفى نسخة اعوانه بعين مهملة ونون
وما فى بعض النسخ من اغرائه بغين وزاى معجمتين فهو تحريف من النساخ والصواب الاول وخواطر
ادنى بمعنى اقل وساوسه جمع وسواس مما لم يجعل له سبيل اليه اى حماه من التلبس بمثله لعصمته
منه ان يستعيذ منه بقبول امره لان مجرد الوسوسة والخطور بالبال لا يضر فى عصمته
صلى الله عليه وسلم وان كان امرا ممنوعا وهذه الاية فى سورة الاعراف وهى المذكورة هنا
ووقعت فى سورة فصلت مسبوقة بقوله ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه
عداوة كانه ولى حميم وهما متماثلان معنى وسياقا فيكتفى بالبناء للمجهول اى يكفى الله رسوله
صلى الله عليه وسلم اذا استعاذ به والتجا اليه امره اى امر الشيطان بوسوسته لصرفها
عنه ويكون ذلك سبب تمام عصمته صلى الله عليه وسلم من مجرد الخواطر وهو نهاية
الحفظ والعصمة اذ لم يسلط الشيطان عليه باكثر من التعرض له فضلا عن التمكن منه وايصال
اذيته له ولم يجعل له قدرة عليه فيرجع خايبا خاسيا وقد قيل فى هذه الاية غير هذا من التفاسير
التى اقتصر منها على ما ينا سب غرضه فيما عقد له هذا الفصل وكذلك مثل ما ذكر من حفظ الله له
عن تسلط الشيطان عليه لا يصح ان يتصور له الشيطان فى صورة الملك بان يتمثل مثاله
ويقول له انا ملك ارسلنى الله اليك لحفظ الله له عنه ومنعه من ان ياتيه من هذه الصورة
وهذه شبهة اوردها منكروا النبوة بانه من اين يعلم ان الاتى له ملك بلغه الوحى عن الله
لم يجوزان يكون جنيا ويلبس عليه امره فيلتبس الوحى بغيره لا يقع ذلك فى اول الرسالة اى فى اول
امره بدعوة الخلق الى الله ولا بعدها الظاهر بعده اى بعد الاول فى اثنائه والاعتماد اى اعتماده
صلى الله عليه وسلم فى حقيقة ما اتاه وعدم احتياجه لغيره فى ذلك اى فى عدم تلبيس
الشيطان عليه وتصوره بصورة الملك دليل المعجزة اى قوة يقينه دليل على انه معجزة له
او هو يعتمد فى انه امر الهى على ما ظهر له من المعجزة كتسليم الحجر عليه واظلال الغمام له فمعنى قوله
لا يصح اى لا يجوز عقلا ذلك والقول بانه لا مدخل للعقل فيه وانه امر علم من الشرع ومعنى
لا يصح انه ممنوع من جانب الشرع كلام باطل بل لا يشك النبى صلى الله عليه وسلم ان ما ياتيه
عن الله الملك هنا هو الخبر او خبر بعد خبر ورسوله الذى ارسله الله اليه من رسل الملائكة
حقيقة لا تمويها وتلبيسا عليه من غير شك فيه اما بعلم ضرورى يخلقه الله له بديهى غير

محتاج لدليل لعدم تردده فيه او برهان ودليل قطعى يظهره لديه مما يشاهده من معجزاته
كنطق الحجر وتسليم الشجر وكل ذلك لتتم كلمة ربك فتبلغ الغاية احكامه واخباره ومواعيده
صدقا فى خبره له ووعيده وعدلا ما حكم به من احكامه التى بلغها وهما تمييزان محولان عن الفاعل
او حالان لا مبدل لكلماته اى لا يمكن تغييرها ولا تنسخ بعد ما بلغت غاية لا تقبل الزيادة
عليها ولذا كانت شريعته صلى الله عليه وسلم اخر الشرايع وهذا تعليل لما ذكره من حفظه
صلى الله عليه وسلم من ان يتصور له الشيطان بصورة ملك فيكون ما يلقيه اخرا
مخلطا قابلا للتغيير والتغيير ولذا عقبه بقوله فان قيل فما معنى قوله تعالى وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته الاية فينسخ الله ما يلقى الشيطان
ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم التمنى هنا بمعنى التلاوة والامنية الكلام المتلو لان التمنى
ما يتصوره الانسان فى نفسه والمتلو كذلك فحاصل السوال المذكور انك قلت ان الشيطان
لا يتسلط على الانبيا عليهم وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام بوسوسته وهذه الاية
تدل على ان الشيطان لعنه الله يخلط عليهم فيما اوحى اليهم عند تلاوته وهذه الاية
تدل على ان بين النبى والرسول فرقا وقد اختلفوا فى الفرق بينهما بعد الاتفاق على انهما من نزل
عليه الملك بالوحى والمشهور ان الرسول اخص من النبى وهو من يكون مامورا بالتبليغ
او له شرع جديد واشترط بعضهم ان يكون معه كتاب ويستعمل كل منهما بمعنى الاخر وقد
جمع ذلك فاجاب بقوله فاعلم ان للناس اى للعلما لانهم هم الناس اقاويل جمع قول فهو جمع
الجمع منها اى من جملة هذه الاقاويل السهل والوعث اى ما هو ظاهر سهل فهمه ومنها ما هو
خفى يعسر فهمه وهو مستعار من المكان السهل وهو المنبسط الذى يسهل المشى فيه والوعث
المكان الكثير الرمل الذى يشق المشى فيه ومنه ارض وعثا ثم استعمل مجازا او استعارة
لمعنى المشاق ومنه ما ورد فى الحديث اللهم انى اعوذ بك من وعثا السفر اى مشقته
فلهذه الكلمة هنا موقع ليس للمشقة فالمعنى منها ما هو ظاهر تسلكه الافهام بسهولة
ومنها ما هو صعب يشق على اقدام الافهام وهو بفتح الواو وسكون العين المهملة
والمثلثه والسمين مستعار من السمن وهو الممتلى باللحم والشحم والغث بفتح الغين المعجمة
وتشديد المثلثة ضده وهو الناقة المهزولة استعير لما فيه من فوايد جليلة ولما
خلا عنها يعنى ما جمع بين حسن العبارة وجزالة المعنى واولى ما يقال فيها اى ما يقال فى تفسيرها
واولى بمعنى احق بالقبول وبمعنى اقرب كما فى قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث الميراث
فلاولى رجل ذكر اى اقرب من الميت وهو العصبة ما عليه الجمهور اى ما استقر عليه راى
الجمهور اى الاكثر من المفسرين ان التمنى معناه هنا اى فى هذه الاية التلاوة لانه تفعل من منى
بمعنى قدر كما قال الشاعر لا تامنن وان امسيت فى حرم حتى تلاقى ما يمنى لك المانى
اى ما قدره لك المقدر والتمنى امر يقدره المرء فى نفسه وهو بمعنى التلاوة قال تمنى كتاب الله اول
ليلة تمنى داود الزبور على رسل والقا الشيطان فى قوله القى الشيطان فى امنيته اى

في متلوه شغله مصدر بوزن ضرب مضاف لفاعله اي شغل الشيطان للتالي بخواطر اي امور
دنيوية تخطر على قلبه فتشغله عما تلاه واذكار جمع ذكر اي حديث نفس يذكره فيلهيه من امور
الدنيا بيان لهما للتالي صفة لخواطر واذكار اي كاينة وعارضة له حتى علة لشغله يدخل مضارع
ادخل وفاعله ضمير الشيطان ومفعوله الوهم في قوله عليه اي على التالي الوهم اي الغلط
او مضارع دخل والوهم فاعله والنسيان فيما تلاه او يدخل عليه غير ذلك اي غير الوهم
والنسيان على افهام السامعين وبين ما يدخل على افهام السامعين بقوله من التحريف
لما تلاه عليهم وسوء التاويل الناشي عن تحريف ما سمعوه ما نزله الله مفعول القا وينسخه
اي يحوله من الباطل الى الحق ويكشف لبسه اي يزيله ويبينه ويظهره ويحكم اياته اي يحققها
ويبنيها وسياتي الكلام على هذه الاية مفصلا باشبع من هذا اي باكثر منه تفصيلا وهو
اشتقاقه من الشبع ضد الجوع لان الحلم غذا الارواح وهذا التفسير هو المنقول عن السلف
وهو احسن ما قيل فيها كما قاله النحاس وهو المنقول عن ابن عباس كما سياتي وتفسير التمني
بالتلاوة مشهور في اللغة والتفسير كما علم وذكر الكساي والفرا انه يقال تمنى اذا
حدث نفسه قال القرطبي وهو المعروف في اللغة ومن قال انه لم يجده في كتب اللغة والذي
فيها اعم منه فقد قصر فانه قد صرح به الراغب في مفرداته فليت شعري ما هذه الكتب التي
راها وفتشها وليس هذا منافيا لما ذكره ولا من عصمة الانبيا عن الوسواس لان الذي
عصم منه الانبيا الخواطر القارة واما مجرد الخواطر فلا تضرهم ولا يقروا عليها وبه صرح
الثعلبي في تفسيره وقد حكى الامام ابو الليث الحنفي السمرقندي وقد تقدمت ترجمته في تفسيره
انكار قول من قال بتسليط الشيطان على ملك سليمان وغلبته عليه وهو جني اخذ خاتمه
الذي يتصرف في ملكه به باذن الله فهرب سليمان عليه الصلاة والسلام الى ان رد الله
عليه الخاتم وان ذلك الشيطان كان يسمى صخرا الى اخر ما ذكره القصاص من الخرافات في قصته
وقد رده ايضا بان مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمان مبينة بعد وهذا كما ذكرنا
قول من قال في هذه القصة ان الجسد الذي ذكره الله في قوله والقينا على كرسيه جسدا هو الولد
الذي ولد له حين قال صلى الله عليه وسلم لاطوفن على نساي هذه الليلة وتحمل كل واحدة
منهن بذكر يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شا الله وكان له تسعون امراة فلم تحمل منهن غير
واحدة بشق رجل واهل القصص ذكروا فيه غير ذلك كما سياتي ان شا الله تعالى وما ذكره
السمرقندي هو المعتمد عند المفسرين وقد حكى ابو محمد مكي وقدمنا ترجمته في قصة ايوب
نبي الله عليه الصلاة والسلام وهو كما قال ابن اسحاق ايوب بن اموص بن تارح ابن روم
بن عيص بن اسحاق بن ابراهيم وقيل غير ذلك وكان في زمن يعقوب وتحته ابنته وابوه امن
بابراهيم وامه بنت لوط وقد فصل احواله صاحب مراة الزمان وذكرنا منها طرفا في غير
هذا المحل وقيل انه بعد سليمان وقوله اني مسني الشيطان بنصب وعذاب اي الم ومشقة
عظيمة ونصب بمعنى تعب يعني ما اصابه في بدنه وقرئ بضم وسكون وفيه قرات اخر انه بالكسر

مقول

مقول القول لا يجوز لاحد ان يتاول اي يفسر ما ذكر في هذه الاية برايه فيقول ان الشيطان هو الذي
امرضه والقى الضر بالضم وهو المرض في بدنه لان الله تعالى عصم الانبيا عليهم الصلاة والسلام
من اذيته وتسلطه عليهم ولا يكون اي لا يقع ولا يصح ذلك اي كون الشيطان امرضه الا
استثنا منقطع اي لكن كل ما يصيبهم بفعل الله وامره اي تقديره ليبتليهم اي يوقع بهم بلا من مرض
وغيره وتيبيهم اي يعطيهم ثوابا جزيلا على ما ابتلاهم وفي نسخة ويتبتهم من الثبات بمثلثة
وموحدة ومثناة اي يصبرهم حتى يكون منهم ثبات على شكره والرضا بقضايه وهذا اشارة
لما ذكر في القصص وبيان لرده وان ذكره بعض المفسرين لما في ظاهر الاية من اسناد ما مسه
للشيطان وهو اسناد مجازي تادبا مع ربه في عدم اضافة الشر له لان كل ما صدر عنه خير
من حيث صدوره عنه والذي قالوه ان الشيطان لعنه الله حسده لما راه من نعم الله عليه
وكثرة تصدقه وكان ابليس اذ ذاك لا يحجب عن السما فقال يا رب لو سلطتني عليه لكفرك
فقال اذهب فقد سلطتك على ماله واهله وجسده وكانت زوجته رحمة بنت لوط عليه
الصلاة والسلام وقيل بنت افرايم بن يوسف فاصابه فروح عمت بدنه واهلك ماله وولده
ودوره وكان نفخ في بدنه فتقرح كله وقعد الملعون في الطريق يتطبب فقالت له زوجة ايوب
ان ههنا عبدا مبتلى فهل لك ان تداويه فقال نعم ان قال لي انت شفيتني فاخبرت زوجته بذلك
فقال ويلك هو الشيطان ان عافاني الله لاجلدنك مائة جلدة فكان ما كان من امر الضغث
ثم اتاه جبريل عليه الصلاة والسلام وركض برجله فنبعت عين ما اغتسل منه فرد الله
عليه صحته وجماله وكان مدة بلايه سبع سنين وزيادة وقد ذكر ابن العربي هذه القصة
وبين ما لم يثبت فيها قال مكي وقد قيل ان الذي اصابه من الشيطان ما وسوس به الى اهله اراد
باهله زوجته رحمه ويصح ان يراد به ظاهره فهو على هذا لم يصب بشي في نفسه وانما اضاف
ما اصاب اهله اليه مجازا وقد قدمنا ما وسوس به لاهله فان قلت فما معنى قوله تعالى عن يوشع
نبي الله عليه الصلاة والسلام وهو يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف بن يعقوب كان في زمن موسى
عليه الصلاة والسلام وهو الذي قام لبني اسرايل باحكام التوراة بعده وقسم الشام بين بني
اسرايل وقاتل الجبابرة وردت له الشمس كما مر وتفصيل احواله معلوم من التواريخ وهو فتى
موسى المذكور في القران وما انسانيه الا الشيطان ووجه السوال انه نبي وقد سلط عليه
الشيطان حتى انساه ذكره وسياتي جوابه وان اذكره بدل من مفعول انسانيه ومثله قوله
تعالى عن يوسف عليه الصلاة والسلام فانساه الشيطان ذكر ربه وكذا قول نبينا صلى الله
عليه وسلم حين نام عن الصلاة اي صلاة الصبح فنام حتى فاته وقتها فقضاها بعد طلوع
الشمس يوما الوادي اي فيه متعلق بنام او بالصلاة وهو واد بقرب مكة وكان صلى الله
عليه وسلم لما نزل به امر بلالا ان ينبهه اذا طلع الفجر فغفل عنه فنام صلى الله عليه وسلم
حتى ادركه حر الشمس كما في الموطا وفي البخاري عن عمران بن حصين كنا في سفر مع رسول الله صلى الله

عليه وسلم حتى كنا في اخر الليل وقدرقدنا رقدة لا ارقد احلا منها عند المسافر فما ايقظنا الا حر
الشمس وكبر عمر رضي الله عنه فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا قالوا له
لو عرست بنا يا رسول الله فقال اخاف ان تناموا عن الصلاة فقال بلال انا اوقظكم فاضطجعوا
واسند بلال ظهره لراحلته فغلبته عيناه فنام حتى طلعت الشمس وقال ما القيت علي
نومة مثلها قط فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالارتحال عن الوادي ثم نزل فتوضى
وصلى بهم وفي مصنف عبد الرزاق عن عطا بن يسار انه كان ببطن تبوك ونحن في دلايل
البيهقي وقيل انه كان بغزوة موتة فقال صلى الله عليه وسلم لما انتبه ان هذا واد به شيطان
وفي هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لياخذ كل رجل براس راحلته فان هذا منزل
حضرنا فيه شيطان واخر الصلاة حتى خرجوا من ذلك الوادي كما مر اذ لم يكن تركها قصدا
وانما تحول عن الوادي كراهة ما اصابه فيه من الغفلة ولانه يخشى فيه من اعدا المسلمين
لا لان الوقت وقت كراهة فان قلت كيف هنا مع قوله صلى الله عليه وسلم تنام عيناي
ولا ينام قلبي قلت اجاب عنه المص فيما ياتي وتبعه النووي بان القلب لا يدرك
ما تدركه الحواس الظاهرة كالعين والاذن وانه صلى الله عليه وسلم كان له حالان
في احدهما وهو الاكثر ان قلبه لا ينام وفي بعض الاحيان تنام عينه وقلبه لعارض
كتعب سفر ونحوه وفيه تشريع للقضا وتاخيره ولو كان قلبه الشريف تيقظان لم يعذر
صلى الله عليه وسلم في تاخير الصلاة والجواب الثاني هو الاولى وهذا الحديث له
اصل ايضا في مسلم عن ابي هريرة وله طرق اخرى وقال القرطبي اخذ بعض العلما بظاهره
فقال من انتبه من نومه عن صلاة فاتته في سفر فليتحول عن موضعه وقيل انما يستحب
في ذلك الوادي بعينه كما في قصته ابا داود وقيل انه مخصوص به صلى الله عليه وسلم
لان مثل ذلك لا يطلع عليه غيره ولا باس بالقول باستحبابه مطلقا وهو مناف لحديث
البخاري من فاتته صلاة فليصلها اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك وسياتي ما فيه عند
ذكر الجواب عنه وما معنى قول موسى نبي الله صلى الله عليه وسلم في وكزه وفي نسخة وكزة
ومعناهما واحد والوكز الدفع والضرب بجمع الكف ووكزه المراد به وكز القبطي المذكور
في القران هذا الوكز من عمل الشيطان وهو مقول القول وهو معصوم فكيف وقع منه ما وقع
من قتل من لم يومر بقتله فلذا سماه ظلما واستغفر منه ووجه السوال ظاهر وكان موسى صلى الله
عليه وسلم قبل النبوة يركب مع فرعون في مواكبه الا انه لم يكن على دينه فلحقه مرة في وقت
القايلة او بين العشاين فدخل مدينة منف في وقت غفلة فوجد رجلين يقتتلان احدهما قبطي
والاخر من بني اسرايل من قوم موسى فاراد القبطي ان يسخره بحمل متاع له فاستغاث بموسى
لينصره عليه ونصرة المظلوم واجبة في ساير الملل فوكزه موسى بيده او بعصا ليدفعه فقتله
ولم يكن هذا ظلما منه صلى الله عليه وسلم وانما جعله من عمل الشيطان استعظاما لتركه

الاولى ولم يضفه الى الله تادبا منه فاعلم جواب الشرط في قوله فان قلت ان هذا الكلام المذكور
عن الانبيا عليهم الصلاة والسلام في السوال قد يرد في القران والحديث ما هو اعم منه
او بمعناه في جميع هذا المحلى عنهم على مورد مستمر بالاضافة الكلام اي طريق معروف
في استعمال كلام العرب وهو فاعل يرد اي دابهم في كلامهم ومعتادهم فيه والاول
هو الظاهر وفاعل يرد ضمير الكلام في وصفهم كل قبيح من شخص وفعل بان لكل قبيح كقبح
الشخص في منظره والافعال القبيحة الصادرة من الناس فيقولون للقبيح هو شيطان
ويضيفون الافعال القبيحة له وقوله للشيطان متعلق بوصفهم او فعله مجرور معطوف
على الشيطان فاذا راوا شخصا قبيحا قالوا هذا فعل الشيطان كما قال تعالى في شجرة الزقوم
التي في جهنم طلعها كانه روس الشياطين ما فيهما ما يشبه طلع النخل فشبه ما يطلع منها
تشبيها تخييليا بذلك لما استمر عندهم من تشبيه كل قبيح بها وان لم يروها وهذا كقول
امري القيس ومسنونة زرق كانياب اغوال كما بين في كتب المعاني وقيل الشياطين
حيات كبيرة هايلة وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان في المار بين
يدي المصلي فليقاتله فانما هو شيطان والحديث رواه مسلم عن ابي سعيد الخدري رضي الله
تعالى عنه وفيه اذا صلى احدكم الى شي يستره فاراد احد ان يجتاز بين يديه فليدفعه
في نحره فان ابى فليقاتله فانما هو شيطان والامر للندب لا للوجوب وانما يندب اذا كان
بين يديه سترة وانما يفعل ذلك اذا لم يرتد باسهل الوجوه وذكر المقاتلة مبالغة في شدة
الدفع والا فالمقاتلة افعال كثيرة لا تجوز في غير صلاة شدة الخوف وقوله هو شيطان
استعارة تصريحية شبهه بالشيطان في صدور الافعال القبيحة منه وقيل انه مجاز مرسل
لان الشيطان سبب لما فعله واما كونه حقيقة لقوله شياطين الانس والجن فليس بشي
لانه مجاز ايضا وانما كره ولانه شغله عن خدمة ربه وتوجهه اليه وايضا من اض اذ ارجع
اي نرجع الى الجواب عام في السوال فان قول يوشع عليه الصلاة والسلام وما انسانيه
الا الشيطان ان اذكره الذي حكاه الله عنه لا يلزمنا الجواب عنه لعدم وروده على ما قررناه
من عصمة الانبيا عن تسلط الشيطان عليهم اذ لم يثبت له في ذلك الوقت اي وقت صدور
هذا القول عنه وهو في خدمة موسى عليهما الصلاة والسلام نبوته اي انه كان نبيا حال
كونه مع موسى مصاحبا له في سفره وهو خادمه ويدل على ذلك قوله تعالى وفي نسخة قال الله
تعالى واذ قال موسى لفتاه الخ والفتى في الاصل معناه الشاب فاستعمل بمعنى العبد والخادم
لان الغالب استخدام الشباب وتوقير الكبار وهو من الاداب الشرعية ففي الحديث انه صلى الله
عليه وسلم قال لا يقل احدكم عبدي وامتي ولكن يقول فتاي وفتاتي وانما سمي يوشع فتى موسى
لانه كان يلازمه فيقوم مقام العبد ويقال لانه ابن اخته وهو يوشع بن نون كما في صحيح البخاري
والمروي عن العلما الثقات انه انما نبي اي جعله الله نبيا واوحى اليه بعد موت موسى وقيل
انه نبي قبل موته اي موت موسى عليه الصلاة والسلام وفي بعض النسخ قبيل بالتصغير

اشارة لقلة زمن نبوته في حياته وسياتي فيه كلامه ايضا وقد قيل انه نبي في حياته فكان اذا سال
عما اوحي اليه يقول صحبتك كذا وكذا ولم اسالك عما اوحي اليك فلما راى ذلك كره الحياة وسال
ربه ان يقبضه اليه وقيل الاصح انما نبي بعد موسى في قول موسى عليه الصلاة والسلام في وكز القبطي
انه من عمل الشيطان كان قبل نبوته فلا يرد السوال به لان الكلام في عصمة الانبياء عن تسلط
الشيطان عليهم بدليل القران فانه قص فيه القصة بما يدل على انه انما نبي بعد ذلك كما يعرفه
من عرف الاية وتفسيرها في سورة القصص فانها قبل خروجه لمدين واستيجار شعيب له
ومكثه عنده فانه صح في الاية بانه نُبّئ بعد ذلك وقوله في الشرح الجديد ان المراد بقول
موسى ما قاله ليوشع وان ما في القران ذكره بانه فتاه دون ان يقول نبي الله مع مخالفته
للشروح لا وجه له وقصة يوسف وما فيها مما عقد له الفصل الجواب عنها انه قد ذكر بالبنا
للمجهول اي ذكر علما التفسير وغيرهم انها كانت قبل نبوته اي قبل نبوة يوسف عليه الصلاة
والسلام فلا يمتنع قبلها ان يخطر عليه خاطر ينسيه ذكر ربه المشار اليه بقوله فانساه الشيطان
ذكر ربه وهذا احد قولين فيه وقيل انه نبي في الجب وهو على حجر يرتفع فيه بدليل قوله تعالى
واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهو قبل مجيئه لمصر وهو قول الحسن ومجاهد والضحاك
وقتادة وهو ابن ثمان عشرة سنة ومن الانبيا من نبي صغيرا قبل الاربعين فعلى هذا يجاب
بانه انما كان استعان بمخلوق ومثله جايز وان لم يلق بمنصب النبوة فاضاف ما هو خلاف
الاولى الى الشيطان تادبا ولا ضير فيه وهذا بنا على ان ضمير الشان راجع ليوسف وقد قال
اكثر العلما والمفسرون في قوله تعالى فانساه الشيطان قولين اخرين احدهما ان الذي انساه
الشيطان ذكر ربه ليس المراد به يوسف عليه الصلاة والسلام والرب بمعنى السيد اي
المالك وانما المراد احد صاحبي السجن وليس المراد بصاحبي السجن مالكه بل من طال حبسه
فيه فالاضافة لادنى ملابسة كقوله يا سارق الليلة اهل الدار وربه المراد به في الاية
على هذا سيده وهو الملك اي الشيطان انساه اي انسا الشرابي المسجون ان يذكر بزنة
يقتل وفي بعض النسخ بضم اليا وكسر الكاف المشددة والاول هو الصواب لانه الموافق لقوله
اذكرني عند ربك للملك شان يوسف عليه الصلاة والسلام في السجن والورطة التي وقع
فيها وكان دخل معه فتيان من عبيد الملك احدهما شرابيه الذي يسقيه الشراب وكان للملك
عمر فيهم طويلا فدسوا في شرابه سما فلما اخبر به الملك حبسهما فالفيا يوسف وهو مسجون
معهما وراى كل منهما رويا قصها على يوسف وبينها له ثم قال لمن راه ناج منهما وهو الشرابي
اذا خلصت اذكرني عند ربك يعني الملك فتسلط الشيطان عليه حتى انساه ان يذكر
للملك قصة يوسف فعلى هذا لم يتسلط الشيطان على يوسف حتى يرد السوال والى ذلك
اشار المص وايضا اي مثل ما ذكر في جواب الشبهة عن قصة يوسف ويوشع فان مثل هذا
النسيان المذكور من قبل الشيطان بكسر القاف وفتح البا الموحدة بمعنى عند وجانب يقال
لفلان قبل فلان كذا اي عنده قال تعالى فما للذين كفروا قبلك مهطعين وفي بعض النسخ

من فعل

من فعل الشيطان والجار والمجرور حال من اسم الاشارة يفيد انهما منه والخبر قوله
ليس فيه تسليط على يوسف ويوشع او هو خبر بعد خبر بوسواس متعلق بتسليط ونزغ
بنون وزاي ساكنة وغين معجمتين وقد تقدم معناه لعصمة الله لهما عن ان يكون له سلطان
عليهما وعلى غيرهما من الانبيا وانما هو اي الضمير لمثل تشغل خواطرهما بمعجمتين من الثلاثي
ويجوز كونه من المزيد على لغة غير فصيحة كما تقدم اي شغل ابليس بطريق الوسوسة
والتسليط بل بان اخرهما يرد على الخاطر ولا يستقر وهو تذكيرهما اي يوسف ويوشع
من امرهما ما ينسيهما بالتشديد للمهمله والتخفيف ما نسيا اي يذكران امرا انسياه
من احوالهما السالفة كاستعانة يوسف بمخلوق وشان الحوت الذي نسيه يوشع
ونسيانه للشيطان تادبا كما مر لا محذور فيه واما قوله اي قول نبينا صلى الله عليه
وسلم في الحديث الذي تقدم بيانه وروايته عن مسلم ان هذا واد به شيطان
وتقدم بيان الوادي ومكانه فليس فيه اي في هذا الحديث ما يقتضي ذكر تسليطه اي
الشيطان عليه صلى الله عليه وسلم ولا وسوسته له صلى الله عليه وسلم لعصمته
ونزاهته عن مثله فهو لا يقدر على ان يقرب من سرادق حمايته بل ان كان ذكر في الحديث ما يوهم
تسلطه عليه بمقتضى ظاهره قبل التامل فيه فقد بين وكشف صلى الله عليه وسلم فيه
امر ذلك الشيطان في هذه الواقعة بقوله صلى الله عليه وسلم في رواية مالك والبيهقي عن زيد بن
اسلم ان الشيطان اتى بلالا بعد ما امره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينظر طلوع الفجر
ويوقظه صلى الله عليه وسلم من نومه فلم يزل الشيطان يهديه كما يهدى الصبي الصغير
في مهده حتى نام بلال فلم يستيقظ حتى اصابه صلى الله وسلم حر الشمس فاستيقظ وقال
ما هذا يا بلال فقال اخذ بنفسي الذي اخذ بنفسك يا رسول الله الحديث وقوله يهديه بضم
المثناة التحتية وسكون الها ودال مهملة مكسورة مخففة واخره يا ساكنة وهمزة مضمومة
او هو بفتح اوله وسكون ثانيه وفتح داله وبعده همزة او الف ودالة مشددة الا ان رسمه
باليا في النسخ وكذا يهدى في قوله كما يهدى الخ قال الجوهري هدأ هدءا وهدوا اذا سكن واهدأت
الصبي اذا سكنته واحررت يدك عليه لينام وكذا في القاموس وافعال ابن القطاع وغيره ومثله
هداه بالتشديد مهموزا ومعتلا وهدنه بنون وهدهده كله بمعنى تحريك الصبي او مهده لينام
والحديث في الصحيحين فاعلم ان تسليط الشيطان في ذلك الوادي الذي نزل به رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه وغلبهم النوم حتى فاتتهم صلاة الفجر به وقد رجعوا من الغزاة انما كان
تسلط على بلال رضي الله عنه لا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وغلبهم النوم
حتى يرد السوال الموكل بفتح الكاف المشددة اسم مفعول اي المعتمد عليه في الحفظ عن خروج
الوقت بكلاوة الفجر بكسر الكاف كالحراسة وزنا ومعنى فهو ممدود مهموز وقد تبدل همزته يا كما
في النهاية يقال كلاه يكلوه اذا حرسه وضمن معنى المراقبة اي مراقبة طلوع الفجر ليوقظهم وقيل المراد
بكلاوة صلاة الفجر بتقدير مضاف وله وجه وجيه هذا اي ما ذكر من ان تسليط الشيطان

انما كان على بلال ان جعلنا قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ان هذا واد به شيطان تنبيها
مفعول له على سبب النوم عن الصلاة بنا على ان المراد ان الشيطان تسلط على من غفل عن الصلاة
حتى فات وقتها بطريق من الطرق لكن ليس المسلط عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بل بلال
وان الشيطان تحيل عليه في غلبة النوم كما تحيل الام والداية على طفلهما حتى يستغرق في نومه
واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي فانه صلى الله عليه وسلم لما استيقظ من نوم
امرهم بالرحيل عن ذلك الوادي وقال انه واد به شيطان كما مر وعلة لترك الصلاة فيه لان
الافضل في قضا الصلاة الفائتة بعذر ان يبادر بقضايها في اول تذكرها فلما ترك ذلك
وارتحل وقال ان هذا واد به شيطان دل مساق كلامه على ان كونه لم يصل به لذلك فليس فيه
ما يقتضي ان الشيطان تسلط على بلال فضلا عنه صلى الله عليه وسلم وهو اي ما ذكر من انه
علة لارتحاله وترك الصلاة دليل فعيل بمعنى مفعول اي مدلول مساق بفتح الميم مصدر بمعنى سياق
حديث زيد بن اسلم والسياق ما يفهم من ذكر شي بعد شي وزيد تقدم بيانه وهو هذا الحديث
المذكور لكنه من طريق اخر رواه مالك في الموطا والبيهقي عن زيد بن اسلم وعلى هذه الرواية التي
يفيد سياقها ما ذكر فلا اعتراض اي بهذا الحديث في هذا الباب الذي عقد لكون الشيطان
لا تسلط لهم على الانبيا عليهم الصلاة والسلام بوسوسة ونحوها لبيانه اي بيان حديث
زيد لما ذكر ووضوح دلالته عليه وارتفاع اشكاله اي زواله بالكلية حتى استغنى عن الجواب
لعدم احتماله لما يخالفه

فصل واما اقواله صلى الله عليه وسلم لما كان هذا الباب
معقودا لعصمة الانبيا في عقايدهم واحوال قلوبهم واقوالهم وافعالهم قدم الكلام على الاول لانه
الاهم والاساس وعقبه بالثاني وهو ما يتعلق باقوالهم فقد قامت الدلايل اي صحت وثبتت تضارت
كالعماد والسناد الذي يقوم به عن وال الدلايل جمع دليل وقد قال ابن مالك في شرح كافيته انه
لم يات فعايل جمعا لفعيل اسم جنس وان جاز بطريق القياس وفي الايات البينات انه يحتمل
ان يكون جمع دلالة بمعنى دليل وفعالة يجمع على فعايل قياسا مطردا وقد قال امام الحرمين ان الدليل
يسمى دلالة والظاهر انه مجاز انتهى وقد تقدم التنبيه على هذا ايضا الواضحة اي الظاهرة القاطعة
العقلية من الايات والبراهين بصحة المعجزة اي المعتضدة بصحة معجزاته والبا تجريدية كما في قوله
فسل به خبيرا على احد القولين وهذا احسن واقوى على صدقه اي انه صادق فيما اخبر به ووجه
الدلالة تقرر ذلك في الاصول والاصح انها دلالة عقلية اظهر من الشمس واجمعت الامة على صدقه
صلى الله عليه وسلم وصدق اخباره فيما كان طريقه البلاغ وهو مصدر او اسم مصدر بمعنى
التبليغ عن ربه ما اوحى اليه لانه لازم الرسالة انه معصوم فيه اي فيما امر بتبليغه للخلق
عن ربه من الاخبار متعلق بمعصوم عن شي منها اي مما طريقه البلاغ ملتبسا بخلاف ما هو به
البا بمعنى على او للملابسة اي لا يخالف شي من اخباره الواقع لا قصد الخلافه حتى يكون كذبا
وقوله ولا عمدا ان فسر بالقصد فهو عطف تفسير كما قاله الراغب وان قيل القصد ما كان
بسبب والعمد ما كان بلا سبب كما قال التلمساني فهو تاسيس وهو الاولى ولا سهوا او غلطا

الاول ما كان بغير قصد والثاني ما قصده خطا الظن به واقعا وفي نسخة وغلطا بالواو واولى هنا
اما تعمد الخلف في ذلك اي في الاخبار عما طريقه البلاغ فمنتف عنه لانه غير لايق بمقامه والخلف
قيل انه بضم الخا بمعنى الكذب في اخباره عن امر مستقبل والكذب يكون عن الماضي وقيل انه بفتحها
وسكون اللام بمعنى الباطل واصل معناه القبيح الردي ومنه المثل سكت الفا ونطق خلفا وتفسيره
بالمخالفة غير متجه الا ان يريد بمخالفة الواقع فيرجع لما قبله وقوله بدليل المعجزة متعلق بمنتف القايمة
مقام قول الله لمن بعث اليهم الرسول صدق رسولي ونبي فيما اتاكم ويبلغكم عني بدليل معجزاته
التي هي برهان قاطع على صدق مدعاه اتفاقا وباطباق اهل الملة اي اتفاقهم على ذلك واصل
معنى الاطباق جعل الشي مطابقا لاخر اي موافقا له اجماعا منصوب بنزع الخافض اي اطباقهم
ثابت بالاجماع منهم وقوله اهل الملة اشارة الى بطلان قول البراهمة والصابية باستحالة ثبوت
النبوات عقلا كما تبين في علم الكلام ثم اختلفوا بعد ذلك فذهب المعتزلة وبعض الشيعة
الى انها واجبة عقلا من جهة اللطف وذهب الاشعري واهل السنة الى القول بجوازها عقلا
ووقوعها عيانا وادلتهم مفصلة في كتب الكلام ولما كان كل خبر محتملا للصدق والكذب من حيث
هو قالوا الدليل على صدقه صلى الله عليه وسلم معجزته ولا يرد عليه قول المنكرين انما فعل
والفعل من حيث هو لا يدل على الاختصاص بشخص معين الا باقترانه لدعواه وللاقتران اسباب
اخر كما ان لخرق العادة احوالا مختلفة واذا احتملت الوجوه عقلا لم تثبت الدلالة لان القرينة
والتحدي دالان على بطلان هذه الاحتمالات وسبيل تعريف الله عباده صدق الرسالة
بالايات الخارقة للعادة كسبيل تعريفهم الاهيته بالايات الدالة عليها والتعريف يكون
بالقول تارة وبالفعل اخرى فالتعريف بالقول كقول الله للملايكة اني جاعل في الارض خليفة وبالفعل
كتعجيزهم عن معارضة ما علمه من الاسما وتعجيز الخلق عن معارضة القران المنزل على نبينا صلى الله
عليه وسلم ودلالة المعجزة على صدقه دلالة عقلية وهذا معنى ما قاله المص كما تقرر في علم
الكلام واما وقوعه اي وقوع خبره على خلاف ما هو عليه فيما طريقه البلاغ على جهة الغلط
في ذلك من غير تعمد وقصد منه بل بسهو ونحوه فبهذه السبيل اي طريق انتفايه كطريق انتفا العمد فيه
عنه فان الدليل الدال عليه دال على انتفا هذا ايضا الا ان الاول متفق عليه وهذا مختلف
فيه لكونهما على نهج واحد عند الاستاذ بضم الهمزة وسين مهملة ساكنة ومثناة فوقية
والف وذال معجمة وهي كلمة معربة معناه الرييس في علم او صناعة وتفصيله في كتابنا شفا الغليل
فيما في كلام العرب من الدخيل ابي اسحق الاسفرايني وهو ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن مهران واسفراين
بكسر الهمزة وفتح الفا بلدة بخراسان وهو امام جليل متبحر في علوم الدين كلاما وفروعا واصولا
توفي بنيسابور يوم عاشورا سنة ثمان عشرة واربعماية ومن قال بقوله واتبعه في هذه المسيلة
يعني ان المعجزة تدل على صدقه صلى الله عليه وسلم فيما قاله وانه لا يصدر عنه ما يخالف الواقع
لا قصدا ولا غلطا ولا سهوا بطريق معجزته صلى الله عليه وسلم كما دلت على نبوته دلت على
صدقه وهذا القول ارتضاه المص ومن جهة الاجماع الدال على انه لم يصدر عنه صلى الله

عليه وسلم الكذب لا قصدا ولا سهوا وهو معطوف على قوله هذه السبيل فقط اى الدال على
ذلك انما هو المعجزة والاجماع لا دليل عقلى غيرهما وورود الشرع بانتفاء ذلك اى انه ورد فى الايات
المتواترة والاحاديث الصحيحة ما يدل على ما ذكر من انه صلى الله عليه وسلم على هدى وانك
لتهدى الى صراط مستقيم وغير ما يدل عليه صريحا وتلويحا ومما يدل على ذلك ايضا عصمة
النبى صلى الله عليه وسلم وهى ملكة نفسانية تمنع عن النقايص والمعاصى والكلام بما يخالف
الواقع نقيصته تاباها العصمة وفى دلالة ذلك على عدم صدور السهو منه نظر لان مقتضى
المعجزة اسم مفعول اى ليس مما يدل عليه دلالة التزامية عقلية كدلالة اعتق عبدك عنى على
بعه لى وقوله نفسها اشارة الى ان للمعجزة دخلا فى ذلك عند القاضى ابى بكر الباقلانى بتشديد
اللام المالكى كما تقدم ومن وافقه على مذهبه وهذا مرتبط بقوله ومن جهة الاجماع اى هنا
والحاصل انه صادق فيما طريقه البلاغ والدال على صدقه معجزة عند الاسفراينى وعند الباقلانى
ورود الشرع بذلك واجماع الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم وسبب الاختلاف
ونتيجته ما اشار اليه بقوله لاختلاف وقع بينهم اى بين الاسفراينى واتباعه وبين الباقلانى
ومن وافقه فى مقتضى دليل المعجزة اى فى دلالتها على صدقه وانها بمنزلة قول الله انه صادق وامر
لا نطول بذكره فانه بحث طويل صعب المدرك فيخرج عن غرض هذا الكتاب الذى وضع لبيان
شرف قدر المصطفى صلى الله عليه وسلم من غير تطويل واطناب يمل من غير تعرض للمباحث
الكلامية فلنعتمد ما هو اصل مقصود كاف فيما قصدناه على ما وقع عليه اجماع المسلمين
من غير تعرض للدلالة لعقليته ومما اجمعوا عليه هو انه لا يجوز بتخفيف الواو وتشديدها عليه صلى الله
خلف فى القول اى ما يخالف الحق الواقع فى ابلاغ الشريعة اى فيما طريقه ذلك مما امر بتبليغه والاعلام
بما اخبر به عن ربه تعالى وبما اوحاه اليه من وحيه اليه نزل عليه الملك به بوجه من الوجوه
وفى حال من الاحوال لا على وجه العمد بان يتعمد الاخبار بخلاف الواقع ولا على غير عمد من خطا ونسيان
كما تقدم ولا فى حال الرضى والسخط بفتحتين او بضم فسكون وهى كراهة ذلك الامر المخبر به او فى حال
رضاه عمن خاطبه وسخط عليه والرضى يقابله كما فى حديث اللهم انى اعوذ برضاك من سخطك
ويكون فى مقابلة الجبر والاكراه كما فعله برضاه اى اختياره وارادته لا قهرا وجبرا وعلى الوجهين
يدور ان الله يرضى بالكفر لعباده ام لا كما وقع بين الماتريدية والاشعرية فى تفسير قوله ولا يرضى
لعباده الكفر هل المراد جميع عباده او خلصهم والاضافة تشريفية كما فصل فى محله والصحة والمرض
اى لا يقع ذلك منه صلى الله عليه وسلم فى صحته ولا فى حال مرضه ولاختلاف مزاجه الذى قد يشوش
الفكر مما يودى لمثله ثم ذكر دليلا على ما قاله من التشبه فقال وفى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص بن
وايل السهمى الصحابى المشهور رضى الله عنه وهذا الحديث رواه عنه الامام احمد وابو داود والحاكم
وصححه وفيه قلت يا رسول الله اكتب كلما اسمع منك قال نعم اى اكتب كلما سمعته منى قلت فى الرضى
والغضب اى فى حالتيك هاتين قال نعم اى اكتب ما تسمعه فى حال رضاى وغضبى فانى لا اقول فى ذلك
المذكور كله من حالتى الرضى والغضب الا حقا فلا يصدر عنه صلى الله عليه وسلم ما يخالف الواقع

لاعمدا

لاعمدا ولا غيره لعصمة الله له فى افعاله واقواله كلها واشار بذلك ليقظته او لرفعة محله فى الصدق
وفيه رد على من منع كتابة الحديث ونقله عن بعض الصحابة والتابعين وقال انهم كرهوه لحديث
لا تكتبوا عنى شيا غير القران ومن كتب عنى غيره فليمحه كما رواه مسلم والبخارى فى قصة ابى شاه
عام الفتح وقد اجيب عنه بانه منسوخ او انه مخصوص بعصره فى حياته صلى الله عليه وسلم
اما بعده فصارت واجبة او المراد النهى عن كتابة الحديث مع القران مخافة اختلاطه او المراد لا تكتبوا
عنى شيا كنت قلته ثم جا القران بما يخالفه واول ما دونت كتب الحديث فى زمن عمر ابن عبد العزيز
رحمه الله كما ذكره الطبرى فى كتاب مناقبه ولتزدن بالمعجمة من الزيادة وفى نسخة ولنزد فيما اشرنا
اليه فيما مضى قريبا من دليل المعجزة عليه اى دلالتها على ما ذكرنا بيانا مفعول تزد وهو توضيح وتاييد
لما قاله الاسفراينى فنقول تفصيل لهذه الزيادة اذا قامت المعجزة من اقامة الدليل اى دلت
على صدقه صلى الله عليه وسلم فى كل ما اخبر به عن الله وانه لا يقول الا حقا وصدق لنزاهته
عما سواه وعصمة الله له عما عداه فقوله ولا يبلغ عن الله الا صدقا تاكيد لما قبله وان المعجزة قائمة
مقام قول الله صدقت فى كل ما قلت لدلالتها على ذلك بطريق الاقتضا والاستلزام فصارت عبارة
عنه بطريق الكناية وفى نسخة صدق عبدى فيما تذكره ويخبر به عنى وهو يقول انى رسول الله الذى ارسله
اليكم لابلغكم ما ارسلت به اليكم مما اوحاه الله الى وامرنى بتبليغه وابين لكم ما نزل عليكم وفى نسخة
اليكم وتنزيله عليهم بواسطته صلى الله عليه وسلم والمراد بنزوله عليهم وصوله اليهم
ونزوله على نبى بين اظهرهم والنزول فى القران تارة ينسب الى النبى صلى الله عليه وسلم
وحده فيقال نزل وتارة الى الامة فالمراد بالاول مشافهة ملك الوحى له وبالثانى مطلق
الوصول والبلاغ او هو من قبيل بنوا فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم ودلالة المعجزة على صدقه
تقدم بيانها وظهورها على يد الكاذب ممتنع عقلا وعادة وقال الشهرستانى فى نهاية الاقدام
من اصطفاه الله لرسالته واجتباه لدعوته كساه ثوب جمال فى الفاظه واخلاقه واحواله
فيعجز الخلايق عن معارضة شئ من ذلك فتصير جميع حركاته معجزة لما دونهم من الحيوانات
وما ينطق عن الهوى اى ما يصدر عنه امر بمجرد هوى نفسه وتشهيه ان هو الا وحى يوحى اليه
وتقدم بيانه وبيان انها لا تدل على انه صلى الله عليه وسلم لا يجوز له الاجتهاد وقد جاءكم
الرسول بالحق من ربكم فلا يصدر عنه صلى الله عليه وسلم ما يخالف الواقع وما اتاكم الرسول
فخذوه اى تمسكوا به وما نهاكم عنه فانتهوا عنه ولا تقربوه لانه انما يامركم بما امره الله وانما
ينهاكم عما نهى الله عنه فان فسرت بما اعطاكم من الغنى فخذوه وما نهاكم عنه من الغنى فلا تاخذوه
فانه انما يعطى ويمنع بامر الله دل على ما ذكر ايضا بطريق الفحوى والقياس فلا يقال ان الاية لا تدل
على المراد على هذا التفسير فلا يصح ان يوجد منه صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب وهو ما طريقه
البلاغ عن الله خبر سمع منه او صح عنه بخلاف مخبره بضم اوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه
وتخفيفه اى لا يصدر خبر غير مطابق للواقع على اى وجه كان خبره الصادر عنه فلو جوزنا عليه
صلى الله عليه وسلم الغلط والسهو فيما بلغه عن الله وقد حماه الله عنه لما تميز لنا من غيره

اى ما تميز صوابه الواجب اتباعه عن غيره او خبر عن خبر غيره ولاجه فتلط الحق بالباطل ولم يتميز
احدهما عن الاخر فالمعجزة الخارقة للعادة المتحدى بها كما تقدم مشتملة على تصديقه اى ثبوت
صدقه فيما اخبر به عن ربه جملة واحدة اى فى جميع ما جاء به من جميع اخباره وما يبلغه عن الله من غير
خصوص اى تخصيص لامر دون امر بدليل يقوم على التخصيص فتنزيه النبى صلى الله عليه وسلم
وتبرئة ساحته فيما بلغه عن ربه عن ذلك اى عن ان يقع منه اخبار بما يخالف الواقع قصدا او غلطا
او سهوا واجب وقوعه واعتقاده برهانا اى بطريق البرهان القطعى العقلى المعلوم من المعجزة
والتحدى بها كما تقدم واجماعا من جميع اهل الملل الاسلامية وعلماء الدين كما قاله ابو اسحاق
الاسفراينى بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله صدق رسولى فيما قاله لا كما قاله الباقلانى
من انه بورود الشرع والاجماع لا البرهان العقلى كما عرفت تفصيله فصل متمم لما قبله
وقد توجهت اى صدرت ووقعت فى جهة من وهم وجهه اذا ارسله فى جهة فتوجه
ويكون توجه بمعنى اقبل وليس مرادا هاهنا اى فى هذا المبحث لبعض الطاعنين من الطعن وهو
الضرب برمح ونحوه فاستعير للدخل والاعتراض كما قال تعالى طعنوا فى دينكم سوالات
جمع سوال وهو طلب امر من الامور فقد يكون للتعلم ونحوه مما يحمد وقد يكون تعنتا منهيا عنه
وطلبا لامر منهى عنه كما قال تعالى لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسوكم منها ما روى من ان النبى
صلى الله عليه وسلم كما رواه ابن جرير وابن المنذر وابن ابى حاتم عن سعيد بن جبير بسند فيه
ما سيأتى لما قرا فى صلاته سورة والنجم وقال اى بلغ فى قرائته الى قوله افرايتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى واللات صنم كان لقريش ولثقيف والعزى تانيث الاعز وهى سمرة
كانت لغطفان تعبدها ومناة صخرة كانت لخزاعة وهذيل يعبدانها والثالثة الاخرى بمعنى
المتاخرة لضعتها ومقدارها صفتان لمناة وامرهنّ مبيّن فى التفاسير غنى عن البيان قال قايل
سمع ما قاله عند تلاوته صلى الله عليه وسلم كما سنبينه تلك المذكورة من اللات وما بعدها
الغرانيق العلى جمع غرنوق بضم المعجمة والنون وبكسرها وفتح النون او غرنيق بضمها وفتح النون
وهى طير من طيور الماء كبير طويل العنق ابيض واصله الشاب الناعم استعير للاصنام والعلى
تجريد لزعمهم انها ترتفع للسماء وان شفاعتهن لترتجى اى تؤمل وتنتظر ويروى لترضى اى تقبل عند الله
بزعمهم الفارغ وفى رواية وان شفاعتها لترتجى وانها لمع الغرانيق العلى يعنون الملايكة وفى رواية
اخرى والغرانقة العلى تلك للشفاعة ترتجى ومعانيها متقاربة فلما ختم اى اتم صلى الله عليه
وسلم قراة هذه السورة سجد صلى الله عليه وسلم وسجد معه المسلمون ممن كان
حاضرا عنده من الصحابة رضى الله عنهم والكفار الحاضرون عنده ايضا لما سمعوه اثنى على
الهتهم بقوله المتقدم تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وما وقع فى بعض الروايات لهذه
القصة ان الشيطان القاها اى هذه الكلمات على لسانه فسبق لسانه بها سهوا منه ثم تنبه
او نبهه جبريل لها وكان ذلك ابتلاء من الله ليعلم من ثبت على ذلك او تزلزل وان النبى صلى الله عليه
وسلم كان لحرصه على ايمان قومه تمنى ان لو نزل عليه شئ مما يوحى اليه يقارب بينه وبين قومه

اى تقربهم

اى تقربهم من الاسلام حتى يتركوا عنادهم وفى رواية اخرى لهذه القصة انه صلى الله عليه وسلم
كان تمنى الا ينزل عليه شئ ينفرهم عنه من الطعن فيهم وفى الهتهم ولم يزل كذلك حتى نزلت عليه
سورة النجم وهذه الرواية والتى قبلها بمعنى فان عدم التنفير عنه والقرب بينه وبين قومه متساويان
وذكر صاحب هذه الرواية وناقلها هذه القصة اى قرائته صلى الله عليه وسلم سورة النجم
وسجوده وسجود المسلمين والكفار معه وان جبريل جاءه عليه الصلاة والسلام بالوحى
فعرض عليه اى قرا عليه هذه السورة وفاعل عرض ضمير النبى صلى الله عليه وسلم فلما
بلغ اى وصل فى قرائته هاتين الكلمتين يعنى تلك الغرانيق العلى الخ قال له اى قال جبريل له
صلى الله عليه وسلم ما جيتك من الله بوحى فيه هاتين الكلمتين يعنى تلك الغرانيق العلى
وفى نسخة الايتين فحزن اى رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وفى نسخة فحزن لذلك
النبى صلى الله عليه وسلم اى لما قاله جبريل له فانزل الله لما راى حزنه صلى الله عليه وسلم
تسلية له صلى الله عليه وسلم والتسلية اذهاب حزنه بتطييب خاطره قوله وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبى الاية تقدم فى تفسير هذه الاية ما فيه كفاية وفى رواية ان النبى
صلى الله عليه وسلم تمنى ان يوحى اليه ما يقرب قريشا منه ويستعطفهم فلما نزلت هذه السورة
وقراها الى قوله ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان عليه تلك الغرانيق العلى الخ فتكلم بها ثم
مضى فى قرائتها حتى ختمها وسجد فسجد معه من سمعه من المسلمين والمشركين رضا بما قاله لظنهم
انه رضى بالهتهم فلما امسى اتاه جبريل عليهما الصلاة والسلام فعرضها عليه حتى بلغ قوله
تلك الغرانيق العلى فقال له ما جيتك بهذا وهذا لم يقله الله فما زال صلى الله عليه وسلم محزونا
حتى نزل عليه قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الاية فطابت نفسه لتسلية الله له فيها
باخباره ان كل نبى ورسول له وقع له مثل ذلك من القاء الشيطان فى الوحى وتلاوته فى اثنائه
ثم بين له ذلك وفسخه الله فكانه قال له لك اسوة بمن سبقك من الرسل والانبياء وانزل
عليه صلى الله عليه وسلم تسلية له ايضا وان كادوا ليفتنونك الاية اى قوله عن الذى
اوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن
اليهم شيئا قليلا وان مخففة من الثقيلة اى قاربوا ان يخدعوك عما اوحيناه اليك حتى تقول
ما لم تقله مما ارادته قريش وحتى تركن الى بعض الكفرة لتستميل قلوبهم للاسلام فبين الله لك
ذلك وثبتك على الحق واغناك عن المداراة كما فسره المفسرون وبين فى اسباب النزول اذا عرفت
ما ذكر واردت كشف غطايه عنك فاعلم اكرمك الله بما علمك وهداك لدفعه ان لنا فى الكلام
على مشكل هذا الحديث الذى اورده عليه بعض الطاعنين كما تقدم ماخذين اى طريقين فى الاخذ
على الكلام فيه نقلا وعقلا من اخذ عليه اذا منعه عما يريد فعله حتى كانه امسك يده من تعقبت
واعتمد عليه ممن رايه احدهما فى توهين اصله اى تضعيف روايته ونقله من الوهن وهو
الضعف وجعل ثبوته اصلا للسوال والجواب المبنى عليه واصل الوهن ضعف الخلقة
كقوله وهن العظم منى والثانى مبنى على تسليمه وصحة روايته تنزلا وارخا للعنان لمن اورده

اما الماخذ الاول فى الكلام على صحة روايته فيكفيك فى تضعيف روايته ان هذا حديث لم يخرجه بالتشديد والتخفيف اى لم يروه بسنده احد من العلما بالحديث اهل الصحة ممن يعتمد على روايته واتى باسم الاشارة مكان الضمير لتمييزه اكمل تمييز لقرب العهد به ولا رواه ثقة ممن يوثق بنقله بسند سليم اى سالم من الطعن والعلة والجرح من نقاد السلف متصل الى قايله ومن نقل عنه وانما اولع به بضم الهمزة وكسر اللام وعين مهملة يقال ولع بكذا فهو مولع بالفتح اذا لهج واكثر من ذكره ويكون بمعنى الكذب وعبره لايهام ذلك وبمثله من الاحاديث الموهمة لما يليق بالرسل عليهم الصلاة والسلام المفسرون فانهم يوردون كثيرا من الاحاديث الضعيفة الموهمة لما يليق بمقام النبوة والمورخون بالهمزة وقد تبدل واوا اهل التاريخ نقلة الاخبار واختلف فى لفظ التاريخ فقيل انه من الارخ وهو الفتى من البقر وقيل انه معرب ماه روز اى حساب الشهور والايام واول من ارخ الكتب عمر بن الخطاب كما فصلناه فى غير هذا المحل المولعون اى المفسرون جمع مولع بفتح اللام وهو المكثر من الشئ بكل غريب من الاخبار والقصص التى لم تشتهر وتعرف المتلقفون بالمثناة الفوقية بعدها لام وقاف وفا وفى نسخة المتلقون بحذف الفا يقال تلقفه اذا تناوله بسرعة وتلقاه اذا اخذه من غيره والتلقى تفعل من اللقا وهو المقابلة من الصحف كل صحيح لفظه ومعناه وسقيم لفظه كالمحرف لفظه ومعناه كالمفسر بغير المراد والصحف جمع صحيفة والاخذ من الصحف غير مقبول عند السلف لانه قد يحرف لفظه ويخفى معناه او يفهم منه غير المراد والمقبول التلقى من افواه الرجال واعلم ان ابن سيد الناس قال بلغنى عن الحافظ المنذرى انه كان يرد هذا الحديث من جهة الرواية بالكلية وان الحافظ الدمياطى خالفه فيه ولا وجه لتصحيحه الا ان يثبت بسند لا مطعن فيه ولا سبيل لذلك انتهى وفى سيرة مغلطاى ان الشيطان القاه فى امنيته كما ذكره الكلبى عن باذان عن ابن عباس رضى الله عنهما وقد قالوا انه باطل نقلا وعقلا وسياتى ما فى سنده ولقد صدق القاضى ابو بكر بن العلا المالكى وفى نسخة حذف ابو وتقدمت ترجمته وهو المشهور بابن العربى حيث قال لقد بلى الناس بالبنا للمجهول من الابتلا وهو الامتحان اى صار لهم بلية ومحنة اى اصيب الناس ببعض بعين مهملة وضاد معجمة مقابل كل وهو ما صح فى بعض النسخ وفى بعضها ببعض معجمة ثم ضاد معجمة وفى نسخة بتقضى بباء جارة ومثناة فوقية وقاف مفتوحة وصاد مهملة مشددة مكسورة ومثناة مخففة من تقصيته اذا اتممته تماما كما قال ابو تمام يا صاحبى تقصيا نظريكما كانه بلغ اقصاه واصله تقصص تفعل من قص عليه الخبر فابدل احد حروف التضعيف حرف علة كما قالوا تمطى فى تمطط ونظايره اهل الاهوا بالمد اى اصحاب الارا الفاسدة والمذاهب الباطلة والتفسير اى بعض المفسرين الذين يذكرون فى تفاسيرهم قصصا لا اصل لها يبنون عليها تاويلات بعيدة وامورا غريبة وتعلق بذلك اى بما ذكر من كلام اهل الاهوا وبدع التفاسير لا بحديث سورة النجم بخصوصه كما قيل الملحدون

جمع ملحد من اللحد وهو العدول عن الاستقامة فيطلق على كل من لم تكن عقيدته حقا مع ضعف بعض نقلته بفتحات جمع ناقل كفاسق وفسقة يعنى به رواته او من ذكره فى كتابه فيكون اشارة لمن ابتلى به من الاهل الاهوا السابقين ونحوهم من المفسرين والقصاص واضطراب رواياته الاضطراب فى اصطلاح المحدثين ان يقع من الراوى اختلاف فى روايته فيرويه تارة على وجه واخرى على وجه اخر وهكذا او يرويه راو على وجوه مختلفة بشرط ان لا يكون بعض طرقه ارجح من بعض فان العمل حينئذ بالارجح فلا يعد مضطربا عندهم ومن فسر الاضطراب بعدم عزوه الى مامون لم يصب وانقطاع اسناده الاسناد يكون بمعنى المسند وهم رواة الحديث وبمعنى مصدرى وهو ذكر السند وانقطاعه هو ان يسقط منه واحد فاكثر غير الصحابى وضده الاتصال وقوله واختلاف كلماته هو قريب من الاضطراب ثم بين ذلك بقوله فقايل يقول انه اى ما ذكر وقع فى الصلاة او الضمير له صلى الله عليه وسلم والتقدير قراها فى الصلاة واخر يقول انه قالها فى نادى قومه حين انزلت عليه السورة اى سورة النجم والنادى والندى مجلس يجتمع فيه القوم للمشاورة وفصل الامور المهمة ولذا سميت دار قصى دار الندوة كما مر واخر يقول انه قالها اى الكلمات المذكورة وقد اصابته سنة اى وقد عرض له اوايل النوم من غير قصد منه فالسنة بكسر السين اول النوم وهو النعاس وقيل السنة ثقل فى الراس والنعاس فى العين والنوم فى القلب فهو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع الادراك واخر يقول بل حدث بتشديد الدال نفسه فى سنته فخطرت بباله وحديث النفس ما يجرى على فكره من غير تلفظ به حتى كانه يحادثها فنسى اى حصل له سهو حتى تكلم بها فى اثنا قراته سورة النجم واخر يقول ان الشيطان قالها يعنى الكلمات المذكورة على لسانه صلى الله عليه وسلم اى تكلم بها الشيطان وهو لا يرى فظنها وحيا القى عليه وسمعها من كان عنده فتوهم انه صلى الله عليه وسلم نطق بها عن قصد وانها من القران حقيقة وان النبى صلى الله عليه وسلم لما عرضها وقراها على جبريل قال له ما هكذا اقراتك فحزن لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كما مر واخر يقول ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يقراها بل علمهم الشيطان ان النبى صلى الله عليه وسلم قراها اى قرا الكلمات المذكورة فى اثنا تلاوته سورة النجم وعرضها على جبريل فلما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم ذلك اى وصل لقراة هذه الكلمات التى علمهم الشيطان بها قال جبريل عليه الصلاة والسلام والله ما هكذا نزلت هذه السورة الى غير ذلك من الاقوال المؤذنة بان الشيطان له دخل فى ذلك مع انه ليس له سلطان على الذين امنوا وهذا كله صدر من اختلاف الرواة ومن حكيت هذه الحكاية عنه كابن جرير وابن المنذر وابن ابى حاتم من المفسرين والتابعين كالزهرى وابى بكر بن عبد الرحمن بن هشام وسعيد بن جبير لم يسندها احد منهم اى لم يذكر لها سندا مرضيا احد ممن حكيت عنه ولا رفعها الى صاحب اى الى صحابى من اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم قالها وقيل المعنى لم يعزها

لصاحب قد قالها واكثر الطرق التي رويت منها عنهم فيها اي في هذه القصة واهيته ساقطة
ضعيفة غير مرضيه لا يعول عليها والمرفوع فيه اي ما رفع فيه ذكر من روى هذه القصة
وفي نسخة منه حديث شعبة بن الحجاج الذي رواه عن ابي بشر بكسر البا الموحدة وسكون
الشين المعجمة وهو جعفر بن ابي وحشية اياس التابعي الثقة توفي سنة خمس وعشرين
ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة وله ترجمة في الميزان عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس رضي الله عنهما قال فيما احسب اي اظن ومثله يستعمل للشك فيما قاله ثم بين المص
ما وقع فيه من الشك من الراوي بقوله فيما احسب فقال الشك المذكور في الحديث اي في
متنه واصله لا في سنده والحديث هو حديث شعبة المذكور ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان بمكة وان المفتوحة وما بعدها بدل من الحديث وذكر شعبة القصة المذكورة في هذا الحديث
بتمامها وانه صلى الله عليه وسلم يتمنى ان ينزل عليه ما يطيب بقوس قومه عيس ان يؤمنوا
فنزل عليه سورة النجم فقراها حتى بلغ افرايتم اللات والعزى الاية فقال تلك الغرانيق العلا
الى اخر السورة وسجد فسجد معه المسلمون والمشركون وفرح الكفار قال ابو بكر البزاره
بتقديم الزاي المعجمة على الرا المهملة نسبة لعمل بزر الكتان بلغة البغداديين وهو الحافظ
المشهور كما تقدم هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد متصل
الى احد من الصحابة الذين حضروا عنده او اليه صلى الله عليه وسلم يجوز ذكره لصحة
نقله والاعتماد عليه الا هذا الحديث المسند الى ابن عباس ولم يسنده اي لم ينقله مسندا
عن شعبة الا امية بن خالد وهو ثقة اخرج له مسلم وغيره وتوفي سنة احدى وثمانين
وترجمته في الميزان وغيره اي غير امية بن خالد ممن يروى هذا الحديث يرسله اي يرويه
مرسلا والمرسل ما سقط من سنده الصحابي فهو يرويه عن سعيد بن جبير عن النبي صلى الله
من غير ذكر ابن عباس وظاهر كلام المص ان السند بتمامه مذكور غير الصحابي فان اراد انه
لم يعزه لغير ابن جبير واسقط رجاله كلهم فهو معضل والمحدثون يعبرون عنه بانه ارسل
او يرسل بصيغة الفعل ويفرقون بينه وبين المرسل بالاسم وتفصيله في كتاب ابن الصلاح
وغيره وانما يعرف هذا الحديث وروايته عن الكلبي نسبة لكلب قبيلة معروفة وهو ابو
النصر المفسر النسابة الاخباري الراوي المشهور وسياتي كلام المص فيه والكلبي يرويه
عن ابي صالح وهو باذان بنون او باذام بميم وهو يروى عن مولاته ام هاني وعلي كرم الله
وجهه وروى عنه السدي وغيره اخرج له اصحاب السنن الاربعة وقال ابو حاتم انه
لا يحتج به عن ابن عباس وهو لم يسمع منه فالحديث منقطع فقد بين لك ايها الواقف
على هذا الحديث ابو بكر البزار المذكور انه اي هذا الحديث لا يعرف روايته من طريق يجوز
ذكره اي يصح ويعتمد عليه سوى هذا الطريق الذي رواه شعبة منه لسند يعتمد عليه
في الجملة وفيه اي حديث شعبة ايضا من الضعف ما نبه عليه البزار وغيره من انه لا يعرف
من طريق غيره مع اختلاف كلماته واضطراب رواياته وانقطاع سنده او ارساله

والاختلاف في مواطن قراءته وكيفيته اكان في الصلاة او في نادي قومه او في سنة او حدث به
نفسه فسهى وذكره او قاله الشيطان على لسانه او اعلمهم به وانكار جبريل له عند عرضه
عليه كما مر مع وقوع الشك فيه الذي اشار اليه بقوله المار فيما احسب كما ذكرناه
فيما تقدم الذي لا يوثق به صفة الشك كقوله ولا حقيقة معه اي يتحقق ويتيقن مع ما فيه
من تشكيكه في اصله كما اشار اليه البزار واما حديث الكلبي اي روايته هذا الحديث
وغيره فمما لا يجوز شرعا ولا يصح نقلا الرواية عنه ولا ذكره هذا بحسب الظاهر غير منتظم
اذ الظاهر ان يقول اما حديثه فمما لا يجوز ذكره او الكلبي لا تجوز الرواية عنه فاما ان يكون
هو لف ونشر تقديري واصله اما الكلبي وحديثه كقولهم راكب الناقة طلحان اي الناقة
وراكبها او هو من قبيل قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن على قول الفرا
واطلق ما فيه على من يعقل وكذا قوله لقوة ضعفه وكذبه اي كثرة كذبه وفي قوله لقوة
ضعفه طباق بديع جدا كما اشار اليه البزار رحمه الله فانه وغيره من المحدثين قالوا
انه كذاب وضاع لا يوثق به وان كان اماما في اللغة والتفسير وقد قال الجوزجاني
وابن معين وغيرهما انه يضع الاحاديث وكذاب لا يحتج به وروى عن ابي صالح عن ابن
عباس وابو صالح لم يروعن ابن عباس وقال ابن حبان انه في الدين غير مبين وكذبه
اظهر من ان يذكر ولم يسمع من ابي صالح ايضا هذا اي الامر هذا هو ما قاله فهو خبر مبتدا
مقدرا ومبتدا خبره ما بعده او منصوب بتقدير خذ هذا فاعلمه ونحوه واما كونها
اسم فعل بمعنى خذ وذا مفعوله وان جاز فيا باه رسمه متصلا بدون الف توهينه اي
بيان وجه ضعفه من جهة طريق النقل ومنه الواهنة وهي ضرب ان عرق تيا لم ينه
فيرتي وقد قال الحافظ ابن حجر قول ابي بكر بن العربي ان طرق هذا الحديث كلها باطلة
وقول عياض في الشفا انه لم يخرجه احد من اهل الصحة وليس له سند متصل مع
ضعف نقلته واضطراب رواياته وان من نقله من المفسرين وغيرهم لم يسنده احد
منهم ولا رفعه لصاحب لا وجه له فان له طرقا متعددة كثيرة متباعدة المخارج
وكل ذلك يدل على ان له اصلا وقد ذكرنا له ثلاث اسانيد منها ما هو على شرط
الصحيح وهي وان كانت مراسيل يحتج بها من يحتج بالمرسل كمالك ومن لا يحتج به لاعتضاد
بعضها ببعض فتبين بهذا ان مبالغة المص في رد نقله غير مرضيه والذي صح وثبت
منه اي من هذا الحديث في الصحيح اي في الحديث الصحيح او في صحيح البخاري على ما ياتي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا سورة النجم وهو بمكة قبل الهجرة فسجد وسجد معه
المسلمون والمشركون والجن والانس قال الكرماني هي اول سورة نزلت فيها سجدة وانما
سجد المشركون لا لهتهم معارضة للمسلمين او وقع ذلك منهم بلا قصد او خافوا من
مخالفتهم في ذلك المجلس وقال ابن حجر فيه نظر لمخالفته لما قاله ابن مسعود من انهم
اخذوا حصا وضعوه على جباههم ولان خوف المشركين لا يظهر له وجه بل الظاهر

العكس ثم قال الكرماني ايضا ما قيل من ان سبب ذلك القا الشيطان في اثنا قراته
صلى الله عليه وسلم ذكر الهتهم لا يتجه عقلا ونقلا واما سجود الجن المروي عن
ابن عباس رضي الله عنهما فكانه استند فيه الى سماع منه صلى الله عليه وسلم
لانه لم يحضر لقصته لصغر سنه ومثله لا يطلع عليه وكشف ذلك له بعيد
والصحيح ان الشيطان لقى ما القاه في اسماع المشركين فتوهموا انه صلى الله
عليه وسلم قاله مدحا لالهتهم وارتضاها فسجدوا معه وهو لا ينافي عصمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يخفى ان هذا الحديث اخرجه الشيخان ففي
البخاري مسندا انه صلى الله عليه وسلم قرا سورة النجم بمكة فسجد وسجد من معه
غير شيخ اخذ حصى وترابا ووضعه على جبهته فقتل كافرا وفيه عن ابن عباس رضي الله
عنهما انه صلى الله عليه وسلم سجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن
والانس والشيخ الذي وضع الحصا على جبهته امية بن خلف وفي سيرة ابن اسحاق
انه الوليد بن المغيرة وفيه نظر لانه مات حتف انفه وقيل انه سعيد بن العاص وقال
ابو حيان النحوي انه ابو لهب ولم يسنده وفي مصنف ابن ابي شيبة الا رجلين من قريش
وقيل انه المطلب بن المطلب بن ابي وداعة ولم يكن اسلم وما قاله الطبراني من ان اهل
مكة لما اظهر النبي صلى الله عليه وسلم دينه اسلموا وكانوا يسجدون معه وبعضهم
لا يسجد من الزحام فلما سمع ذلك روسا قريش كالوليد وابي جهل وغيرهما قالوا لهم
اتتركون دين ابايكم فارتدوا اغرب هذا هينه من جهة النقل فاما توهينه من جهة المعنى
فقد قامت الحجة اي الدليل الواضح على ضعفه واجمعت الامة على عصمته صلى الله
عليه وسلم ونزاهته عما لا يليق بجنابه عن مثل هذه الرذيلة اي الخصلة القبيحة
الدنية من الرذالة وهي الدناة والتقول على الله بما لم يقله ولا شي اعظم من الافترا
لا سيما على الله عز وجل ونحوه ثم بين ما فيه من القبايح فقال اما من تمنيه بكسر الهمزة
وتشديد الميم ما نقل كما قران ينزل بالتخفيف والتشديد في الزاي المعجمة مثل هذا
المذكور من مدح الهة غير الله بقوله تلك الغرانيق الخ وهو كفر لان الرضا بالكفر كفر
وان يتسور اي يتسلط عليه الشيطان واصل التسور التسلق والصعود من حايط
السور فكني به عن الترفع واريد به هنا التسلط كما علم ويشبه عليه القران
اي يلبسه ويخلط فيه ما ليس منه حتى يجعل فيه ما ليس منه وهو الكلمات
المذكورة ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم ان من القران ما اي شي ليس منه
ويستمر على اعتقاده حتى ينبهه اي يوقظه من غفلته عما شبه عليه جبريل عليهما
الصلاة والسلام بقوله ليس هذا من الوحي الذي اتيت به اليك وذلك كله
ممتنع في حقه عليه الصلاة والسلام لنزاهته عن مثله وحفظ الله له او يقول
ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل بكسر القاف وفتح البا الموحدة اي من عند

عمدا
نفسه

نفسه عمدا اي من غير القا الشيطان عليه وهو لا ينطق عن الهوى وذلك اي ما يقوله
من عنده كفر لانه افترا عليه وتبديل لكلام الله بالزيادة فيه او سهوا حفظه الله منه
وهو معصوم عن هذا كله بالاجماع كما تقدم وقد قررنا فيما تقدم بالبرهان والدليل
القاطع والاجماع من امته الاجابة عصمته عليه الصلاة والسلام من جريان
الكفر اي طريانه ووقوعه منه على قلبه باعتقاده او لسانه بالنطق به لا عمدا ولا سهوا
فضلا عن استقراره فان الجريان عبارة عن صدوره منه من غير ثبات كانه ما
جار فهو استعارة لما ذكر او ان يقشعه اي يختلط ويلتبس عليه ما يلقيه الملك من وحي الله
اليه بما يلقيه الشيطان على لسانه محاكيا نطقه به او يكون للشيطان عليه سبيل
اي طريق يصل اليه منه مما حماه الله عنه او ان يتقول على الله اي يفتري عليه عمدا ما لم
يوحه اليه ويقول انه اوحي اليه لا عمدا ولا سهوا تاكيدا لما افاده ما قبله من نفي التقول
على الله ما لم ينزل عليه مفعول مطلق لقوله يتقول لانه لا ينصب المفردات الا اذا
اريد بها لفظها وليس بمعنى الظن لعدم ذكر مفعوليه وقد قال تعالى ولو تقول علينا
بعض الاقاويل الاية تقول تكلف من نفسه قولا لم يقله كتشجع اذا اظهر الشجاعة
وهو جبان فكني به عن الافترا والكذب والاقاويل جمع اقوال فهو جمع الجمع
او جمع اقوولة افعولة وهو يستعمل للتحقير كالاضاحيك الاول هو الذي صرح به
سيبويه رحمه الله فمن اختار الثاني فقد رجح المرجوح وتمامها لاخذنا منه باليمين
ثم لقطعنا منه الوتين اي لامسكناه واهلكناه كما نفعل بمن افترى علينا والوتين
عرق في العنق اذا قطع مات صاحبه وهو الوريد وقطعه عبارة عن الذبح وفيه
دليل على ان الكذب على الله كفر وانه لا يقول على الله ما لم يقله وقال تعالى لقد كدت
تركن اليهم شيا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الاية اي
لو قربت من الميل الى الكفرة وضعف صفة لمقدر اي لاوصلنا لك عذابا مضاعفا
في مماتك يعني به عذاب القبر وفي حياتك بعد البعث في الاخرة والاية دليل على
عدم تمنيه السابق وانه معصوم من مقاربة شي من ذلك والاية نزلت في ثقيف
لما قالوا له صلى الله عليه وسلم لا نتبعك حتى تخصنا بخصال نفخر بها على العرب
لا نعشر ولا نحشر ولا نجني في صلاتنا ونضع عنا الزنا وتمتعنا باللات سنة
وتحرم وادينا كمكة وتقول للعرب ان الله امرني بهذا فانزل الله عليه هذه الاية
ووجه ثان في توهين ما ذكر من انه صلى الله عليه وسلم ذكر قوله تلك الغرانيق
العلا الخ في اثنا قراة هذه السورة وهو اي الوجه الثاني استحالة هذه القصة
اي عدها من المحال عقلا ومما لا يستقيم لان اصل معناه لغة ما لا يستقيم مما
اعوج ومن لم يعرف اللغة يعترض على المتنبي قوله كانك مستقيم في محال كما
والمراد بالقصة صدور ما ذكر منه بتسليط الشيطان عليه نظرا اي من جهة

النظر والفكر الصادر عن عقل مستقيم في عصمة رسل الله عليهم الصلاة والسلام
فيما طريقه البلاغ واستحالتها عرفا اي من جهة ما عرف من احواله واحوال غيره من الانبيا
اي اجراء متعارفا ومن فصل الحرف بتاليف كلامه وتناسب الفاظه فقد ارتكب شططا
وكانه نظر لقوله عقبه وذلك ان هذا الكلام الذي تلاه مع ما القي فيه من قوله
تلك الغرانيق الخ لو كان كما روي لكان ما روي بعيد الالتيام بعين بعد المثناة الفوقية
وقد تبدل ياء تحتية والمراد به ان مناسبته لما وقع فيه من كلام الله الذي هو في اعلا
طبقات البلاغة في غاية البعد وهو مع كونه وقع في كلام رب العزة متناقض الاقسام
متنافر النظم لما فيه من التضاد من حيث انه يصير ممتزج المدح لالهتهم بجعلها
علية مرجو الشفاعة بالذم لها الذي دل عليه سياقه في قوله ان هي الا اسماء سميتموها
انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان وانها ليس لها عند الله شان ولا منزلة
وهذا ايضا فيه نقض علو منزلتها ورجا شفاعتها ويصير الكلام القراني بذكرها في اثنا
متخاذل التاليف اي متنافي النظم غير متلايم فكان بعضه يخذل بعضا ويكر عليه
هدما ونقضا والنظم معناه في الاصل ادخال الدرر ونحوها في سلك متناسب
الوضع والمقدار فاستعير لتاليف الكلمات متناسبة المعاني متناسقة الدلالات
ثم صار حقيقة فيه وغلب استعماله في التراكيب القرانية حتى ينصرف اليه عند
الاطلاق ولما بكسر اللام وتخفيف الميم وقيل انه بفتح اللام وما موصولة كان
النبي صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته معطوف على النبي من المسلمين بيان لمن الموصولة
والحضرة مصدر بمعنى الحضور مثلث الحا ويطلق على كل كبير يحضر عنده الناس
فيقال الحضرة العالية وهو اصطلاح اصحاب الترسل ويصح ارادة كل منهما
هنا والاول اولى وصناديد المشركين جمع صنديد وهو كقنديل بزنته وزبرج السيد
الشجاع والحليم والجواد والشريف والمراد خواص روسايهم وكبرايهم ممن يخفى عليه
ذلك لكونهم بلغا اصحاب سليقة مستقيمة والسنة فصيحة بليغة وهذا
المذكور امر لا يخفى على ادنى متامل يتامل الفاظ القران التي هي في اعلا طبقات
البلاغة وما ادرج فيه مما بينه وبينه بون بعيد فكيف بمن رجح حلمه بضم الحا
المهملة وسكون اللام بمعنى لبه وعقله ورجحانه زيادته وقوته وكيف مستعار
لاستبعاد خفا مثله على مثله كقوله كيف تكفرون بالله كما تقرر في كتب العربية
يقال حلم يحلم حلما وحلما واتسع اي عظم وكثر في باب البيان اي في نوع المنطق الفصيح
المعرب عما في الضمير وفي معرفة فصيح الكلام علمه لقوة فهمه وذكائه واستقامة
سليقته مع فطنته وقادة وبصيرة نقادة ووجه ثالث لبيان توهينه وضعفه
انه الضمير ضمير شان قد علم ببناء المجهول من عادة المنافقين الذين لم يظهروا
كفرهم ومعاندي المشركين اي المشركين المعاندين فهو من اضافة الصفة للموصوف

وضعفة القلوب بفتحات جمع ضعيف اي الذين قلوبهم ضعيفة عن ادراك الحق لانهم
بلة لا اذعان لهم والمراد بهم الكفار غير المعاندين ممن اشرك اتباعا لغيره او المراد بهم الجهلة
من المسلمين فهو عطف تفسير عليه نفورهم نايب فاعل علم لاول وهلة اي عند
اول شي يقع في اذانهم واذهانهم يقال لقيته لاول وهلة بوزن ضربة ويجوز فتح هايه
اي اول شي كما في القاموس اي قبل التفكر والتامل فيما قرع سمعه حتى يهتدي لانه
ليس متسقا منتظما مع ما وقع في اثنايه من نظم القران وتخليط العدو من الكفرة
والمنافقين على النبي صلى الله عليه وسلم بادخالهم في كلامه ما لم يقله لاقل فتنة
يفتتن بها المسلمون لادخالهم الشماتة عليهم في دينهم وتعييرهم بعين مهملة وتحتية
اي الحاقهم ما هو عار عليهم باتباع المسلمين الهوى ومدح الهة غير الله والشمات بهم
بضم الشين المعجمة وتشديد الميم جمع شامت ككفار وكفار من الشماتة وهي فرح
العدو بما يصيب عدوه من نوايب الدهر وفي نسخة والشماتة بهم الفينة بعد الفينة
بفتح الفا وسكون المثناة التحتية ونون تليها ها تانيث اي حينا بعد حين مما امتحنهم الله
من المصايب تعظيما لاجرهم بما امتحنهم به من ذلك قال في القاموس الفينة الساعة
والحين وقد تحذف اللام فيقال لقيته فينة يعني انه استعمل علما وغير علم
كشعوب للمنية وارتداد من في قلبه مرض اي من ضعف ايمانه او من نافق وسمع ما ذكر
فيرجع عن الاسلام الى الكفر ممن اظهر الاسلام بلسانه ولم يذق حلاوته فيرتد
لادنى شبهة ترد عليه لضعف ايمانه وايقانه ولم يحك احد اي لم ينقل احد من المحدثين
او احد ممن عاداه صلى الله عليه وسلم في هذه القصة اي قصة تلك الغرانيق شيئا
سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل رواية ودراية لركاكتها وتناقضها كما تقدم
ولو كان اي وقع وصح ذلك الذي ذكره بعضهم لوجدت قريش اي كفارهم بها اي
بسبب هذه القصة على المسلمين الصولة اي الاستطالة والقهر ولتسلقوا بذلك
على ترويج امرهم وما هم عليه ولاقامت بها اليهود عليهم الحجة اي على المسلمين بانه
مدح الهتهم واعترف بانها وسيلة الى الله كما فعلوا اي كفار قريش مكابرة وعنادا
في قصة الاسرا حين قصها عليهم كما تقدم حتى كانت في ذلك لبعض الضعفا اي
من ضعف ايمانه لقرب عهده ردة ورجوع عن الاسلام لانكاره واستبعاده لها
وكذلك اي مثل ما ذكر او مثل قصة الاسرا ما ورد في قصة القضية بقاف وضاد
معجمة ويا مشددة وهي مصدر بمعنى القضا والتقاضي واسم للواقعة التي وقع
فيها القضا بينهم بما وقع في صلح الحديبية لما راى صلى الله عليه وسلم انه دخل
هو واصحابه مكة فسار اليها ثم رجع الى المدينة في الواقعة التي قصها الله تعالى
في قوله وما جعلنا الرويا التي اريناك الا فتنة للناس كما تقدم وهذه القضية
مذكورة في الصحيحين وقد وقع بسببها فتنة للمسلمين لما صد وهم عن دخول مكة

وصالحهم صلى الله عليه وسلم على ان يرجع ويأتي من العام لقابل وكتب لهم بذلك كتابا
شرط فيه شروطا فيها على المسلمين شطط حتى قال عمر يا رسول الله الست رسول الله
حقا قال بلى قال السنا على الحق وهم على الباطل قال بلى قال فلم نعط الدنية في ديننا
وانما قاله ليقف على الحكمة في ذلك لا لشك فيه كما توهم بعضهم والكلام عليه
منفصل في السير وشروح البخاري ولا فتنة اعظم من هذه البلية التي وقعت
بسبب ماذكر لو وجدت اي لو وقعت وصحت لما يترتب على ذلك من صولة الكفرة
وشماتتهم وغير مما ذكر انفا ولا تشغيب بشين وغين معجمتين ومثناة تحتية وبا موحدة
من الشغب وهو تهييج الشر والفتنة للمعادي حينئذ اشد من هذه الحادثة المعلومة
مما ذكر لو امكنت ووقوعا فان قلت لم قال في الفتنة لو وجدت وفي الحادثة لو امكنت
ومجرد الامكان لا يقتضي شرا وفتنة قلت الاول ظاهر لترتب الفتنة على وجود ما ذكر
واما الثاني فعبر بالامكان مبالغة لان نفيه ابلغ من نفي الوجود لعدم ووقوعه محالا لما
علم من الكلام في عصمته من عدم تسلط الشيطان عليه فما روي عن معاند من الكفرة
فيها كلمة تليتول ان تلقي اليها السمع ولا عن مسلم بسببها بنت شفة بنت الشفة هي
الكلمة شبه اخراجها من الشفه باخراج الولد من بطن امه ففيه استعارة مصرحة
او مكنية فدل ما ذكر من انها لم ترو ولم يتكلم بها احد على بطلها بضم البا الموحدة
وسكون الطا المهملة ولام مصدر بمعنى البطلان كما في القاموس واجتثاث اصلها
بجيم ومثناة فوقية ومثلثتين بينهما الف مصدر بمعنى قلعها من اصلها كما تقلع الشجرة
بنزع عروقها ولا شك في دخال بعض شياطين الجن والانس اشارة الى ما قدمناه هذا
الحديث يعني ما قيل في اثنا تلاوة هذه السورة او الحديث الذي روي في ذلك على بعض
مغفلي المحدثين الذين لا خبرة لهم بالرواية ليلبس اي يوقع في اللبس والاشتباه على ضعفا
المسلمين الذين لم يقفوا على ما يناسب مقام النبوة وقدرها وقد قال القرافي في شرح
الاربعين للامام الرازي ان الجواب السديد فيه على تسليم صحته مع ان الله قد عصمه
ان الله امره بترتيل القران وكان يفعل ذلك فتمكن من ترصده من الشياطين في حال السكوت
بين الايات من دس ما اختلقه من هذه الكلمات محاكيا صوته صلى الله عليه وسلم
وقد سجد من دنا من الكفار معه فظنوها من كلامه صلى الله عليه وسلم واشاعوها
فلم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظهم السورة على ما انزلت قبل ذلك ومعرفتهم
من حاله صلى الله عليه وسلم ما علم من ذم الاوثان واهانتها فحزن صلى الله عليه
وسلم من هذه الاشاعة والقا الشبهة وهو معنى قوله تعالى وما ارسلنا الى قوله
القى الشيطان في امنيته وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهبه ويزيله
وقيل انه صلى الله عليه وسلم لما قرا السورة الى قوله افرايتم اللات الى اخره خاف
الكفار ان يأتي بشي من ذم الهتهم فشغبوا عليه على عادتهم في قولهم لا تسمعوا لهذا القران

والغوا

والغوا فيه الخ وسبب هذا ان الشيطان حملهم عليه فاشاعوا ذلك ونسبوه له
فحزن لذلك انتهى وسيأتي تلخيص الجوابين في كلام المص وقد قدمنا لك ان هذه
القصة لها اصل ثابت في الجملة لكنها ليس فيها ما ينقص مقامه صلى الله عليه وسلم
فابطالها بالكلية كما قاله المص لا ينبغي كما قاله ابن حجر وقد تقدم ما يغني عن اعادته
هنا فتذكره ووجه رابع لتضعيف ذلك ماذكر الرواة لهذه القصة المذكورة
التي عقد لها هذا الفصل ان فيها اي بسببها نزلت وان كادوا اي قربوا انما لم يقع ليفتنونك
اي يوقعونك في الفتنة ويصدونك عن الذي اوحينا اليك الايتين اي اذكر
الايتين المتقدم بيانهما وهما الايتان المذكورتان وفي نسخة وهاتان الايتان يردان
الخبر الذي رووه لمنافاتهما له الا انه قيل ان الايتين لم تنزلا في هذه القصة وانما
الذي نزل فيها قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى
الشيطان في امنيته وهاتان الايتان نزلتا في ثقيف كما تقدم ثم بين وجه منافاتهما
له بقوله لان الله تعالى ذكر انهم كادوا ايفتنونه حتى يفتري على الله بخلطه في القران ما لم
يوح اليه وانه اي الشان والله لولا ان ثبته الله على الحق بتبيان جبريل له لكاد يركن
اي قارب الميل اليهم بمدح الهتهم واتباع اهوائهم ولكنه لم يفعل شيا من ذلك
فمضمون هذا اي ما تضمنه المذكور في الايتين ومفهومه الذي دل عليه وفهم
منه ان الله عصمه من ان يفتري عليه ما لم يقله لا ان يفعل ما ارادوه منه بان
يبدل الوعد وعيدا وعكسه كما قيل وثبته حتى لم يركن اليهم قليلا فكيف
يركن اليهم ركونا كثيرا وهذا تقرير لمعنى الايتين بنا على ما ادعاه من سبب النزول
وقد علمت انه لم يثبت نقله وقوله حتى لم يركن بيان لحاصل المعنى لان نفي القرب
من الركون يدل على نفيه بالطريق الاولى فلا يرد عليه ان المنصوص عليه نفي القرب
من الركون القليل لا نفس الركون كما زعمه المص لان الجواب لقد كدت يعني لولا
ادركناك بعصمتنا عن الميل لهم ولما ارادوه بعد ما كادوا ايخدعونك بمكرهم
وشدة تحيلهم وهم اي رواة الحديث مع ذكر الايتين يروون في اخبارهم الواهية
اي الشديدة الضعف انه صلى الله عليه وسلم زاد على الركون الذي هو مجرد
الميل بل القرب من الميل الذي هو ابلغ في نزاهته وعصمته والافترا اي الكذب
على الله بجعل ما ليس من الوحي منه مدح الهتهم يعني قوله تلك الغرانيق العلى الخ
وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك عصمه الله وانه قال عليه الصلاة
والسلام حين قال له جبريل ما جيتك بهذا حين عرض عليه السورة كما تقدم
فقال في جوابه له افتريت على الله وقلت ما لم يقل عطف تفسير وهذا الذي رووه
في اخبارهم الواهية عنه صلى الله عليه وسلم ضد مفهوم الاية التي ذكروا
ان هذه القصة سبب نزولها لا ن عدم كونه اليهم قليلا نفيا في تصريحه بمدح

المتهم وهي اي الاية بصريح مفهومها تضعف الحديث اي تدل على شدة ضعفه لوح
نقله وروايته فكيف والحال انه لا صحة له عند المص كما تقدم بيانه وما فيه
فاذا ورد في الحديث ما ينافي القران ولم يمكن تاويله ولا الجمع بينه وبينه حكم بضعفه
وقد علمت ان الحديث رواه مسلم وانهم اجابوا عنه كما بيناه وهذا المذكور في هذه
الاية مما دل عليه مفهومها مثل ما دل عليه قوله تعالى في الاية الاخرى وهي
عز وجل ولولا فضل الله عليك ورحمته بعصمته لك وصرفه عنك ما هو اية
من خداعك والمكر بك لهمت طائفة منهم ان يضلوك ويصرفوك عن الحق وطريق
العدل مع علمهم بانك ثابت على ذلك ولا يمكن زلة قدمك عنه بوجه
من الوجوه وقيل انما نزلت في بني ظفر وما يضلون الا انفسهم اي لا يقع ما ارادوه
بك الا بهم ولا يحيق المكر السيء الا باهله وما يضرونك من شيء وما يضرون
الا انفسهم وتفصيل معنى الاية مذكور في كتب التفاسير وانما المقصود بذكرها
التنظير بها لما ذكر قبلها ولنزول هذه الاية سبب ذكره الترمذي والمص
استشهد بها استشهادا معنويا لما هو بصدده وليس لنا حاجة بتفصيل
ما ذكر فيها وقد روي بالبنا للمجهول والراوي له ابن ابي حاتم وغيره من المحدثين عن ابن
عباس انه قال كلما وقع في القران من لفظ كاد وما تصرف منه من مضارع
وغيره يدل على ان ما بعده لا يكون وفي نسخة فهو ما لا يكون اي لا يقع ويوجد
وانما يدل على انه قاربه ولم يقع قال تعالى يكاد سنا برقه السنا بالقصر الضوء
والنور وبالمد العلو والشرف يذهب بالابصار اي يذهب بصر الناظر اليه
ولم تذهب بالتاء الفوقية والبنا للفاعل وفاعله ضمير الابصار المستتر
ويجوز بناؤه للمجهول مع التحتية ونائب فاعله ضمير السنا وفي نسخة ولم يذهب
وهما بمعنى والمقصود انها اشرفت على الذهاب ولم تذهب وقال تعالى في امر
الساعة ان الساعة اتية اكاد اخفيها ان كان المراد باخفائها انه لا يقول انها
اتية فهو كما قال ابن عباس وان كان المراد انه لا يعين زمان وقوعها فكاد بمعنا[ها]
المشهور وكلامه هنا مبني على الاول واليه اشار بقوله ولم يفعل واشار
المفسرون الى هذين المعنيين واخفاء الشيء ستره وعدم اظهاره ويقال
خفيته واخفيته اذا ازلت خفاءه ولا تنافي بين المعنيين لان الله اخفاها
على الناس واطلع عليها بعض خلص انبيائه وقال القشيري القاضي وقد قدمنا
الكلام عليه ولقد طالبته قريش قومه اي سالته صلى الله عليه وطلبت
منه وسبب تسميتهم بذلك مشهور وقد قدمناه وطالبته ايضا ثقيف
قبيلة مشهورة بالطائف اذ مر صلى الله عليه وسلم بالهتهم اي انصابهم
واصنامهم التي كانوا يعبدونها ان يقبل بوجهه الشريف ويتوجه اليها وفي نسخة

عليها ووعدوه الايمان به ان فعل ما سالوه من الاقبال عليها معظما لها فما فعل
ذلك ولا كاد يفعل مع حرصه على ايمان العرب وطاعتهم فلم يكترث صلى الله عليه
وسلم ولم يلتفت لمقالتهم مع انهم من اشد الناس شكيمة وعصبية وهذا امر
متعلق بقوله لقد كدت تركن اليهم دال على ما قاله اولا وقال ابن الانباري هو
الامام في العربية وساير العلوم الادبية ابو بكر محمد بن قاسم بن محمد بن بشار النحوي
الحافظ المفسر المحدث نادرة الدهر وفريد العصر ولد سنة احدى وتسعين
ومايتين وتوفي ليلة عيد النحر ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلثماية وله تصانيف
جليلة مفيدة مشهورة ما قارب الرسول صلى الله عليه وسلم اي لم يقرب من شيء
مما كان عليه الكفرة واهل الجاهلية ولا ركن اي ما مال الى شيء من امورهم وما كانوا
عليه فضلا عن التلبس بها وما ذكره في كاد هو المشهور والتحقيق فيهما ما قاله
الجرجاني في دلايل الاعجاز من نفيها يدل على نفي ما في حيزها على ابلغ وجه لا بنفي القرب
من الشيء الدال على انتفائه لانه بطريق برهاني وقد يكون لوقوع الشيء بعسر نحو فذبحوها
وما كادوا يفعلون وقد ذكر بالبنا للمجهول وفي نسخة ذكرت بتا التانيث في معنى الاية
يعني قوله تعالى وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك ولولا ان ثبتناك لقد
كدت تركن اليهم شيئا قليلا تفاسير اخر تركها لكونها غير مرضية عنده ما ذكرناه ما اسم
موصول مبتدا بينه بقوله من نص الله تعالى على عصمة رسوله صلى الله عليه وسلم
كما تقدم وخبره قوله يرد سفسافها اي التفاسير الحقيرة الردية فيها واصل معنى السفساف
ما يطير من غبار الدقيق اذا نخل وكل غبار دقيق كالهبا سفساف ثم عبر به عن كل
حقير جدا فلذا قوبل في الحديث بمعالي الامور تارة وبمكارم الاخلاق اخرى كما قال
صلى الله عليه وسلم ان الله يحب معالي الامور ويبغض سفسافها وفي حديث
اخر ان الله رضي لكم مكارم الاخلاق وكره لكم سفسافها فلم يبق في الاية يعني قوله
وان كادوا ليفتنونك الخ اي لم يبق فيها تفسير يقتضي الا ان الله امتن على رسوله
صلى الله عليه وسلم في هذه الاية اي من عليه او انعم والمن تعداد نعم سابقة وهو
محمود من الله دون غيره ويكون بمعنى النعمة بنفسها بعصمته اي حفظه عن ان يصدر
منه امر لا يرضاه فضلا عما ذكر من مدح اوثانهم وتثبيته على ما هو عليه من ذم
الهتهم وما هم عليه مما كاده به الكفار من خداعهم وطلبهم منه صلى الله عليه وسلم
موافقته لهم في بعض امورهم التي لا تليق به وراموا من فتنته اي ايقاعه في بلية ومحنة
واصل معناها الاختبار ثم عبر بها عما ذكر ومرادنا من ذلك الذي ذكرناه تنزيهه
اي تبرئته وصيانته صلى الله عليه وسلم واصل معنى النزاهة البعد اي بعده
عما لا يليق بمقام النبوة وعصمته صلى الله عليه وسلم وهو اي ما اراده مفهوم
الاية لا ما ذكروه من سفساف التفاسير واما الماخذ اي محل الاخذ والطريق

فى بيان ما ذكر وتاويله وهو الوجه الثانى فى الكلام على مشكل هذا الحديث الذى فيه
انه ذكر قوله تلك الغرانيق العلى الخ فى اثنا قراة سورة النجم كما تقدم فهو اى تاويله والجواب
عنه مبنى على تسليم رواية هذا الحديث لو صح نقله من طريق يعتد بها وقد اعاذنا الله
بعين مهملة وذال معجمة اى حمانا وحفظنا من صحته اى وقوع اعتقاد تمام فى صحته ووقوعه
منا فضلا عنه واصل معنا العوذ الالتجا والتعلق فاريد به ما يتسبب عنه لان
من التجا الى الله حماه وكفاه وحفظه مما لا يرضاه ولكن على تقدير صحته ذلك من حاله
فقد اجاب عن ذلك المذكور من مدحه صلى الله عليه وسلم الهتهم ائمة المسلمين
بالهمزة والياء جمع امام وعبر به دون العلما ونحوه اشارة الى ان مقتضى الاسلام تنزيهه
عن مثله باجوبة منها الغث بغين معجمة ومثلثة اى الضعيف الركيك والسمين
اى القوى المقبول واصل معنى الغث المهزول لمقابلته بالسمين فاستعير لما ذكر
كما تقدم فمنها اى الاجوبة المذكورة ما روى قتادة مشهور تقدمت ترجمته ومقاتل
بن حيان الخراسانى العابد المفسر الثقة روى عنه اصحاب السنن وغيرهم وتوفى
قبل خمسين ومائة ولهم مقاتل اخر وهو مقاتل بن سليمان وهو محدث مفسر الا انه
اتهم بالكذب والظاهر انه الاول انه صلى الله عليه وسلم اصابته اى عرضت له
سنة وهى فتور مع اوايل النوم قبل الاستغراق فيه المانع عن الحس والادراك
وهى قريبة من النعاس كما تقدم بيانه وليسا بمعنى وان قيل به وقوله

وسنان يعصده النعاس فرنقت · فى عينه سنة وليس بنايم

لا دليل فيه عند قراته هذه السورة يعنى سورة النجم فجرى هذا الكلام اى قوله
تلك الغرانيق على لسانه ونطق به من غير قصد بل بحكم النوم وغلبته حتى يتكلم
بما لا يقصده وهذا المذكور لا يصح صدوره منه اذ لا يجوز على النبى صلى الله عليه
وسلم ان يقع منه مثله فى حالة من احواله لا فى يقظة ولا فى منام لانه صلى الله عليه
وسلم وان نامت عيناه لا ينام قلبه ولا يخلقه الله اى لا يوجد جريانه على لسانه
كما قاله بعضهم لحفظه له فى سائر احواله ولا يستولى الشيطان اى يتسلط
عليه لحفظ الله له فى نوم ولا يقظة بفتحات ثلاثة ضد النوم وتسكين قافه
خطا الا فى ضرورة الشعر كقول التهامى · فالعيش نوم والمنية يقظة · والمرء
بينهما خيال سارى · لعصمته فى هذا الباب الذى طريقه البلاغ عما اوحى
اليه من جميع العمد بقصد القول عليه ما لم يقله والسهو فى شى منه وفى قول الكلبى
فى الجواب عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم حدث نفسه اى فكر فيما ذكر وخطر
بباله من غير نطق به فقال ذلك الشيطان على لسانه اى نطق به محاكيا لصوته
ونطقه به فى اثنا قراته وهو لا يدرى فتوهموا انه صلى الله عليه وسلم قاله وانه
اوحى به اليه كما تقدم وكذا ما وقع فى رواية ابن شهاب الزهرى وقد تقدمت ترجمته

عن ابى

عن ابى بكر بن عبد الرحمن وفى نسخة ابو عبد الرحمن وكلاهما صحيح وهو ابو بكر بن
عبد الرحمن ابن الحرث بن هشام بن المغيرة المخزومى القرشى التابعى الامام احد الفقها
السبعة على قول وهو من سادات قريش ويسمى الراهب لزهده قيل اسمه ابو بكر
وكنيته ابو عبد الرحمن وقال النووى محمد اسمه وكنيته ابو عبد الرحمن والصحيح
ان اسمه كنيته وتوفى سنة اربع وتسعين وقيل غير ذلك قال اى ابن شهاب
او ابو بكر وسها صلى الله عليه وسلم فى نطقه بذلك فلما احس وفى نسخة
اخبر بذلك اى عرف سهوه فيما نطق به قال انما ذلك الذى جرى على لسانه
او سمع من الشيطان وكل هذا المذكور من الاقوال انفا لا يصح رواية ودراية
ان يقوله النبى صلى الله عليه وسلم لا سهوا ولا قصدا لحفظ الله له عن مثله
ولا يصح ايضا ان يتقوله بالتشديد اى يفتريه الشيطان على لسانه اى ينطق به
محاكيا لقوله ونطقه فيلبس الوحى بغيره لمنع الله له عن تسلطه عليه بمثله
فقوله على لسانه صحيح فيما اراده مما قيل ان فيه نظرا لانه لا مانع من ان يقول
الشيطان عليه مما لم يقله من غير ان يصدر عنه فكثيرا ما كذب عليه وهذا
لا ينافى عصمته صلى الله عليه وسلم غفلة عما عناه المص فلا وجه له وقيل
فى الجواب عما ذكر لعل النبى صلى الله عليه وسلم قاله فى اثنا تلاوته وقراته لسورة
النجم فذكره فى خلال اياته ولعل للترجى من عادة المصنفين استعماله كناية عن
ضعف من معه وا ثناء جمع ثنى بمعنى مثنى اى ملفوف بعضه على بعضه فشبه
ما هو فيه ببرد مطوى فى داخله شى اشتمل عليه على تقدير التقرير اى حملهم
على الاقرار والتوبيخ للكفار اى توبيخهم بعد اقرارهم بعبادة الاصنام ووصفها
بالعلو ورجا شفاعتها على هناتهم واستهزا وقيل المراد حملهم على الاقرار بان المدح
لهذه الكلمات انما يليق بمن يرضى وينفع توبيخا وتبكيتا تنبيها على خطايهم ايذانا
بانها لا تصلح ان تكون الهة والتوبيخ على امر باطل وقع منهم فيما قيل انه حرى ان يسمى
انكارا ابطاليا تعنت لا داعى له ثم انه قال ليس فى الكلام ما يفيد ذلك فلا بد
من تقدير اداة استفهام معه كقوله · طربت وما شوقا الى البيض اطرب
ولا لعبا منى وذو الشيب يلعب او ذلك معلوم من المقام لان من ذكر امرا علم ان غيره
يكرهه ويصرح بذمه واشتهر منه ذلك فاذا مدحه بما مدحه به اعداوه
علم انه تهكم واستهزا وارخا لعنان الخصم حتى يقع فى هوة الضلال وذلك ان تقول
انه عند هذا القايل مفهوم من قوله افرايتم وان ما ذكر مقدر مفعول ثان لرايت
وهو محط الاستفهام وهو وان كان غير مستقيم لكن هذا مما يويد تزييفه
فتدبر كقول ابرهيم الخليل صلى الله عليه وسلم هذا ربى للكواكب التى كان
يعبدها قومه فوصفها بالربوبية انما هو توبيخ لهم لانه برى من مثله كما لا يخفى

على احد التاويلات التي ذكرها المفسرون فهو على هذا مقدر معه اداة استفهام كالاية
التي قبله وفيه اقوال اخر مذكورة في التفاسير لا حاجة للتطويل بذكرها وقوله اي
الخليل عليه الصلاة والسلام في حق الاصنام بل فعله كبيرهم هذا والضمير
للاصنام وكانوا يجتمعون في عيد لهم ثم يرجعون للسجود لها فتخلف عنهم ودخل
فكسرها الا صنما هو اكبرها فلما راوه قالوا انت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم فقال
بل فعله كبيرهم هذا كما قصه الله عنه في هذه الاية وحاصله انه من معاريض
الكلام الذي قصد به اقامة الحجة عليهم وان ما عبدوه لا يصلح للعبادة بعد
السكتة اي الوقفة الخفيفة بين ايات سورة النجم والحاصل انه لما فرغ صلى الله
عليه وسلم من ذم الاصنام بما اوحي اليه سكت وذكر كلاما وبخهم به كما فعل
ابراهيم عليه الصلاة والسلام والتوبيخ لهم بذم الهتهم وبعد بيان الفصل
بين الكلامين اي كلام الله في ذم الاصنام وكلامه الذي وبخهم به قرينة تدل على
المراد وانه اي ما ذكره توبيخا وتعزيرا ليس من كلام الله المتلو لفصله بينه وبينه
بالسكت وهو اي ما قيل انه قاله في اثنا قراءته لما ذكر من التوبيخ والتعزير احد ما اي
الاقوال ذكره القاضي ابو بكر الباقلاني وابن العربي وهما ما لكيان تقدم ذكرهما
وبيانهما ولا يعترض على هذا القول الذي قاله القاضي بما روي بالبناء للمجهول فيهما
انه صلى الله عليه وسلم او هذا الكلام كان في الصلاة وهو كلام ليس بقران
ولا ذكر فيبطلها فقد كان في صدر الاسلام وقبل الهجرة الكلام فيها اي في الصلاة
قبل مبني على الضم اي قبل النهي عنه غير ممنوع في الشرع وغير مبطل للصلاة وكان
الكلام غير محرم لما فرضت الصلاة ثم حرم عليهم قبل الهجرة بثلاث سنين والذي
يظهر ويترجح في تاويله اي تاويل هذا الحديث وهذا ما اختاره القرافي كما نقلناه
اولا عنده اي عند القاضي ابي بكر وعند غيره من المحققين اي اهل الكلام والتفسير
والحديث على فرض تسليمه اي تسليم وقوعه منه صلى الله عليه وسلم وانه نطق
بذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كما امره ربه يرتل القران ترتيلا لقوله
تعالى ورتل القران ترتيلا والترتيل القراءة بتؤدة من غير استعجال وهو في الاصل
مستعار من قولهم ثغر رتل اي مفلج كالاقحوان واوراقه ومن لطائف بعض المتاخرين
افدي الذي جبينه وشعره طرة صبح تحت اذيال الدجا
ما لي به مع قرب داري ملتقى فهل رايت ثغره المفلجا ويفصل الاي
جمع اية بالمد فيهما تفصيلا يفصل بعضها بعضا في قراءته وفي نسخة في تلاوته مع سكت
خفيف بينهما كما رواه الثقات عنه كما قالت عايشة رضي الله عنها وقد سئلت
عن قراءته لو اراد سامع ان يعد حروفه عدها لتانيه فيها وتجويد حروفها وبيان
حركاتها ومدها فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات بالنون او التاء المثناة

العوقية وترصده ترقبه وانتظاره اي يترقب وقفه وسكتته بين الايات
في ترتيله القران ودسه بمهملتين مصدر معطوف على ترصد اي ادخاله فيما بين
سكتاته خفية يقال دسه دسا اذا ادخله قال الراغب الدس ادخال الشيء
في الشيء بضرب من الاكراه واصل الدس الاخفا ومنه العرق دساس فيها اي
في القراءة ما اختلقه اي كذبه وافتراه وما موصولة مفعول دسه من تلك
الكلمات بيان لما محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم في القاموس
النغم محركة وتسكن الكلام الخفي والواحدة بها ونغم في الغنا كضرب ونصر وسمع
انتهى فالنغمة هنا بمعنى الكلام الخفي وتكون بمعنى الغنا وليس بمراد هنا وهو
المعروف عرفا كقوله الشرب بغير نغم غنم وبغير دسم سم والظاهر انه اريد به هنا
الصوت مطلقا بحيث يسمعه اي بمكان قريب منه صلى الله عليه وسلم فيسمعه
من دنا اي قرب اليه من الكفار الحاضرين عنده يسمعون تلاوته صلى الله عليه
وسلم لسورة النجم فظنوها اي ظنوا تلك الكلمات التي قالها الشيطان
ودسها في تلاوته محاكيا لصوته وهو لا يرى من قوله صلى الله عليه وسلم اي مما
تلاه من القران وجعلنا قوله لنطقه بها وبنا على اعتقادهم الفاسد واشاعوها
اي اظهروها وقالوا انه مدح الهتنا ووافق طريقتنا ولم يقدح ذلك اي ما دسه
الشيطان واشاعوا انه صلى الله عليه وسلم قاله عند المسلمين فلم يغير اعتقادهم
ولم يلتبس عليهم القران بغيره مما ادخل فيه لحفظ المسلمين السورة اي سورة النجم
فالمصدر مضاف لمفعول قبل ذلك اي قبل اختلاق الشيطان ودسه فيها
ما دسه على ما انزل الله متعلق بحفظ فعلموا ان ما اشاعوه ليس من الوحي في شيء
مع عدم مناسبته له لفظا ومعنى وتحققهم اي المسلمين من حال النبي صلى الله
عليه وسلم في ذم الاوثان وعيبها على ما عرف منه صلى الله عليه وسلم او من حاله
لانه يذكر ويؤنث وهذا بيان للقرينة القايمة على انه ليس من قوله ولا مما اوحي
اليه فاندفع ما قيل من انه ليس للشيطان سبيل حتى يتمكن ان يدخل في كلامه
وما تلاه ما ليس منه وقد بينا لك انه اختاره القرافي لصحة الرواية عنده وقد حكى
اي روى موسى ابن عقبة كذا في جل النسخ وفي بعضها محمد بن عقبة في مغازيه اي
في كتابه الذي الفه في مغازي النبي صلى الله عليه وسلم فالاضافة لما بينهما من الملابسة
ورجحوا النسخة الاولى وصححوها في الحواشي وضربوا على النسخة الثانية وقال
الحافظ الحلبي انه مما لا شك فيه وهو موسى بن عقبة بن ابي عياش مولى ال الزبير
وقيل مولى ام خالد روى عنه خلق كثير وهو ثبت ثقة توفي في سنة احدى واثنين
واربعين ومائة واخرج له الستة ومغازيه من اصح المغازي كما قاله الامام مالك
ومحمد بن عقبة اخو موسى ولعقبة اولاد كلهم فقهاء محدثون لكل واحد منهم حلقة

في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتراجمهم مشهورة نحوه وفي نسخة نحو هذا
اي نحو ما نقله عن المحققين بما هو بمعناه وفيه ميل منا اليه لنقله عن المحققين وكثرة
من تابعهم عليه وان قيل انه لم يرض وقال ى موسى بن عقبة ان المسلمين لم يسمعوها اى
مقالة الشيطان لتحدسها وانما القى الشيطان ذلك القول الذى شاع في اسماع
المشركين بدليل انهم هم الذى اشاعوه ولم يشع عن غيرهم حتى خفى على كثير منهم وانكروه
ولا مانع من ذلك فما قيل من انها دعوى بلا دليل ولا بينة الا استحالة عادة اذ لا قدرة
للشيطان لعنه الله على القايه للمشركين فقط وهم مختلطون معهم في محل واحد غير مسلم
في نسخة وملايهم وهو كما قاله الراغب جماعة مجتمعون على راى فيملاون العيون رواة
والقلوب جلالة وبهاء ومنه قيل فلان ملا العيون وقلوبهم ان تفقهوه ويقبلوه
ويكون ما روى اى رواية ما نقل من حزن النبي صلى الله عليه وسلم بيان لما اسم كان وقوله
لهذه الاشاعة خبرها اى انما حزنه عليه الصلاة والسلام كان لمجرد اشاعة ذلك
ومن اجل الشبهة الحاصلة من تلك الاشاعة لانه كما قيل في المثل من يسمع يخل اى من اجله
الاشاعة ومن اجل الشبهة منها ومن سبب هذه الفتنة الحادثة من شيوع ما هو برى
منه وهذا جواب عن سؤال مقدر تقديره اذا كان المسلمون لم يسمعوا هذه المقالة فلم
فلم حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس الجواب عن هذه الشبهة ان الشيطان
الجاه لهذه المقالة ولانه سمعها منهم فعلقت بذهنه ثم سها صلى الله عليه
وسلم فقالها كما توهم اذ لا منا سبة لهذا هنا وقد قال الله تعالى في هذه القصة
وهذا من تتمة الكلام عليها وليس متعلقا بما قبله وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الاية الفرق بين الرسول والنبي مشهور والكلام عليهما اشهر من ان يذكر والثاني
اعم لانه كل من اوحي اليه والرسول اوحي اليه وامر بالتبليغ وقيل غير ذلك وقوله الاية
اى الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته
والله عليم حكيم ثم اشار الى تفسير هذه الاية فقال فمعنى تمنى تلى لان اصل معناه تفعل
من المنا بمعنى القدر ومنه الم يك نطفة من مني يمنى اى تقدر ومنه المنية ويراد به تقدير
شيء في النفس وتصويره ولكون النفس تتصور امورا لا حقيقة لها سمي الكذب كقوله
تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اى كذبا كما قاله مجاهد وقال غيره تلاوة بلا معرفة للمعنى
فاجراه مجرى التمني لما لا وجود له لان التمني كذلك في الاكثر ثم استعمل لمطلق التلاوة
واليه اشار بقوله فمعنى تمنى تلى كما قال الشاعر تمنى كتاب الله اول ليلة
تمنى داود الزبور على رسل وقال الله تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اى تلاوة وقد
عرفت وجهه والمراد بالكتاب التوراة والاستثناء منقطع لان التلاوة ليست من العلم
وقيل انه مصدر بمعنى الكتابة لقوله ومنهم اميون وهي في حق اليهود وقوله فينسخ الله
ما يلقي الشيطان اى يذهبه لان النسخ لغة كما قاله الراغب ازالة شيء بشيء يعقبه كنسخ

الشمس الظل وما يلقيه الشيطان على هذا اما يدسه كما تقدم ويزيل اللبس الحاصل به
وبسببه ويحكم الله اياته اى يتقنها حتى لا تشتبه بغيرها وقيل معنى هذه الاية اى قوله
فينسخ الله ما يلقي الشيطان هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو اذا قرا
فيتنبه لذلك السهو الصادر عنه بمقتضى البشرية بادنى تنبيه ويرجع عنه اى
عما تركه سهوا وهذا المذكور هنا نحو قول الكلبي في الاية اى اية سورة النجم كما نقله عنه
او الا من انه حدث نفسه بان خطر بباله قولهم تلك الغرانيق العلا وقال الكلبي ايضا
معنى اذا تمنى اى حدث نفسه وفي رواية ابي بكر بن عبد الرحمن الذي تقدمت ترجمته
نحو مما ذكر مما هو بمعناه وهذا السهو المذكور كاينا في القراءة انما يصح وقوعه منه
فيما ليس طريقه الواقع عليها والاتى فيها تغيير المعاني فلا يقع ما يغير معاني الوحي
ويخالفها وتبديل الالفاظ بالفاظ غيرها وزيادة ما ليس من القران فيه بل الجائز
عليه السهو الناشي عن اسقاط اية منه او اسقاط كلمة منه ولكنه صلى الله
عليه وسلم اذا سهى لا يقر بالبنا للمفعول او الفاعل على ذلك السهو بل ينبه
عليه ويذكره للحين اى يبادره في وقت سهوه لايقاظه لسهوه من غير امهال له
فتعريف حين للحضور واللام بمعنى في وقيل بمعنى وقت كقوله فطلقوهن لعدتهن
وهذا ابنى على ما سنذكره مفصلا في حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر
في تاويله اى تاويل ما ذكر في سورة النجم وما دس فيها ايضا كما ظهر في بعض التاويلات
السابقة المتبادرة الى الافهام ان مجاهدا رحمه الله تعالى روى هذه القصة اى
قصة سورة النجم السابقة والغرانقة العلا بالعطف على اللات والعزى ومناة
الثالثة الاخرى وحينئذ فلا اشكال يرد على ما تقدم فان سلمنا وقوع هذه القصة
وصحة رواياتها قلنا على هذا التقدير لا يبعد ان هذا المذكور في هذه الرواية وهو قوله
والغرانقة العلا كان قرانا نزل عليه صلى الله عليه وسلم ثم نسخت تلاوته والمراد
على هذه الرواية على تقدير انها قراءة منسوخة بالغرانقة العلا والمراد بان شفاعتهن
ترتجى اشارة الى انه على هذه القراءة بفتح همزة ان نحو قوله وان شفاعتهن ترتجى الملايكة
على هذه الرواية التي فيها الواو العاطفة وهي جمع غرنوق كزنبور وقنديل وقرطاس
وفسرت بالاصنام ايضا وهي في الاصل طير من طيور الماء والشاب الجميل فاستعيرت
لما ذكر واستعارة الطير للملك اظهر وبهذا فسر الكلبي الغرانقة انها الملايكة
انها بالفتح بدل من هذا وذلك يعني ان الباعث على تفسيرها بما ذكر ان الكفار
اى عبدة الاصنام من قريش وغيرهم كانوا يعتقدون ان الاوثان والملايكة بنات
الله سبحانه اى تنزيها له عز وجل عما قالوه بجهلهم كما حكى الله عنهم ذلك في القران
في ايات كقوله افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملايكة اناثا وقوله اصطفى
البنات على البنين وقوله وجعلوا الملايكة الذين هم عباد الرحمن اناثا الاية

فجعلوها لاحتجابها مخدرات وهو في الملائكة مشهور واما في الاصنام فبناء على ما نقله
الحليمي في تفسير قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا اي مشركوا العرب زعمت
في اللات والعزى ومنات انها بنات الله تقربهم له لما كانوا يسمعون تكلمها وانما كان
تكلمهم شيطان الجن من اجوافها ورد الله عليهم ما قالوه في هذه السورة يعني سورة
النجم بقوله تعالى الكم الذكر وله الانثى اي اتختارون لكم الذكور دون الاناث لانهم
كانوا يقتلونها وهي الموءودة واعتقدوا ان له بنات لم يرتضوها لانفسهم وهي الملائكة
والاصنام كما مر ولذا قال تلك اذا قسمة ضيزى اي جائرة فانكر الله كل هذا الذي ادعوه
من قولهم اشارة الى ان الاستفهام فيه انكاري تكذيبا لهم فيما قالوا قبحها لهم مما كادت
تخر له الجبال هدا فالاستفهام فيه منصب على الجميع وبهذا يرتفع الاشكال على هذه
القراءة ورجاء الشفاعة في قوله وان شفاعتهن لترتجى من الملائكة صحيح على هذه القراءة
ولا حاجة لهذا فانه منكر لانصباب الاستفهام الانكاري عليه كما قررناه لك
بناء على فتح همزة ان فيه ولذا قيل هذا التاويل وان كان صحيحا في نفسه مباين للمقام
ناء عن سياق الكلام فتدبر فلما تلاه اي تلا هذا الكلام بصرفه عن ظاهره المشركون
حسب اغراضهم الفاسدة على ان المراد بهذا الذكر اي المذكور وهو قوله تلك الغرانيق
العلا الخ الهتهم اي اصنامهم التي عبدوها ولبس الشيطان عليهم ذلك بوسوسته
لهم وتزيينه لافكارهم وزينه في قلوبهم بتحسينه وتزويره والقاه اليهم اي القى ذلك
المعنى الذي فهموه لما سمعوه منه صلى الله عليه وسلم حقيقة على هذا الوجه الذي
استنظره لنسخ الله من كلامه ما تلى كما تقدم وقوله ما القاه الشيطان المراد به اللفظ
الذي اولوه بما القاه الشيطان في قلوبهم حتى يلتئم هذا بما قاله اولا واحكم اياته
الباقية بعد ما نسخه منها ورفع تلاوة تلك اللفظتين اي الجملتين يعني قوله
تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى وقوله تلك بالافراد لجعلهما كشيء واحد فلا وجه
لما قيل صوابه تينك اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا للالباس اي طريقا للتلبيس
عليهم بهما اذ تليا في هذه السورة ووقع في بعض النسخ التي وجد الشيطان بها بالافراد
فيهما والصواب ما ذكر كما نسخ بالبناء للمعلوم والمجهول كثيرا يجوز رفعه ونصبه وكذا
قوله ورفع تلاوته مع بقاء حكمه او بدونه وكان في انزال الله لذلك الذي نسخه بعد ذلك
حكمة هي كما يعلم مما بعده تبيين من ضل ممن اهتدى وفي نسخة برفع تلاوته حكمة من خبر
اشرتم بين تلك الحكمة بنص القران في قوله تعالى يضل به من يشاء ويهدي من يشاء وما
يضل به الا الفاسقين الخارجين عن طاعته بارتكاب المعاصي وفي قوله ليجعل ما يلقي الشيطان
فتنة اي بمنزلة الاختبار لاظهاره للناس ما خفي عليهم فكانه اختبار للذين في قلوبهم
مرض اي شك ونفاق فاستعار لذلك اسم المرض والقاسية قلوبهم من المشركين الذين
لم يدخل الايمان في قلوبهم لشدة قسوتها فشبه قلوبهم بالحجارة الصلبة التي لا تتاثر

عما هي عليه

عما هي عليه ولا تلين لقبول الحق وان الظالمين اي الكافرين وان الشرك لظلم عظيم واقام
الظاهر مقام الضمير تسجيلا عليهم بظلمهم وكفرهم لفي شقاق اي عداوة ومباينة
للمؤمنين فهم في شق وهم في شق بعيد عن الحق وقبوله وليعلم الذين اوتوا العلم اي الذين
اتاهم الله العلم من المؤمنين انه اي ما انزله الله ثم نسخه وازاله الحكمة وليس
رجوع الضمير لتمكين الشيطان من الالقاء ثم ازالته بمناسب هنا الحق من ربك
لعدم اشتباهه عليهم وتمكن الشيطان بتلبيسه عليهم فيؤمنوا به اي
يصدقوا ويذعنوا لما نزل وان نسخ فتخبت له قلوبهم اي تنقاد وتخضع مطمئنة
من غير شك وتزلزل واصل معنى الخبت ما اطمان من الارض وهو السهل ضد الحزن
فاستعير لما ذكر من الانقياد بخضوع وخشوع الاية اي وان الله لهادي الذين امنوا
الى صراط مستقيم ثم ذكر وجها اخر في هذه القصة اشار الى ضعفه بقوله وقيل
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرا هذه السورة اي شرع في قراءة سورة النجم وبلغ
اي وصل في حال قراءته ذكر اللات والعزى ومنات الثالثة الاخرى وصفها بالثالثة
والاخرى للتاكيد كطائر يطير بجناحيه او الاخرى المتاخرة في الرتبة والاحسن
ما قيل ان اللات والعزى كثيرا ما يذكرونهما معا اذا حلفوا فيقولون واللات والعزى
فوصف مناة بالثالثة ليعلم ان مناة ثالثة وليست واحدة واكد ذلك بالاخرى
اشارة لتاخر رتبتها ومغايرته ما قبلها فهي ثالثة اخرى فعل تفصيل فتامل خاف الكفار
لما سمعوا ذكرها منه صلى الله عليه وسلم ان ياتي بشيء من ذمها وتنقيصها كما كان
هو عادته اذا ذكرها فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين اي تلك الغرانيق الخ ليخلطوا
في تلاوته ذكرها بمدحها الصادر منهم وليشغبوا عليه بشين وغين مشددة
معجمتين من الشغب بالفتح ويجوز تسكينه وهو تهييج الشر مع الصياح به وفي نسخة
وليشنعوا بنون وعين مهملة من الشناعة على عادتهم اذ حضروا قراءته صلى الله عليه
وسلم انهم يرفعون اصواتهم عنده حتى يلهوه ويشغلوا خاطره ويمنعوا من سماعه كما
حكى الله عنهم قولهم لا تسمعوا لهذا القران اذا قراه والغوا فيه اي اظهروا اللغو برفع
الاصوات تخليطا وتشويشا عليه بما يشغل الخواطر عنه لعلكم تغلبون باصوات
لغوكم على قراءته من قولهم هذا غالب على هذا اذا كان زائدا عليه فكانوا يوصون
بذلك من يحضر منهم كما قال ابو جهل لعنه الله اذا قرا محمد فصيحوا حتى لا يدري
ما يقول وقيل كان ذلك بالصياح والتصفيق وانهم فعلوا ذلك لما ظهر عجزهم
عن معارضته ونسب هذا الفعل اي الالقاء للشيطان في قوله ما يلقي الشيطان
بطريق المجاز المرسل والنسبة للسبب ما للمسبب لحمله لهم عليه اي لان الشيطان
هو الذي تسبب فيه حتى فعلوه وهو الباعث عليه والحمل حقيقة جعل شيء فوق
شيء ثم تجوز به عما ذكر وصار حقيقة عرفية فيه واشاعوا ذلك المذكور واذاعوه

في الكفرة والاشاعة والاذاعة بمجتين بمعنى وهو جعله مشهورا منتشرا وان النبي
صلى الله عليه وسلم قاله بفتح همزة ان لعطفه على المفعول فهو قاله على هذا الوجه
وعلى غيره هو افترا عليه وبهتان منهم كما يعلم مما تقدم فحزن لذلك صلى الله عليه
وسلم وهو جواب عن سوال تقديره اذا لم يصدر عنه ذلك او صدر بمعنى اخر فلم حزن
صلى الله عليه وسلم وقوله من كذبهم وافترايهم عليه بيان لذلك لتعصبهم
لالهتهم اذا ضللتهم فسلاه الله تعالى التسلية اذهاب الحزن بوجه ما اي ازاله
عنه بما ذكر بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك الاية يعني من رسول ولا نبي الا اذا تمنى
القى الشيطان في امنيته الخ اي عما وقع لك في هذه القصة سبق مثله لمن قبلك
من الرسل فاصبر كما صبروا ولا تحزن وقد تقدم في تفسير هذه الاية ما يغني عن اعادته
وبين الله تعالى في كتابه للناس الحق من ذلك اي من الوحي الذي نزل على لسانه من الباطل
الذي القاه الشيطان فيما تلاه ومن الثانية متعلقة بقوله بين والاولى ظرف مستقر
فلا يرد عليه ان الفعل لا يتعدى بحرفين بمعنى واحد وحفظ الله عز وجل القران من التبديل
والتغيير بزيادة او نقص واحكم الله اياته اي اتقنها فلا ياتي الباطل من بين يديها ولا
من خلفها ودفع ما لبس به العدو من الكفرة والشياطين كما ضمنه بفتح الميم المشددة
وتخفيفها مكسورة فتقديمه على الاول انه ضمن القران اي جعل في ضمنه ما فهمهم
من قوله تعالى الخ على الثاني انه تعهد بحفظه اذ قال انا نحن نزلنا الذكر اي القران لانه
من اسمايه وانا له لحافظون من التبديل وان يزاد فيه او ينقص فلم يكل ذلك الى
غيره حيث اسنده الى نفسه بضمير العظمة بخلاف غيره من كتب الانبيا اذ فوض
حفظها لاحبارهم كما قال بما استحفظوا من كتاب الله ولذا وقع التحريف والتغيير
حكمة بالغة واتى في ذلك بتاكيدات وقدم معمول حافظون للحصر ومن ذلك اي
من جملة اسيلة الطاعنين على الرسل ما وقع فيما روي من قصته يونس نبي الله صلى الله
عليه وهو يونس بن متى وقد اختلف في متى هل هو اسم امه او اسم ابيه فقيل انه
اسم امه وانه لم ينسب احد الى امه غير يونس وعيسى عليهما الصلاة والسلام
ورد بما في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال
لا ينبغ لاحد ان يقول انا خير من يونس بن متى ونسبه لابيه فانه يقتضي ان متى اسم
ابيه خلافا لمن قال انه اسم امه وهو مروي عن وهب بن منبه وذكره الطبري وابن
الاثير في الكامل واول قول ابن عباس انه كان في روايته يونس ابن فلان ثم زاده
ان الراوي كنى عن اسم ابيه بفلان ولم يصرح به وهو السبب في نسبته لامه وقد
قيل ان الصحيح الاول وان ما ذكر من التاويل بعيد وكان من اهل قرية بالموصل تسمى نينوى
كان يتعبد في جبل عندها ثم بعثه الله بالتوحيد لقوم يعبدون الاصنام وكان
فيه حدة فلم يصبر على الناس فتركهم ولحق بالجبل ولذا قال تعالى ولا تكن

كصاحب الحوت وكان كداود في حسن الصوت اذا قرا وقفت عنده الوحوش
تستمع قراته وتقدمت ترجمته بابسط من هذا اذ وعد قومه بالعذاب بخبر الهمه
عن ربه بمجي العذاب لهم فلما تابوا ورجعوا عما كانوا عليه وكانت توبتهم في يوم عاشورا
او يوم جمعة كشف بالبنا للمجهول اي كشف الله عنهم ما وعدوا به فقال يونس
عليه الصلاة والسلام لما راى تخلف الوعيد لا ارجع اليهم اي الى قومه
حال كونه كذابا ابدا فذهب مغاضبا مفاعلة من الغضب وهو ثوران دم القلب
لارادة الانتقام والمفاعلة ظاهرة ان اريد انه مغاضب لقومه وان اريد انه
غضب لاجل ربه فهو مثل نجا دعون الله وكان اقام في قومه ثلاثين سنة يدعوهم
للايمان فلم يؤمن منهم الا رجل فدعا عليهم فقيل له ما اسرع ما فعلت ارجع اليهم
وادعهم اربعين ليلة فان لم يجيبوا احل بهم العذاب فدعاهم سبعا وثلاثين وقام
فيهم خطيبا وقال ان لم ترجعوا الى ثلاثة ايام حل بكم العذاب وعلامته تغير
الوانكم فلما راوا التغير وعلم يونس بالعذاب خرج من بينهم وطلبوه فلم يجدوه
والهمهم الله التوبة فخرجوا للصحرا باهليهم واولادهم ودوابهم وضجوا
الى الله تعالى وقالوا امنا بيونس فقبل الله توبتهم وكشف عنهم العذاب بعد ما عاينوه
في سحابة على ما سيم كما قال تعالى الا قوم يونس الاية والى ذلك اشار بقوله فاعلم
اكرمك الله بما علمك منزه ساحة الانبيا عليهم الصلاة والسلام مما توهمه
الطاعنون فيهم بمثل هذا السوال بانه كيف اخبر وهو نبي معصوم بما لم يقع واعترف
به انه ليس في خبر من الاخبار الواردة في كتاب ولا في سنة صحيحة في هذا الباب
المتعلق بقصص الانبيا وقصة يونس عليه وعليهم الصلاة والسلام ان يونس
قال لهم مخبرا عن ربه ان الله مهلككم حتى يتاتى ان يقال انه صدر منه الكذب وانما
الذي ورد فيه من الاخبار الصحيحة انه دعا عليهم بالهلاك اي بان الله يهلكهم
لعدم اطاعتهم له والدعا ليس بخبر اي كلام خبري بل انشا وطلب من الله يتعلق صدقه
من كذبه اي يحتمل الصدق والكذب والضمير ان للخبر لا ليونس كما قيل وقيل ولو كان
خبرا ايضا لم يكن كذبا كما توهمه السايلون لانه على تقدير شرط هو ان لم تومنوا
كما يعلم من قوله الا قوم يونس لما امنوا الاية ولا ينافيه قوله لا ارجع اليهم كذابا ابدا
لعدم صحته عند المص كما تقدم ويأتي او وصفه بالكذب لتضمن كلامه خبرا يحتمل
الصدق والكذب وهو ان من لم يجب دعوة الرسل يحل به العذاب لكنه اي الشان
او يونس عليه الصلاة والسلام قال لهم اي لقومه لما وعظهم ان العذاب مصبحكم
اي ياتيكم في وقت الصباح وقت كذا وكذا اي عند تمام المدة التي بينها لهم كما تقدم
فكان ذلك اي وقع وتحقق مجيه لهم في الوقت المعين فانهم لما راوا سحابة دنت
منهم نحو ميل فيها عذاب ودخان اسود فاخلصوا التوبة وامنوا ولبسوا المسوح

يطلب

وتضرعوا الى الله فقبل توبتهم ثم رفع عنهم العذاب الذى تيقنوه حتى كانه نزل بهم
وتداركهم اى انعم عليهم بالخلاص مما خافوه والتدارك بمعنى الاعانة والنعمة كما قاله
الراغب تداركهم الله برحمته لما تابوا ومتعهم بالحياة الى حين كما قال الله تعالى الا قوم
يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين والاستثنا
منقطع من قوله فلولا كانت قرية امنت فنفعها ايمانها الخ اذ المعنى لولا كانت قرية من القرى
التى اهلكناها امنت الا قوم يونس ويحتمل الاتصال لانه فى معنى ما انجينا قرية اى اهلها
الذى عاينوا العذاب الا هولا كما تقرر فى التفاسير وفى كلامه خلل لا يخفى فان محصله
جوابان احدهما المنع وانه ليس بخبر وارد والثانى انه خبر عن وقوع العذاب وقد وقع
لانهم عاينوه لكن الله رفعه عنهم فالاستدراك ليس فى محله لمباينته لما قبله
ومقصوده هذا لكنه تسمح فى العبارة وايضا العذاب لم يحل بهم ولكنه لمعاينته
كما تقدم جعل كانه وقع ولذا عبر بالرفع دون الدفع وهو من خصايص قوم يونس
لانه ايمان باس وهو لا يقبل وروى فى الاخبار انهم اى بعد ان مهلهم اربعين ليلة
فلما مضت خمسة سبعة وثلاثون كما مر راوا دلايل العذاب فى سحابة دنت منهم كما تقدم
ومخايله بالخا المعجمة اى علاماته جمع مخيلة وهى المظنة من خاله بمعنى ظنه وهى فى الاصل
موضع التخيل ثم استعير للامارات كقولهم الولد مبخلة ومجبنة قال ابن مسعود
رضى الله عنه رواه عنه ابن مردويه مرفوعا وابن ابى حاتم موقوفا وقال سعيد بن جبير
غشاهم العذاب كما يغشى النوء القبر يعنى ان السحابة قربت منهم فكانت عليهم كثوب
يغطى به قبر وفى التعبير بالقبر اشارة الى انهم كالاموات ولذا عبر فى الاية بالكشف
وفى نسخة كما يغشى النوء القمر والنوء بنون وساكنة وهمزة او بواو مشددة بمعنى
النجم الطالع او الساقط واراد به هنا السحاب لانه لا يخلو من سحاب ومطر معه
وانوا العرب مشهورة والقمر معروف ثم اورد شيا مما يتعلق بالاسيلة والمطاعن
فقال فان قلت ايها السايل عما يوهم ما لا يليق بمقام النبوة فما معنى ما روى رواه ابن
جرير عن عكرمة مولى ابن عباس رضى الله عنهما من ان عبد الله بن ابى سرح بفتح السين
وسكون الرا وبالحاء المهملات وهو عبد الله بن سعد بن ابى سرح بن الحارث العامرى
القرشى الصحابى كاتب النبى صلى الله عليه وسلم اسلم قبل الفتح وهاجر ثم ارتد واسلم
بعد ذلك وحسن اسلامه كما تقدم وولى فى خلافة عثمان فلما قتل اعتزل الناس والتزم
العبادة ودعا الله ان يتوفاه بعد الصلاة فمات بعد تسليمه من صلاة الصبح كما
ذكره السهيلى واشار الى ما ذكر بقوله وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما ينزل عليه من الوحى ثم ارتد مشركا اى عاد لما كان عليه من الشرك وصار الى قريش
اى رجع اليهم بمكة ولحق بهم ووافقهم على شركهم وقال لهم بعد عوده لهم انى كنت
وانا اكتب الوحى اصرف محمدا من التصريف وهو التغيير والتبديل كما قال او تصريف

305

الرابح اى ابدل ما يمليه على وهو يسمعه فيوافقنى على ما اختاره حيث اريد اى فى كل شئ
اريده كان يملى على عزيز حكيم فى خواتم الايات فاقول له صلى الله عليه وسلم او عليم
حكيم اى اكتب هذا بدل ذاك فيقول لى نعم اى اكتب ما قلت بدل ما امليته كل
صواب اى ما امليته وما قلته انت من عندك وسياتى ما فيه وفى حديث اخر اى فى
رواية اخرى لهذا الحديث رواها السدى فيقول له النبى صلى الله عليه وسلم وهو
بين يديه اكتب كذا كناية عما يامره بكتابته فيقول له اى ابن ابى سرح له صلى الله عليه وسلم
اكتب كذا فيقول صلى الله عليه وسلم اكتب كيف شيت يحتمل الخبر والاستفهام
والظاهر الاول فيقول النبى صلى الله عليه وسلم اكتب عليما حكيما فيقول فيقول اى
ابن ابى سرح اكتب بدل هذا سميعا بصيرا فيقول صلى الله عليه وسلم له اى لابن
ابى سرح اكتب كيف شيت واردت كتابته وسياتى ما فيه وتاويله على تقدير صحته
وفى الصحيح اى الحديث الذى رواه البخارى وتقدم ان الصحيح اذا اطلق يراد به كتاب
وحديثه هذا روى عن انس رضى الله عنه ان نصرانيا قال البرهان لا اعرفه باسمه
وفى مسلم انه رجل من بنى النجار كان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم ما يوحى اليه بعد
ما اسلم ثم ارتد عن الاسلام الى الكفر وكان يقول بعد ما ارتد ما يدرى محمد الا ما
كتبته له يعنى انه كان يكتب من نفسه ويزعم ان ما يقروه النبى صلى الله عليه
وسلم كلامه ولم يزل لعنه الله على ردته حتى مات فدفنوه فلفظته الارض فقالوا
هذا من فعل النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه فحفروا واعمقوا ودفنوه فلفظته
ثانيا فقالوا مثل ذلك ثم وقع ذلك مرة ثالثة فعلموا انه فعل الله فتركوه كما فضحه الله
واعلم ايها المريد للوقوف على الحق وظهوره ثبتنا الله واياك على الحق فى هذه القصة
وغيرها اى جعلنا ممن علم الحق وعرفه ولم يتغير عما هو عليه وفى هذا الدعا مناسبته
لما قبله فان فيه ذكر من ارتد بعد اسلامه ممن لم يثبت على الحق بعد ما عاينه ولا جعل
للشيطان ولا جعل لتلبيسه اى خلطه الحق بالباطل الينا اى الى وصوله الينا سبيلا
وطريقا يصل منه لنا اى ابعده الله عن ساحتنا ولا سلطه علينا ان مثل هذه الحكاية
اى حكاية ابن ابى سرح والكاتب النصرانى اولا اى قبل النظر فى معناها والبحث
عن صحتها واحوال رواتها لا توقع فى قلب مومن ريبا اى شكا وترددا فى حقيقة
ما اوحى الى النبى صلى الله عليه وسلم وان الشيطان لا يتسلط عليه اذ هى حكاية
عمن ارتد وكفر بعد ايمانه يعنى ابن ابى سرح والكاتب النصرانى كما مر ونحن معاشر علما
الدين وعلما الحديث لا نقبل خبر المسلم المتهم الذى جرح وطعن فيه المحدثون
كما بينوه فى باب الجرح والتعديل مع اسلامه وعلمه لا يقبل خبره لعدم عدالته
فكيف بكافر قد افترى هو ومثله من الكفرة الفجرة اى اتصف بانه كاذب مفتر على الله
بادعا شريك وولد ونحوه ورسله بنسبتهم لما لا يليق بمقامهم ما هو اعظم من هذا

المذكور عنهما وكيف هنا للاستفهام الانكاري للتعجب نحو كيف تكفرون بالله والمصنفون
يستعملونه للترقي من ادنى لاعظم منه كما هنا والعجب لتسليم العقل اي انه يتعجب ممن سلم
عقله من الآفات والحماقة وشوايب الشك والالتباس ليشتغل بمثل هذه الحكاية يعني
حكاية الكاتبين سره السر هو الامر الخفي واريد به هنا فكره او قلبه ويشغل بزنة يعلم
اي يجعله مشغولا وهذه جملة مستانفة لبيان وجه التعجب وقد صدرت من عدو كان
مبغض للدين مبغض بوزن مصلح من البغض ضد المحبة وروى بتشديد الغين المعجمة
وروى بنون وقاف وصاد مهملة من النقص ضد الزيادة مفتر على الله ورسوله لانه
قال انه صلى الله عليه وسلم يقرع قوله وان الله لم يوح اليه وكل منهما كذب على كل
منهما ولم يرد عن احد من المسلمين انه روى ما ذكر عن ابن ابي سرح والكاتب النصراني
ولم يصح احد منهم ما قالاه ولم يثبت قولهما له صلى الله عليه وسلم ما ذكر ولا ذكر
احد من الصحابة انه شاهد ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما او ما قاله
كل واحد منهما له وافتراه على نبي الله صلى الله عليه وسلم وهذا يويد الثاني
وانما يفتري الكذب من لا يؤمن بايات الله وفي نسخة الذين لا يؤمنون بايات الله
واوليك هم الكاذبون حقيقة لحد كذبهم بالنسبة للكذب على الله ورسوله
كالعدم فالفاحشة عنده اثر دره كم من كذب يغتفر وحاصله ان مثله مما يشهد
العقل بكذبه مما لا ينبغي ذكره فانه مما يسود وجوه القراطيس بلا فايدة وانما ذكر
لازالة الشبهة عن العقول القاصرة وتبيين حاله فلا وجه للانكار على المص
وايراده له بعد ما بين حاله وما وقع من ذكرها اي ذكر هذه القصة وافراد لاستو
مقالتيهما حتى صارتا امرا واحدا من حديث انس المروي عنه وما وقع من ظاهر
حكايته لها بنقلها فليس فيه اي في الحديث ونقله لغيره ما يدل على انه شاهدها اي
ابصرها وحضرها والشاهد عندهم ما يدل على صحة الحديث من روايته من طرق
اخر تقوية كالمتابعة والفرق بينه وبين المتابعة مذكور في مصطلح الحديث
ولعله اي انس رضي الله عنه حكى ما سمع من غيره ولا قول بصحته وفي قوله
لعله اشارة الى انه متردد فيه ايضا وقد علل البزار حديثه اي حديث انس رضي الله
عنه ذلك المذكور واشار الى ان فيه علة قادحة في صحته وقال في بيان ذلك
انه رواه ثابت عنه اي عن انس ولم يتابع عليه اي لم يرو من طرق اخر بعضده عن
طريق ثابت عنه ورواه حميد بالتصغير عن انس قال اي البزار واظن حميدا
انما سمعه من ثابت لا من طريق اخر فلا يكون متابعة وحميد هذا هو حميد بن عبد
الرحمن وقيل غير ذلك وهو يروي عن انس وغيره وكان له طول في يديه توفي وهو
قائم يصلي سنة اثنين واربعين ومائة ووثقوه وقيل انه يدلس واخرج له الستة
ولا يخفى ان حديثه الذي رواه المص اخرجه البخاري فقال انه كان رجل نصراني

اسلم وقرا البقرة وال عمران وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد
فانطلق هاربا حتى لحق باهل الكتاب فعجبوا به الحديث وهو حديث صحيح فرد المص
غير صحيح والذي ينبغي له ان يقول ان من قاله كذب وافترى ولا يقدح في اصل القصة
وصحتها فانها مروية في الصحيحين كما تقدم قال القاضي ابو الفضل عياض المولف
رحمه الله تعالى على هذا اي لما ذكر مما سمعته انفا مع انه لا شاهد له ولا متابعة
لم يخرج اهل الصحيح حديث ثابت ولا حميد والصحيح حديث عبد العزيز بن رفيع وهو
مما رواه البخاري ومسلم كما تقدم واخرجه البخاري في علامات النبوة عن ابي معمر
عن عبد الوارث بن سعيد عن عبد العزيز بن رفيع عن انس وعبد العزيز هذا توفي
سنة ثلاث ومائة وقوله الذي اخرجه اهل الصحة صفة حديث واهل الصحة
الذين يروون الاحاديث الصحيحة كالبخاري ومسلم وذكرناه وليس فيه اي في
الحديث المذكور في هذه الرواية عن انس قول شيء من ذلك الذي ذكره السايل
من المطاعن من قبل نفسه بكسر القاف وفتح الموحدة اي لم يرو فيه انه صلى الله
عليه وسلم قاله من قبل نفسه لم يوح به اليه الا عن حكايته عن المرتد
النصراني وهو مفتر على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم واما ما قاله
ابن ابي سرح فسياتي بيانه ولو كانت القصة صحيحة من جهة الرواية لما كان فيها
اي في هذه الحكاية التي افتراها النصراني عدو الله المرتد قدح اي عيب ونقص
في مقام النبوة من قدح كمنع اذا طعن فيه ولا توهيم اي نسبته الى الوهم بفتح الهاء وهو
الغلط وبسكونها ذهاب الوهم لشيء كما في الصحاح وفي بعض النسخ توهين بالنون
من الوهن وهو الضعف اي نسبته لما يوهن جانبه بما لا يرضى له للنبي صلى الله عليه
وسلم فيما اوحى اليه من ربه وليس مثله مما يعتد به ولا جواز للنسيان والغلط
عليه فيما طريقه التبليغ من الوحي كما توهمه السايل والتحريف تفعيل من الانحراف
وهو الميل عن الحق والمراد به التبديل والتغيير فيما بلغه عن الله ولا طعن في نظم
القران بان يقال انه اثبت فيه ما ليس منه من كلام الكاتب الكاذب ولا طعن
في انه من عند الله وانه فيه ما ليس منه بتبديل الفاظه بغيرها اذ ليس فيه اي فيما
قاله الكاتب لو صح ما قاله اكثر من ان الكاتب المذكور قال له صلى الله عليه وسلم
عليم حكيم مثلا او كتبه اي ما ذكره ونحوه وهو يملي ويكتب ما يلقيه له لفهم
خاتمة الكلام من ابتدايه على طريقة الارصاد البديعي وهو ان يورد نظما او نثرا
يفهم اخره من اوله قبل تمامه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هو اي
لفظ القران مثل ما قلت وسايتبادر لفهمه لذكايه الذي ذلك على مقطع الكلام
الدال عليه اوله فسبقه لسانه او قلمه اي سبق النبي صلى الله عليه وسلم
لسان الكاتب وقلمه لما سيمليه عليه وتوارد معه لكلمة واحدة مثل عليم

او حكيم او كلمتين كغفور رحيم لانتقاله من سياق الكلام لذلك مما نزل على الرسول
صلى الله عليه وسلم بالوحي لذي املاه عليه قبل اظهار الرسول لهما اي الخاتمة
الكلام من كلمة او كلمتين والضمير للكلمة ويعلم منه الكلمتان وما قدمناه اولى
اذ كان ما تقدم مما املاه الرسول صلى الله عليه وسلم بيان لما يدل عليها اي على الخاتمة
او الكلمة ويقتضي وقوعها في اخره وخاتمته بقوة قدرة الكاتب على الكلام بيان
لسبب سبقه وانه لكونه من صميم العرب الناشئين في حجر البلاغة المرتضعين
لثديها ومعرفته به اي ببليغ الكلام نظما ونثرا وصناعته وصبه في قالبه وجودة
حسه المدرك له وفطنته اي سرعة انتقاله له قبل تمامه كما يتفق ذلك الانتقال
للعارف باساليب الكلام اذا سمع البيت من الشعر اذا انشد ان يسبق فهمه لقوة
ادراكه الى قافيته اي اخر كلمة منه قبل الوصول اليها او اذا سمع مبتدا الكلام
واوله الحسن اي الفصيح المنسجم وقيده به لانه هو يرتبط بعضه ببعض
وتتجاذب كلماته فتتعانق وتتلازم بجذاذ في المتنا فركماته الى ما يتم به من خواتمه
ولا يتفق اي يقع اتفاقا ذلك اي سبق الفهم من اول الكلام الخ في جملة الكلام اي
لا يقع ذلك في الكلام بتمامه بان يسبق فهمه الى الخطبة او قصيدة بتمامها فان التردد
في مثله بعيد جدا كما وقع للصدر بن الوكيل مع ابن اسرايل لما ادعى قصيدة له وتحاكما
عند ابن الفارض فحكم بها للصدر فقال قايل انه من وقع الحافر على الحافر فقال وقع
الحافر على الحافر من الاول الى الاخر في القصة المشهور وقيل مراده بجملة الكلام انه
ليس كل كلام تدل فاتحته على خاتمته والظاهر الاول لقوله كما لا يتفق ذلك في اية
ولا سورة بتمامها من الايات والسور ثم شرع في الجواب عن قصة ابن ابي سرح بعد
ما اجاب عن قصة النصراني وقدمها لصحتها وظهور جوابها فقال وكذلك
اي مثل هذه القصة قوله صلى الله عليه وسلم فيما تقدم في قصة ابن ابي سرح
لما قال بعد ردته كنت اصرف محمدا حيث اريد كان يملي علي عزيز حكيم فاقول او عليم
حكيم ان صح انه كان يقول ذلك كل صواب مما امليته وقلته انت فقد يكون هذا
الذي وقع له مع ابن ابي سرح فيما كان فيه من مقاطع الاي جمع اية وفي نسخة الايات
وضمير فيه لما اوحي اليه من القران والمقاطع جمع مقطع وهو اخر الكلام وقوله
وجهان وقرانان علمهما بالوحي فاملى عليه احداهما وذكر الكاتب الاخرى فلذا
قال له صلى الله عليه وسلم كل صواب لانهما انزلتا جميعا على النبي صلى الله عليه
وسلم فاملى صلى الله عليه وسلم احداهما على ذلك الكاتب وتوصل الكاتب
المذكور لما ذكره بفطنته ومعرفته باساليب البلاغة بمقتضى الكلام اي بما
يقتضيه مقامه ويدل عليه سياقه الى القراءة الاخرى التي ذكرها الكاتب
ظانا انه ابتكرها فذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم اي القراءة الاخرى

ذكرها

ذكرها كاتبه توارد امن حيث القريحة على نظم القران النازل على اساليب كلامهم
فتوهم ان الرسول صلى الله عليه وسلم قراء كلامه وقوله قبل ذكر النبي صلى الله
عليه وسلم لها اي لتلك الكلمة او الكلمتين فصوبها له اي قال له انها صواب
لموافقته لما اوحي اليه وهي متقدرة لا اعجازية ثم احكم الله من ذلك الذي انزله
على رسوله صلى الله عليه وسلم فاملاه عليه ما الحكم اي اثبته واتقنه ونسخ
ما نسخ اي ما اراد نسخه لفظا ومعنى او لفظا لا معنى وعكسه كما فصل في كتاب
الناسخ والمنسوخ وحاصله ان ما قاله ابن ابي سرح لا ضير فيه فانه سبق النبي
صلى الله عليه وسلم لكلمات وافق فيها لفظه لفظ القران فصوبه النبي صلى الله
عليه وسلم واقره عليها فلما ارتد واضله الله قال لما قال ثم اسلم عام الفتح
وحسن باسلامه حاله بعد ذلك ومحا الله عنه ما افتراه حال ردته سواء كان
ما قاله موافقا لما املاه عليه او مخالفا له على انه قراءة اخرى وقد تخالف القراءات
لفظا ومعنى وانما الممنوع فيها التناقض كما قد وجد ذلك اي تخالف القراءات
في بعض مقاطع الاي وهي فواصلها واواخرها التي هي في النثر كالقوافي في الشعر
مثل قوله تعالى حكاية عن عيسى صلى الله عليه وسلم ان تعذبهم فانهم عبادك
تفعل بهم ما تريد وان تغفر لهم ذنوبهم وعصيانهم فانك انت العزيز القوي القادر
على الثواب والعقاب الحكيم اي الواقع جميع افعاله على مقتضى الحكمة لا يسأل
عما يفعل بحكمته البالغة وان لم يظهر لنا وجهه وهذه القراءة قراءة الجمهور اي
اكثر القراء وهي القراءة المتواترة وقد يتوهم في بادي النظر ان المناسب للمغفرة الغفور
الرحيم بدل العزيز الحكيم وقد قرا جماعة من الصحابة في الشواذ فانك انت الغفور الرحيم
بدل قوله فانك انت العزيز الحكيم القراءة المتواترة وليست هذه القراءة الشاذة
في المصحف العثماني المسمى بالامام المجمع على القراءة بما فيه وترك ما عداه وظن بعضهم
ان القراءة الشاذة هي المناسبة هنا وليس لهذا وجه لمن له معرفة بدقائق البلاغة
فان المعنى انك ان غفرت ذنوبهم فليس ذلك عن عجز لانك عزيز غالب على كل من سواك
ولا قبح في فعلك لانك حكيم ولو قال انك انت الغفور الرحيم اوهم الدعاء بالمغفرة
لمن مات مشركا وهو غير مستقيم اي ان تبقهم على كفرهم حتى يموتوا وتعذبهم فانهم عبادك
وان هديتهم لطاعتك وتغفر لهم فانت العزيز الذي لا يمنع عما اراد والحكيم في افعاله
فيضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا وجه للطعن فيها بعدم المناسبة وقال ابن الانباري
هذا هو المناسب لان الغفور الرحيم ينفرد بالشرط الثاني والعزيز الحكيم يتعلق
بالشرطين اي ان تعذبهم او تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم في الامرين التعذيب
والمغفرة فهو اليق فتدبر وكذلك وقع في القراءات كلمات جاءت على وجهين متواترين
في غير المقاطع والاواخر كما جاء في المقاطع قراهما الجمهور من القراء العشرة المتفق

على قراتهم وثبتا اى القراة بالوجهين فى المصحف العثمانى المعمول برسمه مثل قوله تعالى
وانظر الى العظام جمع عظم اى عظم الحمار او عظم الموتى التى تعجب من احيائها
كيف ننشرها براء مهملة من النشر اى نحييها وبه قرا ابو عمرو وغيره وننشزها بزاى معجمة
بقراة نافع وغيره اى نحركها ويرفع بعضها على بعض من النشز بمعنى المرتفع ومثل
قوله تعالى يقضى الحق بضاد معجمة وتحتيه فى قراة ابى عمرو وغيره اى يقضى القضا
الحق فى كل ما يقضيه ويقص بصاد مهملة مشددة فى قراة نافع وغيره اى يتبع
الحق فيما يحكم به ويقدره وكل هذا المذكور فى هذا الفصل لا يوجب اى لا يستلزم
ولا يقتضى ريبا اى شبهة ولا يسبب بصيغة المضارع اى يكون مسببا له صلى الله
عليه وسلم غلطا ينسب اليه فيما طريقه البلاغ وكلاهما بسكون الها بمعنى الغلط
فهو عطف تفسير وقيل انه بفتحها من وهم يهم اذا ذهب وهمه اليه وفيه نظر وقد
قيل ان هذا الذى وقع فى قصة الكاتبين يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبى صلى الله
عليه وسلم فى مكاتبته الى الناس يدعوهم الى الاسلام ملوكا وغيرهم غير القرآن
فله فيه ان يصف الله عز وجل هو او ياذن لكاتبه فى ذلك ويسميه فى ذلك الكتاب
الذى يكتبه لانه ليس قرانا يجب اتباع نظمه كيف شا باى لفظ كان مما يليق به كام
ولذا قال له اكتب كيف شئت وكل صواب فصل هذا القران المذكور
فى هذا الفصل الذى قبل هذا من الوحى عن ربه واقع فيما طريقه البلاغ اى تبليغ
الناس عما امر بتبليغه عن ربه بالوحى واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ مما امر
ببيانه من الاخبار بيان لما الثانية وهى بفتح الهمزة جمع خبر التى لا مستند اى لا
استناد لها الى الاحكام الشرعية التى يتعبدها ولا تستند لها الى اخبار المعاد
بفتح الميم اى احوال القيامة والاخرة التى لا تعلم الا بالوحى ولا تضاف اى تسند
اى تسند وتنسب الى وحى اى ما اوحى به اليه من ربه كاخباره عن بعض المغيبات
ونحوها مما يقول انه اوحى به اليه بل اضراب انتقالى لبيان ما ليس طريقه البلاغ
وليس من الاحكام واخبار المعاد والوحى مما وقع ذكره فى احوال الدنيا وفى نسخة
امور الدنيا واحوال نفسه صلى الله عليه وسلم المتعلقة بامور نفسه فالذى
يجب شرعا علينا اعتقاده والجزم به تنزيهه صلى الله عليه وسلم وتبرئته
عن ان يقع خبره الذى اخبر به فى شىء من ذلك المذكور من احوال الدنيا واحوال
نفسه وذاته ملتبسا بخلاف مخبره بضم الميم وفتح البا اسم مفعول اى غير
مطابق لما اخبر عنه بوجه ما لا عمدا لانه يكون كذبا لا يليق به ولا سهوا ولا غلطا
لاعتقاده ما ليس واقعا واقعا وانه بفتح الهمزة معطوف على تنزيه معصوم حفظه الله
عن صدوره منه فى جميع احواله فى حال رضاه اى كونه غير غضبان ولا مكره على اخباره
وفى حال سخطه بفتحتين او بضم فسكون اى كراهته وعدم رضاه ووجده بكسر

الجيم

الجيم وهو ضد الهزل والمزح الذى اشار اليه بقوله ومزحه اى مزاحه وهزله
فانه صلى الله عليه وسلم كان يمزح احيانا ولا يقول الا حقا وفى حال صحته
اى صحة مزاجه وسلامته من الامراض ومرضه اى عروض بعض الامراض البشرية
عليه ودليل ذلك المذكور من عصمته فى اخباره وجميع احواله اتفاق السلف
اى من تقدم عصره من هذه الامة واجماعهم عليه اى على انه لا يصدر عنه خبر
بخلاف مخبره اصلا وذلك انا نعلم يقينا من دين الصحابة رضى الله عنهم والدين
اما بمعنى الديانة او بمعنى العادة فقوله وعادتهم عطف تفسيرى اى دابهم الذى
استمروا عليه او الدين بمعنى الطاعة والانقياد له مبادرتهم اى اسراعهم
من غير توقف وتردد وفى نسخة مبادرين فهو حال مما قبله اى مسارعين الى
تصديقه صلى الله عليه وسلم بقبول ما يقوله فى جميع احواله السابقة من جد
وما بعده والثقة اى الوثوق والاعتماد لتصديقهم بجميع اخباره فى باب اى
نوع من الانواع كانت اخباره واى شىء وفى نسخة وعن اى شىء وقعت وصدرت
منه وباى سبب فى اى حال من احواله وانه اى الامر والشان لم يكن لهم توقف
تفعل من الوقوف اريد به الشك والريبة ولا تردد هو ايضا حقيقة عرفية فى الشك
وعدم الوقوف فى شىء منها اى من اخباره بل بمجرد السماع يجزمون بتحقق خبره
كانهم عاينوه فيتلقوه بالقبول وانشراح الصدر ولا استثبات عن حاله
اى حال خبره او عن احواله صلى الله عليه وسلم فى اخباره والاستثبات
بسين مهملة ومثناة فوقية ومثلثة وموحدة ومثناة مجرورة وهو طلب
الثبوت بسوال ونحوه عند ذلك اى فى زمان اخباره فلا يخطر ببالهم ولا يقولون
هل وقع فيها سهو ام لا اى هل صدر اخباره سهوا منه ام عمدا او غيره وهذا بيان
لاستثباتهم وهذا دليل على انه لم يقع منه ذلك واما عدم جوازه عليه وان كنا
نعتقده ايضا فليس بمراد فلا وجه لما قيل من انه انما يدل على عدم الوقوع لا على
عدم الجواز فللقايل به ان يطلب الدليل على امتناعه ولما احتج اى تمسك واستدل
ابن ابى الحقيق بصيغة المصغر علم لهذا الشخص اليهودى وبنو الحقيق طايفة
من يهود خيبر لهم بها حصن منهم كنانة بن الربيع بن ابى الحقيق زوج صفية بنت حيى
ابن اخطب ام المؤمنين رضى الله عنها وله قصة فى السير وليس هو هذا لانه
قتل فى زمنه صلى الله عليه وسلم واما هنا فلم يذكروا اسمه وهذا الحديث
رواه البخارى فى حديث اجلا يهود خيبر على عمر بن الخطاب رضى الله عنه متعلق
باحتج ويحتمل ان يريد بابن ابى الحقيق جماعتهم كابن ادم للناس لهم قوله حين اجلاهم
من خيبر اى اخرجهم وطردهم منها فى زمان خلافته رضى الله عنه وهى بلاد بقرب
المدينة لليهود علم ممنوع من الصرف والجار متعلق باجلاهم باقرار اى جعلهم

قارين فيها ساكنين من غير اخراج لهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم اى لبنى الحقيق
متعلق باقرار بجعل فعله صلى الله عليه وسلم حجة على عمر رضى الله عنه واحتج عمر رضى الله
عنه اى اقام الحجة عليه ردا لما احتج به بقوله صلى الله عليه وسلم لذلك اليهودى
من بنى الحقيق كيف بك اذا اخرجت من بلادك اى فى اى حال تكون اذا وقع بك ما يصيبك
واجليت من بلادك ونفيت منها فهذا يدل على عدم دوام اقراره لهم كما ظن فهو متضمن
لخبر صادق منه فقال له اى لعمر رضى الله عنه اليهودى المذكور ردا لما احتج به كانت
مقالته صلى الله عليه وسلم كيف بك الخ هزيلة تصغير هزلة وهى المرة من الهزل ضد
الجد كما فى النهاية من ابى القاسم هى كنيته صلى الله عليه وسلم كابى ابراهيم اى انما قالها لهذا
على طريق الهزل والمزح فلا دليل فيه فقال عمر رضى الله عنه مجيبا له كذبت يا عدو الله
اى لم يقل صلى الله عليه وسلم ذلك هزلا ولو كان مزحا ايضا فهو لا يمزح الا بحق
وذلك العدو يعتقد خلاف ذلك عنادا منه وجهلا بمقام النبوة وتحقيرا له
لعنه الله والصحابة لا يقولون بشئ من ذلك وهذا الحديث رواه الشيخان عن ابن عمر
مفصلا فى خطبة لعمر رضى الله عنه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرهم بها
على ان يكون ثمارها بينه وبينهم ثم اقرهم ابو بكر رضى الله عنه على ما اقرهم عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم اقرهم عمر رضى الله عنه فى اول خلافته على ذلك ثم لما ظهر له
عدم بابن عمر اجلاهم منها واعطاهم قيمة ما لهم من الثمار والاموال واخرجهم الى تيماء
واريحاء من جانب الشام لحديث لا يجتمع بجزيرة العرب دينان كما فصل فى السير والبخارى
وشروحه وكانت محاجة اليهودى له عند ذلك كما تقرر وايضا اى مثل ما ذكر فى الدلالة
على عصمته صلى الله عليه وسلم فى جميع اخباره فان اخباره المروية عنه صلى الله عليه
وسلم واثاره جمع اثر بمعنى خبر يورث وينقل عنه وسيره جمع سيرة وهى الصفة
الحميدة وشمايله جمع شمال بكسر الشين وهى صفاته الذاتية الحسنة معتنى بها نقلا
وخطا اسم مفعول من العناية بمعنى الاشتغال والاهتمام ومستقصى اى مستوفاة
متممة من اولها الى اخرها واقصاها بتفاصيلها اى مفصلة مبينة كلها ولم يرد عنه
فى شئ منها اى من الاخبار والاثار والسير استدراكه اى تداركه صلى الله عليه وسلم
بالرجوع عما فرط منه للصواب فيه لغلط فى قول قاله فيما ذكر من الاخبار وغيرها
او اعترافه واقراره بوهم اى غلط فى شئ اخبر به احدا من الصحابة ولو كان اى وقع منه شئ
من ذلك لنقل الينا كما نقل فيما رواه مسلم عن طلحة وانس وغيرهما فى قصة رجوعه صلى الله
عليه وسلم اى تحوله عن رايه لغيره عما اشار به على الانصار فى تلقيح النخل التلقيح
والتابير جعل شئ من طلع الذكر فى الانثى لتحصيل ثمرها وبلحها وهو بمنزلة النطفة للحمل
جرت العادة لحكمة الهية انها لا تثمر بدونه وكان صلى الله عليه وسلم مر بهم وهم يفعلون
ذلك فنهاهم عنه فاخبروه فقال لهم دعوه فتركوه امتثالا له صلى الله عليه وسلم

فلم يخرج نخلهم فى ذلك العام فلما اخبروه بذلك قال لهم انتم اعرف بدنياكم فعدم معرفته
صلى الله عليه وسلم بامر هذه الامور لا ينافى عصمته وانه لا يخبر بما يخالف الواقع لان
جل همه صلى الله عليه وسلم امور الاخرة والشرايع وقوانينها وغيره انما جعل قصده العلم
بظاهر من الحياة الدنيا وهذه القصة رواها مسلم كما علمت بسند صحيح وفيه ان ثمرها
خرج شيصا وهو البسر الذى لا نوى له وقال المص هو ردى البسر الذى اذا يبس صار
حشفا وكان ذلك الامر الذى اشار عليهم به النبى صلى الله عليه وسلم بقوله لو لم تفعلوا
كان خيرا رايا اشار به عليهم بناء على دابه صلى الله عليه وسلم فى ترك الاسباب
الظاهرة والنظر لمسببها كما هو داب الكمل ولو كان اعتقادهم واعتمادهم على الله
مثله صلى الله عليه وسلم لم يتخلف ذلك ولذا فوض لهم صلى الله عليه وسلم
امر دنياهم نظرا لقلوبهم لا خبرا اخبرهم به يكون وقوع خلافه كذبا حماه الله منه
ولا غلطا منه لانه اجتهاد تغير بحسب الظاهر فلا نقص ولا يطعن به عليه وفيه انشدوا
ان الرسول لسان الحق للبشر بالامر والنهى والاعلام والخبر هم اذكيا ولكن لا يصدهم
ذاك الذكا لما فيه من الضرر الا فراهم لتابير النخيل وما قد كان فيه على ما فيه من ضرر
هم سالمون من الانكار ان زعموا حكما بحل وتحريم على البشر وغير ذلك مما صدر منه من الامور
التى ليست من هذا الباب مما ينزه عن الاخبار فيه بما يخالف مخبره من امر الشرع والمعاد كقوله
صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه فى غزوة
تبوك لما ساله صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة ان يحملهم فقال والله لا احملكم
ما عندى ما احملكم عليه فاتى بعد ذلك بابل فاعطاها السايل وقال ما انا حملتكم ولكن الله
حملكم ثم قال والله انى لا احلف اى اقسم على يمين المراد باليمين المستعمل بمعنى القسم هنا
والمراد المقسم عليه من فعل وترك قال الزمخشرى سمى المحلوف عليه يمينا لتلبسه به
واصله العقد بنية وعزم واكده اشارة الى انه ليس لغوا لا ينعقد واصل اليمين اليد
اليمنى سمى به لانهم كانوا يتماسكون بها اذا حلفوا فارى غيرها اى اعلم غير اليمين المحلوف
عليها واليمين مونث بجميع معانيه فكنى بضميرها عن المحلوف عليه اعنى تركه صلى الله
عليه وسلم حملانهم لان سببها خيرا منها اى احسن من فعلها الا فعلت الذى
حلفت عليه اى الامر الذى اقسم على ان لا يفعله كتركه حملانهم هنا وكفرت عن يمينى
بكفارته شرعا وليس هذا بغلط فيما طريقه البلاغ ولا خبر لانه انشا قسم قال ابو موسى
رضى الله عنه وكان صلى الله عليه وسلم لما حلف ان لا يحملنا ثم ارسل الينا وحملنا فقلنا
نسى ما اقسم عليه والله لئن فعلنا ما فيه حنث له صلى الله عليه وسلم لا نفلح فلنذكره
فرجعنا وذكرنا له ذلك فقال انطلقوا انما حملكم الله ثم قال والله لا احلف على يمين
الخ وبه استدل على ان الحنث بما هو خير يستحب وليس فيه انه حنث فى هذه اليمين
وكفر لانه يحتمل انه لم يكن عنده ما يحملهم عليه لما اقسم ويحتمل انه قال ان شاء الله

ومن هذا القبيل قوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ام سلمة رضي الله عنها
انكم معاشر الامة تختصمون اي تاتون لفصل الخصومة الي اي عندي قال الحديث الخ وتمامه
ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض اي افصح فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن اقتطعت له
من اخيه شيئا اي ليس حقه فلا ياخذه فكانما اقتطع له قطعة من النار فليحملها او يذرها
وفيه تنبيه قف على بشريته صلى الله عليه وسلم وانه لا يعلم الغيب وانما يحكم بالظاهر
وقد كان له صلى الله عليه وسلم الحكم بالباطن لاطلاع الله له عليه كما ذكره
السيوطي ولكن هذا اغلب احواله صلى الله عليه وسلم تعليما لامته حتى يقتدوا به
وقوله صلى الله عليه وسلم للزبير رضي الله عنه في حديث روي في الكتب الستة من انه
صلى الله عليه وسلم للزبير ان يسقي نخله ولا يستوعب الما ثم يرسله لجار له من الانصار
فقال له الانصاري انه كان ابن عمتك فقال صلى الله عليه وسلم استو حتى يبلغ الما
الجدر استو بهمزة وصل امر من سقي وقيل بهمزة قطع من اسقاه والجدر بفتح الجيم وسكون
الدال المهملة وقيل معجمة تليها را مهملة وروي بضم الجيم جمع جدار ومعنى الاول لما رفع
كالجدار لحبس ما السقي او هو لغة في الجدار وقيل اصل الجدار وعلى الاعجام تمام الشرب
من جذر الحساب ويجوز كسر جيمه ومعناه الاصل وقيل هو اصل الحايط وحاصل ما ياتي
في ذلك انه كان رجل انصاري خاصم الزبير ابن عمته صلى الله عليه وسلم في سراج الحرة في الما
الذي يسقي به النخل وقال له ارسل الما الي فترافعا له صلى الله عليه وسلم فقال اسق يا زبير
ثم ارسل لجارك فقال لان كان ابن عمتك فتلون وجهه صلى الله عليه وسلم فقال اسق
يا زبير واحبس الما حتى يبلغ الجدر وفيه نزل فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما
شجر بينهم وان الرجل المخاصم قيل هو حاطب بن بلتعة ولا يصح لانه ليس انصاريا وقيل
ثابت بن قيس وقيل ثعلبة بن حاطب وقيل حميد وقيل انه بدري ونقل ابن الملقن انه منافق
من الانصار وسياتي نقله عن الزجاج كما سنبين كل ما في هذا الحديث وما معه قرب
اخر الكتاب من مشكل ما في هذا الباب والباب الذي بعده واتي بقوله ان شا الله للتبرك
امتثالا لقوله تعالى ولا تقولن لشي اية مع اشباهها اي اشباه وامثالها في الباب
وانت باعتبار المعنى اي اشباه هذه المشكلات وايضا اي مثل ما ذكر من الجواب فان الكذب
متى عرف من احد في شي من الاخبار بخلاف ما هو عليه في الواقع والاولى ترك هذا الان
الكذب لا يكون الا كذلك وقد اطنب المص وطول بما لا فايدة فيه وكان يمكن اختصار
هذا في كلمات قليلة على اي وجه كان سوا كان هزلا او جدا كالحكواتية الذين ينقلون
الحكايات الباطلة مع علمهم بها للتلهي بها كما هو معروف الان استريب بخبره اي
اوقع الناس في ريبته وشك فيما يخبر به حتى لو صدق لم يصدق واتهم في حديثه الذي
يحدث الناس به ولم يقع قوله في النفوس موقعا اي لم يقبل ولم يلتفت اليه ولهذا اي
لكون الكذب يوقع في ذلك ما ترك المحدثون سا زايدة وفي نسخة حذفها وهي اولى والعلما

من عطف

من عطف العام على الخاص اي علما الحديث والفقها وغيرهم من اهل العلم الحديث مفعول
ترك ممن عرف بالوهم بفتح الها بمعنى الغلط وهو بسكونها بمعنى الوقوع في القوة الواهمة
ومنه تفصيل في كتب اللغة والغفلة اي الذهول وعدم معرفة الامور
وسو الحفظ وكثرة الغلط عطف تفسير على سو الحفظ اي كون حفظه سيئا
غير قوي مع ثقته اي كونه ممن يوثق به لديانته وعدم تعمده الكذب فيما يحدث به
ومع ذلك يتركون رواية الحديث عنه لانه قد يقع فيه ما لا اصل له لغفلته وقلة
حفظه واذا كان هذا المخالفته الواقع غير مقبول فما بالك بالكذب ممن عرف به
ولا يرد على المص انه اذا حدث من اصل صحيح عنده تقبل روايته منه لا عن ظهر
قلبه وحفظه وانه لا يشترط في هذه الاعصار ذلك ابقا لسلسلة الحديث
لانه اذا حدث عن اصل كان الاعتماد عليه لا على حفظه وما ذكره هو الذي عليه
علما الحديث المعتمد عليهم وايضا اي مثل ما ذكر في عدم الاعتماد على من يكذب
فان تعمد الكذب قصدا والفا في جواب شرط مقدر نحو ان لحظت بما ذكر خبرا وعلمته
في امور الدنيا فضلا عن الحديث والامور الشرعية معصية وذنب يذم به عاجلا
ويعاقب عليه اجلا ان لم يغفر الله والاكثار منه كبيرة باجماع من ايمة الدين وهي كما
قالوا مختلف في تعريفها وهل هي محصورة ام لا كما تقرر في كتب الاصول وسياتي
الاشارة الى شي من ذلك مسقط للمروة اي يذهب عدالته والمروة بهمزة
او واو مشددة مصدر من المرء كالرجولية والانسانية وكل هذا المذكور
من الكذب وقبايحه مما يزري ويبعد عن مقامه ويبرا عنه منصب النبوة المراد بمنصبها
مقامها وهو في اللغة بمعنى الحسب كما في قول ابي تمام ومنصب نماه ووالد سما به واما
استعماله بمعنى الولاية السلطانية فمولد كقول ابن الوردي رحمه الله تعالى
نصب المنصب اوهى جلدي وعناي من مداراة السفل كما تقدم والمرة الواحدة منه
اي من الكذب وفي نسخة منها اي من هذه المعصية فيما يستبشع اي يستقبح من البشاعة
بموحدة وشين معجمة وليشاع اي يشيعه الناس لشناعته وقوله فيما يتعلق بعدد
اي معدودا فيما الخ وفي نسخة يستشنع بنون من الشناعة وهما بمعنى وفيها ايضا
ويشيع بدل ويشاع مما يخل من الخلل بعرضه ودينه بصاحبه المتصف به ويزري
اي يعيب وينقص ويحط مكانته اي يجعله متصفا بالخلل والنقص من زرى عليه
ازرا اذا عابه وفي نسخة صاحبها وقايلها كما تقدم وقوله والمرة مبتدا خبره
قوله لاحقة بذلك اي بما لا يليق بمنصب النبوة او خبره مما وهي حال واما الكذب
فيما لا يقع هذا الموقع اي لا يعد مما يستبشع فان عددناها اي جعلناها من الصغاير
دون الكباير التي يترتب عليها حد او وعيد على الخلاف فيها فهل يجري على حكمها اي
يوافق حكمها حكمها ويتحد في الخلاف فيها اي وقع الخلاف فيما قبلها هل يجوز صدوره

من الانبيا عليهم الصلاة والسلام قبل البعثة ام لا فذلك الخلاف فهل وقع
من ايمة الدين في هذه ام لا تختلف فيه اى وقع فيه خلاف من ايمة الاصول فمنهم من قال
اختلف فيه ايضا ومنهم من قال لا خلاف في عدم وقوعه منهم لانه مما ينفر القلوب عنهم
والكذب حرام منه ما هو صغيرة وما هو كبيرة وقد يقترن به ما يصيره كفرا وقد
يقترن بالصغيرة ما يصيرها كبيرة ككونها تودى الى القتل والقتال كما قاله
الجوينى وليس هذا محل تفصيله والصواب من هذه الاقوال تنزيه النبى صلى الله
عليه وسلم ومقام النبوة عن قليله اى الكذب وكثيره لاخلاله بعظيم قدرها
وشرفها سهوه لعصمة الله له عنه وعمده لعلو طبعه عنه اذ عمدة النبوة بضم العين
ما نعتمد عليه والمراد به المقصود منها بالذات البلاغ والاعلام لمن رسل اليهم
ما اوحاه الله اليه والتبيين لهم ما شرعه الله وتصديق من رسل له في ما جا به النبى
صلى الله عليه وسلم من التوحيد والشرايع التى جا بها عن ربه وتجويز شى من هذا
بانواعه على انبيا الله قادح في ذلك العمدة المقصود من بعثته وبلاغه واعلامه
ووجوب تصديقه لان من يجوز عليه الكذب فى شى ما لا يعتمد عليه فيما بلغه
عن الله واتى بالاشارة للقريب فى الكذب تحقيرا له وباشارة البعيد فيما بعده
تعظيما له وهو ظاهر وتجويزه ايضا مشكك فيه اى فيما جا به لالتباس صدقه الواجب
اتباعه بكذبه لو وقع منه ولو سهوا مناقض للمعجزة لايجابها تصديقه ولذا قرنت
بها الدعوة فليقطع عن يقين امر للغايب اى يعتقد قطعا بانه اى الامر والشان
او الكذب باقامة الظاهر فى قوله لا يجوز بسكون الواو وتشديدها على الانبيا
كلهم خلف بضم الخا وفتحها اى كذب فى القول الصادق عنهم وفى نسخة فى قول بوجه
من الوجوه وفى نسخة فى وجه اى فى اى شى كان سوا كان من قبيل البلاغ ام لا لا بقصد ولا
بغيره كالسهو ولا يتسامح اى لا يتساهل ولا يتهاون مع من تسامح متبعا لمن تساهل
فى حقهم فى تجويز ذلك الخلف فى اقوالهم بجوزه عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ
عن الله لعصمة الله لهم عنه وصمته ومنهم بعض الشراح القايل بانه لا دليل على عدم
وقوعه منهم نادرا نعم جواب سوال تقديره هل هذا شامل لما قبل النبوة فاجاب
بانا نقطع بانه لا يجوز بعد النبوة وبانه لا يجوز عليهم الكذب مطلقا قبل اظهار
النبوة والانسام اى الاتصاف من اتسمه به اى الكذب فى امورهم الخاصة بانفسهم
واحوال دنياهم اى الاحوال المتعلقة بالدنيا لهم ولاممهم لان ذلك اى الخلف فى الدين
كان يزرى اى يعيب وينقص كما وريب اى يوقع فى ريب وتهمة بهم فيوقع الشك
والتحقير فى القلوب وهو مما ينزه عنه مقام النبوة وينفر القلوب اى قلوب الناس
عن تصديقهم فيما يبلغونه لهم بعد مبنى على الضم اى بعد ارسالهم وتبليغهم او بعد
العلم باتصافهم بالكذب ثم ايد ذلك بقوله وانظر امر لكل من له نظر ومعرفة

احوال اهل عصر النبى صلى الله عليه وسلم اى من عاصره فى مدة حياته من قريش وغيرها
من العرب انثه باعتبار القبلية وغيرهم من الامم كالروم والعجم والحبش وسواهم
تفتيشا عن حاله فى اموره وسيرته بعد دعوتهم وقبلها لما شاع صيته فى الافاق فى صدق
لسانه اى صدق كلامه فان اللسان يطلق على الجارحة والكلام وقوله فى صدق الخبر بيان
لحاله اى حاله الكاين فى صدقه وما عرفوا به من ذلك بتشديد الراو البنا للمفعول ويجوز
تخفيفها والبنا للفاعل واعترفوا به مما عرف هو ايضا كالاول واتفق النقل على عصمة
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم منه اى من جميع ما ذكر عمدا وسهوا قبل وبعد مبنيان
على الضم اى قبل البعثة وبعدها والمراد نقل علما الملة او نقل الناس بعضهم عن بعض
عصرا بعد عصر ثم لم يزالوا ينقلون خلفا عن سلف انه لم يقع منه ذلك وعدم وقوعه
يدل على عدم جوازه عليه فالتوقف فيه لا يجوز وتحقيقه كما قاله العلامة العلاى
فى تاليف افرده لشرح هذا الحديث ومن خطه نقلت وعبارته اتفق جميع اهل الملل والشرايع
على وجوب عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام عن تعمد الكذب فيما دلت عليه المعجزة
القاطعة على صدقهم فيه وذلك فيما طريقه التبليغ عن الله من دعوى الرسالة وما نزل
عليهم من الكتب الالهية اذ لو جاز ذلك ادى الى ابطال دلالة المعجزة وهو محال واما
السهو والنسيان فقال الامدى اختلف الناس فيه فذهب ابو اسحاق الاسفراينى
وكثير من الايمة الى امتناعه وذهب القاضى ابو بكر الى جوازه وادعى الفخر الرازى
فى بعض كتبه الاجماع على امتناعه ونقل الخلاف فيه فى بعضها وحاصل الخلاف يرجع
الى ان ذلك داخل تحت دلالة المعجزة على التصديق فمن جعله غير داخل فيها جوزه
لعدم انتقاض الدلالة وفى كلام امام الحرمين ان ذلك فيما يتعلق ببيان الشرايع
سوا كان قولا او فعلا نازلا منزلة قوله فى اقتضا البيان ومال كلامه الى جواز السهو
فيه واحتج بقصة ذى اليدين وقال شيخنا الزملكانى والذى يظهر ان ما طريقه
البلاغ يقطع بدخوله تحت دلالة المعجزة على الصدق لهذا لا نزاع فى انه لا يجوز
فيه التحريف ولا الكذب ولا السهو وما لا يكون كذلك وهو ما لا طريقه التبليغ
وبيان الشرايع فهل يجوز فيه النسيان وهذا محل الخلاف ويحمل اطلاق الفخر الاجماع
فيه على الاول وذكره الخلاف على الثانى وكذا كلام الامدى محمول على هذا التفصيل
وقال الباقلانى فى كتاب الانتصار المعجزة تدل على صدق النبى صلى الله عليه وسلم
فيما يفكر فيه وهو عامد له وذهول النفس وطريان النسيان وبوادر اللسان لا يدخل
تحت الصدق الذى هو مدلول المعجزة ومن زعم ان فى تجويز ذلك القدح فى الثقة
بتبليغ الانبيا عليهم الصلاة والسلام فليس بشى فانه انما يكون ذلك لو جوز
تقريرهم عليه وهو ممتنع واما القاضى عياض فانه نقل الاجماع على عدم جواز السهو
والنسيان فى الاقوال البلاغية وخص الخلاف بالافعال وهو يرجع الى اندراجه

تحت دلالة المعجزة كما ذكرنا انتهى ثم اشار الى ما يويد هذا مما قدمه بقوله وقد ذكرنا الخ
واورد سوالا وجوابا عما يرد على كلامه فقال فصل فان قلت فما معنى قوله صلى الله
عليه وسلم في حديث السهو اي الحديث الذي روي فيه سهوه في صلاته والفا الاولى
في جواب شرط مقدر اي اذا علمت تنزيهه صلى الله عليه وسلم عن الخلف عمدا وسهوا
في اقواله فقد تعرض لك شبهة وسوال عما خالفه من هذا الحديث فنقول الخ والثانية
في جواب الشرط المذكور ومقول القول بعضه مقدر اي ان قلت انك قررت عصمته
عن السهو فما معنى قوله الخ واعلم ان الراغب قال النسيان ترك الانسان ضبط
ما استودع اما عن غفلة واما لضعف قلب واما عن قصد حتى يذهب عن القلب
وكل نسيان ذمه الله فهو ما كان عن تعمد نحو فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا وخلافه
مرفوع عنه كما في حديث رفع عن امتي الخ وما نسب الى الله عز وجل نحو قوله انا نسيناكم
بمعنى الترك كما قاله الزجاج وغيره لانه من لوازمه واصله عدم الحفظ والله منزه عنه
واما السهو فقد حكى المص فيما ياتي الفرق بينه وبين النسيان معنى وقال ان السهو في
الصلاة جائز على الانبيا بخلاف النسيان لانه غفلة وافة والسهو انما هو شغل بال
فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات
الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها وياتي شرحه عند ذكره له وقال الحافظ العلائي
انه ضعيف معنى ولغة اما الاول فلما في الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم انما انا
بشر انسى كما تنسون اي كما سياتي بما فيه واما الثاني فقد قال الازهري السهو الغفلة
عن الشيء وذهاب القلب عنه وسهى في صلاته غفل وكذا في الصحاح والمحكم وقال
الراغب السهو خطا عن غفلة وقسمه لقسمين وفي النهاية السهو في الشيء تركه عن غير
علم والسهو عنه تركه مع العلم به وهو قريب مما قاله الراغب وسياتي تتمته قريبا وهذا
الحديث رواه الشيخان ومالك والترمذي وغيرهم ولم يروه المص من طريق الصحيحين
بل من طريق غيرهما لما ياتي فقال الذي حدثنا به الفقيه ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر الذي
تقدمت ترجمته قال حدثنا القاضي ابو الاصبغ بن سهل قال ثنا حاتم ابن محمد قال ثنا ابو عبد الله
محمد بن الفخار ابن عمر بن يوسف المالكي القرطبي عالم الاندلس وزاهدها وكان رحمه الله
مجاب الدعوة توفي سنة سبع عشرة واربعمائة قال ثنا ابو عيسى يحيى بن يحيى الليثي كما تقدم
قال ثنا عبيد الله قال ثنا يحيى تقدم ايضا عن مالك امام دار الهجرة المشهور
عن داود بن الحصين بحا مضمومة وصاد مفتوحة مهملتين ويا تصغير ونون
وهو مولى عمرو بن عثمان مدني ثقة يحتج بحديثه وان كان يرى راي الخوارج لانه لم
يكن داعية وروى هو عن عكرمة ونافع وغيرهما وروى عنه مالك وغيره توفي
سنة خمس وثلاثين ومائة عن ابي سفيان مولى ابن ابي احمد اسمه وهب وقيل قزمان
وهو ثقة يروي عن ابي هريرة وغيره واخرج له الستة انه قال سمعت ابا هريرة

تقدم

تقدم بيانه وانه اختلف في اسمه واسم ابيه على ثلاثين قولا اشهرها انه عبد الرحمن بن
صخر الدوسي نسبة لدوس قبيلة سميت باسم جدها دوس بن ثابت وكني بابي هريرة
لانه اتى بهرة وحشية لقومه وقيل انه صلى الله عليه وسلم هو الذي كناه بذلك وقد
قدمنا انه ممنوع من الصرف كما صرح به سيبويه والنحاة المغرب فيه كلام بينا خطاه في كتاب
السوانح يقول اي يحدث قائلا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر
في جماعة هذه رواية الامام مالك في موطايه واختارها المصنف على رواية مسلم وغيره
لعلو سنده من طريقه ولترجيح اهل المغرب له فسلم في ركعتين اي بعد ما فرغ منهما
ومن التشهد وهذه رواية الموطا وقيل من ثلاث وله طرق مشهورة اشهرها رواية
ابي هريرة وقال ابن عبد البر ليس في اخبار الاحاد اكثر طرقا من حديث ذي اليدين وفي طرقه
اختلاف من تلك الطرق وفي سلامه هل هو من ركعتين او ثلاث وهل الصلاة العصر
او غيرها ومن وقعت معه القصة هل هو ذو اليدين او ذو الشمالين وتفصيله انه رواه
مالك عن السختياني عن ابن سيرين عن ابي هريرة واخرجه البخاري وابو داود والترمذي
والنسائي ورواه الزهري من طرق خالفهما في تسميته ذي اليدين ذا الشمالين وسكت
ما فيه وفي انه لم يسجد للسهو وفي مسلم انه سجد سجدتين بعد السلام وفي البخاري عن ابي
سلمة انه صلى الظهر او العصر وسلم على راس ركعتين وفي رواية على ثلاث وفي رواية انها
كانت صلاة المغرب وقد رواها مفصلة الحافظ العلائي باسانيدها ومتابعاتها
وليس هذا مما يلزم ايراده هنا فقام ذو اليدين من صلاته وسمي ذا اليدين لطول يديه
وكان يصلي خلفه صلى الله عليه وسلم وفي رواية ذو الشمالين وقيل وهما اسم رجل
واحد وقال العلائي انه غير صحيح وثبت من طرق ان ابا هريرة رضي الله عنه
كان حاضرا في هذه القصة كما صرح به في رواية المص بقوله سمعت ابا هريرة يقول
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ وفي رواية لمسلم صلى بنا صلاة الظهر وفي اخرى
الظهر او العصر وفي رواية احدى صلاتي العشا من طرق صحيحة كلها تدل على ان ابا هريرة
رضي الله عنه كان حاضرا بها قال العلائي ولا خلاف في ان اسلام ابي هريرة كان سنة
سبع ايام خيبر ولا خلاف بين اهل السير ان ذا الشمالين استشهد ببدر سنة
اثنين قال ابن اسحاق هو عمرو بن عبد عمرو بن نضلة بن عمرو ابن عتبان بن سليم بن مالك بن
افصى من خزاعة حليف بني زهرة وقال مسدد ابن مسعود الذي قتل ببدر ذو الشمالين
بن عبد عمرو حليف بني زهرة وذو اليدين رجل من العرب بالبادية كان يجي فيصلي مع
النبي صلى الله عليه وسلم وايد قول مسدد ابن عبد البر وقال انه الذي عليه
اصحاب السير والفقها ولذا روي عن ابي هريرة انه قال فقام رجل من بني سليم وقيل
ان ذا اليدين عمر الى خلافة معاوية وتوفي بذي خشب وقول الزهري انه ذو الشمالين
بن عبد عمرو غلط منه وروايته فيها اضطراب وقيل انه لم ينفرد بتسميته ذو الشمالين

وردا المص في الاكمال قول من غلط الزهري واختلفوا ايضا في تسمية ذي اليدين فقيل
الخرباق واختاره المص والنووي وابن الاثير وقال ابو حاتم وابن حبان ان الخرباق غير ذي
اليدين وقال ابن عبد البر والقرطبي يحتمل انه غيره وقد جمع بين الروايتين بتعدد الواقعة
فاحداهما قبل بدر والمتكلم فيها ذو الشمالين ولم يشهدها ابو هريرة بل ارسل روايتها والثانية
حضرها والمتكلم فيها ذو اليدين كما حكاه المص في الاكمال واختاره لما فيه من الجمع بين
الروايات ونفي الغلط عن مثل الزهري قال العلاي وفيه نظر لان بينهما ما لا يمكن الجمع
فيه ولا شك ان ذا اليدين غير ذي الشمالين وقال بعضهم ان القصص ثلاث والكلام
فيه طويل لا يسعه هذا المقام فاعرفه فقال يا رسول الله اقصرت الصلاة روي كما قال
الحافظ العلاي بضم القاف وكسر الصاد بالبنا للمفعول وهي المشهورة وروي بفتح
القاف وضم الصاد وهذا الفعل سمع لازما بضم عينه وفتحها وهو متعد كقصرها
بالتشديد واقصرها على السوا كما حكاه الازهري ولا يقال ان قصر اذا كان مخففا
لا يتعدى الا بحرف الجر كقوله تعالى ان تقصروا من الصلاة لانا نقول تعديه بنفسه ثابت
حكاه الجوهري وغيره ومن زايده عند الاخفش وعند سيبويه تقديره شيئا من الصلاة
ومعناه يرجع الى الاختصار والكف ومنه قصر طرفه على كذا ام نسيت تقدم ان
النسيان ترك ما لا بد منه اما لغفلة او لضعف قلب حتى يزول تذكره وانه يذم
منه ما كان عمدا ويعذر فيما لم يكن بسببه منه كقوله رفع عن امتي الخطا والنسيان
وانه اذا نسب الى الله فمعناه الترك كما قاله الزجاج وابن سيده وام متصلة
ولا بد ان يتقدمها استفهام لفظا او تقديرا مع تساوي ما دخلا عليه سوا كانا اسمين
ام لا ويكون بمعنى الامرين وتكون للسوال عن احد الامرين ليعين كما هنا والكلام عليها
في كتب العربية فقال صلى الله عليه وسلم جوابا لذي اليدين كل ذلك لم يكن لما سلم
صلى الله عليه وسلم واقتصر على ركعتين او ثلاث دار الامر عند ذي اليدين بين امرين
النسخ او السهو فسال عن تعيين احدهما فحق الجواب تعيين احدهما لكنه اجاب بنفي كل
منهما معينا ونفس الامر لا ينفك عن وجود احدهما وما ذكره صلى الله عليه وسلم بحسب
ظنه لانه لا يقع الخلف في اخباره وذو اليدين تحقق عدم النسخ فتعين وقوع السهو
كما سياتي والسوال المقترن بام لطلب التعيين بعد الاستثبات يجاب بالتعيين
فجوابه صلى الله عليه وسلم على حسب ظنه كما علم ونظيره قول ذي الرمة تقول عجوز

مدرجي متروحا على بابها من عند اهلي وغاديا اذو زوجة في المصر ام ذو خصومة
اراك لها بالبصرة العام ثاويا فقلت لها لا ان اهلي جيرة لاكثبة الدهنا
جميعا وما ليا

فالجواب باحدهما انما هو اذا كان فيهما لاحدهما والا فيجاب بنفيهما وقد يزاد
بذكر ثالث فيهما وان لم يسال عنه وهذا مما لا شبهة فيه فان قلت كيف جوابه صلى الله عليه
وسلم بنفيهما واحدهما محقق فيلزم الخلف في اقواله وخبره وهو لا يجوز عليه قلت

قد اجيب عنه كما في شرح مسلم بوجوه احدها انه نفي الجميع اي لم يكن لا هذا ولا هذا معا
وهو لا ينافي وجود احدهما وقد رد هذا بان تصريحه بقوله لم انس ولم تقصر ياباه فانه مذكور
في الحديث في بعض الروايات وكونه مصروفا الى السلام كما قيل لا وجه له اي كما ياتي في كلام
المص الثاني انه مبني على الفرق بين السهو والنسيان اي سهوت ولم انس وهو بعيد لانه
وان كان بينهما فرق يستعمل كل منهما بمعنى الاخر الثالث انه نفي اضافة النسيان اليه
وكره اضافته له كما ورد لا يقل احدكم نسيت فانه انما نُسّي اي خلق الله فيه النسيان
وليس فعلا له وهذا مما قال المص انه اخترعه وهو ضعيف فانه فعله بلا شبهة وان كان
بخلق الله الرابع انه اخبار عما في ظنه واعتقاده وكانه قال كل ذلك لم يكن في ظني ولو قال
ذلك لم يكن فيه خلف وكذب والمنوي والمقدر كالمذكور كما لو حلف على شيء يعتقده وهو
غير واقع يكون يمينه لاغية كما ذهب اليه بعض الفقها فانه ليس مما كسبت القلوب
وليس هذا مبنيا على ان الصدق والكذب باعتبار مطابقة الواقع وعدمها عالما خالف
مذهب الجمهور فان ظنه ذلك واقع والنفي منصب على القيد فكل ذلك لم يكن لنفي القصر
والعلم بالنسيان وهو صحيح واقع وكل ذلك روي كما قاله التلمساني بالرفع والنصب وعليه
بنى انه لسمول النفي او لنفي الشمول كما فصله اهل المعاني وقوله قد اصبحت ام الخيار تدعي
علي ذنبا كله لم اصنع وهذا البحث مع طوله شهرته تغني عن ذكره فان اردته فارجع الى المطول
وحواشيه وفي الرواية الاخرى لهذا الحديث ما قصرت اي الصلاة بالبنا للمفعول
وما نسيت الحديث بقصته وفي رواية لم انس ولم تقصر فاخبره اي اخبر صلى الله عليه وسلم
ذا اليدين السايل له بنفي الحالتين يعني النسيان والقصر في الروايات كلها وانما اي
كل حالة منهما لم تكن واقعة منه فافرد الضمير المونث لتاويله باسم الاشارة وفي نسخة
وانهما لم يكونا والحال انه قد كان احد ذلك المذكور وفي اسم الاشارة تنبيه على ما قلناه
كما قال له صلى الله عليه وسلم ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول الله وهذا بيان
لمحل الشبهة لوقوع الخلف في قوله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن كما بيناه انفا
وفي قوله بعض ذلك اشارة الى نقيض القضية الاولى التي هي سالبة كلية بالموجبة
الجزئية وليس هذا محله كالكلام على تقدم كل على النفي وتاخرها عنه كقول المتنبي
ما كل ما يتمنى المرء يدركه وقد طال الكلام فيه في الشرح الجديد وقد تركنا الاطالة
خوف الملالة فاعلم وفقنا الله واياك جملة دعايية معترضة ان العلما من المحدثين
والفقها في ذلك السهو الذي وقع له صلى الله عليه وسلم في هذه القضية اجوبة
بعضها بعد الانصاف الصدد معناه القرب هنا اي قريب من الانصاف يقال داره
صدد داري اي في مقابلتها وقربها فهو ظرف منصرف والبا بمعنى في والانصاف العدل
والاستقامة في الامور ومنها اي بعض الاجوبة ما هو نبيه التعسف والاعتساف
روي بنون وتحتية مشددة وهي تكون بمعنى القصد وعقد القلب وبمعنى الجهة

التي يذهب فيها وبمعنى البعد كما للنووي كما في القاموس وغيره من كتب اللغة وهما شايعان في
الاستعمال وروي بمثناة فوقية من تاه يتيه اذا ضل عن الطريق ويكون بمعنى الارض الواسعة
التي تضل سالكها كتيه بني اسرائيل والتعسف والاعتساف السير على غير الطريق والجور
والظلم هذا حقيقته لغة فعلى الاول انه اريد به انه قصد الجور والتقدير على من خالف
من العلما والتعسف بمعنى انه في حاله ومقاله غير مستقيم والاعتساف بمعنى حمل غيره على
ذلك فهو ضال مضل فلا تكرار فيه لاجل السجع كما قيل والاحسن ان يقال انه استعارة
تمثيلية بتشبيه مسلكه فيما قاله بمن دخل مسافة ضل فيها لكونها خرقا بعيدا لم يهتد
لطريقه وكذا على الثاني التيه بمعنى القفر الواسع او الضلال وتفسيره بالتكبر بعيد من حل
عن مقصده فتامل وها انا اقول شروع في بسط ما يرتضيه عدولها عن طريق من تعسف
وها للتنبيه وما بعده مبتدا وخبر والفصيح ان تدخل ها على اسم الاشارة او على
ضمير خبره اسم اشارة نحو هذا وها انا ذا وها انا ايضا مسموع كما في شرح التسهيل اما
على القول بتجويز الوهم تقدم انه بفتح الها وجوزنا سكونها مع تفسيره بما مر والغلط اي الخطا
عمدا لعدم علمه بالصواب ويقال في الحساب غلت بمثناة وقيل انهما لغة والفرق
بينه وبين النسيان والسهو ظاهر فيما ليس طريقه معناه معروف مستعار هنا
لنوعه وجنسه من القول لا من قبيل الافعال فانها ليست محل الخلاف هنا ومن بيانية
مقدمة من تاخير البلاغ خبر ليس اي لا يتعلق به حكم او وحي وخبر عن امر المعاد
وهو اي هذا القول الذي زيفناه اي رددناه ولم نرضه مستعار من انتقاد الزايف
المغشوش الذي يبطل السلطان التعامل به من القولين المذكورين سابقا وهذا
اعتراض بين اما وجوابها تذكيرا بما تقدم فلا اعتراض على ما تقرر في عصمة الانبيا بهذا
الحديث المذكور في قصة ذي اليدين وشبهه مما روي فيه عنه صلى الله عليه وسلم
فيه سهو ونسيان ونحوه لتجويزه على الانبيا عند صاحب هذا القول الذي يقول انه
لا يمتنع فيما ليس طريقه البلاغ واما على مذهب من منع السهو والنسيان في افعاله
دون اقواله كغيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام جملة اي جميعا وقد استعمله
بهذا المعنى كثيرا وهذا القول ذهب اليه كثير من مشايخ الصوفية وبعض المتكلمين
وخصه بعضهم بنبينا صلى الله عليه وسلم وترى اي يعتقده رايا انه صلى الله
عليه وسلم في مثل هذا عامد وقاصد لكل ما يفعله لصورة النسيان فياتي به
على وجه العمد ذاكرا له موهما لغيره انه ناس ليسن اي ليعلم الناس سنته في السهو
كالسجود له ونحوه من الاحكام وكا نحققه ان يذكرهم ليتعلمهم لكن البيان بالفعل
اظهر وفي شرح مسلم شذت طايفة من الباطنية وارباب القلوب فقالوا لا يجوز
النسيان عليه وانما ينسى قصدا اي ياتي بما هو في صورة النسيان ليبين حكمه وقال
المحقق ابو اسحق الاسفرايني هذا منحى غير سديد وجمع الضد مع الضد مستحيل والاول

هو الصحيح فان السهو في الافعال غير مناقض للنبوة ولا قادح فيها بخلاف الاقوال

في البلاغ انتهى فهو على هذا القول صادق في خبره اي قوله لم انس ولم تقصر ونحوه لانه
لم ينس ولا قصرت الصلاة ولكنه على هذا القول بقصده لصورة النسيان ذاكرا له
تعمد هذا الفعل اي سلامه مقتصرا على ركعتين في هذه الصورة اي صورة الناسي ليسنه
اي يجعله سنة لمن اعتراه اي عرض له ووقع منه مثله اي مثل هذا الفعل ناسيا من امته
ليقتدوا بافعاله وهو قول مرغوب عنه اي متروك لبعده وضعفه عنده وفي الحواشي
التلمسانية عن ابن سيدي الحسن قال سمعت ابي رحمه الله يقول عن شيوخه ان السهو
في الصلاة يكون عن معصية سبقت منه ولذا صين عنه نبينا صلى الله عليه وسلم
وقد بين وجه كونه مرغوبا عنه كما اشار اليه بقوله نذكره في موضعه من هذا الكتاب
وقد قال العلامة العلاي ان هذا القول خطا لانه صلى الله عليه وسلم اخبر عن
نفسه بوقوع النسيان منه في حديث ابن مسعود المتفق عليه انما انا بشر مثلكم انسى
كما تنسون وايضا لو كان هذا عمدا ابطل الصلاة ولا يعلم العمد في صورة النسيان
الا اذا بينه بالقول ولم ينقل عنه ذلك واما على القول باحالة السهو عليه في الاقوال
الصادرة عنه والمراد بالاحالة المنع كما يدل عليه مقابلته بالتجويز في قوله وتجويز
السهو عليه فيما ليس طريقه القول من الاعمال كسهوه في الصلاة ففيه اجوبة منها اي
من الاجوبة عن قول القايل على هذا القول انك قلت انه لا يقع منه صلى الله عليه وسلم
سهو في الاقوال وقد وقع منه ذلك في قوله كل ذلك لم يكن مع انه كان بعضه كما تقدم
فاجاب عنه بقوله ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر بقوله كل ذلك لم يكن عن اعتقاده
وضميره اي بما اضمره في نفسه وقدره في كلامه من هذا القيد اما انكاره صلى الله عليه
وسلم القصر اي ان الصلاة الرباعية لنسخ كونها رباعية في الحضر فصارت ركعتين
ولذا سلم منهما فحق وصدق لا شك فيه ولا شبهة ظاهرا وباطنا اي انكاره صلى الله
عليه وسلم ذلك وقع ظاهر التصريح به وباطنا لاعتقاده له اذ لم يوح اليه خلافه
وما ينطق عن الهوى واما النسيان اي انكاره صدوره منه في فعله مع وقوعه منه
ولا يخبر بخلاف الواقع عمدا فاخبر صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده ظنا منه لذلك
والاعتقاد يطلق على اليقين والظن الراجح عنده فقوله لم انس المراد به انه لم ينس
في ظنه فكانه صلى الله عليه وسلم قصد الخبر بهذا عن ظنه وان لم ينطق به ولم يقل
في اعتقادي وظني لكنه لارادته وتقديره في كلامه واضماره في نفسه كان كالملفوظ به
المذكور صريحا لان المقدر كالمصرح به فيكون كلامه هذا حقا وهو صدق مطابق للواقع
لانه في نفس الامر لم يظن انه نسي ولم يخطر ذلك بباله ايضا اي كما ان القصر كذلك او كما
ان المنطوق به صدق فلا يتوهم ان كونه صدقا مبني على ان الخبر الصادق ما طابق
الاعتقاد والجمهور على خلافه فان قلت فما بال ذي اليدين رد هذا بقوله بل كان بعض

ذلك وهو لم يكن في ظنه واعتقاده قلت لم يرد ذو اليدين تكذيبه صلى الله عليه وسلم
وانما اراد تنبيهه على ان ظنه غير مطابق للواقع لانه امر شرعي لا تسامح فيه فلما قال له
ذلك شك صلى الله عليه وسلم في امره وسال من عنده من الصحابة فصدقوا ذا
اليدين على ما قاله وكانهم لم يسبقوا ذا اليدين بذلك مهابة له صلى الله عليه وسلم
ولذا شك في امره لانهم سكتوا عن امر لا يخفى عليهم وفيهم مثل ابي بكر وعمر رضي الله عنهما
والظاهر ان القول الاول مبني على عدم وقوعه في الاقوال البلاغية وفي الافعال ايضا وخص
الثاني بالذكر لانه محل الخلاف وقد وقع لبعضهم هنا خبط اعرضنا عنه لركاكته ووجه
ثان في الجواب عما ذكر على هذا القول وهو ان قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث
على احدى الروايات كما تقدم ولم انس راجع الى السلام من الصلاة والاقتصار على
ركعتين وثلاث منها اي اني سلمت قصدا لنفس السلام فليس لسبق لسان مني وسهوت
عن العدد اي عدد الركعات فتوهمت اني تممتها اي لم انسه في نفس السلام لظني اني كملتها
اربعا والمقصود من هذا دفع الخلف عما قاله وهذا التاويل محتمل بصيغة المفعول اي
يجوز حمل الحديث عليه لما ذكرناه ولكنه فيه بعد لانه خلاف الظاهر وقول ذي اليدين
له بلى نسيت كما تقدم في بعض الروايات مبعد له لا مناف ولا حاجة لان يقال ان ذا اليدين
لم يفهم مراده وكذا قوله صلى الله عليه وسلم للصحابة احق ما يقوله ذو اليدين وقد قيل
انه ياباه قرينة الحال والمقال وهو الذي عناه المص ووجه ثالث وهو ابعدها اي الاجوبة
ما ذهب اليه بعضهم وان احتمله اللفظ اي لفظ الحديث وبينه بقوله من قوله كل ذلك لم
يكن اي لم يجتمع القصر والنسيان في الانتفا بان ينتفيا معا بل كان احدهما وهو النسيان
لان النفي قد يكون لنفي المجموع وقد يكون لنفي واحد لا على التعيين ومفهوم اللفظ خلافه
اي يخالف لهذا الجواب ويؤيده ما في بعض الروايات كما اشار اليه بقوله مع الرواية
الاخرى الصحيحة في هذا الحديث وهو قوله ما قصرت الصلاة وما نسيت فان اعادة
النفي تقتضي ان كل واحد منهما منفي لا احدهما فقط يعني نحصل هذا الجواب ان كل محمولة
على الكل المجموعي نحو كل الرجال يحمل هذه الصخرة العظيمة وهذا وان كان صحيحا لكنه خلاف
المتبادر لا سيما في النفي وسياق الحديث يا باه وكذا قول ذي اليدين بلى كان بعض ذلك
فان الموجبة الجزئية انما تنافي السالبة الكلية كما فصلوه في كتب المعاني والاصول وكذا ينافيه
ما في الرواية التي ذكرها هذا المذكور من الاجوبة هو ما رايت فيه اي في هذا الحديث الذي
تقدم بيانه رايته مذكورا لايمتنا من المحدثين والفقها وكل من هذه الوجوه التي ذكرها
محتمل للفظ يعني لفظ الحديث على بعد بعضها في الواقع وسياق الحديث وتعسف الاخر
بفتح الخا اي تكلفه وبعده عن الطريق المستقيم قال القاضي ابو الفضل عياض مصنف
هذا الكتاب رحمه الله اقول في الجواب عنه ويظهر لي انه اقرب الى الصواب من هذه
الوجوه المذكورة كلها ان قوله صلى الله عليه وسلم لم انس في الحديث انكار للفظ الذي

نفاه عن نفسه بقوله لم انس بصيغة المتكلم وانكره على غيره يعني كل احد من استه
بقوله بئسما لاحدكم معاشر الحملة والمسلمين اي بئس ليس يستقيم لكل احد من المسلمين ان
يقول نسيت اية كذا وكذا كناية عن بعض الايات القرانية ولكنه نسي مبني
للمجهول مشددا للسين اي انساه الله لانه فعل الله لا فعله فلا ينبغي اضافته له
مع ما فيه من الاشعار بتهاونه بالقران بمباشرة اسبابه المقتضية لذلك وقيل معنى
نسي انه نسخت تلاوته لحكمة فيكون مخصوصا بزمانه صلى الله عليه وسلم فنها هم
عن ذلك لئلا يتوهم الضياع لحكم القران وبئس من افعال الذم اصلها بئس بمعنى اصابه
البوس ثم نقلت بغير لفظها ومعناها وفي ما الواقعة بعدها اقوال فقيل انها تامة وقيل
موصولة وقيل نكرة في محل نصب تمييز كما فصله النحاة ونسي مشددا كما مر وروي
بالتخفيف في مسلم وقال المص كان الوقشي لا يجيز فيه الا التخفيف والتثقيل
هو الذي وقع في جميع روايات البخاري وكذا هو مروي وعليه ابو عبيدة وفي النهاية
انه صلى الله عليه وسلم كره نسبة النسيان الى النفس لان الله هو الفاعل الحقيقي
ولان النسيان معناه الترك فكره ان يقول الانسان تركت القران لاشعاره بالتهاون
به وعلى رواية التخفيف معناه انه ترك وحرم الخير انتهى فاراد ارشادهم الى نسبة
الافعال لخالقها واقرارهم بالعبودية والاستسلام وهو ادب اولوي لا يمنع نسبتها
لمكتسبها كما قال موسى ويوشع عليهما الصلاة والسلام نسيت الحوت وقد نسب
للشيطان لانه بوسوسته نحو ما انسانيه الا الشيطان ونسيان القران غير
محمود لانه غفلة عنه وتفريط فيه لا ينبغي قيل ويحتمل ان يكون فاعل نسيت النبي صلى الله
عليه وسلم والمعنى لا يقل احد عني اني نسيت اية كذا فانه تعالى نسخها لحكمة كما
وهذا الحديث رواه الشيخان وغيرهما وبما ذكرنا سقط ما قيل ان هذا الجواب الذي
ارتضاه يرده قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت لانه لو كان ذا ما علمه الله له لانه
هنا اللائق واضافته له لنكتة لم يتفطن لها وقيل انه مخصوص بالقران
لانه هو الذي علمه له فيكون هو الذي انساه ايضا فتامل وبقوله في بعض روايات
الحديث كما في موطا مالك لست انسى بصيغة المتكلم المعلوم المخفف ولكني انسى
بالمجهول المشدد اي ينسيني الله لحكمة كالتشريع وتعليم الامة فلما قال له السائل
اي ذو اليدين اقصرت الصلاة ام نسيت يا رسول الله انكر قصرها كما كان اي تحقق
في الواقع حقيقة وانكر ايضا نسيانه صلى الله عليه وسلم لبعضها والمنكر من نسيانا
هو ما كان من قبل نفسه وفي نسخة قبل اي انه فعل ذلك بكسبه وتعاطي اسبابه
من غير ايجاد الله له فيه وخلقه لما لم يكن في جبلته كغيره فان وجد شي من ذلك
النسيان فقد نسي بالمجهول والتشديد للسين اي اوجده الله فيه من غير تعاطي لاسبابه
حتى سال صلى الله عليه وسلم غيره من الصحابة الحاضرين عنده عنه بقوله

احق مايقول ذو اليدين فقالوا نعم وهذا غاية بانه لم يعلم نسيانه لانه لم يقصر في ذكر الله
وطاعته فلذا استبعد صدور مثله عنه فان قلت اذا انساه الله فلابد ان ينسى لانه
مطاوعه الذي لاينفك عنه ولازمه الذي لايفارقه قلت اللازم وقوع نسيان
اوجده الله فيه لحكمة لاما صدر بتعاطي اسبابه وتقصير كغيره فتحقق انه نسي نسيه
علم اي انساه الله فنسي لحكمة واجرى الله عليه ذلك النسيان ليسن اي ليعلم امته
احكاما لسهو كالسجود ونحوه فقوله صلى الله عليه وسلم على هذا التوجيه الذي
استظهره لم انس ولم تقصر وقوله في رواية اخرى كل ذلك لم يكن حق مطابق للواقع محقق
وصدق لاظن فيه كما توهم ومعناه لم تقصر الصلاة حقيقة في نفس الامر ولم انس حقيقة
اي نسيانا صدر مني صدورا حقيقيا وانا الفاعل له صورة وانما الفاعل له حقيقة هو الله
وانا آلة له نسبته الي كنسبة القطع للسكين كما هو مذهب الاشعري في افعال العباد
المضافة لهم وهذا لاينافي كونه حقيقة لغوية كمات زيد ولكنه نسي بالبناء للمجهول
والتشديد ووجه اخر في الجواب عما في هذا الحديث استثرته بسين مهملة ومثناة فوقية
ومثلثة وراء مهملة واصله استثورته ومنه فاثرن به نقعا وهو من ثار الغبار يثور
اذا انتشر وعلا فشبهه لخفايه بشيء مدفون نبش التراب عنه حتى ظهر له اي استخرجته
بفهمي وولدته من كلام بعض المشايخ وان لم يصرحوا به وينصوا عليه وهو مبني على مبني
على الفرق بين السهو والنسيان وذلك الوجه المستخرج انه اي بعض المشايخ قال ان
النبي صلى الله عليه وسلم يسهو ولا ينسى لان السهو ما يقع بادنى غفلة وينتبه له
بادنى تنبيه والنسيان ما يزول عن الحافظة بالكلية حتى يحتاج لتذكير كثير ولذا نفى
عن نفسه النسيان اذ قال لم انس لان النسيان غفلة وآفة اي كالمرض الذي يعرض له ولذا
عده الاطباء من الامراض الدماغية المحتاجة للعلاج والسهو انما هو شغل البال اي
يحصل عند ما يعرض عن شغل البال بامور والنظر لغيره بحيث يتنبه له سريعا قال
فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته كما وقع له مرارا لمراقبته لربه
وتوجهه له ولا يغفل بضم الفاء عنها اي عن صلاته لتنزهه عن ان يستولي على قلبه
الشريف ما يلهيه عن عبادته وانما كان يشغله عن حركات الصلاة في السجود
والركوع ما في الصلاة من قرة عينه بمشاهدة تجليات ربه وتدبر آياته شغلا بها
لا غفلة عنها بغيرها فلذا كان صلى الله عليه وسلم يسهو ولا ينسى فهذا المذكور
ان تحقق وتصور حقيقة على هذا الوجه والمعنى الذي قرره لم يكن في قوله صلى الله
عليه وسلم ما قصرت الصلاة وما نسيت في الحديث خلف في قول صدر منه حتى
سال عنه وقد تقدم ان هذا مخالف لما روي من قوله صلى الله عليه وسلم اني انسى
كما تنسون وان الفرق بينهما لغة فيه شي يعلم مما تقدم ووجه اخر وفي نسخة وعندي
ان في الجواب وجها اخر وهو ان قوله ما قصرت الصلاة وما نسيت بمعنى الترك

وهو احد وجهي النسيان اي احد معنييه الواردين في كلام الله وغيره كما اذا اسند الى الله
تعالى وهو مجاز مشهور ملحق بالحقيقة اراد وفي نسخة اراد والله اعلم على هذا التقدير
اني لم اسلم من ركعتين تاركا كمال الصلاة عن قصد ولكني نسيت اي سهوت عن اتمامها
فالمنفي في كلامه الترك عمدا وهو لاينافي السهو والنسيان ولم يكن ترك الاتمام من تلقا
نفسي اي من عند نفسه وقصدها له والدليل على صحة ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
في الحديث الاخر الصحيح اني لا انسى اي اترك قصدا وانسى من غير قصد بل بارادة الله
وايجاده في ذلك لحكمة اشار اليها بقوله لاسن تقدم تفسيره وهذا مبني على احد
التفسيرين في هذا الحديث وقد تقدم فيه وجه اخر هو اقرب من هذا والمراد به اسهو
بما تعاطيت اسبابه من الاشتغال وبدونه لحكمة ربانية وبقي في هذا الحديث امور
اخر مما يتعلق بانه صلى الله عليه وسلم وقع منه افعال وكلام في اثناء صلاته قبل
اتمامها ومثله يبطل الصلاة والكلام فيه طويل الذيل افرده الحافظ العلائي بتاليف
نفيس ولما لم يتعرض المص لذكر الحديث بتمامه اضربنا عنه صفحا فالى رده فخذه
من معدنه ولصعوبة الكلام في هذا المقام ختمه في بعض النسخ بقوله والله الموفق
للصواب اي المقدر على دراكه والقيام به وهو الحكم المطابق للواقع فيرزق في
موافقة ما هو الواقع من ذلك والتوفيق خلق القدرة على الطاعة المقارنة لها وتقدم
الكلام عليه في الخطبة واما قصة كلمات ابراهيم الخليل عليه وعلى نبينا افضل
الصلاة والسلام الواردة على ما قدمه من ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام
لا يصدر عنهم خلف في اقوالهم وينافيه ما في هذه القصة على اجل الانبيا بعد نبينا
صلى الله عليه وسلم الواردة وفي نسخة المذكورة في الحديث الصحيح الذي رواه
الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم
الا ثلاث كذبات الخ واليه اشار المص بقوله وفي نسخة المذكورة في الحديث
انها كذبات بفتح الهمزة بدل من قصة او معمول للمذكورة وكذبات بفتح الكاف
والذال المعجمة جمع كذبة بسكونها لان عين فعلة اسما تحرك في الجميع كتمرة وتمرات
وركعة وركعات الا اذا كانت صفة او مضاعفة او معتلة العين كضخمات وجدات
وجورات كما في المغرب وقيل انه يقال بكسرها في المفرد والجمع فهي جمع كذبة اسم جامد
الثلاث المنصوصة اي المذكورة صريحا في القران منها اي من تلك الكذبات الثلاث
اثنتان في قوله تعالى في سورة الصافات فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم كما سياتي
بيانه وقوله تعالى في سورة الانبيا قالوا ءانت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال
بل فعله كبيرهم هذا فاسالوهم ان كانوا ينطقون وقوله في قصة ابراهيم وهذه
هي الثالثة الواردة في الحديث للملك اللام اي سلطان زمانه لما سال ابراهيم عليه
الصلاة والسلام وفي اسم هذا الملك اختلاف فقيل سنان وقيل عمرو وقيل

صادوف وعمرو ابن امرئ القيس ملك مصر عن زوجته سارة رضي الله عنها حين اخذها لما
وصف له جمالها وساله عنها فقال انها اختي قال صلى الله عليه وسلم تقية خشية
ان يقتله لو قال انها زوجتي فنجاه الله منه كما سياتي تفصيله ولما كان هذا واردا على
ما قرره من عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام عن الكذب عمدا وسهوا اورده
على سبيل السوال ثم ذكر الجواب عنه بما سياتي مفصلا وورد على الحصر الوارد
في الحديث بقوله ما كذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ان ثمة رابع هو قوله في الكواكب
هذا ربي وقد تعرض لهذا الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ولم يجب عنه بما يشفي
الغليل والذي يدفعه ان تقديره اهذا ربي على طريق الاستفهام التوبيخي لالزامهم
بالحجة كما قرره المفسرون وحاصل قصة سارة ان جبارا من الجبابرة قيل له ان هنا
رجلا معه امراة من احسن النسا فارسل اليه وساله عنها فقال هي اختي ثم قال صلى الله
عليه وسلم لها انه ليس على وجه الارض مومن غيري وغيرك الان يعني انها اخوة
الاسلام لا النسب كما قال تعالى انما المؤمنون اخوة كما ياتي بيان ذلك فلما اتى بها له
تناولها بيده فشلت يده فقال لها ادعي الله لي ولا اضرك فدعت له فاطلق ثم فعل مثل
ذلك ثانية وثالثة فقال لهم ما اتيتموني الا بشيطان وقوله اني سقيم لانه عليه
الصلاة والسلام كان لا ياتي معهم في اعيادهم لاصنامهم فنظر بنجم طالع فقال هنا
يطلع لسقمي كما ياتي وكانوا اهل فلاحة وزعامة ينظرون في النجوم واحكامها وكان
ذلك مما اوحاه الله لهم فكما حبست الشمس ليوشع ابطله الله تعالى وقال الضحاك انه
بقي الى زمن عيسى عليه الصلاة والسلام فدعى الله برفعه فرفع وحرم النظر فيه شرعا
وفيه بحث وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام حاج عبدة الاصنام فلما عجزهم
كسرها وجعل فاسه في عنق صنم اكبرها لم يكسره ليلزمهم الحجة كما قصه الله في كتابه
الحكيم وبينه المفسرون وقد علمت ان قوله اختي المراد به اخوة الاسلام وانه انما قاله
ليمتنع الملك من اخذها او ليلا يقتله لانهم كانوا لا ياخذون منكوحة الغير او كانوا يفعلونه
او قال ذلك ليحله غيرة عليها او اراد انها ليست جارية في ملك يمينه فيطلب
منه بيعها له وقد علم ان الله طهر حرم الانبيا عن الفواحش فنزههم عما ياباه مقامهم
وقوله كلمات ابراهيم دون كذبات فيه ادب لطيف وصرح به بعده اتباعا للحديث
وبيانا لمنشا السوال فاعلم اكرمك الله دعا له بالاكرام لاكرامه الانبيا عليهم الصلاة
والسلام بمعرفة علومقامهم عما فيه شين لهم او زهدة اشارة لكلمات ابراهيم عليه الصلاة
والسلام كلها خارجة عن الكذب لان الله تعالى عصمهم عنه قبل النبوة وبعدها
لا في القصد ولا في غيره من السهو والنسيان كما مر وهي اي الكلمات المذكورة داخلة في باب
المعاريض جمع معراض ويقال معرض بكسر الميم وجمعه معارض وهو من التعرض وهو
خلاف التصريح والتلويح نوع من الكناية كالتورية بان يتكلم بما يوهم خلاف مراده

كقوله اخي المحتمل للمعنيين كما تقدم فان قلت قوله اختي دعى لاخذ الملك لها بان يقول له
زوجنيها فلا وجه للعدول عن الظاهر قلت نقل البرهان عن ابن الجوزي رحمه الله
انه عليه الصلاة والسلام علم انهم على دين المجوس ومن دينهم ان الاخت اذا كان زوجها
اخوها كان احق بها من غيره فالتجاء لما يعتقده في دينه فاذا هو جبار لا يراعي دينه
وقد ارتضى هذا الجواب غيره واعترض بان المجوسية دين زرادشت اظهره وزاد
فيه خرافات فتامل التي فيها مندوحة اي في المعاريض سعة يتخلص بها من الكذب
من تندح بمعنى توسع ومندوحة بفتح الميم وضمها لحن وفي كتاب لحن العوام للزبيدي يقال
له عن هذا الامر مندوحة ومنتدح والمنتدح المكان الواسع وهو الندح ايضا
من متندحت الغنم في مراحها وقال ابو عبيدة المندوحة الفسحة والسعة ومنه
انداح بطنه اذا انتفخ واندحا لغة فيه وهو غلط من ابي عبيدة لان نونه اصلية
وانداح انفعال نونه زايدة واشتقاقه من الدوح وهو السعة انتهى اقول تبعه
فيه الجوهري وخطاه فيه صاحب القاموس عن الكذب اي في سعة القول ما يغني
عن تعمد الكذب فهو صدق لا كذب فيه وقد علمت انه ضمنه بمعنى التخلص ولذا
عداه بعن وفي الحديث ان في معاريض الكلام مندوحة عن الكذب رواه البخاري
في الادب المفرد مسندا موقوفا على عمران بن حصين رضي الله عنه واخرجه الطبراني
والبيهقي من طريق اخر عن قتادة موقوفا وحسنه العراقي فلا عبرة بقول الصاغاني
انه موضوع والى بيان هذا الحديث اشار المص رحمه الله تعالى بقوله اما قوله اي
ابراهيم عليه الصلاة والسلام فيما حكاه الله عنه اني سقيم فقال الحسن
ابن ابي الحسن البصري الذي تقدمت ترجمته وغيره من العلما في الجواب عنه معناه
اني ساسقيم في المستقبل اي ان كل مخلوق معرض اسم مفعول مشددا الراء لذلك
اي للسقم والمرض فاعتذر لقومه من الخروج معهم الى محل عيدهم اي ذكر لهم عذرا
في عدم خروجه معهم لمحل اجتماعهم في اعيادهم عند اصنامهم لما ارادوا اخروجه معهم
اليها وفعيل بمعنى فاعل حقيقة في الحال ويجوز ان يراد به الاتصاف في المستقبل
مجازا والقرينة انما تشترط لفهم المخاطب لا للخروج اذا نواه فانه مصدق
فيه شرعا كما قيل وفيه بحث لان الفرق بين الكذب والمجاز انما هو بالقرينة
وعدمها فما قاله يعود عليه بالضرر والذي ينبغي ان يقال ان سقيم ومريض ملحق
بالاسما الجوامد كمومن وكافر فلا يختص بزمان فهو حقيقة فيما ذكر وهو ظاهر
كلام الكشاف فانه قال من في عنقه الموت سقيم وفي المثل كفى بالسلامة داء وقال
لبيد ودعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحني فاذا السلامة داء ومات رجل
فجاة فقال الناس مات وهو صحيح فقال اعرابي صحيح من الموت في عنقه ومنه اخذ المتنبي
قوله فقد استشفيت من داء بداء وأقتل ما اعلك ما شفاكا فلا يرد عليه

ما قيل انه مجاز والاصل الحقيقة والذي عزة قوله معناه سأسقم هذا اى الجواب والامر
هذا كما تقدم وفي نسخة بهذا فهو متعلق باعتذر وقيل اى وقيل فالجملة حالية
بتقدير قد بل سقيم بما قدر علي من الموت يعني انه اراد بسقيم انه حزين مشغول الفكر بعلمه
من انه لابد من الموت والغم مرض من الامراض القلبية ومن كان كذلك لا يليق به ان يفرح
بالاعياد ولا يكون في محال اللهو واللعب ولذا ورد كما تقدم انه صلى الله عليه وسلم
كان متواصل الاحزان وفي الحديث لو تعلم البهائم من الموت ما تعلمون من الموت ما اكلتم
منها سمينا فورى عليه الصلاة والسلام عما اراد بهذا وقيل معناه انى سقيم القلب
اى قلبي سالم بما شاهدته وفي نسخة اشاهده من كفركم وعنادكم في الباطل وعدم قبول
الحق وقيل بل كانت الحمى تأخذه اى تعرض له وتستولى عليه حتى كانها اخذته واسرته عند
طلوع نجم معلوم له او لهم ولذا قال فنظر نظرة في النجوم فقال انى سقيم فلما راه اى
راى ذلك النجم طالعا اعتذر لهم بعدم حضور اعيادهم معهم بما تدمن السقم الذي
يعرض له اذا اطلع ذلك النجم وهذا الجواب ذكره النووي ايضا وقال ابن حجر انه بعيد
لانه يكون حقيقة وليس من المعاريض والتورية في شيء ورد بان المعاريض ان يذكر
ما يدل على معنى قريب ومعنى بعيد فيراد البعيد ويوهم مخاطبه انه اراد القريب وهذا
كذلك لان ظاهره انه سقيم بالفعل حالا والمراد انه في زمان مرض وسقم لم يكن والفرق
بين هذا وبين الجواب الاول ظاهر لمن تدبر وكل هذا على ما ذكر من التاويل الذي صرفه
عن ظاهره ليس فيه كذب كما يتوهم من ظاهره بل هو خبر صحيح صدق اى صادق مطابق للواقع
وانما سماه كذبا في الحديث باعتبار ما يتبادر لذهن السامع من ظاهره لا حقيقة
فلا اعتراض عليه به وقيل في الجواب بل عرض اى قاله بطريق التعريض والتورية وراوه
مشدده من التعريض لسقم حجتهم اى ضعف دليله الذي اقامه عليهم متعلق بحجته
بمعنى احتجاجه عليهم في عبادة غير الله وضعف ما اراد بيانه لهم من توحيد الله ونفي
الشريك بدليل عقلي اراد اقامته عليه من جهة النجوم لما راى كوكبا فقال هذا ربي كما قصه الله
عنه التي كانوا يشتغلون بها اى بعبادتها وتعظيمها واسناد الامور اليها وانه
اى ابراهيم عليه الصلاة والسلام اثنا نظره في ذلك اى في خلال نظره وتقدم
انه جمع نني بمعنى منثني والنظر بمعنى الفكر والتامل فيما يناظرهم به وقيل استقامة حجته
اى اقامة دليل ملزم لهم في حال سقم ومرض حال خبر انه فجعل سقم حجته لعدم فايدتها
بمنزلة مرض نفسه وبدنه يعني انهم كانوا ينسبون التاثيرات للنجوم ويعظمونها
ويشتغلون بها لعلمهم بالنجوم وارصادها فاراد ابطال اعتقادهم فيها وان حجتهم
واهيته فلم يقل ذلك لهم ابتدا بل نسبه لنفسه تعريضا بهم كما قال اياك اعني فاسمعي
يا جاره وهذا احسن في الزام الخصم وتقريعه على وجه لا يغضبه ويهيج حميته
الجاهلية مع انه اى الخليل صلى الله عليه وسلم لم يشك هواى لم يقع منه شك

فيه

في ربه ولا لضعف ايمانه حتى يحتاج الى الادلة الضعيف ولكنه ضعف حاله في استدلاله
عليهم لابطال عبادتهم للنجوم والاوثان بتبكيتا لهم وزجرا وسقم نظره اى مناظرتهم
حتى لم تتم حجته التي اقامها عليهم ثم بين صحة اتصاف الدليل بما ذكر لغة فقال لقيام
حجة سقيمة فتوصف بذلك مجازا ونظر اى فكر ودليل معلول اى ضعيف مدخول
وقيل ان هذه العبارة ملحونة وان وقعت في عبارة المحدثين والصواب معل والمعلول
انما هو من العلل وهو الشرب مرة بعد اخرى كعلله كانه منهل بالرح معلول ورد بانهم
استغنوا بمفعول عن مفعل كما قالوا احمد الله فهو محمود وقد صرح به سيبويه وذكره
في المحكم فقول ابن الصلاح والنووي انه لحن مردود وان تبعهما بعض الشراح هنا
حتى الهمه الله والتي في نفسه ومن عليه باستدلاله الناس بيته وصحة حجته عليهم
اى احتجاجه بالكواكب والقمر والشمس متعلق باستدلاله ما نصه الله مفعول
الهم وقد منا بيانه وايضاحه في هذا الكتاب والحاصل انه لا يلزم من ضعف الدليل
ضعف الايمان بل قد يثلج صدر ذي العقل السليم بيقين لا شبهة فيه عنده وهو
لا يقدر على اقامة دليل عليه واما قوله اى الخليل عليه الصلاة والسلام في
الاصنام التي كسرها وترك اكبرها وقد علق الفاس في عنقه كما ورد بل فعله
كبيرهم هذا الاية والحال انه اى كبير الاصنام لم يفعل ولا قدرة له على الفعل فهو مخالف
للواقع من جهتين مع انه معصوم في اقواله فانه علق خبره الذي ذكره بشرط نطقه
في قوله فاسالوهم ان كانوا ينطقون فهو كانه قال ان كان ينطق فهو فعله وانما قاله مع
علمه بعدم نطقه لقرينه على طريق التبكيت لقومه عبدة الاصنام فوبخهم بانكم
كيف تعبدون جمادا لا ينطق ولا يقدر على شيء فلو قدر لدفع عن نفسه ففيه
تجهيل لهم واستهزائهم لتعظيمهم ما لا يضر ولا ينفع وذكر الكواكب هنا لا وجه له
وهذا صدق اى خبر صادق ايضا كما صدق ما قدمه ولا خلف فيه بضم الخاء ونيتها
لان صدق الشرطية بتقدمها وموخوها على سبيل الفرض وهو فرض محال بالاضافة
صحيح لا فرض محال بالتوصيف وليس هذا مبنيا على ان جملة الجواب جملة خبرية
مقيدة بالشرط والجملة المقيدة بقيد صدقها وكذبها بتحقق القيد وعدمه كما هو
مسلك اهل العربية واهل الميزان على خلافه لان الشرطية مجموعها قضية
في قوة الجملة والخبر عند مجموع الشرط وجوابه كما قيل فان هذا بنا على ما قال السيد
في حواشي المطول وغيره فان الحق ما قاله السعد وانه لا خلاف بين النحاة والمنطقيين
في هذه المسيلة فان مالهما واحد كما حققه المدقق فتح الله في حواشي التهذيب وليس
هذا محله الا انه يقتضي ان قوله فعله كبيرهم جواب الشرط او دال عليه فهو في
معناه وقوله فاسالوهم جملة معترضة مصدرة بالفا كما في قوله واعلم فعلم المرء
ينفعه ان سوف ياتي كلما قدرا وقد يقال انه بيان لما يفيده الكلام من غير

نظراً لما ذكروه الظاهر يعني ان قصده بنسبته الفعل الصادر منه لكبيرهم الاستهزا
او التهكم بهم لتبليغ ما قصد من الزامهم الحجة برجوعهم الى انفسهم لما هم عليه من الباطل
الذي لا يقبله عقل سقيم فضلاً عن عقل سليم وفي الاية وجوه هذا اولاها واحسنها
ولذا اقتصر عليه المص فان اردت الوقوف عليها فانظر في الكشاف وشروحه واما قوله
اي الخليل عليه الصلاة والسلام للجبار الذي اراد اخذ زوجته حين سأله عنها
فقال هذه اختي لارادة ان يخلصها منه وليس هذا بكذب فقد بين بالبنا للمجهول
في الحديث الذي رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه انه لا كذب وقال فانك اختي
في الاسلام والدين الحق الذي كانا عليه فهو على هذا صدق اي كلام صادق حق والاخوة
تطلق على المشاركة في الصفات مجازاً مرسلاً او استعارة من المشاركة في النسب والله
تعالى يقول في القران انما المؤمنون اخوة وهذا يدل على صحة اطلاقه وحسنه اي الاخوة
في الدين وفي الحديث المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله وهو قد شاع حتى قيل انه
حقيقة عرفية وقد تقدم تتمة لهذا فان قلت انه على هذا ليس فيه شي من الكذب فهذا
النبي صلى الله عليه وسلم قد سماها اي اطلق عليها انها كذبات وقال لم يكذب ابراهيم الا
ثلاث كذبات وهذا ينافي ما قررته وبينته وفي مسلم اثنين في ذات الله وواحدة في شان
سارة الحديث قال القرطبي ذات الله وجوده المنزه المقدس عما لا يليق به وفيه دليل على
جواز اطلاق الذات على وجوده المقدس فلا يلتفت لمن انكره من المتقدمين فتامله ثم
قال وروي انها اربع والرابعة قوله للكوكب هذا ربي وانما لم يعدها لانه كان في حال
الطفولية وعدم التكليف انتهى وتقدم الكلام فيه وقال صلى الله عليه وسلم
في حديث الشفاعة للناس يوم القيامة ويذكر كذباته هو مقول القول يشير الى ما في
حديث الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه انهم يأتون ابراهيم عليه الصلاة
والسلام ويقولون له انت نبي الله وخليله اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن
فيه فيقول لهم ان ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله ولا بعده مثله واني قد
كنت كذبت ثلاث كذبات ويذكرهن اذهبوا الى غيري الحديث فقد صرح الخليل نفسه
بان هذا وقع كذباً منه فيدل على خلاف ما قلته سابقاً وجواب الشرط قوله فمعناه اي
معنى قوله صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات انه تكلم بكلام
صورته صورة الكذب وان كان حقاً في الباطن المراد به ما اخفاه واضمر في نفسه والمراد
ما خفي مما هو خلاف الظاهر الا هذه الكلمات المذكورة وهي الثلاث المتقدمة ثم
اشار الى الجواب عما وقع في حديث الشفاعة بقوله ولما كان مفهوم ظاهرها اي
ظاهر الكلمات المذكورة كما قبل النظر لما قصد منها خلاف باطنها المقصود منها فانه
صدق كما بيناه سابقاً اشفق اي خاف ابراهيم صلاة الله وسلامه عليه من مؤاخذته
بها وفي نسخ بمؤاخذته بها اي المعاتبة او المعاقبة عليها او رد شفاعته بسببها

لانه

319

لانه كان عليه ان يصدع بالحق صريحاً من غير تورية وتعريض فقال اشفق وشفق اذا خاف
والحاصل انه لم يصدر عنه كذب وانما سمي كذباً باعتبار ظاهر العبارة قبل التأمل فيها
من سامعها وانما خاف ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذلك لجلالة قدره لا لانها
معصية صدرت منه وكان ذلك في اول امره وشدة خوفه في حالة تجوز فيها الكذب
فضلاً عن التعريض الذي هو من حسنات الابرار وكذلك اي مثل ما صدر عن الخليل ما وقع
لنبينا صلى الله عليه وسلم وهو الحديث الذي رواه الشيخان عن كعب بن مالك وفي نسخة
واما الحديث فهو انه كان صلى الله عليه وسلم عادته اذا اراد غزوة اي سفر الغزاة معينة
ورى بغيرها عنها والتورية ان يقول ما يظهر منه خلاف مراده ويحتمله احتمالاً بعيداً
فكانه جعل ما قصده وراءه ابداه فكان يسأل عن طريق وناحية ويذهب لغيرها فليس
فيه اي فيما فعله وقاله خلف في القول اي ليس في قوله ذلك كذب في قوله انما هو ستر
واخفا لمقصده اي لما قصده وتوجه اليه لئلا يأخذ عدوه حذره اي لئلا يتأهب لدفع
ما يحذره بان يستعد له ويحضر له ما يهمه واخذ الحذر عبارة عما ذكر كما بين في قوله تعالى
خذوا حذركم وفيه من البلاغة ما لا يخفى وكتم وجه ذهابه اي جهة مقصده وهو عطف
على قوله ورى وتبيين للتورية والكتم بقوله بذكر السؤال عن موضع اخر غير الذي قصده والبحث
عن اخباره اي اخبار الموضع الاخر بالسؤال عن طريقه وحاله والتعريض بذكره له دون
غيره ليستر قصده به كقوله صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضا الحوائج او حوائجكم
بالكتمان لا انه يقول لاصحابه تجهزوا الى غزوة كذا تصريحاً بالواقع او بخلافه وهو غير
مراد له او يقول وجهتنا الى موضع كذا اي توجهنا ومقصدنا له خلاف مقصده بيان
لكذا فهذا القول كله لم يكن اي لم يقع منه صلى الله عليه وانما وقع منه التورية دون
تصريح به والاول اي سؤاله من غير مقصده ليس فيه خبر بتوجيهه له ولا امر لغيره بالتجهز له
يدخله الخلف اي يعرض له كذب لعدم مطابقته للواقع وانما هو تعريض وايهام لغير
مقصده لا ضير فيه والتجهز التاهب باحضار جهازه ولوازمه وقيل معناه لحتالوا
وهذا هو الاغلب من احواله وقد يقتضي الحال خلافه كما ورد في الصحيحين لم يكن
صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت غزوة تبوك في حر شديد
الى مكان بعيد وعدو كثير فجلا للمسلمين امرها ليتاهبوا لها فاخبرهم بوجهه الذي
يريد كما في حديث طويل فيه خبر الثلاثة الذين تخلفوا فهو باعتبار الاكثر في وا...
امره قبل قوة شوكة المسلمين ولذا اخبرهم انه سائر لمكة في غزوة الفتح فلا يرد الا
عتراض على حديث كان لا يريد غزوة الا ورى بغيرها كما قيل وقوله تجهزوا وان كان
انشا لا يتاتى فيه الخلف كما توهم لانه يتاتى فيه ذلك باعتبار ما تضمنه من الخبر لان قوله
تجهزوا الارض كذا معناه المراد منه اني سأغزو اهلها وهو ظاهر ثم اورد سوالاً على عصمة
الانبيا عليهم الصلاة والسلام عن الكذب سهواً وعمداً فقال فان قلت ايها السائل

عما يتوهم عن شبهة ترد على ما قرره فما معنى قول موسى الكليم صلى الله عليه وسلم وقد سئل
اى سأله جماعة من امته اى الناس اعلم على وجه الارض فى هذا العصر وهذا الحديث مروى
فى الصحيح عن ابى سفيان رضى الله عنه فقال موسى عليه الصلاة والسلام لمن سأل
انا اعلم ممن على وجه الارض جميعا لعلمه بانه ليس عليها من الرسل من هو مثله وفى البخارى
بلفظ هل فى الارض اعلم منك وفى رواية ابن اسحاق فقال موسى ما اعلم فى الارض
خيرا منى قيل وبين الروايتين فرق لان فى رواية ابى سفيان الجزم بانه اعلم وتلك تنفى
الاعلمية عن غيره فتنفى احتمال المساواة يعنى بحسب الظاهر والا فقد علمت انه
نفى المساواة كما مر فتدبر واما ما رواه نوف البكالى عن كعب الاحبار ان موسى المذكور
فى هذه القصة ليس هو الكليم الذى هو من اولى العزم بل موسى بن ميشا بن افرائيم
بن يوسف فقد قيل ان ابن عباس رضى الله عنهما رده وقال لما سمعه كذب عدو الله
ويأتى فيه كلام عن الكشاف وغيره واغلاق لذلك لان كعبا تلقاه عن اهل الكتاب
وهم اعداء الله لكفرهم او هو استعارة لانه كذب كقولهم قاتله الله فعتب الله عليه
ولامه بسبب ذلك اى قوله انا اعلم اذ لم يرد العلم بذلك اعنى اعلم الناس حينئذ
اليه اى الى الله تعالى بان يقول الله اعلم بذلك ونحوه الحديث اى ذكر الحديث الذى
رواه الشيخان بتمامه وفيه اى فى هذا الحديث فقال اى الله عز وجل لموسى بلى اى منهما
من هو اعلم عبدنا خضر وفى رواية عبد لنا بمجمع البحرين اعلم منك يا موسى ومجمع اسم
مكان والبحران كما قاله السهيلى بحر الاردن وبحر القلزم وقيل بحر المغرب وبحر
الزقاق وقيل بحر الروم وفارس وعن ابن عباس اجتمع بحرا علم فى جمع بحرين
حقيقيين والعلمان علم الظاهر من الشرعيات وعلم الباطن اللدنى ووصفه
بالعبودية تشريفا له كما فى قوله سبحان الذى اسرى بعبده وقوله لا تدعنى الا بيا عبدها
فانه اشرف اسماى   ولمصر   ومما زادنى شرفا وتيها   وكدت باخمصى اطأ الثريا
دخولى تحت قولك يا عبادى   وجعلك خير خلقك لى نبيا   وهذا اى قول موسى انا
اعلم خبر صدر من موسى عليه الصلاة والسلام قد انبأنا الله اى اخبرنا كما ورد فى
فى هذا الحديث الصحيح انه ليس كذلك كما سمعته كذلك فيكون خلفا منه وهو
معصوم عن مثله فيرد على ما قرره وسيأتى الجواب عنه والعتب بمثناة فوقية كالمعاتبة
وهو اللوم على ارتكاب ما لا يليق وضمنه معنى العيب بالتحتية ولذا عداه
بنفسه دون على ورد العلم الى الله تقدم معناه وتفسيره ابن بطال بترك الجواب
لا ينبغى وكذا لو قال انا والله اعلم كان وهذا هو هو الاليق الاولى بمقام ادب النبوة
اذ مراده فيما اظن واعلم ولا لائمة فيه وقصته فى حمل الحوت فى مكتل مفصلة فى التفاسير
وقد علمت بان مجمع اسم مكان ثم شرع فى الجواب بقوله فاعلم انه وقع فى هذا الحديث الصحيح
المروى عن ابن عباس ما يدفع السؤال وهو هل تعلم احدا اعلم منك فالسؤال عما يعلمه

لاعما فى الواقع ومن القواعد المقررة ان السؤال معاد فى الجواب فاذا يجوز ان يكون اذن
بنون مرسومة بالالف كان جوابه صدر منه على حسب علمه فكانه قال لا اعلم انا
احدا اعلم منى فهو اى كلام موسى وجوابه خبر حق وصدق مطابق للواقع باعتبار
تقييده بانه على حسب علمه واعتقاده لا خلف فيه لمخالفته للواقع ولا شبهة اى
لا يشتبه على احد صدقه فيما قاله وفى الحديث روايات مختلفة يرجع بعضها الى
بعض كما ستسمعه قريبا وترجح بعضها وهذا تأكيد لما قبله وعلى الطريق الاخرى التى فيها
اطلاق اعلميته من غير تقييد بعلمه واعتقاده المفيد لنفى الاعلمية والمساواة
كما تقدم على العموم فانه روى من طرق مختلفة بالفاظ مختلفة وقد اشرنا اليه قبل
هذا فنحمله على غلبة ظنه ومعتقده مصدر ميمى بمعنى اعتقاده اى نجعله مقيدا بهذا
تقديرا لانه صح به فى رواية اخرى والروايات تفسير بعضها بعضا كالقرآن والمقدر
فى حكم المذكور عندهم كما اشار اليه بقوله كما لو صرح به بالبناء للمفعول والفاعل
اى صرح به موسى عليه الصلاة والسلام كان قال انا اعلم فى ظنى ومعتقدى ونحوه
لا فى نفس الامر ونحمله بلفظ المضارع وفى نسخة فحمله باسم مبتدأ وعلى هذا لا يرد
عليه شىء ثم بين وجه قول موسى على هذا بقوله لان حاله اى حال موسى صلى الله عليه
وسلم كغيره من الرسل اصحاب الشرائع فى عصرهم فى النبوة والاصطفاء اى اختيار الله
له دون غيره من خلقه يقتضى ذلك اى انما اختاره لانه اعلم اهل عصره اذ لو لم يكن
كذلك لم يختره لتبليغ رسالته وسياسة خلقه ورجوعهم اليه فى كل امورهم
وهو صلى الله عليه وسلم كليمه وامين وحيه ومثله لا يكون دون غيره او مساويا
له فى العلم ويحتمل ان معناه ان نبوته واصطفاءه يقتضيان اى يستلزمان ان لا
يقول مقالة غير مطابقة للواقع فيحمل كلامه على ما يطابقه وان لم يكن فيه ما يدل
عليه وهو ظاهر قوله فيكون اخباره بذلك اى بقوله انا اعلم ايضا اى كما فى الرواية
المصرح فيها بذلك القيد عن اعتقاده وحسبانه بضم الحاء المهملة وكسرها بمعنى
ظنه صدقا خبر يكون وقوله لا خلف فيه مفسر له او تأكيد اى لا شبهة فيه عند
سامعه وقد يريد موسى صلى الله عليه وسلم بقوله انا اعلم انه اعلم بما تقتضيه
اى تستلزمه وظائف النبوة جمع وظيفة بالظاء المشالة وهى الاحوال التى
اقتضاها ذلك المقام من شروطها وما لا بد منها لكل نبى ورسول من علوم التوحيد
بيان لعلومه من معرفة الله وصفاته وانه منفرد فى ذاته وصفاته واستحقاقه
للعبادة وامور الشريعة التى امره الله بتبليغها وسياسة الامة اى امته والسياسة
ضبط الخلق واجراء احكام الشرع عليهم بالسلطنة ويكون الخضر عليه الصلاة
والسلام وفيه لغات فتح الخاء وكسر الضاد المعجمتين وبسكونها مع الفتح والكسر
وسيأتى بيانه اعلم منه اى من موسى عليه الصلاة والسلام بامور اخر غير الشريعة

والسياسه والحكومات الظاهرة فيما بين الناس يعني انه صادق فيها لانه عام مخصوص
بما هو المتبادر من علوم اكثر الانبيا وهو العلم بالامور الشرعيه والحكم بين الناس
كما هو شان الرسل وعلم الخضر بامور باطنية كشفيه فلا تنافى بينهما واعلم انه
تقدم ان الخضر انما سمي خضرا لانه كان اذا جلس على ارض نبات بها هشيم اخضر وقيل
لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله وان اسمه بليا وقيل غير ذلك ويكنى ابا العباس
واختلف فيه كما ياتي هل هو ولى او نبى او ملك وهل هو حى الى الان ام لا وقد افرد
احواله بتاليف الحافظ الخيضرى سماه الروض النضر في احوال الخضر وقال الثعلبى
انه معمر محجوب عن الابصار وهذا اوجه ما قيل انه ملك وان كان قولا ضعيفا وروى
في اجتماع النبى صلى الله عليه وسلم به حديث ضعيف وتقدم الكلام على تعزيته لاهل
البيت مما لا يعلمه احد الا باعلام الله من علوم غيبه تعالى كالقصص المذكورة
في خبرها الذى قصه الله في سورة الكهف فكان موسى عليه الصلاة والسلام اعلم
من اهل عصره مطلقا بالشريعه والتوحيد والسياسه على الجملة اى بجميع العلوم
المذكورة مما تقدم بيانه وهذا اى الخضر عليه الصلاة والسلام اعلم منه على الخصوص
اى بعلم لدنى يختص به من الامور الغيبية الكشفية التى لم يكلف غيره بعلمها ويدل
عليه اى على انه اعلم بعلم اختص به قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما اى من علم الغيب
الذى لا يعلمه الا الله او من اراد ممن ارتضاه للعلم به وعتب الله ذلك عليه عتب
مصدر مبتدا وقوله ذلك مفعوله وهو جواب سوال تقديره اذا كان اعلم من وجه
وهو صادق في قوله هذا فلم عاتبه الله عليه ودله على عبد له اعلم منه فيما قاله
العلماء اى بينوه ووضحوه بما يدفع اشكال انكار هذا القول عليه اى قوله انا اعلم لانه
اى موسى عليه الصلاة والسلام فيما قاله وهو خبر المبتدا لم يرد العلم اليه اى الى الله
تعالى كما رد باسعه كما قالت الملائكة لله تعالى لما قال لهم انبئونى باسماء هؤلاء فقالوا
لا علم لنا الا ما علمتنا او عتبه وانكاره لانه لم يرض قوله انا اعلم اى لم يرضه الله
منه ولم يستحسنه شرعا لتركه الاولى وان كان صادقا فى مقاله هذا وذلك اى
عدم رضاه بقوله هذا والله اعلم بوجه هذا ولقد اجاد في هذا الرد تحقق هذه العله
الى علم الله لئلا يقتدى به فيه اى فى ادعا الاعلميه جزما من غير رد الى الله من لم يبلغ
كماله اى من لم يصل الى مرتبته في الكمال في العلم في غير الانبيا فى تزكية نفسه اى مدحها
بجعلها زكية مبراة زايدة على غيرها فان مدح المرء نفسه غير محمود وان حسن احيانا
لمقتض له كما قال تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى والتزكية التطهير من الاخلاق
الرديئة التى من جملتها العجب وعلو درجته بالنصب عطف على كماله ويجوز جره من امته
متعلق بقوله يقتدى حال من ضمير يبلغ فيهلك اى من يقتدى به من امته في قوله انا اعلم
لما تضمنه اى قوله انا اعلم من مدح الانسان نفسه وهو امر مذموم وهو امر مذموم

ويورثه

ويورثه اى يكسبه ويعقبه ما يتصف به شبه ذلك بالميراث ذلك القول اى
قوله انا اعلم من الكبر والعجب بضم فسكون قال الراغب يقال المغرور فى نفسه فلان
معجب بنفسه اى يستحسن افعاله واموره والتعاطى اى الاخذ فى تزكية نفسه والدعوى
الباطلة اى لئلا يورثه اقتداوه به فى قوله انا اعلم ما ذكر من الرذايل وان نزه بالبنا
للمفعول اى براهم الله وعصمهم عن هذه الرذايل اى الصفات الذميمة من الكبر
والعجب والتعاطى والدعوى الانبيا عليهم الصلاة والسلام لشرفهم وعلو مقامهم
فغيرهم اى غير الانبيا بمدرجة سبيلها اى غير الانبيا يتصف بها ولا ينزه عنها لاستعداده
لها وقبول طبعه لها والسبيل الطريق والمدرجه اسم مكان بمعنى المدخل والمسلك
من درج اذا مشى يقال هو قاعد على طريق كذا اذا كان مستعدا له فهو استعاره
وقيل المدرجه الثنية التى يمشى فيها وتسيل منها السيول اى في موضع الرذايل
المشبهه بالسبل المهلكة من اتصف بها كالسيل المغرق لما يمر به وفيه تكلف
لا يخفى ودرك ليلها بسكون الراو ويجوز فتحها بمعنى ادراك الليل مقابل النهار فشبه
ما يعرض له من الصفات الذميمة بظلمة الليل الذى تغشاه والمراد ما لا بد منه من اثار
تلك الصفات كما قال النابغة فانك كالليل الذى هو مدركى وان خلت ان المنتاى
عنك واسع الا من عصمه الله اى حفظه عن الاتصاف بها فالتحفظ اى الاحتراز
منها اى من هذه الصفات اولى لنفسه والتوقى فلذا عاتبه على تركه الاولى وليقتدى به
في التحفظ والسلامة منها ولهذا اى لكون التحفظ اولى لمن يقتدى به قال عليه الصلا
ة والسلام تحفظا من مثل هذا العجب انا سيد ولد آدم اشرفهم واعلاهم رتبة وتحفظ
عن العجب في مقاله بقوله ولا فخر اى لم اقل هذا افتخارا وعجبا وانما هو تحدث بما انعم الله به
عليه او انا لا افتخر بهذا فان الله انعم على بما هو اجل منه وفى رواية الصحيحين انا سيد
ولد آدم يوم القيامة ولا فخر والسيد يطلق عليه وعلى غيره وعلى الله كما تقدم وهو
من يفوق غيره كرما وحلما ويطلق على المالك والشريف والكريم والحليم وهذا
الحديث المروى في قصة موسى والخضر الذى تقدم احد حجج القايلين بنبوة الخضر عليه
الصلاة والسلام وهو احد الاقوال فيه لقوله فيه اى فى هذا الحديث انه اعلم من موسى
كما تقدم ولا يكون الولى اعلم من النبى ولا مساويا له في علمه واما الانبيا فيتفاضلون
فى المعارف اى يكون بعضهم افضل من بعض ولا محذور فيه واستدل على نبوته ايضا
بقوله اى الخضر عليه الصلاة والسلام فيما حكاه الله عنه فى قصته وما فعلته
اى المذكور من الامور الثلاثة عن امرى اى بما امرته نفسى فليس برايى واجتهادى فدل
ما ذكر انه بوحى من الله تعالى والوحى لا يكون لغير الانبيا وفيه انه يجوز ان يكون بالهام
والالهام وان لم يفد العلم اليقينى للغير عند اهل السنة حتى لا يجوز الاستدلال به
لكنه قد يقوى فى نفسه ويعمل به الملهم دون غيره كما حقق فى علم الاصول وفصلوه

في محله ومن قال انه ليس بنبي بل ولي من اولياء الله قال مجيبا عما ذكر من الدليل الثاني
يحتمل ان يكون فعله بامر نبي اخر اوحي اليه به في زمانه وهذا الجواب يضعف اي يحكم
بضعفه لانه اي الامر والشان ما علمنا انه كان في زمن موسى عليه الصلاة والسلام
نبي غيره الا اخاه هارون ولم ينقل ملاقاة هارون للخضر عليهما الصلوة والسلام
الا انه قيل ان يوشع كان نبيا نبئ قبل موت عليهما الصلاة والسلام وسياتي
عن الشيخ ما يويده فتدبر وما نقل عن احد من اهل الاخبار المعتمد على نقلهم في ذلك
اي وجود نبي غير موسى واخيه عليهما الصلاة والسلام ما يعول عليه لصحة
نقله واذ وفي نسخة واذا جعلنا قول الله لموسى ان لي عبدا اعلم منك ليس على العموم
وانما هو على الخصوص لتخصيصه بما ليس من الشرايع والعقايد وفي قضايا معينة
كما تقدم بيانه لم يحتج الى ثبات نبوة خضر لان علمه كان بامور معينة غير الشرايع
والعقايد وهذا يقتضي انه يجوز الوحي بها لغير الانبيا وانه اذا اطلق عليه نبي
بالمعنى اللغوي لا ينافيه كما في قضية خالد بن سنان كما اشار اليه بعض العارفين
وهذا اي كونه علما مخصوصا لا ينافي غيره قال بعض الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر
فيما اخذ عن الله من الشرايع والاحكام وما حكمها والخضر اعلم من موسى فيما رفع اليه
بالبنا للمفعول براء مهملة او بدال مهملة وفا وعين مهملة اي فيما جعله الله منوطا به
منتهيا اليه علمه مما غيب علمه عن غيره وقيل انما الجاء موسى عليه الصلاة والسلام
اي اضطره الله والزمه ان يذهب الى الخضر للتاديب اي ليؤدبه الله حتى لا ينسب لنفسه
الاعلمية وان كان صادقا في مقاله ومناسبا لمقامه لا للتعليم لما لم يعلمه مما يلزمه
علمه فانه اكمل اهل زمانه ولذا قيل ان هذه القصة تقتضي ان الخضر نبي رسول اليه يكون
العالي علم من الاعلى وفي الكشاف ان القصة لا تقتضي ان موسى هذا هو مينشا كما
قاله اهل الكتاب لانه لا غضاضة في اخذ النبي العلم من نبي مثله اذ يمتنع اخذه
ممن هو دونه وفي فتح الباري ان في كلامه نظرا لان المتكلمين اشترطوا في النبي ان يكون
اعلم اهل زمانه على العموم ولو لزم هذا لزم ان لا يجمع الله بين نبيين في عصر واحد
وقد كان مع موسى هارون وشعيب ثم يوشع والحق ان اللازم كونه اعلم ممن ارسل
اليه وانه اعلم بالعلم المخصوص به ولذا قال له الخضر عليه الصلاة والسلام
اني على علم علمنيه الله لا تعلمه انت ولم يكن موسى مرسلا الى الخضر فلا ضير في كونه
اعلم منه بعلم لدني خصه الله به وقال الامام القرطبي ولننبه هنا على مغلطتين
الاولى ان بعضهم قال ان الخضر اعلم من موسى تمسكا بهذه القصة وهذا انما يصدر
ممن قصر نظره على هذه القصة ولم ينظر ما خص الله به موسى من توراته التي فيها
علم كل شي وكلامه ودخول انبيا بني اسرائيل تحت نبوته ودعوته كما قال الله تعالى
له اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي والخضر وان كان نبيا ليس

برسول بالاتفاق والرسول افضل من النبي الذي ليس برسول فان قلنا انه ولي فلا
اشكال الثانية ان بعض الزنادقة قال قولا يهدم الشريعة وهو ان قصة الخضر
تدل على احكام الشرع تختص بالعامة وان خواص الاولياء انما يراد منهم ما يقع
ما يقع في قلوبهم وخواطرهم لصفا قلوبهم عن الاكدار والاغيار فتنجلي لهم علوم
الهية يقفون بها على اسرار الكائنات وعلم الجزئيات فيستغنون عن احكام
الشريعة كما في حديث استفت قلبك وهذا كله زندقة وكفر وانكار لما علم من الدين
بالضرورة من ان الاحكام انما تؤخذ عن الله بواسطة رسله وسفرائه بينه وبين خلقه
فمن ادعى خلافه كفر فيقتل ولا يستتاب وكل هذا كفر صريح والامتحان لموسى اذ رآه
الخضر ان قتل الغلام كقتله للقبطي واقامته الجدار كالقاء امه التابوت في اليم
واقامته الجدار بغير اجرة كسقيه لبنات شعيب قبل استيجاره له وهذا لا يقتضي
الانكار على بعض الاولياء في الامور الكشفية ولا يساء الظن بهم فيما يصدر عنهم
من بعض المقالات وها هنا بحث مهم وهو ان النبي معناه لغة المخبر او المخبر مطلقا
وهو في العرف العام المخبر عن الله بوحي مطلقا وفي عرف الشرع المخبر عن الله بشريعة خاصة
به او امر بتبليغها غيره فعلى هذا لا يكون الخضر نبيا لانه انما اوحي اليه ببعض الامور
الغيبية اذا علمت هذا فخالد بن سنان اذ كان بين نبينا صلى الله عليه وسلم وبين
عيسى عليه الصلاة والسلام كما ورد في الحديث لا ينافي الحديث الصحيح من قوله
صلى الله عليه وسلم لا نبي بيني وبين عيسى كما قاله ابن حجر وقال ان الاول لا يقاوم
حديث البخاري فهو مردود رواية لان خالدا انما اوحي اليه بكشف امور البرزخ
تاييدا للخبر غيره من الانبيا وتمهيدا لما ياتي بعده بما سياتي به نبينا صلى الله عليه
وسلم فانه لم يوح اليه لشرع ولا بامر يجب العلم بتفصيله فليس نبيا بحسب عرف
الشرع فتسميته نبيا انما هو باعتبار المعنى العرفي واللغوي فلا منافاة بينه وبين
الحديث مع انه لم يكشف ما ارسل به كما في الحديث الاتي انه اضاعه قومه وهو تحقيق
حقيق بالقبول واليه اشار في الفصوص فصل واما ما يتعلق بالجوارح للانبيا عليهم
الصلاة والسلام جمع جارحة وهي الاعضا التي يكتسب بها الانسان ويعمل
ما يريد يقال جرح واجترح بمعنى عمل واكتسب قال تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار
اي ما يتعلق بعصمتهم في افعالهم من الاعمال بيان لما اي الاعمال الصادرة بواسطتها
ولا يخرج من جملتها القول باللسان لانه من الاعضا فيما عدا الخبر اي الاخبار بما سبيله
البلاغ وغيره الذي وقع الكلام فيه قبل هذا كما تقدم ولا يخرج من جملتها ايضا
الاعتقاد بالقلب لانه من عمله وله افعال تصدر عنه وهذا بحسب العرف واللغة
واما كون العلم من مقولة الكيف والانفعال لا من الفعل والعمل فمما يحققه الحكما
ولا ننظر له علما الشريعة فيما عدا التوحيد والايمان وما يتعلق بالوحي كما تقدم

وما قدمناه من معارفه المختصة به صلى الله عليه وسلم من اطلاعه على احوال الملكوت
مما لا ينكشف لغيره كما تقدم فاجمع المسلمون جواب ما على عصمة الانبيا جميعا فيها
من الفواحش اى المعاصى الصغاير والكبائر القبيحة والفاحش كل امر اشتد قبحه من الاقوال
والافعال وقد تختص الفاحشة بالزنا وقال ابن عرفة هى كل ما نهى الله عنه والكباير
هى معروفة الموبقات اى المهلكات يقال وبقه اذا اهلكه واهلاكها بايقاعها فى العذاب
فى الدنيا بالقتل وفى الاخرة بالعذاب الاليم وحاصله عصمتهم فى اقوالهم وافعالهم
واعتقاداتهم قبل النبوة وبعدها من الكباير المتوعد عليها ومستندهم اى دليلهم الذى
اعتمدوا عليه فى ذلك اى عصمتهم عن الكباير الاجماع الذى ذكرناه عن المسلمين
فالدليل شرعى وهو الاجماع وهو مذهب القاضى ابى بكر الباقلانى الاصولى المالكى ومنعها
اى الكباير غيره من الايمة بدليل العقل فضمير منعها للكباير الصادرة عنهم وقيل انه
راجع لعصمتهم اى منع عصمتهم من الكباير لعدم استحالتها عقلا وهو وهم لانه
ياباه قوله مع الاجماع لان الاجماع لم يقم على عدم عصمتهم من الكباير مع ان كلامه
نفسه بعده ينافيه وهو قول الكافة اى جميع العلما وقد تقدم ان بعضهم قال ان كافة
يلزمها التنكير والنصب على الحالية وقد بينا فى شرح الدرة انه غير صحيح واختاره ابو
اسحاق الاسفراينى الشافعى لعلو مقامهم عن صدور مثله منهم فمذهب الجمهور ان عصمتهم
عن الكبائر بدليل سمعى وذهب طايفة الى انه بدليل سمعى وعقلى والمشهور عن الاشاعرة
ان العصمة فيما ورا التبليغ غير واجبة عقلا لدلالة المعجزة عليه واما ما طريقه
التبليغ ودعوى الرسالة فالمعجزة دالة على عصمتهم فيه وذهب المعتزلة الى وجوب
عصمتهم عن الكبائر عقلا بنا على قاعدتهم فى الحسن والقبح العقليين ووجوب رعاية
الاصلح والدليل العقلى من وجوه فصلت فى كتب الاصول منها انا امرنا باتباعهم فلو صدر
عنهم ذلك وجب اتباعهم فيما فعلوه فيلزم اجتماع الحرمة والوجوب وايضا لو صدر
عنهم ذلك كانوا معذبين اشد العذاب لان عليهم وزرهم ووزر من اقتدى بهم وكانت
شهاداتهم غير مقبولة وقد جعلهم الله شهدا على غيرهم الى غير ذلك مما فصلوه وكذلك
اى كما انهم معصومون مما مر لا خلاف فى انهم معصومون عن كتم الرسالة اى معصومون
عن اخفا رسالتهم عمن ارسلوا اليه لانهم مامورون بالتبليغ وفى اكثر النسخ كتمان
الرسالة لقوله يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك ومخالفة الامر معصية كبيرة ومعصومون
عن التقصير فى التبليغ بترك شى منه لان كل ذلك المذكور من العصمة عن الكتمان والتقصير
فيه تقتضى العصمة منه مفعول تقتضى وقوله المعجزة فاعل اى تدل المعجزة على لزومه مع
قيام الاجماع على ذلك اى على ان الله عصمهم عنه من الكافة اى جميع الناس واعلم ان الحريرى
قال فى الدرة ان كافة يلزمها التنكير والنصب على الحالية الا انه غير مسلم فانه سمع كافة
شاذ وفى توقف مثله على السماع نظر وقد ذكرناه مفصلا فى شرح الدرة لنا وللجمهور

اى

323

اى اكثر الناس ومعظمهم متفقون على انهم لا يكتمون شيا من الوحى الذى امروا بتبليغه
وهذا ورد فى حديث رواه مسلم عن عايشة رضى الله عنها انها قالت من حدثكم ان محمدا
صلى الله عليه وسلم كتم شيا من الوحى فقد كذب والله يقول يا ايها الرسول بلغ ما انزل
اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته ولو كان كاتما شيا من الوحى لكتم قوله واذ
تقول للذى انعم الله عليه الاية وقايل منهم اى منهم من قال بانهم معصومون من ذلك الكتمان
والتقصير من قبل الله اى خلق الله فى جبلتهم العصمة فهم معتصمون اى متمسكون
باختيارهم فى تركه وكسبهم لا انهم مضطرون لعدم قدرتهم على خلافه الا حسنا النجار
بفتح النون والجيم المشددة والف وراء مهملة وهو حسن بن محمد النجار الذى تنسب له
الطايفة النجارية وهم فرق من المبتدعة الضالة وافقوا اهل السنة فى بعض اصولهم
ووافقوا القدرية فى نفى الروية ووافقوا المعتزلة فى بعض المسايل ولهم مقالات تكفروا بها
والمشهور منهم ثلاث فرق البرغوثية والزعفرانية والمستدركة فانه اى النجار قال
لا قدرة لهم على المعاصى اصلا كالعنين الذى لا يزنى فانه قال ان الله يوجد الافعال كلها
من غير اختيار وكسب بل بايجاب الطبع واما الصغاير فجوزها على الانبيا عليهم الصلاة
والسلام جماعة من السلف المتقدمين وغيرهم من المتاخرين على الانبيا وهو مذهب
ابى جعفر الطبرى محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبرى البغدادى صاحب التصانيف
الجليلة المشهورة ولد سنة اربع وعشرين وماتين وتوفى سنة عشر وثلاثماية عن ست
وثمانين وغيره من الفقها والمحدثين والمتكلمين وسنورد اى نذكر بعد هذا ما احتج به
من ادلتهم وما يتعلق بها وذهب طايفة منهم الى الوقف اى التوقف وعدم الجزم وقالوا
لعدم جزمهم بجوازها وامتناعها عليهم ان العقل ذاخل ونفسه لا يحيل وقوعها منهم
اى لا يعده محالا ولم يات فى الشرع قاطع اى نص صريح ودليل قطعى باحد الوجهين من الجواز
وعدمه فى صدور الصغاير منهم وذهب طايفة اخرى من المحققين من الفقها والمتكلمين
فى اصول الدين الى عصمتهم من الصغاير كعصمتهم من الكباير وقالوا اى قال الذاهبون
لعصمتهم من جميع المعاصى صغايرها وكبايرها ان ذلك لاختلاف الناس فى الصغاير
اى فى تعريفها بما يميز احديهما عن الاخرى وتعيينها هو كالتمييز وزنا ومعنى من الكباير
هل هى معدودة او هى ما توعد عليه بحد ونحوه او هى امر نسبى تتميز بما فوقه وتحته
واشكال ذلك عليهم حتى عسر تمييز احدهما عن الاخر وقول ابن عباس وغيره من السلف
ان كل ما عصى الله به فهو كبيرة نظرا لجلال الله وعظمته فان من يخالف امر السلطان
كمن يخالف امر احد من رعيته وانه اى الذنب انما سمى منها الصغير اى اطلق عليه صغيرة
باضافة اى نسبة وقياس وفى نسخة بالاضافة الى ما هو اكبر منه لا بالنظر له فى نفسه
ولا النظر لمن عصاه ومخالفة البارى عز وجل فى اى امر كان صغيرا او كبيرا يجب كونه كبيرة
فى نفسه وهذا انظر من لم يشاهد شيئا الا شاهد الله معه او قبله ولذا تفاوتت الذنوب

تنفاوت اصحابها فتدبر وقال القاضي ابو محمد عبد الوهاب المالكي البغدادي الاديب العلامة
وهو من شعرا التتيمية وقصيدته الميمية التي منها ولو ان اهل العلم صانوه صانهم
ولو عظموه في النفوس لعظما وله تصانيف في مذهبه جليلة كالتلقين والمعونة
وارتحل الى مصر فتوفي بها ودفن بالقرافة قريبا من الامام الشافعي في سنة اثنين
واربعماية رابع عشر صفر لا يمكن ان يقال في معاصي الله انها صغيرة الا على انها تغفر باجتناب
الكباير ولا يكون لها حكم اي لا يعتد بها ويواخذ فاعلها بعقاب عليها كما هو حكم الكبيرة
الذي حكم الله به بخلاف الكباير اذا لم يتب فاعلها منها بالبنا للفاعل والمفعول
والتوبة معناها معروف فلا يحبطها شي اي يمحوها ويذهب حكمها مما يحبط غيرها
من اعمال العبد الصالحة والمشيية في العفو عنها موكول الى فضل الله وسعة رحمته
كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وهو قول
القاضي ابو بكر بن الطيب الباقلاني وجماعة ايمة الاشعرية وكثير من ايمة الفقها
لان الحديث والنص دل عليه دلالة ظاهرة كقوله صلى الله عليه وسلم الصلوات
الخمس مكفرة لما بينهن ما اجتنبت الكباير اي ما دام اجتنابه لها وقوله تعالى ان الله
لا يغفر ان يشرك به الخ والحديث مبين للاية فلا يرد عليهم ان الوعيد شامل لهما فلا
تغفر بمجرد اجتناب الكباير وهو الحق فان الحق خلافه لقوله تعالى ان تجتنبوا كباير
ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم قال القاضي ابو الفضل عياض مصنف هذا الكتاب
رحمه الله قال بعض ايمتنا يعني المالكية ولا يجب على القولين في العصمة عن الصغاير
وعدمها ان يختلف في انهم معصومون عن تكرار الصغاير وكثرتها وكان الظاهر ان يقول
لا يجوز لان احدا لم يقل بوجوب الاختلاف ففي عبارته تسمح اذ يلحقها ذلك المذكور من الكثرة
والتكرار بالكباير لما فيه من عدم المبالاة بالمعاصي وفي الاحيا الصغيرة تصير بالاصرار
كبيرة كما ان المباح يصير بذلك صغيرة قال السبكي اما الاول فظاهر واما الثاني فلا نعرفه
وفيه نظر سياتي وقيل ان المختار المفتي به ان من اكثر من فعل الصغاير سوا كانت من نوع
واحد او من انواع لا يكون فاسقا ولا مرتكبا لكبيرة ان غلبت طاعاته على معاصيه الا ان يريد
بالاكثار الاكثرية بحيث يغلب على الطاعات وفيه ان ما ذكر في غير حق الانبيا فلا نسلم
مسا وانهم لغيرهم وهم المقتدى بهم فتدبر ولا ينبغي ان يختلف في صغيرة ادت الى ازالة
الحشمة اي الحيا من الناس لانها مما يسترذل وتنقبض النفوس منه وقد وردت بهذا الحشمة
المعنى في الحديث كقوله نادجها را ولا تحتشم وفي قول عنترة فاري مغانم لو اشاء حويتها
فيصدني عنها كثير تحشم وقد يرد بهذا قوله في ادب الكتاب ان الناس يضعون الحشمة
موضع الاستحيا وليس كذلك انما هي الغضب ومنه انه يحتشمني وليس كما قال وقد
قال حسان رضي الله تعالى عنه ارسلت نفسي على سجيتها وقلت ما شيت غير محتشم
ومنه قولهم للمهيب محتشم وقد صرح به السهيلي والبطليوسي واسقطت المروة هي كما

الرجولية وفسرها المص رحمه الله بقوله واوجبت الازرا اي التنقيص والخساسة اي الدناة
وكونه محتقرا خسيسا في عين الناس يقال ازدراه اذا تهاون به وعابه لحقارته عنده كسرقة
لقمة وشي تافه فهذا ايضا كغيره مما يعصم منه الانبيا اجماعا لعلو قدرهم وشرف انفسهم
وهممهم العلية لان ارتكاب مثل هذا يحط منصب اي مقام المتسم به الموصوف به اي
يجعله سافلا ويزري بصاحبه اي يحقره وينقصه وينفر القلوب عنه فينافي مقام الدعوة
واتباع الخلق له والانبيا منزهون اي مبرون عن ذلك كله لا يليق بعلي مقامهم بل يلحق
بهذا المذكور من الصغاير التي عصمهم الله منها كل ما كان من قبيل المباح فادى الى مثله
ضمير مثله يحتمل ان يعود الى ما ينهون عنه فيكون من سد الذرايع الذي ذهب اليه
مالك فان عنده ان ما ادى الى منهي عنه منهي عنه وان كان مباحا في نفسه ويحتمل
ان يعود الى الازرا والخساسة كالاكل في السوق لمن ليس من اهله من غير ضرورة والصنايع
الرذيلة كالحجامة وليس منها رعاية الغنم الذي فعله الانبيا عليهم الصلوة والسلام
فانه ليس بعيب في الزمن القديم وكلبس ما لا يليق به من الملبوس كما قلت نصيحة لطيفة
قالتها الاكياس كل ما اشتهيت والبس ما تشتهيه الناس وكادامة الشافعي لعب
الشطرنج لخروجه بما ادى اليه عن اسم المباح الى الحظر اي المنع منه يعني الحرمة وهذا صريح
في الاشارة الى سد الذريعة وهذه المسيلة مما نقل على الاطلاق عن الامام مالك لكنها
مشكلة وقد قال القرافي كما تقدم انها ليست على اطلاقها ولعلما المالكية فيها كلام
طويل لا يحضرني الان تفصيله وفي الشرح الجديد ان مراده ان يودي الى ان يزري تمرتكبه
والازرا بالانبيا كفر ففعله يودي الى ان يزرى بهم فيحرم عليهم لاحتمال ان يراهم من يجهل
مقامهم فيزدري بهم فيقع في الشقا الابدي فتامله وفي الكبيرة والصغيرة وتعريفهما كلام
في الاصلين لا حاجة للاطالة بذكره وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم اي الانبيا من مواقعة
المكروه اي الوقوع فيه بان يفعله قصدا اما سهوا فلا باس به والمكروه يكون كراهة
تحريم وهو نوع من الحرام لكن الفقها يطلقون عليه مكروها اذا لم يكن فيه نص لجتنابا
من القطع بالحكم به وكراهة تنزيه كترك بعض المندوبات والمراد هذا الان الاول داخل
فيما تقدم مما حرموا ابتناعه عليهم والاول شامل للخلاف الاولى وهو مما نهي عنه في
الجملة لانه صلى الله عليه وسلم مامور باتباعه فلو فعل مكروها ابيح فيه الا ان يكون
لبيان الجواز والتشريع فانه يكون في حقه افضل كغسله اعضا الوضوء مرة او مرتين فترك
التثليث لبيان الجواز وقد استدل بعض الايمة على عصمتهم من الصغاير بالمصير الى
امتثال افعالهم اي فعل مثلها اقتدا بهم فلو صدر ذلك منهم او جاز فعله الناس وظنوه
مشروعا فلذا منعوه منهم وان كان صغيرة لان ذنبا لعظيم وان قل وابتاع اثارهم وسيرهم
مطلقا اي سوا كان ضرورية او جبلة كالقيام والقعود والاكل والشرب فانا نتاسى
بهم فيه وان كان مباحا لان الاصل في افعالهم انها حسنة شرعية فينبغي اتباعهم في كل

ما صدر منهم لان الاصل رجح من الظاهر وقد اختلف الشافعيه في اتباعه صلى الله عليه
وسلم فيما علمنا انه ليس تشريعا هل يستحب ام لا كنومه واضطجاعه بين سنة الفجر وفرضه
وجمهور الفقها على ذلك اى استحباب اتباع اثاره مطلقا ان لم نعلم انه خصوصيته لهم
من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفه واصحابه بكار اهل مذهبه من غير التزام قيام قرينه
تدل على انه فعله للتشريع والاقتدا به فيه بل يقتدى بفعله مطلقا من غير التزام قرينة
المشروعيه عند بعضهم وان اختلفوا بعد القول باتباعه في حكم ذلك فذهب الغزالى
الى انه يستحب اتباعه في الامور الجبليه كغيرها وذهب اليه كثير من الفقها والمحدثين
وقال غيرهم انه مباح لحسن من غيره وفي قول ضعيف انه واجب وحكى بن خويز منداذ
ابو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الله وقيل ابو بكر تلميذ الابهرى عن ايمة المالكيه والاصول
وله تصانيف في مذهبه وعلم الخلاف الا ان اقواله مرجوحه عندهم كقوله ان العبيد
لا يدخلون في الخطاب وان خبر الواحد يوجب العلم وخويز منداد بضم الخا المعجمه وفتح
الواو المخففة وسكون اليا المثناة التحتيه وزاى معجمة ساكنة او مكسورة وميم مفتوحه
او مكسوره وروى بيا موحده بدلها ثم نون ساكنة فدالين معجمتين بينهما الف وقيل الاولى مهمله
توفي في حدود الاربعمايه وهو من اهل البصرة كما في التمهيد لابن عبد البر وابو الفرج عمر بن
محمد بن عمر الليثى المالكى صاحب كتاب الحاوى في فقه مالك توفي سنة ثلاثين او احدى وثلاثين
وثلاثماية عن الامام مالك التزام ذلك اى اتباع افعاله واثاره وجوبا اى قال انه يجب
اتباعه صلى الله عليه وسلم في كل ما يفعله اذا لم يكن امرا جبليا كالاكل والشرب ولم
يعلم انه من خصوصياته اذا لم يعلم حاله من وجوب او ندب او اباحه لان افعاله مختصه
فيها لانه لا يصدر عنه محرم ومكروه كما تقدم وهو قول الابهرى بفتح الهمزة وسكون الموحده
وفتح الها وراء مهملة ويا نسبته نسبة لبلدة عظيمه بين قزوين وزنجان ولهم اخرى باصفهان
وهو معرب ابهر يعني ما اجي والابهرى من علما المالكيه اثنان ابو بكر محمد بن عبد الله بن
صالح والاخر ابو سعيد عبد الرحمن بن يزيد بن عبد السلام وليس بن عبد السلام
هذا هو الشافعي وهذا ايضا مشهور عندهم محمد الابهرى من علما المالكيه من اهل
طليطلة ويلقب بابي تمام وهو المراد هنا وابن القصار الامام في فقه مالك واكثر
اصحابنا من المالكيه وقول اكثر اهل العراق من فقها المذاهب وابن سريج بضم السين
وفتح الرا المهملتين ومثناة تحتيه ساكنة وجيم وهو ابو العباس احمد بن عمر بن سريج
البغدادى الشافعي حامل لوا المذهب صاحب التصانيف الجليلة كانوا يفضلونه على
جميع اصحاب الشافعي ويلقب بالباز الاشهب تولى قضاء شيراز وتوفي في جماد الاولى
سنة ست وثلاثماية والاصطخرى بكسر الهمزة وفتحها وصاد مهملة ساكنة وطا مهمله
مفتوحه وخا معجمه ساكنة وراء مهملة يليها يا النسبه نسبة لاصطخر بلدة عظيمه وهو
ابو سعيد الحسن بن احمد بن زيد بن عيسى الامام المشهور عند الشافعيه وكذا تصانيفه

توفي سنة

325

توفي سنة اربع وثمانين وثلاثماية على احد الاقوال وترجمته مفصلة في الطبقات والميزان
وغيرهما وابن خيران من الشافعيه راجع للثلاثة وهو علم لمثنى خير وهو ابو علي الحسين
بن صالح بن خيران البغدادى الامام الزاهد الجليل قدره صاحب التصانيف المفيدة
في فقه الشافعي طلبه الوزير ابن الفرات لتوليته القضا فلم يجبه فسمر بابه عليه اياما
فلم يجب فافرج عنه ثم قال انما فعلت ذلك به ليعلم ان ما في بلدنا مثله توفي رحمه الله
سنة عشرين وثلثماية لعشر بقين من ذى الحجه واكثر الشافعيه على نذب ذلك اى الاتباع
صلى الله عليه وسلم فيما لم يعلم حاله ندب اى مستحب لا واجب ولا مباح كما مر وهو المشهور
وبالغ ابو شامه رحمه الله تعالى في نصرته وذهب طايفة من العلما الى الاباحه اى انه
مباح وطايفة الى الوقف وقيد بعضهم الاتباع اى اتباعه صلى الله عليه وسلم في افعاله
وجوبا او ندبا فيما كان من الامور الدينيه ليخرج الامور الجبليه كالاكل والنوم وعلم به
مقصد القربة مصدر ميمي بمعنى القصد اى التقرب الى الله بالعبادة وهذا مختار الامدى
وابن الحاجب وابي شامه ومن قال بان الاصل فيما لم يعلم من افعاله صلى الله عليه وسلم
الاباحه لم يقيد بما قيد به من قال بالندب او الوجوب بقيد الدينيه وقصد القربه
لان التقييد به ينافي الاباحه اذ كلما قصد به القربة من الديانه طاعة فهو لا يخلو من الوجوب
او الندب قيل هذا حكم فعله في نفسه وبالنسبه اليه صلى الله عليه وسلم واما بالنسبه
لامته فحكمهم مرتب على حكمه الا فيما استثني فقد يرد قال المستدل على عصمتهم من الصغاير
بانا لو جوزنا عليهم فعل الصغاير لم يكن الاقتدا بهم في افعالهم مطلقا كما امرنا به اذ ليس
كل فعل من افعاله كغيره منهم يتميز مقصده به اى ما قصده من القربة بان يكون واجبا
او مندوبا او من الاباحه مما لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب او مدح او ذم او الحظر
بالمثلثة اى المنع شرعا لكونه محرما او مكروها او خلاف الاولى والمعصيه الظاهر
عطفه بالواو عطف تفسير وعلى هذه النسخة ينبغي ان يفسر الحظر بخلاف الاولى والمكروه
وهذا بالحرام ولا يصح على تقدير جواز الصغاير عليهم ان يومر المرء بامتثال كل امر من الامور
فعله النبي صلى الله عليه وسلم وصدر عنه فعله هذا ودعوى عدم امكان الاقتدا بهم
لعدم تميز مقصده من القربة لكل فعل من افعاله مع تجويز الصغاير عليهم ممنوعة بل هو
ممكن مع تجويزها عليهم لعصمتهم من ان يداوموا ما لا يجوز او يكونوا او يقروا عليه او يتركوا
بيان انها امور ببيانه فيجوز بل يجب الاقتدا بهم في جميع افعالهم وان لم يتميز بانها قصدت
القربة معصيته وقد امرنا باتباعه لقوله تعالى فاتبعوني يحببكم الله ونحوه فيلزم ان نتبعه
في معصيته صدرت منه وهو باطل ولما ورد عليه ان الملازمه غير مسلمة لجواز ان تصدر
منه معصيته صغيرة ولا نتبع فيها لانه قال لنا انها محرمه علينا الا انه يبقى ما لم يصرح
بتحريمه ملتبسا علينا او نقال هذا انما يتم لو قلنا القول مقدم على الفعل وليس
بمسلم كما اشار اليه بقوله لا سيما تقدم الكلام عليها وعلى قول انها للاستثنا مع افادتها

اولوية ما بعدها في الحكم وشئ بمعنى مثل وما موصولة او زايدة كما بينه النحاة وقد قدمنا
على قول من يرى بتقديم الفعل على القول اذا تعارضا وجهل المتاخر منهما لدلالته على الجواز
المستمر مع كونه اقوى في البيان من حيث انه يبين به وقوله من الاصوليين اى علما اصول
الفقه وهو بيان لمن بان يفعل فعلا ثم قال انه حرام ولم يعلم المتاخر منهما حتى يكون ناسخا له
وقد اختلف فيه فمنهم من قدم الفعل لانه لا احتمال فيه وقيل يعمل بالقول لقوته بالصيغة
وانه حجة في نفسه وهو قول الجمهور وقيل لا يرجح احدهما على الاخر الا بدليل وعلى الاول
يقتدى بافعالهم مطلقا والمعارضة بمعنى المخالفة ومنافاة احدهما للاخر وعلى
هذا تكون الحجة اقوى ونزيد هذا الدليل الذى استدل به على عصمتهم من الصغاير
وعدم جوازها عليهم ونزيد بنون المضارعة حجة اى نؤيد هذا الدليل بما يزيل
الشبهة في حجيته وقوة برهانه بان نقول من جوز على الانبيا وقوع الصغاير
ومن نفاها اى قال بعدم جوازها عن نبينا صلى الله عليه وسلم مجمعون ومتفقون
في حقه كغيره من الانبيا على انه اى النبى صلى الله عليه وسلم لا يقر بكسر القاف والبنا
للفاعل وفاعله ضمير النبى صلى الله عليه وسلم اى لا يقر غيره اذا راه على امر منكر
من قول او فعل لان تقريره صلى الله عليه وسلم بمنزلة قوله له ما فعلته جايز
كما قيل ان الشفيه اذا لم تنهه مامور وانه صلى الله عليه وسلم متى راى شيئا منهيا
عنه يفعل او يقال فسكت صلى الله عليه وسلم عنه دل على جوازه والسكوت
رضى وتقرير لوجوب الثناء عليه فكيف تجب وانكار شديد يكون هذا حاله في حق
غيره ممن راه او سمعه ثم يجوز وقوعه منه في نفسه بان يرضى لنفسه مع شرفها وعصمتها
ما لا يرضاه لغيره من اتباعه ولذا عدوا تقريره من الحديث كقوله وفعله ومثل ما راه
وسمعه ما علمه في عصره ولم ينكره فانه يدل على جوازه اى اباحته كما قرره الاصوليون
الا انهم شرطوا فيه شروطا منها ان لا يكون بين منعه قبل ذلك كما لو راى ذميا من اهل
الجزية في كنيسته على ما يفعله اهل ملته وان يقدر على ازالة ذلك المنكر وفيه
نظر لانه مامور بالامر وان خاف مكروها وقتلا وان يعلم ان انكاره يفيد كما قاله
بعض المعتزلة وهذا كما كان يقر بعض المنافقين على نفاقهم احيانا وعلى هذا الما
خذ الدال على انهم لا يقرون غيرهم على المعاصى فضلا عن انفسهم تجب عصمتهم عن
مواقعة المكروه كما قيل وقد تقدم قريبا لانه مما نهى الرسول عنه غيره فكيف يتنزل
للاتصاف به كما قيل لا تنه عن خلق وتاتى مثله عار عليك اذا فعلت عظيم
ثم اردفه بدليل على عدم فعله المكروه بقوله واذا الحظر بظا مشالة بمعنى المنع
تحريما ومكروها واذ للزمان الماضى اريد بها التعليل هنا وهو معطوف على قوله
وعلى هذا الماخذ وفي نسخة الحض بحا مهملة وضاد معجمة وقال البرهان انه تحريف
وفيه نظر او الندب اى الطلب غير الايجابى وضمنه معنى الحث على الاقتدا بفعله

كما امر الله باتباعه في ايات كثيرة معلومة بينا في الزجر اى زجر غيره اذا راه تجب عليه الانهيا
والنهى للغير عن فعل الامر المكروه وفي كلامه هذا خرازة وتوضيحه بما يشفى الغليل انه
تجب عصمته صلى الله عليه وسلم عن المكروه لما امر الله لا يرضاه لغيره فكيف يتصف به
هو من غير مقتض وهذا معنى قوله وعلى هذا الماخذ الخ ثم بين وجهه بوجه اخر اشار اليه
بقوله واذ الحظر او الحض كما في بعض النسخ وهى صحيحة ايضا كما علمت اى اذا رايناه صلى الله
عليه وسلم فعل فعلا لم ندر حكمه فقيل تمتنع مخالفته وقيل يندب اتباعه والى الاول
اشار بالحظر والى الثانى بالندب وعلى كل منهما لا يفعل مكروها فاعله زجر وقد بر
وايضا اى مما يدل على عصمته صلى الله عليه وسلم عن مواقعة المكروه فقد علم من دين
الصحابة اى من عادتهم لان الدين يكون بمعنى العادة ولو حمل على ظاهره صح وقوله قطعا
اى علما لا شك فيه الاقتدا بافعال النبى صلى الله عليه وسلم كيف توجهت اى في اى
جهة من جهات الافعال المختلفة وفي كل فن اى في اى نوع كانت من امور معاشه وحركاته
وتكلمه وغير ذلك كالاقتدا باقواله في اوامره ونواهيه فلا يفرقون بين قوله وفعله في الا
تباع فلو فعل مكروها لزم اتباعه فيه وهو لا يصح ثم ذكر امورا تدل على ان فعله كقوله
فقال فقد نبذوا بجمعه اى رموا وطرحوا والضمير للصحابة الذين كانوا تختموا وهو
اشارة لحديث رواه الشيخان عن ابن عمر خواتيمهم جمع خاتم على لغة فان بعضهم يشبع
الكسرة كما ورد الاعمال بخواتيمها جمع خاتمة بمعنى اخرها وهو مطرد عند الكوفيين وعند
غيرهم سماعى وجمع خاتم وهى لغة فيه من عشر لغات فيه وهذا اشارة الى حديث هو انه
صلى الله عليه وسلم لما كتب الى الملوك يدعوهم الى الاسلام فقيل انهم لا يقرون
كتابا غير مختوم فاتخذ له خاتما من ذهب للختم نقشه محمد رسول الله ثم اوحى اليه بتحريم
خواتم الذهب للرجال دون النسا فطرحه وهو على المنبر واتخذ اخر من فضة حين نبذ
خاتمه فهذا منهم اقتدا بفعله صلى الله عليه وسلم كما ذكره وقيل ان خاتمه الذهب
اهداه له النجاشى ومنه علم تحريم التختم بالذهب وحله بالفضة خلافا لابن حزم
في حلهما وما روى من ان الخاتم الذى نبذه كان من فضة طعن في روايته كما فصل في شروح
الصحيحين وفي شرح مسلم للقرطبى انه صلى الله عليه وسلم نهى ان ينقش احد خاتمه
وان ينقش احد على خاتمه اسم محمد وان تتختم النسا بالفضة ورده النووى ومن اقتدا
يهم بافعاله صلى الله عليه وسلم انهم خلعوا اى الصحابة نعالهم في الصلاة حين
خلع صلى الله عليه وسلم نعله وهو يصلى رواه احمد وابو داود والحاكم عن ابى
سعيد الخدرى قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى باصحابه اذ خلع نعليه
ووضعهما عن يساره فلما راوه القوا نعالهم فلما قضى صلاته قال ما حملكم على هذا قالوا
رايناك فعلته فقال ان جبريل اخبرنى ان بها قذرا ومنه علم ان الصلاة بالنعل اذا علم
طهارتها لا تكره واما حديث خالفوا اليهود فانهم لا يصلون في نعالهم وخفافهم فلا يدل

على استحبابه الا اذا قصد اليهود فتامل ومما يدل على استحباب الاقتدا بافعاله صلى الله
عليه وسلم احتجاجهم اى استدلال الصحابة الوارد فى حديث رواه الشيخان عن ابن عمر
استدلوا به على انه يجوز استقبال القبلة واستدبارها بالبول والغايط واشار
اليه بقوله برويه ابن عمر اياه الى النبى صلى الله عليه وسلم جالسا لقضا حاجته اى البراز
وهو يكنى عنه بقضا الحاجة تادبا مستقبلا بيت المقدس وهو قبلة الانبيا قال رقيت
يوما على بيت حفصة فرايته صلى الله عليه وسلم الخ واستدل بفعله هذا على جوازه
ويلزمه لمن كان بالمدينة استدبار الكعبة ايضا وهو مناف لحديث ابى ايوب عنه
صلى الله عليه وسلم اذا اتيتم الخلا فلا تستقبلوا القبلة ببول ولا غايط ولكن
شرقوا او غربوا فقيل انه منسوخ وجمع بينهما بانه يكره فى الخلا بلا ساتر دون العمران
ولا يكره فى البيوت المعدة لذلك واختلفوا فى علته فقيل تعظيمها اى القبلة وقيل
لان الصحرا لا تخلو من مصلى يراه والصحيح الاول واحتج غير واحد منهم اى ناس كثيرون من الصحابة
فى غير شى اى فى اشيا كثيرة مما بابه اى نوعه العبادة اى ما يتعبد به او العادة اى مما اعتادوا
فعله بقوله اى ابن عمر رضى الله عنهما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله ومثله
كثير كما قيل لابن عمر رايناك تلبس النعال السبتية وتصبغ بالصفرة فقال رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يفعله وقوله قال صلى الله عليه وسلم هلا اخبرتيها انى اقبل وانا
صايم اشارة الى حديث فى الموطا عن عطا بن يسار ان رجلا قبل امراته وهو صايم فى رمضان
فخاف وارسل امراته تسال امهات المومنين فسالت ام سلمة فقالت ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم فعله فاتته فاخبرته بما قالت فقال لسنا كرسول الله فاتتها واخبرتها بما
قال له زوجها فوجدت عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها ما لهذه المراة فاخبرته
ام سلمة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرتيها انى افعل ذلك فقالت ام
سلمة قد اخبرتها فذهبت الى زوجها فاخبرته فزاده ذلك شرا الخ فقال انى لاتقاكم لله
واعلمكم بحدوده وقالت عايشة لما سيلت عن تقبيل الصايم زوجته محتجة لجوازه وعدم
افساده الصوم كنا نفعله اى تقبيل الصايم انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرجل الصحابى الذى اخبر بمثل هذا عنه
اى اخبرته زوجته بما افتته به بعض امهات المومنين كما تقدم فى حديث الموطا فقال
الصحابى المخبر بذلك يحل الله لرسوله ما يشا فيجوز ان يكون هذا من خصايصه صلى الله
عليه وسلم فلا يقاس امر غيره عليه وانما غضب لعلمه بانه اجيب عن هذا ولو كان هذا
من خواصه لم يرضه وقال والله انى لاخشاكم لله اى اعظم منكم خوفا لله واعلمكم بحدوده
اى بما حده الله ومنعه من امور الدين المحرمة عليه صلى الله عليه وسلم وعلى امته كما قال
تعالى تلك حدود الله فلا تعتدوها وقبلة الصايم لا تبطل صومه وفيها خلاف فقيل مكروهة
وقيل مباحة وقيل يفرق بين الشاب الذى لا يملك شهوته والشيخ الذى يملكها كما فصله

الفقها وهذا كله يدل على اقتدايهم بافعاله فكيف يفعل مكروها كما تقدم والاثار المروية
فى هذا اى فى اقتدا الصحابة رضى الله عنهم بافعاله اعظم اى اكثر من ان نحيط بها اى اكثر
من ان تعد وتحصى لكنه مع كثرتها وشهرتها يعلم من مجموعها على القطع اتباعهم افعاله
واقتداوهم بها اى بافعاله صلى الله عليه وسلم ولو جوزوا عليه المخالفة لما هو مشروع
واجبا او مستحبا فى شى منها اى فى بعض منها بمواقعة امر مكروه ونحوه لما اتسق اى انتظم
واطرد هذا اى اتباعهم افعاله كلها لجواز كون بعضها منهيا عنه لا يقتدى به ولما بفتح
اللام والميم المخففة اى لو قلنا بجواز مخالفة امر الله فى شى من افعاله ما اعتاد
الصحابة اتباعه فيها ولتنقل عنهم اى ينقل عن الصحابة مخالفة افعاله احيانا وظهر
بحثهم عن ذلك اى فتشوا افعاله ليقتدوا ببعضها ويتركوا بعضا منها احيانا ولما
بالتخفيف انكر صلى الله عليه وسلم على الاخر قوله يحل الله لرسوله ما يشا كما تقدم
وان رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب لقوله وقال انا اخشاكم لله واعلمكم
بحدوده واعتذاره بما ذكرناه فهذا كله يدل على انه لا يفعل مكروها واما صدور المباحات
من الانبيا عليهم الصلاة والسلام والمباح ما يجوز فعله وتركه من غير ترجيح لجانب
لتوسعهم فيه ماخوذ من باحت الدار اى عرصتها وهو حكم شرعى على الاصح فجايز وقوعها
منهم اى من الانبيا اذ ليس فيها قدح اى نقص وذم حتى تمتنع عليهم بل هى ماذون
فيها لهم اذ لا ضير فيها وايديهم كايدى غيرهم مسلطة عليها اى هم كغيرهم من المكلفين
لهم فعلها والاتصاف بها من غير حرج عليهم فى فعلها والتصرف فيها فاليد مجاز عن
الكسب والتصرف لانها الة الفعل غالبا لقوله بيده الملك اى له وبقبضته التصرف
فيها الا انهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وبما شرحت له بالبنا للمفعول اى بسبب ان الله
شرح صدورهم من انوار المعرفة وفى نسخة انواع واصطفوا به اى من اختيار الله
وتقريبه من تعلق الهمم بالله اى هممهم وعزمهم الصادق تعلقه بالله وبامور الدار
الاخرة اى بما هو وسيلة لها لا ياخذون اى لا ياتنا ولون من المباحات الا الضرورات
اى ما يضطرون اليه من ضرورة البشرية كلما به قوام البدن من الاكل والشرب
مما يتقوون به على سلوك طريقتهم من تبليغ امانة ربهم وما ينفع فى المعاش والمعاد
وصلاح دينهم مما يعين على العبادة ويصلح امورها كلباس المصلى والمسكن وضرورة
دنياهم مما لا بد منه وما اخذ على هذه السبيل من كل امر ضرورى وما موصولة
مبتدا خبره التحق طاعة منصوب بنزع الخافض وصار قربة اى امرا يتقرب به الى الله
اى الامور المباحة كالماكل والمشرب والملبس اذا اخذ منه مقدار الكفاية وما لا بد
منه للتقوى على السلوك للاخرة صار عبادة يثاب عليها وهو ظاهر فالمباح بالنظر
لذاته ومن حيث هو لا ثواب فيه ولا عقاب لى سا بالنظر لما تفا وند فانه يصير عبادة
والاعمال بالنيات وقد يحصل بالمباح ترك محرم فيصير واجبا وما نقل عن بعض

المعتزلة من ان كل مباح واجب لانه ترك محرم ردّه الامام وهو ظاهر البطلان كما بيناه
اى من المباح الذى يصير قربة اول الكتاب طرفا اى مقدارا قليلا فى خصايل نبينا صلى الله
عليه وسلم كما تقدم فبان مما ذكر من انهم انما ياتون من المباح بمقدار الضرورة وانه
بالنسبة لقصدهم يصير عبادة يثاب عليها عظيم فضل الله على نبينا وعلى ساير الانبيا
عليهم الصلاة والسلام وانعامه عليهم بما وهبهم من الصفات الحميدة كالقناعة
فى امور الدنيا وعدم التنزه والتنزل لتعاطيها من غير حاجة ثم توفيقهم لان ينووا بها
التقوى على عبادة الله بجميع امورهم عبادة وطاعة فقوله على نبينا الخ متعلق
بفضل ثم بين وجه ذلك بقوله بان جعل افعالهم كلها قربات وطاعات اذا قصدوا بها
التقوى على العبادة كما بيناه بعيدة بسبب ما ذكره عن وجه المخالفة وجه بمعنى
الجهة والجانب اى بعدت بما ذكر عن مخالفة الطاعة او مخالفة امر الله بمواقعة
مكروهه ورسم المعصية بالرا المهملة اى علامتها واثرها او بالواو بمعنى السمة والعلامة
ايضا والكل ظاهر وما تقدم الى هنا مطلق من غير تقييد او مقيد بما بعد النبوة قوله
فصـــل وقد اختلف فى عصمتهم عن المعاصى قبل النبوة ومجى الوحى لهم عليهم الصلاة
والسلام فمنعها قوم وجوزها اخرون والصحيح ان شا الله اتى به للتبرك تنزيههم
من كل عيب وعصمتهم عن كل ما يوجب الريب هو فى الاصل الشك والشبهة وهو
غير مناسب هنا فكانه اريد به ما يحط مقدارهم لان شان النبوة الشرف والعلو
فاذا ظهر خلافه ارتاب من عرفهم فى نبوتهم وحصلت له شبهة فيهم فكيف انكار
وتعجب الاتيان ماذكر والمسيلة اى وقوع الذنوب منهم قبل النبوة تصورها كالممتنع
فان المعاصى والنواهى انما تكون بعد تقرر الشرع يعنى ان الانبيا قبل النبوة معصومون
اذا قلنا انهم غير مكلفين بشرع من قبلهم وقلنا ان العقل لا حكم له فى تحسين امر
ولا تقبيحه كما هو الحق عند الاشاعرة واهل السنة خلافا للمعتزلة القايلين بانه
يجب الايمان بالله قبل الشرع ولبعض الماتريدية القايلين بان الايمان بالله وتوحيده
واجب عقلا دون غيره ليلا يلزم الدور كما تقرر فى اصول الدين وما قاله المصنف جار
على المذهبين لان مراده بالمعاصى غير الكفر ولما كان الله لا يرسل لخلقه الامن
هو اعقل اهل زمانه واقواهم فطرة واحسنهم خلقا وخلقا كانوا معصومين قبل
النبوة وبعدها ولم يقع ذلك اصلا وان اختلف فى جوازه عقلا فعلى منعه لا يبقى
شى وعند من جوزه قبل البعثة كالباقلانى وان لم يقل بوقوعه كذلك فالكل
متفقون على ان الله لم يبعث فاسقا ولا معروفا بالظلم والجور وعدم الانصاف
ولم يبعث الا تقيا زكيا محبوبا للقلوب مهيبا فى عيونهم له وقع عند كل احد وهذا
بالنسبة للمعاصى التى حدثت بعد نبوتهم ولشرعهم معلوم ضرورة وانما الكلام
فيما تقرر قبل ذلك وقد اختلف الناس فى حال نبينا قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا

لشرع

لشرع قبله ام لا مثل صوابه اولا لانه امر لا تعادل له وفيه نظر فقال جماعة لم يكن متبعا
لشى من الشرايع وهو قول الجمهور فالمعاصى على هذا القول القايل بانه لم يتبع شرع
من قبله غير موجودة فلم تصدر منه بل لم تجر عليه ولا معتبرة فى حقه اى لم يكلف بها
ولم يواخذ بها حينيذ اذا قلنا انه لم يتبعها ولم يكلف بها اذ احكام الشريعة انما
تتعلق بالاوامر تقدم الكلام عليها مرارا وانها جمع امر او امور او امرة والنواهى
من حيث الوجوب والحرمة والكراهية والندب ونحو ذلك وتقرر الشريعة اى
تحققها وظهورها ولم تكن توجد وجوده وقيل بعثته شريعة مقررة فى زمن الفترة
حتى يتبعها ثم اختلف حجج القايلين بهذه المقالة الذين ارتضوها مذهبا لهم عليها
متعلق بحجج باعتبار ما فيه من معنى الاستدلال فذهب سيف السنة اى عالمها الذى
يقيم الادلة لنصرة طريقتهم استعاره السيف لانه يقطع الجدال كما يقطع السيف
الابطال والسنة ما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم ومقتدى فرق الامة تعريفها
للعهد اى امة محمد صلى الله عليه وسلم وفى نسخة الايمة القاضى ابو بكر محمد بن الطيب
بن محمد بن جعفر بن قاسم الباقلانى صاحب التاليف الجليلة وحامل لوا اهل السنة
الثقة الذى يضرب المثل بسعة علمه وشدة ذكايه وانتهى له النظر فى الاصلين على
اصل الاشعرى وارسل الى ملك الروم وناظر احبارهم فى قصة غريبة له وتوفى فى
ذى القعدة سنة ثلاث واربعماية وكانت له جنازة لم ير مثلها وانما مدحه وان كان
حقيقا بذلك اشارة الى ترجيح هذا المذهب وانه لا ينبغى العدول عنه وهو ايضا
على مذهبه لانه مالكى لا شافعى كما قد يتوهم من اشعريته الى ان طريق العلم بذلك
اى اتباعه صلى الله عليه وسلم لشرع نبى قبل نبوته النقل لانه لا يعلم بالعقل وموارد
الخبر من طريق السمع اى يعلم من خبر يرد ونقل يصل من طريق السمع وحجته ان لو كان ذلك
لنقل الينا تعبده به ولما امكن كتمه وستره فى العادة التى جرت بين الناس فى مثله
ان من تعبد بشرع يظهره وينقله من اطلع عليه نقلا مستفيضا لا يخفى اذ كان
نقله وعدم كتمانه من مهم امره اى تعبده بشرع غيره مهم عظيم عند اهل ذلك
واولى اى احق ما اهتبل به بها وتا مثناة فوقية وموحدة مبنى للمجهول من الاهتبال
وهو شدة الاعتنا فهو عندهم من سيرته وصفاته الماثورة وافتخر به اهل تلك الشريعة
بان مثل هذا النبى الجليل العظيم كان من اهل ملتهم وفيه شرف لهم ولاحتجوا به عليه
اى استدل اهل تلك الشريعة بكونه عليه الصلاة والسلام كان على شريعتهم اذ كان
قبل نبوته تابعا لشرعهم ودينهم فيقولون اذ دعاهم لاتباعه اما كنت على ديننا فلم
تنهانا عنه الان وتامرنا بترك ما كنت لو افقتنا فيه ولم يوثر اى ينقل شى من ذلك
اى احتجاجهم عليه ولا نقل احد انه صلى الله عليه وسلم كان متعبدا بشرع احد
ممن كان قبله جملة اى بالكلية اصلا وكثيرا ما يستعمل بمعنى كافة وعامة وكما

اختلفوا في انه صلى الله عليه وسلم قبل البعثة هل كان على شريعة من قبله ام لا
اختلفوا بعد البعثة هل كان يتبع شرع من قبله فيما لم يوح اليه فيه شيء ولم ينسخ
وقد قيل ان هذا معلوم بالطريق الاولى كما فصل في كتب الاصول وذهبت طائفة الى
امتناع ذلك اي تعبده بشرع من قبله عقلا اي بدليل عقلي لا دخل للنقل فيه قالوا
اي المدعون للامتناع العقلي لانه يبعد ان يكون متبوعا مقتدى به فيما شرعه الله له
وامر بدعوة الناس له من كان قبل صيرورته متبوعا مبعوثا لغيره من عرفنا تابعا لشرع
غيره متعبدا به قبل بعثته على هذا القول وهذا القول بامتناعه عقلا مبني على التحسين
والتقبيح وفي نسخة وبنوا هذا الخ اي على القول بان حسن الشيء وقبحه يعرف ويثبت
وهو قول المعتزلة فالتحسين والتقبيح العقليان عبارة عن تعلق المدح والذم
عاجلا والثواب والعقاب اجلا وهو محل النزاع في هذه المسئلة المشهورة في الاصول
واهل السنة يقولون لا يعرف حسن امر وقبحه الا من جهة الشرع ولا دخل للعقل
فيه وهي طريقة اي مذهب غير سديدة اي غير صحيحة واستناد ذلك اي الاستدلال
عليه الى النقل عن الاثار وعن اهل الشرع كما تقدم للقاضي ابي بكر الباقلاني قريبا اولى
واظهر وهو القول الصحيح المعول عليه وقالت طائفة اخرى بالوقف اي بالتوقيف
من غير تعيين لطرف في امره عليه الصلاة والسلام فقالوا لا نعلم حاله قبل البعث
هل كان على شريعة من الشرائع السالفة ام لا وترك قطع الحكم عليه بشيء من ذلك
الحال المتعلق بعبادته وما كان عليه قبل بعثته اذ لم يحل احد الوجهين منهما الفعل
العقل اي لم يعده محالا لتساويهما عنده في الامكان ولا استبان وظهر واتضح في احد
احد الوجهين طريق النقل بان ينقل ما يعينه عمن يوثق به وهو مذهب ابي المعالي عبد
الملك الجويني المعروف بامام الحرمين شيخ الامام الغزالي وعليه عمدة مذهب الشافعي
وهو اظهر من ان يخفى وقالت فرقة ثالثة انه صلى الله عليه وسلم كان عاملا في اموره
وعبادته لشرع من قبله من الانبياء ثم اختلفوا بعد القول بانه على شريعة منها هل يتعين
ذلك الشرع بتعيين صاحبه واحكامه ام لا فيقال كان على شرع لم يعلمه فوقف بعضهم
عن تعيينه واحجم بحاء مهملة وجيم بمعنى تاخر ونكص فهمه ولم يجسر عليه لعدم دليل قام
عنده على تعيينه وجسر بعضهم اي تجرا واقدم على التعيين وصمم اي جزم واقدم بلا
تردد فيه ثم اختلفت هذه الفرقة المعينة فيمن كان يتبع شريعته من الرسل عليهم
الصلاة والسلام الذين تقدموه فقيل هو نوح لانه اول الرسل اصحاب الدعوة العامة
في الجملة كما في البخاري وقيل ابراهيم لانه افضل الرسل غيره بالاتفاق وابو الانبياء
عليهم الصلاة والسلام وقيل موسى لان كتابه اجل الكتب قبل القران وقيل عيسى
لانه اقرب الرسل زمانا اليه عليه الصلاة والسلام فهذه جملة المذاهب المنقولة
في هذه المسئلة والاظهر الاقوى دليلا ما ذهب اليه القاضي ابو بكر الباقلاني وهو

القول

القول الاول لما تقدم وابعدها مذاهب المعينين كما تقدم لانه لم ينقل ومثله لا يخفى اذ لو كان
شيء من ذلك اي اتباعه لشرع معين لنقل كما قدمناه لكنه لم ينقل فدل على عدمه ولم يخف
حكمه اي لم يستتر عن احد من جميع الناس ولا حجة لهم في ان عيسى عليه الصلاة والسلام
اخر الانبياء فهو اقربهم اليه ولا نبي بينهما فهو اولى الرسل به كما ذهب اليه بعضهم
فلزمت شريعته من جاء بعدها لانه المتبادر بحسب بادي الراي وقبل التامل فيه فاذا
تامل عرف ان شريعته لا تلزم من جاء بعده لانه انما يلزم ذلك لو عمت دعوته غير بني
اسرائيل من العرب اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى صلى الله عليه وسلم بل الصحيح انه
لم يكن لنبي من الانبياء دعوة عامة لجميع بني ادم الا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانها
عمت جميع بني ادم بل جميع المخلوقات من الجن والانس كما تقدم ومن قبله اخذ عليهم
الميثاق ان من ادركه يؤمن به وقوله بل الصحيح اشارة الى انه قيل بعموم بعض من قبله
كادم ونوح عليهما الصلاة والسلام لقوله لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
اذ لو لم يرسل لهم ما استحقوا الهلاك بمخالفته وهذا ان سلم فهو عموم نسبي لا حقيقي كما
لنبينا صلى الله عليه وسلم ولا حجة ايضا كما لا حجة لما قبله في قوله تعالى ان اتبع ملة
ابراهيم حنيفا اي مستقيما والملة الشريعة والدين وكانت العرب تقول لمن اتبع ملة ابراهيم
انه حنيفي وانما لم يكن فيه حجة لان هذا الامر بعدما اوحى اليه صلى الله عليه وسلم لقيه
والكلام فيما قبل البعثة وانما امر باتباعه في التوحيد واقامة الحجة برفق على من خالفه
لا في شريعته المتعلقة بالعبادة وهذا لا يدل على مدعاه ولا على تفضيل ابراهيم
لان الافضل قد يتبع الفاضل فيما عرف من هديه وخلقه ولا حجة للاخرين القائلين
بانه صلى الله عليه وسلم كان على شريعة نوح في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به
نوحا الاية فلا حجة فيها لانه مفسر بقوله ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه فهذا امر
مخصوص باقامة ادينهم باتفاق كلمتهم لها بتفاصيل شرع عملي ثم اشار لوجه اخر
بقوله فحمل بصيغة المصدر وفي بعض النسخ فحمل عليهم وفي اخرى فيحمل مضارع هذه
الاية التي احتجوا بها انما هو على اتباعهم في التوحيد اي الايمان بالله وحده وما يتعلق
بالعقائد الحقة مما يشترك فيه جميع الانبياء وليس الكلام فيما تعبد به صلى الله
عليه وسلم من الاعمال الصالحة فليس المراد بالاتباع التقليدي فيما ذكر وهو محل
الخلاف الذي نحن فيه كقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فالمراد بهداهم
ما اتفقوا عليه من التوحيد دون فروع الشرائع فانه لا يضاف للكل وقد قال تعالى
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا فلا دليل فيما ذكر يثبت مدعاهم وقد سمى الله فيهم
اي ذكر الله في جملة الانبياء المذكورين في هذه الاية في سورة الانعام المشار اليهم بقوله
اولئك الذين الخ من لم يبعث اي نبيا لم يرسل بشريعة مخصوصة وامر بدعوة الناس
لها ولم يكن له شريعة جديدة تخصه كيوسف بن يعقوب على قول من يقول انه نبي لكنه

ليس برسوله بشريعة امر بتبليغها ودعوة الخلق اليها فاتفق العلما على ان يوسف نبي والجمهور
ايضا على انه رسول لقوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وانه يوسف بن يعقوب
بن ابراهيم الكريم بن الكريم بن الكريم قال ابن جريج بعثه الله رسولا الى القبط وقيل انه
لم يكن رسولا له شرع انما كان على شريعة ابيه يعقوب او على ملة ابراهيم ويوسف المذكور
في الآية هو غير يوسف بن يعقوب بن ابراهيم وهو نبي اخر ارسل لبني اسرائيل فاقام فيهم اثنتي
عشرة سنة يدعوهم وفرعون يوسف قيل انه فرعون موسى اطال الله عمره حتى ملك
في زمن موسى عليه الصلاة والسلام وقد سمى الله جماعة منهم اي من الانبيا في هذه الآية
بسرد اسمايهم على التوالي ثم امره صلى الله عليه وسلم باتباعهم بقوله فبهداهم اقتده
وشرايعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها حتى يومر باتباعهم جميعا في فروع الشرايع العملية
البعدية فلا يصح الاستدلال بها على ذلك فدل اختلاف احكام تلك الشرايع المامور
بالاقتدا بها على ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله القلبية التي لم يقع
فيها اختلاف ونحوه من اصول الدين وبعد هذا القول بان المراد ما اتفقوا عليه من العقا
فهل يلزم من قال بمنع الاتباع اي اتباع نبينا صلى الله عليه وسلم لشرع من شرايع من قبله
هذا القول اي ان يقول بهذا القول اي منع اتباع شريعة من الشرايع السالفة في ساير الانبيا
غير نبينا صلى الله عليه وسلم فيقول يمتنع اتباعهم لشرع غيرهم كما امتنع ذلك في حق نبينا
صلى الله عليه وسلم او يخالفون بينهم اي بين نبينا صلى الله عليه وسلم وبين غيره
من الانبيا فيقولان نبينا لشرف قدره لا يتبع في عبادته شريعة غيره وغيره يتبع من قبله
اما من منع الاتباع عقلا اي قال انه ادى اقتضاه الدليل العقلي فيطرد اصله اي دليله
اولامه الذي قرره وذلك يطرد في كل رسول لان الاحالة التي اقتضاها العقل من حيث
هو لا يختلف في رسول دون غيره بلا مرية بكسر الميم وضمها بمعنى شك وشبهة لان الا
العقلي لا يختلف باعتبار الاديان والاعصار ومرية بالمهملة وفي نسخة مزية بزاي
معجمة اي تفاضل بينهم والمال واحد واما من مال الى الاستدلال والقول بالنقل
اي قال انه لم ينقل لنا انه صلى الله عليه وسلم تعبد بشرع من قبله ولو نقل صح لانه
امر سماعي لا عقلي صرف كما ذهب اليه الباقلاني رحمه الله فانما بمثناة فوقية بعد التحتية
ولو قرى بالنون صح ايضا تصور له ونعرز بالبنا للفاعل والمفعول اي حيث انه
لا مقتضى للعقل ولا دخل له فيه فاي شي نقل من منع او جواز اتبعه ولم يخالفه ولا ادعى
للخلاف فيه ومن قال بالتوقف من غير جزم بتعيين احد الطرفين فعلى اصله اي على مذهبه
في عدم التعيين في غيرهما لتساويهما فيما ذكر اذ لا فارق ومن قال بوجوب الاتباع
لغيره لانه امر ديني لا دخل للراي فيه لمن قبله من الرسل عليهم الصلاة والسلام
يلتزمه اي القول بالوجوب على غيره لازم له ايضا بمساق حجته اي بسبب ما اقتضاه
مساق حجته ودليله واجرايه في كل شي لاضطراده وصدقه عليه فيتلوه هذا

في غير

في غير النبي الذي بعث تحت دعوة كهارون مع موسى عليهما الصلاة والسلام فقد
وقد وقع لبعضهم هنا كلام تركه خير منه والله اعلم   فصل هذا اي ما تقدم
من العصمة فيتل حكم ما يكون المخالفة فيه من الاعمال عن قصد اي تعمد والمراد
مخالفة الشرع وهو اي العمل الذي خولف به عن قصد ما يسمى عرفا وشرعا معصية
لانه عصي الله به ويدخل تحت التكليف اي ما خولف فيه الشارع قصدا هو من جنس
ما كلف الله به عباده بحكم والحكم هو خطاب الله المتعلق بافعال المكلفين
من الاحكام الخمسة وفي عبارته تسمح لان المندرج تحت التكليف ليس هو المعصية
بل تركها واما ما يكون من الاعمال المخالفة لامر الشارع بغير قصد وتعمد كالسهو وهو
الذهول وغيبته ما علمه عن القوة الحافظة بحيث يتنبه بادنى تنبه لبقائه
في المدركة والنسيان وهو ذهول عما لم يبق صورته في القوة المدركة والحافظة
ويحتاج في حصوله لسبب جديد وهذا هو الفرق بين السهو والنسيان على
ما قيل وقد تقدم طرف منه في الوظايف الشرعية الوظايف جمع وظيفة وهي ما و
وعين من الاعمال الموقتة كالصلاة والصوم والحج ونحو من العبادات بخلاف
السهو والنسيان مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وفسر عدم تعلق الخطاب
به بقوله وترك المواخذة عليه المواخذة بالهمزة وبالواو مفاعلة من الاخذ والمراد به
العقاب والعتاب وغير المكلف انواع وهو المجنون والمغمى عليه والنايم والساهي
والناسي ومن لم يبلغه الخطاب من الجهلة والمخطي وقد تقدم الكلام على السهو
والنسيان والغفلة قريبة من السهو وقد يرد السهو والنسيان بمعنى ومنه
السكران وان اجري عليه حكم العمد تغليظا عليه كما قاله النووي وكذا المكره والملجا
وفي الحديث رفع عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه فاحوال الانبيا في ترك
المواخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع اممهم سوا اي هم واممهم مستوون في عدم
المواخذة به لانهم لم يكلفوا به لا قبل الشرع ولا بعده ثم ذلك الذي لم يواخذ به
من السهو والنسيان على نوعين احدهما ما طريقه البلاغ اي نوع منهما وقع فيما امر
بتبليغه لمن ارسل اليه وتقرير الشرع اي ما يقرره الشارع ليعمل به وتعلق الاحكام
امرا ونهيا وتعليم الامة بالفعل اي ما علمته الرسل عليهم الصلاة والسلام
لاممهم من الافعال الشرعية واخذهم اي تكليفهم ومواخذتهم باتباعهم فيه
اي بسبب الاتباع وعدمه وما هو خارج عن هذا اي ما خرج عن طريقة البلاغ لعدم
صدقه عليه واندراجه تحت كلمته مما يختص بنفسه دون امته مما يجب او يمتنع
ونحو مما يختص بالرسل انفسهم اما النوع الاول وهو ما طريقه البلاغ ونحوه
فحكمه عند جماعة من العلما حكم السهو في القول في هذا الباب اي باب العصمة وحكمها
وقد ذكرنا قبل هذا الاتفاق على امتناع ذلك اي امتناع المخالفة في القول في حق

النبي صلى الله عليه وسلم وعصمته بحفظه من جوازه عليه فضلا عن وقوعه منه
قصدا او سهوا او نسيانا او تركه لعلمه بالطريق الاولى فكذلك اي كما قالوا في الاقوال البلاغية
قالوا في الافعال في هذا الباب المذكور لا يجوز طرو بتشديد الواو وبالهمزة بعد واو ساكنة
كالطروء والحدوث لفظا ومعنى ووزنا وفي نسخة طرد بالمهملة بوزنه ضرب اي اضطراد المخالفة
فيها لا عمدا ولا سهوا لانها اي الافعال بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء وضبط
كالذي قبله هذه العوارض عليها اي على افعاله صلى الله عليه وسلم يوجب التشكيك
اي يستلزم وقوع الشك في بقية افعاله هل فعلها بوحي من الله او مخالفة للوحي او سهوا
ويوجب ايضا تسبب المطاعن الطعن القدح بما يورث نقصا في افعاله صلى الله عليه وسلم
ولما ورد عليه ان وقوع السهو منه في افعاله صلى الله عليه وسلم مما ثبت في احاديث
صحيحة لا يمكن انكارها فكيف يسوى بينهما في الانتفاء اشار الى الجواب عنه بقوله
واعتذروا عن احاديث السهو الثابتة في صلاته صلى الله عليه وسلم بتوجيهات
نذكرها بعد هذا كما سيأتي عن قريب والى هذا المذهب في امتناع المخالفة وقوعا
عمدا او سهوا مال الامام ابو اسحق الاسفرائني اي نحى على خلافه وذهب الى
اعتقاده وذهب الاكثر من الفقهاء والمتكلمين الى ان المخالفة في الافعال البلاغية
التي امروا بتبليغها لامهم والاحكام الشرعية علمية وعملية سهوا وعن غير قصد
منه اي من النبي صلى الله عليه وسلم نسيانا او غلطا فهو من عطف العام على الخاص
وسهوا تمييز او حال جائز عليه اي على النبي صلى الله عليه وسلم لانه امر معفو عنه
غير مواخذ به كما تقرر في احاديث السهو في الصلاة الثابت في الصحيحين وغيرهما كما مر
انفا وفرقوا بالتشديد والتخفيف اي ذكروا فرقا بين جواز وقوع ذلك في الافعال
وبين الاقوال البلاغية اذ منعوا المخالفة فيها عمدا وسهوا لقيام المعجزة اي لدلالة
معجزة كل نبي من الانبياء التي تحدى بها على الصدق اي صدقه في القول اي فيما يقول ويبلغه
عن ربه ومخالفة ذلك اي مخالفة الصدق في القول سهوا ومن غير قصد تناقضها اي
يناقض معجزته ويناقضها فلا تجتمع المعجزة وعدم صدقه فيما يبلغه عن ربه لان تنزيل اجرا
الله المعجزة على يديه في قوة قوله انه صادق فيما يبلغكم عني ودلالتها على ذلك دلالة
التزامية في قوة المطابقة كما تقرر في علم الكلام فالفرق مثل الصبح ظاهر واما السهو
في الافعال فغير مناقض لها اي للمعجزة ولا قادح في النبوة اي لا يضرها بوجه من الوجوه
لعدم منافاته لها بل غلطات الفعل اي وقوع الغلط في الافعال وغفلات القلب
عما يفعله حتى يصدر عنه ما لم يرده من سمات البشر اي من صفاتهم اللازمة لهم حتى
لا يخلو عنها انسان كما قيل وانما سمي انسانا لنسيانه واول ناس اول الناس
كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابن مسعود انما انا بشر انسى
كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وجملة انسى مستانفة او خبر بعد خبر لانا او صفة

لبشر وضمير المتكلم يربطه واما كونه يقبح كما في قوله انا الذي سمتني امي حيدرة عند المازني
فانه ليس محل الالتفات لانه لا يكون رابطا فلو صح هذا لم يجز كونه خبرا ايضا وظاهر
الحديث يدل على انه صلى الله عليه وسلم يجوز عليه النسيان والسهو مطلقا
وقد منعه بعضهم وجوزه اخرون بشرط ان لا يقر عليه وينبه عليه كما ياتي وحاصل
ما اشار اليه اولا واخرا اثبتنى ما افاده ظاهر الحديث واختلف هل يجوز تاخير
تنبيهه ام لا وضعفوا جواز السهو عليه فيما هو فعل من الامور البلاغية واجابوا
عما ورد من مثله وصحح الاول وهو الجواز لانه لا ينافي النبوة بل فيه فضيلة البيان
وتقرير الاحكام واختلفوا فيما ليس طريقه البلاغ من افعاله فجوزه الجمهور
واما في الاقوال البلاغية فمجمع على منعه كما اجمعوا على منع تعمده واما السهو في الاقوال
المتعلقة بامور الدنيا مما ليس طريقه البلاغ ولا من الاحكام واخبار المعاد وما لا يضاف
الى وحي فجوزه بعضهم اذ لا مفسدة فيه وصحح المصنف منعه على الانبياء في كل خبر عمدا وسهوا
لا في صحة ولا في مرض ولا رضى او غضب ولم يزل الناس يتداولون اخباره صلى الله عليه
وسلم عصرا بعد عصر من غير استدراك احد لغلط فيها او وهم في شيء منها ولو كان
لنقل كما نقل في الصلاة ونومه عنها واستدراك رايه في تلقيح النخل وسهوه في امور الدنيا
غير ممتنع وهذا الحديث رواه الشيخان في باب السهو في الصلاة وانه قال له صلى الله عليه
وسلم وقد صلى الظهر خمسا ثم سجد سجدتين واقبل بوجهه على الصحابة وقال لو حدث
شيء في الصلاة انباتكم به ولكني انما انا بشر الخ نعم العرب كثيرا ما تزيد نعم في كلامهم اذا
التي لا مضيغ له وكانه جواب سؤال مقدر كقول جحدر نعم واري الهلال كما تراه بل في حالة السهو
والنسيان هنا اي في حالة البلاغية في حقه صلى الله عليه وسلم سبب فادة علم
وتقرير شرع اي تحقيقه وتثبيته كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه في الموطا
اني لانسى او انسى بالهمزة المضمومة والتشديد مبني للمجهول للعلم بفاعله اي ينسيني الله
ويوجد النسيان في لاسن اي لاحدث لكم امرا شرعيا كتعليم سجود السهو ونحوه بل قد روى
هذا الحديث بوجه اخر وهو لست انسى ولكن انسى لاسن الاول بفعل المتكلم المعلوم
المخفف والثاني مجهول مشدد وياتي انه لا تنافي بين نسبته النسيان له صلى الله عليه
في الرواية الاولى ونفيه عنه في الحديث الاخر لان نسبته اليه باعتبار حقيقة اللغة
ونفيه عنه باعتبار انه ليس موجدا له حقيقة والموجد الحقيقي هو الله كما يقال
مات زيد وامانه الله وفرق بين الفاعل الحقيقي بحسب عرف اللغة والفاعل الحقيقي
في نفس الاصوليين وتحقيقه في شرح العضد للابهري فحيث اثبت له النسيان
اراد قيام صفة النسيان به ونفيه باعتبار انه ليس بايجاده ومن مقتضى طبعه والموجد له
هو الله وقوله في حديث اخر لا يقولن احدكم نسيت اية كذا بل هو انسي فكره نسبة
النسيان لغير الموجد الحقيقي المقدر لكل شيء ولان اصل النسيان الترك فكره ان يقال

ترك القرآن لإشعاره بالتهاون احتيناد او قوله نعم الخ استدراك عما قد يسال عنه بان
نسيانه صلى الله عليه وسلم ليس كنسيان غيره لما يترتب عليه من الفوايد الجليلة
ولتسويته بهم في الحديث باعتبار ظاهر الحال واليه اشار بقوله وهذه الحالة اي ما يعرض له
صلى الله عليه وسلم من النسيان ليس زيادة له مخصوصة به صلى الله عليه وسلم
في التبليغ للناس لما يحصل من يعلم ما يفعله الساهي في العبادة من امته وتمام عليه
في النعمة بتتميم نعمة الرسالة والبلاغ ببيان حال الساهين فيما بلغه لهم من العبادة فهي
بعيدة عن سمات النقص لان النسيان نقص في الجملة ولذا عده الاطبا من الامراض الدماغية
وهي في حقه باعتبار ما فيها من عبادة الارشاد المعباد ولذا قال بعض مشايخنا من الحنفية
ان هذه السجدة سجدة سهو للامة وسجدة شكر له صلى الله عليه وسلم ومدح في حقه
وان لم يمدح بها سواه لكونه اميا وتربى يتيما كما قال الابوصيري رحمه الله تعالى
كفاك بالعلم في الامي معجزة وبالتزاهة والتاديب في اليتم وبعيدة عن اعتراض
الطعن اي فلا يعترض ولا يطعن فيه بما يعرض له من النسيان وعلله بقوله فان القايلين
بتجويز ذلك اي السهو والنسيان على الانبيا عليهم الصلاة والسلام في الافعال
البلاغية يشترطون في جوازه عليهم ان الرسل لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون عليه
اذا عرض لهم ويعرفون بالتشديد والبنا للمجهول فيه وفي ينبهون حكمه كان الظاهر
يعرفونه لانه اخصر واظهر فكانه التفت اشارة الى انه كما يعرف بصدوره عنه يعرف
بحكمه كالسجود فالمعرف هو الله بالفور اي ملتبسا بالفور وهو عدم التمهل والبطو على
قول بعضهم وهو الصحيح عند ايمة الاصول وقبل انقراضهم اي يمهلون مدة الحياة فانما
يلزم التنبيه قبل الموت وهو معنى الانقراض على قول الاخرين الذين لا يشترطون الفورية واما
ما ليس طريقه البلاغ لامته ولا بيان الاحكام الشرعية من افعاله صلى الله عليه وسلم
وهو بيان لما وما يختص به من امور دينه واذكار قلبه كتسبيحه وتحميده لربه وتفكره
في معرفته مما لم يفعله ليتبع فيه مبني للمجهول ومشدد التا فالاكثر من طبقات علما الامة
الطبقة علما كل عصر فهم طبقة بعد طبقة على جواز السهو والغلط عليه فيها اذ لا يلحقه
صلى الله عليه وسلم به شيء اصلا ولحوق الفترات اي عروضها جمع فترة وهي كما قال الراغب
سكون بعد حدة ولين بعد شدة وضعف بعد قوة انتهى والغفلات بقلبه بان يغفل عما هو فيه
كما هو مقتضى البشرية وذلك اي لحوق ما ذكر من الفترة والغفلة لا ضير فيها مما كلفه من مقاساة
الخلق بنظره صلى الله عليه وسلم في احوالهم وتدبير امورهم وسياسة الامة بتدبير
امورهم والنظر في عواقبهم ومعاناة الاهل من العناية او العنا بهم ومعناه الاشتغال بهم
وملاحظة الاعدا بغزوهم والحذر منهم والتجسس على اخبارهم ثم استدرك فقال لكن
ليس نسيانه صلى الله عليه وسلم وسهوه على سبيل التكرار بكثرة ووقوعه منه والاتصال
باستمرار ذلك لان مثله غير محمود عند الطباع السليمة بل وقوعه منه على سبيل الندور

وقلة الوقوع والنادر لا حكم له وقل ما يخلو منه احد كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث
تقدم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله تقدم طرف من الكلام على هذا الحديث وان الغين
بمعنى غيم رقيق وان المراد به ما يعرض له من من الخواطر التي تشغله عما يهمه من امر الاخرة وهو
عبادة ايضا لانه تفكر في امور امته وتدبير احوالهم وانما استغفر الله منه لانه شغله
عن الاهم عنده فهو بالنسبة لعظيم مقامه كانه ذنب لانه اشتغال بالعالي عن الاعلى
فهو حاله كمال لا نقص وليس في هذا السهو الصادر منه صلى الله عليه شيء يحط
اي ينزل قدره العلي من رتبته وعظمة مقامه ويناقض معجزته الدالة على صدقه وذهب
طايفة من العلما اي جعلوا هذا مذهبا ومعتقدا لهم وليس هذا من الذهاب ضد الرجوع
وان كان اصل معناه المنقول منه الى منع صدور السهو والنسيان والغفلات والفترات
في حقه صلى الله عليه وسلم جملة اي كلها لا يستثني منها شي اصلا وهو مذهب جماعة
المتصوفة اي اهل التصوف واصحاب علم القلوب هو عطف تفسير له وهم الذين
صفوا قلوبهم بالمجاهدة لا يتكلفوا طريقة التصوف لان هذه الصيغة قد يراد بها
المبالغة كالتوجه في صفات الله تعالى والمقامات اي المراتب التي يعرفها مشايخهم
ويقطعونها في سيرهم الى الله وتقدم الكلام عليهم مبسوطا ولهم اي للعلما في هذه
الاحاديث المروية في السهو والنسيان مذاهب اي اقوال يعتقدونها نذكرها بعد
ان شا الله تعالى فصل في الكلام على الاحاديث المذكور فيها السهو
الواقع منه عليه الصلاة والسلام في افعاله وقد قدمنا في الفصول السابقة
قبل هذا الفصل ما يجوز عليه السهو وما يمتنع واجلناه اي جعلناه محالا فيما طريقه
البلاغ في الاخبار وما هو من قبيل الاقوال جملة من غير استثنا لشي منها وفي الاقوال
الدينية اي التي ذكر فيها الاحكام الشرعية قطعا من غير تردد واجزنا وقوعه في الافعال
الدينية على الوجه الذي رتبناه متصلا قبل هذا من انه غير مناقض للمعجزة وعدم
قدحه في النبوة مع ندرته وما يترتب عليه من افادة علم وتقرير حكم واشرنا الى ما ورد
في ذلك ونحن نبسط القول فيه في هذا الفصل والصحيح من الاحاديث الواردة
في سهوه صلى الله عليه وسلم في الصلاة ثلاثة احاديث منها وهو اولها حديث
ذي اليدين والسلام قطعا الصلاة من اثنتين اي ركعتين من الظهر او العصر وما قاله
ذو اليدين هو المقدم كما تقدم وقال المص في الاكمال احاديث السهو كثيرة الصحيح
منها خمسة الخ وقد قدمنا الكلام على حديث ذي اليدين الثاني حديث ابن بحينة
في القيام من اثنتين بحينة بباء موحدة مضمومة وحاء مهملة وبعدها مثناة تحتية
ونون بصيغة التصغير وهو عبد الله بن بحينة امه وهي بحينة زوجة مالك والد عبد
الله الازدي وعبد الله هذا حليف بني المطلب اسلم هو وابوه ولهما صحبة وانكر
الحافظ الدمياطي صحبة مالك والد عبد الله وان يكون له رواية واسلام

وانما ذلك لعبد الله وفي تجريد الذهبي مالك بن بحينه ابو عبد الله روى عنه حديث
وصوابه عبد الله الازدي وامه بحينه قرشية وبحينه ام عبد الله زوج مالك
لا ام مالك وفي اطراف المزي من مسند مالك بن بحينه حديث ايصلي الصبح اربعا
وحديث السهو في الصلاة في مسند مالك بن بحينه وفي الكاشف مالك بن بحينه
الصحابي له في السهو روى عنه ابن حبان وقال النساي هذا خطا صوابه عبد الله
بن مالك الثالث حديث ابن مسعود الذي رواه الشيخان عنه مسندا وهو ان النبي
صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا فقيل له ازيد في الصلاة فقال وما ذاك قالوا
صليت خمسا فسجد بعد ما سلم وليس قوله بعد ما سلم في رواية البخاري واخرج مسلم
من حديث الاعمش ومنصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى
عنه قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابراهيم زاد او نقص الشك مني
فلما سلم قيل له يا رسول الله احدث في الصلاة شيء قال لو صليت كذا وكذا فثنى رجليه
واستقبل القبلة فسجد سجدتين ثم سلم واقبل علينا بوجهه فقال انه لو حدث
في الصلاة شيء انباتكم به ولكن انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني واذا شك
احدكم فليتحر الصواب وليتم ثم يسجد سجدتين وفي الحديث دليل على تداخل سجود السهو
واما كونه بعد السلام او قبله فقد وقع فيه اختلاف بين الفقها كما اختلفت الرواية
فيه وقيل سجود النقص قبل السلام وسجود الزيادة بعد السلام وهو معنى ما قيل القاف
بالقاف والدال بالدال وهذه الاحاديث التي ذكرها المص مبنية على السهو في الفعل
اي ان ما طرا فيها وقع في فعله لا في قوله الذي قررناه فيما مر قريبا وحكمة الله فيه اي وجه
الله فيه الحكمة ولو شا صانه عنه وهي انه انما اوجبه ليسن اي ليبين للامة حكمه شرعا
به اي بسبب فعله فالسنة هنا بمعنى الطريقة ثم اشار الى جواب سوال تقديره ان هذه
الحكمة تحصل ببيانه بالقول بان يقول من سهى في صلاته فليفعل كذا من غير وقوع سهو
في فعله فقال اذا البلاغ بالفعل اجلى بالجيم افعل تفضيل اي اظهر منه بالقول واظهر به
لمشاهدة فعله وكيفيته في زمن قليل ولو قرره بكلامه احتاج لتفصيل ولا وجه لما
قيل ان فيه خللا في صلاته بزيادة او نقص بخلاف وجوده بالقول اذ عصمه الله عنه
فالحكمة انما هي لبيان ان هذا السهو انما هو من صفات البشر فاذا وقع من مثله فغيره
اقبل له كما قال لا يضل ربي ولا ينسى وكقولهم سبحان من لا ينسى ولا يغفل وهذا مما
استاثر به الله وارفع للاحتمال لانه لو قال من سهى فليسجد سجدتين في اخر صلاته
احتمل ان يكون اراد من سهى في امر من اموره سوا كان سهوا في نفس الصلاة او في غيرها وشرط
اي شرط جواز السهو على الانبيا عليهم الصلاة والسلام في افعالهم البلاغية ان لا يقر
بالبنا للمفعول على هذا السهو اي لا يجعله الله قارا عليه من غير اعلامه بما صدر منه
من زيادة او نقص بل يشعر به مجهولا اي يعلمه الله به بواسطة المنبه له ليرتفع الالتباس

اي الالتباس الحاصل لمن رآه هل هو سهو او نسخ لما كان وتظهر فايدة الحكمة فيه ببيان
ما يلزم من سهى كما قدمناه قريبا فان السهو والنسيان في الفعل في حقه اي بالنسبة اليه
صلى الله عليه وسلم اذا صدر وتحقق منه غير مضاد اي ليس ضدا منافيا للمعجزة المثبتة
لنبوته واما السهو في القول البلاغي فينافيها لانها من قول الله انه صادق في كل ما يخبر
عن ربه فينافيها اخباره بما يخالف الواقع ودلالة المعجزة على صدقه في مقاله دون افعاله
وفي اثبات ذلك كلام في علم الكلام وشبه لمنكري النبوات اجيب عنها بما لا يسعه هذا المقام
ولا قادح في التصديق اي تصديق من امن به صلى الله عليه وسلم من امته والاول بالنظر
للنبي صلى الله عليه وسلم نفسه وهذا بالنظر لمن بلغه النبوة وقد قال صلى الله عليه وسلم
في الحديث الذي تقدم بيانه انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني اي نبهوني
على سهوي ونسياني وقد تقدم بيانه مفصلا فتذكره وقد قال صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه الشيخان عن عايشة رضي الله عنها رحم الله فلانا هو كناية عن علم لم يرد التصريح به
وهذا الرجل هو عباد بن بشر الصحابي وقيل هو عبد الله بن يزيد الانصاري قالت عايشة
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت قاري يقرا فقال من هذا فقالوا عبد الله بن يزيد
فقال رحمه الله لقد اذكرني كذا وكذا اية كنت اسقطتهن اي تركت تلاوتهن سهوا مني ويروى
انسيتهن وهذا تفسير للرواية الاولى ولذا ذكرهما المص ولم يعين احدى الايات التي
نسيها ولا عددها ولا سورتها لان كذا وكذا فيه خلاف للفقها في باب الاقرار فيما لو قال
له علي كذا وكذا درهما معطوفا فقيل يلزمه احد وعشرون وقيل درهمان وليس هذا محله
وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه في الموطا كما تقدم اني لا نسى بزنة انفي مخففا
معلوما او انسى بالتشديد وبنا المجهول اي ينسيني الله لا سن وتقدم بيانه قيل هذا
اللفظ المذكور هنا معطوفا باو الفاصلة شك من الراوي لا من الرسول صلى الله
عليه وسلم وغير الشك من معاني وغير مراد هنا وقد روي الحديث اني لا انسى بدل النافية
بعد لام التاكيد ولكن انسى بصيغة المجهول المشدد لاسن قيل نسبة النسيان له صلى الله
عليه وسلم فيما كان بسبب منه ونسبته الى الله فيما لا دخل له فيه وهذا لا ينافي كون
النسيان غفلة لا فعل من انما له كما توهم وذهب ابن نافع بنون وفا بعد الالف وعين مهملة
وهو عبد الله بن الصايغ المالكي وليس هو قانع بقاف ونون وهو تحريف من الناسخ ظنه
بعضهم روايه وهو مع اشهب يقال لهما القرينان كما يقال لمطرف وابن الماجشون الاخوان
كما قال ابن مرزوق وعيسى بن دينار الفقيه الزاهد العابد الطليطلي الذي تفقه به اهل
الاندلس واخذ الفقه عن ابن القاسم وتوفي بطليطلة سنة اثني عشرة ومايتين الى انه ليس شك
من الراوي وان معناه التقسيم اي انسى انا او ينسيني الله ليس معناه انه بحسب الظاهر منسوب له
وفي الحقيقة فعل الله بل المراد انه قد يكون بسبب تعاطاه او بدونه لحكمة ارادها الله كما تقدم
وقال القاضي ابو الوليد الباجي بموحدة وجيم كما تقدم يحتمل لفظ الحديث ما قاله اي ابن نافع

وابن دينار واحتمالا اخر وهو ان يريد انى انسى فى اليقظة بفتحتين وتسكينه لحن فى غير الضرورة
كما مر ضد النوم وهذا معنى النسيان المنسوب اليه بصيغة المضارع المخفف المبنى للمعلوم
وانسى بصيغة المجهول المشدد فى النوم الذى هو حالة تمنع الحس والفعل الاختيارى
فاطلق على عدم الادراك فى النوم نسيانا لاشتراكهما فى عدم الادراك ولا يخفى
بعده وركاكته واما كونه صلى الله عليه وسلم اذا نام لا ينام قلبه وان نومه ويقظته
سوا فلا يا باه كما توهمه بعضهم او المراد بقوله انسى بالمعلوم ما هو على سبيل عادة
البشر المجبول عليها طبا يعهم من الذهول عن الشى اذا غفل عنه والسهو عما هو بصدده
لعروض ما يشغل باله عنه او انسى بالمجهول المشدد معناه ذهوله عنه مع اقباله عليه
بمشاهدته او تلبسه به وتفرغه له باعراضه عن غيره لكن ينسيه الله ما هو فيه بتخليته له
عن الشاغل عما سواه ثم وضحه وفصله بقوله فاضاف احد النسيانين بقوله انسى المعلوم
الى نفسه لان تقديره انسى انا اذ كان له بعض التسبب فيه بمباشرة ما هو كالسبب المفضى
اليه ونفى الاخر عن نفسه اذ لم يسنده له اذ هو فيه اى فى حال التلبس به كالمضطر
الملجا الفعل شا ولما كانت التنسية نسيانا جعلهما نسيانين وقيل انه تغليب ولا حاجة
له مع وجود المعنى الحقيقى وذهبت طايفة من اصحاب المعانى الذين تقيدوا ببيان معانى
الحديث وشرحه كالبغوى والخطابى فقوله والكلام على الحديث عطف تفسير لما قبله الى
ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يسهو فى الصلاة ولا ينسى بنا على الفرق بين السهو
والنسيان فان منهم من قال انهما بمعنى ومنهم من فرق بينهما كما قاله الحافظ العلاى كما
وقال السهو جايز فى الصلاة على الانبيا عليهم الصلاة والسلام بخلاف النسيان
لان النسيان غفلة وافة والسهو انما هو شغل بال فكان صلى الله عليه وسلم يسهو
فى الصلاة ولا يغفل عنها فكان صلى الله عليه وسلم يشغله عن حركات الصلاة ما فى الصلاة
ويأتى بانه قال المقدم وهو ضعيف من جهة المعنى واللغة فالاول ما ثبت فى الصحيحين
من قوله انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون والثانى تسوية ايمة اللغة بينهما اذ فسروهما
بالغفلة وذهاب القلب عنهما كما فى التهذيب والصحاح والمحكم وقال الراغب السهو خطا
عن غفلة وهو على ضربين ما لا يكون الانسان فيه منسوبا لتقصيره اذ لم يتعاطى ما يولده
والثانى ما يتعاطى ما يولده كما لو سكر وفعل منكرا بلا قصد وهذا هو المذموم وفى النهاية
السهو فى الشى تركه من غير علم والسهو عنه تركه مع العلم وهو فرق حسن يرجع لما قاله الراغب
وبه يظهر الفرق بين السهو فى الصلاة الذى وقع منه صلى الله عليه وسلم غير مرة والسهو
عنه الذى ذم بقوله الذين هم عن صلاتهم ساهون انتهى وقد تبعه بعض الشراح وانا اقول
اما الفرق بينهما فلا شبهة فيه فان السهو غفلة يسيرة عما هو فى القوة الحافظة يتنبه له بادنى
تنبيه والنسيان زواله عنها بالكلية ولذا عده الاطبا من الامراض دونه الا انهم يستعملونه
بمعنى تسامحا منهم واهل اللغة لا يدققون النظر فى التعاريف اللفظية والرسمية لان النسيان

كما تقدم

كما تقدم ذهول اى عدم علم وادراك وغفلة اى زوال وذهاب عن فكره وادراكه بالكلية وافة
اى مرض يصيب القوى المدركة بنقص فيها وفى صاحبها قال الفارق بينهما وانه يسهو ولا ينسى
وفى نسخة قالوا والنبى صلى الله عليه وسلم منزه عنها لانها نقص يخلقه الله والانبيا
منزهون عنه والسهو شغل بامر عظيم عن ملاحظة ما هو فاعله وهو غير مذموم بل
قد يمدح كاشتغال المصلى بتجليات ربانية فكان صلى الله عليه وسلم يسهو فى صلاته
ولا ينساها ويذهل عنها لاشتغاله بغيرها من امور الدنيا وانما يشغله عن حركات
الصلاة لا عنها ما فى الصلاة مما فيه قرة عينه شغلا بها اى بسبب ما فيها من تجليات
نورانية لا غفلة عنها بالكلية ولذا افحم حركات الاواحتج من منع النسيان عليه صلى الله
عليه وسلم بقوله صلى الله عليه وسلم فى الرواية الاخرى لهذا الحديث انى لا انسى
ولكن انسى لنفيه النسيان عنه وقد سها من سوى بينهما يقول انما نفى النسيان نايما
الى ان الفاعل الحقيقى هو الله او المراد لا انسى كما تنسون كما تقدمت الاشارة وذهبت
طايفة هم مشايخ الصوفية اصحاب المقامات العلية كما صرح به فى اخر الفصل الذى
قبل هذا الى منع هذا كله اى السهو والنسيان عنه اى عن النبى صلى الله عليه وسلم
لتنزهه عنه وقالوا ان سهوه صلى الله عليه وسلم كان صدوره منه عمدا وقصدا
لا غفلة وسهوا ونسيانا قصده ليسن كما تقدم وهذا القول بانه عن قصد دون
غفلة قول مرغوب عنه لا فيه لانه متناقض المقاصد لانه لو فعل فى صلاته ما فعل
عمدا بطلت وفسدت صلاته فكيف يسن بما لا يجوز وقيل لمناقضة السهو العمد
واستحالته لكونه عمدا لا يجدى منه بطايل اى ليس فيه فايدة وكبير امر حتى يرتكب امره
المخالفة المناقضة له ويجدى بفتح المثناة التحتية وسكون الحا المهملة ولام
مفتوحة والف وقال البرهان انه بضم اوله وبالحا المهملة ثانيه وهم منه لانه
فى كتب اللغة كالاساس وافعال السرقسطى وغيره انه يقال ما حليت وما حلوت منه
بطايل اى ظفرت فعله ثلاثى ورد ماضيه كعلم وضرب وكذا هو فى شروح التسهيل
فى الخطبة والطايل بمعنى الفايدة يقال هذا لا طايل تحته اى لا فايدة يعتد بها وهذا
الفعل عن حلا قيل انه مختص بالنفى وهو المشهور وصرح ابن السيد بخلافه ثم بين
تناقضه بقوله لانه كيف يكون صلى الله عليه وسلم متعمدا ساهيا فى حال
واحدة لان بينهما من التضاد ما يمنع اجتماعهما ولا حجة لهم فى قولهم انه صلى الله عليه
وسلم امر اى امره الله بتعمد صورة النسيان وليس بناس ليسن لهم ما يترتب عليه لقوله
صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى تقدم قريبا انى لا انسى وانسى فقد وفى نسخة
وقد بالواو الحالية اثبت فى هذا الحديث له صلى الله عليه وسلم احد الوصفين يعنى
النسيان والسهو الذى نفاهما هولا القايلون بما ذكر وقيل المراد بالوصفين النسيان
من قبل نفسه او من قبل ربه ونفى مناقضته باضافته للضمير التعمد والقصد مفعول

نفي ونفيه يفهم من اثبات ضده الذي لا يجتمع معه وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما
تنسون فاذا نسيت فذكروني ويجوز ان يكون النفي يفهم من الحصر بانما قيل ما ذكره المص
من ابطال هذا القول في غاية الظهور وانه لا يتخيله الا معذور وكيف يتعمد ما صورته
تخل بعبادته مع امكان البيان بالقول ينمي قول هو كما قال لكن ما تقدم عن السادة
الصوفية يمكن توجيهه وقد مال الى هذا اي القول بانه صلى الله عليه وسلم ابن تعمد
النسيان عظيم اي كبير فان العظيم يكون بمعنى الزيادة في القدر والكم كالكبير والمراد الائمة
من ايمتنا اي الاشعرية لا الفقها المالكية كما قيل فان هذا العظيم الذي ذكره وهو ابو
المظفر الاسفرايني شافعي كذا في الشرح الجديد بناء على ان ابا المظفر هو ابو اسحاق ابراهيم وان المص
كناه بذلك بغير كنيته المشهورة والذي يظهر ان الاول هو الصواب وهذه مجازفة من قايلها
ولم يرتضه غيره منهم اي لم يقل بهذا القول احد غير ابي المظفر لانه كيف يود تعمد ما يبطل
الصلاة من غير ضرورة ولا ارتضيه لانه بعيد عن الصواب بمراحل ولا حجة لهاتين
الطايفتين القايلين بانه صلى الله عليه وسلم لا يسهو ولا ينسا وبان سهوه عمد وقصد
في قوله في الحديث اني لا انسى بالنفي في احدى الروايتين كما تقدم تفصيله ولكن انسى بالتشد
كما بيناه اذ ليس فيه اي في الحديث على هذه الرواية نفي حكم النسيان بالجملة اي جميعه
بانه لا يصدر منه صلى الله عليه وسلم نسيان اصلا وكانه اراد حكمه معناه بقرينة
قوله وانما فيه نفي لفظه باطلاق اسناده له وما قيل المراد النسيان الذي هو حكم بمعنى
مدلول لفظه والاضافة بيانية تعسف وكراهة لقبه هو بمعنى اسمه ولفظه المستعمل
فيه وليس المراد به احد اقسام العلم وهذا على مصطلح الاصوليين كقوله صلى الله عليه
وسلم في حديث مشهور بيس ما لاحدكم وبيس من افعال الذم كما ورفاعله ضمير مستتر
مفسر ما وقوله ان يقول نسيت اية كذا هو المخصوص بالذم ونسيت مخفف مسند لضمير
المتكلم ولكنه نسي مجهول مشدد رواه مسلم نسي مخففا مع ضم النون وكذا روي
من طرق فقد روي بتشديد السين وتخفيفها مع البنا للمفعول فيهما فعلى التثقيل انه
تعالى خلق فيه النسيان وعلى التخفيف معناه ان ناسي القران نسيه الله اي تركه لا يلتفت
اليه كقوله وكذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى فاشار الى انه لا ينبغي
ان ينسب فعلا لنفسه وينسبه لخالقه تادبا وان جاز لانه كسبه فالذم لهذا فهو عام
في كل فعل وهو لما فيه من عدم الاعتنا بالقران لان نسيانه لتركه تعهد تلاوته فهو مخصوص
بالقران واختاره القرطبي وقيل النسيان المذموم هنا بمعنى الترك وقيل فاعل نسيت
النبي صلى الله عليه وسلم اي لا يقل احد عني اني نسيت اية فان الله هو الذي انساني ما انسخه
وليس بمنعي وقال الخطابي انه مخصوص بعصر النبوة فانهم انما ينسيهم الله ما قدر
نسخه او نفي مصدر معطوف على نفي لفظه اي انما فيه نفي الغفلة وقلة الاهتمام بجر
معطوف على الغفلة بامر الصلاة فاريد به نفي لازمه عن قلبه متعلق بنفي فلا انسى

يعني

يعني لا يغفل قلبي عن عبادة ربي وتوجهي اليه لكن شغل بها اي بالصلاة وما فيها من التجليات
عنها اي عن بعض اعمالها وعدد ركعاتها ونسي بعضها من اركانها الظاهرة بعضها مما يشاهده
فيها وتدبر ما يتلوه فيها وما قيل ان هذه مرتبة لا تليق بارباب التمكين الذين لا تفوتهم امورهم
الباطنة عن ادب الظاهر كان عليه ان يتادب بتركه ومثله من زخرف الاصطلاحات لا يجري
في مقامات النبوة كما ترك صلى الله عليه وسلم الصلاة الثابت في حديث الصحيحين يوم
الخندق حتى خرج وقتها اي وقت الصلاة المعين لها في كتب الفقه وهذا نظير لما هو فيه لا مثال
له كما عينه بقوله الاتي فشغل بطاعة عن طاعة وهذه تسمى غزوة الخندق وغزوة الاحزاب
لانه صنع فيها خندق براي سلمان الفارسي وتجمع فيها طوايف كثيرة كما هو مشهور
في السير والخندق معرب كنده بمعنى حفر وكانت سنة اربع وقيل سنة خمس على ما بينوه
واختلفوا في سبب الاختلاف منه على اقوال منها انهم لما ارخوا من الهجرة وجعلوا
راس السنة المحرم وجعله بعضهم محرم سنة الهجرة وبعضهم المحرم الذي بعده فتفاوت
ذلك بسنة وشغل بالتحرز من العدو عنها اي عن الصلاة التي دخل وقتها حتى خرج لانه
يخشى من هجوم العدو عليهم وهم في الصلاة غير مستعدين للحرب ولم تكن صلاة الخوف
شرعت لهم حينيذ فشغل بطاعة وهي حفظ المدينة وارواح المومنين من بغتة العدو
عن طاعة وهي ادا الصلاة في الوقت وتلك اهم باعتبار حقوق العباد اذ لو فاتت
لم يمكن تداركها بخلاف هذه وهذا نظير لشغل عبادة عن عبادة وان لم تكن منها لا للسهو
والمنهي عنه اشتغاله عن العبادة حتى ينساها فلا يرد عليه انه يلزمه وقوع سهوه
في افعال العباد وهذه واقعة حال قدم فيها الاهم ولم يكن ناسيا وانما بادر درء المفسدة
الذي هو اهم من جلب المصلحة وكان هذا عذرا في تاخير الصلاة قبل مشروعية صلاة
الخوف على انه قيل انه سهو ايضا فعلى هذا لا يتجه عليه شي وقيل القايل له ابن مسعود
كما رواه الترمذي والنساي ان الذي ترك بالبنا للفاعل والمفعول اي تركه رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم الخندق اربع صلوات خبر ان الظهر والعصر والمغرب والعشا
بدل منه وما قيل انه يجوز نصب اربع لترك على مذهب سيبويه لا وجه له هنا والصحيح
ما في الصحيحين من انها صلاة العصر وفي الموطا انه فاتته صلاتين الظهر والعصر وقال
النووي يجمع بين الروايات بان الخندق كانت في ايام وتعدد تركه للصلاة فيها
وقيل ان تاخيرها كان نسيانا واستدل بما رواه احمد انه صلى الله عليه وسلم صلى المغرب
يوم الاحزاب فلما سلم قال هل علم رجل مسلم اني صليت العصر قالوا لا فصلاة ثم صلى
المغرب الا انه ضعف روايته وهذا كان قبل نزول صلاة الخوف كما ورد في الحديث وعن
علي رضي الله عنه لما كان يوم الاحزاب قال صلى الله عليه وسلم ملا الله بيوتهم وقبورهم
نارا كما حبسونا وشغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس وبه استدل على ان الصلاة
الوسطى صلاة العصر وفيه اختلاف وقد افرد ذلك الحافظ بتاليف نفيس وصل

الاقوال فيه الى نحو عشرة وبه اى بتركه صلى الله عليه وسلم هذه الصلوات احتج من ذهب الى جواز
تاخير الصلاة فى الخوف اذا لم يتمكن من ادايها فى وقتها الى وقت الامن من خوف العدو وهو مذهب
الشافعيين اى بعض علما الشام وفقهايها المجتهدين والمحدثين منهم الذين يرون ان صلاة
الخوف كانت مشروعة قبل ذلك والصحيح ان حكم صلاة الخوف اى فرضيتها كان بعد هذا
اى بعد غزوة الخندق فهو ناسخ له اى لجواز تاخير الصلاة عند الخوف ومذهب ابى
حنيفة والجمهور وصلاة الخوف على طرقها التى ذكرها الفقها مختلف فيها هل كانت مخصوصة
بعصره صلى الله عليه وسلم او نسخت فى حياته فلا تجوز الان او حكمها باق الى الان
وهل تختص بالجماعة ام لا والكلام عليه وعلى ادلته مفصل فى كتاب الاثار وشرحه
للعينى وليس مما يهمنا تفصيله هنا ثم استطرد لما يناسب ما هو فيه من تاخير الصلاة
عن وقتها لعذر شرعى واورد عليه سوالا فقال فان قلت فما تقول فى نومه صلى الله عليه
وسلم عن صلاته حتى خرج وقتها كما اشار اليه بقوله عن الصلاة يوم الوادى كما رواه
البخارى وغيره والصلاة هى صلاة الصبح والوادى بطريق مكة وقيل ببطن تبوك وكان
صلى الله عليه وسلم عرس فيه ووكل بلالا بان يقوم عنده ليوقظه اذا طلع الفجر
فاسند ظهره لراحلته فغلبه النوم ولم يوقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى طلعت
الشمس وكان اول من استيقظ ابو بكر ثم عمر رضى الله عنهما فكبر حتى استيقظ رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولفظ البخارى عن ابى قتادة قال سرنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليلة فقال بعض القوم لو عرست بنا يا رسول الله فقال اخاف ان تناموا
عن الصلاة فقال بلال انا اوقظكم فاضطجعوا واسند بلال ظهره لراحلته فغلبته
عيناه فاستيقظ النبى صلى الله عليه وسلم وقد طلع حاجب الشمس فقال يا بلال
اين ما قلت قال ما القيت على نومة مثلها قط فقال ان الله قبض ارواحكم حين شاء وردها
حين شاء يا بلال قم فاذن الناس بالصلاة فتوضا فلما ارتفعت الشمس وابياضت قام
فصلى ومثله فى مسلم وتقدم ايضا لفظ البخارى عن عمران بن حصين واستشكل الحديث
بانه كيف يأتى هذا والنبى صلى الله عليه وسلم قد قال فى حديث اخر ان عينى تنامان
ولا ينام قلبى فكيف نام عن هذه الصلاة حتى قضاها وهذا الحديث فى الصحيحين بطرق
وفيه ان عايشة رضى الله عنها قالت تنام يا رسول الله قبل ان توتر فقال تنام عينى
ولا ينام قلبى وكذا ساير الانبيا عليهم الصلاة والسلام كما ورد ايضا ولذا ذهب
كثير من ايمة الشافعية الى ان نومه صلى الله عليه وسلم لا ينقض وضوءه وسياتى
الكلام فيه وقيل انه من خصايصه ونقل عن النووى واجاب عن تعارضهما بقوله
فاعلم ان للعلما عن ذلك التعارض اجوبة منها ان المراد بان هذا اى تيقظ قلبه فى نومه
حكم قلبه اى حاله وصفته عند نومه وغيبته عن الادراك فى نحوه الجملة فى غالب الاوقات
اى اكثر اوقات نومه وغيبته بغين معجمة ضد الحضور قال البرهان وبينته مع ظهور

ليلا يتصحف بعينيه تثنية عين باصرة ورد بانه معنى صحيح لا تحريف فيه فانه حينيذ
معطوف على قلبه اى هذا حكم قلبه وحكم عينيه غالبا وهو متجه وقد يندل اى يقل
والندرة اخص من القلة لانها القلة المفرطة جدا منه غير ذلك بان ينام عينه
وقلبه كنوم ساير الناس كما يندر من غيره اى يقل من غير النبى صلى الله عليه وسلم خرق
عادته يحتمل ان يريد خلافه لما يعتاده من امور مطلقا ويحتمل خلاف عادته فى نومه بيقظة
قلبه كالانبيا لكنه لا حكم له لندرته وعدم انضباطه ويصح هذا التاويل اى جعله
مقيدا بغالب امره وما اعتاده قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث المذكور اولا
فى قصة الوادى لا احديث ان عينى تنامان كما توهم كما تقدم فى الحديث اذ نقلناه نفسه
اكده به لئلا يتوهم ارادة جنس الحديث ان الله قبض ارواحنا قبض الارواح غيبتها
عن الحس لان الروح تفارق البدن كما فى الموت ولذا كان النوم اخا الموت وقول بلال
فيه اى الحديث المذكور كما مر من انه صلى الله عليه وسلم امره ان يوقظه فغلبه نومه
ولم يوقظه فلما قال له اين ما قلت يا بلال قال ما القيت على نومة مثلها قط اى
لم انم نوما ثقيلا مثل نومته هذه فهذا كله يدل على انه استغرق فى نومه على خلاف
معتاده لان قبض الروح يدل على عدم تيقظة القلب وما وقع لبلال ايضا مخالف
لمعتاده والشاهد فيما قبله او فيه ايضا فتامله والحاصل انه صلى الله عليه وسلم
كان لنومه حالتان والاغلب الاول ثم بين وجه حاله المخالف لعادته بقوله ولكن
مثل هذا المخالف لمعتاده انما يكون منه اى يقع له بايجاد الله وخلقه لامر يريده الله
مما يرضاه ويقدره من اثبات حكم شرعى يبينه لمن اطلع عليه وهو قضا الصلاة وجوبا
فورا او بدونه وتاسيس سنة اى طريق من طرق الشرع يقتدى بها ويستمر سلوكها
واظهار شرع وفى بعض النسخ شرح وهو تصحيف كما قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث
الاخر الوارد فى النوم عن الصلاة لو شا الله عز وجل لايقظنا ثم منا منا قبل خروج
الوقت ولكن اراد الله بعدم ايقاظنا ان تكون بتا التانيث والضمير للسنة المفهومة
من السياق اى تكون سنة لمن بعدكم من هذه الامة يقتدون بها فيقضون ما فاتهم
من الصلاة وهذه حكمة ان الله قوى النوم على النبى صلى الله عليه وسلم ونام قلبه
على خلاف عادته لتظهر هذه السنة البديعة الثانى من الاجوبة عن هذا السوال ان معنى
قوله عليه الصلاة والسلام لا ينام قلبى ان قلبه صلى الله عليه وسلم لا يستغرقه النوم
اى لا يستولى عليه ولا يغطيه عن الادراك بحيث بالكلية عن احساسه كالغرق
والاستغراق فى كل شى بلوغ نهايته حتى يكون منه اى صاحب القلب الحدث فيه
الضمير للنوم اى يقع منه لشدة نومه حدث لا يشعر به من خروج شى من احد السبيلين
ينقض وضوءه لما روى انه صلى الله عليه وسلم كان محروسا اى محفوظا فى نومه من
ان يصدر عنه مثله وانه صلى الله عليه وسلم كان ينام حتى ينفخ اذ النفخ بخا معجمة

خروج النفس بشدة لها صوت يسمع وحتى يسمع غطيطه بالبنا للمجهول والغطيط
بعين مهملة كالخطيط بخا معجمة ترديدا لنايم صوتا متواليا مع نفسه وهو معروف ثم يصلي
ولا يتوضا اي يقوم من شدة نومه الذي يسمع له فيه خطيط وغطيط ولا يجدد وضوءه
فهذا دليل على انه صلى الله عليه وسلم محروس في نومه عن الحدث الناقض للوضوء
اقامة للمظنة فيه مقام المئنة ولولا ذلك لزمه الوضوء منه كغيره من الناس فقدم نوم
قلبه عبارة عن عدم استغراقه في نومه حتى لا يشعر بالحدث فليس تيقظه حقيقة كما في
الجواب الاول فلا ينافي انه لا يشعر بخروج الوقت لافراط نومه وحديث ابن عباس
المروي في الصحيحين المذكور فيه وضوءه صلى الله عليه وسلم عند قيامه من النوم
ليلا مروي فيه نومه مع اهله اي احدى زوجاته وهي في هذا الحديث ام المؤمنين ميمونة
بنت الحارث خالة ابن عباس رضي الله عنهم واهل اصل معناه الاقارب والاتباع ثم
اطلق على الزوجة اطلاقا صار به حقيقة عرفية فلا يمكن الاحتجاج به اي بحديث ابن عباس
المذكور على وضوئه بمجرد النوم اي بسبب النوم وحده لكونه مع اهله اذ لعل ذلك الوضوء
لنقض وضوءه الاول لملامسته الاهل اي مسها من غير حايل ملحدث اخر مما هو عند
الشافعي من نواقض الوضوء فكيف يظن ان حديث ابن عباس هذا ناقض ما تقدم من ان وضوءه
لا ينقض بمجرد نومه ليقظة قلبه وفي اخر هذا الحديث نفسه الذي رواه ابن عباس ثم
نام حتى سمعت غطيطه تقدم بيانه وانه يقال خطيطه بمعناه ثم اقيمت الصلاة
فصلى ولم يتوضا وهو صريح في عدم نقض النوم للوضوء وحده قيل ولا حاجة لهذا ايضا
فان في هذا الحديث انه قام من نومه لقضا حاجته فوضوءه لانتقاضه بقضا الحاجة
لا لمجرد النوم فالسوال ساقط من وجوه عدة وقيل في الجواب ايضا ان معناه لا ينام
قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم فانه وساير الانبيا عليه وعليهم الصلاة والسلام
رؤياهم وحي بلا شبهة فمعنى قوله لا ينام قلبي انه لا ينقطع عنه بنومه الوحي والنبوة
وهذا لا ينافي استغراقه في نومه وخروجه عن هذا العالم ثم اشار لجواب اخر فقال
وليس في قصة الوادي ونومه فيه عن صلاته الا نوم عينيه بانطباق جفنيه عن رؤية
الشمس وذلك انما يدرك بحاسة البصر وهي نايمة محجوبة عن الحس الظاهر وليس هذا
اي رؤية الشمس من فعل القلب لانه انما يدرك المعقولات دون المحسوسات فلا منافاة
بينهما كما مر ولا حاجة الى ان يقال لعله صلى الله عليه وسلم كان تحت خيمة تمنعه
الرؤية وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله قبض ارواحنا في منامها كما تقدم ولو شا ردها
الينا بايقاظنا من نومنا الذي كان قبل في حين غير هذا اي في وقت لم يوح اليه فيه شيء
ولم يرد رؤياه التي هي وحي وقوله في حين الخ متعلق بقال لا من مقول القول كما توهم وقد تقدم
ان الروح تقبض في المنام والممات لكنها ترد في الاول كما قال تعالى فيمسك التي قضى
عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى قال علي كرم الله وجهه فما راته نفس النايم

وهي في السما هي الرويا الصادقة دون غيرها وفي الحديث سيل رسول الله صلى الله عليه
وسلم اينام اهل الجنة فقال لا النوم اخو الموت فان قيل فلولا انه كان عادته استغراق
النوم باستيلايه على حواسه وقلبه كغيره لما قال لبلال كما ذكرناه في الحديث الذي في نومه
بالوادي اكلا بهمزة وصل في اوله وهمزة ساكنة في اخره امر من الكلاة وهي المراقبة والحفظ
لنا اي النايمين فيهم الصبح اي وقت طلوعه لتوقظنا للصلاة فلا تفوتنا كما سمعته
قبل هذا فهذا ينافي ما قاله من انه لا يستغرق في نومه بحيث لا يشعر بما يحدث منه فيه
من نواقض الوضو فقيل في الجواب عن هذا السوال انه كان من شانه اي عادته صلى الله
عليه وسلم التغليس بالصبح اي التبكير به فيصليه بغلس وهو ظلمة تخالط اول
ضوء الفجر في اخر الليل ومراعاة اول الفجر اي مراقبته بالنظر له في اوله قبل انتشار الضوء
بقرب الشمس من الافق المرئي لا تصح ولا تتيسر ممن نامت عيناه سوا استغرق اولا ولو كان
قلبه لا ينام اذ هو امر يدرك بالجوارح الظاهرة ولا دخل للقلب والحواس الباطنة
فيه فوكل صلى الله عليه وسلم بلالا رضي الله عنه اي امره بان لا ينام ويتقيد بمراعاة
اوله اي مراقبته والنظر اليه ليعلمه بذلك اي بطلوع الفجر كما لو شغل بشغل غير النوم
في يقظته عن مراعاته اي مراعاة الفجر وقد قيل ان هذا كله مبني على انه صلى الله عليه وسلم
كان لا ينام نوم غيبة اصلا وهذا مما لا ينبغي وفي هذا المقام اجوبة كثيرة عن تعارض
الحديثين في شروح الصحيحين تركناها خوف الاطالة الموذية للملالة فان قيل فما معنى
نهيه صلى الله عليه وسلم عن قول نسيت في حديث لا يقولن احدكم نسيت اية كذا
وتقدم هذا الحديث بتمامه والكلام في معناه وقد قال صلى الله عليه وسلم وهي جملة
حالية مبنية للسؤال في تعارض فهيه عن قول نسيت مع قوله اني انسى كما تنسون
فاذا نسيت فذكروني وقال في حديث اخر قد تقدم وفيه رحم الله فلانا لقد اذكرني
اية كنت انسيتها بضم الهمزة مبني للمجهول من الافعال اي انسانيها الله وقد تقدم الكلام
على هذا الحديث مفصلا فاعلم اكرمك الله انه لا تعارض في هذه الالفاظ الواردة
في النهي عن ذلك وغيره اما نهيه عن ان يقال نسيت اية كذا فليس على ظاهره اذ هو
كلام صادق لا مانع منه شرعا فهو محمول على ما نسخ حفظه اي لفظه وتلاوته
من القران وفي نسخة نقله بنون وقاف بدل حفظه والمعنى واحد وعلى هذا فمعنى قوله
لا يقل احدكم نسيت تقديره اني نسيت والمسند اليه ضميره صلى الله عليه وسلم
اي اذا سمعتموني تركت في القراة شيئا لا تقولوا ان النبي نسي اية كذا اي ان الغفلة
في هذا لم تكن اي توجد فكان تامة منه صلى الله عليه وسلم ولم يقع ذلك اختيارا
ولكن الله اضطره اليها اي الله عز وجل الجاه للغفلة ليمحو ما يشا اي ينسخ ما اراد
نسخه فينسيه له ويثبت ما لم يرد نسخه فلا ينساه فعلى هذا هو مخصوص بالرسول
صلى الله عليه وسلم وببعض ايات نسخها الله بازالتها لا بكل ما نسيه ولذا قال

وما كان تركه من سهو او غفلة من قبله بكسر القاف وفتح البا الموحدة ولام اى من جانب
نفسه صلى الله عليه وسلم بمقتضى الجبلة البشرية من غير الجا من الله له فذكرها صفة
غفلة اى خطرت ببا له بعد نسيانها صلح اى جاز ان يقال فيه انسى بضم الهمزة مجهول
مخفف فانما يمتنع نسبة النسيان له فيما اذا كان من القسم الاول فليس النهى على اطلاقه
حتى يعارض الحديث الاخر وهذا النهى خاص بزمنه صلى الله عليه وسلم حيث كان
يقع النسخ فلو قيل فيه ذلك ربما يتوهم انه اهمل من القران شيا حتى ضاع وصلح بفتح
اللام وضمها والاول افصح وقيل فى الجواب عما تعارض هنا ان هذا يعنى نهيه صلى الله
عليه وسلم عن ان نقول نسيت منه صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب اى تعليما
وارشادا لما هو مستحب فالنهى ليس نهى تحريم بل للكراهة ان يضيف الفعل الى خالقه
عز وجل ولا يضيفه لنفسه فانه الفاعل الحقيقى وغيره اله وهذا على مذهب اهل السنة
والاخر اى الحديث الاخر الذى اضيف فيه النسيان للعبد وقوله نسيت كذا ورد على طريق
الجواز وخلاف الاولى من غير النبى صلى الله عليه وسلم ومنه للتشريع فهو غير مكروه منه
وجوازا ضافته له لاكتساب العبد فيه ضمنه معنى دخل اى لدخل العبد فيه باكتسابه
فهو كالالة والموجد الحقيقى هو الله عند الاشعرى واهل السنة خلافا للمعتزلة
وبهذا جزم ابن بطال فقال انه بالنهى اراد ان يجرى على السنة العباد نسبة الافعال
لخالقها لما فيه من الاقرار بالعبودية والاستسلام للقدرة وهو اولى من نسبتها
لمكتسبها مع انه جائز ايضا واسقاطه صلى الله عليه وسلم لما اسقط من هذه الايات
التى قال فيها انسيتها كذا وكذا جائز عليه سهوا بعد بلاغ ما امر بلاغه وتوصيله الى
عباده اما فى حال تبليغه الاول فلا يجوز سهوه فيه وبعده يجوز ثم ليستذكرها صلى الله
عليه وسلم من امته او من قبل نفسه لانه لا يقر على نسيانه الا ما قضى الله نسخه ومحوه
من القلوب فلينسيه الله له ولا ينبه عليه فيعلم بذلك انه نسخ لفظه وتلاوة وتدرسوا
نسخ معناه املا وترك استذكاره بصيغة المصدر والفعل الماضى المجهول ولما
فيه من العبد قال وقد يجوز ان ينسى النبى صلى الله عليه وسلم ما هذا سبيله من القران
مما يراد نسخه كرة اى حينا ما ويجوز ايضا ان ينسيه منه اى الله ينسيه من القران
قبل البلاغ لانه يجوز النسخ قبل البلاغ كفرض الصلاة خمسين فى ليلة المعراج وهذا
منه ما لا يغير نظما اى نظم القران ترتيب كلمات متناسقة على مقتضاها ولا يخلط
حكما باخر كل حرمته مما لا يدخل خللا فى الخبر حتى لا يدرى ما يراد به وهو بيان لقوله
ما لا الخ ثم تذكره اياه اى يذكر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ما انساه مما لا يغير
ولا يخلط ويستحيل دوام نسيانه له لمنافاته للغرض المقصود منه لحفظ الله
تعالى كتابه لقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون كما تقدم وتكليفه بلاغه
مجرور معطوف على لحفظ الله اى كلف الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ كتابه

من رسل اليهم ودوام نسيانه ينافيه اشد المنافاة فصل فى الرد على من اجاز عليهم
الصغاير اى على الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين والكلام بالجر عطف على
الرد على ما احتجوا به فى ذلك اى جواز الصغاير عليهم والصغيرة ما عدا الكبيرة والكبيرة
منهم من عينها بالحد ومنهم من عينها بالعد فقيل هى ما ورد فيه وعيد بنحو غضب الله ولعنه
ودخوله النار فى كتاب او سنة صحيحة وقيل ما فيه حد او عقوبة معينة والصغاير
كالكباير فى توقف العفو عنها على مشيئة الله وكون اجتناب الكباير مكفرا لها لا ينافى
التوقف عليها وجوازها عليهم مطلقا او سهوا مشروط بان لا يكون مشعرة
بخسة ورذالة منفرة للطبايع اعلم ان المجوزين للصغاير على الانبيا صلوات الله وسلامه
عليهم اجمعين من الفقها والمحدثين ومن شايعهم اى تابعهم ووافقهم على اعتقاد ذلك
من المتكلمين اى علما الكلام وهو العلم الباحث عن العقايد الدينية وسمى علم الكلام
اما لان مسيلة كلام الله من اجل مباحثه او لكثرة دوران الكلام فيه بين السلف
والمشايخ من الشيعة وهى فرقة من الناس تتبع غيرها وشيعة الرجل اتباعه وانصاره
ولو واحدا وخص فى العرف بالمفضلين لعلى رضى الله عنه وكرم وجهه وهذه المسئلة
من علم الكلام وذكرها فى كتب الفقه والحديث استطرادى وقيل انها من مسايل
هذه الفنون بحيثيات متغايرة فالفقيه يبحث عنها من حيث انها يجوز اعتقادها
او يحرم او يكره والمحدث من حيث انه هل صح رواية صدورها منهم ام لا والمتكلم
من حيث اقامة الدليل على عصمتهم وامتناعها وعدمه وليس فى قوله شايعهم ما يخالف الفقها
والاغيا عبر به لانه ليس من كتابه المسايل الكلامية احتجوا على ذلك اى تجويزها عليهم
بظواهر كثيرة من القران والحديث اقحم لفظ ظواهر اشارة الى انها ليست بحجة فى الباطن
ان التزموا ظواهرها اى ان قالوا بلزوم اعتقاد الظاهر منها افضت بهم اى اوصلتهم
الى تجويز الكباير عليهم واصل معنى الافضا الادخال فى فضا واسع ثم شاع فيما ذكر
وخرق الاجماع اى مخالفة ما اجمع الناس عليه وهو من قولهم خرق المفازة اذا قطعها
فاريد به لازمه وهو المجاوزة وما لا يقول به مسلم اى افضت به الى راى لم يقله
احد من المسلمين وهو تجويز الكباير عليهم عمدا فانه لم يقله الا الجبرية واما سهوا
فجوزه بعضهم واختلفوا فى امتناعه هل هو سمعى او عقلى كما تقدم فكيف استبعاد تجويز
الكباير عليهم وكلما احتجوا به من الظواهر مما اختلف المفسرون فى معناه هل يحمل
على ظاهره او يأول وتقابلت الاحتمالات اى تخالفت وتعارضت الوجوه المحتملة
فى مقتضاه اى مقتضى ما احتجوا به من تجويز وقوع ما خرج به عن صلاحيته الاحتجاج
وجاءت اقاويل اى نقل وورد وجوه قالوا بها على خلاف ما التزموه واحتجوا به واقاويل
جمع اقوال جمع قول فهو جمع الجمع فيها اى فى الصغاير للسلف بخلاف ما التزموا من ذلك
الذى استدلوا به فاذا لم يكن مذهبهم فى تجويزها عليهم اجماعا اى مجمعا عليه لكثرة

من خالفهم فيه وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما لا حادثا بعد انعقاد الاجماع حتى يكون خلا
فا لا يعتد به وقامت الدلايل على خطا قولهم في تجويزها عليهم وصحة عنزه في عدم الجواز وجب ترك
جوابا ذا والمصير الى ما صح من عدم التجويز وها نحن ناخذ اي نشرع لانها من افعال المقاربة
وها حرف تنبيه زايد على المبتدا اذا كان الخبر اسم اشارة فان لم يكن كذلك جا نادرا
كما هنا في النظر فيها اي في ادلتهم التي احتجوا بظاهرها على تجويزها عليهم ان شا الله تعالى فمن ذلك
الذي احتجوا به على تجويزها عليهم قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تأخر وجه تمسك من جوز عليهم الصغاير بهذه الاية نسبة ذنب
اليه مغفور له لم يسمه فالظاهر انه صغيرة واللام للتعليل والمعلل الفتح اي فتح مكة
في قوله انا فتحنا لك الخ اي يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك ليجمع لك عز الدارين
في العاجل والاجل وتحقيقه في التفاسير قال ابن عبد السلام رحمه الله لم يخبر الله
احدا من الانبيا عليهم الصلاة بالمغفرة ولذا قالوا في الموقف نفسي نفسي اذهبوا الى
محمد فقد غفر الله له ما تقدم وما تاخر وهذا من خصايصه صلى الله عليه وسلم قلت
وفيه نكتة اذ سوى المتقدم بالمتاخر ايما الى انه مثله في عدم الوقوع وانما هو خلاف
الاولى مما عده بالنسبة اليه ذنبا وسياتي تفصيله وقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين
والمؤمنات اعاد الجار اشارة لتغايرهما لان الاول ليس بذنب حقيقي كذا قيل ولم يقل
ولذنب المؤمنين اشارة لكثرة ذنوبهم حتى كان ذاتهم عنده الذنب ووجه الاستدلال
ما مر ومما استدلوا به ايضا ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك الوضع الحط
وهو بالعفو والوزر الحمل والثقل فاستعير للذنب استعارة مرشحة والانقض
بمعنى اثقل جعله نقضا وهو ما اتعب الجمل حتى نقض لحمه وقال الازهري هو من نقيض
الرحل وهو صوته لما وضع عليه والكلام عليه كالذي قبله وقوله عفا الله عنك
كناية عن الاذن فان العفو من روادفه لم اذنت لهم بيان لما كني عنه بالعفو ومعاتبة عليه
والمعنى لاي شيء اذنت لهم في العفو حين استاذنوك واعتلوا بالاكاذيب وهلا توقفت
في ذلك خطابه في الاذن في غزوة تبوك تسع وقد استاذنه من تخلف عنه فاذن
لهم لبعد المشقة وشدة الزمان ولذا صرح صلى الله عليه وسلم بمقصده ولم يورّ
كما مر فاذن لقوم منافقين اعتذروا له باعذار سمجة وهو على خلاف الاولى لا ذنب
حقيقي بل قوله عفا الله عنك ملاطفة له ورعاية لخاطره وقدمه على ما بعده منه
حتى لا يبداه بما يوهم مؤاخذة ما ولذا احتطوا على الزمخشري فيما فسر به من قوله
اخطات وبيس ما صنعت لما فيه مع تفسيره بغير المراد منه من سوء الادب وخطابه
بما لم يخاطب به رب العزة وجعله كناية عن الجناية والجاني هو وقد در الكلام في ذلك
مبسوطا صدر الكتاب ومما استدلوا به ايضا قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما
اخذتم عذاب عظيم وهذه نزلت في غزوة بدر وقد اسر صلى الله عليه وسلم من قريش

سبعين رجلا منهم العباس عمه صلى الله عليه وسلم وعقيل فاستشار صلى الله
عليه وسلم اصحابه في ذلك فقال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله هولا قومك
لعل الله يهديهم بك خذ منهم فدية تتقوى بها وقال عمر رضي الله عنه اضرب رقابهم
وانجدنا دهم فرضي صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر فنزل عليه قوله تعالى ما كان
لنبي ان تكون له اسرى الاية فجلس صلى الله عليه وسلم يبكي هو وابو بكر وقال عرض
علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة والكتاب السابق يأتي بيانه ومنه ما قيل هو احلال
الغنايم لهم دون الامم السابقة او انه لا يعذبهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم
فيهم او ما وعدهم به من مغفرة ذنوبهم وانه لا يعاقب المخطى في اجتهاده وقوله
عبس وتولى الاية عبس اي قطب وجهه وتولى اعرض والاعمى هو ابن ام مكتوم رضي الله
عنه مؤذنه واسمه عبد الله او عمرو على ما ياتي واسم ابيه زايدة على ما قاله بعضهم
وهو ابن خال خديجة ام المؤمنين رضي عنها وسبب نزولها انه اتاه صلى الله عليه
وسلم وعنده صناديد قريش الوليد ابن المغيرة وعتبة وامية بن خلف وابو جهل
لعنهم الله وقال ارشدني وهو صلى الله عليه وسلم يحادثهم استمالة لهم فاعرض عنه
صلى الله عليه وسلم ولم يجبه لاشتغاله بهم رجا استمالتهم للاسلام واستمالة
من ورايهم قيل وهو باطل من قايله وجهل لان امية والوليد كانا بمكة وماتا كافرين
وابن ام مكتوم كان بالمدينة ولم يحضر معهم فالاولى ان لا يذكر هولا ويقتصر على ابن
ام مكتوم وقوم من كفار الكفرة وتبعه بعض الشراح وارتضاه وقد رده خاتمة
المحدثين الشيخ محمد الشامي في سيرته وقال انه كلام صدر من غير روية وتدبر فان
ابن ام مكتوم ابن خال خديجة كما ذكروا اسلامه قديم وهو من المهاجرين الاولين
هاجر قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل بعده والصحيح الاول وسورة عبس
مكية بلا خلاف وقد نقل ما ذكر عن جماعة من الصحابة والتابعين فاي مانع منه والعجب
من صاحب الزهر اذ لم يناقش القرطبي ومن تبعه في هذا وكان صلى الله عليه وسلم
بعد ذلك اذا اتاه ابن ام مكتوم بسط له رداه ويقول له مرحبا بمن عاتبني الله فيه
ولذا كان استخلفه على المدينة مرارا لتقدم هجرته ولاظهار توقيره وما قيل من ان ضمير
عبس وتولى للكافر في غاية الضعف كما ياتي وهذا مما استدلوا به على مدعاهم في حق
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واما في حق غيره فمما قص في القران من قصص غيره
من الانبيا كقوله تعالى في حق ادم صلى الله عليه وسلم وعصى ادم ربه فغوى
فجعل مخالفة ما حذره منه من اكل الشجرة ضلالا وغواية فهي ذنب صدر عنه ففيه
دليل لهم ظاهر والقصة مع جوابها مشروحة في التفاسير وقوله تعالى في حق ادم
مع حوى فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا فيما اتاهما الاية ضميرا اتاهما لادم عليه الصلاة
والسلام وحوى المتقدم في قوله الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها

اى اتاهما ولدا صالحا سويا اشركا فيما اتاهما غير الله فسمياه عبد العزى وعند من افرد حكى
الزجاج رحمه الله ان ابليس لعنه الله جا لحوا فقال اتدرى ما فى بطنك قالت لا قال لعله
بهيمة فان دعوت الله ان يجعله انسانا فسميه عبد الحارث وقيل كان لا يعيش لها
ولد فقال لسميه عبد الحارث فسمته به فعاش وهذا من القا الشيطان وقيل ان الضمير
لال قصى من قريش وان القصة فى حقه لا فى حق ادم والكلام عليه فى التفاسير مشهور
وقوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا الاية اى من الدلايل التى استدل بها من جوز الصغاير على الانبيا
عليهم الصلاة والسلام ما حكاه الله فى الاية عن ادم عليه الصلاة والسلام وحوى
من اعترافهما بصدور الذنب منهما واتصافهما بما كان سببا لخروجهما من الجنة وفيه
دليل على انه تجوز المعاقبة على الصغاير ان لم تغفر خلافا للمعتزلة ومما استدلوا به
ايضا قوله تعالى فى قصة يونس عليه الصلاة والسلام سبحانك انى كنت من الظالمين
لما ذهب مغاضبا قومه اذ لم يطيعوه فاعترف انه ارتكب ظلما ومعصية وما قصه الله
من قصته فى قوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا وكان قد ضاق صدره فى حمل اعباء
النبوة والمغاضبة لقومه اذ لم يصبر ولم ينتظر توبتهم فخرج من حينه واظلهم
العذاب الذى اخبرهم به فتضرعوا الى الله وتابوا فرفعه الله عنهم ويونس عليه الصلا
والسلام لم يعلم برفعه عنهم وكان من حقه ان لا يذهب الا باذن مجدد من الله عز وجل
وهذا ما ذكره من قصته وما ذكره من قصة داود عليه الصلاة والسلا وقوله وظن
داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب الاية وذلك انه راى ما قصه الله
من فضايل الانبيا قبله فسال ربه ذلك فقال انهم ابتلوا فصبروا فقال ان ابتليت صبرت
فتمثل الشيطان له فى صورة حمامة من ذهب عجيبة وكان صلى الله عليه وسلم فى محرابه
مختليا بصلاته فاراد اخذها فطارت فذهب خلفها وتبعها حتى اشرف على دار فيها
امراة تغتسل لم ير مثلها فافتتن بها وسال عنها فاذا هى امراة اوريا وكان زوجها
مع عسكر له فارسل يقول لرييسهم ويعلمه ان يقدمه فى الحرب وكان سيفا من سيوف الله
فاستشهد وتزوج داود عليه الصلاة والسلام امراته فارسل الله له ملكين
فى صورة خصمين كما قصه الله فى كتابه وعاتبه عليها وهذا مما عده هولا ذنبا نظرا
الظاهر الحال فتاب منه ولم يزل يبكى على ما صدر منه حتى نبت العشب من دموعه و
من ادلتهم قوله تعالى فى حق يوسف عليه الصلاة والسلام ولقد همت به وهم بها
وما قص الينا المعلوم والمجهول من قصته اى يوسف مع اخوته وهم انبيا على اختلاف
سياتى بيانه وقصته معروفة والشاهد فى قوله هم بها بنا على ما اشتهر من تحليل
العاجن واراد ما يريده اهل الاهوا وفيه مبالغات وامور يذكرها عنه القصاص
وهو صلى الله عليه وسلم بريء منها وانما يتوهم ما توهم ان لم يجعل هم بها جواب لولا
بحسب المعنى والا فلا يتوهم شى من ذلك فان دليل الجواب جواب معنى فيقتضى انه

لم

لم يصدر منه هم فضلا عما هو اعظم منه مع ان الهم النفسانى مرتبة ما هو مقتضى
الجبلة البشرية ومثله معفو مغفور ومن ادلتهم ايضا قوله تعالى حكاية عن موسى صلى الله
عليه وسلم فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان ضمير وكزه للقبطى
الذى وجده موسى عليه الصلاة والسلام يخاصم رجلا من بنى اسرايل وكان
دخل متنكرا نصف النهار فوجد قبطيا من جند فرعون يسخر بعض بنى اسرايل لحمل حطب
ونحوه وكان موسى عليه الصلاة والسلام جسيما ذا قوة شديدة فدفعه عنه
وضربه فقتله فقال رب انى ظلمت نفسى فهذا اعتراف بصدور ذنب منه وهو المراد
هنا ومعنى وكزه ضربه بجمع كفه وقيل ضرب فى صدره وقيل دفعه وقوله من عمل
الشيطان اى هو شى من جنس اعمالهم ثم ذكر بعض ما استدلوا به من الحديث فقال
وقول النبى صلى الله عليه وسلم فى دعايه الماثور عنه اللهم اغفر لى ما قدمت وما اخرت
وما اسررت وما اعلنت وهو من دعا طويل رواه الشيخان كان يقوله صلى الله عليه
وسلم اذا قام يتهجد وطلبه المغفرة من الذنوب المذكورة يدل على صدورها منه
فى الجملة وهو من دعاهم ونحوه من ادعيته صلى الله عليه وسلم الماثورة وقد افردت
بالتاليف كالحصن الحصين وغيره ومما استدلوا به ايضا ذكر الانبيا عليهم الصلاة
والسلام فى الموقف يوم القيامة ذنوبهم فى حديث طلب الناس منهم الشفاعة
واستغاثتهم بهم من هوله وطوله وحديث الشفاعة مشهور طويل رواه مسلم عن ابى
هريرة فلا نطول به ومحل الشاهد فيه ان الناس اذا اشتد عليهم هول الموقف وكربه
قالوا اذهب للرسل فيشفعون لنا فى الخلاص فيذهبون اليهم فردا فردا وكل يقول
لست لها لى ذنب عظيم اخاف منه ودلالته على ما ادعوه غنية عن البيان ومما استدلوا به
ايضا قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى تقدم مع شرحه انه ليغان على قلبى
فاستغفر الله وفى حديث ابى هريرة انى لاستغفر الله واتوب اليه فى اليوم اكثر من سبعين
مرة وروى مائة مرة فالسبعين ليست على ظاهرها والمراد بها التكثير وهى فيه
كثير حتى قال بعضهم سبع لك الاجراى كثرة فهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم
كان يصدر منه بعض الذنوب والا لم يكن لاستغفاره وجه وقوله تعالى حكاية
عن نوح عليه الصلاة والسلام والا تغفر لى وترحمنى الاية فطلبه المغفرة
يقتضى سبق ذنب منه فهو حجة لمن جوز عليهم الصغاير وذلك ان الله نهاه عن
ان يشفع فى احد من اهله غير من اذن له فى دخول السفينة معه فقال له الله عز
وجل ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون اى قضى الله بذلك عليهم فشفع فى ابنه
كنعان وهو ممن قضى بهلاكه لظنه انه داخل فى اهله فلما قيل له انه ليس من اهلك
ندم على عدم استقصاله واستغفر لتركه الاولى لا لذنب ارتكبه واليه اشار
بقوله وقد كان قال الله له ولا تخاطبنى اى لا تدع ولا تشفع فى الذين ظلموا اى كفروا

ان الشرك لظلم عظيم انهم مغرقون اى لانهم قضى عليهم وحكم بهلاكهم لكفرهم الذى قطع
رحمهم وقرابتهم ومن ادلته ايضا انه تعالى قال حكاية عن ابراهيم عليه الصلاة
والسلام والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين يعنى فى القيامة يوم الجزا فهذا يقتضى
صدور ذنب منه وهو ما تقدم من قوله فعله كبيرهم وما بعده مما تقدم هو والجواب
عنه وقوله تعالى حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام انى تبت اليك قاله بعد
ما طلب الروية من الله عيانا فلما تجلى له ربه وخر صعقا ثم افاق قال سبحانك تبت اليك
وليس هذا بذنب ولكنه ساله بعد ما قال له لن ترانى ولو نبئك ذلك كان اولى والكلام
على الروية وجوازها مفصل فى علم الكلام وكذا هذه الاية ومما استدلوا به ايضا على
جواز الصغاير عليهم قوله تعالى ولقد فتنا سليمان الى قوله ثم اناب اى تاب فانه يقتضى
صدور ذنب عنه وكان الله فتنه اى ابتلاه باحر اختلفوا فيه فقيل انه احتجب عن الناس
فعاتبه الله على ذلك وقيل انه سبا بنت ملك فى غاية الجمال تسمى جرادة فاحبها وكان عندها
صنم تعبده مخفية فاطلع عليه فاحرقه وقد ذكروا فى قصته امورا لا تليق بمقام الا
نبيا عليهم الصلاة والسلام الى ما اشبه هذه للظواهر اى ما ذكرته من الامور
التى تدل ظاهرها على ما قالوه له اشباه ونظاير كثيرة تركت ذكرها ثم شرع فى سرده
الجواب عما ذكره من ادلة المجوزين للصغاير عليهم فقال قال القاضى عياض المصنف
رحمه الله فى الجواب عما قالوه وتمسكوا بظاهره قبل تحقيق النظر فيه فاما احتجاجهم
لتجويزهم الصغاير عليهم بقوله ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر الخ فهذا قد
اختلف المفسرون فيه وفى تاويله فقيل المراد بما تقدم ما كان قبل النبوة وبما تاخر
ما بعدها اى بعد النبوة وهو عبارة كنى بها عن انه لم يصدر منه ذنبه لانه لا تكليف
قبل النبوة اصلا والعقل لا يستقل بذلك وقوله ما بعدها ذكر للتعميم كقولك
اعط من تره ومن لم تره وقيل معنى ما تقدم ما وقع لك من ذنب ومعنى ما تاخر ما لم يقع
اعلمه بما حاصله انه مغفور له غير مواخذ به لو وقع منه لكنه لم يقع منه ذنب كغيره
وانما يصدر عنه نادر لخلاف الاولى وقيل معنى ما تقدم ما كان قبل النبوة مما لا اثر
لانه لا شريعة يلتزم احكامها والمراد بالمتاخر عصمتك بعدها فمغفرته تجوز بها
عن العصمة ووجه الشبه بينهما عدم اعتبار الذنب فيهما فمن قال ليس هذا من مقتضى
اللفظ مع انه معلوم قبل النبوة لم يفهم مراده حكاه اى هذا الوجه احمد بن نصر
الخزاعى الزاهد الشهيد قتله الواثق فى محنة خلق القران سنة احد وثلاثين
ومايتين وقيل المراد بذلك المذكور من المغفرة امته اى يغفر الله لامتك ما صدر ويصدر
منها فالمراد بخطابه خطاب امته فاضافة الذنب له صلى الله عليه وسلم لادنى
ملابسة لانه كنسوه ما كسوهم وهو الشفيع لهم والمراد ان رحمة الله لهذه الامة اكثر
فلا يرد عليه ان مغفرة ما تاخر له شروط كان لا يكون حق عبد ونحوه وقيل المراد

بما تقدم.

341

بما تقدم ما وقع منه صلى الله عليه وسلم على سهو وغفلة والمراد بما تاخر ما كان
صادرا عن تاويل اى ببيان لمعنى يحتمله النص فيحمل عليه باجتهاد منه ثم تبين له ان الصواب
او الاولى غيره لان التاويل بيان ما يوول اليه فيما سبب ما تاخر فلا يرد عليه شى والمراد
انه لم يتم الاستدلال بالاية حكاه الطبرى محمد ابن جرير كما تقدم واختاره القشيرى
عبد الكريم شيخ الصوفية وغيره كما تقدم فى ترجمته فى وقيل المراد بما تقدم ما تقدم
لابيك ادم عليه الصلاة والسلام والمراد ما تاخر ذنوب امتك فاللام للتعليل
اى يغفر لاجلك ذنوب ابيك ادم لما توسل بك الى الله ويغفر لامتك لانك رحمة لهم
حكاه السمرقندى وقد قدمنا ترجمته والسلمى بضم السين المهملة وفتح اللام
وهو الامام ابو عبد الرحمن الصوفى كما تقدم عن ابن عطا شيخ الطريقة كما تقدم
وهذا مما لا يقال بالراى وقد نقله مثل هولا وان كان خلاف الظاهر وبمثله اى
بمثل هذا التاويل والذى قبله يتاول قوله تعالى خطابا لنبينا صلى الله عليه وسلم
واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات فيقال المراد استغفر لذنب ابيك ادم ولذنوب
امتك او استغفر عما صدر منك سهوا وغفلة او بتاويل منك وهذا لقوله لذنبك
فقط لا لقوله وللمومنين والمومنات قال مكى تقدمت ترجمته مخاطبة النبى اى خطاب الله
للنبى صلى الله عليه وسلم هاهنا اى فى قوله ليغفر لك الله وكثيرا ما يحمل عليه ما لا يناسبه
فيقال انه لامته وانما وجه له صلى الله عليه وسلم لكنه لكونه بالطريق الاولى
الاحرى وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم لما امر ان يقول ما كنت بدعا من الرسل
وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم وهو تبعيد بر قل فلذا قال امر سر بذلك الكفار اى فرحوا
وقالوا واللات والعزى ما امرنا وامر محمد عند الله الا واحد وما له علينا من مزية
ولولا انه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لاخبره الذى بعثه بما يفعل به فانزل الله تعالى
ردا عليهم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر الاية فقال الصحابة هنيئا لك
يا رسول الله قد علمنا ما يفعل الله بك فما يفعل بنا فانزل الله تعالى واخبر بما للمومنين
اى بما يوول اليه امرهم فى الاخرة فى الاية الاخرى بعدها اى ليدخل المومنين والمومنات
جنات الاية وانزل وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فبين ما يفعل به صلى الله
عليه وسلم وبهم وهذا قول قتادة والحسن وغيرهما وعزاه المصنف لابن عباس بقوله
قاله ابن عباس رضى الله عنهما وانما قاله صلى الله عليه وسلم اولا قبل ان يعلمه الله
بعصمته وعموم مغفرته وهو فى عام الحديبية ثم بين محصل جوابه عن استدلالهم
بقوله فمقصد الاية اى محصل ما قصد بها انك غير مواخذ بفتح الهمزة او الواو المبدلة
منها وفتح الخا المعجمة اسم مفعول بذنب ان لو كان اى وجد منه تامه وان بفتح وسكون
زايده ومثله كثير فهو امر جا على طريق الفرض تطمينا له صلى الله عليه وسلم فلا يقوم
بها حجة لتجويز الذنوب عليهم وقريب منه ما قال بعضهم المراد بما ذكر من المغفرة

هاهنا اي في آية ليغفر لك الله ونحوه تبرئة من العيوب بموحدة بعد التاء الفوقية وراء مهملة
قبل الهمزة ولو قرئ بنون وزاي معجمة وياء تحتية ساكنة قبلها وجاز والمعنى والرسم متقارب
يعني لا دليل فيها لهم لانه قد قيل ان المراد منها تنزيه الله له وتبعيده من العيوب اي الذنوب
او ما يودي لها فالمغفرة كناية او مجاز عما ذكروا واما الجواب عما تقدم من استدلالهم بالآية
المتقدمة وهي قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك كما بيناه اولا فقيل
معناه ما سلف وتقدم من ذنبك قبل النبوة اي مما هو في صورة تفريط وان لم يكن
ذنبا لانه لم يكن قبل النبوة شرع تخالفه معصيته وقد عصمه الله تعالى عما كان عليه
الجاهلية من العقايد ونحوها من الديانات وهو قول ابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن
اسلم المفسر الزاهد المتقي المتقن توفي سنة اثنين وثمانين ومائة والحسن البصري
وقد تقدمت ترجمته وهو ايضا معنى قول قتادة اي معنى ما نقله عنه المفسرون في تفسير
هذه الآية من انه صدر منه بعض امور قبل النبوة وان لم يكن ذنبا حقيقة وقيل معناه
اي معنى وضع وزره عنه انه حفظ قبل نبوته منها وعصم اي حفظه الله عن الاتصاف
به راسا وابتداء وهو وجه حسن يتحمله اللفظ بلا تكلف ولولا ذلك اي رفعها
عنه لاثقلت ظهرك وفي نسخة ظهره والظاهر انه حقيقة ويجوز ان يكون استعارة
كما قدمناه وفيه على هذا التقدير اي لولا انا حفظناك عنها اثقلت ظهرك وهذا قول
حكى معناه السمرقندي في تفسيره وقيل في تفسيرها مما لا يبقى فيها حجة لهولاء المراد بذلك
المذكور من وضع الوزر الخ ما اثقل ظهره اي اتعبه واعياه من اعباء الرسالة جمع عب
تحمل لفظا ومعنى كما تقدم حتى يبلغها غاية لثقل المتحمل حتى يبلغه ويودي ما ثنه فانه
ما عليه الا البلاغ حكاه ابو الحسن الماوردي الشافعي وتقدم بيانه والسلمي وقيل معناه
حططنا عنك ثقل ايام الجاهلية حكاه مكي لان ايام الجاهلية كانت خلية من الدين
والامن ايام هرج ومرج فلما بعثه الله صلى الله عليه وسلم بالدين القويم سلم هو
ومن تبعه وشرح الله صدورهم بالاسلام وصفاهم من الآثام فخفت ظهورهم وسدد
امورهم وقيل معناه شغل سرك اي قلبك او خواطر قلبه وحيرتك اي تحيرك في ابتدا امرك
وطلب شريعتك اي طلبك من الله شريعة تعمل بها حتى شرعنا لك ذلك بما اوحاه
فاطمان قلبه وذهبت حيرته حكى معناه القشيري في تفسيره وقيل معناه اي معنى
ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك خففنا عنك ما حملت اي كلفت
حمل اثقاله من دعوة الخلق وتبليغ امانة الرسالة التي لم تطق حملها الجبال بحفظنا
لما استحفظت يقال استحفظه اذا استرعاه واعطاه امانة اي نحن حفظنا ما امرناك
بحفظه عليك مما عسر عليك القيام به وجعلنا لك جلدا وصبرا صير اثقاله
خفيفة عليك ولما ورد حينئذ انه اذا خففها عنه لم يكن انقض ظهره اشار لدفعه
بقوله ومعنى انقض ظهره على هذا اي كاد اي قرب من انه ينقضه اي يعيبه ويثقله

ولم ينقضه

ولم ينقضه بالفعل ويجوز على هذا ابقاؤه على ظاهره وان انقاضه بالفعل لكنه خفف
عنه اي خففنا عنك ما كان انقض وهو راجع لما قاله المص لا وجه اخر كما قيل ثم
بين وجه دفع ما ذكره لما تمسكوا به تفصيلا فقال فيكون المعنى اي معنى وضعنا عنك
الخ على قوله من جعل ذلك الوضع مصروفا لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه
وسلم وهو خبر يكون بامور فعلها قبل نبوته ونزول الوحي فيها اي اعتناؤه ببيان الله
حكمها حتى لا يكون عنده هم وغم ولكنها حرمت عليه بعد النبوة ولم يكن مكلفا بها
قبلها فعدها اوزارا بعدما حرمت عليه وخشي المواخذة بها قبل ذلك فاطلاق
الوزر عليها باعتبار ما بعد النبوة والتشريع وثقلت عليه واشفق اي خاف
منها ومن المواخذة بها لشدة مراقبته لله وخشيته له فمعنى وضعها على هذا بيان
انه غير مواخذ بها وانها لم تكن وزرا عليه يخافه او يكون معنى الوضع للوزر عصمة الله
تعالى له وحفظ خلقته بطهارة فطرته وكفايته بتطهير عنصره على التحرز من ذنوب لو كانت
اي لو وجدت وصدرت عنه لانقضت ظهره فهو امر على سبيل الفرض والتقدير لا التحقيق
والتقرير كما توهموه ولا يبعده قوله انقض مع هذا كما قيل والوزر مجاز بمعنى الذنب وعلى
ما قبله بمعنى الثقل كما في قوله او يكون من ثقل امور الرسالة عليه وما في تبليغها من المشقة
بجعل المعقول كالمحسوس ومعنى الوزر ما اثقل عليه وشق وشغل قلبه من امور الجاهلية
كما نقله انفا عن مكي رحمه الله واعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه
واسترعاه عليه من امانته كما تقدم ثم اخذ في دفع شبهة اخرى تمسك بها المجوزون
للصغاير فقال واما قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم في التخلف عنه فالعفو كالمغفرة
تقتضي ثبوت ذنب كما قالوه وليس كذلك فان ما ذكر لم يتقدم للنبي صلى الله
عليه وسلم من الله فيه نهي فيعده اي يجعله ويعتقده معصية منه بمخالفة
ما نهي عنه ولا عده وصيره الله عليه معصية يستحق اللوم عليها بل لم يعده اهل
العلم اي احد منهم معاتبة بفعل خلاف الاولى مما ليس بمعصية وغلطوا من ذهب
الى ذلك اي عدوا قول من قاله من المفسرين غلطا وهو قول منقول عن قتادة وعتب الله
على نبيه صلى الله عليه وسلم في بعض ما لا يليق وان جاز كما في قصة ابن ام مكتوم
وقوله له مرحبا بمن عاتبني الله فيه ليس بمراد هنا وان كان لا محذور فيه فلا اعتراض
على المص كما قيل قال نفطويه تقدم الكلام عليه وعلى ضبط اسمه ومعناه وقد حا
شاه الله تعالى اي برأه الله ونزهه واصل معناه جعله الله في حشا اي جانب
من ذلك اي من فعل ما يستحق عليه العقاب فضلا عن ان يجازى بمعصية ارتكبها
بل كان مخيرا اي خيره الله في امرين وهما ان شا اذن لهم في التخلف وان شا لم ياذن فقط
قال الراي العلماء من السلف وقد كان له صلى الله عليه وسلم كما علم من تتبع احواله ان يفعل
ما شاء مما يرى انه مناسب لانه اذن له في الاجتهاد كما تقرر في الاصول فيما لم ينزل عليه

فيه مشى من وحي بين حكمه فكيف انكار لانه معاتب وان لم يخير في امور شتى منها ما نخ
فيه ولا يمكن انكاره وقد قال الله تعالى له في هذه القضية فاذن لمن شيت منهم وهذا
الامر وتعلقه بالمشيته صريح في انه صلى الله عليه وسلم مخير فلما اذن لهم كما امره الله
اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم اى مما خفي عليه من امورهم او بما اسروه واستتر
من ضمايرهم وهو انه لو لم ياذن لهم في القعود والتخلف عنه لقعدوا لجزمهم بالقعود
ولو امروا بالجهاد فه واعلمه بما اوحاه اليه في هذه الاية من انه لا حرج لا وزر ولا اثم
عليه فيما فعل من الاذن لهم كما توهم من ظاهر قوله عفا لانها اشتهرت بمعنى غفر الذنب
واشار الى ذلك وليس عفا هاهنا في هذه الاية بمعنى غفر اى ستر وترك المواخذة
والمعاقبة كما هو معناه المشهور مل لها معان اخر منها ما ورد في الحديث كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابو داود والترمذي والنساى عن
على كرم الله وجهه ورضي عنه انه صلى الله عليه وسلم قال عفا الله لكم عن صدقة
الخيل والرقيق فهاتوا صدقة الرقة الحديث الا ان الذى رواه هولا قد عفوت عنكم
زكات الخيل والرقيق والمص رواه بلفظ اخر وقف عليه ومثله لا يقرع له العصا
فاندفع قول من قال لم اقف على هذه الرواية ولم تجب عليهم قط لان زكاة الخيل
والرقيق لم تجب على مسلم قط حتى يكون العفو معناه اسقاط الوجوب كما انه ترك
عقوبة لازمة هنا اى فالمعنى انه لم يلزمكم ذلك اى زكاة الخيل والرقيق ونحوه
معزو للقشيري رحمه الله قال اى القشيري وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب
كما هو متعارف مشهور من لا يعرف كلام العرب فيقف على معانيه الواردة في كلامهم
كعدم اللزوم الذى سمعته في الحديث الوارد في كلام افصح العرب واصل معنى العفو
الترك وعليه تدور معانيه فيستقيم في كل مقام ما يناسبه فعفوا لذنب ترك
العقاب عليه وعدم الزام الزكاة ترك لها قال ومعنى عفا الله عنك في هذه الاية
لم يلزمك ذنبا فيما فعلته من الاذن قال الداودى رحمه الله من ايمة الحديث وتقدمت
ترجمته روى انها اى قوله عفى الله عنك كانت تكرمة من الله في خطاب نبيه عليه الصلاة
والسلام اى تعظيما وتكريما بيدئ به الكلام ونحوه ما قال مكى هو استفتاح كلام
يوقعونه في اول خطابهم مثل اصلحك الله واعزك هي جملة دعايته يبدون بها الكلام
اكراما لمن يخاطبونه وهو عادة اهل الترسل في مكاتباتهم وهو قريب مما قبله بل معناهما
واحد وهو ملاطفة في المحاورة تدعوا الاستماع حتى كانه باستماعه مستحق للدعا له
والقران جا على اساليب كلام العرب فهي جملة دعايته قصد بها اكرام المخاطب
وحكى السمرقندى ان معناه عافاك الله قيل اخره لضعفه لبعد احدهما عن الاخر لفظا
ومعنى فكانه غلط في المادة وهو من سوء الفهم لان الراغب قال العفوت عنك قصدة
ازالة ذنب وصرفه عنه ومعفوله متروك لانه متعد في الاصل يقال عفاه واعفاه

وقولهم

وقولهم في الدعا اسالك العفو والعافية اى ترك العقوبة والسلامة من البلا وعفا
النبت والشعر زاد انتهى فهذه الجملة اذا قصد بها الدعا اكراما كان معناها
قواك الله حتى لا تبالى بمن تخلف عنك من عفا النبت والشعر اذا قوى وعافاك الله
تعالى في الدعا بمعنى قواك الله لان القوى لا يكون مريضا وقال الجوهرى عافاه الله
وعفاه بمعنى وهو دفاع الله عن العبد ما يكره فسقط ما قيل انه لا يساعده اللغة
كيف يعترض على هذا ولا يعترض على تفسيره باصلحك الله واعزك فتدبر واما قوله
اى قول الله تعالى الذى استدل به من جوز الصغاير عليهم في اسارى بدر اى في حقهم
واسارى جمع اسير وهو معروف وبدر اسم محل وقعت فيه تلك الغزوة المشهورة سميت
بدر من قريش وهو الذى احتفر بها بيرا ثم سمى به مكانها وكان صلى الله عليه وسلم
اسر من كبار قريش نحو سبعين رجلا كالعباس وعقيل كما فصل في السير فاستشار
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم الصحابة فاشار عمر رضي الله عنه بقتلهم كما مر فانه قلما
يظفر بمثلهم فتضعف شوكة المشركين وقال ابو بكر رضي الله عنه تاخذ منهم فدية
نتقوى بها وتمن باطلاقهم لعل الله يهديهم بعد ذلك فاعجب رسول الله صلى الله عليه
وسلم رأيه وعمل به فانزل الله فيهم ما كان لنبى ان تكون له اسرى الايتين والاسير
فعيل بمعنى مفعول من الاسر واصله شي يشد به الاسير ولذا يقال اخذه باسره اذا اخذه
جملة ومعنى يثخن في الارض يكثر القتل وقيل معناه يتمكن في الارض وما كان نفى الكون وجا
بمعنى لا يليق ولا ينبغي كما ياتي وبه فسره المستدل بهذه الاية على ان اخذ الفدية قبل قتل
كثير من اعدايه ذنب عاتبه الله عليه وهذه القضية مشهورة في السير والتفاسير فلا حاجة
للتطويل بايرادها فليس فيه اى فيما ذكر في الايتين الزام ذنب له صلى الله عليه وسلم
ومعصيته صدرت منه باختيار الفدية التى لم تحل له كما فهمه المستدل به بل ما ذكر
فيه بيان ما خص به اى جعله الله من خصايصه تكريما له وفضل به من بين ساير الانبيا
وبقيتهم فكانه عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ما كان لنبى غيرك اى لم يقع هذا
الذى خصصت به من احل اخذك الفدية مما اسره لنبى من الانبيا السالفة غيرك فانه احل لك
وخيرك الله فيه بين الفدا والقتل ونظيره من خصايصه التى لم تكن لنبى قبله ما بينه
بقوله كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح احلت لى الغنايم وروى المغانم
ولم تحل لنبى قبلى والمستدل به يقول معناه ما كان لنبى اصلا لا انت ولا غيرك اخذ الفدا
قبل كثرة قتل اعدا دينه فهو مخالفة لما شرعه الله والمص رحمه الله قال ليس معناه هذا
حتى يتم الدليل وقال الخطابى من كان قبله صلى الله عليه وسلم من الانبيا على ضربين
منهم من لم ياذن له في الجهاد فلم يكن له غنايم ومنهم من اذن له فيه ولم تحل له الاكل
من الغنايم فكانت تنزل عليه من السما نار تحرقه وكان له التصرفات فيها وفي الصدقات
كيف شا الا انه قيل ليس في الاية ما يدل على ما قاله المص بخلاف الحديث وهو قوى

فى الصحيحين عن جابر رضى الله عنه ولك ان تقول ان الغدا فى معنى الغنايم لانه مال ماخوذ
من الكفرة فذكره للحديث اشارة الى انه مؤيد لهذا التاويل وفى المسايل الاربعين
للرازى العتاب وقع هنا على تركه الاولى لان الافضل فى ذلك الوقت الاثخان وترك
الغدا قطعا للاطماع ولولا انه من باب الاولى ما فوضه صلى الله عليه وسلم لاصحابه
وقال القرافى فى حاشيته عليه المسماة بالتنقيد انه وقع فى الحديث ان عمر رضى الله
عنه دخل عليه وهو وابو بكر يبكيان فقال ما يبكيكما فقال صلى الله عليه وسلم
عرض على عذابكم ادنى من هذه الشجرة والاولى لا عذاب فى تركه ولتفويضه للصحابة
لان الاجتهاد كما يقع فى الاولى يقع فى الواجب بل لو استدل بهذا على انه على مراتب
الوجوب لم يبعد لانه لم يكتف فيه باجتهاد نفسه فالصواب انه فوض له الاجتهاد
فى امر الاسارى ففوضه لاصحابه فافتى عمر رضى الله عنه بالقتل وكان هو المصلحة
وهو من احدى موافقاته واجتهد الصحابة بما لم يرد للمصلحة فخلص عمر ولم يواخذ النبى
صلى الله عليه وسلم لبذل جهده فى اجتهاده فله اجر ولذا قال فيهم عذاب فوقكم
دون عذابى لخروجه من موجب العقاب ببذل جهده والى هذا ذهب فحول العلم
وجمع بين ظاهر الاية وما يجب لمقامه صلى الله عليه وسلم من العصمة انتهى وهو
حسن جدا واحسن مما اختاره المص فان قيل فما معنى قوله تريدون عرض الحياة الدنيا
الاية سوال وارد على ما اختاره من انه امر اختص به بانه لو كان كذلك ما عوتب
عليه بما ذكر من انهم رجحوا اخذ الغدا وهو مال غاد ورايح وعرض فان فانه لا ينبغى النظر
اليه قيل فى الجواب عنه المعنى بكسر النون وتشديد اليا اى المقصود بالخطاب فى قوله
تريدون لمن اراد ذلك اى عرض الدنيا منهم اى من الصحابة الحاضرين الوقعة وتجرد اى
خلص وتمحض عرضه بمعجمتين اى قصده لعرض الدنيا بمهملتين وبينه وبين العرض
تجنيس وجده اى منفردا عن قصد ثواب الاخرة وهو موكد لما قبله والاستكثار منها
باخذ ما ينال له وليس المراد بهذا الخطاب النبى صلى الله عليه وسلم لشرف نفسه
عن النظر لها ولا عليه بكسر العين ولام ساكنة بعدها يا مخففة جمع على معا كفتية
جمع فتى وصبى وصبية وقيل انه اسم جمع اصحابه اى كبار الصحابة كابى بكر وعمر
وغيرهم ممن حضر الوقعة وقد علمت مما قرره القرافى انه صلى الله عليه وسلم ليس
معاتبا ولا مخاطبا هنا اصلا وانه هو التحقيق ثم ايد كون الخطاب ليس لهؤلاء بما
روى فى سبب نزوله فقال بل اضراب انتقالى قد روى عن الضحاك انها اى اية تريدون
الخ نزلت فى امر اخر غير الغدا فلا يرد السوال راسا وذلك حين انهزم المشركون يوم
بدر واشتغل الناس اى بعض منهم بالسلب بسين مهملة ولام مفتوحتين
ما يستلب اى يوخذ من القتيل من لباسه وما معه وقد بينه الفقها واختلفوا
فيمن يستحقه بمنزله حق فى الغنيمة او القاتل مطلقا او ان شرطه الامام كما فصلوه

والسلب

344

والسلب ايضا شجر تتخذ منه حبال ولذا سميت العامة الحبال سلبا كما فى بعض كتب اللغة
وجمع الغنايم عن القتال لتعلق باشتغل حتى خشى عمر رضى الله عنه اى خاف على
المسلمين ان يعطف اى يرجع كارا عليهم اى على المشغولين بما ذكر العدو الذين
انهزموا والعدو يقع على الواحد وغيره وكثيرا ما يقع فى العساكر ضرر عظيم بمثل
هذا وعمر رضى الله عنه ادرى بذلك ثم قال تعالى فى هذه الاية والقصة لولا كتاب
من الله سبق تقدم على هذه القضية وتقدم بيان المراد بالكتاب هنا وسياتى ايضا
واختلف المفسرون فى معنى هذه الاية والمراد منها فقيل معناها كما نقله الطبرى
ما قاله محمد بن على بن الحسين ابن على بن ابى طالب لولا انه سبق منى اى من الله فيما
اوحاه لنبيه صلى الله عليه وسلم انى لا اعذب احدا الا بعد النهى وتحريم اخذ
فدا العذبتكم على ما فعلتم من اخذ الغدا لانه لو كان منهيا عنه محرما استحق مخالفه العذاب
فالمراد بالكتاب حكم الله الذى كتبه وقدره فهذا التفسير نفى ويمنع ان يكون امر الاسرا
اى فديتهم معصية لانه لم ينه عنه ولم يحرم فلا دليل فى الاية لما مر وعلى هذا التفسير
يكون هذه الاية مخصصة لنحو قتلوا المشركين فلا وجه للاعتراض به على ما ذكره
المص وقيل المعنى المراد من هذه الاية لولا ايمانكم بالقران وهو المراد بالكتاب السابق
فى قوله لولا كتاب من الله سبق وقدروا الايمان فى النظم لان ذات الكتاب لا تمنع العذاب
الا بالايمان بما تضمنه من هذه الاحكام فاستوجبتم اى استحقيتم به الصفح اى
العفو وعدم المواخذة لعوقبتم على اخذكم الغنايم وما هو فى حكمها من الغدية وهذا
حكاه ابن عطية فى تفسيره وليس فيه تحصيل الحاصل كما توهم لما سياتى ويزاد بزاى
معجمة فعل مجهول من الزيادة هذا القول تفسيرا وبيانا وايضاحا بان يقال فى تقرير
المعنى لولا ما كنتم مؤمنين بالقران بحقيقته وحقيقة ما فيه من الاحكام وما مصدرية
وقوله وكنتم ممن احلت لهم الغنايم معطوف على ما قبله لعوقبتم كما عوقب من تعدى بفتح
التا الفوقية والعين والدال المهملتين المشددة ذاله قبل الالف فعل ماض والكتاب
على هذا بمعنى القران وسبقه لعدمه فى الازل ولتقدم ما نزل وحكم الله الذى كتبه
وقدره وحاصله انه لولا ان الله انزل القران وما فيه من الاحكام واحل لكم فيه الغنايم
لمسكم العذاب وحل بكم العقاب كما عوقب من قبلكم من الامم لما تجاوزوا الحدود
وتعدوا ما نهاهم الله عنه وهو امتنان وتشريع وامتنان عليهم بما احله لهم ولم يضيق
عليهم كما ضيق على الامم السابقة او هو ردع لمن اشتغل بالغنايم والسلب فقد
روى انه لما كان يوم بدر تعجل الناس الى الغنايم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الغنيمة لا تحل لاحد سود الوجوه غيركم وكان النبى واصحابه اذا غنموا
الغنيمة جمعوها فنزلت نار من السما فاكلتها فانزل الله تعالى لولا كتاب من الله سبق
الايتين واخرجه الترمذى وقال صحيح حسن ووقع فى الشرح الجديد هنا مواخذة

على ما في الكشاف هنا مع ما فيها لامساس لها بالمقام ناشيته من عدم التدبر وقيل معناه
لولا انه سبق في الازل في اللوح المحفوظ الذي كتب فيه كل ما هو كاين الى يوم القيامة انها
اى الغنايم حلال لكم الانتفاع بها والتصرف فيها لعوقبتم على اخذها فهذا المذكور في التفاسير
كله ينفي الذنب والمعصية فيما فعله باسرى بدر لان من فعل ما احل له على ما وجهه به
لم يعص الله ولم يعد ما صدر منه معصيته حتى يستدل بما ذكر فيها على تجويز الصغاير
عليهم ومما هو صريح في حكم ما اشار اليه بقوله قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم اى
من غنايمكم حلالا طيبا فكلوا بمعنى انتفعوا به وليس المراد خصوص الاكل وذكر
لكثرته وغلبته على غيره من الانتفاع واستدل بهذا على ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة
وعليه الاكثر والقايل بان الاصل فيه الوجوب يجيب عنه كما فصل في الاصول وفي الكشاف
وتبعه القاضي في قوله لولا كتاب من الله سبق الخ قيل لولا ما شا الله من ان سيحل لكم
الفدية واعترض عليه بانه يقتضي انه صلى الله عليه وسلم لم يعلم بحل الغنايم له
حين ذهب لبدر والظاهر انه انما اقدم على ذلك ورغب فيه بعد علمه بحله له ولم يخرج
لبدر الا طالبا للغنيمة ولولا ذلك لم ياخذ عير قريش وهو وهم منه فانه لا يلزم من علمه
بحل الغنيمة علمه بحل الفدية وان كانت في حكمها وقد اورده على قوله لولا انه سبق
اللوح المحفوظ الخ وهو غير وارد لان المعنى لو لم تحل لكم الغنيمة وهو يقتضي حل
الفدية فتامل وقيل بل كان صلى الله عليه وسلم قد خير في ذلك اى في اخذ الفدية
من الاسرى وفي قتلهم فلما اخذها قيل له كان الاولى خلافه لكن بكاؤهما السابق
ورويته صلى الله عليه وسلم دنو العذاب منهم يأباه كما تقدم ويدل على انه مخير في ذلك
انه قد روى عن على رضي الله عنه انه قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم
بدر فقال خير اصحابك في الاسارى ببدر ان شاؤا القتل وان شاؤا الفدية اى
اخذ الفدية والمال منهم على ان يقتل منهم في المعام المقبل والسنة التي تلي هذه السنة
اى ان الله قدر عليهم ان اخذوا الفدية يقتل من الصحابة مثلهم اى بعددهم فقالوا
نختار الفدا ويقتل منا مثلهم رغبة في الشهادة وهذا المذكور كله دليل على صحة
ما قلنا من انهم لم يفعلوا في وقعة بدر من اخذ الفدية الا ما اذن لهم فيه اى جوزه لهم
فلا ذنب ولا معصية لكن بعضهم اى بعض الصحابة الذي استشارهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم في ذلك مال الى اضعف الوجهين من الفدية دون القتل
باجتهاد منه والاجتهاد يجوز من الصحابة بحضرته صلى الله عليه وسلم كما صححه
اهل الاصول مما كان الاصلح للاسلام والمسلمين غيره وهو القتل وبينه بقوله
من الاثخان والقتل الذي هو اعز الوجهين فاختاروا الاول لما خيروا فعوتبوا على
ذلك من اختيار غير الاصلح وبين لهم ضعف اختيارهم الفدية وصوب اختيار
غيرهم وهو ما اختاره الفاروق وكلهم غير عصاة ولا مذنبين لان كلا منهم

قال بما

قال بما اداه اليه اجتهاده ظانا ان الخير فيه والى نحو هذا اشار الطبرى رحمه الله
وانما وبخوا وخوفوا وقوع العذاب بهم لان المخوف منهم من تجرد نظر للكمال في العاجل
مثل الصديق رضي الله عنه ممن فعله شفقة على قومه ورجا ان الله يهديهم للاسلام
ويعز بهم الدين في الاجل وقد حقق الله رجاه فلا اعتراض على هذا بانه لو كان كذلك
ما وقع توبيخ شديد ومن طالع السير وما وقع في هذه الغزاة علم هذا وتحققه وقوله
صلى الله عليه وسلم في هذه القصة لو نزل من السما عذاب ما نجا منه الا عمر
جواب عن سوال ورد على ما قرره من انهم غير عصاة ولا مذنبين وهو انه اشارة الى هذا
من تصويب رايه اى عمر رضي الله عنه ورأى من اخذ بما اخذه اى وافقه فيما قال في اعزاز الدين
وغيظ الكفرة بايقاع القتل بروسهم وارهاب قلوبهم في اول وقعة وقعت بينهم واظهار
كلمته بان تكون كلمة الله ورسوله هي العليا وتكون ظاهرة شايعة وابادة عدوا اى اهلاكه
وافنائه لان الاسرى كانوا عظما ايمة الكفر فلو قتلوا لم يكن لهم عمود بعده وان هذه القضية
اى قضية اسرى بدر واخذ الفدية منهم واطلاقهم لو استوجبت عذابا اى اقتضت
وقوع العذاب بمن فعلها لمخالفتها لامر الله نجا منه اى من العذاب الذي اقتضته
عمر لانه رضي الله عنه لم يرض به ولم يره رايا صحيحا ومثله اى ونجا مثله ممن كان على
رايه وهو سعد بن معاذ رضي الله عنه كما ورد في الحديث وعين عمرا اى خصه بالذكر مع
ان جماعة منهم كانوا على رايه لانه اول من اشار بقتلهم جوابا لقول النبي صلى الله
عليه وسلم له كما في صحيح مسلم ما ترى يا ابن الخطاب فقال ما ارى راى ابي بكر
ولكني ارى ان تمكنا فنضرب اعناقهم الحديث ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك اى في مقابلة
رايهم بالفدية لحله لهم اى لان الله احله لهم وخيرهم فيما سبق هذه الواقعة وقال الداودى
تقدمت ترجمته والخبر بهذا لم يثبت اى لم يثبت المنع من اخذ الفدية لا الحديث الذي
فيه ما راه عمر وغيره ولو ثبت هذا لما جاز ان يظن ان النبي صلى الله عليه وسلم يحكم
بما لا نص فيه بوحي نازل عليه ولا دليل يدل على ما حكم به مستنبط من نص سبق
باجتهاده ولا جعل الامر فيه من الله مفوضا اليه فانه وقع التفويض اليه صلى الله
عليه وسلم في امور اذن له بالحكم فيها بما كما صح جوابه وقد نزهه الله عن ذلك
بقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى والاجتهاد والتفويض بوحي يوحى وقال
القاضي بكر بن العلا امام مذهب مالك كما تقدم اخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم
صلى الله عليه وسلم في هذه الاية النازلة في اسرى بدر ان تاويله الذي قبله من ابي
بكر رضي الله عنه في اختيار عدم القتل وافق ما كتب له اى حكم به وجوزه بقوله
لولا كتاب من الله سبق في علمه وحكمه من احلال الغنايم لهم واحلاله لهم اخذ الفدا او
كيف لا تكون الفدية حلت لهم قبل هذا وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
قبل هذا اى غزوة بدر فادوا اى اخذوا الفدا من المشركين في سرية عبد الله بن

بجحش التي قتل فيها ابن الحضرمي لما مرت عير لقريش بتجارة من الطايف ومع العير عمرو بن عبد الله
الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله ونوفل بن عبد الله والسرية قطعة
من السرى وهم ناس يرسلون للعدو من خمسة الى الثلثماية او اربع ماية ولم يعين ابو حنيفة
عدد الاقلهم وقال ابو يوسف سبعة فصاعدا وقال الماوردي يطلق على الواحد سرية
والظاهر انه مجاز فلا بد من عدد له منعة وعبد الله بن جحش هو ابن رياب بن يعمر
الاسدي وامه اميمة بنت عبد المطلب عمته صلى الله عليه وسلم اسلم قبل
دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم وهو من المهاجرين الاولين واستشهد
باحد ودفن عند حمزة رضي الله عنه وسريته كانت في رجب في السنة الثانية او في جمادى
الاخرة ومعه ثمانية من المهاجرين او اثنى عشر هو اميرهم ومن ثم سمي امير المومنين ويعرف
بالمجدع في الله لجدع انفه واذنيه باحد وكان دعا الله بذلك وكانت السرية قبل
بدر بشهر او اكثر كما سياتي وبعث ليترصد عير قريش فساروا حتى نزلوا ببطن نخلة
بين مكة والطايف فرمى واقد بن عبد الله الصحابي عمرو بن الحضرمي فقتله فكان
اول قتيل من المشركين واستاسروا الحكم وعثمان وكانا اول اسير في الاسلام وافلت
نوفل فقدموا المدينة بالعير والاسيرين فاسلم الحكم وافتدى اصحابه عثمان بن
عبد الله ورجع لمكة فمات بها كافرا وقد فدى نفسه بالحكم بن كيسان وصاحبه
عثمان بن عبد الله فالبا متعلقة بقوله فادوا لا بقوله قتل لان المذكور هنا ان الحكم بن
كيسان مولى هشام ابن المغيرة المخزومي اسر في هذه السرية اسره المقداد بعد قتل ابن
الحضرمي فاراد عبد الله بن جحش ضرب عنقه فقال له المقداد دعه نقدم به على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما قدم به اسلم وحسن اسلامه وقتل ببير معونة وسياتي
تفصيله ثم ما عقب الله عليهم اي على النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة في اخذ الفدية
فلو كانت ممتنعة وتجهط الله على ذلك والمراد بالعتاب التوبيخ والانكار مجازا عن لازم
معناه اذ معناه لا يليق به تعالى لانه يستعمل فيما بين الاقران وانما عبر به ليشمل خلاف
الاولى فذلك اي ما وقع من الفدا في تلك السرية كان قبل بدر اي قبل وقعتها بازيد
من عام كذا في النسخ وهو سهو لان بدرا الاولى وقعت في ربيع الاولى بعد ثلاثة عشر
شهرا من الهجرة فتكون هذه الوقعة في سنة اثنين من الهجرة ثم في رجب بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذه السرية ثم رمضان من هذه السنة وقعت غزوة بدر
الكبرى فبين هذه السرية وغزوة بدر نحو ثلاثة اشهر فكان المص توهم ان هذه السنة
سنة ثانية وليس كذلك وحاصل قصة هذه السرية انه صلى الله عليه وسلم
بعث عبد الله بن جحش ومعه ثمانية رهط من المهاجرين وكتب له كتابا وامره ان لا
يقراه حتى يسير يومين وان لا يستكره من اصحابه احدا ففتحه بعد يومين فاذا
فيه اذا نظرت كتابي فامض حتى تنزل بنخلة بين مكة والطايف فترصد بها قريشا

وتعلم

وتعلم خبرهم فلما قراه قال سمعا وطاعة واعلمهم بما في كتابه صلى الله عليه وسلم
فلم يخالفوه وسلك الى الحجاز فلما كان بنجران اضل سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا
لهما فتخلفا في طلبه فمضى ابن جحش واصحابه حتى نزلوا بنخلة فمر بهم عير لقريش فيها عمرو
بن عبد الله ابن الحضرمي وعثمان بن عبد الله واخوه نوفل والحكم بن كيسان مولى هشام
ابن المغيرة فلما راهم القوم هابوهم ونزلوا قريبا منهم فاشرف عليهم عكاشة ابن محصن
وقد حلق راسه فقالوا عمار لا باس عليكم منهم وذلك في اخر يوم من رجب ثم تشاوروا
فقالوا ان تركتموهم الليلة دخلوا الحرم فامتنعوا به وان قتلتموهم في الشهر الحرام ثم
اجتمعوا على قتل من قدروا عليه واخذ ما معهم فرمى واقد بن عبد الله التميمي ابن الحضرمي
بسهم فقتله واستاسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان واعجزهم نوفل بن عبد الله
واقبل ابن جحش واصحابه بالعير والاسيرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
ان ابن جحش قال لاصحابه ان لرسول الله مما غنمنا الخمس وذلك قبل ان يفرضه الله فقسم
ذلك بين الصحابه وقال ابن اسحاق انهم لما قدموا عليه صلى الله عليه وسلم قال ما
امرتكم بقتال في الشهر الحرام ووقف امر العير والاسيرين ولم ياخذ من ذلك شيا فندم
المسلمون على ما فعلوا وقالت قريش استحل محمد واصحابه الشهر الحرام بسفك الدم
واخذ المال والاسر فقال المسلمون بمكة انما وقع ذلك في شعبان فلما اكثر القيل والقال
انزل الله تعالى يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه الاية ففرح المسلمون بذلك وقبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسيرين وبعثت قريش في فدا عثمان بن عبد الله
والحكم بن كيسان فقال صلى الله عليه وسلم لا نفديهما حتى يقدم صاحبانا يعني ابن ابي وقاص
وعتبة بن غزوان لخشيته ان تقتلهما قريش بمن قتل منهم فلما قدما فداهما فاما الحكم بن
كيسان فاسلم وحسن اسلامه حتى استشهد ببير معونة واما عثمان فلحق بمكة ومات
كافرا وهذا المذكور كله يدل على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شان الاسرا
من الفدا وما وقع معه كان على تاويل باجتهاد منه صلى الله عليه وسلم ومن الصحابة
وبصيرة بالنظر الصحيح في انه فيه اعانة ورجا لان الله يهديهم في الاجل الى الاسلام
وكان كذلك وهو جار على ما قد تقدم قبل اي قبل بدر مثله من وقوع الفدية في سرية ابن جحش
ولم يعاتبوا عليه فلم ينكره الله تعالى عليهم كما بيناه انفا لكن الله تعالى اراد بقوله
تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى لعظم امر بدر وانما ما كسر شوكة المشركين
وارعب قلوبهم فلو زادوا ذلك بقتل من اسروه كان اتم وكثرة اسراها الواقعة فيها
الواقعة فيها بما اداه اجتهادهم اليه اظهار نعمته مفعول اراد اي ظهورها على المسلمين
وانهم لو تركوا الفدية اغناهم الله عنها وتاييد منته عليهم بتعريفهم ما كتبه وقدره
في اللوح المحفوظ بقوله لولا كتاب من الله سبق على احد الوجوه المتقدمة واللوح
المحفوظ مبين في كتب الحديث والتفسير من حل ذلك لهم اي كونه حلالا ماذونا

فيه لهم لا على وجه عتاب اي لم يذكره للوهم بل لبيان شكره ونعمته وانكار عليهم في اختيار الغفلة
او تقذيب اي نسبتهم لذنب ارتكبوه بما فعلوه هذا معنى كلامه اي كلام القاضي بكر بن
العلا وهو الذي اختاره المص خلافا لمن قال ان الحق انه عتاب من الله واقتضاه بعض
الشراح هنا وقال ان ذلك تكلف لا ينبغي ارتكابه واما قوله تعالى عبس اي كلح وجهه وتولى
اعرض بوجهه الاية اي مما يشعر به ظاهرها من انه صدر عنه صلى الله عليه وسلم ما استحق عنه حم
عليه العتاب واستدلال بعضهم بهذه الاية والقصة على تجويز الصغاير عليهم كما تقدم
اجمالا فليس فيها اثبات ذنب له صلى الله عليه وسلم ولا تجويزه عليه كما توهم من استدل
بها على ذلك بل اعلام له صلى الله عليه وسلم ان ذلك المتصدى بصيغة اسم المفعول
ونايب فاعله قوله له اي اقبل عليه وتوجه له واصله مقابلة الشي كما يقابله الصدى
وهو الصوت الراجع اليه من جبل ونحوه كما قاله الراغب وفي التعبير به نكتة وهي ان كلام
هولا لا عبرة به كما قال المتنبي   انا الطاير المحكي وغيري هو الصدا ممن لا يتزكى اي لا
يسلم فيطهره الله من دنس الشرك فان الصواب والاولى والاليق به صلى الله عليه وسلم
ما لو كشف لك حال الرجلين اي ابن ام مكتوم ومن كان عنده من المشركين واقتصر على الا
قل والا فالكفرة كانوا جماعة كما تسمعه الاقبال على الاعمى دون غيره والاعمى هو عبد الله
بن شريح ويقال عمرو بن ام مكتوم واسم ام مكتوم عاتكة بنت عامر بن مخزوم وعمرو هذا
هو ابن قيس بن زيد بن الاصم والذي تصدى له جماعة من كبار المشركين بمكة اختلفوا فيهم
فقال مجاهد كانوا ثلاثة عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابي بن خلف وزاد بعضهم ابا جهل
والعباس وامية بن خلف والوليد بن المغيرة وكان صلى الله عليه وسلم يرجوا اسلامهم
واسلام غيرهم وقد قدمنا عن القرطبي ان هذا باطل وجهل ممن قاله لان امية ابن خلف
والوليد كانا بمكة وابن ام مكتوم كان بالمدينة لم يحضر معهم وما تا كافرين احدهما
مات بمكة والاخر ببدر ولم ياتيا المدينة   وتقدم انه شُنِّعَ على القرطبي فيما قاله فان
سورة عبس مكية وابن ام مكتوم اسلم قديما بمكة قبل الهجرة وكان مع النبي بمكة او المدينة
وهاجر قبل النبي صلى الله عليه وسلم مع مصعب بن عمير رضي الله عنه فكيف يُجَهِّل
من نقل هذه القصة من كبار المفسرين ثم اشار الى ان ما فعله صلى الله عليه وسلم ليس
ذنبا بل فعلا حسنا لانه تبليغ للرسالة ولطف في الدعوة بالاقبال على من كان من اهل
العناد والكبر فاعلمه بحال الفريقين فقال وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل
من التصدى وما معه الذي اشار اليه بقوله وتصديه لذلك الكافر تقدم وجهه او ذي
كان طاعة لله وتبليغا عنه فما فعله صلى الله عليه وسلم كان لازما له واستيلافا له
اي استمالة للكافر وتاليفا له رجا الاسلامه كما شرعه الله له وفرضه عليه بامره
بالتبليغ ولين الجانب لمن يدعوه لا معصية كما زعمه من تقدم ومخالفة له اي لما شرعه الله
وما قصه الله عليه في هذه السورة اعلام بحال الرجلين المذكورين وتوهين امر الكافر

عنده

عنده اي تضعيف وبيان لحاله لانه لا مقدار له يعتد به واشارة الى الاعراض عنه
347 بقوله وما عليك ان لا يزكى لان معناه لا باس عليك من امره فلا تلتفت اليه والضمير
في قوله وما يدريك لعله يزكى لابن ام مكتوم وقيل ضمير لعله للكافر يعني انك اذا طمعت
في ان يتزكى بالاسلام او يذكر فتنفعه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك اي ما طمعت
في ان يتزكى بالاسلام كاين والاول هو الاولى لان ما في القران من يدريك فهو مما
اعلمه الله به وما فيه من ادراك لم يعلمه به وايضا فالكافر لم يسبق له ذكر صريحا
ولا ضمنا وقوله وما عليك ان لا يزكى يريد انه لا باس عليك بعدم اسلامه فحرصك
على اسلامه الحامل لك على الاعراض عن غيره تطييبا لخاطره الاولى تركه لانه ما عليك
الا البلاغ وقد فعلت وقد تقدم تتمة لهذا فتذكره وقيل المراد بقوله عبس وتولى
الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المجلس قاله اي هذا القول
ابو تمام الشاعر صاحب كتاب الحماسة على ما ياتي وهو قول في غاية الضعف بعيد
من السياق والذي عليه المفسرون انه النبي صلى الله عليه وسلم وفي القا الكلام
له بدون الخطاب اكرام له صلى الله عليه وسلم عن ان يواجه بالعتب لا مبالغة
في العتب لان فيه بعض اعراض كما قاله ابن عطية واما قصة ادم عليه الصلاة
والسلام والاستدلال بها على تجويز الصغاير على الانبيا عليهم الصلاة والسلام
وقوله تعالى فاكلا منها اي من الشجرة بعد قوله له ولزوجته حوا ولا تقربا هذه الشجرة
فتكونا من الظالمين المخالفين لامر الله ونهيه وقوله تعالى الم انهكما عن تلكما الشجرة
شجرة الكرم او التين وغيرهما كما بينه المفسرون وتصريحه تعالى بالحا المهملة وضمنه
معنى الندا فعداه بعلى في قوله عليه بالمعصية بقوله وعصى ادم ربه فغوى اي
ضل عما بينه له وقيل معناه جهل وقيل اخطا فان الله تعالى قد اخبر بعدم جواب ما
وهو جواب عما استدلوا به لانه ارتكب معصية وذنبا بقوله ولقد عهدنا الى ادم
اي اخذنا عليه وثبتنا له ما يلزمه فتركه من قبل اي قبل اكله من الشجرة فنسي العهد
المتقدم ولم نجد له عزما ثابتا على ما عهد اليه لان العزم توطين النفس على فعل
او ترك وقيب سنه تفسيره بالصبر الاتي وعلى هذا فالذي نسيه هو نهي الله له
عن الاكل من الشجرة وفعله ناسيا لا يكون ذنبا لعدم المواخذة به وفيه انه لو كان
كذلك ما جازاه الله باخراجه من الجنة ونزع لباسه وقيل انه ذكر تسلية للنبي
صلى الله عليه وسلم عن عصيان قومه لان مثل ادم اذا عصى ربه فما بالك بغيره
وقال ابن عطية انه ضعيف لان جعل ادم مثلا للكفار لا ينبغي والذي راه
انه ابتدا قصص وانه لما عهد له صلى الله عليه وسلم ان لا يعجل بالقران فنسي
سلاه بانه سبق مثله لادم فعفي عنه فلا لوم عليه ثم ذكر وجها اخر فقال قال ابن
زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن اسلم كما تقدم في ترجمته نسي عداوة ابليس له لحسده

على جعله تعالى خليفته قيل وكان النسيان يواخذ المكلف به ثم عفى الله عنه كما يأتي
وبهذا علم الجواب عما تقدم ونسي ما عهد الله اليه من ذلك اي من كون ابليس عدو الله
ولزوجه وولده بقوله ان هذا عدو لك ولزوجك الآية وحذره منه كما قصه في قصته
وبينه المفسرون قيل نسي ذلك المذكور من عداوته بما اظهر لهما اي لادم وزوجه من النصح
فدلاهما بغرور وقال ابن عباس رضي الله عنهما انما سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه
فنسي واصله انسيان ووزنه افعلان قلبت ياوه الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها
وحذفت الهمزة لالتقا الساكنين فالهمزة زايدة ولامه محذوفة وقيل انه من الانس
ووزنه فعلان وانما ذكر هذا توجيها للقولين المذكورين فلا وجه لما قيل انه لم يقع
موقعه لعدم مناسبته لما قبله ويدل لقول ابن عباس ان تصغيره انيسيان ولذا قيل
كما تقدم وان اول ناس اول الناس وقلت ومن لم يكن ينسى الضغاين والذي
تقدم من حقد فليس بناسي وقيل في توجيه ما صدر من ادم عليه الصلاة والسلام
انه لم يقصد المخالفة لما نهاه عنه استحلالا لها اي لعدها حلالا حتى لا يكون ذلك معصية
ولكنهما ادم وزوجه اغترا بحلف ابليس لهما اي قسمه وقوله والله اني لكما لمن الناصحين في
تحسينه الاكل لهما من الشجرة وتوهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا مخالفا للواقع وقد روي
عذر ادم اي اعتذاره عما صدر منه بمثل هذا المذكور من ظنه صدقه لاقسامه لهما
في بعض الاثار المروية عن السلف او الاحاديث وذلك انه راهما في الجنة ونعيمها فبكى
فقالا له ما يبكيك قال رحمة لكما لزوال هذا النعيم عنكما فقالا فماذا يكون ما نعا من زواله
فزلهما بتاويله النهي وقسمه على ما قال له قالوا وهو اول من وقع منه الحسد والكذب
في اليمين وقال ابن جرير حلف بالله لهما حتى غرهما وخدعهما بان الاكل ليس فيه مخالفة لما
نهى الله عنه والمؤمن يخدع مبني للمفعول اي من شانه انه يخدع بتصديق من غره لسلامة
صدره وظنه ان احدا لا ينافق ولا يكذب وليس هذا لقلة اذعانه بل لانه لكونه لا يفعل
ذلك يعتقد ان غيره مثله ولذا قيل ان الكريم اذا خادعته انخدعا وقد قيل في توجيه
ذلك ايضا انه نسي ولم ينو المخالفة للعهد الذي عهده الله له والنسيان مغتفر وفي تفسير
الثعلبي ان النسيان كان مواخذا به لنشاته عن اسباب اختيارية ثم نسخ ذلك فلذلك قال
الله تعالى ولم نجد له اي لادم عليه الصلاة والسلام عزما اي قصدا للمخالفة لله
فيما نهاه فان العزم التصميم على فعل او ترك وهو مستلزم ما ذكر وتقدم فيه تفاسير اخر
واكثر المفسرين على ان العزم معناه المراد منه هنا الجزم وهو الاخذ بما فيه سداد بعد
النظر التام فيه والصبر حتى يتيسر له مراده من غير قلق واضطراب وقيل كان عند اكله
سكران فلم يخالف قصدا والسكر لم يكن حراما اذ ذاك والجنة ليست دار تكليف
ايضا الا انه ورد ان خمر الجنة ليس له سكر ولا خبال كخمور الدنيا ولا يخفى ان هذا الوجه
في غاية الضعف فالاولى تركه الا انه قول سعيد بن المسيب كما نقله البغوي وان ما ذكر

غير مسلم لا سيما ان قلنا ان الجنة ليست هي دار الخلد كما هو احد اقوال المفسرين فيها ولذا قال
المص وهذا القول ضعيف لانه تعالى وصف خمر الجنة بانها لا تسكر فينا في هذا الجواب
وهو اشارة الى قوله تعالى لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون فانه فسر بانها لا تذهب عقولهم
من نزف عقله اذا ذهب والكلام عليه مفصل في التفاسير فاذا كان ادم عليه الصلاة
والسلام ناسيا على احد الوجوه السابقة لم يكن ما فعله ادم معصية فلا يصح الاستدلال
حينئذ بالاية وكذلك اذا كان ملبسا عليه يعني تلبيس ابليس الذي غره به وقسمه له بانه
ناصح له وانه يريد خلوده في الجنة وعدم زوال نعمته عنه وان نهي الله له ليس بتحريم
مواخذ به كما يوخذ مما ياتي غالطا اي وقع من ادم عليه الصلاة والسلام الغلط بقبوله
تلبيسه وتغريره له بانه لا اثم عليه في اكله اذ الاتفاق من ائمة الدين على خروج الناسي
والساهي من حكم التكليف يعني انه ليس مكلفا بنص القران والحديث فلا يكتب عليه ذنب
وايضا انه كان في جنة الخلد وليست دار تكليف الا انه قيل ان الشهو والنسيان كان
مواخذا به شرعا ثم نسخ كما تقدم عن الثعلبي وايضا قيل ان الجنة انما تصير دار اباحة
دون تكليف بعد الحشر واما قبل فلا على انه فيه بحث اذ المراد بانه ليس فيها تكاليف
الدنيا كالصلوات الخمس والزكاة ونحوه مما علم من الاحكام الشرعية اما اذا قال الله
تعالى لاهل الجنة امرتكم بكذا او نهيتكم عنه فانه لا تجوز مخالفته بلا شبهة وهذا مما لا
ينبغي الغفلة عنه وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وهو ابو محمد بن الحسين الاصفهاني امام اهل
السنة والكلام وكان في عصره احل من تصدر للوعظ والتدريس والتاليف وله
مصنفات كثيرة جليلة ومناظرات عجيبة وله رحلة للهند وغيره ولما رجع الى نيسابور مات
في الطريق سنة ست واربعماية فنقل لنيسابور ودفن بها وقبره يزار ويستجاب عنده الدعا
كما ذكره المورخون كابن خلكان وفورك بضم الفاو وسكون الواو وفتح الراو كاف وتقدم
في صدر الكتاب التردد في انه مصروف او ممنوع من الصرف وغيره من العلما انه يمكن ان يكون
ذلك قبل النبوة وفي عصمتهم من الصغاير قبلها خلاف وقد جوزه كثير ودليل ذلك
قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه اي اختاره لنبوته ربه فتاب عليه مما صدر
منه قبل النبوة وهدى اي هداه الى علمه فذكر ان الاجتبا والهدى مصدر بمعنى الهداية
وليس على هذا الوزن مصدر الا الهدى والسري والتقى على كلام فيه في شرح سيبويه
كان بعد العصيان لعطفه بثم كما لا يخفى فالمعنى ان الله ارتضاه لنبوته وانه لم يصدر عنه
ذنب بعد ما نبئ والاجتبا الاختيار من جبيت الما في الحوض اذا جمعته فالاجتبا جمعه
للمعارف والعلوم الدينية وقد قيل عليه انه في غاية البعد لان ظاهر الحال من سجود
الملايكة لادم واظهار فضله عليهم ومخاطبته في حضرته يمنع هذا الاحتمال اذ لا
معنى للنبوة غير هذا فالاستدلال به على نبوته اولى مما استدل به المص رحمه الله وقيل
في الجواب عما استدل به على تجويز الصغاير على الانبيا عليهم الصلاة والسلام بل كلها

متوكلا لحل اكله وانه لا يصدر عنه به معصيته واشار لتاويله بقوله وهو لا يعلم
انما الشجرة التي نهي عنها بالبنا للمفعول اي التي نهاه الله عنها في الاية لانه تاول نهي الله تعالى
له بقوله لا تقربا هذه الشجرة اي لا تاكلا من هذه الشجرة الاية بانه انما نهي عن شجرة مخصوصة
لقوله من هذه الشجرة لان اسم الاشارة موضوع لفرد معين مشاهد لا على الجنس اي انه
نهي عن جنس هذه الشجرة الشامل لجميع افرادها وبعضهم قال ان اسم الاشارة قد يشار
به الى الجنس مجازا وبه صرح النحاة كما في اول شرح الكتاب والمراد بالجنس الكلي مطلقا
فيشمل الجنس والنوع وغيره ولبعض الشراح هنا كلام لا تحصل له ولذا اي لاجل انه
تاول بما ذكر قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ قال الراغب التحفظ قلة الغفلة
وحقيقته تكلف الحفظ لضعف القوة الحافظة انتهى والمراد ترك التيقظ والتنبه
وقيل في الجواب وبيان تاويله انه تاول ان الله تعالى لم ينه عنها نهي تحريم وانما هو نهي
تنزيه عن خلاف الاولى وكونه لا ينافي سبب قوله فتكونا من الظالمين كما قيل سياتي
ما يدفعه في كلام المص فان قيل فعلى كل حال مما ذكرته في توجيه ما صدر من ادم كيف
يكون لا معصية فيه وهو مشكل فقد قال تعالى في هذه القصة وعصى ادم ربه فغوى
فاثبت له المعصية بما فعله وانت قررت خلافه وقال فتاب عليه وهذا والتوبة
انما تكون عن ذنب وقوله اي قول ادم المحكي عنه في حديث الشفاعة في المحشر للخلق كما تقدم
ويذكر ذنبه لما طلب الخلق منه ان يشفع لهم في الخلاص من هول الموقف فقال لهم اذهبوا الى غيري
من الانبيا فيذكر ذنبه وانه يستحي من ربه وقال اني نهيت عن اكل الشجرة اي عن كل شي منها
فعصيت بفعلي ما نهى الله عنه فهذا كله يقتضي انه صدر منه ذنب ومعصيته فينافي
ما وجهته به فسياتي الجواب عنه وعن اشباهه مما يقتضي ارتكاب الذنوب مجملا مختصرا في
اخر هذا الفصل ان شا الله تعالى واما قصة يونس بن متى فقد سبق اي مضى الكلام على بعض
منها انفا اي قريبا من قولهم استانفت الشي اذا ابتداته وانفا اسم فاعل منه صار بمعنى قريب
وليس في قصة يونس المذكورة في القران نص على ذنب صدر منه حتى يتمسك بها من جوزه
عليهم وانما ذكر فيها اي في قصته انه ابق اي فر وهرب وقد يفرق بين الاباق والهرب بعد
تخصيصه بالعبد فيخص الاباق بما كان بلا خوف كما في القاموس وغيره ولذا عبر به لما فيه من
المزايا هنا بخلاف الهرب وكان يونس كما تقدم دعا قومه فلم يطيعوه فوعدهم العذاب
فلما تاخر عن موعده خرج من بينهم وذهب مغاضبا اي غضبان فمغاضب هنا كمسافر ليست
كغيرها من المفاعلة وغضبه على قومه لا على ربه وان قيل به واول وقيل انه خشي القتل
وقد تقدم تفصيله كما اشار اليه بقوله وقد تكلمنا عليه اي تقدم منا الكلام في يونس
وقصته وقيل انما نقم الله عليه اي عاب فعله ولامه عليه وكرهه ونقم بكسر القاف
وقد تفتح خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب بهم وهو بين اظهرهم فكان ينبغي له الثبات
اعتمادا على ان الله ينجيه كما نجى نوحا وغيره من انبيايه حتى يوحى اليه ما يريد وقيل بل لما وعدهم

اي قوم يونس العذاب استعمل الوعد مع العذاب مع انه يختص بالخير تهكما كقوله فبشرهم
بعذاب اليم فلا وجه لما قيل انه عام بحسب الوضع الاصلي ثم عفى الله عنهم لانه لما
وعدهم العذاب لثلاث وراوا مقدماته ضجوا الى الله تعالى ولبسوا المسوح وفرقوا
بين الامهات والاولاد وتابوا وقالوا امنا بيونس فعفى الله عنهم وهو صلى الله
عليه وسلم لا يعلم بذلك قال والله لا القاهم بوجه كذاب ابدا لعدم علمه بما عاينوا
وخصهم الله بقبول توبة الياس كما قال تعالى الا قوم يونس الاية وقيل بل كانوا اي من عادتهم
انهم يقتلون من كذب فخاف ذلك اي القتل لتخلف ما وعدهم به وقيل قايله وهب ضعف
عن حمل اعبا الرسالة اعبا بالهمز جمع عب وهو الحمل الثقيل كما تقدم وكان كما قال
وهب في خلقه ضيق ولذا اخرجه الله عن اولي العزم بقوله فاصبر اولوا العزم من الرسل
ولا تكن كصاحب الحوت وقد تقدم الكلام انه لم يكذبهم فانما وعدهم به من العذاب
نزل بهم حتى راوا اغمامه فيها دخان اظلتهم لكنهم لما تضرعوا الى الله كشفه عنهم وهذا
المذكور في قصته كله ليس فيه نص على معصية صدرت منه حتى يستدل به على ما ادعوه
كما تقدم الا على قول من عوتب عنه اي متروك لضعفه وهو انه خرج من غير اذن من الله له
في الخروج وترك القيام حتى ياذن الله له وقوله تعالى اذ ابق الى الفلك المشحون قال
المفسرون اي تباعد والفلك يكون مفردا وجمعا ومعناه السفينة والمشحون بمعنى
المملوء وتفسير ابق بتباعد مذهب المبرد فاشار به الى ان تفسيره بهذا يقتضي انه لم
يعص الله ولم يخرج بغير اذنه كالعبد الابق من سيده ولذا ذكره المص رحمه الله تاييدا
لما قبله ومن لم يقف على مراده قال ليس في ذكره هنا كبير فايدة فان كل ابق متباعد من سيده
وانما محل الاستدلال قوله فظن ان لن نقدر عليه وقد تقدم الكلام عليه واما قوله عز وجل
اني كنت من الظالمين فانه يقتضي انه صدر منه ذنب كما اشار اليه بقوله فالظلم حقيقة
معناه وضع الشي في غير موضعه مطلقا فيشمل الذنب وغيره ومنه ظلم السقا اذا
شربه قبل ان يروبه فهذا اي جعله من الظالمين اعتراف منه عند بعضهم بذنبه
لتبادره من الظلم عرفا وشرعا لا لغة كما تقدم فاما ان يكون ذنبه لخروجه عن قومه بغير
اذن ربه في الخروج من بينهم على عادة الانبيا اذا ارادوا الهجرة كما وقع لنبينا صلى الله عليه
وسلم لما هاجر الى المدينة وهو مفصل في الصحيحين او ذنبه ضعفه عما حمله من اعبا
الرسالة لضيق صدره كما تقدم او لدعايه بالعذاب على قومه وهذا توجيه ضعيف
لان الدعا على الغير اذا راى منه ما يسوءه لا يعد ذنبا والى هذا اشار بقوله وقد دعا
نوح على قومه بالهلاك فلم يواخذ اي لم ينقمه الله ولم يعاقبه عليه وذلك قوله لا تذر
على الارض من الكافرين ديارا فدل هذا على ان عده ذنبا لا يتجه وقال الواسطي رحمه الله
تقدمت ترجمته في معناه نزه ربه تعالى عن الظلم بقوله سبحانك اني كنت من الظالمين
ولم يقل سبحانك على شانك عن صدور ظلم منك واضاف اي نسب الظلم الى نفسه

اعترافا ببراءة الله من مثله او لقصور البشرية حتى يجوز ذلك عليه ولا يبرئ نفسه
واستحقاقا لذلك وان لم يقع بالفعل فالحاصل انه ذكره هضما لنفسه
وبيانا لاستعداد البشر لمثله وانما يحفظهم الله بلطفه ومثل هنا في تنزيه الله
وبيانا لقصور نفسه قول آدم وحوى ربنا ظلمنا انفسنا مع ما تقدم من بيان العذر
فيما صدر منهما وانما اضافا الظلم اليهما اذ كانا اي آدم وحوى السبب في وضعهما
غير الموضع الذي انزلا فيه اي انزلهما الله فيه قبل الاكل من الشجرة في الجنة واخراجهما
من الجنة اي جنة الخلد التي وعد المؤمنون وقيل انها جنة وبستان اخر في الدنيا على
خلاف مشهور فيه للمفسرين وانزالهما من الجنة التي هي فوق السما الى الارض الدنيا
وقوله وضعهما الخ اشارة الى ان الظلم فيه بمعناه اللغوي وهو وضع الشي في غير
موضعه مطلقا كما تقدم انفا فان قلت اذا كان دعا نوح ليس بذنب فلم قال
اذا طلب اهل المحشر منه الشفاعة اني دعوت على قومي فخشي ان لا تقبل شفاعته
قلت قد اجابوا عنه بانه ليس لانه ذنب بل لان لكل نبي دعوة عظيمة مستجابة فهو
قدمها في الدنيا لما دعا عليهم لا لانه ذنب وقيل غير ذلك وعاتب الله يونس دون
نوح عليهما الصلاة والسلام لان يونس لم يصبر وعجل الدعا ونوح دعاهم الف
سنة حتى مل من دعوتهم ويئس منهم واما قصة داود صلى الله عليه وسلم فلا يجب
كان الظاهر ان يقول لا يجوز او لا يصح ان يلتفت الى ما سطره فيها اي كتبه في كتبهم
الاخباريون اي اصحاب القصص ونسب الى الجمع على خلاف القياس لانه اراد به
قوما معينين كانصاري فاشبه العلم كانماري وعدم الالتفات كناية عن عدم
الاعتبار بذكر ذلك واعتقاده فانه لا يليق ببعض الصالحين فضلا عن الانبيا
لكنه اراد بعدم الوجوب الامتناع وعدل عن الظاهر لنكتة وقوله عن اخبار اهل
الكتاب متعلق بسطر لتضمنه معنى نقل الذين بدلوا اي حرفوا كتبهم وغيروا ما فيها
بادخالهم ما لا اصل له وهو علة لعدم جواز النقل لما رووه ونقله بعض المفسرين
في تفاسيرهم وكان ينبغي لهم ان لا ينقلوه وذلك قولهم ان داود صلى الله عليه وسلم
كتب الى ايوب قايد جيشه ان ابعث اوريا اي زوج المراة الحسنا التي راها داود
مارة وهو يصلي في محرابه فتعلق قلبه بها كما مر الى وجه العدو وقيل التابوت وكان
من يتقدم مع التابوت لا يجوز له ان يرجع حتى يفتح على يديه او يستشهد فقدمه
ففتح على يديه فكتب اليه ثانيا ان ابعثه الى موضع كذا وقدمه حتى قتل فتزوج
امراته ولم ينص الله تعالى في قصته في القران على شي من ذلك الذي ذكروه في قصصهم
ولا ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح يعتمد على روايته والمراد
بالصحيح هنا ما يشمل الحسن فانه كثيرا ما يستعمله الفقها بهذا المعنى والذي
نص الله عليه في القران قوله وظن داود انما فتناه الى قوله وحسن ماب فهذا

هو

هو الصحيح نصا ثم انه لما ورد عليه ان في هذا النص ما يقتضي ايضا صدور ذنب
وفتنة تاب منها فما المراد بها وما الجواب عنها قال وقوله فيه اي في هذا النص واواب
اي كثير الرجوع عما صدر منه الى الله بالتوبة فهو مثل تواب في ايهام صدور ذنب
منه فمعنى فتناه في هذه الاية اختبرناه اي جربناه وامتحناه والمراد فعلنا به فعل
الممتحن ليظهر حاله للناس من فتنت الذهب اذا صفيته من غشه وهذا حقيقته
فليست الفتنة هنا بايقاعه فيما يضره من الاثام كما هو المعنى المتداول في عرف اللغة
ومعنى اواب هنا كما قال قتادة في تفسيره مطيع لكثرة رجوعه لامره وهذا التفسير
اولى من تفسيره بتواب من الذنوب وهذا التفسير نقله البغوي عن ابن عباس ايضا
وقال ابن عباس وابن مسعود في تفسيره لفتنته ما زاد داود على ان قال للرجل يعني
اوريا زوج المراة الحسنا التي راها انزل لي عن امراتك اي افرغ عنها وطلقها لاتزوجها
لانه ارسله لما يصيره حتى قتل واكفلنيها اي ضمها الي بالدخول تحت نكاحي ومنه
الكفالة لانها ضم ذمة الى ذمة كما قصه الله في مرافعة الملكين له وقوله ان هذا اخي
الى قوله اكفلنيها وعزني في الخطاب بما ضربه الله مثلا لما صدر منه فعاتبه الله
على ذلك الفعل الذي صدر منه ونبهه عليه على ما فيه من خلاف الاولى اللايق بعلو
همته وانكر عليه شغله بالدنيا وما فيها من النكاح ونحوه وهذا الذي قاله ابن عباس
وابن مسعود هو الذي ينبغي ان يعول عليه اي يعتمد عليه فيروى ويعتقد من امره
وامر امثاله من رسل الله عليهم الصلاة والسلام لا ما نقل عن اهل الكتاب وقد قيل
انه انما خطبها اي طلب تزوجها على خطبته بكسر الخا وهي طلب الزوجة وهو من الخطبة
بالضم وكان داود صلى الله عليه وسلم يعلم بخطبته فلا ذنب اصلا وقيل بل
الذي عتب الله عليه انه احب بقلبه ان يستشهد ليتزوج بامراته لا انه صرح به
وباشر اسبابه كما مر وهو ميل قلبي لا يواخذ به لانه خطر بقلبه انه لو استشهد
تزوجها لانها اعجبته وعلى هذه الوجوه لا معصية فيه اما طلب النزول عن زوجته
فكان جايزا عندهم كما كان في اول الهجرة بين الانصار والمهاجرين واما الخطبة على
الخطبة فانها وان كانت حراما عندنا بغير رضى وفراغ فلعله جايز عندهم او لم يعلم بما
اعلمه الله به فلا حرج عليه واما خطرات القلوب فلا يواخذ بها وما عداه لا يجوز
نسبته لهم ولا التحدث به ولذا قال علي رضي الله عنه من حدث بقصة داود عليه
الصلاة والسلام جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبيا عليهم الصلاة
والسلام وهذه القصة نظير قصة نبينا صلى الله عليه وسلم مع زيد رضي الله
عنه في زوجته ام المومنين زينب بنت جحش كما ياتي لما راها الا انه صلى الله عليه
وسلم لم يطلب من زوجها فراقها بل قال له امسك عليك زوجك حتى زوجها الله له
وفيه منقبة عظيمة له وقد ابتلى الله بالنسا ثلاثة من الانبيا نبينا وداود ويوسف

عليهما الصلاة والسلام ابتلاه الحكم خفية منه وبقيته الكلام على هذه القصص
مفصل في التفاسير وكتب الحديث فلا حاجة للتطويل بها هنا وكثرة القيل والقال كما
نقل في الشرح الجديد وحكى السمرقندي في تفسيره وقد قدمنا ترجمته وانه ابو الليث
الامام المشهور ان ذنبه الذي استغفر منه اي طلب من الله مغفرته والعفو عنه لم يكن ذنبا
كما توهموه وانما هو قوله لاحد الخصمين اي الملكين اللذين اتياه في صورة رجلين متخاصمين
له لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وظلمه بتشديد اللام اي نسبه للظلم بقول خصمه
اي بمجرد قوله من غير كشف لحال الخصم وتثبت في امره وهو خلاف الاولى وقد قال ابن العربي
انه لا يجوز في ملة من الملل فما قاله السمرقندي لا يجري هنا ولجيب عنه بانه انما قاله
لانه راى خصمه سلم له مقالته ولم ينكر عليه فظنه رضي بما قال له وكلام الله مبني
على غاية الايجاز فكانه قال تمهل وعلم بسكوته رضاه او هو بتقدير ان كان كما تقول
فقد ظلمك وقال الحليمي انه سمع قول المتظلم فاستعجل ولم يسال له عن ظلمه ولذا عاتبه
ولم يرض فعله والاحسن ما قدمناه والى نفي ما اضيف في الاخبار اي ما نسب
في الاخبار السابقة الى داود من ذلك الذي دووه ذهب احمد بن نصر وقد تقدمت ترجمته
وابو تمام قال البرهان هو حبيب بن اوس الطائي ونسبه معروف وانه هو الشاعر
المشهور صاحب الديوان وترجمته معروفة وبلاغته ورتبته معروفة في معرفته
باللغة والعربية وهو في الطبقة العليا من المولدين متقدم العصر والرتبة
على المتنبي لكن لم ترمن عده من علما الحديث والتفسير فهو غلط من اشتراك الاسم
وقد نقل المص في هذا الكتاب كثيرا عن محمد عن الابهري من علما المالكية من اهل طليطلة
وهو يلقب بابي تمام وهو المراد هنا وما قاله الشراح هنا واصحاب الحواشي من انه
ابو تمام الشاعر المشهور خطا فانا لم نسمع من نقل عن الشاعر شيا مما يتعلق بالامور
الشرعية وانما غرهم الاشتراك اللفظي وهذا مما لا شبهة فيه ويؤيده قوله
وغيرهما من المحققين فان عد ابي تمام الشاعر محققا مما لا يعرف فهو مويد للوهم فيه
وقال الداودي تقدم الكلام عليه وترجمته ليس في قصة داود صلى الله عليه
وسلم واوريا خبر رواه المحدثون في كتبهم المعتمدة تثبت بفتح المثلثة وسكون
الموحدة وتا مثناة فوقية اي ملتبس بثبوت النقل فيه واوريا هو ابن حنان زوج
المراة التي تزوجها داود بعده كما تقدم وهي ام سليمان نبي الله عليه الصلاة والسلام
واوريا قال الانطاكي في حواشيه انه بضم الهمزة وسكون الواو وكسر الراء المهملة
ومثناة تحتيه ومدة تليها همزة وضبطه غيره بفتح الهمزة الاولى وقال البرهان
لا اعلم فيه نقلا فلا يظن بني صحة قتل مسلم كما قالوه ولا ينافيه ما قدمه من
انه صلى الله عليه وسلم احب بقلبه ان يستشهد كما قيل فان المص لم يرتضه
بل مرضه بقوله وقيل الخ مما مر وما قيل من ان كلام الداودي طعن في الروايات

من غير

من غير دليل ليس بشي فان ما ورد فيه ما لا يليق بمقام الانبيا والاقدام عليه من غير رواية
صحيحة لا يليق وانما في لا يطلب منه دليل وقيل ان احد الخصمين الذين اختصما اليه بان
ادعى احدهما على الاخر رجلان حقيقة لا ملكان في صورة رجلين وهما جبريل وميكايل
في نعاج جمع نعجة وفي نسخة نتاج غنم على ظاهر الاية من غير تاويل بانهما ملكان اتياه
في صورة رجلين ينبهاه على ما صدر منه من خلاف الاولى لا كما قاله اصحاب القصص
وهذا وقع في بعض النسخ وليس في الام والحاصل ان ما اشتهر بين القصاص واهل
الكتاب واغتر به الحشوية لم يثبت والذي قصه الله عنه ليس فيه ما ياباه مقام
النبوة واما قصة يوسف عليه الصلوة والسلام وما نقله اهل القصص فيها
مما يقتضي صدور ذنب منه كما تمسك به من جوز مثله على انبيا الله مما لا اصل له في نص
من القران ولا من الاحاديث الصحيحة واخوته ابنا يعقوب اثنا عشر من زوجتين له راحيل
ام يوسف عليه الصلاة والسلام وبنيامين تزوجها بعد اختها ليا واسما اخوته مذكورة
في التفاسير والتواريخ مع اختلاف في ضبط اسمايهم واكبرهم اسمه روبيل فليس
على يوسف فيها اي في تلك القصة تعقب اي اعتراض مما يدل على طعن فيه او نقص ينسب
اليه مما لا يناسب مقامه عليه الصلاة والسلام وهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم واصل
التعقب ان يمشي على اثره كانه يطوء عقبه ثم استعمله المصنفون بمعنى الاعتراض فيقال
تعقب كلامه اذا اورد عليه ايرادا ما اي فلا اعتراض على يوسف نفسه فيما حكاه
عنه كما بينه المفسرون واما اخوته والاعتراض على ما صدر منهم من القا يوسف في الجب وكذبهم
على ابيهم عليه الصلاة والسلام وعقوقهم له فلم تثبت نبوتهم حتى ينا فيما فعلوه
لانهم غير معصومين وقال السيوطي في رسالة سماها دفع التعسف عن اخوة
يوسف لم ينقل عن احد من الصحابة والتابعين نبوتهم ونقل عن ابن زيد انه قال بنبوتهم
وانكره اخرون والمفسرون منهم من قال انهم انبيا ومنهم من رده كالقرطبي والرازي
وابن كثير ومنهم من حكى القولين بلا ترجيح كابن الجوزي ومنهم من لم يتعرض له وفسر
الاسباط باولاد يعقوب بحسبه قال بنبوتهم وسياتي بيانه فيلزم بالنصب
في جواب النفي الكلام فاعله على افعالهم وتوجيهها وقوله ذكر الاسباط وعدهم
في القران عند ذكر الانبيا يوهم انهم انبيا وانما اراد ذريته يعقوب لا اولاده صلبه وهم
من ولدهم بغير واسطة لحصوله من ما يخرج من صلب ظهرهم كما اشار اليه المص بقوله
قال المفسرون يريد من نبئ بينا المجهول اي صار نبيا من ابنا الاسباط لا اولاده لصلبه
كما تقدم وقال ابن كثير لم يقم دليل على نبوتهم وظاهر القران خلافه ومنهم من زعم انهم
اوحي اليهم بعد ذلك لقوله تعالى والاسباط ولا دليل فيه لان بطون بني اسرايل
يقال لهم اسباط كالقبايل في العرب والشعوب في العجم فلا يدل على انه اوحي اليهم
باعيانهم بل على ذريته يعقوب انبيا ولا وجه لتفسير الاسباط باولاد يعقوب

لصلبه كما قال ابن تيمية واصل السبط الشجرة الملتفة الاغصان ثم اطلق على اولاد
يعقوب لكثرتهم والسبط الحافد ايضا كما قيل للحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله
وقوله اثنتي عشرة اسباطا انما هو صريح في ان الاسباط الجماعات الكثيرة مطلقا
فتخصيصه باولاد الصلب خطا ولم يكن فيهم نبي قبل موسى غير يوسف وفي الحديث
اكرم الناس يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم نبي بن نبي بن نبي بن نبي فلو كان
اخوته انبيا شاركوه في ذلك وما في قصتهم من العقوق والكذب صريح في عدم نبوتهم
وانما نشا الغلط من لفظ الاسباط كما قاله ابن تيمية في رسالة له في ذلك وقيل
ولاحد الاقوال الثلاثة كما فصلناه انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما حكاه الله عنهم
في سورة يوسف صغار الاسنان جمع سن وهو زمان العمر اي اطفالا غير مكلفين ولهذا
لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به بعد بعد العهد به اي لم يعرفوه لانهم فارقوه وهم غير مميزين
وفي عبارته لطيفة هنا ولهذا اي لكونهم حين صدر عنهم ما صدر قالوا لابيهم ارسله
معنا غدا يرتع اي نتجارى ونتسابق ونلعب واللعب لا يليق بالرجال وان ثبتت نبوتهم
فبعد هذا الفعل على احد الاقوال المتقدمة والله اعلم بحقيقة حالهم وهذه الدلالة
بحسب الظاهر المتبادر فان الكبار قد يلعبون ويتسابقون وهو على قراءة نرتع ونلعب بالنون
وعلى القراءة الاخرى يرتع ويلعب باليا المثناة التحتية هو بضمير الغيبة ليوسف دونهم
فلا دليل فيه وكذا عدم معرفتهم له انما يدل على صغرهم وبعد عهدهم به لان مدة مفارقتهم
اربعون سنة او ثمانون بحسب الظاهر اذ يجوز ان لا يعرفوه لتغير زيه وكونه بكهيئة الملوك
ذوي الهيبة ولعدم قربهم من مجلسه ومثله من الامارات الظنية يكتفى فيه بهذا القدر
واما ما استدلوا به على وقوع الذنب والمعصية منهم وهو قول الله تعالى ولقد همت به
وهم بها لولا ان راى برهان ربه ضمير همت لامراة العزيز وضمير هم ليوسف عليه الصلاة
والسلام والهم يكون بمعنى العزم المصمم على امر وبمعنى ميل طبيعي غير اختياري وهمها بالمعنى
الاول وهو ارادتها الفاحشة وهمه بالمعنى الثاني وهو غير مذموم اذ كف عنه بل ممدوح
يوجر عليه لو سلم فان قلنا بعدم وقوعه لانه في المعنى جواب لولا لا يجوز تقديمه عليها على
ما ياتي وقائم مقامه اي لولا رويته البرهان هم فيدل حينيذ على انه لم يهم بها
وما وقع في القصص من حل السراويل وما بعد ذلك كذب لا اصل له وبرهان ربه قيل
انه راى يعقوب عليه الصلاة والسلام عاضا على اصبعيه وهو يقول اتفعل فعل
السفها وانت مكتوب من الانبيا بان تصورت له صورته او راه حقيقة وفرج له السقف
وقيل ضرب بصدره بيده فنزعت منه شهوته وقيل نودي بصوت من وراء الحجاب فقام عاريا
ومضت خلفه وقيل لما تمثل له جبريل فصده فعلى طريق جماعة من الفقها والمحققين ان هم
النفس لا يواخذ به مطلقا لانه امر اضطراري وفسره بقوله وليس سيئة اي خطيئة
ومعصية لقوله صلى الله عليه وسلم نقلا عن ربه يعني في الحديث القدسي الذي رواه

مسلم

352

مسلم في صحيحه وهو حديث طويل اذا هم عبدي بسيئة اي عزم عليها وقصدها فلم يعملها
بان تركها خوفا من ربه كتبت له حسنة لمجاهدته نفسه بصرفها عما تريده فلا معصية
في هذا اي في هم يوسف اذن اي على هذا القول والتقدير واما على مذهب المحققين من الفقها
والمتكلمين كابي بكر الباقلاني الذين راوا تعارض النصوص فدققوا النظر في التوفيق
بينهما فانهم فصلوا في ذلك تفصيلا فان الهم الذي يخطر بالبال اذا وطنت عليه
النفس عازمة على الفعل اي صممت وجزمت عليه واصل معناه اتخذوه وطنا ثم نقل
لما ذكر بعد ما كان مجازا لعلاقة ظاهرة يقال وطنت نفسي واوطنتها اذا حملتها على امر
فاستمرت سيئة تكتب عليه فهو مرفوع خبر ان ونصبه خبر كان مقدرة بعيد
واما ما لم توطن بالبنا للمفعول عليه النفس من همومها جمع هم بمعنى نية وعزم وخواطرها
عطف تفسير فهو المعفو عنه لا ما قبله وهذا هو الحق فتكون ان شا الله هم يوسف من هذا
القبيل المعفو عنه فلا يتم الاستدلال بهذه القصة على تجويز والحاصل انه ذهب كثير
من العلما الى ان هم المرء وخاطر نفسه لا يواخذ به فلا معصية في ذلك على هذا وذهب
بعض الفقها والمحدثين الى ان الهم اذا لم توطن عليه النفس معفو عنه واذا وطنت عليه
وصممت كتب سيئة والنصوص فيه متخالفة فما تقدم من حديث مسلم واحاديث
اخر في معناه يدل على انه لا يواخذ به وقوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه
يحاسبكم به الله وقوله يواخذكم بما كسبت قلوبكم ونحوه يدل على خلافه والتوفيق بينهما
ما قاله الغزالي من ان اول ما يرد على القلب كروية امراة على الطريق مال اليها ويسمى حديث
النفس وخاطرا والثاني ما يتولد منه من الرغبة واعادة النظر وهو الميل الطبيعي
والثالث حكم القلب بانه ينبغي ان يفعل وينبغي اعادة النظر والرابع التصميم على ذلك وترك
الصوارف عنه كالحيا والاول لا يواخذ به لا يدخل تحت الاختيار وكذا هيجان النفس
والميل والشهوة لانها ليست اختيارية وهي المراد بقوله صلى الله عليه وسلم عفي عن
امتي ما حدثت به نفوسها وهو الخواطر التي لا يتبعها هم وعزم واما الاعتقاد وحكم
النفس بانه ينبغي ان يفعل فيكون اضطراريا ولا يواخذ به واختياريا فيواخذ به والرابع
يواخذ به فان لم يفعل نظر فيه فان تركه خوفا من الله وندما على همه كتب له حسنة
لمجاهدته لنفسه وان تركه لعايق وعذر غير خوف الله كتب عليه وفي الحديث ما يدل
على هذا التفصيل وهو كلام حسن وهم يوسف عليه الصلاة والسلام كان عزما
وتصميما منعه منه خوف ربه فهو حسنة لا معصية ثم اشار الى الجواب عن سوال
مقدر بقوله ويكون على تقدير انه معفو عنه قوله وما ابرئ نفسي الاية معناه وتفسيره
الذي بينه بقوله اي ما ابريها من هذا الهم يعني ما انزهها عنه لانه امر جبلي لا محذور
فيه او يكون ذلك اي قوله ما ابرئ نفسي صدر منه على طريق التواضع باظهار انه
غير منزه عما يشين لان الكمال لله لا انه صدر منه مثله حتى يتمسك به والاعتراف

بمخالفة النفس اي ما ابريها من الهم بالمعاصي وقد فعلت ولكني خالفتها وصرفتها عن همها
وهو احسن منه لما بكسر اللام وتخفيف الميم زكى قبل وبرى منه في الايات السابقة بهذا
بناء على ان قوله وما ابرى نفسي من كلام يوسف عليه الصلاة والسلام وقد قيل انه
من كلام امراة العزيز متصل بقولها ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب والوجهان مذكوران
في التفاسير وعلى هذا لا يرد السؤال اصلا فكيف تاييد لما هو بصدده من انه لا اعتراف
بصدور ذنب منه في كلامه وقد حكى ابو حاتم قيل ولعله ابن ابي حاتم في تفسيره عن ابي
عبيدة معمر بن المثنى وقد تقدمت ترجمته وابو حاتم الرازي هو الامام الحافظ الجليل
محمد بن ادريس بن المنذر الحنظلي احد الاعلام في التفسير والحديث ولد سنة خمسين
وتسعين ومائة وتوفي في شعبان سنة سبع وسبعين ومائتين ان يوسف عليه
الصلاة والسلام لم يهم اي لم يقع منه هم يعد معصية له وان الكلام اي النظم القراني
الذي نحن فيه فيه تقديم وتاخير اي وبيانه لقد همت امراة العزيز به اي بيوسف وتكليفه
بما ارادته ولولا ان راى برهان ربه لهم بها قال الشريف المرتضى في كتابه الدرر والغرر انه على هذا
يجري مجرى قولهم قد كنت هلكت لولا اني تداركتك اي لولا تداركي هلكت وان لم يقع هلاك
واستشهد له بقوله تعالى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طايفة منهم ان يضلوك
والهم لم يقع واستبعد قوم تقديم جواب لولا عليها وهو اولى من حذفه وذكر شواهدا
استشهد بها على جواز تقديمه ردا بها على من قال انه لا يجوز انتهى فما قيل ان جواب لولا يحذف
لعدم جواز تقديمه غير مرضي وهذا مذهب الزمخشري والزجاج لكن المرتضى علم من الايمة
في العربية وغيرها فلذا اختير قوله ويقدر بلفظ ما قبلها او لو واقع المعصية وامراة العزيز
اسمها راعيل وقيل زليخا كاريحا بفتح اوله وضمه خطا وقد قال تعالى حكاية عن المراة المذكورة
انا ولقد راودته عن نفسه فاستعصم واسم زوجها العزيز قطفير والمراودة الطلب
من راد يرود اذا جاء وذهب اي طلبت منه ان يضاجعها ومعنى استعصم امتنع لعصمة
الله له وفيه دليل على انه لم يقع منه هم بالمعنى الذي قالوه ومما يؤيده انه قد قال تعالى
في حقه كذلك اي عصمناه لنصرف عنه السوء والفحشاء اي لئلا تميل نفسه لما اريد منه
من معصية الله والجار والمجرور في محل نصب او رفع اي ثبتناه تثبيتا كذلك او امره كذلك
والسوء الزنا او الذكر القبيح او عقوبة الملك والفحشاء مواقعة المراة ونحوها مما يقبح
وقال تعالى في هذه القصة وغلقت الابواب معطوف على قوله راودته وغلق الباب
قفله والتفعيل للتكثير وقفلها للتخلي به لما ارادته وقالت هيت لك هيت اسم فعل مبني
على الفتح واللام للتبيين كما في سقيا لك وقال الراغب هيت قريب من هلم وقرئ هيت لك
اي تهيأت لك ويقال هيت به اذا قلت له هيت لك انتهى قال معاذ الله انه ربي احسن
مثواي الاية اي قال حين راودته معاذ الله اي اعوذ بالله منك ومما اردت التجاء الى الله في دفع
ماهمت به وهو منصوب على المصدرية والمثوى بمعنى المقام من ثوى بالمكان اذا اقام به

وقيل

وقيل في معنى ربي هنا انه الله تعالى وقيل الملك بكسر اللام وهو زوج زليخا وضمير انه للشان
خبر ربي احسن مثواي فالرب يطلق على الله وعلى غيره ومعناه المالك والسيد والمربي والمنعم
وفي اطلاقه على غير الله تفصيل في التفاسير مشهور وتقدم مرارا والنهي عن اطلاقه على غير الله
تنزيهي ومعنى احسن مثواي انه احسن القيام بي وتعهدني باكرامه لي وانعامه وقيل معنى
همّ بها انه هم بزجرها ليمنعها عن مراودته ووعظها بتخويفها من الله ولحوق العار بها وقد
قال المفسرون كابن عطية انه وجه ضعيف لمخالفته للظاهر وقيل معنى هم بها غمها اغتما
عنها اي عن معاملتها بما ارادته فهو من الهم بمعنى الغم والبا للتعدية بمعنى اهمها اذا
اوقعها في هم وحزن وهو بعيد وان كان فيه مشاكلة وتحسين للتعقيد المعنوي
فيه وقيل انه بعيد من اللغة لانه بهذا المعنى متعد بنفسه يقال همه الامر اذا احزنه
وقيل معنى هم بها نظر اليها وهو في غاية البعد وقيل معناه هم بضربها ودفعها حين
امسكته وهذا كله بتقدير مضاف والحاصل معناه والحامل على هذه التاويلات
صرفه عما لا يليق بمقام النبوة وقيل هذا كله كان قبل نبوته بناء على عدم العصمة قبلها
وقد تقدم بيانه وقد ذكر بعضهم انه ما زال النسا يملن الى يوسف عليه الصلاة
والسلام ميل شهوة لما جبلت عليه طباعهن حتى نباه الله تعالى اي جعله نبيا فالقى
عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من يراه عن الاشتغال بالنظر الى حسنه
وجماله ومهابة الانبيا امر معلوم كما نشاهده في بعض العباد فضلا عن الانبيا عليهم
الصلاة والسلام واما خبر موسى صلى الله عليه وسلم الذي استدل به على جواز
صدور الذنب عن الانبيا وما جرى له مع قتيله الذي وكزه وهو رجل كافر كان طباخ
فرعون لعنه الله وكان يسخر الناس لحمل الحطب لمطبخ فرعون فسخر رجلا من بني اسرائيل
فاستغاث منه بموسى عليه الصلاة والسلام لما كبر وكان موسى قويا في جسمه
فنهاه عن تسخيره فلم ينته فضربه بيده لدفع ظلمه فمات والوكز واللكز بمعنى
وهو الدفع ومنهم من فرق بينهما بان الاول في الصدر والثاني في الظهر وقيل باطراف
الاصابع وقيل غير ذلك وهو امر سهل فقد نص الله تعالى في القران على انه من عدوه
اي كان كافرا من كفرة القبط وموسى موحد من بني اسرائيل اي من قوم بينهم
وبين بني اسرائيل عداوة ومحاربة فلا يمتنع عليه قتله لدفع ضرره مع انه لم يقصد
بضربه قتله وانما قصد دفعه ودفع ظلمه ومثله لا يحرم واشار الى ذلك بقوله
قيل كان من القبط على دين فرعون اي كان كافرا على ملة امر بها من عبادته او غير ذلك
والقبط نبط مصر وقوم فرعون وهم جيل من الناس معروفون ودليل المسوغ اي
المسوغ تدل عليه منطوقها في هذا كله اي فيما قصه الله من هذه القصة انه قبل نبوة
موسى فانه لما قتله فر خايفا فكان ما كان له مع شعيب عليه الصلاة والسلام
اي جرى له معه ما جرى وتزوج ابنته ثم نبي لما فارقه كما قصه الله وقبل النبوة

[illegible]

لم يكن معصوما من الخطا فيصدر عنه مثل هذا وان لم يكن معصيته لانه لم يقصد به
بالة جارحة فهو خطا شبه عمد ولم يكن ثمت شرع ولذا قال وقال قتادة وكزه بالعصا
وليست جارحة بل مثقل ولم يتعمد بضربه ويقصد قتله فعلى هذا لا معصيته في ذلك
اي فيما فعله موسى في هذه القصة حتى يستدل بها على ما ادعوه وقوله اي قول موسى
المحكي عنه مما يقتضي ان ما صدر عنه معصية هذا من عمل الشيطان اي هذا الذنب
مما القاه الشيطان وقوله ظلمت نفسي يحمل ما قالوا انه معصيته ولذا قال فاغفر لي ما صدر
مني فلولا انه ذنب لم يطلب مغفرة الله له قال ابن جريج بصيغة التصغير وهو عبد
الملك بن عبد العزيز بن جريج ابو الوليد وابو خالد القرشي مولاهم احد الاعلام الفقهاء قال
موسى صلى الله عليه وسلم ذلك المذكور من نسبته عمله للشيطان وطلب مغفرته من
اجل انه لا ينبغي اي لا يصح ويليق لنبي ان يقتل احدا حتى يؤمر بالبنا للمفعول اي يامره الله
او منزله الامر ولذا كان صلى الله عليه وسلم في اول امره لم يؤذن له في القتال ثم اذن له
في ذلك بعدما هاجر المسلمون الهجرتين فموسى صلى الله عليه وسلم اذا لم يؤذن له في ذلك
في ذلك فهو غير جائز وقال النقاش في تفسيره لم يقتله موسى عن عمد حالكونه مريدا للقتل
والمقصود بالنفي الحال وانما وكزه وكزة مفعول مطلق موكد يريد بها دفع ظلمه للناس
وعدم تسخيرهم وقد قيل انه هذا كان قبل النبوة اذ لم يكن مامورا بشرع وهو مقتضى
التلاوة اي ما يدل عليه نص القران المتلو وقوله تعالى في قصته اي قصة موسى التي
قصها الله في القران وفتناك فتونا قال الراغب اصل الفتن ادخال الذهب النار لتظهر جودته
من رداءته ويستعمل في ادخال الانسان النار قال تعالى ذوقوا فتنتكم اي عذابكم وتارة يستعمل
فيما يحصل منه العذاب كقوله الا في الفتنة سقطوا وتارة في الاختبار نحو وفتناك فتونا
وجعلت الفتنة كالبلا في انهما يستعملان فيما يدفع اليه الانسان من شدة ورخاء وهو في الشدة
اظهر واكثر استعمالا انتهى واليه اشار بقوله اي ابتلاك ابتلاء بعد ابتلا اشارة الى ان الفتنة
هنا بمعنى الابتلاء اي الاختبار وانه يكون بالخير وبالشر والشدة وان الفتون جمع فتن او فتنة
على تقدير عدم التاء والاعتداد بها فيدل على التكرار فلذا قال ابتلاء بعد ابتلاء ويجوز ان يكون
مصدرا كالقعود فالتكرار غير مراد او يوخذ ذلك من السياق قيل ذلك الابتلاء في هذه
القصة يعني قتله القبطي وما جرى اي وقع واتفق له اي لموسى مع فرعون وذلك ان فرعون
راى رؤيا هالته فعبرها المعبرون والكهان بمولود من بني اسرائيل يكون على يديه زوال
ملكه ودينه فامر القوابل بان كل ذكر ولد منهم ياتونه به ويذبحونه ففعلوا ذلك حتى
وقع في بني اسرائيل موتان عظيم فقال له القبط نخشى فنا بني اسرائيل فلا يبقى لنا خدم فنحتاج
الى استخدامنا فامر ان يقتل الذكور منهم سنة ويتركون سنة فولد هرون في سنة العفو ثم
ولد موسى في سنة الذبح فخافت عليه امه فاوحى اليها وحي الهام وقيل وحيا جاءها فيه جبريل
وان لم تكن نبية لان الملك كان يراه غير الانبياء كمريم ثم ارتفع ذلك بعد مجي النبي صلى الله عليه
وسلم

وسلم فالقته امه في صندوق والقته في النيل فدخل بيت فرعون واستوهبته امراته
اسية وكان له معه ما اشتهر من ذلك وهو المراد بالفتون اي ما وقع له فيه من الشدايد
حتى نباه الله واتخذه كليما وصفيا وسمته اسية حين اتخذته ولدا موسى ومعناه
ماء وشجر بالقبطية لانه وجد في صندوق ملقى في الما وقيل معنى الفتون على هذا القاؤه
في التابوت اي الصندوق الذي اتخذته له امه من خشب والذي اتخذه لها حزقيل وهو
مؤمن آل فرعون واليم وهو البحر والمراد به النيل وغير ذلك مما جرى له معه كما تقدم وقيل
معناه اي معنى الفتون في هذه الاية اخلصناه اخلاصا اي ابتليناه بامور شاهد فيها قدرة الله
ولطفه حتى صار صفوة له خالصا من كل ما لا يليق برسله عليهم الصلاة والسلام فقربه
واصطفاه لان الفتنة اصل معناها ان يذاب الذهب حتى يصفو فيجوز به عما ذكر كما قال ابن جبير
ومجاهد في تفسير هذه الاية وعلى هذا فهو مستعار من قولهم فتنت الفضة في النار اذا اذبتها
وخلصتها من الغش فاستعير لخلاصه من الكدورات البشرية والاخلاق الردية حتى اجتباه
واصل الفتنة اي حقيقتها التي وضعت لها الاختبار اي امتحان الاشيا وتجربتها بما يعلم به
حالها واظهار ما بطن اي خفي عن العيان في المحسوسات كالذهب والفضة الا انه استعمل في عرف
الشرع وهو ما عرف في تخاطب اهله ومعاملتهم في اختبار يؤدي اي يوصل ويثمر ويفضي الى ما يكره
المختبر بزنة المفعول وان كان عاما في اصله حض بما ذكر كما فصله الراغب وقد سمعته انفا
وعلم مما ذكر ان الفتنة هنا ليس فيها ما يقتضي ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام يجوز عليهم
المعاصي لما عرفته من التاويل المذكور وكذلك مثل ما ذكر في تمسك بعضهم بما لا يسلم تمسكهم به
ما روى في الخبر الصحيح الذي رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه كما قاله السيوطي رحمه الله
من ان ملك الموت الموكل بقبض الارواح واسمه عزرائيل كما ورد في بعض الاحاديث جاءه اي موسى
عليه الصلاة والسلام كما ياتي غيره اذا امره فلطم عينه اي ضرب وجهه بيده فوقعت ضربته
على عينه ففقاها اي اخرج حدقته التي بها يبصر بلطمته وهو مهموز وقول العامة مفقوع العين
خطا في العين الحديث بالنصب اي اقرا الحديث الخ لانه اقتصر على محل الشاهد منه الدال على انه
اي موسى لم يطع الملك الذي ارسله الله اليه ومثله بحسب الظاهر معصيته واجاب عنه
المص بقوله ليس فيه اي في الحديث المذكور كما قالوه ما يحكم على موسى عليه الصلاة والسلام
بالتعدي على الملك ومخالفته فيما امر الله به وفعل ما لا يجب له بالرفع والجر عطفا على ما او على
التعدي وكان الظاهر ما لا يجوز له وعبر به لنكتة كما مر مثله ثم بين علة ما ذكره بقوله اذ هو
ظاهر الامر اي لا خفا فيه بين الوجه اي توجيهه واضح جائز الفعل اي فعله جائز من مثله لان
موسى عليه الصلاة والسلام دافع اسم فاعل مرفوع او فعل ماض من المدافعة عن نفسه
من اتاه لاتلافها فهو من قبيل دفع الصايل المتعدي عليه ومثله جائز شرعا وقد تصور الملك
وظهر له في صورة ادمي لان الملائكة اجسام لطيفة مجردة تتصور في اي صورة ارادت لاقدار
الله لها على ذلك كما قال تعالى فتمثل لها بشرا سويا وكما كان جبريل ياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم

في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه وفي تصور الملايكة والجن في صور مختلفة كلام لاهل الاصول
والحكما وتعرض له المحدثون فان صورتهم الاصلية عظيمة جدا فاذا برزوا بصورة اقل منها فعل
صورهم تضامت وتصاغرت كالقطن المنفوش اذا تضام وتضاغط من غير ذهاب شي منه
وهو الظاهر وللامام الشهرستاني فيه تحقيق في بعض كتبه اذا فضت اليه النوبة اتينا به
مفصلا ولا يمكن انه اي موسى عليه الصلاة والسلام علم حينئذ اي في وقت ضربه له انه
ملك الموت لظنه انه ادمي نظرا الظاهر حاله وعبر بعدم الامكان مبالغة في نفي العلم علكنه
ومراده انه لم يعلم بذلك فلا يرد عليه ما قيل انه مر اين له عدم الامكان غايته انه ظاهر فيه
مع احتمال غيره كما كانوا يتصورون للانبيا عليهم الصلاة والسلام فدافعه عن نفسه مدافعة
ادت الى ذهاب عين تلك الصورة التي تصور له اي لموسى عليه الصلاة والسلام فيها الملك
امتحانا من الله له مفعول لاجل تعليل لتصوره بغير صورته اي اختبارا لموسى حتى يصدر عنه
ما يقتضي امورا فيها حكم خفية فلما جاه بعد اي بعد ما جاه اولا ولطمه اي اعلم الله موسى
عليه الصلاة والسلام حين جاه ثانيا انه اي ملك الموت رسوله اي رسول الله من تلا
ارسله الله اليه لا مراد به استسلم جوابا لما اي انقاد له وسلم له فيما اراده بعد ما كان
دفعه عنه اشد دفع وهو استفعال من السلم والقاء قياده لغيره كالاسلام قال
تعالى يحكم بها النبيون الذين اسلموا اي انقادوا والحق وللمتقدمين والمتاخرين على هذا الحديث
اجوبة هذا الجواب الذي قرره من انه عليه الصلاة والسلام لم يعلم انه ملك الموت
امتحانا من الله له اسدها ما عندي فعل تفضيل من السداد وهو القوة فيما اريد به كما
قال الشاعر اعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني على رواية اسد بسين
مهملة اي قوى وروايته اشتد بالمعجمة غير مقبولة عندهم كما بيناه في شرح الدرة وهو
تاويل شيخنا الامام ابي عبد الله المازري وهو الامام الرحلة الفقيه المحدث البارع
في ساير العلوم وهو مالكي المذهب واسمه ابو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي شارح
المحصول وله شرح مسلم الذي بنى عليه المص شرحه المسمى بالاكمال وله تاليف كثيرة
مفيدة جليلة وهو منسوب الى مازر بفتح الزاي المعجمة وكسرها وهي بلدة بجزيرة صقلية
توفي ثامن ربيع الاول من سنة ست وثلاثين وخمسماية وعمره ثلاث وثمانون سنة
رحمه الله وقد تاوله اي حمله قديما اي قبل شيخه المذكور ابن عايشة وغيره فهو مما
ارتضاه علما السلف على صكه ولطمه بالجحة وفقي عين حجته اصل الصك واللطم
الضرب بالراحة او بشي عريض وجا بمعنى مطلق الضرب لكنه كما قاله النووي في غاية البعد
وان ساعده اللغة وابن عايشة هو عبيد الله محمد بن حفص بن عمر بن موسى بن عبد الله بن
معمر القرشي التيمي البصري المعروف بالعيشي نسبة لعيشة وهي لغة في عايشة او من تقييد
النسب لانه من ولد عايشة بنت طلحة بن عبد الله وهو احد العلما الاشراف المحدثين
المحتشمين وهو ثقة روى عنه البغوي وخلق كثير توفي سنة ماتين وثمان وعشرين

فهو متقدم على المازري بزمان كثير فلهذا قال المص قديما وهو كلام مستعمل في هذا الباب
المراد به الزام الخصم الحجة بعد ابطال حجة الخصم وما ارتضاه من بحج في اللغة اي لغة العرب
معروف في كلامهم مشهور يقولون لطمه وصكه اذا غلبه في المحاجه وفقا عينه
وعورها اذا الحجة بحجته والزمه الزاما لا يمكنه الجواب عنه بوجه من الوجوه
لكن صحيح الحديث يأباه فان فيه ما يقتضي انه على ظاهره فان البخاري روى عن ابي
هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ارسل الله ملك الموت الى موسى عليه الصلاة
والسلام فلما جاه صكه ففقا عينه فرجع الى ربه وقال يا رب ارسلتني الى عبد
لا يريد الموت فرد الله عليه عينه وقال له ارجع وقل له يضع يده على متن ثور وله
بكل ما غطت يده من الشعر بكل شعرة سنة فقال له ذلك فقال موسى ثم ماذا قال الموت
فقال الان وسال ربه ان يدنيه من الارض المقدسة مقدار رمية حجر فقال صلى الله عليه
وسلم لو كنت ثمت لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر ونحوه في مسلم
وهو ينافي هذا التاويل وكون العين متخيلة لا فقا بها يقتضي ان ما يراه الانبيا عليهم
الصلاة والسلام من صور الملايكة لا حقيقة له وهو مذهب السالمية كما قاله القرطبي
مع انه لا يجري نفعا وارتضى القرطبي الجواب بان الله تعالى كان اخبره بانه لا يموت حتى
يخيره الله ويخيره بين الموت والحياة فلما اتاه الملك بغتة ودخل عليه من غير استيذان
شق عليه ذلك وكان صلى الله عليه وسلم سريع الغضب ولذا لما رجع اليه وخيره
بين الحياة والموت انقاد له واستسلم قال وهو اصح الوجوه واما قصة سليمان عليه الصلاة
والسلام وما حكى فيها اهل التفسير من ذنبه اي مما تمسك به القايلون بتجويز صدور
الذنب من الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقوله عز وجل ولقد فتنا سليمان فليس
من الفتنة المنهي عنها انما هي بمعناها اللغوي كما تقدم ومعناه ابتليناه اي عاملناه معاملة
من يختبر حتى يظهر ما خفي امره على الناس وابتلاوه المراد منه ما حكى عن النبي يعني به
سليمان عليه الصلاة والسلام انه اي سليمان قال لاطوفن الليلة على ماية امراة
او تسع وتسعين امراة كن في نكاحه وكان ذلك جايزا في شريعته وقال التلمساني يقال
اطوفن واطيفن ثلاثيا ورباعيا من الطواف حول شي انتهى وهو كناية عن مجامعتهن بدليل
قوله كلهن ياتين اي تاتي كل واحدة منهن بحمل تحمله ثم تضعه بفارس اي راكب فرس يجاهد
في سبيل الله اي في طريقه التي يسلكها القتال اعدا دينه وهو حديث صحيح روي في الصحيحين
وغيرهما من كتب الحديث وقوله الليلة منصوب على الظرفية ووقع اختلاف في عدة النسا
ففي البخاري مثل ما ذكره المص من نهن ماية او تسع وتسعون على الشك وفي رواية غيره سبعين
بالموحدة وفي رواية تسعين فقط بالمثناة الفوقية وفي رواية للبخاري ستون وفي رواية
لوهب ابن منبه كان لسليمان عليه الصلاة والسلام الف امراة ثلاث ماية ممهورة وغيرهن
سراري وجمع بين الروايات بانه عد في بعضها الممهورات والغى السريات وفي بعضها عدا

لكل وعلى القول بانه لا مفهوم للعدد لا ينافى الاقل الاكثر وان ضعف هذا القول فقال له
صاحبه اى ملك كان معه او قرينه او رجل كان يصحبه وقيل هو خاطر وهو بعيد وقيل
هو اصف بن برخيا بفتح الموحدة وسكون الرا المهملة وكسر الخا المعجمة ومثناة تحتية يليها
الف قل ان شا الله فلا تجزم بما قلته وفوضه الى مشيئته الله تبركا وتيمنا حتى تتم فلم يقل
ذلك لما وقع فى رواية انه نسى ولم يقله بلسانه اكتفا بما فى قلبه او جزم به لانه من قوة رجايه
واعتماده على كرم ربه فنبه على انه ينبغى تفويض التمنى كغيره الى الله فليس فى تركه المشيئة
ذنب يعد عليه كما توهم لا سيما وهو ليس بجزم فلم تحمل منهن اى ممن طاف بهن الا امراة واحدة
دون باقيهن والتى حملت منهن جات بشق رجل اى بولد غير كامل كما سياتى والشق بمعنى
النصف والبعض قال النبى صلى الله عليه وسلم عند ما ذكر هذا والذى نفسى اى
روحى وحياتى بيده اى بقبضة قدرته وتصرفه ان شا احياها واوجدها وان شا اما
تها واحياها وهو قسم كان صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقسم به لو قال سليمان عليه
الصلاة والسلام ان شا الله لجاوا فرسانا جاهدوا فى سبيل الله كما طلب وفى رواية
فرسانا اجمعون وقول ان شا الله لا يستلزم الوقوع فقد لا يقع ما قرن به كقول موسى للخضر
عليهما الصلاة والسلام ستجدنى ان شا الله صابرا وهو مستحب ويتحلل به مع اليمين
وفى الحديث ما يدل على قوة الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقدرتهم على الجماع لكمال
بنيتهم ورجوليتهم كما كان لنبينا صلى الله عليه وسلم فكان يطوف على جميع نسايه
فى الليلة الواحدة كما تقدم قال اصحاب المعانى المراد بهم الذين يفسرون الاحاديث ويقفون
على معانيها المرادة بها الشق هو الجسد الذى القى على كرسيه الذى كان يجلس عليه لاجرا
احكام الملك فيه حين عرض عليه اى حين اذ عرضته قابلته عليه ثم القصته على كرسيه
وهى اى هذه القصة المذكورة عقوبة ومحنة بنون بعد الحا المهملة المعبر عنها بالفتنة
وقيل بل مات ولده فالقى على كرسيه ميتا وهو الشق المذكور وقيل ولد له ولد تام فاجتمعت
الشياطين عليه وقالوا ان عاش له ولد لم ننفك من البلا والسخرة فقالوا نقتل ولده
او نخبله فعلم بذلك سليمان فامر الريح ان تحمله على السحاب خوفا من الشياطين
فعاقبه الله بان القاه على كرسيه ميتا لخوفه من غير الله وهو معنى قوله تعالى والقينا على
كرسيه جسدا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه اى على ان يرزقه الله مائة ولد يجاهدون
فى سبيل الله وليس مثله ذنبا حقيقيا كما توهم وقيل عد تمنيه ذنبا لانه لم يستثن اى
لم يقل ان شا الله فى كلامه ومثله يسمى استثنا فى اللغة لان حقيقته كما قال الراغب
ايراد لفظ يقتضى رفع ما يوجبه عموم لفظ متقدم او رفع حكمه لانه من الثنى وهو
الرجوع ومما يقتضى رفع ما يوجبه اللفظ قولك لافعلن كذا ان شا الله انتهى فليس هنا
مجازا ولا يختص بما قال النحاة فانه اصطلاح حادث خلافا لما يوهمه كلام شراح الكتاب
لما استغرقه من الحرص هو استفعال من الغرق وهو الرسوب فى الما وشاع فى الشمول

وعموم

وعموم الاوقات وغلب عليه من التمنى للاولاد المجاهدين وهو اشارة الى الاعتذار عن فعله
وبيان لانه ليس ذنبا حقيقيا كما قيل وانما هو ترك للاولى وقيل عقوبته ان سلب ملكه لانه
صلى الله عليه وسلم غزا جزيرة ولخذ بنتا لملكها كانت فى غاية الجمال فاحبها وراها حزينة
فسالها عن سبب حزنها فاخبرته بانه لمفارقة ابيها فسالته ان يصور لها الشياطين
صورة لها صورته فالبستها لباسه وعممتها فكانت تذهب له تعبده مع جواريها
فاخبره اصف بذلك فكسر صورته وندم على ما جرى لها ففرش رمادا يسجد عليه
ويتضرع الى الله وكان له امراة من نسايه يضع خاتم ملكه عندها اذا دخل الخلا او اراد
الغسل من جنابة حتى يلبسه على طهارة كامله وكان ملكه فى خاتمه فتمثل لها شيطان
يسمى صخرا بصورته واخذ الخاتم منها وجلس بهيته على الكرسى اربعين يوما عدد ما عبد الصنم
فى بيته وتغيرت هيأته حتى انكره الناس ووقع الخاتم فى البحر فابتلعته سمكة فاصطادها
سليمان عليه الصلاة والسلام فوجد الخاتم فيها فتختم به وعاد له ملكه وحبس صخرا
والقاه فى البحر فهو محبوس فيه الى الان فى صندوق من حديد وذنبه انه احب ان يكون الحق
لاختانه على خصمهم جمع ختن بزنة جبل وهو الصهر او كل من يكون من قبل المراة كالاب
والاخ وذلك كما قيل انه كانت له امراة يقال لها جرادة وكان مغرما بحبها فقالت له ان فلانا
من اهلى له حق عند اخر وانا احب ان تحكم له اذا جاءك فاجابها صلى الله عليه وسلم لذلك
ولكنه لم يفعل فعاقبه الله على مجرد الميل فكان زمانا كان من وضع خاتمه عندها واخذ الشيطان
له كما سمعته انفا وقيل وخذ بذنب قارفه بعض نسايه هو ما تقدم من تصويرها الصورة
ابيها واتخاذها له صنما تعبده فى داره وهو صلى الله عليه وسلم لا يعلم حتى اخبره به
اصف كما تقدم فليس ذنبا له فى الحقيقة واصل معنى الاخذ حوز الشى كما تقدم فيتجوز به عن
المجازاة وهو المراد هنا قال تعالى ولو يواخذ الله الناس بظلمهم فيقال اخذه واخذه وواخذه
لغة غير فصيحة ولذا وجد فى النسخ اخذ واخذ ووخذ وقارفه بمعنى اكتسبه وفعله واصل
القرف والاقتراف قشر اللحا عن الشجرة والجلدة عن الجرح فاستعير لما ذكر ولا يصح بحسب
الرواية ما قال الاخباريون اى اصحاب القصص والتواريخ وتقدم ان النسبة للجمع على خلاف
القياس وهو كالانصارى كما تقدم لاختصاصه ببعض انواعه من تشبه الشيطان به
اى تمثله بصورته حين اخذ خاتم ملكه من امراته وجلس على كرسى ملكه يحكم وانكروا
سليمان لتغير هيئته كما مر وفى بعض النسخ من خرافاتهم على فعله من تشبه الخ وهو بضم
الخا المعجمة وفتح الرا المخففة وفى كشف الكشاف عن الزمخشرى انه سمع فيه خرافات
بالتشديد جمع خراريف ولم يسمعه من غيره فالعهدة عليه وتسلطه على ملكه وسلطنته
بالتصرف فى امته بالجور فى حكمه وظلمهم قال السيوطى ما قال المصنف انه من خرافات الاخباريين
اخرجه ابن ابى حاتم بسند صحيح عن ابن عباس موقوفا لكنه ماخوذ من الاسرائيليات كما
بينه فى التفسير انتهى وفيه نظر لانه اول كلامه بما فى اخره وخرافات جمع خرافة وهى

الكذب كما في القاموس واصله اسم رجل من عذرة خطفته الجن فلما تخلص منهم كان يحدث
عنهم بعجايب راها منهم ثم قيل لكل مستملح واو غريب خرافة وضربة ابن الزبعدي مثلا للعبث
فقال حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يا ام عمرو وقوله لان الشياطين
لا يسلطون على هذا اى لا يقدرهم الله عليه لعصمته تعالى لانبيايه منهم كما قال فقد
عصم الانبيا صونا لهم عن مثله ولانه مناف لامر الرسالة وان سيل اى سال احد من الناس
لا شكاله عليه فقال لم لم يقل سليمان عليه الصلاة والسلام في القصة المذكورة
حين تمنى الاولاد المجاهدين ان شا الله فعنه للعلما اجوبة جمع جواب كغراب واغربة وفي
المصباح يقال في جمع الجواب اجوبة وجوابات الا ان ابن الجوزي نقل في غلط العوام عن العسكري
ان العامة تقول في جمع الجواب جوابات واجوبة وهو خطا مثل الذهاب مصدر وقال سيبويه
قولهم جوابات واجوبة مولد انتهى فليحرر فان صاحب المصباح ثقة فلعله سمع نادرا
ولم يقف عليه سيبويه وفي نسخة جوابان احدهما الخ وهو الصواب لانه لم يذكر غير
جوابين كما اشار لذلك بقوله اسدها ما روى في الحديث الصحيح انه نسي ان يقولها وذلك
لحكمة ارادها الله وانه نسي لينفذ امر الله تعالى وفي نسخة مراد الله في ارادته لعدم وقوع
ما تمناه امتحانا له لينبهه على الاولى به صلى الله عليه وسلم والجواب الثاني انه لم
يسمع صاحبه الذي قال له قل ان شا الله تعالى وشغل عنه بامر شغله او لشدة توجهه
الى الله وقوة رجايه فيه الا انه قيل عليه ان ترك المشيئة ليست معصية حتى يحتاج
لمثل هذا فكان المص ذهب الى ان النهي في ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله
نهي تحريم انتهى ولم ار من ذهب لهذا حتى يتبعه المص ولا حاجة له فانه خلاف الظاهر
لا سيما للانبيا الذي تقتضي مقاماتهم تفويض جميع امورهم لله تعالى ولذا تاخر الوحي
عن النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم يقله وقوله اى سليمان عليه الصلاة والسلام
وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي قيل انه جواب سوال تقديره انك قلت ان الانبيا
عليهم الصلاة والسلام معصومون من ساير الذنوب ومنهم سليمان عليه الصلاة
والسلام فكيف هذا مع ما ساله من الله ان يوتيه ملكا لا يكون لغيره وهذا يقتضي
حبه للدنيا ولتفرده بملك عظيم لا يتيسر لغيره وفيه حرص وحسد لا يليق بزهد الانبيا
وعدم رغبتهم فيها فاجاب عنه بانه لم يفعل سليمان هذا اى طلبه لما ذكر غيره بفتح
الغين المعجمة وتكسر في لغية والغيرة محبته امرا يابى ان يكون لغيره على الدنيا اى على امور
الدنيا كالمال والملك ولا لنفاسته بها اى عدها نفيسة عظيمة فضن بها عن الغير هذا
مراده وقال الراغب المنافسة مجاهدة النفس للتشبيه بالافاضل واللحوق بهم من غير
ادخال ضرر على غيره قال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون انتهى وهو هنا من نفس
بكذا اذا رغب فيه وبخل به على غيره لا ما ذكره الراغب ولكن مقصده في ذلك اى في سوال
ما ذكر على ما ذكره المفسرون في معنى هذه الاية ان لا يسلط عليه بالبنا للمجهول وقوله لاحد

نائب

نائب الفاعل اى ان لا يسلطه الله عليه وتسليطه عليه بان يمكنه من غلبته عليه
بان يمكنه من غلبته عليه كما سلط عليه الشيطان وهو صخر كما بيناه الذي سلبه اياه
اى ملكه وعاد عليه لتقدم ذكره مدة امتحانه اى في مدة ابتلا الله له بتسليط
الشيطان لما اخذ خاتمه عليه الصلاة والسلام من زوجته وظهر بصورته وتصرف
في ملكه حتى انكر الناس سليمان عليه الصلاة والسلام الى ان وجد خاتمه في بطن
سمكة اصطادها كما مر الا ان الله لم يسلطه على زوجاته صلى الله عليه وسلم كما حكوه
تطهيرا لحرمه على قول من قال ذلك من اهل القصص والسير وقد علمت انهم اخذوه
من الاسرايليات المنقولة عن اهل الكتاب وفي صحتها كلام للمحدثين وقيل في توجيه
ما طلبه سليمان بل اراد بقوله هب لي ملكا الخ ان يكون له من الله فضيلة يفضل بها
اهل زمانه وخاصة يختص بها من دون ساير رسل الله وانبيايه ويويده ما روي عن نبينا
صلى الله عليه وسلم من انه جاه شيطان وهو يصلي اراد ان يقطع صلاته فاراد صلى الله
عليه وسلم ان يمسكه ويربطه بسارية من سواري المسجد حتى يصبح ويراه الناس ثم تركه
وقال ذكرت قول اخي سليمان هب لي ملكا الخ فهذا يقتضي انه خاصة لما خصه الله بها
ولذا قال بعض الشراح هنا لا ينبغي للمص ان يعرض هذا ويحكيه بقيل كاختصاص غيره من انبيا
الله ورسله بخواص منه اى من الله خصه بها دون غيره وهذا لا ينافي الافضلية لانه قد يكون
في المفضول ما ليس في الفاضل وقيل انما طلب هذا ليكون دليلا وحجة على نبوته لا رغبة في الدنيا
ومنافسة فيها كالانة الحديد لابيه داود عليهما الصلاة والسلام اى جعله لينا كالعجين
يصنع منه الزرد يستعين به على الجهاد واحيا الموتى لعيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام
واختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالشفاعة يوم القيامة كما تقدم ونحو هذا من خصايص
انبيا الله ورسله التي اكرمهم الله بها وجعلها معجزة دالة على نبوتهم وقد تقرر انه لم يكن
لنبي من الانبيا معجزة وخاصة الا ولنبينا صلى الله عليه وسلم مثلها واعظم منها كما فصل
في الخصايص وقد افردت بالتدوين واجل ما الف فيها خصايص الامام الخيضري وفي شرح
المواقف طلب سليمان لملك لا يتيسر لغيره لم يكن حسدا منه وضنة بالملك بل لان كل نبي
كان له ما يفتخر به اهل زمانه وكانوا جبابرة يفتخرون بالملك وكثرة الجند والمال وقوة
الاعوان فاراد صلى الله عليه وسلم ان يكون له من ذلك ما لا يقدر عليه غيره فملكه
الله ملكا عظيما ولم يجعله شاغلا له عن زهده وعبادته ليعلم الناس ان زخارف الدنيا
لا تلهي خواص عباده عن خدمته ولذا قدم الاستغفار على طلبه فقال رب اغفر لي وهب لي
ملكا الخ وليكون ادعى للاجابة واما قصة نوح عليه الصلاة والسلام وما فيها مما يقتضي
انه شك في وعد الله له بقوله انا منجوك الخ على ما ياتي ومثله بحسب الظاهر معصية ولم يذكر
قصص الانبيا مرتبة بحسب زمانها لو وقوع لانه راعى فيها ما هو اظهر حجة لمن جوز على انبيا الله
وقوع الذنوب منهم فلا يرد عليه ما قيل انه كان الاحسن ان يذكرها مرتبة فيبدا بقصة ادم

ثم نوح ثم هود ثم الى آخر القصص وظاهره اى ظاهر كلامه وما حكاه الله عنه وذكر الضمير التاويله
بما ذكر العذر اى الاعتذار عن سواله ما ليس له به علم لا الشك فى وعد من لا يخلف الميعاد كما ياتى
وانه اخذ اى تمسك فيها اى قصته بالتاويل اى تاويل ما وعده به بان يريد الله باهله
ما يشمل ابنه وظاهر اللفظ بالجر عطفا على التاويل اى اخذ بظاهر لفظه بقوله انا منجوك
واهلك متعلق باللفظ الا انه قيل عليه انه سهو لان ما ذكر وقع فى قصة لوط فى سورة
العنكبوت والذى فى قصة نوح قوله قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الآية
وكونه حكاية بالمعنى يا باه انه متمسك بلفظه وان ساواه فى لفظ الاهل ولذا رايته
ضرب عليه فى بعض النسخ فطلب مقتضى هذا اللفظ اى لفظ الاهل من غير نظر لحقيقته فقال
ان ابنى من اهلى وان وعدك الحق واراد بطلبه ذلك علم ما طوى عنه اى اخفى عن علمه فهو استعارة
من الشى المطوى عليه لغافة تخفيه قبل ان تظهر ما فى داخلها من ذلك الا لراى امر ابنه ومخالفته
فى ركوب السفينة لا ينافيه كما توهم لانه اى نوح عليه الصلاة والسلام شك فى وعد الله
له بنجاة اهله فبين الله تعالى عليه بين لا يتعدى بعلى فكانه ضمنه معنى نبه او نبيا وهو تحريف
من الناسخ انه ليس من اهله الذين وعده الله بنجاتهم فيه ما تقدم فتذكر لكفره وعمله الذى
هو غير صالح فان مثله قاطع للقرابة القريبة ولذا منع الارث بالكفر واختلاف الملل وقيل
سلمان منا اهل البيت وقد اعلمه الله انه مغرق الذين ظلموا بقوله ولا تخاطبنى فى الذين
ظلموا انهم مغرقون والظلم اطلق على الكفر فى القرآن كما قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم ونهاه
عن مخاطبته فيهم اى شفاعته لهم وتكليمه فى شانهم بالآية المذكورة وهو اشارة الى ان الانبيا
عليهم الصلاة والسلام لا يسالون من الله شيئا بغير اذن لهم فى الكلام فاوخذوا بهذا التاول
اى جازاهم الله واخذهم بتاويلهم الاهل الموعود بنجاتهم كما قال تعالى ولو يواخذ الله الناس
بظلمهم وعتب عليه اى عاتبه الله على مخاطبته له بقوله تعالى انى اعظك ان تكون من الجاهلين
فنسبه للجهل زجرا له ولله ان يخاطب خلص عباده بما اراد لانه حين وعد بنجاة اهله
استثنى من سبق عليه القول من الناجين لا سيما وابنه كان بمعزل عنه ففى دلالة الحال
ما يغنى عن السوال واشفق هو اى خاف نوح عليه الصلاة والسلام من اقدامه على ربه
بسواله منه ما لم يوذن له فى السوال فيه حيث لا يتكلم الا من اذن له ثم بين عذره بقوله
وكان نوح عليه الصلاة والسلام فيما حكاه النقاش فى تفسيره وهو محمد بن الحسن
الموصلى كما تقدم فى ترجمته لا يعلم بكفر ابنه ولو علم ذلك لم يرج من الله نجاته وقطع رحمه
منه وقيل فى الآية غير هذا التوجيه مما يقتضى برئية مقام النبوة مما لا يليق بها وقيل
انه لم يكن ابنه وانما كان ابن امراته وقد قرى فى الشواذ ونادى نوح ابنها والقول بانه ولد
على فراشه ولم يكن ابنه وكان لغير فراشه مردود بان فراش الانبيا منزه عن مثله واما قوله
فخانتاهما فالمراد به خيانة الاذية والميل لاعدايه والافلا يجوز ان تنسب زوجات
الانبيا لشى من ذلك بالاتفاق وكل هذا المذكور فى قصة نوح عليه الصلاة والسلام

والآية

والآية المتلوة فيها لا يقتضى اى لا يحكم ويلزم الحكم على نوح عليه الصلاة والسلام بمعصية
صدرت منه سوى ما ذكرناه هو استثنا منقطع اذ ليس فيما بعده معصيته ومعرة تلحقه
وتشين مقامه من تاويله لما وعده واقدامه بالسوال فيمن لم يوذن له فى السوال فيه ولا نهى
عنه صريحا لانه لم يتحقق دخوله فى الذين ظلموا اذ لو كان كذلك كان معصيته وما روى
فى الصحيح كما رواه الشيخان عن ابى هريرة ان نبيا قرصته اى عضته نملة وفى رواية للبخارى
لدغته نملة بدال مهملة وغين معجمة والقرص مخصوص ببعض صغار الحشرات كالنحل والبرغوث
ولذا قالوا قولهم اكلونى البراغيث مجاز ولذا عبر عنه بضمير العقلاء وهذا النبى قال
الطبرى والحكيم الترمذى انه موسى عليه الصلاة والسلام وقال المنذرى انه عزير
وقال البرهان ان فى ابى داود مرفوعا لا ادرى اعزير نبى ام لا وصححه الحاكم فى مسنده عن ابى
هريرة ولكن ثبت انه نبى فكان الله اطلعه بعد ذلك على نبوته فحرق قرية النمل القرية محل
يجتمع فيه بيوت الناس ولا يطلق على مقر غيرهم من الدواب وغيرهم وقرية النمل مجمع النمل لان اصله
محل الاجتماع مطلقا من قرى الما فى الحوض اذ جمعه فهو حقيقة لغوية او مجاز مشهور
وفى كتب اللغة تفرقة بين المساكن فقالوا يقال المقر للانسان وطن وبلد ومقر الابل عطن
وللاسد عرين وغابة وللظبا كناس وللذيب والضبع وجار وللطاير وللزنبور عش
ووكر لليربوع والنمل قرية فهو على هذا حقيقة فاوحى الله اليه احرقت امة من الامم
الامة طايفة وجماعة من جنس واحد من المخلوقات ففيه اشارة الى ان هذا النبى صدرت
منه معصيته ففيه دليل لمن جوز على الانبيا صدور المعاصى منهم لمعاتبة الله له فى ذلك
وقوله تسبح بيان لسبب النهى عما فعله لانه ما من شى الا يسبح بحمده وفى قتله قطع
لعبادته وايضا فانه لا يجوز الاحراق للحيوان لما ورد من انه لا يعذب بالنار الا خالقها
وقيل انما عاتبه الله لانه اهلك من اذاه وغيره لما فى بعض الروايات هلا نملة واحدة
وسبب هذه القصة ان موسى عليه الصلاة والسلام مر على قرية اهلك الله
اهلها بذنبهم فقال يا رب اهلكتهم وفيهم صبيان ودواب لم تذنب وفيهم الطايع
فاراد الله تعالى ان ينبهه على ما خطر بباله فاشتد عليه الحر ونزل تحت شجرة فنام
فى ظلها فسلط الله عليه نملة كبيرة من النمل الذى يقال له نمل سليمانى وغيره يسمى
ذرا ففعل بها ما فعل واوحى الله اليه بما ظاهره العتاب ارشادا له صلى الله عليه
وسلم وقد قالوا انه كان جايزا فى شرعه وقد قالوا ايضا يجوز قتل كل موذى
من موذى الارواح اما بالنار فلا يجوز الا قصاصا لمن احرق بها انسانا على ما فيه
فليس فيما فعله معصيته ولذا قال المص فليس فى هذا الحديث ما يقتضى ويدل
على انه اتى معصيته وفى نسخة على ان هذا الذى اتى معصيته ومعصيته خبر ان وعايد
الذى محذوف اى الذى اتاه معصيته بل فعل ما راه اى علمه واعتقده صوابا بقتل
من يوذى جنسه اى بنى ادم وقد قال الفقها ان قتل النمل جايز لاذيته وعبر بالصدق

فعل منه يشبه فعل العقلا كقوله والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين ويمنع المنفعة
اى الانتفاع بما اباح الله تعالى كالاستظلال بهذه الشجرة وافساد ما ادخر من الاطعمة
واوضحه بقوله الا ترى اى تعلم او تحقق ما هو كالمرئي المشاهد ان هذا النبي المتقدم
وصحح القرطبي انه موسى كما تقدم كان نازلا تحت الشجرة لينتفع بظلها والنوم فيه فلما
اذته النملة بقرصها والتا للوحدة فيشمل المذكر والمونث تحول برحله من تحت تلك
الشجرة عنها اى عن الشجرة ورحل الرجل متاعه الذى ياوى اليه وما يوضع على ظهر الدابة
ليحمل عليه مخافة تكرار الاذى عليه من جنسها وليس فيما اوحى الله اليه ما يوجب اى
يقتضى ويستلزم عليه معصيته صدرت منه بل ندبه الى احتمال الصبر على ما يوذى
اى حثه وحرضه من قولهم ندبه الى كذا اذا دعاه اليه وترك التشفي تفعل من الشفا
وهو الانتقام بما يشفي غيظه ويبرد صدره كما قال تعالى في مدح الصبر وانه مما يجب عليه
ولئن صبرتم لهو خير للصابرين نزلت في غزوة احد وقتل حمزة رضى الله عنه وقد مثل به
وحزن لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فصل في السير اذ ظاهر فعله اى هذا
النبي فما كان لاجل انما اى النملة اذته هو في خاصته دون غيره ممن نزل معه فكان فعل
هذا انتقاما لنفسه دون غيره وقطع مضرة يتوقعها في المستقبل من بقية النمل هناك
بيان لوجه احراق جميع النمل غير الموذية له ولم يات اى لم يفعل ذلك النبي في كل هذا
امرا مفعوله وان رفع جاز نهى عنه بل جايزا كما مر وقوله فيعصى به بالنصب في جواب
النفي ولا نص فيما اوحى الله اليه بذلك اى بانه اتى بمعصيته ولا بالتوبة من ذنب اتاه
والاستغفار منه اى طلب مغفرته لذنب اتاه قيل ثم قال اذ ظاهر فعله لانه في الحقيقة
انما وقع له ذلك لوما على ما قاله في القرية التى اهلكها الله اقول هذا على تقدير تسليمه
لا ينافي المقصود من انه لا معصيته في هذه القصة وما حكاه ايضا لا ذنب فيه
لانه انما سال الله عن ذلك ليبين له حكمة ما فعله فان قيل فما معنى قوله صلى الله عليه
وسلم في حديث ما من احد الا الم بذنب او كاد الا يحيى بن زكريا الخ وهذا الحديث رواه
الامام احمد عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا بلفظ ما من احد الا وقد اخطا او هم
بخطيته وسنده ضعيف واخرجه البزار عن ابن عمر مرفوعا كما قال السيوطي في مناهل
الصفا اقول ومتابعته تقويه في الجملة فلا عبرة بمن انكره وروى الثعالبي ايضا
عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل بني ادم يلقى الله
عز وجل بذنبه فيعذبه او يرحمه الا يحيى بن زكريا فانه كان سيدا وحصورا ونبيا
من الصالحين ثم اهوى صلى الله عليه وسلم الى قذاة من الارض اخذها بيده وقال
كان ذكره مثل هذه وقال قتاده وغيره ان الله احيى قلبه بالطاعة والنبوة حتى
لم يعص ولم يهم بمعصيته وهو غير مناف لما رواه الثعالبي وحاصل ما هنا ان هذا
الحديث يخالف ما مر من عصمة الانبيا ويلايم ما استدل به المخالفون في ذلك

ومعنى

ومعنى الم انه وقع منه ذلك قليلا وكاد بمعنى قرب منه فهو بمعنى هم في الرواية
الاخرى وقوله او كما قال صلى الله عليه وسلم اشارة الى انه وقع فيه روايات
مختلفة كما اشرنا اليه فالجواب عنه اى عما وقع في هذا الحديث انه كما تقدم من ذنوب
الانبيا التى وقعت من غير قصد منهم وعن سهو وعن غفلة منهم ومثله لا يواخذ به
ولا يلزم منه تفضيله على من عداه من الانبيا عليهم الصلاة والسلام وهذا
مما وقع في بعض النسخ وسقط من بعضها فصل معقود لدفع شبه نشات
مما قدمه فان قلت فاذا نفيت عنهم اى عن الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم
جميع الذنوب والمعاصي عطف تفسيرا وهو من عطف السبب على مسببه لان الذنب
الاثم المترتب على المعصيته بمخالفة امر الله بما ذكرته في الفصل الذى قبل هذا من اختلاف
المفسرين في توجيه ما صدر عنهم وتاويل المحققين لما هو معصيته بحسب الظاهر
فما معنى قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى وضل بحسب معصيته وما معنى ما تكرر في
قصص الانبيا الواردة في القران والحديث من اعتراف الانبيا بذنوبهم كما تقدم
من نحو قولهم ربنا ظلمنا انفسنا وتوبتهم واستغفارهم كقول موسى رب انى ظلمت
نفسى فاغفر لى وبكايهم على ما سلف منهم كما روى عن داود عليه الصلاة والسلام
انه بكى حتى بلت دموعه الارض واشفاقهم اى خوفهم من الله وهل يشفق ويخاف ويتاب
بالبنا المجهول ويستغفر من لا شي اى من غير شي صدر يخشى منه حتى يفعل ما ذكر فاعلم ايها
السايل وفقنا الله واياك جملة دعايية معترضة ان درجة الانبيا عليهم الصلاة
والسلام والدرجة في الاصل ما يصعد به لمكان عال ويراد به المنزلة الرفيعة نفسها
وهو المراد به هنا في الرفعة اى علو مقاماتهم حسا ومعنى والعلو عطف تفسير والمعرفة
بالله فانهم اعرف به من غيرهم وسنته في عباده مجرور معطوف على ما قبله اى معرفتهم بعادة
الله في معاملة عباده في سخطه ورضاه وعظيم سلطانه اى علو شانه وانه القاهر
فوق عباده وقوة بطشه اى اخذه القوى الشديد اذا اخذ كل جبار عنيد مما يحملهم
اى يلجيهم بما يقتضيه اقتضا تاما على الخوف منه فان من كان اعرف بالله كان اشد
خوفا منه جل جلاله هذا في موقعه مناسب غاية المناسبة اى عظمت عظمته وهو
مبالغة في وصفه بالعظمة في ذاته وصفاته والجليل من اسمايه تعالى ابلغ من الكبير
والعظيم لانه كمال الذات والصفات واسناده مجازى كجد جده وفيه مبالغة قررت
في المعاني والاشفاق اى الخوف من المواخذة بما لا يواخذ به غيرهم فانهم لعلو مقامهم عند الله
ورفعة شانهم لا يسامحهم بما يسامح به غيرهم لانهم اجل من ان يتهاونوا في شي من الاشيا
ويفرطوا فيه فخوفهم من الله اقوى من خوف غيرهم لانه خوف اجلال وانهم في تصرفهم بافعالهم
الصادرة منهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها لانها امور مباحة جايزة ثم اوخذوا
عليها اى لامهم الله عليها مع انها مباحة جايزة وعوتبوا بسببها او حذروا اى خوفوا من المواخذة

بها اى ان يجازيهم الله عليها كاخذه صلى الله عليه وسلم الفدية من اسرى بدر واذنه
لمن تخلف عن الغزو كما تقدم وهو امر جايز لكنه ترك فيه الاولى نظرا لما فيه من الفايدة
العايدة للمسلمين والتيسير على الامة او اتوها اى فعلوها على وجه التاويل لما ورد فيه
من نص فتيل حمل على محمل غير ما اريد به لا ما اقتضاه ومثله يعذر فيه ولا يعد ذنبا او السهو
اى او فعلوها على وجه وقع منهم بسهو منهم ومثله معفو عنه غير مواخذ به غيرهم كما تقدم
بيانه او تزيد اى زيادة من امور الدنيا المباحة لهم ولغيرهم كطلب سليمان عليه الصلاة
والسلام ان يحمل جميع نسايه بفرسان تجاهدا فى سبيل الله كما تقدم فهو طلب زيادة مباحة
ولا ضرر فيه خايفون وجلون هو خبران فى قوله انهم فى تقصى منهم وما بينهما اعتراض والوجل
الخوف والاحسن تفسيره هنا بمضطرين ليكون افيد وهى اى الامور المباحة المذكورة
ذنوب بالاضافة الى على منصبهم اى بالنسبة لهم وان كانت مباحة فى اصلها فالمراد
بالمنصب مقامهم العلى وليس المنصب هنا بمعناه المتعارف وقد تقدم بيانه ومعاص
بالنسبة الى كمال طاعتهم لربهم ومراقبتهم له لا انها ذنوب حقيقة كذنوب غيرهم من اممهم
ثم بين مناسبته لاطلاقها بحسب الاشتقاق فقال فان الذنب فى اصله ووضع مادته ماخوذ
من الشى الدنى اى الخسيس الرذل اى الردى المحتقر والاخذ الاشتقاق البعيد وهو معنى قولهم
دايرة الاخذ اوسع من دايرة الاشتقاق ومنه ذنب كل شى اخره الذنب بفتحتين معروف
واذناب الناس رذالهم بضم الرا وهو جمع على فعال جات فى كلمات معدودة اى ارذالهم ومنه
ارذل العمر لاخره فكان هذه ادنى افعالهم اى احقرها واخسها وكان للتشبيه وفى نسخة
وكانت هذه اى الامور التى تصدر منهم واسوا ما يجرى ويقع من احوالهم لجلالة قدرهم
ونزاهة خلقتهم وعصمتهم عن سفساف الامور وانجاهم الله عن كل سوء فى ذواتهم وصفاتهم
لتطهيرهم وتنزيههم عما لا يليق بهم وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح فى السر والعلانية
والكلم الطيب الذى شغل به السنتهم وجميع اقوالهم من التكلم بالخير والتسبيح والتهليل
وحمد الله والذكر الظاهر اى ذكر الله جهرا والخفى بذكره سرا وجعله دايما مراقبا ملاحظا
فى قلوبهم والخشية هى الخوف مع الاجلال والتعظيم لله تعالى واعظامه حق تعظيمه وقدره
حق قدره فى السر والعلانية بالتخفيف مصدر كصلاحيته وهى مقابل السر بمعنى الخفى
من الاعلان فمن كان هذا حاله اذا اشتغل بما لا يعنيه من المباحات كان سيئة
بالنسبة لمقامه وما طبع عليه واما غيرهم من غير الخواص فهو انما يتلوث اى يتدنس
يقال تلوث بالدم اذا تلطخ به ويقال به لوثة من جنون قال وانى على ما فى من عنجهيتى
ولوثة اعرابيتى لاديب من الكباير اى كباير الذنوب وقد تقدم بيانها والقبايح
اى ما تقبح شرعا من الذنوب كبايرها وصغايرها والفواحش وهو ما ازداد قبحه وقد يراد
بالفاحشة الزنا ونحوه وهو اطناب هنا لانه بمعنى الكباير ما يكون بالاضافة اى بالنسبة
والقياس اليه وفى نسخة الى هذه الامور التى صدرت من الانبيا وما هنا موصولة

وقعت بدلا من مجرور من اى غير الانبيا يتلوث من امور هى بالاضافة لما اعتذ بنا منهم
كالحسنة لغيرهم كما قال المتنبى انا الفتى من ترك القبيح به من اكثر الناس احسان
واجمال فلا وجه لما قيل من حقه ان يقول بما يكون باليا الجارة كما وقع فى بعض
النسخ او يقول بلوث باسقاط التاحتى يتعدى بنفسه المهنات جمع هنه وهى
خصلة السوء فى حقه اى اذا وصف بها غير النبى وفيلت فى حقه كالحسنات
بالنسبة لقبايحه وقال كالحسنات لان منها ما هو مباح ومكروه كراهة تنزيه
وجعلها حسنة لا خفا فيه وما قيل انه لم يعهد ان يكون شى واحد ذنبا فى حقه
شخص وغير ذنب فى حق اخر فى شريعتنا ليس بشى بل مثله كثير فكم من شى وجب على الانبيا
وعلى الخلفا والحكام وهو لا يجب على غيرهم ولا جاد فى التعبير بالهنات لانها بفتح
الها والنون والف وتا والهنة فى الاصل مطلق الخصلة ثم خصت بخصلة
السوء قال فى الاساس يقال هناة وهنوات وهنيات خصال سوء قال لبيد
اكرمت عرضى ان ينال بنحوه ان البرى من الهناة سعيد وما فى بعض النسخ من الهيات
جمع هيئة بيا ساكنة وهمزة تحريف من الناسخ كما قيل حسنات الابرار هم اتقيا الامة
سيات المقربين الى الله وهم الانبيا عليهم الصلاة والسلام وخلص الاوليا
وليس هذا بحديث وانما هو من كلام ابى سعيد الخراز من كبار مشايخ الصوفية اى يرونها
ويعتقدونها بالاضافة الى على احوالهم كالسيات وان لم تكن سيئة حقيقة فجعلها
سيئات وحسنات مبالغة ومجاز وكذلك اى مثل ما ذكر فى معنى الذنب وكونه
يكون بالنسبة لمن يتصف به العصيان الذى تصف به بعض المقربين كما فى قوله وعصى
ادم ربه فغوى معناه فى اللغة الترك والمخالفة لامر ما سوا كان واجبا ام لا فعلى مقتضى
هذه اللفظة بحسب معناها التى وضعت له كيف ما كانت اى على اى حالة وقعت منه هو
او تاويل للامر الذى امر به فهى تسمى مخالفة وتركا وان لم تكن معصية شرعية مذمومة
عقلا وشرعا لانها معفوة مغفورة غير مواخذ بها كل احد فليس كل عاص اثم وترك
الطاعة اعم من فعل المعصية وهو سوال تقديره قد قلتم بعصمة الانبيا وقد وصف الله
بعضهم بانهم عصاة وجوابه ظاهر قيل هذا مبنى على ان فعل الساهى حرام ومعصية
لكنها مغفورة وهو مذهب لبعضهم وقيل فعله لا يوصف بشى من الاحكام كفعل
المكره والكلام عليه مفصل فى كتب الاصول وقوله تعالى فى حق ادم عليه الصلاة
والسلام غوى والغى الضلال والمعصية فاطلاقه يقتضى خلاف ما قررتم من عصمة
الانبيا عليهم الصلاة والسلام اى جهل ان تلك الشجرة التى اكل منها هى التى نهى عنها
والغى معناه فى اللغة الجهل فهذا معناه حقيقة ولغة ولو قال لم يعرف كان احسن
والبق بالادب وقيل معناه اخطا ما طلب من الخلود بدوام البقا كما ذكر فى الاية اذا
كلها وخاب امنيته بضم الهمزة وتشديد اليا اذ لم يصل الى ما اراده وهى ما يتمناه

وجمعها اسانى بالتشديد والتخفيف وفسره اهل اللغة بالضلال والجهل والخطا معنى
اخر وهو تفسير بلازم معناه وقال ابن الاعرابى معنى غوى فسد عيشه بتغير حاله وقد
قيل عليه ان ترتيبه بالفا بقوله عصى ادم ربه فغوى ينافى تفسيره بالخطا والجهل الا ان
ان يكون كان فى شريعته غير معفو عنه ثم نسخ وفيه نظر لانه اذا فسر بمعناه اللغوى كما
قرره المص لا يرد عليه ما ذكر على انه قصد به التهديد والتشديد باعتبار اسبابه
الناشى عنها ثم استشهد لما قاله بقصة يوسف عليه الصلاة والسلام فقال وهذا
يوسف جملة كانه مشاهد لاشتهار قصته قد او خذ اى عوتب وجوزى بقوله لصاحب
السجن اى لصاحبه فى السجن الذى ظن انه ناج فاضافته لادنى ملابسته وفى نسخة
لاحد صاحبى السجن اذكرنى عند ربك اى صف له قصتى واخبر بحالى فيخلصنى من هذه
الورطة والمراد بربه الملك والقضية غنية عن البيان فانساه الشيطان ذكر ربه المصدر
مضاف لمفعوله الثانى اى انساه ذكره يوسف لسيده فلبث فى السجن بضع سنين البضع
ما فوق الثلاث الى السبع او التسع او العشر وقيل معناه ان الشيطان انسى يوسف
عليه الصلاة والسلام ان يذكر الله فابتغى الفرج من غيره تعالى غفلة منه واشار الى
ذلك بقوله قيل انسى يوسف ذكر الله تعالى فالمراد بربه الله والضمير ليوسف عليه الصلاة
والسلام وقيل انسى صاحبه الذى كان معه فى السجن وقال له اذكرنى عند ربك ان يذكره
لسيده وهو الملك اى انسا الشيطان الشرابى ان يذكر يوسف للملك قال النبى صلى الله
عليه وسلم فى حديث رواه ابن جرير والطبرانى عن ابن عباس وابن مردويه عن ابى هريرة
وابو الشيخ عن ابى الحسن مرسلا وكذا عن عكرمة فهو حديث صحيح لولا كلمة يوسف اى قوله
لصاحبه فى السجن اذكرنى عند ربك وطلبه من غير الله للفرج ما لبث اى مكث وما نافية
فى السجن ما لبث اى مدة لبثه فما مصدرية زمانية وقال مالك بن دينار ابو يحيى البصرى
احد الاعلام الزاهد الثقة اخرج له الاربعة والبخارى تعليقا وتوفى سنة مائة واثنين
وثلاثين واسمه محمد بن ابراهيم وله ترجمة فى الميزان وهذا رواه الامام البغوى عنه
فى تفسيره واخرجه ابن ابى حاتم عن انس مرفوعا لما قال ذلك يوسف اى قوله اذكرنى عند ربك
قيل له اى قال الله له بوحيه كما ياتى اتخذت من دونى اى غيرى من عبيدى وكيلا اى من تكل
اليه امرك وتعتمد عليه فى خلاصك لاطيلن حبسك اى مدة مكثك فى الحبس فقال يا رب
انسى قلبى كثرة البلوى والمصايب من حين القيت فى الجب الى ان دخلت السجن فهذا ذنب
عد عليه وعوقب به مع انه ليس بمعصية شرعية لكن علو مقامه يقتضى ان لا يذكر فى الشدة
غير الله ولا يعول على مخلوق وقد قال الخليل عليه الصلاة والسلام لجبريل حين
القى فى النار وقال له الك حاجة فقال اما اليك فلا حسبى من سوالى علمه بحالى وقد روى
ان جبريل عليه الصلاة والسلام اتاه فى الحبس وبلغه ذلك فى حديث طويل نقلوه
وقال بعضهم تواخذ الانبيا بمثاقيل الذر جمع مثقال وهو وزن كل شى ومقداره والذر

جمع ذرة وهى اصغر النمل ويقال للهبا الذى يرى فى شعاع الشمس ولا زنة له اصلا
فهو مبالغة فى الخفة والمثقال فى العرف الدينار وليس مرادا هنا لمكانتهم اى تقربهم
ورفعتهم عند ربهم ومن يحب احدا ويعتنى به لا يسامحه فى ادنى شى يتعلق به ولذا
قيل ضرب الحبيب اوجع ويتجاوز عن ساير الخلق اى غيرهم وباقيهم لقلة مبالاته
بهم قال ابن فارس اشتبه على اشتقاق لا ابالى حتى رايت قول ليلى الاخيلية
تبالى رواياهم هبالة بعدها   وردن وحول الما بالجم يرتمى   وقد قالوا فيه
التبالى المبادرة للاستقا عند قلة الما فيستقى احدهم ولا ينتظر غيره فمعنى ذلك
لا ابادر له ولا انتظر لعدم اعتدادى به انتهى فى اضعاف ما اثابه فى اتيانهم
بما يزيد على ما اتى به المقربون بمثله وامثاله   وضعف الشى ما يزيد عليه بمثله
او باكثر كما فصله فى الكشاف تابعا للازهرى فى تهذيبه من سوا الادب فى حق خالقهم
المتفضل عليهم بالنعم الجليلة التى حقها ان تقابل بطاعته وشكره فعصوه
وارتكبوا ما لا ينبغى من المعاصى وقد قال المحتج اى الذى اقام الحجة والدليل للفرقة الاولى
القايلة بان الانبيا معصومون من جميع الذنوب وان لسهو والنسيان لا يواخذون به
كغيرهم ناسيا فى حالهم على سياق ما قلناه اى ما قررناه فى بيان امرهم فاشكل عليهم ما قلته
انفا من انهم يواخذون بما لا يواخذ به غيرهم لعدم المبالاة بهم اذ كان الانبيا يواخذون بهذا
المذكور من مثاقيل الذر بما لا يواخذ به فلا يعاقب به ولا يعاتب غيرهم اى غير الانبيا
من امثالهم من السهو والنسيان ونحوه من ما ذكرته من الامور المباحة لهم وحالهم اى حال
الانبيا المواخذين بما ذكر ارفع عند ربهم وهذه جملة حالية وما فى بعض النسخ فحالهم
بالفا من تحريف الكتبة فحالهم اى حال الانبيا اذن اى اذا اوخذوا بها اشق من غيرهم
عند الله لكثرة ما اخذهم به وتشديده عليهم فيما لم يشدد به على غيرهم مع انهم
ليسوا كذلك وهذا من سوء الفهم لتوهم قايله ان الاعظم عند ربه لا يواخذ بترك
الاولى وليس كذلك فان ذلك لحكمة والى جواب هذه الشبهة وبيان الحكمة
فيها اشار بقوله فاعلم ايها السايل كرمك الله بهداية انك لو جه ما ذكرنا لانتبت
لك المواخذة اى مواخذة الانبيا فى هذا الذى اخذهم به دون غيرهم على حد مواخذة
اى على مقدار غيرهم اى مواخذة غير الانبيا بما ارتكبوه من الذنوب بمعاقبتهم فى الدنيا
والاخرة بل نقول فى الفرق بين مواخذتهم ومواخذة غيرهم وهو اضراب انتقالى
من نفى مواخذتهم كغيرهم انهم اى الانبيا والمقربين رتبة يواخذون بذلك المذكور
من مثاقيل الذر فى الدنيا مما يبتليهم به فيها ليكون ذلك المواخذ به زيادة فى درجاتهم
اى فى علو مقاماتهم العلية وجعله عين الزيادة وهو سببها مبالغة ويبلون بذلك
اى بالمواخذة به فى الدنيا على قدر مراتبهم عنده كما ورد اشد الناس بلاء الانبيا ثم الامثل فالامثل
ليكون استشعارهم الاستشعار طلب الشعور والمراد به مقاساته او من الشعار وهو

اللباس الملاصق للبدن سببا المثماة مصدر ميمي بمعنى النمو وهو الزيادة اى لزيادة رتبهم اى
علو مقامهم عند الله ثم استدل لما ذكره بقوله تعالى فقال كما قال عز وجل ثم اجتباه ربه
اى اصطفاه وقربه باعلا رتبته عنده من جبى يجبى اذا جمع بعضا الى بعض اى اصطفاه
واختاره وقربه اليه زلفى فانه جمع فيه من الصفات الحميده ما كان سببا لاصطفايه
وقربه فتاب عليه وهدى اى قبل توبته وارشده الى الاعتذار عما صدر منه والاستغفار
فقال ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين فالاجتبا بزيادة
الرفعة بعد النبوة وعطفه بثم اشارة لمزيد وزيادة قربه حتى كانه متراخ عنه وقال
الله تعالى لداود عليه الصلاة والسلام فغفرنا له ذلك اى ما صدر منه في خطبة
امراة اوريا كما تقدم فاذكر الاية الى اخرها من قوله وان له عندنا لزلفى وحسن ماب وهي
صريحة فيما ذكره وقال عز وجل بعد قول موسى سبحانك تبت اليك من سوال رويتك في
الدنيا وانا اول المومنين بعظمتك وجلالك فقال يا موسى اني اصطفيتك على الناس
اى اخترتك وقدمتك على اهل زمانك برسالاتي وبكلامي لك بغير واسطة وكيفية بكلام
تسمعه من ساير الجهات وقال الله تعالى بعد ذكر فتنة سليمان في القا الجسد على كرسيه كما
تقدم واتابته اى رجوعه الى الله وتوبته فسخرنا له الريح تجري بامره رخا الاية الى قوله وحسن
ماب فترتيبه على ذلك ما عدده من النعم يقتضي ان الفتنة التي تاب منها ليست معصية لانها
لو كانت كذلك لم يترتب عليها ذلك وكونه له زلفى اى قرب من الله وحسن ماب مرجعه للجنة
وهذا كله زيادة في درجاته ونماء لمرتبته عند ربه كما لا يخفى وقال بعض المتكلمين ما يويد
ما قرره وارتضاه زلات الانبيا جمع زلة من زل اذا سقط وتجوز بها عن الذنب اى ما عد زلة
وذنبا لهم وان لم يكن كذلك في الظاهر اى في ظاهر ما تدل عليه العبارة زلات وهي في الحقيقة
اى في نفس الامر وعند التحقيق انما هي كرامات اكرمهم الله بها لانه ابتلاهم بها ليثيبهم عليها
وزلفا بضم وفتح جمع زلفة اى قرب من الله تعالى باعلا مقامهم عنده واشارة الى نحو ما قدمناه
مما ترتب على ابتلايهم بها من انعام الله عليهم بنعم لا تحصى وهذا لخصوصه لا يابى كونه مما
خصهم الله به لان مثل هذه النعم الجليلة لا تكون لغيرهم فلا يرد عليه ان المومنين
يثابون بمصايب الدنيا اذا صبروا عليها ورضوا او نقول انه اشار لعدم اختصاصهم
بذلك بقوله وايضا اى مثل ما ذكر من انه في الظاهر زلة وهو في الحقيقة نعمة وكرامة
فلينبه غيرهم من البشر اى يوقظه ويعلمه منهم اى الانبيا المذكورين او ممن ليس في حكمهم
من الاتقيا الذين ليسوا بانبيا بمواخذتهم بذلك الباء سببية متعلقة بينبه او هي بمعنى على
لان ينبه يتعدى بعلى او ضمن معنى يشعر ويعلم وذلك اشارة لما امتحنوا به مما صدر عنهم من خلاف
الاولى وليس بذنب فيستشعروا الحذر اى يستشعرون بالحذر وهو الخوف من الشعور
او الشعار كما مر انفا وليس من قولهم ليت شعري فانه تكلف لا داعي له ويعتقدوا المحاسبة
على ذلك لان مواخذة غير الانبيا تقتضي مواخذتهم بالطريق الاولى وان كان ما ارتكبوه

مباحا

مباحا لكنه خلاف الاولى ويلتزموا الشكر على النعم المترتبة على ما ابتلوا به كما تقدم او على
كونهم لم يمتحنوا بذلك مع امتحان من هو اعظم منهم ويعدوا بضم اليا التحتية وكسر العين
وتشديد الدال اى يحضروا ويهيوا الصبر ليستعينوا به على المحن جمع محنة وهي البلية
التي يمتحن الله بها صبره ورضاه كما قيل لله در النا يبات فانها صدا اللئام وصيقل
الاحرار ويتذكر ما في الصبر من الثواب لقوله انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
والمحنة كالفتنة تصفية المعادن من غشها فنقلت لما ذكر وصارت فيه حقيقة
ويلاحظ ما وقع منا مثل ما وقع وفي نسخة بملاحظة باهل هذا النصاب اى المقام
الرفيع من الانبيا والنصاب بمعنى الاصل والحسب يقال فلان كريم المنصب والنصاب
كما في الاساس ومنه نصاب السكين المعصوم الموضع المحفوظ من الذنوب فكيف
بمن سواهم اى غير الانبيا فاذا وقع اللوم لهم فيه فغيرهم بالطريق الاولى لكونه من خلص
عباد الله الذين يعتد بهم كما تقدم ولهذا اى لما ذكر من الحكمة في مواخذة الانبيا
عليهم الصلاة والسلام بما لم يواخذ به غيرهم قال صالح ابن بشير وهو علم منقول
من البشير مقابل النذير الواعظ الزاهد توفي سنة اثنين وسبعين ومائة كما قاله
ابن ماكولا المري بضم الميم وتشديد الرا المهملة نسبة الى مرة قبيلة ذكر داود
نبي الله صلى الله عليه وسلم وذكر ان كان مصدرا فهو مبتدا فقوله بسطة
للتوابين خبره اى توسعة لمن يتوب ويكثر التوبة والاستغفار لينبهوا على فضلها
وان كان فعلا مبنيا للمعلوم او المجهول اى ذكره الله فقوله بسطة منصوب مفعول
له وقال ابن عطا ابو العباس بن محمد بن سهل بن عطا الاربلي شيخ الصوفية وله
في فهم القران لسان تخصص به توفي سنة تسع او احدى عشرة وثلثمائة لم يكن ما نص الله
تعالى عليه في القران من قصة صاحب الحوت يونس بن متى نبي الله صلى الله عليه وسلم
نقصا له اى تنقيصا له بكونه ولى مغاضبا ولم يصبر حتى ياذن الله له فيما اراد لكن
ذكره وقصته استزادة من نبينا صلى الله عليه وسلم اى طلب منه ان يزيد صبره
على قومه وقيل المراد انه زيادة في علمه بما جرى للانبيا طلبها من ربه والصحيح الاول لانه
المناسب لقوله ولا تكن كصاحب الحوت اى في ضجره وفراق قومه حتى كان ما ذكره الله
في قصته وايضا فيقال لهم في الجواب عما ادعوه من تجويز الصغاير على الانبيا الا الزاما
لمن سال عن معنى قوله تعالى وعصى ادم ربه ونحوه كما قيل انكم ومن وافقكم على هذا
القول تقولون بغفران الصغاير وان لم يتب منها باجتناب الكباير اى بسبب تركها
كما ذهب اليه كثير من اهل السنة تمسكا بظاهر قوله تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون
عنه نكفر عنكم سياتكم وذهب كثيرون الى انها مقيدة بالمشية كغيرها لقوله تعالى
ويغفر ما دون ذلك لمن يشا والكلام فيه مشهور في كتب الاصول ولا خلاف بين
من يعتد به في عصمة الانبيا عن الكباير فما جوزتم من وقوع الصغاير عليهم متعلق بجوزتم

هي مغفورة على هذا القول والجملة خبر قوله ما وهو بمعنى الوقوع لانه ينبه به على مذهب
القرافي لاكتفا بضمير ما يلابس المبتدا عن ضميره كما قرروه في قوله والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا الاية او يجعل ما بمعنى الصغاير فما معنى المواخذة لانبيا الله عليهم
الصلاة والسلام بها اى بالصغاير اذن اى مع اجتناب الكباير عندكم ايها القايلين
بهذا الراى وما معنى خوف الانبيا وتوبتهم منها اى من الصغاير وهي مغفورة بدون
توبة منها لو كانت اى وجدت منهم فما اجابوا به عن هذا فهو جوابنا عن المواخذة بافعال
السهو اى بما فعلوه سهوا ونسيانا والتاويل اى ما فعلوه لتاويلهم الاوامر والنواهي
الواردة فيه كما تقدم وهو جواب الرازي والقول بانفصالهم عن هذا تقدم بعدم القول
بذلك في حق الانبيا عليهم الصلاة والسلام لانه في حق غيرهم وانه عليه ان يصح النقل
عنهم بالتزامه في حق الانبيا يا باه انه يعلم في حقهم بالطريق الاولى لانه جواب جدلي
فتامله وقد تقدم ان التوبة لا يلزم ان تكون عن ذنب فتذكره واشار اليه المص هنا بقوله
وقد قيل ان كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم حيث استغفر الله سبعين
مرة كما مر وتوبته اى قوله استغفر الله واتوب اليه وغيره من الانبيا عليهم الصلاة
والسلام وان كانوا معصومين من ساير الذنوب فذلك انما هو على وجه اى على طريق
ولاجل ملازمة الخشوع اى التذلل باظهار انه مذنب والعبودية والاعتراف بالتقصير
في اداء حق مولاه شكر الله على نعمه جمع نعمة ونعم الله لا تحصى كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها فمن عرف نعم الله عليه واظهر العجز عن شكرها فقد شكره تعالى شكرا عظيما
فان الشكر كما يكون باللسان يكون بالاركان كما تقرر عندهم وقد ورد انه صلى الله عليه
وسلم كان يقول في كل مجلس استغفر الله واتوب اليه اكثر من مائة مع ما هو عليه من
العصمة والعبادة فلا معنى لما قيل انه لا يصح ايراد ما ذكر هنا على وجه الدليل في محل
النزاع كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث المشهور المتقدم الذي فيه انه اكثر من قيام
الليل حتى تورمت قدماه فقيل له اتفعل هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا وقد ذكروه شاهدا لاظهار العبودية
شكرا لله وقد امن بضم الهمزة وكسر الميم المشددة مبني لما لم يسم فاعله قال البرهان
في الصحاح امنت فلانا فانا امن وامنت غيري من الامن والامان فعلى هذا ينبغي ان يقول
أومن انتهى يعني ان أمّن بالتشديد لا يصح ان يكون من الامن والامان وانما هو بمعنى قال امين
وليس كما قال فانه يقال امنه بهذا المعنى ايضا وهذه الجملة حالية والمومن له هو الله
او الصحابة الذين قالوا له ان الله غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر من المواخذة بما تقدم
وما تاخر من المواخذة بما تقدم وما تاخر مما صدر منه من ترك خلاف الاولى ونحوه الذي هو
كالكذب بالنسبة لمقامه او لو وقع وان لم يقع فقال صلى الله عليه وسلم افلا اكون
عبدا شكورا اى كثير الشكر مبالغا فيه لعظم نعمه وكثرتها على والاستفهام للانكار

من ظن ان كثرة عبادته خوفا من الذنوب وطلبا لمغفرتها فقال وان كان الله عمني برحمته ومغفرته
فان اللايق بي شكر الله على ما اولاني والحديث مذكور في الصحيحين عن المغيرة بن شعبة
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البخاري كما تقدم اني لاخشاكم لله اى اعظمكم
له خشية والخشية الخوف مع المهابة للعظمة واعلمكم بما اتقي وروي اني لاتقاكم لله واخشاكم
له ومن علم ما يتقي وجزاءه وعظمة من يخشاه كان ابعد منه واحذر وقال الحارث ابن اسد
هو العالم الرباني الذي فاق اهل عصره في علم الباطن والظاهر وهو المشهور بالمحاسبي
لكثرة ما كان يحاسب نفسه ولزهده لما مات ابوه وخلف له مالا عظيما لم ياخذ منه
شيئا مع احتياجه لان اباه كان قدريا وقال لا يتوارث اهل ملتين وترجمته مفصلة
في الميزان توفي في سنة ثلاث واربعين ومايتين خوف الملايكة من الله والانبيا عليهم الصلاة
والسلام خوف اعظام اى اجلالا وتعظيما لله وتعبد لله اى يقصدون به العبادة لانهم امنون
من الله لاخباره لهم برضاه عنهم وانه يعطيهم في الدنيا والاخرة من نعمه ما لا عين رات ولا اذن
سمعت وقد فعلوا ذلك اى الاستغفار والتوبة ليقتدي بهم بالبنا للفاعل على التنازع في الفعل
او هو مبني للمجهول وليستن بهم اممهم اى يتخذه سنة وعادة وقد قدم المص ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان شديد الخوف من ربه لانه اعلم به وهو مناسب لما هنا وهو يشهد لما
قاله امام السنة ابو الحسن الاشعري رحمه الله في كتاب الايجاز من انه صلى الله عليه وسلم
كان يخاف الله بلا خلاف الا انه عند اهل الحق كان قبلما امنه الله من عقابه خايفا من عقابه
وبعده من عتابه ولومه في الدنيا كما في قصة ابن ام مكتوم وبعد تامينه لا يجوز ان يخاف
عقابه مع اخباره بتامينه خلافا للرافضة والقدرية حيث زعموا انه هو وساير الانبيا
ما داموا مكلفين في الدنيا لا بد ان يخافوا عقابه سوا امنهم ام لا لنا انه لا يجوز ان يخاف
من شي الا بعد تجويز وقوعه ومع القطع بعدمه لا يجوز ذلك من عاقل لانه يودي الى الشك
في خبره هل هو صادق ام لا وهو باطل بالاتفاق انتهى اقول في فتاوى شيخ مشايخنا ابن
حجر الهيتمي ما ينافيه كما مر فانه سيل عن الانبيا والملايكة والعشرة المبشرة بالجنة هل
كانوا يخافون مكر الله وعقابه بعد اخبار الله لهم بخلافه فاجاب بان نفي خوف العقاب عن
هولا مطلقا باطل مصادم للنصوص لوجوه منها ان حقيقة الخوف كما في الاحيا الم القلب
لتوقع مكروه وهو اما خوف ضعف القوة عن الوفا بحقوق الله على ما ينبغي وهذا محقق
في جميع الانبيا عليهم الصلاة والسلام ويلزمه عدم الامن من مكر الله ولا يامن من هذا
احد والمامون منه الانسلاخ من النبوة والملكية والايمان في العشرة وان جزم وقوعه
والرجا والخوف متلازمان فان قلت يلزمه الشك فما ذكر قلت حقيقة الخوف ما مر والكمل
على يقين من خبره تعالى لكنهم لشعورهم بقدرة الله واستغنايه عن خلقه وانه لا يسال
عما يفعل ولا يجب عليه شي وخبره تعالى يجوز ان يكون مشروطا بما انطوى عنا علمه وهذا مما
يوجب الخوف وقد سال زيد بن اسلم الشافعي لم تدخل الملايكة في انهم لا يامنون مكر الله

فقال نعم لما رواه ابن ابي حاتم ان الله تعالى قال للملائكة ما هذا الخوف الذي بلغ بكم هنا وقد انزلتكم
منزلة لم انزلها غيركم قالوا ربنا لا يامن مكرك الا القوم الخاسرون وقد ذكر ذلك في الملائكة
والانبيا وقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل بكيا فقال الله لهما لم تبكيا وقد
امنتكما فقالا لا نخشا ان يكون تا مينك مكرا بنا وهذا هو الذي قطع قلوب العارفين ويدل
لهذا قوله ما ادري ما يفعل بي ولا بكم وقوله صلى الله عليه وسلم في دعايه اللهم اني
اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وفي ادعيته مثله كثيرا ولو كان
تشريعا قال قولوا اللهم اني والمراد بتامينه الذي في الحديث الذي ورد فيه افلا اكون
عبدا شكورا لخوفه من امور الدنيا واستيصال منه واما من الله فلا انتهى ملخصا اقول
هذا مما يشكل على ما قاله المص ومشايخ الصوفية فيما نقله وعلى الاشعري لكنه موافق
لما قاله ايمتنا الحنفية والشافعية كما نقل في كتب الاصول والفروع من ان الامن من مكر الله
والياس من رحمته كبيرة او كفر على ما تقرر عندهم فانا لو قلنا بما نقل عن الاشعري من ان
الملائكة والانبيا والعشرة المبشرة امنون من المكر والمراد به العقاب كان ما قرره الفقها
غير صحيح على الاطلاق لكن الامن من المكر امر محقق بل واجب في حق هولا ولو ادعى بعض
خلص المتقين لما هو ثابت اشبه هولا في امنه لم يكن به باس فضلا عن ان يكون كبيرة
او كفرا الا انه يقتضي على كل حال ان القول بانه كفر غير صحيح وايضا استدلالهم
يقوله عز وجل لا يامن مكر الله الخ ولا ييايس من روح الله الخ غير صحيح لان معناه انه من صفات
الكفار والخاسرين لا ان من اتصف به كافر وخاسر ومثله يعرفه من يفهم كلام العرب
وفي كلام ابن حجر قصور يدركه من له ذوق وفكر سليم وهذا بحث نفيس لم ار من حرره
ومن لم يحم حول الحمى هيهنا قال ما قال مما لا محصل له فعض بالنواجذ على ما سمعته كما قال
صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فمن علم ان الموت مورده
والقيامة موعده والوقوف بين يدي الله مشهده فحقه ان يطول حزنه ويبكي على نفسه وهذا
من حديث اخرجه الشيخان وقد تقدم وفيه من انواع البديع الطباق والموازنة وايضا
اي مثل ما تقدم في توجيه استغفار الانبيا عليهم الصلاة والسلام وتوبتهم مع عصمتهم
فان في التوبة والاستغفار الصادرين من الانبيا وممن اقتدى بهم من خلص عباده معنى
اخر لطيفا في غاية الحسن اشار اليه بعض العلما وهو استدعا محبة الله اي طلب ان يريد الله
رضاه عنهم ومحبته لهم لما ورد في الحديث ان الله يفرح بتوبة عبده المؤمن والفرح في حقه
بمعنى الرضا عنه وانعامه عليهم وتوبة الانبيا عليهم الصلاة والسلام مما صدر منهم
من ترك الاولى ولما يخطر بقلوبهم من انهم لم يؤدوا عبادته تعالى حقها فاذا فعلوا ذلك مع ما هم
عليه من المجاهدة زادت نعمه تعالى عليهم فلا يتوهم انه كيف يتوب من لا ذنب له وكيف
يثيبهم الله على ما ابدوه من خلاف الواقع وقول بعضهم انه كلام في محل النزاع من غير دليل كلام
ركيك تركه خير منه قال الله تعالى ان الله التوابين اي المكثرين من قول توب اليك وان لم يكن

له ذنب هضما لنفسه لتوهمه قصوره ويحب المتطهرين هو اما على ظاهره او المراد به المتحرزين
من دنس المعاصي وساقها المص رحمه الله ليكون دليلا على ما قاله قبله واحداث الرسل
والانبيا اي تجديد ايجاد الاستغفار والتوبة والانابة والاوبة اي رجاع امورهم الى الله
وهي الفاظ مترادفة ذكرها للتاكيد وللاشارة الى انها وقعت منهم كثيرا بعبارات مختلفة
تفننا في كل حين اي في غالب اوقاتهم واكثرها كما تقدم استدعا اي طلب واصل معناه
طلب الدعوة او الدعا فاستعمل مجازا مرسلا في مطلق الدعوة ويجوز ان يكون استعارة
لمحبة الله لهم والاستغفار فيه معنى التوبة لانه طلب المغفرة وهي من الغفر وهو الستر
اي ستر ذنوبهم بغفرها وبينهما عموم من وجه فمن اقلع عن الذنب نادما عازما على عدم
العود اليه من غير دعا بالمغفرة وتضرع تايب غير مستغفر ومن استغفر ربه من ذنبه
مع عدم اقلاعه مستغفر غير تايب ومن جمع بينهما مستغفر تايب وقد قال الله في القران
لنبيه صلى الله عليه وسلم بعد ان غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر كما تقدم
تفسيره وتاويله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الاية وكررها فقال ثم
تاب عليهم انه بهم روف رحيم لان التوبة الاولى عن اذنه لمن تخلف من المنافقين
في غزوة تبوك والثانية عن ان قلوبهم كادت تزيغ لما قاسوه في غزوة العسرة
او ذكر الاولى تفضلا منه والثانية عن الذنب المذكور وقال عز وجل ايضا فسبح
بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فامره باستغفاره وتسبيحه بحمده وقد ذكر انه
كان عظيم التوبة عليه والكلام على هذا وانه نعى له نفسه معلوم في كتب التفسير
والحديث وكان صلى الله عليه وسلم يجتهد في العبادة بعد نزول هذه السورة
ويقول كثيرا في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي
ويقول بهذا امرت فصل فقد استبان لك اي تبين فيما قيل هذا والسين
هنا للتاكيد وليست للطلب هنا لان ما يطلب من شانه ان يتانا فيه وقيل انها
للاطالة كما قيل العمار لو تنفست اي اطلت لان من يتنفس يستانف القول ويسهل
عليه الاطالة وفيه ما لا يخفى ايها الناظر ما قررناه ما في محل نصب مفعول
ناظر وفي نسخة بما قررناه بالبا السببية فاذا تاملته لك ما هو الحق وما هنه
فاعل استبان يعني تبين لك وظهر الحق والامر المتحقق المقرر مما فصله من عصمته
صلى الله عليه وسلم بحفظه وخلقه مبرا من النقايص لا سيما من الجهل بمعرفة
ذات الله وصفاته كساير الانبيا عليهم الصلاة والسلام فان فطرتهم على التوحيد
والعلم به وبصفاته والاقرار بذلك او تبين لك عصمته من كونه اي وجوده وخلقه
كساير الانبيا على حالة تنافي العلم بشي من ذلك اي من ذاته وصفاته كله بجملة فهو
لا يجهل شيا من ذلك اصلا لا سيما بعد النبوة ونزول الوحي عليه لقضايه بحيازته
جميع الشرف والكمال لانه تعالى لا يصطفي لامره هو كذلك اجماعا من كل المسلمين

وعقلاً لاقتضاء العقل السليم له وقبلها اى النبوة سمعاً ونقلاً لوروده فى الاحاديث
الصحيحة ولاتفاق ائمة الدين على عصمتهم من ذلك قبلها ولو قال من عصمتهم كان احسن
لعدم احتياجه للتقدير والمنصوبات تمييز وسمعاه وكذا بقوله نقلاً لحديث
البخارى كل مولود يولد على الفطرة وابواه يهودانه وينصرانه او يمجسانه وهو معنى
قوله تعالى فطرة الله التى فطر الناس عليها كما تقرر فى التفاسير وشروح الحديث وفى المواقف
عصمة الانبيا لاسيما نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام من الجهل بالله وصفاته
قبل النبوة وبعدها اجماع عقلى لانه كفر والكفر لا يجوز على الانبيا قبل البعثة وبعدها
عقلاً واجماعاً وما وقع لابراهيم عليه الصلاة والسلام لالزام الحجة وليطمئن قلبه
لا لشك منه كما تقدم وكذا كل ما يضاهيه من قصص الانبيا عليهم الصلاة والسلام
ولا بشى معطوف على قوله بشى قبله اى ولا كونه على حالة تنافى العلم بشى مما قرناه من امور
الشرع الذى اوحى اليه بتبليغه واداه اى وصله وبلغه عن ربه من الوحى المامور
بتبليغه لامته قطعاً اى مقطوع به متيقن بلا اختلاف عقلاً وشرعاً لانه منافٍ لما امر
به وادام بتبليغه فكيف يجوز عليه جهل شى منه لان الانبيا عليهم الصلاة والسلام
معصومون عن ذلك لدلالة المعجزة على علمهم وصدقهم فيما بلغوه عن الله لانه لو لم
يكن كذلك كان افترا على الله وهو باطل عقلاً وشرعاً وظاهره انه لا يقع منهم ذلك سهواً
ونسياناً ايضاً وهو مذهب ابى اسحاق الاسفراينى وجوزه القاضى ابو بكر لعدم منافاته
للمعجزة فانهم لا يقرون عليه وكلام المص على خلافه وعصمته من الكذب معطوف على
عصمته فى اول الفصل لما علمته من منافاة المعجزة له وخلف القول اى انه صلى الله عليه
وسلم معصوم عما يخالف الواقع من قوله ليلا يتهم فى تبليغه منذ نباه الله وارسله
فلم يصدر عنه شى منه وهو مستحيل منه قصداً وغير قصد واستحالة ذلك اى
الكذب والخلف عليه شرعاً واجماعاً من ائمة الدين ونظراً وبرهاناً اى استحالته شرعاً
واجماعاً مما دل عليه النظر والدليل العقلى فهو متحقق عقلاً ونقلاً وسقطت الواو
العاطفة فى بعض النسخ قبل قوله نظراً وهو احسن من ثبوتها فى بعضها وتنزيهه اى
تبرئته عنه اى عن الكذب قبل النبوة قطعاً للتواتر فكان صلى الله عليه وسلم عندهم
يسمى الامين كما مر لانه مامون فى اقواله وافعاله وتنزيهه عن الكباير اجماعاً لرفعة
قدره عنها ولا ينافيه تجويز الحشوية له كما قيل لعدم الاعتداد بخلافهم وقوله اجماعاً
اشارة لرد قول المعتزلة انه عقلاً لابتنائه على الحسن والقبح العقليين وعن الصغاير
تحقيقاً اى امر محققاً ولتجويز بعضهم لها لم يقل اجماعاً ويجوز ان يريد بقوله تحقيقاً قصداً
بقرينة قوله وعن استدامة السهو والغفلة عطف تفسير للسهو لبعد ساحته التبليغ
عنها فان وقع نبه عليه بسرعة كما مر وقد قيل   يا سايلى عن رسول الله كيف سها
والسهو من كل قلب غافل لاهى   قد غاب عن كل شى سره فسها   عما سوى الله فى التعظيم لله

وتقدم

وتقدم كلام مهم فيه وما فيه وعن استمرار الغلط والنسيان عليه حفظاً له صلى الله
عليه وسلم بايقاظ قلبه وتنبيهه فيما شرعه للامة لان استمراره مناف للتشريع له وعصمته
بالجر ويجوز رفعه فى كل حال لانه من رضى وغضب وجد بكسر الجيم ضد الهزل ومزح لانه صلى الله
عليه وسلم كما ورد كان يمزح ولا يقول الا حقاً كقوله صلى الله عليه وسلم لامراة
لا تدخل الجنة عجوز لانهن يعدن لسن الشبوبية فيجب عليك ايها الناظر لانه خطاب له
بفرضه ان تتلقاه اى تاخذه وتعلمه باليمين اى بالقبول واليمن والبركة لانهم ياخذون بها
ما يعتنون به فانها جهة يسهل العمل بها عادة والعرب تقول لما تمتدح به اخذه بيمينه
ولذا قال الشماخ   اذا ما راية رفعت لمجد   تلقاها عرابة باليمين   وتشد عليه
اى على ما ذكر من تنزيهه صلى الله عليه وسلم عما ذكر يد الضنين بضاد معجمة ونونين
كالبخيل وزناً ومعنى من الضنة وهى شدة البخل وهو استعارة تمثيلية بليغة كقول
المتنبى   وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتم   اى تحرص على حفظ ما ذكر من تنزيه قدره
عما ذكر كحرص البخيل على ما فى يده لشدة بخله به وخوفه من ذهابه منه وفيه مع اليمين
مراعاة النظير وقد فسر اليمين بالقوة وهو غير مناسب هنا لما عرفته وتقدر بسكون القاف
وكسر الدال من القدر وهو المنزلة الرفيعة كما فى قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره
هذه الفصول المعقودة لبيان ما يجب اعتقاده فى حقه صلى الله عليه وسلم حق قدرها
اى تعظمها حق تعظيمها اللايق بها وتعلم عظيم فايدتها لانها مما يجب اعتقاده وينال به
عند الله مثوبة عظمى وخطرها اى شرفها ومرتبتها واصله ما يعطى عند الرهان لمن سبق
فاستعير لما ذكر فان من يجهل ما يجب اعتقاده للنبى صلى الله عليه وسلم او يجوز له
مما يصح فى حقه او يستحيل عليه اى يمتنع فى حقه شرعاً وعقلاً وعادة ولا يعرف صور
احكامه اى الحكم المنصوص فى حقه من الوجوب والجواز والحرمة لا يامن ان يعتقد فى بعضها
اى بعض الصور والاحكام خلاف ما هى عليه فيعتقد فى حقه ما لا يجوز اعتقاده
ولا ينزهه عما لا يجوز فى حقه وفى بعض النسخ عما لا يجب اى لا يجوز كذا فسره به بعضهم
وفيه نظر ان يضاف اليه اى ينسب اليه ويوصف به فيهلك اى يقع فى امر يكون سبباً لهلاكه
فى الدنيا والاخرة من حيث لا يدرى لعدم علمه بحقه وما يجب له وما يجوز عليه ويسقط
فى هوة بضم الها وتشديد الواو وهو العميق كالبير الدرك بفتحتين وقد تسكن الراء وهو
ما ينزل به الى الاسفل من دركات المنازل من النار التعريف فى النار للعهد والمراد نار
جهنم التى فى الاخرة وهى هنا مجاز عن محلها وهى تستعمل كثيراً بهذا المعنى وهو عبارة
عن عقابه اشد العقاب فى الاخرة بسبب ما ذكر ولذا علله بقوله اذ ظن هو مصدر
مبتدا مضاف بقوله الباطل به صلى الله عليه وسلم اى ظن ما ليس صحيحاً فى حقه
واعتقاده على طريق الجزم به ما لا يجوز شرعاً وعقلاً عليه صلى الله عليه وسلم يحل
بضم اليا وكسر الحا المهملة وتشديد اللام وفاعله ضمير ما ذكر من الظن والاعتقاد

اى يحل صاحبه اى صاحب ذلك الاعتقاد دار البوار اى يجعلها لا فى دار البوار يعنى
جهنم والبوار بفتح الموحدة هو الهلاك وهو من اسمايها وضبط البرهان يحل بفتح اوله
وضم ثانيه وصاحبه فاعله على هذا وهو جايز ايضا ولا يتعين الا برواية كذلك وهذا
المذكور كله من عظيم قدره وخطره ووجوب اعتقاد خلافه يهلك صاحبه ويخلده
فى الدرك الاسفل لما يودى اليه من الكفر ان اراد تنقيصه بما ذكر لاختاط عليه الصلاة
والسلام وفى بعض النسخ ما احتاط وما زايدة كقوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم
والاحتياط افتعال من احاطه اذا اتخذ عليه حايطا ثم استعمل للمبالغة فى الصيانة
والحفظ وفى الاساس احتاط واستحاط فى امره بالغ فى الاحتياط وتفسيره بالتحرى
فى طلب الخير خسيته على من ذكر غير لايق هنا على الرجلين اللذين راياه ليلا اى فى ظلمة
الليل وهو معتكف فى المسجد يعنى مسجده بالمدينة مع صفية ام المومنين وكانت
جالسة تحدث معه صلى الله عليه وسلم ثم قامت فقام معها يشيعها لبيتها فراياه
وابصراه فاسرعا وقوله فى المسجد قيل انه متعلق براياه لا بمعتكف ومع صفية حال
من فاعل راى اى راياه حال كونه مع صفية فى بعض ازقة المدينة وقد جاءته تزوره لا
فاعل معتكف كما قيل والحديث فى الصحيحين عن صفية بنت حيى بن اخطب بن سعيه
بسين مهملة مفتوحة وعين مهملة ساكنة بعدها مثناة تحتية وهاء او نون وكانت
تحت ابن ابى الحقيق اليهودى فلما قتله صلى الله عليه وسلم واسلمت تزوجها وقصتها
فى السيرة فقال صلى الله عليه وسلم لهما انها اى التى رايتماها تحدث معى صفية
زوجتى لا اجنبية وفى الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لهما لما اسرعا على رسلكما اى
تمهلا انها صفية فقالا سبحان الله تعجبا من قوله صلى الله عليه وسلم ما ذكر لظنه انهما
ظنا به ما لا يليق بمقامه وقد قال الحفاظ انهما لم يعرفا ولم ينسبا فى شئ من كتب الحديث
الا ان ابن العطار تلميذ النووى قال فى شرح العمدة زعم بعضهم انهما اسيد بن حضير
وعباد بن بشير ووقع فى رواية سفيان فى البخارى فابصره رجل من الانصار
بالافراد وفى اخرى وهما من الانصار فيحتمل تعدد القصة وقال ابن حجر الاصل عدم
التعدد فهو محمول على ان احدهما كان تابعا للاخر فاختص احدهما بخطاب المشافهة
ثم قال صلى الله عليه وسلم لهما بعد ما قاله ان الشيطان يجرى من ابن ادم بوسوسته
فى باطنه مجرى الدم وهو داخل عروقه وفى رواية انى خفت ان يظنا بى ظنا ان الشيطان
الخ والمراد بابن ادم الجنس فيشمل النسا وجريانه مجرى الدم قيل انه على ظاهره
وانه اقدره الله على الدخول فى عروق الناس ويتصل بقلوبهم وقيل انه تمثيل لشدة
اتصاله به ولزومه له وانى خشيت عليكما ان يقذف اى يلقى ويوقع الشيطان فى قلوبكما
شيئا من الظن السيء فتهلكا فتقعا فى اثم يهلككما الله بما يحل بكما من الظن العقوبة على ذلك
الذنب فخشى صلى الله عليه وسلم عليهما ان يغويهما الشيطان فيلقى فى قلوبهما سوء

ظن به

366

ظن به وانه يتكلم مع اجنبية فيوديهما ذلك الى تنقيصه وهو كفر يستحقان به دخول
النار فيهلكا فبادر لا علامهما ينقذهما من الهلاك والحديث فى البخارى وغيره بتمامه
وفيه جواز خروج المعتكف من المسجد لحاجته والارشاد للاحتراز من محل التهم وانه
ينبغى للعالم ان يرشد غيره لما فيه خير له الى غير ذلك للفوايد التى لا تحصى قال القاضى
عياض المولف رحمه الله هذه اى معرفة ما يجب اعتقاده فيه صلى الله عليه وسلم
من عصمته من ساير الذنوب ليلا يهلك اذا اعتقد خلافه اكرمك الله اى جعلك الله
مكرما بما هداك له مما يجب عليك معرفته احدى فوايد ما تكلمنا عليه هو خبر هذه المبتدا
وما بينهما من الجملة الدعايية اعتراض فى هذه الفصول بصاد مهملة جمع فصل اى السابقة
فى بيان عصمة الانبيا عليهم الانبيا عليهم الصلاة والسلام وما يجب لهم علينا ولعل
جاهلا لا يعلم بجهله لانه هو الذى يخشى عليه من هذا التوهم ولعل هنا للاشفاق
عليه وخوفه من هلاكه اذا سمع شيا منها اى من الفصول المقصودة لتنزيه الانبيا عليهم
الصلاة والسلام عن النقايص يرى ويعتقد ان الكلام فيها جملة اى جميعا فهو منصوب
على الحال من فضول العلم خبر ان جمع فضل غلب على الامر الذى يعد عبثا ومنه الفضولى
ولذا نسب للجمع فيه وهو بضاد معجمة بمعنى زيادته وان السكوت عن ذكرها اولى
من ذكرها وهو جهل عظيم منه لانها من اهم الامور وقد بان لك مما قررناه انه ارى تعين
واجب ذكره واعتقاده للفايدة التى ذكرناها وهى ان فيها النجاة من الهلاك كما يرشدك
اليه حديث صفية الذى ذكره وفيه فايدة ثانية غير الذى قدمه يضطر بالبنا للمجهول
اى يحتاج اليها احتياجا شديدا لانها من ضروريات الدين فى اصول الفقه اى فى القواعد
الفقهية او فى علم اصول الفقه وينبنى عليها اى يترتب ويتفرع مسايل لا تعد من الفقه
اى مسايل الدين الشرعية وفروعه اى لا تعد لكثرتها الا ان الانفعال من العد قليل فى
الاستعمال الا انه كما قيل لغة رديه لا تكاد تعد ويتخلص بها اى يخرج من عهدتها ويسلم
من تشغيب تفعيل من الشغب بفتح الغين المعجمة وسكونها وهو تهييج الشر والصياح فى
الخصومة مختلفى الفقها اى اقوال الفقها المختلفة فى عدة منها اى عدة مسايل تتعلق
بالاعتقاد فيما يجوز على الانبيا عليهم الصلاة والسلام ويجب لهم وهى اى الفايدة
المضطر اليها الحكم فى اقوال النبى صلى الله عليه وسلم وافعاله التى هى معظم سنته
الواردة فى حديثه لانها صفاته واقواله وافعاله وتقريراته فى جميع احواله من الغضب
والرضى والصحة والمرض وغير ذلك مما قاله المص ولابى شامة رحمه الله مستقل فى افعاله
صلى الله عليه وسلم وما يجب الاقتدا به ويستحب فان منها ما هو تعبد وضرورة
وامور عادية وجبلية اختلفوا فى لزوم الاقتدا به فيها واستحبابه فيما لم يعلم انه قصد به
التشريع فذهب الباقلانى والغزالى الى انه يندب التاسى به فى الامور الجبلية ولابى
اسحاق فيها وجهان ففيها اقوال ثلاثة بالندب والاباحة والامتناع كذهابه للعيد

من طرقو ورجوعه من اخرى وهذا كله فيما لم يعلم حكمه بنص منه او من الصحابة رضي الله عنهم
ولم يعلم انه من خصوصياته صلى الله عليه وسلم وهو باب عظيم شانه واصل كبير من اصول
الفقه وقواعده المهمة لابتناء كثير من احكام الشرع عليه ولا بد من بنايه اى جعله مبنيا
على اساس وقاعدة يرجع اليها وهي انه متفرع على صدقه صلى الله عليه وسلم في اخباره
وبلاغه اى ما يبلغه لامته ومن بعث لهدايته وارشاده وانه لا يجوز عليه السهو فيه اى
فيما بلغه عن ربه لعصمة الله له عنه لمنافاته لكونه صلى الله عليه وسلم ارسل مشرعا
مبينا لامر ربه وعلى عصمته من المخالفة في افعاله الصادرة عنه عمدا فلا يتوهم جوازه
عليه ولا اعتقاده ويحسب بسكون السين اختلافهم على مقداره في وقوع الصغاير
من الانبيا كلهم الصلاة والسلام لا سيما منه صلى الله وقع خلاف بين الفقها وفي نسخة
اختلاف في امتثال الفعل اى اتباعه بمجرد صدوره منه وعليه اكثر فقها المذاهب وقد
بسط اى فصل وبين وذكر بيانه في كتب ذلك العلم يعني الفقه واصوله فلا نطول به
الكلام في هذا الكتاب لانهم جزاهم الله خيرا كفونا مؤنته فلا حاجة لاعادته هنا وفايدة
ثالثة يحتاج اليها الحاكم اى القاضي وغيره والمفتي اى المجيب السايل عن الامور الشرعية
من علماء الشرع وحكامه فيمن اضاف بنسبته ووصفه للنبي صلى الله عليه وسلم شيا
من هذه الامور التي تجوز او تجب او تمتنع عليه ووصفه بها صريحا او ضمنا كلا او بعضا
فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه من الاوصاف ولم يعرف ما وقع الاجماع فيه نفيا واثباتا
ولم يميز ما وقع الخلاف فيه جوازا او نفيا كيف يصمم اى يجزم او يعزم عليه في الفتيا
في ذلك اى امر الانبيا عليهم الصلاة والسلام منعا وجوازا وفي نسخة الفتوى وفي القاموس
افتى في الامر ابانه والفتيا والفتوى وتفتح ما افتى به الفقيه انتهى وفيه تفصيل في الصحاح
كغيره ومن اين يدري ويعلم بالعقل والنقل هل ما قاله في حق الانبيا في فتواه او حكمه فيه
نقص لهم او مدح لهم حتى يقدم عليه حكما وافتا فاما ان يجتري اما بكسر الهمزة ومعناها
مقرر في كتب العربية والاجترا افتعال من الجراة وهي الاقدام على الشي من غير مبالاة
بما فيه من الضرر وبينه وبين الشجاعة عموم وخصوص كما بين في كتب الاخلاق
على سفك دم مسلم حرام بان يحكم او يفتي بكفره او قتله وهو غير مستحق لذلك والسفح
والسفك بمعنى الاراقة والصب تنبيه قال في العقايد العضدية لا يكفر احد من اهل
القبلة الا بما فيه نفي الصانع المختار او بما فيه شرك او انكار النبوة او انكار ما علم
من الدين بالضرورة او انكار مجمع عليه قطعا او استحلال محرم واما غير ذلك
فالقايل به مبتدع وليس بكافر انتهى وسياتي بيان ذلك واعلم ان شيخ والذي الشهاب
ابن حجر الهيتمي قال في شرح المنهاج نقلا عن الزركشي ان ما وقع في كتب الحنفية وفتاواهم
من التكفير بالفاظ كثيرة كان المتورعون من متاخريهم ينكرون اكثرها لمخالفتها لاصول
ابي حنيفة وعقايدهم وليسوا من اهل الاجتهاد فليحذرها من يراها سنا ومنهم لا من خاف

على قايلها

على قايلها ان يدخل في قوله صلى الله عليه وسلم من كفر مسلما بغير حق فقد كفر انتهى
وفي الفتاوى البزازية حكي عن بعض السلف انه قال ما في الفتاوى من التكفير بكذا وكذا فذلك
للتخويف والتهويل وهو كلام باطل وحاشا ان يلعب امنا الله تعالى على الاحكام من الحلال
والحرام ويكفر اهل الاسلام بل لا يقولون الا الحق الثابت عن سيد الانام وما ادى
اليه اجتهاد الامام اخذا من نص كلام الملك العلام او حديث سيد الرسل العظام
انتهى وهذا يحتمل ان يكون تاييدا لما قاله ايمتنا بانهم لا يقولون الا ما نص عليه امام
مذهبهم مستندا الى دليل من القران او الحديث الصحيح او هو اعتراض على الجواب
بان المقصود به التخويف والتهديد بانه لا يصح مثله من التاويل الا في الحديث والتنزيل
اما في كتب الفقه الموضوعة لبيان الحلال والحرام وتعليم الناس حتى العوام فلا يصح
فيها مثله لما فيه من اللبس او يسقط حقا من حقوق النبي صلى الله عليه وسلم بما يوهم
نقصا فيه او يضع حرمته للنبي صلى الله عليه وسلم اى امر احترام ما امر اعني له صلى الله عليه
وسلم كتجويز المعاصي عليه ونحوه مما لا يليق به فلا يجوز لمسلم ان ينسب لنبينا وغيره
من الانبيا عليهم الصلاة والسلام امرا ينافي عصمتهم عمدا او سهوا قبل النبوة وبعدها
وهو الذي ارتضاه كثير من ايمة الدين واهل الاصول كما مر ثم ان المص شرع في بيان
عصمة الملايكة عليهم الصلاة والسلام كما وردت به النصوص فقال وبسبيل
هذا البا بمعنى في اى مما جرى في طريق هذا وفي نسخة وسبيل هذا بدون با وهذا اشارة
لما ذكر من عصمة الانبيا ما قد اختلف ارباب اى اصحاب الاصول اى علما اصول الدين
في العقايد دون ايمة العلما اى كبار علما الشرع المقتدى بهم والمحققين اى اهل التحقيق
من علاميهم في عصمة الملايكة عليهم الصلاة والسلام لانهم لا يعصون الله ولا يفعلون
الا ما يومرون فيهم مثلهم في جريان الخلاف فيما هو لازم لهم والصحيح والصواب
فيه فصل في تحرير القول في عصمة الملايكة جمع ملك والتانيث لجمع
وفي استقاق الملك خلاف لاهل اللغة المشهور انه من الالوكة وهي الرسالة لانهم
رسل الله برسلهم لما يريد واصله مالك ثم قلب بدليل جمعه على ملايكة واختلفوا
في حقيقتهم والصحيح انهم اجسام لطيفة قادرة على التشكل وفي تشكلهم كلام
ليس هذا محله وليس الجن منهم على الصحيح خلافا لمن ذهب الى انهم جنس واحد وقد بيناه
بحواشي التفسير وتقدير الكلام في معنى العصمة قال الجلال الدواني العصمة عندنا
ان لا يخلق الله فيهم ذنبا وعند الفلاسفة ملكة تمنع الفجور انتهى اجمع المسلمون وفي نسخة
اتفق المسلمون على ان الملايكة مؤمنون بالله ورسله وشرايعه كما وصفهم الله
في القران فضلا اى جدروا قدر معظم مبجل واتفق ايمة المسلمين من علما الملة الاسلامية
على ان حكم المرسلين منهم حكم النبيين من البشر فهم سوا اى مساوون لهم في العصمة
وتنزيههم عما ينزه عنه لشرف قدرهم مما ذكرنا عصمتهم منه من الصغاير والكباير

كما تقدم تفصيله والجار والمجرور متعلق بالعصمة قال الله تعالى الله يصطفي من الملائكة
رسلا قال الواحدي الملائكة منهم رسل كجبرائيل واسرافيل وميكائيل وعزرائيل ومنهم
غير رسل وقال بعضهم كلهم رسل ارسل بعضهم لبعض منهم وبعضهم الى الناس كجبريل
والحفظة والمص يتبع فيما قاله الواحدي وهو المشهور وفي كلامه اشارة الى ان
من انكر الملائكة ليس بمسلم كالفلاسفة فانهم ذهبوا الى انهم ارواح الفلكيات
وعقولها القوتهم انما جهته فعالة لا عقول روحانية كما فصل في كتب الحكمة ومطولات
الكلام والنصوص القرانية شاهدة بخلافه وانهم اي رسل الملائكة في حقوق الانبيا
من حيث الوساطة بين الله وبينهم والتبليغ اليهم فيما امرهم الله ان يبلغوه اليهم من الوحي
فحالهم معهم كالانبيا عليهم الصلاة والسلام مع الامم في تبليغ الاحكام اليهم وبيان
المصالح لهم حسبما امرهم الله بتبليغه والمراد بعصمتهم انهم لا يخالفون امر ربهم فلا ينافي
ان الله لم يخلق لهم شهوة ودواعي كما في الطباع البشرية وهو ظاهر غني عن البيان خلافا
لمن تصدى للجواب عنه واختلفوا في غير المرسلين منهم اي من الملائكة هل هم مساوون
لهم في العصمة مما تقدم وعدمها فذهب طايفة من ايمة الدين الى عصمة جميعهم من الرسل
وغيرهم من المعاصي جميعها لان الله تعالى لم يخلق فيهم شهوة ولا داعية لها واحتجوا
لعصمتهم من جميعها وفي نسخة احتجت اي الفرقة والاولى ولي بايات كقوله لا يعصون الله
ما امرهم منصوب على نزع الخافض اي فيما امرهم او بدل اشتمال من اسم الله اي امره ويفعلون
ما يؤمرون به اي يبادرون لفعله من غير تنقيص ولا تاخير فعلى هذا هو تاسيس وان حمل
على ظاهره فهو تاكيد والعطف بالواو يبعده قيل ولا دليل في هذه الاية لمدعاه من العموم
لانه عايد على خزنة النار قبله في قوله عليها ملائكة غلاظ شداد وهم التسعة عشر
وبه فسر في الكشاف فكانه لاحظ عدم الفرق بينهم وبين غيرهم ولا يخفى ما فيه
وبقوله وما منا الا له مقام معلوم لا يتعداه لغيره حسبما امر واو فيه حذف الموصوف
اي ما احد منا او معشر او فريق وانا لنحن الصافون وتفسيره بالصافين اقدامنا
في الصلاة لا وجه له هنا كما قيل وانا لنحن المسبحون اي الملازمون لتقديس الله
وتنزيهه عما لا يليق بشانه وقيل معناه المصلون العابدون كما ورد في الحديث
ان لهم صفوفا كصفوفنا وبقوله ومن عنده اي الملائكة المقربون مكانة لا مكانا
لتنزه الله عنه لا يستكبرون عن عبادته اي يتذللون ويخضعون لعظمة الله
ولا يستحسرون اي لا يتعبون ويملون من العبادة التي امروا بها وبقوله ان الذين
عند ربك لا يستكبرون عن عبادته الاية لتلذذهم بعبادته وقوله كرام بررة
صفة سفرة جمع سافر وهو الكاتب وهم الكرام الكاتبون من الملائكة والبررة جمع
بار وهو المطيع المتقي ربه واما البر فجمع ابرار وقوله لا يمسه الا المطهرون هذا
على ان المراد به لا يمس القران في اللوح المحفوظ او في غيره الا الملائكة المطهرون

من الكدورات

من الكدورات الجسمانية والعلايق البشرية وقد فسر بانه لا يجوز ان يمسه من الناس
الا من يطهر من الحدث او لا يمسه الكفرة لنجاسة كفرهم فهو نفي بمعنى النهي ولا شاهد
فيه على هذا كما انه لا شاهد في قوله وما منا الا له مقام معلوم ان فسر بانه
ما من احد من المسلمين الا له مقام في الاخرة او يوم القيامة وقد قيل ايضا انه لا
شاهد فيه على رسل الملائكة اذ لا مخصص فيه وقد اشار الى عمومه في الكشاف
ونحوه مما هو بمعناه من السمعيات اي النصوص القرانية الواردة في حق الملائكة
كقوله تعالى لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون او ما هو مسموع من الشارع
من كتاب وسنة وذهبت طايفة من العلما الى ان هذا اي ما ذكر من امر العصمة
خصوص اي مخصوص كما وقع في بعض النسخ للمرسلين والمقربين منهم اي من الملائكة
دون غيرهم والمقربون هم الكروبيون بتشديد الرا وتخفيفها وانشد ابو علي كروبية
منهم ركوع وسجد وكافه مبدلة من القاف واصله من كرب بمعنى دنا يقال هو كرب
الخلق اي قوية سموا به لقوتهم او لصبرهم على العبادة او هو من الكرب لشدة خوفهم
من الله واحتجوا باشيا ذكرها اهل التفسير نحن نذكرها ان شا الله وفي نسخة بعد
بالبنا على الضم وبنتين الوجه فيها اي القول الموجه المرضي مستعار من الوجه المرضي
والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم اي كمال مقامهم الرفيع العالي منزلته
عند الله عن جميع ما يحط اي ينقص وينزله من حط الحمل اذا نزله من مكان عال الى
اسفل منه من رتبتهم ومنزلتهم هو مقامهم عن جليل مقدارهم اي قدرهم الجليل فهم
معصومون عن جميع الذنوب كبيرها وصغيرها ولا يجوز ذلك عليهم ولا يقدرون
ورايت بعض شيوخنا اشار اي قال والاشارة تطلق بهذا المعنى كثيرا الى ان بفتح
الهمزة مخففة من الثقيلة اي انه لا حاجة بالفقيه قيل الباء بمعنى اللام اي لا حاجة
له الى الكلام في عصمتهم قيل اكتفا بما ورد واشتهر في حقهم ومدحهم من النصوص
في القران والحديث وقيل انه لكونهم غير مرئيين لنا ولم نؤمر بالاقتدا بهم بخلاف
الانبيا عليهم الصلاة والسلام فانا متبعون لاقوالهم وافعالهم مقتدون بهم
فلا بد من معرفة عصمتهم واعتقادها للوثوق بهم حتى يجب امتثال اوامرهم
ونواهيهم للامم وقيل فما اراد انه يجب الكف عن الكلام في جميعهم لانه امر
مشكل لا يتكلم فيه الا بدليل قطعي لانه لا فايده فيه وانا اقول ان الكلام في ذلك
اي في عصمة الملائكة لازم كالكلام في عصمة الانبيا وفي نسخة ان للكلام في ذلك
ما للكلام في عصمة الانبيا من الفوايد الثلاثة التي ذكرناها فانهم وسايط بين الله
ورسله ونسبتهم للرسل كنسبة الرسل لاممهم فلو لم يكونوا معصومين
لم يحصل الوثوق للرسل بما بلغوه ولسرى ذلك لنا فلا فرق اذن سوى فايده الكلام
في الاقوال والافعال اي الفايدة التي ذكرها في اقوال الرسل وافعالهم فهي ساقطة هنا

اى فحق الملائكة لعدم اطلاعنا على اقوالهم وافعالهم ولسنا مكلفين باتباعهم فيها
كالانبيا عليهم الصلاة والسلام فلا داعي لعصمتهم فيها عمدا ولا سهوا لعدم طر
وما الايليق فهما احتج به من لم يثبت عصمة جميعهم وقال بوجوب عصمة الرسل منهم
فقط قصة هاروت وماروت بانهما علمان لملكين ببابل ممنوعان من الصرف للعلمية
والعجمة ولو كانا عربيين من الهرت والمرت صرفا وما ذكر فيها اى القصة اهل الاخبار
وعلما التاريخ ونقلة جمع ناقل مثل كاتب وكتبة مضاف لقوله المفسرين اى
من اعتمد على النقل من الصحف دون تحقيق وفي نسخة ونقله المفسرون بفعل ماض
وفاعل وما روى عن على وابن عباس في خبرهما وابتلائهما بمحبة المراة وعقابهما على افعال
كما ستسمعه قريبا مع ما فيه ردا وقبولا وما وقع من السحر فتنة للناس وان السحر
من اعتقده وعمل به فقد كفر كما ياتى واما من تعلمه ليتوقاه ويتداوى منه فلا كما قيل
عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه وللفقها فيه
وفي قتل الساحر كلام طويل الذيل ليس هذا محل تفصيله فاعلم خطاب عام لكل واقف
على هذا الكلام طالب للعلم به اكرمك الله بهدايتك للحق ان هذه الاخبار المذكورة
في قصة هاروت وماروت لم يرو منها شئ عمن يعتد به من المحدثين لا سقيم اى ضعيف
ولا صحيح ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو اى ما تضمنته قصتهما شئ
يوخذ اى يستنبط بقياس وفي نسخة بالقياس اى ليس مما يجرى فيه القياس على غيره
مما ورد من الايات والاحاديث الصحيحة فلا ينبغى الخوض فيه نفيا واثباتا وهذا الذى
ذكره من انه لم يرد فيه حديث ضعيف ولا صحيح ردوه كما نقله السيوطى في مناهل
الصفا في تخريج احاديث الشفا بانه ورد من طرق كثيرة منها ما في مسند احمد عن ابن
عمر رضى الله عنهما مرفوعا ورواه ابن حبان والبيهقى وابن جرير وابن حميد في مسنده
وابن ابى الدنيا وغيرهم من طرق عديدة وقال ابن حجر في شرح البخارى ان له طرقا تفيد العلم
بصحته وكذا في حواشى البرهان الحلبى وذكره مسندا عن ابن عمر رضى الله عنهما انه سمعه
صلى الله عليه وسلم يقول لما اهبط الله ادم الى الارض قالت الملائكة اتجعل
فيها من يفسد فيها الاية قالوا ربنا نحن اطوع لك من بنى ادم فقال الله هلموا بملكين
يهبطان للارض قالوا ربنا هاروت وماروت فاهبطا فتمثلت لهما الزهرة امراة
حسنا من البشر فراوداها عن نفسها فقالت لا والله حتى تكلما بهذه الكلمة من الشرك
فابيا فذهبت واتت بابن جارلها تحمله فراوداها فقالت لا حتى تقتلا هذا الصبى
فقالا لا ثم راوداها مرة اخرى فاتت بقدح خمر فقالت لا حتى تشرباه فشربا وسكرا فتكلما
بكلمة الكفر وقتلا الصبى فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة فاختارا عذاب
الدنيا فعلقا بين السماء والارض والزهرة بضم الزاى وفتح الها وتسكينها لحن
ولا مانع منه تخفيفا ويقال لها بالفارسية اناهيد وتخفف فيقال ناهيذ وفي رواية

ابن

ابن عباس ان الله ان لهما يحكمان بين الناس وان الزهرة قالت لهما اخبراني بما تصعدان به
الى السما قالا باسم الله الاعظم وعلماها اياه فطارت الى السما فمسخت كوكبا وقد جمع
الجلال السيوطى طرق هذا الحديث في تاليف مستقل فبلغت نيفا وعشرين طريقا
وقوله والذى منه اى من ذكر هذه القصة في القران جواب سوال تقديره انك قلت
ان هذه لم تثبت عنه صلى الله عليه وسلم فما تقول في ذكرها في القران في قوله تعالى
واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين
كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان
من احد حتى يقولا انما نحن فتنة الاية فاجاب بقوله اختلف المفسرون في معناه اى
معنى ما ذكر في هذه الاية فانكر ما قال بعضهم فيه اى في معناه كثير من السلف كما سنذكره
فلا حاجة لذكره هنا وهذه الاخبار التى ذكرها بعض المفسرين منقولة من كتب اليهود
في الاسرائيليات وافترايهم اى كذبهم على انبيا الله وملائكته عليهم الصلاة والسلام
كما قصه الله اى حكاه في اول الايات من افترايهم بذلك على سليمان تكفيرهم اياه اى
نسبته الى الكفر الذى رده الله تعالى بقوله وما كفر سليمان الخ وقد انطوت
اى اشتملت ولحنوت هذه القصة على شنع عظيمة بضم الشين المعجمة وفتح النون
وعين مهملة جمع شنعة اى قبيحة شايعة من شنع عليه اذا اشاع قبايحه وذلك
كما ياتى بيانه انهم كتبوا سحرا ونيرنجيات على لسان اصف بن برخيا وزير سليمان
عليه الصلاة والسلام ودفنوها تحت مصلى سليمان فنزع ملكه ثم لما مات
استخرجوها وقالوا انما ملككم بهذه فانكرها صلحاوهم واقبل عليها السفلة
ورفضوا كتب انبيايهم ونسبوا سليمان عليه الصلاة والسلام للكفر والسحر
فبراه الله منه وها نحن نحبرك اى نحرر تحريرا حسنا من حبره بمهملتين بينهما موحدة
اذا حسنه وزينه وفيه تورية لانه يقال حبره اذا كتبه بالحبر ففيه ايهام لمعنى
نكتبه لنبينه في ذلك المذكور في قصة هاروت وماروت ما يكشف غطا هذه الا
شكالات اى ما يزيل لبسه واشكاله ببيان الحق فيه وفيه استعارة مكنية
وتخييلية او مصرحتان باستعارة الكشف للازالة والغطا للبس ان شا الله
اى ان اراده بمنه وبركته فاختلف اولا في هاروت وماروت اى في حقيقتهما وجنسهما
لان بيان الحقيقة ينبغى تقديمه على بيان احوالهما وهل هما ملكان بفتح اللام اى
في جواب هذا السوال وهو تفسير للاختلاف وجهته او انسيان نسبته الى
الانس خلاف الجن اى من بنى ادم وهل هما المراد بالملكين في قوله وما انزل على الملكين
في الاية بان يكونا بدلا منه اولا وهل القراة ملكين بفتح اللام وهى قراة السبعة
وملكين بكسرها وهى قراة شاذة منقولة عن الحسن البصرى وغيره كما ياتى وهل
ما في قوله وما انزل على الملكين وفي قوله ما يعلمان من احد نافية او موجبة اى غير نافية

من الايجاب ضد النفي فهي على هذا موصوله او موصوفة وهو ظاهر وكونهما ملكين بفتح
اللام مذهب الجمهور وقراة متواترة وعلى قراة الكسر يلزم كونهما انسيين تصورا
بصورتهما الا انه المتبادر وكونهما من الملائكة امرهما الله بالهبوط للارض والحكم بين
الناس كما تقدم في الحديث فتصورا بصورة البشر لقدرتهما على التشكل بعيد من دلالة
اللفظ والاحتمال البعيد لا يعول عليه فايراده هنا غير متجه والقايل بانهما ملكين
بالكسر استدل بظاهر حديث رواه عايشة رضي الله عنها ان امراة قالت لها انها
اتتهما رجلين معلقين بارجلهما وفيه الاحتمال السابق ايضا فالاحتجاج به غير
تام فان كانت ما في وما انزل نافية كان معطوفا على ما كفر سليمان اي لم يكفر ولم ينزل
على الملكين شي من السحر وهاروت وماروت بدل من الشياطين بدل بعض وما بينهما
اعتراض وهو رد على اليهود لعنهم الله فيما افتروه على الانبيا والملايكة والا فهي موصولة
او موصوفة وقوله من احد يابي كونها غير نافية ولذا قال بعض الشراح انه لم يذكره
احد من المفسرين وان المعنى عليه غير ظاهر والكلام في ذلك مفصل في التفاسير
فاكثر المفسرين يقول ان الله امتحن الناس بالملكين اي ابتلاهم وعاملهم معاملة
المحنة لامرهم حتى يظهر حالهم والملكين تثنية ملك بفتح اللام فانزلهما لتعليم
السحر لهما وتبيينه وان علمه كفر وفي نسخة علمه بتقديم الميم على اللام وجعله كفرا
مبالغة لانه سببه فهو مجاز كرعينا الغيث والمطر فمن تعلمه ويعمل به معتقدا حله
كفر لاعتقاد ما هو حرام لجماعا حلالا ومن تركه امن اي دام وهو مومن على ايمانه
اذ الكفر في مجرد تركه السحر لا يصير مومنا وهذا مذهب مالك وعزاه المص في شرح
مسلم الى سيدنا احمد بن حنبل فهو عندهما كافر فيقتل ولا يستتاب كالزنديق عنده
وهو عند الشافعي كبيرة ان لم يكن فيه ما يقتضي الكفر فلا يقتل وتقبل توبته فان قتل
بسحره قتل قصاصا عنده وقيل تلزمه الدية والكفارة وعند غير الشافعية فيه خلاف
ودليل مالك ما قال الله عز وجل انما نحن فتنة فلا تكفر فان قولهما له على طريق النصح حتى
دوي ان تكرره سبع مرات يقتضي انه كفر وما قيل من انه لا دليل فيه لاحتمال ان الله
يعاقبه بسلب الايمان منه اي لا تفعله فانه سبب لسوء الخاتمة خلاف الظاهر
وتعليمهما الناس تعليم انذار مبتدا وخبر والناس مفعول المصدر الاول وهو
جواب عما استدلوا به اي انما علموهم ليعرفوه ويحذروا منه فهو انذار وتخويف
لهم من وباله ثم وضحه بقوله اي يقولان يعني الملكين لمن جا يطلب تعلمه منهما لا تفعل
اي لا تتعلمه وفي نسخة لا تعلموا فانه يفرق بين المرء وزوجه اي هو سبب لذلك
بما يلقيه في قلوبهما من البغض الموجب لمفارقة احدهما الاخر وما هم بضارين به
من احد الا باذن الله اي بتقديره وارادته والسحر له تاثيرات غير ذلك وانما حصه
لكثرته والجمهور على ان السحر له حقيقة تحدث عند نطقه ببعض الكلمات وفعل

بعض

370

بعض الاشيا بخاصيته اوجدها الله عنده وقيل انه تخييل باطل وانه لا اثر له غير
تفريق الزوجين والاول هو الصحيح كما قاله المازري ولا تتخيلوا بكذا تفتعل من الحيلة
بالحا المهملة اي لا يتماشى واحيل السحرة التي يفعلونها من التمويه والنفث في العقد
ونحوه وروي لا تتخيلوا بخا معجمة وهو ظن الشي على خلاف ما هو عليه واكثرهم
على الاول ويويده تعديه بالبا او هي سببية فانه سحر اي امر غير محمود ولا جايز فلا
تكفروا بفعل هذه لانه كفر او مود اليه كما بيناه فعلى هذا اي ان تبيينه لانذار الناس
من الوقوع فيه فعل الملكين في السحر بعد نهيهما عنه وبيان ضرره وكفر فاعله طاعة
لما فيه من النهي عن المنكر وتصرفهما فيما امرا به اي امرهما الله باظهاره وبيان حاله
ليس بمعصية يستدل بها على عدم عصمة بعض الملائكة وهو جواب عن سوال
تقديره انما فعلا ما هو غير جايز في نفسه بانه في حقهما جايز كالمفتي والواعظ الذي
يتكلم بكلمات الكفر ليتجنب وهو مامور بذلك فهو في حقه غير ممنوع وهي لغيرهما
فتنة بلية تهلكه بعقاب الله له وروى ابن وهب هو الامام عبد الله بن وهب
المصري وقد تقدمت ترجمته عن خالد بن ابي عمران التجيبي التونسي قاضي افريقية
ومحدثها توفي سنة مايه وتسعه وثلاثين واخرج له اصحاب السنن وثقوه وكان
مستجاب الدعوة وله تفسير انه ذكر عنده هاروت وماروت وذكر انهما يعلمان
السحر من طلب تعلمه منهما فقال نحن ننزههما عن هذا اي تعليم السحر فقرا بعضهم
ردا لما قاله بانه مخالف لظاهر قول الله وما انزل على الملكين لانه احتج بهما بنا على
الظاهر من ان ما موصولة وعلى قراة الجمهور بفتح اللام فقال خالد مجيبا له لم تنزل
عليهما بالبنا للفاعل والمفعول وهو انكار لما قاله وانه ليس ما فهمه مراد الله
وان لها معنى غير ما يظهر منها لمتاويلها وسياتي ان شا الله تعالى فهذا خالد على جلالته
اي عظم قدره وجعله لشهرته كانه حاضر مشاهد عنده وعلمه بالتفسير والحديث
نزههما اي الملكين عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انه مادون لهما في تعليمه لان الله
امرهما بتعليمه انذارا للناس وليس معصية في حقهما كما سمعته انفا بشريطة
بمعنى شرط كما وقع في بعض النسخ ايضا ان بينا انه كفر فيعلماه بما فيه من المحذور
وانه امتحان من الله وابتلاء عطف تفسير فغير خالد جعل ما موصولة ايجابية
مثبتة لانزال السحر عليهما وهي عنده نافية كما ياتي ولكنه امر بتعليمه لانذارهم
وتحذيرهم من مضاره وبيان انه ابتلا من الله فكيف لا ينزههما هو مضارع مسند
الى خالد اوله مثناة تحتية وقيل انه مبدو بالنون مسند للمتكلم وغيره اي
كيف لا ننزه نحن الملكين عن الكباير والصغاير كشرب الخمر وقتل النفس والزنا والكفر
بالتكلم بكلمة الكفر ونحو المذكورة في تلك الاخبار التي رووها كما سمعته وفصلناه
قريبا فتنزيههما عن هذا يعلم من تنزيه خالد لهما عن السحر وتعليمه بشرطه المذكور

بالطريق الاولى وقول خالد الذي نقله المص عنه لم ينزل عليهما بالتشديد والتخفيف
مبنيا للمجهول الذي دل عليه قوله وما انزل على الملكين الخ يريد بقوله ذلك ان ما
في هذه الاية نافية وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وبه اقتدى خالد فهو يقول
كما في بعض الشروح ان المراد بالملكين جبريل وميكائيل وهاروت وماروت
بدل من الشياطين بدل بعض وغيره لم يذهب لهذا كما تقدم وهذا القول لم يقل به
جمهور المفسرين والمحدثين كما عرفته قال مكي في تفسيره وقد تقدمت ترجمته وتقدير
الكلام عند ابن عباس وخالد اذا كانت ما نافية وانه معطوف على قوله وما كفر
سليمان نبي الله صلى الله عليه وسلم يريد بالسحر الذي افتعلته الشياطين عليه
اي افترته وكذبت في نسبته اليه قال في الاساس مفتعل مختلق مصنوع يعني
لا اصل له قال ذو الرمة غرايب قد عرفن بكل افق من الافاق تفتعل افتعالا
فاتبعهم في ذلك اليهود كما قيل ان الشياطين دفنت كتب السحر تحت كرسيه فلما مات
وذهب علماء ملته قالوا ان تحت كرسيه كنزا فحفروا ما تحته فوجدوا الكتب فقالوا
ان سليمان كان ساحرا فلما نزل القران بذكره قال اليهود انه ساحر فنزلت الاية
بتكذيبهم اي تكذيبا لهم كما رواه الطبراني عن ابن جبير بسند صحيح لكن فيه ان الشياطين
هي التي كتبت كتب السحر ودفنتها فلما مات استخرجتها وقالوا هذا هو العلم الذي
كتمه عن الناس وزاد ابن اسحاق انهم نقشوا خاتما كخاتم سليمان وختموا به الكتاب
وعنوانه هذا ما كتبه اصف بن برخيا الصديق للملك سليمان بن داود من ذخاير
كنوز العلم الذي انزله الله على سليمان فاخفاه عنا ثم قروا كتب السحر والكفر على
الناس وقوله وما انزل على الملكين اي شي من السحر وهذا بيان لانها نافية وهو قول
ضعيف قال مكي هما اي الملكان جبريل وميكائيل كما تقدم ادعى اليهود عليهما المجي
اي انهما نزلا بالسحر وتعليمه افتراء عليهما كما ادعوا على سليمان عليه الصلاة والسلام
انه ساحر اعتقد السحر وعمل به افتراء عليه فاكذبهم الله اي بين كذبهم في ذلك كله
مما نسبوه لجبريل وميكائيل وسليمان بقوله ولكن الخ اضراب ابطالي الشياطين كفروا
بكذبهم على الله وملائكته ورسله وعملهم السحر وتدوينه وهم الذين يعلمون الناس
السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وبابل علم ارض ممنوع من الصرف
للعلمية والتانيث سميت بها لتبلبل الالسنة واللغات بها بعد الطوفان وهي
بالعراق وما قيل انها بالمغرب قول ضعيف جدا وقيل هما اي هاروت وماروت
رجلان لا ملكان تعلماه اي تعلما السحر وهو قول مردود وبابل مضا فهما على هذا
وقال الحسن هو الحسن البصري وقد تقدم بيانه هاروت وماروت علجان تثنية
علج وهو الغليظ من كفار العجم اي ما عدا العرب ويطلق على كل شديد من الكفار
مطلقا من قولهم هو مستعلج الوجه اي غليظه واعتلجوا اضطربوا وقرا الحسن

وما انزل على الملكين بكسر اللام كما تقدم بيانه وتكون ما ايجابا اي موصولة لا نافية
على هذا القول والقراة والمعنى الذي انزل على هذين الرجلين وكذلك اي كما قرا الحسن
قرا عبد الرحمن ابن ابزى بكسر اللام وبه قرا ابن عباس في الشواذ والضحاك وعبد الرحمن
هذا صحابي كما جزم به النووي والذهبي واختلف في ابيه فقيل انه صحابي ادرك النبي
صلى الله عليه وسلم وصلى خلفه وقيل انه تابعي لم يدركه وابزى بفتح الهمزة وسكون
الموحدة وزاي معجمة والف مقصورة يقال ابزى اذا اوسع خطوه وقد اخرج له الستة
وغيرهم كاحمد في مسنده وهو خزاعي ولكنه قال الملكان هنا اي في هذه الاية المراد بهما
داود وسليمان صلى الله عليهما وسلم ويكون ما نفيا على ما تقدم ولا شك انهما معصومان
فلا يكون ما موصولة وقيل كانا ملكين على انه بكسر اللام في هذه القراة من بني اسرائيل
هو لقب يعقوب ومعناه صفوة الله واليه ينسب بنو ابراهيم فمسخهما الله عما وقع
منهما حكاه السمرقندي وقيل انه بسكون الراء والنون وتقدم بيانه والقراة بكسر
اللام شاذة كما مر والشاذ ما فوق العشرة على الصحيح وقيل ما فوق السبعة والكلام
عليه في الاصول وعلم القراات مشهور فمحمل بفتح الميم الاولى وكسر الثانية اي ما تحمل
عليه وتفسر به الاية يعني قوله وما انزل على الملكين الخ على تقدير من يجعل ما نافية
معطوف على ما كفر سليمان حسن على القول بانهما لم يؤمرا بتعليمه ابتلاء وامتحانا كما تقدم
وحسنه لانه ينزه الملائكة عن المعاصي ويذهب الرجس اي الاثم وجزاءه عنهم ويطهرهم
تطهيرا اي يبريهم عن المعاصي واوساخها وهو اقتباس استعير فيه الرجس للمعاصي
والتطهير للعصمة منها وتحقيقه في الكشاف وشروحه وقد وصفهم الله اي وصف
الملائكة في القران بانهم مطهرون من ادناس العيوب كالمعاصي وهذا بناء على احد التفاسير
فيها كما تقدم ولا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقد تقدم بيانه واعلم ان
ما ذكره المص في قصة هاروت وماروت من انها لا اصل لها بحسب الرواية ولا من
جهة الدراية على ما هو الاصح من ملكيتهم لانهم معصومون والملك المعصوم لا يليق
ان ينسب اليه ما ذكر من المعاصي ونحوها مما هو مردود اما الاول فلما عرفته فيما مر من انه
ورد في حديث من طرق كثيرة باسانيد صحيحة كما قاله الحافظ ابن حجر والسيوطي قال
وجمعت طرقه في جزء مستقل الى اخر ما مر فالتردد فيه لا ينبغي واما ما انكره من انه
نسب للملائكة ما لا يليق بهم ولا يصح نسبته لهم فتحقيق الوجه فيه ان الله تعالى لما
جعل ادم عليه الصلاة والسلام خليفة والخلافة في اولاده وقالت الملائكة
سؤال استفسار اتجعلهم خلفاء يفسدون في الارض فقال لو جعلت فيكم ما فيهم
من الشهوة كنتم مثلهم فتعجبوا من ذلك فامرهم باختيار من يحكمه في الارض فاختاروا
هذين الملكين فاودع فيهما جبلة شهوة بشرية وتمثلا بصورتهم فلما اهبطهما ورايا الزهرة
فتنا بها وكان ما كان مما قصصناه عليك فاذا عرفت هذا سقط هذا الاعتراض

لانهما لما نحولا عن الملكية واودع فيهما شهوة البشر لا ينكر مثله منهما لان المعصوم الملك
ما دام على اصل ملكيته فاذا خرج عنها التحق بالبشر فلا ينكر ان يصدر منهما ما يصدر منهم
وهذا هو الحق الحقيق ومما يؤيد كونه في الاستدلال على ما ادعوه من ان الملائكة غير معصومين
والمعصوم منهم الرسل فقط قصة ابليس لما عصى الله وابى السجود لادم عليه الصلاة
والسلام على القول بانه كان من الملائكة وفيه خلاف مشهور كما اشار اليه بقوله
وانه كان من الملائكة رئيسا فيهم ومن خزان الجنة الى اخر ما حكوه من احواله وخزان
بضم ففتح وتشديد جمع خازن كخزنة من الخزن وهو حفظ الخزائن والمراد به حفظتها
وحراسها وانه استثناه الله من الملائكة بقوله فسجدوا الا ابليس والاصل في الاستثنا
الاتصال المقتضي لانه منهم ولو لم يكن منهم داخلا في امرهم بالسجود لم يكن مستحقا للطرد
وغيره وهذا ايضا لم يتفق عليه مبني للمجهول اي لم يتفق عليه العلما حتى يتم الاستدلال
به مع معارضته لقوله في اية اخرى كان من الجن وان قاله الذاهبون الى الاول وهو منقول
عن ابن عباس والكلام فيه مشهور غني عن البيان بل الاكثر منهم ينقل ذلك يقولون
انه ابو الجن وهو المسمى بالجان ايضا ومنهم من قال انه ابو الشياطين وان الجن جنس غيرهم
الجان ابوهم وان الشياطين لا يسلمون ولا يموتون الا معه والجن منهم مسلم وكافر
ويموتون كالبشر ويحشرون ويدخلون النار والجنة كما ان ادم ابو الانس وهو اي هذا
القول قول الحسن وقتادة وابن زيد وهو عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وتقدمت تراجم هولا
كلهم وقال شهر بن حوشب شهر بمعجمة بزنة ضرب وحوشب بفتح الحا وسكون الواو وفتح
الشين المعجمة وموحدة وهو ممن رووا عنه ووثقوه وضعفه بعضهم وتوفي سنة احدى
عشرة ومائة وقيل في تاريخ موته غير ذلك وله ترجمة في الميزان كان من الجن الذين طردتهم
الملائكة في الارض حين افسدوا فيها والاستثنا من غير الجنس وهو الاستثنا المنقطع
شايع من شاع الخبر اذا اشتهر بين الناس في كلام العرب سايغ بسين مهملة وغين معجمة
اخره ومعناه جائز من ساغ الشي اذا سهل شربه وطاب استعير لما ذكر يعني انه
مسموع من اهل اللسان غير ممتنع بحسب العقل والفهم ثم استدل بقوله تعالى ما لهم به
اي الذين اختلفوا في قتل عيسى من علم الا اتباع الظن والظن ليس من العلم وكذا اتباعه
وقد اخرج منه وليس من جنسه اي لكنهم اتبعوا الظن فيما زعموه وتاويله بما يسكن
اليه النفس يصححه ولا يجعله متصلا كما قيل واما كون ابليس ملكا او جنيا او ان
الجن والملك نوع واحد من عنصر واحد والجن من نار مخالط لدخانه والملك من صافي
نوره كما قرره البيضاوي والكلام على هذه الاقوال الثلاثة وعلى حقيقة الجن والملك
لا يسعه هذا المقام ومما رووه من الاخبار كما رواه ابن جرير عن ابن عباس وابن ابي حاتم
عن يحيى بن كثير ان خلقا اي طائفة من الملائكة عصوا الله فيما امرهم به وهذا بنا على
عدم عصمة جميعهم فحرقوا ضبطه بعضهم بالفا من التحريف اي طردوا وصرفوا عن مقامهم

وفي بعض

وفي بعض الشروح انه بالقاف من تحريق النار والرا المهملة مشددة فيهما مع بنا المجهول

لكن قوله وامروا ان يسجدوا لادم فابوا السجود له يا باه لانه بعد تحريقهم وفنائهم
كيف يومروا بالسجود له الا ان يقدروا واخرون امروا بالسجود فحرقوا هو كالذي قبله
ولو ضبط الاول بالفا والثاني بالقاف جاز على انه قصد التجنيس فليحرر واخرون
كذلك اي امروا بالسجود لادم فابوا فحرقوا حتى سجد له من ذكر الله في قوله تعالى فسجد
الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس في اخبار اي مما ذكره الله في القران مع اخبار في معنى
الاية لا اصل لها اي لا يعتمد عليها يقال لكل ما لا يصح هذا لا اصل له فيكفي نفي الاصل
عن نفيها يردها صحيح الاخبار المنافية لها لدلالتها على عصمة الملائكة كما في الايات
المتقدمة فلا يشتغل بها

الباب الثاني فيما يخصهم من الامور

الدنيوية التي تختص بالانبيا من الصفات والسمات التي تكون لهم في الدنيا سوا كانت
واجبة او مندوبة او مباحة اولا وفيما يطرا اي يحدث ويوجد وهو مهموز الاخر وقد تبدل
همزته بحرف علة يقال طرا عليه كذا اذا عرض له فلذا فسره وبينه بقوله من العوارض
جمع عارض واصل معناه ما يبدو وعرضه ثم استعمل فيما يعرض ويحدث من سقم وغيره
وقوله البشرية تخصيص له لان العوارض تعرض للبشر من بني ادم وغيرهم لما ذكر في الفصول
التي قبل هذا مما يتعلق بالانبيا من عصمتهم من الكباير والصغاير والحقه ببيان عصمة
الملائكة وهو مما يتعلق بالامور الاخروية شرع فيما يتعلق بهم من الامور الدنيوية
لما بينهما من التقابل فقال قد قدمنا في هذا الكتاب انه اي نبينا صلى الله عليه وسلم
وساير الانبيا والرسل اي بقيتهم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين من البشر
اي افراد كاملة من هذا النوع فيجري عليهم ما يجري على غيرهم من لوازم البشرية
وان جسمه وظاهره الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم او للجسم والاول اولى خالص
للبشر يعني به انه صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق ببنيته متمحض للبشرية لا يخالف
غيره في شي منها فلذا قال يجوز عليه اي يجوز ان يطرا عليه من الافات جمع افة
كعاهة وزنا ومعنى وهو ما يفسد ما اصاب به ويضره قال السرقسطي في افعاله افت
القوم اوفا اذا دخلت عليهم مشقة وقدرة والتغيرات اي الانتقال من حال الى
حال كالمرض والصحة والالام بالمد جمع الم وهو كما قال الراغب الوجع الشديد
ومنه عذاب اليم اي مولم والاسقام جمع سقم بفتحتين وسقم بضم فسكون وهو
المرض المختص بالبدن لان منها ما هو نفساني ومشترك وتجرع كاس الحمام
التجرع الشرب تدريجا جرعة بعد جرعة وكاس بهمزة تبدل الفا قدح الشراب ما دام
فيه والا فهو زجاجة والحمام بكسر الحا المهملة الموت من حم الامر اذا قضي وقدر لانه
بقضائه وقدره وفيه استعارة مكنية مرشحة شبهه بالمسكر كما في الحديث ان للموت
لسكرات لازالته العقل فاثبت له الكاس تخييلا واثبات التجرع ترشيحا وكون

اضافة الكاس كاضافة لجين الماديكيك وتاخيره عن الاسقام والالام واقع موقعه
ما يجوز على غيره من البشر لان المساواة في الجسمية تقتضي المساواة في قبول العوارض
كما تقرر في الحكمة وعلم الكلام وما موصولة فاعل يجوز الاول وهذا كله اى ما يجوز
عليه وعلى ساير الانبيا من جواز ان يطرا عليهم كغيرهم العوارض البشرية من الالام
وغيرها ليس بنقيصة فيه لانه امور طبيعية غير كسبية لا يعد مثله نقصا الا عند
بعض العقول القاصرة كما قالوا ما لهذا الرسول يا كل الطعام ويمشي في الاسواق
لان الشي انما يسمى ناقصا بالاضافة اى بالنسبة الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه كما
يتفاوت بعض افراد الناس ويفوق بعضهم بعضا بالفضايل والاخلاق الحميدة وقد
كتب الله اى قضى وقدر في الازل قضا مبرما على اهل هذه الدار يعني دار الدنيا انهم
فيها يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون الى البرزخ ثم الى منازلهم في الاخرة وهذا وقع
في القران خطابا لادم وحوى والمراد عمومه لهم ولغيرهم وسنه اقتبس المص وخلق
جميع البشر بمدرجة الغير مدرجة بفتح الميم اسم مكان بمعنى الطريق قال الراغب يقال
لقارعة الطريق مدرجة وفلان يتدرج يتصعد درجة ودرج مشى فهي محال المشي والغير
بكسر الغين المعجمة وفتح المثناة التحتية وراء مهملة يقال غير الدهر حوادثه المتغيرة من حال
الى حال وهو مفرد بزنة عنب وجمع غيرة وهي الامر المتعسر والبا بمعنى في او للملابسة
وهذه فقرة بليغة لانه جعل دارهم الدنيا على طريق يمر عليها حوادث الدهر والمراد انهم
مستعدون لها لا محالة وفيه اشارة الى ان الدنيا دار ممر لا مقر وفيه استعارة مكنية
شبه حوادث الدهر بقوم سالكين في طريق هولا كنون فهو في غاية الحسن فقد مرض
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يحتمل انه اشارة الى ما كان يطرء عليه من الامراض
مطلقا كما رواه البخاري انه صلى الله عليه وسلم كان يتوعك وعكا شديدا وذلك
ليزداد اجره ويحتمل انه اشارة الى ما وقع له صلى الله عليه وسلم في مرض موته والكلام
عليه مفصل في كتب الحديث والسير فلا حاجة للتطويل بذكره كما فعله بعضهم هنا
وقوله واشتكى بمعنى مرض ايضا قيل وانما ذكره اشارة الى انه ورد في الحديث تارة التعبير
عنه بانه مرض وتارة بانه اشتكى وليس المراد به معناه المشهور لما يوثر من صبره والرضى
بما يفعله الله به وروى ان جبريل كان يرقيه صلى الله عليه وسلم في مرضه فيقول
بسم الله ارقيك من كل شي يوذيك من شر كل نفس وعين حاسد الله يشفيك واصابه
الحر والقر والحر بفتح الحا المهملة وتشديد الرا المهملة وهو شدة سخونة الهوا في الصيف
وضده القر بضم القاف وتشديد الرا وهو شدة البرد ويجوز فتح قافه للازدواج
وادركه الجوع والعطش وهو من الله ليزداد اجره بصبره ومجاهدته نفسه ليعلم الامته
ولو اراد خلافه لملا الله له الدنيا رزقا ونعما وفي ذلك ايضا رياضة تتصفى بها الذهن
وتخف الروح لكنه يظهر في صورته العجز تادبا مع الله تعالى ومخالفة لاهل الملل في ذلك

لانه صلى الله عليه وسلم قال لا رهبانية في الدين وهذا في بعض الاحيان وان كان
يواصل الصوم ويقول اني لست كاحدكم اني ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني فان لكل
مقام حال يخصه وقد حققه المحدثون وابن سينا في مقامات العارفين في اخر الاشارات
ولحقه فعل ماض بلام وحا مهملة وقاف الغضب وهو ثوران النفس لارادة الانتقام
وكان غضبه صلى الله عليه وسلم لله اذا وقع من غيره ما لا يرضاه والضجر بضاد
معجمة وجيم وراء مهملة بمعنى القلق وقيل انه الملل والسامة من الحاح بعض الناس
من الاعراب والمولفة قلوبهم وهذا كله ورد في الاحاديث الصحيحة ونا له اى
حصل له صلى الله عليه وسلم الاعيا والتعب هو عطف تفسير للاعيا فانهما بمعنى
واحد فكان يعرض له هذا كله كما يعرض لغيره من البشر ومسه الضعف في بدنه اخر عمره
والكبر المراد به هرم الشيخوخة وهذه كلها امور جبلية تحدث لنوع الانسان لا يسلم
منها احد لا نبي ولا غيره ولا يعد ذلك نقصا فكان صلى الله عليه وسلم يصلي قاعدا
في تهجده كما رواه ولو قصد السجع فجعلها فقرات رابية قدم الضعف والكبر
وسقط اى وقع صلى الله عليه وسلم من فوق فرسه فجحش بضم الجيم وكسر الحا
المهملة وشين معجمة مبني لما لم يسم فاعله اى خرش والخرش والجحش جرح في الجلد وقال
الخليل هو كالخدش او اكثر شقه بكسر الشين المعجمة وتشديد القاف اى جانبه الايمن
وهو في حديث من احاديث الصحيحين وكان ذلك في ذي الحجة سنة خمس وفي البخاري
عن انس انه صلى الله عليه وسلم سقط عن فرسه فجحشت ساقه او كتفه وشجه
الكفار في وجهه فادموه والشج في الاصل ان يضرب الراس فيشق ثم استعمل في غيره
من الاعضا والذي شجه ابن قمية فاسند ما وقع من البعض للكل كقولهم بنو فلان قتلوا
قتيلا كما تقدم وكسرت رباعيته بتخفيف اليا بزنة ثمانية وهي السن التي بين الثنية
والناب وتجمع على رباعيات وفي التعبير بالكسر اشارة الى انها ذهبت منها فلقة ولم
تسقط من اصلها وكان هذا في وقعة احد فشج وجهه الشريف وكسرت رباعيته السفلى
وجحشت ركبته وسال الدم على وجهه وهشمت الخوذة التي على راسه الشريف كما فصل
في السير وهو لا ينافي كون الله عصمه من الناس لانا قلنا ان اية العصمة نزلت قبل والا فالعصمة
انما هي عن القتل كما مر وقد فصله الامام الخيضري في خصايصه وسقي بالبنا للمجهول السم
بسين مثلثة وذلك انه صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبر اهدت له زينب بنت
الحارث اليهودية شاة مشوية وكانت سالت اى اعضا الشاة احب اليه فقالوا
الذراع فاكثرت من السم فيه وقدمته اليه فلما مضغه صلى الله عليه وسلم لم يسغه
واكل منه بشر بن البرا فمات بعد ذلك وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه امسكوا فانها
مسمومة وقال لها ما حملك على هذا قالت ان كنت نبيا سلمت منه فاعلم بك والا ارحت الله
الناس منك فاحتجم صلى الله عليه وسلم على كاهله كما ياتي وروى انه صلى الله عليه

وسلم لم يعاقبها وفي رواية انه قتلها قال الواقدي رحمه الله وهو الثبت وجمع بينهما
بانه تركها اولا ثم لما مات بشر بن البرا قتلها وقيل انما اختصر حب اليهودي ولذا
ترك قتلها اول الامر وتفصيله في السير وسحر بالبنا للمجهول والساحر له لبيد بن
الاعصم كما مر ترك ذكره لشهرته او لخسته او لعدم تعلق الغرض به وهو يهودي
من بني زريق وقيل انه منافق اسلم ظاهرا وارتضاه ابن الجوزي وكان ذلك في رجعه
من الحديبية في ذي الحجة ودخل المحرم سنة سبع وقيل انه كان حليفا في بني زريق
يحسن السحر فجعل له اليهود جعلا على ان يسحره صلى الله عليه وسلم فاثر فيه سحره
اربعين ليلة وقيل ستة اشهر وقيل انه مكث سنة ويأتي في رواية يحيى بن يعمر ما يؤيد
هذا الاخير وان السهيلي قال انه المعتمد وتداوى صلى الله عليه وسلم كما يتداوى
غيره فهو من جملة ما يلحقه من العوارض البشرية فتداوى من لدغ عقرب بما وملح لما
لدغته في اصبعه وهو يصلي كما في مسند ابن ابي شيبة عن ابن مسعود فاتى بما وملح جعل
فيه اصبعه الشريف واحتجم على كتفه لما مضغ من الشاة المسمومة كما تقدم وبالحجامة
يخرج السم مع الدم او يضعف الدم فلا يوصل السم على القلب الا انه لم يزل به صلى الله
عليه وسلم اثره حتى مات لاجل ان يرزقه الله الشهادة وفضلها كما روي في كتب
الحديث واستشر افتعال من النشر بنون وشين معجمة وراء مهملة وفي نسخة تنشر والنشرة
بمعنى الرقية والتعوذ والتحقيق ان النشرة بالضم او الفتح ما يقرأ عليه ادعية وتعاويذ
ثم يغتسل بها من به مرض ونحوه سميت نشرة لنشر الما فيها وتعوذ بذال معجمة من العوذة
وهي الرقية باعوذ بالله ونحوه ثم عمت ورقيته صلى الله عليه وسلم لنفسه ورقية
جبريل له مروية من طرق كقوله اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل
عين لامة وغيره ثم بعد هذا كله قضى نحبه كغيره وقضا النحب كناية عن الموت واصل
معنى النحب النذر الواجب فيقال ذلك كانه لتحتمه كان نذرا في ذمته يقضيه بموته كما
يقال قضى اجله واستوفاه وقيل النحب الموت من النحب وهو البكا والتحقيق ما قدمناه
فتوفى صلى الله عليه وسلم اي توفاه الله ولحق بالرفيق الاعلى وهم الانبيا والملايكة عليهم
الصلاة والسلام والرفيق بمعنى المرافق يقع على الواحد وغيره قال تعالى وحسن اولئك
رفيقا وقيل الرفيق المراد به الله لرفقه بعباده اولانه معهم اينما كانوا وعن عايشة رضي الله
عنها انه صلى الله عليه وسلم قال عند موته بل الرفيق الاعلى وذلك انه خير بين بقايه
في الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عنده وتخلص بوفاته من الدنيا التي هي دار المحن وفي نسخة
الامتحان والبلوى لما كان يقاسيه من اعدا الدين وتبليغ امانة الله وهذه الامور المذكورة
التي كانت تصيبه صلى الله عليه وسلم من سمات البشر اي من صفاتهم وعلاماتهم المختصة
بهم من السمة وهي الوسم والعلامة التي لا محيص عنها اي لا يتخلص منها احد من الخلق نبيا كان
او غيره قال الراغب يقال عن محيص وما لنا من محيص من حيص بيص او من حاص بمعنى حاد عما فيه

شده

شدة فهو مكروه واصاب غيره من الانبيا ما هو اعظم منها اي من الامور التي اصابت
374 النبي صلى الله عليه وسلم فقتلوا قتلا بغير حق كما وقع ليحيى بن زكريا فالقتل وقع لبعض
الانبيا كما قال تعالى يقتلون النبيين بغير حق وبعض رسل الله الا ان الله عصمهم من القتل
حين الدعوى وفي مقاتلة الكفار المامورين بها كما ذكره علما التفسير والاخبار وكقتل
يحيى وانتقام الله ممن قتله بان سلط عليهم بخت نصر فقتل منهم سبعين الفا كما فصله
المورخون وفي نسخة قتلوا تقتيلا والمصدر محقق لتاكيد القتل ورموا في النار كابراهيم
الخليل صلى الله عليه وسلم رماه فيها بمنجنيق من بناء عال نمروذ فصارت النار عليه
بردا وسلاما وكنا جرجيس كما في قصص الانبيا للثعالبي ونشروا بالمناشير جمع منشار
ويقال ميشار بيا بدل النون ويهمز وهي آلة من حديد معروفة يشق به الخشب وهو مشتق
من النشر لتفريقه المنشور قطعا وفي المنشار لغات يقال نشره وشره وفي جمعه مياشير
ومواشير فيصح ضبط ما هنا باليا وقول ابن قتيبة ان مناشير عامية كما نقل عنه لا ادري
وجهه والذي نشر هو زكريا صلى الله عليه وسلم لما قتل الملك يحيى فوقع به ما وقع من قتل
نبيه اذ سلط الله عليه عدوا فهرب زكريا من الملك فارسل خلفه من يطلبه وادركه
الطلب فانشقت له شجرة فدخل فيها فامسك الشيطان هدب ازاره خارجا من الشجرة
فدلهم الشيطان عليه فنشروا الشجرة وزكريا وقتل بسبب هربه انهم اتهموه بمريم ومنهم
اي الانبيا من وقاه الله اي صانه ذلك اي القتل والحرق والنشر ووقى بمعنى حفظ وستر
يتعدى لمفعولين وفي الحديث يقي بالصدقة وجهه النار في بعض الاوقات كما وقع
في يوسف عليه الصلاة والسلام لما نجاه الله من السجن وابرهيم عليه الصلاة والسلام
من احراق النار ومنهم من عصمه وحفظه من القتل وان وقع له بعض ما يوذيه كما عصم بعد
مبني على الضم اي بعد ما تسلط عليه الاعدا نبينا صلى الله عليه وسلم من الناس
كما قال تعالى والله يعصمك من الناس كما تقدم فلئن لم يكف من كفه يكفه بالتشديد
ويجوز تخفيفه بجزمه بحذف اخره كيرمي وهو الظاهر على النسخة الاولى نبينا صلى الله
عليه وسلم وهو مفعول مقدم وربه فاعل موخر وفي نسخة عن نبينا يد ابن قمية مفعول
ثان وقمية بالهمزة فعلة من قمى بمعنى صغر وذل وهو عبد الله بن قمية الذي جرح
وجهه الشريف صلى الله عليه وسلم لما رماه وقال له خذها وانا ابن قمية
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اقماك الله اي اذلك الله فرماه الله
من شاهق جبل لما انصرف فتقطع قطعا وقصته في السير يوم احد اليوم بمعناه
الحقيقي والمراد به غزوتها كقولهم ايام العرب لوقايعهم وهو بهذا المعنى مشهور
ومنه وذكرهم بايام الله ولا حجبه عن عيون عداه بكسر العين مقصور جمع عدو
وفيه كلام في كتب اللغة والنحو عند دعوته للاسلام اهل الطايف هي بلاد
ثقيف بقرب مكة سميت بها لانها طافت على الما في الطوفان ولان جبريل عليه

الصلاة والسلام اقتطعها من الشام وطاف بها البيت وقيل لانه نبي عليها طوف
اى حايط وهذا كان سنة عشر من النبوة بعد موت ابي طالب وقد نالت منه صلى الله
عليه وسلم قريش منالها فخرج الى الطايف وحده او معه زيد بن حارثة يلتمس نصرة
ثقيف له فقام على ناس من اشرافهم ودعاهم للاسلام فابوا واغروا به سفهاهم
فاطالوا عليه وحصبوه حتى ادموا ساقيه وهو ذاهب ثم كفهم الله عنه وحجبهم عنه
فجلس عند حايط كرم وكان ما فصل في السير من عرضه نفسه على قبايل العرب
فلقد اخذ الله عز وجل اى غطى وحجب على عيون قريش يقال اخذ على عينه وعلى يده اذا
كفه ومنعه فالعيون جمع عين بمعنى الباصرة او بمعنى الربية والجاسوس وكان ذلك
عند خروجه من مكة الى غار بجبل ثور هذا هو الصحيح وفي نسخة ابي ثور وهي غلط لانه
انما يعرف بثور وهو جبل معروف على يمين مكة لما نشاوروا في امره صلى الله عليه وسلم
بدار الندوة ثم اجمعوا على قتله فامر عليا كرم الله وجهه بالنوم على فراشه فخرج صلى الله
عليه وسلم عليهم وهم عند داره وقد اخذ الله على عيونهم ونثر على رؤسهم ترابا وسمي
ثورا لنزول ثور بن عبد مناف عنده وثور اسم جبل ايضا بالمدينة كما في القاموس وغيره
واهل المدينة تعرفه فلا عبرة بمن انكره كابن عبد السلام وامسك الله عنه صلى الله عليه
وسلم سيف غورث بن الحرث الاعرابي كما في البخاري وغورث بغين معجمة على الصحيح وقيل
مهملة وواو وراء مهملة وثاء مثلثة وروى مصغرا وهو بزنة جعفر وهو عند الخطيب
بكاف بدل المثلثة وقيل اسمه دعثور بن الحارث والظاهر انه غيره في قصة اخرى وكان
في بعض غزواته ادركتهم القايلة فنزلوا بواد كثير العضاه فنزل صلى الله عليه وسلم
بظل شجرة علق بها سيفه وتفرقوا عنه وناموا فبعد حين دعاهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاتوه فاذا اعرابي جالس عنده فقال ان هذا اتاني وانا نايم فاخترط
سيفي فاستيقظت وهو في يده مصلتا فقال من يمنعك مني قلت الله وها هو جالس
ولم يعاقبه وهو من المشركين والغزوة ذات الرقاع وهو من غطفان ومحارب وكان
قال لقومه انا اقتل لكم محمدا وروى ان جبريل دفع صدره فسقط السيف من يده
واسلم وذهب لقومه فدعاهم للاسلام وفي هذه القصة نزل قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الخ كما تقدم ذلك كله وامسك الله عنه
صلى الله عليه حجر ابي جهل بن هشام لعنه الله اذا اراد ان يرميه صلى الله عليه وسلم
به وكان قال لقريش لان صحته غدا بحجر اجمله لا اكاد اطيق حمله فامنعوني من بني عبد مناف
فارتقبه غداة يوسه حتى اتى المسجد يصلي فاخذ الحجر ومضى له فلما اراد رميه صلى الله
عليه وسلم يبست عليه يده ثم عاد متغير اللون فسالوه فقال عرض دونه فحل لم
ار مثله عظما هم ان ياكلني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل لو دنى
لاخذه وامسك الله عنه صلى الله عليه وسلم فرس سراقة هو سراقة بن مالك بن

جعشم الكناني كان جعل له قريش دية من اخذ من ابي بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم
لما خرج مستخفيا للهجرة وهو من مدلج القافة وقصته في ذهابه خلفهما فلما ادركهما ساخت
قوايم فرسه في الارض وكادت تبتلعه فطلب الامان فامنه ونجا وعاد الى اخر القصة المشهورة
وهو شجاع شاعر مجيد اسلم وحسن اسلامه ومات سنة اربع وعشرين في خلافة عثمان
قلت ولما كف يده عنهما شرفه الله بالاسلام والباسه سواري كسرى كما هو بيانه ولم
لم يقه من سحر ابن الاعصم لبيد اليهودي كما تقدم فلقد وقاه ما هو اعظم خطرا من سحره
من سم اليهودية من قصتها التي تقدمت قريبا وسياتي الكلام على سحره وهذا جواب
عن سوال تقديره انك قررت ان الله منعه عن سائر الانبياء بوقايته وجعله في حصن
صيانته فلم لم يعصمه من ابن الاعصم فاجاب بانه ابتلاه به تكثيرا لثوابه
ونعمه ما صرف عنه من مصابه وقد وقاه مما هو اعظم منه وهو السم القاتل
فلا وجه لما قيل من انه لا فايدة فيه وسياتي بيان فايدته مع انه توطية لقوله
وهكذا سائر انبيائه اى عادة الله مع سائر انبيائه اى بقية انبياء الله منهم
مبتلى بالمصايب تكثيرا لاجورهم ومنهم معافى تكرمة لهم وحفظا وذلك اى ابتلاؤهم
او كون احوالهم مختلفة من تمام حكمته الجارية في مخلوقاته ليظهر بابتلايهم مع صبرهم
ورضاهم في السراء والضراء شرفهم في هذه المقامات اى احوالهم المتفاوتة وبقينا امرهم
بصبرهم على ما لا يطيقه غيرهم وتتم كلمته فيهم يعني امره لهم بالصبر على الاذى حتى
يكون لهم العاقبة الحسنى وليتحقق بامتحانهم بما ابتلاهم به بشريتهم اى انهم من جنس
البشر الذين في دار المصايب ويرتفع وفي نسخة يرفع اى يزيل الالتباس في امور الدنيا
عن اهل الضعف عقله من العوام فيهم اى في انبياء الله بتوهمهم لضعف عقولهم انهم
ليسوا كغيرهم ممن يغشاه البلاء ويعرض له الموت والفنا ولذا ارتد بعض جهلة الاعراب
لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتلاهم ليعرف الناس انهم كغيرهم في العوارض
البشرية ليلا يضلوا بفساد اعتقادهم فيهم بما يظهر من العجايب اى خوارق
العادات وبدايع المعجزات التي تظهر على ايديهم وتصدر منهم بامر الله تاييدا
كانشقاق القمر واحيا الموتى ونحوه فيقولون من يقدر على هذا كيف يمرض ويسحر
ويعرض له ما يعرض لضعفاء الخلق ضلالا اى ضلالا كضلال النصارى بعيسى بن
مريم عليه الصلاة والسلام لما راوا معجزته جعلوه الها وقالوا ما قالوا لجهلهم
وعدم دقة نظرهم والنصارى على فرق يطول الكلام في بيان اعتقاداتهم الباطلة
وتزييف ما قالوه وقد الف في ذلك عدة كتب اجلها كتاب ابن تيمية والقرطبي
ومقامنا يضيق عن الكلام عليها اذ المراد شرح ما قاله المص حتى يسهل فهمه على
المبتدين وليكون في محنتهم بما ابتلاهم به الله تعالى تسلية لاممهم فيقتدوا بهم
اذا نزلت بهم المصايب ويصبروا كما صبروا ووفور اجورهم الوفور الكثرة والزيادة

عند ربهم اذا رجعوا اليه وجازاهم بما صبروا عليه وليعرفوا نعمة السلامة والعافية
تماما اى تيم ذلك بانعامه على الذى احسن اليهم اولا بنعمة الوجود والصحة وغيرهما
من النعم الدنيوية فيزيدها باعظم منها من النعم الاخروية التى لا يعادلها شى مجازاة
لصبرهم وشكرهم وقال بعض المحققين هذه الطوارى جمع طارى بالهمزة وتبدل ياوهى
ما يطرا اى يحدث ويتجدد والتغيرات اى تغير احوالهم من صحة لسقم وسعة لضيق
ونحوه المذكورة انما تختص باجسامهم البشرية دون ارواحهم ونفوسهم القدسية
المقصود بها والفايدة فى ايجادها لهم فى اجسادهم مقاومة البشر اى ان يكونوا
بطباعهم مساوين لامهم فيها حتى يقدروا على القيام باموروهم ومعاناة بنى ادم
بمباشرتهم ومخالطتهم لمشاكلة الجنس اى مشابهتهم لهم فى الخلق والخلق ولذا كانت
الرسل من البشر دون الملايكة ولو جعل خلقهم ملكيا لم يطيقوا شيا مما ذكر كما ترى
بعض الناس لا يقدر على عشرة العوام وينفر منهم لمنافرة الطباع واما بواطنهم
اى امورهم التى لا تحس من عقولهم وقواهم الروحانية وقلوبهم وحواسهم الباطنة وهو
جمع باطن خلاف الظاهر فمقرهة اى سالمة مبراة عن ذلك غالبا وقد يعرض لها شى منه
معفو عنه لكنها فى غالب احوالها معصومة منه مطهرة عما يشينها كتغير العقل وقد
يعرض له احيانا ما لا يغيره كالاغما الذى وقع له صلى الله عليه وسلم فى مرض موته
وبواطنهم متعلقة بالملا الاعلى وفى نسخة بالرفيق الاعلى وقد تقدم ان الرفيق
فعيل بمعنى فاعل يستوى فيه الواحد وغيره وهم ارواح الانبيا الساكنين فى عليين
والملايكة فهو عطف تفسير على هذا لاخذها اى لاخذ البواطن وتلقيها وارجاع
ضمير اخذها لاخبار السما وغيرها بعيد عنهم اى الملايكة وتلقيها الوحى النازل
عليهم لتبليغه ما ارسل به منهم اى من الملايكة وما قيل عليه من ان حذف قوله
غالبا احسن بل واجب لا وجه له لما بيناه من بيان مراده به قال القايل بعض
المحققين المحكى عنه ما ذكر الى هنا وهو دليل لما قاله وقد قال صلى الله عليه وسلم
فى حديث قد تقدم بسنده ان عينى بتشديد ليا متنى غير مضافة ليا المتكلم تنامان
اى يعرض لهما النوم حتى لا يحسان احساسا ظاهرا متعادفا ولا ينام قلبى اى
لا ينقطع شعوره وادراكه بالكلية وهذا باعتبار الغالب من احواله صلى الله
عليه وسلم اذ قد ينام نوما ينقطع به شعوره عينه وقلبه كما تقدم فى حديث
الوادى الذى نام فيه حتى فاتته الصلاة وبهذا علمت ان قوله غالبا فى محله
كما مر وفيه دليل على ان ظاهره كغيره وقال صلى الله عليه وسلم انى لست كهياتكم
اى ليس حالى كحالكم وتقدم المراد بالهيية هنا انى ابيت يطعمنى ربى ويسقينى بضم
يا يطعمنى وفتح يا يسقينى ويجوز ضمها يقال سقاه واسقاه بمعنى وهو فى صومه
صوم الوصال على حقيقته او مأول بما تقوى به روحه من المعارف الالهية التى

تقوم

376

تقوم مقام الطعام والشراب فى تقوية الروح التى تسرى للبدن وفيه كلام
مشهور تقدم طرف منه وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث اخر انى لست انسى
ليستن بى تقدم فيه ما يغنى عن الاعادة فاخبر صلى الله عليه وسلم فى هذه الاحاديث
ان سره اى ما خفى من امره وباطنه عطف تفسير لسره وروحه التى بها الحياة وقيام
البدن وهذا حقيقتها ولها معان اخر بخلاف جسمه وظاهره اى مخالفة لهما فيما يعتريهما
من التغيرات والالام كغيره من ساير البشر كما قرر فى ولهذا الفصل وان الافات
جمع افة وتقدم بيانها التى تحل ظاهره اى ما يشاهد من جسده الشريف فقط وبينه
بقوله من ضعف باختلاط القوى لمرض او كبر وجوع لفقد الغذا وما به قوام البدن
من بدل ما يتحلل منه وسهر بفقد النوم الذى به راحة البدن واستراحة الحواس ونوم
يستريح به بدنه وقواه وقال المعرى وفضيلة النوم الخروج باهله عن عالم هو
بالاذى مجبول لا يحل بضم الحا المهملة من الحلول منها اى من هذه المذكورات كلها من التغيرات
شى باطنه اى حواسه الباطنة بخلاف غيره من البشر فانه يعرض له تغيرات فى الظاهر
والباطن مما يعد بعضه نقصا فيه فى حكم الباطن اشارة الى محل المخالفة لتساويهما
فى الظاهر كما تقدم ثم وضحه بقوله لان غيره من البشر بل ساير الانبيا ولم يصرح به لعله
بما قدمه اذا نام استغرق النوم بالرفع فاعل استغرق جسمه وقلبه مفعول له اى
شغلهما واثر فيهما تاثيرا تاما يعطل حواسه الظاهرة والباطنة بخلاف الانبيا فانه
يشغل ظاهرهم دون باطنهم فاول كالميت كما قال ابن عربى رحمه الله تعالى فيا نايم
الليل هنيته فقيل الممات سكنت القبورا ولذا قيل النوم اخو الموت وهو
صلى الله عليه وسلم فى نومه حاضر القلب لعدم استغراقه فى نومه وحضور القلب
مجاز عن ادراكه وشعوره وغيره كان قلبه فارقه او يريد به لازمه فهو استعارة
او مجاز مرسل ومثله كثير فى استعمالهم كحاله صلى الله عليه وسلم فى نومه كما هو
فى يقظته بفتح القاف وقد تسكن فى الشعر كما مر وهى ضد النوم اى حاضر الحواس والمشاعر
فيهما كما ذكرناه سابقا وتقدم انه باعتبار غالب احواله حتى قد جا اى روى فى بعض
الاثار اى الاحاديث والاثر ورد بهذا المعنى وقد يخص بغيره من الاخبار انه صلى الله
عليه وسلم كان محروسا اى مصونا محفوظا واصل الحرس ملازمة من يحفظه
من الناس فحرزته عما ذكر من الحدث هو ما ينقض الوضوء وطهارته كما هو معروف
فى الاستعمال فى حالة نومه لانه انما يحدث لعدم الشعور به كما قال صلى الله عليه
وسلم العينان وكا السه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه والحدث انما يعرض
لعدم شعور القلب والحواس الباطنة وقد ذهب الفقها الى ان نومه كان لا ينقض
وضوءه وعدوه من خصايصه صلى الله عليه وسلم واما نوم غيره فينقض وضوءه
ما لم يكن جالسا متمكنا بشرطه على الصحيح ومن قال بخلافه فليس معتمدا عليه كما

بينه الفقها في كتبهم وقد روى المحدثون باسانيد صحيحة كما تقدم انه صلى الله عليه وسلم
كان ينام حتى يسمع خطيطه ثم يقوم فيصلي من غير تجديد لوضوئه وما قيل من انه فيه
بحث لانه اذا كان حاضر القلب فهو يقظان وهو حينئذ ليس مظنة للحدث ونقض
الوضوء حتى يجعل غاية لكونه محروسا ويستشهد له بالاشارة ليس بشي لانه اذا نامت
حواسه الظاهرة تقتضي ذلك لان الاحكام منوطة بالظاهر دون الباطن وكذلك
اي كما ان نوم غيره ليس كنومه لكونه غير محروس من الحدث غيره اي غير النبي صلى الله عليه
وسلم اذا جاع بترك غذايه اكثر من معتاده ضعف لذلك اي الجوع تضعف بنيته
وجسمه وخارت قوته بخا معجمة ورا مهملة اي ارتخت وضعفت من الخور وهو اللين
والضعف وقيل معنى خارت ذهبت وانكسرت فتعطلت بالكلية جملته اي جميعه
ظاهره وباطنه مخالفا للانبيا عليهم الصلاة والسلام الذين تتعطل ظواهرهم
دون بواطنهم وهو صلى الله عليه وسلم قد اخبر انه لا يعتريه اي يعرض له ذلك اي
تعطل جملته لقوله صلى الله عليه وسلم ولا ينام قلبي وانه اي حاله بخلاف فهم
اي يخالف حال غيره من البشر لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البخاري في
وصاله الصوم ونهي غيره عنه وقولهم له انك تواصل صومك فقال لهم اني لست
كهيأتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني تقدم بيانه قال المص وكذلك اي كما قال بعض
المحققين ان التغيرات الطارية على البشر تختص بظواهر الانبيا دون بواطنهم اقول انه
صلى الله عليه وسلم في هذه الاحوال البشرية كلها من وصب بيان للاحوال والوصب
الالم الدايم وقد جا بمعنى التعب وهو اولى هنا ليلا يتكرر مع قوله ومرض وان صح جعله
عطف تفسير او مؤكدا وضجر هو قلق واضطراب من بعض الامور وغضب تقدم بيانه
وانه صلى الله عليه وسلم لا يغضب لنفسه بل لله اذا خولف امره لم يجر بالجيم مضارع
بمعنى وقع وحدث على باطنه ما يخل اي يوقع خللا وتشويشا به صلى الله عليه وسلم
او الضمير لباطنه اي لم يسر له من ظاهره ما يخل به ولا فاض منه بنا وضاد معجمة اي
ظهر من فاض الانا بالما اذا امتلا منه حتى تدفق من جوانبه على لسانه وجوارحه اي اعضايه
الظاهرة جمع جارحة بمعنى عضو كما يقع لبعض الناس في المرض وغضبه انه يتكلم
ويتحرك بحركات مختلفة لانه لا يملك نفسه في بعض احواله ما لا يليق به اي لا يناسب
علو مقامه كهذيان بعض المرضى وخرافاتهم وشتم من غضب منه كما يعترض اي يعرض
لغيره من البشر اذا ابتلي بشي من ذلك مما نأخذ اي نشرع بعد بالبنا على الضم في بيانه اي
ما نحن فيه فصل فان قلت فقد جاءت الاخبار الصحيحة كما في حديث رواه البخاري
انه صلى الله عليه وسلم سحر كما تقدم وهذا مما طعن به بعض الملحدين في عصمته صلى الله
عليه وسلم من الناس كما حدثنا به الشيخ ابو محمد الغساني بغين معجمة نسبة لغسان
قبيلة باليمن وهو في الاصل اسم ما نزلوا عليه فنسبوا له قال حدثنا ابو تمام بن محمد بن عبد

الرحمن بن حاتم كما تقدم قال حدثنا ابو الحسن علي بن خلف هو علي بن محمد بن خلف المعافري القروي
وهو الحافظ القابسي كما تقدم قال حدثنا محمد بن احمد هو ابو زيد المروزي كما تقدم قال حدثنا
محمد بن يوسف هو الفربري وقد تقدم قال حدثنا البخاري صاحب الصحيح المشهور وهو
غني عن البيان قال حدثنا عبد الله بن اسماعيل الهباري توفي سنة مايتين وخمسين قال
حدثنا ابو اسامة حماد بن اسامة الكوفي توفي سنة احدى ومايتين وعمره ثمانون واخرج له
الستة وترجمته في الميزان عن هشام بن عروة عن ابيه تقدم الكلام عليهما عن عايشة
ام المؤمنين رضي الله عنها قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبنا للمجهول وتقدم
ان الذي سحره لبيد بن الاعصم وهو يهودي ومنافق كان حليفا لليهود وجمع بينهما بانه
كان يخفي اليهودية ويظهر النفاق وكان في سنة سبع واختلف في مدة سحره فقيل
اربعين يوما وقيل ستة اشهر وقيل سنة كما تقدم واعتمده السهيلي وجمع بينهما بان
ذلك باعتبار ظهوره وشدة تاثيره حتى انه صلى الله عليه وسلم ليخيل اليه اي يقع
في خياله توهم ما لا اصل له وليس بمعنى يظن لانه لا يتعدى بالى انه فعل الشي وما فعله
لما وقع به من الم السحر وفي رواية اخرى لهذا الحديث حتى كان يخيل له انه ياتي النسا
وما ياتيهن اي يتوهم انه جامعهن وهو لم يجامعهن وهو المراد بالشي في تلك الرواية
لكنه لم يصرح به تادبا لاسيما وهي رواية عايشة فاستحيت من ذكره الحديث اي اقرا
الحديث واذكره بتمامه كما هو في الصحيحين عن عايشة كان صلى الله عليه وسلم
ذات يوم او ذات ليلة وهو عندي دعا ثم قال اشعرت ان الله افتاني فيما استفتيته
فيه اتاني رجلان فقعد احدهما عند راسي والاخر عند رجلي فقال احدهما لصاحبه
ما وجعه قال مطبوب اي مسحور قال من طبه قال لبيد بن الاعصم في مشط ومشاطة
وجف طلع نخلة ذكر في بير ذروان فاتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس
من اصحابه فدفنها ولم يستخرجها والكلام عليه مشهور تقدم بعضه واذا كان
هذا الامر المذكور من التباس الامر على المسحور بتخيل فعل ما لم يفعله فكيف حال النبي
صلى الله عليه وسلم في ذلك الالتباس وعلى اي حال وقع له وكيف جاز عليه ذلك
الامر الذي جاز على غيره من تاثير السحر فيه وهو معصوم جملة حالية هي محل استبعاد
السايل الذي توهم ان مثله ينافي عصمته عليه الصلاة والسلام فاستفهام
هنا انكاري لاعتقاده عدم طرو التغيرات الباطنة عليه وهذا مناف له فاجاب
عنه بقوله فاعلم ايها السايل عن سحره وفقنا الله واياك الموفقون على الحق وتحقيقه
وهي جملة اعتراضية دعايية اشارة الى ان قصده في كلامه هذا ارشاد طالبي الحق له
ان هذا الحديث صحيح متفق عليه اي مما اتفق على صحته اهل الحديث او اتفق على
روايته الشيخان وقد طعنت فيه الملحدة الطعن الضرب برمح ونحوه استعير
لاسناد ما لا يليق من النقايص والملحدة الطايفة من اصحاب العقايد الفاسدة

من الحد بمعنى حاد عن الطريق وفي المسيبيه اي طعنوا بسببه في مقام النبوة وتذرعت
بذال معجمة ورا مشددة وعين مهملتين من الذريعة كالوسيلة وزنا ومعنى واصلها
شراك الصايد استعيرا لذكر ووجه الشبه ظاهر والبا سببيه وقال البرهان في المقتفى
انه بدال مهملة اي تلبست ددعا اي تعوقت به وظنته دليلا ينفعهم لسخف عقولها
بضم السين المهملة بمعنى دقتها وضعفها وتلبيسها على امثالها ممن ضعف عقله فرجع
عليهم الى التشكيك في الشرع اي توقع بعضهم بعضا في شك في احكام الشريعة
بتوهم انه يخيل عليه فيها والى متعلقة بتذرع وهو يعني انه بذال معجمة وقد نزه الله
الشرع طهره عما يشينه والنبي صلى الله عليه وسلم عما يدخل بضم اوله في امره
اي دينه وما يتعلق به لبسا اي شيئا يصير امره ملتبسا بغيره مما لا يليق به وانما
السحر مرض من الامراض جعله مرضا مبالغة لانه سبب لتغير المزاج وانفعاله
فينشا عنه امور غير طبيعية كالنسيان وهو معدود من الامراض والامور
الروحانية ليسرى للبدن نفعا وضرا والاطبا يعترفون بذلك وعارض من العلل
جمع علة والعارض هنا بمعنى العرض وهو عند الاطبا ما يزول بسرعة من الامراض
وهو عند المتكلمين والحكما ما لا يقوم بنفسه يجوز عليه تخصيص له لاخراج
ما لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم منها كالجنون وكانواع الامراض التي جوزوها
عليه مما لا ينكر عروضه له صلى الله عليه وسلم وعلى ساير الانبيا ولا يقدح
اي لا يعد نقصا وعيبا قادحا في نبوته صلى الله عليه وسلم من الامراض كالجذام
والبرص وغيره مما صان الله انبياءه لخلقه هم على اكمل خلق واعمه ومزاجه صلى الله
عليه وسلم اعدل الامزجة وهذا مبني على ان السحر له حقيقة موثرة ينشو
عنه تغيرات وامراض وهو مذهب الجمهور ويشهد له القران والسنة خلافا لمن
قال انه تخيل لا حقيقة له واليه ذهب ابن حزم وغيره والسحر عند الجمهور
على انواع منه ما لا حقيقة له وهو شعبذة ومنه ما له حقيقة بمعاونة الشياطين
وخواص بعض الامور كما تقدم ويأتي ايضا عن الراغب واما ما ورد في الحديث السابق
انه صلى الله عليه وسلم كان يخيل اليه انه فعل الشي وهو لا يفعله كما تقدم
بيانه فليس في هذا ما اي امر يدخل بضم اوله مضارع ادخل عليه صلى الله عليه
وسلم داخلة اي نقصا وعيبا وفسادا كما يقال امر مدخول اي معيب في شي
من تبليغه او شريعته قال الراغب الدخول نقيض الخروج والدخل كناية عن الفساد
والعداوة كالدغل ودعوة النسب بفتح الحا قال تعالى ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم
او يقدح اي يعيب في صدقه فيما بلغه وشرعه كما توهم الطاعنون به لانه يسرى
الى ان يقال ان جبريل وغيره من الملايكة التي كان صلى الله عليه وسلم يراها امور متخيلة
وحاشاه من ذلك لقيام الدليل المويد بمعجزاته والاجماع من المسلمين وايمة الدين

على عصمته صلى الله عليه وسلم من هذا اي مما يدخل عليه داخلة في شرعه وتبليغه
عن ربه وهذا برمته من كلام المازري في المعلم قال انكر بعض المبتدعة هذا الحديث
وزعم انه يحط من منصب النبوة وقالوا كلما ادى الى ذلك فهو باطل وتجويزه يعدم
الثقة بما شرعوه من الشرايع اذ يحتمل على هذا انه صلى الله عليه وسلم يرى
جبريل وليس هو وانه يوحى اليه ولم يوح اليه وهو مردود لان الدليل قام على
صدقه صلى الله عليه وسلم فيما بلغه عن الله وعلى عصمته في التبليغ والمعجزات
شاهدة بصدقه فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل انتهى وانما هذا اي انه
يخيل اليه فعل شي لم يفعله ليس عاما بل في امور مخصوصة هي فيما يجوز طروه بالهمز
وتركه اي عروضه في امور دنياه التي لم يبعث بسببها من التوحيد والاحكام
المشروعة وفي نسخة امر مفرد او في اخرى من امور اي ما لا يتعلق بشريعته وتبليغه
ولا فضل بتشديد المعجمة وبنا المجهول من اجلها اي من اجل اموره الدينية وانما
هو برفعته وزيادة اجره وهو صلى الله عليه وسلم فيها اي في امور الدنيا عرضة
بضم فسكون اي بمعرض يحدث له فيه مستعد للافات اي للتغيرات التي تلحقه
كساير البشر يعرض له ما يعرض لهم لحكمة تقدمت فغير بعيد اي اذا كان عرضة لها
فلا يبعد ان يخيل اليه صلى الله عليه وسلم من امورها اي من امور الدنيا التي
لا تتعلق بالتشريع فالفا فصيحة في جواب شرط مقدر ما لا حقيقة له مما يتوهم
انه فعله ولم يفعله ثم تنجلي عنه اي تزول وتنكشف فشبهه بغمام او صدا فيه مكنية
وتخييلية او هو حقيقة عرفية فيه كما كان تعلق ينجلي اي حاله لما كان عليه قبل
ما عرض له او المراد كما كان حاله وهو مسحور وايضا اي كما دفع ما توهموه بما ذكر تبين
بوجه اخر فقد فسر هذا الفصل يعني قوله يخيل اليه الشي الحديث الاخر فاعل
فسر اي بين المراد به بروايته الثانية من قوله بيان لفسر وهو حتى يخيل انه ياتي اهله
يعني زوجاته والاهل ورد بمعنى الزوجة كثيرا والحال انه لا ياتيهن يعني يتوهم انه
جامعهن وهو لم يجامعهن كقوله فاتوا حرثكم انى شئتم فهو تصريح بانه من امور
الدنيوية لا الشرعية فلا ضير فيه وقد قال سفيان اي ابن عيينة كما صرح به في سنده
في البخاري وهذا التخييل اشد ما يكون من السحر اي غايته ما يوثره تخييل انه فعل ما لم
يفعله ولذا قالت عايشة رضي الله عنها حتى كان يخيل الخ فان حتى للغاية فلا يبلغ
اكثر من ذلك كقلب الاعيان ونحوه من تغيير الماهيات وهذا مبني على ان السحر
تخيلات لا حقيقة لها كالشعبذة والمحققون على خلافه كما مر وقد قال الراغب انه
على انواع منها هذا وهو المشار اليه بقوله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى وقوله
سحروا اعين الناس والثاني استجلاب معاونة الشياطين واليه يشير
بقوله ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر والثالث فعل بقوته تغير الصور

والطبايع فيجعل الانسان حمارا ولا حقيقة له عند المحصلين انتهى وقد تقدم ان الادواء
من جنس الامراض ولذا قال صلى الله عليه وسلم شفاني الله منه فانه المتبادر
من الشفا ولبعضهم هنا كلام لا طايل فيه ولم يات عن احد من المحدثين في خبر منها
اي من الاخبار المروية عنه صلى الله عليه وسلم انه صلى الله عليه وسلم نقل عنه
في ذلك اي في قصته سحره قول بخلاف ما كان اخبر به من انه قال انه فعله ولم يفعله
اي لم ينقل عنه في حال سحره قول صدر عنه غير هذا الذي فسر في الحديث وانما كانت
الامور المنقولة عنه خواطر وتخيلات من قبيل الوسوسة التي تعرض للعقلاء كثيرا
من غير تاثير في عقولهم وعلمهم بمهمات امورهم فلا اعتراض عليه في شي كما توهم وقد قيل
في الجواب عما استشكلوه ان المراد بالحديث المذكور في سحره انه كان يتخيل له ويقع
في خاطره الشي انه فعله وما فعله بمجرد خطوره بباله لكنه تخييل لا يعتقد صحته
ليقظة قلبه وسلامة ذهنه التي لا يوثر فيها مثل هذه التخيلات وهي سحابة
صيف عن قريب تقشع فتكون اعتقاداته صلى الله عليه وسلم كلها على السداد
بفتح السين بمعنى الاستقامة وامورة كلها مستقيمة كاملة وادراكه كذلك لعصمته
صلى الله عليه وسلم بان ما عرض له تخيل لا يعتد به واما بكسر السين فهو ما يسد به
اسم الله لخزام وركاب وفيه بيان في شرحنا لدرة الغواص واقواله كلها جارية
على الصحة فهي كلها صحيحة صادقة اذ لم يقع الخلف في شي من اقواله وقول عايشة
السابق يخيل له فعل ما لم يفعله لا ينافي ما قرره لان التخييل بمعنى التوهم وكون
الخيال قوة باطنية مدركة مما اصطلح عليه الحكما فهو ما يبتني عليه لا وجه لايراده
هنا كما توهم هنا المذكور في جواب ما وقع في هذا الحديث ما وقفت عليه لايمتنا
المحدثين والاشعرية او الفقها المالكية في هذا الحديث الذي روته عايشة رضي الله
عنها عنه صلى الله عليه وسلم وفي نسخة عن هذا وفي اخرى على هذا او هو ظاهر مع
ما اوضحناه من معنى كلامهم في تفسيره وزدناه بيانا زاد هنا يتعدى لمفعولين من [illegible]
اي من اشار اتمم له من غير تصريح به وكل وجه منها اي من الوجوه التي ذكرها الايمة
مقنع اسم فاعل بوزن مكرم اي كاف ومغن عن غيره لمن كان له قناعة تغنيه عن الوجوه
الضعيفة والاقوال الواهية والتكلفات الباردة ويجوز فتح ميمه ونونه
مصدر ميمي يقال هو مقنع في الامر بزنة جعفر والاول هو الصواب من غير تكلف لكنه
الضمير للشان والامر قد ظهر لي في هذا الحديث المتقدم في سحره تاويل وتفسير له
اجلى اي اظهر من غيره من التاويلات التي ذكروها وتقدم بعضها وابعد من مطاعن
ذوي الاضاليل اي اكثر تبعيدا لمن له عقل سليم عما طعن به اهل الضلال مما تقدم
بيانه فاضاليل جمع لا واحد له كالمذاكير او جمع لفرد مقدر او موجود فقيل جمع
ضليل بكسرتين مشدد اللام صيغة مبالغة كسكيت ولذا قيل لامرئ القيس

الملك الضليل وقيل جمع اضلولة بالضم وهو ما يضل به من تركيبه ولو قيل انه جمع اضلال
على خلاف القياس لم يبعد يستفاد ويوخذ ذلك التاويل الاجلى من نفس الحديث اي
حديث السحر وهو ان عبد الرزاق بن همام الصنعاني قد روى هذا الحديث اي رواه في مصنفه
عن الزهري عن ابن المسيب واسمه سعيد كما تقدم وعن عروة ابن الزبير تقدم ايضا
وقال فيه اي في الحديث الذي رواه عنهما اي عن سعيد وعروة سحر يهود بني زريق
بالاضافة وبنو زريق بتقديم الزاي المعجمة والتصغير طايفة منهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم مفعول سحر وفاعله يهود وهو بلا ياء علم لهم وقد يذكر
وتدخله اللام فجعلوه اي السحر في بير اي ببير ذروان كما تقدم حتى كاد رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي قرب من ان ينكر بصره اي ما ابصره او ينكر نفس رويته لتاثير
السحر فيه ثم دله الله على ما صنعوا باخبار الملك به وبالمحل الذي وضع فيه فاستخرجه
من البير على رواية وقيل انه صلى الله عليه وسلم امر بدفنه ولم يخرجه من البير
وكانوا امروا غلاما من اليهود كان يدخل بيته صلى الله عليه وسلم فاخذ شعرات
من شعر راسه الشريف وشيا من اسنان مشطه فعقدوا فيه عقدا ودفنوه في تلك
البير فلما انزل الله عليه المعوذتين واستخرج السحر وحلت عقده شفاه الله والكلام
عليه طويل مفصل في شروح الصحيحين فلا نطيل به وذكر عن عطا الخراساني عن
يحيى بن يعمر كما رواه عبد الرزاق انفا ويعمر بفتح اليا التحتية وبالميم المفتوحة وتضم
وهو ممنوع من الصرف للعلمية ووزن الفعل ويحيى هو قاضي مرو وهو اول من نقط
المصحف وتوفي سنة تسعين قال فيه اي في مصنف عبد الرزاق حبس رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالبنا للمجهول اي منع عن عايشة اي عن جماعها رضي الله عنها
سنة هي مدة السحر كما تقدم عن السهيلي فبينا هو نايم حقيقة او مضطجع بين
النوم واليقظة كما في رواية وبينا للمفاجاة كبينما وتضاف وتحتاج لجواب كما بينه
النحاة اتاه ملكان هما جبريل وميكايل فقعد احدهما عند راسه والاخر عند رجليه
الحديث اي اذكره واقراه الى اخر ما تقدم وقال عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي منع من الجماع عن عايشة خاصة سنة على احد الاقوال السابقة
وخص منعه عنها دون غيرها لانها كانت احب ازواجه اليه صلى الله عليه وسلم
حتى انكر بصره يعني تغيرت قوته الباصرة عما كانت عليه قبل ان يسحر لا انه فقده
بالكلية لما في بعض روايات الحديث السابقة حتى كاد ينكر بصره اي قارب فقده
ولم يفقده من قولهم نكرته فتنكر اذا غيرته فتغير كما في الاساس ولم يعده مجازا
وروى البيهقي صاحب السنن بسند ضعيف عن محمد بن سعد هو كاتب الواقدي
وصاحب الطبقات كما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما مرض رسول الله صلى الله
عليه وسلم وحبس اي منع عن النسا ان اريد به الجنس لم يخالف الرواية التي

قبله والاخا لفها والطعام والشراب فكان لا يشتهي ولا يتنا ول شيا منهما لتغير
مزاجه كسا ير المرضى فهبط اى نزل من السما عليه ملكان هما ميكايل وجبريل وذكر
القصة بتمامها وتقدم ان القصة انه صلى الله عليه وسلم قال لعايشة رضي الله
عنها ان الله اخبرني بدائي ثم بعث عليا والزبير وعمار بن ياسر رضي الله عنهم فنزحوا
ما البير فاذا هو مثل نقاعة الحنا ثم رفعوا الراعوفة وهي صخرة في قعر البير فاخرجوا
حقا ومشاطة وهو شعر راسه الشريف واسنان مشط ووترا معقودا فيه
احدى عشر عقدة وتمثال صورته من سمع غرز فيه ابر فنزل جبريل عليه الصلاة
والسلام بالمعوذتين فكان كلما قرا اية منهما انحلت عقدة وكلما نزع ابرة وجد لها
الما ثم تعقبه راحة فاعترف لبيد بانه وضعه فعفى عنه فقد استبان لك اى تبين
وظهر من مضمون هذه الروايات اى ما تضمنته واشتملت عليه ان السحر الذي سحر
رسول الله صلى الله عليه وسلم انما تسلط من السلاطة وهي التمكن ممن يريد
قهره والمراد تاثيره على ظاهره اى ظاهر بدنه الشريف وجوارحه واعضايه دون
بطنه لا على قلبه واعتقاده وعقله اذ لم يرفيه نقصا صلا وانه اى السحر انما اثر
في بصره بتغيره حتى كاد ينكره كما تقدم وحبسه عن وطي نسايه وعن طعامه فاضعف
جسمه فامرضه فهو كساير الامراض لا ينكر عروضه للانبيا عليهم الصلاة والسلام
ويكون معنى قوله يخيل اليه انه ياتي اهله ولا ياتيهن اى يظهر له من نشاطه هذا جواب
سوال تقديره اذا قلت ان السحر لم يوثر الا في ظاهر بدنه يرد عليك انه يخيل ما لم يقع
واقعا يقتضي خللا في الذهن والادراك فهو منا في لما قلته وقوله معنى اسم كان وخبره
مقدر يدل عليه ما بعده اذ لا يصح اقتران الخبر بانّ المفسرة ومثله كثير في كلام
المصنفين وفي الاساس رجل نشط طيب النفس للعمل وتقدم عادته اى عادته
صلى الله عليه وسلم قبل السحر القدرة على النسا فاعل يظهر اى قدرته وقوته على
جماعهن فاذا دنى منهن اى قرب منهن ليجامعهن اصابته اخذة السحر بضم الهمزة وسكون
الخا وذال معجمة وهي امر يتخذه السحرة يحبس المرء عن انتشار آلة الجماع تسميه العامة
ربا طا وهي نوع من السحر ويقال به اخذة من الجن ايضا كانها اخذت قوته فلم يقدر على
اتيانهن كما يعتري اى يعرض ويغشى من اخذ قيل هو بضم الهمزة وتشديد الخا المعجمة
وذال معجمة من التاخذ وفي نسخة وخذ بالواو اى منع من الجماع كما قيل والظاهر عليهما
ان يقرا بصيغة المجهول اى منع من صنع له اخذه السحر السابقة واعترض بنا المجهول اى عرض له عارض من مرض
ونحوه والظاهر انه من العارض المعروف بين السحرة الذين يدعون الجن وهو المناسب
للاخذة ولعله الضمير للشان وفي نسخة خرفه لمثل هذا اشار سفيان بن عيينه
فيما نقله عنه سابقا بقوله وهذا اشد ما يكون من السحر اى اعظم انواعه ان يخيل له
فعل ما لم يفعله وتقدم ما فيه ويكون قول عايشة في الرواية الاخرى من احد الروايتين

في الحديث اعني قولها انه يخيل له انه فعل الشي وهو ما فعله والشي مبهم في روايتها دون
الاخرى فيحتمل انه من باب ما اختل من بصره اى قوة نظره لا نفس عينه وهو ما اكره
كما ذكر في الحديث من انه كان يخيل اليه الى اخره وبينه بقوله فيظن انه راى شخصا من بعض
ازواجه او شاهد فعلا من غيره انه فعله وصدر منه على وجه مخصوص ولم يكن
صدر منه على ما يخيل اليه وذلك لما اصابه في بصره وضعف نظره من الم السحر
لا لشي طرا عليه في ميزه بفتح الميم وسكون اليا المثناة التحتية بمعنى تميزه والمراد
به قوة عقله المميزة وقال ما في يميز ميزا كسار يسير سيرا بمعنى ميزه وبينه واذا كان
هذا اى ما ذكر من حاله صلى الله عليه وسلم على ما قرره لم يكن فيما ذكر من اصابة
السحر له في هذه الرتبة من غير زيادة فيه وتاثيره فيه بمجرد ضعف بصر غير قار
ما يدخل لبسا عليه بان يوثر في عقله وتمييزه اى يسري لباطنه ولا يجد به الملحد
الزايغ عن الحق بطعنه في الانبيا عليهم الصلاة والسلام المعترض به على انه
يلزم من تاثير السحر فيه تخيل ما لا حقيقة له يورث شكا فيما يراه من الملايكة
كما تقدم انفا اى امرا يتشبث به اوهامه الفاسدة او يحدث عنده علما
ينقص به مقام النبوة من قولهم انشبت منه كذا اذا علقته او ابصرته

فصل هذه الامور المذكورة في الفصل المتقدم حاله صلى الله عليه وسلم
في جسمه الشريف ظاهرا وباطنا واما احواله في امور الدنيا اى في الامور
المتعلقة بها فنحن نسبرها بفتح النون وضمها وسكون السين المهملة وضم
البا الموحدة وكسرها ورا مهملة والضمير راجع لامور الدنيا يقال سبره وسبره
اذا اختبره كما في الصحاح واصل معناه ان يدس في الجرح مرودا ليعلم عمقه
ثم شاع فيما ذكر وهو عند اهل الاصول استقصا افراد امر كلي واقسامه والمراد
هنا تبيينها على اسلوبها اى نوردها على طريقها المتقدم في هذا الكتاب والاسلوب
بضم الهمزة الفن والطريقة يقال اساليب الكلام لفنونه بالعقد اى الاعتقاد
المتعلق بسبر والقول والفعل اى نستوفي اقسامها النظرية واللفظية والعملية
اما العقد منها اى ما يتعلق من احواله صلى الله عليه وسلم في امور الدنيا
بالعلم بها والاعتقاد فقد يعتقد صلى الله عليه وسلم الشي من امور الدنيا
على وجه اى وقوعه على وجه من الوجوه في بادئ الراى ويظهر خلافه اى
يظهر له انه على خلافه في الواقع ونفس الامر او يكون منه اى من الشي الذي
هو من امور الدنيا على شك فيه او يكون منه على ظن بان يترجح عنده احد طرفي
الوقوع وعدمه بخلاف امور الشرع فانه صلى الله عليه وسلم لا يتردد
فيها لانه معصوم عن الخطا وان قلنا بجواز اجتهاده فيها لانه مستند
للوحي ايضا ثم اورد شاهدا لانه قد يعتقد شيا من امور الدنيا على خلاف

ماهو عليه وهو حديث رواه مسلم تقدمت الاشارة اليه مرارا فقال كما حدثنا
ابو محمد سفيان بن العاصي تقدم بيانه وغير واحد قراءة وسماعا اشارة الى انه رواه
من طرق قالوا حدثنا ابو العباس احمد بن عمر قال حدثنا ابو العباس الرازي قال
حدثنا ابو احمد بن عمرويه الكلام فيه كالكلام في سيبويه في بنائه على الكسر واعرابه
اعراب ما لا ينصرف وان المحدثين يضمون ما قبل اليا ويفتحونها كما اشتهر عنهم
قال حدثنا ابو سفيان ابراهيم بن محمد بن سفيان راوي صحيح مسلم عنه قال
حدثنا مسلم ابن الحجاج صاحب الصحيح المشهور قال حدثنا عبد الله بن الرومي
بن محمد او ابن عمر نزيل بغداد ثقة حافظ توفي سنة مائتين وست وثلاثين ولم يخرج
له من اصحاب الكتب الستة غير مسلم وعباس العنبري بن عبد الله بن اسماعيل
ابن نوبة ابو الفضل العنبري البصري الحافظ توفي سنة مائتين وسته واربعين
واحمد المعقري هو احمد بن جعفر والمعقري بفتح الميم وسكون العين وفتح القاف
وقيل بضم الميم وفتح العين وكسر القاف المشددة نسبة لمعقر ناحية من اليمن
قالوا حدثنا النضر بن محمد الجرشي اليمني وله ترجمة في الميزان قال حدثني عكرمة بن
عمار وقد تقدم قال حدثنا ابو النجاشي عطا ابن صهيب الثقة قال حدثنا رافع بن
خديج بفتح الخا المعجمة وكسر الدال المهملة ومثناة تحتية ساكنة وجيم توفي
سنة اربع وسبعين من الهجرة واخرج له الستة وهو انصاري صحابي شهد احدا
قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة لما هاجر من مكة وهم يابرون النخل بضم
الباء الموحدة بعد الهمزة الساكنة والجملة حالية وتابيرها ان ياخذ من طلع النخلة
الذكر ما يوضع في طلع غيرها حين ينشق فيتلقح يقال ابرتها وابرتها بالتشديد ويروى
هنا يابرون مشددا او القاحها ان تخرج ثمرتها صالحة لا شيصا فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد راهم على رؤس الشجر وهم يابرون كما في مسلم ما تصنعون
استفهام تقريري قالوا شي كنا نصنعه وهو التابير ليخرج احسنا فقال لهم لو لم
تفعلوا كان خيرا اي لو تركتم التابير للنخل كان خيرا من تابيرها وروي ما اظن ذلك
يغني شيا فاخبروا بذلك فتركوه اي التابير فنقصت بنون وقاف وصحف بعضهم
بنون وفا قاله ابن قرقول اي ثمرتها او تغيرت فصارت شيصا غير مستوية فذكروا
ذلك اي نقصها له صلى الله عليه وسلم فقال انما انا بشر اصيب واخطي في
امور الدنيا التي لا جرح الي فيها بشي ولكن اذا امرتكم بشي من دينكم فخذوا به اي
فتمسكوا به ولا تخالفوني فيه واذا امرتكم بشي من راي اي يكون رايا في امور الدنيا
المحضة فانما انا بشر مثلكم قد ادري رايا والامر بخلافه في امور الدنيا فلا يجب
اتباعه وفي رواية لمسلم عن انس رضي الله عنه انتم اعلم بامر دنياكم اي بمصالحها
واضاف الدنيا لهم لانه صلى الله عليه وسلم لا يريد شيا منها ولا يلتفت اليه وتحته

اخر رواه مسلم عن طلحة رضي الله عنه في هذه القصة انما ظننت بما قلته لكم ظنا مني انه
لا يلزم ما فعلتموه فلا تواخذوني بالظن اي لا تجدوا علي في انفسكم كدرا فيما ظننته خيرا
فتبين خلافه قال ابن رشد في كتاب البيان والتحصيل هذا الحديث روي بالفاظ
مختلفة متقاربة معنى كقوله صلى الله عليه وسلم ما انا بزارع ولا صاحب
نخل ولا منافاة اذ كل حكى ما سمع وانما نفى الظن بانه لا يلزم لاختصاصه بالحيوان
ولم يكن ذلك عن وحي كما قاله الطحاوي وقال ابو الوليد انه صلى الله عليه وسلم تبين له
انه لا تاثير في الصلاح والافساد لغير الله الا ان الله قد يجري العادة باسباب لذلك
تعلم بالتجربة كالتابير وهو صلى الله عليه وسلم لم يستول له تجربة فيه وقيل عليه ان عدم
علمه به بعيد فالاولى ان يقال انه صلى الله عليه وسلم نبههم على توكل الخواص
بترك الاسباب الذي هو من مقامات الانبيا دون غيرهم وقوله لا تواخذوني الى اخره المراد
انه ظنهم من اهل هذا المقام فلما اخبروه بحالهم ردهم لها وقال لهم انتم اعلم بحالكم واستدل
بهذا على ان الاجماع في امور الدنيا لا يعتد به لرجوعه صلى الله عليه وسلم لقولهم كما رجع لهم
في منزل بدر كما في التلويح اي وياتي في كلامه قريبا وقال ابن ابي شريف انه ممنوع وقول الرسول
صلى الله عليه وسلم حجة في الامور الدنيوية وغيرها لانه اما بوحي او باجتهاد لا يقر
على الخطا فيه ومراجعته كانت قبل استقرار اجتهاده والتلقيح من ربط المسبب بالسبب
ولو شا الله صلحت الثمرة بدونه وهو اعتقادنا وقوله انتم اعلم لا ينافيه وفيه بحث فتدبر
وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي رواه البزار بسند حسن في قصة الخرص بفتح
الخاء المعجمة وسكون الرا وصاد مهملتين وهو الحزر والتخمين لما على النخل والكرم من الرطب
والعنب وتفسيره كما قال الترمذي ان الثمار اذا ادركت من الرطب والعنب ووجبت
الزكاة بعث السلطان من يخبرها يخمنها وقال يخرج منها كذا وكذا فيبين قدره ومقدار
عشره فيثبته عليهم فاذا جا وقت الجذاذ اخذه وفائدته التوسعة على ارباب الثمار
فيتناولون منه ما ارادوا وهذا كان على عهده صلى الله عليه وسلم وعلى عهد الخلفا
ولذا اجازه بعضهم ومنعه بعضهم لانه تخمين وفيه غرر واما الخرص بكسر الخا فاسم
للمخروص وقال صلى الله عليه وسلم انما انا بشر اي انا مقصور على صفة البشرية التي
يجوز عليها الاصابة وعدمها وقيل هو قصر قلب خلافا لمن يعتقد ويظن ان الخطا في
الامور الدنيوية لا يجوز عليه فعكس اعتقادهم فيما لا تعلق له بالشرع والوحي فما حدثتكم
عن الله فهو حق لا يجوز الخلف فيه وما قلت فيه من امور الدنيا من قبل نفسي برايي لامر
خطر على نفسي فانما انا بشر اخطي تارة واصيب اخرى قيل هذا مما يستدل به على جواز خطايه
في اجتهاده وقيل لا دليل فيه لانه لم يقله باجتهاد وانما هو ظن سنح له وقد تقدم ما فيه
قريبا وهذا على ما قررناه من انه صلى الله عليه وسلم قد يرى شيا من امور الدنيا على وجه
يظهر خلافه كما اشار اليه بقوله فيما قاله من قبل نفسه في امور الدنيا وظنه من احوالها

لاما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه بالتخفيف والتشديد اي اظهره وبينه
وسنة سنها وهذا كله مبني على انه صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في بعض الاحيان
وهو الصحيح كما تقرر في الاصول واذا اجتهد لا يخطي ولا يقر على الخطا وقد وقع له
ذلك ولا حجة لمن منعه في قوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ونحوه لانه اذا
اذن له فيه كان وحيا مع انه الهام والهام الانبيا قسم من الوحي والمراد بالسنة الطريقة
المحمدية من اقواله وافعاله وسنها بمعنى جعلها امرا متبعا وطريقا مهيعا لا ما يقابل الفرض
فهي بالمعنى اللغوي وقوله فيما قاله من قبل نفسه تخصيص مفروغ منه يقرر في بحث الاجتهاد
من كتب اصول الفقه ثم قال انه تخصيص من غير مخصص مع ما اطال فيه من الزوايد وضرب
في حديد بارد غني عن الرد وكما حكى محمد بن اسحاق رحمه الله في كتاب المغازي مما يشابه
ما قبله من امور الدنيا انه صلى الله عليه وسلم لما نزل في غزوة بدر وبدر اسم ذلك المكان
وبير فيه لتسميته باسم صاحبها كما مر بادنى مياه بدر اي ابعدها واقلها ماءً وليس محل نزول
ونزلت قريش بالعدوة القصوى من الوادي والمسلمون بكثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام وسبقهم
المشركون الى الماء واحرزوه وحفروا لهم قليبا واصبح المسلمون وبعضهم على غير طهارة يحتاج
للماء واصابهم الظما ولم يصلوا للماء ووسوس الشيطان لبعضهم في ذلك والغرض
عنه فارسل الله عليهم مطرا سال منه الوادي فشربوا واستقوا وتطهروا وثبت
الاقدام وزالت وساوس الشيطان كما قال تعالى وينزل عليكم من السماء ماء
ليطهركم به الاية وكان صلى الله عليه وسلم لما نزل بادنى مياهها قال له الحباب
بضم الحاء المهملة وموحدتين علم منقول من اسم الثعبان ابن المنذر رضي الله عنه
ابن جموح بن زيد بن حرام بن غنم بن كعب بن سلمة الخزرجي الانصاري الصحابي الذي
يقال له ذو الراي توفي في عهد في خلافة عمر رضي الله عنه اهذا المحل الذي نزلتنا فيه
يا رسول الله منزل انزلكه الله عز وجل اي امرك بالنزول فيه ليس لنا ان نتقدمه ونتاخر
فيما هو اولى منه لانا لا نخالف امر الله بوحيه ام هو الراي اي راي منك بلا امر من الله
يجب اتباعه وليس تعريفه للاستغراق العرفي اي انه هو الراي الكامل كما قيل لانه لا يناسب
هنا والحرب اي ام هو محل مناسب لمحاربة الاعدا والنصرة فهو مجاز بذكر المسبب والمكيدة
اي الكيد والمكر لان الحرب خدعة والمكيدة مصدر ميمي بمعنى الكيد وهو الحيلة لايقاع
ما يريده من السوء ويسمى الحرب كيدا كقوله في الحديث لم يلق كيدا اي حربا فقال له صلى الله
عليه وسلم مجيبا له رضي الله عنه لا اي لم يامرني الله بنزوله بل هو الراي والحرب والمكيدة
اي نزلته برايي فيه لما ذكر فقال له الحباب ليس هذا المحل بمنزل مناسب لما ذكر لبعده
عن الماء وكثرة رمله فانهض اي قم من هنا وانتقل حتى ناتي ادنى اي اقرب ماء من القوم وهم قريش
فننزله اي ننزل فيه ثم نغور ما وراه اي نسده ونطمه حتى يذهب ماوه الذي ينتفع به
الاعدا وقوله ما وراه موصولة بالظرف مقصورة وروي ماه بالمد ما بعده صفته

من القلب بضم القاف واللام وقد يسكن وهو جمع قليب وهو البير الذي لم تطوى
لم تبن اطرافها بالحجارة ونغور بضم النون وتشديد الواو بينهما غين معجمة او مهملة كما
قال في المقتفى وقال السهيلي انه بضم العين المهملة وسكون الواو وفي حواشي
السيرة لابي ذر الخشني من رواه بغين معجمة معناه نذهبه وندفنه ومن رواه بمهملة
معناه نفسده انتهى وفي اهماله مناسبة للعين لا تخفى فنشرب اي المسلمون منه ولا يشربون
اي الكفار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للحباب اشرت بالراي اي بالراي الصواب
الحسن وفعل صلى الله عليه وسلم ما قاله الحباب بن المنذر له فنزل على الماء وبنى حوضا
يشربون منه الى اخر ما ذكره ابن اسحاق في سيرته وروى ابن سعد ان جبريل نزل عليه
صلى الله عليه وسلم وقال له الراي ما اشار به الحباب ثم ذكر ما دعاه للمشاورة فقال
وقد قال الله له صلى الله عليه وسلم وشاورهم في الامر الامر للندب لا للوجوب وانما
امر بذلك تطييبا لخاطرهم وقلوبهم ورفعا لمقدارهم لان كبرا العرب كانوا اذا لم
يشاوروا شق ذلك على نفوسهم فامر بذلك رعاية لهم وتشريفا لمن بعدهم وان كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اكمل الناس عقلا واسدهم رايا واختلف في ذلك
فقيل كان فيما لم ينزل فيه وحي ليجتهد فيه ويجتهدوا معه فان الاجتهاد بحضرته
جايز ايضا كما تقرر في الاصول وقيل انه مخصوص بامور الدنيا ومصالح الحرب فانهم
جربوها وقاسوا شدايدها وكلام المصنف يومي لهذا ولذا قال واراد اي النبي صلى الله
عليه وسلم مصالحة بعض عدوه على ثلث ثمر المدينة الحاصل من نخلها وكان ذلك
في غزوة الخندق لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عيينة بن حصن
والى الحارث بن عوف المري وهما قايدا غطفان بان يعطيهما ما ذكر فاستشار الانصار
رضي الله عنهم اي شاورهم ليرى رايهم والمستشار منهم سعد بن معاذ وسعد بن
عبادة رضي الله عنهما فلما اخبروه برايهم في ذلك وهو ما قال له سعد بن معاذ
يا رسول الله قد كنا نحن وهولا القوم على الشرك وعبادة الاوثان لا نعبد الله
ولا نعرفه وهم لا يطمعون ان ياكلوا منها ثمرة الا قرى او بيعا فحين اكرمنا الله بالاسلام
وهدانا له واعزنا بك وبه نعطيهم اموالنا ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم الا
السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم رجع عنه اي عن رايه في اعطايهم وقال لسعد انت
وذاك كما ذكره ابن اسحاق في مغازيه وساق القصة بتمامها وذلك لما اشتد الامر على
المسلمين وظهر من المنافقين ما ظهر بعث صلى الله عليه وسلم اليهما بذلك واراد
ان يكتب به صحيفة فلما استشار فيه السعدين قال له ابن معاذ امرك الله بهذا قال
لا ولكن اردت دفعهم فقال له صلى الله عليه وسلم ما ذكرناه انفا وتناول الصحيفة
ومحاها وجرى ما جرى حتى هزم الله الاحزاب وحده واعز حزبه وجنده فمثل هذا المذكور
من قصة الحباب والانصار وغيره واشباهه مما يضاهيه من امور الدنيا التي

لا اعتنا له صلى الله عليه وسلم بها ولا مدخل فيها للعلم ديانة اى امور متعلقة بالشرع
والدين واحكامه ولا اعتقادها ولا تعليمها بالجر عطف على قوله علم ديانة اى ليس مما
امر صلى الله عليه وسلم باعتقاده وتبليغه لامته وتعليمه لهم يجوز عليه فيه
ما ذكرناه من ان يعتقده على وجه فيظهر له خلافه لانه ليس من مهمات الدين والجملة
خبر قوله هذا اذ ليس في هذا كله نقيصة له صلى الله عليه وسلم لانه ليس مما عنده
ولا محطة بحا وطا مهملتين من الحط وهو التنزيل للاسفل اى لا يحط على مقامه ولا يعيبه
وانما هي امور اعتقادية اى جارية على عادة الناس فيها لا من العلم والاحكام يعرفها
من جربها واعتنى بها وهو صلى الله عليه وسلم لا يعتنى بها ولا يخالطها فضلا عن تجربتها
وجعلها همه اى امرا يهتم به ويتعبد به وهو صلى الله عليه وسلم لا يلتفت لها وشغل
نفسه بها اى بامور الدنيا وعناها وزوالها والنبى صلى الله عليه وسلم مشحون القلب
اى قلبه مملوء بمعرفة الربوبية وما يتعلق بها من اجلال وتكريم وتنزيه وتعظيم لم يبق
فيه محل فارغ لغيرها حتى يخطر بباله كما قيل تملك بعض حبك كل قلبى
فان ترد الزيادة هات قلبا وقد تقدم ومشحون علمت انه بمعنى مملوء غير خال منها يقال
شحن السفينة اذا ملأها ملأن الجوانح جمع جانحة وهى الضلوع التى تلى الصدر بحر
معرفة الله وصفاته ملء قلبه اشارة الى انها اول ما علمه وانها اعتقادات حقه وهى
اول ما تجب كما قيل اتانى هواها قبل ان اعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا
وجعل ما علمه بعده فيما يتعلق بعلوم الشريفة ملأ صدره لوروده عليه بعدها وهو
في غاية الحسن والاتقان وقيل كنى بالجوانح عن نفسه مجازا مرسلا من اطلاق الجزء
على الكل ولا يخفى ما فيه مقيد البال بمصالح الامة الدنيوية والاخروية والبال هنا
بمعنى الخاطر الذى يخطر على النفس لا بمعنى القلب وان ورد بهذا المعنى لانه اراد ان افكاره
صلى الله عليه وسلم وخواطره بعد معرفة الله تعالى وتلقى ما اوحى اليه لا تشتغل
الا بمصالح الامة المذكورة والمراد امورهم التى بها صلاح دينهم بتعليمهم ما يجب لهم
وعليهم من الطاعات والاعتقاد والمراد بالدنيوية ما يتعلق بدنياهم فى معاملاتهم
ونحوها من الامور الشرعية ولله دره فيما اتى به مرتبا مع التفنن فى العبارة حتى ذكر
ما يتعلق به صلى الله عليه وسلم اولا من معرفة ربه ملأ قلبه ثم ما يتعلق به من تلقى
الوحى ملأ صدره ثم جعل ما يتعلق بامته وتبليغهم وتعليمهم خواطره وافكاره فافهمه
ولكن هذا اى ما يعتقده ويظهر خلافه انما يكون اى يقع له صلى الله عليه وسلم
ويتفق فى بعض الامور الدنيوية العادية التى تعرف بالتجربة وكثرة المزاولة ومع انه ايضا
انما يجوز صدوره منه بخلافه ما هو عليه فى النادر ايضا والا فسلامة عقله صلى الله
عليه وسلم وشدة حذقه تقتضى انه اعلم الناس بامور دنياهم ايضا لانه اوفر الناس
عقلا وقد اطلعه الله على اسرار الوجود من مذموم ومحمود وقوله صلى الله عليه

وسلم

وسلم انتم اعلم بامر دنياكم انما اراد به تطييب قلوبهم كما مر وان لا يزكى نفسه تواضعا
منه وما ندر منه ووقوعه كان فيما سبيله اى طريق العلم به التدقيق اى تدقيق النظر فيه
بتكريره وصرفه فى حراسة الدنيا اى حفظ امور الدنيا وصونها واستثمارها اى طلب
زيادتها ونمو ثمرتها وهو امر ناشئ عن محبتها والحرص على تحصيلها وهو صلى الله عليه وسلم
لا يريد حرث الدنيا ولا يشغل بها خاطره ومع ذلك ما وقع منه عدم العلم بها الا نادرا
لا فى الكثير من امورها المؤذن الذى يعلم كثرة من اطلع عليه انه صدر بسبب البله
والغفلة البله والبلاهة نقص فى العقل وهو صلى الله عليه وسلم اكمل الناس
وارجحهم عقلا والغفلة دون البله وهى كونه لعدم حذقه يغفل عن بعض الامور
وما ورد فى الحديث من ان اكثر اهل الجنة البله فالمراد بهم كما فى النهاية الغافلون عن الشر
لانهم مطبوعون على الخير وحسن الظن بالناس لان نقص العقل لا يمدح به ولبعضهم
فى بعض الحمقى وقد بنى له دارا حسنة مزخرفة داراك يا هذا غرت جنة وان اهل الجنة
البله وقد تواتر بالنقل تواترا معنويا كتواتر كرم حاتم وشجاعة على كرم الله وجهه
عن لا يمكن تواطئهم على الكذب فى الجميع لا فى مادة بخصوصها عنه صلى الله عليه وسلم
متعلق بتواتر من المعرفة بامور الدنيا واحوالها تفصيلا من غير الامور المشروعة ومعرفة
دقائق اى الامور الدقيقة التى تخفى على كثير منهم مصالحها اى حاجاتهم التى بها صلاح
العالم فى المعاش وسياسة فرق اهلها عربا وعجما على اختلاف عقولهم وطباعهم وعاداتهم
والسنتهم والسياسة حكم الناس وضبط امورهم الجارية بينهم حتى لا يتعدى
بعضهم على بعض يقال ساسه يسوسه اذا حكم عليه بما يجعله منقادا ما هو
ما موصولة او موصوفة فاعل تواتر معجز فى البشر اى امور يعجز البشر من مثلها والبشر
بنو ادم سموا به لظهور بشرتهم اى ظاهر جلدهم من غير استتار بشعر ووبر كالحيوانات
كما قد نبهنا عليه فى باب معجزاته من هذا الكتاب كما تقدم تفصيله فلا حاجة لاعادته
هنا لانه صلى الله عليه وسلم لما فوض له الامامة العظمى على جميع الخلق والحكم
بينهم ودعوتهم لطاعته لزمه ان يعلم جميع احوال الناس دنيوية ودينية ليتم
امره ويتأتى له ما امر به فلا يخفى عليه الا امور قليلة لا ينصره عدم العلم بها ولذا كان
صلى الله عليه وسلم يحكم بالسلطنة والقضا والفتوى كما فصلوه وسبق
الفرق بين احكامه فيها فصل قال المص واما ما يعتقده صلى الله عليه
وسلم فى امور احكام البشر اى ما يحكم به عليهم فى امورهم التى ترفع اليه من الامور
الجارية على يديه اى الواقعة عنده فاستعار الجرى على يديه لهذا وقضاياهم اى امورهم
التى ترفع اليه صلى الله عليه وسلم ليقضى فيها بما اراه الله ومعرفة المحق من المبطل
ضمن المعرفة معنى التمييز فعداه بمن والمحق والمبطل اسما فاعل بمعنى من هو على الحق والباطل
وكونه اسم مفعول كما قيل ركيك من غير داع له وعلم المصلح من المفسد اى اهل الصلاح

والفساد فبهذا السبيل الباظرفية اى جا فى هذه الطريقة السابقة فى امور الدنيا التى
قد يظهر له منها ما الامر بخلافه احيانا ولا يضره لما سياتى وهو وان كان لا يخفى الله
عنه علمه اصلا كما قاله بعض العارفين يظهره الله منه ليلا يقتدى به بعض امته
لتوهمه انه يعلم الغيب فيقعون فيما وقع فيه النصارى فلذا كان يستره كما قال
الابوصيرى رحمه الله تعالى لم يمتحنا بما تعيى العقول به حرصًا علينا فلم ترتب ولم نهم
لقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان مسندا وابو داود وعنه رواه
المص لعلو سنده فيه كما مر وتقدمت الاشارة اليه مرارا انما انا بشر لا اعلم الغيب وانكم
تختصمون الى فى امور عندى وتردونها الى ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض
اى اعرف باقامة الحجة وافصح فى بيانها ممن يخاصمه واصل معنى اللحن الميل عن الاستقامة
ومنه اللحن فى الاعراب لميله عن الصواب واللحن الطرب ومنه الحان القراة وفى الاساس
لحن بحجته فطن لها فيصرفها لما يشا وفلان الحن بحجته من صاحبه انتهى اى افصح منه
واقدر على اقامة الحجة فاقضى له واحكم على نحو بالتنوين اى على نوع وضرب مما اسمع
من كلامه بحسب الظاهر منه فمن قضيت له من حق اخيه بشئ ولو قليلا اى حكمت له
بشئ ليس له حق فيه وانما هو حق لخصمه ويعبر بالاخ عن الخصم كقوله تعالى ان هذا
اخى له تسع وتسعون نعجة للاستعطاف والحث على عدم الحيف فلا ياخذ منه
شيئا ليس حقه فانا اقطع له بما اعطيه من حق غيره قطعة من النار يجعل ما ياخذه
بغير حق قطعة من نار جهنم مبالغة فى حرمته عليه واستحقاقه للعذاب تنزيلا منزلة
عذابه حقيقة كما فى قوله ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون فى بطونهم نارا
وحاصله ان حكم الحاكم بحسب الظاهر صحيح نافذ ولكنه ان خالف الواقع لا يحل
حراما ولا يحرم حلالا لانا نحكم بالظاهر وعند الله علم السراير وهذا فى الاموال
والدما وغيرها فالحكم ينفذ بحسب الظاهر ويبقى الباطن فى الاخرة وقد وقع الخلاف
بين الفقها فى بعض احكام الفروج كما لو شهد شاهدا زور على رجل انه طلق امراته وحكم
الحاكم بالفرقة بينهما وهو لم يقع منه طلاق فى نفس الامر فهل يجوز له ان ينكحها بعد الحكم
المذكور ام لا فيه قولان كما فى كتب الفروع حدثنا الفقيه ابو الوليد رحمه الله تقدم
بيانه قال حدثنا الحسين بن محمد هو الحافظ ابو على الغسانى وقد تقدم قال اخبرنا ابو عمر
هو ابن عبد البر وقد تقدم قال حدثنا ابو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المومن القرطبى كان
ممن لقى ابن داسه واخذ عنه وترجمه الذهبى قال حدثنا ابو بكر هو ابن داسه راوى
سنن ابى داود كما تقدم قال حدثنا ابو داود الامام المشهور صاحب السنن وقد تقدم
قال حدثنا محمد بن كثير بكاف مفتوحة ومثلثة مكسورة وتحتية ساكنة وهو ابن كثير
العبدى البصرى الامام المشهور اخرج له الستة توفى سنة مايتين وثلاث وعشرين
وعمره تسعون سنة وترجمته فى الميزان قال حدثنا وفى نسخة اخبرنا سفيان اى الثورى

لا ابن عيينه لانه الذى يروى عنه ابن كثير وبه صرح عبد الغنى فيحمل المطلق عليه عن هشام
بن عروة عن ابيه عروة وقد تقدم الكلام عليهما عن زينب بنت ام سلمة ام المؤمنين
رضى الله عنهما وزينب هذه بنت ابى سلمة ربيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى
صحابية تزوجها عبد الله بن زمعة توفيت سنة ثلاث وسبعين عن ام سلمة ام المؤمنين
المذكورة واسمها هند وقيل رملة كما تقدم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحديث المذكور يعنى انما انا بشر الخ وقدم المتن على السند هنا وهو جايز لانه مبين
لما عقد له الفصل كما لترجمة له وعلل فيه عن رواية الصحيحين لعلو سنده فى سنن ابى
داود ولانه ضمه لما هو مشهور معلوم تقوية له وفى رواية الزهرى بن شهاب الامام
المشهور عن عروة تقدمت ترجمته فلعل بعضكم وقع فى هذه الرواية بالفا التفريعية
وفيه ابلغ من بعض مكان الحن فهو من البلاغة ليوافق معنى الرواية الاخرى وما قيل انه
من البلوغ وهو الوصول اى اسرع وصولا للحجة مع انه غير مناسب مخالف للظاهر فلا حاجة
لتكلفه وقيل انه من المبالغة والزيادة فى اجتهاده بترويج حجته فاحسب انه صادق
فيما ادعاه بحسب الظاهر وان وما بعده ساد مسد مفعولى احسب فاقضى له اى احكم له
بما اظنه حقه وهو صلى الله عليه وسلم تجرى بمثناة فوقية واحكامه مرفوع نايب
مناب فاعله او بتحتية مضمومة واحكامه منصوب به مفعوله على الظاهر من الامر
وما انفقيه ويجرى على موجب بضم الميم وفتح الجيم اى ما يقتضيه غلبات الظن اى
ما يغلب تحققه فى ظنه بحسب ظاهر الحال وجمع غلبات باعتبار تعدد الخصومات
ثم بين سبب غلبة بما قضى به فقال بشهادة الشاهدين اى بسبب ذلك ويمين الحالف
اذا حلف فانه يغلب على الظن صدقه والمراد اليمين الذى تقتضيه الشرع فى محله
ولذا قال الحالف من غير يقين فلا وجه لصرفه للعان من غيرها يشعر فى العبارة وظن
بعضهم ان يمين الحالف المراد بها اليمين مع شاهد واحد الذى حكم به بعض الايمة ولا حاجة
تدعو له ومراعات الاشبه اى ما هو اكثر شبها بالحق بما فيه من القراين وظن بعضهم
ان الاشبه المراد به شبه الولد فى الملاعنة وبما حكم فيه بالظاهر اللقطة وما فيها
من معرفة العفاص وهو بكسر العين المهملة وفا مفتوحة مخففة قبل الالف وصاد
وصاد مهملة وهو وعا من جلد ونحوه يوضع فيه اللقطة والوكا بكسر الواو ما يربطه
فاذا عرفها وجا طالبها يسال عن امارتها فاذا بينها ترفع له لغلبة الظن بانه صاحبها
وهو اشارة لما ورد فى الحديث الصحيح وعرفها سنة ثم احفظ عفاصها ووكاءها
فان جاءك احد يخبرك بها والا فانفقها مع مقتضى حكمة الله تعالى فى ذلك اى اقتضت
حكمة الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام ان يحكم بالظاهر ليقتدى به من بعده
من حكام امته ولو اراد ان يطلعه الله تعالى فى كل قضية على حقيقتها فعل ولكنه
لا يتيسر لمن بعده اتباعه فى احكامه وهذه الاحكام وان خالفت الواقع لا خطا فيها

لانه ماموربالحكم به وليس من قبيل اجتهاده حتى يقال انه لا يخطئ فيه ولا يقر على الخطا فينا
فيما تقدم وهو ظاهر جدا فانه صلى الله عليه وسلم لو شا لاطلعه الله على سراير
عباده اى ما خفى منها فاراد الله ان لا يطلعه وانه اذا اطلعه لا يظهره لهذه
الحكمه وخبيات ضمايرامته اى ما اضمروه واخفوه فى انفسهم مما لا يطلع عليه
الا الله عالم الغيب وهى جمع مُخَبَّاَة اسم مفعول مشددة الباى مكتومة عن ظاهره
وخبايا الارض فى الحديث الزرع لاستتاره اذا بذر وفى الحديث ابتغوا الرزق فى خبايا
الارض وقال الشاعر تتبع خبايا الارض وادع مليكها   لعلك يوما ان تجاب
وترزقا   فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه يعنى لو اطلعه الله على السراير لحكم بها
كان يحكم بعلمه فيها دون حاجته له فى حكمه الى اعتراف اى اقرار من الخصم او بينة تشهد
عليه او يمين تتوجه على المنكر او شبهة اى مشابهة فى الامر للحق كما تقدم والامر بخلافه
ولكن لما امر الله امته فى اتباعه فى احكامه التى شرعها لهم والاقتدا به فى افعاله المشروعة
واحواله وقضاياه اى احكامه صلى الله عليه وسلم التى قضى بها لامته وسيره
الماثورة عنه صلى الله عليه وسلم فى غزواته وغيرها وكان هذا الامر الذى امر باتباعه
فيه لو كان مما يختص النبى صلى الله عليه وسلم بعلمه الذى علمه الله به مما خفى على غيره
ويوثره الله تعالى به اى يخصه صلى الله عليه وسلم به دون امته لانه وحى منه او الهام
له لم يكن للامة سبيل اى طريق توصلهم للاقتدا به فى شى من ذلك لعدم علمهم به لانما اوتيه الله
ولا قامت حجة بعده صلى الله عليه وسلم بقضيته من قضاياه فى امر من الامور الدينية
لاحد من حكام امته وخلفايه فى شريعته واحكامه لانا لا نعلم ما اطلع عليه باطلاع الله
له على ما خفى منه هو فى تلك القضية حكمه هو اذا فى ذلك بالمكنون اى الخفى من اعلام الله
له بما اطلعه الله من سرايرهم التى اخفاها عن غيره من الامة وهذا مما لا تعلمه الامة لانه
تعالى لا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فاجرى الله احكامه الشرعية على ظواهرهم
التى يستوى فيها هو صلى الله عليه وسلم وغيره من البشر من امته فى زمنه وبعده وهذا
باعتبار اكثر احواله والا فمن خصايصه صلى الله عليه وسلم انه يجوز له ان يحكم بعلمه
وقد اطلعه الله على كثير من السراير والمضمرات لكنه لم يومر بالحكم بها للحكمة المذكورة
وقد امر بعض الانبيا بالحكم بالامور الباطنة كالخضر على القول بنبوته وهو الاصح كما مر لكنه
لم يكن له امة تقتدى به ولذا انكر عليه موسى عليه الصلاة والسلام قبل اطلاعه
على انه اذن له فيه فلما علمه سلم له وللسيوطى رسالة فى ان نبينا صلى الله عليه وسلم
كان له الحكم بالباطن ايضا اذا لم يخش من التهم وساق فيها قضايا لا نطيل بها هنا
وحكمه على الظاهر كان تارة بالسياسة والسلطنة اى الامامة العظمى وتارة بالفتوى
كما فصله ابن السبكى فى قواعده مع الفرق بينها فارجع اليه ان اردته ليتم اقتدا امته فى
تعيين قضاياه التى وقعت فى احكامه بين الناس ويتم بضم التحتية وفاعله ضمير يعود

الى الله عز وجل واقتدا امته بالنصب مفعوله ويجوز فتحها ورفع اقتدا على الفاعلية
وتنزيل احكامه على قواعد شرعه واجرايها فى جزيياتها فياتوا ما اتوا بقصر الهمزة اى يفعلوا
ما فعلوا من ذلك اى من قضاياه وتنزيل احكامه على علم ويقين من سنته اى طريقته
فى شريعته التى بينها لامته اذ البيان بالفعل الذى فعله فى احكامه ارفع فى النفوس
واثبت طمانينة منه اى من البيان بالقول وارفع لاحتمال اللفظ للتاويل والتجوز
وتاويل المتاول بخلاف الفعل فانه لا يجرى فيه مثله مع موافقته للظاهر فلا خفا
فيه فكان حمله اى الفعل لا النبى صلى الله عليه وسلم كما قيل على الظاهر اجلى بالجيم
افعل تفضيل اى اظهر واوضح عطف تفسير فى البيان لكل احد يشاهده فى وجوه
الاحكام جمع وجه وهو ما يتوجه منه ويحمل عليه كما يقال فى هذا وجهان اى توجيهان
وجعله من قبيل اللجين الما او الاستعارة المكنية والتخييلية كما قيل صرف له عن الظاهر
من غير داع له واكثر فايدة لموجبات بفتح الجيم اى ما يقتضيه التشاجر وهو بضم
الجيم مصدر بمعنى الخصام الواقع فى المنازعات والدعاوى من شجر بينهم كذا اذا وقع
وجرى وفى الحديث اياكم وما شجر بين اصحابى اى وقع بينهم من امور اقتضاها الاجتهاد
وانما كان الفعل اظهر لانه مشاهد محسوس وفى الحديث ليس الخبر كالمعاينة فان الله
تعالى اخبر موسى عليه الصلاة والسلام بما فعل قومه بعده فلم يلق الالواح فلما
عاين ذلك القاها رواه الطبرانى وغيره وهذا حديث صحيح وزعم بعضهم ان القول
اقوى لان الفعل قد يطول فيتاخر البيان ورد بان القول قد يطول ايضا وليقتدى
بذلك الفعل الصادر عنه حكام امته بعده وليستوثق اى يتمسك بما يوثر عنه
اى بما روى او ينتظم وينضبط على القواعد الشرعيه وفيه روايتان احداهما انه
مبنى للمعلوم بسينين مهملتين بمعنى ينتظم وهو استفعال من الاتساق قال تعالى
والقمر اذا اتسق والثانية انه روى بمثلثة بعد الواو ومبنى للمجهول اى يتمسك
بما يوثر عنه اى ينقل نقلا صحيحا شايعا وفى بعض الحواشى انه تصحيف وليس كما قال
لان المستعمل من الاول الاتساق دون الاستفعال فكلاهما صحيح خلافا لمن رد
الثانى وينضبط قانون شريعته وهى القضايا الكلية المنطبقة على جزيياتها فيتعرف
منها احكامها حِلا وحُرمة وغيرهما ثم اجاب عن سوال مقدر فقال وطى ذلك عنه
اى اخفاه مستعار من طوى المتاع فى صوانه وفيه اشارة لجلالته ونفاسته
وانما اخفاه لانه من علم الغيب المغيب عن غيره الذى استاثر اى انفرد واختص به
عالم الغيب عز وجل فلا يظهر على غيبه احدا من خلقه الا من ارتضى لعلمه من رسول
بيان للمرتضى فيعلمه منه اى يطلعه على بعضه بما شا بوحى والهام او فراسة ليكون
معجزة له او كرامة اكرمه الله بها وليستاثر اى يختص بما شا مما طوى علمه عن غيره فانه
لا يعلم جميع المغيبات الا الله والرسول فى الاية من البشر او رُسُل الملايكة وفيه

كلام ذكرناه في حواشي القاضي وقد اطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على كثير
من المغيبات وحديث حذيفة بن اليمان في الفتن التي تحدث الى اخر الزمان حديث طويل
مشهور وخطبته صلى الله عليه وسلم التي ذكر فيها ما سيقع لامته مذكورة في بعض
كتب الحديث وقد فصله ابن كثير في كتاب الفتن ولا يقدح هذا اي عدم اطلاعه على بعض
المغيبات في نبوته صلى الله عليه وسلم وكونه مرتضى للرسالة ولا يفصم بالفا
والصاد المهملة قالوا هو الكسر من غير ابانة وفسر بالكسر والحل والثاني انسب
بقوله عرقه من عصمته والعروة ما يدخل فيه الزر وما يعقد به شبه عصمته وحفظه
بلباس ساتر له عرى وازرار تمسكه بطريق الاستعارة المكنية المخيلة لان للعصمة
جهات يتمسك بها وهو دفع لشبهة وردت وهي انه صلى الله عليه وسلم اذ لحكم
بظاهر يخالف الواقع توهم انه مخالف لعصمته وليس كذلك لانه مامور به لحكمة
تقدمت - فصل واما اقواله صلى الله عليه وسلم الدنيوية اي المتعلقة بامر
الدنيا التي لا تعلق لها بالشرع من اخباره عن احواله التي لها تعلق به صلى الله عليه
وسلم في نفسه وساير اموره واخباره عن احوال غيره الدنيوية ويفعله هو
في المستقبل وفعله فيما مضى مما صدر منه صلى الله عليه وسلم فقدمنا ان الخلف
هو بضم الخا وسكون اللام اعم من الكذب لانه يكون في الامور التي يعبر عنها بجملة
انشايية فيها ممتنع عليه صلى الله عليه وسلم فلا يصدر عنه امر يخالف نفس الامر
لانه معصوم في اقواله وافعاله في كل حال من احواله البشرية وعلى اي وجه من وجوه
احواله التي يقع عليها وبينه بقوله من عمد او سهو وصحة او مرض ورضى وغضب فانه
صلى الله عليه وسلم معصوم منه اي محفوظ من الله عن ان يصدر عنه خلف في شي
من اخباره هنا الامر الذي عصم فيه من اقواله فيما طريقه الخبر المحض اي طريقه التي
ورد فيها قوله وخبره اذا كان من الخبر المحض اي الصريح الذي ليس من قبيل المعاريض
التي اريد بها التورية مما يدخله الصدق والكذب يعني الخبر فانه ما يحتمل الصدق
والكذب في حد ذاته بقطع النظر عن ارضه فاما المعاريض جمع معراض من التعريض
خلاف الصريح وهو النصل الذي لا يحتمل لتا ويل عن القول يقال عرفته في معراض كلامه
ومعرضه بغير الف وفي الحديث ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب الموهم ظاهرها
وهو صريح لفظها الموضوع له خلاف باطنها اي ما خفي منها مما يؤول به لقصد التورية
فجايز ورودها بالتلفظ بها ويقصد غير ظاهرها منه صلى الله عليه وسلم في الامور
الدنيوية دون الامور الشرعية لا سيما تقدم الكلام عليها وانما استثنا عند النحاة
يكون ما بعدها اولى بالحكم مما قبلها لقصد المصلحة اي اذا كان في اخفا المعاريض
مصلحة ومنفعة كتوريته صلى الله عليه وسلم عن وجه مغازيه اي جهته صلى الله
عليه وسلم التي يتوجه اليها في غزواته فان فيها مصلحة والتورية عندهم ان يكون

اللفظ له

اللفظ له معنيان قريب وبعيد فيقصد البعيد وهي تفعلة من الوري كانه وراه
لستر المراد منه بايهام غيره لئلا يا خذاي يتاهب العدو الذي قصد غزوه وحذره بكسر
الحا المهملة وسكون الذال المعجمة مثل را مهملة اي يتيقظ لما يحذره ويخافه فلا
يفرط فيه وفي البخاري لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى
بغيرها وفي قوله يا خذحذره دون يحذ كلام في الكشاف وشروحه وكما اي توريته
ومعاريضه في غزواته ما روى عنه صلى الله عليه وسلم من ممازحته المزاح معروف
ويسمى احماضا ودعابته بضم الدال وبالعين المهملتين وموحدة وهي بمعنى الممازحة
وذكرها لورودها في حديث كان فيه صلى الله عليه وسلم دعابة وقيل في علي كرم الله
وجهه ايضا لولا دعابة فيه وانما كان يفعله احيانا لبسط امته اي ليسرهم ويشرح
صدورهم وقد ورد البسط بهذا المعنى في اللغة على طريق التجوز لان المعبس يعقد
سارير جبهته وعند الفرح يبسطها فيتسع وفي امثال العامة البسط صدف
وهو البشاشة وطلاقة الوجه وتطييب قلوب المومنين من اصحابه رضي الله
عنهم وفي نسخة من صحابته ومن بيانية او تبعيضية اي جعلها طيبة مسرورة
وتاكيدا في تحببهم وفي نسخة تحبيبهم لان المرء انما يمازح من يحبه ويطرح التكلف
بينه وبينه ومسرة نفوسهم كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابو داود
والترمذي عن انس رضي الله عنه وصححاه لاحملنك على ابن الناقة وروى عن ابي
هريرة ايضا وهو انه صلى الله عليه وسلم قال له رجل كان فيه بله يا رسول الله
احملني فباسطه صلى الله عليه وسلم بما عساه ان يكون ثم قال له انا احملك
على ابن الناقة فسبق لخاطره من لفظ البنوة استصغار فقال يا رسول الله ما يغني
عني ابن الناقة فقال له صلى الله عليه وسلم ويلك وهل يلد الجمل الا الناقة
وانما كان صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك معهم اذهابا لوحشتهم ولما يعلمه صلى الله
عليه وسلم من مهابته في نفوسهم فيا نسهم بذلك وليعلم الناس حسن الخلق
في المعاشرة وما ورد من النهي عن المزح انما هو عن كثرة المعرطة واستعماله مع كل
احد في غير محله فكان صلى الله عليه وسلم يلاعب الاطفال ويمج الما في وجوههم
وافواههم والاخبار في هذا الباب مبسوطة في كتب الحديث وامور صلى الله
عليه وسلم مع البدوي الذي كان يسمى زهيرا مشهورة وقوله صلى الله عليه
وسلم في حديث رواه ابن ابي حاتم وغيره للمراة التي يسالته عن زوجها كما اخرجه
ابن ابي الدنيا عن زيد بن اسلم ان امراة يقال لها ام ايمن جات الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقالت له زوجي يدعوك فقال لها من هو اهو الذي بعينيه بياض فقالت
لا والله ما بعينيه بياض فقال لها صلى الله عليه وسلم ما من احد الا بعينيه بياض
يعني به البياض المحيط بالحدقة وهي توهمته غشاوة على حدقته مضرة بالبصر واللفظ

يحتملها والاستفهام تقريري ثم اشار الى بيان ذلك بقوله وهذا الذي قاله صلى الله
عليه وسلم مداعبة كله صدق لان كل جمل ابن ناقة لصدق الابن على الصغير والكبير
وان تبادر منه صغره عرفا وكل انسان بعينه بياض محيط بحدقته وقد قال صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه احمد والترمذي والطبراني عن ابن عمر وابي هريرة رضي الله
عنهم بسند حسن اني لامزح ولا اقول الا حقا ولفظ الحديث انهم قالوا يا رسول الله
انك تداعبنا فقال اني اذا داعبتكم لا اقول الا حقا فالنهي عنه في قوله لا تمار اخاك
ولا تمازحه وفي قول عمر رضي الله عنه من مزح استخف به وقول ابن العاص يا بني لا تمازح
الشريف فيحقد عليك ولا الدني فيجتري عليك محمول على الكثرة منه في غير محله
وعلى غير سنته صلى الله عليه وسلم فمثله مذموم منهي عنه هذا كله اي ما صدر
من ممازحته على وجه الحقيقة وغيره فيما بابه اي نوعه الوارد فيه الخبر اي الاخبار
بما له بسنة خارجية كما مر فاما ما بابه غير الخبر من الانشاءات مما صورته صورة
الامر والنهي المعروفين عند اهل العربية في الامور الدنيوية فلا او يصح منه ايضا القول
بصدوره منه لعصمته ولا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم ان يامر احدا بشيء او ينهى
احدا عن شيء وهو صلى الله عليه وسلم يبطن خلافه جملة حالية لبراءته من الامر
والنهي بخلاف ما عنده وقد قال صلى الله عليه وسلم ما كان لنبي ان تكون له خائنة
الاعين فكيف ان يكون له خائنة قلب ان يكون فاعل فعل ينبغي ان يكون الى اخره
هذا هو الظاهر وكونه مبتدا تكلف لا داعي له وخائنة مصدر بمعنى خيانة كالعافية
وخائنة الاعين ان يضمر في نفسه خلاف ما يظهره فاذا اراد اظهارها او ما بعينه
ولظهوره من العين نسب لها قال تعالى يعلم خائنة الاعين اي ما تخون فيه
بمسارقة النظر والغمز وخائنة القلب خيانته واذا لم يجز له ان يشير بطرفه
بخلاف ما في قلبه فكيف بهذا قالوا وهذا من خصايص الانبيا عليهم الصلاة
والسلام انه لا يجوز لهم هذا الما فيه من ارتكاب ما لا يليق بهم وهذا من حديث
رواه الحاكم والنسائي وابو داود وهو انه صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة امن
الا اربعة نفر سماهم وامرهم بقتلهم وان وجدوا متعلقين باستار
الكعبة منهم عبد الله ابن سعد ابن ابي سرح العامري وكان ممن اسلم وهاجر وصار
كاتب الوحي ثم ارتد وذهب لقريش وقال ما بلغه صلى الله عليه وسلم من انه
كان يكتب في الوحي بعض كلام من له كما مر وكان اخا لعثمان من الرضاع فغيبه ثم اتى به
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما اطمان الناس فاستامنه من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسكت طويلا ثم قال نعم فلما انصرف قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما سكت الا ليقوم احد ليضرب عنقه فقال رجل من الانصار هلا
اومات الينا يا رسول الله فقال ما كان لنبي ان يخون ثم حسن اسلامه وهو احد

النجبا الكرما العقلاء فان قلت فما معنى قوله تعالى في قصة زيد بن حارثة بن شر
جبيل الكلبي كانت خديجة رضي الله عنها اشترته ووهبته لرسول الله صلى الله
عليه وسلم قبل النبوة بمكة وهو اصغر من رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعشر او عشرين سنة فتبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان يقال له ابن
محمد حتى نزل عليه قوله تعالى ادعوهم لابائهم وكان قدم ابوه وعمه لفدائه فقالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عبد المطلب انتم اهل حرم الله وجيرانه
وقد جيناك في ابننا عندك فقال من هو قالا زيد قال فهلا غير ذلك قالا ما هو
قال الخيرة فان اختاركم فهو لكم وان اختارني فهو لله فدعاه وخيره فاختار رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال انت مكان الاب والعم فقالا ويحك تختار العبودية
على الابوة والحرية قال نعم قد رايت منه ما لا اختار عليه احدا غيره فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لمن حضره اشهدوا انه ابني يرثني وارثه الى اخر ما ذكر في السير
واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه الاية وهذا السوال وارد على قوله انه
صلى الله عليه وسلم لا يامر بخلاف ما في نفسه ولم يصدر منه خائنة قلب لان
قوله امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس
والله احق ان تخشاه مناف له بحسب الظاهر وانعام الله عليه بهدايته للاسلام
وما وسع عليه في الدارين وانعام الرسول عليه باعتاقه وتقريبه ومحبته له وكانت
زوجته زينب بنت عمته عليه الصلاة والسلام اميمة بنت عبد المطلب وكانت
من اجمل النساء واشرفهن فاتى صلى الله عليه وسلم زيدا لحاجة فلم يجده فوقع نظره
عليها فاعجبه حسنها ووقعت في قلبه اعظم موقع فقال سبحان الله مقلب القلوب
وانصرف فلما جاها زيد اخبرته بذلك ففطن زيد لوقوعها في قلبه والقى الله في
نفسه كراهيتها فقال يا رسول الله اني اريد مفارقة زوجتي فقال له ما رابك منها
شيء وما رابني منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي وتوذيني بلسانها فقال له صلى الله
صلى الله عليه وسلم امسك عليك زوجك واتق الله في امرها فابى وطلقها فاجاب
عنه المص بقوله فاعلم ايها السايل عن هذه القضية اكرمك الله عز وجل كما اكرم
مقام النبوة ونزهه عما لا يليق به ولا تسترب اي لا تقع في ريبة وشك من امره
صلى الله عليه وسلم واصل الريب قلق النفس واضطرابها ثم نقل للشك وفي الحديث
الشك ريبة والصدق طمانينة اي لا تشك في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم
عن هذا الظاهر من الاية من انه صلى الله عليه وسلم اخفى في نفسه امرا خشية
طعن الناس فيه بحبها وارادة طلاقها وامره بامساكها وهو يريد خلاف الظاهر
كما قال وان يامر زيدا بامساكها في عقد نكاحه ولا يفارقها وهو صلى الله عليه
وسلم يحب تطليقه اياها ليتزوجها كما ذكره جماعة من المفسرين بانه اظهر خلاف

مافي نفسه وامرٍ بما لم يرده وانه خشي قالة الناس فيه كما نقل بعضهم عن قتادة وابن عباس
رضي الله عنهم وهو غير لائق بمقامه صلى الله عليه وسلم واصح ما قيل في هذا الامر
المذكور في هذه الاية ما حكاه بعض اهل التفسير وفي نسخة رواه اهل التفسير عن زين
العابدين علي بن حسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه احد السبعة ان الله قبل وقوع
هذه القصة اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم ان زينب بنت جحش ستكون من ازواجه
امهات المؤمنين بعد ما تزوجها زيد وهي تحت نكاحه فلما شكاها اليه زيد بانها
تتعظم عليه لشرفها وهو من الموالي قال له امسك عليك زوجك لانه فهم
من شكايته انه يستاذنه في طلاقها واتق الله فلا تؤذها بوصفها بالتكبر وطلاقها
بلا سبب واخفى منه اي من زيد في نفسه لم يصرح له به حياء منه ان يطلع الناس على انه
سيتزوجها وان لم يكن فيه امر مستقبح وانما كتم سره وما اعلمه الله به من انه
ستتزوجها وفي نسخة سيزوجها الله له مما الله تعالى مبديه ومظهره بابرازه في الخارج
بتمام التزويج وطلاق زيد لها كما قال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم
الاية قال ابن العربي فان قلت فلم قال له امسك عليك بعد ما اخبره الله بانه
سيزوجها له قلت ليعلمه ما لم يعلمه من كراهة زيد لها ورغبته في طلاقها حتى لا يبقى
في نفسه شيء منها وعلى هذا التفسير لم يبق في القصة اشكال ابدا وروى نحوه عن عمرو بن
فايد بفاء والف وهمزة ودال مهملة وفي الاكمال انه بالفاء والقاف وذكره الذهبي فقال
عمرو بن قايد الاواري وقال الدارقطني وغيره انه ضعيف متروك الحديث معتزلي قدري
يقيم الحديث وهو بصري يكنى ابا علي قال البرهان وهو في النسخ التي وقفت عليها بالقاف
وفيه نظر عن الزهري بن شهاب كما تقدم قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم
يعلمه مضارع من الاعلام ان الله يزوجه زينب بنت جحش رضي الله عنها وقيد هابنت
جحش ليخرج غيرها فان من امهات المؤمنين زينب اخرى هي بنت خزيمة ام المساكين فذلك
هو الامر الذي اخفى في نفسه لاستحيائه من اظهاره ويصحح هذا الذي رواه الزهري
قول المفسرين في قوله تعالى بعد هذا في اخر الاية وكان امر الله مفعولا لافادته انه
امر اراده قبل ذلك ونفى عنه الحرج في تزويج منكوحة من تبناه لانه ليس كالولد الحقيقي
اي لا بد لك ان تتزوجها لانه قدره ازلا وانما تزوجها لحكمة رتب عليها احكاما
شرعيته ويوضح هذا الامر الذي قرره المفسرون ان الله لم يبد اي لم يظهر من امره
اي من شانه صلى الله عليه وسلم في هذه القصة معها اي مع زينب رضي الله
عنها غير زواجه لها اي تزويجه اياها فدل ما ابداه الله من امره على انه اي تزوجها
له بامر الله هو الذي اخفاه صلى الله عليه وسلم في نفسه لانه اخفى في نفسه
غيرها امره الله به وانما الذي اخفاه شيء مما اعلمه الله تعالى به لا غيره بما توهموه فانه
تعالى لم يبد شيئا غير زواجه بها فدل على انه هو الذي اخفاه كما تقرر ولو كان امرا

اخرابداه

اخرابداه وما في الكشاف من قوله فان قلت فماذا اراد الله منه ان يقوله حين قال له
زيد اريد ان افارقها وكان من الهجنة ان يقول له افعل فاني اريد نكاحها قلت الذي اراده الله
تعالى منه ان يصمت او يقول له انت اعلم بشانك انتهى نزغة اعتزالية في تخلف الارادة

388

فاحذرها وقوله تعالى في القصة اي قصة زينب المذكورة ما كان على النبي من حرج
فيما فرض الله له سنة الله والحرج في الاصل الضيق واريد به الاثم اي لا اثم عليك
فيما قدره لك ووسع عليك في امر النكاح وسنة الله منصوب على الاغراء وهو
مصدر لفعل علم من السياق اي سن ذلك سنة وطريقة شرعية كانت لمن قبلك
من الانبياء في تزوج من يريد او في تعدد المنكوحات وكثرتها كما وقع لداود وسليمان
وغيرهما من الرسل عليهم الصلاة والسلام وفرض بمعنى قضى وقدر لا من الفرض مقابل
السنة ففي ذكره مع السنة تورية وطباق بليغ فيه من اللطف ما لا يخفى حسنه فدل
ما ذكره في قوله ما كان على النبي من حرج على انه لم يكن عليه صلى الله عليه وسلم حرج
اي تضييق ولا اثم يقتضي العتاب عليه في الامر الذي فعله وقد قدره الله له واعلمه
به وقال الطبري محمد بن جرير وقد تقدمت ترجمته ما كان الله ليؤثم نبيه فعل وقدر ان يؤثم
نبيه عليه الصلاة والسلام اي يوقعه في اثم وذنب فيما احل مثلا لفعله اي احل مثله
لمن قبله من الرسل عليهم الصلاة والسلام يعني ان الاية دالة على ان ما فعله لا اثم
فيه لانه قال الله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل اي مضوا وتقدموا اي من قبلك
من النبيين فيما احل لهم فلما قال انما فعلته من سنن الانبياء الذين من قبلك دل على انه
مشروع لا اثم فيه فدلت الاية على بطلان غيرها قيل لدلالة الاية عليه نصا بحيث ظاهرا
ولو كان الامر على خلاف ما ذكر وتفسير ما اخفاه بما ذهب اليه غيره على ما روى في حديث
عبد ابن حميد عن قتادة وقوله فيما نقل عنه من وقوعها اي زينب رضي الله عنها من قلب
النبي صلى الله عليه وسلم اي انه لما راها وقعت في قلبه موقعا عظيما لشغفه بها
عند ما اعجبته بحسنها الذي راعه ومن محبته طلاق زيد لها ليتزوجها لتعلق قلبه
بمحبتها لكان فيه اعظم الحرج اي الاثم غير اللائق به والتضييق على زيد بارادة
مفارقة منكوحته وحاشاه صلى الله عليه وسلم من مثله ولكان ايضا فيه
ما لا يليق به اي لا يحسن صدوره منه ولا ينبغي له من مد عينيه الى ما نهي عنه اي
طلبه وتمنيه ومد العين اطالة النظر حتى لا يرده لاستحسانه له فهو تقييد يوضح
او تجوز في العين وهو كناية عن تطلب الامر وارادته ارادة قوية وبين المنهي عنه بقوله
من زهرة الحياة الدنيا اي زينتها وزخرفها وبهجتها وهذا اشارة الى ان ما وقع
في القران العظيم تمثل به لانه نزل لما وردت سبع قوافل من بصرى فيها طيب وامتعة
نفيسة فقال المسلمون لو كان لنا هذا تقوينا به وانفقناه في سبيل الله فانزل الله
عليه ولقد اتيناك سبعا من المثاني الاية اي هذه خير لكم من القوافل السبع فلا تمدوا

اعينكم نحوها وكل هذا لا يليق بمقامه صلى الله عليه وسلم وزهده في الدنيا فما قيل
من ان مجرد وقوعها في قلبه صلى الله عليه وسلم من غير ان يبدو منه شي لا اثم فيه وكذا
محبته وميله لطلاقها من غير تكلم به لا اثم فيه فكيف يكون اعظم الحرج فيه نظر وكان
هذا اى لو كان ما اخفاه صلى الله عليه وسلم في نفسه بعد ما اعجبته زينب وارادة
ان يطلقها اى لو صح هذا كان من الحسد المذموم لان الزوجة الحسنا نعمة من الله بها فهو
بذلك يريد زوالها عنه وقيد بالمذموم لان الغبطة حسد غير مذموم لان معناها
ان يتمنى ان يكون له نعمة كنعمة غيره من غير تمنى زوالها وهذا في امور الدنيا لا في الدين
واقبح الحسد تمنى زوال النعمة لغيره لا تحصل له الذى لا يرضاه صفة للحسد ولا يتسم به
اى لا يتصف به من الوسم وهو العلامة واصلها ان يكون بكى ونحوه كامر الانبيا تنازعه
يرضى ويتسم فكيف بسيد الانبيا الذى هو اعظمهم واشرفهم نبينا صلى الله عليه وسلم
والاستفهام تعجبى انكارى والمراد به استبعاد صدور الحسد منه ونفيه صلى الله عليه
وسلم قال القشيرى عبد الكريم ابن هوازن صاحب الرسالة الامام المفسر الزاهد شيخ
الصوفية وراس الشافعية المشهور وهذا المنقول عن قتادة من انه صلى الله عليه
وسلم راها فاعجبته واراد طلاقها اقدام عظيم من قايله اولا دون حاكيه عنه
اى جراة على مقام النبوة وقلة معرفة بل عدم معرفة بحق النبى صلى الله عليه وسلم الذى
يجب ان يعتقد فيه وبفضله اى زيادته على غيره في الشرف وعلو المرتبة عن امور الدنيا
وكيف يقال انه صلى الله عليه وسلم راها فاعجبته مما يقتضى انه لم يرها قبل ولا يعرفها
وهى بنت عمته عليه الصلاة والسلام لانها بنت اميمة بنت عبد المطلب كما مر ولم يزل
يراها منذ ولدت الى ان بلغت فهو صلى الله عليه وسلم يعرفها ويعرف جمالها كيف لا يعرفها
ولا كان النسا ولو اجنبيات يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم لحرفتهن يعفته وعصمته
وهو الذى زوجها لزيد مولاه رضى الله عنه وانما جعل الله طلاق زيد لها اى لزينب بعد
ما زوجها له وتزويج النبى صلى الله عليه وسلم اياها بما قدره وامر به كما تقدم لحكمة
ولهذا لم يتزوجها قبل زيد ليعلمهم حكما شرعيا وهو ما اشار اليه بقوله لازالة حرمة
التبنى اى اتخاذ ابن غيره ابنا له لئلا يظن الناس انه يحرم تزوج حليلة من تبناه كما يحرم
بين الاب وابنه الحقيقى حليلة كل على الاخر وابطال سنته اى الطريقة الجارية بين الناس
في جعل المتبنى ابنا حقيقة يحرم منه ما يحرم منه كما كان في الجاهلية وما قيل من ان
القول الذى رده المص ثابت بالقول الصحيحة ثم فسر بما ارتضاه المص تخليط
لا حاجة للاطالة به الا ان ايمة الشافعية قالوا انه من خصايصه صلى الله عليه
انه يجوز له النكاح بغير الرضى وانه اذا رغب في نكاح امراة لزم اجابته وحرم على
غيره خطبتها فان كانت تحت زوج وجب عليه طلاقها لانه يجب على كل احد ان يكون
صلى الله عليه وسلم احب اليه من نفسه واهله وولده كما قاله القرطبى وقال

ابن حجر

ابن حجر في شرح البخارى الذى صح بالادلة القوية ان من خصايصه صلى الله عليه وسلم
جواز الخلوة بالاجنبية والنظر اليها كما كان يدخل على ام حرام وينام عندها وتغسل
راسه وهى اجنبية منه وكان صلى الله عليه وسلم زوج زيدا زينب كما مر وساق مهرها
من عنده وكانت هى واخوها يابيان ذلك لشرف النسب وقرابة الرسول صلى الله عليه
وكان لها رضى الله عنها حدة وشهامة كما قال تعالى في بيان هذه القضية وما فيها من الحكم
ما كان محمد ابا احد من رجالكم اى ليس ابا حقيقيا لاحد منهم فانه صلى الله عليه وسلم
لم يعش له ولد ذكر وابنه ابراهيم مات صغيرا لم يبلغ سن الرجولية ومن جوز ان يقال
له ابو المومنين كما يقال للنساء امهات المومنين فانما هى ابوة شفقة وتعظيم وكان
زيد رضى الله عنه يقال له ابن محمد فلما نزلت الاية لم يقل له ذلك فعوضه الله عنه بذكر اسمه
في القران المتلو في المحاريب ولم يقع هذا لغيره من الامة واما الحسن والحسين رضى الله
عنهما فليست بنوتهما حقيقة كما لا يخفى فلا يثبت لاحد حكم البنوة الحقيقية منه صلى الله
عليه وسلم ولذا قال الله عز وجل في هذه الاية لكيلا يكون على المومنين حرج اى ضيق
في امر النكاح وهو تعليل لقوله زوجناكها اى شرعنا لك ذلك توسيعا على الامة لا خاصة
لنفسك في ازواج ادعيايهم جمع دعى بمعنى مدعو وهو من يلصق نسبه بنسب غيره وليس
بينهما بنوة حقيقية وقوله اذا قضوا منهن وطرا بالتزوج ونحوه مثل ما ذكر وبمعناه
معزو لابن فورك تقدمت ترجمته وقال ابو الليث السمرقندى تقدم بيانه ايضا
فان قيل اذا كان الله قدر له صلى الله عليه وسلم تزوجها ورضيه له فما فايدة امر النبى
صلى الله عليه وسلم زيدا بامساكها بقوله امسك عليك زوجك فهو ان الله تعالى
اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم انها زوجته صلى الله عليه وسلم فنهاه اى نهى النبى
صلى الله عليه وسلم زيدا عن طلاقها واخراجها من زوجيته اذ لم يكن بينهما اى بين
زينب وزيد وهو تعليل لنهيه الفة اى محبة لانها لم ترض نكاحه لشرفها وكانت
تطيل لسانها عليه فالقى الله في قلبه كراهتها حتى احب فراقها ليقضى الله امرا كان
مفعولا واخفى في نفسه ما اعلمه الله به من انه قدرها نكاحا له وامره به فلما طلقها زيد
خشى صلى الله عليه وسلم قول الناس باعتبار ما اعتادوه في الجاهلية انه
يتزوج امراة ابنه لتوهمهم ان التبنى كالبنوة الحقيقية وانما خشيه وهو لا يتم
به كراهة القيل والقال ممن لا يعرف حقيقة الحال كما هو حقيقة الاشفاق فامره
بزواجها انا له لما يخشاه ليباح ذلك لامته اقتدا به صلى الله عليه وسلم توسعة
عليهم كما قال لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيايهم نفى عنهم الحرج لنفيه
عنه بالطريق الاولى تطييبا لنفسه صلى الله عليه وسلم وازالة لطعن الجهلة
رحا صله تاويل ما وقع في هذه القصة مما يخالف ظاهره ما يقتضيه مقامه لاداه
بما يريد خلافه ومحبته لها وهى تحت نكاح غيره فاشار الى الجواب عما ذكر وقد قيل كان

امره صلى الله عليه وسلم لزيد بامساكها قمعا للشهوة اى منعا لها وزجرا لها يقال
قمعه فانقمع اذا كفه وذلله والشهوة ميل النفس لما تستلذه وردا للنفس عن هواها
اى عما تهواه من الصور الجميلة وحكاه بقيل اشارة الى انه غير مرضى عنده فلا وجه
لاستحسانه لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن فى نفسه هوى وحاشاه من مثله
وهنا اذا جوزنا عليه صلى الله عليه وسلم انه راها بجاة فاعجبته واستحسنها
لاسيما وقد مر انه صلى الله عليه وسلم كان راها قبل فكان يعرفها ويعرف جمالها
الا انه ليس بمنكر ولذا قال ومثل هذا القيل على ما فيه لانكرة فيه اى لا نكر محنته
فى الجملة والنكرة ضد المعرفة فى اصطلاح النحاة واصلها كل ما لا يعرف فنقل وخص
لما طبع عليه ابن ادم من استحسانه الحسن من الصور وغيرها مما يشاهده وغيره ونظرة
الفجاة اى النظر الذى وقع بغتة من غير قصد والفجاة بضم الفا والمد ويجوز فتحه
بضم فسكون والفجاة بالفتح المرة منه معفو عنها اى لا حرج فيها ولا اثم لانها لم
تقصد وهو جواب عن سوال تقديره كيف نظر صلى الله عليه وسلم لغير محرم مشتهى
ثم قمع نفسه عنها بصيغة الماضى ويجوز ان يكون مصدرا وكذا فى قوله وامر زيدا بامسا
فى نكاحه وتقوى الله فيها بعدم ذكرها بعينها وانما ينكر تلك الزيادات التى ذكرها بعض
المفسرين فى القصة من انه تعلق قلبه صلى الله عليه وسلم بها واراد ان يطلقها واخفى
ذلك فى نفسه ونحوه مما يليق بنزاهته والتعويل اى المعول عليه المعتمد فى هذه القصة
على ما ذكرناه وهو القول الذى ارتضاه والقول بانه لا باس فيما قالوه لا وجه له وهو
الاولى وان جاز غيره لكنه لا يناسب مقامه وان كان جايزا فتنته ما ذكرناه عن على
ابن الحسين وهو الامام زين العابدين كما تقدم وحكاه السمرقندى فى تفسيره كما تقدم
وقول ابن عطا رحمه الله وتقدمت ترجمته وصححه اى جزم بانه القول الصحيح واستحسنه
القاضى القشيرى لما فيه من صيانة مقام النبوة عما لا يليق واعتمده وعليه عول ابو بكر
ابن فورك تقدم ضبطه فى ترجمته مع ما فيه وقال انه اى هذا القول الذى اعتمده معنى
ذلك المذكور فى هذه الاية والقصة عند المحققين من اهل التفسير قال وابن فورك
رحمه الله تعالى والنبى صلى الله عليه وسلم منزه عن استعمال النفاق فى ذلك اى
عن ان يظهر امرا فى نفسه خلافه وان كان امرا جايزا له والنفاق فى الاصل معناه الاخفا
ماخوذ من نافقا اليربوع وهو مخرجه الذى يخفيه ثم نقل فى الشرع لاخفا الكفر
واظهار الاسلام واستعمل بعد ذلك استعمالا شايعا لاخفا كل امر لا يرتضى
ومنه الحديث ثلاث من كن فيه فهو منافق وعد منها الكذب وغيره كما مر جوابه فلذا
قال واظهار خلاف ما فى نفسه فهو عطف تفسير موضح لما اراده فلا وجه لما قيل انها
عبارة مستبشعة الى اخر ما اطاله من غير طايل نعم لو تركها كان احسن لكنه حكاها
عن غيره فلا عهدة عليه فيها ومراد ابن فورك التغليط على قايل هذه المقالة وتغليطه

بان من جوز

بان من جوز عليه صلى الله عليه وسلم مثل هذا مثل من جوز عليه الكفر والنفاق والمعترض
لم يقف على مراده وقد نزهه الله عز وجل عن ذلك الذى قاله بعض المفسرين بقوله تعالى
ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له اى قضى وقدر من تزويجه صلى الله عليه وسلم
زينب فهذا صريح فى رد ما قاله بعض المفسرين وصريح فيما ارتضاه قال ابن فورك
ومن ظن ذلك بالنبى صلى الله عليه وسلم انه وقع فى قلبه محبتها وارادته ان زيد
ايفارقها واخفى ذلك فى نفسه فقد اخطا خطا فاحشا ولذا جعل نسبته له كنسبته
النفاق له صلى الله عليه وسلم فالتعبير به للتشنيع على قايله وبعد تنزيهه عنه
كيف يعترض عليه فيقال ومافة الاخبار الا رواتها قال ابن فورك وليس معنى
الخشية هنا يعنى فى قوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه الخوف بل معناه
المقصود هنا وفى نسخة معناها اى الخشية وعلى الاول الضمير للفظ المذكور
الاستحيا اى يستحيى منهم اى من الناس ان يقولوا تزوج زوجة ابنه اى من تبناه وهو زيد
وهذا اعنى قوله وعليه عول ابن فورك الى هنا سقط من بعض النسخ واستحياوه
لشرفه المقتضى ان لا يسمع مقالة من احد وان لم تضره شرعا وتدنس عرضه وان خشيته
اى استحياه صلى الله عليه وسلم انما كان من ارجاف المنافقين واليهود اى اشاعة
ما هو مروه بزعمهم واصل الرجف الاضطراب وايقاعه اما بالفعل واما بالقول
ويقال الاراجيف ملاقيح الفتن كما قلت السن الناس اذا ما انطلقت
فهى نذر للبلايا والمحن فاحذر الالسن مهما انطلقت فالاراجيف ملاقيح الفتن
وتشغيبهم من الشغب بغين معجمة ساكنة ومفتوحة وهو يودى الى الشر من الاكاذيب
على المسلمين بذكر ما ينقص نبيهم صلى الله عليه وسلم فان ما يسوءه يسوءهم بقولهم
تزوج زوجة ابنه لزعمهم انه غير جايز كالابن الصلبى جهلا منهم وتعصبا بعد نهيه
اى تحريمه عن نكاح حلايل الابنا جمع حليلة وهى الزوجة المنكوحة تلبيسا منهم بجعل
المتبنى كالابن الحقيقى وقد قال تعالى وحلايل ابنايكم الذين من اصلابكم كما كان اى
وقع من ارجافهم وتشغيبهم فعتبه الله على هذا عتب محبته وتسليته لعدم قبحه
وتنزهه عن الالتفات اليهم والاعتداد بمقالتهم فيما احله وقدره من هذا النكاح
من غير حرج فيه وهذا العتاب كما عتب على مراعاة رضى ازواجه النازل ذلك العتب
فى سورة التحريم بقوله تعالى يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك الاية تبتغى مرضات
ازواجك والله غفور رحيم كذلك قوله هنا وتخشى الناس والله احق ان تخشاه
فيما اخفيته مما الله مبديه ويجوزه لك بلا حرج اى انه مثله فى انه عتب ملاطفة
وتسلية على ما استحى منه لشرف مقامه صلى الله عليه وسلم
عن ان يصل اليه غبار الاوهام وقد روى عن الحسن البصرى رضى الله عنه اى
رواه الترمذى وصححه وقدمه على قوله وعايشة رضى الله تعالى عنها لانه

هو الذي رواه عنها فقدمه على عادة الاسانيد فلا يقال كان ينبغي تقديمها عليه لو كتم
رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا مما اوحى اليه بما بلغه لكتم هذه الاية اى اية
التحريم لاية زيد وزينب رضي الله عنهما كما قيل لما فيهما علة للكتم من عتبه مى يحا وابداى
اظهار ما اخفاه مما جرى بينه وبين ازواجه فيهما وهذا الحديث فيه انه صلى الله
عليه وسلم كان يحب العسل والحلوى فدخل على حفصة رضي الله عنها ومكث عندها
اكثر من عادته فسالت عنه فقيل اهدى لها عكة عسل فسقته منه فاتفقن على ان يقلن له
نجد منك رائحة المغافير وهو شي كريه الرائحة اذا رعته النحل اثر في عسلها فقال لا اعود
بعد هذا والقصة مفصلة في كتب التفسير والحديث فصل فيما وقع له صلى الله
عليه وسلم في مرض موته مخالفا لما قدمه فان قلت سايلا عما يخالف ما قررته قد
تقررت عصمته صلى الله عليه وسلم في اقواله في جميع احواله واوقاته وانه لا يقع
منه فيها اى في اقواله خلف اى مخالف للواقع ولا اضطراب اى اختلاف وتناف
فهي كلها متساوية لا تختلف في عمد وقصد ولا سهو ونسيان ولا صحة في بدنه
ولا مرض بتغير مزاجه الشريف ولا جد هو ضد الهزل ولا مزح كما تقدم ولا رضى على غيره
ولا غضب لوقوع ما لا يرضاه الله فما معنى الحديث الذي روى عنه صلى الله عليه وسلم
في الصحيحين في وصيته لاصحابه رضي الله تعالى عنهم في مرض موته الذي حدثنا به شيخنا
ابو علي بن سكرة كما تقدم قال ثنا القاضي ابو الوليد الباجي وتقدمت ترجمته ايضا قال
حدثنا ابو ذر الهروي وقد تقدمت ايضا قال حدثنا ابو محمد بن حمويه السرخسي وابو الهيثم
الكشميهني كما تقدم ايضا وابو اسحاق المستملي وقد تقدم قالوا حدثنا محمد بن يوسف هو الفربري
وقد تقدم قال حدثنا محمد بن اسماعيل هو الامام البخاري قال حدثنا علي بن عبد الله ابو
الحسن علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح بن المديني الحافظ الامام العظيم روى عنه اصحاب السنن
وغيرهم وتوفي سنة اربع وثلاثين ومايتين وعمره ثلاث وسبعون والمديني بالياء نسبة
لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم قال ابن الاثير وهو في الاكثر مدني والنسبة لمداين
اخر نحو سبعة وفي الصحاح المدني نسبة لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم والمديني
نسبة للمدينة التي بناها المنصور وقال ابن الصلاح في المسلسل المديني نسبة الى مدينة
اصبهان المسماة انتهى وقد تقدم الكلام فيه ايضا والمديني هذا له ترجمة
في الميزان كما قال له البرهان قال حدثنا عبد الرزاق بن همام الحافظ وقد تقدم انا معمر
بن راشد بفتح الميمين كما تقدم وهذا هو الصواب وما في بعض النسخ من قوله عبد الرزاق
عن همام خطا لان عبد الرزاق لا يروي عن همام واسم ابيه همام ويروي عن معمر عن الزهري
محمد بن شهاب كما تقدم عن عبيد الله ابن عبد الله بن عبد الحكم بن عتبة الاعمى احد الفقهاء
السبعة مشهور توفي سنة ثمان ومايه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال لما احتضر
رسول الله صلى الله عليه وسلم احتضر بالبناء للمفعول بمعنى حضرة الموت وظهور علاماته

وهو

وهو محتضر اسم مفعول بمعنى دنى موته وهو المراد وقيل المراد به مس من الجن وكان هذا
يوم الخميس قبل وفاته صلى الله عليه وسلم بايام والحديث صحيح رواه البخاري وغيره
واحتضر يكون متعديا ولازما فيقال احضره بمعنى حضره وفي نسخة حضره والصحيح الاول
وفي البيت يعني بيته صلى الله عليه وسلم رجال من كبار الصحابة وقرابته رضي الله تعالى
عنهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا اى اقبلوا على واصل معناه تعالوا وهذا على
لغة من يلحق به الضماير من بني تميم واهل الحجاز يستعملونه مفردا مبنيا على الفتح للواحد المذكر
وغيره قال تعالى والقايلين لاخوانهم هلم الينا اكتب لكم كتابا لبيان ما يهمكم في دينكم ودنياكم
حتى لا يقع بينهم اختلاف بعده والمراد امر بكتابته وجوز بعضهم حمله على ظاهره وانه
صلى الله عليه وسلم يكتب بيده وذلك معجزة له وتقدم ما فيه مرارا ليلا تضلوا اى لا يقع
منكم امر تضلون به بعده اى بعد كتابته والعلم بما فيه والعمل به فقال بعضهم هو عمر رضي الله
تعالى عنه كما سياتي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه اى اشتد وقوى عليه
الوجع اى الم مرضه وهذا هو محل الشبهة والسوال لانه يقتضي انه صلى الله عليه وسلم
في حال مرضه قد يصدر عنه ما يخالف الواقع وقد تقدم انه معصوم في مرضه وصحته
وساير احواله الحديث وفي رواية اخرى لهذا الحديث ايتوني اى احضروا ما يكتب فيه اكتب لكم
كتابا لن تضلوا بعده ابدا وهذه اكد من الاولى لقوله فيها لن وابدا فتنازعوا اى وقع بينهم
نزاع واختلاف في مجلسه صلى الله عليه وسلم هل يكتب ام لا فقالوا كما في البخاري
ما له اهجر من الهجر بالضم وسياتي بيانه قيل انه ظهر لعمر رضي الله تعالى عنه ان ما اراد
كتابته ما فيه ارشادهم للاصلح وما لم يجب لانه صلى الله عليه وسلم لم يترك مما يجب
تبليغه شيا وقد قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شي وقيل انه اراد كتابة امور شرعية
على وجه يرفع الخلاف بينهم وقال سفيان اراد ان يبين امر الخلافة بعده حتى لا يختلفوا
فيها وياتي في كلام المص حكايته غير منسوب ويويده ما رواه مسلم انه صلى الله
عليه وسلم قال في ولعرضه لعايشة ادعى لي اباك واخاك اكتب كتابا فاني اخاف
ان يتمنى متمن ويقول قايل انا اولى ويابى الله عز وجل والمومنون الا ابا بكر وايد الاول بقوله عمر
رضي الله تعالى عنه حسبنا كتاب الله وهو شاهد لهذا ايضا وقال الخطابي ذهب
عمر الى انه لو نص على شي واشيا بطلت اقوال العلما والاجتهاد ورده ابن الجوزي بانه
لا يلزم ما ذكر لان الحوادث لا تنحصر وقال انما اراد عمر رضي الله عنه ان ما يكتبه في
المرض ربما يجعله المنافقون سبيلا للكلام فيه وما قيل من انه صلى الله عليه
وسلم اوتي جوامع الكلم فيجوز ان يكتب ما يشمل جميع الاحكام ويستخرج منه
بسهولة حتى لا يحتاج لاجتهاد مجتهد وتخريج عالم وهو صلى الله عليه وسلم
معصوم من ان يقول في مرضه ما يطعن فيه طاعن لاستقامة ذهنه في ساير احواله
لا وجه له ولفظ الحديث كما في البخاري لما احتضر رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفي البيت رجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لا تضلون
بعده فقال بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غلبه الوجع وعندنا القران
حسبنا كتاب الله فاختلف اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم كتابا
تضلوا بعده ومنهم من يقول غير ذلك فلما كثر اللغو والاختلاف قال قوموا وكان ابن
عباس رضي الله عنهما يقول ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبين ان يكتب لاختلافهم ولغطهم وقال الشهرستاني انه اول الخلاف
وقع في الاسلام استفهموه اي قولهم اهجر بهمزة الاستفهام الانكاري للهجر بضم الهاء استفهموا
من توقف في امتثال الامر بالكتابة اي يصدر عنه هجر وهو الهذيان وما يقبح من القول
وهو صلى الله عليه وسلم معصوم منزه عن مثله في سائر احواله وقال الراغب
يقال هجر واهجر اذا تكلم من غير قصد وقيل المراد استخبروه عما اراد تركه اولى ام لا
فقال صلى الله عليه وسلم دعوني اي اتركوا النزاع عندي واللغط فانه لا ينبغي
ان يقع مثله عند نبي من امته فان الذي انا فيه من مراقبة الله والتاهب للقايه وانتظار
رسله الداعين لي للرفيق الاعلى خير من الاشتغال بامور كم واستماع كلامكم ولغطكم
وفي بعض طرقه اي طرق هذا الحديث المروية عنه فقال عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم
يهجر بفتح اوله وضم ثالثه اي ياتي بهجر من القول وهو على تقدير الاستفهام الانكاري
وليس من الهجر بمعنى ترك الكتابة والاعراض عنها كما قيل وهذه رواية الاسماعيلي من طريق
بن خلاد عن سفيان وفي رواية كما في البخاري هجر ماض بدون استفهام ويروى هجر
بالاستفهام والمصدر المرفوع ويروى اهجرا بالاستفهام ونصب المصدر اي اهجر
هجرا بضم الهاء والروايات كلها تدل على انه استفهام ملفوظ او مقدر لكنهم اختلفوا
في هايه اهي مضمومة او مفتوحة والاول هو المشهور ولابن قرقول فيه كلام وقد قرر
بعضهم هذا بتاليف مستقل وفي بعض الحواشي ما يدل على انه يجوز في هاء الهجر الضم
والفتح وليس ببعيد ان ساعدته الرواية وفي كلام الملهم ما يوافقه وفيه اي في هذا الحديث
فقال عمر رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا
كتاب الله حسبنا بالبناء على الضم اي كافينا عن غيره مصدر بمعنى اسم الفاعل اي محسب
وكافٍ لنا وفي نسخة حسبنا اي هو كافينا وكثر اللغط وهو ارتفاع الاصوات واختلاطها
حتى لا تكاد تفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم قوموا وابعدوا عني ازدها
بهم من مجلسه حتى لا يشتغل بهم عما هو فيه وفي رواية في الصحيح ايضا واختلف
اهل البيت اي من كان في بيته صلى الله عليه وسلم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم
اذ ذاك او اقرباؤه منهم كابن عباس رضي الله تعالى عنهما واختصموا اي نازع بعضهم
بعضا فمنهم من يقول قربوا الكاتب والكتاب يكتب لكم بالرفع والجزم رسول الله
صلى الله عليه وسلم كتابا تتمسكوا به فتهتدوا اي بامره بالكتابة ومنهم من يقول ما قاله

عمر رضي الله تعالى عنه من قوله حسبنا كتاب الله شفقة وحكمة علمها ولذا لم ينكر عليه
قوله كما سياتي قال ايمتنا المالكية والاشعرية او ايمة الحديث بقرينة المقام في هذا الحديث
المروي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم غير معصوم من الامراض التي تطرق عليه
في ظاهر جسمه دون باطنه اذا لم تكن منفرة وما يكون من عوارضها اي ما يعرض منها من الالام
والتغيرات من شدة وجع يولمه وغشي اي اغماء خفيف ونحوه مما يعرض على جسمه وهو معصوم
عن ان يكون اي يوجد منه من القول اثناء ذلك اي في خلاله ويتحلل منه وهو وجع شي كما تقدم
ما يطعن في معجزته اي يقدح فيها من مخالفتها للواقع ويؤدي الى فساد شريعته لتطرقه
للشك في اخباره واحكامه من هذيان اي كلام غير مفيد اي اختلال في كلام كما اقتضته
مخالفته الواقع والعقل لنزاهته صلى الله عليه وسلم وعصمته وكماله في جميع حالاته
كما شوهد منه في مرضه الى ان سلم روحه الشريفة الى مالكها وعلى هذا الامر الذي قررناه
من عصمته في اقواله ونزاهته لا يصح رواية من روى هجر بدون استفهام من الهجر بالضم
والفتح اي معناه هذى اي تكلم بكلام كثير لا فايدة فيه ولا انتظام لقايله ممن لا يعرف
قدره عليه الصلاة والسلام لخلل في دينه او عقله او لقرب عهده بالاسلام فتوهم
انه يعرض له صلى الله عليه وسلم من المرض ما يعرض لغيره من تخليطه في كلامه لخلل
في عقله وحاشاه من مثله ويقال هجر يهجر كنصر ينصر هجرا بفتح اوله وسكون ثانيه كما
في بعض الشروح وسياتي ما فيه اذا هذى بالذال المعجمة من الهذيان واهجر زيد كاكرم هجرا
بضم اوله بوزن قفل وهو اسم مصدر ومصدره الاهجار اذا افحش اي تكلم بكلام قبيح
عن قصد والاول بغير قصد واهجر بفتح الهمزة مدبه هجر كاكرم وما في بعض الشروح انه
بضم اوله وسكون ثانيه سهو من الناسخ وصوابه بفتح اوله تعديه هجر اي ثلاثيه
معدى بالهمزة وقد قيل عليه ان هجر واهجر لازمان وصوابه هجر واهجر بمعنى سواء الا ان يريد
بتعديته تعديه عن الحق فيه وتجاوزه وهو بعيد انتهى وما ذكره هو الذي يقتضيه
كلام اهل اللغة وانما الاصح اشارة الى رد ما قبله وقد قيل عليه انه غير مسلم
لانه ان اراد رده بحسب الرواية فهو غير صحيح لانه ثابت في صحيح البخاري وان اراد
بحسب المعنى فكذلك لانه يقدر فيه همزة الاستفهام وحذفها كثير في كلامهم كقوله
تعالى وتلك نعمة تمنها على الى اخره وقول الشاعر فوالله لا ادري وان كنت
داريا بسبع رمين الجمر ام بثمان ولك ان تجيب عنه بان مراده انه غير صحيح ان
لم تقدر الهمزة وقوله والاولى اي ان قدرت لان الاصل خلافه ولولا هذا لم يصادف
قوله الاصح والاولى محزه اهجر يعني بهمزة الاستفهام الانكاري حيث لا ينسب له ما لا
يليق بمقامه وقايله قاله على طريق الانكار على من قال لا تكتب ما امرنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بكتابته لانه لا يجوز مخالفته كما تقدم في كلام ابن عباس ردا على من اياه
وعلله بشدة وجعه وهو صلى الله عليه وسلم معصوم في مرضه وصحته والقايل

لا تكتب عمر رضي الله تعالى عنه والراد عليه بقوله اهجر بعض الصحابة ووجه ما قاله عمر المتقدم
وستاتي تتمته وهكذا روايتنا في صحيح البخاري ثبت عنده روايته بهمزة الاستفهام ملفوظة
من مشايخه ثابتة من جميع الرواة في حديث الزهري المتقدم ذكره قبل وفي حديث محمد بن سلام
هو الامام الحافظ الذي روى عنه البخاري وغيره وتوفي سنة خمس وعشرين ومائتين وسلام
بتخفيف اللام عند الاكثر كما قاله الذهبي والمزي وغيرهما وجوز بعضهم تشديدها ايضا وعند
بعضهم انهما اثنان فالكبير منهما بالتخفيف والصغير بالتشديد وهو محمد بن سلام بن السكن
البيكندي وعلى كل حال فالاصح في هذا عندهم التخفيف عن ابن عيينه يعني به سفيان لان
اولاد عيينة عشرة منهم خمسة اشتهروا بالعلم والحديث وخمسة لم يشتهروا بذلك ولذا
قال ابن الصلاح انهم خمسة واكبرهم واشهرهم سفيان وكذا ضبطه الاصيلي بهمزة وفتحات
بخطه في كتابه يعني به صحيح البخاري الذي رواه وضبطه بعلمه كما ذكروا والاصيلي تقدم بيانه
بلد بالاندلس وكذا ضبطه بخطه غيره اي غير الاصيلي ممن روى عن البخاري وكتبه ممن يعتمد
عليه من هذه الطرق اي طرق الزهري وغيره وكذا روينا عن مسلم كما رواه البخاري
في حديث سفيان بن عيينة يعني في روايته ورويناه ايضا عن غيره اي في غير مسلم فصح
عنده من طرق ثبوت الهمزة فيه ردا وانكارا على من ابى الكتابة اي تجعله كغيره ممن يصدر
عنه وهو صلى الله عليه وسلم معصوم منزه عنه وقول عمر رضي الله عنه انما هو رد
على من نازع عمر لا ردا على النبي صلى الله عليه وسلم كما يعلم مما ياتي وقد يحمل عليه اي على هذ
بجعله بمعناه رواية من رواه هجر بدون همزة فيحمل على حذف الف الاستفهام يعني الهمزة
لانه يطلق عليها الف كما في المغني وغيره والتقدير على هذا اهجر وحذفها وتقديرها جائز
كما تقدم والقرينة على حذفها عقلية للعلم بعدم اتصافه صلى الله عليه وسلم بمعناه
وان يحمل ويوجه قول القايل هجر بغير استفهام او اهجر بالهمزة والاستفهام عما لا يتوهم
فيه اذا ثبتت هذه الرواية فانما صدرت دهشة اي حيرة تذهل من امر عظيم بيغته
من قايل ذلك اي قوله هجر ونحوه حيرة تشغله عما يقوله لعظيم ما شاهد من حال الرسول
صلى الله عليه وسلم مما يشق عليه فيذهله عما يقول وشدة وجعه والمه المؤثر في قلوب
محبيه وهول المقام الذي اختلف فيه عليه اي شق عليه اي مخالفتهم له فيما امرهم وهول
الامر الذي هم صلى الله عليه وسلم بالكتابة فيه اي هم بان يكتب في شانه فانه انما يهم
في حال المه بكتابة امر الا وهو امر عظيم لم يظهر الى الان فربما شق عليهما وخشي منه ومن
عواقبه كامر الخلافة مثلا حتى ان القايل لشدة دهشته لم يضبط لفظه التحري
ومراعاه حسن تعبيره وفي نسخة لم يضبط هذا القايل لفظه واجرى الخبر به بدل
قوله او يحمل قوله على انه اجرى الهجر بضم الهاء مجرى بضم الميم ويجوز فتحها ولا يتعين
الاول كما توهم شدة الوجع اي استعمله مجازا في لازم معناه ولم يرد حقيقته
لانه صلى الله عليه وسلم كما ورد في الحديث كان يوعك كما يوعك الرجلان

وزيادته

وزيادة المه للطف بنيته وكثرة ثوابه لا لانه اي القايل اعتقد انه يجوز عليه الهجر
بالضم اي الهذيان كما حملهم اي دعاهم وحركهم الاشفاق اي الخوف عليه صلى الله
وسلم لشفقتهم عليه ومحبتهم له على حراسته عليه من ان يصيبه مكروه
او عدو والله يقول جملة حالية والله يعصمك من الناس فمع هذا لا حاجة
لحراستهم له لكن لشدة محبتهم دعتهم لذلك كما قيل ان المحب بسوء ظن
مولع ونحو هذا مما فعلوه احتراسا من غير حاجة له واما على رواية اهجرا بهمزة
الاستفهام وضم الهاء منصوبا منونا ويجوز فتحها وقيل انه الصواب وفيه نظر
وهي رواية ابي اسحاق المستملي في الصحيح اي صحيح البخاري لانه احد رواته وفي نسخة
السلمي ولم يبينوه والمعروف انما هو الاول فالظاهر انه تحريف من النساخ في
في حديث ابن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من رواية قتيبة فقد يكون هذا
اي الوصف بالهجر راجعا الى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم
من بعضهم فيكون بعض الصحابة قاله لبعض منهم لما وقع بينهم نزاع بعد طلبه صلى الله
عليه وسلم من يكتب فهو على هذا مفعول فعل مقدر تقديره اي جئتم باختلاف فكم
اي بسبب الاختلاف واللغط على رسول الله صلى الله عليه وسلم متعلق
باختلاف وبين يديه اي في حضوره هجرا بضم فسكون ومنكرا من القول عطف
تفسير وضحه بقوله والهجر بالضم الفحش في النطق اي المنطق والتكلم بما يقبح ولا يليق
بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد اختلف العلماء في هذا الحديث اي في معناه
المراد به وكيف اختلفوا بعد امره صلى الله عليه وسلم لهم ان ياتوا بالكتاب ليكتب
فيه ما لا يضلون بعده فقال بعضهم اي بعض المختلفين في بيانه وتاويله اوامر النبي
صلى الله عليه وسلم وتقدم انه جمع امر وامور فهو جمع الجمع وما فيه يفهم ايجابها
اي ما اريد به الايجاب منها من ندبها اي مندوبها ومن اباحتها اي مباحها والعاطف
فيه محذوف بقراين قوية اي بالقراين اللايحة من سياقه وان كان اصله الايجاب
وليس هذا مبنيا على ان الامر مشترك بين هذه المعاني الثلاثة ولا يتعين لاحدها بدون
قرينة كما هو قول لبعض اهل الاصول مع ما فيه وما عليه فلا نطول به فلعله قد ظهر
من قراين قوله صلى الله عليه وسلم لبعضهم حين سمعه منه ما فهموا من ظاهره
وهو فاعل ظهر انه اي امره صلى الله عليه وسلم بقوله هلموا لم يكن ذلك الامر
منه عزمة اي امرا عزم عليه عزما مصمما فيجب امتثاله بل هو امر رده الى اختيارهم فهو
فهو مشاورة مخيرا فيه ولذا اختلفوا فيه وراجعوه وبعضهم اي بعض الصحابة
لم يفهم ذلك فظنه واجبا لا يجوز مخالفته فانكر على من خالف فيه فقال استفهموه
اي استخبروه صلى الله عليه وسلم عما اراد بامره فلما اختلفوا فيما بينهم كف عنه صلى الله
عليه وسلم فقال قوموا عني وكف القايل عن طلب الاستفهام منه اذ لم يكن بالبيا

والثاني يوجد او هي ناقصته عزمة واجبة الامتثال بالرفع والنصب ولما راى صلى الله عليه وسلم اواكهاتق ولما بكسر اللام وتخفيف الميم ولا يجوز الفتح والتشديد وفي نسخة ولما راوه من صواب راى عمر في تركه لما عرفوه من شدته والله وموافقته رضي الله تعالى عنه ثم هولاء القايلون بهذا الوجه قالوا وعلى هذا يكون امتناع عمر رضي الله تعالى عنه من كتابة ذلك الكتاب اشفاقا وحذرا على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال اي حال وجعه والمه املاء الكتاب واشفاقه من ان يدخل عليه مشقة من ذلك الاملاء كما يشهد له انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اشتد به الوجع فهذا صريح في شفقته عليه من التعب وتالمه مع علمه بانه صلى الله لم يدع شيئا الا اعلمهم به بكتاب الله وسنته ولم يكن صلى الله عليه وسلم ليوخر بيان امر من مهمات الدين وقد قال الله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وقيل خشي عمر رضي الله تعالى عنه وخاف ان يكتب امورا يعجزون عنها ولا يوفونها حقها فيحصلون اي يقعون في الحرج اي ما يضيق عليهم من الاثام بالمخالفة لما امرهم به وراى عمر رضي الله تعالى عنه برايه هذا ايضا ان الا وفق بالامة اي الاسهل والاكثر رفقا بهم في تلك الامور التي اراد كتابتها لهم سعة الاجتهاد اي ما يتوسعون فيه باجتهادهم واستنباطهم من النصوص المخالفة وحكم النظر اي نظر من يجتهد في المقدمات التي يريد الاستنباط منها نظرا صحيحا مقرونا بشرايطه وطلب الصواب بالنظر في الادلة والنصوص ومقتضياتها وموانعها فيكون المجتهد المصيب والمجتهد المخطي في الحكم الشرعي ماجورا مثابا اما الاول فله اجران اجر اجتهاده واصابته الحق والثاني له اجر اجتهاده فقط لبذله جهده في طلب الصواب والحق وهذا بنا على ان المصيب واحد منهما والقول بان كل مجتهد مصيب ليس مرضيا كما بين في كتب الاصول واجر المخطي انما هو على سعيه وطلبه للحق لا على خطايه لكنه لا اثم عليه في اجتهاده اذا كان من اهله على الصحيح وتفصيله في كتب الاصول وقد علم عمر رضي الله تعالى عنه تقرر الشريعة اي انه صلى الله عليه وسلم قررها وبينها لهم قبل مرضه ولم يترك شيا مما يحتاجون اليه وتاسيس الملة اي احكام قواعدها وما يبنى عليه احكامها المحكمة التي لم يهمل منها شي وعلم ان الله تعالى قال في اخر ما انزله اليوم المراد به الوقت الحاضر في اخر عمره صلى الله عليه وسلم اكملت لكم دينكم فلم يترك شيئا مما يحتاجون اليه لم يبينه لهم صريحا او ضمنا ولم يرشدهم لطرق استنباطه فلذا ترك ما يريد كتابته لحكمة هداه الله لها وهذه الاية نزلت يوم جمعة او ليلتها بعرفة في الحج الاكبر ولما قراها صلى الله عليه وسلم بكى عمر رضي الله تعالى عنه لان التمام يدل على انقضاء امر الوحي وعلم عمر ايضا قوله صلى الله عليه وسلم اوصيكم بالتمسك بكتاب الله بامتثال اوامره ونواهيه والتادب بادابه وما فيه من مكارم الاخلاق وعترتي بكسر العين ومثناتين فوقيتين اولاهما ساكنة بينهما را

مهملة

مهملة مفتوحة وهم اهل بيته صلى الله عليه وسلم الذين تحرم عليهم الزكاة من بني هاشم وبني المطلب وهذا حديث صحيح رواه مسلم في خطبة خطبها صلى الله عليه وسلم وسماهما فيه ثقلين كما ياتي تعظيما لشانهما فقال اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله واهل بيتي لن يفترقا حتى يردا على الحوض وفي النهاية عترة الرجل اخص اقاربه وعترته صلى الله عليه وسلم بنو عبد المطلب وقيل اهل بيته الاقربون وهم اولاد علي رضي الله تعالى عنه وقيل عترته الاقربون والابعدون من قريش والمشهور انهم اهل بيته الذين تحرم عليهم الزكاة انتهى وما قيل من ان هذا يقتضي ان ما امر النبي صلى الله عليه وسلم لا فايدة فيه وهو بعيد وغير لايق ليس بشي لما علمته فتنبه وقول عمر رضي الله تعالى عنه حسبنا كتاب الله تعالى لكفايته عما عداه في رد الكتاب لا رد من عمر رضي الله تعالى عنه على امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتوا بمن يكتب لهم كتابا وقد استبعد هذا من السياق جدا فالحق ما سياتي وليس فيه شين لعمر وشبهة يحتاج للدفع بهذا وقد قيل في الجواب عن قول عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم على تقدير تسليمه انه انما خشي عمر رضي الله تعالى عنه تطرق المنافقين اي وصولهم من طريق نفاقهم ومن وصول من في قلبه مرض لحقده على الاسلام واهله كاليهود لما كتب في ذلك اي بسبب الكتاب في الخلوة وان يتقولوا في ذلك الاقاويل اي ان يكذبوا باسنادهم ما ليس فيه له واصل معنى التقول تكلف القول ونسبه بما ذكر قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل وجمع الاقاويل تحقيرا لما يقولونه اوانه خشي ان ياولوا ما يكتب فيه بتاويلات باطلة كما وقع من بعض الزنادقة كادعا الرافضة الوصية اي ان النبي صلى الله عليه وسلم اوصى لعلي كرم الله وجهه وتسميتهم له الوصي لذلك وان بعض الصحابة كتب ذلك وغير ذلك مما افتراه الرافضة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ادعوا ان الكتاب الذي اراد رسول الله كتابته كان فيه الوصية بخلافة علي فلذا منع منه عمر وهو كذب منهم عليه وسموا رافضة من الرفض وهو الترك لرفضهم زيد بن علي لامور فصلوها وقيل غير ذلك وهم فرق يطول ذكرهم وقيل في توجيهه انه اي امره كان من النبي صلى الله عليه وسلم على طريق المشورة والتخيير تطييبا لقلوبهم لا امر ايجاب لا يجوز مخالفته والمشورة بفتح الميم وضم الشين وسكون الواو بزنة مثوبة في الافصح ويجوز سكون الشين وفتح الواو وقول الحريري في الدرة انه خطا خطا منه كما فصلناه في شرحها وهي من المشورة من شرت العسل اذا اجتنيته والاختيار اي التخيير لا الايجاب ولينظر هل يختلفون على ذلك الامر الذي اراد ان يكتب امر يتفقون عليه فلما اختلفوا فيه وتنازعوا تركه وكف عنهم لا انهم عصوا وفرطوا في ما لا بد منه وقالت طايفة اخرى في معنى الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مجيبا لما طلب منه اي كانوا سالوه ان يهدايهم بما يكتبونه عنه فاجابهم بقوله هلموا الى اخره لا انه ابتدا بالامر حتى يقال لا ينبغي

ورد على من نازعه اي نازع النبي صلى الله عليه وسلم او نازع عمر صح

مخالفته فيه بل اقتضاه اى طلبه منه بعض اصحابه ممن كان عنده فاجاب رغبتهم
اى ما رغبوه منه وكره ذلك غيرهم اى غير من طلبه كعمر رضى الله تعالى عنه لثقله عليه
صلى الله عليه وسلم في مرضه شفقة منه للعلل التى ذكرناها سابقا واستدل بالبنا
للمجهول اى على صحة هذا التاويل في مثل هذه القصة اى قصة الكتاب المذكور بقول
العباس رضى الله تعالى عنه في حديث رواه البخارى لعلى بن ابى طالب كرم الله وجهه
انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نسأله عن الخلافة بعده فان كان الامر
اى امر الخلافة بعده صلى الله عليه وسلم فينا اهل البيت علمناه فلا ينازع فيه
احد وان كان لغيرنا لم نطلبه ولم نوجه وكراهة على رضى الله تعالى عنه هذا اى ما قاله
العباس رضى الله تعالى عنه له وقوله نعم العباس والله لا افعل اى لا انطلق ولا اسأل
الحديث رواه البخارى مسندا وفيه ان عليا خرج من عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم في مرضه الذى توفى فيه فقال له العباس كيف اصبح رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اصبح بحمد الله باريا فاخذ بيده وقال له انت بعد ثلاث
عبد العصا وانى والله اراه متوفيا في مرضه هذا وانى لاعرف وجوه بنى عبد المطلب
عند الموت اذهب بنا اليه لنسأله فيمن هذا الامر بعده فان كان فينا علمنا ذلك وان كان
في غيرنا اوصاه بنا فقال لنا والله لا اسأله ولو كان فينا اعطيناه للناس بعده واستدل
ايضا لما ذكر من انه كان مجيبا لا امرا فخالفوا امره بقوله صلى الله عليه وسلم في هذا
الحديث دعونى فان الذى انا فيه خير من ان يكتب الكتاب فانه لو كان امرا فيه بواجب
لم يقل ان تركه خير منه اى الذى انا فيه خير من ارسال الامر اى اهماله وتركه وخير من تركى
اى تركى لكم او تركتكم كتاب الوصيته ومن بيان لما هو فيه وكتاب الله بالنصب
مفعول معه اى مصاحبين بكتاب الله والتمسك به فانه حسبكم فاياكم ان تختلفوا
فيه فتهلكوا كمن قبلكم من الامم وتفشلوا ان تنازعتم فيه وقد قيل انه كان مراده
صلى الله عليه وسلم كتابة هذا شفقة عليهم وان تدعونى ان شرطية والجملة معطوفة
على جملة دعونى مما طلبتم اى من كتابة الكتاب الذى طلبتموه فاجبتكم والجواب مقدر اى
فهو خير لكم ويجوز فتحها وذكر بالبنا المجهول ان الذى طلب كتابه لهم امر الخلافة بعده
وتعيين ذلك اى تعيين من يكون خليفة بعده والله اعلم ان هذا هو الصواب كما قاله ابن
تيمية في كتاب الرد على الروافض وانه ورد مفسرا به في الحديث المروى في الصحيحين
كما مر في قوله صلى الله عليه وسلم لعايشة ادعى لى اباك واخاك ولا يجوز غيره لانه
لا يخلو من ان يكون امرا واجبا اوحى اليه به قبل مرضه او اوحى اليه به في مرضه
والاول لا يصح لان فيه تاخير البيان عن وقت الحاجة وهو غير جائز والثانى لو كان
بلغه من غير طلب كتابه ونحوه وحينئذ فانما قال عمر رضى الله تعالى عنه ما قاله لانه
علمه وعلمه غيره كعايشة رضى الله تعالى عنها وغيرها من كبار الصحابة ولو ذكره لذكر

بعده

بعده عمر وربما اشمازت منه بعض النفوس القاصرة وقد علم ان الله منجزه وان اخفاه
في حياته اولى وما سواه هذا القول لا وجه له فلذا ختم به هذا الفصل وكرر ذكره فيه
والقول بانه بعيد لا وجه له ايضا فصل في ذكر شبهة اخرى فيما قرره من عصمته
صلى الله عليه وسلم في رضاه وغضبه فان قيل فما وجه حديثه الذى رواه
مسلم اى توجيهه بما يوافق ما قرره ورواه المص من طريقه مسندا ايضا اى الحديث
الذى قدمه الذى حدثناه الفقيه ابو محمد الخشنى بقراتى عليه قال حدثنا ابو على الطبرى
قال حدثنا عبد الغافر الفارسى قال حدثنا ابو احمد الجلودى قال حدثنا ابراهيم بن
سفيان تقدم بيانه رجال هذا السند كلهم قال حدثنا مسلم بن الحجاج صاحب
الصحيح المشهور قال حدثنا قتيبة بن سعيد كما تقدم قال حدثنا ليث عن سعيد
هو المقبرى وقد تقدم ابن ابى سعيد اسمه كيسان كما تقدم عن سالم مولى النصريين
بنون وصاد مهملة وهو ابن عبد الله النصرى روى له اصحاب الكتب الاربعة نسبة
لجماعة نسبوا النصرى كما بين في اسما الرجال قال سمعت ابا هريرة رضى الله تعالى عنه يقول
تقدم الكلام على ابى هريرة وعلى هذا التركيب من جهة العربية سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اللهم انما محمد بشر الحصر فيه اضافى ادعائى اى ليست احواله الا من جنس
احوال البشر الذى يطرء عليه ما يطرء عليهم من العوارض البشرية وليس تبريا منها فهو
يغضب لحياة الله لا لنفسه كما يغضب البشر وعدل عن التكلم الى الغيبة بذكر اسمه
تواضعا منه صلى الله عليه وسلم لربه ففيه التفات على راى وانى تخذت افتعال
من الاخذ فتاؤه مبدلة لا اصلية كما تبين في العربية عندك عهدا يعنى انه صلى الله عليه
وسلم عاهد الله عهدا فيما بينه وبينه لن تخلفنيه يعنى وانك وعدتنى بانجاز عهدى
وانك لا تخلف الميعاد وفي قوله اتخذت التفات من الغيبة للتكلم لبيان انه متلذذ
بمناجاته مترقبا لتوفيه لعهد الذى عهده بقوله فايما مومن اذيته اى فعلت معه شيا
يوذيه وهو يستحق له كحد وتعزير اقتضاه فانه صلى الله عليه وسلم على خلق عظيم
لا يوذى احدا لا يستحق الاذية كما لا يخفى او سببته او جلدته هذا من جملة الاذية فينبغى
تخصيصها بغير ما ذكر لان الخاص لا يعطف على العام باو فاجعلها اتيه باعتبار المذكورات
والفا في جواب ايما لتضمنها معنى الشرط كفارة له اى مكفرة لذنوبه وفيه اشارة الى ان ما فعله
في مقابلة ذنب صدر منه لا لحظ نفسه وهو صيغة مبالغة ملحقة باسما الاجناس
وقربة اى فعلة مقربة له تقربه بها اليك اى تثيبه بها ثوابا ترفعه بها منزلة عندك لانه
تعالى منزه عن الجهة والقرب المكانى لانه من صفة الاجسام يوم القيامة اى حين
تعرض الاعمال وتحاسب العباد وفي رواية اخرى لهذا الحديث فايما احد بالجر وما مزيدة
ويجوز رفعه دعوت عليه دعوة في حال الغضب عليه قال في المقتفى وفيه نظر لان هذا
ليس من حديث ابى هريرة وانما هو حديث اخر عن انس رضى الله عنه فمقتضى الظاهر ان يقول

وفي رواية انس ونحوه يعني ان سياقه يقتضي انه من رواية ابي هريرة التي مرت وليس كذلك
قلت الامر فيه سهل وذكر الرواية وتنكيرها يقتضي مخالفتها لما قبلها سندا ومتنا وهو
ظاهر فلا وجه لما قاله وفي رواية اخرى ليس اي المدعو عليه او المذكور لها باهل اي مستحق لها
اي لهذه الفعلة وهذا هو المشكل لانه صلى الله عليه وسلم لا يفعل فعلا باحد الا ويستحقه
وسياتي توجيهه وفي رواية اخرى ايما رجل من المسلمين سببته وشتمته او لعنته اي
دعوت عليه دعوة باللعنة واصل معناها الطرد والابعاد مطلقا او جلدته فاجعلها
اي المذكورات له زكاة اي طهارة من ذنوبه او زيادة في حسناته لان الزكاة تكون
بمعنى الطهارة والنما فاستعيرت لما ذكر وصلاة ورحمة عطف تفسير او تفسير الصلاة
بالعطف والرافة فيتغايران وهو مفصل في تفسير قوله تعالى اولئك عليهم صلوات
من ربهم ورحمة ثم بين وجه الشبهة والسوال بقوله وكيف يصح ويجوز والاستفهام
انكاري ان يلعن النبي صلى الله عليه وسلم من لا يستحق اللعن فعلى اي حال يصح صدور
مثله عنه ويسب من لا يستحق السب لقوله في رواية ليس لها باهل ويجلد من لا يستحق
الجلد وقوله او بسكون الواو وفتحها وهمزة الاستفهام يفعل مثل ذلك الامر المذكور
عند الغضب اي في حال غضبه وهو صلى الله عليه وسلم معصوم في جميع
احواله كما تقدم والجملة حالية منزه كله في جميع احواله فاعلم شرح الله صدرك
اي فسح فيه ووسعه لقبول الحق فيما نحن فيه ونوره بمعرفته والجملة دعائية معترضة
لتعرف الحق في هذا ان قوله صلى الله عليه وسلم في بعض الروايات اولا فيما تقدم
ليس لها باهل اي ليس مستحقا لما فعله به اي عندك يا رب اي في علمك مما هو باطن
امره اي حقيقته التي تخفى على غيره وعند الله في القران تكون تارة بمعنى علمه وتارة بمعنى
حكمه والمراد هنا الاول كما بيناه في حواشي القاضي البيضاوي فان حكمه صلى الله
عليه وسلم بين امته كما تقدم على الظاهر من الحال غالبا كما قال صلى الله عليه
وسلم من انه انما يحكم بالظاهر كما تقدم وللحكمة التي ذكرناها من انه لتقتدي
امته ولو اوحي اليه ما في نفس الامر وحكم به لم يمكن امته الاقتدا به في احكامه
بعده كما مر فحكم صلى الله عليه وسلم بمقتضى الظاهر بجلده او اذيه بسبه او لعنه
اي دعا عليه باللعنة اي طرده بما اقتضاه عنده اي في حضوره او في علمه حال
ظاهره الذي ظهر له ولغيره والدعا باللعن شرعا انما يجوز على من كان غير معين كافرا
كان او غير كافر كلعنة الله على الظالم او على معين مات على كفره واما على معين كافرا
كان او لا فلا يجوز لجواز ان يسلم فلا يكون ملعونا اي مطرودا عن رحمة الله الا
انه قيل انه كان جائزا للنبي صلى الله عليه وسلم ولو كان على غير الكافرين فهو اما
من خصايصه او منسوخ ثم دعا صلى الله عليه وسلم لمن دعا عليه بقوله اللهم
اجعله كفارة له لشفقته على امته ورافته ورحمته للمؤمنين التي وصفه الله بها

بقوله

بقوله بالمؤمنين رؤوف رحيم وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ونحوه وحذف
بالجر عطف على شفقته اي خوفه ان يتقبل الله تعالى فيمن دعا عليه دعوته بقوله اللهم
اجعله الخ ان يجعل الله هو مفعول دعا دعاه عليه ولعنته له رحمة لمن دعا به عليه
فهو معنى قوله ليس لها اي المدعو عليه ليس في علم الله اهلا اي مستحقا لما دعي به عليه
لانه صلى الله عليه وسلم يحمله الغضب لله بمقتضى البشرية اي يدعوه ويبعثه
ويستفزه الضجر اي القلق وضيق الصدر ممن عصاه وخالفه اي تحرك بسرعة لان يفعل
مثل هذا الدعا من السب ونحوه بمن لا يستحقه في الباطن وان استحقه بحسب الظاهر
من مسلم صدر منه ذلك وهذا معنى فسر به الحديث وهو صحيح مستقيم مقبول
لا يمنعه شي ولا يفهم من قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث اغضب كما يغضب
البشر حمله ان الغضب وبعثه على ما لا يجب فعله اذ هو صلى الله عليه وسلم منزه عن مثله
بل يجوز ان يكون المراد به قوله هنا ان الغضب لله هو الذي حمله على معاقبته بلعنه
او سبه كما ورد في الحديث انه صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه قط الا ان تنتهك
حرمة الله تعالى فينتقم لله او يجاب بجواب اخر هو انه اي الذنب الذي عاقبه عليه
وفي نسخ وانه بالواو وكان مما يحتمل ويجوز عطف تفسير ليحتمل عفوه صلى الله عليه وسلم
عنه وترك المعاقبة عليه بالسب ونحوه او كان ذلك الذنب مما خير بالبنا للمجهول
اي خيره الله تعالى بين المعاقبة والعفو عنه وفي نسخة او العفو والصواب عطفه بالواو
لاقتضا التخيير لشيين ولا حاجة لجعل او بمعنى الواو وهذا الجواب قريب مما قبله
وقد يحمل الدعا الوارد في هذا الحديث على انه خرج مخرج الاشفاق والخوف منه صلى الله
عليه وسلم على امته وتعليم امته الخوف من الله تعالى ومعاصيه من الصغاير والحذر
من تعدي وتجاوز حدود الله اي ما احده الله تعالى مما لا يجوز الخروج عنه وقد يحمل
ما ورد من دعايه هنا وما ورد من دعواته على غير واحد اي على كثير من الناس في غير موطن
اي في مواطن ومحال كثيرة صدر فيها الدعا عليهم على ما صدر من غير العقد اي العزم
وتصميم القلب والقصد منه للدعا عليهم بل دعوات صدرت منه بما جرت به عادة
العرب في محاوراتهم يدعون على مخاطبيهم بنحو قاتله الله وويل امه ولا اب له لمن قصد
مدحه وتحسين فعله وهو مشهور في غير لسان العرب ايضا وليس المراد بها اي بهذه
الدعوات الاجابة اي دعا عليه يطلبون استجابته فيهم بوقوع ما دعوا به كقوله
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان تربت يمينك قال في النهاية ترب الرجل
اذا افتقر كانه التصق بالتراب واترب اذا استغنى اما على همزة السلب او على معنى
صار ماله كالتراب كثرة وقد ورد كل منهما بمعنى الاخر وروي يدك ويداك ونسب
لليد لانها الكسب وليس المراد به الدعا عليه وقد صدر هذا منه صلى الله عليه
وسلم مرارا فمنها لام المومنين ام سلمة رضي الله تعالى عنها كما رواه البخاري انها قالت

لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يستحيي من الحق هل على المراة من غسل اذا هي احتلمت فقال نعم اذا رات الما فغطت وجهها وقالت او تحتلم المراة قال نعم تربت يمينك فبم يشبهها ولدها و وقع في احاديث اخر ايضا كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لا اشبع الله بطنك قاله صلى الله عليه وسلم لمعاوية رضي الله تعالى عنه ولكن الذي رواه مسلم لا اشبع الله بطنه قال البيهقي فما شبع بعدها ابدا وكان رضي الله عنه مشهورا بالبطنة حتى قالوا للاكول كان في معائه معاوية والحديث قد علمت انه عن ابن عباس ولفظه قال كنت مع الصبيان فجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواريت خلف الباب فقال اذهب فادع لي معاوية قال فجئته وقلت هو ياكل فقال ثانيا اذهب فادعه فجئته وقلت هو ياكل فاتيته فجئته وقلت هو ياكل فقال صلى الله عليه وسلم لا اشبع الله بطنه فحينئذ فيما قاله المصنف شي لان الله تعالى يستجاب دعاه فيه فليس من هذا الباب الذي جرت به العادة من غير قصد وقوله صلى الله عليه وسلم لصفية في حديث رواه مسلم عن عايشة رضي الله تعالى عنها عقرى حلقى وهذا قاله صلى الله عليه وسلم لصفية بنت حيي ام المومنين رضي الله تعالى عنها في حجة الوداع وهو في البخاري بسنده عن عايشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم للحج فلما كانت ليلة النفر حاضت صفية فقال صلى الله عليه وسلم ما اراها الا حابستكم الى اخره وهذا يقال للتعجب بدون قصد الدعا واصله صفة للمراة الموذية المشومة واختلف في لفظه ومعناه فقيل معنى حلقى اصابها وجع في حلقها وقيل معناه يحلقهم اي يستاصلهم كما يستاصل الحالق الشعر وعقرى من العقر وهو عرقبة الدواب او من العقرة وهو رفع الصوت ويجوز تنوينهما وعدمه على ان الفه للتانيث كسكرى وعلى جعلها ليست للتانيث فكل منهما صواب ومحلهما رفع خبرا ونصب على المصدرية والمحدثون يروونه بغير تنوين والمعروف عند اللغويين تنوينه وغيرها اي غير الدعوات المذكورة من المروي دعواته صلى الله عليه وسلم التي لم يرد بها الدعا على من خاطبه وانما يراد المدح او التعجب على عادة العرب في مخاطباتهم ووجهه كما قالوه في نحو قاتله الله انه يقصد به دفع العين عنه بجعله كالمذموم المدعو عليه فهو من قبيل الذم الذي يراد به المدح وقد ورد في صفته صلى الله عليه وسلم في غير حديث اي في احاديث كثيرة تقدم بعضها منها ما رواه وهو في صحيح البخاري وغيره انه صلى الله عليه وسلم لم يكن فحاشا صيغة مبالغة من الفحش وهو القبح والوقاحة في كلامه ومخاطباته وقد كان صلى الله عليه وسلم يكني عن كل ما يستحيي منه وقال انس رضي الله تعالى عنه فيما رواه عنه البخاري ايضا لم يكن صلى الله عليه وسلم سبابا اي لا يقول ما هو سب وشتم ولا فحاشا اي لا يتكلم بما يقبح التصريح به ولا لعانا اي لا يقول اللعنة لاحد وكان عادته صلى الله عليه وسلم انه يقول

لاحدنا

لاحدنا عند المعتبة مصدر ميمي من العتاب وهي بالتا المثناة من فوق مفتوحة ومكسورة من عتب عليه عند الغضب اذا لامه فالدال اي شي اقتضى ما فعله ترب جبينه الجبين واحد الجبينين وهما جانبا الجبهة وفي نسخة تربت يمينه بالتانيث لانه عضو مثنى والمراد به الجبهة لانه ورد بمعناها في قول زهير يقيني بالجبين ومنكبيه وانصره بمطرد الكعوب كما في شرح ديوانه فلا وجه لتخطية المتنبي في استعماله بهذا المعنى وترب دعا في الاصل بمعنى كبه الله تعالى على وجهه ولم يرد به الدعا كقولهم تربت يداه فيكون بحمل الحديث زعم جمل والمراد بالحديث ما ذكره اولا وهذا على هذا المعنى اي انه جا على عادة العرب في ملاطفاتهم وقيل معنى تربت جبينه كثر سجوده فلا يكون دعا عليه وهذا يقتضي ان المراد به الجبهة ثم اشفق وخاف صلى الله عليه وسلم من موافقة امثالها اي الدعوات الصادرة اجابة اي ان يستجاب دعاوه عليه بحسب ظاهره كما قاله لبعضهم ترب نحرك فقتل شهيدا فخاف من مثله فعاهد ربه كما قال في الحديث السابق ذكره اللهم من دعوت عليه ان يجعل ذلك القول له مما هو من سب ونحوه فهو بمعنى القول والشخص زكاة ورحمة وقربة كما تقدم بيانه مفصلا وقد يكون ذلك المذكور من دعايه لمن سبه اشفاقا على المدعو اي شفقة ورحمة بجعل دعايه عليه رحمة له وتانيسا له اي تاليفا له ليطمين قلبه ليلا يلحقه بما يقع في قلبه من استشعار الخوف اي الشعور بادراكه والحذر اي الوقوع فيما يحذره من لعن النبي صلى الله عليه وسلم له ومن تقبل دعايه اي يخاف قبول دعايه عليه بلعنه وابعاده من رحمة الله تعالى ما يحمله على الياس والقنوط من رحمة الله وهما بمعنى جمع بينهما تاكيدا وقيل القنوط شدة الياس والياس من رحمة الله كبيرة وقيل انه كفر وفيه كلام في الاصول كما فصلناه في رسايلنا وتقدمت الاشارة الى شي منه وهذا تاويل رايع في غاية الحسن وقد يكون ذلك منه صلى الله عليه وسلم سوالا لربه عز وجل اي قوله اللهم اجعله رحمة الخ لمن جلده او سبه متعلق بسوال على حق وبوجه صحيح لانه صلى الله عليه وسلم لا يفعل شيا بغير وجه شرعي ان يجعل ذلك اي دعاه عليه له كفارة لما اصابه اي فعله من الذنوب الذي استحق بها السب وتمحية مصدر محى بالتشديد تمحية من محاه اذا ازاله لما اجترمه اي فعله واكتسبه وان تكون عقوبته له في الدنيا خبر يكون فعله سبب العفو والغفران لانه تعزير له بالقول الذي يسوه كما في الحديث الاخر الذي رواه الشيخان عن عبادة ابن الصامت رضي الله تعالى عنه انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة للانصار بايعوني على ان لا تشركوا بالله شيا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تاتوا ببهتان تفترونه بين ايديكم وارجلكم ولا تعصوني في معروف فمن وفى بذلك فاجره على الله ومن اصاب من ذلك شيا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ومن اصاب من ذلك شيا فستره الله عليه فهو الى الله

ان شا عاقبه وان شا عفى عنه وذلك فى الحديث اشارة الى ما سبق فى الحديث من الذنوب
التى بايعهم على تركها مما بعد الشرك او هو عام مخصوص وهذا يدل على ان الحدود كفارة
فهو بعد قوله فى حديث اخر لا ادرى الحدود كفارة لاهلها ام لا فهذا كان قبل ان يعلمه الله
بانها مكفرة وفيه كلام فى شروح الصحيحين ولا يلزمه ان يكون قوله فى الدعا هنا بان يجعلها
كفارة تحصيلا للحاصل ايضا كما توهم ثم اورد شبهة اخرى على ما قرره ودفعها فقال
فان قلت فما معنى حديث الزبير ابن العوام الصحابى المشهور وحديثه هذا رواه البخارى
وقول النبى صلى الله عليه وسلم لمحين تخاصمه وتنازعه مع الانصارى الاتى ذكره
وحين مضافة لمصدر تخاصم وتخاصمه كان مع بعض الانصار الذين شهدوا بدرا كما
فى بعض كتب الحديث فقال ابن بشكوال انه حاطب ابن ابى بلتعة وقيل ثابت بن قيس
بن شماس الانصارى الا انه لا شاهد عليه وقال النووى هو حاطب وقيل ثعلبة بن
حاطب وقيل حميد والقول بانه حاطب بن ابى بلتعة لا يصح لانه ليس انصاريا
وقد ثبت فى البخارى انه انصارى بدرى وكذا ثابت لانه ليس بدريا وقال الزجاج
الخصم من قبيلة الانصار منافق ليس من المؤمنين منهم وفيه نظر لانه بدرى
وقد شهد صلى الله عليه وسلم لاهل بدر بالجنة وثعلبة بن حاطب ليس بمعروف
فى الصحابة وقوله فى شراج الحرة هو المتخاصم فيه والشراج بكسر الشين المعجمة وراء مهملة
والف بعدها جيم مسيل صغير فى السهل والى السهل كما فى النهاية للما كالقناة جمع
شرجة او شرج والحرة بفتح الحا وتشديد الرا المهملتين ارض صلبة تعلوها حجارة
سود وهى مكان معروف بطيبة كان فيها وقعة يزيد المشهورة اسق يا زبير اى بستانك
من هنا الما وقول المص حتى يبلغ الما السايل للكعبين سهو منه كما قيل لانه صلى الله
عليه وسلم لم يقله ابتدا وانما قاله بعد غضبه من كلام الانصارى وكان قال له
اولا لما ترافعا له اسق يا زبير فقط فامره بقدر من السقى من غير استيفا لحقه بتمامه
كما صرح به البخارى وقال فامره بالمعروف وكان اراد به الانصارى ان يرسل الما الارض
من غير حبس له اصلا مع انه يمر على ارضه اولا وفيه حق شرب تام فابى الانصارى
فامره صلى الله عليه وسلم بمجرد السقى وقال اسق فقط اى افعل السقى من غير استيفا
لحقك ثم ارسل الما لجارك وامره بالمعروف بمعنى الجميل من الاحسان والعادة المعروفة
ورعاية الجار والمراد به الوسط المعتدل فقال له اى قال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم الانصارى الذى ذكرناه لما قال له اسق الى اخره ان كان ابن عمتك يا رسول الله
بفتح الهمزة اى حكمت له لانه ابن عمتك لانه ابن صفية بنت عبد المطلب لان
ان المخففة يطرد معها تقدير حرف الجر لو فى صدر الكلام كما يطرد مع المشددة كقوله
تعالى ان كان ذا مال وبنين وحكى الكرمانى فيه كسر الهمزة على انها شرطية مقدرة
الجواب وفى فتح البارى انه غير معروف فى الرواية لكنه يؤيده ما فى رواية ابن اسحاق

وان كان

وان كان ابن عمتك وهمزة الاستفهام على هذا مقدرة وتمد المعزة اى ذكرت كما ذكره المحب
والقرطبى ان كان ابن عمتك نحو قوله آلله اذن لكم وهى رواية عندهما من غير هذه
الطريق وفى رواية ابن معمر انه ابن عمتك فقال ابن مالك فى توضيحه يجوز فى هذه
الرواية فتح همزة انه وكسرها فاذا فتحت قدرت لام قبلها جارة واذا كسرت قدرت
قبلها الف استفهام لانها وقعت بعد كلام معلل بمضمون ما بعدها كقوله ولا
تقربوا الزنا انه كان فاحشة وقد روى بما فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم اى عرض له لون غير لونه الذى كان له من حمرة الغضب لقول الانصارى
المذكور وعلم انه ساءه وقيل انه كناية عن الغضب وانما سامحه صلى الله عليه
فى مقاله هذا ولو صدر من غيره الان وجب قتله لانه كان من المنافقين المؤلفة
وكان له صلى الله عليه وسلم ان يعفو عن مثله كما قال لئلا يتحدث الناس ان محمدا
يقتل اصحابه وهو خاص به وبعده يقتل قايله كما قاله النووى ثم قال صلى الله عليه
وسلم بعدما غضب من قوله وكونه لم يرض بما هو اكثر من حقه وقد حكم له
صلى الله عليه وسلم بالعدل والحق فلم يرض بحكمه طمعا وبغيا منه اسق يا زبير
حديقته نخلك ثم احبس الما يسد مجراه حتى يبلغ الما الذى حبسته الجدر الحديث
اى الى اخره المروى فى البخارى والموطا وغيرهما وهذه رواية وفى الرواية الاخرى
هنا حتى يبلغ الكعبين وهما بمعنى وتقديم المص لها ليس فى محله كما تقدم وفى رواية
الموطا حتى يرفع الى الجدر وهو بفتح الجيم وسكون الدال وبالرا المهملتين
بمعنى الجدار وروى بضم الجيم جمع جدار وروى بفتح الجيم وكسرها وذال معجمة
من جذر الحساب وجذر كل شى اصله والمراد به الحايط ولما كان ذلك مختلفا
قدروه بما يبلغ الكعبين وبه قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غير هذه
القصة وقيل المراد به ما يجعل من التراب حول الزرع وهو الظاهر والمعنى واحد
كما تقرر وحاصل السوال انه صلى الله عليه وسلم حكم اولا بحكم ثم رجع عنه
وهو ينافى العصمة فى اقواله الذى قررتموه ولذا قيل انه يدل على ان الحاكم يجوز له
نقض حكمه ولا دليل فيه لما فيه لما سياتى فالجواب عما ذكر انه صلى الله عليه
وسلم منزه اى مبعد ومبرء من ان يقع بنفس مسلم اى فى فكره وذهنه منه
صلى الله عليه وسلم فى هذه القصة التى قضى فيها وحكم بها على غيره امر يريب
اى يوقع سامعه فى ريب وشك فى اقواله ويظن انه صلى الله عليه وسلم يصدر
منه من غير تامل وتثبت ثم يرجع عنه ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب الزبير
اى دعاه وطلب منه اولا حين قال له اسق الى الاقتصار على بعض حقه على طريق
التوسط اى الاعتدال من غير افراط ولا تفريط وعلى وجه الصلح بينه وبين
الانصارى لانه كان مستحقا لغير ذلك فلما لم يرض بذلك اى بما قاله رسول الله

صلى الله عليه وسلم واعطايه فوق حقه الاخر اى الرجل الاخر المخاصم وهو
الانصارى ولج اى ابدى اللجاج عنادا منه فى خصومته للزبير رضى الله تعالى عنه
وقال ما لا يجب ان كان هنا بضم المثناة التحتية وكسر الحا المهملة وتشديد
البا الموحدة من المحبة فهو ظاهر وان كان بفتحها وكسر الجيم فالحق ان يقول ما لا
يجوز لكن مثله كثير فى عباراتهم وقد سبق مثله فالمراد به ما لا يجوز ايضا لان
غير الواجب يصدق على الحرام والمباح والمندوب فاريد به بعض افراده اى ما
الى انه يقتصر فى حقه على الواجب له فما بالك بحرام يقتضى الردة وما قيل
من ان الوجوب بمعناه اللغوى وهو السقوط كقوله تعالى وجبت جنوبها اى
ما لا يسقط عن قايله حرمته حتى يجدد اسلامه ويتوب عنه تكلف لا تؤديه
العبارة بلا قرينة استوفى اى وفا وكمل صلى الله عليه وسلم للزبير حقه من الشرب
من غير مسامحة وقد ترجم البخارى رحمه الله تعالى على هذا الحديث المذكور فى هذه
القصة والترجمة فى الاصل كما تقدم تفسير لغة باخرى فيكون بمعنى ايضا الكلام
لمن لم يسمعه كما فى قوله ان الثمانين وبلغتها قد احوجت سمعى الى ترجمان
وفى عرف المصنفين رحمهم الله تعالى عنوان الكلام بذكره اجمالا مع لفظ الباب ونحوه
وهو المراد هنا بقوله رحمه الله تعالى باب بالتنوين اذا اشار الامام بالصلح
بين خصمين فابى اى امتنع احدهما حكم الحاكم عليه اى على من ابى الحكم بالحكم الحق
الذى باسا هو اكثر من حقه فالالف واللام فى الحكم للعهد وهو الحكم البين
فلا يقال انه سقط منه لفظ البين المروى فيه كما قيل وذكر البخارى فى اخر هذا
الحديث المذكور فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حقه اى استكمله
واصل معناه جعله فى الوعا فتجوز به عن لازم معناه والضمير للحكم او للرسول
لا دنى ملابسته او للانصارى على زعمه تهكما به ولو رجع للزبير فى عبارته لزم عوده
على متاخر وروى انهما لما خرجا من عنده صلى الله عليه وسلم مرا على المقداد
فقال لمن كان القضا قال الانصارى لابن عمته ولوى شدقه ففطن له يهودى
كان مع المقداد فقال قاتل الله هولا يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه فى قضا يقضى
بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة فى حياة موسى عليه الصلاة والسلام
فدعانا الى التوبة فقال اقتلوا انفسكم فبلغ قتلانا سبعين الفا فى طاعة ربنا حتى
رضى عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس ان الله يعلم منى الصدق ولو امرنى محمد ان
اقتل نفسى لفعلت وقد جعل المسلمون المراد بهم العلما الفقها وعبر بهذا لان المسلمين
فى العصر الاول اكثرهم علما مجتهدون هذا الحديث اصلا اى قضية كلية وقاعدة
مضبوطة فى قضيته اى قضية الزبير فى منازعته مع الانصارى والمراد بالاصل
الماخوذ من هذه القضية انه يسقى فى حايطه حتى يبلغ الما فيه الكعبين من القايم

ثم يرسله

ثم يرسله كله لمن يليه او يرسل ما زاد عن حاجته له كما فى التمهيد لابن عبد البر وقيل
المراد انه اذا تحاكم خصمان فللحاكم ان يصلح بينهما على وجه فيه رفق وتوسعة فان
لم يرضيا او احدهما امضى حكم الله عليهما وفيه اى فى هذا الحديث ما يوخذ منه ويستنبط
الاقتدا به صلى الله عليه وسلم فى كل ما فعله ما لم يعلم انه من خصايصه فى حال
غضبه ورضاه اما الرضا فظاهر واما الغضب فلعصمته صلى الله عليه وسلم
ولانه لم يكن يغضب لنفسه وانما يغضب لانتهاك حرمات الله تعالى كما فى هذه
القضية وانه صلى الله عليه وسلم وان نهى فى حديث رواه الشيخان ان يقضى
القاضى وهو غضبان لانه غير معصوم فربما حمله الغضب على امر لا يرضى والجملة
حالية بخلاف النبى صلى الله عليه وسلم والنهى فيه محمول على الكراهة كما صرح
به فانه فى حكمه فى حال الغضب والرضا سوا لكونه فيهما اى فى الغضب والرضى
معصوما حفظه الله تعالى عن ان يصدر منه فيهما ما يخالف امر ربه وغضب النبى
صلى الله عليه وسلم فى هذا الامر الذى صدر من الانصارى انما كان لله تعالى
لنسبته رسول الله صلى الله عليه وسلم للهوى الذى حماه الله منه مما يقتضى
الردة والقتل ولكنه عفا عنه لما مر لا لنفسه فانه لا ينتصر لها كما جا فى الحديث
الصحيح الذى قدمنا ذكره من انه انما كان يغضب لله ولانتهاك حرماته ومثل
الغضب فى كراهة حكم الحاكم فيه كل ما يشوش الفكر من جوع ومرض وذهب
بعضهم الى ان من غضب لله لا يمتنع من الحكم ايضا لانه متوقف لا يرتكب امرا يخالف
امر ربه قياسا عليه صلى الله عليه وسلم وظاهر الحديث يقتضيه والمعنى قيل
انه مثل القاضى ايضا وقد يفرق بينهما وكذلك اى مثل ما ذكر ما رواه ابو نعيم
فى الحلية وهو الحديث فى اقادته عكاشة الاقادة افعال من القود للدابة مقابل
السوق ثم استعمل فى الاقتصاص بالنفس وغيرها لان الجانى يقاد ليستوفى منه
غالبا فاريد به لازم معناه وصار حقيقة فيه والمصدر مضاف لفاعله وعكاشة
معروف من الصحابة وعينه مضمومة وكافه مخففة ومشددة وهو علم منقول
واصله العنكبوت وفى كتاب ليس لابن خالويه عكاشة صاحب النبى صلى الله
عليه وسلم واهل الحديث يخففونه وانما هو مشدد وعكاشة اسم موضع
انتهى من نفسه الشريفة صلى الله عليه وسلم فى قصته وقعت قبيل وفاته صلى الله
عليه وسلم لما نزل عليه اذا جا نصر الله الى اخره قال لجبريل قد نعيت فقال له
الاخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى فامر بلالا ان ينادى الصلاة
جامعة فاجتمع الصحابة فى مسجده صلى الله عليه وسلم فصلى بالناس وصعد
المنبر وخطب خطبة وجلت منها القلوب فقال ايها الناس اى نبى كنت لكم فقالوا
جزاك الله عنا خيرا فلقد كنت لنا كالاب الرحيم والاخ الشفيق اديت رسالة الله

وبلغت وجيه فجزاك الله عنا افضل ما جزا نبيا فقال معاشر المسلمين انشدكم بالله
عزوجل من كانت له على مظلمة فليقم فليقتص منى وكرره فقام شيخ يقال له عكاشة
فتخطى المسلمين حتى وقف بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال لولا ادرك ما كنت
لاقدم على شئ لما انصرفنا من الفتح حاذب ناقتى ناقتك فرفعت القضيب فضربت خاصرتى
ولا ادرى عمدا كان ذلك ام لا فطلب صلى الله عليه وسلم قضيبه ودفعه لعكاشة
وقال له اضرب ان كنت ضاربا فقال ضربتنى وانا حاسر على بطنى فكشف له رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن بطنه فقبله وقال له فداك ابى وامى من يطيق ان يقتص
منك فقال اما ان تضرب او تعفو فقال قد عفوت رجا ان يعفوا الله عنى فى القيامه
فقال صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى رفيقى فى الجنة فلينظر لهذا فجعلوا يقبلون
بين عينيه ويهنونه بذلك وهو حديث طويل ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات وقال
السيوطى انه اخرجه ابو نعيم فى الحلية ولم يقل انه موضوع فهو تعقب له وعلى هذا
اعتمد المص لم يكن ما صدر منه فى ضرب عكاشة لتعمد اى عن عمد منه حمله الغضب عليه
اى على فعله بغير حق بل وقع فى هذا الحديث نفسه لا فى حديث اخر ان عكاشة قال له
صلى الله عليه وسلم حين اراد القود منه وكان تعلق بزمام ناقته صلى الله عليه
وسلم فنهاه ثلاث مرات وضربتنى بالقضيب وهو عصا كان فى يده الشريفه فلا ادرى
ضربك هذا كان تعمدا نعم امنك لضربى ام اصابتك لى خطا وقد اردت غيره وهو انك اردت
ضرب الناقة فاصابنى ذلك فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اعيذك بالله اى
اجعلك فى حفظه يا عكاشة ان يتعمدك رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب
لم يستحقه وفيه التفات من التكلم الى الغيبه واصله ان تعمدك فاتى باسمه الظاهر
اشارة لعصمته صلى الله عليه وسلم مما قاله عكاشة لان من هو رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يصدر منه مثله وعكاشة هذا هو ابن محصن صحابى بدرى وهو الذى
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر ان سبعين الفا يدخلون الجنة بغير
حساب ادع الله لى ان يجعلنى منهم فقال انت منهم فقال اخر مثله فقال له سبقك بها
عكاشة فضرب مثلا كما فى الاصابة وكذلك اى مثل ما وقع لعكاشة ما وقع فى حديثه
صلى الله عليه وسلم الاخر مع الاعرابى وهذا الحديث لا يعرف من رواه ويحتمل انه
حديث عكاشة بعينه حين طلب عليه الصلاة والسلام الاقتصاص منه
صلى الله عليه وسلم لضربه له فلما قال له اقتص منى ومكنه من نفسه فقال الاعرابى
قد عفوت عنك اى تركت خلك برضى منى وكان صلى الله عليه وسلم قد ضربه
بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد اخرى ففيه ترك ادب يستحق به الضرب
تعزيرا فلم يكن ذلك الا بحق فلا يستحق به الاقتصاص ولكنه صلى الله عليه وسلم
فعله كرما منه وتطيبا لقلبه من غير حق له مضى بل كان تاديبا له وتشنيعا مستحقا

للجهل لا للعفو والنبى صلى الله عليه وسلم ينهاه عن تعلقه بزمام الناقة وسوادة
وعبر بالمضارع حكاية للحال السابقة استحضارا للصورتها كما فى قوله ويقول له
اى للاعرابى تدرك حاجتك اى تقضيها لك وتصل اليها فدع الزمام وهو يابى
ارسال زمام ناقته الحاحا منه فضربه بعد نهيه ثلاث مرات حلما منه صلى الله
عليه وسلم وتحملا لابرامه عليه ثم بين الوجه فى هذا وانه غير مناف لما قرره
من عصمته فى غضبه ورضاه فقال وهذا الذى وقع منه صلى الله عليه وسلم
لمن لم يقف عند نهيه لعدم امتثاله فجعل امتثاله كالوقوف ففيه استعارة وكذا
فى قوله عند نهيه فهى مكنية تخييليته صواب لاجور وخطا يستحق به القود وموضع
ادب فى الحضور عنده يستحق من لم يتادب فيه التاديب والحكم فيه مفوض له صلى الله
عليه وسلم لكنه صلى الله عليه وسلم اشفق اى رحم من ترك الادب عنده بعد
ضربه بحق اذ كان حق نفسه عليه لا شفاقه مع استحقاقه للتاديب من الامر اى من الحال
الذى وقعت فيه هذه القصة حتى عفى عنه صلى الله عليه وسلم وان كان ما فعله
من ضربه تاديب الله وزجرا عما فعله من سوء الادب بعد تكرار نهيه كما تقدم فلم
يقع منه لغضبه امر مخالف عصمته ومراد المصنف بقوله حق نفسه انه امر يتعلق به
صلى الله عليه وسلم وبذاته لعدم امتثاله نهيه اللازم له شرعا وليس المراد ان
ما فعله انتقاما لحظ نفسه وهواها واعلم ان العلامة ابن القيم قال فى كتاب
المعالم ان الشافعيه والحنفية والمالكيه والحنابلة قالوا ان الضربة واللطمة
لا قصاص فيها شرعا وانما فيه التعزير وادعى بعضهم فيه الاجماع الا ان لبعضهم
فيه خلافا فاجرى فيه على خلاف القياس لا انه مقتضى النصوص وعليه عمل الصحابة
رضى الله تعالى عنهم لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم ولا ريب ان لطمة بلطمة وضربة بضربة اقرب الى المماثلة من التعزير بغير جنس
اعتدايه وهو هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفا الراشدين حتى عقد له
المحدثون بابا ترجموه بان القصاص فى الضربة واللطمة ورووا فيه اثارا انتهى اقول
الظاهر ما عليه الفقها وهو مقتضى القياس لانه لا يمكن ضبطه وقد يوجد فيه
تفاوت فاحش كمن ضرب شخصيا على عينه ولم يضر بصره فربما تخرج عينه فى
القصاص وانما فعله الصحابة رضى الله تعالى عنهم لوثوقهم بعدم تجاوزا
فعالهم فلا نقيس انفسنا عليهم فلا وجه لما قاله ابن القيم رحمه الله تعالى واما
حديث سواد بن عمرو رضى الله عنه عن عطية الانصارى الذى رواه ابو القاسم
فى معجم الصحابة وابن سعد وعبد الرزاق فى جامعه عن الحسن وسواد بن عمرو هذا
انصارى صحابى وليس هو سواد بن غزية الا انه وقع نقل مثل هذه القصة عنه
وانه صلى الله عليه وسلم طعنه بالعصا فى خاصرته لكن لا على هذا الوجه كما ياتى

وما وقع في بعض النسخ عمرو بن سواد غلط من الناسخ وقال ابن الملقن في شرح البخاري
بعد نقل ما في الشفا هذا لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم فانه صاحب ابن وهب
فان ثبت هذا فلعله صحابي آخر وافق اسمه واسم ابيه لكن القصة معروفة بسواد بن
عمرو والظاهر انه انقلب عليه انتهى وذكر ابن عبد البر رحمه الله تعالى انه سوادة بزيادة
الهاء قال سواد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وانا متخلق جملة حالية اي متضمخ بالخلوق
وهو نوع من الطيب يخلط بالزعفران ولونه بين الحمرة والصفرة وقد ورد في بعض
الاحاديث النهي عنه وفي بعضها اباحته والنهي قيل انه متاخر ناسخ لاباحته لانه
معتاد في النسا والتشبه بهن غير جائز ولذا ذهب شيخ والذى شهاب الدين احمد بن حجر
الهيتمي الى حرمته الحنا على الرجال لغير التداوي يعني في غير اللحية فقال ورس
ورس حط حط الورس نبت اصفر باليمن يصبغ به ويتعطر فهو منهي عنه كالخلوق
والحنا وحكمه حكمه وهو حرام للنهي عنه في الحديث وذكر مكررا للانكار عليه
وورس بوزن ضرب وحط امر له كرر تاكيدا ايضا وتقديره اعليك ورس فيجوز
رفعه على انه مبتدا او خبر مبتدا مقدر وسكون السين للوقف وتقديره اهذا
ورس وطاء حط ساكنة او مفتوحة كما يجوز في كل امر مشدد الاخر كرد واصله
اردد واحطط ويجوز ان لا يقدر فيه شي ويقصد به ما مر ايضا فنذر به وهو من طيب
النسا ايضا وغشيني بمعجمتين يعني ضربني وهو استعارة معروفة كما يقال جلله
وقنعه بالسوط ومثله قوله تعالى فصب عليهم ربك سوط عذاب بقضيب
اي عصى كان عادته صلى الله عليه وسلم حمله في يده في بطني اي عليها وجعله
لتمكنه منه كانه فيها واوجعني ضربه او هو بضربه فقلت القصاص يا رسول الله
اي اساله واطلبه منك فكشف لي عن بطنه لاضربه اقتصاصا كما فعل بي وانما
ضربه صلى الله عليه وسلم منكرا عليه وهو تطيبه بما فيه تشبه بالنسا
يستحق التعزير عليه وقيل انه كان محرما فيمتنع عليه الطيب فما فعله صلى الله
عليه وسلم به امر مشروع له زجرا لفاعله بالفعل بعد القول ولكنه اجاب
للقود تواضعا ولطفا ورحمة منه كما تقدم وقد كان المضروب يعلم انه منهي
عنه ولعله صلى الله عليه وسلم لم يرد بضربه الا تنبيهه على ما راه منه مما
لا يليق فاراد الاشارة اليه بقضيب في يده ليقرعه ولم يرد ضربه اولا ومسه
بشدة ولم يقصد ضربه فلما كان اي وجد منه ايجاع مولم له وهو لم يقصده
بضربه اياه طلب التحلل منه بالقود حتى لا يبقى له عليه حق فدفع الشبهة
بوجهين احدهما انه تعزير مشروع له لكنه تكرم باجابته لما علم انه لم يقصد
قوده وانما قصد تقبيل جسده الشريف والثاني انه خطا معفو عنه وفعله
صلى الله عليه وسلم تعليما لامته وهذا جار على ما قدمناه في قصة

عكاشة رضي الله تعالى عنه وذكر ابن اسحاق انه صلى الله عليه وسلم عدل صفوف
اصحابه يوم بدر وفي يده قدح يعدل به فمر بسواد بن غزية متنصلا عن الصف فطعنه
في بطنه بالقدح وقال له استقد يا سواد فقال له اوجعتني يا رسول الله وقد
بعثك الله بالعدل فاقدني فكشف له عن بطنه وقال له استقد فقبل بطنه
واعتنقه فقال له صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا قال حضر ما ترى فاردت
ان يكون اخر العهد بمس جلدك فدعا له صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم فصل
قال القاضي رحمه الله واما افعاله صلى الله عليه وسلم الدنيوية اي المتعلقة بامور
دنياه لا بالعبادة والعقايد فحكمه فيها من توقي المعاصي اي اجتناب المحرمات شرعا والمكروهات
كراهة تنزيه بقرينة مقابلة المعاصي ما قدمناه خبر قوله فحكمه المبتدا اي انه صلى الله
عليه وسلم معصوم عنها فان وقع منه مكروه لبيان الجواز كشربه قايما فهو لتعليم
امته فلا يكون مكروها في حقه وما قيل هنا من انه غير منهي عنه فلا حاجة لذكره لغو
من الكلام لا حاجة للاطالة بمثله ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه
فانه جوزه في العبادات فيعلم جوازه في هذا بالطريق الاولى وكله اي ما ذكر من السهو
وما بعده غير قادح وغير ضار في النبوة بل حسن منه صلى الله عليه وسلم لما فيه من التشريع
بل ان هذا مع انه غير مذموم صدوره فيها اتى في افعاله على الندور اي قليل جدا والنادر
ما قل وقوعه ولا حكم له اذ عامة افعاله اي اكثرها واقع على السداد بفتح السين المهملة
اي الاعتدال والقصد ويجوز ان يريد بالعامة الكل بجعل غيرها كالعدم والصواب
وعدم الخطا بل اكثرها اي افعاله صلى الله عليه وسلم او كلها جارية مجرى العبادات
والقرب بضم ففتح جمع قربة وهي العمل الصالح الذي يتقرب به الى الله تعالى على ما بيناه
فيما تقدم اما ان اكثرها كذلك فلان منها مباحات كالاكل والشرب ونحوه واما كون
كلها عبادة فلانه محتو على تعليم الاباحة وتقوية الجسد للطاعة ونحوه بما يجعل العادة
عبادة اذ كان صلى الله عليه وسلم لا ياخذ منها اي من الدنيا او افعالها لنفسه الا ضرورته
اي قدرا ما يضطر اليه ويحتاج له وما يقيم رمق جسمه اي ما به قوام حياته اي بقيته
وقوته والرمق معناه بقية الروح والحياة والقليل من العيش الذي يسد الرمق وفيه
مصلحة ذاته اي ما يصلحها كما يدفع الحر والبرد ويدخل فيه طعامه ودوابه وخدمه
ونساؤه وبيوتهم التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس امته اي يضبطهم ويحكم عليهم
لانه معنى السياسة لغة قال وكنا نسوس الناس والامر امرنا وهذا بيان لجهة العبادة
المقصودة بما قبله يقال ساس الرعية اذا حفظها واقام امرها واما ما كان بينه
وبين الناس من ذلك اي امور الدنيوية الجارية منه في معاملة امته ومحبتهم
فبين معروف اي امر جميل حسن لان المعروف يراد به هذا وبين هنا للتقسيم كما يقال الامر
بين كذا وكذا يصنعه اي يوصله ويفعله لهم من احسانه وتكرمه عليهم وتراه عبرة وعطا

يوسعه عليهم باعطا ما يغنيهم او كلام حسن يقوله لهم مما يلطف بهم ويلين قلوبهم
ويعظهم ونحوه او يسمعه بفتح اوله وثالثه اي يسمعه من غيره ويصغي له او بضم اوله
وكسر ثالثه كما قيل وما قبله اولى لانه حينئذ لا فرق بينه ما قبله الا بتكلف وتالف ذ
اي نافر عن طاعة الله ورسوله كجفاة الاعراب المولفة قلوبهم بالعطا وجهات البر
واللطف حتى يذيقه الله حلاوة الايمان ويهديه الله له او قهر معانده فيرده عن زجره
حتى يرجع قهرا عليه لما يريد او مداراة حاسد بملاطفته وتحمل اذاه والاعضاء عن قبايحه
كما كان يفعله صلى الله عليه وسلم مع المنافقين واهل الكتاب وقال صلى الله عليه
وسلم راس العقل بعد الايمان مداراة الناس وكل هذا الامر الذي كان بينه وبين الناس
لاحق بصالح اعماله اي ملحق بعبادته ومعدود منها ومثاب عليه لما فيه من المنافع
والمزايا الدينية منتظم في زاكي وظايف عباداته اي معدود من عباداته الموظفة
اللازمة كالصلاة فهذا لشدة حسن منافعه كانه من نفايسها لمعدودة منها
وفي سلكها ففيه استعارة تخيلية وزاكي بمعنى نامي وقد كان صلى الله عليه وسلم
يخالف افعاله الدنيوية اي يخالف غيره فيما يخصه منها بحسب اختلاف الاحوال
التي تعرض له في فتقتضي المخالفة لحال الخرله ويعد بضم اوله وكسر ثانيه وتشديد داله
اي يهيئ ويقدم بتدارك منه للامور التي تستقبل اشباهها اي ما يناسبها ويشابهها
فيركب في تصرفه اي حركته من مكان لاخر لما قرب اي لمكان قريب حال اقامته الحمار
لسهولة ركوبه مع ما فيه من عدم التكبر وكان له صلى الله عليه وسلم حمار يسمى
يعفور مذكور في السير ويركب في اسفاره البعيدة الراحلة الابل ما يقوى على الحمل
ذكرا كان او انثى والهاء فيه للمبالغة لتحمله له الرحيل من تكونه في السفر مشابه لتلك
الحال لقوته وصبره وكان صلى الله عليه وسلم عدة ابل مذكورة في السير وقد
يركب صلى الله عليه وسلم احيانا قليلة البغلة في معارك الحرب اي في مواضع
او اوقات وقع فيها المعاركة والمقاتلة في حروبه وذلك لقوة قلبه صلى الله عليه
وسلم وشدة باسه وعدم خوفه من عدوه وكان ذلك بحنين وقد اشتد الباس
وبغلته التي ركبها هي دلدل وكانت شهباء ذكرا اهداها له المقوقس وله بغلة اخرى
والكلام عليه في السير دليلا على الثبات وانه لا يمكنه ان يفر ولا يريده اذ لو اراده
ركب الخيل ونصبه دليلا على انه مفعول له او حال ولا يرد على الاول شرط لاتحاد
فاعل العلة والمعلل لانه الراكب والدال وكان صلى الله عليه وسلم كان
اشجع الناس وقال علي كرم الله وجهه كنا اذا اشتد الباس اتقينا برسول الله
صلى الله عليه وسلم فيوم حنين لما راى شدة العدو وان من اصحابه من يفر
ركب بغلته قصدا منه حتى لا يقال فر وليشجع غيره لان البغل لا يصلح للكر
والفر فانظر هذا ففيه معجزات له يعلم منها في السير وكان صلى الله عليه

وسلم يركب الخيل ايضا ويعدها اي يهيئوها ويحضرها ليوم الفزع اصل
معنى الفزع الخوف ثم كني به عن خروج الناس بسرعة لدفع عدو ونحوه اذا جاءهم
بغتة وصار حقيقة عرفية كما في كامل المبرد فليس هو استعارة كما قيل
واغاثة الصارخ هو المصوت للاعلام بامر يطلب من يغيثه فهو معطوف
على يوم او الفزع وفيه اشارة لما وقع له صلى الله عليه وسلم بالمدينة من سماعه
من خاطنه عدو هجم على المدينة فركب فرسا لابي طلحة كان قطوفا اي غير سريع
المشي وذهب وحده فلم ير عدوا فرجع فلقيه من خرج خلفه راجعا فقال لهم لن تراعوا
اي لا تخافوا فقيل له كيف وجدت الفرس فقال وجدته بحرا اي واسع الخطو فلم يسبقه
فرس بعد ذلك ويقال للفرس الواسع الخطو بحر لان اصل معنى البحر السعة وكذلك
اي كما ان ما بينه وبين الناس كان على حسن نظام كان حاله في لباسه اي ملبوسه
وساير احواله وافعاله كلها متناسبة من غير تكلف فيها وتصنع فكان يضع كل شيء
في محله وهو معنى قوله السابق يعد للامور اشباهها كما قيل فاقسم لكل محل ما يليق به
فان للرجل حليا ليس للعنق يحسب اعتبار مصالحه الخاصة به في نفسه ومصالح
امته وكذلك كان يفعل الفعل من امور الدنيا وان لم يكن له فيه رغبة مساعدة
اي معاونة لامته فهو منصوب مفعول له وسياسة اي قد يفعله لاجل سياستهم
اي حفظهم وكراهيته لخلافها بتخفيف اليا مصدر والضمير للامة اي يفعل ما لم يرده
احيانا جبرا لقلوبهم وتانيسا بعدم مخالفتهم فيما يجوز وان كان قد يرى غيره كتركه
او فعل امر يخالفه خيرا منه لانه احب اليه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى فعله خير
امنه وقد يفعل هذا اي ما يرى تركه خيرا من فعله في الامور الدينية كما تقدم في امور
الدنيا مما كان له الخيرة بكسر الخا وفتح المثناة التحتية كما في المقتفى وقال غيره انه بكسر
الخا وسكون المثناة اسم من خار الله لك في كذا وما قيل انه بفتحها ليس بوجه اقول
لا وجه لهذا فان فعله بكسر ففتح مما ثبت في المصادر كخيرة وطيرة وفي الاسما كخيرة
كما صرح به النحاة في احد وجهيه دون الاخرى مما خيره الله في فعله وتركه ولولا ذلك
لم يجز مثله في الامور الدينية ثم مثله بقوله كخروجه صلى الله عليه وسلم باصحابه
من المدينة لاحد اسم لجبل معروف كانت عنده الوقعة المذكورة في السير فخرج
لمحاربة ابي سفيان وقريش وكان ذاك مذهبه اي رايه صلى الله عليه وسلم
المختار عنده والمذهب يطلق على هذا المعنى كما قال ابو نواس ومن مذهبي حب الديار
لاهلها وللناس فيما يعشقون مذاهب التحصن بها اي عدم الخروج وذلك
لان بعض الصحابة رضي الله عنهم الذين لم يحضروا غزوة بدر احبوا خروجه صلى الله
عليه وسلم من المدينة للقتال وكان صلى الله عليه وسلم راى رويا تدل
على بعض قتل اصحابه وامور اخر فقصها عليهم واولها لهم كما في السير واراد تركه

للخروج فرعبوه فيه فدخل منزله فلبس درعه ولامته حربه فندموا على مخالفته
وقالوا له لما خرج الرأي لك فقال ما كان لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يحكم الله
بينه وبين عدوه ومضى فكان ما كان من جراحته وقتل حمزة وغيره فهذه قضية دينية
ترك فيها ما احبه لما راه اصحابه وكلاهما اجر جائز ومن ذلك تركه قتل المنافقين
وهم المظهرون للاسلام مع اخفا الكفر وهو لفظ اسلامي لا تعرفه العرب قبله يما
ماخوذ من نافقا اليربوع وهو مخرج يستره في جحره ليخرج منه اذا احس بما يؤذيه
ويطلق على كل من خالف ظاهره باطنه كما تقدم بيان ذلك كله وهو صلى الله عليه
وسلم على يقين من امرهم باخبار الله تعالى له به وبما يظهر من لحن لهم من ايذائه وما بلغه
عنهم مما لو ظهر لا اقتضى كفرهم وزندقتهم وقتلهم ولكنه صلى الله عليه وسلم
حكم بظاهر حالهم موالفة لغيرهم ممن يرجى اسلامه او خلوص ايمان من قرب عهده بالاسلام
ورعايته للمؤمنين من قرابتهم اسم جمع بمعنى الاقربا كالصحابة كما قاله ابن مالك فلا يحتاج
لتاويل وتقدير كما توهم وبذلك يسرون وتطمين قلوبهم وهما مفعولان له وكراهته لان
يقول الناس من اعاديه قدحا على زعمهم ان محمدا يقتل اصحابه يتصدون به من يريد الاسلام
عنه كما جا في الحديث الذي رواه البخاري في عبد الله بن ابي بن سلول لما قال في غزوة بني
قينقاع ليخرجن الاعز منها الاذل وبلغه صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة
نقتله لنفاقه فقال صلى الله عليه وسلم فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل
اصحابه والحديث مشهور ومما كان يرتكب فيه احد الجائزين تطييبا للخواطر تركه بنا الكعبة
على قواعد ابراهيم حين بناها مع اسماعيل عليهما الصلاة والسلام وكان مقدار
ذرع من الحجر ستة او سبعة او خمسة داخلا فيها ولها بابان ملصقان بالارض فلما
بنتها قريش قبل البعثة لم تف نفقتهم ببنايها كذلك فاخرجوا بعض الحجر منها وجعلوا لها
بابا واحدا مرتفعا والكلام على ذلك وكم بنيت وامتناعه وجوازه مفصل في محله
وللسيد السمهودي فيه تاليف مستقل نفيس مراعاة لقلوب قريش مفعول لاجله
فانها لا ترضى بذلك وتعده تغييرا لماثرهم للتفرد بفخره عنهم وتعظيمهم لتغييرها
عما بنته اباؤهم ولخوفهم من هدمها وحذرا من نفل وقلوبهم عنه صلى الله عليه وسلم
لمن لم يقوا ايمانه ومن به بقية من الجاهلية وتركه حذرا من تحريكه متقدم عداوتهم
للدين اي دين الاسلام واهله فقال صلى الله عليه وسلم لعايشة في الحديث الصحيح
الذي رواه الشيخان وغيرها لولا حدثان قومك بكسر فسكون مصدر بمعنى الحدوث
ضد القدم اي تجدده وعدم رسوخه والمراد به هنا القرب اي لولا قرب عهدهم
بالكفر والشرك لاتممت البيت اي لبنيته على تمامه وكماله على قواعد ابراهيم التي كان
بناه عليها وعلى هيئته الاولى بادخال بعض الحجر الخارج منه فيه والصاق بابيه
بالارض وجعل ارتفاعه على ما كان عليه ومن تركه احد الجائزين ما يقاربه ويشبهه

انه

انه صلى الله عليه وسلم كان يفعل الفعل الذي صدر منه ثم يتركه لكون غيره خيرا منه
وان كانا جايزين له كانتقاله من ادنى انا ر مياه بدر وهي ارض معروفة اي قيامه
برحله من منزله عنده وقد اشار عليه الحباب بن المنذر كما تقدم الى قربها للعدو
وذلك العدو من كفار قريش الذين وقعت معهم غزوتها وتغويره ما استغنى
عنه من العيون تضييقا عليهم لعتوهم وكفرهم وكان نزل اولا على غيرها فقال له
الحباب بن المنذر ابوحي هذا ام راي قال الراي فاشار عليه بما ذكر ونزل عليه جبريل
وقال الراي ما اشار به الحباب كما تقدم وكقوله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع
كما رواه الشيخان ولو استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت الهدي الى اخر
الحديث والهدي بفتح فسكون وبا مخففة ويجوز كسر ثانيه وتشديد ثالثه وبهما
قري وهو ما يساق من الابل لينحر في الحرم ويتصدق بلحمه وهو انه صلى الله عليه وسلم
احرم بالحج مفردا وساق معه هديا فلم يحل له ان يلبس ويحل من احرامه حتى يبلغ الهدي
محله يوم النحر وكان اصحابه رضي الله تعالى عنهم تمتعوا بالعمرة وفكوا احرامهم فلما
علموا انه صلى الله عليه وسلم لم يتمتع كرهوا تمتعهم بلباسهم ونسايهم خلاف
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم صلى الله عليه وسلم لو استقبلت الخ
اي وددت اني مثلكم اتمتع لو لم يمنعني سوق الهدي وعقد النية وهذا ان مران جايزان
فعل احدهما وغيره اجب اليه بيانا للجواز واختلف ايهما افضل كما ذكر في كتب الفقه
بقوله استقبلت من امري المراد من احرامه ومعناه لو لم يصدر مني ما صدر مما
يمنع موافقتكم وهو سوق الهدي واستقبالا له كناية عن عدم وقوعه وتقدمه واستدبارا
كناية عن وقوعه لان ما وقع ومضى كانه خلفك وما لم تفعله قدامك موجود ولو
للتمني اي وددت ان ما صدر مني من سوق الهدي كانه لم يكن حتى اوافقكم والشاهد
فيه لما ذكره ظاهر وكان صلى الله عليه وسلم يبسط وجهه للكافر والعدو وممن هو
من اعاديه رجا استيلافه اي ان يولف بينه وبين المسلمين بهدايته للاسلام وعدم
نفرته لما يراه من لطف الله تعالى به واظهاره له ما يحبه وتقدم ان بسط الوجه عبارة
عن البشاشة واظهار المسرة لان غيره يقطب وجهه ويجد اسارير جبهته وكان
صلى الله عليه وسلم يصبر للجاهل المراد به هنا غير متعارفهم فانه في كلامهم
بمعنى العتو والغلظة والتكبر الحامل على تجاوزه كقوله ونجهل فوق جهل الجاهلينا
اي يصغي ويقول صلى الله عليه وسلم اذا بدا من مثله ما لا يريد وسيئل عنه كما ورد في
حديث رواه الشيخان عن عايشة رضي الله عنها ان من شر الناس شر مخففا شر اسم
تفضيل اي اخبثهم واكثرهم شرا من اتقاه الناس اي توقوا منه وتجنبوه وسالموه
وداعوه خوفا منه لشره اي من اجله فان مثله يخشى منه ويبذل بموحدة وذال معجمة
اي يعطي له الرغايب جمع رغيبه وهي ما يرغب فيها كالعطايا الكثيرة ونحوها ليجتنب

اليه بشريعته فان الجاهل ميله للدنيا فاذا راها منه احبه واطاعه فيما يامره به
من الشرع ودين دبر من دانه اذا ساسه وقهره والفرق بين الدين والشريعة مشهور
ويتولى اى كان صلى الله عليه وسلم يباشر ويفعل بنفسه في منزله اى في داخل بيته
مع اهله ما يتولاه ويفعله الخادم تواضعا منه صلى الله عليه وسلم من مهنته
الضمير للمنزل او له وهى بفتح الميم وسكون الها وبالنون قبل تا التانيث والضمير
وهى بمعنى الخدمة واصلها الابتذال والمسموع فيها الفتح والكسر خطا وان كان هو
القياس كالخدمة والجلسة كما نقله الزمخشرى عن الاصمعى وفى القاموس المهنة بالكسر
والفتح وككلمة الخدمة والعمل وعن عايشة رضى الله تعالى عنها كان صلى الله عليه
وسلم يخصف نعله ويخيط ثوبه ويعمل فى بيته كما يعمل احدكم فى بيته ويقم بيته
ويحلب شاته وياكل مع الخادم ويعجن ويحمل حاجته من السوق كله للتواضع وتعليم
للامة وهو من سنن الانبيا عليهم الصلاة والسلام ويتسمت بفتح تا المضارعة
تفعل من السمت وهو التلبس بالهيئة الحسنة والسمت بسين مهملة وهو القصد
الحسن وقيل الهيئة والمنظر الحسن فى نفسه ولباسه وفى القاموس السمت الطريق
وهيئة اهل الخير والسير على الطريق والقصد انتهى واهل المعقول يستعملونه
بمعنى المقابل للشى والجهة وهو قريب منه فى ملائه فى بعض النسخ بفتح الميم واللام
وكسر الهمزة قبل الضمير وعليه اقتصر الشيخ الجديد وهو انسب بما قبله من قوله فى منزله
اى كان صلى الله عليه وسلم فى منزله على نهج الخادم فى خدمته وغيرها فاذا برز
للملاء من اصحابه وجلسايه من الاشراف برز على هيئة حسنة مستترا بازاره لشدة
حيايه وادابه وقال البرهان وغيره انه فى ملائه بضم الميم والمد جمع ملاءة وهى
الملحفة وفى المطالع لابن قرقول انه مقصور مهموز ونقله النووى عن المشارق للقاضى
قال وهو غلط من الناسخ بلا شك والملاحفة عبر يملون العيون مهابته وجلاله
والاول انسب ايضا بقوله وحتى الخ وقال التلمسانى انهما روايتان اعنى ملائه
حتى لا يبدو اى لا يظهر من شى بشغله من اطرافه اى اطراف بدنه كساقه واقدامه كما هو
عادة الاشراف المتحشمين فى الخلوة والنادى وحتى كان على روس جلسايه الطير اى
لمهابته ومهابة ذلك لا يرفع احد عنده راسه ولا يطيل نظره اليه توقيرا له وتكريما
لرزانة عقولهم لان الطير لا يقع الا على ساكن من جذع وحايط ونحوه فشبهوا بذلك
ووجه الشبه ظاهر كما قلت فى مقصورتى فى مدحه صلى الله عليه وسلم وشرف
وكرم كانما الطير على روسهم من كل غصن فى ربا المجد نما ويتحدث مع
جلسايه بحديث اولهم اى بما كان لمن قبله من اوايلهم بحكاية ما كان قبل الاسلام
من حروبهم كيوم بعاث وغيرها كحلف الفضول وقيل المراد انه يتكلم بحديث اول
متكلم منهم اى بما يناسبه لانه يعيده لهم ويتعجب مما يتعجبون منه لخفا سببه ولا

يفارضهم

يفارضهم ولا ينكر عليهم تانيسا لهم وجبر الخواطرهم بكمال خلقه ولطفه ويضحك معهم
مما يضحكون منه مما يقتضيه حديثهم فلا يعبس كالجبابرة الا ان ضحكه صلى الله عليه
وسلم على عادته التبسم بلا قهقهة وبلا ابدا داخل الفم فلا ينافى قول عايشة رضى الله
عنها ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا ضاحكا بجميع فمه حتى تبدو لهواته
قد وسع الناس اى عم جميع الناس من عنده بشره اى طلاقة وجهه وبشاشته فى
وجوههم ووسعهم عدله وتسويته بين جلسايه او لا يحيف ويجور على احد عنده
او على احد من الخلق اصلا لا يستقره اى لا يقلقه الغضب اذا صدر من احد ما يغضبه
لوقاره وشدة صبره على الاذى من بعض المنافقين وجفاة الاعراب الواردين
عليه قال تعالى واستفزز من استطعت منهم اى ازعجه وهو من الفز بمعنى الخفة و
مع حمله لا يقصر عن الحق فيوفيه حقه ولا يترك منه شيا ولا يبطن اى لا يخفى
فى باطن امره على جلسايه ممن هو عنده شيا مما يريده ويقول لا علامهم بانه لا يخفى
عليهم امرا ما كان اى لا ينبغى ولا يليق ولا يصح وما كان نجاة لهذه المعانى لنبى
ان تكون له خاينة الاعين اى ليس له ان يغمز ويشير بطرف عينيه لاحد ان يفعل شيا
خفاه ولم يتكلم به وقد تقدم ذلك فى حديث الفتح فى رادته صلى الله عليه وسلم
قتل ابن ابى سرح لما توقف عن مبايعته ليقوم له من يضرب عنقه لانه صلى الله
عليه وسلم كان اهدر دمه فلما بايعه ومضى قالوا هلا اقمت اليه من يضرب عنقه
فقيل له هلا اومات الينا يا رسول الله فقال ما كان لنبى لخروجه ذلك عليه
عدت من خصايص الانبيا كما مر وفى النهاية خاينة الاعين ان يضمر فى نفسه ما لا
يظهره بلسانه فيومى له بعينه وهو خيانة والخاينة مصدر بمعنى الخيانة
او اصله الا عين الخاينة وقد تقدم فان قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم
لعايشة رضى الله تعالى عنها فى حديث رواه الشيخان وغيرهما عنها فى الداخل عليهما
وهو عيينة ابن حصن الفزارى وقيل هو وقيل انهما واقعتان بعد دتا بيس
ابن العشيرة هو والعشيرة بنو الاب الادنون او القبيلة فلما دخل الان له القول اى
تلطف بعد ما قاله فى حقه وضحك معه لمقاله الدال على حمقه فلما ذهب سالته
صلى الله عليه وسلم عايشة عن ذلك الذى فعله معه بعد ما قاله قال ان من شر
الناس من اتقاه الناس لشره تقدم تفسيره قريبا وكيف جاز منه صلى الله عليه
وسلم ان يظهر له خلاف ما يبطن اى يخفيه عنه مطلقا ويقول فى ظهره اى
فى غيبته بعد ما ذهب وولى ظهره ما قال فى حقه من قوله بيس ابن العشيرة
بعد الانة القول له وضحكه فى وجهه وقد قرر ان عيينة هذا من المولفة قلوبهم
وكان قبل اسلامه دخل بغير اذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عايشة
فقال له بلا اذن فقال ما استاذنت على احد من مضر لانه كان رييسا فى قومه

ويقال له الاحمق المطاع في قومه ثم قال له ما هذه الحميرا فقال ام المومنين فقال الا انزل لك عن اجمل منها فقالت يا رسول الله من هذا قال هو الاحمق المطاع في قومه وهو على ما ترى سيد قومه ثم اسلم وله ترجمة فيها بعض اموره قيل وفي الحديث دليل على جواز غيبة الكافر والفاسق المجاهر ويأتي ما فيه وما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم مداراة لا مداهنة والفرق بينهما مشهور ويأتي عن قريب وقد قيل لو ذكر المص هنا في الفصل الذي قبله كان اولى والجواب عما ذكر ان فعله صلى الله عليه وسلم لما ذكر كان استيلافا لمثله من اجلاف العرب واشرارهم رجا الاسلامهم ودفعهم بالتي هي احسن حتى يلين قلبه ويحسن اسلامه وقد وقع وكان معه من قومه اكثر من عشرة الاف والمراد بمثله من هو سيد مطاع كثير الاتباع وهو انسب بما بعده وقول القرطبي رحمه الله ان هذا الحديث يدل على ان عيينة كان له سوء الخاتمة لجعله في الحديث شر الناس لا وجه له لان الحديث عام غير مخصوص بالمذكور حتى يدل على ما قاله فهو شامل لكل متصف بهذه الصفة وتطييبا لنفسه حتى يذعن للاسلام فيهديه الله تعالى له حتى يشاهد معجزاته صلى الله عليه وسلم ويشرق عليه من نوره ما يشرح به صدره فيتمكن ايمانه اي يقر ويثبت في قلبه بحيث لا يقبل الزوال ويدخل بسببه لانه كان رئيسا كثير الاتباع كما مر في الاسلام اتباعه لانقيادهم له وكونه معهم كظل لا يفارقه ويراه اذا اسلم واطاع مثله من سادات العرب والجبابرة منهم فينجذب اي ينقاد مذعنا الى الاسلام لما يراه من اتباع غيره له من الروسا ومثل هذا اي من قوله لاحد من الناس في وجهه شيا وذكره خلافه بعد ذهابه على هذا الوجه يخرج فيقال انه في حق من تحل غيبته وانه لتاليف لما ذكر من الفوايد قد خرج لهذا عن حد مداراة الدنيا اي عن المداراة التي هي لاجل امور الدنيا الى السياسة الدينية اي التدبير بتاليف القلوب الداعي لدخول الناس في الاسلام من غير ضرر وتعب فهو من جملة مصالح الدين ومهماته وقد كان صلى الله عليه وسلم يستالفهم اي يطلب تالف قلوبهم للاسلام ببذل اموال الله من الغنايم العريضة اي الكثيرة جدا والعرض مقابل الطول يستعار لما ذكر كثيرا فيقال له مال وغنا عريض ووجه الشبه ظاهر واختياره على الطول ادخل في المبالغة لانه اذا عظم عرضه علم عظمة طوله التزاما كما لا يخفى وهذا نحو ما وقع له صلى الله عليه وسلم انه اعطى بعضهم واديا مملوا بالغنم فاسلم واسلم قومه لما قال لهم يا قوم انه يعطي عطا من لا يخاف الفقر فكيف لا يتالفهم مع تالفهم بالاموال العريضة فكيف بالكلمة اللينة بانه يعلم ما لم يطرق الاولى ويبعد عدمه جدا والاستفهام انكاري يفيد الاستبعاد كقوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم وعطاياه صلى الله عليه وسلم

وكثرتها

وكثرتها للمولفة قلوبهم لا تحصى وهو مداراة حسنة وقربة عظيمة والفرق بين المداراة وبين المداهنة ان المداهنة ما فيه رضى بامر غير مشروع لغرض فاسد والمداراة ما فيه لطف بامر مشروع لمصلحة محمودة قال صفوان بن امية بن خلف بن وهب الجمحي الصحابي احد الاشراف الفصحا الاجواد اسلم بعد حنين وتوفي سنة اثنين واربعين رضي الله عنه واخرج له اصحاب السنن وفي الصحابة من اسمه صفوان غيره ستة عشر لقد اعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابغض الخلق الي لما كان في قلبه من عداوته له صلى الله عليه وسلم فما زال يعطيني من مواهبه الجزيلة من غير سوال حتى صار احب الخلق الي لما راه من احسانه له من غير امتنان وعطف على ما كان منه في الكفر والعدوان ثم اشار الى جواب سوال تقديره انك قلت ان قوله بيس ابن العشيرة لم يقله في وجهه والذي خالفه قاله ليولفه وهذا غيبة محرمة شرعا فكيف صدر منه صلى الله عليه وسلم ما حرمه الله تعالى بقوله وقوله صلى الله عليه وسلم فيه اي في حقه عيينة بن حصن الداخل عليه بغير اذنه كما مر بيس ابن العشيرة هو في حقه غير غيبة منهي عنها بل هو تعريف بما علمه منه من خصاله القبيحة المذمومة لمن لم يعلم حاله فعرفه ذلك ليحذر حاله ويحترز منه باجتنابه ليسلم من شره ولا يوثق بجانبه اي بما يكون من جهته من قول وفعل كل الثقة اي وثوقا كليا لما علم من حمقه وجاهليته لا سيما وقد كان مطاعا اي سيدا مهابا بين العرب يطاع امره متبوعا اي له اتباع كثيرة من العرب اذا امرهم اطاعوه فيخشى من شره ومثل هذا الذي صدر منه صلى الله عليه وسلم من ذمه له مع لين قوله له اذا كان لضرورة اقتضاها الحال من دفع شره بلا ضرر عاجل منه للمسلمين يشتهي دفعه ودفع تضرر اي ازالة ضرره لم يكن ذلك بغيبة منهي عنها شرعا حتى يعترض ويقال كيف يصدر مثله منه صلى الله عليه وسلم وهو معصوم ثم انتقل على طريقة الترقي في رتبة مقام النبوة فقال بل كان جايزا منه لتعريف حاله من غير قصد ذمه بل كان واجبا عليه صلى الله عليه وسلم ان يبين بعض ذلك اذا خشي من لا يعرفها في بعض الاحيان تجمع حين والمراد زمان توقع الضرر فلا يجوز تاخير بيانه عن وقت الحاجة اليه كعادة المحدثين اي علما الحديث النبوي في تجريح الرواة بذكر عيوبهم لئلا يعمل بما رواه كفلان كذاب وغير ثقة او اختل عقله او دينه والجرح معروف استعير لذكر العيوب كقوله ولا يلتام ما جرح اللسان وصار حقيقة فيه وكعادة المزكين في تجريحهم الشهود اذا سالهم الحاكم عنهم تقبل شهادتهم او لا فيجب عليهم ذكر ما يعلمون من حالهم خيرا وشرا وسمي مزكيا واصله من تطهر بدفع المعايب ونفيها اشارة الى ان حق الانسان ان يتصف بالخير وشاع في المعنى العام وكان هذا

واجبا لما فيه من دفع الفساد عن الاحكام الشرعيه وصيانة حقوق الناس
وقد استثنوا من الغيبه مع ما ذكر امورا اخر فى صور ستة ذكرناها فى غير هذا
المحل وجمعها بعضهم فى قوله القدح ليس بغيبة فى ستة متظلم ومعرف
ومحذر ولمظهر فسقا ومستفت ومن طلب الاعانة فى ازالة منكر
فقول المصنف انها ليست بغيبة يجوز بقاوه على ظاهره ان قلنا هذه لا تعد غيبة
شرعا لجوازها او وجوبها فان قلنا انها ذكر المرء بما يكره فى غيبته مطلقا
نقيده مقدر اى ليست بغيبة ياثم قايلها ويمتنع عليه شرعا فلا يرد عليه
شىء فان قيل فما معنى المعضل اسم فاعل من اعضل الامر اذا اشكل واعيى وكان
هذا مشكلا لما سياتى وليس المراد بالمعضل هنا ما فى مصطلح اهل الحديث
واصل الاعضال عسر الولادة فاريد به ما ذكر ووقع فى نسخة المفصل بفا وصاد
مهملة الوارد فى حديث بريرة رضى الله تعالى عنها الذى رواه الشيخان وبريرة
فعيلة بمعنى فاعلة او مفعولة وكانت مملوكة لبعض الانصار او بنى هلال اولهما
وقيل كانت لعتبة بن ابى لهب وقيل لبعض بنى كاهل وكانت تخدم عايشة رضى الله
عنها قبل عتقها وتوفيت فى زمن معاوية رضى الله عنه واختلف فى جنس بريرة فقيل
كانت قبطية غير سودا وقيل حبشية سودا من قوله صلى الله عليه وسلم بيان
للحديث المعضل لعايشة رضى الله تعالى عنها وقد اخبرته ان موالى بريرة اى المالكين
لها ابوا بيعها اى امتنعوا من بيعها واختلف فى المخبر له صلى الله عليه وسلم
هل هو عايشة او بريرة او غيرهما كما وقع فى روايات للحديث الا ان يكون لهم الولا
اى ولا العتاقة وهو معروف فى كتب الفقه فانهم كانوا كاتبوها فعجزت واستعانت
بعايشة رضى الله عنها فقالت لها ان اراد اهلك دفعت لهم ثمنك واعتقتك
ويكون ولاوك لى فابوا ذلك وكانوا كاتبوها على تسعة اواق فى كل سنة وللفقها
اختلاف فى صحة بيع المكاتب مطلقا او اذا عجز كما بينوه فقال صلى الله عليه
وسلم لها اى لعايشة لما اخبرته بقولهم اشتريها منهم واشترطى لهم الولا
كما ارادوا ففعلت اى اشترتها بشرط ان الولا لهم اذا اعتقتها والولا عصوبة
شرعية معروفة لحديث الولا لحمة كلحمة النسب ثم قام صلى الله عليه وسلم
خطيبا على عادته فيما اذا اراد بيان امر للناس فقال صلى الله عليه وسلم
فى خطبته ما بال اقوام اى ما شانهم وما حالهم وكان عادته صلى الله ابهام
من صدر عنه ما لا يرضاه فلم يقل ما بال فلان والاستفهام انكارى يشترطون
شروطا غير جايزة ليست فى كتاب الله تعالى ولم يشرعها لهم من امور الجاهلية
كل شرط ليس فى كتاب الله ولا فى حديث نبيه صلى الله عليه وسلم الذى
هو حكمه فهو باطل كشرط الولا هنا والشرط على اقسام جايز وممتنع ولغو

وباطل وتفصيله فى كتب الفقه لا حاجة للتطويل به هنا ثم بين وجه الاشكال
فى الحديث بقوله والنبى صلى الله عليه وسلم قد امرها اى عايشة رضى الله
عنها بشرايها بالشرط لهم اى بشرط الولا لهم اذا اعتقتها وعليه باعوها اى على
هذا الشرط وقع بيعهم لها ولولاه اى شرط الولا بضمير متصل وهو جايز
والافصح انفصاله نحو لولا انتم وبيانه فى كتب النحو والله اعلم جملة معترضة
بتفويض علمه لله تعالى تادبا ما باعوها من عايشة رضى الله عنها لانهم ابوا البيع
بدونه كما تقدم كما انهم لم يبيعوها قبل مبنى على الضم اى قبل شرط الولا لهم حتى
شرطوا ذلك اى كون الولا لهم ثم ابطله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم وهو
اى والحال انه صلى الله عليه وسلم حرم الغش اى التلبيس واخفا ما يضره مقابل
النصح والخديعة فقال من غشنا فليس منا ولا خلابة اى لا خداع فى المعاملة
فكيف امر صلى الله عليه وسلم عايشة بفعل ما لا يجوز ولولاه ما باعوها ففيه
غش وخديعة فدفعه بقوله فاعلم اكرمك الله كما اكرمت مقام النبوة بتنزيهه
عما لا يليق به والجملة دعايية معترضة لدفع الاعتراض ان النبى صلى الله عليه وسلم
منزه اى مبرو ومبعد عما يقع فى بال الجاهل بالحديث ومقام النبوة اى فى فكره او قلبه
وخاطره لا شانه وحاله من هذا الامر الذى يتوهم انه غش وخديعة ولاجل تنزيه النبى
صلى الله عليه وسلم من ذلك الذى يتوهمه جاهل بما ذكر ما قد انكر قوم هذه الزيادة
قوله صلى الله عليه وسلم وهو بدل من الزيادة اشترطى لهم الولا وانما انكروها اذ ليست
فى طرق الحديث هذا ما ذهب اليه الخطابى وقيل ان الشافعى ذكره فى الام وانه وقع
فى طريق لم يتابع عليها وهو مردود وقد علمت ان الواقع فى النسخ تنزيه بصيغة المصدر
فما زايدة وهو ظاهر وروا ه بعضهم ينزهه مضارع فاعرب ما فاعلا له والظاهر انه
من تحريف النساخ وعدم تثبت القايل ومع ثباتها وصحة روايتها وهو الذى عليه الاكثر
ورواه الثقات من طرق متعددة صحيحة فلا وجه لانكارها لكنه اختلف فى توجيهه
بوجوه تاتى وحينيذ فلا اعتراض بها على هذا التقدير لان ثبوت هذه الروايه هو الذى
ذكره الجمهور وقالوا انه ورد من طرق صحت وما قيل انها لم ترد الا من طريق واحد لم يتابع
عليه مردود كما فى شروح الصحيحين والحامل عليه ما ذكر من الاشكال وهو مدفوع بوجوه
منها ما اشار اليه بقوله اذ يقع لفظ لهم بمعنى عليهم على ان اللام بمعنى على فى كلام العرب
كعكسه والشاهد عليه ما قال الله تعالى اولئك لهم اللعنة اى عليهم وقال تعالى
وان اساتم فلها اى فعليها كقوله ولهم سوء الدار فعلى هذا التاويل بجعل اللام بمعنى على
كما فى الايتين يكون معنى الحديث فاشترطى عليهم الولا لك يا عايشة فان الولا لمن اعتق
لا لمن باع ويكون على هذا التقدير قيام النبى صلى الله عليه وسلم على منبره ووعظه
بقوله ما بال اقوام الخ انكارا وزجرا لما سلف منهم اى لما تقدم من طوايهم من شرط الولا

على بريرة بنت صفوان قبل ذلك اى قبل وعظه تاديبا لهم وارشادا لمن خالف كتاب الله
وشريعته وهذا التوجيه منقول عن المزني واسنده البيهقي الى الشافعي رضي الله
عنه وجزم به الخطابي وصححه وانكره غيره وقال النووي انه ضعيف لانه صلى الله
عليه وسلم انكر اشتراطهم ذلك ولو كانت اللام بمعنى على لم ينكره وكون انكاره
لارادتهم الاشتراط لهم اولا يأباه سياق الحديث وقال ابن دقيق العيد رحمه الله
تعالى اللام تدل على اختصاص امر ما ضارا كان او نافعا كما نقول العقاب لزيد فلا حاجة
لجعلها بمعنى على حيث لا لبس وعلى كل حال فضعف هذا الجواب ظاهر ووجه
ثان عما استشكلوه في هذا الحديث بعد ثبوت روايته هكذا ان قوله صلى الله عليه
في هذه الرواية لعايشة اشترطي لهم الولا ليس صادرا منه صلى الله عليه وسلم
على معنى الامر فان صيغة الامر ترد لمعان كثيرة نحو قوله كن فيكون كما بين في الاصول
وان كان حقيقته المتبادرة منه الامر الطلبي ثم استدرك مبينا ان المراد على هذا
فقال لكن انما ورد امر اشترطي على معنى التسوية اي لتسوية الاشتراط وعدمه
واصله اشترطي ولا تشترطي كما ياتي وهذا المعنى يرجع الى الاباحة والتسوية من
معاني او وقد يضاف للامر ايضا وجمع بينهما بانه يفهم من قرينة السياق فيصح
نسبته لكل منهما ويؤيد هذا وان قيل انه ضعيف جدا انه ورد في بعض طرقه اشترطي
او لا تشترطي فانما الولا لمن اعتق ولما كان هذا يتوقف على ان الموالي كانوا يعلمون ان هذا
الشرط شرعا غير معتبر اشار الى ذلك بقوله والاعلام بالجر عطف على التسوية
بان شرطه لهم اي شرط الولا للموالي المذكورين لا ينفعهم ولا يفيدهم شيئا منه لعدم
وروده ما يجوزه بعد بيان النبي صلى الله عليه وسلم قبل مبني على الضم اي قبل وقوع
هذه القصة ان الولا انما هو لمن اعتق فكانه صلى الله عليه وسلم على هذا التقدير
قال لها اي لعايشة رضي الله تعالى عنها اشترطي او لا تشترطي فالاشتراط وعدمه سوا
ويؤيده انه روي هكذا كما مر وانما استوى هو وعدمه فانه شرط غير نافع لانه لغو
لا يفيدهم انتقال الولا لهم والى هذا التوجيه ذهب الداودي وهو الامام ابو الحسن
عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن داود المعروف بالداودي كما تقدم في ترجمته وغيره
من العلما وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم لهم اي تعييره هم بتقبيح فعلهم على منبر
وتقريعهم بلومهم بين الناس على ذلك اي على امتناعهم بدون اشتراط الولا لهم يدل
على علمهم به اي بعدم نفع اشتراطهم قبل هذا اي قبل ما قاله صلى الله عليه وسلم
لهم لانهم يكونون معذورين بجهلهم لهذا غير مستحقين للتقريع والتوبيخ فسقط
ما قيل انه مخالف للظاهر متوقف على ثبوت علمهم بهذا الحكم قبل خطبته صلى الله
عليه وسلم الوجه الثالث في الجواب عن هذا الاشكال ان معنى قوله اشترطي لهم
الولا اخبار ان مقدر تقديره صحيح ونحوه اذ لا يصح اقتران الخبر باي قوله اي اظهري

لهم حكمه من انه لمن اعتق لا يتخطاه لغيره وان اشترط له وبيني لهم عند سنته
اي طريقته وما شرعه فهو بالمعنى اللغوي لا مقابل الفرض ان الولا انما هو لمن
اعتق بفتح الهمزة والتشديد بدل من قوله سنته ثم بعد هذا الذي ذكره من عدم
فايدة الشرط قام هو صلى الله عليه وسلم في خطبته مبينا ذلك الحكم وموبخا
لهم على مخالفة ما تقدم منه صلى الله عليه وسلم من ان هذا الشرط لا يجدي
نفعا وفيه اشارة لما قدمه من ان لهم علما بهذا الحكم قبل خطبته فيه اي في الولا
او في امر بريرة ولا يخفى ما في هذا الوجه من الاغلاق فان اراد قايله ان امر اشترطي
ليس على ظاهره وانما هو مجاز عن معنى اظهري لهم حكم الاشتراط وبيني لهم حكم الشرع
فيه وطريق النبي صلى الله عليه وسلم وشريعته في انه انما هو لمن اعتق فوجه
المجاز فيه وعلاقته غير بينة وقد قيل في بيانه ان هذا الامر للتهديد لهم كقوله
اعملوا فسيرى الله عملكم لانه سبق بيانه فكان ذلك معلوما لهم واخبرهم فطلبهم
له بعد ذلك امر منكر مستحق للتوبيخ وقال الشافعي في الام انهم لما عصوا الله باشتراط
ما قضى بخلافه امرها ان تشترطه لهم بحسب الظاهر حتى يزجرهم ويردعهم لان توبيخ
من ارتكب المعصية بعد ارتكابها اقوى من زجره قبله واعظم في النهي عنه فقال لها
اشترطيه ليتاتى ردعه وقال بعضهم هذا الامر لترك المخالفة والنزاع فالامر مجاز
عن التخلية بينهم وبين ما ارادوا اظهارا لعدم امتثالهم للنهي السابق وهو ابلغ زجر
لا اباحة وهذا ما قرره المفسرون في قوله تعالى وما هم بضارين به من احد الا باذن الله
فعبر عن التخلية بينهم وبين الاضرار مجازا وقال النووي انه حكم خاص بعايشة
رضي الله تعالى عنها وفيه نظر ثم استطرد بعض ما وقع لغيره صلى الله عليه وسلم
من الانبيا مخالفا لما قرره من براتهم عما تقدم فقال فان قيل فما معنى فعل يوسف بن يعقوب
نبي الله عليهما الصلاة والسلام باخيه شقيقه بنيامين اذ جعل السقاية هي انا من
فضة او ذهب مرصع او زبرجد وفيه اقوال اخر كان يشرب منه اولا ثم جعل صاعا
يكال به ولها قيمة عظيمة فدسها يوسف او امر باخفايها في رحله بين امتعة اخيه
لياخذه بها وكان من شرعهم اخذ من سرق والرحل رحل البعير وامتعة المسافر التي تحمل
عليه واخذه اي اخذ يوسف اخاه باسم سرقته اي بسبب نسبته لسرقة الصاع
واقحم اسم الاشارة الى انها تهمة لا اصل لها كما يقولون ما لفلان من الامر الا اسمه
وما جرى على اخوته في ذلك اي ما كان بينهم في تلك القصة كما بينه المفسرون والمورخون
وقوله اي يوسف صلى الله عليه وسلم انكم لسارقون ولم يسرقوا فكيف يقول
ما لا اصل له وهو نبي معصوم ففيه اشكال يشبه ما في قصة بريرة فاعلم علما يزيل
عنك الشبه اكرمك الله بما من الله به عليك من العلم ان الاية التي في قصة يوسف
تدل بظاهر النظم على ان فعل يوسف مع اخوته كان عن امر الله تعالى له بوحي يقول فيه

قلهم كذا او فعل معهم كذا فلا يرد عليه اعتراض لانه بامر الله وبحكمه لقوله تعا
كذلك كدنا ليوسف ما كان لياخذ اخاه في دين الملك الا ان يشا الله فاذا كان
كذلك اي ما فعله بامر الله تعالى وتعليمه واذنه له فيه فلا اعتراض به عليه فيما
قاله وفعله وبما وقع من حكمه بخلاف الواقع لانه يجب عليه امتثال امر ربه وكونه
ما امر به مخالف الشريعه فانه لا يسال عما يفعل وقد يامر بعض انبيايه ان يحكم
بالباطن لحكمة كما في قصته الخضر عليه الصلاة والسلام مع موسى وبه
استدل من ذهب من الايمه الى جواز الحيل كابي حنيفة واصحابه خلافا للشافعية
فان لهم فيها خلافا فمعنى كدنا ليوسف علمناه ما يكيد به اخوته حتى ياخذ اخاه
منهم والكيد قريب من المكر وهو اظهار ما يخالف الباطن للتحيل على ما يريده
ودين الملك بمعنى طاعته بابقايه بمصر او ما كان من دينه من اخذ من سرق وقوله
الا ان يشا الله يدل على ان فعله بارادته ورضاه وبهذا سقطت الشبهة المذكورة
وان كان فيه ما فيه اي وان وقع فيه ما ذكر مما يخالف ظاهر الواقع ويقتضي
الخديعه بما يليق بمقام النبوة وايضا مما يجاب عن هذه الشبهة فان يوسف كان
اعلم اخاه بنيامين حين اخذه من اخوته بكيده وتدبيره فقال له سرا وهم لا يعلمون
باني انا اخوك فلا تبتيس اي لا تحزن فيكون عندك بوس وشدة حين اسند لك السرقة
واخذك عندي واحرم ان لا يعلمهم بما قاله له فرضي وقال اذن لا افارقك بما كانوا
يعملون مما يقولون ويخافون وكان ما جرى عليه اي على اخي يوسف بعد هذا اي بعد علمه
بما ذكر من وفقه بفا وقاف اي من اتفاق جرى بينهما سرا ورغبته في الاقامة معه وانه
لا عقوق فيه لابيه وعلى يقين من عقبى الخير له به اي لتيقنه ان هذه القصة يعقبها
خير لهم ولابيهم باجتماع شملهم ويعفو عما سلف منهم عاجلا وازاحه اي ازالة الشين
والمضرة عنه اي عن اخيه بذلك اي بما علمه مما سيكون بعد رغبته في اقامته عنده
وان لم يعلم اخوته به واما قوله عز وجل في حكايته القصة ايتها العير اي اصحاب
هذه الدواب والابل الحاملة لكم من عار يعني ذهب وجا انكم لسارقون للصاع
وهم لم يسرقوا حقيقة فهو افترا عن لا يليق فليس من قول يوسف عليه الصلاة والسلام
وانما قاله غيره ممن لا يقف على حقيقة الحال فيلزم هو مرتب على النفي فهو منفي ايضا
فلا يلزم عليه جواب لحل شبهة ترد عليه لانه كذب حقيقة وقوله لحل بلام جارة
وفي نسخة بالبا وفي اخرى مضارع والكل صحيح متقارب معنى الا انه قيل عليه انه
محتاج للجواب عن اقرار يوسف قايله على ارتكاب قبيح والاقرار على القبيح قبيح كفعله فان
كان يوسف لم يسمعه لم يجتمع لذلك ولعل قايله الذي هو غير يوسف ان حسن ظنا
المجهول من التحسين له التاويل اي تاويل اسناد السرقة لهم كاينا من كان غير يوسف
لعدم عصمته ونزاهته بخلافه هو ظن على صورة الحال ذلك اي راي ظاهر حالهم

لحال

408

لحال السارق لوجود ما ليس لهم بين امتعتهم فظن سرقتهم له وان جاز ان يكون غفلة
او سهوا او وضعه فيها غيرهم وقد قيل في الجواب ايضا انه كان القايل يوسف فهو قال
ذلك نظرا لفعلهم قبل اي قبل هذه الحالة الواقعة بيوسف وبيعهم له من السيارة
فانه في معنى السرقة وهذا بنا على انهم باعوه بانفسهم لا من اخرجه من البير او لانهم لم
يسرقوه وانما ذهبوا به باذن ابيهم ولم يبيعوه وانما القوه في الجب لكنهم في فعلهم
هذا وما كان سببا له كمن سرق حرا او باعه فلا يرد عليه اعتراض بما ذكر ولا يلزمنا
ان نقول بضم النون للمتكلم مع غيره وفتح القاف وتشديد الواو المسكورة وفاعله
نحن مستتر ومفعوله الانبيا اي نسند لهم منا قولا لم يات لهم وهو غير لايق بهم
انهم قالوه مع انه يجوز ان يكون القايل غيرهم كما ذكره انفا حتى نطلب الخلاص منه بتاويله
وصرفه عن ظاهره ولا يلزم احدا من العلما الاعتذار عن زلات غيرهم اي غير الانبيا عليهم
الصلاة والسلام لعدم عصمتهم وجواز صدور مثله منهم فصل

في بيان حكمة ابتلا بعض الانبيا بالامراض ذكره بعد ما قرر عصمتهم ونزاهة ذواتهم
وصفاتهم واقوالهم وافعالهم عن كل نقص لانه ربما يتوهم جاهل ان الابتلا بمثله غير
لايق بهم ايضا فقال فان قيل مقول لمحذوف تقديره هم معصومون عن النقايص
فما الحكمة جواب الشرط في اجرا الله الامراض والاسقام المولمة لابدانهم اللطيفة
رشدتها عليه صلى الله عليه وسلم وعلى غيره من الانبيا صلوات الله وسلامه
عليهم اجمعين وكانت امراضه صلى الله عليه وسلم اشد من غيره كما سياتي
وسيل عنه فقال انا كذلك يشدد علينا ويضاعف لنا الاجر وهو حديث صحيح
رواه ابن ماجه ويا تي عن عايشة رضي الله عنها ما رايت احدا كان اشد عليهم الوجع
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وايضا بدنه الشريف الطف من غيره واللطيف
يتاثر اكثر من تاثر الكثيف وما الوجه فيما ابتلاهم الله اي الانبيا به من البلا بيان للضمير
والوجه يكون بمعنى السبب الذي يوجه به يقال ما وجهه اي ما حكمته وسببه
وامتحانهم بما امتحنوا به اي معاملتهم به معاملة المحنة ليظهر صبرهم ورضاهم
والمراد بالمحن غير الامراض من المصايب كما سياتي كايوب عليه الصلاة والسلام
اذ ابتلاه بامراض شديدة ويعقوب عليه الصلاة والسلام في حزنه وشدة بكايه
حتى ضعف بصره ويحيى عليه الصلاة والسلام هذا مثال المحن لقتله وزكريا
عليه الصلاة والسلام ابتلي بالقتل ايضا كما مر وعيسى عليه الصلاة والسلام
ابتلاه باليهود وكيدهم وابراهيم عليه الصلاة والسلام ابتلي بالقا نمرود له
بالنار ويوسف عليه الصلاة والسلام ابتلي بفراق ابيه له والقايه في السجن
والجب ودانيال عليه الصلاة والسلام ويقال ذانال ايضا وهو اسم اعجمي غير
مصروف بدال مهملة وما في بعض الكتب من انه يجوز اعجامها لا اصل له وقيل معناه

الحكم لله وهو نبي غير مرسل كان في زمن بخت نصر وكان من اعز الناس عنده فوشوا له
به فالقاه واصحابه في الاخدود وهذا ما ابتلي به وقصصهم مفصلة يطول ذكرها
وغيرهم من الانبيا كنوح وغيره ممن ذكرها الله تعالى في القران وبينه المفسرون وهم خيرته
من خلقه حال مبينة لوجه ورود السوال والخيرة المختار المجتبا بسكون اليا وقد
تحرك والاول اسم والثاني مصدر وقيل لوجهان فيهما وقيل بالعكس والاول هو المعروف
واحباوه واصفياوه اي الذين يحبهم ويحبونه وهم الذين اصطفاهم الله تعالى واختارهم
لرسالته وقربه فاعلم وفقنا الله واياك للوقوف على الحكمة في افعاله ان افعال الله
تعالى كلها عدل فلا يظلم احدا من خلقه وان كان لا يجب عليه شي وله ان يعذب
كل من اراد لانه ملكه يتصرف فيه كما يشا كما فصل في الكلام وكلماته اي اخباره
ووعده صدق اي صادقة اي صادقة كلها لا مبدل لكلماته اي لا يمكن احدا تغيير
شيا مما اخبر به سبحانه وتعالى وهذا اقتباس من قوله تعالى وتمت كلمات ربك صدقا
وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم فله ان يبتلي عباده كما قال عز وجل
لهم ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون اي ليظهر للناس اعمالكم
فيعلموا استحقاقكم لما انعم به عليكم ويجازيكم عليه اعظم جزا وقال لهم ايضا
الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا اي اودع فيكم اذ احياكم العقل
والاحساس الذي صح به تكليف الاحكام وانه يعاملكم معاملة المختبر فيجازيكم
بما تستحقونه ولتضمن يبلو معنى نختبر العلم علق عن جملة ايكم الخ اوفيه تقدير
يعلم كما فصله المفسرون وفيه كلام مشهور في المغني وشروح الكشاف وقال لهم
ايضا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم نفي العلم والمراد
نفي المعلوم الذي هو الجهاد ولما نافية جازمة بمعنى لم مع زيادة توقع المنفي في المضي
فيما يستقبل ويعلم الصابرين منصوب بان مقدرة وقري بالرفع وقال لهم ايضا
ولنبلونكم بالجهاد والتكاليف حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين اي ما يخبر به
من اعمالكم واحوالكم ساق المص هذه الايات لبيان حكمة الابتلا وقوله لنعلم
ولننظر وما في معناه مع تقدم علمه القديم وافعاله تعالى لا تعلل بالاعراض
عند بعضهم لبيان ما تعلق به علمه وانه لحكم تترتب عليه كالاغراض الباعثة على الافعال
والايات دالة على انه تعالى يبتلي بعض عباده ليظهر صبره فيجازيهم اعظم جزا فيه
تسلية لهم وحث على الرضى بما قدره لهم فامتحانه عز وجل لهم اي للانبيا عليهم الصلا
والسلام المذكور في هذه الايات لضروب وانواع من المحن والمصايب التي ابتلاهم
بها زيادة بالنصب مفعول لاجله في مكانتهم اي منزلتهم العالية بالشي عنده
وكذا قوله ورفعة في درجاتهم اي مراتبهم العالية حسا ومعنى ولاجل ان يكونا اسبابا
بالاستخراج اي لاظهار حالات الصبر المذكورة في طبايعهم من القوة الى الفعل حتى

يعلمها

يعلمها الناس وفي نسخة رفع اسباب وما عطف عليه على انه خبر مبتدا مقدر اي
وهي اسباب الى اخره والرضى في السرا والضرا بما قدره الله تعالى والشكر على كل
حال لما يترتب عليه من الثواب الجزيل والتسليم بقبول كل ما فعل والتوكل على الله
والتفويض بجعل امرهم مفوضا اليه والدعا والتضرع منهم اي اظهار التذلل
والخضوع لله في كل حال وتاكيدا بالنصب والرفع وفي نسخة توكيدا وهذه لغة
فيه لبصايرهم جمع بصيرة وهي القوة المدركة للمعاني كالباصرة في المحسوسات
فهم على بصيرة فيما ذكر ولكن الابتلا ليثبتهم لما ذكر مقوو موكد ومبين لبصايرهم
في رحمته الممتحنين اسم مفعول وهم من حلت لهم المحن والبلايا عزهم والشفقة على
المبتلين بفتح اللام جمع مبتلي اسم مفعول وهو من حلت به مثل بليتهم فانه
لا يعرف الخطب الا من يقاسيه وتذكرة لغيرهم وموعظة لسواهم اذ السعيد
من بغيره اتعظ فانهم مع جلالة قدرهم اذا لم يسلموا منها فكيف غيرهم ممن هو دونهم
ليتاسوا اي يقتدوا بهم ويكون لهم بهم اسوة في البلا الذي نزل بهم ويتسلوا اي تكون
لهم سلوة تذهب حزنهم في المحن والمصايب بما جرى عليهم ووقع بهم ويقتدوا بهم
في الصبر على ما اصابهم فيقولون اذا كان انبيا الله واحباوه ابتلوا بمثل هذا فما بالنا
نحن ومن جملة الحكم في ابتلايهم محو لهنات جمع هنة وهي الهفوة اليسيرة ويكنى بها
عن القبايح كهن ويانى ما في هذه اللفظة فالمعنى انها كفارة للصغاير وما يصدر
عنهم سهوا وامور تعد سيات بالنسبة لهم اذا فرطت منهم تفريط يسير منهم
تطهيرا لهم ورفعا لهم عن مثلها وان كانت جايزة او غفلات بفتحات جمع غفلة
وغفلتهم لاشتغال قلوبهم بامور اهم سلفت لهم وتقدمت منهم وقد عفوت
ليلقوا الله بعد ابتلايهم وجعل مصايبهم مكفرة لما صدر عنهم طيبين مبريين
من خبايث الذنوب ودنسها مهذبين اي مخلصين مما يشينهم من التهذيب
واصله تنقية الاشجار بقطع الاطراف التي تزيدها نموا وليكون لجرهم اعظم
عند الله واكمل فانما يصيب المومن حتى الشوكة يوجر عليه كما سياتي ولثوابهم
اوفر اي اكثر واجزل اي اعظم فيزيد كما وكيفا والاجر والثواب بمعنى وقد يفرق
بينهما بان الاجر ما كان في مقابلة العمل كالاجرة والثواب ما كان تفضلا واحسانا
من الله تعالى ويستعمل كل منهما بمعنى الاخر ثم ان المص رحمه الله تعالى استشهد
على كونه صلى الله عليه وسلم اشد الناس بلا بحديث رواه الترمذي والنساي
وابن ماجه والحاكم فقال حدثنا القاضي ابو علي الحافظ هو شيخه ابن سكرة كما
تقدم قال ثنا وفي نسخة اخبرنا ابو الحسين مصغرا وما في بعض النسخ مكبرا
غير صواب الصيرفي وقد تقدمت ترجمته وابو الفضل بن خيرون تقدم ايضا
قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي المعروف بزوج الحرة كما تقدم قال حدثنا ابو علي

السنجي تقدم مع بيان نسبته قال حدثنا محمد بن محبوب راوي سنن الترمذي كما تقدم
قال حدثنا ابو عيسى الترمذي صاحب السنن المشهورة قال حدثنا قتيبة بن سعيد
كما تقدم قال حدثنا حماد بن زيد تقدم وفي بعض نسخ الترمذي شريك بدل حماد عن حماد
عن عاصم ابن بهدله هو عاصم بن ابي النجود ابن بهدله مولى بني اسد احد القرا السبعة
قال الذهبي هو ثقة في الحديث والقرات توفي سنة ثمان وعشرين ومائة ترجمة في الميزان
وبهدله بفتح الباء الموحدة وسكون الهاء وفتح الدال المهملة واللام وبعدها ها
ساكنة اسم امه فيرسم بالف ومعناه الخفة واسراع المشي وعوام مصر تستعمله
بمعنى الاهانه فكانه مجاز للزومه للخفة والنجود بفتح النون وضم الجيم وسكون
الواو وبعدها دال مهملة وهي الحمارة الوحشية التي لا تحمل ويقال هي المشرقة قيل
وكل عاصم في المحدثين ردي الحفظ هذا استقرا من الذهبي عن ابن القطان عن مصعب
بن سعد عن ابيه هو سعد بن ابي وقاص مالك بن اهيب احد العشرة المبشرة بالجنة
وهو ثقة نزل الكوفة وتوفي سنة ثلاث عشرة ومايه واخرج له الستة قال سعد
قلت يرسول الله اي الناس اشد بلاء بالامراض وغيرها قال الانبيا عليهم الصلاة
والسلام اشد بلاء ثم يليهم في شدة البلا الامثل فالامثل الفا للترتيب في الشدة
والامثليه بمعنى الافضليه يقال هو امثل بني فلان وامائل القوم روساوهم من المثالة
وهي الفضيلة قال العباس   ابلغ لغيرني شهاب بكلهم   وذوي المثالة من بني غناب
وقال الراغب الامثل يعبر به عن الاشبه بالافاضل والاقرب الى الخير واماثل القوم
خيارهم قال تعالى اذ يقول امثلهم طريقة مثلي حسنة يبتلي الرجل على حسب دينه
الدين هنا بمعنى الطاعة اي بقدر طاعته وتقواه قوة وضعفا تكون بليته فالاتقى
اشد واكثر بلاء فما يبرح البلا اي لا يزال نازلا بالعبد المومن حتى يتركه يمشي على الارض
وهو كناية عن وجوده او صحته اي يصيره كذلك فان ترك يكون بمعناه كتركه جزر
السباع وهو حقيقة او مجاز من تركه بمعنى ابقاه كذلك وما عليه خطيئة
ظاهره ان نفس الامراض والمصايب تكفر السيات وانها تكفر الصغاير والكبائر
لاطلاق هذا الحديث وما جا في معناه وقيل انما يكفر الصغاير ونفسها لا تكفر
وانما يكفر الصبر عليها واحتسابها واليه ذهب ابن عبد السلام وسياتي
بيانه وكما قال الله تعالى اشارة لما يدل على ما دل عليه الحديث وكاين من نبي قتل
معه ربيون كثير الايات يعني فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا
وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا
ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فاتاهم الله
ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة والله يحب المحسنين ففي هذه الايات
ما يدل على ابتلا الانبيا وصبرهم وكثرة ثوابهم عليه وكاين بمعنى كم كما بينه النحاة

ومن بني

410

ومن بني تميز لها والربيون جمع ربي منسوب الى الرب وفيه تغيير كتغيير ان النسب
وواحده ربي بكسر الرا وقيل انه نسبته للربة بمعنى الجماعة الكثيرة ويجوز
اسناد قتل للنبي وقال الحسن البصري وابن جبير لم يقتل نبي في حرب اصلا
ووهنوا بمعنى فتروا واستكانوا بمعنى ضعفوا واصله استكنوا واستكونوا
من الكون وهذا تعريض لما اصابهم من الارجاف بقتل النبي صلى الله عليه وسلم
باحد وانه لو كان حيا كان مثل ما وقع لغيره وانهم مع شدة جهادهم وصبرهم
هم مدعنون بمغفرة ربهم وان لم يصدر منهم ذنب تواضعا وخشية وعن ابي هريرة
رضي الله عنه في حديث رواه الترمذي وصححه ما زال البلا واقعا بالمومن
في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله اذا مات او حشر وما عليه خطيئة لانها اصابته
يكفر سياته كبيرة كانت او صغيرة كما تقدم وعن انس بن مالك رضي الله تعالى
عنه عنه صلى الله عليه وسلم   في حديث رواه الترمذي ايضا وحسنه
واسناده هذا للنبي صلى الله عليه وسلم   مشعر بان ما قبله موقوف الا ان له حكم
الرفع لان مثله لا يقال بالراي اذا اراد الله بعبده الخير في اخرته عجل له العقوبة
في الدنيا بما يبتليه به فيها مما يمحو به عنه الذنوب واذا اراد بعبده الشر في عقباه
في عقباه امسك عنه مصايب الدنيا استدراجا له فلا يعاقبه ويبتليه
بل يتركه بذنبه والبا للملابسه ومفعول امسك مقدر اي البلا يا يدفعها عنه
حتى يوافي ربه ويلقاه به اي بذنبه يوم القيامة فيجازيه عليه ان لم يرد العفو عنه
ويوافي بفا مكسورة مبني للفاعل ومن فتحها وبناه للمجهول فقد تعسف وفي حديث
اخر رواه الديلمي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه اذا احب الله عبده ابتلاه ليسمع
تضرعه اي دعاه متذللا له لمحبته لكلامه ومراجعته والتضرع بمعنى الدعا ورد
كثيرا وبه فسر لانه لازم لمعناه وفسره بالتذلل والخضوع وفسر يسمع بمعنى يعلم لانه غير
مسموع لم يصب وحكى السمرقندي رحمه الله تعالى ان كل من كان اكرم على الله تعالى
واجل لديه كان بلاوه في الدنيا اشد واقوى من بلا غيره فيها كي يتبين فضله في الاخرة
او في الدنيا لمن لم يصبره وليستوجب الثواب اي يستحقه تفضلا من الله لوعده به
كما روي عن لقمان الحكيم انه قال لابنه اذ وصاه يا بني الذهب والفضة يختبران
بنا المجهول اي يعلم خلوصهما وعدمه اذا اذيبا بالنار ليعلم هل فيهما خبث ام لا
والمومن يختبر ايمانه وقوته بالبلا اي باصابته وصبره عليه وتضجره منه وقد حكي
ان ابتلا يعقوب بمفارقة يوسف عليهما الصلاة والسلام وحزنه عليه كان سببه
التفاته اليه اي الى يوسف في صلاته ويوسف نايم عنده والتفاته محبة له
منصوب اي لاجل محبته له فلما قطع التوجه لله قطعه الله تعالى عنه بفرقته
وهذا رواه القرطبي في تفسيره غير مسند وقيل بل سببه ان يعقوب اجتمع يوما هو

وابنه يوسف على اكل حمل بفتح الحا المهملة والميم وهو الصغير من الضان لسنة
او اقل مشوي وهما يضحكان جملة حالية وكان لهم جار صغير يتيم فشم ريحه اي ريح
الحمل المشوي واشتهاه اي احب الاكل منه وبكى على عادة الاطفال اذا ارادوا ما ليس
عندهم وبكت جدة له عجوز رحمة وبينهما اي يعقوب واليتيم جدار حايل بينهما
ولا علم عند يعقوب وابنه يوسف عليهما الصلاة والسلام للحايل المانع عنه فعوقب
يعقوب بسبب بكا اليتيم والعجوز بالبكا اسفا تاسفا وحزنا على يوسف عليه
الصلاة والسلام لفقده الى ان سالت وخرجت حدقتاه والحدقة سواد
العين وبياضها وابيضت عيناه من الحزن فلما علم يعقوب ببكا اليتيم وجدته
كان بقية حياته منصوب على الظرفية اي عمره كله بعد ذلك يامر مناديا ينادي
باعلى صوته على سطحه والندا على المكان المرتفع يصل الى بعيد منه ويقول في ندايه
الا من كان من الناس كلهم مفطرا غير صايم فليتغد بدال مهملة مشددة من الغدا
وروي بمعجمة ايضا عند ال يعقوب اي اهل بيته او ال منهم اي عنده وفي هذا الخبر
ومن كان صايما فليفطر عندهم وعوقب بيوسف بالمحنة اي البلية التي قص الله
علينا في الفقدان من السجن وغيره وحكى هذا عن المص الدميري رحمه الله تعالى في حياة
الحيوان وقال لا ينبغي له ذكره فانه لا صحة له وان رواه الطبراني عن انس عن
شيخه ابن جهم الباهلي وهو ضعيف الرواية جدا ورواه البيهقي في الشعب
ومما يدل على عدم صحته ان قوله سالت حدقتاه لا اصل له وانه مع قوله لا علم
لهما كيف يصح ان يعاقبا على ما لم يعلما كما ان قوله ابيضت عيناه بعد قوله سالت
حدقتاه كلام متناقض وجعله تفسيرا للسيلان تعسف بارد والصحيح انه لم يعم
فان العمى لا يجوز على الانبيا عليهم الصلاة والسلام وفي الشرح الجديد هنا كلام
طويل بغير طايل وروي عن الليث بن سعد الامام وقد تقدم ان سبب بلا ايوب
عليه الصلاة والسلام انه دخل مع اهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه اي
بسببه واغلظوا عليه بشدة لو منهم له موعظة الا ايوب عليه الصلاة والسلام
فانه لم يغلظ عليه لانه رفق به اي كلمه برفق ولين رجا ان يثمر كلامه لتجبره كما
قال تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام فقولا له قولا لينا الخ مخافة على زرعه
الذي في مملكته فعاقبه الله ببلايه الذي ابتلاه به من الامراض وهذا لا ينبغي ان يقال
في حق الانبيا عليهم الصلاة والسلام فليت المص رحمه الله تعالى تركه ومحنة
سليمان عليه الصلاة والسلام لما ذكرناه فيما مر والمحنة كالمصيبة كما تقدم
من نيته من كون الحق في جنبة اصهاره بفتح الجيم والنون وبسكونها ايضا
وموحدة بمعنى الجانب والناحية وفي نسخة جهة وفي اخرى جنبه بنقطة
فوق وهو تحريف من النساخ كما في المقتفي قال الراغب الصهر الختن واهل بيت

المراة يقال لهم اصهار كما قاله الخليل وكل محرم او بليته انما كانت للعمل بالمعصية
في داره ولا علم عنده بما صدر منهم من المعاصي مما افترته اليهود من انه عليه
الصلاة والسلام قتل ملكا له بنت جميلة تسمى جرادة فكانت عنده واسلمت
ثم كانت تبكي على ابيها فامر الشياطين ان يمثلوا لها صورة ابيها ففعلوا فكسته
واعدت له بيتا فكانت تذهب اليه وتسجد لصورته وهو لا يعلم واستمر ذلك
مدة اربعين يوما فسلبه الله تعالى ملكه وابتلاه بما ابتلاه به وهو ما اشار اليه
بالجواب الثاني وقوله من كون الحق الخ جواب اخر وهو ان جرادة بنت صيدون الملك
التي تزوجها سليمان عليه الصلاة والسلام واحبها تخاصم عنده ناس مع اخرين
من اقارب امراته فحكم بالحق لغيرهم وتمنى ان يكون الحق لهم وهو وان لم يكن حراما في شرعنا
وغيره لكنه بالنسبة لمقامه يعد ذنبا وفي كتب القصص اسباب اخر لا ينبغي ذكرها
وهذه الامور المذكورة التي ابتلي بها الانبيا عليهم الصلاة والسلام ليزداد ثوابهم
وغيره مما مر فايدة شدة المرض والوجع النازل بالنبي صلى الله عليه وسلم فكان
يوعك كما يوعك الرجلان كما قالت عايشة رضي الله عنها في حديث رواه الشيخان
عنها ما رايت الوجع في الامراض على احد من الناس اشد منه على رسول الله صلى الله
لما تقدم من حكمته وعن عبد الله اي ابن مسعود رضي الله عنه لا ابن عمر رضي الله
عنهما كما قيل رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي كان يعرض
له وهو اي والحال انه يوعك بضم اوله وفتح عينه المهملة المخففة وعكا بفتح
العين وسكونها شديدا اي شد الما من غيره اذا اصابه مثله فقلت له يا رسول الله
انك لتوعك وعكا شديدا قال اجل بفتحتين بمعنى نعم فهو جواب له اني اوعك كما يوعك
اي احم كما يحم رجلان منكم ايها المسلمون او الصحابة او الناس قال عبد الله بن مسعود
قلت ذلك اي شدة وجعك وكونه كوجع رجلين ان بفتح وتشديد اي لان لك اجرك
وفي نسخة الاجرين اي ليضاعف لك الثواب وفي رواية ان لك اجرين قال اجل
نعم ذلك التضاعف كذلك اي هو كما قلت امر محقق وجهه وحكمته كما مر واصل معنى
الوعك الحر الشديد ويراد به الحمى والمها وحرارتها وقد يراد به المرض الخفيف
هنا الاول كما تقرر وما ذكر لا ينافي ما مر من قول المتكلمين انه صلى الله عليه وسلم
لو وزن باهل الارض رجح عليهم كما توهم لان ذلك في الفضل والكمال وهذا في العلة
والمرض فخروج زيادته عن الحد غير مناسب فلا حاجة لما ارتكب في الجواب عنه
من التعسف الذي لا داعي له وفي حديث رواه ابن ماجه والحاكم عن ابي سعيد
سعد بن مالك بن سنان الخدري وقد تقدم ان رجلا وضع يده على جسد النبي صلى الله
عليه وسلم كما يفعله العواد للمريض ليعلموا حرارة جسده اشديدة هي ام لا
فقال والله ما اطيق اي ما اقدر ولا استطيع مبالغة في شدة حرارته اضع يدي

عليك وامس جسدك من شدة حماك بضم الحا المهملة وفتح المشددة اى حرارتها
ويقال الحمى وحمة والافصح الاول فقال له صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبيا
بنصب معشر على الاختصاص والمدح كما بينه النحاة في بابه يضاعف لنا البلا اى
يزاد وضعف الشى مثله او مثلاه على كلام فيه في كتب اللغة ان كان النبى من الانبيا
المتقدمين بكسر الهمزة من ان المخففة من الثقيلة بشهاته اللام في خبرها في قوله
ليبتلى واسمها ضمير شان مقدر بالقمل بفتح فسكون او بضم فتشديد وهو معروف
حتى يقتله اى يموت من شدة المه به وفي سنن ابن ماجه ان الرجل الذى وضع يده على
جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ابو سعيد ايضا والمص رحمه الله رواه
من طريق اخر لم يصرح فيها باسمه فلا وجه للقول بانه سبق قلم من الناسخ وان كان
النبى من الانبيا ليبتلى بالفقر الشديد وهو بحسب ظاهره حالهم وانما تركهم الدنيا زهدا
منهم وان كانوا اى الانبيا وان هذه كالتى قبلها اى عادتهم وجبلتهم ليفرحون بالبلا
اى يسرون بمصايب الدنيا لما يعلمون من انها رفعة لقدرهم وزيادة لاجرهم كما تقدم
فالبلا بمعنى ما ابتلوا به في الدنيا من الامراض وغيرها كما يفرحون بالتحتية او بالخطاب
بالرخا وهو سعة المعيشة وحسن الحال والمراد به مقابل البلا وذلك لشدة يقينهم
بربهم وعلمهم بما ادخره لهم في مقابلة ما نزل بهم وهذا بعد وقوعه فلا ينافي الدعا
بالعفو والعافية المعينة لهم على الطاعة والقيام بما امروا به ولكل مقام مقال
فلا تعارض بينهما فان الامور بمقاصدها ولا ينافيه ايضا ما مر من انه صلى الله عليه
وسلم كان متواصل الاحزان كما تقدم بيانه وعن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه
في حديث رواه الترمذى وحسنه ان عظم الجزا اى الثواب مع عظم البلا اى لا ينفك
عنه مضاعفته كما مر وعظم بضم العين المهملة واسكان الظا المعجمة او بكسر
ففتح اى من كان بلاوه اعظم كان جزاوه اعظم عند ربه فمن رضى بما ابتلاه الله تعالى به
فله الرضى من الله تعالى عنه بجزيل ثوابه ومن سخط اى كره قضا الله ولم يرض به فله السخط
اى غضب الله عليه وعقابه له فاذا صبر ولم يجزع مما اصابه رضا بقضايه
كان ذلك له مثوبة واجرا فلا يتوهم انه ليس امرا اختياريا له فان ما ذكر
من الصبر وعدم الشكوى امر اختيارى ما حزنه من غير جزع ولا ضجر فلا ينافيه
كما في الحديث ان القلب ليحزن وان العين لتدمع وقد قال المفسرون في قوله تعالى
من يعمل سوا يجز به عاجلا وذلك ان المسلم يجزى بمصايب الدنيا فتكون كفارة له
اى لذنوبه ان كانت وزيادة في ثواب غير المذنب وهذا التفسير يروى عن ابى بكر
رضي الله تعالى عنه وقال المص انه روى مثل هذا عن عايشة رضي الله عنها وهو الذى
رواه الحاكم وعن ابى وعن مجاهد ايضا وقال ابو هريرة رضي الله تعالى عنه في حديث
رواه البخارى عنه صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه روى يصيب بنا

الفاعل والمفعول اى ينزل به مكروها ومصيبته في الدنيا يثاب عليها واختلف في اى
الروايتين ارجح فقال ابن الجوزى الثانى وقال ابن حجر الاول ولكل وجهه لان الاول
فيه ادب لعله اسناد المصايب لله والثانى فيه التسليم بجعل كل شى منه واليه وما ذكر
في الاية هو احد وجهين فيها فيكون في حق المومنين وثوابهم على مصايبهم كما ورد في الحديث
وقيل انها في حق الكفار ومعناها كمعنى قوله وهل يجازى الا الكفور وهو مروى عن الحسن ويريده
قوله بعدها ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا وتتمته في كتب التفسير وشروح البخارى
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان في رواية عايشة رضي الله عنها فيه
ما من مصيبة تصيب المسلم اى مصيبة كانت قليلة او كثيرة وفيه التجانس المغاير
اذ احدى كلمتى المادة اسم والاخرى فعل ومثله ازفت الازفة الا يكفر بها عنه اى
من ذنوبه او يزيد بها في حسناته حتى الشوكة يشاكها في بدنه فانها مع قلتها يكفر بها
عنه تفضلا منه والمصيبة واحدة المصايب كل ما يصيب الانسان من خير او شر
وخصها العرف بالثانى وقيل الاول من صوب المطر والثانى من اصابة السهم وجمعت
العرب على همزة المصايب واصله الواو وكانهم شبهوا الاصلى بالزايد ويجمع على مصاوب
وهو الاصل وقوله حتى الشوكة بجر جرها بحتى بمعنى الى ورفعها على انها ابتدايية وجوز
نصبها بمقدر اى حتى يجد الشوكة وهو بعيد ويشاكها بضم اوله اى تدخل في جلده
بنفسها او بادخال الغير اى يشوك غيره بها ففيه وصل الفعل لان الاصل يشاك بها وجوز
بعضهم فتح يا يشاك التحتية ونسب للجوهرى ولا وجه له لانه مضارع شاك
الرجل اذا كان له شوكة وقوة وهو معنى اخر والشوكة معروفة وهى في غاية القلة
وكونها بمعنى ذات الجنب وهو غاية في الشدة تعسف وروى الا حط الله بها عنه
خطيئة او كتب له بها حسنة او رفع له بها درجة واعلم ان العز بن عبد
السلام قال ظن بعض الجهلة ان المرء يوجر على نفس المصايب وليس كذلك فان الثواب
انما يكون على ما يفعله باختياره ولا دخل له في ذلك فثوابه انما هو على صبره ورضاه
بما قدره الله وعدم شكايته ورده السخاوى بانه مخالف للنصوص من غير بيان
لوجهه وقال القرافي لا يجوز ان يقال للمصاب جعل الله ذلك كفارة لك لان الشارع
جعله كفارة فهو تحصيل للحاصل وسوء ادب وانا اقول ما قاله العز لا وجه له
ولا يليق صدور مثله منه فانه تعالى له ان يثيبه ابتداء وان يجعل ما اتفق له بغير
فعله سببا لذلك ومثله من خطاب الوضع الا ترى ان من قتل قتيلا واستحق وارثه
الدية حصل له نفع دنيوى بغير فعله فهذا ايضا مما جعله الله سببا لثواب عبده
المومن رحمة له وتحننا عليه كما ترى بعض كرام الناس اذا اذى احدا ينعم عليه
جبرا للخاطر فكيف ينكر مثله من الله عز وجل ويزيد في ثوابه اذا صبر ورضى وفي كلام
شيخ والدى ابن حجر الهيتمى نص الشافعى في الام بما يصرح بان نفس المصيبة يثاب

عليها للتصريح بان كلا من المجنون والمريض المغلوب على عقله ماجور مثاب يكفر عنه
بالمرض فحكم بالاجر مع انتفا العقل المستلزم لانتفا الصبر وحمل النص على مريض صبر
عند ابتدا مرضه ثم استمر صبره الى زوال عقله يرده انه سوى بين المريض والمجنون في الثواب
ومثل ذلك لا يتصور في المجنون فالحمل المذكور غلط منشاوه الغفلة عما ذكروه في المجنون
والحاصل ان من اصيب وصبر حصل له ثوابان غير التكفير لنفس المصيبة وللصبر
عليها ومثله كتابة مثل ما كان يعمله من الخير وغير ذلك مما ورد في السنة وان من انتفى صبره
فان كان لعذر كجنون فهو كذلك او لنحو جزع لم يحصل له من ذينك الثوابين شي انتهى
ملخصا وما قاله القرافي ليس بشي ايضا فانه قد يقصد الدعا بما هو حاصل لزيادته
او تنبيه سامعه وغيره ولو قيل بمثله لم تجز الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
والدعا له بالوسيلة والدرجات العالية الرفيعة وهي محققة له وقد امرنا بالدعا
بها كما تقرر في محله وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان من رواية ابي
سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ما يصيب المؤمن من نصب بفتحتين اي تعب ينالة له
من سعيه في بعض اموره الجايزة له ولا وصب اي وجع او لزومه او فتور في بدنه وقد تنز
يفده في اللغة ولا هم بفتح الها وتشديد الميم وهو قريب من الغم معنى وقد يفرق بينهما
بان الهم يكون لما لم يقع والغم على ما وقع كما مر ولا حزن بفتحتين وبضم فسكون وهما من امراض
الباطن ولذلك ساغ عطفهما على الوصب ولا اذى يلحقه من تعدي الغير عليه ولا غم
واصله ما يمنع خروج النفس واريد به ما ذكر حتى الشوكة يشاكها تقدم بيانه
الا كفر الله بها من خطاياه من زايدة او تبعيضية لان بعضها لا يكفر بها كحقوق العباد
وفي حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه الذي رواه الشيخان ما من مسلم يصيبه
اذى اي امر يوذيه في بدنه او نفسه الا حات الله عنه خطاياه بالحا المهملة المفتوحة
بعدها الف ففوقية مشددة واصله حاتت فادغم وحات وحت بمعنى ازال تقال
حت المني من الثوب اذا فركه ليزيله والورق تحات تناثر وتساقط منه كما يتحات ورق
الشجر هو كناية عن اذهاب الخطايا فشبه سقوط ذنوبه بعفوها بتناثر ورق الشجر
منها وفي حديث عايشة رضي الله تعالى عنها عند الطبراني في الاوسط بسند جيد
من وجه اخر ما ضرب على امرء عرق الا حط الله به عنه خطاياه وكتب له به حسنة
ورفع له درجة وفي حديثها عند الامام احمد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
طرقه وجع فجعل يتقلب على فراشه ويشكي فقالت له عايشة لو صنع هذا بعضنا
لوجدت عليه فقال ان الصالحين يشدد عليهم الحديث وفي هذه الاحاديث
بشرى عظيمة لكل مؤمن لان الادمي لا ينفك غالبا من الم بسبب مرض او هم او نحو
ذلك فايدة الصبر يكون على ثلاثة اقسام صبر على المعصية فلا يرتكبها وصبر على
الطاعة يوديها وصبر على البلية فلا يشكو ربه فيها وعن علي رضي الله تعالى عنه

من اجلال الله تعالى ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك لغيره وقيل
ذهبت عين الاحنف منذ اربعين سنة ما ذكرها وقال شقيق البلخي من شكى ما نزل به
لغير الله لم يجد لطاعة الله في قلبه حلاوة ابدا وما احسن قول ابن عطا ساصبر
كي ترضى واتلف حسرة وحسبي ان ترضى ويتلفني صبري وسيل علي رضي الله
تعالى عنه اي خصال المومن خير فقال ما عاني ادري شيئا اعظم من الصبر والرضى
والتسليم للقضا فذلك خير دنيا واخرى وسيل ايضا ما راس العلم والعمل فقال
الحلم والتواضع فمن تركهما كان علمه وبالا عليه وارشد من انشد فوحقه لا سلمن
لامره في كل ضايقة وشد خناق موسى وابراهيم لما سلما سلما من الاغراق والاحراق
وحكمة اخرى في ابتلا الانبيا عليهم الصلاة والسلام ونحوهم بالامراض والمصايب
اودعها الله تعالى اي جعلها لهم كالوديعة في الامراض المصيبة لاجسامهم دون
بواطنهم وحواسهم وتعاقب الارجاع عليها اي على اجسامهم بتكررها ومجي بعضها
عقب بعض وشدتها عليهم كما مر عند مماتهم اي يبتليهم الله بذلك اذا قرب موتهم
لتضعف قوى نفوسهم الروحانية بكثرة امراضهم وشدتها واذا وقع هذا فيسهل
خروجها اي خروج ارواحهم ومفارقتها لابدانهم عند قبضهم اي قبض ارواحهم
ووفاتهم فان ضعف البدن وقواه يعجز عن امساكها فيسهل ذلك عليهم ويخف
عليهم مونة المنزع اي اخراج الروح من البدن وموته بميم مفتوحة وهمزة مضمومة
مثل واو ونون وشده السكرات يعني سكرات الموت وغمرات شدايده وما يلحق
الميت من الغشي لشبيه بالسكر في غيبة الحس بتقدم المرض على الموت والاختصار
وضعف الجسم والنفس بذلك اي بسبب ذلك المذكور ولو قويت شق عليها وصعب
فكان اشد عليه بخلاف موت الفجاة بضم الفا والمد وبفتحها والقصر وهو الموت
بغتة من غير مرض يقال فجاه الامر يفجوه اذا اتاه على غفلة منه واخذه له دفعة
من غير انتظار لاجل فهو اشد عليه لشدة قواه المانعة من تسليم الروح بسهولة
ولذا كرهه بعض العلما كما ياتي قريبا وقال انه مذموم وفي الحديث موت الفجاة
أَخذَةُ أسِفٍ اي غضب وفيه من الله كما ياتي وروي آسف بالمد اسم فاعل لكنهم
قالوا انما يكره لعدم التاهب له بالوصية ونحوها فمن لم يحتج لذلك يكون في حقه
رحمة وهو الصحيح لحديث موت الفجاة راحة للمومن واسف على الفاجر وبه يجمع
بينهما كما يشاهد من اختلاف احوال الموتى في الشدة واللين والصعوبة والسهولة
عطف تفسير لما قبله فبعضهم يعسر عليه ويشتد عليه وبعضهم يسهل عليه حالة
النزع فان قلت اذا كان توالي الامراض لتخفيف الموت وسكراته فكيف قال صلى الله
عليه وسلم ان للموت سكرات حتى ذكروا له حكمة وكيف موت الفجاة لبعض الكفرة
والفجرة قلت تالمه صلى الله عليه وسلم بسكرات موته لا ينافي انها اخف من سكرات غيره

وموت الفجاءة وان لم يكن فيه سكرات اشد من غيره لكونه ككسر شجرة قوية كما تقرر مع
ما فيه من بعد الموت على الغضب وقد قال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان
عن كعب بن مالك وجابر رضي الله تعالى عنهما مثل المؤمن اي حاله وصفته العجيبة مثل
خامة الزرع الخامة بخاء معجمة وميم العود اللين الذي ليس بغليظ والقضبة الطرية
وقال الخليل هي اول ما ينبت على ساق واحد والفها منقلبة عن واو ونقل عن الفراء انها
بحاء مهملة وفاء وفسرها بطاقة الزرع وعن احمد مثل المؤمن مثل السنبلة تستقيم مرة
وتنحني اخرى وروى تخر مرة وتصفر اخرى تفيئها الريح بضم الفوقية وكسر الفاء تليها
مثناة تحتية ساكنة ثم همزة والمشهور تشديد الياء التحتية وروى بياء تحتية في اوله
اي تميلها هكذا وهكذا اي للينها تميل يمينا وشمالا ولا تنكسر كما قال ابن خفاجة
اني وان كنت هضبة جلدا اهتز للحسن قامة غصنا كانني غصن بانة خضل
تعطفه الريح ههنا وهنا وفي صحيح مسلم من رواية ابي هريرة رضي الله تعالى عنه
من حيث اي من اي جانب اتتها الريح تكفؤها بفتح اوله وثالثه وسكون ثانيه وهمزة
اي تقلبها والمراد تميلها ايضا فاذا سكنت الريح ولم تهب تعدلت اي انتصبت لانها
لم تنكسر للينها وعدم غلظها وفي نسخة اعتدلت وكذلك المؤمن يكفؤ بضم فسكون
وفتح وهمزة اي ينقلب من صحته لمرضه كثيرا ثم يبرأ فلاعتياده الامراض لا تفنيه
وتهلكه بالبلاء من حيث اتاه ووجه الشبه ظاهر وفيه من البلاغة واللطف
ما لا يخفى ومثل الكافر والفاجر العتل الغليظ كمثل الارزة لا تزال قائمة حتى
تنقصف اي تنقصف من اصلها والارزة بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وزاي
معجمة وروي فتحها وهو شجر الارزة المعروف وقيل هو الصنوبر وقيل انه آرزة
بالمد بزنة فاعله وانكره ابو عبيد رحمه الله تعالى صماء اي صعبة شديدة اليبس
والقوة معتدلة اي قائمة منتصبة لا تميل لغلظها ويبسها حتى يقصمها الله
بقاف وصاد مهملة قبل الميم اي ياخذه بغتة من غير تقدم بلاء فالقصم بالقاف
الكسر مع الابانة والفصم بفاء بدونها وفي العقد لابن عبد ربه قالت الحكماء من تعرض
للسلطان ارداه ومن تطامن له تخطاه وشبهوه في ذلك بالريح العاصفة
التي لا تضر ما لان من الشجر ومال معها من الحشيش وما استهدف لها من الدوح العظيم
قصفته ولابي تمام ان الرياح اذا ما اعصفت قصفت عيدان نجد ولم يعبان
بالرتم بنات نعش ونعش لا كسوف لها والشمس والبدر منه الدهر في الرقم
وفي كليلة ودمنة الريح لا تقلع عودا نابتا وتقلع الدوح العظيم الثابتا
معناه اي هذا الحديث ان المؤمن مرزء بالتشديد والهمز اي لا يزال يصيبه الرزايا
وهو من رزأ الشيء اذا انقصه مصاب بالبلاء بالمد اي تنزل به المصائب والامراض
راض بتصريفه اي بتغيير احواله وقيل بتصريف الله فيه وله وتقلبه بين اقدار الله

التي

التي قدرها عليه من صحته ومرضه وغيره منطاع لذلك اي منقاد مذعن مطيع مسلم
واتى بصيغة الانفعال بالنون للدلالة على انه مطاوع لين الجانب برضاه اي
لين جانبه يقبل كل ما يرضاه الله كالشيء اللين الذي ينطبع بكل ما يختم به كما قيل
ان المحب لمن يحب مطيع ووقع هنا في بعض الشروح برمضاه بميم بعد الراء
من رمضاء النار وحرارتها اي ما يصيبه من الالام يزيده لينا لكن قوله بعده وقلة
سخطه يقتضي الاول ويأباه واظنه من تحريف الناسخ كطاعة خامة الزرع
وانقيادها للرياح عطف تفسير وتمايلها من غير ان تنكسر لهبوبها وترنحها براء وحاء
مهملتين بينهما نون من ترنح السكران اذا تمايل وفيه كلام في شرح مقامات الزمخشري
من حيثما اتتها اي من اي جهة كانت جنوبا وشمالا للينها فاذا ازاح الله عز وجل بزاي
معجمة اي ازال عن المؤمن رياح البلايا استعارة مفسرة لما في الحديث كانه لما شبهه
بالخامة شبه ما يطرأ عليه بالرياح المعتورة عليه بمثله هنا رهنا فاعتدل اي
برأ من مرض ونحوه شبه صحته باعتدال الخامة اذا سكنت الريح واليه اشار بقوله
صحيحا وهو حال وتمييز كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو بفتح الجيم وتشديد
الواو وهو ما بين السماء والارض مهب الرياح واصل معناه الداخل من كل شيء ومنه الجواني
مقابل البراني رجع اي المؤمن الى شكر ربه على ما انعم به عليه من السلامة ومعرفة
نعمة انعم عليه بالخلاص مما يكره ويخشى برفع بلائه عنه وتجاته عنه منتظرا
رحمته له راجيا احسانه وثوابه عليه اي على ما ابتلاه ووفقه لشكره وصبره لقوله
تعالى وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون فاذا كان المؤمن
بهذه السبيل اي هذه الحالة من اصابته بالبلايا والامراض لم يصعب ويشق
عليه مرض الموت اي المرض الذي كان سبب موته منه لا تبلائه بالامراض المتوالية
عليه ولا نزوله اي حلول الموت به ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه اي نزع
الروح منه عند الموت لضعف قوة نفسه الدافعة وهذا لا ينافي ما تقدم
في حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام من انهم اشد الناس بلاء لانه في حالة اخرى
وهي نزول المصائب بهم قبل حضور الموت لعادته اي اعتياده بما تقدمه من الالام
ومقاساتها ومعرفة ما له فيها اي المصائب التي تصيبه قبل موته من الاجر
والثواب فانه لعلمه بذلك تهون عليه وتوطينه نفسه على المصائب اذا اصابته
اي اطمئنان نفسه لها لعلمه بانه لا بد له منها فيرضى ولا ينزعج ويقلق فالتوطين
اصله اتخاذ الوطن ثم تجوز به عن عدم القلق والضجر قال ولا خير فيمن لا يوطن
نفسه على نائبات الدهر حين تنوب وعلى رقتها وضعفها الضمير للنفس والرقة
براء مهملة وقاف مشددة المراد بها الضعف فهو عطف تفسير ويجوز عود الضمائر

للمصايب ايضا بتوالى المرض اى دوامه او تكرره او شدته اى قوته والمه فهذا حال
المؤمن فى حياته والكافر حاله بخلاف هذا الحال الذى اعتاده المؤمن فهو معافا
من الامراض والبلايا فى غالب حاله اى فى حاله الغالب عليه والاكثر وقاته ممتع اى
اى منتفع ومنعم عليه ظاهرا بصحة جسمه لعدم ابتلايه بالامراض استدرا
جا له حتى يغفل عن اخرته كالارزة الصما اى القوية التى هى غير مجوفة فلا يزال كذلك
حتى اذا اراد الله هلاكه بحصول اجله وانقراض عمره قصمه اى كسره لحينه اى لوقته
الذى حضر فيه اجله على غرة بكسر اوله وهو الغين المعجمة وراء مهملة مشدده وتاء تانيث
اى على غفلة وفى الاساس لم يزل يطلب غرته حتى اصابها اى يترقب غفلته ليهجم عليه
ويتمكن منه ولاخذه بغتة ونجاة من غير لطف ولا رفق به بل بشده وعنف تضربه الملايكة
فكان موته اشد عليه حسرة تمييز وذلك لعدم تاهبه له ومقاساة نزعه اى نزع
روحه منه وقبضها منه مع قوة نفسه وصحة جسمه بعدم ما يعتريه من الاسقام
والالام اشد المنا وعنا بالله فى الدنيا ولعذاب الاخرة اشد عليه مما قاساه فى الدنيا
فى حال نزعه كانجعاف الارزة هو انفعال من الجعف بجيم وعين مهملة وفا وهو القلع
بشده وفى نسخة بتقديم العين على الجيم وكما قال الله تعالى فى حق الكفار فاخذناهم
بغتة وهم لا يشعرون اى غافلون لاشتغالهم بامور دنياهم وعدم ما بينهم على
عاقبتهم وكذلك عادة الله فى اعدايه من القوم الكفرة جارية على اخذهم بغتة كما قال
الله عز وجل فكلا من القوم الكفرة اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا اى انزلنا عليه
حاصبا وهم قوم لوط عليه الصلاة والسلام والحاصب ريح تاتى بالحصبا وهى
حجارة صغار كما قال تعالى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل وخسف ارضهم كما
قاله المفسرون ومنهم من اخذته الصيحة وهم قوم صالح وشعيب عليهما الصلاة
والسلام اتتهم صيحة واصوات هايلة وصواعق فاهلكتهم الاية ومنهم من خسفنا به
الارض ومنهم من اغرقنا ففجا جميعهم ماض بمعنى اتاهم فجاة بالموت على حال عتو
بضم العين المهملة ومثناة فوقية وواو مشددة اى تكبر وتمرد وتجبر منهم
وغفلة عما حل بهم وصبحهم اى اتاهم فى الصباح به اى بالهلاك على غير استعداد
اى تهيو لما سيحل بهم لاستدراجهم بغتة ولهذا الامر الذى ياتى بغتة وكونه
من شان الكفرة ذكر عن السلف من العلما والصالحين انهم كانوا يكرهون موت الفجاة
لمجيئه على غير استعداد له بوصيته ونحوها من المرض المكفر للذنوب وفى نسخة
ولهذا ما كره السلف موت الفجاة ومما يويد صحة الاولى قوله ومنه اى مما ذكر
عن السلف ما روى فى حديث ابراهيم هو النخعى كما فى النهاية وقد تقدمت ترجمته
كانوا يكرهون اخذه كاخذة الاسف كانخذه الاسف اى الغضب لانه عن غضب
على احد باخذه بغتة بعنف وموت الفجاة يشبهه يريد باخذة الاسف موت

الفجاة كما تقدم وتقدم انه ليس على اطلاقه وانه قد يكون راحة للمومن وحكمة ثالثة
فى مصايب الانبيا عليهم الصلاة والسلام والصالحين ان الامراض نذير الموت بنون
وذال معجمة اى منذره به ومنبهه لمن يحل به وفى نسخة نزيد الممات وفى اخرى بريد بموحدة
وراء ودال مهملتين بينهما مثناة تحتيه ساكنة اى رسول يجى من الموت يخبر بانه سيقدم
وهو استعارة حسنة والبريد فارسى معرب بريد دم اى بغل مقطوع الذنب كان
يعد فى المنازل لرسل الملوك وما قيل من انه لو قال ينذر بالموت كان احسن ليس بشى
وبقدر شدتها اى شدة الامراض شدة الخوف من نزول الموت لانذارها بما هو
اشد منها فيستعد من اصابته الامراض اى يتهيا بالاعمال الصالحة وزهده
فى الدنيا الفانية وعلم تعاهدها له اى مجيها له مرة بعد اخرى يقال صديقى من تعاهدنى
بسواله عنى وبره لى كانه يذكر عهدا بينه وبينه وفيه استعارة لطيفة كما قال
بعض العرب اذا الرجال كبرت اولادها وجعلت امراضها تعتادها
فتلك زرع قد دنا حصادها للقاربة عز وجل ولقا الله تعالى كناية عن الانتقال
للدار الاخرة والموت ويعرض عن دار الدنيا بترك امورها الكثيرة الانكاد
جمع نكد وهو ما يغم المرء ويشقه وهو من شانها ولا راحة لمومن فيها وفى القاموس
النكد الضيق والشدة ويكون قلبه اى فكره معلقا اى مشغولا مهتما بالمعاد
اى الاخرة وما بعد الموت وتعلق القلب عبارة عن كثرة الشغل والتقيد
فينتصل بنون وصاد مهملة اى يخرج عن كل ما يخشى ويخاف بتاعته بكسر التا
الفوقيه والذى فى الصحاح فتحها وهو التبعة وما يترتب على الامر ويعقبه
من المواخذات والضرر من قبل الله اى حقوقه التى هى من جانبه ومن قبل
العباد اى حقوقهم فيخرج عن عهدتها باداها لئلا يعاقب عليها ويودى الحقوق
التى فى ذمته الى اهلها اى اصحابها بايصالها وايتا كل ذى حق حقه وينظر اى
يتفكر ويتدبر فيما يحتاج اليه من وصيته فيمن خلف فعل ماض وظرف بسكون
اللام اى ما بقى بعده من مال وولد ونحوه وفى نسخة فيمن يخلفه او ينظر فى
امر عهده اى يعرفه فيوصى به كالدين ويعاهد ورثته عليه وهذا قلما يخلو
منه احد وما قيل من انه انما يليق باهل الدنيا الغافلين واما الانبياء
عليهم الصلاة والسلام فهم غير محتاجين لمثله ليس بشى ولو سلم فهو
بالنسبة لبعض المومنين ويويد الاول قوله وهذا نبينا صلى الله عليه
وسلم المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تاخر اشارة لما فى اول سورة الفتح
اى لو كان منك ذنب سابق او يكون فهو مغفور ولا تواخذ به او ما يعد ذنبا من
مثلك مغفور لك وفى الاية كلام فى كتب التفسير مشهور ومر انها نزلت عليه
صلى الله عليه وسلم فى مرجعه من الحديبيه بعد بيعة الشجرة وما وقع

فيها قد طلب التنصل اي التخلص والخروج من عهده ما في ذمته في مرضه اي مرض موته وعهده في مرضه لقومه لانه كما تقدم وقع في خطبة خطبها قبل مرضه بايام قليلة ممن كان له عليه مال وحق في بدنه كضرب وقع منه صلى الله عليه وسلم لبعض اصحابه نحو عكاشة والاعرابي وتقدمت قصتها واقاد من نفسه وماله اي مكن من له حق في بدنه من القود منه يفعل مثل ما فعل وامكن من القصاص منه وان لم يكن عليه حق في نفس الامر كما بيناه على ما ورد في حديث مروي عن الفضل بن العباس عمه صلى الله عليه وسلم ورضي عنه من انه صلى الله عليه وسلم ضرب اعرابيا بقضيبه فلما خطب الناس وقال من كان له علي حق فليطلبه فقام اعرابي وقال يا رسول الله القصاص فلما كشف له عن بطنه الشريف التزمه وقبله وقال انما اردت هذا وكما ورد في السير في حديث الوفاة اي وفاته صلى الله عليه وسلم فانهم رووا فيه انه صلى الله عليه وسلم قبيله استحل الناس مما لهم عليه من الحقوق كما مر وما قيل من ان هذا ليس في موقعه لان التنصل من الحقوق مطلوب من ادني المومنين فكيف باعلاهم عند وفاته ناشئ من عدم الفهم لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن لامته عليه ما يجب عليه التنصل منه فلو كان فهو مغفور ومع ذلك تنصل منه رعاية لظاهر الحال ورعاية المؤمنين وهذه على المراتب واوصى صلى الله عليه وسلم في مرض موته بالثقلين بعده وقوله كتاب الله وعترته بدل من الثقلين او عطف بيان مبين للمراد بهما والثقلين تثنية ثقل وهو ما يثقل من الثقل ضد الخفة وهما الانس والجن فسماهما ثقلين تعظيما لشانهما وان عمارة الدنيا بهما كما تعمر بالانس والجن ولرجحان قدرهما لان الرجحان في الميزان يثقل ما فيهما ولانه يثقل ما فيهما او لانه يثقل رعاية حقوقهما والعترة بمثناة فوقية الاقارب الادنون واهل البيت واختلف في المراد بهم فقيل من تحرم عليه الزكاة وقيل بنو عبد المطلب وقيل غير ذلك وحديث الوصية رواه مسلم وفيه انه صلى الله عليه وسلم خطبهم وقال ايها الناس انما انا بشر مثلكم يوشك ان ياتيني رسول ربي فاجيبه وانا تارك فيكم الثقلين وهما كتاب الله فيه الهدى والنور فتمسكوا به وحث على ذلك ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي ثلاثا والكلام عليه مستوفى في شروحه واوصى بالانصار عيبته والعيبة بعين مهملة مفتوحة ويا ساكنة وموحدة ما يجعل المرء فيه نفيس متاعه وفي حديث البخاري الانصار كرشي وعيبتي ولما كان الكرش مقرا للغذا من الحيوان كالمعدة للانسان يحوز به عن موضع اسراره التي تخفى وعبر بالعيبة عن مقر ما يظهر من مهماته وهو ابلغ كلام واوجزه الذي لم يسبقوا اليه كما قال ابن دريد وقد تقدم الكلام عليه مبسوطا وهذا ايضا مما قاله صلى الله عليه وسلم في خطبته

التي لم يخطب بعدها وبقيته وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ودعا اي طلب صلى الله عليه وسلم من الصحابة في مرض موته الى ان يكتب كتابا لئلا تضل امته بعده كما تقدم بيانه وما فيه وانه انما في النص على الخلافة لمن هي بعده وهو الاصح كما مر والله اعلم بمراده الذي اراد ان يكتب ثم رأى صلى الله عليه وسلم رأيا جزم به وهو ان الامساك عنه وتركه افضل وخير من كتابته لانهم خالفوه وامتنعوا مما اراده كما تقدم تفصيله وهكذا اي مثل ما وقع له صلى الله عليه وسلم في اخر عمره من التنصل والوصية سنة عباد الله المؤمنين واولياءه المتقين اي دابهم وطريقتهم ان يتنصلوا من الحقوق ويوصوا عند الموت تأسيا به صلى الله عليه وسلم وهذا المذكور كله مما يفعل عند حلول الاجل يحرمه غالبا الكفار وقد يقع لبعضهم ولا يفيده شيا وانما حرموا هذا لاملاء الله اي امهاله لهم حتى تنصرم اعمارهم وانما نملي لهم ليزدادوا اثما بكفرهم ومعاصيهم وغفلتهم عن حقوق الله تعالى وحقوق عباده واستدراجهم اي تقريبهم من الهلاك درجة بعد درجة من حيث لا يعلمون لغفلتهم بما هم مشغولون به من امور الدنيا منهمكين في غيهم متقلبين في نعم الله الدنيوية التي توهموا استحقاقها وانما هي لقطع معذرتهم ومزيد عذابهم بالكفر وكفران النعم حتى ياخذهم بغتة على غرة كما قال الله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة الاية تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون والمراد بالصيحة نفخة الصور الاولى والاخذ الاهلاك بغتة ويخصمون بمعنى يختصمون في معاملاتهم وقد ورد ان الساعة تقوم على الناس وهم في الاسواق وهو يتعاملون ويخصمون بفتح الخاء المعجمة وفيه كلام طويل في كتب القراات والعربية ولذلك اي يكون عادة الاتقيا التنصل من الحقوق والوصية عند الموت قال صلى الله عليه وسلم في حديث تقدم روي عن انس رضي الله تعالى عنه في رجل مات فجاه سبحان الله المقصود بها التعجب كما تقدم بيانه والتعجب من موته فجاة كانه مات على غضب من الله ثم اشار الى ان المراد بالغضب عليه انه محروم من الثواب ولطف العزيز الوهاب فقال المحروم من حرم وصيته فانها مستحبة وذهب بعضهم الى وجوبها وقيل انها كانت واجبة اولا لقوله تعالى كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية الى اخرها ثم نسخت وقال صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه احمد عن عايشة رضي الله عنها موت الفجاة راحة للمؤمن الذي ليس عليه تبعة يحتاج للوصية بها لراحته من سكرات الموت واخذة اسف بغير مد بمعنى غضب وبه بمعنى غضبان ومنه فلما اسفونا انتقمنا منهم للكافر والفاجر اي المنهمك في المعاصي والشك من الراوي وجوز بعضهم كونها من الحديث والمراد بالفاجر المنافق فتامل وذلك

اى كون موت الفجاة كذلك لان الموت ياتى المؤمن وهو غالبا اى فى اكثر احواله واوقاته
او غالب المؤمنين ياتيه الموت حالة كونه مستعدا له اى متهيا لاعماله الصالحة
ووصيته وتنصله منتظرا لحلوله به غير غافل عنه وفى نسخة برفعهما فكان امر
اى الموت عليه كيف ما جاء اى فى اى حال حل به وافضى اى وصل ووصل الى راحته
من نصب وتعب الدنيا ولو ترك واو وافضى كان اوضح واذاها من انكادها واكدارها
كما قيل خُلِقَتْ على كَدَرٍ وانت تريدها صفوا من الاقذا والاكدار كما قال عليه
الصلاة والسلام فى حديث رواه الشيخان عن ابى قتادة رضى الله عنه فى جنازة
مرت به فقال تقسيما للموتى عند موتهم ان منهم مستريح من اذى من اذى الدنيا وتعبها
اذ لا راحة للمؤمن دون لقا ربه ومنهم من هو مستراح منه اى يستريح من ظلمه واذاه
العِبادُ والبِلادُ والشجرُ والدوابُ وقد ورد تفسيرا لنبى صلى الله عليه وسلم
له بهذا ولشأمته قد يمنع القطر ويحل البلا وتاتى الكافر والفاجر منيته على غير
استعداد لها والمنية الموت من منى بمعنى قدر لانها مقدرة فى وقت مخصوص
ولا اهبة بضم الهمزة بمعنى التاهب والاستعداد ولا مقدمات بفتح الدال وكسرها
من قدم اللازم بمعنى تقدم او من المتعدى وهو قدمه اى ما تقدمه من امراض ونحوها
منذرة من الانذار وهو الاعلام مما يخاف منه مزعجة اى محركة على تدارك ما يلزمه
بل تاتيهم بغتة وفجاة فتبهتهم اى تدهشهم وتذهب عقولهم بتحيرهم فلا يستطيعون
ردها بدفعها ولا هم ينظرون اى لا يمهلون بعد مجيئها ولا يوخرون ساعة بعد امها لهم
الاول وهو اقتباس من الاية فكان الموت اشد شى عليه لذلك وفراق الدنيا افظع
بظا معجمة وعين مهملة اى اشق واكره واشنع امر صدمه اى اصابه بشدة وهو غافل
عنه واكره شى له اى كما ورد ايضا ان المؤمن اذا مات كان كالغايب يقدم على اهله
يسرهم قدومه وغيره كالعبد الابق يرد على سيده والى هذا المعنى المذكور اشار
صلى الله عليه وسلم بقوله فى حديث رواه الشيخان عن عبادة ابن الصامت
رضى الله عنه من احب لقا الله بقدومه عليه عند موته احب الله لقاه باكرامه
فى جواره بالملا الاعلى ومن كره لقا الله بسخطه وعدم رضاه بقبض روحه
كره الله لقاه لانه كفر نعمته وعصاه ومن فيه شرطية او موصولة ويويده رواية
اذا احب الله الخ واحتمال النظر فيه خلاف الظاهر وعلى الشرطية قال الكرمانى
يحتاج للتا ويل لان الشرط ليس سببا للجزا فالمعنى اخبروا علم بمحبته لقاه اذ محبة
الله قديمة سابقة فالمراد ظهورها لنا وهو كلام حسن لا يرد عليه شى مما قاله
ابن حجر واقام الظاهر مقام الضمير تنويها لشانه ومشاكلته تتمة اعلم ان
العز ابن عبد السلام قال فى كتاب فوايد المصايب ان لها فوايد تختلف باختلاف
الناس كمعرفة الربوبية وقهرها ومعرفة العبودية وذلها واليه الاشارة بقوله

الذين

الذين اذا اصابتهم مصيبته الى اخرها اى اعترفوا بانهم عبيده وملكه ومرجعهم لحكمه
وقضايه لا مجيد لهم عنه ومنها الاخلاص لله اذ لا يكشفها الا هو كما قال وان يمسك الله
بضر فلا كاشف له الا هو والتضرع والدعاء لله تعالى واذا مس الانسان ضر دعانا
وتبين الصبر والحلم والعفو عمن جناها والفرح بها لاعتيادا لثواب والشكر
على العافية ومحو السيئات بها ورحمة المصاب بها غيره ومعرفة قدرا لنعمة
الزايلة عنه وترقب منافع خفية بها كما قيل كم من نعمة مطوية كدفين انسا
المصايب ومنعها من التكبر والخيلا والرضى بما قدره الله تعالى فلذا كان اشد الناس
بلا الامثل فالامثل الى اخر ما فصله

القسم الرابع من هذا الكتاب

فى تصريف وجوه الاحكام وفى نسخة تصنيف والمراد بيان وجوهها وسبب الاختلاف
فيها الذى اوجب تغيرها من قول الى اخر فيمن تنقصه صلى الله عليه وسلم بذكر ما فيه
تحقير له وغض من علو مقامه وسبه اى بذكر ما فيه سب وشتم له صلى الله عليه
وسلم قال القاضى ابو الفضل عياض المص رحمه الله قد تقدم فى هذا الكتاب
من الكتابِ والسنة واجماع الامة ما يجب من الحقوق للنبى صلى الله عليه وسلم
اى التى يستحقها لذاته وما يتعين له على امته بل على الناس كافة من بر
اى احسان قول وفعل يتعلق به صلى الله عليه وسلم وتوقير اى تعظيم وتبجيل
وتعظيم واكرام لاحترام مقامه وبحسب هذا بفتح السين اى بمقدار اعتبار ما يجب
ويتعين له حرم الله اذاه فى كتابه كما سياتى بيانه وهذه قرينتها واجمعت الامة
على قتل منتقصه صلى الله عليه وسلم وسابه من المسلمين وقيده بالمسلمين
لاختلافهم فى الفاعل لذلك من الكفار هل يقتل او ينقض عهده ثم يبلغ مامنه
وياتى ذلك مبسوطا فى فصل معقود له وقد قيل ان فى دعواه الاجماع فى المسلم
نظرا لان مذهب الشافعى ان من تنقصه صلى الله عليه وسلم بغير قذف من المسلمين
وكذا ساير الانبيا عليهم الصلاة والسلام يستتاب فان تاب لم يقتل ومن قذفه
فيه خلاف ايضا فقيل يقتل لانه حد قاذف الانبيا القتل فلا يستتاب وقيل ان تاب
فورا واسلم بعد الردة فيحد حد القذف ولا يقتل كما حكى عن كثير منهم فلا ينبغي
دعوى الاجماع فيه الا ان يريد اجماع اهل مذهبه من المالكية او عدم الاعتداد
بالمخالف فيه واقول نحن اراده الاجماع على وجود موجب القتل فيه لكفره وردته
فان تاب وقبلت توبته خرج عما استوجبه الاجماع ولو صرح به كان اظهر الا
ان هذه العبارة عبر بها السلف كلهم كما نقله السبكى فى كتابه السيف المسلول
على من سب الرسول واشار الى ان الاجماع على كفره وردته الموجبة لقتله اجماعا
وان عرض ما يمنعه بعده وقال انه لم يخالف فيه احد الا ابن حزم القايل بعدم
كفر من استخف به صلى الله عليه وسلم ولم يتبعه احد عليه ولا اعتد به

مبحث
القسم الرابع
وبه تمام الكتاب
٢٣

فالمعترض لم يقف على مراد القاضي رحمه الله تعالى ولم يفرق بين الوجوب والوقوع
وسياتى ان شا الله تعالى بيانه ثم ذكر ما يويد ما قاله من الايات فقال قال الله
تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا
فيه استيناس لما ذكره لان من لعن فى الدنيا والاخرة واعد له العذاب لا يكون الا
كافرا وقرن اذيته صلى الله عليه وسلم بأذى الله للدلالة على ان من اذى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقد اذى الله تعالى فما قيل من انه لا يدل على مدعاه من الاجماع
كلام ناش من عدم العلم بمراده وقال تعالى والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم
يعنى فى الدنيا بالقتل والاخرة بخلود العذاب وقال تعالى وما كان لكم اى لا يجوز
ولا يصح لكم ان تؤذوا رسول الله بكل ما يكرهه قولا وفعلا ولا ان تنكحوا
ازواجه من بعده اى بعد موته ابدا فحرمتهن عليهم موبدة لانهن امهات المؤمنين
ان ذلكم المذكور من الاذية والنكاح كان عند الله عظيما لقبحه ومنعه شرعا
واستحقاق فاعله الخزى فى الدنيا والاخرة وقال تعالى فى تحريم التعريض له
صلى الله عليه وسلم بما يوذيه من غير تصريح به يا ايها الذين امنوا لا تقولوا
راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا الاية وذكر ما يدل على المنع عن التعريض بعد
ما يكون صريحا ترتيب حسن فالنهى عن اذيته صلى الله عليه وسلم صريحا وتعريضا
فيه دلالة على ما ادعاه بالطريق الاولى والاقوى والاعتراض بانه غير دال على
ما ادعاه لا وجه له غير قلة التدبر واراد المص بالتعريض الايهام والتورية
بما يوهم ذلك وذلك ان المؤمنين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا كلمهم بما لا يدرونه راعنا اى راع جانبنا وتحلم علينا حتى نفهم ما تقول
فلما سمعهم اليهود يقولون ذلك انتهزوا الفرصة فى تنقيص مقام النبوة فكانوا
يقولون له صلى الله عليه وسلم ذلك بقصد سبه اما لانها كلمة سب بلغتهم بالعبرانية
او يقصدون بها وصفه بالرعونة وهى الحمق فتفطن له بعض الصحابة فقال لهم
لئن لم تنتهوا عن مخاطبته صلى الله عليه وسلم بهذا لاخبرته بما قصدتم فقالوا
الستم تقولونها فانزل الله هذه الاية نهيا للمؤمنين ان يقولوا ما يتوصل به اليهود
لسبه صلى الله عليه وسلم كما اشار اليه المص بقوله وذلك المذكور من التعريض
وجهه ان اليهود لعنهم الله كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم راعنا
يا محمد اى ارعنا سمعك اى راع جانبنا بتوجهك الينا والق سمعك نحونا واسمع
منا ما نتكلم به عندك ويعرضون بالكلمة بقصدهم معنى غير ظاهر يريدون الرعونة
اى يقصدون بها اسم فاعل من الرعونة وهى خفة العقل فينصبونه بمقدر نحو كن
او صرت راعنا اى ذا رعونة فنهى الله المؤمنين فى هذه الاية عن التشبه بهم
بقول مثل مقالتهم له صلى الله عليه وسلم والمراد بالتشبه فعل ما يشبهه من غير

قصد

418

قصد وامروا ان يقولوا ما يودى معناه من غير ايهام وهو انظرنا واسمع منا اى
انتظر فهمنا وقطع الذريعة بنهى المؤمنين عنها اى عن هذه الكلمة الموهمة او لضمير
للذريعة وقطع مصدر او فعل ماض اى قطع الله الذريعة وسد بابها بهذا النهى
والذريعة هى الوسيلة الموصلة لامر غير محمود وسد باب الذريعة قاعدة عند
الامام مالك مشهورة تقدم الكلام عليها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق
الى سبه صلى الله عليه وسلم والاستهزا به فانهم كانوا يقولون ويتغامزون وقيل
بل نهى المؤمنون عنها لما فيها من مشاركة اللفظ اى كونه مشتركا بين معنيين لانها اى
هذه الكلمة عند اليهود فى لغتهم بمعنى اسمع لا سمعت دعا عليه قال الراغب كان ذلك
قولا يقولونه للنبى صلى الله عليه وسلم على سبيل التهكم يقصدون به وصفه بالرعونة
ويوهمونه انهم يقولون راعنا اى احفظنا انتهى ومعناها الدعا كاسمع غير مسمع
وهى عبرانية كانوا يتسابون بها واصلها راعين وانظرنا بمعنى انظر الينا بالحذف
والايصال او انظرنا وتان حتى نفهم ما تقول وقيل بل نهوا عنها لما فيها من قلة الادب
وعدم توقير النبى صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لانها فى لغة الانصار بمعنى
ارعنا نرعك اى ان راعيتنا راعيناك لانها صيغة مفاعلة من الجانبين وسوء
الادب فيها ظاهر فنهوا عن ذلك لما فيه من ترك الادب معه صلى الله عليه وسلم
ان مضمونها اى مدلولها عندهم انهم اى القايلين لا يرعونه ويحفظون حقه
الا برعايته صلى الله عليه وسلم لهم وهذا النهى مخصوص بزمان النبوة كما قال
الواحدى فى الوسيط وهو صلى الله عليه وسلم واجب الرعاية على كل احد
بكل حال اى فى كل حال سوا راعى غيره ام لا والجواب الثانى قريب من الاول الا انه
قيل ان الثالث فيه نسبة ما لا يليق بالصحابة رضى الله تعالى عنهم لهم فانهم اعرف
بمقام النبوة واجل عن وقوع تقصير منهم فى التادب معه وهو صلى الله عليه وسلم
قد نهى الناس فى الحديث المشهور عن التكنى بكنيته الشريفة وهى ابو القاسم كنى باسم
بعض اولاده وتقدم ان القاسم اكبر اولاده ولذا كنى به واختلف هل مات قبل
البعثة او بعدها والكنية ما صدرت باب او ام واللقب ما اشعر بمدح او ذم
والعلم اعم منهما واختلفوا فيها هل تداخل ام لا فقال تسموا باسمى اراد به محمدا لانه
اشهر اسمائه صلى الله عليه وسلم واشرفها والتسمية به مستحبة ميمنة ورد
فيها احاديث كثيرة مشهورة وبركتها معروفة ولا تكنوا بكنيتى بفتح التا الفوقية
والكاف وتشديد النون واصله تتكنوا فحذف احدى التائين تخفيفا قياسا وقيل
اصله تتكانوا حذفت الفه لالتقا الساكنين وهو تكلف من غير داع له وقيل انه
روى تكنوا مخففا مسكن الكاف والاول اشهر واظهر وروى لا تكتنوا ايضا صيانة
لنفسه عن ان يشاركه غيره فى كنيته المنوهة برفعة قدره وهو وما بعده مفعول له

منصوب وحماية اي حفظا عن اذاه اي ان يوذيه غيره ثم بين علة المنع وتاذيه بذلك
بما وقع في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم بقوله اذ كان صلى الله عليه وسلم
استجاب اي اجاب والتفت لرجل نادى يا ابا القاسم من خلفه وهو في السوق فقال
له الرجل الذي نادى لم اعنك اي لم اقصدك بندائي هذا انما دعوت هذا يشير لرجل ثمة
وابو القاسم المذكور وقيل انه رجل من الانصار فنهى صلى الله عليه وسلم حينئذ
اي حين اذ وقعت هذه القصة عن التكني بكنيته بضم الكاف وقد تكسر من كنيته
وكنوته واصل الكناية الستر لئلا يتاذى باجابة دعوة غيره الصادرة ممن لم يدعه
اذ ظنه دعاه والتفت نحوه ويجد بذلك المنافقون والمستهزؤن من الكفرة ذريعة
اي وسيلة وطريقا الى اذاه بندا غيره ايهاما لندايه واسماعا له والازرابه الاستخفاف
تحقيرا به فينادونه بكنيته فاذا التفت صلى الله عليه وسلم لمن ينادي قالوا
له حين اجابهم انما اردنا هذا مشيرين لغيره قصدا لسواه ممن تكنى بكنيته تعنيتا له
اي ايقاعا له في العنت وهو الامر الشاق فهو بعين مهملة ونون ومثناة فوقية واستخفا
فا بحقه اي تهاونا وتحقيرا بالعدول عن توقيره على عادة المجان بضم الميم وتشديد الجيم
فالف ونون جمع ماجن من المجون وهو الهزل والسخرية فحمى صلى الله عليه وسلم
حما اذاه اي منع نفسه منعا تاما فان من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه بكل وجه
يفضي اليه فلذا منع من المشاركة في كنيته فيعلم منه المنع مما يوهم معنى قبيحا بالطريق
الاولى كقولهم راعنا ونحوه ثم شرع في بيان حكم التكني بكنيته شرعا فقال فحمل محققو
العلما نهيه اي حملوا حكمه في المنع ونهيه عن هذا المذكور من التكني بكنيته على مدة حياته
لان علة تاذيه بسماعه انما تتصور في حياته واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة
المذكورة بموته صلى الله عليه وسلم والشيء قد يرتفع بارتفاع ما علل به وينتهي
بانتهايه فلا يقال ان عموم لفظه يابا ه وللناس من العلما في هذه الحديث يعني حديث
تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي مذاهب ليس هذا موضعها الذي نذكر فيه مفصلة
لطولها وما ذكرناه من تخصيصه بحياته لما تقدم هو مذهب الجمهور اي اكثر الفقها
والمحدثين وهو الصواب ان شا الله تعالى من الاقوال وهي كثيرة احدها المنع مطلقا سوا
كان اسمه محمدا ام لا وروي عن الشافعي رضي الله تعالى عنه الثاني الجواز مطلقا الثالث
لا يجوز لمن اسمه محمد ويجوز لغيره وعليه عمل السلف وصححه الرافعي وبالغ بعضهم
فقال لا يجوز ان يسمي احد ابنه القاسم لئلا يكنى بابي القاسم والرابع منع التسمية
بمحمد مطلقا والتكني بابي القاسم مطلقا واستدل بما ياتي قريبا ان عمر رضي الله تعالى
عنه غير اسما جماعة سموا بمحمد من اولاد الصحابة ونهى ايضا عن التسمية باسما الانبيا
اعظاما لهم عن ان يسبوا فيسري لسبهم لكنه صح كما ياتي انه رجع عن هذا لما بلغه
ان النبي صلى الله عليه وسلم سمى به بعض من ولد في حياته والخامس المنع مطلقا

في حياته والتفصيل بعده بين من اسمه محمد او احمد فيمتنع ويجوز في غيره والسادس انه
يجوز في حياته لمن سماه النبي صلى الله عليه وسلم وكانه لما ياتي من انه روي عن علي كرم الله
وجهه انه قال له صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ان ولد لي ولد اسميه باسمك
واكنيه بكنيتك قال نعم وهو محمد ابن الحنفية المكنى بابي القاسم ولذا قيل الاصح
ان النهي مخصوص بحياته صلى الله عليه وسلم الا من اذن له النبي صلى الله عليه
وسلم فيه والظاهر ما قاله المص لدلالة الحديث عليه دلالة ظاهرة
ولبعضهم في بعض ذلك في كنية بقاسم خلف وقع فالشافعي مطلقا لها منع
ومالك جوزوا النهي حمل على الحياة والنواوي جعل هذا هو الاقرب اما الرافعي
يمنع من سمي محمدا فعي وان ذلك المنع انما في حياته بكنيته فقط لانه
صلى الله عليه وسلم كان لا ينادى باسمه تادبا على طريق توقيره وتعظيمه
في عدم المشاركة في كنيته ولان معنى القاسم من يقسم ارزاق الناس ونحوه
مما لا يليق بغيره وانه ايضا انما منع على سبيل الندب والاستحباب الندب اكد
من الاستحباب لانه الاولى لا على التحريم لانه لا يلزمه التاذي به حين يقال
كيف لا يحرم ما فيه اذية له صلى الله عليه وسلم ولذلك اي كونه ندبا لا وجوبا
لم ينه عن التسمية باسمه مع وجود العلة فيه لكنه دفع ذلك المحذور بقوله
لانه قد كان الله منع من ندايه به وحده لما فيه من ترك الادب بقوله لا تجعلوا
دعا الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا اي كما ينادي احدكم غيره باسمه فهو مصدر
مضاف للمفعول او الفاعل اي كما كان يدعوكم باسمايكم فانه جايز له صلى الله عليه
وسلم ويجب اجابته مطلقا حتى ذهب بعض الشافعية الى انه يجب اجابته
في الصلاة كساير الانبيا ولا تبطل بها الصلاة بالنسبة له صلى الله عليه
وسلم وانما كان المسلمون يدعونه اي ينادونه ويخاطبونه بقولهم
يا رسول الله ويا نبي الله ولا يقولون يا محمد وكذا يقولون يا ابا القاسم
لما في الكنية من التعظيم وتوقف فيه صاحب الامتاع كما قدمناه وليس محل توقف
ولذا قال المص وقد يدعونه بيا الغيبة لاسناده للظاهر وفي نسخة يدعونه
فالظاهر بدل عنه بكنيته يعني با القاسم لما فيها من الادب وشعار التعظيم
بعضهم فاعل ربدل بعض كما تقرر في بعض الاحوال وهو لا ينافي النهي عن التكني
بها كما توهم بل ينا سبه ثم رسنا سبته الا انه نقل عن الشافعي انه حرم نداه
صلى الله عليه وسلم بكنيته كما حرم نداه باسمه فسوى بينهما لدخولها
تحت قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم لانهم كانوا يتداعون
بينهم بالكنى وقد بينهما فكان هذا هو الداعي لتوقف صاحب الامتاع وفي الشرح
لم اقف على ان احدا ناداه صلى الله عليه وسلم بكنيته بعد هذا النهي الا ان

يكون حديث عهد بالاسلام وقد روي في حديث رواه الحاكم والبزار وابو يعلي وغيره
عن انس رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما يدل على كراهة التسمي باسمه
العلم وهو محمد او ما يشمله وغيره وتنزيهه اي تبعيد اسمه عن ذلك اي عن تسمية
غيره به تكريما له والكراهة كراهة تنزيه لا تحريم اذا لم يوقروا اسمه او المسمى به اي يعظم
فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم واصله اتسمون بالاستفهام الانكاري
الدال على كراهته لمن اعتاد سب اولاده باسمائهم وقال الحافظ ابن حجر انه حديث
ضعيف ولا دليل فيه للكراهة مطلقا وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه كتب
الى اهل الكوفة لا يسمى بالبنا للمفعول والفاعل احد باسم النبي صلى الله عليه وسلم
توقيرا له وخوفا ان يسب بما يوهم سب مسماه مطلقا حكاه عنه ابو جعفر محمد
بن جرير الطبري الا انه رجع عنه لما روي له ما ياتي انه صلى الله عليه وسلم
سمى ابن ابي طلحة محمدا او غيره فقال لا سبيل اليكم يعني في المنع وروى سعيد بن المسيب
احب الاسما الى الله عز وجل اسما الانبيا قالوا فما كرهه عمر رضي الله تعالى عنه لئلا يسب
المسمى به فيسري لذلك وحكي عن محمد بن سعد كاتب الواقدي الامام المشهور وقد تقدمت
ترجمته انه اي عمر رضي الله تعالى عنه نظر الى رجل هو ابن اخيه ابو عبد الحميد بن زيد بن
الخطاب اسمه محمد ورجل يسبه ويشتمه بقوله فعل الله بك يا محمد وصنع هو كناية
عما شتمه به كما يقال فلان الفاعل الصانع فقال عمر لما سمع شتمه باسمه لابن اخيه
محمد بن زيد بن الخطاب الا ارى محمدا عليه الصلاة والسلام يسب بك اي بسبب
اسمك لما فيه من الايهام والا كلمة تنبيه مركبة من همزة الاستفهام الانكاري ولا
الا ان الاستفهام الانكاري ولا ازال النفي وحقق ما بعدها ولذا تتلقى بما يتلقى به القسم
كان والله لا تدعى اي لا تسمى انت محمدا ما دمت انا حيا في مدة حياتي توقيرا له صلى الله عليه
وسلم وتعظيما لاسمه ان يقترن بسبب اسمعه فغير اسمه محمدا وسماه اي سمى عمر رضي الله
تعالى عنه ابن اخيه الذي هو محمد عبد الرحمن فهو عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي
وامه بنت ابي لبابة ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وسمي محمدا فغير عمر اسمه واراد
عمر رضي الله تعالى عنه في زمن خلافته ان يمنع الناس ان يسمي احد باسما الانبيا صلى الله
وسلم عليهم اجمعين اكراما لهم اي للانبيا بذلك اي يمنع التسمية باسمائهم لئلا يسبوا
بما يوهم ذلك وغير اسما جماعة تسموا باسما الانبيا ثم امسك اي كف ورجع عن منع
التسمية لما مر وسياتي والصواب جواز هذا كله اي التسمية باسمه مع الكنية وبدونها
وكذا التسمية باسما الانبيا والملائكة لما مر خلافا لمن منعه او كرهه بعده اي بعد حياته
صلى الله عليه وسلم لان وجهه التاذي بندايه وهو غير متصور بعده بدليل اطباق
الصحابة رضي الله تعالى عنهم على ذلك اي على التسمية بما ذكر وجوازه وقد سمى جماعة منهم
اي من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ابنه محمدا وكناه بابي القاسم فجمع بين الاسم والكنية

ولم يكن

ولم يكن لاحد منهم مع كثرة الصحابة انذاك فهذا كله يدل على انه غير ممتنع شرعا
والاطباق بمعنى الاجماع هنا من المطابقة وهي الموافقة مستعار من الاطباق بمعنى جعل
شي فوق شي بقدره ومنه طابقت النعل ثم شاع وصار حقيقة عرفية وانما جاز
هذا لقصد التبرك المستلزم للتعظيم ولما ورد في حديث رواه ابن وهب تسموا باسما
الانبيا واحب الاسما الى الله عبد الله وعبد الرحمن وسمى النبي صلى الله عليه وسلم
ابنه ابراهيم وروي في حديث رواه ابو داود والترمذي عن علي رضي الله تعالى عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم اذن لعلي بن ابي طالب في ذلك اي في الجمع بين الاسم
والكنية وذلك انه قال له يا رسول الله ان ولد لي ولد بعدك اسميه باسمك واكنيه
بكنيتك فقال له نعم فهذا دليل على ان المنع مخصوص بزمانه صلى الله عليه وسلم
وهذا الحديث رواه اصحاب السنن وصححوه كما قاله البرهان الا انه قال الحافظ عن
مشايخه انه روي انه عليه الصلاة والسلام قال لعلي رضي الله تعالى عنه سيولد
لك ولد بعدي وقد نحلته اسمي وكنيتي ولا يحل لاحد من امتي بعده انتهى فعلى
هذا لا شاهد فيه الا ان كبار الصحابة كابي بكر وابن عوف فعلوا ذلك وناهيك به
حجة وذلك الموعود به كما مر هو محمد بن الحنفية بن علي بن ابي طالب المشهور كان
على علم وقد اخبر صلى الله عليه وسلم في حديث روي عنه ان ذلك اي محمد وابو القاسم
اسم المهدي وكنيته الذي يظهر في اخر الزمان بعدما يظهر الفساد والجور فيملوا الارض
عدلا وهذا ورد في حديث رواه ابو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصيب هذه الامة بلا حتى لا يجد الرجل ملجا
يلجا اليه من الظلم فيبعث الله رجلا من عترتي وفي رواية من اهل بيتي يوافق اسمه
اسمي واسم ابيه اسم ابي وكنيته كنيتي فيملا الارض عدلا وقسطا ويكثر المطر
والنبات ويعيش سبع سنين او ثمان او تسع وفيه احاديث كثيرة افردت بالتاليف
ليس هذا محلها وقيل انه من ولد العباس رضي الله تعالى عنه وقيل غير ذلك والشاهد
فيما ذكر انه لو لم يكن جائزا بعده لما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم
وتسمى به من هو اصلح الناس واعلمهم واعدلهم في عصره ومما يدل على جواز التسمية
باسمه انه قد سمى النبي صلى الله عليه وسلم جماعة منهم محمد بن طلحة التيمي جي به له
صلى الله عليه وسلم فمسح راسه وسماه باسمه وكناه بكنيته وهو المعروف
بالسجاد قتل في وقعة الجمل ومحمد بن عمرو بن حزم ابن زيد بن لوذان الانصاري
ولد سنة عشر وقتل في وقعة الحرة سنة ثلاث وستين وهو من الفقها وروى
عنه احاديث في السنن ومحمد بن ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي اتى به ابوه النبي
صلى الله عليه وسلم فحنكه وسماه محمدا وهو ممن قتل بالحرة ايضا وروى عنه
احاديث في السنن وغير واحد اي كثيرون سماهم النبي صلى الله عليه وسلم

باسمه من اولاد الصحابة وكانوا اذا ولد لهم ولد ياتون به للنبي صلى الله عليه وسلم
يتبركا به فيمسح راسه ويسميه وقد يحنكه بتمر وقد ذكر منهم جماعة الحافظ الذهبي
ونقلهم البرهان وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه ما ضر احدكم ان يكون في بيته
من اولاده الذكور محمد ومحمدان اثنان وفي نسخة وثلاثة واراد بنفي الضر النفع
ولكنه لم يصرح به احترازا من التمدح ومثل هذه العبارة يكنى به عن كثرة النفع
كثيرا وقد فصلنا الكلام في هذا القسم الرابع على بابين كما قدمناه في بيان التراجم
اول الكتاب الباب الاول في بيان ما هو اذا قيل في حقه عليه الصلاة
والسلام اي بالنسبة اليه سب وشتم او نقص بما لا يليق به وان لم يكن سبا من تعريض
بطريق الكناية والايما او نص اي صريح لا يحتمل التاويل قال القاضي ابو الفضل عياض
المولف رحمه الله اعلم وفقنا الله واياك لمعرفة حق النبوة وما يجب له صلى الله
عليه وسلم ان جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم بشتمه او عابه هو اعم
من السب فان من قال فلان اعلم منه صلى الله فقد عابه ونقصه ولم يسبه او الحق به
نقصا في نفسه وذا مما يتعلق بخلقه وخلقته او نسبه كان يفضل احدا على قومه واصله
وكان يقول انه صلى الله عليه وسلم لم يكن قرشيا فانه كفر كما صرح به الفقها وياتي
ايضا في محله وليس من تنقيص النسب ما وقع من الاختلاف في سلام ابويه كما هو
ظاهر او دينه اي نقص شريعته او نسبه لقصوره فيما يجب منها او خصلة من خصاله
وصفة من صفاته كشجاعته وكرمه او عرض به اي قال في حقه صلى الله عليه وسلم
ما لا يليق به تعريضا لا تصريحا او شبهه بشيء غير حسن على طريق السب له بتنقيصه
كما سياتي والازرا عليه اي التنقيص له وان لم يكن قصد السب او التصغير لشانه
اي تحقيره كتصغير اسمه او صفة من صفاته او الغض بمعنى اقل تنقيص وهو بغين
وضاد معجمتين واصل الغض نقص في الصوت او الطرف كما قاله الراغب
فاريد به مطلق النقص القليل والعيب له فهو ساب اي كالساب بمعنى في
نسخة والعيب بالواو والحكم فيه حكم الساب الاتي من غير فرق بينهما من انه
يقتل كما نبينه ولا نستثني بنون المضارعة اي لا نخرج منه فصلا اي قسما وصورة
كما يقال المسيلة على فصول لفصل بعضها من بعض من فصول هذا الباب بجميع
اقسامها ولا نمتري بنون ايضا اي لا نشك ونتردد فيه صريحا كان السب او تلويحا
اي كناية وتعريضا وكذلك من لعنه والعياذ بالله او دعا عليه او تمنى مضرة له
او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه اي باصله وحسبه وهذا هو حقيقة المنصب
كما قدمناه لا ما اشتهر بين العوام على طريق الذم له حاشاه منه او عبث اي
قال له على طريق الهزل والمجون في جهته العزيزة اي بشيء له تعلق بجانبه الشريف
بسخف من الكلام اي امر سخيف رذل او هجر بضم الها وفتحها وهو الفحش والقبح

ويمنكر من القول

ويمنكر من القول وزور بالكذب عليه بما ليس لايقا بجنابه الشريف او عيره
بعين مهملة ويا تحتية مشددة اي نسب له صلى الله عليه وسلم ما فيه عار
عليه بما جرى من البلا والمحنة عليه كذكر ما اتفق له صلى الله عليه وسلم
مع العرب في ابتدا دعوتهم كما فصل في السير او غمصه بغين معجمة وميم وصاد
مهملة اي نقص من قدره صلى الله عليه وسلم ببعض العوارض البشرية الجايزة
عليه كالامراض ونحوها مما تقدم والمعهودة لديه اي المتعادة بينه وبين ساير
الانبيا عليهم الصلاة والسلام وهذا كله غير جايز موجب للعقاب في الدارين
اجماع من العلما وايمة الفتوى من فقها المذاهب معروف متواتر بينهم من لدن عصر
الصحابة رضوان الله عليهم الى هلم جرا اي الى اخر الزمان وانقضا الدوران
عصرا بعد عصر وقرنا بعد قرن بلا خلاف فيه وحكاية ابن حزم الخلاف فيه
لا يعول عليها كما ياتي وتقدم بيان الاجماع فيه وان من اعترض على المصنف لم يفهم
مراده وان هذه العبارة منقولة عن الايمة كلهم كما في السيف المسلول على
من سب الرسول للسبكي وفي نسخة من الصحابة واصحابه وهو سهو من الناسخ
حمل بعض المحشين على التكلف في توجيهها وقوله هجر بمعنى هذيان وتخليط لا يرد
عليه ما ثبت من قول عمر رضي الله تعالى عنه في مرض موته صلى الله عليه وسلم هجر
فانه استفهام انكاري على الاصح مفهوم لم يصفه صلى الله عليه وسلم بذلك
حتى يقال كيف يعد كفرا وقد صدر من مثله ولا حاجة الى الجواب بانه لم يقصد
تنقيصه به ومثله ممنوع حتى قال الزركشي كالسبكي انه لا يجوز ان يقال له صلى الله
عليه وسلم فقيرا ومسكين وهو اغنى الناس بالله لا سيما بعد قوله تعالى ووجدك
عايلا فاغنى وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم احيني مسكينا اراد به المسكنة
القلبية بالخشوع والفقر فخري باطل لا اصل له كما قاله الحافظ ابن حجر العسقلاني
وقوله وزور قد علمت ان المراد به الكذب عليه صلى الله عليه وسلم بتعمد وصفه بما
لا يليق به واما الكذب عليه بنقل ما لم يقله فليس داخلا فيه لانه معصية لا كفر
وقول الجويني رحمه الله تعالى من الشافعية ان تعمد الكذب عليه مطلقا كفر لانه قد يودي
الى استحلال الحرام وهو كفر قول شاذ مردود وما علل به واه جدا وقوله الى هلم جرا هلم كلمة
مركبة منها التنبيه ولم فعل ماض ثم جعلت بمعنى اقبل وفيها لغتان احداهما ان تكون
اسم فعل يستوي فيه الواحد المذكر وغيره والثانية ان يستعمل استعمال الافعال باتصال
الضماير وقد يتعدى باللام وجرا منصوب على الحال والتمييز والمصدرية اي وجر جرا
واصلها ان يرسل الابل للرعي وهي سايرة ثم جعل كالمثل فصارت بمعنى استدامت
الامر واتصاله فيقال كان كذا في عام كذا وهلم جرا الى اليوم واصل معناه سيروا على
هينتكم من غير استعجال وحث لكن في كلامه شيء لم ينبهوا عليه وهي دخال الى على هلم

مقابلة لمن الابتدائية الداخلة على لدن وهو غير مسموع بل غير صحيح لانها فعل في الحال
او الاصل على اللغتين فكانه حذف مجرورها واوصله الى وقتنا هذا وهلم جرا وهو ايضا
غير جار على وفق كلامهم وقال ابو بكر بن المنذر تقدمت ترجمته وانه محمد بن ابراهيم النيسا
بوري اجمع عوام اهل العلم هو جمع عامة بمعنى جماعة كثيرة والمتقدمون كالشافعي
رضى الله تعالى يعبرون بهذه العبارة للعموم وليس المراد العامي فانه غير صحيح اذ لا عبرة
بهم واجماعهم واهل العلم مناد عليه لان العامي لا يكون اهل علم على ان من سب النبي
صلى الله عليه وسلم يقتل مطلقا وممن قال ذلك اى حكم بقتله مطلقا مالك ابن
انس والليث ابن سعد المصري الامام المجتهد المشهور واحمد بن حنبل واسحق ابن
ابراهيم بن راهويه المشهور وهو مذهب الامام الشافعي المنقول عنه في الامهات
قال القاضي ابو الفضل عياض المص رحمه الله تعالى ورضى عنه وهو مقتضى قول
ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ولم يقل وهو قول الصديق مع انه اظهر واخصر
تلذذا بذكره وعبر بالمقتضى لانه نقل عنه ما يدل عليه في عهد خلافته وسياتي
ما يوضحه ولا تقبل توبته عند هولا القايلين بوجوب قتله مطلقا صونا لمقام
النبوة كما قال المتنبي لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم
وبمثله اى بمثل قول هولا بوجوب القتل وعدم قبول التوبة قال ابو حنيفة واصحابه
محمد وابو يوسف وزفر واهل مذهبه والثوري سفيان بن سعيد الكوفي الفقيه
سيد اهل عصره وامير المومنين في الحديث والفتوى لم ير احفظ منه ولا اجل
ولم ير هو ايضا مثل نفسه وهو منسوب لثور وهي قبيلة توفي سنة احدى وستين
ومائة واهل الكوفة من عطف العام على الخاص لان الثوري وابا حنيفة كوفيان
والاوزاعي عبد الرحمن بن عمرو الامام الجليل في الحديث والفقه والترسل
والزهد والعبادة حبر هذه الامة مات في جمادى سنة سبع وخمسين ومأية
ونسبته للاوزاع لقب لابي بطن من همدان في المسلم خاصته دون الكافر وفي تحفة
المسلمين ولكنهم قالوا هي ردة اى بصاحبها ويكفر بسببه وانث الضمير
لتانيث الخبر على القاعدة وعلى هذا يستتاب كالمرتد وقيل انه يمهل ثلاثة
ايام ونقل هذا عن عمر رضى الله تعالى عنه واذا قتل يضرب عنقه وقال الماوردي
يضرب بالخشب ولا يحرق ولا يدفن في مقابر المسلمين ولا المشركين وروى مثله
الوليد بن مسلم ابو العباس الدمشقي مولى بني امية عالم اهل الشام كما تقدم وانه
ولد سنة عشر ومائة وتوفي سنة خمس واربع وتسعين ومأية في المحرم ويقال
له كما في نسخ ابن ابي مسلم والاول اصح عن مالك في احدى الروايتين عنه وحكى
الطبري محمد بن جرير وقد تقدم مثله عن ابي حنيفة واصحابه فيمن تنقصه اى
لنسب له صلى الله عليه وسلم نقصا دون السب وبرئ منه او كذبه فهو من تحرى

فيه ما تقدم من حكم المرتد وقبول توبته وقال سحنون هذا ممنوع من الصرف للعلمية
وشبه العجمة كما قاله المقريزي في كتاب ذكره ابن حبيب وقال ابن حجر في لسان الميزان
هو عبد السلام بن السلام بن سعيد ابن حبيب بن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة
التنوخي ابو سعيد الفقيه المالكي غلب عليه لقبه وسمع من ابن وهب وابن القاسم
واشهب وغيرهم وقال ابو يعلى لم يرض اهل الحديث حفظه خالفوه فيه فقالوا انه
انتشرت امامته وسلم له اهل عصره واجمعوا على فضله وتقدمه وانه اجتمع فيه
خلال لم تجتمع في غيره من الفقه والورع والزهد والسماحة ولد في رمضان سنة
ستين او احدى وستين ومائة وتوفي سنة اربعين ومايتين لتسع خلون من رجب
وهو ابن ثمانين سنة انتهى فيمن سبه ذلك اى سبه ردة له حكمها كالزندقة مصدر
تزندق وهو ماخوذ من الزنديق وهو لفظ معرب في اصله اختلاف وهو يطلق على
معان فيقال على الثنوي القايل بالنور والظلمة كالمانوية وعلى من لا يومن بالاخرة
والربوبية وهو اشهر معانيه وعلى من يبطن الكفر ويظهر الايمان والفرق بينه
وبين المنافق مشكل وعلى من لا ينتحل دينا وهو مشهور ايضا والفرق بين هذا القول
وبين القول بانه ردة عند ابي حنيفة انه يوخذ منه الجزية لانه تقبل توبته قبل
الاخذ كما قاله قاضي خان لانهم باطنية يخفون خلاف ما يظهرون وعند
الشافعي فيه قولان فقيل تقبل توبته وقيل لا تقبل وتفصيله مع ادلته في كتب الفروع
وليس هذا محل تفصيله وتاتي الاشارة الى شئ منه وبنا على هذا المذكور من قول
سحنون وغيره انه وقع الخلاف في استتابته هل هي لازمة اولا وتكفيره اى في الحكم
بكفره يقال كفره واكفره على الصحيح خلافا لمن جعل الاول من الكفارة وهو غلط مشهور
ووقع الخلاف ايضا في قتله هل قتله حد لانه كمن قذف الانبيا وسبهم جزاء عليه كسائر
الحدود ام هو كفر لانه كقتل المرتد بردته كما سنبينه في الباب الثاني من القسم الرابع
ونحن ان شا الله تعالى نبين ما فيه تفصيلا مع الفرق بينهما وما فيه ولا نتلقى
الركبان هنا ولا نعلم خلافا بين علما الاسلام في استباحة دمه اى انه هدر
لاستحقاقه القتل بسببه صلى الله عليه وسلم بين علما الامصار اى البلاد العظيمة
كمكة والمدينة وبغداد وعلماوها اعظم واعلم من غيرهم وسلف الايمة المتقدمين
من الصحابة والتابعين ومن تبعهم باحسان وقد ذكر غير واحد هو كناية عن الكثرة
عندهم الاجماع على قتله وتكفيره اى عده كافرا مستحقا للقتل واشار بعض الظاهرية
وهم قوم على مذهب داود الظاهري الذي كان يرى وجوب الاخذ بظاهر الاحاديث
والنصوص من غير تاويل وهو اى هذا البعض ابو محمد علي بن احمد الفارسي وهو
الامام العالم العلامة المتبحر الحافظ المعروف بابن حزم بن غالب ويتصل
نسبه بابي سفيان بن حرب رضى الله تعالى عنه فهو فارسي الاصل قرطبي ظاهري

كتابه في مذهب داود المسمى بالمحلى وقفت عليه في مجلدات ضخمة ولد بقرطبة سنة
اربع وثمانين وثلثمايه وترجمته وتصانيفه مفصلة في التاريخ ومثل لسان بن حزم
وسيف الحجاج شقيقان الى الخلاف في تكفير المستخف به صلى الله عليه وسلم
بتصغير شانه او بشيء متعلق به من غير سب صريح وهو قول مردود عليه والمعروف
ما قدمناه من تكفيره وفيه اشارة الى عدم الاعتداد باقوال الظاهرية النافين للقياس
وفيه خلاف هل يجوز العمل بقولهم ام لا والصحيح عدم الجواز وما ذهب اليه ابن
حزم دليله انه وقع ذلك في عهده صلى الله عليه وسلم لكثير من الاعراب
ومن غيرهم كالحكم ولم يقتلهم صلى الله عليه وسلم وجوابه ظاهر ولا يقاس حالنا
اليوم عليه لانه في بدء الاسلام كان يتالف القلوب ويسامح اما اليوم فلا وقال
محمد بن الامام سحنون الذي سبق بيانه قريبا وابنه هذا ايضا من اجلة المالكية والمحدثين
وله مصنفات عدة وتفقه على ابيه وكان مفتي القيروان بعده وهو عظيم القدر
قوي المناظرة اجمع العلما على ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المنتقص له لو عطفه كان
احسن كافر مرتد بسببه والوعيد الذي مر في الايات جار عليه لشموله له بعذاب الله
لقوله تعالى لهم عذاب اليم في الاية وحكمه عند الامة اي امة الاجابة القتل ومن شك في كفره
وعذابه كفر لان الرضى بالكفر كفر ولتكذيبه للقران في قوله والذين يؤذون رسول الله
لهم عذاب اليم قال ابن حجر وما صرح به من كفر الساب والشاك في كفره هو ما عليه
ايمتنا وغيرهم لكنه عندنا كالمرتد فيستتاب وجوبا فورا فان اصر قتل ولو امراة فان اسلم
صح اسلامه وترك وياتي ذلك في محله قبل وفي جزمه بكفره بعد نقل الخلاف فيه
فيه نظر وكيف يصح قوله من شك في كفره وعذابه كفر مع ذكر الخلاف فيه اولا فليتامل
واحتج ابراهيم بن حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا وفي نسخة على مثل هذا بقتل
خالد بن الوليد رضي الله عنه مالك بن نويرة علم من تصغيره لقوله عن النبي صلى الله
عليه وسلم صاحبكم يعني به النبي صلى الله عليه وسلم وفيه تنقيص له بتعبيره
عنه بصاحبكم دون رسول الله ونحوه واضافته لهم دونه المشعر ذلك بالتبري
من صحبته واتباعه واستنكافه وهو في غاية الظهور ومالك بن نويرة هذا كان له
وفادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شجاعا شاعرا سيدا مطاعا في قومه
بني تميم فولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وعلى اخذ زكاتهم فمنعوها بعده
صلى الله عليه وسلم فارسل ابو بكر رضي الله تعالى عنه خالد بن الوليد لطلبها
فقال له مالك بن نويرة انا اتي الصلاة دون الزكاة فقال له لا تقبل احديهما بدون
الاخرى فقال قد كان صاحبكم يقول ذلك فقال له خالد اما تراه صاحبا لك
لقد هممت بضرب عنقك فقال مالك ابذلك امرك صاحبك فقال له اهذه بعد تلك
ينكر عليه خالد تكرير قول صاحبكم بعد ما وعده عليها ثم امر ضرار بن الازور فضرب

عنقه لانكاره قوله صاحبكم مرتين استصغارا له صلى الله عليه وسلم وهو الذي
رثاه اخوه متمم بالقصيدة العينية التي منها فلما تفرقنا كاني ومالكا
لطول اجتماع لم نبت ليلة معا وهي قصيدة بليغة مشهورة وفيما ذكره المص
اشارة الى رد ما قيل ان مالكا لما قدم للقتل قال لزوجته ما قتلني الا هذه يعني ان خالدا
اعجبه حسنها فقتله ليتزوجها ولما قتله جعل راسه اثفية قدره ثم بعد ذلك تزوج
خالد رضي الله تعالى عنه فقال ابو حية السعدي فيه شعرا منه قضى خالد بغيا عليه لعرسه
وكان له فيها هوى قبل ذلك ولما انكروا عليه ذلك عند ابي بكر رضي الله عنه وقالوا
له اعزله قال انه تاول في ذلك وما كنت لاغمد سيفا سله الله عليهم اي فهو مذهب
صحابي وممن شدد النكير عليه عمر رضي الله تعالى عنه وودى القتيل من بيت المال
وراى ان قتله غير صواب لكن خالد رضي الله تعالى عنه لما راى جاهليته وانكاره فرض
الزكاة وقد قال له لا تقل هذا فانك ان قلته قتلتك فلم ينته واعاد مقالته حكم بقتله
وابو بكر رضي الله تعالى عنه اقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما فعله لانه
وقع له مثله في قصة بني جذيمة لما قتلهم خالد مع اسلامهم مذكور في السير فسقط
ما قيل انه لا دليل في هذه القضية لما نحن بصدده لانها امر منكر يحتاج التاويل
وقال ابو سليمان الخطابي هو حميد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب وله نسب وقيل انه
من نسل زيد بن الخطاب اخو عمر رضي الله عنه وهو بستي وبها توفي سنة ثمان وثمانين
وثلاثمائة وهو امام جليل له تصانيف جليلة كمعالم السنن وغيره لا اعلم احدا
من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما وانما الخلاف في الكافر كما تقدم
وقد قيل انه مقيد بعدم التوبة فانه محل الاجماع وانه لا يخلو من نظر وقد قدمنا لك
ما يعلم منه الجواب عنه وقال ابن القاسم الامام عبد الرحمن المصري صاحب الامام
مالك رحمه الله عن مالك في كتاب محمد بن سحنون الذي تقدم قريبا والمبسوط والعتبية
تقدم انهما من اجل الكتب وبيانهما وحكاه عبد الله بن مطرف وهو ابن اخت الامام
مالك كما قدمناه في ترجمته في كتاب ابن حبيب الذي تقدم بيانه ايضا من سب النبي
صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل حدا ولم يستتب ولا تقبل توبته وقال ابن
ابن القاسم في العتبية تقدم انها اسم كتاب منسوب لمحمد بن احمد بن عبد العزيز بن
عتبة الاموي القرطبي الفقيه احد اعلام ايمة الاندلس من سبه او شتمه معطوف
على سبه والمراد بالسب ذكر ما فيه تحقير له من الامور الذميمة وشتمه بنسبة
ما لا يليق به صلى الله عليه وسلم في ذاته مما لا يحقره لكونه جبانا واقفا او نحوها
لان المترادفين يعطف احدهما على الاخر وهي للتقسيم هنا كما مر او عابه او نقصه اي
نسب له نقصا وان لم يكن شتما كقوله غيره اعلم منه او اعقل كما مر فانه يقتل حدا
او حكمه عند الائمة اي في اعتقاد جميع المسلمين القتل وجوبا بلا تردد كالزنديق

اى كما يقتل الزنديق كما تقدم وقد فرض الله على كل احد توقيره اى تعظيمه صلى الله عليه
وسلم وبره برعاية حقه الواجب على امته فمن خالف ما فرض الله تعالى عليه مما
علم من الدين بالضرورة كان زنديقا يجب قتله ولا تقبل توبته وفى المبسوطة وفى نسخة
البسطة عن عثمان بن كنانة بكسر الكاف ونونين بينهما الف وها تانيث وهو ابو عمر
اسم رجل من ايمة المالكية له كتاب اسمه المبسوطة لم يشتهر توفى سنة ست وثمانين
ومائة بعد مالك بستين سنة وقيل ثلاث وستين وهو احد الرواة عن مالك
من شتم النبى صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل او صلب حيا على جذع الى ان يموت
لتشهيره ولم يستتب اى لم تقبل توبته والامام مخير فى صلبه حيا او قتله بضرب
عنقه وفى رواية مصعب عن مالك مصعب بزنة اسم المفعول وهو احمد بن ابى بكر
ابو مصعب الزهرى العوفى قاضى المدينة وعالمها الثقة المحدث روى عن مالك
وغيره وتوفى سنة اثنين واربعين ومائتين وله ترجمة فى الميزان وابن ابى اويس
اسماعيل بن عبد الله بن ابى اويس ابن اخت مالك كما تقدم سمعنا مالكا يقول من سب
رسول الله صلى الله عليه وسلم باى نوع كان او شتمه او عابه او تنقصه بنسبته
بنقص مما نزهه الله تعالى منه قتل مسلما كان القايل او كافرا ولا يستتاب لانه
حد لا يسقط بالتوبة عنده قيل قوله ولا يستتاب قيد للمسلم اما الكافر اذا تاب
وتوبته اسلامه فتقبل توبته ولا يقتل لان الاسلام يجب ما قبله وقال تعالى قل للذين
كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وسياتى ما فيه وفى كتاب محمد بن ابراهيم
المعروف بابن المواز من ايمة المالكية المشهورين اخبرنا اصحاب مالك رحمهم الله
تعالى انه قال من سب النبى صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر
قتل ولم يستتب وقال اصبغ ابن الفرج الطاى الاندلسى المالكى مفتى قرطبة الامام
المعروف توفى سنة سبع وتسعين وثلثمائة كما تقدم يقتل على كل حال كما بينه بقوله
اسر ذلك اى اخفاه عن بعض الناس او اظهره وجهر به ولا يستتاب لان توبته لا يعرف
هل هى كاينة باخلاص او هى تقية لخوف القتل وقال عبد الله بن عبد الحكم بفتحتين
ابن اعين الفقيه المصرى ثقة روى عن مالك والليث وغيرهما توفى سنة اربع
عشرة ومائتين من سب النبى صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب
وحكى الطبرى الامام المشهور محمد بن جرير مثله عن اشهب عن مالك رحمه الله
واشهب هذا هو ابن عبد العزيز بن داود بن ابراهيم ابو عمرو القيسى العامرى المصرى
الفقيه قيل اسمه مسكين واشهب لقبه روى عن مالك والليث وغيرهما وهو
ثقة توفى سنة اربع ومائتين وعمره اربع وستون سنة وروى ابن وهب عن مالك
رحمه الله وابن وهب هو ابو محمد عبد الله بن وهب ابن مسلم الفهرى المصرى احد الا
علام روى عن مالك والليث والسفيانين وعن كثيرين وطلب للقضا فاختفى

وانقطع

وانقطع فى بيته وكان من الزهد والعبادة وكثرة حفظ الحديث بمرتبة لم يبلغها غيره
حتى بلغ حديثه ثمانين الف حديث وله تصانيف كثيرة جليلة توفى سنة سبع وتسعين
ومائة فى شعبان وولد سنة خمس وعشرين ومائة من قال ان ردا النبى صلى الله عليه
ويروى زر النبى صلى الله عليه وسلم وسخ الوسخ والدرن معروفان واراد به
عليه اى قصد تنقيصه والازدرا به قتل فان لم يقصد ذلك لم يقتل كما قال
بعضهم رايت عصابته صلى الله عليه وسلم دسمة اى مسودة من درن العرق
لانه يريد بذلك عدم مبالاته صلى الله عليه وسلم بلباسه وزينته والمراد
يعلم من سياق الكلام كما قيل اذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه
فكل ردا يرتديه جميل الا انه لا ينبغى ذكر مثله وروايته عند العوام ولذا
افتى بعض علما العصر فيمن قال انه صلى الله عليه وسلم كان يدهن حتى كان ثيابه
ثياب زيات مع انه مروى فى الشمايل وكذا كل اذية بانه لا يكون كفرا الا اذا اقصد
الاذية له صلى الله عليه وسلم ولذا لم يكفر الخايضون فى الافك مع انه
اذية له صلى الله عليه وسلم بنص القران كما صرح به السبكى فى السيف المسلول
وسياتى تفصيله قال ابن حجر الهيتمى بعد سياقه كلام المص ويوخذ منه انه
لو اطلق ذلك او قصد الاخبار عن تواضعه صلى الله عليه وسلم لا يكفر وهو
ظاهر فى ارادة التواضع ومحتمل عند الاطلاق لانه ليس صريحا فى النقص واذ قلنا
بعدم الكفر فظاهر انه يعزر التعزير البليغ لذكره ما يوهم نقصا واختلفوا فيما لو
قال كان النبى صلى الله عليه وسلم طويل الظفر والذى يظهر انه لو قال ذلك
احتقارا له صلى الله عليه وسلم او استهزا به او على جهة نسبة النقص اليه
كفر والا فلا بل يعزر التعزير الشديد انتهى ملخصا وقال بعض علمائنا يعنى المالكية
اجمع العلما تقدم الكلام فى الاجماع فى هذه المسيلة على ان من دعا على نبى من الانبيا
بالويل فقال الويل له وهى كلمة يدعى بها ومعناها الهلاك او البلا والمصيبة
والعذاب والمشقة او دعا عليه بشىء من المكروه مما يكرهه الناس ويشق عليهم
انه يقتل بلا استتابة اى لا تطلب توبته ولا تقبل وقال ابن حجر الهيتمى فى فتاويه
من خصايصه صلى الله عليه وسلم ان من زنا بحضرته كفر ونظر فيه فى الروضة
واجيب بانه ظاهر فى الاستحقاق فكان كفرا فيوخذ منه ان غيره من الانبيا كذلك
وافتى القابسى ابو الحسن على بن محمد بن خلف المغافرى القيروانى شيخ الحديث وفقه
مالك الضرير الزاهد العابد صاحب التصانيف الجليلة فى الفقه والاصول
عديم النظير توفى سنة ثلاث واربعمائة فيمن قال فى النبى صلى الله عليه وسلم الحمال
بفتح الحا المهملة وتشديد الميم قبل الف ولام وذلك لانه صلى الله عليه وسلم
كان اذا اشترى شيئا من السوق حمله بنفسه فاذا لقيه من اراد يحمله قال رب المتاع

اولى بحمله كما روى فى كتب الحديث يتيم ابى طالب لانه رباه بعد موت ابيه وجده
عبد المطلب بالقتل لما فيه من الاستخفاف والتحقير وقصد قايله ذلك القيام
قرينة عليه كما سياتى قال ابن حجر والظاهر ان مذهبنا لا ياتى ذلك لما فى عبارته
من الدلالة على الازرا فان ذكر يتيم ابى طالب فقط لم يكن صريحا فى ذلك فيما يظهر
نعم ان كان السياق يدل على الازرا كان كما لو جمع بين اللفظين وافتى الشيخ
ابو محمد بن ابى زيد عبد الله القيروانى المالكى الذى انتهت اليه رياسة مذهب مالك
بالمغرب ورحل اليه من الاقطار وكثر الاخذون عنه وقال المصر رحمه الله تعالى فى حقه
انه حاز رياسة الدين والدنيا حتى سمى مالك الاصغر توفى فى نصف شعبان سنة
تسع وثمانين وثلاثماية بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون اى يتحدثون ويذكر بعضهم
لبعض صفة النبى صلى الله عليه وسلم يعنى حليته الشريفة التى مر الكلام عليها
اذ مر عليهم فى حال تحدثهم رجل قبيح الوجه واللحية على غير هيئة مستحسنة فقال لهم
اى لهؤلاء الجماعة الذين يتحدثون تريدون تعرفون صفته صلى الله عليه وسلم وخلقته
فقالوا له نعم فقال هى فى مثل صفة هذا المار فى خلقته بفتح فسكون وهيئة لحيته
وكانت هيئته ذلك المار مستخبثة كما تقرر قال ولا تقبل توبته لكفره وعظم جرمه قال
ابن حجر ومذهبنا قاض بذلك وقد كذب هذا الرجل فى مقالته هذه لعنه الله واخزاه
وقبح وجهه وليس يخرج ما قاله هذا الملعون من قلب سليم الايمان بل عديم العقل
والايمان وقال احمد بن ابى سليمان وهو من علما المالكية المعروفين عندهم وصاحب سحنون
من قال ان النبى صلى الله عليه وسلم كان لون وجهه وظاهر بدنه اسود يقتل لانه
صلى الله عليه وسلم كان من الحسن وبياض الوجه بصفة لا تخفى كما مر فهذا القايل
قد كذب وافترى ووصفه صلى الله عليه وسلم بما فيه اشعار بالتحقير لعنه الله
وسود وجهه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وهذا مما صرح به الفقها وعللوه بانه
قصد الكذب استخفافا فهو كما لو قال لم يكن صلى الله عليه وسلم قرشيا وقال
ابن ابى سليمان ايضا فى رجل قيل له وقد تكلم بشى الجماعة لم يقبلوه لا رد لما قاله وحق
رسول الله اى عظمته وجلالة قدره عند الله وهو قسم موكد لما قبله ومثل هذا
اليمين الموكد به والاستعطاف ليس يمينا شرعيا وانما جا على عرف التخاطب فالبحث عنه
هنا لا وجه له فقال الرجل المخاطب بعدما ذكر فعل الله برسول الله كذا وكذا كناية عن
كلام قبيح وصف به رسول الله صلى الله عليه وسلم تركه لاستهجانه كما ذكره بقوله
وذكر كلاما قبيحا لا يليق ذكره فقيل له انكارا لمقالته ما تقول يا عدو الله جعله
عدو الله لتحقيره رسوله صلى الله عليه وسلم فقال له اى لمن انكر كلامه فى قبحه
اشد من كلامه الاول الذى سبق منه ثم قال موجها كلامه القبيح ويا ويله انما اردت
بقولى برسول الله الذى وصفته بصفات انكرتموها العقرب لان الله هو الذى

ارسلها وساقها كما فى قوله تعالى ويرسل الصواعق وهذا حقيقة معنى الارسال
وهذا مما لا شك فى معناه وانكاره مكابرة لكنه لا يقبل من قايله وادعايه انه
مراده لان رسول الله صار فى كلامهم لا يراد به الا الانبيا عليهم الصلاة والسلام
ولا يخطر غيره بال احد فلذا لم تقبل تاويله قال ابن حجر رحمه الله ومذهبنا لا يابى
ذلك فقال ابن ابى سليمان للذى ساله مستفتيا عنه اشهد عليه امرله بان يشهد به
عند حاكم يجرى عليه ما يستحقه وانا شريكك معطوف على مقدر تقديره فاذا قتل
فلك اجر عظيم يريد فى قتله وثواب ذلك فهو مما وقع فيه الشركة قال حبيب ابن الربيع
هو يحيى بن حبيب وقد تقدم موجها لقول ابن ابى سليمان وفتواه بقتله لان ادعاه
التاويل بصرف اللفظ من ظاهره ومادل عليه فى لفظ صراح بمهملات مضموم
الاول وهو بمعنى صريح وابلغ منه فالتاويل لا يقبل لبعده غاية البعد وصرف
اللفظ عن ظاهره لا يقبل كما لو قال انت طالق وقال اردت محلولة غير مربوطة
لا يلتفت لمثله ويعد هذيانا لانه متهان اى ابتذال وتحقير من المهنة وهى
الذلة اى فيه تحقير لرسول الله صلى الله عليه وسلم بحسب صريحه ومدلوله
المعروف وهو اى قايله غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بزاى معجمة
فى اوله ورا مهملة فى اخره او معجمة اى غير معظم ولا موقر له لعدم تاديه فوجب
بسبب هذا اباحة دمه بجعله هدرا لوجوب قتله وتاويله لا يسمع منه وافتى
ابو عبد الله بن عتاب من فقها المالكية فى عشار بالتشديد وهو من ياخذ العشر
وهو المكاس قال لرجل طلب منه المكس فامتنع وقال له انه ظلم لا يرضى به
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له المكاس ادّ بفتح الهمزة وتشديد
الدال المهملة امر بمعنى اعط ما طلب منك واشك الى النبى صلى الله عليه
وسلم منى ومن ظلمى لك ومثله تحقير للنبى صلى الله عليه وسلم والشريعة
كانه يقول لا قدرة له على دفعه لو كان حيا موجودا الان فلذا افتى فيه
بوجوب القتل لجرايته على جنابه الكريم بكلامه القبيح واشك امر من الشكاية
وكان المتضرر باخذ المكس قال له اشكوك للنبى صلى الله عليه وسلم وقال
اى العشار لذلك الرجل ويحتمل ان القايل ابن عتاب فهى فتوى اخرى فيمن قال
ان سيلت بضم السين او جهلت انا امرا اسال عنه فقد جهل النبى بعض امور لان
علم جميع الامور انما هو لله وسال عما لم يعلمه النبى صلى الله عليه وسلم فافتى
فى هذا ايضا بالقتل لما فيه من الاستخفاف برسول الله صلى الله عليه وسلم
لتسويته بينه وبينه واسناد السوال والجهل له فهذا مع ما قبله كل امر
والحدو كلامان كما اشرنا اليه قال ابن حجر ومذهبنا قاض بذلك ايضا بل الذى
يظهر ان مجرد قوله اد واشك الى النبى بقصد عدم المبالاة كفر ايضا وافتى

فقها الاندلس بفتح الهمزة والدال المهملة وضم اللام كما مر علم ارض بالمغرب كان بها من كبار
العلما ما لا يحصى وهي الان بيد النصارى وفي دخولها عليها كلام وهي معربة بقتل
ابن ابي حاتم المتفقه اي الذي كان يدعي علمه بالفقه والتبحر فيه وهو رجل من اهل
الاندلس لم اقف له على ترجمة الطليطلي بضم الطا المهملة وفتح لام مثناة
تحتية ساكنة وطا مهملة مكسورة ولام ويا نسبة لطليطلة وهي مدينة مشهورة
بالاندلس وصلبه على جذع مرتفع الى ان يموت او ينزل فيقتل تشهيرا له تخويفا
للعامة من الجراة على مثله بما شهد بنا المجهول عليه من استحقاقه بحق النبي
صلى الله عليه وسلم اي تكلمه بكلام يشعر بتحقيره اي برفعة قدره الذي
هو حق ثابت له على كل احد من امته وتسميته اياه اي تسميته ذلك الملعون
اثنا مناظرته النبي صلى الله عليه وسلم باليتيم اي قوله انه يتيم او يتيم ابي
طالب كما كان يقوله الكفرة استحقاقا به صلى الله عليه وسلم وازرا ومثل
هذا اذا سيق مشعرا بتحقير كان كفرا فان لم يشعر به جاز كما في قول الابوصيري
في البردة كفاك بالعلم في الامي معجزة في الجاهلية والتاديب في اليتم واليتيم
من الادمي ولد صغير لا اب له ومن الحيوان ما لا ام له ومن الطير ما لا ام له ولا اب
وقيل لبعضهم لم كان صلى الله عليه وسلم يتيما فقال لئلا يكون لمخلوق عليه
منة وحكمة اخرى ظهرت من هذا البيت لان اليتيم من شانه عدم الادب وعدم
النفس وقد تربى صلى الله عليه وسلم يتيما مع ما فيه من الاداب وعزة النفس
التي لا يصل اليها احد من البشر ولذا قال ادبني ربي فاحسن تاديبي كما رواه السمعاني
ومر انه مات ابوه وهو حمل على الاصح وقيل ابن شهرين وقيل ابن سنة وقيل
ثمانية وقيل ثمانية وعشرين شهرا فكان في كفالة عمه ابي طالب بعد جده وهو في البيت
مدح كما في قوله عز وجل الم يجدك يتيما فاوى فما قيل انه كان على الناظم ان يجتنبه
لا وجه له وتاويله بانه منفرد كالدرة اليتيمة مع عدم الحاجة اليه لا ياتي في
البيت وليس بمراد له وختن حيدرة اي قال الطليطلي انه ختن حيدرة اي ابو
زوجته يعني فاطمة الزهرا فعبر به عنه صلى الله عليه وسلم استخفافا فانه
تحكموا بقتله وقتل وهو من الاندلس ايضا والختن كل قريب لامراة رجل كاب واخ
والعامة تطلقه على زوج البنت كما في الصحاح وحيدرة معناه الاسد وهو هنا
اسم رجل انه لسى وهو لقب علي رضي الله تعالى عنه لشدة خلقه وكانت امه
سمته اسدا لغيبة ابيه لما ولد باسم ابيها لانها فاطمة بنت اسد فلما قدم
ابوه من سفره سماه عليا ولذا قال انا الذي سمتني امي حيدره وزعمه بتثليث الزاي المعجمة
بمعنى الظن وغلب استعماله في الباطل كما هنا ولذا قيل زعم مطية الكذب والضمير
للطليطلي ان زهده صلى الله عليه وسلم بترك الدنيا لم يكن قصدا منه واختيارا

بل عجزا

بل عجزا او اضطرارا وقال لو قدر على الطيبات اكلها وضم ما قاله من الهذيان الى اشباه
هذا اي كلمات اخر يشبهها في السخافة والقبح الذي كفر به وهذا جهل منه بالله
وقدرته وبالنبي صلى الله عليه وسلم وعزته ولو اراد صلى الله عليه وسلم ان تكون
جبال مكة ذهبا كانت وقد عرض عليه ذلك فاباه وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من
لولاه لم تخرج الدنيا من العدم وهو غني عن البيان قال ابن حجر ومذهبنا لا ينافي ذلك
بل زعمه ما ذكر في الزهد ينبغي ان يكون كافيا في كفره وهو ظاهر لنسبة النقص اليه
صلى الله عليه وسلم وافتى فقها القيروان كابن ابي زيد صاحب الرسالة والقير
وان مدينة عظيمة بالاندلس وهو لفظ معرب كاروا بمعنى القافلة لا الجيش كما توهم
وراوها تضم وتفتح وينسب اليها قيرواني وقروي على خلاف القياس وكذا افتى
اصحاب سحنون بقتل ابراهيم الفزاري نسبة لفزارة قبيلة مشهورة وكان شاعرا
جيد الشعر فصيحا متفننا اي ذو فنون من العلوم الفلسفية وغيرها ولكن من يضلل الله
فلا هادي له فعلومه راس مال الجهله بما يجب العلم به وكان ممن يحضر مجلس القاضي
ابن ابي العباس بن طالب للمناظرة اي المباحثة في العلوم وهي مفاعلة من النظر بمعنى
الفكر في اقامة الادلة فرفعت اي نقلت عنه كما يقال حديث مرفوع وضمنه معنى شنع
فعداه بعلى بقوله عليه امور منكرة ينكرها عليه علما الشريعة واهل الدين من هذا
الباب اي من نوع الكفر القبيح في الاستهزا بالله تعالى وانبيايه ونبينا عليه وعليهم
افضل الصلاة والسلام اجمعين فاحضره لمجلس الحكم القاضي يحيى بن عمر
وهو قاضي القيروان وعالمها وغيره من الفقها المالكية في عصره وامر بقتله بعد ما حكم
بكفره بما ثبت عليه في ملا من الناس فصلب وطعن بالسكين ليقتل وصلب على جذع
منكسا رجلاه اعلى وراسه اسفل تحقيرا له وتشهيرا ثم انزل عن جذعه المصلوب
واحرق بالنار بعد موته وهذا مما اجاز العلما كما ذكره السبكي في كتابه السيف
المسلول على من سب الرسول وحكى بعض المورخين اي العلما بعلم التاريخ والاخبار
من سلف انه اي ابراهيم الفزاري المصلوب لما رفعت خشبته التي صلب عليها وزالت
عنها الايدي التي رفعتها وذكره ليعلم ان ذلك الامر ليس بفعلهم وانما هو امر الهي
استدارت بجانب اخر غير ما كان موجها له وحولت عن القبلة بعد ما كان موجها لها
بيانا لانه غير مسلم وليس من اهل القبلة وكان ذلك اي تحوله عن القبلة اية
اي علامة وعبرة للجميع اي جميع من حضر وجميع من كان على نهجه في الزندقة وكبر الناس
اي صاحوا الله اكبر تعجبا مما شاهدوه وجا كلب فولغ في دمه الذي جرى منه
حين طعن بالسكين يقال ولغ الكلب والسبع اذا لعق مايعا بلسانه ولا يقال ولغ
لغير ذلك فقال يحيى بن عمر القاضي حين راى ولوغ الكلب من دمه صدق رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبين ما صدقه بانه ذكر حديثا عنه صلى الله عليه وسلم

ثبت عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لا يلغ بفتح اللام وكسرها والثاني هو القياس
الكلبي في دم مسلم نكير عالة الا انه قيل انه لا يعرفه الحفاظ فالظاهر انه لا اصل له
لانه لم ينقله الثقات ونقل عن ابن حجر ايضا انه قال لا اصل له ونقل المصر له
عن القاضي المذكور لعدم وقوفه عليه في كلام غيره وقال القاضي ابو عبد الله بن المرابط
هو من يقيم بالثغور الاسلامية لحراستها وله فضايل عظيمة مذكورة في كتاب
الجهاد وابن المرابط هذا هو ابو مصعب ويقال المصعب كامر بن محمد بن خلف بن
سعيد ابن وهب توفي بعد ثمانين واربعماية وهو من اجلاء ايمة المالكية بالمغرب
من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب اي يطلب منه ان يتوب مما قاله
ويرجع عنه وهزم بزاي معجمة مبني للمجهول من الهزيمة وهي الفرار من الزحف وهو
كبيرة الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة كما في الاية وبيانه في التفسير وكتب
الفقه فمن قال انه صلى الله عليه وسلم فر من عدو خوفا وجبنا في وقعة هوازن
بحنين فقد كذب ونسب اليه ما هو نقص وعار قال ابن حجر وقضية مذهبنا
انه لا يكفر بذلك الا ان قاله على قصد التنقيص لانه ليس صريحا فيه لان الهزيمة
قد تكون من الجبلات البشرية فان لم يقصد ذلك لم يكفر بل يعزر التعزير الشديد
انتهى ولو قيل ان الفرار مما لا يطاق من سنن الانبيا عليهم الصلاة والسلام
كما فر موسى حين هم به القبط لم يبعد فان تاب قبلت توبته والا اي وان لم يتب قتل
لانه تنقيص له صلى الله عليه وسلم واستهانة به وهو كفر وهذا مخالف لما قدمه
من ان منتقصه صلى الله عليه وسلم يقتل ولا يستتاب فاما ان يكون ابن المرابط
خالف مذهبه في هذا او يقول انه مما ظنه كثير من الناس فاذا تاب ابتدا عنه
لاحتمال ما فيه من الشبهة وانه لا تنقيص فيه مع كثرة العدو وقوته وقوله اذ لا يجوز
ذلك اي هزيمته صلى الله عليه وسلم عليه في خاصته اي فالهزيمة منه ممتنعة
لا رخصة به الله تعالى وجبله عليه لالقا الرعب منه في قلوب اعدايه وتثبيت الله
له بقوة قلبه اذ هو صلى الله عليه وسلم طبعه الله على بصيرة يعرف بها ان احد
الا يقدر على اصابته بسوء ويقين من عصمته اي عصمة الله له بحفظه لقوله
والله يعصمك من الناس ومر ما فيه من الكلام فلو انهزم كان شاكا فيما اخبره الله
به ومر انه صلى الله عليه وسلم كان في حرب هوازن وقد حمي الوطيس على بغلته
البيضا وكان ابو سفيان بن الحارث اخذا بزمامها وهو يقول انا النبي لا كذب
انا ابن عبد المطلب كما في البخاري فركب البغلة وهي لا تصلح للكر والفر ونادى
باسمه اعلاما لاعدايه بمكانه ليقصد فاي ثبات وشجاعة اقوى من هذا وقد
فر كثير من الصحابة لما نضحوهم بالسهام وقال حبيب بن ربيع من ايمة مذهب مالك
كما تقدم القروي منسوب القرية او للقيروان على خلاف القياس كما تقدم مذهب

مالك واصحابه ان من قال فيه اي في حقه صلى الله عليه وسلم ما فيه نقص
لمقامه العظيم قتل دون استتابة هذا تعقب على ما قاله ابن المرابط لمخالفته
لمذهبه وقد عرفت ما فيه وقال ابن عتاب من المالكية ايضا نص الكتاب والسنة
من الاحاديث الصحيحة وطريق السلف مرجيان ان من قصد النبي صلى الله عليه
وسلم باذى اي بما يوذيه ويسوءه او نقص اي ما فيه تنقيص له وتحقير سوا كان
معرضا او مصرحا وان قل فقليله وكثيره سوا والتعريض الاتيان بما يوهم ذلك
والتصريح بخلافه فقتله واجب على كل حاكم رفع اليه امره لان من اذاه صلى الله
عليه وسلم فقد اذى الله وقد وقع وعيده في ايات عديدة مشهورة مر بعضها
وياتي بعضها ايضا فهذا كله اي كل ما ذكر في هذا الباب مما فيه اذيته او تنقيص له
صلى الله عليه وسلم مما عده العلما سبا وتنقيصا يجب قتل قايله لم يختلف
في ذلك متقدمهم ولا متاخرهم وان اختلفوا في حكم قتله على ما اشرنا اليه
فيما تقدم من هذا الكتاب ونبينه تفصيلا بعد اي بعد هذا فهو مبني على الضم
وكذلك اي مثل ما تقدم عن ايمة الدين اقول حكم من غمصه بغين معجمة وميم
وصاد مهملة اي حقره وعابه بما لا يليق به او عيره بتشديد اليا التحتية
اي نسبه صلى الله عليه وسلم لما فيه عار وهو يتعدى بنفسه في الفصيح
وقد يتعدى بالبا وانكار الحريري له في درة الغواص لا وجه له كما فصلناه
في شرح جامع شواهده ومنه قوله برعاية الغنم قال السيوطي في كتابه تنزيه
الانبيا عن تسفيه الاغبيا وهو كتاب جليل ينبغي الوقوف عليه ان رجلا سب اخر
بانه راعي فقال له ما من نبي الا رعى الغنم بمجمع من العامة فقال قاضي القضاة المالكي
لو رفع لي هذا ضربته بالسباط فلما سكت عنه اجبت بانه يعزر ابلغ تعزير
لانه لا ينبغي ضرب احاد الناس مثلا لنفسه بالانبيا والمستدل بمثله قد يكون
في مقام التدريس والافتا والتصنيف وبيان العلم لا هله لا ينكر عليه اما
في مقام الخصام والتبري عن معرة نقص نسب له او لغيره فهو محل الانكار
والتاديب لا سيما بحضرة العوام وفي الاسواق فهو سب وقذف ولكل مقام مقال
يناسبه وسيل الحافظ ابن حجر عما يقع في المولد من الوعاظ بين العوام من ذكر
الانبيا عليهم الصلاة والسلام بما يخل بالتعظيم حتى يحصل لسامعه رقة
وحزن كقولهم ان المراضع لم تاخذه صلى الله عليه وسلم لعدم ماله حتى اخذته
حليمة شفقة عليه ويقولون انه كان يرعى غنما وينشدون في ذلك
باغنامه سار الحبيب يكي يرعى فيا جندا راع فوادي له يرعى فاجاب
بانه ينبغي ان يحذف من الخبر ما يوهم نقصا وان لم يضره بل يجب ذلك انتهى
او وصفه بالسهو والنسيان او السحر اما الاخير فانه لا شبهة في امتناعه

واستحقاق قايله ما مروا ما الاولان فما صدر عنه صلى الله عليه وسلم
ذلك نادرا كما تقدم لكنه لا يجوز وصفه به في سياق يوهم تنقيصا لمقامه
لانه يصدر منه نادرا للتشريع او اى ولا يجوز ايضا ذكر ما اصابه من حرج
بالحا والرا المهملتين والجيم موخرة اى ضيق وشدة من اعدايه احيانا كما وقع
له صلى الله عليه وسلم باحد من كسر رباعيته وجرحه وفي بعض النسخ او خرج
بالجيم المضمومة مقدمة وسكون الرا او هزيمة لبعض جيوشه فلا يجوز ذكره
وان لم يكن في ذاته كما تقدم لان اهانة اصحابه اهانة له وذكرها يوذيه او اذى
من عدو له او لجنده او شدة في زمنه تصيبه او تصيب اصحابه ككلفة المعيشة
وضيق الحال وخوف العدو او وصفه بالميل الى نسايه فلا يجوز وان كان جايزا
عليه لما فيه من النقص بالنسبة لجليل قدره فحكم هذا المذكور كله وان كان منه
ما هو جايز عليه كالسهو لمن قصد به نقصه القتل فان لم يقصده يمتنع كما تقدم
في كلام السيوطى وغيره قال ابن حجر وما ذكره المص ظاهر لقصد النقص وهو كفر
كما مر وقد مضى في هذا الكتاب من مذاهب العلما في ذلك ويأتى ما يدل عليه ويبينه
وما موصوله او موصوفة تنازعها مضى ويأتى قال السبكى رحمه الله تعالى
بعد ما ذكر ما هنا في هذا الفصل ان كان هذا عن سوء عقيدته فلا اشكال
فيه اما اذا صدر عن مومن وقلنا الايمان هو التصديق فقط والكفر الجحود كيف
يكون هذا كافرا واجاب نقلا عن امام الحرمين ان المسلمين اجمعوا على
تكفيره فكانه لانه تعالى قضى بانه لا يصدر مثله الا ممن قضى الله بانتزاع
معرفة الله من قلبه والعمل وان لم يكن ركن الايمان فالاقرار والانقياد
والاذعان بترك الاستكبار عن امتثال الاوامر لا بد منه ولذا كفر ابليس بالاستكبار
والحاصل ان الايمان بمعنى التصديق ولا بد ان يقترن به امر اخر هو طمانينة القلب
لقبول الاوامر والنواهى والانقياد لها بقلبه وهو معنى الطمانينة فمن استخف
واستهان به ضاد ذلك فانتفى تصديقه الموجود صورة بانتفا اثره فصار
ذلك كالعدم فالكفر كفران كفر جهل وجحود ككفر النصارى وكفر مع التصديق
والمعرفة بوجود ما يعارضه ويصيره كالعدم ككفر ابليس واليهود فاذا نفى
عنه التصديق فهو نفى للمعتد به منه وكفر الساب والمنتقص من هذا القبيل
فهو كافر جاهل استحل املا فمن توقف في التكفير من الفقها لمن لم يستحل خفى عليه
ماخذه انتهى وهو نفيس جدا ينبغى التنبه له في تكفير الفقها لبعض الناس فتدبر

فصل في الحجة اى في بيان الدليل في ايجاب قتل من سبه او عابه صلى الله عليه
وسلم بذكر ما فيه تنقيص له من ايات القران لعنه تعالى لموذيه في الدنيا
والاخرة كما مر ولا يطرد في الدارين عن رحمته تعالى الا الكافر المستحق القتل

وقوله

وقوله تعالى اذاه باذاه بجعل ما يوذى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوذيه ووجه الدلالة انه لا خلاف في قتل من سب الله تعالى فانه كفر بالاتفاق
كما ياتى ولا خلاف في ان اللعن اى الطرد من رحمة الله تعالى في الدارين انما يستوجبه
اى يستحقه وجوبا من هو كافر وهذه مقدمة من برهان منطقى على الحكم بقتله
والمقدمة الاخرى حكم الكافر القتل لانه غير معصوم الدم بالذات وانما
عرض له ما يمنع من قتله ومن كفر بسبه اشد من الكافر الاصلى كما سمعته انفا
وقال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة
واذية الله لا تمكن لانها ايصال مكروه له وهو لا يتصور في حقه فذكره لتهويل
لاذية الرسول صلى الله عليه وسلم فان من يوذيه كمن يوذى الله واللعن الطرد
من رحمته تعالى وهو انما يكون في الدارين للكافر كما تقرر وقال الله تعالى في القران
في قاتل المومن عمدا بغير حق مثل ذلك اى مثل ما قال في حق من يوذى النبى صلى الله
عليه وسلم ووصفه باللعنة فمن لعنه في الدنيا القتل اى لعنة القاتل في الدنيا
بقتله قصاصا والذى يدل على ان لعنة الدنيا القتل ما قال الله تعالى لئن لم ينته
المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك
فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا انصب ملعونين على الشتم والحال اى لا يجاورونك
في المدينة الا ملعونين وثقفوا بمعنى وجدوا وقد ظفرتم بهم اخذوا وقتلوا تقتيلا
والاية تدل على ان معنى لعنة الدنيا هى القتل فتدل على قتل من اذاه لان الله لعنه
في الدنيا والاخرة وقال الله عز وجل في المحاربين اى الذين حاربوا الله ورسوله
انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا اذ المراد بهم قطاع
الطريق وجعل محاربتهم للمسلمين محاربة لله ورسوله لخروجهم عن امرهما وحكمهم
مذكور في كتب الفقه وانما ذكر المص هذا دليلا على ان اللعنة جات بمعنى القتل وقوله
وذكر عقوبتهم يعنى في الدنيا بقوله ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم
من خلاف او ينفوا من الارض والجملة حالية او معترضة ومقول قال ذلك لهم
خزى في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم وذلك اشارة للقتل وما بعده والخزى
الذل والفضيحة وهو استدلال معنوى لان الخزى في الدنيا بمعنى اللعنة فما قيل
من انه قليل الجدوى هنا ناشى من عدم التدبر وقد ذكر هنا كلاما طويلا بغير طايل
وقد يقع في القران القتل بمعنى اللعن عكس ما تقدم فوقوع كل منهما في موقع الاخر
يدل على ان المراد بهما معنى واحد وقال تعالى قتل الخراصون اى الكذابون الذين
يقولون ما لا يصح تخمينا وتقديرا من انفسهم فالقتل بمعنى الاهلاك جرى
مجرى اللعن والقبح في الدعا وغيره وقاتلهم الله في الدعا كلعنهم الله وقد يرد
هذا للتعجب من فعل فعلا غريبا ولو في مقام المدح وقد يرد على ظاهره كقوله

تعالى قاتلهم الله انى يؤفكون اى يصرفون عن الحق اى لعنهم الله فوقع موقعه فى الدعا والمعنى
المجارى كالحقيقى ولانه لا فرق بين اذاهما اى اذية الله تعالى واذية رسوله صلى الله
عليه وسلم واذية المؤمنين لان اذاهم ليسوء رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويؤذيه فى امته واذيته اذية لله كما تقدم وعدم الفرق فى مطلق الاذى وان كان
بين اذاهما واذى المؤمنين فرق بحسب الجزا واليه اشار بقوله وفى اذى المؤمنين
ما دون القتل اى اقل منه من الضرب حدا وتعزيرا والنكال اى العقوبة بغير قتل
كقطع يد ونحوه قال تعالى والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا
فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا فكان حكم موذى الله تعالى ونبيه صلى الله عليه
وسلم اشد من ذلك اى من جزا اذية المؤمنين التى تكون بضرب ونحوه وقوله وهو القتل
راجع لحكم الاشد وحاصله الاستدلال على ان من سبه صلى الله عليه وسلم يقتل
والدليل عليه ايضا انه قال تعالى فلا وربك اى فوربك لا يؤمنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم اى وقع بينهم من الاختلاف والمخاصمة وحتى غاية متعلقة بقوله
لا يؤمنون اى ينتفى عنهم الايمان الى هذه الغاية وهى تحكيمك وعدم وجدانهم الحرج
وتسليمهم لامرك الاية يعنى قوله تعالى ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت
ويسلموا تسليما وتقدم ان سبب نزول هذه الاية كما فى البخارى ان الزبير العوام
رضى الله تعالى عنه خاصم رجلا من الانصار بدريا فى امر الما الذى يشرح الحرة
فى نسخة بفتح الشين المعجمة وكسر الرا الخرجيم سبيل الما يكون فى الجبل وينزل
فى السهل وتقدم رواية فى شراج بالشين المعجمة المكسورة الحرة بفتح الحا وتشديد
الرا المهملتين ارض ذات حجارة سود خارج المدينة فاغضب رسول الله صلى الله
عليه وسلم كما تقدم فنزلت هذه الاية وقد علمت ان لا مزيدة لتاكيد النفى فى
جواب القسم لا التظاهر لا فى قوله لا يؤمنون لانها تزاد ايضا فى الاثبات كقوله
تعالى لا اقسم بهذا البلد وقيل ان لا الثانية زايدة والقسم معترض بين حرف النفى
والمنفى وكان التقدير فلا لا يؤمنون وربك فنفى الايمان عن من لم يرض حكمه لما فيه
من الاذية له صلى الله عليه وسلم كما اشار اليه بقوله فسلب الله تعالى ونفى اسم
الايمان عمن وجد فى صدره اى قلبه الذى فيه ونفسه واسم على ظاهره اى لا تسميه
مؤمنا او هو مقحم مزيد للمبالغة فى نفيه عنه حرجا اى ضيقا عن قبول حكمه او قلقا
اشارة لقوله ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت اى من قضايه وحكمه ولم يسلم له
اى لم ينقد ولم يذعن لحكمه صلى الله عليه وسلم اشارة لقوله ويسلموا تسليما
واورد هنا بعض الشراح كلاما طويلا وزعم ان المفسرين لم يهتدوا لصوابه وحاصله
انها ان كانت فى اليهود والمنافقين ممن ليس بمؤمن فلا يجعل سلب ايمانهم غاية لعدم
الرضى بحكمه صلى الله عليه وسلم وان كانت فى الزبير رضى الله تعالى عنه فهو مؤمن

قبل الحكم وبعده فان كانت عامة فالحرج كاف فلا حاجة لقوله يحكموك الخ
وهى تقتضى ان مجرد الرضى بحكمه يكفى فى ثبوت الايمان ولا قايل به الى اخر ما ذكره
مما يدل على ضيق العطن بل قلة العطن لان المراد من لم يرض بحكمه صلى الله عليه وسلم
ولم ينقد لنهيه وامره شاك فى دينه غير متحقق بيقينه ومثله موذ له مغضب له
صلى الله عليه وسلم كما مر فى سبب النزول واذيته كفر حقيقة او موديه اليه
فيه حث على اجتناب ما يكره والخوف من عاقبته فاى حاجة لدندنته بما لا
يحصل له ولولا خوف الاطالة لاوردناه وبينا ما فيه ومن تنقصه اى صدر عنه
ما فيه نقص له صلى الله عليه وسلم فقد ناقض هذا المذكور فى هذه الاية
من الحرج وعدم التسليم مما يجر الى نفى الايمان وقال الله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى الى قوله ان تحبط اعمالكم ولا تجهروا له
بالقول كجهر بعضكم لبعض فنهى الله المؤمنين عن رفع الصوت فى مخاطبته
وان يتادبوا معه صلى الله عليه وسلم بخفض اصواتهم تعظيما له وتاديبا وحبوط
الاعمال سقوطها حتى لا يثاب عليها من حبطت الدابة اذا اكثرت اكلها حتى انتفخ
وماتت ولا يحبط الاعمال ويسقطها عن ان يعتد بها ويرفع ثوابها الا الكفر
لان الاعمال انما تتقبل من المؤمن لان العمل المقبول ثمرة الايمان وهذا مذهب
اهل السنة من ان المحبط كفر اصلى او طارى بردة والمعتزلة يقولون يحبط بالكباير
والخلاف مشهور فى الاصول والكافر يقتل اى يستحق القتل شرعا بما اوجبه
والمراد النهى عن الموذى ورفع الصوت فوق صوته صلى الله عليه وسلم فيه
اذية له وهذا مخصوص بمن قصد اهانته وتحقيره صلى الله عليه وسلم
فان لم يقصده كان خلاف الاولى فالقول بان اطلاقها يوافق مدعاه غير
ظاهر لعدوله عن الظاهر وكان الصحابة بعد نزول هذه الاية لا يكلمونه
صلى الله عليه وسلم الا كاخى السرار كما مر وقال ابن العربى رحمه الله
تعالى هنا كما هو فى حياته صلى الله عليه وسلم متحتم بعد مماته حتى لا ينبغى
رفع الصوت عند قبره ولا عند قراة حديثه ولا عند احد من العلما الذين
ورثوا مقامه صلى الله عليه وسلم فهذا كله مكروه اشد كراهة ومع قصد
الاهانة حرام وقد علم هذا كله مما مر وقال الله تعالى واذا جاوك حيوك
بما لم يحيك به الله يعنى اليهود المنافقين لما كانوا يقولون له السام عليك
يعنون الدعا بالموت ويحرفون تحية الله التى هى السلام ويقولون فى انفسهم
لولا يعذبنا الله بما نقول ثم قال عز وجل بعد قولهم هذا حسبهم جهنم يصلونها
فبيس المصير اى يكفى فى جزايهم ما اعد الله لهم من عذاب الاخرة الذى يصيرهم
وقد علمت ان ضمير جاوك لليهود والمنافقين الذين كانوا يتناجون ويتغامزون

حتى شكاهم الانصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهم فلم ينتهوا فنزلت فيهم
هذه الاية وقيل نزلت في اليهود لما كانوا اذا جاوه قالوا السام عليك ثم يقولون
لو كان نبينا ما امهلنا الله تعالى مع استخفافنا فاذا نهوا عن هذا وجا وعيدهم به
فالسب يعلم بالطريق الاولى وقال تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو
اذن اى يسمع كل ما يقال له ويقبل من كل احد فجعل ذاته كلها اذنا تسمية للكل باسم
جزيه كما سمي الربيئة عينا فهو مجاز مرسل والقايلون لهم المنافقون قالوا نقول له ما نريد
ثم ناتيه فننكر ونحلف فيصدقنا ظنوه غفلة منه وانما هو حلم منه صلى الله عليه
وسلم عليهم فرد الله عليهم مقالهم بقوله قل هو اذن خير لكم اى نعم هو اذن ولكنه
اذن خير وصلاح لعفوه وصفحه وهو مع ذلك يؤمن بالله بتصديقه لما جا منه
ويؤمن للمؤمنين يصدقهم ويجعلهم في امان بقبوله من جنسهم ويتجاوزه عن مسيهم
وعداه باللام لتضمنه معنى يسمع قولهم مصدقا له وفيه تعريض لهم بانه لا يقبل قولهم
وانما يسترك بهم بحلمه عليهم كما قال ورحمة للذين امنوا منكم اى اظهروا الايمان ولذا
عبر بالفعل وسمى غيرهم بالمؤمنين وقد قال وفي نسخة ثم قال والذين يؤذون رسول الله
لهم عذاب اليم اى مولم وفيه مجاز عقلي وقال الله تعالى ولين سالتهم اى المنافقين الذين
قالوا وهو صلى الله عليه وسلم ذاهب لتبوك انظروا لهذا الرجل يريد فتح حصون
الشام هيهات هيهات فاعلمه الله بذلك فلما اخبرهم بما قالوه قالوا كما اخبر الله تعالى
عنهم بقوله ليقولن انما كنا نخوض اى نتحدث لنقطع السير بالتلهي بالحديث ونلعب
تلهيا منا قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزون استفهام تقريري لتنزيلكم
منزلة المعترفين وتعضيحا لهم لا تعتذروا قد كفرتم باستهزايكم بعد ايمانكم بحسب
الظاهر اى لا تعتذروا بعذر غير مقبول لكذبكم والقايل ذلك وديعة ابن ثابت
لا ابن سلول كما قاله النقاش لانه لم يشهد تبوك فهو خطا وقوله ان نعف عن طايفة
منكم نعذب طايفة كانوا ثلاثة تكلم اثنان وضحك الثالث وهو المعفو عنه واختلف
هل هو مخشي بفتح الميم وسكون الخا المعجمة وشين معجمة مكسورة ويا معجمة بنقطتين
من تحت مشددة او ابن مخشي او ابن خاش بن حمير بحا مهملة مضمومة وميم مفتوحة
ويا مشددة ورا مهملة تصغير حمار هو الاشجعي وهو مسلم وقيل منافق لكنه
تاب وحسن اسلامه وسال الله تعالى الشهادة فقتل باليمامة وطلبه الشهادة
لندامته على ضحكه رحمه الله تعالى ورضي الله عنه وقال اهل التفسير في تفسير
هذه الاية معنى كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم هو اذن فهو دليل
على ان اذيته صلى الله عليه وسلم كفر وهذا قول المفسرين في كفره واما الاجماع
على كفره فقد ذكرناه فيما تقدم وقد بيناه اتم تبيين واما الاثار اى الاحاديث المسندة
المروية فيه فمنها ما ذكره المصنف ورواه الطبراني والدارقطني عن علي رضي الله تعالى عنه

وقدم الاجماع لانه اقوى في الدلالة على ما اراده لاحتمال الاحاديث للتاويل والتهويل
بقوله حدثنا الشيخ ابو عبد الله احمد بن محمد بن غلبون الخولاني القرطبي الاشبيلي الزاهد
العلامة في جميع الفنون الثقة العابد توفي سنة ثمان وخمسماية وله تسعون سنة
عن الشيخ ابي ذر الهروي وهو عبد بن محمد بن عبد الله الانصاري الهروي الحافظ
الفقيه المالكي نزيل مكة وله معجم كبير وعاش سبعا واربعين سنة وهو ثقة عابد
حافظ عارف بالفقه واخذ الاصول عن الباقلاني وتوفي سنة اربع وثلاثين واربعماية
اجازة تقدم معناها والاجازة كتبة فيها كلام في ابن الصلاح وحواشيه قال حدثنا
ابو الحسن الدارقطني علي ابن عمر بن احمد البغدادي الحافظ المشهور صاحب التصانيف
الجليلة يروي عن البغوي وطبقته كما قاله الحاكم وكان اوحد عصره في الحفظ والفهم
والورع وانتهت معرفة الحديث والعلل له وكذا اسما الرجال مع الصدق وصحة
الاعتقاد والاطلاع على علوم كثيرة غير الحديث كالقراات والفقه والادب والشعر
وهو لم يرحل بنفسه وقيل انه كان امير المومنين في الحديث توفي سنة خمس وثمانين
وثلاثماية وسنه ثمانون وهو منسوب لدار القطن محلة ببغداد وابو عمر بن حيوية
الامام الحجة محمد بن العباس بن محمد بن ذكريا البغدادي وهو امام ثقة توفي سنة
اثنين وثلاثماية عن سبع وثمانين وحيوة بفتح الحا المهملة وسكون اليا المثناة
التحتية وفتح الواو وبعدها يا مشددة للنسبة لحيوة وهو علم على خلاف القياس
لان مقتضاه قلب الواو يا وادغامها لكن الاعلام ارتكبوا فيها خلاف القياس
احيانا كما ذكره النحاة قال لا حدثنا محمد بن نوح قال حدثنا عبد العزيز ابن محمد بن
الحسن بن زبالة بفتح الزاي المعجمة وتخفيف الموحدة ولام قبل هاء وهو من ايمة
الحديث المشهورين وله فيه كتاب متداول الان فيه امورا توقف فيها المحدثون
قال حدثنا عبد الله بن موسى بن جعفر هو عبد الله ابن موسى الهاشمي وفيه كلام
فقيل ضعيف وقيل ثقة توفي سنة اربع وسبعين وثلاثماية عن علي بن موسى
المعروف بالرضى العلوي وهو في الاكثر يروي عن ابيه موسى الكاظم بن جعفر
الصادق توفي بطوس سنة ثلاث ومايتين وله خمسون سنة قال ويسند له
امور لا اصل لها كما يروى عن جعفر الصادق ولا يتهما وانما الكلام فيمن نقل عنهما
عن جده جعفر الصادق عن محمد بن علي بن الحسين عن ابيه وهو ابو جعفر الباقر وابوه
زين العابدين عن الحسين بن علي بن ابي طالب عن ابيه علي ابن ابي طالب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب اصحابي فاضربوه اى
حد القذف وهذا الحديث تقدم من رواه لكن قالوا ان سنده ضعيف ولم يروه
اصحاب الكتب لكنه اعتضد بالاجماع وقول ابن الصلاح ان حديثه لا يعرف مردود
عليه بروايته مسندا وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره مسندا

امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف وهو يهودي من يهود خيبر مشهور
وقوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث من لكعب بن الاشرف جملة اسمية معطوفة
على جملة امر الفعلية اي قوله هذا ثابت ومن استفهامية اي من يقوم له ليقتله
وهو حث وحض على الانتصار بالانتقام كما تقول من لي بفلان في الاستعانة
وطلب الاعانة ثم علل الطلب بقوله فانه يعني كعبا لعنه الله اذى الله ورسوله
وروي يوذي الى الخ لانه اعلن بسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجاه
ورثى قتلى المشركين ببدر وذهب لمكة ليحرض اهلها على حربه ولاخذ الثار فلما
رجع وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعله قال من لي بابن الاشرف الى اخره
وروى ابن حجر عن ابن اسحاق بسند ضعيف ان كعبا صنع وليمة جمع فيها اليهود ودعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وقال لليهود اذا حضر فاقتلوه فلما اتاه لدعوته
اتاه جبريل عليهما الصلاة والسلام فستره بجناحه وخرج وهم لا يرونه فلما فقدوه
تفرقوا وكعب هذا كان من بني نبهان بطن من طي وكان شاعرا فصيحا وكان ابوه اصاب
دما في الجاهلية فاتى بني النضير وتزوج منهم عقيلة بنت الحقيق فولدت له كعبا
وكان وجيها جسيما فراس فيهم ثم اشتد اذاه وهجومه على المسلمين ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يامرهم بالصبر فاشار سعد بن معاذ بقتله فقتل في السنة
الثالثة في ربيع الاول كما فصلت قصته في السير وذلك انه صلى الله عليه وسلم
وجه اليه اي الى كعب اي رسله واصله الارسال لجهة من قتله غيلة بكسر الغين
المعجمة وسكون المثناة التحتية ولام وها اي خفية من غير شعور احد من الاغتيال
وهو الخداع والاختفاء للقتل دون دعوة للاسلام والرجوع عن الكفر بخلاف
غيره من المشركين من مطلق الكفرة فانه انما يقتل بعد الدعوة للاسلام والانذار
وعلل صلى الله عليه وسلم قتله اي بين علة قتله باذاه له كما مر بقوله في الحديث
فانه يؤذي الله ورسوله فذلك تعليله على ان قتله اياه انما كان لغير الاشراك
اي مطلق الكفر لانه لعنه الله من اهل الكتاب والاشراك وردت هذه المعنى ايضا
بل كان قتله للاذى لله ولرسوله فدلت هذه القصة على ان من سب النبي صلى الله
عليه وسلم واذاه من الكفار يقتل واعلم ان محصل قصة كعب بن الاشرف
كما مر انه لما اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجاه وحث اعداءه عليه
وقال له سعد بن معاذ الراي فيه ان يقتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من يقوم لقتله قام من الانصار لذلك خمسة رجال فيهم محمد بن مسلمة رضي الله
تعالى عنه فقال انا لك به يا رسول الله فسكت ثم قال له افعل وشاور سعد بن معاذ
فشاوره فاشار عليه براي سديد فقال ابن مسلمة اني ساقول له شيئا فيك يا رسول الله
فقال قل ما تريد يريد انه يقول في صورة الذم ما يخدعه به فتوجه اليه وكان بينهما صداقة

وشكى اليه

وشكى اليه الحاجة وطلب منه ان يقرضه وسقا او وسقين من الطعام لعيا له
ومعه ابو نايلة وكان اخاه من الرضاع وشكيا له من النبي صلى الله عليه وسلم وقالا له
انه عنانا باخذ الصدقة منا وصار بلاء علينا فقال لهما تريا فيه فقالا انا نريد ان نخذله
وكنا نتربص حتى ترى ما يؤول اليه امره فقال قد سرتني بهذا الم يان لكم ان تعرفوا ما انتم
عليه من الباطل ثم طلب رهنا فقال ما نرهن قال النساء وكم قال انك رجل جميل
الوجه تشرب الشراب نخشى من فتنة النساء بك قال اولادكم قال نخشى العار فيهم
بان يقال لهذا رهن وسق او وسقين ولكن نرهنك السلاح واللامة يعني
الدروع فقبل وواعدهما فقالا انا ناتي ليلا سرا حتى لا يدري احد وكان راياه ليلا فرايا باب
اذا راهم مسلحين فلما خرجوا اليه شيعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لبقيع
الغرقد وقال انطلقوا على اسم الله اللهم اعنهم عليه فلما اتوه نادوه وهو مع
امراته في حصنه فقالت له لا تخرج في مثل هذه الساعة اني لاسمع صوتا يقطر منه
الدم وهي فراسة عجيبة منها فقال انما هما صديقي واخي والكريم اذا دعي ولو الى الطعن
ليلا اجاب وهو بلامة موكل بمنطقة ثم نزل فوجدهما في نفر من الاوس وهو يفوح منه
الطيب فقال لهم ابن مسلمة اني ساشم طيب راسه فاذا رايتموني امسكت راسه
فاضربوه فلما اتاهم متوشحا قال له ابن مسلمة ما رايت كاليوم طيبا فقال عندي
اطيب العرب واجملهم فقال اتاذن لي ان اشم فقال نعم فشم هو واصحابه ثم قال له
ايذن في الشم ثانيا فقال نعم فامسك راسه ثم قال اضربوه فضربوه وقتل لعنه الله
تعالى واصاب طرف سيف الحارث بن اوس فجرح فلما جا الى النبي صلى الله عليه وسلم
تفل على جرحه والصقه فالتحم لوقته ولما ضرب اللعين صاح فذهب لهم اليهود في طريق
اخر فلم يجدوهم فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فكبروا فقال لهم افلحت الوجوه
فقالوا افلح وجهك يا رسول الله ورموا راسه بين يديه صلى الله عليه وسلم فلما اصبح
اليهود اتوه وقالوا قتلت سيدنا غيلة فقال اما علمتم صنعه واذيته للمسلمين
فلم ينطقوا بحرف خوفا منه صلى الله عليه وسلم فدل هذا على جواز قتل الكافر
المعاهد اذا سب الرسول صلى الله عليه وسلم خلافا لابي حنيفة ولذا قال
السبكي ان هذه القصة تشكل على مذهب ابي حنيفة الا ان البخاري ترجم لهذه
القصة بقتل اهل الحرب فكانه يشير الى ان اعلانه به وتحريك الفتنة نقض
للعهد يصير به حكم المحارب فلا اشكال وفي هذه القصة اشكالان احدهما هذا
والثاني وهو ما اورده ابن المنير رحمه الله تعالى من ان الطعن في النبي صلى الله عليه
وسلم بلا اكراه كفر فكيف رخص لهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينقمه
عليهم وهو اشكال قوي وقد اجاب عنه ابن القيم بانه لما اشتد اذاه وتحريضه
على قتالهم المؤدي للقتل وفي قتله خلاص منه كان كالاكراه والالجاء على النطق

بما ذكر للظفر وهو غير قوي الا ان ابن السبكي ارتضاه في قواعده وقال لبس زي الكفار
والتكلم بالكفر من غير اكراه كفر الا لمصلحة مهمة فاذا اشتدت الحاجة له صار كالاكراه
وقد اتفق للسلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى لما اشتد عليه امر ملك صيدا امر
اثنين من المسلمين ان يلبسا لبس الرهبان ويتكلما معهم ليغتراه ففعلا ولم ينكر العلماء
عليه والذي ارتضاه الامام محمد في كتاب السير وتبعه كثيرون جواز ذلك وقال
السرخسي في شرحه يعني ان كلامهم انما كان تعريضا وتورية ومثله لا يعد كفرا
اذا قصد غير ظاهره وفي رواية انه لما قال ابن مسلمة انا لك به مكث ايا ما لا ياكل ولا يشرب
فدعاه صلى الله عليه وسلم وقال له لم تركت الطعام والشراب فقال القول قلته لا ادري
افي به ام لا فقال انما عليك الجهد وهكذا ينبغي لمن عزم على شي ثم قالوا يا رسول الله نحن نقتله
فاذن لنا ان نقول فيك ما لا بد منه اي لنخدعه بالمعاريض باظهارنا التخلي منك فخرج
اليه ابو نايلة فتحدث معه وتناشدوا الاشعار ثم قال كان قدوم هذا الرجل يعني
النبي صلى الله عليه وسلم علينا من البلاء واراد به النعمة فانه ما يبتلي به من نعمة
او نقمة قال تعالى وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم اي النجاة من ال فرعون ثم قال حاربتنا
العرب ورمتنا عن قوس واحدة وتقطعت السبل عنا حتى جهدت الابدان وضاعت
العيال واخذنا بالصدقة ونحن لا نجد ما ناكله فقال كعب قد كنت احدثك بهذا
وان الامر سيصير له فقال معي رجال من اصحابي على رأيي سآتيك بهم لتبتاع لهم طعاما
او تمرا ثم ذكر شيئا مما تقدم بمعناه وقيل ان ذلك حقه صلى الله عليه وسلم فله ان يرخص
فيه وكذلك اي مثل قصة كعب وقتله غيلة ما رواه البخاري من انه صلى الله عليه وسلم
قتل ابا رافع وفي نسخة بالاضافة لابي قال البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه وكان ابو رافع
من يهود المدينة يؤذي ايضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبه ويعين عليه اعداه
بتحريضهم على قتاله وابو رافع اسمه عبد الله او سلام بن ابي الحقيق وكان الخزرج والاوس
يتناطران في الفخر فلما قتل الاوس كعبا قالوا انقتل رجلا ممن يعادي رسول الله صلى الله عليه
وسلم لئلا يفضلنا الاوس فذكروا ابن ابي الحقيق بخيبر وكان ذلك في سنة ست
في رمضان وقيل في ذي الحجة سنة خمس او اربع او في رجب سنة ثلاث بعث له
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخزرج عبد الله بن عتيك وعبد الله بن عتبة ومسعود
بن سنان وعبد الله ابن انيس وابو قتادة وابن الاسود وكان ابو رافع يعين بالمال
مشركي العرب وكان له حصن فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم
قال ابن عتيك لاصحابه امكثوا لانطلق واتلطف بالبواب فاتى الباب وتقنع بثوبه
كانه يقضي حاجته والناس دخلوا فقال له البواب يا عبد الله ان كنت داخلا فادخل
فاني اغلق الباب فدخلت واغلقت المغاليق فقمت واخذت المفاتيح وكان ابو رافع
يسمر في علالي له فلما ذهب عنه سماره صعدت وجعلت كلما فتحت بابا اغلقته علي من

حتى

432

حتى لا يخلص احد منهم بعد قتله فانتهيت اليه وهو في بيت مظلم مع اهله لا يدري من هو
واين هو فقلت ابا رافع فقال من هذا فاهويت نحو الصوت وانا دهش وضربته فما
اصبت شيئا فخرجت ثم عدت وقلت ما هذا الصوت يا ابا رافع فقال لامك الويل
ان رجلا ضربني بسيف فاهويت نحوه فضربته حتى اثخنته ولم اقتله ثم اتيت اليه
فوضعت السيف في بطنه حتى نفذ من ظهره فقتلته ثم فتحت الابواب بابا بابا ونزلت
حتى انتهيت الى درجة ظننتها الارض فاذا هي ليست كذلك فوقعت وانكسر ساقي فوقفت
عند الباب لاتحقق الخبر وانه مات فلما صاح الديك قام ناع على السور ينادي انعى ابا رافع
تاجر الحجاز فانطلقت لاصحابي وقلت النجاة النجاة قتل الله ابا رافع ثم انتهيت لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وحدثته بذلك الحديث فقال مد رجلك فمددتها فمسحها
بيده الشريفة فكاني لم اشتكها قط وكذلك اي مثل امره صلى الله عليه وسلم بقتل
من الكفرة امره بقتل بعضهم يوم الفتح اي يوم فتح مكة كامره بقتل ابن خطل فانه صلى الله
عليه وسلم لما فتح مكة امن الناس الا اربعة رجال وامراتين امر بقتلهم ولو دخلوا
تحت استار الكعبة مستجيرين بها لانهم كانوا اظهروا عداوته واكثروا من ذمه
وهجوه صلى الله عليه وسلم وكان لابن خطل قينتان يغنيان بهجوه كما ذكره المص
وهو في الشيخين كما في الصحيحين باسانيد وابن خطل بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة اختلفوا
في اسمه وقاتله فقيل اسمه عبد الله وقيل هلال وقيل عبد العزيز وقيل غالب وخطل
بن عبد مناف بن اسعد بن جابر بن كبير بن تيم ابن غالب قاله ابن الكلبي وقتله سعيد
حريث المخزومي وقيل سعد ابن ذويب او ابو برزة الاسلمي وقيل الزبير وفي مناسك
الطبري انه سعيد بن زيد فيحتمل انهم اشتركوا في قتله والاقوال في قاتله خمسة
وامر صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ايضا بقتل جاريتيه اي جاريتي ابن خطل وهما
المراتان اللتان امر بقتلهما اللتين كانتا بمكة تغنيان بسبه وهجوه صلى الله عليه
وسلم واسمهما فرتنا وقريبة قال ابن سيد الناس قتلت احداهما وقال السهيلي
اسمهما سارة وفرتنا فاسلمت فرتنا واختفت سارة وعاشت الى زمن عمر حتى وطئتها
فرتنا بفا مفتوحة وزا مهملة ساكنة ومثناة فوقية ونون والف وقريبة بضم
القاف كمصغر قربة بالموحدة وقيل بفتح القاف بزنة فعيلة وكان ابن خطل اسلم
اولا فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا ومعه رجل من الانصار ومولى
مسلم يخدمه فنزلوا منزلا فامر الخادم ان يذبح له ويصنع طعاما فنام ولم يصنع
شيئا فقتله ثم ارتد مشركا فكانت قينتاه تغنيان له بهجو النبي صلى الله عليه
وسلم وفي حديث اخر يعرف من رواه ان رجلا كان يسبه صلى الله عليه وسلم
فقال صلى الله عليه وسلم من يكفيني في قتل عدوي الذي اظهر عداوته بسبه له
اي من يكون كافيا في قتله فقال خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه انا اكفيك ما اهمك

من قتله وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله باعانة الله له عليه وكذلك اي مثل
ما ذكر في قتل من سبه صلى الله عليه وسلم لم يقبل من الاقاله وهي الترك يقال اقال عثرته
اذا عفى عنه فهو بضم اوله وكسر ثانيه او فتحه ان بني للمفعول وفاعل ضمير النبي وجماعة
مفعوله او مرفوع نايب الفاعل ممن كان يوذيه صلى الله عليه وسلم من الكفار ويسبه
فدل هذا على انه لا فرق بين المسلم والكافر في وجوب قتله بالسب خلافا لما روي عن ابي
حنيفة وغيره من عدم قتله لان كفره اشد منه كما يأتي كالنضر ابن الحارث بفتح
النون وسكون الصاد المعجمة وراء مهملة وهو النضر بن الحارث ابن كلدة بن علقمة
القرشي من بني عبد الدار وقد كان شديد العداوة والاذى لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فقتله صلى الله عليه وسلم ببدر وهو الذي قالت اخته للنبي صلى الله
بعد قتله له ابياتا ومنها ما كان ضرك لو مننت وربما من الفتى وهو المغيظ المحنق
وذكر بعض المحدثين كابن منده وابي نعيم عن ابي اسحاق رحمه الله تعالى ان النضر هذا له
صحبة وشهد حنينا وكان من المولفة قلوبهم وهو غلط فاحش باتفاق الحفاظ
والذي له صحبة انما هو علقمة بن كلدة كما ذكره الزبير وابن الكلبي وغيرهما فغلطا
لاشتراك كل منهما في انه ابن كلدة والظاهر انه قال النضير بالتصغير وهو اخو
النضر بن الحارث المذكور وهو ممن اسلم وهاجر وقيل انه من مسلمة الفتح فالغلط
بسببه وهو سهل وعقبة بن ابي معيط بعين وطا مهملتين بصيغة التصغير وكان
اسر ببدر فقتله النبي صلى الله عليه وسلم منصرفه من بدر بمحل يقال له عرق
الظبية فقال يا عاصم اضرب عنقه فضرب عنقه ولما قدم للقتل الاتي في كلام
المص قال لم تقتلني يا محمد فقال بعداوتك لله ولرسوله فقال من للصبية
قال لنا ر فلما ضربت عنقه قال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي قتلك واقر عيني
منك اي لانه كان اشد الناس عداوة واذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وعهد صلى الله عليه وسلم اي وصى الصحابة رضي الله تعالى عنهم عند قدومه
للفتح بقتل جماعة منهم اي من الكفار الذين كانوا يؤذونه صلى الله عليه وسلم
ويحضون على قتاله قبل الفتح اي قبل فتح مكة وهو قادم له وبعده حين قدم
لشدة عداوتهم له صلى الله عليه وسلم وعلمه بانهم لا ينتهون ولا يرجى خيرهم
واسلامهم فقتلوا واراح الله منهم المسلمين الا من بادر اي سرع وتقدم باسلامه
قبل القدرة عليه باخذه واسره كابن ابي سرح وكعب ابن زهير رضي الله تعالى عنه
وقد روى البزار من اول الحديث كما تقدم لكن رواه بسند فيه ضعف عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما ان عقبة ابن ابي معيط لما قدم ليقتل نادى رافعا صوته يا معشر
وفي نسخة يا معاشر جمع معشر وهم الجماعة الذين لهم عشرة واختلاط قريش هم
القبيلة المعروفة بني ولد النضر بن كنانة وانما ذكرها بيانا لمحبته في عدم الفرق

بينه وبين غيره او ليعطف عليه المسلمون منهم ما لي اقتل من بينكم استفهام انكاري
دون غيري منكم ومثله يستعمل للاختصاص كما يقال اعطاه من بين اهله صبرا
الصبر اصل معناه الحبس ويقال لمن قتل في غير حرب ودون غفلة منه بان يقدم
ليقتل قتل فلان صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم تقتل صبرا بكفرك وافترايك
اي تعمدك الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو احد المستهزئين وهو الذي
القى سلا الجزور عليه صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فدعا عليهم فالقوا بلعنه الله
في قليب بدر كما هو مشهور في السير وهو من بني امية بن عبد شمس وذكر عبد الرزاق
بن همام الحافظ ابو بكر الصنعاني صاحب التصانيف الجليلة في جامعه وقد تقدمت
ترجمته ان النبي صلى الله عليه وسلم سبه رجل من احلاف العرب فقال من يكفيني عدوي
الذي اظهر عداوته بسبه له فقال الزبير بن العوام انا اكفيك بقتله فبارزه فقتله الزبير
والمبارزة ان يخرج رجل من طايفتين تقابلتا ينادي من يبرز لي من الصف لاقاتله فيعلم
اينا اقوى واشجع واينا القاتل والمقتول وهذا انما يفعله من زادت قوة قلبه
وشجاعته وروى عبد الرزاق في جامعه عن عكرمة ايضا كما روى ما قبله ان امرأة
مشركة كانت تسبه عليه الصلاة والسلام فقال من يكفيني عدوي بقتلها فخرج
اليها خالد بن الوليد رضي الله عنه فقتلها ووقع بتونس ان رجلا قال لاخر انا عدوك
وعدو نبيك فعقد له مجلس فافتى بعض المالكية بانه مرتد يستتاب واخذ كفره
من قوله تعالى من كان عدوا لله الاية وافتى بعضهم بان كفره كفر تنقيص فلا يستتاب
واخذ ذلك من كلام المص رحمه الله هنا في هذه المرأة السابة ومن قضية خالد
رضي الله تعالى عنه السابقة وممن افتى ابن عتاب رحمه الله تعالى التسابق واعترض
بعض ايمتهم ممن مال الى الاول بانه نص في ان كل ساب عدو ولا شك فيه وانما
الكلام في عكس هذه القضية وهي لا تنعكس كنفسها بل قوله انا عدوك وعدو نبيك
بما اشعر بترفيع القول له ذلك لانا نجد الوضعا يجعلون لانفسهم منزلة بذلك
يقول الواحد منهم انا عدو الامير والامير عدولي وقصده به رفع نفسه لانه
في نسبته من يعادي الامير وبان قتل خالد رضي الله تعالى عنه المرأة المذكورة
مذهب صحابي وافتى ابن عتاب رحمه الله تعالى بما هو لان ما ذكر في قصته صريح
في التنقيص فالمحقق ان قايل ما مر مرتد لا منتقص هذا كله على قواعدهم من التفرقة
بينهما اما على قواعدنا فالذي يظهر انه ردة قاله ابن حجر في الاعلام ملخصا ويروى
رواه عبد الرزاق في جامعه ايضا عن سعيد ابن جبير رضي الله تعالى عنه ان رجلا
كذب على النبي صلى الله عليه وسلم والمراد انه اسند افكا وباطلا تنقيصا له والا
فمجرد الكذب عليه صلى الله عليه وسلم لا يوجب القتل لكن روى حديثا وضعه
فبعث عليا والزبير رضي الله عنهما اليه ليقتلاه فلم يقتلاه لانه اشارة لما رواه

البيهقي عن ابن جبير ان رجلا اتى قرية من قرى الانصار فقال ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ارسلني وامران تزوجوني فلانة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فارسل عليا والزبير فقال اذهبا الى فلان فان ادركتماه فاقتلاه ولا اراكما تدركانه
فذهبا فوجداه قد لدغته حية فقتلته ورواه متصلا من وجه اخر وسمى الرجل الذي
كذب جُدجُد الجندعي فان كان المص رحمه الله اراد هذا فهو مشكل لان مجرد الكذب عليه
صلى الله عليه وسلم ليس موجبا للقتل والكفر وانما هو اذا نسب اليه افترا فيه نقص
ككونه ساحرا ونحوه وشذ الجويني كامر فذهب الى ان كل كذب عليه كفر ولم يقله غيره ولعله
صلى الله عليه وسلم كان علم منه امرا اخر افتراه كما علم قتل الحية له او لعله مخصوص
لما فيه في جنايته من فساد امر الدين واما قول الكرامية انه يجوز وضع الحديث عليه
صلى الله عليه وسلم لمصلحة دينية فهو قول باطل ورده الخطابي بعد ما اطال
بذكر ادلتهم لكونه كذبا له لا عليه وهو غني عن الرد لظهور فساده وروى ابن
قانع هو الامام الحافظ عبد الباقي بن قانع ابن مرزوق ابن واثق ابو الحسين الاموى
كما تقدم وقانع منقول من اسم فاعل القنع بقاف ونون ان رجلا من الصحابة رضي الله
تعالى عنهم جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يرسول الله اني سمعت ابي يقول
فيك قولا قبيحا لما فيه من ذمه والطعن فيه فقتله فلم يشق ذلك على النبي صلى الله
عليه وسلم اي لم يصعب عليه لكراهته له ولو لم يكن قتله مشروعا كان من اكبر كبيرة
بعد الكفر لما فيه من القتل والعقوق قيل وهذا الرجل هو ابو عبيدة بن الجراح ولست
على ثقة منه فان الحافظ الحلبي قال لا اعرفه كالمرأة التي تقدم ان خالد بن الوليد قتلها
وسياق ما يشبه قصتها وفي اثر رواه ابن سعد وابن عساكر فيه انه بلغ المهاجر
ابن ابي امية المهاجر بزنة اسم الفاعل اسمه حذيفة على الصحيح وقيل سهيل وقيل
هشام ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم كان اسمه الوليد فكرهه النبي صلى الله
عليه وسلم وسماه المهاجر فالتسمية به مكروهة لانه اسم فرعون مصر وهو
اخو ام المؤمنين ام سلمة رضي الله تعالى عنها ارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى اليمن الى الحارث بن عبد كلال الحميري واستعمله على الصدقات ثم بعثه ابو بكر
رضي الله تعالى عنه في خلافته الى قتال المرتدين باليمن ففتح وله اثار جميلة باليمن
فكان رضي الله عنه امير اليمن منصوبا لابي بكر اقرارا له على ما فعله رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان امرأة هناك اي باليمن في الردة اي في زمن ردة بعض اهل اليمن في خلافة
الصديق غنت بسب النبي صلى الله عليه وسلم وهجوه اي بشعر فيه ذلك فقطع
مهاجر يدها ونزع ثنيتها هي السن المتقدمة فبلغ ابا بكر رضي الله تعالى عنه ذلك اي
قطعه يدها ونزع ثنيتها فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه لولا ما فعلت بالمرأة لامرتك
بقتلها لان حد قذف الانبيا عليهم الصلاة والسلام ليس يشبه الحدود وهذا

مبنى على انه لا يجب قتل الساب من الكفرة وانما هو مفوض الى الامام فله ان يغلظ ويزيد
فيه بتنكيل وقتل فلما سبق من مهاجر تنكيله بها لم يامر ابو بكر رضي الله تعالى عنه ان يجمع فيه
بين حدين وهذا مذهب نقله ابن تيمية كما في السيف المسلول لان ابا بكر رضي الله عنه
كره ما فعله لما فيه من زيادة التعذيب لانه ليس اشد من القتل قال ابن تيمية
هذا هو الذي تسميه الفقها سياسة وهو الحد الذي رخص للامام في تغليظه
اذا اقتضاه الحال ومن لم يقف على هذا قال انه مشكل لان المثلة منهي عنها وهي
اما ان تكون ثابتة وقلنا بقبول توبة الساب اولا فاما ان تترك او تقتل وما قاله
ابو بكر رضي الله تعالى عنه يقتضي الاجتهاد في الحدود وقوله لان حد الانبيا الخ
لا يلتئم معه واطال فيه من غير طايل وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه
قال هجت امرأة من خطمة بكسر الخا المعجمة وفتح الطا المهملة وفتح ميم وها اسم
قبيلة وفي القاموس في ط خ م خطمة بجهينة ابنا سعد بن ثعلبة وخطمة
من الانصار بنو عبد الله ابن مالك ابن اوس النبي صلى الله عليه وسلم فقال
صلى الله عليه وسلم من لي بها اي من يقوم لاجل حقي عليه بقتلها فقال رجل
من قومها اي من قبيلتها انا اقتلها يرسول الله فنهض اي قام بسرعة بعد مقاله
فاتاها فقتلها فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اي بقتلها فقال لا ينتطح
فيها عنزان اي ذهب دمها هدرا من غير مبالاة احد به وهو مثل ضربه النبي صلى الله
عليه وسلم للامر الذي يقع من غير خلف فيه ولا نزاع لان العنزين لا ينتطحان
وانما تناشما وتعترقا والنطاح انما يكون بين التيوس والكباش واول من تكلم به
النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم وهذه المرأة عصما بنت مروان بن ابي امية بن
زيد زوجة يزيد بن حصين الخطمي وكانت شاعرة تؤذي المسلمين وتهجو رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتحرض عليه والذي قتلها عمير بن عدي بن خراشة بن امية
الخطمي فلما سمع قولها وهو ببدر معه صلى الله عليه وسلم نذر ان رجع الى المدينة
ليقتلها وقال ابن عبد البر رحمه الله تعالى انها اخته وقيل امه وكان اعمى وهو
امام قومه وقاريهم فدخل عليها في جوف الليل وهي ترضع ولدها فنحاه عنها ووضع
سيفه في بطنها حتى نفذ من ظهرها ثم خرج وصلى الصبح خلف رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنظر له وقال اقتلت بنت مروان قال نعم ثم خشي ان يكون عليه شيء
فقال يا رسول الله اعلي شيء فقال له لا ينتطح الخ ثم قال صلى الله عليه وسلم ان اردتم
النظر الى رجل نصر الله ورسوله فانظروا الى عمير وسماها البصير والقصة بطولها
في السير ومن فقهها انه يستحب ان يقال للضرير البصير وهذه المرأة قيل انها كانت
يهودية وهو الظاهر من سبها فعصما غير معصومة الدم لكفرها واظهار سبها
وللبعض هنا كلام لا فائدة فيه مع كثرة خبطه فيه وعن ابن عباس رضي الله

عنهما فيما رواه ابوداود والحاكم والبيهقي وصححه ان شخصا اعمى كانت له ام ولد لم تسلم وكانت
تسب النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها اي يمنعها وينهاها بزجر منه فلا تنزجر ولا ترجع
عما هي فيه لشقاوتها وكان له منها ابنان مثل اللولوتين فلما كان ذات ليلة يجوز رفع ذات
ونصبه على الظرفيه وكذا ضبط اي ساعة من ليلة كذات يوم اي ساعة من يوم وهو
مبين في النحو وقيل معناه ليلة من الليالي جعلت اي شرعت واستمرت تقع في النبي صلى الله
عليه وسلم وتسبه وفي نسخة وهو عطف تفسير لتقع لانه يقال وقع فيه اذا ذمه
وهو مجاز مشهور فقتلها سيدها وفي روايه فما صبر ان قام الى معول فوضعه في بطنها
ثم اتكا عليها حتى انفذه واعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اي بقتلها وفي روايه
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فلما اصبح قيل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقام
الاعمى فقال يرسول الله انا صاحبها كانت تسبك وتقع فيك فانهاها فلا تنتهي
وازجرها فلا تنزجر ولي منها ابنان مثل اللولوتين وكانت رفيقة بي فلما كانت البارحة
جعلت تشتمك وتقع فيك فقتلتها فاهدر صلى الله عليه وسلم دمها اي قال
انه هدر لا اثر فيه ولا عقوبة ولا يخشى منه شيء وفي الرواية السابقة فقال
صلى الله عليه وسلم الا اشهدوا ان دمها هدر وقوله ام ولد صريح في انها جارية
مملوكة له لا منكوحة حتى يقال انها مشركة وكيف حلت له وهو مسلم ونحوه مما
لا حاجة في ذكره من غير داع له وفي حديث ابي برزة الاسلمي نسبته لاسلم قبيلة وهو
نضلة بن عبيد بن الحارث اسلم قديما وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
المشاهد وتوفي بالبصرة سنة اربع وستين وهذا الاثر رواه ابوداود والحاكم
والبيهقي وصححه قال كنت يوما جالسا عند ابي بكر الصديق في زمن خلافته فغضب
ابوبكر رضي الله تعالى عنه على رجل من المسلمين صدر عنه ما اغضبه ثم بين هذا بقوله
حكى القاضي اسماعيل بن اسحق بن اسماعيل بن حماد بن زيد البغدادي المالكي الحافظ
وقد تقدمت ترجمته وغير واحد هو كناية عن الكثرة من الايمه في هذا الحديث المراد بالحديث
اي الصحابي لان له حكم الموضوع هنا انه سب ابابكر رضي الله تعالى عنه سبا فاحشا
ورواه ايضا النساي ابوعبد الرحمن شعيب الحافظ احد الايمة الستة كما تقدم ولفظه
عن ابي برزه قال اتيت ابابكر وقد اغلظ لرجل اي شدد كلامه عليه لغضبه منه فرد
عليه كلامه بغلظة منه قال ابوبرزة فقلت يا خليفة رسول الله دعني اي اتركني
ولا تمنعني من ان اضرب عنقه لسوء ادبه على اعظم الخلفا بسبه اياك وقام لضرب
عنقه فقال له ابوبكر اجلس ولا تفعل فليس ذلك اي قتل من سب احدا لاحد الا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي الا لمن سبه كما تقدم قال القاضي ابو محمد بن نصر
هو القاضي عبد الوهاب المالكي البغدادي الاديب وهو من شعرا اليتيمة له الاشعار
الفايقة والفضايل الباهرة وقد ذكره الثعالبي واثنى عليه وذكر من اشعاره جملة

ولم يخالف عليه احد اي ان ابابكر رضي الله تعالى عنه لما ذكر هذا بمحضر من الصحابة
لم يخالفه فيه احد منهم فدل على ان قتل من سب النبي صلى الله عليه وسلم اتفقت
عليه الصحابة كما تقدم فاستدل الايمة بهذا الحديث الذي قال ابوبكر ولم ينكر
احد من الصحابة الحاضرين عنده على قتل من غضب النبي صلى الله عليه وسلم
بكل ما اغضبه من قول وفعل قل او كثر واذاه او سبه بما فيه تنقيص لقدره
وتشنيع على ما صدر منه كما تقدم لا مطلقا ومن ذلك القبيل والمعنى الذي افاده
كلام ابي بكر رضي الله تعالى عنه كتاب عمر ابن عبد العزيز ابن مروان الخليفة العادل
الى عامله بالكوفة وهو عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب وقد استشاره
ليهديه للحكم في قتل رجل سب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فكتب عمر بن عبد العزيز
جوابا لعامله انه لا يحل قتل امرء مسلم بسب احد من الناس من حيث هو سبه
فان قتضى كفرا فلا الا رجلا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سبه
صلى الله عليه وسلم فقد حل دمه اي حل اراقة دمه وهو كناية عن قتله وكذا
حكم ساير الانبيا عليهم الصلاة والسلام كما ياتي وسال هارون الرشيد
الخليفة العباسي المشهور مالكا امام دار الهجرة وكان الرشيد اخذ عنه الحديث
واجله بما هو حقه في رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له اي للرشيد
لمالك حين سواله عما ذكر ان فقها العراق استفتاهم فافتوه بجلده حد القذف
فغضب مالك على من نقل عنه ذلك حمية وصيانة لمقام النبوة وقال يا امير المؤمنين
ما بقا الامة بعد شتم نبيها اي ان شتم نبيها مفن لها ومهلك فلا يحل لاحد سمعه
الا قتل قايله وبذل روحه في جهاده ثم بين ما لك له الحكم فيه فقال من شتم الانبيا
قتل لان ذلك حد شاتمهم ومن شتم اصحاب النبي جلد حد القذف وهذا مذهبه
من غير فرق بين كافر ومسلم وبين التاديب وغيره وقال القاضي ابو الفضل عياض
المص رحمه الله تعالى كذا وقع في هذه الحكاية الواقعة بين الرشيد والامام مالك
رواها غير واحد ممن ذكر مناقب الامام مالك وفي نسخة من اصحاب مناقب مالك
اي ممن اعتنوا بمناقبه ودونها ومن لقي اخبارهم وغيرهم من اصحاب التواريخ ولا ادري
من هولا الفقها بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر من جلده وحده لحد غيره مما لم
يذهب اليه احد من اصحاب المذاهب لا سيما اذا حمل على ظاهر اطلاقه وقد ذكرنا
فيما تقدم مذهب العراقيين وقولهم بقتله ولعلهم ممن لم يشتهر بعلم للاحكام
الشرعيه واتى بلجل لبعد استفتا الخليفة من مثله او ممن لا يوثق بفتواه ممن
لا علم عنده او يميل به هواه الباطل ممن هو من اصحاب البدع والزندقة والهوا
ما يجي من غير تحقيق ونظر للحق قال تعالى وما ينطق عن الهوى وضبطه بعضهم
بهواه بميم في اوله وقال هو مفعل من الهوى وهو الغي والضلال ولذا قالوا اذا كان

في المسيلة قولان لا يجوز للمفتي ان يفتي العامه بالتشديد والخاصه بالتخفيف فانه خيانة
للشريعه او يكون ما قاله مفتي العراقيين يحمل على غير السب الموجب للقتل بذكر امر ما عن
غير عمد في حقه او يمكن حمله على وجه سديد فيكون الخلاف الواقع فيه بين المفتيين
محصله وماله هل هو سب لتنقيصه له ام غير سب لعدم تنقيصه له او يكون
المستفتي له رجع وتاب عن سبه وهولا يقولون توبة مثله مقبولة في مذهبهم فيصح
كلامهم في الجملة فلم نقله اي لم ينقله الرشيد لمالك حين ساله عنه على اصله اي على
الوجه الذي ورد ووقع عليه واستفتي فيه فاجيب بما قالوه والا اي وان لم يكن
شي من هذه الاحتمالات لا يصح ما نقله الرشيد فالاجماع منعقد على قتل من سبه
كما قدمناه مفصلا في اول هذا البحث فكيف يفتي بخلاف ما اجمع عليه وقوله رجع
وتاب بنا على ان من تاب لا يقتل فلا ينافي ما تقدم وما قدمه يدل على قول السلف
والاجماع على قتله ويدل ايضا على قتله من جهة النظر اي التفكر فيما يدل عليه عقلا
والاعتبار اي التامل في موجبات القتل شرعا ليعلم من تتبعها ان النظر والعقل
السليم يدل عليه والمراد به هنا القياس ردف به ما تقدم من الايات والاحاديث
واجماع الامه ليفيد انه ثابت بجميع الادلة والقياس يسمى اعتبارا في القران في قوله
تعالى فاعتبروا يا اولي الابصار فان الاصوليين اثبتوه بهذه الاية واليها نظر
المص من طرف خفي ان من سبه او تنقصه صلى الله عليه وسلم عمدا وكذا سائر الانبيا
كما مر فقد ظهرت علامة مرض قلبه اي سوعقيدته وكفره المضمر لان المؤمن يحبه ويجله
صلى الله عليه وسلم بخلاف ذلك يدل على عدمه كما عرفته مما نقلناه عن السبكي
وظهر من تنقيصه ايضا برهان ودليل محقق على سوطوتيه اي ما اخفاه في نفسه واضمره
في قلبه والطويه يعبر بها عما خفي كانه شي طوي ولف عليه ما ستره فهو استعارة
شاعت وصارت حقيقة فيما ذكروفيه ترق من العلامه وهي ظنية الى البرهان القطعي
فلا يرد عليه ان حقيقة الايمان التصديق القلبي عند الجمهور وهذا لا ينافيه كما قيل
وكفره لانه ردة عندهم وهذا المذكور من دلالته على ما اسره في نفسه ما حكم له
اي على الساب والمنتقص وما زايده واللام بمعنى على او موصوفه واللام تعليليه اي
حكم لاجله كثير من العلما بالردة وهي الخروج من الاسلام بقول او فعل او اعتقاد قام
عليه دليل وهذا اذا كان مسلما لا كافرا اصليا كما لا يخفى وهي رواية الشاميين اي
علما الشام الاخذين عن مالك فان لمذهبه طرق لا متعدده وهي ايضا رواية الشاميين
عن الاوزاعي عبد الرحمن ابو عمرو وهو صاحب مذهب كما تقدم في ترجمته وبه اي
بهذا القول في ردته وقتله قال الثوري سليمان بن سعيد كما تقدم وابو حنيفه
فانه ذهب اليه في المسلم فقط والكوفيون من عطف العام على الخاص والقول الاخر
في رواية عن هولا انه اي السب والتنقيص دليل على الكفر المضمر فليس نفسه كفرا

يرتد به وانما هو علامه عليه فيقتل على هذا حدا لانه حد من قذف الانبيا كما ورد
في الحديث المتقدم وان لم يحكم له اي عليه بالكفر حقيقة الا ان يكون الساب متماديا
اي مستمرا في هديه مدة طويلة على قوله الذي سب له غير منكر لما قاله ولا مقلع
اي راجع عنه فهذا كفر محقق منه مستوجب لقتله كفرا فان زجروا علم بانه
كفر ولم يتجر كان راضيا به ومقرا بكفره وهو كفر بلا شبهته وهذا مستثنى
من قوله لم يحكم له بالكفر فمعناه انه حينيذ يحكم بكفره ثم فصل قوله المطلق
فقال وقوله الصادر منه اما صريح كفر كالتكذيب له صلى الله عليه وسلم
بانكار نبوته او انكار ما جا به لا الافترا عليه ونحوه مما هو في معنى التكذيب الصريح
او من كلمات الاستهزا به تحقيرا له او الذم بسب او هجو له فاعترافه بها اي بكلمات
الاستهزا وترك توبته برجوعه عنها دليل استحلاله اي عده حلالا لذلك الاستهزا
والذم وهو اي الاستحلال من حيث هو استحلال لما لا يحل كفر ايضا كما ان ما قاله
كفر فهذا القايل المستحل معنى كافر بلا خلاف بين المسلمين وايمة الدين في كفره وهذا
بنا على انه فرق بين قتل المرتد وقتل الحد المذكور وقال السبكي في السيف المسلول
على من سب الرسول المرتد يقتل بالنص والاجماع وتوبته مقبوله عند الاكثر ان
لم يكن زنديقا وليس قتله كقتل الكافر الاصلي كما فصله الفقها فعلم من هذا ان علة
قتله ليس مطلق الكفر بل خصوص مطلق الردة ولذا جعلها الغزالي من الجنايات
الموجبة للعقوبة كالبغي والسرقة وحكوه عن غيره وقالوا قتل المرتد حد يسقط
باسلامه وهو التحقيق ومن ظن ان من سماه حدا فهو عنده لا يسقط باسلامه
فهو مخطي والحسد لا يسقط ما العقوبة المقدرة من جهة الشارع وهل المعاقب
عليه في الردة خصوص الكفر بعد الاسلام او قطع الاسلام بالكفر وهو معنى
الاول فالساب المسلم مرتد فقتله حد وكذا الكافر فالخلاف في قتله هل هو حد
او كفر لفظي لم تظهر له فايدة انتهى ما قاله ملخصا قال الله تعالى في مثله اي
مثل المعترف بالاستهزا والذم يحلفون اي المنافقون بالله ما قالوا الاستهزا
الذي قالوه في غزوة تبوك من ان من يزعم انه يفتح قصور الشام وحصونه شي
من الحمير هيهات هيهات ولقد قالوا كلمة الكفر وهي هذه المذكورة وكفروا اظهروا
كفرهم بعد اسلامهم الذي اظهروه وببعض من هذا اشار بقوله قال اهل التفسير
في هذه الاية ان كان ما يقول محمد من فتح حصون الشام حقا محققا لوقوع لنحن شر
من الحمير اي شر منها لحمقنا وبلادتنا فان الحمير توصف بذلك وكان القايل ذلك
الجلاس بن سويد او وديعة بن ثابت فقال له عامر بن قيس الانصاري جل والله
والله ان محمدا الصادق مصدق وانت شر من الحمار فبلغ ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم وجا الجلاس يحلف بالله عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم انه

ما قال وان عامر لكاذب وخلف عامر لقد قال وقال اللهم نزل على نبيك الصادق
شيئا يصدقني فنزلت الاية فتاب الجلاس وحسنت توبته وفي الذي سمعه اقوال
اخر فقيل حذيفة وقيل عاصم بن عدي وقيل ولد امرأته عمير بن سعد وانه هم بقتله
كما فصل في التفسير والسير وهذا تمثيل لما هو فيه لان من ذكر ليس معترفا مصرا فلا
يرد عليه ما قيل انه ليس مناسبا هنا وقيل بل انما هذه الاية في قول بعضهم انما هذه
الاية في قول بعضهم وهو رئيس المنافقين عبد الله بن ابي ابن سلول ما مثلنا اي حالنا
وصفتنا ومثل محمد اي حاله وصفته الا كما قال من وقع فيه قول القايل في مثل قديم يضرب
لمن يحسن لاحد فيسي اليه سمن كلبك ياكلك لان الكلب اذا شبع واستغنى عن صاحبه
قد يتجرى عليه كالاسد الضاري ولين رجعنا من سفرنا هذا الى المدينة ليخرجن الاعز
يعني نفسه منها اي من المدينة الاذل يعني بالاذل رسول الله والمؤمنين كلهم وكان
هذا في بعض غزواته بتبوك او بني المصطلق واختلف فيمن بلغ رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذه المقالة والمشهور انه زيد بن ارقم وكان سبب هذه المقالة ان رجلا
من المهاجرين ورجلا من الانصار جرى بينهما امر فصاح الانصاري يا للانصار والمهاجري
يا للمهاجرين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوها فانها جاهلية منتنة
فقال ابن ابي او فعلوها ثم قال للقوم ماذا فعلتم بانفسكم انزلتموهم بلادكم وقاسمتموهم
اموالكم وطعامكم اما والله لو امسكتم عنهم لم يركبوا رقابكم ولاوشكوا ان يتحولوا
عن محمد فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا عنه الى ما حكاه الله فلما بلغ زيد رضي الله تعالى
عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالة انكر وحلف لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فصدقه وحزن زيد حتى نزل القران بتصديقه فقال عمر رضي الله تعالى عنه دعني
اضرب عنقه فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكرم بكفه عنه لاجل ولده فلما
اراد دخول المدينة منعه ابنه رضي الله عنه وقال لا تدخلها حتى تقول انك الاذل
ويأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم والا ضربت عنقك فقال ويحك افاعل
انت قال نعم فلما راى الجد منه قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا وقد قيل ان قايل
مثل هذا الذي قاله ابن ابي وغيره ان كان مستترا به عن المسلمين بحيث لم يظهره لهم
ويسمعوه منه وفي رواية مستسرا استفعال من السر اي مختفيا حين قاله عن
المسلمين والسر خلاف العلانية ان حكمه حكم الزنديق وهو انه يقتل لانه مثله
في اخفايه الكفر واظهاره الايمان بغيه فيقتل لذلك ولانه قد غير دينه بما قاله
فصار كالمرتد وقد قال صلى الله عليه وسلم من غير دينه باظهار ما يخالفه فاضربوا
عنقه ان لم يتب وقيل بقبول توبته برجوعه لدينه واستدل بهذا الحديث على قتل
الزنديق من غير استتابة وقال الشافعي تقبل توبته مطلقا كالمرتد وعن ابي حنيفة

فيه روايتان

فيه روايتان وقيل كمالك واستدل القايل بقبول توبة من اخفى كفره بحديث ابن
عمر رضي الله تعالى عنهما في الصحيح الاتي في كلام المصنف مع الكلام عليه انه صلى الله
عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله
ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا قالوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحق
الاسلام وحسابهم على الله يعني فيما يستسرون به ففيه دليل على ان من ظاهر حاله الاسلام
لا يتعرض له وتقبل توبته قالوا وعليه اكثر العلماء الا مالك واحمد بن حنبل فانهما لم يقيدا
توبته وهذا هو الزنديق على المقول بانه من يظهر الاسلام ويبطن الكفر لا من لا ينتحل دينا
وقد اختلفوا فيه كما مر على اقوال منها ما ذكر ونقله قاضي خان كما تقدم والكلام عليه
مفصل في الفقه ولان يحكم النبي صلى الله عليه وسلم في الحرمة اي احترامه وتوقيره
وصيانة جانبه مزية بفتح الميم وكسر الزاي المعجمة وتشديد اليا التحتية وهي زيادة
الفضيلة وقال العلامة لا يبنى منه فعل لكن تقدم عن الاساس تميز عليه زاد على امته
فلا يسوى بينه وبينهم فيما يخصه فيزاد في جزاء من سبه على حد غيره لرفعة محله وساب
الحر لا العبد من امته يحد حد قذفه بشروطه ان شتمه والا يعزر واطلقه لظهوره
او لتسمح فادخل التعزير في الحد وفي نسخة يحد بجيم ولا ادري ما معناه والظاهر انه
تحريف من النساخ فكانت العقوبة لمن سبه صلى الله عليه وسلم او سب غيره من الانبيا
عليهم الصلاة والسلام القتل رعاية لتعظيم قدره فبعظمه يعظم الذنب فيه ويتوقف
منزلة على غيره بشين معجمة وفاء اي زيادتها يقال شف عليه اذا زاد قاله ابن القطاع
وهو بمعنى النقص ايضا من الاضداد والقرينة مانعة منه اي لزيادة مرتبته العالية
بشرفه صلى الله عليه وسلم تسليما وزاده تشريفا وتعظيما وهذا اعظم الجزا لاعظم
الخلق واحتمال ان يراد بدون القتل لا يرد عليه كما قيل فصل في دفع الشبه الواردة
على ما قدمه في هذا الفصل فان قلت اذا كان سبه صلى الله عليه وسلم وتنقيصه
مقتضيا للقتل فلم لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي قال له السام
عليكم وهذا دعا عليه واذية له ولم يعاقب قايله فيرد على ما قرره اولا والسام بمعنى
الموت فيوهمون انهم قالوا السلام وانما ارادوا الدعا عليه بموته ومثله مما يؤذيه
وهذا رواه البخاري وغيره وقالوا ان عايشة رضي الله تعالى عنها تفطنت له فكانوا اذا
قالوا السام عليك يا ابا القاسم قالت عليكم السام والذام واللعنة ولذا قال
صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم برد المقالة عليهم
الا ان الخطابي قال انه روي بالواو ورواه ابن عيينة بدونها وهو الصواب لان الواو
التي لمطلق الجمع بالاشتراك بينهما قلت لا محذور فيه لانه صلى الله عليه وسلم
قصد الاشتراك في معنى غير الذي قصدوه اي الموت مقدر علينا وعليكم كما ياتي بيانه
فيكون من القول بالموجب البديعي كقوله وقالت انت عندي مثل عيني فقلت نعم

وتكن في السقام ولذا ذهب كثير الى جواز اثبات الواو وحذفها وان الخطابي رجع عما
قاله فالسام معتل بمعنى الموت ويجوز ان يكون مهموزا من السامة والذام بالمعجمة بمعنى
الذم والعيب ويجوز اهمالها من الدوام والقايل جماعة من اليهود وقيل واحد منهم اسمه
ثعلبة بن الحارث وجمع بين الروايتين بتعدد القصة او بان الداخل جماعة والقايل
واحد ولا قتل الرجل الاخر وهو ذو الخويصرة الذى سيذكره ويا تى وانه الذى قال له صلى الله
عليه وسلم فى قسمة قسمها من مال الغنايم ان هذه القسمة التى قسمها بين الغزاة وفى نسخة
ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله اى خالصة لله جارية على العدل كما فرضها الله
وهذا فى حديث رواه البخارى ايضا فلم يقتله صلى الله عليه وسلم والحال انه
صلى الله عليه وسلم قد تاذى من ذلك اى من قوله الذى قاله ونسبه فيه الى
الجور وهو اذية مسلم له وافترا عليه فيقتضى قتله فلم لم يامر بقتله وقال الحافظ
الذهبى هذا الاخر لا اعرفه وفى الصحيح انه من الانصار وقال انه مغيث بن
بشير والذى قال له اعدل ذو الخويصرة التميمى الخارجى الذى قتل يوما لنهروان
ويقال له حرقوص وكانت هذه القسمة يوم حنين زاد فيها بعضهم لمصلحة وهو
تاليفهم ومع ذلك فلم يقتلهم صلى الله عليه وسلم حين اذوه بل قال لقد اوذى
موسى من قومه باكثر من هذا الذى اوذيته فصبر على اذيتهم ولم يقتل احدا ممن اذوه
فلى به اسوة واذية موسى انهم رموه بالبرص والادرة واتهموه بقتل اخيه هارون
وخالفوه فى امور كثيرة قصها الله تعالى فى القران عنهم ولا قتل المنافقين الذين كانوا
يوذونه فى اكثر الاحيان وروى فى كل الاحيان والاولى اظهروا شهر واذية المنافقين
له تقدم بعضها قريبا فهذا كله يدل على ان من اذاه او ذمه منه او ذم غيره من الانبياء
عليه وعليهم الصلاة والسلام لا يستحق القتل فكيف هذا مع ما تقدم من الادلة
والاجماع الذى حكاه ثم شرع المص فى الجواب عن هذا الاشكال بقوله فاعلم ايها
السايل عما اشكل عليك وفقنا الله تعالى واياك لعلم ما لا نعلم وهى جملة دعايية
معترضة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اولا الاسلام اول منصوب على الظرفية
اى فى ابتدايه يتالف عليه الناس اى يطلب الفتهم وتانيسهم لقرب عهدهم بالاسلام
وفيهم الاعراب الجفاة حتى يثبتهم على الاسلام فيداوى امراض قلوبهم بعفوه وكرمه
ولم يقل اول الهجرة لان هذا كان بالمدينة بعد الهجرة لان ابتدا التاليف بعض انواعه
كان قبلها واستمر ذلك الى الهجرة كما يومى اليه قوله كان الدالة على الاستمرار فلا غبار
فيه كما قيل لو قال اول الهجرة كان اولى وفى نسخة يستالف بسين مهملة ساكنة
بين اليا والتا واشار لبيان ذلك بقوله بميل قلوبهم اليه اى الى الاسلام وخلوص الايمان
بمحبته والاذعان له وياوه الثانية مخففة مضارع امال ويجوز تشديدها والاول
اولى ويحبب اليهم الايمان ليتمكن فى نفوسهم ويزينه فى قلوبهم اى يحسنه بترغيبهم

فيه ويداريهم بموحدة قبل الها اى يعاملهم بملاطفته لهم ورفقه بهم ويقول لاصحابه اى
خلصهم الذين سبقوا بايمانهم وعلم اخلاصهم انما بعثتم فيه تغليب اى انما بعثت معكم او هو
مجاز عن اخرتم وعلمتم اذ هو بمعناه اللغوى اى جيتم لدار الهجرة وارسلتم لها لتكونوا
ميسرين بسين وراء مهملتين اى مسهلين مسامحين لا معسرين مشددين على من قرب عهده
بالاسلام ولم تبعثوا وترسلوا منفرين الناس عن الاسلام اى بشدة وغلظة تحمل
الناس على نفورهم عنكم بنفارهم وتشتتهم عنكم وكان الظاهر ان يقول معسرين ليطابق
قوله ميسرين لكنه عدل للمطابقة الحقيقية لانها ابلغ لان التيسير تقتضى تالفهم وعدم
نفرتهم عنهم فاتى بلازم المقابل لانه ابلغ واكثر كما فى قول المتنبى كانك مستقيم فى محال
اذ لم يقل فى اعوجاج وليس هذا لاجل القافيه كما قيل ونحو لا يرون فيها شمسا ولا
زمهريرا وكان صلى الله عليه وسلم يقول لاصحابه ايضا بشروا الناس بكل خير ولا تعسروا
اى لا تشددوا وتغلظوا عليهم وسكنوا اى اقروا الناس على ما هم عليه ولا تكلفوهم
بما لم يالفوه ولا تنفروا الناس عنكم فينفروا ويفروا اى لا تثقلوا عليهم وتحملوهم فيملوا
منكم وهذا فيما لم يجب والا فمثله لا يسامح فيه وكان صلى الله عليه وسلم يقول لاصحابه
كما مر فى قصة ابى ابن سلول والمنافقين لما بلغه ما قالوه فقالوا له دعنا نضرب عنقه فابى
لا يتحدث الناس فيما بينهم فيقولوا ان محمدا يقتل اصحابه وهذا اذا شاع عنه صلى الله عليه
وسلم منع بعض الكفرة من الدخول فى الاسلام وجعله المشركون واعدا الدين وسيلة
للطعن فيهم ومثله مما ينبغى الاحتراز عنه لما فيه من الفوايد وهذا قاله صلى الله عليه
وسلم لعمر رضى الله تعالى عنه لما قال فى قصة ابى ابن سلول دعنى اضرب عنقه كما تقدم
مفصلا وكان صلى الله عليه وسلم يدارى الكفار والمنافقين بتلطفه بهم واحسانه وعفوه
عنهم والفرق بين المداراة والمداهنة مشهور تقدم مرارا ايضا فالمداراة اللطف
ولين القول لدفع الضرر وجلب النفع له او لمن داراه كامره بنصح ورفق وبيان ما فى حاله
من محذور وسوء عاقبة والمداهنة تحسين القبيح وقوله له ما هو باطل وكذب مما يغره
ويحثه على ارتكاب الفواحش والاول محمود شرعا والثانى مذموم غير جايز ويجمل صحبتهم
بضم المثناة التحتية وسكون الجيم وكسر الميم ثم لام من الجميل الحسن قولا وفعلا وقيل
يجمل بمعنى يجمع بعد تفرقه وهو بعيد ركيك ويغضى عنهم الاغضا العفو والتجاوز
والسكوت وغض البصر عما لا يليق وحمله على يغضى البصر وراعى ما فيه من العفو فعداه
بعن وهو متعد بعلى وفى المصباح اغضى الرجل قارب بين جفنيه ثم استعمل فى الحلم
ويحتمل من اذاهم اى يتحمله ويعفو عنه قال فى المصباح حمل الشى واحتمله بمعنى عفى عنه
وهو فى اصطلاح الفقها يستعمل بمعنى الوهم والجواز فيكون لازما وبمعنى الاغضا
والتمنى فيعدى ومن زايدة او تبعيضية وسياتى ما فيه ويصبر على جفاتهم اى غلظة
طباعهم المقتضية لعدم الادب فى الاقوال والافعال ويقال لاهل البادية

اهل الجفا ما لا يجوز لنا اليوم الصبر عليه ما موصولة مفعول يحتمل فمن بيانية مقدمة
على المبين وقد جوزه النحاة والمراد باليوم ما بعد عصره صلى الله عليه وسلم
وابتدا الاسلام وقواعد الاسلام لم تكن على ما هي عليه الان من القوة التي لا يتسامح
فيها لاحد ما كان يتسامح فيه الرسول صلى الله عليه وسلم لمصلحة تمت بذهاب
اسبابها فما فعله صلى الله عليه وسلم من عدم قتل بعض لا يجوز لنا الان المسامحة
فيه اصلا كما ياتي في قوله فلما استقر الى اخره وهذا هو الجواب عن السوال مع انه
حق له صلى الله عليه وسلم يجوز له العفو عنه لانه يمتنع علينا الاغضا عن اهانته
صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يرفقهم بالعطا اي يصلهم ويتفقهم
بالعطا تكرما عليهم والاحسان اليهم بكرمه ولين قوله ليولف قلوبهم ويجتنبهم
لان النفوس جبلت على حب من احسن اليها فيرفق بزنة يقعد مضارع رفق او بوزن
يكرم مضارع ارفق وفي الصحاح الرفق ضد العنف وقد رفق به يرفق وحكى ابو زيد
رفقت به وارتفقت بمعنى ترفقت به ويقال ارفقته بمعنى نفعته وقال ابن
القطاع رفقته رفقا وارفقته نفعته ومن الرفق كذلك فهو ثلاثي ورباعي وبذلك
المذكور من مداراتهم وعطايهم ورفقه بهم امره الله تعالى فقال ولا تزال تطلع على خائنة
منهم اي على طايفة خاينة او خيانة تصدر منهم في حقك كما صدر من اسلافهم
مع رسلهم فلا يحزنك اساتهم والمراد فعلة خانية او نفس خاينة ويقال في المبالغة
رجل خاينة كراوية وقرئ على خيانة الا قليلا منهم لم يخن فاعف عنهم واصفح ان الله
يحب المحسنين الذين يجزون السيئة الحسنة ويتجاوزون عما سلف وهذه الاية نزلت
في اليهود الذين كانوا في زمن نبينا صلى الله عليه وسلم بيانا لانهم من شانهم الخيانة
وانه موروث ابايهم وامره بالعفو عنهم بشرط المعاهدة او نحوها او هذه الاية
منسوخة والقليل المستثنى من امن به صلى الله عليه وسلم منهم كابن سلام رضي الله
تعالى عنه وقال الله تعالى امرا نبيه صلى الله عليه وسلم بما مر ادفع ما تراه من السيات
بالتي هي احسن وهي الاحسان لمن اسا واللطف به فاذا الذي بينك وبينه عداوة
من الكفار كانه ولي حميم اي لا تزال احسانك اليه حتى يصير كالصديق الذي بينك وبينه
مصافاة وموالاه والولي من يوالي ويتابع والحميم الصديق الصافي نزلت فيمن كان يعادي
رسول الله صلى الله عليه وسلم كابي سفيان رضي الله تعالى عنه وقيل المراد بالتي هي
احسن المصافحة وهي مستحبة وقيل ان هذه نسخت باية السيف وذلك اي ما ذكر
من مداراته صلى الله عليه وسلم كان منه لحاجة الناس للتاليف لقلوبهم وجلبها له
في اول الاسلام ومبادي الهجرة والحاجة في اول الامر الى جمع الكلمة باتفاق ارايهم معه
صلى الله عليه وسلم وعدم مخالفتهم له فانه يحصل بالملاطفة والملايمة ما لا يحصل
بغيرها فلما استقر فيه ضمير مستتر للاسلام اي لما قوي وثبت واظهره اي اظهر الله

دين الاسلام اي علاه ورفعه على الدين كله اي على كل دين وملة بحيث غلب اهله
وقهرهم والدين في الاصل مصدر يستوي فيه الواحد وغيره قتل من قدر عليه ممن
اظهر عداوته صلى الله عليه وسلم وطعن فيه وفي دينه اذ لم تبق حاجة للمداراة
التي كانت لمصلحة اتمها الله واشهرهم كفعله صلى الله عليه وسلم بابن خطل يوم
الفتح حين امر بقتله يوم فتح مكة ولو وجد متعلقا باستار الكعبة وقتل ايضا
بامره بذلك من عهد اي اوصى المسلمين بقتله يوم الفتح اي يوم فتح مكة كما تقدم
مفصلا وقتل ايضا من امكنه قتله غيلة بكسر الغين المعجمة وهو القتل خفية ومخادعة
كابن الاشرف وابن ابي الحقيق من يهود هو اسم للطايفة المعلومة وغيرهما اي
غير اليهود من الكفرة او غلبة اي وقتل ايضا من امكنه قتله من غير اخفا اي بطريق الغلبة
والقهر كابي عزة الجمحي كما رممن لم ينظمه قبل اي لم يدخل قبل قتله سلك صحبته صلى الله
عليه وسلم باسلامه ومتابعته له صلى الله عليه وسلم والسلك خيط
ينظم فيه اللولو ونحوه والنظم ادخاله فيه فاستعير للجمع وجعل محل الجمع او ما
يقتضيه بمنزلة السلك وسلك صحبته كلجين الما او هو استعارة ايضا والانخراط
في جملة مظهري الايمان به من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين وقد فسر الانخراط بالدخول
يقال تخرط في السلك اذا انتظم وقد وقع ذلك في كلام الفصحا الثقات كالسكاكي
والزمخشري وفسره بما ذكر الا اني لم اجده في كلام العرب قديما ولا في كتب اللغة بهذا
المعنى بل الموجود خلافه كخرط القتاد واخترط السيف سله وفتشت عنه فلم
اظفر به وغاية ما يمكن في توجيهه انه من خرطه اذا جعله في الخريطة وهي الكيس
فتجوز وانه عن جعله في العقد قال ابن عباد في محيط اللغة الخريطة مثل الكيس
يشرج من ادم او خرق ويقال اخرطت الخريطة اخراطا انتهى وقد تقدم التنبيه
على ذلك ايضا وقوله ممن كان يوذيه من الكفرة بيان لمن الذي تقدم كابن الاشرف
وابي رافع تقدم بيانها مفصلا والنضر بن الحارث الذي تقدم بيانه وعقبة بن ابي
معيط وتقدم ايضا وهذا تمثيل لمن قتله صلى الله عليه وسلم مطلقا غيلة وغلبة
فلا وجه لما قيل ان في ذكر ابن الاشرف مع من قتله غلبة نظرا لقتله غيلة وكذلك
اي مثل قصته من ذكر ممن قتله نذر دم جماعة من الكفار سواهم اي سوى من ذكر من كعب
واضرابه ونذر بنون وذال معجمة ورا مهملة اي اوجب قتله على من عنده من اصحابه
قال في الاساس نذر رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا اوجبه على نفسه وهو
من كلام اهل الحجاز انتهى فقول بعض الشراح انه بدال مهملة بمعنى اسقط واهدر
ليس بشي ككعب بن زهير ابن ابي سلمى بضم السين وسكون اللام ربيعة بن رياح بكسر
الرا وبالمثناة التحتية ابن قرط المزني وهو واخوه شاعران مجيدان عن مكثرين ولاخوه
اسلم قبله وكان كعب قال بعد اسلام اخيه شعرا يعرض فيه بالنبي صلى الله عليه

وسلم فكتب اليه اخوه كتابا يقول فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اهدر دما قوم كهبيرة بن ابي وهب وابن الزبعري فان كان لك حاجة في نفسك
فطر اليه فانه صلى الله عليه وسلم يقبل من اتاه تايبا فضاقت الارض عليه
واجف الناس بانه مقتول فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي
الصبح فلما فرغ جلس بين يديه ووضع يده في يده وقال يا رسول الله ان كعبا
جاء تايبا مسلما اتقبله قال نعم وهو لا يعرفه فقال انا كعب فوثب عليه رجل
من الانصار وقال يا رسول الله دعني اضرب عنقه فقال دعه فانه جاء تايبا فغضب
كعب على الانصاري لانه لم يقل فيه احد من المهاجرين الا خيرا وانشده
صلى الله عليه وسلم قصيدته المشهورة والبسه بردته التي يتوارثها الخلفا
بعده وكان معاوية رضي الله تعالى عنه طلبها منه فقال ما كنت لاوثر احدا بثوب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما مات اخذها من اولاده بعشرين الفا وبثلاثين
الف درهم فضة وفقه هذه القصة ان من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم
العفو عمن سبه من الكفرة وان اجازة الشعر مسنونة من مكارم الاخلاق كما قال
القرى جحود فضيلة الشعر اعمى وتحسين المديح من الرشاد محرابت
سعاد ذنوب كعب واعلت كعبه في كل ناد وما احتاج النبي الى مديح
وتشبيب بشي من سعاد ولكن سن اسدا الايادي وكان الى المكارم
خير هاد وابن الزبعري هو عبد الله بن الزبعري بن سعيد بن سهم القرشي وهو
بكسر الزاي المعجمة او فتحها وكسر البا الموحدة وسكون العين المهملة مقصور علم
منقول من سيء الخلق وكثيف الشعر وكان شاعرا مجيدا شجاعا من اشد الناس على
رسول الله صلى الله عليه وسلم بطول لسانه وسفهه ولا عقب له اسلم بعد
الفتح وحسن اسلامه وكان فر هو وزوجته ام هاني بنت ابي طالب الى نجران
فقال له ما وراك فقال ان محمدا قتل قريشا وفتح مكة واراه سايرا لكم فاصلح
بالحارث وكعب منهم ما رث من حصنهم وجمعوا ما شيتهم فارسل له حسان
رضي الله عنه شعرا يقول فيه غضب الاله على الزبعري وابنه وعذاب سوء في
الحياة مقيم فلما بلغه قال مالي ولبني الحارث وترك داري وقومي ثم اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في اصحابه فلما راه قال هذا ابن الزبعري في وجهه نور الاسلام
فوقف عنده وقال السلام عليكم اني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبد الله
ورسوله والحمد لله الذي هدانا للاسلام وقد جليت على عداوتك حتى هربت
الى نجران وانا اريد ان لا اقرب بالاسلام ابدا ثم اراد الله بي خيرا فالقاه في قلبي
وحببه الي وكرم ما كنت فيه من الضلالة واتباع ما لا ينفع ولا يعقل من حجر يعبد
ويذبح له فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداك للاسلام

ان الاسلام يجب ما قبله وقلت في ذلك رايت اسلام قوم جب ما كان قبله
وكم حصن اراه بالكفر في شر ملته وغيرهما اي غير كعب وابن الزبعري ممن اذاه
صلى الله عليه وسلم وهجاه وسبه نثرا ونظما ثم تاب باسلامه فقبلت توبته
وعفي عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في السير حتى القوا بايديهم اي
انقادوا له صلى الله عليه وسلم وسلموا وهو مجاز عما ذكر واصله وضع يده في يد
غيره ممن عيسكها لانقياده اثم انقيادا وقبض يد غيره عنه وتلقوه عليه الصلاة
والسلام مسلمين فعفي عنهم وامنهم واحسن اليهم واما من نافقه فبوا طن
المنافقين وما فيها من الكفر مستورة غير معلومة لغيرهم وحكمه صلى الله عليه
وسلم انما كان على الظاهر وهو الاسلام المانع من قتلهم وهذا لاجل التشريع
لامته بعده وان اطلعه الله على سرايرهم ومع ذلك اكثر الكلمات التي قصد المنافقون
بها تنقيصه صلى الله عليه وسلم وذمه انما كان يقولها القايل منهم اي من المنافقين
خفية مع امثاله من المنافقين ولا يقف عليها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون
وخفية بضم اوله وكسره وفي نسخة زيادة واو قبل مع ويحلفون عليها اي يحلفون
انهم ما قالوا ما نسب اليهم وهذا يعلم مما سياتي وقدمه هذا في قصة ابن ابي وابن سويد
من المنافقين اذا نميت اليهم اي نقلت وبلغت لرسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم
من نمى الحديث بالتخفيف والتشديد والمشهور ما قاله ابو عبيد انه بالتخفيف ما نقل
على وجه الاصلاح وبالتشديد ما كان على وجه الافساد وهو النميمة وكذا قاله
ابن قتيبة وغيره لكن رواية اكثر المحدثين بالتخفيف هنا تدل على خلافه وينكرونها
اي هذه المقالة ويحلفون بالله ما قالوا ما نقل عنهم ولقد قالوا كلمة الكفر اي
الكلمة التي يكفر بها قايلها او التي انما تصدر عن الكفرة واعدا الدين مما نقلناه سابقا
وكان صلى الله عليه وسلم مع هذا اي مع ما قالوه من كلمة الكفر يطمع في فيئتهم
بكسر الفا وفتح الهمزة قبل التا الفوقية اي جماعتهم وروي فيئتهم بفتح الفا قبل
يا ساكنة قبل الهمزة من فا اليه اذا رجع ومنه الفي للظل بعد الزوال ورجوعهم
الى الاسلام عطف تفسير اي دخولهم فيه فهو مجاز مرسل من اطلاق المقيد على
المطلق كقوله وان عدتم عدنا وتوبتهم من نفاقهم وكفرهم الخفي فيصبر صلى الله عليه
عليه وسلم على اذيتهم ونفاقهم وذمهم الذي علمه منهم وبلغه عنهم وعلى هناتهم
بفتح الهاء والنون الخفيفة وفي المصباح الهن خفيف النون كناية عن كل اسم جنس
والانثى هنة بالتخفيف ولامها محذوفة ففي لغة هي ها فتصغيرها هنيهة ومنه
مكث هنيهة اي ساعة لطيفة وفي لغة هي واو فتصغر في المونث على هنية بتشديد
اليا والهمز خطا اذ لا وجه له وجمعها هنوات وربما جمعت على هنات مثل جمات
والمذكر هن وبه سمي وكني به عن الفرج انتهى وهو احد الاسما اخوات اب واخ وكني

هنا ايضا على قبايحهم وكان صلى الله عليه وسلم بصيرا ايضا على جفوتهم اى ما يصدر
عنهم من الاقوال والافعال القبيحة طباعهم وسوء ادبهم كما صبر اولوا العزم من
الرسل وهم الذين كانوا ذوى عزمية قوية وثبات فى دعوة الناس الى الدين وحزانه
قد اختلف فيهم فمنهم من قال هم خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله
وسلامه عليهم اجمعين وقيل هم المذكورون على التوالى فى الشعرا والاعراف
وهم نوح وهود وصالح وسليمان ولوط وموسى لصبرهم على اذى قومهم وما ابتلوا به
ومنهم من عد منهم اسماعيل ويعقوب وايوب وقيل كل من امر بالجهاد والقتال
وقيل ثمانية عشر ذكروا فى الانعام وعقبهم الله بقوله اولئك الذين هدى الله
فبهداهم اقتده وقيل كل الرسل وقيل الا يونس لقوله ولا تكن كصاحب الحوت
فهولا صبروا على اذى الناس ومواجهتهم بما يكرهون وقد امر صلى الله عليه وسلم
بالاقتدا بهم فى الصبر على الاذا والعفو فلم يزل يفعله فى ابتدا الهجرة حتى فا كثير منهم
باطنا اى رجع عن نفاقه فخلص ايمانه فى قلبه كما فا ظاهرا اى كما كان ظاهره فى الرجوع
الى الايمان بعد الكفر واخلص ايمانه بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم بسريرته فيما
اسره واخفاه فى قلبه وبينه وبين قومه كما اخلص جهرا اى فيما جاهرهم به من مقالة
فتواطا باطنه وظاهره وسره وجهره ونفع الله بعد بكثير منهم اى نفع بهم بعد اخلا
صهم وهداية الله لهم وقام منهم اى من هولا الذين تالفهم وعفا عنهم للدين واهله
وزرا واعوان عطف تفسير لان الوزير من الوزر وهو المعاونة والنصرة فتقوى
وتعاضد بهم اهل الاسلام وحماة وانصار فهم حامون للدين وناصرون لاهله كما جات
الاخبار الثابتة فكم من منافق وكافر حبب الله له الايمان واعزه الله به وهو مذكور
فى كتب الحديث غنى عن البيان وبهذا الجواب المذكور اجاب بعض ايمتنا المالكية
رحمهم الله عن هذا السوال السابق عن قول اليهود السام عليكم وعنه اجوبة
اربعة ذكرها فى السيف المسلول بعد ما ذكر فى حقهم واذا جاوك حيوك
بما لم يحيك به الله ويقولون فى انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم
يصلونها فبئس المصير فاخبر الله تعالى عنهم بانهم كانوا يحيون بتحية منكرة
ويقولون لو كان نبيا عذبنا الله بقولنا له السام عليكم واشار الى انه لا حاجة
لعذبهم لانه يكفى من لم نيته منهم عذابه فى الاخرة فاجاب عن السوال الذى تقدم من
لم لم تقتلهم ونهى عايشة رضى الله عنها عن قولها بل عليكم السام والذام واللعنة
كما مر فقال لها مهلا فان الله يحب الرفق فى الامر كله وحاصله انه كان لحكمة وهو انه
وقع والاسلام لم يعتز القوة البالغة فصبر لعل الله يهديهم ويقوى بهم الدين
وقد وقع ذلك لكثير منهم وكان الصبر عليهم والعفو عنهم جايزا له صلى الله
عليه وسلم والجواب الثانى عنده انهم كانوا يخفونه ويتكلمون به بعجلة وخفض

صوت ولا يطلع الناس عليه والعقاب على الكفر انما يكون على الظاهر دون الخفى
وقال بعض الايمة المجيب بهذا وفى نسخة وقيل لعله اى قولهم السام للدعا عليه لم يثبت
عنده صلى الله عليه وسلم من قوالهم اى اليهود ما رفع بالبنا للمجهول من رفع الكلام
بمعنى وصله وبلغه وانما نقله له صلى الله عليه وسلم الواحد الذى لم يتم به نصاب
الشهادة ومن لم يصل اى لم يبلغ رتبة قبول الشهادة فى هذا الباب اى النوع المقتضى
للقتل من صبى صغير لا تسمع شهادته شرعا وعبد مملوك وامراة شهادتها غير مسموعة فى مثله
بما يندرى ويدفع بالشبهات وهو الحدود والدما الا تستباح بعد الثبوت الا بعد ما
ذكر من حربه واعلام الله له بحكمه بالظاهر ونفوذ حكمه لا يخالفه فما قيل من انه
عجيب من المص مع تكذيب الله لهولا واعلامه بحالهم فى القران ليس بشى لا سيما وهو
ناقل ثقة وما على الرسول الا البلاغ وعلى هذا الذى ذكره بعضهم فى الجواب يحمل كلام
اليهود وفى نسخة اليهودى فى السلام وفى نسخة فى السام وهما بمعنى لان المراد بالسلام
سلام اليهود وهو قولهم السام وانهم لووا بواو ونون مخففتين والتشديد وان صح
غير متات هنا لانه للمبالغة ولم تقصد هنا والتى فتل الالسنة ولفتها بسرعة حتى
يخفى ويظن انهم قالوا السلام السنتهم جمع لسان وهو الجارحة المعروفة ولم يبينوه
اى سلامهم وهو تفسير للمراد بلى الالسنة الا ترى ما يحقق ما قيل ويوضحه كيف نبهت
عليه اى على قولهم هذا عايشة رضى الله تعالى عنها حيث ردت عليهم بقولها المتقدم
عليكم السام والذام واللعنه ونهاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرها
بالرفق وقال انى ارد عليهم فيستجاب لى ولا يستجاب لهم لكن قال ابن تيمية ان قوله
صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا لهم وعليكم اى ردوا الذى
يقولونه لكم عليهم وتقرير الصحابة رضى الله عنهم له بعده يدل على عدم اختصاصه
باول الامر وبدء الاسلام وان لم يخف عليه فتامل ولو كان اليهودى الذى قال
للنبى صلى الله عليه وسلم السام عليك صرح بذلك من غير اخفا ولى السنة لم تنفرد
بنا فوقية اى عايشة رضى الله تعالى عنها بعلمه دونه صلى الله عليه وسلم ولهذا اى
لكونهم لم يصرحوا بما يعلمه كل احد ولكون اليهودى لم يصرح بالسام بل اضمره خبثا
ولامه نبه النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه على فعلهم اى فعل اليهود القبيح الذى
اتوا به بقولهم السام عليك وقلة صدقهم فى كلامهم وجعل قولهم السام موهمين
انهم قالوا السلام كذبا لجعلهم ما ليس تحية تحية فهو باعتبار خبر تضمنه كذب
مخالف للواقع وخيانتهم فى ذلك لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ليا بالسنتهم
بتحريفها لهم وكذبهم وعدولهم عن سنن الصواب وطعنا فى الدين اى دين الاسلام
واهله وفيه اشارة الى الاية اعنى قوله عز وجل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
الاية وهى نزلت فى حق اليهود وقولهم راعنا واسمع لكن لما كانا من قبيل واحد

في التحريف والعدول عن الظاهر اقتبسها المص هنا وانما كان هذا طعنا في الدين لانهم
قالوا لو كان نبيا علم بقتالنا وعذبنا الله عليها كما مر فلذا يتوهم انه كيف يكون هذا طعنا
في الدين بمجرد ذكر السام بمعنى السلام فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه منبها لهم
ان اليهود اذا سلم احدهم فانما يقول السام عليكم فقولوا في رد سلامهم عليكم وفي رواية
وعليكم بالواو وقد تقدم الكلام عليه مفصلا وقد قال الفقها لا يبدو بالسلام
الكفرة وانما يرد سلامهم بقول وعليكم وفي رواية عن الشافعي جوازه وكذلك قال
بعض اصحابنا البغداديين كالقاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي وقد تقدم بيانه
ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم وبما في نفوسهم مع انه عالم بهم
واطلعه الله تعالى على سريرة نفاقهم وان كان له صلى الله عليه وسلم ان يقضي بعلمه
بل الخلاف للفقها في القاضي هل له ان يقضي بعلمه في زمان قضائه او في مجلس حكمه وانما
المانع منه انه صلى الله عليه وسلم امر بالعمل بالظاهر في اكثر احواله تشريعا للامة وكان
ذلك في ابتدا الاسلام تاليفا للقلوب حتى يهديهم الله ولا تنفر قلوب من يريد الدخول
في الدين وكيف السنة الطاعنين بقولهم انه صلى الله عليه وسلم يقتل اصحابه
والحكم تتعاضد والمصالح لا تتزاحم فلا تعارض بين الاحاديث كما توهم ولم يات
لم ينقل في الاحاديث انه قامت بينة عنده صلى الله عليه وسلم على نفاقهم فلهذا
اي لكونه لم تقم عنده بينة على نفاقهم وهو مامور في اكثر الاحكام ان يحكم بالظاهر
وبالصبر كما صبر اخوانه اولوا العزم تركهم من غير ان يقتلهم ولم يحكم بعلمه وان
اعلمه الله في سورة المنافقين وسورة براة اجمالا من غير ذكرهم باعيانهم فمن قال كفاك
ما فيهما من تفضيحهم بينة لم يصب وهذا مبني على ان الحاكم لا يجوز له ان يحكم بعلمه
مطلقا او في الحدود او في حقوق الله وفيه كلام للفقها ليس هذا محله واقامة
البينة على النفاق تتصور بان يشهد على اقراره والا فما في قلبه لا يمكن الاطلاع
عليه لغير علام الغيوب وايضا مما يقتضي عدم قتلهم فان الامر اي نفاقهم كان
سرا وباطنا يخفى على الناس فكيف تقوم عليهم بينة فظاهرهم الاسلام والايمان
هما بمعنى وقد يفرق بينهما بحسب المفهوم وان اتحدا فيما صدقا عليه والامر فيه
معلوم وان كان المذكور الذي لم يحكم بقتله من اهل الذمة بكسر الذال المعجمة هي العهد
والامان هنا قال في المصباح الذمة تفسر بالعهد والامان وسمي المعاهد ذميا نسبة
الى الذمة بمعنى العهد وقولهم في ذمتي كذا معناه في ضماني نبني كما اشار اليه بقوله بالعهد
وهو الميثاق بان لا يغدر به والجوار بكسر الجيم وتضم وهو الامان من جاره يجيره اذا
امنه بعهد بينهما والامان يكون لمعين وغيره كاهل بلدة واقليم فان كان بغاية معينة
فهي الهدنة وان لم يكن فهي الجزية وهم اهل الذمة اي امان وهذان يختصان بالامام
بخلاف مطلق الامان لزمن قريب فلا يختص به لحديث المسلمون يسعى بذمتهم ادناهم

والناس

والناس قريب عهدهم بالاسلام اي دخولهم في الاسلام كان قريبا في ابتدا الاسلام
والهجرة لم يتميز بعد بالضم اي بعد قرب عهدهم الخبيث من الطيب منهم اي لم يعلم من خلص
اسلامه فطابت سريرته او لم يخلص ايمانه ففيه بقية من خبث الكفر لم يظهر لغيره
وقد شاع اي سمع واشتهر بين الناس عن المذكورين اي من كان منافقا يظهر اسلامه
في العرب المجاورين لهم المشاهدين لهم كون من تيهم بالنفاق اي تيمه خلص المومنين
المهاجرين الذين نور الله بصايرهم من جملة المؤمنين اي عدته منهم بالنظر لظاهر حالهم
ومن متعلقة بشاع وصحابته بفتح الصاد اسم جمع لصاحب وهو في الاصل مصدر
كالقرابة سيد المرسلين لكونهم معه تابعين له عليه الصلاة والسلام وشاع ايضا
انهم من جملة انصار الدين الذين نصروا رسوله صلى الله عليه وسلم على اعدايه ظاهرا
وهذا انما هو بحكم ظاهرهم اي ما يظهر من حالهم لانا لا نطلع على سرايرهم فلاجل هذا
لم يقتلهم صلى الله عليه وسلم وقال لعمر وغيره ممن قال في بعضهم دعني اضرب عنقه
لايلا يتحدث الناس بان محمدا يقتل اصحابه كما تقدم فعدوا من اصحابه نظرا لظاهر حالهم
فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لما علمه من حالهم ولنفاقهم الذي اطلعه الله تعا
عليه دون غيره وما يبدر منهم بفتح التحتية وسكون البا الموحدة وضم الدال والرا
المهملتين بمعنى يسرع ويخرج منهم بعجلة وفي نسخة يبدو بالواو بدل الرا وفي نسخة يندر
بالنون مع الرا وهي صحيحة ايضا وان خالفت رواية الشراح قال في المصباح ندر من قومه
اذا خرج ومنه النادر لخروجه عن امثاله فتسميته نادرا لمخالفته ظاهر حالهم وهو
الاكثر منهما فلا بعد فيه وعلمه معطوف على نفاقهم اي علم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما اسروا اي اخفوا من الكفر في نفوسهم من النفاق لوجد المتنفر جواب لو اي لوجد الذي
يقصد تنفير الناس وصدهم عن الدخول في الاسلام من المشركين واعدا الدين ما يقول
اي امرا يقوله لمن يريد الدخول في الاسلام بان يقول له انه سفاك يقتل اصحابه اذ لغالب القوم
والمرء لا يخلو من زلة ولارتاب الشارد اي وقع في ريبة لخوفه من القتل من كان شاردا
عن الدين ضالا من الجاهلية والاعراب اباة الضيم من شرد البعير اذا نفر وذهب في
الارض وفي الحديث لتدخلن الجنة الا من شرد على الله اي خرج عن طاعته وفارق الجماعة
وهو في الاصل استعارة وارجف المعاند اي اتى بالاقوال الكاذبة التي يقصد بها
التشنيع على الاسلام من كفر عنادا كبعض المشركين الذين كانوا يحبون اشاعة مثله
وارتاع اي خاف من يسمع الاراجيف وعلم بالقتل من الروع وهو الخوف من صحبة
النبي صلى الله عليه وسلم وارتاع ايضا من الدخول في الاسلام خوفا من ان يقتل
كمن قتله غير واحد اي كثير ممن يريد الاسلام من ضعف قلبه ولم ينظر ببصيرة صادقة
من اضله الله ولزعم الزاعم اي وجد وصله لكذبه من اراد الافترا على الله ورسوله
وظن العدو للاسلام واهله الظالم لنفسه وغيره من صده عن سبيل الله وسعادة

الداري وهذا بنا على انه بعين مهملة من العداوة وقال البرهان انه في الاصل الفذ
بفا وذال معجمة مشددة بمعنى المنفرد والاول صحح في الهامش انتهى والمعنى ان هذا انما
هو فرد من الناس او ظالم ان القتل الذي اوقعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
باهل النفاق والشقاق المقتولين بالاستحقاق وانما كان للعداوة من رسول الله
صلى الله عليه وسلم لمن قتله وطلب اخذ الترة اي اخذ ثاره عند من قتله من العرب
وهو بكسر المثناة الفوقية وفتح الرا المهملة والها كالعدة والها عوض عن الفا
المحذوفة من الوتر وهي تبعته وامر كان اولا انتقم منه والوتر قتل من له عنده دم
فهو قتل القاتل واما الثار بمثلثة وهمزة يخفف بيدله الفا فهو بمعناه ايضا وان كان
من مادة اخرى وقولهم يا لثارات فلان حثا على طلب الدم ممن هو عنده فهو بمثلثة
ومثناة ايضا والمعنى واحد فلا معارضة بين ما في القاموس والنهاية الاثيرية
كما توهم وكم من لفظ من مادتين بمعنى مثله فلا حاجة للتطويل بمثله وقد رايت
معنى ما حررته اي هذبته من ان النبي صلى الله عليه وسلم ترك قتل المنافقين
الذين علم نفاقهم لحكمه بالظاهر تشريعا للامة ولهذه المصالح من تاليف القلوب
ودفع طعن الطاعنين ليدخل الناس في دين الله افواجا افواجا منسوبا الى الامام
مالك بن انس امام دار الهجرة رحمه الله تعالى ولهذا المعنى الذي ذكره وحرره قال
صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي تقدم لمن قال دعني اضرب عنقه كما مر لا يتحدث
الناس في مجالسهم ويشيعون ان محمدا صلى الله عليه وسلم وذكره باسمه حكاية
لما يقولونه يقتل اصحابه لعرض اخر من ترة وامر سابق لا لنفاقهم يقصدون بذلك
افساد الناس وصدهم عنه كما كان عادة المشركين وقال صلى الله عليه وسلم
في حديث اخر لم يخرجه اولئك المنافقون الذين لم اقتلهم مع العلم بنفاقهم نهاني الله
عن قتلهم لحكمة علمها وفايدة عظيمة من مصالح الدين والحديث قبل هذا في الصحيحين
كما علم مما مر وهذا المذكور من عدم القتل بالنفاق المضمر بخلاف اجرا الاحكام الظاهرة
عليهم اي المنافقين او الناس من حدود الزنا جمعها لتعدد من زنا او تعددها برجم
وجلد والزنا يمد ويقصر بمعنى وهما لغتان وقيل الممدود فعل اثنين والمقصور
من واحد وقيل انه حقيقة في الرجل لانه فعل صدر منه دون المراة قال الحري
والقصر افصح والقتل قصاصا ونحوه وشبهه كحد القذف وشرب الخمر والسرقة
لظهورها بالشهادة الشرعية واستوا الناس في علمها لانها من الامور الباطنة
وقال محمد بن المواز بفتح الميم ولتشديد الواو والف وزاي معجمة وهو مشهور من ايمة
المالكية كما تقدم لو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم
هذا توضيح لما قبله فلا يرد عليه ما قيل انهم اذا اظهروه يكون كفرا وردة لا نفاقا
وفيه نظر وقال ايضا القاضي ابو الحسن بن القصار المالكي الذي تقدمت ترجمته

وقال

وقال قتادة في تفسير قوله عز وجل لين لم ينته المنافقون من النفاق المعروف وهو لفظ
حدث في الاسلام من نافقا الضب وهي خرق يخفيه اذا اريد صيده خرج منه وفي
وقيل انه ماخوذ من النفق وهو السرب والذين في قلوبهم مرض اي فساد حقيقة
سماه مرضا استعارة والمرجفون في المدينة من الارجاف وهو اشاعة الافترا والكذب
الافترا واغرا الاعدا لنغرينك بهم اي نامرك بقتلهم ونكالهم من الاغرا وهو الحث
والتحريض على سبيل الاستعجال ثم لا يجاورونك فيها اي لا يتيسر لهم الاقامة بها
لقتلهم او طردهم وهو عطف على لنغرينك الجواب للقسم الا قليلا اي زمانا قليلا
اي زمانا قليلا لو قوع ما اغريناك بهم من القتل والاجلا ملعونين نصب على الشتم
او الحال اي مطرودين ومبعدين عن رحمة الله في الدنيا اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا
تقتيلا سنة الله في الذين الاية مصدر موكد اي سن الله في الذين خلوا من قبل ممن كان
قبلكم نبيا في الانبيا ان يقتلوا اينما وجدوا وظفر بهم ولن تجد لسنة الله تبديلا بل هي
جارية على سنن واحد في جميع الامم قال اي قال قتادة معناه اي معنى ما ذكر من الاية
اذا اظهروا النفاق لانه صلى الله عليه وسلم امر بجهاد المنافقين وهو انما يكون
اذا اظهروه لانهم قبل اظهاره مسلمين دماؤهم معصومة ومعنى ثقفوا اخذوا وتمكن
منهم اذا وجدوا والذين في قلوبهم مرض هم المنافقون والمرض ما يعرض للبدن
فيخرجه عن الاعتدال ويوجب اختلال افعاله فتجوز به عن الاعراض النفسانية المانعة
لكماله كالجهل وسو العقيدة والمرجفون هم المنافقون لانهم كانوا يشيعون اخبارا
تسوء المؤمنين كقوة عدوهم واصابة بعض سراياهم وقال ابن عباس اشاعة الكذب
التماسا للفتن وهو من الرجفان وهو الاضطراب بزلزلة ونحوها فاستعير لما ذكر
وقيل ما قاله قتادة مخالف للظاهر وانما المراد نهيهم عن اذية رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين يعني ان جهادهم لا يظهر لما مر ولذا قال الثعلبي في تفسيره
ان ابن مسعود قال لجهاد المنافقين الانكار عليهم والتعبيس في وجوههم وترك
الرفق بهم وقيل انها نسخت العفو عنهم ولذا قال وحكى محمد بن سلمة تقدمت ترجمته
في المبسوط اسم كتاب له عن زيد ابن اسلم تقدم بيانه ايضا ان معنى قوله تعالى
يايها النبي جاهد الكفار والمنافقين نسخ ما كان قبلها اي قبل نزولها من العفو والصفح
عن اذيتهم له صلى الله عليه وسلم الذي كان قبل نزولها في قوله تعالى فاعرض عنهم وتوكل على
الله فانه نهى اولا عن قتل المنافقين فنسخ بهذه الاية كما قال له الواحدي في سورة النسا
ومجاهدة المنافقين عند الحسن وقتادة اقامة الحدود عليهم وعن مجاهد بالوعيد
وافشا اسرارهم ومن ذكر هذا وقال لا نسلم انها منسوخة لم يصب لانه منع
للنقل وهو خطا ويويدنا وبل الجهاد في الاية قوله واغلظ عليهم اي شدد وعيدهم
وانهم اجمعوا على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتل احدا من المنافقين

الى ان توفاه الله تعالى وقال بعض مشايخنا من الفضها المالكيه وقيل من متكلمي الاشعرية
لعل القايل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قسم بعض الغنايم هذه قسمة ما اريد
بها وجه الله اى لم تقع على وجه العدل بين الغزاة يعنى انها قسمة جايرة ولعل القايل له
اعدل اى سو بين المسلمين فى القسمة قال البرهان الحلبى ظاهر ان قايلهما واحد وليس
كذلك فكان ينبغى ان يقول وقول الاخر والاول هو ذو الخويصرة كما فى مسلم ويقال له
حرقوص كما تقدم وهو ذو الثدية راس الخوارج ولهم ذو الخويصرة التيمى وهو البايل
فى المسجد وثالث ايضا لم يفهم النبى صلى الله عليه وسلم عنه اى من قوله
هذا الطعن عليه فى قسمته اى لم يقصد به ذمه وتنقيصه ولا التهمة له فيها
اى لم يظن به سوء قال فى المصباح التهمة بسكون الها وفتحها الشك والريبة
واصلها الواو لانها من الوهم انتهى وانما راها اى فهم من كلمته هذه انها صدرت
من وجه الغلطة اى صدرت منه لغلظة طبعه وعدم ادبه كما هو عادة
الاعراب وفى نسخة الغلط فى الراى الذى يراه جفاة العرب كما هو راى امثالهم
فى امور الدنيا لحرصهم عليها والاجتهاد فى مصالح اهلها الذين يرون ان تغليظ
المقال يحصلها كما يقال الابرام يحصل ويعدون الوقاحة سلاحا لهم فلم ير ذلك
الكلام الذى واجهه به سبا وتنقيصا له فهو بسين مهملة وبا موحدة مشددة
وروى بشين معجمة ومثناة تحتية دة او خفيفة بعدها همزة قال البرهان والاول
اصوب وعلى الثانى لم يره شيئا يعتد به او ينقصه قيل ويبعد هذا انه توفر وجهه
الشريف وقال يرحم الله اخى موسى لقد اوذى باكثر من هذا فصبر كما تقدم فلذلك
لم يعاقبه صلى الله عليه وسلم وفى نسخ ذكر هذا بعد قوله الاتى والصبر عليه
وقيل انه انما لم يعاقبه ليلا يقول الناس انه يقتل اصحابه كما صرح به الحديث المار
وقيل انه حقه صلى الله عليه وسلم له العفو عنه واليه اشار بقوله وراى
انه من الاذى الذى هو الشى القليل كما فسره به السبكى فيما ياتى الذى له العفو عنه لقلته
او لانه حقه وهو لا ينتقم لنفسه والصبر عليه تاليفا لقلوب الناس وقد عزا ابن تيمية
هذا الجواب الاخير فى كتابه السيف المسلول وكذلك اى كما قيل فى الجواب عما ذكر يقال
فى اليهود اذ قالوا له فى الحديث السابق السام عليكم للدعا عليه صلى الله عليه
وسلم وعلى اصحابه ليس فيه صريح سب يوجب عقابهم عليه ولا دعا عليه
بما لا يصح من احد بشى من الاشيا الا بما اى بامر لا بد منه اى لا يسلم منه احد
من الموت الذى كتبه الله على العباد وقدره ولا بد من لحاقه جميع البشر لان كل نفس
ذايقة الموت والسام على هذا معناه الموت فهو معتل العين كما مر وقيل بل المراد
والمعنى الذى قصدوه انكم تسامون دينكم اى تضجرون من مشاقه فتملونه وتتركونه
فهو اسم من السامة والملال بهذا او دخل وطعن فى الدين لا اعتذار عنهم كما توهم ثم بين وجهه

بحسب اللغة بقوله والسام بفتح السين والهمزة والسامة بعد الهمزة بزنة القباحة
الملال وهى الضجر والقلق المودى للترك فهو على هذا مهموز العين ابدلت همزته الفا
لانه من سيم مهموز فما قيل لرواية بلا همز لاختلاف صيغتهما واوا وهمزا ليس بشى
وهذا على هذا القول دعا على سامه الدين سامه بالمد مصدر او بدونه جمع سايم
نحو كتبه جمع كاتب ولعل هذا النسب بقوله ليس فيه صريح سب له صلى الله عليه
وسلم فلذا لم يعاقب قايله ولهذا اى لاجل كونه ليس بسب صريح ترجم البخارى
فى صحيحه على هذا الحديث بقوله باب بالتنوين وتركه اذا عرض اى ذكر بطريق
التعريض وهو ضد التصريح فهو مشدد الرا الذمى وغيره من المسلمين او المستامنين
من اهل الحرب بسب النبى صلى الله عليه وسلم والترجمة الباب والعنوان فى اصطلاح
المصنفين واصله ذكر لفظ بلغة بلغة اخرى وابلاغ كلام الغير لمن لم يسمعه كما فى قوله
ان الثمانين وبلغتها قد احوجت سمعى الى ترجمان فتجوز به عما ذكر لانه اجمال يفيد
ما بعده كما تقدم وقد قيل ان السام غير عربى وهو على هذا تعريض بالنقص
لا بالسب وقد تقدم ان التعريض له حكم التصريح ولذا عقبه بقوله وقال بعض
علمائنا المالكية وليس هذا الذى قاله اليهود بتعريض بالسب لانه الذم بصفات
النقص التى لا تليق وانما هو تعريض بالاذى اى بما يوذى ويولم وقال السبكى الاذى
الشى الخفيف فان زاد فهو ضرر كما قاله الخطابى وغيره انتهى لان الموت والملل من لوازم
البشرية لا تنقيص لكن ذكره ممن لا يقصد به حقيقته يوذى ويولم قال القاضى
ابو الفضل عياض المصنف رحمه الله قد قدمنا فى هذا الباب ان الاذى والسب فى حقه
ووصفه صلى الله عليه وسلم بشى منهما سوا فى الحكم من قتل ونحوه وقد قال القاضى
ابو محمد بن نصر الذى قد قدمنا ترجمته مجيبا عن هذا الحديث فى قصة سلام اليهود
عليه ببعض ما تقدم من الاجوبة ثم قال ابن نصر ولم يذكر فى الحديث المذكور هل كان
هذا اليهودى الذى صدر عنه ما ذكر من اهل العهد اى ممن وقع بينه وبين النبى صلى الله
عليه وسلم امان وهو الهدنة كما تقدم والذمة هى امان كما تقدم او الحرب اى المحاربين
واعدا الدين الذين لا عهد لهم ولا ذمة لهم فينتقض عهده او يهدر دمه ولا يترك موجب
الادلة الدالة على تعين قتل من سب مطلقا للامر الذى علم من قصة هولا اليهود المحتمل الذى
لم يعلم منه انهم معاهدون او محاربون والامر الذى فيه احتمال لا يتم به الاستدلال
وتعارض الادلة اليقينية والاولى فى الجواب عن تركه صلى الله عليه وسلم قتل
من سبه واذاه مع انه لا ثم فى ذلك كله اى توجيه ما ورد مما يخالفه كله والاظهر
من هذه الوجوه التى وجه بها ما ذكر مما اشكل على الايمة مقصد الاستيلاف اى لاجل
انه قصد الاستيلاف لهم اى قصد تانيسهم وتاليف قلوبهم والمداراة على الدين لعلهم

اى انه باستمالتهم بالعفو عنهم يرجوا انهم يومنون به صلى الله عليه وسلم ويدخلون فى دينه
ولذلك اى لبيان ذلك وانه انما فعله للمداراة لا لانه عجز جاء ترجم البخارى اى جعل
الامام البخارى فى صحيحه عنوان الباب الذى ذكر فيه هذا منبها على حديث القسمة
اى الحديث الذى ذكر فيه قسمة الغنايم وقد قال له صلى الله عليه وسلم بعض المنافقين
اعدل ما هذه قسمة اريد بها وجه الله كما تقدم والحديث الذى ذكر فيه ذكر الخوارج كذى
الخويصرة واصحابه فجعل ترجمته باب من ترك قتل الخوارج للتالف اى لاجل ان يولفهم
ليثبتوا على الاسلام ولئلا ينفر الناس عنه اذا راوه يقتل من اذاه وترك قتلهم ايضا
لما بكسر اللام وتخفيف الميم ذكرنا معناه عن الامام مالك من انه تركه لئلا يرجف
الناس ويتناعوا ولئلا يجد الطاعن فى الدين طريقا لطعنه فيه وقررناه قبل اى قبل هذا
كما سمعته انفا وقبل مبنى على الضم والخوارج جمع خارج على خلاف القياس وخارجة
بمعنى طايفة خارجة سموا بذلك لانهم خرجوا من احكام الدين ولانهم خرجوا على على
كرم الله وجهه وقصتهم معه بعد وقعة الجمل مشهورة وليس المراد بهم الذين
خرجوا على عثمان رضى الله تعالى عنه حتى قتل كما ذكره الرافعى فى شرح الوجيز ولم يكن
خروجهم فى حياته صلى الله عليه وسلم لكن المذكور فى حديث القسمة ذو الثدية كان
رييسهم واشار صلى الله عليه وسلم لقصته فى هذا فهو من معجزاته فى اخباره بالمغيبات
وقصة الخوارج مفصلة فى التواريخ ولهم عقايد باطلة وكان المعترض على قسمة رسول الله
صلى الله عليه وسلم هو ذو الثدية ولما قال ما قاله قال لعمر رضى الله تعالى عنه دعنى
اضرب عنقه فقال دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع
صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وفيه نزل قوله ومنهم من يلمزك فى الصدقات
الاية وقد صبر صلى الله عليه وسلم على اعظم من السب والاذى فصبرهم على سحره الذى
فعله اليهود كما مر وسمه اى سم المراة اليهودية له صلى الله عليه وسلم فى ذراع شاة
اكل منها وقصة السحر والسم تقدمت وهى لشهرتها غنية عن البيان وهو اى ما صبر عليه
مما ذكر اعظم فى الاذية له من سبه اى سب اليهود له تعريضا كما مر حتى نصره الله عليهم
واذن الله له صلى الله عليه وسلم بعد ما امر بالعفو والصفح عنهم فى قتل من عينه منهم
اى ممن سبه واذاه من المنافقين واليهود وعينه بفتح العين المهملة وتشديد اليا المثناة
التحتية ونون وها الضمير اى بين عينه وشخصه مثل كعب بن الاشرف وفى نسخة حينه
بحا مهملة مكان العين اى قتله واهلكه من الحين بفتح الحا وهو الهلاك وفى اخرى خيبه
بخا معجمة وبا موحدة مكان النون اى اظهر انه خايب خاسر بافتضاحه ونكاله فى الدارين
وانزلهم من صياصيهم اى اخرجهم من حصونهم وقلاعهم ومساكنهم العالية بها وكل ما يتحصن
من الاعدا يسمى صيصية بصادين مهملتين مكسورتين وتحتيتين اولاهما ساكنة
والثانية مفتوحة خفيفة ويقال لقرن البقر وشوكة الديك كما قاله الراغب والذين

انزلهم من حصونهم بنو قريظة كانوا عاهدوه صلى الله عليه وسلم ان لا يقاتلوه ولا يعينوا
عليه عدوا فلما تجمعت الاحزاب نقضوا العهد وكان ابن اخطب من بنى النضير اتى كعب
بن اسد القرظى رييس قريظة الذين عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
اتاه ابن اخطب قفل باب حصنه فناداه افتح فقال اذهب فانك مشوم وقد عاهدت
محمدا عهدا لا انقضه وانه يفى بعهده فلم يزل يحتال عليه حتى دخله حصنه ولم يزل
يفتل فى الذروة والغارب حتى نقض عهده فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه
بعث السعدين مع جماعة لينظروا اهل نقضوا عهدهم ام لا فلما اتوهم وقالوا لهم نبذتم
عهد رسول الله قالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وشاتموهم فاتوه عليه
الصلاة والسلام فاخبروه بخبرهم وانهم ظاهروا ابا سفيان فاتاه جبريل عليهما
الصلاة والسلام وقال له انهض لبنى قريظة فانى تركتهم فى زلزال وبلبال فاتاهم
ونازلهم وناداهم يا اخوة القردة والخنازير كما ياتى فقالوا يا ابا القاسم ما كنت فحاشا
ثم نزلوا على حكم سعد بن معاذ رضى الله عنه لحلف كان بينه وبينهم فظنوه يتلطف
بهم فحكم فيهم بقتل المقاتلة منهم وسبى الذرية وان يعطى عقارهم المهاجرين دون
الانصار لانهم لا عقار لهم اذ ذاك فقال صلى الله عليه وسلم قضى فيهم بحكم الله
فاتى بهم سوق المدينة وضرب اعناقهم وهم قريب من تسعماية وقذف فى قلوبهم
الرعب اى القى الله فى قلوبهم الخوف من رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه مما
نصره الله به فقال نصرت بالرعب وكتب اى قدر الله على من شا منهم الجلا بفتح
الجيم ممدودا اى خروجهم من بلادهم واصله بمعنى الكشف الظاهر يقال اجليت
القوم من منازلهم فجلوا اى ابرزتهم ونفيتهم فقوله واخرجهم من ديارهم عطف
تفسير والذين اجلاهم بنو النضير لما نقضوا العهد بهمهم ان يلقوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم حجرا فاخبره جبريل بذلك فقام من عندهم كما مر ثم رجع لهم
وحاصرهم اياما ثم القى الله تعالى فى قلوبهم الرعب فسالوه صلى الله عليه وسلم
ان يجليهم ويبيح لهم تعدادا يحملونه معهم فاجابهم وفيهم نزلت سورة الحشر فكان
احدهم يخرب بيته بيده كما قال وخربوا بيوتهم التى سكنوها بايديهم وايدى المومنين
بهدمها وقطع اشجارها وهدم حصونهم حتى لم يبق منهم باطراف المدينة دار
ولا ديار وهذا كله من الايات النازلة فى حق يهود خيبر ومن قرب منهم وكاشفهم
اى واجههم بالسب اى بسبب صريح تذليلا لهم وكذا باللعن الوارد فى القران والحديث
تذليلا لهم ايضا فقال لهم يا اخوة القردة والخنازير اى المشابهين لها فى الخسة وقبح
المنظر وان منهم من مسخ قردا وخنزيرا كما قال تعالى وجعل منهم القردة والخنازير
وحكم فيهم بالتشديد مجازا بمعنى سلط عليهم سيوف المسلمين اى سلط المسلمين
بسيوفهم على من قتل من بنى قريظة واجلاهم اى اخرجهم والجلا اخراج جماعة مع

اهلهم من جوارهم لان ارضهم كانت مجاورة للمدينة الشريفة واورثهم اى المسلمين ارضهم
من مزارعهم وحدايقهم اى ملكها لهم كما ورد ديارهم اى مساكنهم واوطانهم واموالهم
اى امتعتهم ودوابهم وكل منقول معهم لتكون كلمة الله اى دينه وامره فيما تضمن فيه
هى العليا اى نافذة وكلمة الذين كفروا السفلى اى ملغاة مهملة فكانها مرمية على الارض
فان قلت كيف يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم من اذاه فقد جاء فى الحديث الصحيح
الذى رواه البخارى وغيره عن عايشة ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها انها قالت فيه
انه عليه الصلاة والسلام ما انتقم من احد لنفسه اى لاجل حق له صلى الله عليه وسلم
فى نفسه فى شئ يؤتى اليه مبنى للمجهول اى ياتى اليه احد ويفعله ويواجهه به فلم يعاقب احدا
على مكروه فعله قط الا ان يكون ما فعلوه واتوه امرا ينتهك فيه حرمة الله هى ما يحترم
ويراعى من حدوده واحكامه اى تهان ويفعل بها ما لا يجوز وفى المصباح نهك الشئ نهكا
بالغ فيه ونهكه السلطان عقوبة اى بالغ فيها وانهكه لغة فيه وانتهك الحرمة
تناولها بما لا يحل انتهى فان وقع من احد تعدى حدود الله فينتقم منه رسول الله صلى الله
عليه وسلم لله اى لاجل الله لا لنفسه فهذا الحديث يقتضى انه صلى الله عليه وسلم
لا ينتقم ممن اذاه او سبه وهو مناف لما تقدم فاعلم ايها السايل ان هنا المذكور فى الحديث
من انه لا ينتقم لنفسه لا يقتضى اى لا يدل دلالة لازمة انه لا ينتقم ممن سبه او اذاه او كذبه
اى نسبه للكذب وقد قدمنا بيانه مفصلا وما المراد بالكذب فيه فان هذه
الامور المذكورة من سبه صلى الله عليه وسلم واذيته وتكذيبه من حرمات الله
لان اذيته رسول الله صلى الله عليه وسلم اذية لله بمعنى انه لا يحبها كما ان طاعته طاعة الله
ومحبته محبة لله بالنص فهو حق مشترك بين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وانتقام
رسول الله تارة رعاية لحق الله وعفوه تارة رعاية لحق نفسه وهكذا الحقوق الشرعية
منها ما هو حق العبد ومنها ما هو حق الله ومنها ما هو مشترك وهو على قسمين ما الارجح
فيه حق العبد وما الارجح فيه حق الله وربما يتساويان ولكل احكام ليس هذا محل تفصيلها
فالمراد بقوله انه من حرمات الله انه مما راعى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حق الله
دون حق نفسه فلا يرد عليه انه مشترك كما قيل ولا يرد عليه النصوص الناهية عن اذيته
صلى الله عليه وسلم كما اشار اليه بقوله التى انتقم لها ممن صدرت منه لانه راى رعاية
حق الله تعالى فيها ارجح عنده كما فى قصة كعب بن الاشرف ونحوه وانما يكون ما اى الامر الذى
لا ينتقم له فيما يتعلق بسوء ادب او سوء معاملة معه لانه حقه فله العفو عنه وبينه بقوله
من القول اى الذى يخاطب به او الفعل الذى يفعلونه مما يتعلق به ويكون فى النفس اى فى
نفسه وذاته الشريفة والمال الذى يعطيه لهم من الغنايم كما تقدم فى القسمة مما لم يقصد
فاعله وقايله به صلى الله عليه وسلم اوبالفعل اذاه وادخل القول فى الفعل اختصارا
لانه فعل اللسان لكن صدوره عنه لجهل منه وغلظة طبع مما جبلت وطبعت عليه

الاعراب سكان البوادى الذين لا ادب لهم من الجفا اى غلظة الطباع والجهل بحقوق الله
وحقوق رسوله صلى الله عليه وسلم وعدم معرفتهم باداب الصحبة او جبل
عليه البشر كلهم من الغفلة عما يجب عليهم فان الناس قلما تخلوا عنها وفى نسخة من السفه
كجبذ الاعرابى بردايه صلى الله عليه وسلم وفى نسخة بازاره والمعنى واحد وجبذ
وجذب بمعنى وقيل جبذ مقلوب من جذب وقيل الصواب رواية ردايه وهو ما يكون
على العاتق والظهر والازار ما يكون تحته فى وسطه الاسفل وجبذه يفضى لكشف
العورة وصحة هذه الرواية يقتضى انه مجاز مرسل بمعنى الردا ومطلق اللباس فالتخطية
فيه خطا من قايله وقوله حتى اثر جذبه فى عنقه وتنبه ظاهرة عليه وقد ورد ايضا
بهذا المعنى فى كتب اللغة وكان بردا نجرانيا غليظا وروى انه انشق من شدة جذبه
وكرفع صوت الاعرابى الاخر عنده حين ناداه او حين كان يكلمه وهو ثابت بن قيس بن
شماس كان جهير الصوت كما تقدم فلما نزل قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى
لزم منزله فافتقده صلى الله عليه وسلم فقال سعد بن معاذ انا اعلم علته وهو خوفه
من الله لذلك وقيل انما هى فى وفد بنى تميم لما نادوه من وراء حجرته صلى الله عليه وسلم
وقيل هو الاقرع بن حابس وقيل غير ذلك وكجحد الاعرابى اى انكاره شراه صلى الله عليه
وسلم منه اى من الاعرابى فرسه التى شهد فيها له انه اشتراها خزيمة والاعرابى هو سواد بن
قيس المحاربى كما قاله الذهبى وقال الخطيب انه سواد بن الحارث وفى السير ان تلك الفرس
فرس فرسه صلى الله عليه وسلم البيضا واسمها المرتجز او الطرف او النجيب فامضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادة خزيمة وحده وجعلها بشهادتين كما مر وليس هذا
قضا بعلمه لعصمته صلى الله عليه وسلم لان قوله فى الحديث من شهد له خزيمة فهو حسبه
بعده وهو من خصايصه وخزيمة هو ابن ثابت الانصارى بن عمارة وهذا الحديث
رواه البخارى وغيره وفيه انه تبعه ليقضيه حقه وجعل الناس يساومونه فقال له صلى الله
عليه وسلم اوليس قد ابتعته منك تعالى ان لكن متاعا فاشترى والا بعته فقال هلم
بشاهد فقال خزيمة انا اشهد فقال بم تشهد قال بتصديقك يا رسول الله فجعل شهادته
بشهادة رجلين وتمسك به بعض المبتدعة فى قبول شهادة من عرف صدقه مطلقا كما بينه
الخطابى ورده وهولاهم الخطابية فرقة من الرافضة وككان من تظاهر زوجيه عليه
صلى الله عليه وسلم وهما عايشة وحفصة او غيرهما كما تقدم والتظاهر الاتفاق
على معاونة كل منهما الاخرى بتصديقها فيما تقوله وهو من الظهر الاستناد كل منهما للاخرى
وكان مكثه صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش فسقته عسلا فاتفقتا على
انه اذا جا قالت له اجد منك ريح مغافير وهو بقل او صمغ كريه الرايحة وكان صلى الله
عليه وسلم لا يحب الرايحة الكريهة للقاية الملك فلما سمعه صلى الله عليه وسلم
قال لا اعود كما فى التفسير والسير واشباه هذا المذكور مما يحسن الصفح عنه اى العفو

واصله ان يميل صفحة وجهه لجانب اخر فكني به عما ذكر لانه امر معفو عنه ولم ينشاعن تهاون وقصد تنقيص له وانما كان لامر اخر وقد قال بعض علمائنا اي علما المالكية او اهل العلم مطلقا ان اذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام لا يجوز بفعل مباح ولا غيره اما غيره فيجوز بفعل مباح ما لا يجوز للانسان فعله وان تاذى به غيره واحتج بعموم قوله تعالى كما تقدم الكلام عليه ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة استدل بالطلاق ما يؤذي ولعنة فاعله في الدارين على انه كبيرة ومثل للمباح بقوله بعض زوجاته له صلى الله عليه وسلم كامر وقد كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عايشة مرهم بالاهدا في بيت غيرها فقال صلى الله عليه وسلم لا تؤذوني في عايشة فان الوحي ما نزل علي في لحاف امراة غيرها فلما علمن تاذيه تركن ذلك فهو مقيد بمن لم يعلم تاذيه بالمباح فان علم فهو حرام لغيره وهو ظاهر ثم ذكر المص هنا في بعض النسخ حديث البخاري لما اراد علي رضي الله تعالى عنه ان يتزوج بنت ابي جهل على فاطمة الزهرا رضي الله تعالى عنها فصعد صلى الله عليه وسلم المنبر وذكر ما ياتي بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث فاطمة انها بضعة مني بكسر البا اي قطعة لحم مني اي كقطعة من بدني يؤذيني ما يؤذيها هذا مرشح للاستعارة لان البدن كله يتالم بما يولم بعضه وفي نسخة ما اذاها الا واني لا احرم ما احل الله ولكن لا تجتمع ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنة عدو الله وهي بنت ابي جهل واسمها جويريه وقيل غير ذلك عند رجل ابدا فلا ينبغي نكاحها على بنت حبيب الله والحديث يدل على ان اذيته بغير اذا اذنه تحرم ايضا كاذية فاطمة وكذا اذية احد من اولادها والكلام عليه مفصل في شروح البخاري وفضايل اهل البيت رضي الله تعالى عنهم او يكون هذا المذكور وان قصد به الاذى مما اذاه به كافر رجا صلى الله عليه وسلم بصيغة الماضي او مصدر منصوب وفي نسخة وجا وسياتي ما فيها بعد ذلك الذي صدر منه من الاذية اسلامه فيعفو عنه استمالة له حتى يدخل في دين الاسلام فاذا علم ذلك جاز له صلى الله عليه وسلم العفو عنه كعفوه عن اليهودي الذي سحره في قصته التي تقدم تفصيلها وانه لبيد بن الاعصم مكان يرجو اسلامه وعن الاعرابي الذي اراد قتله صلى الله عليه وسلم وهو نازل تحت شجرة في بعض اسفاره كما تقدم وتقدم انه اسلم وكعفوه عن اليهودية التي سمته الا انه اختلف في قتلها وقد قيل انه قتلها بشر بن البرا الذي مات من سمها ومثل هذا المذكور مما يلغه وفي نسخة يبلغه من اذية اهل الكتاب من اليهود والمنافقين الذين جاوروه بالمدينة كابن سلول فصفح عنهم وعفى عنهم منه رجا استيلافهم واستمالتهم للاسلام واستيلاف غيرهم اي بسبب ما يبلغه من كرمه صلى الله عليه وسلم وعفوه كما قررناه قبل اي قبل هذا فيما سبق في هذا الكلام وبالله التوفيق هذا اما دعا لنفسه في ختم كلامه كما هو عادة المصنفين وهو تتمة لما قبله اي وما توفيق هولا للايمان واستيلافهم الا بقدرة الله ولطفه او هما مرادان معا والله اعلم

وقع في

447

وقع في بعض النسخ بدل قوله رجا اسلامه وجا بواو عاطفة بعدها جا فعل ماض من المجي فقال البرهان وتبعه بعض الشراح ان ظاهر عبارته تقتضي ان هولا الثلاثة اسلموا اما الذي سحره صلى الله عليه وسلم وهو لبيد ابن الاعصم فلا استحضر خلافا في انه لم يسلم ولم يعلم من قال له الا ما هنا واما الاعرابي الذي اراد قتله صلى الله عليه وسلم فهو غورث بن الحارث ولم يذكره احد في الصحابه وقد قيل انه دعثور وتقدم ما فيه واما اليهوديه التي سمته صلى الله عليه وسلم فهي زينب بنت الحارث ولم يذكرها احد في الصحابة وذكر شيخي الحافظ ابو جعفر الانصاري ان معمر ابن راشد قال في جامعه عن الزهري انه قال انها اسلمت فتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال معمر كذا قال الزهري والناس يقولون انه قتلها ولم تسلم لكن رايت في بعض النسخ رجا بعد ذلك اسلامه بالواو وهو الصواب والتي تقدمت تصحيف انتهى

فصل

قال القاضي ابو الفضل عياض المص رحمه الله تعالى تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه اي في حكمه واذيته فلا يحتاج لاعادته والازدرا به بتنقيصه وغمصه بغين معجمة مفتوحة وسكون الميم وصاد مهملة يليه ضميره صلى الله عليه وسلم والازدرا افتعال من ازرى به اذا احتقره وعابه فابدلت تاوه دالا لمجاورتها الزاي المعجمة كما بين في علم التصريف وقيل الازدرا العيب القليل واكثر اهل اللغة فسروه بالعيب مطلقا باي وجه كان وباي طريق وقع في حقه من ممكن وجوده او محال ممتنع عادة او عقلا وشرعا والاول كبعض العوارض البشرية والثاني كنسبة الكذب ونحوه مما يمتنع شرعا بدلالة المعجزة على صدقه صلى الله عليه وسلم فهذا المذكور وجه بين مما قدمه ولا اشكال فيه ولا في حكمه من قتل متعاطيه الوجه الثاني في امور تتعلق بما هو فيه لاحق به اي بما في الوجه الاول لكونه قريبا منه لمشابهته له في البيان اي الظهور والجلا بكسر الجيم وفتحها اي الوضوح وهو ان يكون القايل لما قال ما فيه نقص ما في جهته عليه الصلاة والسلام اراد في حقه وعبر بالجهة اشارة لنزاهته عن الانفصال به فلله دره غير قاصد بما قاله للسب والازدرا الانتقاص والاستخفاف ولا معتقد له ولصحته ولكنه تكلم في جهته صلى الله عليه وسلم بكلمة الكفر التي يكفر بها من لعنه او سبه او تكذيبه في شي مما جا به او اضافة ما لا يجوز عليه من نحو ما ذكر او نفي ما يجب له على امته من حقوقه وذلك كله مما هو في حقه صلى الله عليه وسلم نقيصته مثل ان ينسب اليه اتيان كبيرة وقد عصمه الله عنها وعن ساير النقايص او مداهنة اي مداراة الكفرة في تبليغ الرسالة او مداهنة للناس وهو في حكم بين الناس او يغض بغين وضاد مشددة معجمتين اي ينقص نقصا قليلا من مرتبته اي شريف مقامه صلى الله عليه وسلم او يغض ويطعن في شي من شرف نسبه وهو كما قيل نسب كان عليه من شمس الضحى نورا ومن فلق الصباح عمودا او يغض من وفور علمه اي كثرته وزيادته او من زهده

في الدنيا وامورها او يكذب بما اشتهر من امور اخبر بها صلى الله عليه وسلم وتواتر الخبر بها
عنه بحيث يحصل اليقين بها فتكلم بخلافها عن قصد لرد خبره صلى الله عليه وسلم
المتواتر قال ابن حجر وقوله وتواتر الخبر بها عنه اي لفظا وهو موجود خلافا لمن زعم نفيه
او معنى ولا نظر في ذلك خلافا لمن زعمه او ياتي بسفه اي خفة عقل وسوء ادب من القول
او قبيح من الكلام ونوع من السب في جهته اي في حقه صلى الله عليه وسلم وان
ظهر لمن سمعه بدليل ظاهر حاله انه لم يعتمده اي لم يقصد ذمه بما قال له ولم يقصد سبه
ولما كان مخالفة الظاهر غير ظاهرة قال اما لجهالة اي لشدة جهل قايله حملته
جهالته لما صدر منه ما لا يعرفه لقرب عهده باسلام ونحوه ام لضجر اي قلق وضيق
صدر حمله على مقالته او سكر اضطره اليه وغيبته عقل فلا يعرف هذيانه او قلة
مراقبة لله لكونه من اهل الخلاعة والفجور المعتاد لهذا اللسان وعدم ضبط للسان
اذا تكلم فجرى على عادته به وسبقه لسانه لما قال له وعجرفة اي مجازفة وتكلم من غير
تامل كما نشا هذه من كثير من الجهلة وتهور في كلامه التهور الخروج عن الاعتدال بحدة
لغضب ونحوه وكل شي له مراتب ثلاثة المحمود اوسطها المشهور الاعتدال وما نقص
منه تفريط وما زاد تهور واصله هدم البناحتى بنهار ويقع فحكم هذا الوجه الذي
يلزم شرعا حكم الوجه الاول وحكمه كما تقدم القتل دون اي من غير تلعثم بمثناة في
اوله ولام مفتوحتين وعين مهملة ساكنة ومثلثة مضمومة وميم اي توقف وتردد
في وجوب قتله شرعا يقال تلعثم في الامر اذا امكث وتراخى وقد يقال تلعذم بذال معجمة
بدلا او صلا اي يتبادر له بلا تامل فيه اذ لا يعذر احد في الكفر بالجهالة فانه يجب
عليه علم امور دينه وتعلمها ولا يعذر ايضا بدعوى زلل اللسان وخطئه في مقاله
ولا يعذر بشي مما ذكره من الضجر والتهور والسكر ونحو مما سمعته انفا اذا كان عقله
في فطرته اي ابتدا خلقه وجبلته التي ولد عليها سليما من الافات وعنده من العلم
ما يمنعه من الوقوع في الكفر فلذا لم يعذر الا من اكره على الكفر فنطق به وقلبه مطمين
بالايمان اي قار عليه مذعن منقاد مصدق تقينا من غير ريبة فيه وتردد والاكراه
حمل الغير على ما لا يريد وهو ملجئ وغير ملجئ والكلام عليه مفصل في كتب الفقه
والاصول فاذا تكلم بكلمة كفر مكرها لم يكفر وهذه رخصة من الله من بها على عباده
المومنين وقوله اذ لا يعذر بالجهالة مقيد بمن نشا مسلما في دار الاسلام فلو كان
قريب عهد به او نشا ببادية لم يخالط غيره عذر لانه يخفى عليه علم ذلك ولذا
قال ابن حجر بعد سياق كلام المص وما ذكره ظاهر موافق لقواعد مذهبنا اذ المدار
في الحكم بالكفر على الظاهر ولا نظر للمقصود والنيات ولا نظر لقراين حاله نعم يعذر
مدعي الجهل اذا عذر لقرب عهده بالاسلام او بعده عن العلما كما يعلم من كلام الروضة
انتهى واقحم لفظ دعوى في قوله دعوى زلل اللسان لان مراده انه اذا تكلم بذلك وشهد

ظاهرحاله

ظاهر حاله على قصده ثم قال فما قلته من كلا لا يقبل منه قوله فلا يرد عليه انه رفع عن
هذه الامة الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه كما في الاية والحديث الصحيح وكذا
قيد انكار ما تواتر بان يكون مما يعلم ضرورة من الدين كانكار وجوب الصلاة
بخلاف ما لو جحد احدى زوجاته صلى الله عليه وسلم ونحوه وبهذا افتى من العلما
المالكية الاندلسيون نسبة الى الاندلس بفتح الهمزة والدال وضمها اقليم معروف
تقدم بيانه على ابن حاتم مفعول افتى وتقدم بيان حاله في نفيه الزهد عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وافتوا بقتل قايله الذي قدماه في هذا الباب وقال محمد بن
سحنون تقدم بيانه وبيان ابيه ايضا في المأسور الذي سب الكفار بدار الحرب بسبب
النبي صلى الله عليه وسلم في حال اسره في ايدي العدو الكفار اي وفي دارهم وتصرفهم
يقتل هذا مقول ابن سحنون ولا يعذر بكونه اسيرا الا ان يعلم تنصره بنون وصاد
مهملة اي انه ارتد ودخل في دين النصارى واكراهه اي يعلم انهم اكرهوه على السب فقوله
يقتل اي من غير ان يستتاب فان ارتد ثم سب لا يقتل البتة بل يستتاب فان تاب ترك
والا قتل وكذا لو علم اكراهه لم يقتل ايضا فان لم يعلم ذلك وقال كنت مكرها ففيه
خلاف تنبيه قال البرهان رحمه الله في قوله الا ان يعلم تنصره الخ هذا كلام ينبغي ان ينبه
عنه المالكية وينص عليه ليسال وهو مما لا خفا فيه وسببه انه وقع عنده بتصحيف
بالبا الموحدة فظن ان معناه يعرف بالبصارة فلا يحوم حول الحمى المنيع بامر شنيع وانما
هو بالنون فانه عند المالكية ان الاسير اذا ارتد وسب وقذف ثم رجع للاسلام
فهو في حكم المرتد كما بيناه ولو قيل تمام اراده ان تفصيل هذه المسيلة لم يحضره وحسن
الظن به كان اليق لا ان يقال ان له رواية فيه وهو بعيد وعن ابي محمد بن ابي زيد صاحب
الرسالة الامام المالكي المشهور لا يعذر احد بدعوى زلل اللسان بكفر نطق به كما تقدم
بيانه انفا في مثل هذا اي قذف النبي صلى الله عليه وسلم وقد يعذر في غيره وقال
ابن حجر بعد ما مر عنه ويعذر ايضا فيما يظهر بدعوى سبق اللسان بالنسبة لدرء القتل
عنه وان لم يعذر فيه بالنسبة لوقوع طلاقه وعتقه والفرق ان ذلك حق الله
تعالى وهو مبني على المسامحة بخلاف هذين وافتى ابو الحسن القابسي تقدم بيانه فيمن شتم
النبي صلى الله عليه وسلم في سكره وغيبة عقله بانه يقتل لانه يظن به انه يعتقد
هذا ويفعله في حال صحوه الصحو عبارة عن حضور العقل وعدم غيبته بسكر وغيره وصحو
السما خلوها من الغيم المانع لظهور الشمس والكواكب وهذا مثله لستر السكر بالابخرة
المتصاعدة للراس باثارة الحرارة لها عقله والمرء اذا سكر غاب فلا يستر ما يضمره ويخفيه
عن غيره من خير او شر كما قيل الراح كالريح ان مرت على عطر طابت وتخبث ان مرت على الجيف
ولهذا اشار المص بقوله وايضا فانه حد لا يسقطه السكر لانه متعد بسببه فلا
يعذر به كالقتل والقذف وساير الحدود لا تسقط بالسكر كما هو مقرر في الفروع

لانه ادخله على نفسه اى هو الذى شرب باختياره فسكر سكرا اوجبه فلا يعذر لكن لمن
عليه او جن فهذى لانه لم يصبه ذلك باختياره فيواخذ به لان من شرب الخمر على علم
اى متيقن ذلك حتى كانه مستعل عليه ففيه استعارة تبعية كقوله تعالى على هدى
من زوال عقله بسبب سكره بها اى بالخمر فانها مونثة سماعا واتيانه بما ينكر منه
من الافعال القبيحة فهو كالعامد القاصد لفعله بعد سكره لتعهده الشرب الذى
يعلم انه سببه وتعمد السبب كتعمد مسببه لما يكون بسببه من كل جناية وامر منكر
فلذا يواخذ به شرعا وعلى هذا اى ولاجل هذا المذكور او على هذا القول الزمناه
الطلاق فيقع طلاق السكران والعتاق اى عتقه فى سكره والقصاص اذا قتل فى سكره
والزمناه ساير الحدود كحد القذف والزنا والسرقة فيتل عليه ان ظاهره ان غير الحدود
ساقط عنه وليس كذلك فانه مواخذ بجميع اقواله وافعاله وليس كما قال فان بعض تصرفاته
غير صحيحة ولا يلزم من مواخذته ان يكون مكلفا وان نقل عن الشافعى فيه خلاف فان
الصحيح كما قرره ابن الحاجب فى اصوله انه غير مكلف ولا يرد على قوله تعالى لا تقربوا الصلاة
وانتم سكارى انه مكلف بالصلاة ومنهى عنها فان نهيه انما هو عن سكره وهو امر
بازالة ما يمنعه منها كما يومر من عليه نجاسة او حدث بها لاستلزامه ازالة
ما نعها فهو كقوله تعالى ولا تموتن الا وانتم مسلمون وهذا ليس خطاب تكليف
وانما هو خطاب وضع كما قاله ابن الحاجب فلا اشكال فيه اصلا ولا حاجة
لما قيل عليه ولا يعترض على هذا المذكور من ان السكران يواخذ بما صدر عنه
حال سكره لتعديه بتعاطى سببه بما رواه البخارى ومسلم وغيرهما من حديث
حمزة بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم وسيد الشهدا او قوله اى
اى حمزة رضى الله تعالى عنه وهو سكران للنبى صلى الله عليه وسلم وقد جلس
يشرب وعند داره ناقتا لعلى يريد ان يحمل عليهما اذخرا الحاجة له وعنده قينة
تغنيه الا يا حمز بالشرف النوا فخرج ونحرهما وجب سنامهما ليأكلوا على شربهم
فاخبر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فجاءه فلما راه حمزة رضى الله تعالى
عنه صعد نظره اليه وقال له هل انتم معاشر قريش الا عبيد لابى فكل ما لكم
يحل لى وهذا فيه ما يشكو فى حق النبى صلى الله عليه وسلم قال فعرف النبى صلى الله
عليه وسلم انه اى حمزة ثمل بفتح الثا المثلثة وميم مكسورة قبل لام اى سكران
زايل العقل ولذا فعل ما فعل وقال ما قال فانصرف صلى الله عليه وسلم عنه
ولم يواخذه بما قاله فى سكره ولا بما فى ما قدمه لان الخمر كانت حينئذ اى حين [illegible]
حمزة غير محرمة على المسلمين حين نزلت الاية فيها فلم يكن فى جناياتها اى فيما يجنيه
شاربها اثم لعدم تعديه بتعاطى سبب محرم وكان حكم ما يحدث عنها اى عن شربها
والسكر منها معفوا عنه لحل سببه كما يحدث من بعض الجنايات الحادثة من النوم

اى بسبب النوم وشرب الدوا المزيل للعقل وما يحدث عنه من الجنايات المامون
اى الذى يامن شاربه من ضرره وازالة عقله اذا زال عقله من غير علم بانه يزيله فانه
اذا ازاله فوقع منه امر من الامور لم يترتب عليه لم يكلف بالنهى عنه بخطاب الوضع
فلا فرق بينه وبين النايم فى انه غير مكلف بضمان وجناية اصلا وقيده بالمامون لان
ما لا يعلم ضرره لا يجوز تناوله فان غاب به عقله فحكمه حكم السكران وقد قيل عليه
ان كلامه يقتضى ان علة عدم المواخذة كونه غير محرم دون غيبوبة العقل الذى هو مناط
التكليف وكونه من خطاب الوضع لا بد له من دليل وهو كلام لا طايل تحته كما يعرفه
من له ادنى تامل وما قيل من ان الخمر وان لم تحرم حينئذ فالمسكر حرام فقد قيل انه لم يصح
نقله وان اشتهر فيه تامل وكون حمزة رضى الله تعالى عنه ضمن لعلى ثمن ناقتيه او لم يضمن
لا يهمنا هنا والقصة مفصلة فى الشروح فصل الوجه الثالث فيما وقع من سبه
صلى الله عليه وسلم اواذيته او تنقيصه ان يقصد احد من الناس الى تكذيبه
صلى الله عليه وسلم ان يتعمد نسبته الى الكذب فيما قاله وقصد تعدى بنفسه
وباللام والى كما فى القاموس ويقصد تكذيبه فيما اتى به اى اوحى اليه وامر بتبليغه
للناس او ينفى نبوته اى يقول انه صلى الله عليه وسلم ليس بنبى او ينفى رسالته
بان يقول ليس برسول من الله او وجوده فى زمن من الازمنة او يكفر به سوا انتقل بقوله
ذلك الذى كفر به الى دين اخر بان تهود او تنصر غير ملته ام لا اى لم ينتقل لملة اخرى
فهذا كافر باجماع من المسلمين واصحاب المذاهب يجب قتله من غير خلاف وانما الكلام
فى توبته فلذا قال ثم ينظر فى حاله او مقاله فان كان مصرحا بذلك الامر الذى كفر به
كان حكمه الجارى عليه شرعا اشبه بحكم المرتد وانما جعله اشبه بالمرتد لانه لم يتعين
امره وقوى الخلاف فى استتابته اى فى انه هل يستتاب وتقبل توبته ام لا كما تقدم وعلى
القول الاخر القايل بانه يستتاب لا يسقط القتل عنه بتوبته لانه حد لا يسقط
بالتوبة كالقذف والسرقة لكنه يثبت له حكم المسلمين فى ميراثه ودفنه فى مقابر
المسلمين لحق النبى صلى الله عليه وسلم لان حق العبد لا يسقط بالتوبة وانما يسقط
حق الله تعالى ان كان ذكره بنقيصة اى بنسبته لامر فيه نقص له صلى الله عليه
وسلم وهو اكمل الخلق واعظمهم فيما قاله هذا المذكور من كذب او غيره مما نسب له
وان كان مستترا بذلك اى بما قاله من تنقيصه اى مخفيا لما قاله فهو افتعال
من الستر وفى نسخة مستسرا افتعال من السر ضد الاسرار المقابل للاعلان كما هو مقابل
هنا للتصريح فى كلامه ومن فسره بالسرور اى ذا سرور فقد حرف واخطا فحكمه
حكم الزنديق الذى يظهر الاسلام ويبطن الكفر بخلاف المرتد لا يسقط قتله التوبة
عندنا اى فى مذهب مالك رحمه الله تعالى كما سنبينه ونوضحه تفصيلا لاحكامه
وهذا مذهب مالك وفيه خلاف لغيره مفصل فى كتب الفقه وقال ابو حنيفة واصحابه

كالامام محمد وابي يوسف وغيرهما من برى برئ بزنة علم مهموز من التبري اي من تبرا من محمد صلى الله
عليه وسلم بان قال انا بري منه اي تارك له ولدينه غير معترف به ولا متبع ولا ممتثل
لامره ونهيه او كذبه اي قال انه كاذب فيما ادعاه وفي نسخ او كذب به فهو مرتد عن دينه
يقال له هذه حلال الدم اي دمه هدر حلال اراقته وهو عبارة عن لزوم قتله شرعا
الا ان يرجع عما قاله فيتوب ويعترف بخلاف ما كان قاله اولا فهو عنده حكمه حكم
المرتد فتقبل توبته لقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وللحديث اذا قالوها
عصموا مني دماهم واموالهم الاتي واحكام المرتد عندنا مفصلة في كتب الفقه غنية
عن البيان وقال ابن القاسم عبد الرحمن المصري الامام المشهور صاحب مالك في المسلم
اي في حق الرجل المسلم اذا قال ان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بنبي او لم يرسل
من الله للناس كافة او لم ينزل عليه قران ووحي من الله وانما هو شي تقوله اي شيء وافتراه
على الله وهو صلى الله عليه وسلم حماه الله ما ينطق عن الهوى وقد اتى بملته البيضا
النقية فمن قال مثل هذا يستحق ان يقتل ويلعن في الدارين قال اي ابن القاسم ومن كفر رسول الله
بانكار نبوته ورسالته صلى الله عليه وسلم وانكر من المسلمين بان انكر وجوده كما
تقدم واما الكفار فحكمهم سياتي وقيد به لقوله فهو في احكامه بمنزلة المرتد يقتل
ان لم يتب وكذلك الحكم فيمن اعلن بتكذيبه اي اظهره جهرا فهو كالمرتد يستتاب اي
تقبل توبته فان لم يتب قتل وكذلك قال ابن القاسم فيمن تنبا وزعم انه نبي يوحى اليه اي
يقتل ان لم يتب ومحل ذلك اذا زعم انه يوحى اليه بنزول الملك عليه والا فالذي ينبغي انه
انه لا يكفر كما قاله ابن حجر وقاله اي ذهب الى مثله من ايمة المالكية سحنون تقدم بيانه
وان المشهور فيه ضم اوله وقد قيل انه يفتح ويكسر فهو مثلث كعلول وفعلون من السحنة
وهي بشرة الوجه ولونه وهيئاته وانه ممنوع من الصرف للعلمية وشبه العجمة كما قاله
ابو العلا المعري في شرح ديوان البحتري وقال ابن القاسم فيمن تنبا انه كالمرتد سوا كان
دعا الى ذلك اي الى متابعته بنبوته سرا كان او جهرا كمسيلمة لعنه الله وقال اصبغ
ابن الفرج هو اي من زعم انه نبي يوحى اليه كالمرتد في احكامه لانه قد كفر بكتاب الله لا
كذبه صلى الله عليه وسلم في قوله انه خاتم النبيين ولا نبي بعده مع الفرية على الله بكسر
الفا اي الكذب عليه بقوله ان الله اوحى الي وارسلني وقال اشهب في حق يهودي تنبا
اي ادعى انه نبي وزعم انه ارسل من الله الى الناس ليبلغهم عن الله او قال وزعم بعد
نبيكم نبي سياتي من الله بشريعة فقال انه يستتاب كالمرتد ان كان معلنا بذلك اي
مظهرا له لا اذا اخفاه فان تاب ورجع عما قاله والا قتل ان لم يتب وذلك اي قتله
لانه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله الذي نقله عنه الثقات لا نبي بعدي
اي لا ينبا احد بعد نبوتي ومفتر متعمد للكذب فيما نسبه على الله في دعواه الرسالة والنبوة
لانه بقوله ان الله اوحى اليه دخل في ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا وهذا الحديث

رواه البخاري

رواه البخاري وقد قال صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله تعالى عنه لما استخلفه على المدينة
في غزوة تبوك وقال اتتركني في النساء والصبيان اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون
من موسى الا انه لا نبي بعدي واما عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام فلم ينبا بعده
وانما يجي تابعا له صلى الله عليه وسلم مويد الدينه حاكما بشرعه في اخر الزمان اربعين
سنة فان قلت ما تقول في قول الغزالي في كتاب الانتصار ان بعضهم اول قوله خاتم النبيين
بان معناه خاتم اولي العزم منهم ويكفي نقل القرطبي له قلت قالوا في الجواب عنه ان كتابه
هذا عقده لبيان اقوال الملحدين فذكر هذا لينبه على فساده وانه مما لا يلتفت له نعم
تركه اولى من ذكره فان تعبيره بالنبيين دون المرسلين مناف له وقال محمد بن سحنون
تقدم بيانه من شك في حرف مما جا به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله اي في شي مما اوحي
اليه وعبر بالحرف مبالغة فهو كافر جاحد لشكه في الوحي المتواتر والجحد الانكار لما يعلمه
عنادا وعتوا ولا يرد على هذا من انكر البسملة في اول السورة فانه لا ينكر قرانيتها والمراد
انكار ما لم يختلف فيه واما ما ينقل عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه من ان المعوذتين
ليستا من القران فهو غير صحيح بالاتفاق وانما غلطوا فيه لعدم كتابتهما في مصحفه اعتمادا
على شهرتهما فان قلت فهل هناك جواب على تقدير الصحة قلت الجواب عنه انه لم يستقر
الاجماع عند انكاره على كونهما قرانا واما الان فقد استقر وصارت قرانيتهما معلومة
من الدين بالضرورة فنكفر نافيهما عاميا كان او مخالطا للمسلمين وسياتي اخر الكتاب
عن محمد بن سحنون هذا فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله انه يضرب عنقه الا ان
يتوب مع الكلام عليه باسط مما هنا وقال ابن سحنون من كذب النبي صلى الله عليه
وسلم اي نسبه للكذب وانكر شيا مما جا به كان حكمه عند الامة القتل وقال احمد بن
ابي سليمان صاحب سحنون الذي تقدمت ترجمته من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان لونه اسود قتل لكذبه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولون السواد يزري
ففيه تحقير واهانة له ايضا اذ لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم اسود وانما كان
ازهر اللون موردا كما تقدم في حديث الحلية الطويل وقال بعض المتاخرين كلامه
يوهم ان مجرد الكذب عليه في صفة من صفاته كفر يوجب القتل وليس كذلك بل لا بد
من ضميمة ما يشعر بنقص في ذلك كما في مسئلتنا هذه لان الاسود لون مفضول
انتهى وقد علمت انه لا فرق لان اثبات صفة له صلى الله عليه وسلم غير صفته
لا تكون الا مشعرة بنقص لان صفاته لا يتصور اكمل منها بل كل ما اثبت له غيرها
كان نقصا بالنسبة لها فالاعتراض حينئذ ليس في محله وقال بنحوه اي مثل هذا ابو عثمان
الحداد كان اولا مالكيا ثم صار شافعيا وهذا لقبه واسمه سعيد قال لو قال احد
انه صلى الله عليه وسلم مات قبل ان يلتحي صغيرا او انه كان مقره ومسكنه بتاهرت
البا جارة بعدها مثناة فوقية مفتوحة والف وها مضمومة او مفتوحة ورا مهملة

ساكنة وتا مثناة فوقية اخرى وهى اسم فلاة او مدينة بنواحى تلمسان منها بكر بن حماد التاهرتي وهى بالمغرب بها قوم من العرب نزولها كما ذكره المسعودى فى اخبار الزمان وقيل انها تهامة المعمور من المغرب وقال انه صلى الله عليه وسلم لم يكن بتهامة بكسر التا اسم لكل ما نزل عن نجد من بلاد الحجاز وقال ابن قرقول انها ماخوذة من التهم بفتح التا والها وهو شدة الحر وركود الريح او بمعنى التغير من تهم الدهن اذا تغير ريحه سميت بذلك لتغير هوايها قتل من قال انه صلى الله عليه وسلم مات قبل ان يلتحى او لم يكن بتهامة من الحجاز لان هذا المذكور وان لم يتعين انه سب لكنه هو نفى لوجود النبى صلى الله عليه وسلم لنفسه صفته المعروفة قال ابن حجر وما قاله متجه لكن محله كما يعلم من اخر كلامه فيمن طالت صحبته للمسلمين حتى ظن به علم ذلك وبه يعلم رد ما نقله القرافى عبد السلام عن ابى حنيفة وقواه من ان من قال او من بالنبى وا شك فى انه المدفون بالمدينة او الذى نشا بمكة لا يكفر لانه وان كان معلوما بالضرورة الا انه ليس من الذى لا نا لم نتعبد به فيكون جاحده كجاحد بغداد ومصر انتهى ووجه رده ان الشك فى ذلك من المخالط للمسلمين يستلزم تضليل الامة وغير ذلك من العظايم فى الدين وقال حبيب بن ربيع من ايمة المالكية تبديل صفته المشهورة كوصفه بلون غير لونه ومواضعه التى كان مقره بها كتهامة ومكة والمدينة كفر قال ابن حجر وهذا يشمل انكار الهجرة وكونه كان اولا بمكة واخرا بالمدينة وغير ذلك مما يشاكله وهو متجه والمظهر له كافر لعله اذا قصده من لم يعذر فى جهله به وفيه اى فى الكفر بما ذكر الاستتابة اى انه تقبل توبته والمسر له اى من لا يظهره لغيره زنديق اى حكمه كالزنديق يقتل دون استتابة لانه باخفايه يدل على قصده نفى وجوده بنفى صفاته المعلومة تواترا لكل احد فصل معقود لذكر بعض انواع ما نحن بصدده الوجه الرابع من اقسام هذه المسيلة ان ياتى من تكلم به من الكلام مجمل اسم مفعول من الاجمال وهو فى اللغة مقابل التفصيل ومنه جملة العدد وفى اصطلاح اهل الاصول ما لم تتضح دلالته على المراد من تكلم وهو المراد هنا والمناسب لقوله وان ياتى بلفظ من القول مشكل وفى نسخة ويلفظ من القول بمشكل والمشكل فى الاصل ما له اشكال اى اشباه ونظاير وهو ايضا ما لا يظهر معناه قال الراغب المشاكلة فى الهيئة والصورة والند فى الجنسية والشبه فى الكيفية والشى اذا كان له اشكال يلتبس فالمراد ما فيه التباس بغيره يمكن حمله عما يفهم منه على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى غيره ممن يمكن حمله عليه او يتردد اى يشك فى المراد به اى ما قصده المتكلم به من سلامته من المكروه او سلامته من شىء الذى لا يليق به صلى الله عليه وسلم وهو معطوف على سلامته فها هنا اى فى المقام الذى يورد فيه ما يحتمل قصده وعدمه متردد النظر بزنة المفعول اسم مكان اى محل التردد فى حكمه اى نظر الحاكم فيه وحيرة العبر بزنة عنب بعين مهملة

وموجب

وموجب جمع عبرة وهو ما يعتبر ليستدل به على غيره ومظنة بكسر الظا المشالة اى محل الظن الذى يظن فيه امر يقتضى اختلاف المجتهدين فى حكمه لاحتماله انه فى حقه فيجرى عليه حكم من ينتقصه او فى حق غيره فلا يكون مقتضيا لقتل قايله فهو محل تامل ونظر ووقفة معطوف على متردد استبرا بالمد اى طلب براة المقلدين لهولا المجتهدين يعملون النظر فى استخراج حكمه ويتحيرون فيه لاشكاله عليهم والمقلد لهم يتفحص حتى يعلم حال من قلده فيتبعه ويبرا من عهدته ليهلك من هلك عن بينة اى ليكون من حكم بكفره بقاله قتله بدليل واضح لان اراقة الدما لا يجازف فيها ويحيى من حيى اصله حيى فادغم عن بينة اى يكون حياة من لم يقتل بدليل ظاهر لانه لا ينبغى المسامحة فيما يتعلق بمقام النبوة وحمايتها من طعن الطاعنين فيه وهو اقتباس لبيان علة التردد والتوقف فى الامور المشكلة فمنهم اى من المجتهدين فى مثل هذا من غلب حرمة النبى صلى الله عليه وسلم اى احترامه وصيانته وحمى حمى عرضه اى صان عرضه وحمى الاول ماض كرعى والثانى بكسر الحا اسم وهو ما يجب حمايته ورعايته والعرض كلما يلزم رعايته من الصفات ويولم ضده ويكون بمعنى الجانب والذات ايضا وفيه كلام لاهل اللغة طويل الاحتياج لنا به هنا اى منع ان يهجم احد على مقام النبوة ولو بالاحتمال فان من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه فجسر اى اقدم من غير مبالاة على القتل اى الحكم بقتله وان احتمل كلامه ومنهم من عظم حرمة الدم فلم يجسر على القتل ودرا بدال ورا مهملتين مفتوحتين وهمزة كرفع وزنا ومعنى الحد وهو هنا القتل بالشبهة فيما قاله لاحتمال عدم قصده لما يوجبه وهو اشارة لقوله صلى الله عليه وسلم ادروا الحدود بالشبهات وهو حديث ورد بمعناه كحديث ابن ماجه ادفعوا الحدود ما استطعتم وكذا هو فى الترمذى وغيره واما هذا اللفظ بعينه ففيه كلام فى تخريج احاديث الهداية لابن حجر وبين الشبهة بقوله لاحتمال القول الصادر منه لامرين احدهما يقتضيه والاخر يمنعه فعمل بالثانى احتياطا والشبهة على انواع ذكرت فى كتب الفقه والاصول وفى بعض النسخ وقتل الرجل المومن من الموبقات اى المهلكات للقاتل فى الدنيا والاخرة لما ورد فى الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال لزوال الدنيا اهون على الله من قتل مومن بغير حق وقد اختلف ايمتنا يعنى الفقها المالكية فى رجل اغضبه غريمه يعنى من له عليه حق طالبه به فقال له غريمه فى حال غضبه ومخاصمته له صل امر بالصلاة على محمد يريد به دفع غضبه بذكره صلى الله عليه وسلم فقال له اى لغريمه الذى امره بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم الطالب من غريمه حقه الذى خاصمه لاجله لا صلى الله على من صلى عليه لتهوره وعدم تدبره فقيل لسحنون اى استفتى فى هذا القايل هل هو كمن شتم النبى صلى الله عليه وسلم صريحا فى غير حال الغضب لنفيه رحمه وصلاته عمن صلى عليه او شتم الملايكة الذين يصلون

عليه لدخولهم في قوله من صلى عليه قال سحنون لمن ساله لا اي ليس هو كمن شتم هؤلا
اذا كان هذا القايل كاينا على ما وصفت اي ما ذكرته وحكيته عنه وتا وصفت
مفتوحة ضمير المخاطب من الغضب الذي اغضبه به غريمه لان الحدة تحمل المرء
على ان يصدر عنه ما لا يرضاه لانه لم يكن مضمرا اي ناويا ومريدا للشتم وفي
نسخة الشتم لاحد مما ذكر وانما سبق لسانه له من غير فكر وقد جرت عادة الناس
انهم يقولون عند الغضب صل على النبي ونحوه وقال ابو اسحق البرقي براهيم بالموحدة
المفتوحة وسكون الرا المهملة والقاف ابراهيم بن عبد الرحمن بن عمرو ابن ابي الفياض توفي
في سنة خمس واربعين ومائة واصبغ بن الفرج تقدم بيانه لا يقتل هذا القايل لانه
شتم الناس لا النبي ولا الملايكة لان من وان عم يخص باعتبار متعارف الناس في قصد
جنسهم دون غيرهم ممن لا يخطر بالبال في عرف التخاطب وليس ثم قرينة تصرف الشتم له
صلى الله عليه وسلم ولا الى الملايكة الذين يصلون عليه كما ياتي وقد يقال
ان المتبادر من قوله من صلى عليه الا من امر له او نفسه ان يصل عليه لتسكين غضبه
فكانه قال ان صليت انا او انت لدفع الغضب فلا صلى الله عليك او علي وهو في غاية
الظهور وهذا الذي جاب به البرقي واصبغ نحو قول سحنون الذي ذكره يعني
مرادهما واحد لانه اي سحنون في قوله اذا كان الخ لم يعذره بالغضبه اي بسببه
في شتم النبي صلى الله عليه وسلم فانه لا عذر فيه لاحد ولكنه لما احتمل الكلام
المذكور عنده اي عند سحنون في اعتقاده لشتم الناس وما يوهمه من خلافه
ولم يكن معه قرينة فيما قاله وفي حاله تدل على شتم النبي صلى الله عليه وسلم
او شتم الملايكة بدخولهم تحت من ولا مقدمة اي امر تقدم على كلامه يحمل عليها
كلامه اي قرينة وامارة انه قصد النبي والملايكة بل القرينة الحالية في خصامه
تدل على ان مراده الناس الذين خصامه وكلامه معهم كما تقول العامة اين الملايكة
والحدادين غير هولاء اي الملايكة ونحوهم لاجل قول الاخر وامره له صل على النبي ورد
عليه بما يفيد ان قصده بقوله لا صلى الله على من صلى عليه اي عليك او علي او على
من عندي ممن يعارضني ويريد دفع غضبي من غير استيفا حقي منه فحمل قوله وسبه
لمن يصلي عليه الان لاجل امر الاخر له بهذا عند غضبه فمن اين يخطر بباله عند المنصف
النبي او الملايكة وهو في غاية الظهور في عرف الناس هذا التاويل معنى قول سحنون
الذي تقدم وهو موافق بحسب المعنى لقول صاحبيه البرقي واصبغ وذهب الحارث
بن مسكين القاضي هو ابو عمرو المصري مولى مروان الثقة الحجة المحدث المالكي اخرج
له اصحاب السنن وحمل لبغداد في محنة خلق القران فحبس الى ان تولى المتوكل فاطلقه
وولاه قضا مصر فلم يزل قاضيا بها الى ان توفي في سنة مايتين وخمسين وعمره يزيد
على تسعين سنه وكذا ذهب غيره في مثل هذا القايل لا صلى الله الخ الى القتل لشموله

من ذكر من النبي والملايكة قال ابن حجر والذي تقوى عندنا الاول لان اللفظ ليس صريحا
في شتم الملايكة ولا الذات المقدسة وانما هو ظاهر في شتم نفسه ان صلى او غيره من الخ
ومع عدم التكفير يعزر التعزير البليغ وتوقف ابو الحسن القابسي في قتل رجل قال
صاحب كل فندق بضم الفا وتفتح وهو لفظ معرب معناه الخان الذي ينزله ابنا
السبيل والتجار والغربا والنون زايدة او اصلية وفي عباب الصاغاني فندق
حمل شجر كالبندق وهو ايضا بلغة اهل الشام خان من هذه الخانات التي ينزلها الناس
وتبنيه اصحاب الدول من اهل الخيرات قرنان بفتح اوله وزنه فعلان وفعال وهو
بمعنى الديوث وهو الذي يجمع الرجال الاجانب مع زوجته او بعض محارمه كاخته
وبنته ونحوهن وقال الزبيدي هو الذي يدخل الرجال على امراته وقال الجوهري هو الذي
لا غيرة له وهي متقاربة والمراد من يجمع بين الرجال والنسا مطلقا جمعا حراما وكذا
من يجمع بينهم وبين المرد والقرطبان ويقال قلتبان الذي يعرف من يجتمع بزوجته ويكت
وفي معناها محارمه ونحوهن وصاحب الفندق اي الخان كل من يجمع المال سوا كان له
خان ام لا ولو كان اي صاحب كل فندق نبيا مرسلا فامر بشده بالقيود والتضييق
عليه ليمسك ويحبس حتى ينظر امره ويستفهم البينة اي يسالهم عما قاله عن
جملة الفاظه اي بجميعها ليفهم منه مراده وما يدل على مقصده وما اراده
هل اراد اصحاب الفنادق الان اي الموجودين في زمنه فمعلوم انه ليس فيهم نبي
مرسل الان فيكون امره اخف من ان يقصد عمومه للموجودين وغيرهم ممن تقدمه
قال القابسي ولكن ارادة الموجودين الان بعيد لان ظاهر لفظه العموم لان
لفظ كل يقتضيه فهو عام لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتاخرين
من الموجودين ومن بعدهم ونوزه بقوله وقد كان فيمن تقدم من الناس من
من الانبيا والرسل صلى الله عليه وسلم عليهم اجمعين من اكتسب المال وقد
علمت ان صاحب الفندق كناية عمن له مال كبير اكتسبه لانه لا يبنيه ويملكه
الا من هو كذلك فهو كقولهم طويل النجاد بمعنى طويل القامة قال القابسي ودم المسلم
المعصوم لا يقدم عليه الا بامر بين فكيف بالانبيا عليهم الصلاة والسلام
وكيف يتجرا على الحكم بالقتل وما ترد اليه التاويلات اي تاويل ما يخالف
الظاهر لا بد من انعام النظر فيه وفي نسخة امعان وهما بمعنى والمراد تدقيق
النظر واطالة التدبر والتفكر يقال امعن النظر وانعمه واصله من امعن
في الطير تولا اذا ابعد وسار سيرا طويلا هذا معنى كلامه في هذه المسيلة رواه
بمعناه دون لفظه وكانه يريد بهذا انه غير ظاهر لانه احال عمله على ارادته
وهو امر لا يطلع عليه وتفصيله بين ارادة العموم وارادة اهل زمانه فيه
ما لا يخفى ولذا قال ابن حجر بعده والظاهر ان لفظه ليس صريحا في ذم الانبياء

ولا بسبهم فلا تكفر بمجرد هذا اللفظ بل يعزر التعزير الشديد وحكى عن الشيخ ابي محمد
ابن ابي زيد القيرواني وقد تقدم مرارا فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله بني اسرايل ولعن
بني ادم من غير تعيين لاحد منهم واسرايل لقب يعقوب معناه عبد الله او صفوة الله
وذكر انه لم يرد الانبيا منهم وقال لما انكر ذلك عليه انما اردت الظالمين منهم دون
الصالحين والانبياء والرسل منهم فقال ابن ابي زيد انه يحكم بان عليه الادب اي
التعزير والزجر لما في كلامه من الابهام بقدر اجتهاد السلطان اي بقدر ما يودي
اليه اجتهاده من ضرب وامر غيره دون القتل وهذا مبني على قاعدة هي ان العام اذا
ذكر من غير قرينة على الخصوص هل يصدق في قوله اردت الخصوص فقيل يصدق
اذا غلب على الظن انه لم يرده وفيه كلام في الاصول ليس هذا محله وكذلك افتى
ابن ابي زيد اي كما افتى في المسيلة السابقة افتى ايضا فيمن قال لعن الله من حرم المسكر
وهذا بظاهره يقتضي الكفر والقتل لان الذي حرمه هو الشارع وهو النبي
صلى الله عليه وسلم وقال انما اعلم من حرمه وسياتي حكمه مع ما بعده وهو
قوله وافتى ابن زيد فيمن لعن حديث لا يبع نهي حاضر معناه المقيم وهو يكون مفردا
واسم جمع كالسامر لبادي وهو من ياتي من البادية كالبدوي ولعن الحديث المنفي
له الا لعن قايله اوراويه ولعن من جا به اي بالنهي عن بيعه والذي جا به قايله
اولا اوراويه وهذا مما اختلف فيه فقيل انه حرام لتغرير صاحبه فانه
ياخذه منه بثمن قليل ثم يبيعه تدريجا باكثر وقيل انه نسخ وقيل الكراهة تنزيهية
ومن ذهب لحرمته كبعض الشافعية شرط فيه شروطا من علمه بالنهي وكون
المتاع مما تعم الحاجة اليه وان لم يكن ماكولا والمعنى في التحريم التضييق على الناس
والحديث في الصحيحين وغيرهما مع اختلاف في بعض الفاظه ففي رواية لا يبع
حاضر لباد وان كان اخاه او اباه دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض ان كان
يعذر بالجهل لقرب عهده بالاسلام وقد علمت انه شرط عند القايل بحرمته
وعدم معرفة السنن جمع سنة اي الاحاديث الماثورة عنه صلى الله عليه وسلم
فعليه الادب الوجيع الادب بمعنى التاديب وهو التعزير والوجيع بمعنى الموجع
واسناده مجاز عقلي وذلك ان هذا لم يقصد بظاهر حاله اي بسبب ظاهر حاله
وما يظهر من كلامه ونحوه سب الله لانه هو الذي حكم به واوحاه ولا سب رسوله
صلى الله عليه وسلم لانه الذي جا به وبلغه للناس وانما لعن من حرمه من الناس
اي العلما المجتهدين الذين افتوا بحرمته لما صح عندهم من الحديث فهو على نحو فتوى
سحنون واصحابه من المالكية في المسيلة المتقدمة في قول القايل لا صلى الله على
من صلى عليه كما مر انفا قال ابن حجر بعد كلام المص وهو ظاهر ولا بد من تقييده لاعن
محرم المسكر بان يكون ممن يجهل ذلك ايضا ويعذر بالجهل به بان يكون قريب عهد

بالاسلام

بالاسلام ولم يكن مخالطا للمسلمين والا فتحريمه معلوم من الدين بالضرورة
ولو كان لعنه من جا بالحديث المذكور بعد قول احد له هذا قاله النبي صلى الله
عليه وسلم ونحو ذلك كان ذلك كفرا ولا يقبل قوله ما اردته لان لفظه
ظاهر في تكذيبه فليتب والا فليقتل ومثل هذا المذكور في حكم المسيلة ما يجري
اي يصدر ويقع في كلام سفها الناس ممن لا تدبر عنده في اموره من قول بعضهم في مخاطبته
لبعض فيما يقع في مخاصماتهم يا ابن الف خنزير واراد بالخنزير من تقدم من ابايه واجداده
بطريق الاستعارة وابن ماية كلب اي رجل خسيس دني كالكلب وشبههما يصدر
عن سفها العوام من هجر القول بضم فسكون معناه الفحش في المنطق والقبح كما تقدم
ومراده بالالف والماية التكثير دون العدد فلا شك انه يدخل في مثل هذين
العددين اي الالف والماية وفي نسخة العدد من ابايه واجداده جماعة من الانبياء
كنوح واسماعيل ويعقوب عليهم الصلاة والسلام ولعل بعض هذا العدد المذكور
وهو الالف والماية ينقطع الى ادم الظاهر ان معنى ينقطع ينتهي قال في المصباح
منقطع الشي بصيغة البنا للمفعول حيث ينتهي طرفه نحو منقطع الوادي والرمل
والطريق والمنقطع بالكسر الشي نفسه فهو اسم عين والمفتوح اسم معنى انتهى
فقول بعضهم انه بمعنى متصل من انقطع اليه ولم يركن الى غيره ومن ثم عداه بالى
وليس بمعنى منفصل اذ لو كان بمعناه عداه بعن انتهى تكلف لا تساعده اللغة والحامل له
عليه ما راه من عدم صحة معناه بحسب الظاهر والصواب ما سمعته اولا فينبغي
لما ذكر من احتمال دخول بعض الانبيا فيه وان الحامل على ذكره سفاهة قايله الزجر عنه
وهو المنع بعنف ولوم وتبيين ما جهله قايله منه ليزول عنه فيقال له انه
يدخل في كلامك بعض الانبيا فتب عنه ولا تعد لمثله وشدة الادب فيه اي تاديب
قايله بلومه وتقريعه او تعزيره ولو علم بالبنا للمفعول اي علم الحاكم انه اي القايل
قصد سب من في ابايه في سلسلة نسبه من الانبيا على علم اي علم قايله بان فيهم انبيا
قصد دخولهم في عموم كلامه لقتل لردته او حدا كما هو حكم ساب الانبيا واللام داخلة
في جواب لو وحاصل ما ذكره انه لا يكفر بهذا اللفظ وان شمل جماعة من الانبيا ما لم
يعلم انه قصد سبهم وما ذكره فيه ظاهر لان ظاهر هذا اللفظ المبالغة في سب
المخاطب دون غيره لكن يعزر ويبالغ في تعزيره كما مر وقد يضيق القول في نحو هذا اي
يزاد في التشديد على قايله فيما لو قال احد من الناس لرجل هاشمي اي من بني هاشم
بن عبد مناف بن قصي جد النبي صلى الله عليه وسلم لقب به واسمه عمرو والهشم
رجلا اولانه كان يهشم الثريد لاطعام قومه كما فصل في السير لعن الله بني هاشم
ضيقه فيه لدخول النبي صلى الله عليه وسلم واهل بيته فيه دخولا متبادرا دوامي
بينا فليس كالذي قبله ولذا شدد على قايله وقال اردت الظالمين منهم والكفرة

كابي لهب وابي جهل ولا قرينة منه على تخصيصه بعد الاطلاق ولا قرينة تشهد له في دعوى
الخصوص فلو ظهرت القرينة ككون المخاطب من ظلمهم درئ عنه الحد بالشبهة فلا يقال
انه مناف لما تقدم او قال لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم او من نسله اي من اولاد
من فاطمة او ولده من السادة الاشراف وينبغي تخصيص الولد بمن قرب نسبه منه صلى الله
عليه وسلم كالحسن والحسين والنسل بمن بعدهم فان عطف المترادف بابا وغير صحيح
خلافا لابن مالك في تجويزه كقوله ومن يكسب خطيئة او اثما ووقع في بعض النسخ
وولده بالواو ولا اشكال فيه على علم منه اي وهو يعلم ويتحقق انه من ذرية النبي
صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة قايمة في المسيلتين اي مسيلة بني هاشم ومسيلة
الذرية تقتضي تخصيص بعض ياتيه بما ذكره من السب واخراج النبي صلى الله عليه
وسلم ممن سبه منهم بلفظ يحصه او نحوه من توجيه خطابه قال ابن حجر وظاهر كلامه
انه لا يقبل تخصيصه بارادة غير النبي صلى الله عليه وسلم من غير قرينة وهو
محتمل لعموم لفظه لكن الاقرب الى قواعدنا قبول مطلقا لان اللفظ بوضعه
لا ينافي تلك الارادة لكن يبالغ في تعزيره وقد رايت لابي موسى عيسى بن مناس
بفتح الميم والنون المخففة والف وسين مهملة وما في بعض النسخ من كسر ميمه
لم يثبت وهو من اصحاب سحنون ومن اهل قيروان ويقال مياس بمثناة تحتية
فيمن قال لرجل يخاصمه ويشاتمه لعنك الله وابائك الى ادم انه ان ثبت ذلك
عليه القول قتل لدخول بعض الانبيا فيه كنوح عليه الصلاة والسلام
قيل الظاهر انه يودب ولا يقتل لاحتمال ان يريد ان اللعنة تستمر عليه الى ان
يلقى ادم لا سيما ودخول الغاية غير متعين فتدبر وقال ابن حجر بعد كلام المص
وقضية قواعدنا خلافه لما قدمته من ان لفظه ليس صريحا في سب نبي لاحتماله
الى ان يلقى ادم في القيامة بل لو قال لعن الله اباه الى ادم كان عدم التكفير
اقرب ايضا ان ادعى ارادة غير الانبيا منهم لاحتمال ما ادعاه وعدم صريح يدل
على خلافه ولا يقال كلامه يتناول ادم للخلاف المشهور في دخول الغاية
انتهى قال القاضي ابو الفضل عياض المولف رحمه الله تعالى وقد كان اختلف
شيوخنا من علما المغرب المالكية فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء من الحقوق
ادعي عليه ثم قال ذلك الشاهد له اي للمدعى عليه وقد اتهمه في شهادته
تتهمني بحذف همزة الاستفهام اي اتتهمني اي تنسب لي سوءا وامرا يقتضي عدم
قبول شهادتي والتهمة سوء ظن كما تقدم فقال له الاخر المشهود عليه بحق
الانبيا يتهمون بنا مه المجهول اي ينسب لهم التهمات وهذا مقول القول فكيف
انت اي انت اولى بان تتهم لبعد مقامك عنهم وكيف استفهام انكاري استبعادي
نحو كيف تكفرون بالله فكان شيخنا الامام ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر بقدمت

برجته

برجته يرى قتله اي يعتقد وجوبه لبشاعة ظاهر اللفظ اي قباحته بحسب الظاهر
المقتضي لانهم وقع منهم ما يقتضي سوء الظن بهم والبشاعة بموحدة وشين معجمة
وروي شناعة بمعجمة ونون وهما متقاربان قيل وتعبيره بالمضارع في يتهمون
الدال على الاستمرار التجددي هو المستبشع ولو عبر بالماضي لم يكن فيه كبير استبشاع
لانه قد وقع اتهامهم من جهلة الكفرة الفجرة وان احتمل انه لحكاية الحال
الماضية من اتهامهم بالكذب والسحر وغيره وكان القاضي ابو محمد بن منصور
اسمه عبد الله ابن محمد بن منصور جده فهو عبد الله بن منصور بن ابراهيم بن قاسم
ابن منصور اللخمي ولد سنة ثمان وخمسين واربعماية وتوفي في شعبان سنة ثلاث
عشرة وخمسماية وهو امام محدث مالكي المذهب يتوقف اي يتردد عن القتل
فلا يقدم على الحكم به لاحتمال اللفظ المذكور عنده ان يكون خبرا عمن اتهمهم
من الكفار الذين اتهموهم بما لا يليق بهم كمن كذبوهم وهذا مما وقع وقايله لا يعتقد
ما قالوه قال ابن حجر وهذا الثاني هو الاوجه وافتى فيها اي في هذه المسيلة المتقدمة
قاضي قرطبة ابو عبد الله ابن الحاج بنحو هذا الذي افتى به ابن منصور من التوقف فيه
وهو محمد بن احمد بن خلف ابن ابراهيم التجيبي المالكي العلامة المحدث الشهيد ولد
سنة ثمان وخمسين واربع ماية وقتل وهو ساجد بجامع قرطبة قتله رجل مجنون
رجل مجنون يقال ضربه بسكين في خاصرته فقتله ودفنه في الموضع الذي قتله فيه
العاشر سادس عشري شهر رمضان ودفن بعد العصر في مشهد عظيم وليس
ابن الحاج هذا صاحب المدخل وشدد القاضي ابو محمد ابن منصور المذكور انفا تصفيده
اي جعله في صفد وهو القيد يقال صفدته وصفدته بالتشديد اذا قيدته واصفده
اذا اعطاه ففرق بين المعنيين وقيل الصفد في العطية ماخوذ من القيد كما قيل ومن وجد
الاحسان قيدا تقيدا وفيه كلام فصلناه في حواشي البيضاوي واطال سجنه
بفتح السين مصدر ويجوز كسرها بتقدير مدة سجنه ثم استحلفه بعد بالضم اي
بعد تصفيده وسجنه حلفه يمينا على تكذيب ما شهد به عليه اي ارم ان يحلف على
ما قال لما نسب اليه اذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه بصدو رهذا القول منه
وهن اي ضعف فخلفه وهذا احتياط في حق النبوة والا فكونه اخبارا بما وقع
من الكفرة من غير اعتقاد لما قالوه وهو امر واقع يكفي في عدم استحقاقه للقتل ثم اطلقه
حكمه ببراته مما نسب اليه وشاهدت شيخنا اي عاينت وانا حاضر عنده ابا عبد الله
الامام محمد بن عيسى بن حسين التميمي ولد سنة تسع وعشرين واربع ماية وتوفي سنة
خمسين وخمسماية صبيحة يوم السبت لعشر بقين من جمادى الاخرة كما تقدم ايام
قضايه اتي برجل دعي عليه عنده هاتر وفي نسخة تهاتر والمهاترة السفاهة في القول
بال التهاتر الفتيان اذا تفاحشا في القول من الهتر بفتح الها وكسرها وهو الباطل والسقط

من الكلام وهاتر وهتر اذا لم يبال ما صنع وما قال وقيل هو بالفتح تميز في العرض وبالكسر
السقط من الكلام والتهاتر نوع من الحمق والجهل وهو ايضا العجب والداهية رجلا
اسمه محمد والمراد انه خاصمه ثم قصد اى توجه الى كلب كان قريبا منه فضربه برجله
وقال له قم يا محمد وقصد بذلك تحقير خصمه المسمى بهذا الاسم لكن لما شاركه له
صلى الله عليه وسلم في الاسم لا ينبغي ذكره لايهامه ما لا يليق فانكر ان يكون قال
ذلك الذي نقل عنه وشهد عليه باثبات ما انكره لفيف من الناس اى جماعة اجتمعوا
ليشهدوا عليه بما وقع منه قال تعالى وجينا بكم لفيفا اى منضما بعضهم الى بعض
من لفه اذا طواه فامر القاضي ان يمضى به الى السجن ليحبس فيه وتقصى بفتح التا الفوقية
والقاف والصاد المهملة المشددة قبل الف اى سال عن حاله في دينه والتقصى
هو البحث والتفتيش الشديد كانه بلغ اقصاه قال ابو تمام يا صاحبي تقصيا نظريكما
وانه هل يصحب احدا ممن يستراب بدينه اى من الناس ريبة وشك في دينه ممن يتهم
بالالحاد فان المرء على دين خليله فان كان كذلك يعلم انه قصد بكلامه حقيقته
فاكثر السوال عنه وعمن يخالطه فلما لم يجد ما يقوى الريبة من حاله وحال اصحابه
ممن يتهم باعتقاده ضربه بالسوط تعزيرا وزجرا عن العود لمثله واطلقه قال ابن
حجر وما دل عليه كلامه من عدم كفره بذلك هو الصواب فصل الوجه الخامس
من اقسام ما نحن بصدده ان لا يقصد بكلامه الذي اتى به نقصا اى ما يدل على امر
ينقصه ولا يذكر عيبا اى امرا معيبا قبيحا ولا سبا اى ما يسب به ولكنه ينزع
اى يميل ويلجى من قولهم نزع الى وطنه يقال نازعته نفسه الى كذا اى مالت له ميلا
شديدا كما قاله الراغب وغيره بذكر بعض اوصافه صلى الله عليه وسلم او يستشهد
ببعض من احواله التي كانت له صلى الله عليه وسلم اى ان ياتي بها شاهدا اى نظيرا
لامر وقع له الجايزة عليه في الدنيا قيده به لان ما يجوز عليه نقص له على طريق ضرب
المثل بحاله وتمثيله به ليقاس عليه غيره او الحجة لنفسه او لغيره ليتاسى به لقوله تعالى
لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة او على طريق التشبه به صلى الله عليه وسلم
ان التشبه بالكرام فلاح او عند هضيمة وفي نسخة عظيمة اى واقعة عظيمة
والهضيمة من الهضم واصله كما قال الراغب شدخ ما فيه رخاوة ثم استعير للظلم
والجور قال تعالى لا تخاف ظلما ولا هضما اى مظلمة نالته اى اصابته او صابته او غضاضة
لحقته اى تنقيص يقال غض منه اذا نقصه ليس على سبيل طريق التاسى اى الاقتداء
في مثله ولا على طريق التحقيق لاتصاف النبي صلى الله عليه وسلم به بل على مقصد
الترفيع اى التعظيم لنفسه ان كان ذلك وقع له او لغيره ممن وقع له او يذكره على
سبيل التمثيل به وجعله مثله فيما اتفق له وعدم التوقير لنبيه صلى الله عليه و
للتشبيه نفسه به واين الثريا واين الثرى او على قصد الهزل واللعب سفاهة منه

والتذير

والتذير بقوله بمثناة فوقية ونون وبدال وراء مهملتين اى الاتيان بامر نادر شاذ
وقوعه فيذكره على سبيل الشذوذ ولا التشهير والترفيع وقيل معناه الاسقاط
اى اسقاط حرمته مقامه وقيل انه بمعجمة بمعنى التكلم بما فيه تعيب وتشهير
وفيه نظر والظاهر انه بالموحدة وذال معجمة تجوز به عن السفاهة واللفظ بما
لا يليق به كقول القايل ان قيل في السوء فقد قيل في النبي صلى الله عليه وسلم
وفيه سوء ادب لا يخفى وان كذبت اى نسب لي الكذب فقد كذب الانبيا وهذا فيه
تسوية لنفسه بهم وان اذنبت اى وقع مني ذنب وخطيئة فقد اذنبوا وهذا سوء
ادب منه فانهم عليهم الصلاة والسلام معصومون ولو قيل بتجويزه على غير
الصحيح فذنوبهم حسنات بالنسبة لغيرهم فهذا اجهل من قايله او انا اسلم
من السنة الناس اى من طعن السنتهم وعيبتهم ولم تسلم منهم انبيا الله ورسله
فكيف بغيرهم او قد صبرت على ما ابتليت به كما صبر اولوا العزم من الرسل تقدم بيانهم
قريبا فانا حقيق بالصبر او اني صبرت كصبر ايوب عليه الصلاة والسلام وتقدم
بيان ما صبر عليه او قد صبر نبي الله على عداه بكسر العين جمع عدو وحلم بزنة علم
من الحلم اى عاملهم مع ما وقع منهم بالحلم والعفو عنهم على اكثرهم بما صبرت
انا عليه ففي كل هذا من ترك الادب ما لا يخفى قال ابن حجر فميل كلامه بل صريحه
عدم الكفر في هذه المسايل وهل يحرم ذلك الذي يظهر انه ان قصد به الترفع
وانه شاركهم في اصل هذه الفضايل كان حراما شديد التحريم وان قصد
هضم نفسه على طريق المبالغة بمعنى انه لا نسبة لي باتباعهم وقد وقع لهم ذلك
فوقوعه لي اولى لم يكن حراما وعلى هذا يحمل ما وقع لبعض الاكابر من استشهادهم
على ما حصل لهم بنحو هذه الكلمات في خطب كتبهم وغيرها نعم قوله اذا اذنبت
فقد اذنبوا شديد التحريم لا يجوز الاستشهاد به بحال وقال بعض المالكية من قال
ان كان قيل في حقي او حق فلان وان جرى له كذا فقد قيل في حق الانبياء
فيودب وفهم بعضهم من كلام المص هنا انه يكفر بذلك وليس كما فهم وليس
في مذهبنا ما يوافق القول بالتكفير لا تصريحا ولا تلويحا وليس لمن قال به دليل
وتعليله بان القصد التشبه والانتقاص فاسد اذ لا يقصد ذلك من في قلبه
اسلام بل المراد كيف لا يتكلم في حقي شي وقد تكلم في الاكابر قال بعض المتاخرين
بل اطلاق التحريم في ذلك بحسب مذهبنا منظور فيه انتهى والوجه عدم التحريم
حيث كان المراد ما ذكر واطلق انتهى ملخصا ثم استطرد بما وقع من هذا القبيل
لبعض الشعرا فقال وكقول المتنبي ابو الطيب احمد بن الحسين الشاعر المشهور
وشهرته تغني عن ذكره وترجمته مستوفاة في التواريخ انا في امة تداركها الله
غريب كصالح في ثمود الامة اقوام في زمان نبي بعث اليهم ويكون بمعنى الجماعة

مطلقا ومعنى تداركها الله ادركها بلطفه او بهلاكه فهو دعا لهما او عليهم وصالح
نبى الله ثمود امته والغربة الخروج عن الاهل والوطن فاستعارها لعدم المناسبة
والالفة كما يقال الكريم غريب بين اهله وهو على طريقة الشعرا في الادعا قال ابن
حجر ولامه محتمل لقصد تشبيه حاله في الغربة بحال صالح فيكون من قصد الترفع او
تشبيه حال من هو فيهم بحال ثمود من المشاقة وعدم الطواعية له فيكون مستلز
ما للترفع وصريحا في سبهم وعلى كل فهو غير كافر والبيت من قصيدة له وقيل انه لقب
بالمتنبى بهذا البيت وفيه اقوال اخر ونحوه اى نحو قول المتنبى هذا وما فى معناه مما وقع
فى اشعار المتعجرفين فى القول الذى يقولونه والعجرفة تجاوز الحد والخروج عنه والعجرفة
ارتكاب ما لا يليق من غير مبالاة به وروى فى المنوك بدل القول وهو بضم النون
ثم واو وكاف اى الحماقة المتساهلين فى الكلام يقال تساهل وتسامح اذا لم يتدبر
ويتامل ما فيه ضد لديه او عرضه كانه يعد الصعب سهلا كقول ابى العلا
المعرى نسبته لمعرة النعمان البلدة المشهورة وهو احمد ابن عبد الله بن سليمان التنوخى
الشاعر المشهور وهو عفا الله عنه كان اعمى من بيت علم وعراقة ومرتبته فى الذكا
وسعة العلم بالعربية وغيرها وفصاحته فى النظم والنثر اشهر من قفا نبك الا انه
ممن اضله الله على علم كان متهما بالزندقة وكلامه فى ديوانه لزوم ما لا يلزم شاهد
عليه لا يتردد فيه فكما اعمى الله بصره اعمى بصيرته ولولا خوف الاطالة لاوردت كثيرا
من كلامه دررا وغررا كنت موسى وافته بنت شعيب غير ان ليس فيكما من فقير
وهو من قصيدة له فى سقط الزند اولها ابق فى نعمة بقاء الدهور نافذ الامر فى جميع
الامور يشير لقوله تعالى رب انى لما انزلت الى من خير فقير وتوفى سنة تسع
واربعمائة ومما ينسب له يسلى به نفسه عن العمى لو ابصرت عيناك هذا الورى
لم ير انسانك انسانا والانبيا عليهم الصلاة والسلام لا يوصفون بالفقر
ولا يجوز ان يقال لنبينا فقير وقولهم عنه الفقر فخرى لا اصل له كما تقدم على ان اخر هذا
البيت شديد فى جرانه عند تدبره وداخل فى باب الازرا والتحقير لانه لم يرض
لممدوحه ان يكون مثل نبى الله اذ مراده لولا هذا شبهتك به وتفضيل حال غيره عليه
كما يعرفه من له المام بالادب قال ابن حجر ولا يستنكر قوله هذا الدال على الازرا
والتحقير لموسى صلى الله وسلم على نبينا وعليه فانه كان زنديقا كافرا وقد اتى
فى كثير من شعره بصرايح الكفر وقد نحا نحوه فى زيادة القبح والتصريح بالكفر فى شعر
ابن هانى الاندلسى كما ياتى وكذلك قوله اى المعرى الذى ليس صريحا فى الكفر فى قصيدة
اخرى لولا انقطاع الوحى بعد محمد قلنا محمد من ابيه بديل وهو من قصيدة له فى
سقط الزند مدح بها علويا اسمه محمد اولها ليس التجمل من نزارك حلول
والسير عن حلب لدى رحيل ومنع صرف محمد الثانى للضرورة وقال صدر الافاضل

انه على مذهب الكوفيين فى تجويز منع الصرف بالعلمية وحدها كقوله يفوقان مرداس
فى مجمع هو مثله فى الفضل الا انه لم ياته برسالة جبريل وفيه من ترك الادب
ما لا يخفى فقصد البيت الثانى وهو نصفه الاول من هذا الفصل لتشبيه غير
النبى فى فضله بالنبى صلى الله عليه وسلم وحاشاه من ان يرضى به من له اسلام
او ذوق فانه كفر بغير لذة والعجز محتمل لانه اخف من صدره لوجهين احدهما ان هذه
الفضيلة اى اتيان جبريل له بالوحى نقصت الممدوح عن درجة المشبه به فكانه
قال لولا هذا قلت له انه مثله والوجه الاخر استغناؤه عنها هذا ان قصد انه
مثله وان كان كذبا فان قصد هذا فهذه اشد فى كفره وعجرفته وما كان اغناه عن مثل
هذا الهذيان ولخصه ابن حجر فقال وانما لم يكن كفرا لان ظاهر قوله الا الخ ان الممدوح
نقص لفقد ذلك فان اراد انه استغنى عن ذلك فلا يحتاج اليه فى المماثلة كان اقرب
الى الكفر بل كفرا ونحو منه اى مثل ما ذكر قول الاخر فى الكفر واذا ما رفعت راياته
خفقت بين جناحى جبرين هو من قصيدة للاديب زيد بن عبد الرحمن بن معافا
الاسيوى المغربى من شعرا الذخيرة قال هو من شعرا عزنيا المشاهير نبى عن ادب غزير
تصرف فيه تصرف المطبوعين المحتدين فى عنوان شبابه واتاه احاله ثم تراجع
طبعه عند كماله وهو من قصيدة له فى ابن حمودة تداولها الغزالون لعذوبة
الفاظها وسلاستها اولها البرق لايح من اندرين ذرفت عيناك بالدمع المعين
ولصوت الرعد زجر وحنين ولقلبى زفرات وانين ومنها ملك ذو هيبة
لكنه خاشع لله رب العالمين واذا ما رفعت راياته خفقت بين جناحى جبرين
واذا اشكل خطب معضل صدع الشك بمفتاح اليقين والنون فيه ساكنة
لانه يلزم اختلاف حركات الروى لوقوع بعضها مرفوعا ومنصوبا ومجرورا ولولا
ذلك جاز تحريكها لانها حد ضروبه وقوله خفقت اى تحركت واضطربت وهكذا
رواه ابن بسام وفى نسخة مصححة صفقت فهو رواية اخرى حسنة وفيه انه ليس
فيه ذكر له صلى الله عليه وسلم وما قيل من انه فيه اجتراء على ملك عظيم فيه
ايضا انه ان قصد انما رايات رفعت للجهاد ونصرة الدين فصحبة جبريل لها ليس
فيه تحقير له وجبرين لغة فى جبريل وفيه لغات منها هذه ومن العجب ما قيل انه ان اراد
تثنية جبريل ففيه ما لا يخفى وان اراد افراده فهو فى غالب النسخ بيا ان انتهى وهو
خلط وخبط عجيب منه وقول الاخر من شعرا اهل العصر فرمن الخلد واستجار بنا
فصبر الله قلب رضوان فيه عجرفة لجعله رضوان وهو من الملايكة المقربين
كانه يهوى هذا الحورى بحيث لا يقدر على فراقه ومثله قول ابن النبيه
سارق شمس رضوان عن حفظه ففر من جملة حور الجنان وقوله فى حسن يوسف
الا انه ملك فلا يباع بجنس لنقد معدود والمراد المبالغة فى وصفهم بالحسن

لانه يقال لمن وصف بالحسن انه حري وملك ومنه قوله تعالى ان هذا الا ملك كريم
وقول حسان المصيصي بصادين مخففتين مهملتين نسبة لمصيصة بلدة بالاندلس
وقيل يجوز فيه فتح الميم وكسرها وتشديد الصاد وتخفيفها وانما مصيصي ثغر من الثغور
الشامية قال ابن بسام في الذخيرة هو الوزير الكاتب ابو الوليد حسان بن المصيصي
رفيق الوزير ابن عمار من عظماء الدولة العبادية وله اشعار بديعة اكثر قصايده في مدح
المعتمد وله تصانيف جليلة ومعان رايقة كقوله اذا المرء لم يزهد وقد صبغت له
بعصفرها الدنيا فليس بزاهد من شعراء الاندلس تقدم انه اقليم وضبط لفظه في محمد
بن عباد المعروف بالمعتمد على الله على عادة الخلفاء في الالقاب وقد تولى الخلافة بعد
ان كان قاضيا قال في الذخيرة القاضي ابن عباد ابو القاسم بن محمد بن ذي الوزارتين
ابن الوليد بن اسماعيل بن محمد ابن اسماعيل بن عمرو بن عطاف بن نعيم وعطاف هو
الداخل الى الاندلس وكان من اهل حمص وكان عباد يلقب بالمعتضد وابنه يلقب
بالمعتمد وجده ثم تغلب وتولى بعد ذلك الخلافة وله وقايع وامور عزيبة وفي
وزيره ابي بكر بن زيدون وابن زيدون هو ذو الوزارتين الشاعر البليغ وكان مع ابن
عمار فرسي رهان كان ابا بكر ابو بكر الرضا وحسان حسان وانت محمد اي كان
وزيرك ايها الممدوح ابو بكر بن زيدون ابو بكر الصديق وكان شاعرك المصيصي حسان
بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا من جهله بمقام النبوة
ومجازفته وان كان المشبه دون المشبه به كما قيل ظلمناك في تشبيه صدغيك
بالمسك فمن عادة التشبيه نقصان ما يحكي لكن لا وجه للتشبيه بمن ليس
شبيه وللشراح هنا كلام تركه خير من ذكره فلذا اضربنا عنه صفحا الى امثال هذا المذكور
من الكلام وانما اكثرنا اي اتينا بكثير منها بشاهدها المراد به ما يشهد لما ادعاه
من ان الناس يتساهلون في امثالها بما لا ينبغي واما كون الشاهد ما يذكر لاثبات حكم والمثال
ما يذكر لايضاحه فكان عليه ان يقول بمثالها فامر اصطلح عليه اهل العربية وليس
مرادا هنا فليس ما ذكره شيا مع استثقالنا لحكايتها اي عده ثقيلا لما فيه من ذكر
الانبيا عليهم الصلاة والسلام بما لا يليق بهم اي روايتها وذكرها لتعريف الناس
امثلتها اي امثالها مما يقع من امثالهم ولتساهل كثير من الناس في التكلم بمثله فذكرها
رحمه الله ليحذر الناس من مثلها كما قيل عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف
الشر من الناس يقع فيه في ولوج اي دخول هذا الباب الضنك اي الضيق الذي لا ينبغي
ولوجه لمن له دين واستخفافهم فادح هذا العبا اي عدهم له ثقيلا والفادح بفا ودال
وحا مهملتين هو الثقيل والعب بوزن الحمل ومعناه مهموز الاخر وقلة علمهم بعظم
ما فيه من الوزر اي الاثم والخطيئة والمراد بالقلة العدم وكلامهم بالجر معطوف على تساهل
اي تكلمهم فيه اي في هذا الباب بما ليس لهم به علم من حقوق الرسل والملائكة عليهم

الصلاة والسلام ويحسبونه هينا سهلا عند الله وهو عند الله عظيم لانه من الكباير
وهو اقتباس من قصة الافك وقد اكثر الناس منه لا سيما الشعرا فانهم ظنوه مبالغة
في مدايحهم وتغزلاتهم وهو قبيح جدا واشدهم فيه تصريحا اي الاتيان به صريحا لرقة
دينه وللسانه تسريحا اي اطلاقا وارسالا قال تعالى او تسريح باحسان اي طلقوهن
ومنه تسريح الشعر بالمشط ولذا قال ابن نباتة فمن يسرح لحيته فليس يمسك امساكا
بمعرفة ولا يسرح تسريحا باحسان وفي التسريح والتصريح تجنيس ابن هاني بزنة
فاعل مهموز الاندلسي وصفه به لان ابا نواس يقال له ابن هاني ايضا وهو ابو الحسن
او ابو القاسم محمد بن هاني الاندلسي الاشبيلي ولد بمدينة اشبيلية ونشا بها واشتغل
بعلوم الادب والعربية ففاق فيها اهل عصره الا انه كان يميل لمذهب الفلاسفة
فمن هنا وقع له ما وقع حتى طعن فيه وديوانه مشهور في غاية البلاغة لكنه لا يخلو
من تكلف كالمعري وقد كتب عليه التيفاشي كتابا سماه الديباج الخسرواني في شعر ابن هاني
وارتحل لمصر ثم عاد منها فلما نزل ببرقة وجد ميتا لم يعرف من قتله وكان ذلك في يوم
الاربعا لسبع بقين من رجب سنة اثنين وسبعين وثلاثمائة وهو ابن اثنين واربعين
سنة او ست وثلاثين سنة وهاني جده من اهل افريقية من نسل ابي صفرة الازدي
وابو العلا بن سليمان المعري الذي تقدم قريبا بيانه وسليمان جده وهم ينسبون
الى الجد اذا اشتهر كقوله صلى الله عليه وسلم انا ابن عبد المطلب بل قد خرج
كثير من كلامهما الى حد الاستخفاف والنقص اي تنقيص من هو كامل والاستخفاف
يتجوز به عن التحقير وصريح الكفر لخوضهم في حق الانبيا ونحوهم وقد اجبنا عنه كما بينه
فيما تقدم وغرضنا اي قصدنا الكلام في هذا الفصل فيما وقع للشعرا ونحوهم الذي
سقنا امثلته قريبا بضم شي منه له فان هذه الامثلة كلها وان لم تتضمن سبا ولا اضافت
الى الملائكة والانبيا نقصا اي ما ينقص مقامهم ولست اعني بكلامي هذا مجزي بيتي
المعري فقط بل جميع ما ذكر من الامثلة ولا اقصد ما مضى معطوف على قوله اضافت
قايلها ازرا اي زدرا ولا غضا اي نقصا لانه انما ضرب به المثل لامور ذكرها قبل هذا
فما وقروا بالقاف اي عظموا النبوة ولا عظموا الرسالة اي مقدارهما ومقامهما ووصف
النبوة بالتوقير والرسالة بالتعظيم تفننا واشارة الى ان مقام الرسالة لظهوره
لهم اليق بالتعظيم ولا غزروا حرمة الاصطفا غزروا بمعجمتين وراء مهملة بمعنى كثر وقوى
وحرمتها احترامها والاصطفا اختيار الله لهم لرسالته واداء امانته ولا عزروا
حظوة الكرامة بمهملة ومعجمتين اي جعلها عزيزة محترمة والحظوة بضم الحاء المهملة
وكسرها وسكون الظاء المشالة المعجمة بمعنى القرب اي قربهم من الله بسبب كونهم مكرمين
عنده بالرسالة حتى شبه من شبه اي شبه احد الشعرا من شبهه من الممدوحين له
في كرامة اي بسبب كرامة نالها اي وصل له مما يكرمه عند مادحه او شبه بسبب

معرة اى امر يشق عليه ويكرهه قصد الاشفا منها صفة معرة اى ارادا لتخلص والتبرى
او تسبه ممدوحه بما لا يليق به ضرب مثل ببعض الانبيا او الملايكة لتطييب مجلسه
اى لتطييب المجلس او المجالسة والمحاورة معه او يقصد بما شبه اغلا بالمعجمة اى
غلو ومبالغة فى وصفه لممدوحه او لغيره ويريد بغلوه انه وسيله لتحسين كلامه
بمن عظم الله خطره بفتح الخا المعجمة والطا ورا مهملتين وهو القدر والمنزلة وشرف
قدره كانبيايه وملايكته عطف تفسير والزم اى اوجب توقيره اى تعظيمه والتادب
معه وبره اى صلته بزيارة قبره والدعاله ورعاية من ينسب له ونحوه ونهى
عن جهر القول له بقوله تعالى لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ورفع الصوت
عنده اى علاوه لما فيه من قلة الادب وعدم المهابة فحق هذا القايل من غير قصد
لسب وتنقيص لقدره بل لاحرما ذكران درى بضم الدال وكسر الرا المهملتين قبل
همزة مبنى للمفعول اى دفع عنه القتل فلم يقتل الادب اى التاديب بضرب او لوم وزجر
والسجن اى الحبس مدة بفتح السين وكسرها وقوة تعزيره بحسب بفتح السين اى بقدر
شنعة مقاله اى قباحته ومقتضى قبح ما نطق به اى بقدر قباحة لفظه الذى قاله
فيقدر بقدره براى الحاكم فيه وما لوف عادته لمثله اى ان الفه واعتاده بتكرر
صدوره منه كابى العلا المعرى اى ندوره اى وقوعه نادرا قليلا فكثرته تدل على سوء
اعتقاده وعدم مبالاته به وقلته تدل على انه خطا وغفلة من غير اعتقاد له او قرينة
كلامه القايمة على قصده لاستخفاف ونحوه اولا او ندمه الذى يظهر على ما سبق منه
فى كلامه من غير قصد لتحقير واستخفاف ولم يزل المتقدمون من السلف وكبار الايمة
ينكرون مثل هذا الكلام ممن جا به وقاله عندهم فليحذر الشاعر وغيره من ارتكاب هذه
القبايح الشديدة الوزر العظيمة الاثم فانها ربما جرت الى الكفر نعوذ بالله من ذلك
وقد انكر الرشيد هارون ابن المهدى محمد بن منصور بن عبد الله بن عباس الخليفة
المشهور على ابى نواس الحسن بن هانى بن عبد الاول بن الصباح الحكمى الشاعر
المشهور بالفصاحة والخلاعة ولد بالبصرة ونشا بها ثم ارتحل لبغداد واتصل
بالخلفا ومدحهم وتوفى بعد تسعين ومايه سنة خمس وقيل ست او ثمان وتسعين
واحواله اعرف من ان توصف ونواس بضم النون وفتح الواو ولا يهمز لانه سمى به لانه
كانت له ذوابتان تنوسان على راسه اى تتحركان فى قوله فى قصيدة مدح الرشيد
بها وشنها فان يك باقى سحر فرعون فيكم فان عصى موسى بكف خصيب
هذا بيت من قصيدة له فى المدايح اولها وخصيب عبد للرشيد ولاه
مصر وقيل فى سبب توليته لها انه قرا يوما ما حكاه الله عن فرعون اليس لى ملك
مصر الاية فقال ما افتخر فرعون لاعطينه عبدا من عبيدى فولاه مصر وكان لابى
نواس فيه مدايح كقصيدته هذه وقصايد اخر منها قصيدة اولها انا الحف

وهذه مصر فتدفقا فكلاكما بحر وفى هذا البيت حكاية لولادة
ذكرها فى قلايد العقيان والخصيب بخا معجمة وصاد مهملة من الخصب بكسر
الخا ضد الجدب لقب له وهو معروف مشهور ومعنى البيت انه خاطب اهل مصر لما ولى
عليهم فقال يا اهل مصر ان كان عندكم بقية من سحر فرعون فقد ولى عليكم امير
المومنين من يبطله فاستعار سحر فرعون لكيدهم وتجبرهم على حكامهم وعصى موسى
لسياسة حاكمهم وقمع ظلمهم ففيه استعارة وتشبيه تمثيل بديع لكن فيه
سوء ادب لما فيه من جعل العصا التى هى معجزة لرسول الله بكف عبد من عبيد
الخلفا وجعل ذلك العبد كرسول من اولى العزم ومما يتعجب منه قول من لم يعرف
معنى البيت ولم يقف على كتب الادب او دواوينهم ان المراد بخصيب رجل كثير الخير
وانه هنا عبارة عن الرشيد نفسه وقال معناه ان اعدا امير المومنين الكفرة
الذين عندهم بقية قليلة من سحر فرعون سحروا بها جيش امير المومنين الجواد
الكثير خيره سيتلقف جنوده ما صنعوا ويلقى كيدهم فى نحورهم ثم اطال بذكر عصى
موسى وما كان فيها من معجزاته يخبط بها هشيم معان لا وجه لها وزاد فى الطنبور
نغمة من ان الكف منون وخصيب صفته وترك تنوينه لكثرة الاستعمال وتشبيه
النون بحرف العلة وانه روى خضيب بمعجمتين واعجب منه قول القايل انه بخا وضاد
معجمتين والكف الخضيب اسم نجم وكذا عصى موسى وهذا كله مما يقضى منه
العجب ومثله فى كلام البرهان ايضا ولولا ان من السكوت ما هو بلاغة لذكرنا
كلامهم وكررنا عليه بالابطال لكنى خشيت من السامة والملال وقال له اى
الرشيد لابى نواس لما انشده البيت يا ابن اللخنا هذا مما تشتم به العرب واللخنا
هنا امه من اللخن وهو النتن فاستعير للفاحشة او للمراة التى لم تختن اى يا دنى
الاصل ولييم الام استهزى بعصى موسى بجعلها فى كف عبد من العبيد وهى معجزة نبى
عظيم وامر باخراجه وطرده من عسكره من ليلته التى انشده فيها قصيدته اى امر
بالمبادرة لطرده من غير امهال الى الصباح صونا لمقام النبوة ولكن ابو نواس
لم يقصد بما ذكره سبا ولا تنقيصا واتبع الناس فى قولهم لكل فرعون موسى قال
القتيبى يعنى عبد الله بن مسلم بن قتيبة وقد قدمنا ترجمته ان مما اخذ اى ذكر
وعد عليه اى على ابى نواس وكفر به اى نسب فيه الى الكفر او قارب اى قرب من الكفر
ان لم يكن كفرا لشدة قبحه قوله فى قصيده فى مدح محمد الامين اى ابن هارون
الرشيد الذى استخلف بعد موت ابيه سنة ثلاث وتسعين ومايه وقصته
مفصلة فى التواريخ وكذا قصة خلعه وتشبيهه اى تشبيه ابى نواس للامين
بالنبى صلى الله عليه وسلم فى قوله فى قصيدة طويلة مدحه بها ومنها

تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها خلقا وخلقا كما قد الشراكان شبه تشابههما في الخلقة
والاخلاق ببردا ومتاع تنازعاه اى جذبه كل واحد منهما او طلبه وهو عبارة عن شدة
الشبه بينهما والاحمدان مثنى احمد بمعنى كثير الحمد وهما بزعمه الفاسد رسول الله صلى الله
عليه وسلم والامين واراد ان يقول المحمدين فلم يساعده النظم وقيل انه تغليب
ولا وجه له ثم اكد شدة تشابهما بقوله كما قد الشراكان فجعلها كشراكين اى سيرين
قطعا من جلد اديم واحد بمقدار واحد فهما كشئ واحد لا يتميز احدهما عن الاخر وهذا
كقولهم هما كركبتى البعير وكالحلقة المفرغة وفيه من سوء الادب ما لا يخفى للتشبيه
رجلا فاسقا سخيف العقل باكمل الخلق واجلهم عليه الصلاة والسلام وتجعلهما
كالشراكين وهما يوضعان في النعال كفر على كفر وشبه بكسر فسكون بمعنى شبه بفتحتين
قال ابن حجر وهو وان كان في غاية القبح الا انه لا يكون كفرا على قضية مذهبنا الا ان
قصد المساواة المطلقة وقد انكروا عليه ايضا اى على ابى نواس كما انكروا ما قبله
قوله في قصيدة اخرى هى من غرر قصايده اولها ايها المنتاب عن عفره
لست من ليلى ولا سمره ومنها كيف لا يدنيك من امل من رسول الله من نفره
خاطب نفسه على طريق التجريد اى كيف لا يقربك بما ترجيه وتامله كريم منسوب الى اكرم
الخلق وهو معنى حسن الا انه اسا في العبارة لان حق لرسول اى رسول الله صلى الله
عليه وسلم على من يذكره منزلته وموجب تعظيمه بالفتح للجيم ويجوز كسرها اى
ما يوجب الترغيب في تعظيمه وانافة منزلته اى رفعها على غيرها ان يضاف غيره اليه
فيقال هو من نفر رسول الله ولا يضاف هو لغيره كما فعل ابو نواس قال ابن عبد ربه
في العقد قالوا من حق رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يضاف اليه ولا يضاف
هو لغيره ولو اتسع متسع لكان له مجاز حسن وذلك لانه كقول القايل من بنى هاشم
لغيره من افنا قريش منا رسول الله يريد انه من القبيلة التى نحن منها كقول حسان رضى الله
تعالى عنه وما زال في الاسلام من ال هاشم دعايم عز لا ترام ومفخر
بها ليل منهم جعفر وابن امه على ومنهم احمد المتخير فقال من ال هاشم كما قال
هذا من نفره انتهى اقول يعنى ان اللوم انما جاه من قوله من نفره لنفرة السمع عنها لكن
من عرف نهج ابى نواس في الباس كلامه ديباج كلام غيره من القدما عرف انه لا فرق
بينه وبين قول حسان وانما نفروا من نفره لانه بمعنى التابع والخادم وهو في كلام القدما
من يفتخر به من المنافرة وهى المفاخرة والعرب تفتخر بالابا والقبايل وافتخارهم باجدادهم
امدح عندهم فهو لم يقصد ما نحوا نحوه لكنه كما قيل اسا سمعا فاسا اجابة وقال ابن
هلال في كتاب الصنعتين انه تبع قول حسان اكرم بقوم رسول الله شيعتهم
اذا تفرقت الاهوا والشيع تنبيه قال السهيلى في الروض الانف في رسالة المهلهل

بن المزرع قال على بن الاصفر وكان من رواة ابى نواس لما عمل ابو نواس هذه القصيدة
واتى بهذا البيت وقع لى انه كلام مستهجن اذ حق رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يضاف
اليه ولا يضاف الى احد فقلت له اعرفت عيب هذا البيت فقال ما يعيبه الا جاهل
بكلام العرب انما اردت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم من القبيل الذى هذا
الممدوح منه اما سمعت قول حسان ذكرم الخ وليس هذا بعيب هكذا قال ابو نواس
ولا يصح لان ما فى بيت حسان انما هو اضافة تشريف لا تعريف بخلاف قول ابى نواس
لانه ذكر واحدا واضاف اليه انتهى وقد عرفت ما فيه وقيل انه اراد بنفره منافرته
وفخره وروى ذو نفره والاولى ترك مثله فالحكم فى مثل هذا اى فى قايله وفى نسخة
مثال لهذا ما بسطناه اى بيناه مفصلا مبسوطا فى طريق الفتيا اى ان يفتى فيه
بما يستحقه على قدر شناعته قوله قال فى المصباح الفتوى بالواو بفتح الفاو بالياء
فتضم اسم من افتى العالم اذا بين الحكم واستفتيته سالته بيانه وهو من الفتى وهو الشاب
القوى وجمعه فتاوى بكسر الواو على الاصل ويجوز فتحها للتخفيف وعلى هذا المنهج
اى المسلك الذى سلكه جاءت فتيا امام مذهبنا مالك بن انس واصحابه هو مجاز
عن من اقتدى به في مذهبه ففى النوادر اسم كتاب في فقه مالك من رواية ابن ابى مريم
هو ابو بكر سعيد بن الحكم بن ابى مريم الجمحى المصرى الحافظ الثقة روى عنه البخارى
والستة توفى سنة اربع وعشرين ومايتين عنه اى رواية عن مالك فى رجل عير
اى عاب ونسب للعار رجلا بالفقر فقال الرجل تعيرنى بالفقر بحذف الهمزة اى
اتعيرنى بهذا وقد رعى النبى صلى الله عليه وسلم الغنم باجرة لاحتياجه فقال
مالك رحمه الله مجيبا لمن ساله قد عرض اى نقص تعريضا بذكر النبى صلى الله عليه
وسلم فى غير موضعه لتمثيله له بحال غيره ارى ان يودب اى يعزر لينزجر غيره
عن مثله قال مالك ولا ينبغى لاهل الذنوب اى من صدر منهم ذنب اذا عوقبوا
على ذنوبهم بمقدارها ان يقولوا اعتذارا عما صدر منهم قد اخطات الانبيا قبلنا
فشبه نفسه بالانبيا ونسب الانبيا لصدور الذنب منهم وكلاهما مما لا يليق
التكلم به وقد يودى الى القتل لانه ردة وهم معصومون من الذنوب كبايرها
وصغايرها كما مر وما نسب اليهم حسنات لغيرهم ولو سلم فهو مغفور فكيف يجعل
ذنوب غيرهم كذنوبهم فمثله لا يصدر ممن يعرف مقامهم وقال عمر ابن عبد العزيز
الخليفة الاموى العادل الذى تقدمت ترجمته لرجل انظر لى كاتبا يكون ابوه عربيا
انظر هنا بمعنى ايتنى به وعلى هذا جرى الاستعمال فهو مجاز او كناية ومراده كاتب
يكتب فى الديوان وشرط ان يكون عربيا ليكتب كتابة صحيحة ويعرف احوال
الناس فقال له كاتب له قد كان ابو النبى صلى الله عليه وسلم كافرا انما جا
بهذا وهو لم يقل له مسلما لان الكتبة فى العصر الاول كانوا من الروم والعجم نصارى

وصابئية لمعرفتهم بالحساب لانهم كانوا اهل كتاب فقال لعمرله اى للكاتب الذى جا به بهذا
اجعلت هذا الذى قلته مثلا اى جعلت كفر ابى النبى صلى الله عليه وسلم مثلا وشاهدا
لك على انه لا يشترط فى الكاتب العربيه والاسلام وتحقير ابى النبى صلى الله عليه وسلم
ولو سلم كفره فما فيه تعريض باذية النبى صلى الله عليه وسلم فسقط ما قيل انه حماقة
وجهالة اذ لا منا سبة بين عربيته اى الكاتب وكفر ابى النبى صلى الله عليه وسلم
فعزله من كتابته وقال لا تكتب لى ابدا وهذا تاديب له وتعزير حتى ينزجر امثاله عن
امثال هذه المقالة وفى ذلك اشارة الى اسلام ابويه صلى الله عليه وسلم قال ابن
حجر وهذا هو الحق بل فى حديث صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا لمن طعن فيه ان الله
احياهما له فامنا به خصوصيته لهما وكرامته له صلى الله عليه وسلم فقول ابن دحية
يرده القران والاجماع ليس فى محله لان ذلك ممكن شرعا وعقلا على جهة الكرامة
والخصوصيته فلا يرده قران ولا اجماع وكون الايمان به لا ينفع بعد الموت محله
فى غير الخصوصيته والكرامة وما احسن قول بعض المتوقفين فى هذه المسيلة
الحذر الحذر من ذكرهما بنقص فان ذلك قد يوذيه صلى الله عليه وسلم لحديث الطبرانى
لا توذوا الاحيا بسب الاموات انتهى وحديث مسلم قال رجل يا رسول الله اين
ابى قال فى النار فلما قفا دعاه فقال ان ابى واباك فى النار يتعين تاويله واظهر تاويله
عندى انه اراد بابيه عمه ابا طالب لان العرب تسمى العم ابا فانه عمه الذى كفله بعد
موت جده عبد المطلب وانه صلى الله عليه وسلم انما قصد بذلك ان يطيب
خاطر ذلك الرجل خشية ان يرتد لو قرع سمعه اولا ان اباه فى النار بدليل انه
انما قال له ذلك بعد ان ولى او كان ذلك قبل ان ينزل قوله وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا كما وقع له صلى الله عليه وسلم انه سيل عن اطفال المشركين فقال هم مع ابايهم
ثم سيل عنهم فذكر انهم فى الجنة انتهى ملخصا وقد ذكره سحنون تقدم انه فقيه مذهب
مالك الامام عبد السلام التنوخى الامام الزاهد المحدث تلميذ ابن وهب واشهب
وانه توفى لتسع خلون من رجب سنة اربعين ومايتين وهو ابن ثمان وثمانين سنة
ان يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم عند التعجب من امر مستحسن تعجب منه كما هو
عادة العوام الا على طريق ان يقصد بصلاته عليه الثواب والاحتساب اى
ان يقوله امتثالا لامر الله تعالى صلوا عليه فيفعله توقيرا له صلى الله عليه وسلم
وتعظيما كما امرنا الله تعالى لا لقصد التعجب ولا لدفع العين عما تعجب منه فانه
ليس محلا لذلك وقد تقدم الكلام عليه وان فيه كلاما للفقها وسيل القابسى
تقدم بيانه عن رجل قال لرجل قبيح الوجه كانه اى كان وجهه وجه نكير اى نكير
ومنكر الملكان المعروفان اللذان ياتيان الميت فى قبره حين يدفن عن اعتقاده
وسيل عن رجل قال لرجل عبوس تقدم ان العبوس ان يقطب الرجل وجهه ولا يبدى

بشاشة

بشاشة كانه اى كان وجهه وجه مالك الغضبان مالك اسم ملك خازن النار
ويوصف بالغضب لانه موكل بمن غضب الله تعالى عليه فيتلقاهم بصورة
الغضب فقال القابسى فى جوابه اى شى اراد القايل بهذا الكلام الذى قاله
ونكير اسم احد فتانى القبر وهما ملكان خلقهما الله تعالى للسوال فالفتانان هما
ملكا السوال سميا فتانين فى الحديث من الفتنة واصل معناه الامتحان والاختبار
لانهما يختبران ما فى قلب الميت من عقيدته وايمانه فما الذى اراد القايل بكلامه
اروع اى خوف وفزع دخل عليه اى وقع فى قلبه حين راه لشدة قبحه من وجهه
متعلق بدخل وبروع اى من رويته وجهه ام عاف النظر اليه بعين مهملة وفا اى
كرهه واستقذر منظره فكره النظر اليه لدمامته بدال مهملة وميمين بينهما
الف بوزن قباحته ومعناها وهو المراد والذمامة بالمعجمة من الذم وذكر المعايب
وهو جايز هنا ايضا يقال رجل دميم وذميم بمعنى قبيح ومذموم خلقة بفتح فسكون
اى خلقته فان كان هذا المذكور من انه عافه وكرهه فهو شديد فى القبح مما قبله
لانه جرى مجرى التحقير والتهوير بمثناة فوقية وها وواو ومثناة تحتية ساكنة
ورا مهملة الوقوع فى امر بغير مبالاة به وفى نسخة بنون بدل الرا وهى غير مناسبة
لانه حينيذ يكون من الاهانة لكن فى ورود التهوين بهذا المعنى نظر فهو مجاز وفى
نسخة التوهين بتقديم الواو على الها ومعناه التضعيف من الوهن وعلى كل حال
فيه ركاكة لا تخفى فهو اشد عقوبة بمن اراد انه حصل له فزع منه لما فيه من تحقير
ملك من الملايكة وليس فيه تصريح بالسب للملك وانما شبه به فى انه كرهه
ولا شك ان كل احد يكره الموت وما معه بالطبع فى اكثر العوام وليس فى مثل
هذه الكراهة تحقير وانما السب واقع على الرجل المخاطب بهذا الكلام لا على الملك
وليس فى قوله كان وجهه مواجهة بالخطاب فاما ان يكون قال له كان وجهك
فحكى القابسى معناه او المص يجوز به عن الكلام الملقى فى حق غيره مطلقا ممن يصلح
للخطاب وفى الادب اى التاديب بمعنى التعزير بالسوط اى الضرب به والسجن بفتح
السين وكسرها كما مر اى الحبس نكال السفها فهو على انواع مفوضة للحاكم والنكال
العقوبة والسفها جمع سفيه من السفه وهو الخفة ممن عقله سخيف قال القابسى
واما ذاكر مالك خازن النار بما تقدم وذاكر اسم فاعل من الذكر بمعنى قايل لما تقدم
من تشبيه المعبس وجهه به فقد جفا اى غلظ طبعه وقل ادبه او هو من جفات
القدر اذا رمت زبدها ووسخها اى رمى الملك الذى ذكره بما قاله من ان وجهه
كوجه مالك الغضبان عند ما انكر من عبوس الرجل الاخر المقول له ما مر الا ان يكون
الرجل المعبس له يد اى قدرة وتسلط بالقهر كالسلطان فيرهب بالبنا للفاعل والمفعول
بعبسته وفى نسخة بعبوسه اى يخاف منه اذا عبس فيشبهه القايل كان وجهه

وفي نسخة فشبهه على طريق الذم لهذا الذي يدا ولهذا الاولان شي الناس من يجاف الناس شي
في فعله ولزومه في ظلمه وفي نسخة في صفته والظاهر انها هي الصواب لان الظلم لا يناسب
قوله انه اثنى عليه صفة مالك الملك خازن النار المطيع لربه في فعله لان الملايكة
كلهم لا يعصون الله ولا يفعلون الا ما يومرون فيقول اذا عصاه احد كانه لله يغضب
غضب مالك اي كغضب مالك فانه لا يغضب الا على من غضب الله عليه واراد عقابه
فيكون اذا قصد هذا اما قاله اخذ واقل وزرا من غيره ولما استشعر انه اذا اراد
ان يغضب لله لا قبح فيه اصلا اجاب بقوله وما كان ينبغي له التعرض لمثل هذا وفي
نسخة التعريض بمثل هذا والذي ينبغي ترك التشبيه بالملايكة لاحاد الناس
ولو كان هذا القايل اثنى على العبوس بفتح العين صيغة مبالغة كجهول بعبسه واحتج
بصفة مالك وهي عبوسه كان قوله هذا اشد مما قبله ويعاقب عليه المعاقبة
الشديدة لجرمه الشديد وليس في هذا الكلام مطلقا او فيما اثنى به احتجاجا بصفة
مالك ذم للملك وقصده ذم من خاطبه لا غيره ولو قصد ذمه اي ذم الملك لقتل
هذا مذهب مالك وعند غيره يودب ويستتاب فان تاب والا قتل ولا يخفى ما في كلام
المصنف هنا وانه كلام مشوش محتاج للتنقيح والتهذيب بان يقول وعن القابسي فيمن قال
لقبيح كانه وجه نكير ولعبوس كان وجه مالك الغضبان انه لا يكفر اذ لا تصريح
فيه بسب الملك وانما السب فيه للمخاطب بل يعاقب العقاب الشديد فان قصد
ذم الملك قتل وما ذكره ظاهر ويوخذ من كلامه هنا ان ذم بعض الملايكة وتنقيصه
كذم الانبيا وتنقيصهم وهو ظاهر وصرح به اخر الكتاب وقال ابو الحسن القابسي ايضا
كما قال في المسيلة المذكورة في شاب معروف بالخير اي الصلاح والدين وصفه بهذا
بيانا للواقع وانه لم يقصد تحقير النبي صلى الله عليه وسلم بقوله الاتي قال
لرجل شيا يتعلق بالعلم والدين فقال له الرجل اسكت نجاه الله عن قوله فيما لا يعلمه
الا العلما فانك امي بضم الهمزة وقد تكسر وتقدم انه هو الذي لا يكتب ولا يقرا الخط
نسبته الى امه العرب لاشتهارهم بذلك او الى الام لانه كان خرج من بطن امه فقال
الشاب اليس كان النبي صلى الله عليه وسلم اميا وهو اعلم الناس والاستفهام
فيه تقريري فشنع بينا المعلوم وفاعله ضمير الرجل والناس على التنازع او المجهول
اي قبح وذم فقال انه امي وكفره الناس بمقاله هذا اجهلا منهم بما اطلقوه واشفق
الشاب اي خاف على نفسه ودينه لانه كان صالحا دينا مما قال واظهر الندم عليه
اي على صدور هذا المقال منه خوفا مما يترتب عليه في الدنيا والاخرة فقال ابو الحسن
القابسي لما سيل عنه اما اطلاق الكفر عليه فخطا لان الله وصفه صلى الله
عليه وسلم به في القران في قوله الذين يتبعون الرسول النبي الامي الاية وهو لم
يقصد بذلك ذما ولا تنقيصا لكنه مخطي في استشهاده اي اتيانه بشاهد اي

نظير الحالة بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وهو كونه اميا مثله في صفته وبينهما
من الفرق ما بين السماء والارض فلذا قال وكون النبي صلى الله عليه وسلم اميا اية له
اي معجزة باهرة وفضيلة ظاهرة وكون هذا الشاب المذكور اميا نقيصة فيه اي صفة
نقصية بجهله وجهالته لعدم علمه وقرانه وياتي بيانه مبسوطا اي ولو كان كاملا
فاضلا قرا وكتب فكيف شبه صفته الناقصة بصفة النبي صلى الله عليه وسلم
الكاملة ومن جهالته الظاهرة استشهاده وتمثيله واحتجاجه على حسن اميته
وعدم منافاتها للخوض في العلوم بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وكيف تستوي
اميته بامية غيره وقد اتى بعلوم لا تحصى واخبر عما سلف من احوال الامم وعما هو ات
وهو في امة امية ولم يخرج من بينهم ولا تعلم من احد ولذا كان ذلك من اعظم
معجزاته صلى الله عليه وسلم كما قال كفاك بالعلم في الامي معجزة
في الجاهلية والتاديب في اليتم وتقدم ما فيه فاستشهاده بذلك لجهله
فهو معذور لا يكفر بقوله هذا لكنه اذا استغفر الله لعلمه بانه مذنب وتاب بندمه
وعزمه على ان لا يعود لمثله واعترف بذنبه وانه مخطي ولجا اي استند ورجع الى الله
هاربا وفارا الحق فيترك ولا يواخذ ولا يعاقب ويزجر لان قوله هذا ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان اميا من غير قصد تنقيص لا ينتهي ويصل الى حد العقوبة بالقتل
وما طريقه الادب اي ما يستحق فاعله التاديب دون القتل فطوع اي تطوع
فاعله بالندم عليه مبادرا معترفا بخطايه والتوبة والندامة توجب الكف
عنه وتركه من غير معاقبة له ونزلت اي وقعت والنوازل هي الحوادث التي تطرا
ايضا كهذه مسيلة استفتي فيها بعض فقها الاندلس شيخنا القاضي ابا محمد
منصور الذي تقدمت ترجمته في رجل تنقصه اخر بشي اي عابه وذمه به فقال
له انما تريد نقصي بذلك الذي قلته وانا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي
صلى الله عليه وسلم فانه بشر يلحقه ما يلحقهم والكمال المنزه عن النقص انما
هو لله عز وجل فافتاه اي افتانا في هذا القايل باطالة حبسه في سجنه زجرا له
ولامثاله وايجاع ادبه اضافة الايجاع وهو الايلام بضربه تعزيرا له اي ادبه
يعني تاديبه من اضافة المصدر لفاعله او هو من اضافة الخاص للعام اذ لم يقصد
بما قاله السب لكنه لخطا في استشهاده كما مر وكان بعض فقها الاندلس افتى بقتله
فخالفه ورد فتواه فصل الوجه السادس من وجوه ذكر ما فيه تنقيص له صلى الله
عليه وسلم ان يقول القايل ذلك حاكيا له عن غيره واثرا بمد الهمزة ومثلثة مكسورة
وراء مهملة اي ناقلا له عن سواه من قولهم اثرت الحديث اذا رويته ونقلته فهذا
الحاكي الناقل ينظر في صورة حكايته الظاهرة من سياقه وقرينة مقالته القايمة
على قصده عند نقله ويختلف الحكم الذي يحكم به باختلاف ذلك باختلاف الصور

والقراين على اربعة وجوه من الاحكام الوجوب والندب والكراهة والتحريم وهو بدل
مما قبله بدل بعض او كل ويجوز رفعه ونصبه وهذا اجمال فصله بقوله فان كان هذا الناقل
اخبر به على وجه الشهادة اثباتا او نفيا والتعريف بحال قايله وصفته والانكار عليه
فيما قاله والاعلام بقوله ليحكم عليه بما يقتضيه والتنفير منه حتى يجتنب ويطرد
والتجريح له بالطعن فيه وبيان عيوبه وروي التجريح بتقديم الحا المهملة على الجيم اي
التفسيق والتاثيم فهذا اي النقل على هذه الوجوه المذكورة مما ينبغي امتثاله اي الاتيان
له وقبول نقله ويحمد فاعله اي يعد ممدوحا محمودا في فعله وكذلك حكمه ان حكاه في كتاب
الفه او ارسله لغيره او حكاه في مجلس يحضر من الناس على جهة الرد له ببيان انه مخطي
فيه قايل لما لا ينبغي والنقض على قايله بضاد معجمة اي الابطال لمقاله بالحجج او ذكر للفتيا
بما يلزمه بيانه شرعا وهذا المذكور للرد والنقض والا فتيا بما يلزمه بيانه منه ما يجب
ذكره وبيان حكمه ومنه ما يستحب بيانه بحسب بفتح السين اي على قدر حالات الحاكي
لذلك فيما يحكيه والمحكي عنه بحسب ما يعلم من حاله وقراين مقاله وهذا الى هنا
اجمال الحالات الاربعة وهي معلومة منه وما قيل من انه لا يعلم منه الوجوب صريحا
وقوله حكاه في كتاب او مجلس لا يساعده كلامه واه غني عن الرد ثم فصله بقوله فان كان
القايل ممن حكاه او حكى عنه ومنهم بعضهم بالحاكي واخر بالمحكي عنه والاولى تعميمه لما
كما يقتضيه ما بعده لذلك القول المذكور لذلك القول المذكور ممن تصدى اي انتصب
وتقيد لان يوخذ عنه العلم لانه من اهله الذين يتلقى عنهم لكونه شيخا او مفتيا او رواية
الحديث عنه لاخذه له عن اهله او يقطع بحكمه لانه حاكم مفوض اليه الحكومة او شهادة
لشهرة عدالته او فتياه في الحقوق لفقاهته وتصدره للافتا بحق وجب على سامعه اذا سمع
مقاله حكما او افتا الاشادة بما سمع منه برفع ذكره والاشادة بكسر الهمزة وشين معجمة
ودال مهملة اي الاشهار بذكره وتشييعه بين الناس واصله رفع البنا ثم استعير
لرفع الصوت وتوسع فيه فاريد به الشهرة مطلقا فسقط ما قيل من انه ينبغي
ان يقول الاعلام الذي هو اعم من الاشادة وتنفير الناس عنه تحذيرا منه والشهادة
عليه بما قال ليجتنب او يجري عليه احكامه ووجب على من بلغه ذلك الذي سمعه
منه من ايمة المسلمين انكاره وبيان كفره بسبب مقاله وفساد قوله لبطلانه وينقل
هذا ويشاع ليقطع ضرره عن المسلمين بزجره وغيره مما يستحقه وقياما بحق سيد
المرسلين للانتصار له والانتقام ممن تصدى في حقه وكذلك يجب ما ذكر ان كان
قايله ومبلغه ممن يعظ العامة ويذكرهم بنصحه لهم او يود ب الصبيان بتعليمهم
وغيرهم فان من هذه الخصلة التي يتعرض بها سريرته اي مما يضمره في نفسه فيرشح به
كلماته وكلا انا بالذي فيه يرشح لا يؤمن على القا مثل ذلك في قلوبهم اي قلوب من ذكر
من العامة او الصبيان الذين يتقبلون ما يلقى اليهم لعدم معرفتهم وتعدد بصيرتهم

فاذا كان

فاذا كان من صدر عنه هذا حاله فيما ذكر من هولا الايجاب اي ايجاب انكاره واشاعة
فساده لحق النبي صلى الله عليه وسلم على كل احد لا سيما الحكام ولحق شريعته التي
يجب الذب عنها وحمايتها ما امكن وان لم يكن القايل بهذه السبيل اي لم يكن ممن يوخذ
عنه العلم والحديث والفتوى فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب
ذبا عن مقام النبوة وعظيم منزلتها وحماية عرضه الشريف متعين لاتيها وزعيه
مسلم ونصره ضمنه معنى حمايته فلذا قال من الاذى اي ما يوذيه حيا وميتا اي في حالة
موته وحياته مستحق بصيغة المفعول اي واجب على كل مومن فهو فرض على كل من بلغه
خلافه لكن اذا قام بهذا المذكور من الحماية والذب عنه من ظهر الحق بقدرته على اجرا
حكمه فيه وفصلت به القضية اي وقع حكم له فاصل بين الحق والباطل بقوله وبان به
الامر اي ظهر ما يستحقه واقيم عليه ما يستوجبه سقط عن الباقي اي عن بقية الناس
الفرض الذي وجب عليهم لانه فرض كفاية لا فرض عين وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة
عليه على من صدر منه مثله مما لا يليق وعضد بسكون الضاد المعجمة من عضده اذا
قواه ونصره التحذير منه اي من قايله وقوله وهذا احد الاقوال في فرض الكفاية
اذا قام به البعض عن غيره وسقط عنه الوجوب هل يبقى استحبابه وندبه او اباحته
وجوازه وهذا مبني على انه هل يجب على الجميع ابتدا او على بعض غير معين والكلام فيه
مقرر في كتب اصول الفقه وليس هذا محل تفصيله وقد اجمع السلف المتقدمون
من علما المحدثين على بيان حال المتهم بالكذب في الحديث النبوي من رواته وكيف
بمثل هذا المتهم بالغض عن مقام النبوة وتنقيصها فالاعتنا بذاته الشريفه
صلى الله عليه وسلم الزم منه بحديثه وقد سيل الشيخ ابو محمد بن ابي زيد تقدمت
ترجمته عن الشاهد اي من تقبل شهادته يسمع مثل هذا الكلام الذي يستحق قايله
ما مر في حق الله ايسعه اي يحل له ويجوز فهو مجاز بتشبيه قوله ان لا يودي شهادته
بحل ذا سعته اي ان لا يقيم الشهادة عليه عند حاكم يقتضي عليه بما يستحقه قال
ابن ابي زيد ان رجا اي ظن ظنا راجحا او علم نفاذ الحكم اي ان يمضي الحاكم بشهادته عليه
فليشهد اي يلزمه الشهادة بما سمعه وكذلك يلزمه الشهادة ان علم ان الحاكم
الذي تقام عنده الشهادة لا يرى القتل بما شهد به اي مذهبه ان القايل لا يستحق
القتل عنده ويرى انه انما يستحق الاستتابة اي طلب التوبة منه والادب اي
التعزير دون القتل وقوله فليشهد ويلزمه ذلك تاكيد لما فهم من قوله كذلك وهذا
مذهب الامام مالك ومذهب غيره انه يلزمه الشهادة مطلقا وان لم يكن يدعى
عليه لانه لا يلزم طلب الشهادة في حقوق الله وما ورد من الذم في حق من شهد ولم
يستشهد محمول على حقوق العباد واما الاباحة لحكايته قوله الذي فيه سب وتنقيص
للانبيا عليهم الصلاة والسلام اي جوازها وحلها لغير هذين القصدين من انكار

والتنغير عنه والتجريح والنقص والافتا كما تقدم فلا ارى واعتقد لهما مدخلا في الباب
الذي يجب به صيانة مقام النبوة فليس للتفكه اي التحدث على طريق التلهي به واجرا المضاحه
مستعار من تناول الفاكهة ولا يا باه وروده بمعنى التعجب والتندم وان سلم عدم
ثبوته بهذا المعنى فلا وجه لما قيل انه ينبغي ان يقول التفكاهة بالضم لا بالفتح كما
في المصباح بعرض النبي صلى الله عليه وسلم والعرض ما ينبغي صيانته من كل احد
والتمضمض اي اجراوه على فمه ولسانه مستعار من تمضمض بالما اذا غسل به داخل
فمه فشبه الكلام بالماء وادارته في فمه بالمضمضة وهو احسن من قول العرب تمضمضت
عينه بالنعاس كما في الاساس بسوء ذكره اي بما فيه سو لاحد متعلق بمقدر اي جايزا
لاحد لانه يجب تعظيمه واحترام مقامه حماه الله تعالى عن كل سوء لا ذاكراله بلفظه
ولا اثرا اي ناقلا وراويا له عن غيره لغير غرض شرعي كالرد والتنغير ونحو مما تقدم
مباح وجايز وهو متعلق بذاكر والخبر لاحد وهو خير واليا زايدة لتاكيد النفي وهذا
اولى واما ذكره للاغراض المتقدمة من الشهادة عليه عند الحاكم والانكار ونحو
مما تقدم بيانه فمتردد اي داير ومنقسم بين درجتي الايجاب اي كونه واجبا عليه والاستحبا
اي كونه مستحبا العدم قصد قايله او قيام غيره به ودخل فيه الكراهة لانها تعلم
من الاباحة بالطريق الاولى فلا يتوهم انه لم يستوف الاقسام الاربعة التي ذكرها ثم
استدل على ما ذكره فقال وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين الذين كذبوا عليه على
ورسله في كتابه الكريم في مواطن كثيرة على وجه الانكار لقولهم الذي اختلقوه وعلى وجه
التهديد من كفرهم منه ومن مثله وعلى وجه الوعيد عليه بعقابهم في الدارين وعلى وجه
الرد عليهم بابطاله ونقضه بما تلاه اي ذكره سبحانه تنزيها ولا يخفى موقعه هنا
علينا في محكم كتابه اي كتابه المحكم الذي لا يقبل التغيير والتحريف وذكره هنا لانه
لا يقبل النسخ كالقصص وكذلك اي كما وقع في القران وقع من امثاله وفي نسخة
في امثاله في احاديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة اسنادا ومتنا على الوجوه
المتقدمة من الانكار والتحذير ونحوه او الوجوب واجمع السلف والخلف من ايمة
الهدى الذين هدوا واهتدوا على حكايات مقالات الكفرة والملحدين المايلين عن الحق
من الزنادقة والمنافقين في كتبهم اي كتب الايمة التي صنفوها ومجالسهم اي مجالس
وعظهم ومحادثتهم ليبينوها حتى يعلموا ما فيها من الفساد فيجتنبوها وينقضوا اي
يبطلوا شبهها جمع شبهه ويردوها عليهم وان كان ورد اي نقل ما يخالفه للامام
احمد بن حنبل ايضا اي كما نقل عن غيره انكار لبعض هذا اي انكار حكاية هذا المذكور
عن الكفرة وامثالهم مطلقا مما اجازه غيره على الحارث بن اسد وهو المعروف بالمحاسبي
صاحب التاليف المشهورة وقد قدمنا ترجمته فقد صنع الامام احمد مثله اي ذكر
ما صنع المحاسبي من ذكر مقالات هولا في كتاب الرعاية له في رده اي الامام احمد

على الجهمية وهو جهم بن صفوان واصحابه من المبتدعة واصحاب المذاهب الباطلة
والعقايد الفاسدة وجهم هذا هلك في اخر عصر التابعين قال الذهبي في الميزان
ما علمته روى شيا لكنه زرع شرا عظيما وجهم يلقب بابي محرز وهو سمرقندي
وكان جبريا يرى ان الانسان لا يقدر على شيء ولا استطاعة له ولا اختيار وافعاله
يخلقها فيه وتنسب اليه مجازا ويقول ان الجنة والنار يفنيان وعلى القايلين بالخلق
وفي نسخة بان القران مخلوق من المعتزلة وفي كثير من النسخ وبالمخلوق وذكر فيها التلمساني
احتمالات منها مخلوقية القران ومنها ان يراد ان المخلوق قديم وهو قول الفلاسفة
والظاهر ان المراد خلق فعال العباد من غير كسب وهو الجبر وما ذكره المحاسبي في هذه
الوجوه السايغة بسين مهملة وغين معجمة اي الجايزة الحكاية عنها هو مرفوع فاعل
السايغة كمقالات الكفرة ولا وجه لانكار هذه الحكاية فاما ذكرها اي الاقوال
السايغة على غير هذا الوجه من الرد والابطال لوجوه مما مر من حكاية سبه صلى الله
عليه وسلم ممن وقع منه والازرا اي الاحتقار بمنصبه العلي ومقامه الرفيع
على وجه الحكايات اي القصص التي يقصها عوام الناس والاسمار اي التلهي بها
جمع سمر وهو الحديث ليلا للمنادمة والمحاورة واصله ظل القمر لانهم كانوا يتحدثون
فيه وجوز بعضهم كسر همزته مصدر لانه يقال سمر واسمر بمعنى والطرف بطا وراء
مهملتين وفا بوزن غرف جمع طرفة وهي الامر المستطرف اي المستحسن المستجاد وهو
حقيقة في الكلام مجاز في غيره كالمال المستفاد مما لم يسبق مثله وقيل انه بفتحتين
بمعنى طلاقة اللسان وهو تحريف واحاديث الناس جمع احدوثة وهو ما يحدث
على طريق ويكون جمع حديث على خلاف القياس والمناسب هنا الاول ومقالاتهم في الغث
والسمين اي في المعتد به وغيره واصل الغث بفتح الغين المعجمة وتشديد المثلثة
معناه المهزول ضد السمين فاستعير لما ذكر وفي كلام ابن عباس رضي الله عنهما غثك
خير من سمين غيرك قاله لابنه حين قال له اذهب لابن عمك عبد الملك وهو الكلام
الجامع لاختلاف الدلالات حسنا وقبحا اذ الغث الهزيل كامر ومضاحك المجان جمع
ماجن وهو الذي يعتاد الهزل والسخرية من غير مبالاة واصل المجون غلظ الوجه ومضاحك
جمع مضحكة وهو ما يضحك منه او به ونوادر السخفا جمع نادرة او نادر وهو الامر
المستغرب لقلة وقوعه والسخفا بخا معجمة وفا جمع سخيف وهو الرقيق العقل والدين
والخوض في قيل وقال ومشيه بقوله وما لا يعني بفتح اوله اي ما لا يهتم ويعتنى به
وفي الحديث من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه قال في النهاية في الحديث نهى عن قيل
وقال اي عما يتحدث به فيقال كان كذا وقيل كذا فيقولان من فعلين ماضيين فيحكى
على انه فعل مع الضمير ويعرب فتدخل عليه الالف واللام ومعناه كثرة الحديث
بما لا يعني وقيل قال الابتدا وقيل الجواب والمعنى ما لا يعلم ولا حقيقة له وقيلها

مصدران يقال قال قولا وقيلا بمعنى فهما اسمان وفيه كلام فى المطالع فيجوز فتحهما وجرهما
منونين والخوض اصله دخول الماء فاستعمل بمعنى مطلق الدخول فمحل هذا المحكى من السب
وما بعده ممنوع غير جايز شرعا وبعضه اشد فى المنع والعقوبة من بعض باعتبار شدة
قباحته تتفاوت مقاماته فما كان من قايله الحاكى له عن غيره على غير قصد به لسبب
او غير معرفة بمقدار ما حكاه فى قباحته شدة واشدية او لم يكن عادته حكايته وانما
وقع منه نادرا او لم يكن الكلام الذى حكاه من البشاعة بيا موحدة اى القبح حيث هو
هنا مضافة للجملة فهو مبتدا خبره محذوف اى هو كريه ومستقبح وحيث ظرف مكان و لا يضاف
الى الجملة من ظروف المكان غيره اى يكون فى مقام لا يقتضى بشاعته للعلم بانه لم يقصد به
ازرا وان كان ظاهره كذلك ولم يظهر على حاكيه استحسانه وانما ذكر لانكاره والتنفير
عنه واستصوابه اى عده صوابا يعتقده فاذا كان كذلك زجر ووبخ حاكيه عن ذلك
اى حكايته له ونهى عن العود اليه وان لا يتلفظ به مرة اخرى صونا لمقام النبوة وان قوم
مشدد الواو ومبنى للمجهول اى ارشد للانتقام فيما يحكيه ببعض الادب اى تعزير
خفيف يليق به غير الزجر فهو مستوجب اى مستحق له اى للتاديب لتكلمه بما لا يليق
بمنصب النبوة وان كان حاكيا عن غيره وان كان لفظه من البشاعة حيث هو كان الادب
اشد وقد حكى ان رجلا سال مالكا رحمه الله عمن يقول القران مخلوق وهو بمعنى الالفاظ
المتلوة عند الاشعرى كذلك لكنه يوهم انه من الاختلاق بمعنى الافترا فقال الامام
مالك قايله كافر فاقتلوه وقد نهى عن هذا السلف لان ظاهره انه ليس كلام الله
ففيه تعريض بتكذيب النبى صلى الله عليه وسلم والكلام فى هذه المسيلة لشهرته
غنى عن البيان ويا تى الكلام عليه ايضا فى الباب الثالث عند ذكر المص لكلام مالك
جازما به فقال له ذلك القايل انما حكيته عن غيرى وحاكى الكفر ليس بكافر فقال مالك
انما سمعناه منك فانت متلبس بالحكاية بما لا يليق يحتمل انك تظهر سرك لك وهذا
المذكور من كلام مالك رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ اى التشديد فى الانكار عليه
بدليل انه لم ينفذ بالمعجمة قتله اى لم يحكم به حكما قطعيا فان المذهب انه لا يقتل مثله
وانما يقتل من انكر امرا معلوما من الدين بالضرورة فيما روى من حديث من قال القران
مخلوق فهو كافر لم يثبت مع انه لو ثبت فهو مأول عندهم وان اتهم هذا الحاكى فيما حكاه
بانه اختلقه اى اخترعه ولم يقله غيره فيحكى عنه وهو يعتقده ونسبه الى غيره بحكايته
عنه خوفا من المواخذة به او كانت تلك عادة له بان يكثر من ذكره ونوعم انه حاك له
او ظهر حال نقله استحسانه لذلك وانه لا محذور فيه او كان مولعا بمثله بفتح
اللام اسم مفعول الولع بالشى الاكثار منه مع اظهار الميل له وانه يحبه والاستحسان
اى عده هينا عنده لا محذور فيه او التحفظ اى حفظه كثيرا لمثله مما هو قبيح كرهه
او طلبه ممن يعرفه حرصا عليه وكثرة روايته اشعار هجوه صلى الله عليه وسلم الذى

هجاه به

هجاه به المشركون مما ذكره اهل السير وسبه المنقول عن المشركين فحكم هذا الحاكى حكم
الساب من غير حكاية له نفسه لا حكم الحاكى وحكمه انه يواخذ بقوله مما يستحقه الساب
ولا تنفعه نسبته لقوله ما حكاه فيبادر بقتله كالساب قال ابن حجر وما ذكره من
المبادرة بقتله اى ان لم يتب ويعجل الى انها وتبا اى يعجل بدخوله النار والهاوية من اسما
جهنم ويقال هوت امه فى الدعا بالهلاك وقوله امه فيها اقوال فقيل معناه ماواه
لانها كالام التى ياوى لها اوراسه لانها ام دماغه وهمزة مضمومة وتكسر وهو نايب
الفاعل مرفوع او مجرور بدل من الهاوية وقد قال ابو عبيد القاسم بن سلام بتشديد
اللام وقد تقدمت ترجمته من حفظ شطر بيت اى نصفه مما هجى به النبى صلى الله
عليه وسلم فهو كفر اى هجوه كفر فالضمير راجع لما علم من هجى او كفر بمعنى كافر بالغة
وما ذكره من الكفر ظاهر عند الرضى بذلك او استحسانه لا ان قصد به غير ذلك قاله
ابن حجر وقد ذكر بعض من الف فى الاجماع اى القول المؤلف المجمع فيه ما وقع عليه الاجماع
من المجتهد ومن ايمة الدين اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجى به النبى صلى الله عليه
وسلم وكتابته وقرائته وحده او مع غيره وتركه متى وجد معطوف على روايته اى
يحرم ان لا يمحى فيترك دون محو اى ازالته مما كتب بمحو ونحوه كاحراقه وما ذكر عن الاجماع
محله فى روايته لغير غرض مسوغ لذلك ورحم الله اسلافنا المتقين المتحرزين الذين
يحذرون مثله خوفا منه فهم صاينون لدينهم اى يحفظونه فقد اسقطوا من
احاديث المغازى والسير ما كان هذا سبيله اى الاشعار التى وردت على هذا الطريق
اى متضمنة لهجوه كما فى سيرة ابن اسحاق وغيره من المتقدمين وتركوا روايته صونا
لالسنتهم من النطق بمثله وكتابته الا اشياء ذكروها يسيرة اى قليلة وغير
مستبشعة اى لا قبح فيها ولا سب هضما لمقامه كما فى سيرة ابن هشام وفى نسخة
مستشنعة بنون بعد الشين المعجمة على نحو الوجوه الاول اى ذكرت حتى ينفر ويحذر
من قايليها كما تقدم اولا ليروا نقمة الله تعالى بضم اليا التحتية والرا اى ليظهروا ما ذكر
معها انتقام الله من قايليها كاصحاب القليب وغيرهم واخذه اى اخذ الله بهلاكه
المفترى عليه بما فى هجايه بذنبه وهو هجوه وذكره بما لا يليق لبعض المقاخرين تخرج
من كلامه ان ذكر الاخبار المدخولة حكاية كانت او استشهادا غير ممتنع اذا اقترن
بالذكر قصد جميل كالتاسى والتحقيق فى الاستشهاد والرد وليتبين ما لله عز وجل
فى ذلك من الحكمة فى الحكاية انتهى وهنا ابو عبيد القاسم بن سلام جعله كالحاضى
لشهرة كتبه فاشار اليه قد تحرى بالحا المهملة اى تثبت فيما اضطر الى الاستشهاد
اى التجا اليه للضرورة المقتضية لذكره لتوقف امر عليه فيما يقصه منها اى جميع
هجية وهى ما هجى به من القصايد اشعار العرب فى كتبه التى الفها والمراد غير هجو النبى
صلى الله عليه وسلم فكنى عن اسم المهجو ليس المراد بالكناية هنا مصطلح

اهل المعانى ولا التورية عنه كما توهم بل عادتهم كما فى شعر المتنبى وغيره انه يعبر عن عتبة
مثلا بفعله الذى هو ميزانه التصريفى وهو كثير فى الشعر يعرفه من له المام بالادب
والكتابة بمعناها اللغوى وقد ذكره الرضى فى باب الضماير ولهذا قال بوزن اسمه
كقول المتنبى كان فعلة لم تملا مواكبها ديار بكر ولم تخلع ولم تهب
اراد فعلة خولة استبرا لدينه اى طلبا لان يكون دينه بريا من تنقيص احد والخوض
فى عرضه بالتعيين وتحفظا اى حفظا وصيانة لنفسه من المشاركة فى ذم احد
ممن هجى بروايته لما هجى به او نشره اى اشاعة ذكره وهذا فى حق احاد الناس فكيف بما يتطرق
الى عرض سيد البشر المبرا من دنس النقايص صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وهذا
كما يقال سبك من بلغك والحاكى احد الشاتمين فصل الوجه السابع ان يذكر
ما يجوز على النبى صلى الله عليه وسلم بما ليس فيه نقص وما يختلف فى جوازه عليه
من بعض العوارض البشرية كما قال وهو ما يطرو اى يحدث عروضه له من الامور
البشرية به وتمكن اضافته اى وصفه ونسبته اليه على وجه يليق به وفى نسخة
اضافتها او يذكر ما امتحن به اى ابتلى به من امور الدنيا زيادة لاجره وصبر فى ذات الله
اى لاجل الله ابتغا لرضاه لا لعجز منه ولا لغرض اخر هذا معنا هذا اللفظ والمراد
هنا وتحقيقه ان ذات فى اصل وضعه مونث ذو بمعنى صاحب ثم توسع فصحا
العرب فيه قديما فاستعملوه بمعنى الجهة والجانب الذى يقصد ويتوجه اليه كانه
صاحب القصد لتعلقه به ثم شاع فى كل ما يتعلق بشئ ما ومنه الحديث الوارد
فى حق ابراهيم الخليل المتقدم لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات فى ذات الله
اى فيما يتعلق بالرب جل وعلا ولاجله فجاءها من هنا معنى التعليل ومنه قول
خبيب رضى الله تعالى عنه الذى رواه البخارى فى صحيحه وغيره ولست ابالى
حين اقتل مسلما على اى شئ كان لله مصرعى وذلك فى ذات الاله وان يشا
يبارك على اوصال شلو ممزع كذا حققه ابن السيد وغيره من ايمة اللغة وهو
المعول عليه واما استعماله فى النفس والحقيقة فلم يصح عن العرب ولذا قيل انه
غير صحيح واطلاقه على الله مع انه مونث غير جايز وقولهم فى النسبة اليه ذاتى لحن
كقولهم صفاتى وهو من اصطلاح المتكلمين وغلطهم وقول ثعلب فى قوله تعالى ذات
بينكم معناه عند الكوفيين حالة بينكم وقال الزجاج حقيقة وصلكم لا دليل فيه
لما استعمله المتكلمون فلا يصلح للرد على من خطاهم فيه كما توهم وتفسيره به هنا غير
مستقيم ومن هنا بطاعة الله وانقياده لما يريده لم يبعد عن الصواب على شدته من مقاسا
اعدايه اى صبر على شدايد قاسيته من اعدا الدين واذاهم له اى شدة اذيتهم له صلى الله
عليه وسلم ومعرفة ابتدا حاله حين بعث ودعا الناس الى الله وسيرته وما لقيه
من بوس زمانه اى شدايده ومر عليه من معاناة اى عناه وتعبه فى معيشته او معاناته

يعنى ملابسته ومباشرته والمعيشة ما يعاش به يعنى تحمله وصبره على لأوايها وضيقها
كل ذلك اى فيذكر هنا على طريق الرواية ومذاكرة العلم ليقتدى به ويعلم شرف
نفسه ومعرفة ما اى امر صحت منه العصمة للانبيا لحفظ الله تعالى لهم عن كل سوء
وتبريتهم من كل نقص والعصمة تقدم انها خلق ما يمنعه عن المعصية باختياره لا بالجاء
ولذا قال الماتريدى انها لا تزيل المحنة اى الابتلا فانها مجرد لطف من الله كما فصل
فى علم الكلام وما يجوز عليهم فيذكر لمعرفته لا للازرا به عليهم فهذا المذكور هنا
خارج عن هذه الفنون الستة التى ذكرت قبله والفن بمعنى النوع اذ ليس فيه غمص
ولا نقص تفسير للغمص بغين معجمة وميم ساكنة وصاد مهملة اى شين وعيب ولا ازرا
ولا استخفاف اى اهانة وتحقير لا فى ظاهر اللفظ الذى قاله ولا فى مقصد اللافظ
به على الوجه الذى بينه لكن يجب ان يكون الكلام فيه اى فى ذكر ما قاساه صلى الله
عليه وسلم من الشدة والبوس فى ابتدا امره مع اهل العلم الراسخين فيه بحيث
لا تزلزلهم الشبه وفهما طلبة الدين بزنة علما جمع فهم او فهيم اى الشديد الفهم
الذى يعرف حكمة ذلك وانه لا ضير عليهم لعلمهم بمقاصد الدين القويم ممن يفهم
مقاصده منه من الحكم ويحقق فوايده اى يتحققها لانه على بصيرة فى مقامات الانبيا
وجلالة قدرهم ويجنب اى مبنيا للمفعول اى يبعده ويقصيه عن ذكر ذلك الذى ذكر
من احوال الانبيا عليهم الصلاة والسلام من عساه لا يفهمه الخم عسى لاستبعاد
فهمه ومن موصولة او تخشى به اى بذكره له فتنة بوقوعه فيما لا يرضى فى حق رسل الله
عليهم الصلاة والسلام قال ابن حجر وما اقتضاه كلامه من حرمة ذكر ما مر للعوام
ظاهر ان ظن بقرينة حالهم تولد فتنة لهم منه او استخفافا ونحوهما والا فالذى ينبغى
الكراهة ثم وضحه بقوله فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما
انطوت اى اشتملت عليه من تلك القصص جمع قصة اى ما فيها من ذكر شغف النساء
بالصور الجميلة ومراودتهن والتحيل منهن للمواصلة لمن تحت لضعف معرفتهن
بالامور وما يترتب عليها ونقص عقولهن وادراكهن اى وصولهن للمدركات وقد
ورد فى الحديث انهن ناقصات عقل ودين ثم بين جواز ذكره لغير العوام فقال قد قال
صلى الله عليه وسلم فى حديث صحيح سياتى مخبرا عن نفسه حال من فاعل قال
باستيجاره اى ايجار نفسه لقريش فى صغره لرعاية الغنم اى اخذها للسرح فى المرعى
فى ابتدا حاله اى صغر سنه وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان
ما من نبى الا وقد رعى الغنم فذكر هذا لاصحابه العارفين بنور الايمان للحكم فيما ذكر
وعلمهم بقدره تشرفه دليل لما قدمه وبقية الحديث فقال له اصحابه وانت
يا رسول الله فقال نعم كنت ارعاها على قراريط لاهل مكة وقراريط جمع قيراط
جزء من الدرهم وقيل اسم مكان وتقدم ما فى ذلك وتفصيله فى شروح الصحيحين

واخبر الله في القران بذلك اى رعى الانبياء عليهم الصلاة والسلام للغنم عن موسى عليه
الصلاة والسلام في رعيه لشعيب عليه الصلاة والسلام في قوله انى اريد ان انكحك
احدى ابنتي هاتين الاية وقصته مفصلة في كتب التفسير وهذا لا غضاضة فيه اى
فيما ذكر من الرعاية للغنم وهى بجيمات مفتوحات بمعنى النقص وهو مستعار من غض
البصر وكفه مطرقا فكنى به عما ذكر لانه انما يكون مما يستحيى منه صاحبه جملة واحدة
اى ليس في شي منه اصلا غضاضة لمن ذكره على وجهه من مذاكرة اهل العلم لما فيه بخلاف
من قصد به الغضاضة والتحقير هو عطف تفسير بل كانت رعاية الغنم عادة جميع
العرب حتى اولاد اشرافهم وقد نشا صلى الله عليه وسلم بينهم غير مخالف لاحوالهم
المباحة تواضعا منه وتأسيا باخلاقهم فيما لا يضر لم استشعر سوالا مقدرا كانه قيل
ما حكمة وقوع ذلك وتقدير الله له فاجاب بقوله نعم في ذلك للانبيا حكمة بالغة
عظيمة قوية ظاهرة فنعم جواب السوال المقدر وكثيرا ما تقحمه العرب لتاكيد الكلام
في ابتدائه كقول جحدر اليس الله يجمع ام عمرو وايانا وذاك بنا تدانى
نعم وارى الهلال كما تراه ويعلوها النهار كما علانى والبلوغ الوصول الى اقصى
الامر ومنتهاه وقوله تعالى ام لكم ايمان علينا بالغة اى في غاية التوكيد قال الراغب
فكانها بلغت غاية الصواب ومنتهاه وتدريج الله تعالى لهم الى كرامته اى اكرامهم بالنبوة
والرسالة وهو وما بعده تفصيل الحكمة ولذا عطفه كانه غايرهما وتدريب برعيها لهم
اى تعويد له فيكون له دراية وخبرة برعايتها لسياسة اممهم اى ضبط امورهم
وحفظها من خليقته فيسوس الامم كما يسوس الغنم عما سبق لهم اى للانبيا عليهم الصلاة
والسلام من الكرامة باصطفائهم للرسالة في الازل ومتقدم العلم اى علم الله تعالى
فانه اعلم بما يجتبيه كما في الاية الله اعلم حيث يجعل رسالاته قال ابن حجر في شرح البخارى
حصل لهم عليهم الصلاة والسلام التمرن برعيها على ما يكلف به من القيام بامر الامة
والشفقة عليهم كما يصبر الراعى على سوق غنمه وجمعها اذا تفرقت وحفظها عن سبع
وذيب وسارق وسوقها لما فيه نفعها في مرعاه وتفرده بامورها منقطعا عن الناس
غير مشارك في امره ولا متوانى فيقيس امور الناس بعد الرسالة على هذا المنوال ولذا
قال كلكم راع ومسئول عن رعيته مع ما فيه من تواضعه وكسبه فهذا مثل في غاية الحسن
وكذلك اى مثل ما ذكره الله عن موسى الرعاية من غير تنقص فيه قد ذكر الله عز وجل يتمه
اى كونه توفى بغير ابوين صغيرا وحرمت حكمته وعيلته اى كونه في القيام على اهله وعايلته
في قلة معيشة قال تعالى الم يجدك يتيما فاوى الاية على طريق المنة عليه اى تعداد النعمة
عليه لا تحقيرا له صلى الله عليه وسلم والتعريف للناس بكرامته له اى باكرامه
وتشريفه واليتم في اصله بمعنى الانفراد وهو في الادمى من لا اب له وفي الحيوان من لا ام له
وفي الطير من لا ام ولا اب له كما مر ووجهه ظاهر ومر ان اب النبي صلى الله عليه وسلم

مات

مات وهو جنين او في المهد وان امه ماتت وهو ابن ثمان وقيل اليتيم منفرد ولا نظير له
كالدرة اليتيمة والعايل الذى لا مال له يقال عال يعيل عيلة اذا افتقر قال احيحة
فما يدرى الفقير متى غناه ولا يدرى الغنى متى يعيل اى يفتقر والعيلة الفقر فذكر
الذاكر لها اى لما مر من احوال نبينا صلى الله عليه وسلم وكذلك الانبيا عليه وعليهم
الصلاة والسلام الجايزة عليهم على وجه وطريق تعريف ما له في ابتدا امره والخبر
عن مبتدايه بالمذاكرة به للعلما والتعجب من منح الله تعالى جمع منحة وهى العطية قبله
بكسر وفتح اى عليه وفي جانبه وعظيم منته عنده مما افاضه عليه بعدما كان عليه
ليس فيه على هذا الوجه غضاضة نقص من مقامه وتنقيص له واهانة لعدم
قصده لذلك بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته لما اكرمه الله تعالى به بعد عدمه
وكسبه له اذ اظهره الله تعالى فقواه ونشر ذكره بعد هذا الذى كان عليه في ابتدا امره
على صناديد العرب جمع صنديد وهو السيد الشريف في قومه الجامع بين الشجاعة
والحماسة والجود الغالب لمن عاداه وعارضه ومن ناواه اى عاداه واصله
الهمز من النوء وهو النهوض من الشي فهم شيا فشيا اى بطريق التدريج حتى
اظفره الله تعالى بهم وذللهم وابادهم اى قضى على عداوته وفتح ديارهم ومن عليهم
كما وقع له صلى الله عليه وسلم في فتح مكة وهو متعلق بقوله اظهره الله وبنى
اى نادوا واشتهر امره اى شان نبوته حتى قهرهم واذلهم فانقادوا خاضعين له وتمكن
اى وصل من ملك مقاليدهم جمع مقلد بكسر الميم وهو المفتاح وملكها كناية عن
حيازة ممالكهم والتصرف فيها كما يريد واستباحة ممالك كثير من الامم غيرهم
اى غير العرب كالروم والعجم جمع مملكة وهى الاقاليم المملوكة اى جعلها مباحة
مفوضا له صلى الله عليه وسلم ولاصحابه جميع ما فيها باظهار الله تعالى له واعلا
كلمته ودينه وتاييده وتقويته بنصره وما النصر الا من عند الله وبالمؤمنين
الذين اتبعوه وجاهدوا في سبيله وتاليف قلوبهم بمحبة بعضهم لبعض وزوال
ما كان بينهم في الجاهلية من التباغض والعصبية ولا يقدر على تاليف القلوب غير الله
كما قال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعدا فالف بين قلوبكم وامداده اى
ارساله مددا يوم بدر وغيره بالملايكة المسومين الذين لهم سمة وعلامة تميزهم
عن غيرهم وذلك كان بعمايم صفر مرخية بين اكتافهم وفي نواصي خيلهم واذنابها صوف
ابيض وهو بكسر الواو وفتحها لان لهم سمة وقد سوموا خيولهم بما ميزها عن غيرها ولو كان
صلى الله عليه وسلم ابن ملك بكسر اللام اى سلطانا او ذا اشياع اى صاحب
جنود واتباع جمع شيعة وهى الفرقة العظيمة من الناس متقدمين على زمن ظهوره
بان كانوا اتباعه من ابيه وجده لحسب اى ظن كثير من الجهال ومن لا بصيرة لهم ان ذلك
اى ملك ابيه واشياعه سبب ظهوره على غيره ومقتضى اسم فاعل اى موجب علوه

في شانه وقدره كغيره ولهذا اي لاجل ما ذكر من انه لو كان كذلك ظن الجهلة فيه ما انتقد
قال هرقل ملك الروم لما سال عنه لما بلغه خبره وهو بكسر اوله وفتح ثانيه وسكون
ثالثه كدمشق ويجوز اسكان ثانيه وكسر ثالثه كخندق والاول هو المشهور والثاني
حكاه الجوهري وغيره ولقبه قيصر وهو اول من ضرب الدنانير وملك الروم احدى
وثلاثين سنة وفي ملكه توفي النبي صلى الله عليه وسلم حين سال ابا سفيان رضي الله
تعالى عنه وهو بتثليث السين يكنى ابا حنظلة وان اسمه صخر بالمهملة ثم المعجمة بن حرب
بالمهملة المفتوحة والرا الساكنة ثم الموحدة بن امية ولد قبل الفيل بعشر سنين
واسلم ليلة الفتح وشهد الطايف وحنينا وفقئت احدى عينيه في الاولى
والاخرى يوم اليرموك وتوفي بالمدينة سنة احدى واربع وثلاثين وهو ابن ثمان
وثمانين سنة وصلى عليه عثمان رضي الله تعالى عنهما عنه صلى الله عليه وسلم بايلياء
وقال له هل كان في ابايه من ملك بمن الجارة لملك بكسر اللام صفة مشبهة في الاصل
او من موصولة وملك ماض بفتحها صلتها ثم قال هرقل له بعد جوابه ولو كان في ابايه
ملك قلنا رجل يطلب بظهوره وعلوه ملك ابيه كعادة ابنا الملوك وقال ابيه دون
ابايه ليكون اعذر في طلب الملك او المراد بالاب ما هو اعم من حقيقته ومجازه والحديث
في الصحيحين وهو مشهور وان اليتم بضم اوله وسكون ثانيه وتقدم تفسيره
من صفته صلى الله عليه وسلم في الكتب المتقدمة كالتوراة والانجيل واخبار
الامم السالفة المتقدمة التي تلقوها عن انبيايهم كما في قصة تبع وكذا وصفه
باليتم وقع ذكره بهذه الصفة في كتاب ارميا ابن حلقيا نبي الله وكان له صحف الهية
من بني اسرايل ذكره مفصل في التواريخ وهو بفتح الهمزة ويجوز كسرها وسكون الرا المهملة
ومثناة تحتية والف مقصورة كذا في الحواشي وفي مراة الزمان ان ارميا بضم الهمزة
كما قراته على شيخي ابي منصور اللغوي يعني الجواليقي وقال ان ارميا كان من ابنا الملوك
وانه اوحي اليه فلما انذر قومه حبسوه فسلط الله عليهم بخت نصر وساق قصته بطولها
له ولهذا اي اليتم وصفه ابن ذي يزن ملك اليمن ويزن ممنوع من الصرف وفيه كلام
للصاغاني في الذيل والصلة لعبد المطلب جده حين ذهب اليه مع اشراف قريش
يهنوه باخذ ملكه من الحبشة فاختلى به وبشره بقدوم نبي عظيم وانه لا اب له وانما
يكفله جده وعمه وقد تقدم طرف من قصته معه واكرامه له وكذا وصفه بحيرا الراهب
لابي طالب حين ذهبا معه للشام كما تقدم وفي كلامه يموت ابوه وامه ويكفله
جده وعمه وبحيرا بفتح الموحدة وكسر الحا المهملة ويمد ويقصر ويقال بحير بلا
الف وفي خبره ان الراهب ساله عنه لما راى السحاب تظلله فقال له انه ابني فقال
انه لا ينبغي ان يكون له اب كما نجده في كتبنا فاخبره بموت ابيه فصدقه وكذلك اي
اي كوصفه باليتم وصفه اذ او صف بانه امي لا يقرا ولا يكتب كما وصفه الله

تعالى به

تعالى به في قوله فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الاية فهو مدحة له وفضيلة ثابتة فيه
لما سياتي وقاعدة معجزته اي مثبتة ومقوية كالاساس للبنيان اذ معجزته العظمى الفايقة
لساير المعجزات من القران العظيم واعجازه انما هي متعلقة بطرق المعارف والعلوم
التي وصلت اليه مما لم يتفق ولا يمكن لغيره مع ما منح اي اعطي صلى الله عليه وسلم
وفضل به على ساير الخلق من ذلك اي من علومه ومعارفه التي لا تصل اليها عقول
البشر كما قدمناه في القسم الاول ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرا الخط ولم يكتب
في عمره حرفا ولم يدارس اي لم يقارن احدا يدرس عنده ما يتعلمه من الافواه ولا تتلمذ اي
لم يلق اليه احد شيا منه مقتضى العجب اي موجب له ومنتهى العبر اي غاية ما فيه
عبرة لمن يقف عليه ومعجزة البشر التي اعجزتهم عن مثله واذا كان كذلك فليس في ذلك
اي كونه اميا نقيصة له صلى الله عليه وسلم بل فيه من الشرف والفخر ما يعجز عنه الوصف
والمطلوب المقصود من تعلم الكتابة والقراة المعرفة بما يحتاج اليه من العلوم والمعارف
فليست مقصودة لذاتها وانما هي اي القراة الة لها وواسطة موصلة اليها غير مرادة
في نفسها اذ لا فايدة لها في نفسها فاذا حصلت الثمرة والمطلوب بالذات والثمرة
فاكهة الاشجار يتجوز بها عن كل فايدة مترتبة على امر من الامور استغني عن الواسطة
والسبب الذي يراد لاجلها فهي فيه كمال وفضيلة والامية في غيره ممن لم يصل الى
العلوم نقيصة معيبة فيه لانها حينيذ سبب الجهالة بالعلوم والمعارف وعنوان
اي دليل ظاهر على الغباوة بغين معجمة وموحدة وهي عدم الفطنة والذكا كالبلادة
والحماقة والعنوان ما يكتب على ظهر الكتاب ليعلم لمن هو وما هو فاريد به كل ما يدل
على فعل خفي وعينه تضم وتكسر لانه يعلم من اميته انه لبلادته لم يقدر على التعلم
وقد علم مما قبله انه مخصوص بمن يظهر علمه فلا حاجة الى ان يقول الا من خصه الله
تعالى بعلم دونها كما قيل وفي العنوان لغات يقال عنوان وعلوان وفيه كلام في
شرح الفصيح فسبحان من باين امره صلى الله عليه وسلم اي فضله وميزه
وبعده من امر غيره من الناس فجعله في اعلى مراتب من الكمال لا يحتاج لوسايط
والات وجعله ما به يمدح في غيره يعاب وينقص وهذا امر عجيب فلذا قال
سبحان وهي تنزيه لله يستعمل للتعجب كثيرا كان هذا الامر العجيب لا يقدر
عليه سواه وجعل شرفه اي علو مقامه وقدره فيما فيه محطة سواه الحط
تنزيل شي من علو لسفل ومحط مصدر ميمي والمراد ان بعض ما زاد به شرفه
صلى الله عليه وسلم فيه نقص وتنزيل لغيره وهو اشارة لما قدمه من يتمه
الذي بين به ان ربه ادبه فاحسن تاديبه ورباه من غير منة لمخلوق عليه فكان
صلى الله عليه وسلم بهذا مباينا لغيره ممن تربى يتيما وجعله ذا عيلة ليعلم انه
غني بالله وانه لم يتبعه من تبعه لامر دنيوي وجعله اميا ليعلم ان علمه لدني

وهذا في غاية الشرف وهو في غيره نقص وشين وجعل حياته فيما فيه هلاك من علاه
هذا اقوى مما قبله لا قد تيسر لبعض الخواص واما هذا وهو شق قلبه فان الحكما
متفقون على ان القلب به قوام الحياه والادراك وهو رئيس الاعضا ولا يحتمل
جراحه ولا خروجا من محله فكيف يعيش من يخرج قلبه ويشق وقد وقع له صلى الله
عليه وسلم مرارا اولها وهو صغير عند مرضعته كما تقدم بيانه واخراج حشوته
بضم الحا المهملة وكسرها وسكون الشين المعجمة والمراد ما في داخله من العلقة
السودا كما تقدم وبيان حكمته واصل الحشوة الامعا والكرش والمراد به هنا
ما ذكرناه تجوزا فكان ما فيه هلاك غيره تمام حياته لانه اخرج منه ما يتعلق
وسوسة الشيطان وملئ علما وحكمة ففيه تمام الخلقة الحسية بازالة
منشاء السودا والمعنوية بالعلم الذي له بمنزلة الروح وغاية قوة نفسه
لان قلبه نظف واودع ما قواه على تلقي الوحي ورويا الملائكة وشدة الاذعان
والفطنة وثبات روعه بضم الرا المهملة فتل واو ساكنة وعين مهملة وهو القلب
والادراك فاريد بشقه ان يجعل فيه ما يثبته على تلقي الوحي وملاقاة الملايكة
كما ورد في الحديث ان روح القدس نفث في روعي اي قلبي وخلدي وبه فسر وهواى
شق القلب اذا وقع في غيره سواه من الناس كان منتهى اي غاية قصوى ومن اقوى
اسباب هلاكه باخراج روحه سريعا وحتم بفتح الحا المهملة وسكون المثناة
الفوقية وميم اي وجوبه بحسب اللغة بمعنى معين قطعا موته اي ذهاب حياته
وفنايه بذهاب روحه وما يتبعه وحديث الشق وتعدده رواه الشيخان
وغيرهما وتفصيله في شروحهما وهلم جرا تقدم الكلام عليها مبسوطا اي وغير
ذلك مما خالف فيه غيره مما يضاف الى ساير ما روى من اخباره وسيره في كتب
الحديث مما باين حال غيره وتقليله من امور الدنيا في جميع احواله كما تقدم ومن الملبس
والمطعم والمركب تفصيلا لامور الدنيا التي تصنع فيها وتواضعه للخلق مع علو قدره
وشرفه ومهنته بفتح الميم وكسرها وذهب الزمخشري تبعا للاصمعي انها لا تكسر
انما لا تكسر كامر وهو مصدر بمعنى الابتذال والخدمة وقوله نفسه مفعول له
في اموره الدنيا كخصف نعله وخدمته بيته بنفسه وانما كان ذلك منه زهدا
في امور الدنيا بتركها ورغبة عن الدنيا لا فيها ولتسوية بين خطيرها وحقيرها اي
عظيمها عند غيره لتشرف نفسه عنها لسرعة فنا امورها وعدم بقايها وتقلب احوالها
من حال الى حال بحيث لا تدوم على حال ابدا وكل هذا المذكور من فضايله التي
فضله الله بها على غيره وما ثره جمع ماثرة بالضم وهي ما استاثر به اي اختص به
من الشرف والمكارم مما يوثر عنه وشرفه كما ذكرنا فيما تقدم من هذا الكتاب في ابوابه
اي ذكر شيا منها مورده اي في محله الذي ينبغي واصله من ورد الما اذا ذهب لسقيه

منه فاستعين لما ذكر وقصد بها مقصده الذي يليق بقدره وشرفه كان حسنا يمدح
ويثاب عليه عند الله ومن اورد ذلك على غير وجهه اللايق به لايهامه تحقيرا
وتنقيصا له وعلم منه بذلك الايراد له على غير وجهه سوء قصده بتنقيص قد تبين
لحق بالفصول الستة المتقدمة جمع فصل بصاد مهملة التي قدمناها في هذا الباب
وكذلك اي مثل هذا مما ورد على غير وجهه ما ورد من اخباره صلى الله عليه وسلم
واخبار ساير الانبيا صلاة الله وسلامه عليهم اجمعين في الاحاديث التي يرويها
القصاص مما ظاهره اشكال اي يشكل لمخالفته لما تقرر من احوال عصمتهم عنها
مما يقتضي امورا منقصته لهم ولا تليق بهم بحال من الاحوال ويحتاج الى تاويلها
بصرفها عن ظاهرها وتردد احتمال اي تردد سامعها لاحتمالها لوجوه اخر فلا يجب اي
لا يجوز كما مر ان يتحدث منها بنقلها وروايتها الا بالصحيح رواية عن الثقاة ولا يروى
منها الا المعلوم معناه الثابت نقله عن الايمة ورحم الله عز وجل مالكا امام دار
الهجرة فقد كره التحدث بمثل ذلك الذي فيه اشكال يحوج لتاويله من الاحاديث
الموهمة اي الموقعة في فهم سامعها ووهمه للتشبيه اي تشبيه الله بغيره وهي
ما يذكره المجسمة كحديث ان الله خلق ادم عليه الصلاة والسلام على صورته
والمشكلة المعنى كحديث ينزل ربنا كل ليلة الى سما الدنيا في الثلث الاخير ونحوه
مما ذكره الامام ابن فورك في كتاب المشكل الاتي بيانه وهو كتاب جليل وقال الامام
مالك ما يدعو الناس اي ما يقتضي نقل مثله والى التحدث بمثل هذا الموهم المشكل
معناه فقيل له ان ابن عجلان يحدث بها ويرويها للناس وهو الامام الثقة المحدث
ابو عبد الله محمد ابن عجلان الفقيه المدني اخرج له مسلم وغيره روى عن ابيه وعن انس
وغيرهما لكن اخراج مسلم له انما هو في الشواهد وتوفي سنة ثمان واربعين ومائة
وقيل ان امه حملت به ثلاثة اعوام فماتت فشق بطنها واخرج وقد نبتت اسنانه
وله ترجمة في الميزان وكان مالك لا يرى التكلم في المتشابهات وهذا محمول على
نقلها عند العوام الذين لا يعرفون مثلها فلا وجه للاشكال بانه كيف يجوز ان
يكتم ما صح عنه صلى الله عليه وسلم من غير نهي عن نقله ولو كان مما يجب تركه
لم يحدث به اصحابه الى اخر ما اطال فيه بغير طايل فقال مالك لم يكن ابن عجلان
من الفقها الذين يعرفون ما في الحديث من الاحكام والدقايق وكان يحدث الناس
بحديث ان الله خلق ادم على صورته وهو من المتشابه المشكل وفيه تاويلات فقيل
ان الضمير لمن ضرب على وجهه لا لله وقيل ان الصورة لها معان كالحقيقة والصفة
كما يقال صورة المسيلة كذا وفيه كلام لهم مشهور وليت الناس وافقوه اي
وافقوا الامام مالكا على ترك الحديث اي ترك التحدث بها اي بالمتشابهات المشكلة
وساعدوه المساعدة المعاونة والمراد بها هنا الموافقة على طيها اي على رايه في تركها وعدم

ذكرها راسا فاكثرها اى الاحاديث المتشابهه المشكلة ليس تحتها عمل اى ليس مدلولها
جعلها تحت الالفاظ لخفايها كما يقال ليس تحت هذا الامر فايده لانها ليس فيها احكام
شرعيه وقد علمت ان هذا مذهب لمالك فى كراهة الكلام على متشابه الحديث
كما ذهب اليه بعضهم فى متشابه القران وقد قيل انه لم يوافقه عليه احد فانه
لو كان كذلك لم يحدث بها النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه ولم ينقل بلفوا عنى
وانما هو ابتلاء للراسخين فى العلم ليتعبوا افكارهم ويعملوا انظارهم فيها حتى
يطبقوها على المحكم وقد فعلوا جزاهم الله كل خير وقد حكى عن جماعة من السلف
المتقدمين من الصحابة والتابعين بل حكى عنهم اى السلف على الجملة اى جميعهم
انهم كانوا يكرهون كراهة تنزيه الكلام على ما ليس تحته عمل مما لا يشتمل على الاحكام
الشرعيه ثم اشار الى جواب سوال مقدر فقال والنبى صلى الله عليه وسلم اوردها
اى حدث بها موردا لها على قوم من الصحابة فهو جواب عما اشرنا اليه من انها لو كانت
كذلك ما حدث بها عرب بوزن قفل وحجر اى من صميم العرب واهل اللسان فهم
يفهمون كلام العرب يعنى ومن جملة ذلك كلامه صلى الله عليه وسلم على وجهه
الذى اريد به من غير التباس وتصرفاته بالجر والنصب فى حقيقته وما وضع له
ومجازه الذى يتجوز به عنه مجازا لغويا او عقليا واستعارته من عطف الخاص
على العام لانه مجاز علاقته المشابهه وبليغه اى ما يورد من فصيحه على مقتضى
الحال والمقام وايجازه اى ايراد معانيه الكثيره بالفاظ قليلة فلم تكن تلك
الاحاديث فى حقهم مشكله لانها لا تخفى عليهم مقاصدها ثم جا بعدهم من هذه
الامه من غلبت عليه العجمه لمخالطته العجم ودخول غير لسان العرب فقلما تجد
عربيا فصيحا بين اظهرهم والعجمه عدم الفصاحه وداخلته الاميه اى الجهل
بلسان العرب فليس المراد به الامى بالمعنى المشهور فلا يكاد يفهم من مقاصد
العرب فى كلامهم العربى الا نصها ويعنى به صريحها دون دقايق رموزها فهو عطف
تفسير ولا يتحقق اشاراتها اى لا يفهم دقايقها وتلويحاتها الى غرض الايجاز المقصود
منه ومن عدم بسطه ووجيها بحا مهملة واصل معناه الرمز قال وحى الملاحظ
خيفة الرقباء وغرض تبليغها لسامعها بلا تصريح وتلويحها التلويح هو التعريض
والاشارة فتفرقوا فى تاويلها اى صاروا فرقا مختلفة لما ذكر فى خفا المراد منها
فذهب طايفة الى بيانها وتاويلها بما يتضح به معناها وحملها على ظاهرها من غير
تاويلها شذر مذر اسمان ركبا وبنيا على الفتح كخمسة عشر بشين وذالين معجمتين
وراءين مهملتين مع فتح اولهما وكسرهما وابدال الميمه باء وقيل هو الاصل من التبذير
وهو التفريق ومعناه مبددة متفرقة اى ذهبوا فى المتشابه الى مذاهب وجهات
فمن قايل نؤوله ومن قايل تبقيه على ظاهره ومن قايل نؤمن به من غير تعرض لمعناه وكشف

فتاع وجهه فمنهم اى ممن تفرق شذر مذر من امن به اى صدق به وبانه حق ونزهه عن
ان يراد به ظاهره ويفوض معناه الى الله تعالى فيقف على قوله الا الله وهم كثير من السلف
وهو اسلم ومنهم من اوله بما يليق به وهو اعلم كحديث ينزل ربنا الى سما الدنيا والقلوب
بين اصبعين من اصابع الرحمن ومنهم من كفر بسببه للخوض فيه بما لا يصح ابتغا للفتنة
واضلال الناس وفيه لف ونشر فمن امن راجع للتاويل ومن كفر للحمل على الظاهر وبقى
مذهب الوقف وهو معلوم مما تقدم واعلم ان الكلام على المتشابه من الكتاب والسنة
وقع هنا استطراديا اذ ليس مما نحن فيه لانه بصدد وصف النبى صلى الله عليه وسلم
بما يجوز او لا يجوز وليس من المتشابه فى شى لكنه يشبهه فى تاويل بعضه ومنع الخوض
فيه لبعضهم فاما ما لا يصح لعدم صحة سنده من هذه الاحاديث المشكلة فواجب
ان لا يذكر منها شى لعدم صحتها وعدم صحة معانيها سواء كانت فى حقه تعالى وفى حق
انبيايه كما قال فى حق الله تعالى ولا فى حق انبيايه ولا يتحدث بها رواية ونقلا لانها اما
كذب فيحرم نقله الا لبيان انه كذب وموضوع ولا يتكلف بعد نقلها الكلام على
معانيها بتفسيرها وتوجيه تاويلها والصواب طرحها اى تركها وترك الشغل بها
اى الاشتغال بذكرها وتاويلها والشغل بفتح الشين وضمها وسكون عينه وضمها
اتباعا الا ان يذكر على وجه التعريف والتبيين لمن لا يعرفها بانها ضعيفة المقاد بفتح
الميم والقاف والف ودال مهملة من قدت الدابة فى سيرها وهو اسم مكان منه
استعير لطريق روايته وفى نسخة المقالة واهية الاسناد اى اسنادها شديد
الضعف ساقط عن درجة الاعتبار من وهى بمعنى وهن وضعف وقيل انه من وهى
الثوب اذا تخرق وقد انكر الاشياخ جمع شيخ بمعنى العالم المفيد على الامام ابى بكر بن
فورك وهو الامام محمد بن الحسن بن فورك الشافعى المحدث الاصولى وفورك بضم
الفا وراء مهملة واختلف فى صرفه وعدمه كما تقدم توفى سنة ست واربعماية ودفن
بنيسابور تكلفه مفعول انكر فى مشكله اى فى كتابه الذى سماه مشكل الحديث
فى المتشابه الكلام مفعول تكلف اى التكلم على احاديث ضعيفة موضوعه
الظاهر او موضوعة لا اصل لها اى لا نقل لها ولا سند صحيح يقال كلام لا اصل له
اى كذب او منقولة عن اهل الكتاب اى اليهود والنصارى كبعض قصص الانبيا
الذين يلبسون بتخفيف الباء الموحدة وتشديدها اى يخلطون الحق بالباطل الذى
اختلقوه وافتروه كان يكفيه طرحها اى ترك ذكرها ويغنيه عن الكلام عليها
بتاويلها وتوجيهها التنبيه على ضعفها وان رواتها لم تنقل عمن يعتد به اذ
المقصود بالكلام على مشكل ما فيها مما يخالف ظاهره الصواب ازالة اللبس
اى الالتباس على من لا علم عنده واجتثاثها اى قلعها وقطعها بجيم وشناة فوقيه
وثاء مثلثتين واصلها قطع اصول الشجر فاستعير لما ذكر وقوله من اصلها تاكيد

فيه تورية وطرحها اى تركها راسا اكشف اى اظهر وابين للبس من ذكرها وتاويلها واشفى للنفوس اى اكثر شفا من تاويلها وهذا تحامل منه فانها بعد شيوعها لا بد من بيانها حتى لا يفتتن بها الجهلة وفى كتاب ابن فورك فوايد جليلة ومعان بديعة يعرفها من وفق عليه مع ان فى كتابه احاديث منها ما هو صحيح كحديث نزول الرحمن ومنها ما هو ضعيف بنه على ضعفه كما ذكره فى كتابه فصل وما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبى صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز عليه كما تقدم بيانه والمذاكر من حالا انه ما قدمناه فى الفصل الذى ذكر قبل هذا على طريق المذاكرة مع اقرانه والتعليم لمن هو دونه من طلبة العلم ان يلتزم فاعل يجب اى يلازم من غير ترك فى كلامه عند ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر تلك الاحوال التى وقعت له الواجب من توقيره وتعظيمه بما يليق به ويراقب المتكلم فى كلامه الصادر منه حال لسانه بتعبيره بعبارة حسنة ولا يهمله اى لا يترك توقيره ويظهر بتحتيه مضمومة او فوقية مفتوحة علامات الادب يجوز نصب علامات ورفعها عند ذكره حالا ومقالا فاذا ذكر ما قاساه من الشدايد كما وقع له صلى الله عليه وسلم فى ابتدا دعوته واذاية المشركين له ظهر عليه الاشفاق عليه صلى الله عليه وسلم باظهار شفقته عليه مما اصابه والارتماض اى احتراقه وكوعته وهو بالضاد المعجمة يقال ارتمض الرجل من كذا اذا اشتد عليه واقلقه والغيظ على عدوه باظهار غضبه وعداوته لعدوه وظهر عليه مودة اى تمنى الفدا للنبى صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه اى على ان يكون فدية له بنفسه واهله وما له من جميع المكاره اى ان ليسلم ويحل به ما حل به عوضا عنه والفدا اذا كسر مد وقصر وقد ينون اذا جاور به اللام نحو فدا لك كما فى الصحاح فان فتح قصر ونصب ويرفع وهو دعا له ومن الله تعظيم وتوقير لتنزهه عن معناه والنصرة له صلى الله عليه وسلم لو امكنه نصره وكان معه واذا اخذ اى شرع فى التكلم فى ابواب العصمة اى انواع ما عصمه الله منه وصانه وتكلم على مجاريه اى ما جرى من اعماله الصادرة عنه واقواله الماثورة عنه صلى الله عليه وسلم تحرى بمهملتين اى قصد احسن اللفظ والادب بهمزة ممدودة فدال مهملة وموحدة افعل تفضيل العبارة التى يعبر بها اى اكثرها ادبا وتوقيرا ما امكنه اى بقدر امكانه فى بذل جهده وقدرته واجتنبا اى ترك فى جانبه بشع ذلك بموحدة وشين معجمة اى ما فيه بشاعة وقباحة يمجها السمع وهجر اى ترك من العبارة ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية فلا يتكلم بمثلها ولو حكاية صونا لمقامه المصون ثم وضع هذا وبينه بقوله فاذا تكلم فى الاقوال اى فيما يتعلق باقواله صلى الله عليه وسلم قال هل يجوز عليه صلى الله عليه وسلم الخلف فى القول والاخبار بكسر الهمزة مصدر اخبر بخلاف ما وقع

سهوا او غلطا سبق به لسانه ونحوه من العبارات من غير تعمد وقصد فانه لا يواخذ به وتقدم ان الخلف المخالفة فى الوعد قال تعالى ما اخلفنا موعدك بملكنا والمراد به تخلف القول مطلقا ولا يقول هل يجوز عليه الكذب بل يتجنب لفظ الكذب جملة واحدة اى بجميع الفاظه من مصدره وفعله واسم فاعله وكذا مرادفه كمين واذا تكلم فى العلم وما يتعلق به فى وصفه به نفيا واثباتا قال فى حقه صلى الله عليه وسلم هل يجوز عليه ان لا يعلم الا ما علم بالتشديد وبنا المجهول اى ما علمه الله عز وجل وهل يمكن ان لا يكون عنده اى فى نفسه وعلمه كقوله اولئك عند الله هم الكاذبون علم ببعض الاشيا التى يمكن علمها حتى يوحى اليه بها ولا يقول فى التعبير عن هذا بجهل وان كان الجهل عدم العلم لقبح هذا اللفظ وبشاعته اى استهجانه فى السمع قال الباقلانى يجوز عقلا كون النبى غير عالم ببعض شرايع من قبله وبعض المسايل التى يفرعها الفقها والمتكلمون اذا لم يخل بمعرفة التوحيد وكونه غير عالم بلغات غير قومه وبعض امور الدنيا كالحرف والصنايع وقيده ابن الهمام بما لم يخطر ببالهم فان خطرت ببالهم فلا بد من علمهم بها ولو اجتهادا بنا على ان لهم الاجتهاد وانهم لا يقرون على خطاء فيه فتامل واذا تكلم فى امر الافعال اى افعاله صلى الله عليه وسلم قال هل يجوز منه فى بعض الاوامر التى امره الله بها والنواهى التى نهاه الله عنها ومواقعة اى وقوع بعض الصغاير منه فهو اولى واادب بالمد اى اكثر ادبا من قوله هل يجوز ان يعصى او يذنب او يفعل كذا وكذا كناية تادبا عما يكون من انواع المعاصى فهذا اى ترك الالفاظ القبيحة والتعبير بغيرها من توقيره صلى الله عليه وسلم وتعظيمه وما يجب له من تعزير بزاى معجمة وراء مهملة اى تعظيم فى نفسه واعظام عند غيره زاده الله شرفا وتعظيما وفى قوله من توقيره اشارة الى ان كل تعظيمه لا يمكن ان تحيط به العبارة قيل وليته اتى به فى تسميته كتابه فقال الشفا فى بعض حقوق المصطفى وفيه نظر وقد رايت بعض العلما لم يتحفظ من هذا اى لم يتركه فقبح بالتشديد ويجوز تخفيفه ولم تستصوب عبارته فيه بما يتحفظ منه اى لم اعده صوابا ورايت بعض الجايرين بالجيم اى المايلين عن الانصاف وجوز بعضهم اهماله من الحيرة قوله بتشديد الواو من التقول وهو تكلف القول والافترا عليه لاجل ترك التحفظ فى العبارة باتيانه بعبارة قبيحة ما لم يقله مصدر لقوله قوله من معناه اى قولا لم يقله وشنع ذلك البعض عليه اى على من لم يتحفظ بما يا باه اى يمنعه فى حقه صلى الله عليه وسلم ويكفر قايله اى ينسبه للكفر جورا منه عليه واذا كان مثل هذا من رعاية الادب جاريا بين الناس فى محاوراتهم ومكاتباتهم مستعملا فى ادابهم فى مخاطباتهم ومكاتباتهم وحسن معاشرتهم اى اختلاط بعضهم ببعض كالعشاير وخطابهم الجارى بينهم فاستعماله فى حقه صلى الله عليه وسلم اوجب اى احق واولى وجمله بعضهم

على ظاهره فقال انه فرض ثم ذكر هنا الخلاف بين الشافعية والحنفية في الفرض والواجب
والقول بترادفهما وليس هذا محله وما ذكرناه في ظاهر كلام المص في عده من الاداب
والتزامه آكد بالمدا فعل تفضيل من التوكيد والتاكيد بابدال الهمزة الفا فجودة العبارة
بفتح الجيم مصدر جاد الشيء فهو جيد كانه لم يدخر شيئا من حسنه الا ابداه بفتح الشيء
اي تجعل الحسن قبيحا بحسن العبارة او تحسنه اي تجعله حسنا وان اتحد معناهما
وهذا مما ذكره اهل المعاني والبلاغة كما قيل في العسل تقول هذا مجاج النحل تمدحه
وان تعبه تقل قيء الزنابير وتسميه اهل المنطق المعاني الشعرية والشعر عندهم الامر
المبني على التخييل نحو الخمر جوهرة مذابة كما بينه ابن هلال في كتاب الصناعتين وتحريرها اي
جعل العبارة محررة منقحة وتهذيبها اي تخليصها مما لا يحسن قوله يعظم الامر اي يصير
عظيما وان كان هينا او يهونه اي يجعله هينا وان كان عظيما في نفسه كمدح الموت
او القتل الواقع في كلام شجعان العرب فكم حمل على الالقا في التهلكة ومدح المال
المحسن للشح به وللثعالبي والجاحظ كتاب في مدح كل شيء وذمه وهو معروف
بين اهل الادب ولهذا اي لاجل ان جودة العبارة تحسن القبيح وتقبح الحسن قال
صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ان من البيان لسحرا البيان بمعنى الفصاحة
واللسن بمنزلة ذكا وفطنة وقيل هو الكلام المنقح المقرب الى الافهام المبين لحسن
تبيين واقربه والسحر كما قال الراغب يطلق على معان احدها خداع وتخيلات لا حقيقة
لها كما لسعودة قال تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى ومنه ما يكون بمعاونة الشيطان
وما قيل من انه يغير الصور والطبايع لا اصل له وقيل انه ثابت واما في الحديث فهو
استعارة اي كالسحر في الدقة وصرف العقول والاسماع ولذا قيل فيه انه هنا يحتمل
المدح والذم فقال ابن قرقول انه اورده موردا لذم فشبهه بعمل السحر في قلب القلوب
وجلب الافئدة وتحسين القبيح وتقبيح الحسن واصله في كلام العرب الصرف يقال سحره
اذا صرفه وصيره كمن سحر له ويشهد له قوله في الحديث لعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض
فيكسب به من الاثم ما يكسبه الساحر بعمله فهو ذم وقيل انه ورد مورد المدح اي
يميل به القلوب ويرضى به الساخط ويستنزل به الصعب ولذا قيل له السحر الحلال
ويشهد له قوله ان من الشعر لحكمة وقد ادخل مالك الحديث في باب ما يكره من الكلام
والظاهر انه في الحديث محتمل للامرين وبه يحسن سياق المص ويقع في محزه واعلم ان ما ذكره
المص باب عظيم من ابواب البلاغة وهو ان الكلام المتحد المعنى يختلف باختلاف العبارة
كما حكي عن الرشيد انه راى في منامه ان اسنانه كلها وقعت وتعبيره ذهاب الاعوان
والانصار فطلب معبرا يعبر روياه فاتى له برجل عابر فقال له يموت اولادك ولجابك
وترى مصيبتهم فامر بقلع اسنانه كلها ثم اتى باخر فقال عمرك اطول من عمر اهلك وخواصك
واحبابك فامر ان يحشى فوه درا وله نظاير كثيرة في كتب البلاغة ولكل لفظ موقع

لايقع فيه مرادفه كما بينه الثعالبي في كتاب فقه اللغة فاما ما اورده اي المتكلم
في حقه صلى الله عليه وسلم بما لا يجوز عليه على جهة النفي عنه اي ان يكون منفيا
عنه والتنزيه له بنفيه عنه فلا حرج اي لا ضرر ولا تضييق فيه مع نفيه في تسريح
العبارة اي اطلاقها من غير احتراز وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة
اي في جميع احواله واقواله فذكر الكذب مع النفي لا منع فيه ولا اتيان الكباير بوجه
من وجوهها فذكر الكباير مع النفي لا ينافي الادب ولا يصدر عنه الجور في الحكم على حال
من الاحوال كالرضى والغضب ولكن مع هذا اي تجويز مثله في النفي يجب ظهور
توقيره وتعظيمه وتعزيره عند ذكر مثل هذا الكلام في النفي وقد وجب توقيره مع
ذكره مجردا من صفات لا تليق به فكيف بهذا فيعلم بالطريق الاولى وقد كان السلف
يظهر بهم حالات شديدة عند مجرد ذكره صلى الله عليه وسلم من بكا ورعدة لمهابته
وتغير لون وتواجد كما قدمناه في القسم الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك التوقير
والتعظيم عند تلاوة اي بالمدحيح اية من القران حكى الله فيهما مقال اعداه الضمير لله
تعالى فهو تنظير لا تمثيل ويحتمل عوده للنبي صلى الله عليه وسلم اي ما ذكر فيه
اعدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقايعه فهو تمثيل لما نحن بصدده
وذكر من كفر باياته اي ايات الله عز وجل ومعجزات رسله فالضمير لله ايضا
وافترى عليه الكذب اي اخترعه واختلقه فكان يخفض بها صوته في الايات التي
حكي فيها ذلك كانه خايف من اظهاره اعظاما لربه واجلالا له بقوته وشفقا
اي خوفا على نفسه وحذرا من التشبيه بمن كفر به في اجرا ما ذكر على لسانه او تلبسه
بما تلبسوا به وفي نسخة سبحانه لا اله الا هو العلي العظيم المتعالي عما يقوله
الجاحدون علوا كبيرا وخفض الصوت المذكور محكي عن ابراهيم النخعي رحمه الله
تعالى كما في التبيان وما قيل من ان سلب العيب يقتضي قابليته وانه من شانه
مما لا ينبغي ذكره كما لا يخفى الباب الثاني من هذا القسم الرابع في حكم سابه
شرعا وشانيه اي مبغضيه والمراد من يعيبه لبغضه وعداوته له ومنتقصه اي
ذاكر ما فيه نقص له صلى الله عليه وسلم وموذيه وفي ذكر عقوبته التي
يستحقها وذكر استتابته اي هل تقبل توبته ام لا ووراثته اي هل تورث امواله
ام لا قال القاضي ابو الفضل عياض المؤلف رضي الله عنه قد قدمنا في هذا الكتاب
ما هو سب واذى في حقه صلى الله عليه وسلم وذكرنا فيما تقدم ايضا اجماع
العلما على قتل فاعل ذلك المذكور من السب والاذية وتقدم الكلام ايضا على هذا
الاجماع وقايله اي من يقوله ويتكلم به وتخيير الامام في قتله بالسيف او صلبه
لتشهيره له بين الناس على منوال ما ذكرناه مفصلا وقررنا اي ذكرنا الحجج اي الادلة
من الكتاب والسنة القايمة عليه وبعد مبني على الضم اي بعد ما ذكرناه فاعلم

ايها المخاطب بما ذكرنا من كل من يقف عليه ان المشهور من مذهب الامام مالك
واصحابه من اهل مذهبه وقول السلف من الصحابة والتابعين وجمهور العلما اي
اكثرهم قتله خبران وهي وما بعدها ساد مسد مفعولي اعلم حدا لانه حد قذف
مخصوص بالانبيا كما تقدم لا كفرا اي لا يقتل بسبب كفره لانه ردة ان اظهر التوبة منه
اي مما قاله لانه ان امر عليه يكون كافرا ولهذا اي لكون قتله حدا لا تقبل توبته
عندهم لان الحدود لا تسقط بالتوبة وانما تنفعه توبته في الاخرة ان اخلص فيها
ولم تكن تقية ولا تنفعه استقالته اي طلبه الاقالة من ذنبه وما قاله في معنى التوبة
ولا فيئته بالفا والهمزة المفتوحتين بينهما يا ساكنة وتا التانيث اي رجوعه
عما صدر منه كما قدمناه قبل اي قبل هذا وحكمه شرعا حكم الزنديق وهو من يظهر
الاسلام مسرا الكفر اي مبطنه ومخفيه في سره وباطنه في هذا القول الذي قاله من السب
وقيل المراد به القول المشهور عن مالك واصحابه ومن وافقهم عليه وغيرهم يقول
فقبل توبته ولا يقتل وسوا كانت توبته على هذا القول المشهور عن مالك بقتله حدا
بعد القدرة عليه باخذه من جانب الحاكم والشهادة عنده على ثبوت قوله الذي استحق به
القتل او جا تايبا من قبل نفسه بدون اخذ له وقبل بكسر القاف وفتح البا الموحدة بمعنى
جهة لانه حد وجب عليه شرعا بسبب قذفه والحد لا تسقطه التوبة كساير الحدود
مثل حد الزنا والسرقة وكون الحدود لا تسقط بالتوبة ليس على اطلاقه متفق عليه
وانما هو فيما اذا كان محض حق الادمي اما ما هو حق لله ففيه خلاف وسياتي تفصيل
هذا الحكم ان شا الله تعالى وقال الشيخ ابو الحسن القابسي الذي قدمنا ترجمته اذا اقر
بالسب له صلى الله عليه وسلم او لغيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام وتاب
منه برجوعه عنه وندمه واظهر التوبة وقبلت منه قتل بالسب اي بسببه صلى الله
عليه وسلم لا بالكفر اذ هو حده اي حد هذا السب المخصوص بالانبيا وقال الشيخ
ابو محمد بن ابي زيد رحمه الله القيرواني المالكي شيخ المذهب كما تقدم في ترجمته مثله اي
مثل قول القابسي واما ما بينه وبين الله تعالى في الاخرة اذا اخلص في توبته فتوبته
تنفعه عند الله تفضلا منه فانه يقبل التوبة من عباده وقال ابن سحنون تقدم بيانه
ايضا من شتم النبي صلى الله عليه وسلم بذكر ما فيه نقص لمقامه الشريف من الموحدين
المراد بهم المسلمين فيخرج اهل الكتاب ثم تاب عن ذلك ورجع عنه لم تزل بضم اوله مضارع
ازال التوبة عنه اي فاعله القتل لانه حده كما تقدم وكذلك اي كما اختلف فيمن سبه
قد اختلف في الزنديق اذا جا تايبا من نفسه قبل الاخذ فحكى القاضي ابو الحسن بن
القصار تقدمت ترجمته في ذلك الذي جا تايبا قولين في مذهب مالك قال ابن
القصار من شيوخنا وفي نسخة منهم اي من اصحاب مالك من قال اقتله وجوبا باقراره
بسبه او بانه زنديق لانه قبل اقراره يقدر على ستر نفسه باخفا حاله ومقاله فلما

اعترف خفنا انه خشي الظهور عليه بالاطلاع على حاله فبادر اي اسرع قبل اخذه
لذلك الاعتراف تقية لا رجوعا وندما على ما صدر منه ومنهم اي من مشايخنا من ايمة
المالكية من قال اقبل توبته لاني استدل حكايته بلفظ هولا على صحتها اي توبته بمجيه
بنفسه من غير طلب فكانا وقفنا بظاهر حاله على باطنه وما اسره في قلبه بخلاف
من اسرته البينة اي شهدت عليه والزمته حتى كانه اسير شد في وثاق قال القاضي
ابو الفضل عياض المولف رحمه الله وهذا القول الثاني قول اصبغ من المالكية ومسيلة
ساب النبي صلى الله عليه وسلم اقوى في حكم القتل من مسيلة الزنديق لانه حق الله
وهذا ترجيح منه للقول الثاني لتسويته الاول بينهما لا يتصور فيها الخلاف الذي في الزنديق
على الاصل والقاعدة الفقهية من المشاححة في حقوق الادمي المتقدم بيانه لانه اي
سب النبي صلى الله عليه وسلم حق متعلق للنبي صلى الله عليه وسلم وحق لامته بسببه
لانهم كورثته في ارث حقوقه لا تسقطه التوبة كساير حقوق الادميين التي لا تسقط
الا برضى الخصم والزنديق حكمه اذا تاب بعد القدرة عليه باخذه بعد العلم بانه
زنديق فعند مالك والليث بن سعد واسحق بن راهويه واحمد بن حنبل لا تقبل توبته
ولا يسقط بها قتله وعند الشافعي تقبل توبته وما نقله المص عن الشافعي هو الصحيح
من اقوال خمسة مفصلة في كتب الفقه واختلف اي اختلف النقل فيه عن ابي حنيفة
وابي يوسف من اصحابه وترجمته مشهورة لا حاجة للتطويل بها وحكى ابو بكر ابن المنذر
الامام المشهور الحافظ كما تقدم عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه اي الزنديق
يستتاب اي تقبل توبته ان تاب بعد القدرة عليه والا قتل وقال محمد بن سحنون ولم
يزل بفتح اوله وضم ثانيه مبنيا للفاعل مضارع من الزوال اي لم يذهب ويسقط القتل
عن المسلم الذي سب النبي صلى الله عليه وسلم بالتوبة والرجوع عن سبه بعد
صدوره منه لانه لم ينتقل من دين هو حق الى غيره هو دين باطل فليس مرتدا وانما
هو على دين الاسلام لكنه صدر عنه ما يوجب الحد وانما فعل شيا وهو السب
الموجب للحد وحده عندنا القتل والحدود لا تسقط بالتوبة كما تقدم لا عفو
فيه لاحد لان حدود الله لا يسامح فيها فهو من هذا الوجه كالزنديق المظهر للاسلام
لانه اي الزنديق لم ينتقل من ظاهر في الحقية الى ظاهر في الباطلية غيره لبقا ظاهر
اسلامه على حاله قيل في تعليله هذا نظر لانه ان اراد انه لم ينتقل لدين نبي اخر
كموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام يرد عليه انه لو صار مشركا تقبل توبته
وظاهره ان من لم ينتقل لدين لا تقبل توبته وفيه نظر وحكم الزنديق مفصل في الفروع
لم يفصل في السب بين القذف وغيره والشافعية لهم فيه تفصيل وقوله بينهما الا
ان المص نقل ما في مذهبه وهو ثقة فيه لا يعترض عليه بمذهب غيره وسيفصله
في اخر هذا الباب بما يشفي الصدور وقال القاضي ابو محمد بن نصر تقدم بيانه محتجا

السقوط اعتبار توبته اى توبة من سب النبى صلى الله عليه وسلم والفرق بينه
وبين من سب الله تعالى فانه تقبل توبته وكان الظاهر خلافه لانه اشد والله تعالى اجل
واعظم وقد ذهب الاكثر الى قبول توبة من سبه على مشهور القول باستتابته وقبول
توبته والفرق على هذا ان النبى صلى الله عليه وسلم بشر والبشر جنس من شانه فى الجملة
انهم يلحقهم المعرة وهى النقيصة التى يلحق صاحبها عار قال فى المصباح المعرة المساءة
والاثم من قولهم عره بالشر يعره من باب قتل لطخه او هو من العر بمعنى الجرب فاستعير لما ذكر
فهذا يجوز ان يلحق بعض البشر الا من اكرمه الله بنبوته فانه وان كان من البشر لكن الله عصمه
وحفظه عن ان تلحقه معرة ونقص كغيره من البشر والبارى بمعنى الخالق وهو الله تعالى
منزه ومبرا عن جميع المعايب قطعا اى بدليل عقلى لا يتردد فيه عاقل وليس من جنس
اى ليس له جنس يكون منه لانه واحد احد فى ذاته وصفاته ليس كمثله شئ ولا هية
له ولا يحد فلا يكون من جنس تلحق المعرة جنسه بلحوق بعض افراده المعرة فيتوهم لنسبة
نقص له فلكونه معلوم الانتفا لم ينظروا اليه وجاز قبول توبة من سبه بخلاف البشر
وليس هذا لكون سب الله اهون من سب غيره وهو مناف لقوله فى نسبة الولد له تكاد
السموات يتفطرن منه وتنشق الارض كما توهم بل لانه لظهوره بقدسه وتنزهه لا يلحقه
بكلام بعض من لا عقل له نقص ولو عند العقول القاصرة فلا يبالى بمثله وهو ضرب
من الهذيان وهذا مكابرة قرره الفقها ناشى من عدم الاذعان وهو ان هذا حق الله اكرم
الاكرمين وحقوق الله تقبل العفو وليس سبه صلى الله عليه وسلم كالارتداد المقبول
فيه التوبة وسبه لا تقبل فيه التوبة على قول كما تقدم لان الارتداد بخروجه عن دينه معنى
ينفرد به المرتد اى يختص به فى نفسه لا حق فيه لغيره من الادميين بتوقف قبول على رضاه
فقبلت توبته اى المرتد لهذا ومن سب النبى صلى الله عليه وسلم تعلق فيه اى بسبب
سبه حق لادمى وهو النبى صلى الله عليه وسلم فكان من سب النبى صلى الله عليه وسلم
كالمرتد يقتل بالبنا للفاعل اى يقتل المرتد رجلا اخر حين ارتداده وفى نسخة حال ارتداده
فحينيذ يتعين قتله لحق الادمى الذى قتله قصاصا او يقذف اى المرتد الذى يقذف
حال ردته فلا بد من اقامة الحد عليه لتعلق حق الادمى به حينيذ فان توبته اى توبة
المرتد الذى قتل او قذف حين ردته لا تسقط توبته عنه حد القتل والقذف لانه
حق ادمى غيره وهذا هو الاصح فى المرتد انه لا بد من استتابته والكلام عليه مفصل
فى الفروع وفيه خلاف لبعضهم وايض مما يدل على الفرق بين المرتد والساب فان توبة
المرتد اذا قبلت فاسقطت قتله من حيث هو مرتد لا تسقط توبته ذنوبه من غير الردة
من زنا او سرقة او غيرهما من حقوق الادميين وانما تثبت اسلامه ولم يقتل ساب النبى
صلى الله عليه وسلم لكفره فيكون ردة كما قيل لكن لمعنى يرجع ويعود الى تعظيم حرمته
وحفظ مقامه باحترامه وتوقيره ويرجع الى زوال المعرة والنقص اللاحق به وذلك

لاتسقطه

لا تسقطه التوبة لانه متعلق بعرضه فهو حق له كحقوق الادميين وهذا هو القول
الصحيح عند ابى حنيفة والشافعى وغيرهما وفى قول انها تسقطه ايضا لقوله فى الزنا
فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما وفى السرقة فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب
عليه ولا خلاف فى سقوطها فيما بينه وبين الله لعدم مواخذته بهما وعليه يحمل ما ذكر
وقال النووى فى الروضة سقوط الحد بالتوبة قول ضعيف قال القاضى ابو الفضل
عياض المصنف رحمه الله تقييد لما تقدم من ان سبه صلى الله عليه وسلم ليس
بكفر يريد والله اعلم لان سبه صلى الله عليه وسلم لم يكن بكلمة تقتضى الكفر
كانكار نبوته ونحوه فهذا ليس محل الخلاف وعليه يحمل ما ورد من الحكم بكفره
واما قوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه
فمعناه لا يكمل اسلامه كغيره من النصوص فمن توهم منافاته لما ذكره المص فقد قصر
فالسب له مراتب تختلف بها احكامه ولكن المراد بالسب المذكور ما يكون بمعنى
الازرا والاستخفاف اى يذكر فيه تنقيص لمقداره واذية غير شديدة او لان
من صدر عنه ذلك القول بانه بتوبته ورجوعه عما قاله وانابته اى رجوعه
الى الحق ارتفع عنه اسم الكفر كالمرتد اذا اسلم لا يسمى كافرا ظاهرا ونحن انما نحكم
بالظاهر والله تعالى اعلم بسريرته فان الله عز وجل هو العالم بالسراير وبقى حكم السب
عليه لم يرتفع فيقتل حدا فلو اصر فهو كافر وفى قوله ازرا واستخفاف نظر لان الازراء به
صلى الله عليه وسلم والاستخفاف به كفر بل من اعظم الكفر فاستدراكه ليس
فى محله ثم انه قيل اذا كان حدا كيف يترك والحدود لا يتسامح فيها كما تقدم وقد ترك
النبى صلى الله عليه وسلم قتل بعض من سبه واذاه الا ان يقال انه من خصايصه
جواز تركه اذا كان له فيه حق الا ان هذا يعود على الدليل بالنقض فلا يتم الجواب
ولا يلزمه ان يكون مقتولا بالكفر الباطن وهو لا يحكم به كما قيل وقال ابو عمران القابسى
وفى نسخة الفاسى وقد تقدم بيانه من سب النبى صلى الله عليه وسلم ثم ارتد عن
الاسلام باظهار خروجه منه قتل ولم يستتب اى لم تطلب توبته ولم تقبل
لان السب من حقوق الادميين التى لا تسقط عن المرتد وان تاب لكن توبته ان اظهرها
واخلص فيها بقبتة فى الاخرة وكلام شيوخنا المالكية هولا المنقول عنهم انفا
وغيرهم مبنى على القول بقتله اى الساب حدا فى قذف الانبيا لا كفرا بردته الا ان مجرد
هذا لا يكفى فى تحقيق ما قالوه وهو يحتاج الى تفصيل اكثر مما قالوه وهذا مبنى على
عدم كفره والفرق بين القتل حدا وكفرا وكلاهما مشكل وقال السبكى فى السيف
المسلول ان قتل المرتد عقوبة خاصة رتبها الشرع على خصوص الردة كالرجم على الزنا
فقتل المرتد حد وسقوطه بالتوبة لا ينافيه فان الرجم حد بالاتفاق مع الاختلاف
فى سقوطه بالتوبة ومن ظن ان من سماه حدا لا يسقطه بالاسلام فهو غالط فالساب

المسلم مرتد والكلام فيه كالكلام في المرتد وان قتل كقتله حدا انتهى ومنه يعلم
ما في كلام المص في هذا الفصل وانه فرق بين الحد وقتل الكفر وهو غير مسلم ايضا
واما استشكاله بانه كيف يكون حدا مع انه صلى الله عليه وسلم ترك قتل بعض
الناس ممن سبه والحدود لا يمكن تركها فغير مسلم على اطلاقه فانما لا يعفى
عنه منها ما هو حق الغير واما حق نفسه صلى الله عليه وسلم فليس كذلك
كما مر واما على رواية الوليد بن مسلم الذي قدمنا ترجمته عن مالك ومن وافقه على
ذلك ضمير وافقه لمالك او للوليد ممن ذكرنا فيما تقدم وقال به من اهل العلم فقد صرحوا
انه اي سب الرسول صلى الله عليه وسلم ردة وكفر قالوا ويستتاب منها فتقبل
توبته كغيره ممن ارتد فان تاب نكل بينا المجهول مشددا اي عوقب بتعزيره وضربه ونحوه
وان ابى التوبة فلم يتب قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقا اي باي وجه كانت ردته فحكمها
ما ذكر في هذا الوجه على هذا القول الذي رواه الوليد عن مالك والوجه الاول من انه
يقتل حدا لا كفرا اشهر واظهر لما قدمناه في توجيهه ونحن نبسط الكلام اي نفصله
ونوضحه فيه اي في سبه صلى الله عليه وسلم فنقول من لم يره اي من لم يعتقد ويذهب
الى انه ردة وكفر فهو يوجب القتل فيه حدا لا كفرا وانما نقول ذلك مع فصلين اي
في وجهين وصورتين مخصوصتين نفصله ونميزه عن غيره اما مع انكاره بما شهد به
عليه من سبه صلى الله عليه وسلم ولاجل انكاره لم يحكم بكفره لكن لما قامت
البينة العادلة عليه او مع اظهاره الاقلاع افعال من القلع وهو النزع اريد به
الترك بالكلية والرجوع عنه والتوبة عنه هو عطف تفسير فقتله حدا كما تقدم لثبات
كلمة الكفر عليه بشهادة امضاها الحاكم عليه في حق النبي صلى الله عليه وسلم بسبه
صلى الله عليه وسلم فيجد حد قاذف الانبيا وهو القتل وتحقيره ما عظم الله من حقه
الذي وجبه على عباده واجرينا حكمه اي حكم الساب المنكر في ميراثه فورثنا ورثته
منه لظاهر اسلامه وغير ذلك من حقوق المسلمين حكم الزنديق اذا ظهر عليه وانكر
او تاب ثم استشعر سوالا بانه كيف لا يحكم بكفره بعد ثبوت تكلمه بكلمة الكفر واجاب
عنه بقوله فان قيل فكيف تثبتون عليه الكفر ويشهد بينا المفعول اي يشهد الشهود
وفي نسخة ويشهدون عليه بما قاله من تلفظه بكلمة الكفر في سبه للنبي صلى الله عليه
وسلم ولا يحكمون عليه بحكمه اي بحكم الكافر المرتد من الاستتابة وتوابعها من ترك
قتله اذا تاب ونحوه قلنا في الجواب عن هذا السوال نحن وان اثبتنا له حكم الكافر
في القتل اي في قتله كالمرتد فلا نقطع اي نجزم بالحكم عليه بذلك اي بكفره لاقراره
بالتوحيد واتيانه بكلمته واقراره بالنبوة اي بان محمدا نبي الله ورسوله صلى الله عليه
وسلم وانكاره ما شهد به عليه من السب والتحقير ورعمه بتثليث اوله اي ادعايه
ان ذلك الذي صدر منه كان منه وهلا اي خطا وذهولا منه وهو بفتحتين من وهل

الى الشي يميل بالكسر كيعد اذا ذهب وهمه اليه او من وهل بالكسر يوهل اذا غلط وسها
ومعصية اي زعمه انه معصية لما سبق اليه وهمه من غير تعمد منه وانه مقلع
عن ذلك اي راجع عنه نادم عليه اي على ما صدر عنه واجاب عنه سوال
تقديره فكيف يثبت له احكام الكفر مع اسلامه بقوله ولا يمتنع شي عما اثبات
بعض احكام الكفر كالقتل على بعض الاشخاص وان لم تثبت له خصايصه
اي ما يختص بالكفر في ميراثه وغيره كقتل تارك الصلاة عند القايل به كالشافعي
رضي الله عنه وهذا اذا تركها كسلا وتهاونا لا جحدا لها فانه كفر بالاتفاق وعلى
ما تقرر من مذهب الشافعي قال السبكي في طبقاته للمزني فيه اشكال صعب فان هذا
لا يتصور لانه اما ان يكون على ترك صلاة مضت ولم تات والاول باطل لان
المقضيه لا يقتل تاركها والثاني كذلك لان له التاخير ما لم يخرج الوقت فعلام
يقتل وقد اجيب عنه بوجوه الاول انه وارد في التعزير والضرب فالجواب الجواب
وهو جدلي الثاني انه على الماضية لانه تركها بلا عذر ورد بان القضا لا يجب على
الفور وبان الشافعي لا يقتل بالمقضيه مطلقا ومذهب اصحابه انه لا يقتل بالامتناع
عن القضا الثالث انه يقتل بالموداة في اخر وقتها ويلزمه ان المبادرة الى القتل
لتارك الصلاة احق منها الى المرتد اذ يستتاب وهذا لا يستتاب ولا يمهل اذ لو
مهل صارت مقضية وقد مر ما فيه انتهى اقول قد يقال المراد من اعتاد ذلك بقطع
النظر عن كونها ادا او قضا لما فيه من تهاونه بما هو عماد الاسلام والمعترض فرضها
في صلاة واحدة معينة فتدبر واما من علم انه سبه صلى الله عليه وسلم
معتقدا استحلاله اي وهو يعتقد ان سبه يحل له مع حرمته اجماعا فلا يشك
في كفره بذلك اي باعتقاده حل ما حرمه الله وما ذكره من ان سبه انما يكون كفرا اذا
استحله صحح بعضهم خلافه وقال الصحيح انه يكفر مطلقا وهو اظهر وكذلك لا يشك
في كفره ان كان سبه كفرا اي ما سبه به فان انواع السب متفاوتة وتكذيبه اي ادعا كذبه
فيما بلغه عن ربه وتكفيره اي قوله انه صدر منه كفر ونحوه فانه متضمن لعدم الايمان
به صلى الله عليه وسلم وهو عين الكفر فهذا مما لا اشكال فيه اي في الحكم بكفره
لما عرفته ويقتل ان لم يتب بل وان تاب منه اي مما اورثه وصمة الكفر وطوقه اغلاله
لكن قتله مع عدم توبته لردته به لانا لا نقبل توبته قبولا يدفع عنه القتل ونقتله
بعد التوبة حدا لا كفرا لرجوعه عنه وانما نقتله لقوله الذي صدر منه وتقدم كفره
قبل توبته صيانة لمقام النبوة لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم
وهذا احد المذهبين فيه عند الشافعي والاخر انه اذا قبلت توبته واقلاعه لا يقتل
وهذا حكمه في الدنيا وامره بعد اي بعد قبول توبته في الاخرة مفوض الى الله المطلع
على صحة اقلاعه واخلاص طويته في توبته العالم بسره وما اضمر في قلبه من عقيدته

وكذلك من سبه ولم يظهر التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم اى تحقق ثابتا ملازما
لقوله عليه فهذا كافر بلا خلاف فى كفره وقتله بقوله الصادر عنه وباستحلاله
هتك حرمة الله نبيه صلى الله عليه وسلم والحرمة ما يجب احترامه وتوقيره
وهتك بتركها واظهار ما يخالفها يقتل كافرا بلا خلاف فى كفره وقتله فعلى هذه
التفصيلات المذكورة خذ كلام العلماء اى علم واعتقد ما نقل عن علما الائمة من اصحاب
المذاهب على الاصح عندهم فهو وما بعده امر نجا وذال معجمتين من الاخذ وقيل انه
بجا مضمومة ودال مهملتين مشددة اى اعتبر حد وده ونزل اى احمل مختلف عباراتهم
المنقولة عنهم فى كتبهم فى الاحتجاج عليهما فقدم القتل نزل على بعض الصور ووجوبه
نزل على بعض اخر مما فصله واجر اختلافاتهم المنقولة عنهم فى الموازنة اى تعيين احكامها
وتطبيق بعضها على بعض كما تعلم المقادير بوزنها وفى نسخة فى الموارثة وغيرها بمخالفة
البعض لغيره على ترتيبها اى ترتيب التفصيلات المتقدمة يتضح لك مقاصدهم
نفيا واثباتا بالتوفيق بينها ان شا الله تعالى فصل اذا قلنا بالاستتابة لمن سب
النبى صلى الله عليه وسلم وساير الانبيا حيث تصح اى فى محل حكم بصحتها فيه الفقها
فالاختلاف فيها اى الاستتابة على الاختلاف فى توبة المرتد لاشتراكهما فى الكفر بعد
الاسلام لا فرق بينهما عند مالك واصحابه ولو قال الاستتابة المرتد كان احسن لانه
اذا جا تايبا من نفسه لم يجر فيه هذا الخلاف وقد اختلف فى وجوبها وصورتها اى
فى كيفية الاستتابة على اى وجه يكون ومدتها التى يمهل فيها فذهب جمهور العلما اى
اكثرهم الى ان المرتد يستتاب اى يطلب منه التوبة عن ردته وحكى ابن القصار من ايمة
المالكية وقد تقدمت انه اجماع من الصحابة فى زمنهم رضى الله عنهم اجمعين ثم
بين الاجماع بانهم اتفقوا على تصويب قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى الاستتابة
حين حكم بها ولم ينكره واحد منهم ولم يخالفه فيه احد وهو قول عثمان بن عفان رضى الله
عنه وعلى بن ابى طالب كرم الله وجهه وابن مسعود من الصحابة رضوان الله عليهم
اجمعين ثم ذكر من تابع الصحابة عليه من كبار التابعين ولذا غير اسلوبه فقال وبه
قال اى افتى واعتقد عطا بن ابى رباح كما تقدم وابراهيم النخعى بفتح الخا المعجمة وسكنها
بعضهم تخفيفا وسفيان الثورى ومالك واصحابه والاوزاعى نسبة للاوزاع
قبيلة كما تقدم والشافعى واحمد بن حنبل واسحق بن ابراهيم بن راهويه واصحاب الراى
قال النووى المراد باصحاب الراى فى عرف اهل خراسان من الشافعية ابو حنيفة
واصحابه وهى عبارة غير لايقة ان قصدوا بها انهم يتبعون اراهم ولا يتقيدون بنصوص
الاحاديث فان اريد بها شدة ذكايهم فى استنباط الاحكام كما قال المتنبى الراى
قبل شجاعة الشجعان هو اول وهى المحل الثانى فلا باس به وذهب طاووس بن
كيسان اليمنى ومحمد بن حسين وعبيد بن عمير بن قتادة بن سعد الليثى وهو ثقة لخرج له

الستة وفى سنة اربع وسبعين ومائة والحسن فى احدى الروايتين عنه والاخرى موافقة
للجمهور فيه الى انه لا يستتاب فيقتل وقاله عبد العزيز بن ابى سلمة بفتحتين وهو المعروف
بالماجشون كما تقدم وهو امام عظيم مشهور توفى سنة اربع وعشرين ومائة وليس
هو عبد العزيز ابن ابى سلمة العمرى وذكره عن معاذ بن جبل الانصارى الصحابى اى رواه
عنه وانكره سحنون عن معاذ اى انكر روايته عنه وحكاه الطحاوى عن ابى يوسف
وهو قول اهل الظاهر اى من مذهبهم الاخذ بظاهر الادلة وهو مذهب داود بن محمد
الظاهرى ومن تبعه كابن حزم قالوا وان لم يستتب تنفعه توبته عند الله فى الاخرة
لانه ليس بكافر ولكن توبته لا تدرا اى تدفع وترفع عنه القتل عند الحاكم بقتله حد
لقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان عن ابن عباس من بدل دينه
فاقتلوه وظاهره المبادرة لقتله من غير استتابة والقايل بخلافه يقول ان لم يتب
لقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف الى غير ذلك من الادلة وحكى
ايضا عن عطا ابن ابى رباح اذا كان المرتد والساب ممن ولد فى الاسلام بان ولد مسلما وكان
بين اظهر المسلمين لم يستتب لانه غير معذور فى مثله ويستتاب الاسلامى اى من ولد
كافرا ثم طرا عليه الاسلام لقيام شبهة عنده بما كان فى طبعه من الكفر فيعذر
ويتالف وجمهور العلما على ان المرتد والمراة المرتدة فى ذلك اى فى القتل بالردة سوا
لا فرق بينهما وروى عن على رضى الله عنه موقوفا عليه وهو مذهبه لا تقتل المرتدة
وتسترق وتحبس لما ورد فى الحديث من النهى عن قتل النسا وقاله عطا وقتادة وروى
عن ابن عباس لا تقتل النسا فى المردة اى بسببها ولاجلها وبراى بهذا المذهب قال
ابو حنيفة وروى عن مالك ايضا القول به وفى نسخة وقال مالك رحمه الله وقد
علمت ان مذهب ابى حنيفة انها لا تقتل بل تحبس ودليله ما ورد فى الحديث من النهى
عن قتل النسا وغيره حمله على الكافرة الاصلية لان الكافر لدفع ضرره ونكايته والمراة
لا يخشى نكايتها وغيره يقول العلة الكفر والحر والعبد والذكر والانثى فى ذلك الحكم
سوا فيقتلون جميعا واما مدتها اى مدة الاستتابة عند القايلين بها فمذهب
الجمهور من العلما فيها وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى تقدير المدة
انه يستتاب ثلاثة ايام ويحبس فيها فان تاب اطلق والا قتل وقد اختلف فيه اى
فى هذا المذهب المروى عن عمر فى المدة المذكورة وهو احد قولى الشافعى والقول الاخر
انه يستتاب فى الحال فان تاب والا قتل وهو قول احمد بن حنبل واسحق بن راهويه ايضا
واستحسنه الامام مالك ابن نشر وقال مالك فى وجه استحسانه لرجحانه عنده
لا ياتى الاستظهار اى الاحتياط بالتاخير والتثبت حتى يظهر الاولى الا بخير
اى الثانى وعن عمر العجلة خير فى مثل هذا وليس عليه اى على هذا القول بالتاخير والتاخر
جماعة الناس اى فالجمهور على خلاف هذا القول قال الشيخ ابو محمد بن ابى زيد من المالكية

وقد تقدمنا ترجمته يريد في الاستينا اي التاخير وهو استفعال من التاني والانا
واصله من الآن وهو الزمان كما قال تعالى الم يان للذين امنوا ثلاثا من الايام كما تقدم
وقال مالك ايضا الذي اخذ به اي عمل به واتخذه مذهبا في حكم المرتد قول عمر رضي الله
عنه وهو انه يحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه كل يوم للتوبة والرجوع بوعظه ونصحه
فان تاب اطلق والا قتل وقال ابن ابو الحسن ابن القصار من المالكية كما تقدم وفي تاخيره
ثلاثا روايتان عن مالك هل ذلك التاخير واجب على الحاكم فلا تجوز المبادرة لقتله
او مستحب فيجوز قتله قبلها وا ستحسن الاستتابة والاستينا بالمد اي التاخير ثلاثا
اهل الراي اي القياس والمراد ابو حنيفة واصحابه كما مر بما فيه وروى عن ابي بكر الصديق
رضي الله عنه انه استتاب بامراة اي طلب توبة امراة ارتدت واسمها ام قرفة وهي
من بني فزارة فلم تتب فقتلها لانه لا فرق عنده بين الذكر والانثى وقال الشافعي مرة
اي يستتاب مرة واحده فقال ان لم يتب قتل مكانه اي في محله الذي عرض عليه
التوبة فيه واستحسنه المزني من ائمة الشافعية وهو القول الصحيح في مذهبهم
وقال الامام ابو بكر محمد بن مسلم ابن شهاب الزهري يدعى الى الاسلام ثلاث مرات
في وقت واحدا وفي يوم واحد ويحتمل انه في ثلاثة ايام وهو خلاف الظاهر فان ابى
التوبة قتل وروى عن علي انه يستتاب شهرين فان ابى قتل وقال النخعي يستتاب ابدا
المراد به زمنا طويلا وبه اخذ سفيان الثوري الا انه قال زيادة ما رجيت توبته
فزاد قيدا فسر به كلام النخعي بان المراد بالابد ما دامت التوبة ترتجى منه وربما يكون
كلام ابن وهب الاتي عن مالك مفسرا لهذا وحكى ابن القصار عن ابي حنيفة انه
يستتاب ثلاث مرات في ثلاثة ايام او ثلاث جمع جمعة في كل يوم او في كل
جمعة مرة هذا اما تخيير من ابي حنيفة او شك من ابن القصار او من المص وفي كتاب محمد
المعروف بابن المواز من المالكية عن ابن القاسم واسمه عبد الرحمن كما تقدم يدعى المرتد
الى الاسلام ثلاث مرات في ثلاثة ايام كما هو مذهب مالك فان ابى الرجوع ضربت
عنقه بعد دعوته واختلف على هذا باستتابته وتاخير قتله هل يهدد بزجر ووعيد
بالقتل ونحوه او يشدد عليه بتضييق حبسه ووضعه في الاغلال ونحوه في مدة
ايام الاستتابة ليتوب بسبب تهديده والتشديد عليه ام لا فيكتفى بحبسه
فقال مالك ما علمت ان في زمن الاستتابة تجويعا بعدم ايصال الطعام ولا تعطيشا
بترك سقيه الما ويؤتى من الطعام بما لا يضره فلا يؤتى ما هو شديد المرارة او
مستقذرا يكرهه وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل ليرجع ويعرض
عليه الاسلام فيقال له اسلم تسلم وفي كتاب ابي الحسن الطابثي بفتح الطا المهملة
والف بعدها با موحدة ثم ثا مثلثة ويا نسبة لطابث وهي قرية قريبة من البصرة
وهذا من جملة العلما المشهورين وفي نسخة ابي الحسين انه يوعظ في تلك الايام

البتي

البتي مهملا بها ويذكر بالجنة ودخولها اذا تاب ويخوف بالنار وعذابها اذا لم يتب
ويرجع عما هو عليه وقال اصبغ واي المواضع حبس فيها من السجون مع الناس المحبوسين
فيها بسبب ما او حبس وحده في سجن مخصوص به اذا استوثق منه وفي نسخة اذا
اوثق اي حفظ حتى لا يفر اذا المقصود حفظه حتى يتبين حاله فكل سجن في حقه سوا
لحصول المراد به ويوقف مع ذلك ماله اي كل شي يملكه يجعل محفوظا بيد غيره ويجوز
جعله ما موصولة وله جار ومجرور صلة لها خيفة بالنصب مفعول له وفي نسخة
اذا خيف ان يتلفه على المسلمين اي لئلا يتلفه عليهم وهذه علية لا يلزم اطرادها
فلا وجه للاعتراض بانه يقتضي انه لا يوقف ان لم يخش تلافه لان وقفه لاجل انه
فيئ لرذته ويطعم منه اي من ماله ويسقى اي ينفق عليه مدة حبسه من ماله يعني ان ماله
موقوف لم يزل ملكه عنه فان سلم تبين انه باق على ملكه والا كان فيئا كغيره من اموال
الكفرة فيوضع في بيت المال والكلام عليه مفصل في كتب الفقه وكذلك اي مثل
ما تقدم من المدة تفصيلا يستتاب كلما رجع وارتد لردته ثم تاب اي اذا تكررت ردته
ابدا ثم استدل لقوله وقد استتاب النبي صلى الله عليه وسلم نبهان بفتح النون
وسكون البا الموحدة وها وهو فعلان من نبه ونبيه وفي الصحابة من اسمه نبهان ثلاثة
احدهم نبهان التمار وكنيته ابو مقبل وسمي تمارا لان امراة جميلة باعته تمرا فقال ان في
بيتي اجود منه فذهبت معه فضمها وقبلها فقالت له اتق الله فتركها ثم ندم واخبر
بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيه والذين اذا فعلوا فاحشة الاية
وقال البرهان في الصحابة ثلاثة اسم كل منهم نبهان لا اعلم الذي ارتد منهم اربع مرات
وخمسا اهو ابو مقبل التمار الذي روا عنه مقاتل وغيره او نبهان الذي ذكره ابن شاهين
وروى عنه ابنه والثالث نبهان الانصاري قال الذهبي ولعله احد هذين وذكر
البيهقي من ارتد وان اسمه نبهان ولم يعينه ولم يذكر ابن الجوزي من اسمه نبهان
من الصحابة غير الاول وقال ابن وهب المصري المالكي وقد تقدم عن مالك يستتاب
ابدا كلما رجع الى ردته وتكررت منه وهو قول الشافعي واحمد بن حنبل وقال ابن القاسم
وقال اسحاق بن راهويه يقتل في الردة الرابعة دون استتابة لانه علم بها عدم ثباته
على الاسلام وقال اصحاب الراي يعني الحنفية ان لم يتب في الردة الرابعة من نفسه
من غير استتابة قتل دون استتابة اي لا تطلب توبة منه ولا عرضها
عليه وان تاب بنفسه في الرابعة ضرب ضربا وجيعا شديدا مؤلما زجرا له
على تكرر ردته ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة بانكساره
وندمه وتذلله وهذا لا يخالف قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف لانه في حق الكافر الاصلي مع انه لا ينافي مغفرة الله له
اصلا قال ابو بكر محمد بن المنذر الذي تقدمت ترجمته ولا نعلم احدا ممن يعتد به

من العلما اوجب على المرتد في المرة الاولى من ردته المتكررة ادبا اى تاديبا بضرب وبحبس
اذا رجع عنها بنفسه الى الاسلام وهذا مذهب مالك والشافعي وابو حنيفة الكوفي
نسبة الى الكوفة مدينة معروفة وفى تقييده بالاولى اشارة الى ان في غيرها خلافا
كالثالثة فصل قال القاضي ابو الفضل عياض المصنف رحمه الله هذا المذكور كله
حكم من ثبت عليه ذلك الذى قدمه من السب والردة بما يجب ويتحقق ثبوته شرعا
من اقرار واعتراف بما صدر منه او عدول اى شهادة شهود عدول لم يدفع فيهم بالبنا
المجهول اى لم يطعن بتهمة في عدالتهم فاما من لم تتم الشهادة عليه اى نصابها او لم تقبل
بما شهد عليه الواحد فقط او اللفيف اى الجماعة والطائفة الملتفين من الناس
الذين لا تقبل شهادتهم وقيل المراد باللفيف اشخاص مختلفة لهم عليه حمية
وعصبية او اهل التزوير او ثبت قوله الصادر عنه لكن احتمل معنى اخر لا يقتضى
الكفر ولم يكن صريحا في السب او الكفر وكذلك اى مثل ما لم يتم من الشهادة ان تاب
ورجع بنفسه على القول بقبول توبته كما تقدم نقله فهذا يدرا اى يدفع ويمنع عنه
القتل ويتسلط اى يمضى عليه اجتهاد الامام فيفعل ما يقتضيه رايه من زجر وضرب
ونحوه بقدر شهرة حاله قبل ذلك بشهرة ديانته وحفظ لسانه ونحوه مما علم منه
وقوة الشهادة عليه لكونهم غير معروفين بالكذب والغفلة ونحوها وضعفها بكونهم
على خلاف ذلك وكثرة السماع عنه بكثرة ما عزى اليه وصورة حاله اى ظاهره
من التهمة في الدين اى كونه متهما في دينه معروفا بالفسق والتهاون والنبز بفتح النون
وسكون البا الموحدة وزاى معجمة اى وصفه بين الناس وشهرة ذكره بالسفه اى
الخفة في العقل والدين وكثرة لغطه بما لا يعنى والمجون اى سخريته وهزله وعدم
مبالاته بما يتكلم به واصل النبز اللقب المذموم قال تعالى ولا تنابزوا بالالقاب
يقال نبزه وتنزبه اذا دعاه بسوء فاريد به هنا شهرة اتصافه به حتى كانه صار
علما له والسفه اصله لغة الخفة كما علم والمجون غلظ الوجه فاريد به ما مر
ولا يرد على هذا انه اذا تم انتفى حكمه فكيف يتسلط عليه حكم الحاكم لانه امر
يرجع لاجتهاد الحاكم صيانة لامر الدين ممن قوى امره بظهور ما نسب اليه بما يقتضى
الكفر لكونه معروفا بقلة دينه وكثرة صدور ما يشتهيه منه اذاقه اى فعل به
الحاكم ما يقتضيه حاله من شديد النكال اى العقوبة الشديدة المانعة له
عما فعله والاذاقة في الطعام استعيرت لمس الالام كما تقرر عندهم من التضييق
عليه بحبس في السجن ونحوه وهو بيان للنكال والشد اى الربط في القيود الى الغاية
والنهاية التى هى منتهى طاقته اى ما يطيقه ولا يتكلف لشيء مما اى من انواع
الشد والتضييق بحيث لا يمنعه القيام لضرورته اى فعل اموره الضرورية التى
لا بد له منها في وجوده ولا يقعده عن صلاته اى يعوقه عنها او عن اداء اركانها

على التمام فليس القعود عنها ضد القيام بل العوق عنها مجازا وفيه ايهام وتورية
لجواز ارادة انه يصلى قاعدا لكنه غير مراد وهو اى النكال المذكور حكم كل من وجب عليه
القتل بوجه من الوجوه لكن وقف بالبنا المجهول اى يوقف الحاكم عن قتله بعدم
المبادرة له لمعنى اى سبب عن وقصد اوجبه اى التوقف في قتله وتربص بالبنا المجهول
اى اخر وانتظر في امره لاشكال اى لامر اوجب التردد فيه وعاق اى امر عاق عنه
اقتضاه اى اقتضى التربص والتاخير امره اى حاله وشانه وحالات الشدة عليه
في نكاله وعقابه تختلف شدة وضعفا بحسب اختلاف حاله في الظهور والقوة
وعدمهما وقد روى الوليد ابن مسلم كما تقدم عن مالك والاوزاعى انها اى مقالته
عن الصريحة ردة فاذا تاب ورجع عنها نكل بالبنا المجهول والتشديد اى عوقب ولمالك
في العقبية اسم كتاب كما تقدم وكتاب محمد المواز كما تقدم من رواية اشهب عن الامام مالك
اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه بقتل وغيره وقاله سحنون رحمه الله تعالى وافتى ابو
عبد الله بن عتاب من المالكية فيمن سب النبى صلى الله عليه وسلم فشهد عليه
شاهدان بانه سب لكن عدل احدهما دون الاخر بالادب اى افتى بتاديبه فهو
متعلق بافتى وما بينهما اعتراض الموجع المولم والتنكيل بعقوبته والسجن الطويل
زمانه حتى تظهر عليه توبته اى علاماتها وقال القابسى مثل هذا الذى قاله ابن عتاب
بعينه ومن كان اقصى اى غاية امره في الحكم عليه القتل فعاق عائق عن قتله كما مر تمكن
صفة عائق في القتل متعلق بها على التنازع وقوله لم ينبغ لم يضبطه احد ممن تكلم
عليه هنا الا انه وقع في النسخ بنون بعدها موحدة وغين معجمة وهو بكسر العين مجزوم
واصله ينبغى ولو قيل انه بسكون الغين صح لكنه بعيد من نبغ وهو اذا اسند
لغير العقلاء كان بمعنى ظهر يقال نبغ الامر اذا ظهر فهو ظاهر هنا وان لم يولف استعماله
ويقال نبغ فلان اذا قال الشعر وبه سمى النابغة ان يطلق من السجن اى لا يظهر اطلاقه
منه بل يتعين فيه مدة ولكن يستطال سجنه وفى نسخة ولا يستطال سجنه وينبغى
ان يعطف على يطلق ان لا يقتضى ينبغى ان لا يستطال سجنه ليتفق معناهما ولو كان
فيه اى في السجن من المدة الطويلة ما عسى ان يقيم في السجن اى ولو طال جدا ويحمل
عليه من القيد ما يطيق اى غاية ما يطيقه ولا يكلف فوق طاقته وتحمله وكل هذا
تعزير له براى الحاكم لتهمته وان لم يثبت عليه ذلك ومثله كثير في الاحكام الشرعية
فلا وجه لانكاره والقول بانه لا يلزم من عدم ثبوت ما يوجب القتل ثبوت ما يوجب
التعزير لا سيما على مذهب مالك في سد الذرائع لا وجه له فالمدندنة بمثله والاطالة
فيه من ضيق العطن وقلة الفطن وقد كرره وحسبه شيا منه تفرد به وقال القابسى
في مثله من اشكل امره ولم يظهر حاله يشد في العقوبة شدا وثيقا ويضيق عليه
في السجن اى يضيق عليه بسجنه او يضيق سجنه حتى ينظر اى يعلم امره فيما يجب عليه

من تنكيل او قتل او اطلاق وقال القابسي في مسئلة اخرى مثلها مشابهة لها ولا تهراق
الدما اي تصب من الاراقه والهاء زيدة فيه وفيه كلام مفصل في كتب العربية واللغة
ليس هذا محله الا بالامر الواضح الذي لا اشكال فيه لان الدما مصونة شرعا حتى يظهر
ما يقتضيها وفي الادب اي التاديب بالضرب بالسوط والادب بالسجن نكال للسفها
رادع لهم عن التكلم بما لا يليق ومنع عن اراقة الدما والجراة على الحدود المدراة بالشبهات
ويعاقب عقوبة شديدة تردعه عما جناه مقاله فاما ان لم يشهد عليه سوى شاهدين
لانحصار الشهادة فيهما فاثبت المشهود عليه من عداوتهما اي اثبت ان بينه وبينهما
عداوة يقتضي ان لا يقبل قولهما في حقه والمراد بالعداوة العداوة الظاهرة
الدنيوية بحيث يسر ما يسوءه ويتمنى له المكروه ويعلم انه لو قدر على ايصال
ضرر له فعل كما بين في كتب الفقه او جرحهما اي بين الجرح ما اسقطهما اي اسقط
شهادتهما وعدم قبولها كفسق وزور عرفا عند الناس فاسقط قبول شهادتهما
عنه ولم يسمع ذلك الامر الذي شهدا به من غيرهما من تقبل شهادتهما فامره اخف
في المسامحة في امره وترك قتله لسقوط الحكم عنه بعدم قبول الشهادة عليه
وكانه لم يشهد عليه شاهد اصلا لان الشاهد اذا سقطت شهادته كالعدم
الا ان يكون المشهود عليه ممن يليق به بذلك الامر الذي نسبه الشهود اليه لانه
معروف بعدم الديانة والاستخفاف بالدين فيكون مظنة لما شهدوا به ويكون
الشاهدات عليه اللذان ثبتت عداوتهما وجرحهما من اهل التبرز من برز اذا فاق
اقرانه اي يكونان معروفين بالعدالة والصدق ولم يعرف لهما اهانة احد من الناس
ولو كان عدوا لهما فاسقطهما اي اسقط شهادتهما بالطعن بعداوة معروفة بينهما
قبل فهو اي المشهود عليه او الامر والشان وان لم ينفذ الحكم عليه بموجب ما شهد به
من سب ونحوه مما يوجب القتل بشهادتهما لثبوت العداوة المانعة لقبول الشهادة
فلا يدفع الظن القوي بصدقهما فيما شهدا عليه لظهور عدالتهما والجملة الجزائية
في قوله فلا يدفع لكونها منفية يجوز دخول الفا عليها وهي فعلية وقيل انها
بتقدير مبتدا اي فهو لا يدفع الخ كقوله ومن عاد فينتقم الله منه وفيه نظر
وللحاكم هنا في هذه المسئلة الجارية على هذا المنوال في تنكيله اي عقوبته بغير
القتل من التعزير الشديد موضع اجتهاد والله ولي الارشاد فيفعل به ما يقتضيه
اجتهاده من غير ابطال للحكم بالكلية وقيل انه شبه تنكيله بمكان رحب فاستعاره
له وفيه نظر والتعزير ومراتبه مشهورة في كتب الفروع فلا حاجة للاطالة بها هنا
ولا اعتماد على عبارة المص كما توهم فاعرفه ولما فرغ من بيان حال من سب النبي
صلى الله عليه وسلم من المسلمين شرع في بيان حال غيره فقال

فصل

قال القاضي ابو الفضل عياض المص رحمه الله تعالى هنا المذكور قبل حكم المسلم

اذا سب

اذا سب الانبيا عليهم الصلاة والسلام فاما الذمي اي الكافر الذي ليس حربيا والذمة
هي الاحترام لان دمه وولده وماله محترم لادائه الجزية اذا صرح بسبه صلى الله
عليه وسلم او عرض اي قاله بطريق التعريض والابهام بلا تصريح به او استخف
اي اهان وحقر بقدره الرفيع العلي او وصفه صلى الله عليه وسلم بامر غير الوجه
الذي كفر به اي غير الذي كان كافرا بسببه كانكار بعثته او عموم دعوته بان وصفه
بشيء مما مر فلا خلاف عندنا اي المالكية في قتله ان لم يسلم فاذا اسلم لا يقتل
عند الامام مالك لان الاسلام يجب ما قبله لانا معاشر المسلمين لم نعطه الذمة
مراده بالذمة العقد الذي عقد عليه في دار الاسلام وضرب عليه صونا لدمه
واهله وماله فالذمة اي احترام ما ذكر والعهد الذي عوهد عليه حين عقد له
الذمة يشير الى ما وقع من عمر رضي الله عنه من الشروط التي شرطها على اهل الذمة
وهي مشهورة وسنذكرها ان شا الله وفي نسخة او العهد با والفاصلة والاولى اولى
ويحتمل ان المراد به المستامن المعاهد ان قلنا حكمه حكم الذمي وهي للتقسيم او بمعنى
الواو على هذا اي لم نرخص له حين عاهدناه في سب النبي صلى الله عليه وسلم
او الاستخفاف به وهو قول عامة العلما اي جميعهم او اكثرهم الا ابا حنيفة النعمان
ابن ثابت والثوري سفيان بن سعيد وهو صاحب مذهب مجتهد واتباعهما يعني
من قلدهما واتبع مذهبهما من اهل الكوفة فانهم قالوا لا يقتل بسبب ما ذكر لان ما هو
عليه مرتكب له من الشرك المراد به مطلق الكفر فانه استعمل بهذا المعنى ايضا اعظم
مما صدر منه من السب وقالوا ولكن يعزر ويؤدب بتعزيره دون الحد حتى ينزجر ولا يعود
لمثل ما صدر منه وما ذكره من مذهب ابي حنيفة هو المشهور وقد خالفه بعض
المتاخرين منهم وقال السبكي في كتابه السيف المسلول على من سب الرسول قال
ابو حنيفة واصحابه لا ينتقض العهد بالسب ولا يقتل الذمي به لكنه يعزر وحكى
الطحاوي عن الثوري ومن اصولهم ان ما لا قتل فيه عندهم للامام ان يقتل فاعله
ويزيد على الحد المقدر اذا راى ان المصلحة في ذلك ويحملون ما جا عن النبي صلى الله عليه
وسلم واصحابه من القتل في مثله على ذلك ويسمون هذا القتل سياسة كتغليظ
الحد في الجرايم اذا تكررت وشرعوا القتل في جنسها وبهذا افتى اكثرهم فقالوا يقتل
من اكثر من سب النبي صلى الله عليه وسلم سياسة وهو متجه على اصولهم انتهى وهو
كلام حسن واستدل بعض شيوخنا من ائمة المالكية على قتله اي الذمي اذا سب
بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم اي نقضوا ما عاهدناهم عليه
وطعنوا في دينكم اي عابوه وذموه فقاتلوا ايمة الكفر اي كبار الكفرة ورؤسائهم
الاية انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون وفي الاستدلال بهذه الاية بحث لانه معلق
بنقض العهد وابو حنيفة على قوله المشهور عنه لا يرى السب نقضا للعهد لا سيما

والاية نزلت في كفار قريش لما انقضوا ما عاهدهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
عام الحديبية في القصة المشهورة وفي هذه الاية كلام طويل الذيل وتخصيص
المقاتلة باية الكفر ناظر لهذا والقول بان غيرهم يعلم بالطريق الاولى محل تامل فليحرر
ويستدل ايضا اي كما استدل بالاية عليه اي على قتل من سب يستدل بقتل النبي
صلى الله عليه وسلم لابن الاشرف اليهودي وقد تقدمت قصته مفصلة واشباهه
من الكفرة المعاهدين الذين قتلهم صلى الله عليه وسلم بسبهم له وفي الاستدلال
بهذه القضية ايضا نظر لان النبي صلى الله عليه وسلم صالحه وغيره من اليهود
فنقض ابن الاشرف عهده ومضى لكفار مكة وحثهم على قتال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهجا النبي صلى الله عليه وسلم واذى المسلمين اشد الاذى فليس قتله
لمجرد سبه ولانا لم نعاهدهم اي اهل الذمة واشباههم ولم نعطهم الذمة اي
العقود والعهود على هذا اي سب الرسول صلى الله عليه وسلم فلم نرخص لهم
في مثله ولا يجوز لنا معاشر المسلمين ان نفعل ذلك اي المذكور من المعاهدة على ترك
المواخذة بمثله معهم فيما بيننا وبينهم فاذا اتوا اي فعلوا ما لم يعطوا عليه العهد
ولا الذمة بفعل ما اينا فيهما فقد نقضوا ذمتهم وابطلوا عهدهم وصاروا اهل حرب
اي مثلهم في انهم يقتلون بكفرهم وايضا فان ذمتهم وعهدهم وان لم ننقض
لا تسقط حدود الاسلام عنهم اي الحدود الشرعية وهذا حد قذف للانبيا وهو
القتل فلا يسقط كسائر الحدود من القطع في سرقة اموالهم اي اموال المسلمين
والقتل لمن قتلوه منهم اي سبا المسلمين وان كان ذلك حلالا عندهم اي في اعتقادهم
الباطل باباحة اموال المسلمين ودماهم لانا مامورون باجرا احكام شرعنا عليهم
فكذلك سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم يقتلون به حدا لا كفرا وهذا جواب عن قولهم
ما هم عليه من الكفر اعظم فان كوننا اعظم لاينافي اجرا احكم غيره عليهم وورد تاى
نقلت لاصحابنا من المالكية ظواهر اي امور تدل بحسب الظاهر على ما تقتضي الخلاف
في قتل الذمي بسبه للنبي صلى الله عليه وسلم اذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به
كانكار بعثته ونبوته ستقف عليها في هذا الكتاب فتعرفها من كلام ابن القاسم وابن
سحنون بعدا اي بعد هذا فيما سياتي وحكى ابو المصعب الزهري ابن احمد بن ابي بكر
القاسم بن الحرث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف المدني الفقيه قاضي
المدينة كما تقدم الخلاف فيها اي في مسيلة القتل بما كفر به عن اصحابه من اهل مذهبه
المالكية المدنيين اي فقها المدينة واختلفوا في الذمي اذا سبه صلى الله عليه وسلم
ثم اسلم فقيل يسقط بضم اوله اي يمنع اسلامه قتله لان الاسلام يجب ما
وقع قبله اي يقطع ويبطل حكم ما قبله من ساير المعاصي وهذا ورد عنه صلى الله
عليه وسلم في حديث صحيح تقدم بخلاف المسلم اذا سبه صلى الله عليه وسلم

ثم تاب

ثم تاب فان توبته لا تمنع قتله كاسلام الكافر كما تقدم والخلاف مبني على ان قتله حدا
او لنقض العهد وفي سقوط بعض الحدود بالاسلام كالزنا خلاف لبعض الشافعية
ويجب الاسلام ما قبله انما هو في حقوق الله خاصة كما مر وانما منع الاسلام
قتله لانا نعلم باطن الكافر الذي في قلبه بكفره في بغضه وعداوته الدينية له
صلى الله عليه وسلم وتنقيصه له بقلبه لانه شان كل كافر كما قيل كل العداوة
قد ترجى مودتها الا عداوة من عاداك في الدين لكنا منعناه من اظهاره اي اظهار
ما في قلبه لكونه مقهورا معدللا بين اظهرنا فلم يزدنا ما اظهره من كفره بسبب ونحوه علما
بحاله الا مخالفة للامر لا لا مرنا له حقيقة او حكما بكتم كفره ولم يزدنا علما الا نقضا للعهد
الذي عقد عليه عقد الذمة فاذا رجع باسلامه عن دينه الاول وهو الكفر وفي نسخة
ذنبه بمعجمة ونون وموحدة الى الاسلام سقط ما قبله من الكفر وحكمه قال الله
تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف امر الله تعالى ان يقول لهم هذه المقالة
بهذا اللفظ او بغيره فالغيبة لانهم ليسوا مخاطبين فيما امر به ويجوز الخطاب
على حكاية ما يقول لهم لذلك وقرا ابن مسعود بالخطاب وما قد سلف الكفر وما
وقع معه من المعاصي والمسلم حاله بخلافه اي بخلاف حال الكافر اذ كان ظننا
بباطنه وما في قلبه امر لطابقا حكم ظاهرهم وهو الاسلام ظاهرا وباطنا وخلاف
ما بدا بالالف اي ظهر او بالهمزة بمعنى احدث وابتدا منه بما صدر عنه مما يقتضي كفره
ومخالفة باطنه لظاهره الان حين ظهر حاله فلم يقبل بعد رجوعه ما ظهر من توبته
وبعد مضمومة ورجوعه مرفوع نايب الفاعل ويجوز الفتح والاضافة ولا استامنا
بسين مهملة ساكنة بعد الهمزة ومثناة فوقية قبل نون ساكنة قبل ميم مفتوحة
ونون مشددة اي اطمانا فهو استفعال من التوم اي لم نطمين ولنستامن وتركن
الى باطنه فالسين والتا زايدتان وهو من السامة اي شرفنا وعلونا عليه لتفقد
على حاله وروى استامنا اي طلبنا الامن منه لسوء الظن به اذ قد بدت سرايره
بظهور ما اخفاه في قلبه على خلاف ظننا فيه وما ثبت عليه اي على المسلم
من الاحكام اللازمة شرعا باقية انه باعتبار معنى ما عليه لا يسقطها شيء
لتعديه بما يخالف سلامه بانتهاك حرمة النبوة وحاصله الفرق بين المسلم والكافر
وهو ظاهر وقيل لا يسقط اسلام الذي المساب له صلى الله عليه وسلم
قتله لانه حق للنبي صلى الله عليه وسلم فهو من حقوق الادميين وهي لا تسقط
بالاسلام كما تقدم كما انه لا يسقط بتوبة المسلم وجب عليه لانه حد من
حدود الله لانتهاكه اي الساب حرمته ومعناه تناوله بما لا يحل بجاله وقصده
الحاق النقيصة فقصده بالجر ويجوز رفعه الحاق والجملة حالية وفي نسخة الحاقه
النقيصة بنصب النقيصة والمعرة به اي المذمة والعيب به صلى الله عليه

وسلم وحاشاه منها فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذي يسقط عنه لجرائه كما وجب عليه
من حقوق المسلمين قبل اسلامه من قتل وقذف بيان لما وجب فلا يسقط باسلامه
القصاص وحد القذف وقوله كما الخ خبر مبتدا مقدم اي وهو كما الخ فلا وجه لاستثنائه
واذا كان لا تقبل توبة المسلم اذا سبه صلى الله عليه وسلم فاذن لا تقبل توبة الكافر
اولى الا ان ما قاله غير متجه لان الاسلام يجب ما قبله بنص الحديث المار والفرق بينه
وبين توبة المسلم في غلبة الظهور غني عن البيان بل قالوا انه يثاب على كل ما فعله
من الحسنات حال كفره اذا اسلم وسبه صلى الله عليه وسلم فيه حق لله وللادمي
فيغلب الاول اذا اعتقد باسلامه وفي نسخة واذن كان الخ واذن هذه قيل انها اذا
الشرطية حذفت الجملة المضافة اليها وعوض عنها التنوين وهذه وان لم تشتهر
فان الزركشي نقلها في البرهان وقد رايت غيره صرح بها ايضا قال لمالك فيما نقل عنه
في كتاب ابن حبيب وهو احد من روى عنه وكتابه يسمى الواضحة والمبسوط اسم كتاب
في الفقه وقال عبد الرحمن ابن القاسم احد اصحاب مالك كما تقدم وابن الماجشون
عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن ابي سلمة الماجشون التيمي الفقيه صاحب
مالك توفي سنة اثنين او اربع عشرة ومايتين واخرج له الستة والماجشون معناه
الابيض المشوب بحمرة وهو معرب ماه كون ومعناه لون القمر وله تفصيل في كتب اسما
الرجال واسمه ميمون او يعقوب وهو مدني وابن عبد الحكم وهو محمد بن عبد الله بن عبد
الحكم بن عبد الله ابن عثمان او اعين بن الليث توفي في ذي القعدة سنة ثمان او تسع
وستين ومايتين وهو امام جليل وله اخوة ثلاثة من العلما واصبغ بن الفرج
كما تقدم فمن شتم نبينا صلى الله عليه وسلم من اهل الذمة او احدا من الانبيا
غيره عليهم الصلاة والسلام قتل الا ان يسلم فلا يقتل لما مر وقال اي قال
قول مالك هذا ابن القاسم في العتبية الكتاب المشهور في فقه مالك وعند محمد
بن المواز وابن سحنون واصبغ لا يقال له اسلم ولا لا تسلم المراد انه
لا يكلف بشيء يتعلق بالاسلام اذ لا يقال له لا تسلم ولكن ان اسلم من قبل نفسه
بلا تكليف له فذلك اي اسلامه يكون له توبة مقبولة تدرا الحد عنه وقد قيل
هنا ان ما وقع من مخالفة اصحاب مالك له مع انهم مقلدون له بنا على اعتبار
المصالح المرسلة عنده على ما تقرر في علم الاصول فان المصلحة اذا اقتضت
امرا يرجع اليه وفيه تفصيل لا حاجة لنا بالاطالة به هنا فان اردته فارجع الى
ما في كتاب ابن الحاجب وشروحه وفي كتاب محمد بن المواز المالكي اخبرنا اصحاب
مالك انه قال من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين
من مسلم او كافر قتل ولم يستتب اي لم تطلب منه توبة ولم تقبل لو تاب هذا مراده
فلا وجه للتردد فيه وقوله من مسلم او كافر اما المسلم فعدم قبول توبته هو

الصحيح

الصحيح واما الكافر فالصحيح قبول توبته باسلامه ويدل له قوله وروى ابن البنا
المجهولي لنا عن مالك الا ان يسلم الكافر فلا يقتل على الصحيح وصحح بعضهم
ان المسلم تقبل توبته وقد تقدم وقد روى ابن وهب واسمه عبد الله كما تقدم
عن ابن عمر رضي الله عنهما ان راهبا وهو العابد المنقطع عن الناس من النصارى
تناول النبي صلى الله عليه وسلم وتقدم ان التناول معناه الاخذ باليد تجوز به
عن الكلام في حقه صلى الله عليه وسلم بما لا يليق فهو استعارة فقال ابن عمر
فهلا حرف معناه التندم على فوت ما يحض عليه قتلتموه ولم يذكر فيه استتابته
وروى عيسى ابن ابراهيم الغافقي الامام الفقيه المحدث توفي سنة احدى
وستين ومايتين عن ابن القاسم عبد الرحمن المصري الفقيه كما تقدم في ذمي
قال ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يرسل الينا يعني اهل الكتاب انما ارسل اليكم
اراد العرب فانكر عموم رسالته صلى الله عليه وسلم وانما نبينا الذي يجب
علينا اتباعه موسى او عيسى عليهما الصلاة والسلام ونحو هذا من انكار عموم
الرسالة لا شي عليه من قتل وغيره وفي نسخة لا شيء عليهم ويوافقها قوله لان الله
تعالى اقرهم على مثله من الكفر بضرب الجزية اذا لم يحاربوا كما هو مذكور في سورة براة
واما ان سبه فقال التفسير لسبه هذا ليس بنبي ولم يرسل الى احد وهو تكذيب له
او لم ينزل عليه قران ووحي وانما هو اي القران شيء تقوله من عنده ويخترعه او نحو
هذا من عموم الانكار بجحده لما جاء به صلى الله عليه وسلم فيقتل لان هذا الملعون
كذب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وقال ابن القاسم واذا قال النصراني
ديننا خير من دينكم وانما دينكم دين الحمير عنى به قاتله الله ولعنه انه انما يتبعه
لا عقل له او نحو هذا من الكلام القبيح او سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله
فقال كذلك يعطيكم الله استهزا منه بما من الله به علينا في ان جعله رسولا لنا
صلى الله عليه وسلم يعني انه مناسب لمثلكم ففي هذا الكلام وما يشبهه
عند ابن القاسم يستحق قايله الادب اي التاديب بالضرب الموجع وفي نسخة
الوجيع والسجن الطويل مدة زجرا له ولا شيء له لانه ليس صريحا في الشتم
قال واما ان شتم ذمي النبي صلى الله عليه وسلم شتما يعرف انه شتم صريح
فانه يقتل الا ان يسلم قاله مالك غير مرة اي مرارا عديدة ولم ينقل عنه فيه
غيره ولم يقل يستتاب بل اطلقه فيحتمل انه ان تاب لم يقتل ولذا قال ابن القاسم
ويحمل قوله اي مالك عندي ان اسلم بنفسه طايعا من غير اكراه له وهو مخالف للعلما
تقدم في غير هذه الرواية وهذا بنا على انه لا يصح اكراهه على الاسلام وعند الشافعي
يصح اكراه الحربي عليه دون الذمي وفي قول يصح اكراه الذمي هنا لانه بشتمه
صلى الله عليه وسلم نقض العهد فيصير حربيا والكلام عليه مفصل في كتب

الفقه وقال ابن سحنون في جواب سؤالات سليمان بن سالم في اليهودي وفي نسخة خلاف
في فهو مبتدأ لخبره قوله يقول للمؤذن اذا تشهد اي قال في اذانه اشهد ان محمدا رسول الله
كذبت انكارا للرسالة يعاقب العقوبة الموجعة بالضرب الشديد والسجن الطويل
ولا يقتل لانه مما كفر به وفي النوادر اسم كتاب لابن ابي زيد صاحب الرسالة المالكي
من رواية سحنون عنه اي عن مالك من شتم الانبيا عليهم الصلاة والسلام من اليهود
والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه كما مر الا ان يسلم فلا يقتل لان اسلامه
توبة مقبولة والاسلام يجب ما قبله قال محمد بن سحنون فان قيل لم قتلته اي الذمي
في سب النبي اي بسبب سبه له صلى الله عليه وسلم ومن دينه اي اعتقاده وعادته
سبه وتكذيبه بانكار بعثته صلى الله عليه وسلم وهذا مما كفر به قيل في جوابه
لانا لم نعطهم العهد على ذلك اذ ضربت عليهم الجزية بشروط منها ان لا يطعنوا
في ديننا فهو نقض عهد منه ولا اي ولم نعطهم العهد على قتلنا اي قتل احد منا ولم نعطهم
على اخذ اموالنا فاذا قتل واحدا منا قتلناه وان كان من دينه استحلاله اي استحلال
قتلنا واخذ اموالنا فكذلك ينقض عهده اظهاره لسب نبينا صلى الله عليه وسلم
فانا شرطنا عليهم ان لا يطعنوا في الدين وان لا يظهروا كفرهم لما فيه من نكاية اهل
الاسلام وان كان ذلك من اعتقادهم الباطل قال سحنون حال هذا في الحكم كما لو بذل
لنا اهل الحرب اي اعطونا بعد امتناعهم ومحاربتهم لنا الجزية على شرط اقرارهم على سبه
اي على ان نقرهم ولا نمنعهم من سبه صلى الله عليه وسلم لم يجز لنا ذلك اي اخذ الجزية
وتقريرهم على سبه في قول قائل اي لم يقل بهذا احد من المسلمين وايمة الدين وان كانوا
يستحلونه لكنا لا نقرهم على اظهاره وهذا مما يوضح انا لم نعطهم العهد على اظهار
مثله كذلك اي كما انه لا يجوز مصالحة الحربي واقراره على السب ينتقض عهد من سب
منهم اي من اهل الذمة ويحل لنا دمه اي قتله لانه لانتقاض عهده صار حربيا مباح
الدم وكما لم يحصن اي يصون ويحفظ الاسلام من سبه من المسلمين كذلك لا
تحصنه الذمة فكيف يقر على مثله الكافر وسمي الحصن حصنا لصيانته لمن فيه وفي هذه
المقدمة امر لا يخفى فان الاسلام يعدم بالسب لانه مخالف لدينه وكفر منه واما الذمي
الكافر وان خالف اظهاره السب عقد الذمة وعهدها فهو موافق لاعتقاده فالقياس
مع الفرق الجلي غير ظاهر فكان دار اقناعي وتقدمته جدلية على طريق التمثيل وفيه ما فيه
وكونه اولى غير مسلم قال القاضي ابو الفضل عياض المؤلف رحمه الله ما ذكره ابن سحنون
عن نفسه وعن ابيه عن سحنون من انه يقتل بمثل ما ذكر مما كفروا به واستحله في دينه
مخالف لقول ابن القاسم الذي تقدم نقله عنه فيما خفف عقوبتهم فيه اي افتى فيه بعقوبة
خفيفة غير القتل مما به اي بسببه كفروا اي ثبت كفرهم به عندنا وعلمنا به حين ضربنا
عليهم الجزية ورد عنهم الحد فتأمل وجه التأمل الذي درج على عادة المصنفين

في ذكره فيما يمكن توجيهه انا انما اقررناهم على كفرهم بشرط عدم اظهار ما فيه طعن في الدين
وكيد للمسلمين بمواجهتهم باهانة نبينا سيد المرسلين والمخالفة بينهما ان ابن القاسم
فيما نقله المص عنه بقوله ان من سب احدا من الانبيا يقتل الا ان يسلم ولم يفرق بين
ما كفر به وغيره وسحنون في جواب سليمان الزمه العقوبة والسجن لانه مما كفر به وقيل
المخالفة بينهما في قول ابن القاسم انه قال فيمن قال دينكم دين الحمير انه يودب بالموجع والسجن
الطويل وهو تخفيف في العقوبة وسحنون وابنه قالا في تكذيب اليهودي للمؤذن انه
يعاقب بالعقوبة الموجعة والسجن الطويل وليس بشيء ويدل على انه اي ما قاله سحنون
وابنه فقيل الضمير راجع لقول ابن القاسم والصواب الاول وهو الذي عليه الشراح
خلاف ما روي عن المدنيين اي اصحاب مالك من اهل المدينة وهم اعرف بمذهبه في ذلك
المذكور مما اختلفوا في قتله وعدمه وقيل المراد بالمدنيين علما المدينة واهلها مطلقا
وهو ما قاله مالك من احتجاجه بعمل اهل المدينة لانها قبلة الاسلام ومهبط الوحي
ومستقر الدين وفي هذه كلام لاهل الاصول ولابن حزم في كتاب الاحكام كلام لا يسعه
هذا المقام فحكى ابو المصعب الزهري بن احمد بن ابي بكر القاسم بن الحرث بن زرارة بن مصعب
بن عبد الرحمن ابن عوف الزهري المدني الفقيه قاضي المدينة كما تقدم وفي نسخة ما حكى
بدل قوله فحكى وهو الصواب كما نبه عليه التلمساني قال ابو مصعب اتيت بضم الهمزة
وبنا المجهول بنصراني قال والذي اصطفى اي اختار وفضل عيسى على محمد عليهما الصلاة والسلام
فاختلف ببنا المجهول علي فيه اي اختلف كلام الناس فيه او اختلف رايي فيه واضطرب
ثم ظهر لي امره وحكمه فضربته حتى قتلته بشدة الضرب من حينه او عاش يوما وليلة
بعد ضربه ومات وامرت من جراي جره وسحبه برجله من محله الذي مات فيه
وطرح ببنا المجهول على مزبلة اي محل نفايا البلدة يطرح فيه الزبل والقاذورات
ومزبلة بفتح الميم لا بكسرها كما قيل وباوه مثلثة اسم للمكان المذكور فاكلته
الكلاب لانه لم يدفن حتى اكلته كما تاكل ساير الجيف وهذا مما كفر به وهو مخالف
لما تقدم وعدم دفن من قتل من الكفرة مما لا يشرع فكان هذا كله مما ادى اليه اجتهاده
وتشدده في دينه وسيل ابو المصعب السابق ذكره عن نصراني قال عيسى خلق
محمدا لزعمهما الفاسد في دعا الوهيته فقال مجيبا للسايل انه يقتل لاختلاقه
الكذب على الله وجعله عيسى عليه الصلاة والسلام افضل من نبينا صلى الله
عليه وسلم وقصده تنقيصه وليس مما كفر به وقال ابن القاسم من اصحاب
مالك كما مر سالنا مالكا عن نصراني بمصر شهد عليه انه قال مسكين محمد اراد
بذلك تحقيره صلى الله عليه وسلم واهانته لا تحننا ورافة عليه وميم مسكين
مكسورة وقد تفتح في غير الفصيح وهل ميمه اصلية او زايدة فيه كلام في التصريف
يخبركم انه في الجنة اي يقول انه سيدخل الجنة وانه يتحقق له دخولها ما له لم

ينفع نفسه هو كناية عن انه لا يقدر على نفع نفسه في الدنيا اذ كانت الكلاب تاكل ساقيه
لو قتلوه استراح منه الناس هذا بنا على اعتقاده الفاسد قاتله الله اى حصل لهم منه
بزعمه الباطل انه اتعبهم بكثرة اعداية الذين تعبوا المسلمين بقتالهم وانه اتعب
الكفرة بقتاله لهم وقوله لو قتلوه متعلق بما بعده معنى ويجوز تعلقه بما قبله ومابعده
ويسميه اهل البديع التجاذب وقد اشبعنا الكلام عليه في السوانح قال لى مالك
ارى ان تضرب عنقه وترمى جيفته حتى تاكله الكلاب جزاء له بما قال له قال لى مالك
ولقد كدت اى قاربت ان لا اتكلم فيها اى قربت من ترك الكلام في هذه المسيلة التي
سيل عنها ثم رايت اى بدا لي ولى اقتضاه الدليل انه لا يسعنى اى لا يجوز لى ولا يحل
الصمت السكوت عن هذه المسيلة وعدم التكلم فيها بالحق الذي يستحقه هذا
الخبيث فشبه الصمت بمكان فيه سعة تضيق على من صمت فكانه لا يدخله لما
وجب عليه من اظهار الحق فسكت عن المشبه به ودل عليه بروادفه تخييلا ففيه
تخييلية ومكنية وانما كان مالك رحمه الله اراد السكوت عن هذا لانه كرب لا يرجع
على احد في حق من عصمه الله وحماه عن ان يصل اليه يد احد ممن يوذيه وكانه تلميح لما وقع
له صلى الله عليه وسلم حين عرض نفسه على القبايل فرجموه حتى دموا ساقيه
وكان ذلك من اولاد عبد ياليل كما فصل في السير ولما وقع له صلى الله عليه وسلم
باحد وهو مشهور ايضا قال ابن كنانة تقدمت ترجمته في المبسوط اسم كتاب كما تقدم
من شتم النبي صلى الله عليه وسلم بسبه صريحا من اليهود والنصارى بيان لمن فارى
اى اعتقد وافتى للامام اى السلطان لانه احد معاينه وكذا المنصوب من جانبه ممن له
تنفيذ الاحكام ان يحرقه بالنار اى يلقيه فيها وهو حى وهذا مما لم يجزه علما الشرع
لما ورد في الحديث انه لا يعذب بالنار الا الله او خالقها ولذا قال وان شا اى الامام قتله
بضرب عنقه ثم حرقت بالتشديد وفي نسخة حرق بحذف التاجثة اى احرق بدنه تماما
بعد موته وان شا الامام احرقهم بالنار احيا وفي نسخة وان شا احرقه بالنار حيا وهذا
مذهب مالك في جواز احراق من استحق القتل وغيره من العلما يا باه وهو مثلة ومذهب
الشافعي انه لا يجوز الا فضا صا لحديث من حرق حرقناه ومن غرق غرقناه واستدل
مالك لما قاله بان عليا كرم الله وجهه فعله وبقوله صلى الله عليه وسلم في حق من ارتد
من ارتد ان وجدتموه فاحرقوه وغيره يقول انه منسوخ كما نسخت المثلة بقوله تعالى
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به وهو مذهب ابى حنيفة اذ انها فتنوا في سبه اى وقعوا فيه
والمراد انهم اكثروا منه علنا واصل التهافت السقوط شيا فشيا ثم استعير لما ذكر
وهو لا يستعمل الا في الشى القبيح وفيه اشارة الى انه مثلة لشدة ردعهم يقال تهافت
في كذا اذا انهمك فيه وبالغ وقال ابن كنانة لقد كتب بالبنا للمجهول الى مالك من مصر يستفتى
وذكر ابن كنانة مسيلة ابن القاسم المتقدمة انفا التي سيل عنها في نصراني شهد عليه انه

قال

482

قال مسكين محمد الى اخره كما قال ابن القاسم فامرني مالك فكتبت اليه بان يقتل وان تضرب
عنقه ضرب العنق كرمى الراس عبارته عن قتل مخصوص والاولى في التعبير ان يقول
فامرني مالك ان اكتب بدليل قوله فكتبت ما قاله مالك لا سله للسايل ثم قلت له اى
لمالك يا ابا عبد الله هى كيفيته واكتب بعد ما قلته ثم يحرق بعد قتله بالنار فقال
مالك وانه لحقيق بذلك اى احراقه بالنار رعونا الخلود فيها وما اولاه فعل
تفضيل بمعنى احق به اى احق بالاحراق فكتبته اى ذلك الذي قلته بيدى تاكيد لرفع
توهم التجوز به بين يديه اى عنده في مجلسه وهو كناية عن ذلك فما انكره اى ما قلته
من احراقه بعد قتله ولا عابه عليه لانه ارتضاه وتعذت بالبنا للمجهول والتشديد
والذال المعجمة اى ارسلت الصحيفة وهي الورقة التي كتب فيها جوابي للسايل بذلك الذي
قاله مالك فقتل وحرق عملا بما قاله الامام مالك رضى الله عنه وافتى من ايمة المالكية
عبيد الله بالتصغير يحيى بن يحيى المكي ابي مروان الليثي فقيه ثقة عمدة في مذهب مالك
ويحيى هذا هو يحيى الذي روى عنه الموطا كما تقدم وابن لبابة بضم اللام وبايين موحدتين
مخففتين بينهما الف وهو محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة القرطبي ولد سنة خمس وعشرين
ومايتين ومات ليلة الاثنين لاربع بقين من شعبان سنة اربع عشرة وثلاثمائة وهم
ايضا ابن لبابة اخر هو محمد بن يحيى بن لبابة ابو عبد عبد الله واخر وهو احمد بن محمد بن
عمر بن لبابة ابو محمد القرطبي توفي في نصف صفر سنة خمس وعشرين والمراد هنا الاول
في جماعة سلف اصحابنا يعني المالكية وفي هنا بمعنى مع استعارة تبعية لتمكنه بينهم
الاندلسيين تقدم ضبطه واتفاقهم في المذهب والزمان فافتى هولا كلهم بقتل امراة
نصرانية استهلت اى صرخت رافعة صوتها من قولهم استهل المولود اذا صرخ والمراد انها
اعلنت واظهرت بنفي الربوبية بضم الرا مصدر كالخصوصية وبالنسبة للتاكيد ونبوة
عيسى لله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وبنوة بتقديم البا الموحدة على النون مصدر
ايضا اى اعلنت بنفي بنوة عيسى اى انه ليس ابنا لله بل هو الله او هو معطوف على نفي
اى نفت الربوبية وقالت ان عيسى ابن الله فالمراد بنفي الربوبية نفي الوحدة والانفراد بها
وحرف بعضهم البنوة بالنبوة بتقديم النون على الموحدة وقال فيه قلاقة لان نفي
الربوبية يقتضي نفي فروعها من النبوة والرسالة ثم ان النبوة والولادة تستلزم نفي الربوبية
وهو خبط عجيب منه واوله بنا في اخره واستهلت ايضا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم
في دعواه النبوة وافتى بقبول اسلامها اذا اسلمت بعد قولها هذا ودرء القتل عنها به اى
بالاسلام لانه يجب ما قبله وبه قال غير واحد من فقها المالكية المتاخرين منهم القابسي
وتقدمت ترجمته وابن الكاتب ابو القاسم عبد الرحمن بن على بن محمد الامام المالكي الجليل
عرف بابن الكاتب وفي نسخة ويقول الخربدل قال غير واحد وقال ابو القاسم ابن الجلاب
بفتح الجيم وتشديد اللام وبالموحدة بعد الف وهو امام جليل اشتهر بكنيته وفي اسمه

اقوال وهو صاحب القاضي ابي بكر الابهري وله تاليف جليلة وتوفي سنة ثمان وسبعين
وثلثمائة وهو عبد الله او عبد الرحمن بن الحسين البصري في كتابه الذي صنفه في فقه
مالك رحمه الله من سب الله تعالى او سب رسوله صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر
بيان لمن وتعميم قتل ولا يستتاب اي لا تطلب منه توبة ولا تقبل وهو على احد الاقوال
في الكافر وحكى القاضي ابو محمد المعروف بابن نصر وهو عبد الوهاب كما تقدم في الذمي
يسب ثم يسلم روايتين عن مالك في درء اي دفع القتل عنه باسلامه اذا اسلم وهو
توبه فيقبل اسلامه ولا يقتل وفي اخرى عنه يقتل حدا واكبه اشار بقوله وقال ابن سحنون
في وجه قتله انه حد وحد القذف وشبهه من الحدود كحد السرقة والزنا من حقوق العباد
لا يسقط عن الذمي باسلامه وفي نسخة لا يسقطه عن الذمي اسلامه وانما يسقط
عنه باسلامه حدود الله تعالى لانها مبنية على المسامحة لكرم الله وعفوه بجمله
فاما حد القذف فحق للعباد لا يسقط بالتوبة سوا كان ذلك لنبي وغيره ممن يحترم
بصيانة عرضه فاوجب الله عز وجل او ابن سحنون على الذمي اذا قذف النبي صلى الله
عليه وسلم ثم اسلم بعد قذفه حد القذف ولم تسقط عنه توبته واسلامه وقذف
الانبيا حده القتل كما تقدم ومن غفل عن ذلك قال حد القذف ثابت بالكتاب ولم
يجعل الله فيه القتل الى اخر ما قاله مما لا فايدة فيه وكيف يخفى عليه هذا مع قول اللهم
رحمه الله ولكن انظر امر لكل من يأتي منه النظر والفكر في المسايل الشرعية ماذا يجب
عليه اي على من قذف الانبيا هل حد القذف في حق النبي صلى الله عليه وسلم خاصته
وهو القتل لا الجلد كحد غيره لزيادة حرمة النبي صلى الله عليه وسلم اي احترامه وتوقيره
على غيره من امته لا غيره من الانبيا واليه ذهب بعض الشافعية فان الحدود قد تتفاوت
كما قال تعالى في امهات المؤمنين من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين
ام هل يسقط القتل عنه باسلامه ويجلد ثمانين حد القذف فتامله امرا للتامل لما فيه
من الشبهة وقوة الخلاف فيه بمذهبه كمذهب الشافعية قال امام الحرمين قذف
النبي صلى الله عليه وسلم كفر بالاتفاق وقال ابو بكر الفارسي لو تاب لا يسقط عنه
القتل لانه حد قذف النبي صلى الله عليه وسلم وحد القذف له لا يسقط بالتوبة
وحكى فيه الاجماع وخالفه الصيدلاني وغيره وقال يحد ثمانين اذا اسلم وذكر فيه
فيه الامام مباحث طويلة وقال ان ما قاله الفارسي مع بعده حسن وهذا ما جنح
اليه المصنف من لم يقف عليه قال لما قال العدم وقوفه على حقيقة الحال فصل في
حكم ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبيا وغسله والصلاة
عليه كغيره اختلف العلما من ايمة الدين في ميراث من قتل بسبب سب النبي صلى الله
عليه وسلم فذهب سحنون من المالكية الى انه اي ميراثه فيء حق لجماعة المسلمين يوضع
في بيت المال كالفيء من قتل بكسر القاف وفتح البا الموحدة تعليل اي من جهة ان شتم

النبي صلى الله عليه وسلم كفر يشبه كفر الزندقة لظاهر اسلامه وخفي كفره الذي دل عليه
شتمه فميراثه كميراث الزنديق عنده وشبه بوزن مثل ومعناه وفي نسخة يشبه مضارع
وليس بزنديق حقيقة لما مر من معنى الزنديق وانما هو يشبهه فحكم حكمه عنده وقال من ايمة
المالكية اصبغ بن الفرج كما تقدم ميراثه حق لورثته من المسلمين كغيره ان كان مستسرا
اي مخفيا من السر وهو الخفي وفي نسخة مستترا بذلك المقال الذي قاله بان لم
يظهره علنا وان كان مظهرا له اي لسبه وشتمه ومستهلا اي معلنا به لا يكتمه
واصل معنى الاستهلال الصراخ كما مر بيانه فميراثه للمسلمين كالفي كما تقدم ويقتل
على كل حال اي سوا تاب ام لا ولا يستتاب اي لا تطلب منه توبة ولا تقبل وليس
المراد بالسر ان يخفيه في قلبه لانه لا يطلع عليه وانما المراد انه يقوله في خلوته
لمن لا يفشي سره لعامة الناس حتى يطلع عليه الحكام وهذا كله في المسلم فمن توهمه
عاما له وللكفرة فقد غفل وقال ابو الحسن القابسي تقدمت ترجمته ان قتل وهو
منكر للشهادة عليه اي لما شهد به عليه من السب فالحكم في ميراثه شرعا على ما اظهر
من اقراره يعني انه اي ميراثه لورثته المسلمين لان انكاره لما شهد واين عليه اقرار بانه
مسلم معظم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تلغى الشهادة ولا اقرار والقتل
انما هو حد اي لقذف الانبيا لا لكفره وردته ثبت عليه الحد وحكمه فليس من الميراث
في شي فلا يمنعه وكذلك اي مثل ما قاله القابسي في هذه المسيلة لو اقر بالسب
اي سبه صلى الله عليه وسلم واظهر التوبة لقتل جواب لو اذ هو اي القتل حده
اي حد سب الانبيا كما تقدم وحكمه اي المقتول حدا لا ردة وكفرا في ميراثه فيعطى
لورثته وفي اسبابه وفي ساير احكامه من غسله والصلاة عليه حكم الاسلام
لانه مسلم كساير المسلمين ولو اقر بالسب للنبي صلى الله عليه وسلم وتمادى
اي استمر في مدى بعيد فهو استحارة وبهذا خالف ما قبله وابى التوبة اي امتنع
من ان يتوب منه اي من السب فقتل على ذلك المذكور من السب الذي استمر عليه
كان المستمر على سبه كافرا بها وميراثه كالفي حق للمسلمين لا لورثته لان الكفر
من موانع الارث ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن كفنا تاما كالمسلمين وانما
تستر عورته ويوارى اي يدفن وتستر جثته بالتراب كما يفعل بالكفار اي بغيره
من الكفار الاصليين فلا يدفن في مقابر المسلمين وجوز الشافعي غسله وتكفينه
كما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر عليا لما مات ابوه ابو طالب
ان يغسله ويكفنه ويدفنه وقد ضعفه البيهقي ولا يصلى عليه اجماعا واما
صلاته صلى الله عليه وسلم على ابن سلول فلانه منافق مع انه نهي عن ذلك بعده
بقوله ولا تصل على احد منهم مات ابدا وقول الشيخ ابي الحسن القابسي في المجاهر
اي المعلن المظهر للسب المتمادي اي المستمر على اظهاره من قبله وكون ميراثه

فيبقى ابتن اى ظاهر لا يمكن الاختلاف فيه ولا شبهه لانه كافر زنديق غير تايب ولا مقلع
اى غير راجع عن كفره وردته وهو مثل قول اصبغ بن الفرج فى المظهر المستهل المتمادى
كما تقدم وكذلك اى مثل قول اصبغ هذا وقع فى كتاب ابن سحنون الذى قاله فى الزنديق
الذى يتمادى ويستمر على قوله الصادر عنه مما كفر به ومثله اى مثل قول اصبغ وابن
سحنون قول لابن القاسم فى العتبية الكتاب المشهور وكذا هو قول الجماعة من اصحاب
مالك يعنى من علما المالكية فى كتاب عبد الملك بن حبيب فيمن اعلن اى اظهر مثله
اى ما ذكر وقال ابن القاسم فى المذكور حكمه حكم المرتد فى انه لا ترثه ورثته من المسلمين
لانه كافر ولا ترثه ايضا ورثته من اهل الدين الذى ارتد عن الاسلام اليه اى الدين
الاخر كاليهودية والنصرانية لانه فارقهم للدين الحق فتعلق به حق اهله فلا يعود اليهم
بعوده لانه لا يقر عليه وماله صار فيا يستحقه المسلمون ولا تجوز وصاياه
لان ماله خرج عن ملكه بردته وصار موقوفا ولا ينفذ عتقه ايضا لما ذكر وكذا
سائر تصرفه كبيع وهبته ووقف وغيره فانه محجور عليه لما ذكر وهذا كله مذهب
الامام مالك واما مذهب غيره فالكلام عليه مفصل فى كتب الفقه وليس هذا محل
تفصيله وقاله اى قال لما قاله ابن القاسم اصبغ بن الفرج من ان حكمه حكم المرتد لا يورث
سوا قتل على ذلك او مات عليه اى على اعلانه الكفر وقال الشيخ ابو محمد بن ابى زيد
صاحب الرسالة المالكى الامام المشهور وانما يختلف فى ميراث الزنديق الذى
يبطن الكفر ويظهر الاسلام وفيه كلام تقدم الذى يستهل بالتوبة اى يظهرها
واصل معناه الصياح كما تقدم فكنى به عما ذكر فلا تقبل منه توبته لان توبته
لخوف القتل وهذا مذهب مالك وذهب غيره الى قبول توبته وانه يجرى عليه
احكام الاسلام فى الميراث وغيره فاما المتمادى اى المستمر على زندقته واعتقاده
الباطل فلا خلاف فى انه لا يورث عنده وقال ابو محمد هو ابن ابى زيد المذكور انفا
فيمن سب الله تعالى ثم مات ولم تعدل بينا للمجهول وتشديد الدال المهملة اى
لم تقم عليه بينة زكيت وعدلت او لم تقبل اى او اقيمت عليه بينة ولم تقبل او ثبت
زندقته باقراره لكنه لم يقبل انه يصلى عليه ويرثه والمسلمون ويدفن فى مقابرهم
فيجرى عليه احكام المسلمين لانه لم يحكم بكفره وروى اصبغ عن ابن القاسم
فى كتاب ابن حبيب فيمن كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم اى نسبه الى الكذب
فى شيء مما اوحى اليه وهو من المسلمين لان الكلام فيهم وفى نسخة فيمن كذب برسول الله
او اعلن اى اظهر دينا اى اعتقادا ونحلة مما يفارق عليه الاسلام يكفر به وكذا
فى نسختنا بما الموصولة وفى نسخة الشارح الجديد ممن يفارق به بمن الموصولة
فقال انه اوقع من على ما لا يعقل من غير تجوز وتغليب ولا يجوزه اهل العربية غير
قطرب وهو قول ضعيف فكانه تبعه فيه وذلك ان نقول ان صحت هذه الروايه

فالمعنى

فالمعنى مندرجا او متلقيا لدينه ممن يفارق الاسلام ان ميراثه اى ما يورث
من ماله وغيره يوضع فيئا فى بيت المال ويصير للمسلمين وقال بقول مالك اى
وافقه فى قوله ان ميراث المرتد فيئا يصرف للمسلمين ولا ترثه ورثته من اهل الاسلام
ربيعة بن ابى عبد الرحمن بن فروخ فقيه المدينة ومحدثها الذى روى عنه مالك
والليث وغيرهما واخرج له الستة ووثقه احمد وغيره توفى سنة ست وثلاثين
ومايه وقال بقوله ايضا الامام الشافعى وابو ثور ابراهيم بن خالد الكلبى البغدادى
احد المجتهدين الثقة المحدث روى عنه خلق كثير واخرج له اصحاب السنن توفى
فى صفر سنة اربعين ومائتين وابن ابى ليلى هو القاضى ابو عبد الرحمن محمد بن عبد
الرحمن بن ابى ليلى الانصارى احد اعلام الدين فى الفقه والحديث واخرج عنه
اربعة من اصحاب السنن ووثقوه وقال بعضهم انه سيء الحفظ توفى سنة ثمان
واربعين ومايه وله ترجمة فى الميزان واسمه يسار بمثناة تحتية والمراد انه
وافق اجتهادهم لا انهم قلدوه اذ المجتهد لا يقلد غيره وهذا معنى قولهم فى امثاله
كالشافعى فى الفرايض مع زيد واختلف فيه اى القول به الرواية عن احمد ابن
محمد بن حنبل فقيل قال به وقيل لم يقل به واما مذهب الصحابة فيه فقال على
بن ابى طالب وابن مسعود ومذهب غيرهم من اهل العصر الاول مثل سعيد
بن المسيب والشعبى والحسن البصرى وعمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم
الاموى المشهور الامام والحكم بفتحتين بن عتيبة مصغر عتبه بمثناة فوقيه
الكندى فقيه الكوفة الامام العابد الزاهد توفى سنة خمس عشرة ومائة
واخرج له الستة ويوافقه فى اسمه واسم ابيه دون جده الحكم قاضى الكوفة
وليس من رواة الحديث ووهم البخارى فى تاريخه فجعلهما واحدا كما ذكره الحلبى
والاوزاعى والليث بن سعد واسحق بن راهويه وابو حنيفة النعمان ترثه ورثته
من المسلمين لتعلق حقهم به قبل موته وقيل مذهب ابى حنيفة فى ذلك الميراث
التفصيل فترثه ورثته منهم فيما كسبه قبل ارتداده لتعلق حقهم به وما يكسبه
فى الارتداد اى فى زمن ارتداده فيء للمسلمين لانه مال كافر والكلام عليه وعلى ادلته
مفصل فى شروح الهداية وغيرها قال القاضى ابو الفضل عياض المصنف رحمه الله
وتفصيل ابى الحسن القابسى فى هذه المسالة فى باقى جوابه كما انفا حسن بين
ظاهر واضح وهو قوله ان قتل وهو منكر للشهادة فالحكم فى ميراثه على ما اظهر
من اقراره الخ وهو على راى اصبغ فى ان ميراثه للمسلمين ان كان مسرا فان اعلن فهو
فيء وخلاف قول سحنون بانه للمسلمين كالزنديق واختلافهما اى اصبغ وسحنون
مبنى على قولى مالك فى ميراث الزنديق هل ينظر لظاهره له او لباطنه لان الله رداه
بردا سريرته فرق ورثه ورثته من المسلمين سوا قامت عليه بذلك المقال الذى قاله

بينه او اعترف بذلك مع البينة او بدونها واظهر التوبة عما صدر منه وقال اصبغ
بن الفرج المصري ومحمد بن مسلمة قد قدمنا ترجمته وغير واحد من اصحابه اي كثير
من اصحاب الامام مالك ودليله ما قاله بقوله لانه مظهر للاسلام بانكاره
او توبته بعد اعترافه ونحن انما نحكم بالظاهر وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اي في زمنه او المراد انهم على ما عاهدوه
عليه من الاسلام فالعهد على الاول بمعنى الزمان المعهود المعلوم فانه صلى الله
عليه وسلم كان يعامل المنافقين معاملة المسلمين في ميراثهم وغيره تاليفا
لقلوبهم وقلوب من قرب عهده بالاسلام لئلا يقول الاعدا انه يقتل اصحابه
حتى علمه الله بذلك فكان لا يصلي على بعضهم لان صلاته صلى الله عليه وسلم
شفاعة لهم واشهر لحذيفة امرهم فكان عمر رضي الله عنه يصلي على من مات منهم
اذا صلى عليه حذيفة واجرا احكام الاسلام عليهم نظر الظاهر حالهم وروى
ابن نافع عنه في العتبية الكتاب المشهور وهو عبد الله بن نافع الصايغ المدني
المحدث مولى بني مخزوم وهو ثقة وقيل في حفظه شيء ووثقه ابن معين وهو
صاحبه الذي كان يلازمه وروى عنه كثيرا واخرج له اصحاب السنن وترجمته
في الميزان توفي سنة ست ومايتين وكتاب محمد بن المواز ان ميراثه فيء يصرف لجماعة
المسلمين لان ماله تبع لدمه ودمه هدر فماله غنيمة وفيء وقال به اي بهذا القول
جماعة من اصحابه اصحاب مالك وقاله من اتباعه ايضا اشهب والمغيرة بضم ميمه وكسرها
اتباعا وهو المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن عياش بمثناة تحتية وشين معجمة توفي
يوم الاربعا سنة ثمان وثمانين ومايته وولد سنة اربع وعشرين وعبد الملك
بن حبيب والمعروف بابن الماجشون ومحمد بن المواز وسحنون وذهب ابن القاسم
في العتبية الى انه اي المرتد او الزنديق ان اعترف بما شهد به عليه وتاب ولم تقبل
توبته فقتل فلا يورث لانه حكم بكفره وقتل فلا ينبغي لتوبته حكم في الدنيا فلا وجه
لما قيل انه عجيب كيف لا يورث وقد تاب ولا وجه لما قيل انه كيف لا يعمل بمقتضى
الشهادة وان لم يقر وقد شهد عليه حتى قتل او مات حتف انفه ورث وورثه المسلمون
وهو مخفف او مشدد لان الاصل بقاوه على الاسلام قال ابن القاسم وكذلك
اي مثل من لم يقر حتى قتل او مات كل من اسر اي اخفى كفرا باي وجه يكون ولم يظهره
حتى مات فانهم متوارثون بوراثة الاسلام فتجري عليهم احكام الاسلام
نظرا الظاهر حالهم وسيل ابو القاسم بن الكاتب تقدم بيانه عن النصراني يسب
النبي صلى الله عليه وسلم فيقتل بذلك هل يرثه اهل دينه النصارى ام المسلمون
فاجاب بانه اي ميراثه في يصرف للمسلمين لانه طعن في الدين ونقض للعهد فماله
كمال الحربي عنده وليس ما اخذه المسلمون على جهة الميراث لانه لا توارث بين مسلم

وكافر اذ لا توارث بين اهل ملتين كما ورد في الحديث الصحيح ولكن لانه اي ماله من فيئهم
الذي افاه الله عليهم لنقضه العهد بسبه له صلى الله عليه وسلم لانه طعن
في الدين وليس مما كفر به وهذا معنى قوله اي قول ابن الكاتب واختصاره اي ايراده
بعبارة اخصر من عبارته ولذا لم ينقل لفظه بعينه وحكمه وحكم تصرفاته مفصل
في كتب الفقه
الباب الثالث من هذا القسم في حكم من سب الله بذكر
ما هو عز وجل منزه عنه وحكم من سب ملائكته او انبياءه عليهم الصلاة والسلام
وكتبه المنزلة على رسله عليهم الصلاة والسلام وسب ال النبي صلى الله عليه
وسلم وازواجه وصحبه رضي الله عنهم اجمعين اما الملائكة فجمع ملك واصله
مالك من الالوكة وهي الرسالة فقلب وخفف كما مر وحقيقتهم عند المتكلمين
اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة والفلاسفة واوايل
المعتزلة لا ينكرونها لكنهم اثبتوا جواهر روحانية غير جسمانية سموها عقولا
واهل الشرع سموها ملايكة فاثبتوا لها تصرفا في العالم ومثلها الجن وانكر الفلاسفة
وبعض المعتزلة الملايكة والجن بالمعنى الذي فسرهما به المتكلمون من انها اجساما
من النور او الريح قادرة على التشكل كما قاله الامام في المحصل لانها ان كانت
لطيفة كالهوا لم تقدر على الافعال المقوية وان كانت كثيفة لزم ان تشاهد
والا لزم ان يجوز وجود جبال شاهقة عندنا لا نشاهدها وقالوا الجن
الارواح البشرية المفارقة لابدانها فهم لا ينكروها راسا كما
يتوهمه بعض الناس فيقول انه مخالف لنص القران والحديث والجواب عما قالوه
قالوه كما ذكره الكاتبي في شرح المحصل بان للطيف له معنيان ما لا لون له كالبلور
وما هو رقيق القوام كالريح فجاز ارادة الاول فيقوى على الاعمال الشاقة ولا يرى
او الثاني ولا يرى لانها شفافة والشفاف لا يرى ولان المروية شروطا وموانع
او لان الله لم يخلق روية لغيرها وقيل الجن والملايكة جنس واحد والكلام
على هذا مفصل في كتب الحكمة والكلام وقد تقدم الكلام على الال وهم الاقارب
والصحب اسم جمع لصاحب وهو معروف قال القاضي ابو الفضل عياض
المولف رحمه الله لا خلاف في ان ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم
اي مستحق للقتل شرعا فهو كناية عما ذكر وتقرنيه ان الحل والحرمة من صفات
الافعال دون الذوات والمراد اذا سبه بما لم يكفر به كاثبات الولد والشريك
فانه لا يقتل به الا اذا اظهره فانه نقض للعهد والظاهر ان المراد بالسب ما هو
سب عندهم فيخرج هذا عنه فلا حاجة للجواب عنه كما قيل واختلف في استتابته
اي طلب التوبة منه وقبولها فقال ابن القاسم في كتابه الذي سماه المبسوط
وفي كتاب سحنون ومحمد بن المواز ورواه ابن القاسم عن مالك في كتاب اسحاق بن

يجي من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب اي لا يقبل توبته ولعظم جرمه لا تطلب
منه توبة لانه قد يتوب فيزد في قتله الا ان يكون سببه افترا على الله بارتداده الى
دين غير الاسلام دان به اي تخذه دينا اطاعه واظهره ولم يخفه فيستتاب
اي يومر بالتوبة ورجوعه للاسلام وان ارتد لدين لم يظهره لم يستتب وقتل لانه
زنديق لا يوثق بتوبته والافترا الكذب عمدا وسمي فعله هذا افترا مجازا اولا
ستلزامه له وقال في المبسوطة مطرف مشدد بزنة اسم الفاعل وهو ابن اخت
الامام مالك كما تقدم وعبد الملك بن حبيب او ابن الماجشون مثله بالنصب
اي مثل ما مر تفصيله وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة فقدم بيانه وابن ابي حازم بحا
مهملة وزاي معجمة وهو عبد العزيز مسلمة بن دينار بن ابي حاتم توفي سنة اربع
اوخمس او ست وثمانين ومائة وهو ساجد في مسجد رسول الله صلى الله عليه
لا يقتل المسلم بالسب اي سب الله الذي كفر به حتى يستتاب فان تاب والا قتل
واليه ذهب الشافعي وغيره وكذلك اليهودي والنصراني اذا سب الله تعالى
واحد منهما لا يقتل حتى يستتاب فان تابوا قبل منهم الاتيان بالتوبة وان لم يتوبوا
قتلوا ولا بد من الاستتابة قبل قتلهم وهذا حكمهم الان اذ قويت شوكة الا
سلام بخلاف زمنه صلى الله عليه وسلم اذ لم يقتل اليهود الذين قالوا يد الله
مغلولة لما نزل اقرضوا الله قرضا حسنا فلم يستتبهم دفعا للفتنة وذلك اي
ما تقدم من سب الله كله كالردة في حكم الاستتابة وهو اي حكمه المذكور الذي حكاه
القاضي بن نصر تقدمت ترجمته عن المذهب اي مذهب الامام وبعض الشراح
هنا كلام طويل بلا طايل وكيف يسوغ له البحث في مسايل الفقه التي ينقلها على المص
عن مذهبه وافتى الشيخ ابو محمد بن ابي زيد امام مذهب مالك المشهور فيما حكى
بينا المجهول عنه في رجل لعن رجلا اي دعا عليه باللعنة ولعن الله تعالى عز وجل
فقال معتذرا عما قاله انما اردت ان العن الشيطان فزل لساني اي سبق خطا
لما قلته فقال ابن ابي زيد في فتواه يقتل بظاهر كفره بما قاله ولا يقبل عذره لمخالفته
للظاهر واما حاله في الاخرة فيما بينه وبين الله فمعذور ان صدق وترك هذا القيد
لظهوره فلا اعتراض عليه وبهذا افتى الشافعية لان مخالفة الظاهر الصريح
لا تقبل بدون قرينة وهي قاعدة مقررة عند الفقها هذا وفي الكلام ابن حجر بعد
قول المص ولا يقبل عذره وقضيته مذهبنا قبول وافتى فقها قرطبة مدينة بالاندلس
معروفة بضم القاف والظا المهملة وموحدة في مسيلة هارون بن حبيب اخي
عبد الملك الفقيه الذي تقدمت ترجمته واخوه هارون لا يعد من العلما بل من الامرا
وكان ضيق الصدر اي في نفسه ضيق وحرق كثير التبرم اي الضجر والقلق مما يصيبه
كما فسروه في الصحاح وكان هارون قد شهد بينا المجهول عليه بشهادات في امور

تقتضى

تقتضى تكفيره منها انه قال في استقلاله اي في زمن افاقته وقيامه من مرض اصابه
من قولهم استقل اذا ارتفع والمراد انه برئ منه فقال المابري منه لقيت في مرضي هذا ما
اي امر لو كنت قتلت ابا بكر وعمر رضي الله عنهما وفي نسخة ما لو قه الخ ما استوجبت
اي استحقيت هذا الذي لقيته كله فافتى ابراهيم بن حسين بن خالد من اجلاء فقها
المالكية بقرطبة توفي سنة ثمان وخمسين ومايتين بقتله لان مضمن قوله هو بالتشديد
بزنة اسم المفعول اي ما تضمنه تجوير الله بجيم وراء مهملة اي نسبته للجور والتظلم منه
اي القول بانه ظلمه بما فعله والتعريض فيه اي في نسبته الله تعالى لما لا يليق به كالتصريح
اي كحكمه في التكفير وايجاب القتل ومعنى التعريض ما يقابل التصريح وهو من الكناية
وليس هذا محل بيانه وقول المص التعريض كالتصريح هو نقل عن ايمة مذهب فلا
وجه للاعتراض عليه بان الفقها قالوا في كتب الفقه ليس حكمه حكم الصريح ونقله
عن الشافعية وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب الذي تقدمت ترجمته وابراهيم بن
حسن بن عاصم وصح في بعض النسخ حسين بالتصغير بدله وهو الفقيه الجليل
القرطبي توفي في رمضان سنة سبع ومايتين وسعيد بن سليمان القاضي بطرح
القتل عنه اي وضعه واصل معنى الطرح الرمي للمحقرات ففي التعبير به ايما الى ان قتله
جاير ولكنه دُرِئ عنه الا ان القاضي راى عليه التثقيل بوضع القيود والاغلال
في الحبس والذة اي التشديد في الادب والنكال لاحتمال كلامه لما ذكر من نسبة
الله تعالى للجور والتظلم وصرفه الى التشكي من المرض لتالمه به لا الشكاية من الله
وبهذا الاحتمال دفع عنه القتل وذكر النووي القولين في الروضة من غير ترجيح
وقال شيخ الاسلام زكريا في شرح الروض الذي رجحه المحب الطبري انه لا يكفر
قال ابن حجر والذي عندي ان يفصل فيقال ان اراد بذلك ان الله شدد عليه ذلك
لذنوب سبقت له او نحو ذلك لم يكفر وان اراد انه لم يفعل معه الاصلح في حقه فان كان
مع اعتقاد ان ما فعله معه جور كفر وانه تعالى لا يجب عليه الاصلح واطلق
لم يكفر انتهى وليس ما ذكر مبنيا على مسيلة وجوب الاصلح على الله وعدم وجوبه
على الخلاف المذكور في الاصل كما توهم واعلم ان ابن مفلح قال في كتاب الاداب الشرعية
ان ابن عقيل رحمه الله قال الرضا بقضا الله في الامراض ونحوها من المصايب واجب
وقال الشيخ تقي الدين انه ليس بواجب على الاصح وانما الواجب الصبر وفيه كلام
اطال فيه والحاصل ان المصايب والامراض ليست بذنب سبق من العبد وانما هي
ابتلا من الله يثيب عبده عليه كما ورد في الاحاديث وقد تقدم شي منه فيما يصيب
الانبيا وقول هذا القايل يقتضي انه يعتقد انما تصيبه بذنوب سلفت منه وهذا
جهل منه ووجه قول من قال في ساب الله بالاستتابة اي انه يطلب منه التوبة
فان تاب والا قتل انه اي السب كفر وردة محضة اي خالصة ظاهرة لم تتعلق بها

حق لغير الله تعالى من عباده وحق الله لكرمه وغناه مبني على المسامحة فاشبه
السب قصد الكفر بغير سب الله في ان كلا منهما ردة واشبه اظهارا لانتقال عن دين
الاسلام الى دين اخر من الاديان كالنصرانية المخالفة للاسلام سوا اظهره
ام لا ووجه قول من قال لا يترك استتابته كما تقدم نقله عن بعض ايمة المالكية
وفي نسخة ووجه ترك استتابته انه لما ظهر منه ذلك السب المقتضي للكفر بعد
اظهار الاسلام قبل غاية مبني على الضم اي السب الذي صدر منه اتهمنا جواب
لما اي صار له تهمة في الكفر وظننا انه لم ينطق به الا وهو معتقد له مطمع عليه
بقلبه لفساد عقيدته اذ لا يتساهل اي يعده سهلا هينا يتكلم به من غير تدبر في هذا
اي سب الله تعالى شانه احد له عقل ودين فحكم له بحكم الزنديق لان ظاهره الاسلام
وباطنه مضمر لخلافه بدليل ما صدر منه والزنديق لا يستتاب فلما اشبهه حكم
له بحكمه وهذا لا يقتضي ان سب الرسول صلى الله عليه وسلم ليس ردة
محضة حتى يشكل جريان الخلاف فيه كما قيل بل لان حق الله له حكم يخصه
كما تقرر عند الفقها ولم تقبل توبته لاخفايه الكفر فالظاهر استمراره عليه وان توبته
انما هي ليتخلص من القتل وهذا ظاهر في ان معنى الزنديق من يظهر الاسلام ويخفي
الكفر كالمنافق وقيل هو من لا ينتحل دينا كما تقدم واذا انتقل من دين الى دين اخر
واظهر السب بمعنى الارتداد اي بمعنى يقتضي انه صار مرتدا فهذا المنتقل
من دين لاخر بسبب ردته قد علم بفعله هذا انه خلع ربقة الاسلام من عنقه
اي خرج من الاسلام خروجا ظاهرا الى الكفر وهو استعارة لان ربقة عروة في حبل
تربط بها البهايم وتشد فاذا خلعتها اي نزعتها من عنقها شردت وذهبت نافرة
فجعل احكام الدين وحدوده المانعة بالتزامها عن المعاصي والكفر كالحبل الذي
يربط به وفيه اشارة الى انه ملحق بالحيوانات العجم ان هم الا كالانعام بل هم اضل
وهو مقتبس من الحديث الاتي من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام
من عنقه والجماعة اهل السنة والربقة بكسر فسكون وجمعه رباق بخلاف الاول
المتمسك به اي بالاسلام فانه بمجرد سبه الله تعالى لم يعلم انه خلع ربقة الاسلام
لتمسكه به ظاهرا فاشبه من قصد الكفر بغير سب وحكم هذا الذي انتقل من دين
الى اخر واظهر السب حكم المرتد الذي خلع ربقة الاسلام من عنقه يستتاب فان
تاب قبلت توبته والا قتل على مشهور مذاهب اكثر اهل العلم من اكثر علما الحنفية
والشافعية والحنبلية وهو مذهب مالك واصحابه في كتبهم على ما بيناه قبل في الباب
الاول وذكرنا الخلاف مفصلا في فصوله الاتية بعد فصل واما من اضاف
الى الله تعالى اي نسب اليه ما لا يليق به اي لا ينبغي ان يعتقده احد في حقه ليس
على طريق السب اي لم يذكره قايله بقصد السب فجعل ما قصد به امرا ممكن جلس

في طريق غيره ذلك الامر فهو مجاز او كناية عما ذكروا لا الردة اي ليس ذكره له على طريق الردة
اي على وجه يقتضيها او قصد الكفر اي قصد ما يعد كفرا ولكن كان ذكره لما لا يليق على طريق
التاويل منه والاجتهاد اي بقوله اجتهادا برايه فيه والخطا في اجتهاده المفضي لغوا وضاد
مجهة الى الهوى اي قوله المودي لامر هوى نفسه من غير نظر للحق وتحقيق له والبدعة اي
اختراع امر لم يسبق اليه ولم يرد في الشرع والمراد البدعة التي هي الضلالة فان البدعة
قد تستحسن لعدم مخالفتها الشرع وقد تكون واجبة كما فصل في محله ومقصوده بهذا
الفصل بيان حكم من خالف اهل السنة من الفرق الذين لهم مذاهب مذكورة في
الاصول كالمعتزلة ومن ضاهاهم من تشبيه اي تشبيه الله تعالى بغيره كاثبات
مكان له وجسم وهذا بيان لما لا يليق ونعت اي وصف الله سبحانه وتعالى بجارحة
اي باثبات جارحة له والجارحة العضو من اجترح وجرح بمعنى اكتسب قال تعالى
ويعلم ما جرحتم كاليد والعين والوجه ونحوه مما ورد في الايات والقران ولم تقصد
ظاهره كالاستوا على العرش مما هو مصروف عن ظاهره كما سياتي بيانه او نفي صفة
كمال كنفي المعتزلة للصفات فرارا من تعدد القدما والمحذور انما هو في اثبات ذوات
قدما لا ذات وصفات واحترز بقوله كمال عن الصفات السلبية فلا وجه لما
قيل انه لم يحترز به عن شي لان صفاته كلها كمال فهذا المضاف اليه تعالى مع تاويله
مما اختلف السلف المتقدمون والخلف المتاخرون في تكفير قايله ومعتقده اي
جاعله كالغي فذهب الاشعري الى عدم تكفير اهل الاهوا والمذاهب المردودة وعلى
ذلك اكثر الفقها من الحنفية والشافعية وليس على اطلاقه كما ستراه واختلف
قول مالك واصحابه في ذلك اي في تكفير اهل الاهوا ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحزبوا
فية اي فاتوا اهل السنة وانفردوا بمكان مختص بهم لاظهارهم المخالفة وخشية
اضلال العامة والخروج اذا قويت شوكتهم ولم يختلفوا ايضا في انهم يستتابون
اي تطلب توبتهم ورجوعهم عما قالوه واعتقدوه فان تابوا ورجعوا عما هم عليه
قبلت توبتهم والا قتلوا دفعا لشرهم واضلالهم لغيرهم وانما اختلفوا اي مالك
واصحابه في المنفرد الذين معه جماعة يتحزب بها عن غيره منهم اي ممن نسب لله ما ذكر
فاكثر قول مالك واصحابه ترك القول بتكفيرهم للنهي عن تكفير اهل القبلة
وترك قتالهم لتاويلهم ولرجا توبتهم ورجوعهم ولعدم ضررهم لغير انفسهم
وفي نسخة وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم اي تشديد عقوبتهم واطالة
سجنهم بفتح السين اي حبسهم مدة طويلة حتى يظهر اقلاعهم اي رجوعهم عما هم
فيه من القلع بمعنى النزع والازالة اريد به ما ذكر وتستبين اي تظهر توبتهم ورجوعهم
للحق كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بصبيغ بفتح الصاد المهملة وكسر الباء
الموحدة وسكون المثناة التحتية وغين معجمة وهو رجل من بني يربوع اسمه صبيغ

بن شريك اى عسل بكسر العين وسكون السين المهملتين قال ابن ماكولا كان يتتبع مشكل
القرءان ومتشابهه فامر عمر رضي الله عنه بضربه ومنع الناس من مجالسته وهذا
قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك بن الماجشون وهم جماعة كانوا مع على كرم الله
وجهه في صفين ثم خالفوه وخرجوا عليه لانكارهم التحكيم وقولهم لا حكم الا لله ولهم
عقايد مخالفة للسنة كتكفير مرتكب الكبيرة ووجوب الخروج على الامام اذا خالف
السنة ومع ذلك كان لهم من العبادة والشجاعة والتصلب فيما يعتقدونه امور
عجيبة وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بهم قبل ظهورهم وقصتهم مع على
رضي الله عنه وقتاله لهم فمشهور في التواريخ وهو ايضا قول سحنون في جميع اهل
الاهوا من الفرق الضالة المضلة المفصلة في محلها فلتشتد عقوبتهم ولانتقام
بل يطول سجنهم حتى يتوبوا وبه اى بما ذكر فسر قول مالك في الموطا كما به المشهور
وفسر قول مالك بقوله وما رواه مالك وفي نسخة ما رواه بدون واو بدل
من قول مالك اى فسر بعض اصحابه ما قاله رواية عن عمر بن عبد العزيز عن جده
مروان بن الحكم وعمه عبد الملك بن مروان من قولهم بيان لما في القدرية يستتابون
فان تابوا تركوا والا قتلوا لكفرهم بما مر وهو لا طايفة قالوا بنفي القدر وان
الامر انف لم يسبق تقديره فلنسبتهم للقدر لملابسته السلبية وقد ورد في الحديث
انهم مجوس هذه الامة شبههم بهم لاضافتهم الامر لغير الله من النور والظلمة والكلام
عليهم وعلى عقايدهم مفصل في كتب الاصول وهم اصحاب واصل بن عطا الغزال
وهم يقولون يقع في ملكه ما لا يريده تعالى الله الله عن ذلك علوا كبيرا وقال
عيسى بن ابراهيم كما تقدم وقيل هو ابو موسى الغافقي عن ابن القاسم تقدم بيانه
في اهل الاهوا اى الارا الفاسدة الذين اتبعوا فيها هواهم الفاسد من الاباضية
بكسر الهمزة وبالباء الموحدة والضاد المعجمة جماعة من الخوارج اصحاب عبد الله بن
اباض ظهروا في خلافة مروان بن محمد اخر خلفا بني امية زعموا ان من خالفهم كافر
غير مشرك تجوز مناكحته والقدرية وشبههم في عقايدهم الباطلة ممن خالف الجماعة
اى اهل السنة فان الجماعة عند الاطلاق ينصرف لهم لاجتماعهم على الحق من اهل البدع
اى الضلالة كالنصيرية والاسماعيلية وغيرهم ممن فصل في كتاب الملل والنحل والمحرف
لكتاب الله بتفسيره وتاويله بالتاويلات الباطلة يستتابون اى تطلب منهم
توبتهم ورجوعهم عن اعتقاداتهم الفاسدة سوا اظهروا ذلك الاعتقاد حتى
اطلعنا عليه او اسروه اى اخفوه بحيث لا يطلع عليه الا من هو منهم فان تابوا
قبلت توبتهم وعفي عنهم والا اى ان لم يتوبوا قتلوا وميراثهم لورثتهم من المسلمين
لانهم يقولون انهم على الاسلام ويتاولون النصوص الدالة على خلافهم وانما قتلوا
لاصرارهم على البدع المخالفة للحق كما يقتل تارك الصلاة لا للحكم بكفرهم فلا يرد عليه

ما قيل انهم

ما قيل انهم اذا قتلوا لكفرهم كيف يرثهم المسلمون مع ما فيهم من مانع الارث ولا فرق
بينه وبين المرتد والفرق مثل الصبح ظاهر وقال مثله اى مثل قول عيسى ايضا تاكيد
لمثله ابن القاسم في كتاب محمد بن المواز في اهل القدر وغيرهم من اهل البدع المخالفين
في العقايد لاهل السنة قال اى ابن القاسم او محمد واستتابتهم معناها ان يقال لهم
اتركوا ما انتم عليه من العقايد الباطلة فان لم يتركوا قتلوا وورثتهم كما تقدم
ومثله اى مثل قول ابن القاسم في كتاب محمد المنسوب له في كتاب المبسوط في حق
الاباضية والقدرية الذين بيناهم وساير اهل البدع من الفرق الضالة فليستتابوا
والا قتلوا قال ابن القاسم وهم مسلمون لاظهارهم الاسلام وشعايره وانما قتلوا
جواب سوال مقدر تقديره فلم قتلوا مع كونهم مسلمين فقال في جوابه لرايهم اى ما راوه
من العقيدة السو بفتح فسكون اى السي المخالف لجماعة السنة واهل الحق وبهذا
اى بما يوافق ما قاله ابن قاسم عمل الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم
اى عمل به وحكم في زمان خلافته به وقد استشكل بعض الشراح كلام المص فيما نقله
عن ابن القاسم بان القدرية اطلقوا تارة على من ينفي القدر كله ويقول ان الامور
انف اى مستانفة ليس فيها لله قدرة ولا علم بها وهولا كفرة كما في الحديث المار
انهم مجوس هذه الامة وهذه الطايفة كانت في اخر الدولة الاموية وانقرضوا فان
فسروا بهم فلا يصح قوله وهم مسلمون وتارة على المعتزلة القايلين بان الشي ليس
بارادة الله وتقديره وهولا لا يحكم بكفرهم قلت اذا حمل على هذا فلا اشكال
فيما قاله ابن القاسم وان كان هو لم يبين مراده لانهم لكونهم انقرضوا كان كلامه
منصرفا اليهم بقرينة خارجية وقال ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى
تكليما مصدر موكد لنفي احتمال التجوز فيه استتيب بطلب توبته ورجوعه
عما اعتقده فان تاب ورجع عن انكاره لكلام الله قبلت توبته والا قتل
لانكاره لما اخبر الله به في كلامه الكريم المتواتر فان اراد ابن القاسم انه يكفر
لانكاره القرءان وتكذيبه لما قاله اصدق القايلين من غير تفصيل فيه فله وجه
وان اراد ان ما ذهب اليه المعتزلة من ان ما سمعه موسى عليه الصلاة والسلام
خلقه الله في الشجرة لانه صوت وحروف حادثة صدرت منه لان ذاته لا تقوم
بها الحوادث والكلام النفسي لا يسمع عندهم فتكفيرهم بهذا غير مسلم والكلام
على مسئلتهم الكلامية فصل في كتب الاصول لا يسع تفصيله هذا المقام وقد
افردوه بالتاليف وابن حبيب وغيره من اصحابنا المالكية ممن صحبتهم موافقتهم
مذهبا لا صحبة حقيقية يرى اى يعتقد تكفيرهم اى انهم كفروا بمقالتهم هذه
ويرى تكفير امثالهم من اهل البدع والعقايد الفاسدة من الخوارج بيان لامثالهم
وقد تقدم بيان الخوارج والقدرية الذين تقدم ذكرهم والمرجية مهموز بزنة اسم

فاعل من الارجا وهو التاخير والامهال وهم فرق خمس ذهبوا الى انه لا تضر معصية مع
مع الايمان كما لا تنفع طاعة مع الكفر وتكفيرهم لانكارهم النصوص المتواترة وما علم
من الدين بالضرورة قيل كان ينبغي ان يسموا المتركة لدلالته على انه لا عذاب اصلا مع
موافقته لقولهم الفعلة التركه وهو كلام في غاية الركاكة والغفلة لان تعلل والتاخير
يراد به الترك كثيرا وقد علمت ان المرجية بالهمزة وتبدل يا والقدرية بفتح الدال
ويجوز تسكينها وقد روى ايضا عن سحنون مثله اى مثل قول ابن حبيب في التكفير
فيمن قال ليس لله كلام انه كافر لانكاره ما ثبت بالتواتر وما يلزمه من تكذيب الله
ورسله فتكفيره بنا على ظاهر كلامه واطلاقه صيانة للشرع ليلا يخرق
السياج فلو قال اردت بذلك انه ليس له كلام بحروف واصوات حادثة كالبشر
لتنزهه عن قيام الحوادث به عند غير الكرامية وهم من الفرق الضالة فهذا مما ذهب
اليه كثير من اهل السنة كالاشعري المثبت للكلام النفسي فلا يكفر قايله واذ ذهب
الى قدم الالفاظ كثير من السلف كالحنابلة واول الشهرستاني كلام الاشعري
في رسالة له لخصها الشريف في شرح المواقف والكلام فيه مشهور بين العلما وفيه
تاليف مستقل واختلفت الرواية عن مالك في اهل البدع والاهوا فاطلق القول
بتكفيرهم عن مالك في رواية الشاميين اى من اتبع مذهب مالك من اهل الشام ابي مسهر
بزنة اسم فاعل بسين ساكنة وراء مهملتين بينهما ها مكسورة بدل من الشاميين وهو عبد الله
بن مسهر الغساني المالكي كما تقدم ومروان بن محمد الطاطري الدمشقي والطاطري بطاءين مهملتين
مفتوحتين وراء مهملة نسبة الى ثياب بيض كان يبيعها وهي تعرف بالطاطرية بمصر والشام
وهو امام محدث ثقة اخرج له مسلم وغيره وله ترجمة في الميزان وهو من زهاد العلما
توفي سنة ست عشرة ومائتين الكفر عليهم اى قال بكفرهم مطلقا مطلقا او سماهم كفرة
واطلق اسم الكفر عليهم وقد سوور ببنا المجهول اى شاور مالكا واستشاره بعض
الناس في تزويج القدري اى عقد النكاح له من نسا اهل السنة فقال لا اجيز ان
تزوجه لانه كافر عنده ومثله لا يحل تزويجه بمسلمة وقد قال الله تعالى ولعبد
مومن خير من مشرك ولو اعجبكم اى العبد المومن وان كان فقيرا خير من المشرك وان كان
غنيا وفيه ترغيب وترهيب وفي الاية كلام في كتب التفسير وروى عنه اى عن مالك
ايضا اى كما روى عنه فيما مر انه قال اهل الاهوا اى البدع والعقايد المخالفة لاهل
السنة كلهم كفار لعقايدهم الباطلة وقال مالك ايضا من وصف شيا من ذات الله
اطلاق الذات بمعنى النفس على الله مشهور وفيه كلام تقدم واشار حال وصفه له
الى شي من اعضا جسده يد بدل من جسده بدل بعض من كل او سمع او بصر او نحوه
قطع ذلك العضو منه الذي اشار له حال وصفه واشار كناية عن ان ما ذكر من
الاعضا حقيقي كالمحسوس المشار اليه وانما عوقب بذلك لانه شبه بشين معجمة

من التشبيه

489

من التشبيه فهو باشارته شبه الله بنفسه في اثبات الاعضا والتجسيم له ومثله
من المتشابه وللسلف فيه خلاف فبعضهم منهي عن الخوض فيه وتاويله لانه مما
يستحيل في حقه وذهب الى تاويله بما يصح في حقه كتفسير اليد بالقدرة والتصرف
ونحوه ومنهم من قال انما صفات له لا يعلم حقايقها وسماها الصفات السمعية وعلى كل
حال فالتشبيه غير صحيح ليس كمثله شي وهو السميع البصير وقيل ان مالكا قصد بكلامه
هذا الزجر الشديد لا القطع حقيقة لانه عقوبة لم ترد في الشرع اوادا الدعا عليه
بذلك فانه اجل من ان يقول مثله حقيقة انتهى ولا يخفى ان ساقه له خلاف
الظاهر واذا كان عنده هذا كفر وهو مستحق للقتل فاى مانع من عقوبته بمثل
ما ذكروما وجه استبعاده وقال مالك فيمن قال القران مخلوق وهو كافر فاقتلوه
اعلم ان هذه المسيلة مما ابتلى بها السلف حتى اختار بعضهم السجن والضرب
ولم يرضوا بان يقولوا ذلك ومن الغزوري في كلامه قال لفظي بالقران مخلوق
وقال بعضهم التوراة والانجيل والزبور والفرقان وعدها باصابعه وقال هذه
الاربعة مخلوقة الى غير ذلك والقران يطلق على الكلام النفسي والصفة المعنوية
القايمة بذاته تعالى وعلى الكلام القايم بذاته عند من قال بقدم الالفاظ
كالحنابلة والشهرستاني وعلى ما يقروه الناس ويكتبونه والاولان قديمان والثالث
محدث مخلوق لكنه منع من قوله تادبا وتنزيلا للصوره منزلة دونها وليلا يوهم
معنى الاختلاق الذي هو بمعنى الافترا والكذب قال ابن طلحة في كتاب اداب حملة
القران ولعن قاله الوليد بن المغيرة وقد فسر قوله تعالى قرانا عربيا غير ذي
عوج بغير مخلوق وورد في الحديث القران كلام الله ليس بمخلوق وعليه انعقد
الاجماع قبل ظهور المعتزلة وحكم من قاله انه يودب ثم يستفصل فانه قال
اردت الحروف والاصوات ترك ولا يقتل وان قال اردت المعنى القايم بالذات
قتل مطلقا او ان لم يتب قولان وهل يعذر لجهله ام لا فيه خلاف وموسى
سمع كلام الله من غير صوت ولا حرف كما نرى الله في الجنة من غير جهة وتجسيم
ولا تجوز التورية عنه كما مر الا اضطرارا انتهى وهذه الرواية عن مالك بنا على
انه يجوز التعزير بالقتل والذي يسميه بعض الفقها سياسة لا ما يفهمه
الناس من انه ما امر يفعله الامام على خلاف الشرع وبه صرح ابن تيمية في السيف
المسلول كما مر وعليه حمل مما مر من قتل اهل الاهوا فلا اشكال فيه كما قيل وقال
ايضا الامام مالك في رواية ابن نافع عن مالك انه يجلد ويوجع ضربا ويحبس
حتى يتوب وهذا هو الصحيح وابن نافع تقدمت ترجمته وفي رواية بشر عن مالك
وهو بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة وراء مهملة ابن بكر التنيسي بكسر التا المثناة
الفوقية وتشديد النون المكسورة ومثناة تحتية وسين مهملة وتنيس قرية

كانت بقرب دمياط ينسج فيه اثياب مشهورة بغاية الجودة وهي في جزيرة صغيرة تشي
تونة اكلها البحر وتاوها مكسورة على الصحيح وجوز بعضهم فتحها وبشر بن بكر هذا
امام محدث جليل ثقة اخرج له اصحاب السنن وتوفي سنة خمس ومائتين وله ترجمة
في الميزان عنه اي عن مالك انه يقتل ولا تقبل توبته والصحيح ما تقدم وقال
القاضي ابو عبد الله البرتكاني بزنة الزعفراني بباء موحدة وراء مهملة ومثناة فوقية
وكاف ونون بعد الالف ويا النسبة الى نوع من الاكسية والقاضي ابو عبد الله التستري
من اصحاب مالك نسبة للتستر بتائين مثناتين فوقيتين كما تقدم من ايمة المالكية
العراقيين نسبة لعراق العجم اقليم معروف جوابه اي جواب مالك في هذه المسيلة
تختلف روايته عنه في القتل وعدمه يقتل المستنصر هو بسين ساكنة وصاد
وراء مهملتين قبلهما مثناة ونون اي من له اعوان ينصرونه وقيل انه بباء موحدة اي
من له بصيرة في اقامة الادلة على مراده كذا في الشروح والاول انسب بقوله الداعية
بدال وعين مهملتين الذي يدعو الناس لمذهبه ويطلب ظهوره والتا للمبالغة
لا للتانيث كعلامة فهذا اشد فتنة فلذا راى مالك قتله دفعا لغايلته بخلاف
غيره وبنا على هذا الخلاف في الرواية عن مالك المبني على انه كان داعية ام لا انه
اختلف قوله اي مالك في اعادة الصلاة اذا صليت خلفه اقتدا بامامهم فتارة
قال يعيد وتارة قال لا يعيد وهو مبني على ان الامام داعية ام لا اي المبني على التكفير
وعدمه ومذهب ابي حنيفة والشافعي صحة الاقتدا باهل البدع والاهوا مطلقا
والادلة مفصلة في كتب الفقه وحكى ابو بكر ابن المنذر هو امام جليل ادعى الاجتهاد
وعد في اصحاب الشافعي وهو حافظ ثقة كما تقدم رواية عن الشافعي رضي الله عنه
لا يستتاب القدري لكفرهم ونفيهم تقدير الله كما مر واكثر اقوال السلف تكفيرهم
ايجاب بالحكم بتكفيرهم وفيه خلاف وممن قال به اي اعتقد كفرهم الليث وابن عيينة
وابن لهيعة بفتح فكسر وهولا كلهم تقدمت تراجمهم وروى عنهم اي عمن ذكر من السلف
ذلك اي تكفيرهم كما روى عنهم فيمن قال بخلق القران وقد سمعت ما فيه قاله ابن المبارك
اسمه عبد الله كما تقدم والاودي بفتح الهمزة وسكون الواو وكسر الدال المهملة منسوب
لاود قبيلة وهو عثمان بن الحكم ووكيع ابو سفيان ابن الجراح الرواسي كما تقدم وحفص
بن غياث بكسر الغين المعجمة وفتح اليا التحتية المخففة والف تليها مثلثة ابو عمر
والنخعي قاضي الكوفة الامام الحافظ اخرج له الستة وترجمته في الميزان توفي سنة
اربع عشرة ومائة وابو اسحاق الفزاري براهيم ابن محمد بن الحارث ابن اسما ابن خارجة
الفزاري احد العلما الاعلام اخرج له ايضا الستة وتوفي سنة ست او ثمان
وثمانين ومائة وهشيم بن بشر السلمي الواسطي الحافظ الثقة توفي سنة ثلاث
وثمانين ومائة واخرج له الستة وترجمته في الميزان وعلي بن عاصم بن صهيب الواسطي

احد الايمة الاعلام الذي اخرج له اصحاب السنن كما في ترجمته في الميزان وتوفي سنة
احدى ومائة وعمره سبع وتسعون في اخرين من الايمة الذاهبين لهذا وهو اي ما قاله
هؤلاء من قول اكثر المحدثين اي ايمة علم الحديث والفقها والمتكلمين فيهم متعلق بقول
اي في المبتدعة وفي الخوارج والقدرية واهل الاهوا اي المتبعين لهوى انفسهم
في العقايد الفاسدة المضلة بزنة اسم الفاعل ويجوز كونه اسم مفعول ايضا
واصحاب البدع المتاولين للنصوص تاويلات باطلة وهو قول احمد بن حنبل
في هولا وكذلك اي لذلك مثل هذا القول قالوا اي قال من الايمة الذاهبين
للتكفير في الفرقة الواقفة بالقاف والفا وفي نسخة الواقفية بيا النسبة
وفي الفرقة الشاكة في هذه الاصول متعلق بالواقفة والشاكة على التنازع
او التجاذب والمراد بالواقفة قوم توقفوا في اتباع البدعة او للشبه بجهلهم
او لتعارض الادلة عليهم فلم يقولوا القران مخلوق او غير مخلوق وكذا الشاكة
فرقة شكوا في ذلك وقال بعض الشراح ليس المراد بهم كل من توقف او شك بل هم
طايفة من الامامية لهم اعتقادات فاسدة وتوقفوا في كثير من احكام الدين واخرجوها
عن اصوله واقوالهم في الامامة وانها لاولاد علي وقالوا بالرجعة بعد الموت
في الدنيا وغيبة الامام في جبل رضوى ويجوز ارادة كل من شك ولم يتبع الحق
ولم ينظر في اصول اهل السنة عنادا منه والحادا وممن روى بينا المجهول عنهم
معنى القول الاخر المخالف لهذا القول بترك تكفيرهم اي تكفير اهل البدع والاهوا
من الفرق المذكورة علي بن ابي طالب وعبد الله بن عمر بن الخطاب والحسن البصري
وهو اي القول بترك تكفيرهم راي جماعة من الفقها كالشافعي لقوله رضي الله عنه
لا اكفر احدا من اهل القبلة الا الخطابية كما حكاه النووي في الروضة والنظار
جمع ناظر كحكام جمع حاكم اي اصحاب النظر والمعرفة بالادلة والقادرين على المناظرة
والمتكلمين من علما اصول الدين واحتجوا اي استدلوا على عدم التكفير بتوريث
الصحابة والتابعين اي بحكمهم بتوريث ورثة اهل حرورا من ابايهم واقاربهم
وحرورا بفتح الحا المهملة ورا مهملة مضمومة قبل واو واخرى مهملة بعدها
الف ممدودة وهمزة ويجوز قصره علم بجزيرة على ميلين من الكوفة اجتمع فيها
الخوارج الذين اجتمعوا على حرب علي رضي الله تعالى عنه وتعاقدوا على رايهم
الفاسدة وعلى قتاله فنسبوا لمحلهم وارادوهم واعتقاداتهم مفصلة في
المبسوطات وورثوا من عرف بالقدر وكان من القدرية ورثته ممن مات منهم
اي من الخوارج والقدرية ودفنهم في مقابر المسلمين لعدم تكفيرهم وجري مصدر
مجرور ومضاف لمقوله احكام المسلمين بصيانة دمايهم واموالهم وغير ذلك قال
اسماعيل القاضي هو اسماعيل ابن اسحاق الحافظ كما تقدم في ترجمته وانما قال مالك

فى القدريه وساير اهل البدع جواب عن مخالفة قول مالك لمذهب هولاء مع قوته وذهاب
السلف اليه من الصحابة والتابعين وعلما الدين واهل الاصول فقول مالك انهم
يستتابون اى تطلب منهم التوبة فان تابوا قبلت توبتهم والا اى ان لم يتوبوا قتلوا
فحكمه بقتلهم ليس لكفرهم بل لانه اى اعتقادهم الباطل من الفساد فى الارض
وهو مما يجب دفعه فان لم يندفع الا بالمقاتلة والقتل قتلوا لما يلزمه من اضلال
الناس وافساد عقايدهم كما قال مالك فى المحارب من البغاة الخارجين على السلطان
وعقايدهم غير باطلة ان راى الامام قتله مصلحة لدفع فساده وان لم يقتل
ذلك المحارب احدا قتله وليس قتله لكفره بل لدفع فساده وفساد المحارب انما
هو فى الاموال التى ياخذها او يفسدها ومصالح الدنيا التى يعود نفعها بتغلبه
على البلاد واهلها لقوله تعالى انما جزا الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون
فى الارض فسادا الخ فالساعى بالفساد يستحق القتل فليس كل قتل للكفر فمذهب
مالك يخالف قول غيره فى قتل اهل البدع لانه يوافقهم فى عدم تكفيرهم وفى شرح
المواقف اعلم ان عدم تكفير اهل القبلة موافق لكلام الاشعرى والفقها لكن
اذا فتشنا عقايدهم وجدنا فيها ما يوجب الكفر قطعا مما يقدح فى الالوهية او النبوة
انتهى قيل فعلى هذا لا ينبغى اطلاق القول بالتكفير وعدمه وفيه بحث وما قيل
من ان ما قاله القاضى غير مستقيم لانه ان قيد بالكفر فى حكمه كفروا والا فلا حاجة
للالحاق مع انه يقتضى استحقاق كل من ظهر فساده للقتل كلام لا وجه له لمن له
ادنى تامل وقول المص وان كان افساد الساعى بالفساد قد يدخل ايضا اى كما يفسد
الدنيا معناه انه قد يؤول فساده للدخول فى امر الدين اى قد يؤول فساد الدنيا الى
الافساد فى الدين فلذا منعه مالك بنا على قواعده فى الذريعة وسدها وبين ذلك
بقوله من سبيل الحج والجهاد اى بفساده يفسد سبيل الحج والجهاد ما يمنعه فلهذا
اجاز قتله بلا يرى فساده للدين وفساد اهل البدع معظمه اى اكثره وجودا
راجع وعايد على الدين لعقايدهم الفاسدة التى يضلون بها الناس وقد يدخل فى امور
الدنيا فحالهم عكس حال المحارب الذى معظم فساده فى الدنيا وقد يدخل فى امور الدنيا
فيعلم جواز قتله بالطريق الاولى وبين دخوله فى الدنيا بقوله بما يلقون بضم اوله
مضارع القى بمعنى رمى وطرح وهو كناية عن ظهوره بين المسلمين من العداوة الدينية
التى تسرى لدنياهم بالمقاتلة والمحاربة ونهب الاموال وتخريب الديار والله الموفق
للصواب من اتباع الحق وترك الباطل وكسر شوكته وهذا بنا على عدم تكفير الخوارج
وفيه خلاف مشهور سياتى بيانه والبغاة امرهم مفصل فى كتب الفقه والله اعلم

فصل ذيل به ما قبله فى تحقيق القول فى اكفار المتاولين من اصحاب البدع
والاهوا الذين اولوا عقايدهم الباطلة بما يجعلها صحيحة واولوا بعض النصوص

المشكل ظاهرها

المشكل ظاهرها قد ذكرنا فى الفصل الذى قبل هذا مذاهب السلف من الصحابة
والتابعين ومن بعدهم من المتقدمين فى اكفار اهل البدع والاهوا من الفرق الضالة
القاولين لمقالاتهم الباطلة حتى لا يقتلوا ممن قال قولا يوديه بضم التحتية وفتح الهمزة
وتشديد الدال المهملة اى يوصل ويفضى مساقه مصدر ميمى اى سوقه وسوق الكلام
وسياقه ما يدل عليه بواسطة ما ذكر معه الى الكفر متعلق بيوديه اى يودى اليه كقول
المعتزلة انه لا يفعل القبيح ولا يريده وانه يودى الى ما لا يليق من عدم القدرة ونحوه
وهم يؤولونه بانه بتمكينه وخلق القدرة ويقولون فعل القبيح قبيح والكلام
عليه مفصل فى كتب الاصول وهو اى القايل اذا وقف عليه اى على ما يودى اليه كلامه
لا يقول اى لا يعتقد اعتقادا جازما بما يوديه قوله اليه من الكفر ومقدماته وقوله
وقف عليه كناية عن الاطلاع عليه والعلم به وليس تعديه بعلى لهذا كما قيل فانه
يتعدى بها كما يقال وقف على الارض وبنا على اختلافهم اى السلف اختلف الفقها
والمتكلمون فى ذلك اى فى تكفيرهم وعدمه بنا على مسالة اصولية وهى لازم المذهب
هل هو مذهب ام لا فمنهم اى الفقها والمتكلمين من صوب بتشديد الواو اى عده
صوابا صحيحا والتصويب ضد التخطية التكفير اى القول بكفرهم الذى قال به الجمهور
من السلف اى اكثرهم نظرا لما يودى اليه صونا لحظاير القدس وحماية لجانب الربوبية
والتكفير والاكفار بمعنى ومن قال الاول انما هو من الكفارة فقد اخطأ كما فى المعرب
وغيره من كتب اللغة ومنهم من اباه اى منع تكفيرهم بمثله ولم ير اخراجهم اى اخراج
هولا القايلين بما ذكر من سواد المسلمين وفى نسخ المؤمنين صونا لاهل القبلة
للاحاديث الواردة فى النهى عنه كالحديث الاتى قريبا امرت ان اقاتل الناس حتى
يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دماهم واموالهم ونحوه من الاحاديث
الصحيحة والسواد هنا بمعنى الجماعة قال فى الاساس سواد المدينة ما حولها
والسواد الاعظم جماعة المسلمين ويقال كثرت سواد القوم بسوادى اى
جماعتهم بشخصى وقلت لما تغلب سود الخصيان على ارض مصر فى الدولة الا
براهيمة النمرودية سواد وجوه الملك سود عبيده بتسويده دون البرية
سودها فقد غلط الدهر الدنى بفعله وظن سواد المسلمين عبيدها
وورد سواد الناس بمعنى عامتهم وليس مرادا هنا وان جاز على بعد وهو قول
اكثر الفقها والمتكلمين وقد علمت انه بنا على الظاهر والاكثر لتعلقه
بذلك من مسايل الكلام من وجه ومن مسايل الفقه من وجه وقالوا هم اى اهل
البدع فساق كفار جمع فاسق وعصاة لارتكابهم كباير من فساد العقايد
والاعمال ضلال بضم الضاد المعجمة وتشديد اللام جمع ضال ونوارثهم مضارع
بنون العظمة او الجماعة من المسلمين فاربهم اى نحكم بارث المسلمين لهم ومنهم

ويحكم لهم باحكامهم فيما لهم وعليهم لعدم تكفيرهم ولهذا القول قال سحنون
ولا اعادة للصلاة على من صلى خلفهم لصحة الاقتدا بهم وصحة صلاتهم وفي
بعض النسخ في وقت واحد ولا في اكثر اي اوقات وذكره دفعا لتوهم انه قد
تسقط الاعادة في الاوقات الكثيرة دون غيرها للمشقة فيها قال سحنون
وهو اي هذا القول وعدم اعادة الصلاة قول جميع اصحاب مالك كلهم
وفي نسخة منهم المغيرة وابن كنانة واشهب وقد تقدمت تراجمهم قال سحنون
لانه اي المبتدع مسلم وذنبه الذي ارتكبه من بدعته لم يخرجه من الاسلام
لتصديقه بالله ورسوله والتزام احكام الدين في ظاهر حاله واضطرب اي
تردد وشك اخرون في ذلك الحكم من تكفيرهم وعدمه ووقفوا عن احد الطرفين
فلم يحكموا باسلامهم ولا بعدمه عن القول بالتكفير وضده وهو الاسلام وقول
رابع وهو التفصيل كما تقدم واختلف قول مالك في ذلك فله قول بتكفيرهم وقول
بخلافه فلذا اضطرب بعضهم وتوقف اخرون فيهم وفي نسخة واختلاف قولي
مالك وتوقفه عن اعادة الصلاة خلفهم منه اي من هذا القبيل الذي اختلف
فيه قوله فتارة قال يعيد وتارة قال لا يعيد والى نحو من هذا التوقف المنقول
عن مالك ذهب القاضي ابو بكر الباقلاني من ايمة اهل الاصول امام اهل التحقيق
والحق ومقتداهم في الاصول والفروع ولا يلزم من توقفهم اثبات منزلة بين المنزلتين
كالمعتزلة كما توهم وقيل انه اشكل تحصيل كثير من الاحكام فان امرهم في الاخرة
الى الله وقد قيل من قال لا ادري فقد افتى وكم توقف المجتهدون في مسايل من امور
الدين لم تضرهم ولا غيرهم والقاضي ابو بكر الباقلاني اشتهر انه شافعي وقيل انه
مالكي وصححه بعضهم وسيصرح به المص فهو الاصح وقال القاضي ابو بكر المذكور
انها اي هذه المسيلة من المسايل المعوصات اي الصعبة المشكلة لقوة الارا
المتعارضة فيها وهو بضم الميم وسكون العين المهملة وكسر الواو المخففة وصاد
مهملة وضبطه بعضهم بفتح العين وتشديد الواو وهو من قولهم اعتاص اذا التوى
والعويص ما لا يفهم من الشعر وغيره ويصعب استخراجه اذ القوم ممن ارتكب
البدعة لم يصرحوا بالكفر في شي مما قالوه وانما قالوا ما يودي اليه اي ما يلزمه الكفر
وظن بعضهم ان القوم هم علما السلف والمراد انهم لم يطلقوا عليهم اسم الكفر
وما بعده يا باه واضطرب قوله اي قول القاضي في المسيلة فهو مختلف على نحو
اضطراب قول امامه مالك بن انس وهذا صريح في انه مالكي المذهب وبه صرح
ابن ناتي في طبقاته فقال ابو بكر محمد بن الطيب المعروف بابن الباقلاني الاصولي
الاشعري المالكي مجدد الدين على راس المائة الرابعة على الصحيح انتهى الا انه
يحتمل ان يريد به ابو بكر بن العربي المالكي الا ان في العبارة ما يا باه ظاهرا

فتدبره

فتدبره حتى قال القاضي ابو بكر في بعض كلامه انهم على راي من كفرهم بالتاويل
في اقوالهم لا تحل مناكحتهم اي تزويجهم المسلمات ولا اكل ذبايحهم كالمشركين
ولا الصلاة على ميتهم لانهم كفرة عنده ويختلف في موارثتهم على الخلاف
المتقدم في ميراث المرتد وقال القاضي ايضا انما نورث بالتشديد والتخفيف
ميتهم اي نعطي ميراث من مات منهم ورثتهم من المسلمين تفتيا على بيت المال
لعلاقة الاسلام السابقة ولا نورثهم اي لا نعطيهم ميراث من مات
من اقاربهم من المسلمين لانقطاع علاقة الارث بينهم عند استحقاق الارث
واكثر ميله اي القاضي الى ترك التكفير لاهل البدع بالمال اي بما يؤول اليه كلامهم
لان لازم المذهب ليس بمذهب عندهم وكذلك اي مثل ما اضطرب قول القاضي
اضطرب قول شيخه ابي الحسن الاشعري وهو شيخه في الاصول وقدوته وهو
لم يره وانما روى عنه بواسطة كذا قيل واكثر قوله اي ما نقل عنه ترك التكفير لهم
وان الكفر انما يلزم خصلة اي صفة واحدة وهو ذكره نظر المعنى الوصف الجهل
بوجود الباري تقدس وتعالى لقوله في الحديث حتى يقولوا لا اله الا الله كما تقدم
بان لا يعرف الله ولا يقر به ولا بوحدانيته وقال الاشعري والقاضي من اعتقد ان الله
تعالى جسم كالمجسمة والنصارى او المسيح بالرفع قال ان الله هو المسيح عينه او حل فيه
او قال ان الله بعض من يلقاه في الطرق فليس بعارف به اي جاهل بالله لا يعرفه لقوله
لمن ليس باله هو الله وهو اعظم جهل به وهو بسبب ما قاله كافر لان كل من لم يعرف الله
كافر كما قدمه ومثل هذا القول الذي قاله الاشعري ذهب ابو المعالي عبد الملك بن يوسف
امام الحرمين كما تقدم في اجوبته لابي محمد عبد الحق لما ساله عنه قال الحافظ الحلبي ليس
هو الحافظ عبد الحق الاشبيلي صاحب كتاب الاحكام وغيره لانه من اهل المائة
الخامسة وامام الحرمين من اهل الرابعة فليس من اهل عصره وفي بعض النسخ ذهب
ابو الوليد سليمان في اجوبته لابي محمد عبد الحق وهو لا يصح ايضا للاختلاف وغيره
وقال التلمساني هو عبد الحق بن محمد بن هارون السهمي توفي سنة ست وستين واربعمائة
ومن العجب ما قيل ان عبد الحق هذا هو الاشبيلي والسهمي بياض
واللام في قوله لابي محمد ليست متعلقة باجوبته وانه هو السايل بل المراد في اجوبته
الكاينة لابي محمد اي التي جمعها وصنفها كما يقال اجوبة مالك لابن سحنون وللجار والمجرور ليس
لغوا وهو تعسف لا معنى له ولا يخطر ببال وكان ابو محمد عبد الحق ساله عن المسيلة
المذكورة في اهل البدع فاعتذر له عن ترك الجواب له بان الغلط فيها اي هذه المسيلة
يصعب ويشكل على من خاف ان يقول في الشرع ما ليس منه لان ادخال الكافر في الملة
اي ملة الاسلام وهو ليس من اهله لكفره او اخراج مسلم منها اي من ملة الاسلام
امر مشكل عظيم في الدين لما فيه من حظر الجانبين فلذا لم يجبه في هذه المسيلة

لخوفه من الله تعالى واعلم ان الاشعرية قالوا ان المجسمة منهم من قال انه جسم بلا كيف
اى ليس جسما كالاجسام فى المادة وهذا مذهب الحنابلة وبه صرح ابن سمعة
وقال معنى قولنا جسم انه ليس بعرض وهذا هو البلكفة وهولا ليسوا بكفار عندهم
بل مبتدعون ومنهم من اثبت له الجسمية بلوازمها وهولا كفار كما صرح به الرافعى فى الشرح
وقيل ليسوا بكفار مطلقا والاصح الاول ومن لقى رجلا فى الطريق فقال هو الله هم
بعض الجهلة من الحلولية وليس منهم مشايخ الصوفية كابن عربى وابن الفارض
نفعنا الله ببركاتهم وصاننا عما نسب اليهم فلا يعتبر بمن تعصب عليهم من ظاهرية الفقها
وقال غيرهما اى غير الاشعرى وابن المعالى من المحققين الذى يجب الموصول مبتدا خبره
الاحتراز اى الحذر والوقوع من التكفير فى اهل القبلة من اهل التاويل الذين قالوا مقالاتهم
بما يوافق الشرع وان لم يقبل تاويلهم فان استباحة دما المسلمين وفى نسخة بدله المصلين
الموحدين خطير اى امر عظيم يخشى منه غضب الله والخطا فى ترك قتل الف كافر هون اى
احقر واقل عند الله من الخطا فى سفك اى اراقة محجمة بكسر الميم اسم الة يوخذ فيها دم
الحجامة المعروفة من دم مسلم واحد بحسب الظاهر لم يحكم بكفره وحاله عند الله وفيه
مبالغة لانه كناية عن قلة القتل وتوهم ان نفس اراقة دم محجمة واحدة بالحجامة لا القتل
اهون من قتل الف كافر وليس المراد وقد قال صلى الله عليه وسلم فى حديث صحيح رواه
البخارى وغيره امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة فاذا قالوها يعنى صلى الله عليه وسلم كلمة الشهادة
بوحدانية الله وبرسالة رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يقل واقاموا الصلاة واتوا
الزكاة لان من قالها التزم احكام الاسلام فدرعليه بالالتزام ولذا ادخله بعضهم
فيه ولانه لا يقاتل وان جاز قتله غالبا عصموا اى حفظوا وصانوا منى دماهم جمع دم
اى لم يقتلوا واموالهم عن اخذها منهم كالفى والغنيمة يتعلق بها من استينا قصاص من
الا بحقها استثنا مفرغ اى بكل سبب الا بسبب حق من يتلف مالا محترما او يقتل انسانا
عمدا عدوانا واخذ سلك غصبه وحسابهم عما عملوه فى الاخرة على الله اى حسابهم مفوض
الى الله المطلع على اعمالهم وسرايرهم وما فى قلوبهم من كفر ونفاق وغيره واما
النبى صلى الله عليه وسلم فانما امر ان يحكم بالظاهر والله يتولى السراير
فعلى ليست تدل على الايجاب لانها بمعنى الى خلافا المعتزلة القايلين بوجوب
الاصلح على الله او نقول هى على ظاهرها على طريق تنزيله منزلة الواجب عليه لعدم
تخلف ما سبق فى علمه وتقديره او لانه وعد منه وهو لا يخلف الميعاد فصار
كالواجب شرعا ولا معنى للايجاب على الله عند تدقيق النظر الا هذا كما ذكره
الجلال الدوانى فى شرح العقايد العضدية وظاهر الخبر يقتضى ان التلفظ بكلمتى
الشهادة لا يتحقق الايمان بدونه كما ذهب اليه بعض اهل السنة وذهب الاشعرى

وبعض

493

وبعض الماتريدية الى انه انما هو لازم لاجرا احكام الشرع عليه فى الدنيا وكف
القتل عنه فمن امن بقلبه ولم يلفظ بهما فهو مومن عندهم بدليل قوله تعالى اولئك
كتب فى قلوبهم الايمان ولما يدخل الايمان فى قلوبكم ونحوه والخلاف فيمن لم يتات
اللفظ بهما وهو قادر لكن العاجز مومن اجماعا والقادر الابى المصر على الترك
كافر اجماعا لدلالة ذلك على عدم خلوص سريرته فالعصمة للدما والاموال
مقطوع بها مع الاتيان بالشهادة بتلفظه بانه لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله وهذا عام مخصوص بغير اهل الذمة والمعاهد والمستامن بما نطق به
من الايات والاحاديث وهل هو ناسخ للعموم او مقيد خلاف لفظى مذكور
فى اصول الفقه ولا ترتفع العصمة اى تزول ويستباح خلافها من دم او مال
الا بدليل قاطع يرفع ما قطع به ولا قاطع فى حق المبتدعة من شرع ورد به فى كتاب
او سنة ولا قياس جلى عليه اى على القاطع الشرعى والفاظ الاحاديث الواردة
فى هذا الباب الدالة على تكفير اهل البدع والاهوا الذى تمسك بها من ذهب لتكفيرهم
وهو جواب عن سوال تقديره كيف لا تقول بتكفيرهم وانه لم يتم عليه دليل ولا قياس
وقد وردوا ما يدل على خلافه فقال انها معرضة بزنة اسم المفعول مشددة المرا
وفى نسخة عرضة اى انها قابلة للتاويل فلا تعارض الادلة القاطعة بخلافه
فشبهها بهدف بموضع لاصابة سهام التاويل ففيه استعارة مكنية مخيلة وذلك
لعدم صراحتها فما جا منها اى من الاحاديث الدالة على كفرهم فى التصريح بكفر القدرية
وانهم مجوس هذه الامة كما تقدم وقوله صلى الله عليه وسلم لا سهم لهم اى للقدرية
فى الاسلام والسهم اما ان يراد به ما هو من سهام الغنايم لانه انما هو للمسلمين
او بمعنى النصيب والمعنى لا اسلام لهم كقول ابن الفارض على نفسه فليبك من ضاع
عمره وليس له منها نصيب ولا سهم وتسميته الضمير له صلى الله عليه وسلم
الرافضة بالشرك اى اطلاقه عليهم انهم يشركون قيل وهنا لا تعرف روايته
وسياتى رده قريبا واطلاق اللعنة اى الطرد والبعد من رحمة الله عليهم
اى على الرافضة بقوله انهم ملعونين وانما يلعن الكافر وكذلك ما ورد فى حق
الخوارج الذين خرجوا على على رضى الله عنه وغيرهم من اهل الاهوا اى الارا الفاسدة
كالشيعة فقد يحتج بهذه اى بهذه الاحاديث من يقول بالتكفير لهولا بنا على ظاهرها
وقد يجيب عنها الاخر المذاهب لعدم تكفيرهم فلذا قال انها قابلة للتاويل بانه
متعلق بيجيب والضمير للشان قد ورد عنهم ورودا شايعا متعارفا بينهم
لا ينكره الا جاهل بل قد ورد فى الاحاديث مثل هذه الالفاظ المذكورة فيها الكفر
واللعنة فى حق غير الكفرة من عصاة المسلمين مع القطع بعدم كفرهم اجماعا على
طريق التغليظ اى المبالغة والتشديد فى الزجر تخويفا لهم فهو مجاز وكناية بانهم

م

مستحقون لعذاب الكفرة ومتصفون بصفات تليق بالكفرة ومثله كثير في الايات
والحديث وكفر دون كفر اي اهون منه واشرك دون اشراك اخذ منه واهون لتفاوت
مراتبه وبعض الشر اهون من بعض وظلم دون ظلم كما في الاثر يعني انه صلى الله عليه وسلم
كما سمى الطاعات بعض المعاصي كفرا وشركا وسمى الله الكفر في القران ظلما كقوله
ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وقال ان الشرك لظلم عظيم وخلص المومنين يرون التوحيد
ان لا يرى في الوجود غير الله ولا يرى لغير الله شيا من الامر ويعدون غير هذا شركا خفيا
بل ظاهرا كما قال ابن عطا الله كلك شرك خفي وكما قال بعضهم مهنيا بعيد عيدي شهودي
وعيد انت يا عيني والعيد عندي دوام المحو عن عيني اثبات غير شرك في عقيدتنا
ترك التسوي لقيتنا يا قرة العين وصاحب الفرقان يرى الدنيا كلها صفرا وهذا مقام
شهود وكشف يعرفه من ذاق حلاوة الايمان وينكره مريض القلب الذي يتوهم
العسل مرا لعدم صحة ذوقه اللهم ارزقنا من الشوق للقائك ما يحلو به الصبر
على مر بلايك واعلم ان البيهقي روى في الدلايل عن علي رضي الله عنه وكرم وجهه عنه
صلى الله عليه وسلم انه يكون في امتي قوم اخر الزمان يسمون الرافضة يرفضون
الاسلام ورواه من طرق عنه وقوله في امتي فيه ايما للتاويل وانه يحمل على انهم
في عدادهم وبينهم او المراد بالامة امة الدعوة واما الاحاديث في الخوارج فصحيحة
في مسلم وغيره وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم لاخباره بالغيب وسياتي
في كلام المص الاشارة لها وسنذكره هناك فمن قال الحديث الرافضة لا يعلم من رواه
فقد قصر وقد ورد مثله اي مثل الحديث الوارد في تكفير الرافضة وغيرهم من اهل البدع
في الزنا براء مهملة ويا مثناة تحتية ممدودة وهو فعل العبادة ونحوها لاجل الناس
هكذا ضبطه الحافظ الحلبي والاحاديث في الريا مشهورة وكذا اطلاق الشرك
عليه فانه يقال له الشرك الخفي وهو انسب بقوله السابق شرك دون شرك
وفي الشرح الجديد انه الربا بالقصر وبا موحدة ويكتب بالف وواو وبا وهو
فضل احد المتجانسين على الاخر بالمعيار الشرعي من كيل ووزن ونحوه والكلام
فيه معروف غني عن البيان وهو اشارة لما في حديث مسلم لعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم اكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده وفي نسخة الزنا بزاي
معجمة ونون فهو اشارة لقوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن
وعليه بعض الشراح والكل صحيح وعقوق الوالدين الاب والام وان عليا وهو
من الكباير ايضا والعقوق من عق بمعنى قطع وشق وهو فعل كل ما يوذيهما ويسوهما
ويترك صلتهما وضده البر وقد جمعه الله بابلغ لفظ في قوله ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما
وقل لهما قولا كريما وما احسن قول السراج الوراق في بر ولده له بني امدني بالكتاب العزيز
فزدت سرورا وزاد ابتهاجا وما قال لي اف في عمره لكوني ابا ولكوني سراجا وفي العقوق

احاديث كثيرة تدل على ما قاله المص والزوج اي ومخالفة المراة زوجها وفي الحديث
من باتت زوجها ساخطا عليها لم ترح رايحة الجنة وهذا من صفة الكفار وفي
بعض النسخ والزور اي وشهادة الزور اي الكذب وسمي به لميله عن الحق ومنه
تزاور عن كهفهم وغير معصية واحدة اي جا في حق معاصي كثيرة وصفها
في الحديث بانها كفر وشرك مع علم كل احد بان فاعلها لا يكفر فدل هذا على ان المراد
تغليظ زجره لا انه كفر حقيقة فما ورد من تكفير المبتدعة واهل الاهوا مثله واذا كان
ما ورد في حقهم من الكفر محتملا للامرين اي كونه على ظاهره وكونه مبالغة في زجرهم
وتخويفا لهم فلا نقطع على احدهما اي احد الامرين الكفر وعدمه الا بدليل قاطع
لصعوبة اخراج احد من الاسلام وادخاله في الكفر كما تقدم وعدي نقطع بعلى
لتضمينه معنى نعول ونعتمد لانه يتعدى بالبا يقال قطع به اذا جزم وقوله صلى الله
عليه وسلم في الخوارج هم من شر البرية اي الخلق من برا بمعنى خلق فخفف وشر افعل
تفضيل مخفف اشر كما سمع نادرا وبه قرى في قراة شاذة لابي قلابة وكذا خير والخوارج
جمع خارج او خارجي كما مر وهذه الصفة وهي شر البرية صفة الكفار وصفهم الله
تعالى بها في القران في قوله ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين الى قوله اولئك هم
شر البرية فوصفهم بصفتهم يقتضي كفرهم ان لم نقل المراد دوام هذه الصفة
وانها لا تليق بغيرهم وهذه العبارة في حديث في الصحيحين وغيرهما ورواه احمد عن عايشة
بلفظ الخوارج شرار امتي يقتلهم خيار امتي وفي مسلم هم ابغض الخلق ونحوه وقال
صلى الله عليه وسلم في الحديث في الخوارج شر قتيل بفتح القاف وبا موحدة ومثناة
تحتية ولام وهو الجماعة والقبيلة جماعة لاب واحد وبعضهم ضبطه بمثناة فوقية
تحت اديم السما الاديم الجلد والنطع منه وهو تشبيه لها بجلد ممدود اي تحت السما
وهو يستعار للارض ايضا وفي الاساس اديم السماء ما تحتها ومن العجب ما قيل انه
مشكل لانه اديم السماء الارض قال الجوهري يسمى وجه الارض اديما فظاهره انه
تحت الارض وما افة الاخبار الا رواتها طوبى لمن قتلهم او قتلوه اي طوبى لمن قتلوا
لانه شهيد وهي كلمة مدح وقد يقصد بها التبشير بالجنة والسعادة لانها اسم
الجنة او شجرة فيها ويقال طوبى له وطوباه وهو فعلى من الطيب وفي الحديث طوبى
لاهل الشام لان الملايكة باسطة اجنحتها عليها وفي الحديث بدا الاسلام غريبا
وسيعود غريبا كما بدا وطوبى للغربا وقد قتلهم علي كرم الله وجهه يوم النهروان
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابي سعيد الخدري اذا وجدتموهم
فاقتلوهم قتل عاد وفي رواية ثمود وهم كفرة كما في القران فظاهر هذا الحديث
الكفر اي كفر الخوارج ولذا ذهب اليه اكثر العلما كالطبري والسبكي لا سيما اي
انه يدل على الكفر دلالة واضحة مع تشبيههم بعاد اشارة الى ان في الكلام معنى

التشبيه اذ المعنى اقتلوهم قتلا كقتل عاد والمراد تشبيههم بهم في افنايهم واستيصالهم
بحيث لا يبقى لهم اثر ومن هذا الوجه دل على المبالغة فلا يرد عليه ما قيل ان عادا اهلكوا
بريح صرصر لا بسيف ونحوه. ففي التشبيه اشكال فانه ناش من قلة التدبر فيحتج به
اي بالحديث او بالتشبيه من يرى تكفيرهم لامره صلى الله عليه وسلم بقتلهم
وتشبيههم بالكفرة فيقول له الاخر الذي لا يرى تكفيرهم مجيبا له انما ذلك المذكور
في الحديث من قتلهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم عليهم اي جورهم وتعديهم على
المسلمين كالبغاة ومن في قوله من قتلهم قيل انما تعليلية اي من اجل قتلهم لانهم قتلوا
المسلمين لما خرجوا على ما في القصة المشهورة ويتمسك بدليله وفي نسخة ودليله الذي
استدل به من الحديث نفسه من غير حاجة لدليل اخر كقوله صلى الله عليه وسلم فيه
يقتلون اهل الاسلام فانه يدل على انهم انما قتلوا لقتلهم لا لكفرهم كما قال فقتلهم
اي الخوارج هاهنا حد وقصاص دفعا لشرهم لا لكفر كما فهمه القايل به ثم استشعر سوالا
بانه لم شبههم بعاد فقال وذكر وفي نسخة وقتل عاد تشبيه للقتل وحله اي القتل
لا للمقتول بخصوصه من الخوارج وهو قوم عاد ثم وضحه بقوله وليس كل من حكم بقتله شرعا
حكم بكفره كالقاتل وتارك الصلاة عند الشافعي وقطاع الطريق وقتل علي كرم الله
وجهه للخوارج ذهب كثير الى انه لانهم بغاة كما ذهب بعضهم الى انه لكفرهم ويعارضه
بقوله خالد بن الوليد رضي الله عنه والمعارضة اقامة دليل يدل على خلاف ما قاله
ويبين رجحيته على ما قاله في الحديث الذي رواه الشيخان عن ابي سعيد الخدري رضي الله
في حق رجل اخر النبي صلى الله عليه وسلم بانه سيصدر عنه شي من الخوارج دعني
اي اتركني وهو كناية عن الاذن له فيما ذكر اضرب عنقه اي اقتله وهو مجزوم في جواب
الامر يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعله يصلي فجعل الصلاة
واظهار شعاير الاسلام مانعة من التكفير والقتل بسببه ولعل للتعليل وللترجي
وهو في كلام الله ورسوله للتحقيق ووقع في رواية ان القايل في هذه القصة
عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجمع بينهما بان القول وقع منهما والرجل الذي اريد
قتله ذو الخويصرة فان احتجوا اي القايلون بكفرهم بقوله صلى الله عليه وسلم
في الحديث الذي رواه البخاري في حق الخوارج وقوله فيه انهم يقرون القران لا يجاوزون
حناجرهم اي لا يتعداها ويذهب منها الى جمع حنجرة وهي راس الحلق الخارج منه الكلام
وهي الحلقوم ومجرى النفس وطرف المري مما يليه والمراد انه لا يصل الى قلوبهم لعدم
العمل والعلم بما فيه من الايمان والعقايد ويفسره رواية مسلم لا يجاوز ايمانهم
حلاقيمهم فهم مومنون باللسان دون القلب ولهذا عقبه بقوله فاخبر ان الايمان
لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم يمرقون اي يخرجون من الدين فالمروق
الخروج بسرعة مروقا مثل مروق السهم من الرمية قيل هي فعيلة بمعنى مفعولة اي المرمي

من صيد ونحوه كما قرره هنا كلهم والظاهر ان المراد به القوس والوتر وما يرى به
لقوله بعده ثم لا يعودون اليه اي الى الدين حتى يعود السهم الى فوقه بضم الفاء وواو
ساكنة وقاف وهو موضع السهم من الوتر فان الظاهر انه شبه خروجهم بخروج
السهم من قوس راميه الذي لا يمكن رجوعه حين يرميه اليه وهكذا هو في امثال
الناس يقولون لما لا يعود سهم رمي ويؤيده تانيثه الا اني لم اره اللهم الا ان يقال
السهم الذي يخرج مما رمي به لا يعود لقوسه ايضا فهو ابلغ في المعنى المراد وهذا هو
المراد كما سياتي والحديث كما في البخاري انه صلى الله عليه وسلم قال يخرج ناس
من قبل المشرق يقرون القران لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم
من الرمية ثم لا يعودون اليه حتى يعود السهم الى الرمية الخ وفيه ان سيماهم
انهم يحلقون روسهم لان حلق شعر الراس في عهده صلى الله عليه وسلم انما كانوا
يفعلونه لنسك او حاجة اما الان فصار عادة لا تكره وهذا من معجزاته
صلى الله عليه وسلم لما فيه من الاخبار عن المغيبات وكذلك يحتجون بقوله
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان وفي نسخة وكذلك
قوله سبق اي السهم خروجه سريعا الفرث والدم قال الراغب الفرث ما في الكرش
ويقال فرثت كبده اي فتتها وافرث فلان اصحابه اوقعهم في بلية جارية مجرى الفرث
انتهى يعني انهم لا تعلق لهم بالاسلام ايما ليس عنه خروجهم منه كما ان السهم النافذ
من حيوان رمي به يخرج قبل ما في باطنه من الفرث والدم فانه يخرج بعده وهذا
المذكور في الحديث يدل على ان الخارجي لم يتعلق من الاسلام بشي كالسهم
السريع النفوذ وقوله اجابه جواب قوله فان احتجوا الخ اي فان عارضوهم اجابهم
الاخرون القايلون بعدم كفرهم ان معنى قوله في الحديث لا يجاوز حناجرهم الذي
تمسكوا به انهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم فلا يمتثلون اوامره ونواهيه فهم عصاة
لا كفار ولا تنشرح له صدورهم كغيرهم من المتقين ولا تعمل به جوارحهم اي اعضاوهم
الظاهرة فهم لا يتدبرون القران وان واظبوا على تلاوته وحسنوا به اصواتهم
وبالغوا في عباداتهم وعارضوهم معطوف على اجابه بقوله صلى الله عليه وسلم
ويتمارى اي يتردد السهم في موضعه من الوتر في الفوق بضبطه السابق فهذا
التشبيه يقتضي التشكك في حاله وانه لا يحكم بكفره وفيه كلام في شروح
البخاري وان احتجوا اي المكفرون بقول ابي سعيد الخدري رضي الله عنه في هذا
الحديث ومقوله قوله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج اي
يظهر في هذه الامة بجعلهم فيهم لا منهم ولم يقل يخرج من هذه الامة
فانه يقتضي انهم منهم لا لمفارقتهم بمخالفة دينهم وبحوا هذه الرواية بقوله
وتحرير ابي سعيد اي تهذيبه وتنقيحه الرواية واتقانه اللفظ بقوله في دون من وهو

يدل على دقة نظره رضي الله عنه وهذا بحسب الظاهر اذ يجوز رجاع كل منهما الى الاخر
لان حروف الجر يقوم بعضها مقام بعض والامة تحتمل امة الدعوة والاجابة كما مر واشار
الى الجواب بقوله اجابهم الاخرون الذين لا يرون تكفيرهم بان العبارة اى التعبير بفى لا تقتضى
ويستلزم تصريحا بكونهم من غير الامة لان بعضهم فيهم وان كان خلاف الظاهر تخصيص
الامة وتاويلها بخلاف لفظة من التى هى للتبعيض المصرحة بكونهم من الامة ولا يخفى
ما فيه مع انه قد روى عن ابى ذر وعلى وابى امامة وغيرهم ممن رواه فى هذا الحديث يخرج
من امتى وسيكون من امتى بلفظ من وهو صريح فى انهم منهم وان الروايتين متوافقتان
معنى وحروف المعانى كحروف الجر الا المبانى مشتركة اى لها معان متعددة وضعت لها ويجوز
نيابة بعضها عن بعض بتضمين ونحوه واذا كان كذلك فلا تعويل اى لا اعتماد على اخراجهم
من الامة بتكفيرهم بفى اى بسبب قوله فى ولا على دخالهم فيها لاجل تعبيره بمن لاحتمال
غير لكن بالتشديد ابا سعيد الخدرى رضي الله عنه فى روايته هذه اجاد ما شاء اى
جودة عظيمة فى التنبيه الذى عنه عليه باتيانه بفى الدالة على اخراجهم وهذه العبارة
معروفة فى المبالغة كانه يقدر على الجودة فى كل ما يريد وما مصدرية او موصولة
وهذا اى تحرير العبارة وجودتها رعاية للمعانى المرادة مما يدل على لغة فقه الصحابة
رضي الله عنهم اجمعين اى شدة فهمهم لمقاصد الكلام ودقة نظرهم وتحقيقهم
المعانى مما نابنا سيما من حسن لباسهم واستنباطها اى استخراجها من الالفاظ الدالة
عليها وضعا وتحريرهم لها بتهذيبها وتوقيهم اى احترازهم واجتنابهم فى الرواية عما لا يليق
ورواية من وفى كلاهما فى الصحيحين هذه المذاهب المعروفة فى هذه المسيلة لاهل السنة
واما ما لغيرهم من الفرق كالمعتزلة والشيعة فورد عنهما فيها مقالات اى اقوال كثيرة مضطربة
متعارضة غير محررة سخيفة اى ركيكة صحبته لا يعول عليها واقربها اى اقرب اقوال
غير اهل السنة قول جهم بن صفوان من المعقولة ومحمد بن شبيب هو من المعتزلة ايضا
وقيل موجع قدرى ان الكفر بالله معناه الجهل به بان لا يعلم الله وجوده وسيأتى
بسط هذا مع رده عن القاضى ابى بكر الباقلانى ولا يكفر احد بغير ذلك اى بغير الجهل بالله
وهذا قول غير صحيح ان حمل على ظاهره لانه يقتضى ان من عرف الله ووحده وانكر نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم او انكر شريعته وكتابه المنزل عليه لا يكفر فان اراد الجهل
بالله وما يستلزمه لم يكن مخالفا لغيره وكانه مراد القايل لانه يلزمه تكفير ساير
الفرق الضالة فان لم يرد هذا فلا وجه له وقال ابو الهذيل بن احمد بن العلاف
شيخ المعتزلة اخذ عن عثمان بن خالد الطويل عن واصل بن عطا رييس المعتزلة وهو القايل
بفناء مقدورات الله تعالى وان الجنة والنار يفنيان لانهما حادثان وما ليس له اخر
قديم عنده كما ان ما ليس له اول قديم ايضا توفى سنة ست وعشرين ومايتين وقد
اولى على المائة وهو بصرى ان كل متاول بتشديد الواو المكسورة اسم فاعل ولا وجه

لفتحها

لفتحها كما صحح فى بعض النسخ لانه يأباه بعده كان تاويله تشبيها لله بخلقه بان يثبت له
جسما وصورة وجهة ونحوه مما هو من صفات الخلق المحدثة فان اراد هذا فهو صحيح لكن
الفقهاء لهم خلاف فى تكفيرهم وعدم صحة الصلاة خلفهم كما تقدم وما قيل من ان
مراده من قال بتاويل المتشابهات من اهل السنة غير ظاهر من هذه العبارة واطالة
فيه بغير طايل وتجويرا له تفعيل من الجور بجيم وراء مهملة ضد العدل واصله الميل
عن الاستقامة وضميره لله اى نسبته الله الى الجور فى تاويله وقد قيل مراده ايضا
الرد على اهل السنة فى قولهم ان الله يريد الخير والشر والمعاصى لان ارادة المعاصى
وعقاب فاعلها جور عندهم تعالى سبحانه عنه ورده والكلام عليه مفصل
فى محله وعندهم الرضى والارادة بمعنى وتكذيبا لخبره اذ قوله وما الله يريد ظلما
للعباد وقد نسبه للجور كما سمعته انفا فيلزمه تكذيبه فى قوله هذا فهو كافر بالتشبيه
ونسبته للجور وتكذيب خبره وهذا حق اريد به باطل فافهمه بحسب ظاهره
فتامل وقال ابو الهذيل كل من اثبت شيا قديما لا يقال له الله فهو كافر وهو يريد ايضا
على اهل السنة فى قولهم بقدم الصفات فرارا من عدمها وقيام الحوادث بذاته وهم
ينفون الصفات هربا من تعدد القدما وعندنا الممنوع تعدد ذوات قدما لا ذات
وصفات كما مر وبين فى الاصول وليس هذا محل تفصيله وقال بعض المتكلمين ان كان
المتاول ممن عرف الاصل وبنى عليه اى علم اصول الدين وفرع عليه تاويله الذى يقتضى
ما تقدم من التشبيه وما بعده وكان تاويله فيما هو من اوصاف الله التى لا تليق به فهو
كافر لانه قال ما قاله عن علم به وان لم يكن من هذا الباب اى لم يكن ما اوله من اوصاف الله
فهو فاسق غير طايع لله لارتكابه كبيرة لاعتقاده ما ليس بحق الا ان يكون
ممن لم يعرف الاصل اى الاصول الدينية وانما قال ما قاله لجهله فهو مخطى
غير كافر اى غير مصيب للحق لذهابه لغير الحق من غير بنا له على اصل من اصول
الدين وهذا كله من كلام المعتزلة ودسايسهم مما يوهم ظاهره الخير وهو شر
محض وذهب عبيد الله بالتصغير ابن الحسن العنبرى منسوب لبنى العنبر قوم
من تميم ويقال لهم فى غير النسب بلعنبر وهو عبيد الله بن الحسن بن الحسين بن
مالك بن الخشخاش بمعجمات ومالك والخشخاش صحابيان وللخشخاش رواية
دون مالك وعبيد الله فقيه بصرى ولى قضا البصرة بعد سوار بن عبد الله
وكان عالما ثقة روى عنه غير واحد واخرج له مسلم توفى سنة ثمان وستين
ومائة وكان يرى جواز التقليد فى العقايد والعقليات وخالف فى ذلك العلماء
وذهب الى تصويب اقوال المجتهدين اى القول بانها صواب فى اصول الدين
مما يتعلق بالاعتقاد كالاجتهاد فى الفروع فيما كان عرضة اى قابلا للتاويل
وفى الاساس فرس عرضة للسباق اى قوية عليه مطيقة له انتهى كانه لقابليته

ترضاه وفارق اى خالف العنبرى فى ذلك القول الذى قاله فى تجويزه الاجتهاد
فى اصول الدين فرق الامة من علما الشرع والسنة والمتكلمين فانها امور سمعية
لا بد فيها من نقل صحيح اذ اجمعوا اى علما الامة سواه اى غير العنبرى على ان الحق
فى اصول الدين والعقايد فى واحد لا يقبل التعدد لبراهينه القطعية فليس كالفروع
التى هى محل الاجتهاد وذهب بعضهم الى ان كل مجتهد فيها مصيب وفى نسخة
فى الواحد والمخطى فيه الذى لم يصادف الحق الواحد اثم عاص فاسق لعدوله عن الحق
برايه وانما الخلاف فى تكفيره باجتهاده المخطى فيما ليس محل الاجتهاد وانما محله
الفروع العملية فهو متاب فى اجتهاده سوا قلنا المصيب واحد ام لا على ما اشتهر
فى الاصول اما فى اصول الدين فالمصيب واحد قطعا فلا وجه للاجتهاد فيها وان بذل
وسعه وجهده وذهب الجاحظ كما ياتى والعنبرى الى جواز الاجتهاد فيها وانه اذا
اخطا لا يأثم لكنه مقيد بالاسلام على الصحيح قالوا لان قصدهم تعظيم الله وتنزيهه
ولذا لم يبحث الصحابة عن الالفاظ الموهمة للتشبيه وهو كله واه غير سديد وقد
حكى القاضى ابو بكر بن ابى الطيب المالكى الباقلانى مثل قول عبيد الله العنبرى فى جواز
الاجتهاد فى الاصول عن داود الاصبهانى اصبهان تقال بالبا والفا اسم بلدة مشهورة
وهو فارسى معرب وداود هذا هو ابن على بن خلف ابو سليمان الاصفهانى البغدادى
وطنا صاحب مذهب الظاهرية ولد سنة مايتين واثنين ومايتين وتوفى سنة سبعين
وكان اماما جليلا زاهدا ورعا قلد الشافعى رضى الله تعالى عنه اولا ثم صار صاحب
مذهب مستقل وكان صدرا رحلة فى عصره حتى رجح على بعضه المجتهدين واختلفوا
فى انه هل يعتد بخلافه ام لا على اقوال فى الاصول ومن اجل اتباعه ابن حزم قال وحكى
قوم عنهما اى عن داود والعنبرى انهما قالا ذلك اى جواز الاجتهاد فى الاصول الدينية
فى كل من اى رجل علم الله من حاله وما نظهر من امره استفراغ الوسع بضم فسكون
اى بذل قدر جهده وطاقته وهو فى الاصل استعارة بتشبيه قريحته ببير وما يستخرج
بشكوه بما ينزح منها ثم صار حقيقة عرفية فيما ذكر فى طلب الحق الذى قصده وان
اخطا فى الواقع من اهل ملتنا المسلمين ومن غيرهم من الكفرة وقال نحو هذا القول
الجاحظ عمرو بن بحر بن محبوب ابو عثمان الكنانى الليثى البصرى العالم المشهور صاحب
التصانيف الجليلة وجامع العلوم العربية وهو معتزلى صاحب مذهب فى اصول الدين
ومن اجل تصانيفه كتاب التبيان وكتاب الحيوان لقب بالجاحظ لجحوظ عينيه اى
نتوهما واصابه فى اخر عمره وقد قارب التسعين فالج وحزنه مؤلم ومنه توفى سنة
خمسين بالبصرة ومن الغريب ما قيل ان نجا لقبه وبعرفجا ياتى القصة وقيل انه
لا وجود له وثمامة بضم المثلثة بوزن كناسة بن اشرس بن معن النميرى كان كما قال
الذهبى من كبار المعتزلة ورؤس الضلالة وله نوادر وملح واتصل بالرشيد والمامون

ومن مذهبه ان المقلدين من اهل الكتاب وعباد الاصنام لا يدخلون النار وانهم يصيرون
ترابا وان الاطفال كذلك يصيرون وهو احد الاقوال العشرة فى اطفال المشركين
فى ان كثيرا من العامة اى عوام الناس وجهلتهم والنسا ذكرهم لان اكثرهم يغلب
عليه الجهل والبله بضم فسكون جمع ابله المراد به من قل فهمه وغلبت عليه الغفلة
وقلة العلم وما فى الحديث من ان اكثر اهل الجنة البله فالمراد بهم من غلبت عليه سلامة
الصدر وحسن الظن بالناس فاغفلوا امر دنياهم واقبلوا على اخرتهم وقريب منه قول
الزبرقان خير اولادنا الابله العقول اراد انه مع عقله لشدة حيايه كالابله ومقلدة
النصارى واليهود الذين كفروا تقليدا من غير معرفة دليل وحجة وغيرهم من جهلة الكفرة
المقلدين لرؤسايهم لا حجة لله عليهم لانه عندهم لم يوتهم نظرا فى الحجة والادلة بما
اذا خالفوه بعد العلم به عنادا كانوا اهل ضلال كفارا يستحقون العقاب اذ لم يكن لهم
وفى نسخة اذا اى لم توجد بخلق الله فيهم طباع بزنة رجال مفرد بمعنى طبيعة او جمع طبع
وهما قولان لاهل اللغة فهو مونث وقيل انه اسم مؤنث على زنة مثال لا جمع طبع وهو
مصدر وهو كلام متناقض والتحقيق ما ذكرناه كما فى شرح ادب الكاتب يمكن لهم معها
اى مع وجودها فيهم الاستدلال اى اقامة دليل وحجة توصلهم لمطلوبهم فاذن هم
معذورون ولا حجة لله عليهم يعاقبهم بها وهو قول باطل لانهم مكلفون عقلا لاسيما
من نشا بدار الاسلام وعلى كل حال فهم يتمكنون من النظر ومعرفة الادلة والتفكر فى خلق
السموات والارض وقد قرع اسماعهم ما تواتر من ارسال الله رسله وما ظهر من المعجزات
الباهرة الظاهرة ظهور الشمس لمن له عينان فاى عذر لهم تدحض به حجة الله عليهم
وقد نحا الغزالى رحمه الله تعالى قريبا من هذا المنحى نحو وافتحى بمعنى ذهب وقصد اى
قال قولا قريبا بحسب المعنى من هذا القول وهو الامام العلامة الزاهد العابد
ابو حامد محمد بن محمد بن احمد الغزالى الطوسى صاحب المولفات الجليلة الذى على
كاهله فقه الشافعى والاصلان ولد بطوس سنة خمسين واربعمايه واشتغل بها
ثم جال فى البلاد لاخذ العلم ودخل بغداد فصار مدرسا بالنظامية واقام بدمشق بجا
معها بالمنارة الغربية عشر سنين بعدما اخذ العلم عن امام الحرمين واخذ عن الشيخ
نصر المقدسى بزاويته المعروفة بالغزالية ثم انتقل لمصر والاسكندرية ثم رجع
لبغداد وعقد بها مجلس وعظ وتوفى يوم الاثنين رابع عشر جمادى الاخرة
سنة وخمسمايه عن خمس وخمسين سنة ودفن بطوس وقيل بقصبة طابران وقال
ابن تيمية بضاعته فى الحديث مزجاة ولذا اكثر من ايراد الموضوعات فى كتبه واكثر
فى كتبه من مقالات الفلاسفة حتى قال صاحبه ابو بكر بن العربى مع شدة تعظيمه له
شيخنا ابو حامد دخل فى بطن الفلاسفة ثم اراد ان يخرج منها فما قدر قلت كتاب
التهافت والاحيا ينادى ان على خلافه وهو تشديد الراى المحتج فى المشهور واصله

الغزالى بغير نسبة فزاد وافيه يا النسبته تاكيدا كالعصارى على عادة اهل جرجان
وخوارزم وقيل نسب لغزالة بنت كعب الاحبار جدته وقيل انه بتخفيف الزاى نسبة
لغزالة قرية من قرى طوس كما ذكره النووى فى التبيان وانكر ابن الاثير تخفيفه قال
ابن العربى لقيته فى الطواف وعليه مرقعة فقلت له اولى لك من هذا غير هذا
فانت صدر بك تقتدى وبنورك الى معالم المعارف يهتدى فقال هيهات لما طلع
قمر السعادة فى فلك الارادة اشرقت شموس الافول على مصابيح الاصول فتبين
الخالق لارباب الالباب والبصاير اذ كل لما طبع عليه راجع وصاير وانشد
تركت هوى ليلى ولبنى بعزلى وصرت الى مصحوب اول منزل وناد تنى الاكوان
حتى اجبتها الا ايها السارى رويدك فانزل فعرست فى دار الندا بعزمته
قلوب ذوى التعريف عنها بمعدل غزلت لهم غزلا رقيعا فلم احد لغزلى نساجا
فكسرت مغزلى واذا سمعت هذا فكيف يظن به اتباع خرافات الفلاسفة
وقد راى بعض المشايخ الغزالى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو
من شخص طعن فيه فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربه بالسياط فانتبه
وبه اثر الضرب والمه فى كتاب التفرقة اسم كتاب له فى الاصول قال ابن حجر وما نسبه
المص للغزالى صرح الغزالى فى كتابه الاقتصار بما بعده وعبارته التى اشار اليها
المص على تقدير كونها عبارته والا فقد دس عليه فى كتابه عبارات حسدا لا تفيد
ما فهمه المص ولا تقرب مما ذكره وعبارته وصنف يبلغهم اسم محمد صلى الله عليه
وسلم يبلغهم مبعثه ولا صفته بل سمعوا ان كذابا يقال له فلان ادعى النبوة
فهو لا عندى من الصنف الاول اى من الذين لم يسمعوا اسمه اصلا فانهم لم يسمعوا
ما يحرك داعية النظر انتهى فانظر كلامه تجده انما عذرهم لعدم بلوغ دعوته
صلى الله عليه وسلم وهذا لا يخالف ما ذكره المص وقد قال ابن السبكى وغيره
لا يبغض الغزالى الا حاسدا او زنديق انتهى وفى الشرح الجديد بعد ما ذكره المص هذا
كلام غير سديد الغزالى برى من مثله والذى فى كتاب التفرقة خلافه فانه قال فيه
من لم يبلغه اسم محمد معذور وكذا ان سمع ضد اوصافه وفى معناه مدعى النبوة كذبا
فاسماع مثله يمنع دواعى النظر والطلب وكذا من قرع بعثته ومعجزاته المتواترة
وادركه الموت قبل التحقيق فهو مغفور له تشمله الرحمة الواسعة وقال فى المستصفى
ذهب الجاحظ الى ان مخالف ملة الاسلام من اليهود وغيرهم وذريتهم ان كان معاندا
فيما يخالف اعتقاده فهو اثم وان نظر فعجز عن درك الحق فهو معذور غير اثم وان لم ينظر
لكونه لم يعرف وجوب النظر فهو معذور غير اثم المعذب المعاند فقط ولا يكلف الله
نفسا الا وسعها وهولا عجزوا عن درك الحق فلازموا عقايدهم خوفا من الله اذ لا يسد
عليهم طرق المعرفة وما ذكره ليس بمحال عقلا لو رود الشرع به فهو جايز لو رود

التعبد

التعبد بذلك لكن الواقع خلافه وما ذكره العنبرى باطل بادلة سمعية ضرورية
فانا كما نعلم امره صلى الله عليه وسلم بالصلاة ونحوها ضرورة فنعلم امره اليهود
وغيرهم بالايمان واتباعه وذمهم وقتالهم وقتلهم وتعذيبهم ونعلم قطعا ان المعاند
تقليد الابا به مع الايات التى لا تحصى الدالة على خلافه وفى القران التصريح به
وقول العنبرى كلفهم ما لا يطيقون الضرورة قايمة على انه اقدرهم بما رزقهم
من العقل ونصب لهم من الادلة وبعث الرسل المويدة بالمعجزات حتى لم يبق لهم حجة
عليه وقوله كل مجتهد فى العقليات مصيب كالفروع باطل لان الحرمة والحل
تختلف بخلاف العقايد وقد انكره اصحابه وقالوا انه اقبح من ذهب الجاحظ
الى اخر ما فصله فيه وزيف به مذهب هولا فكيف مع هذا يقول المصنف
رحمه الله انه نحى نحوهم وحاشاه منه وانما اوهمه ذلك قوله انه جايز عقلا
ولا يلزم من مجرد الجواز القطعى قبل النظر فى الادلة واستماع ما قاله الله ورسوله
انه يجوز شرعا فكم من جايز عقلا ممتنع شرعا ونقلا واى محذور فى مثله وانما ذكره
بيانا لمنشى غلطهم الذى اضل عقولهم فى بوادى الجهالة وهو كلام حق لا يرتاب
فيه عاقل فضلا عن فاضل وقايل هذا كله كافر بالاجماع على كفر متعلق بالاجماع
من لم يكفر احدا من النصارى واليهود كما ذكره الجاحظ ولم يكفر كل من فارق دين المسلمين
كارباب الملل من المجوس وغيرهم ومفارقته مخالفته لهم قولا وفعلا او وقف فى تكفيرهم
اى احجم عنه وتركه نفيا واثباتا او شك فيه فجوز وجوده وعدمه وفى نسخة
توقف وقيل الوقوف كالتردد بحيث لا يرجح احد الجانبين والشك ان تجوزه
تجويزا مرجوحا وكلاهما كفر لانه يقتضى التردد فى دين الاسلام وهو كفر بلا شك
قال القاضى ابو بكر الباقلانى فى بيان كونه كفرا لان التوقيف فى كفرهم والحال ان
الاجماع منعقد على كفرهم فيه خبر مقدر تقديره لا يصح بدليل قوله ممن وقف
فى ذلك اى فى كفر اليهود وامثالهم فقد كذب النص الوارد من الله ورسوله بكفرهم
من الايات الناطقة به وقيل ان قوله على كفرهم ظرف مستقر خبر ان لا لغو متعلق
بالاجماع والتوقيف اى تسك فيه وهو ظاهر والتكذيب لما ذكر والشك فيه
لا يقع اللا من كافر لانه امر مشهور معلوم من الدين بالضرورة فلا يرد عليه انه
ليس كل توقف فيما جا به نص يقتضى الكفر وفى عبارته ركاكة واغلاق يندفع بالتامل
فصل فى بيان ما هو من المقالات كفر جمع مقالة بمعنى قول مصدر ميمى وما توقف
فى كونه كفرا ام لا او يختلف فيه اقوال العلما وما ليس بكفر من غير توقف واختلاف
اعلم ايها الواقف على ما سياتى من كل يصلح للخطاب ان تحقيق هذا الفصل اى
الوقوف على ما هو الحق فيه وكشف اللبس فيه اى ازالة ما يلتبس على سامعه
شبهه بغطا بكشف مورده الشرع اى ما يطلب ويعلم منه انما هو الشرع والشرع

ما شرعه الله لعباده وبينه من الاعتقاد والعمل والمورد محل الورود وهو اخذ الماء للشرب فشبهه بما يشفي لظما وشبة ما يفيده بموضعه استعارة مكنية مخيلة ولامجال اى سعة واصله محل الجولان والحركة للعقل فيه اى العقله بانفراده لايكفي فيه بل لابد من تلقيه من الشارع والفصل اى الفاصل المميز له عن غيره البين اى الظاهر الذي لا اشكال فيه ولا مجال الرد في هذا الامر الذي نحن بصدده ان كل مقالة اى قول صدر عن احد صرحت بنفي الربوبية اى دلت دلالة ظاهرة على ذلك وان الله غير موجود او صرحت بنفي الوحدانية هي توحده وانفراده من غير شريك في الوهيته وصفاته وهي على خلاف القياس وقد اثبتها في الاساس وفي الحديث من شذ امتي الواحداني اى المفارق للجماعة او صرحت بعبادة غير الله تعالى وحده او صرحت بعبادة احد كعيسى والكواكب مع الله فمنها اى هذه المقالة كفر اى يقتفي كفر من قالها كمقالة الدهرية بفتح الدال نسبة للدهر وهو الزمان كما يشير اليه قوله انه هرايلف شملي بسعدي لزمان بهم بالاحسان ويقال للمسن او الحاذق والحسن دُهري بضم الدال على خلاف القياس وكثيرا ما يقع التغيير في النسب كما ذكره النحاه والدهرية طايفة من الملحدين المعطلين ينسبون الامور للدهر كالطبايعية وفي العرب منهم كثيرون فلذا تراهم في اشعارهم كثيرا ما يشكون منه ويذمونه ولذا قال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله وروى فان الله هو الدهر اى لا تسبوا الصانع فانه هو الله الجالب للخير والشر وقال الشهرستاني في كتاب الملل والنحل لست ارى ان صاحب هذه المقالة ينكر الصانع وانما هو يحيل سبب وجود العالم على الاتفاق احترازا عن التعليل ولذا لم اقم برهانا على بطلان مقالته لان الفطرة السليمة شاهدة بوجود صانعها وساير فرق اصحاب الاثنين اى القايلين بالهين اثنين كالمانوية القايلين بالنور والظلمة وان خالق الخير غير خالق الشر وكالفلاسفة القايلين بان الواحد بالذات لا يصدر عنه الا الواحد ونحوهم من الفرق الضالة فالظاهر ان المراد بالاثنين مطلق التعدد كقوله ثم ارجع البصر كرتين والديصانية بكسر الدال المهملة ومثناة تحتية ساكنة وصاد مهملة بعدها الف ونون وياء نسبة اسم رجل من المجوس نسب له هذا المذهب من القول بالنور والظلمة وخالق الخير والشر الا انه يقول ان الظلمة ميت والنور حي وهم قوم من المانوية وهم اصحاب ماني الحكيم الذي ظهر في زمن سابور بن ازدشير بعد عيسى وقتله بهرام بن هرمز زعم ان موجد العالم اثنان النور خالق الخير والظلمة خالق الشر وانهما ازليان حيان دراكان ونحوه من الخرافات وفي نسخة المانية والصحيح الاول قال المتنبي وكم لظلام الليل عندي من يد تخبر ان المانوية تكذب واشباههم من اصحاب الملل الباطلة

من الصابيين وفي نسخة الصابية وهو من صبا مهموزا الاخر والصابي كل من خرج من دين الى اخر ثم خص بطايفة عبدوا الملايكة او عبدوا الكواكب وهو المراد هنا ونطلق على فرقة من النصارى وهم اتباع المسيح ودينهم معروف والكلام على فرقهم واعتقادهم مشهور وقد افرده ابن تيميه بكتاب ضخم فيه فوايد جليلة وكذا الامام القرطبي له كتاب في بيان فرقهم والرد عليهم فلا حاجة لنا هنا بايراد ما قيل فيهم والمجوس عبدة النار والقايلين بالهين يزدان واهرمن اى النور والظلمة الخالقين للخير والشر والذين اشركوا اى اشركوا بالله تعالى شريكا بعبادة الاوثان جمع وثن وهو الصنم وحجارة تعبد وهو من قولهم وثنته اذا اجزلت عطيته وقيل الفرق بينهما ان الوثن ما له جثة من جنس الارض وخشبة او من حجارة بصورة الادمي والصنم ومنهم من لم يفرق بينهما واول من اتى بها لمكة عمرو بن لحي فصار العرب في ذلك اصنافا والملايكة جمع ملك وقد تقدم الكلام عليهم وقد عبدها قوم من اوايل العرب وسموها بنات الله قال تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون الاية والشياطين وهو مردة الجن جمع شيطان وهم قوم عبدوها حقيقة او عبدوا الاصنام التي حل بها الشياطين وهم سولوا لهم عبادتها فكانهم عبدوها كما قال الخليل عليه الصلاة والسلام يا ابت لا تعبد الشيطان فهم وان عبدوا الاصنام ظاهرا عبادتهم انما هي للشياطين والشمس والقمر والنجوم عبدها قوم من الاوايل واثبتوا لها عقولا وارواحا وجعلوا لها هياكل عندهم زعموا انها تقربهم لها كما في الملل والنحل والنار وهم طايفة من المجوس ببلاد الهند لاعتقادهم ان النور سلطان الله الاعظم وان ذاته نور ليس كالانوار فجعلوا النار شرارة من نوره وقد بنوا لها كنايس عظيمة بالهند يحجون اليها حتى ان بعضهم يختار احراقه بالنار ليصل لربه وهي عقول اضلها باريها او من اشرك بعبادة احد اى مخلوق اتخذه معبودا غير الله من مشركي العرب جمع مشرك سقطت نونه للاضافة وهو من اضافة الصفة للموصوف وهم عبدة الاصنام منهم واهل الهند والصين وهما اقليمان مشهوران اكثر اهل الاقاليم وفيهم ملل مختلفة كالبراهمة وغيرهم والسودان جمع اسود وهم قوم واجناس لا يحصون من اولاد سام بن نوح عليه الصلاة والسلام يغلب عليهم الكفر والجهل ومنهم من يعبد الشجر ومنهم من يعبد الماء ومنهم قوم ملحدون وغيرهم اى غير من ذكر من اهل الملل ممن لا يرجع الى كتاب هو حكاية عن الدين الباطل لان من له دين حق لابد له من شرع وكتاب يعمل به فهو يرجع برايه الى احكامه وكذلك اى مثل هذه مقالاتهم كفر القرامطة وهم الاسماعيلية المثبتون لامامة اسماعيل بن جعفر الصادق وغرضهم ابطال الشرع لانهم في الاصل يهود ومجوس لما ظهر الاسلام اشتد عليهم ذلك وصعب عليهم دفعه فذهبوا الى تاويلات زوجوها

على ضعفا العقد واراد وابها هدم قواعد الاسلام واسمه حمدان بن قرمط من قرية
من قرى واسط فلذلك سموا قرامطة فو بنو الهم دعاة يدعون لخرافات زينوها وكان
ظهوره في سنة سبعين وماتين بقرية من سواد الكوفة وكان احمر البشرة والعينين
فسموا كرامطة بالكاف العجمية ومعناه بالفارسية السفلة فخففوه وحرفوه وقالوا
قرمط وقيل انه عربي من قرمط البعير اذا تقارب خطوه فزعم ان النبي صلى الله عليه
وسلم بشر به واظهر زهدا وصلاحا فاجتمع عليه خلق كثير وقالوا انه الامام
المنتظر فابتدع مقالات في كتاب فقال انه الكلمة والمهدي وجعل الصلاة ركعتين
في الصبح وركعتين في المغرب والصوم يومين يوم المهرجان والنوروز والقبلة
لبيت المقدس وبعث دعاة وخلقا فكان لهم حروب عظيمة مذكورة في التواريخ
فظهر منهم سليمان بن الحسن في بلادهم حتى اتى مكة يوم التروية فاخذ كسوة
الكعبة وقلع بابها وقتل الحجاج ورماهم بزمزم وذلك في سنة سبع عشرة
وثلثمايه في خلافة المقتدر واخذ الحجر الاسود فبقي عندهم اثنان وعشرون سنة
فبذل لهم خمسون الف دينار ليردوه فابوا ثم ردوه مكسورا فوضع في مكانه وتغلبوا
على مصر والشام وكانت مدة دولتهم نيفا وثمانين سنة ثم ابادهم الله واهلكهم
واصحاب الحلول من النصارى والباطنية وبعض جهلة المتصوفة يقولون ان الله
حل في بعض الاجسام وهو من لا يعقل والتناسخ وهم القايلون بان الارواح
اذا فارقت الابدان تحل في غيرها وهو مذهب بعض الحكما والكلام عليه وعلى
بطلانه مفصل في كتب الحكمة من الباطنية هم قوم من الملاحدة ذهبوا الى ان القران
له ظاهر وباطن هو المراد منه وان للشريعة مقاصد غير ما فهمه الناس والطيارة
من الروافض وفي نسخة الطيارية النسبة ومنهم كما في بعض النسخ الجناحية وهم
قوم من الغلاة نسبوا العبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر الطيار ذي الجناحين
لقب بذلك لانه لما اخذ الراية بموته قطعت يداه واستشهد فلما بلغ ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الله ابدله بهما جناحين يطير بهما في الجنة والبيانية لبيان
ابن سمعان التيمي المهدي اليمني يقولون روح الله حلت في علي كرم الله وجهه ثم
في ابنه محمد ابن الحنفية ثم في ابنه هاشم ثم في بيان وكذا الطيارة والجناحية يقولون
روح الله حلت في الانبيا نبيا بعد نبي ولم تزل تنتقل حتى وصلت لعلي واولاده
رضي الله تعالى عنهم والغرابية قوم يقولون ان جبريل عليه الصلاة والسلام
نزل بالرسالة من عند الله تعالى فاعطاها لمحمد غلطا منه لانه يشبهه كما يشبه الغراب
الغراب كما ذكره المص فيما ياتي وفي التبصرة لابي المظفر انهم قوم يقال لهم المفوضة قالوا
فوض خلق العالم لمحمد وهم شر النصارى والفرق كثيرة افردت بالتاليف ولا حاجة
لنا بايراد خرافاتهم وكذلك اي مثل هولا الذين حكم بكفرهم من اعترف بالهيته الله

ووحدانيته

ووحدانيته اي قال انه اله متوحد في ذاته وصفاته ولكنه اعتقد انه عز وجل غير حي
الحياة في غير الله الاعتدال المزاجي وقوة توجب الحس والحركة وفي حقه تعالى صفة
توجب صحة العلم والقدرة وهي ثابتة له بالاجماع عقلا ونقلا فمن نفاها فهو كفر
او غير قديم القديم هو الذي لا اول لوجوده والاخر لوجوب وجوده وسرمديته
ووجوده ذاتي لا يقبل العدم اجماعا وخلافه كفر وهذه المقالة لعمرو بن عباد السلمي
نقل عنه انه انكر القول بانه تعالى قديم لانه بمعنى التقادم وهو يشعر بتقدم زماني
والله منزه عنه كذا قيل وعلى هذا لا كفر فيه لانه انما يتحاشى عن اطلاق هذا اللفظ
لايهامه الحدوث كالعرجون القديم ولذا قال الراغب رحمه الله تعالى ورد في وصف الله
يا قديم الاحسان ولم يرد في القران والاثار الصحيحة القدم في وصف الله والمتكلمون
يستعملونه ويصفونه به واكثر ما يستعمل القديم باعتبار الزمان انتهى وانه محدث
بصيغة المفعول تفسير لقوله غير قديم وانما ذكره لانه لو لم يقصد هذا لم يكن كفرا
كما بيناه وليس نفيها على مذهب الفلاسفة في القدما كما قيل او مصورا اسم مفعول
اي جسم ذو صورة كما ذهب اليه الهشامية اصحاب هشام بن الحكم الذين ذهبوا
الى ان له طولا وعرضا واعضا على صورة انسان الا انه مصمت لا لحم له ولا دم تعالى
وتقدس سبحانه عما قالوه او ادعى له ولدا او صاحبة اي زوجة كالنصارى او والدا
هذا لم يقله بشر او انه متولد من شي او كاين عنه عطف تفسير لان التولد هنا ليس
بمعنى الولادة وانما هو بمعنى التكون عن شي اخر كتولد الطبايع الناشي عنها وهو كفر
بلا شك لا لان هذه المقالة لا يعرف بها قايل ويقرب منه قول بعض النصارى ان عيسى
اله انقلبت الكلمة فيه لحما ودما او ادعى ان معه في الازل شيا قديما غيره اي غير ذاته
وصفاته اشارة الى ما ذهب اليه الفلاسفة من قدم العالم والعقول والافلاك
القدم وانه لم يزل او ان ثم بفتح وتشديد اي في الوجود صانعا للعالم سواه
كالمشركين وبعض الثنوية القايلين بالنور والظلمة والفلاسفة الذين يقولون
بان الواحد بالذات لا يصدر عنه الا واحد كما هو مقرر في كتاب التهافت او مدبرا
غيره سبحانه وتعالى والتدبير اصلاح الامور مع العلم بها والمراد بها هنا خلق
ما يصلحها لا مجرد ايصاله والارشاد له فانه لا مانع من ثبوته لغيره كالملايكة قال
تعالى فالمدبرات امرا المذكور والمدعى كله كفر ومعتقده كافر بلا ريب باجماع المسلمين
كقول الالهيين من الفلاسفة الفلسفة لفظة يونانية معناها محبة الحكمة والقايم
به هو الفيلسوف والحكمة عندهم اقسام الهي وطبعي ورياضي فالالهي ما يبحث فيه
عن المجردات وذات واجب الوجود على ما بين واشتهر عندهم والمنجمين الباحثين
عن النجوم واحكامها القايلين بانها موثرة في الكون اما القايلون بانها علامات
الهية جعلها الله بحكمته وبينها لبعض خليقته والموثر هو الله فلا محذور

فيه عند اهل الشرع كما صحوا به وقد قال الغزالي انها علمت بوحي من الله لبعض
انبيايه عليهم الصلاة والسلام والطبايعيين القايلين بان الطبيعة هي
الموثرة في الايجاد والتدبير وكذلك من ادعى مجالسة الله فانه مجسم مجازف وهذا
لم يذهب اليه احد او العروج اليه اي الصعود والذهاب للعلو وفوق ومكالمته
في الدنيا ممن لا يليق به او ادعى حلوله في احد الاشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية
والنصارى والقرامطة يعني هولا كلهم ذهبوا الى ان الله يحل في غيره اما النصارى
والقرامطة فقوم ملحدون ادعوا الحلول واولوا القران بتاويلات فاسدة
لا حاجة لذكرها واما المتصوفة فقد نسب لبعضهم امور وعبارات تقتضي في بادي
النظر ذلك وهي ما قاله بما يوافق الحق واجلة مشايخهم يبرؤون مما ينسب اليهم فمن
ما هم عليه من الزهد والعبادة وما يظهر منهم من الكرامات يقتضي انهم على قدم
النبوة فما نقل عنهم اما دسيسة من بعض الملاحدة او كلام على اصطلاحاتهم
يعرفه اهله وهذا هو الذي نعتقده فيهم نفعنا الله ببركاتهم وكذلك ما في قصة
الخضر شاهد له فلذا اعرضنا عما في الشروح هنا وكذلك يقطع بكفر في بعض النسخ
على كفر بتضمينه معنى يتفق ويعزم ونحوه مما يعدى بعلى من قال بقدم العالم من الحكما
والمراد الزماني بمعنى عدم سبقه بالعدم لا القدم الذاتي فانه مخصوص بالله او بقاه
بمعنى انه باق ابدا لا يقبل الفنا والمراد قدم نوعه وتجاوزه لما يشاهد فيه من تغيير
بعض اجزايه وعدمها او شك في ذلك اي البقا والقدم على مذهب بعض الفلاسفة
ومنهم من ذهب لغيره وادلتهم مع الجواب عنها مذكورة في كتب الكلام والحكمة وقد
كفرهم اهل الشرع بهذا لما فيه من تكذيب الله ورسله وكتبه او الدهرية الذين
اسندوا الحوادث كلها للدهر وقالوا ما يهلكنا الا الدهر وهم كفرة لانكارهم الحشر
والنشر والاخرة او قال بتناسخ الارواح وانتقالها ابد الاباد في الاشخاص اي تخرج
من بدن لاخر من جنسه او غيره لان النسخ معناه الازالة والنقل قال الراغب الابد
الزمان الممتد الذي لا يتجزى ويقال ابد ابيد وابد اي دايم وحقه ان لا يثنى ولا يجمع
ولكنه جمع هنا لانه اريد به بعض ما يتناول وقيل اباد مولد ليس من كلام العرب
وزعم هولا المتناسخة ان تعذيبها او تنعيمها فيها اي في الاشخاص التي تنتقل اليها
بحسب اي بقدر زكاتها اي طيبها وطهارتها وخبثها اي كونها خبيثة غير طيبة
مزكاة يعني انها ان كانت طيبة تنتقل لصورة حسنة جميلة منعمة وان كانت خبيثة
تنتقل لصورة كريهة معذبة كصورة كلب وحمار ونحوه وهذا كله في الدنيا
وكذلك يكفر من اعترف بالالهية والوحدانية فاقر بان له الها منفردا عما
سواه في ذاته وصفاته ولكنه جحد النبوة اي نفاها وانكرها من اصلها اي لم
يقل بوجودها عموما فلم يقل بنبوة نبي من الانبيا او قال بها ولكنه انكر نبوة نبينا

محمد

محمد صلى الله عليه وسلم خصوصا مع قوله بنبوة غيرها كاهل الكتاب او انكر نبوة
واحد من الانبيا اي نبي كان كانكار اليهود نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام الذي نص الله
عليهم في كتابه الكريم كاولي العزم فمن انكر واحدا منهم كان مكذبا بالله ولرسوله بعد
علمه بذلك فهو كافر بلا ريب اما اذا لم يعلمه فهو معذور بجهله كالبراهمة هم قوم من الكفرة
ذهبوا الى ابطال النبوات عقلا لعدم علقهم قالوا لان ما يجي به النبي اما ان يقبله
العقل اولا والاول العقل يدل عليه فما الحاجة لغيره والثاني مردود باطل وهو المدعى
ورد بانه وان كان يقبله العقل لكنه قد يخفى فيحتاج الى مرشد فان ظهر تايد به وسلم
مما بينا فيه وغيرهم من العقلا النقل يدل على انها لا بد منها والبراهمة نسبة الى رجل
يقال له برهام وهو موسس فسادهم ومذهبهم لا الى ابراهيم النبي صلى الله عليه وسلم
كما قيل لانكارهم النبوات الا ان يقال لانهم طايفة تنكر غير نبوة ابراهيم ثم سموا به مطلقا
ومعظم اليهود اي اكثرهم لان منهم من قال بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم لكنه خصه
بالعرب والاروسية بفتح الهمزة والمهملة مضمومة وواو وسين مهملة ويا نسبة
وهم قوم من النصارى قيل هم رهط هرقيل وقيل منسوبون لرجل سمه اريس فغير
او اروس ومعناه ملك او عشار او صاحب الزراعة او اصله اريوس فعرب وغير
وهو صاحب مذهب في النصرانية لانهم على فرق مختلفة قيل انه زعم ان الله روحا
اكبر من ساير الارواح واسطة بين الاب والابن يودي الوحي وان المسيح لا تبدي جوهرا
الطيبا روحانيا خالصا غير مركب ولا ممزوج بالطبايع وقوله الغرابية من الروافض
تقدم بيانه واليه اشار بقوله الزاعمين ان عليا كرم الله وجهه كان هو المبعوث
اليه جبريل عليه الصلاة والسلام ارسله الله اليه برسالته فغلط وبلغها
محمدا صلى الله عليه وسلم لشبهه به على شبه الغراب بالغراب وكالمعطلة الذين
جحدوا الالوهية والرسالة والاحكام والقرامطة تقدم بيانهم وانهم سعوا
في ابطال الشريعة فحللوا المحرمات واباحوا الفروج والخمور والاسماعيلية
هم قوم من الملاحدة المعطلة وهم باطنية باولون النصوص ويقولون لها معنى
غير ظاهرها والعنبرية من الروافض وهم اتباع عبد الله بن الحسن العنبري منسوب
لبني العنبر قبيلة وفي نسخة العبيدية تصغير عبد وهم اتباع عبيد الله المعروف
من بني عبيد بن بنت القداح الذين ملكوا مصر والكلام في نسبهم معروف في نسب
الفاطميين من الشيعة الذين فضلوا عليا وهم بحسب الظاهر شيعة وفي الباطن
باطنية وان كان هولا الطوايف المذكورة قد اشتركوا وفي نسخة قد اشركوا بنبا
المجهول في كفر اخر مع من قبلهم من الطوايف المذكورة وكذلك اي مثل من ذكر
في تكفيرهم من دان اي اعتقد واتخذ دينا وقيل من اقر وخضع بالوحدانية اي بالله
الواحد الاحد وصحة النبوة اي بوجودها وحقيتها واقر ايضا وصحة بنوة نبينا

صلى الله عليه وسلم وكن جوز على الانبيا كلهم الكذب فيما اتوا به اى فيما بلغوه
عن الله سوا ادعى فى ذلك اى فى الكذب الذى صدر عنهم المصلحة بزعمه اى زعمه
ان كذبهم كان لمصلحة اقتضته ام لم يدعها اى لم يدع ان ذلك الكذب مصلحة فهو
كافر بنسبته الكذب لرسل الله عليهم الصلاة والسلام وهم منزهون عن مثله
بالجماع من علما الدين المعتد بهم وان قيل فيه مصلحة بزعمه كالمتفلسفين اى اصحاب
علم الفلسفه وبعض الباطنية الذين زعموا ان النصوص الشريعه باطنا غير ظاهرها
والروافض وهم طايفه رفضوا اهل السنة فسموا رافضه وهم فرق مختلفه
مذكورة فى المفصلات وغلاة المتصوفه اى الذين لهم غلو فى اعتقاداتهم
واصحاب الاباحة الذين ذهبوا لاباحة المحرمات وان من كمل نفسه وصل لمرتبة
لا تضره المعاصى ثم بين مراده بالكذب الذى جوزه هولا فانه ليس المقصود به
ظاهره فقال فان هولا الفرق المذكورة زعموا ان ظواهر الشرع اى ما يدل عليه
صريح نصوصه مما يتعلق بالمعاد وغيره واكثر ما جات به الرسل مما اوحى به اليهم
من الاخبار عما كان فى الامم السالفة والازمان الماضيه وما يكون فى المستقبل
من امور الاخرة المبينة بقوله ومن الحشر اى جمع الناس بعد اخراجهم من القبور
والقيامة اى مقام من حشر ليقضى بينهم ويحاسبون والجنة والنار اى دار النعيم
والعذاب فذكر الحال وارد المحل ليس منها شى على مقتضى ظاهر من لفظها
الذى بلغه الرسل عليهم الصلاة والسلام لاممهم ومفهوم خطابها اى ما يدل
عليه من معناها المتبادر منها بحسب الوضع وليس المراد بالمفهوم ما اصطلح عليه
اهل الاصول وانما خاطبوا اى خاطب الرسل اممهم بما اتوا به اى بالامور التى
عن الله الخلق الذين ارسلوا اليهم على جهة المصلحة لهم ليتبعوهم ويكفوا عما لا يليق
بهم مما يخل انفسهم البشرية اذ لم يمكنهم اى رسل الله التصريح بكشف حقيقة
الحال لهم لقصور افهامهم اى قصور افهام الخلق عن ادراك حقيقة ما يريدونه
وهذا الذى دعاه هولا الفلاسفة باطل فمضمن بضم الميم الاولى وفتح الضاد
المعجمة وفتح الميم الثانية المشددة اسم مفعول اى ما دل عليه مضمون مقالاتهم
هذه التى زعموا انهم لم يريدوا بكلامهم ظاهره الدال عليه صراحة ابطال الشرايع
التى جا بها رسل الله عليهم الصلاة والسلام لان ظاهرها غير مراد لهم وتعطيل
الاوامر والنواهى اى جعل امرهم ونهيهم معطلا غير لازم امتثاله قال القرافى فى شرح
المحصول فى كلام الاصوليين ان الامر بمعنى القول المخصوص يجمع على اوامر وبمعنى الفعل
والبيان يجمع على امور ولم يوافقهم عليه من اهل اللغة احد الا الجوهرى واما الازهرى
فقال الامر ضد النهى يجمع على امور وكذا قال ابن سيده فى المحكم ولم يذكر النحاة ان فعلا
يجمع على فواعل وفى شرح البرهان نقل الجوهرى غير معروف وان الاوامر انما جمع امرة

اسم الفاعل

اسم الفاعل بمعنى الامر مجازا وجمع على فواعل لانه اسم او صفة لما لا يعقل وياباه
قولهم انه جمع آمر او جمع آمرة مجازا عن الصيغة لان الامر الشخص نفسه او مصدر
كالعاقبه او هو جمع الجمع فجمع على افعل كاكلب ثم على فواعل ورد بانه ليس فاعل
بل فواعل وقال الاصفهانى انه لا يتم فى النواهى لان كونه جمع ناهية مجازا او مشاكلة
تكلف اذ لم يسمع ناهية وقد تقدم هذا مرارا ولان ماله تكذيب الرسل اى تكذيب
رسل الله صلوات وسلامه عليهم لان ما اتوا به لا يطابق الواقع لانهم لم يريدوا
ظاهره وليس بكذب حقيقى لتاوله عندهم والارتياب اى الشك والتردد
فيما اتوا به هل المراد به ظاهر ما اتوا به ام لا لتاويله بغير ظاهره وكذلك اى مثل
ما ذكر فى انه كفر من اضاف اى نسب الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تعمد الكذب
اى قصده وذكره عن قصد منه فيما بلغه صلى الله عليه وسلم عن الله من وحيه
واخبر به عن ربه او شك فى صدقه للاجماع على انه صلى الله عليه وسلم معصوم
عن الكذب فيما طريقه البلاغ وكذا ساير الانبيا او سبه فانه يكفر وذكره هنا
وان تقدم لان تكذيبه سب له او قال انه لم يبلغ ما اوحى اليه وكتمه وحذف المفعول
اختصارا للعلم به لانه افترا عليه لقوله تعالى يايها الرسول بلغ ما انزل
اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس وقد
تقدم الكلام عليه وان عايشة رضى الله عنها قالت لو كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كاتما شيا مما اوحى اليه لكتم قوله تعالى واذ تقول للذى انعم الله
عليه الاية النازلة فى قصة زيد او استخف به اى استهزا به وذكر ما فيه ازرا
بقدره او بقدر احد من الانبيا غيره صلى الله عليهم وسلم اجمعين وازرى عليهم
الازرا الاحتقار اى ذكر ما فيه تحقير واهانة لهم او اذاهم اى ذكر ما فيه اذيتهم
فى حياتهم او مماتهم كاذيته بعض ذريته واقاربه صلى الله عليه وسلم ولاجل عين
الف عين تكرم او قتل نبيا من الانبيا كما وقع لبنى اسرايل وحاربه اى بارزه بحرب ومقاتلة
كما وقع لقريش وغيرهم فهو كافر باجماع من المسلمين بل من علما الملل كلهم وليس
من هذا ما وقع من بعض الصحابة فى بعض معارضتهم له صلى الله عليه وسلم
فى بعض الامور كما وقع فى امارة اسامة وفى قصة الحديبية وكتابة الكتاب الذى
اراد ان يكتبه فى مرض موته كما مر فانما ذلك لخلوص قلوبهم ومحبتهم لله ورسوله
كما قيل ما ناصحتك خبايا الود من رجل ما لم يرعك بمكروه من العذل
وكذلك اى مثل ما تقدم فى تكفير من ذكر تكفير من ذهب مذهب بعض القدما
من الفلاسفه والحكما الخارجين عن ملة الاسلام فيما اعتقدوه وذهبوا
اليه ان فى كل جنس من الحيوانات غير بنى ادم نذيرا اى رسولا ارسلت اليهم
من نوعهم لانذارهم او نبيا ارسله الله اليهم ونوعه امته من القردة والخنازير

والدواب جمع دابه وهي كل ذي روح دب اي تحرك باختياره ثم خص في العرف اي عرف
اللغة بذوات الاربع والدود وغير ذلك مما يمشي على بطنه ويزحف من دواب البر
والبحر ويحتج اي يستدل هذا القايل بان في كل جنس نذيرا او نبيا بقوله تعالى وان من
امة الا خلا اي مضى وتقدم فيها نذير اي رسول من جنسها ينذرها والامة الجماعة
فحملها على العموم لساير الحيوانات كقوله الا امم امثالكم وجعلها امة دعوة وقال
الراغب الامة كل جماعة يجمعها امر واحد اما دين واحد وزمان واحد ومكان واحد
سوا كان الامر الجامع تسخيرا او اختيارا فان كل نوع منها على طريقة قد سخرها عليهم
بالطبع فهي بين ناسجة كالعنكبوت وبانية كالسرفه ومدخرة كالنمل ومعتمدة على
قوت وقت كالعصفور والحمام الى غير ذلك من الصنايع التي يختص بها نوع
نوع انتهى وذلك اي القول بان للحيوان رسلا وانبيا يودي اي يستلزم واصل معناه
يوصل الى ان توصف انبيا هذه الاجناس من الحيوانات وفي نسخة الاشيا بصفا
تهم المذمومة اي القبيحة من الصور والافعال المستكرهة وهو ظاهر ولم يقل
بصفاتها لوصفهم بما حقه ان يصدر عن العقلا كقوله والشمس والقمر رايتهم لي
ساجدين وفيه اي فيما ذكر من صفاتهم القبيحة من الازرا اي التحقير والاهانه
على هذا المنصب اي المقام المنيف اي العالي الشريف وهو مقام النبوة والمنصب
تقدم بيانه ما فيه اي امر ظاهر فيه من التحقير والاهانة فما موصولة او موصوفة
لنسبته امور غير لايقة بالانبيا لمن زعموا انهم انبيا مع اجماع المسلمين بل العقلا على خلافه
اي خلاف ما ادعوه وتكذيب قايله اي الذاهب اليه فان كل احد يعلم انه لا فايده
في تكليف غير العقلا واما الجن فعقلا مكلفون ولكن اختلف هل بعث لهم
منهم رسول ام لا وفي الايجاز لابي الحسن الاشعري مسيلة فرايض الله انما
تجب على العقلا خلافا لاهل التناسخ حيث قالوا ان فرايضه تجب على
جميع الحيوانات فان جميع الحيوانات مكلفون بفرايضه وانه بعث لكل
جنس رسولا منهم وخلافا للمزقلية منهم ان جميع ما خلق الله من الاجسام حتى
الجماد مكلف بالفرايض وقد حكي اجماع الصحابة والتابعين وغيرهم قبل
ان يظهر المخالف على ان البهايم والجماد غير مكلفين انتهى ومنه تعلم ان هذا
المذهب مبني على التناسخ وان ارواح المكلفين لما انتقلت لغيرهم بقيت على
تكليفها واعلم ان الشيخ الشعراوي قال في كتابه ارشاد الطالبين ان بعض
اهل الكشف ذهب الى ان لجميع الحيوانات تكليفا الهيا برسول منهم لا يشعر به
الا بعض الاوليا فانه تعالى له الحجة على جميع خلقه فلا يعذب احدا الا
لجزايه وتطهيره وهذا من الاسرار قال تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير
وكل جنس موجود انه وما من دابة في الارض ولا طاير يطير بجناحيه الا امم

امثالكم

امثالكم وورد في الحديث الكلاب والنمل امة فعمت الرسالة الالهية جميع
الامم ودخلوا تحت الخطاب على لسان نذير بعث لها حتى الدودة قلت الجمهور على
خلافه وانه يكفر من زعمه واعلم ان في الملل والنحل لابن حزم ان صاحب هذا المذهب
احمد بن حابط البصري تلميذ النظام واحمد بن مايوس واتباعه يقال لهم الحابطية
ومذهبه كفر لما فيه من الطعن في النبوة ولدارا فاسدة واهية واستدل بما ذكر
بالايتين السابقتين ولا دليل في ذلك لان الامة القبيلة والجماعة من الناس واما
تسبيح الحصى وكلام الحجارة للنبي صلى الله عليه وسلم فلا دليل فيه لانه من المعجزات
الخارقة للعادة كحنين الجذع وكلام الهدهد والنملة وقوله وان من شي الا يسبح
بحمده الاية معناه انها بما فيها من بديع الصنعة تدل على صانع قدير ولذا قال ولكن
لا تفقهون دون تسمعون ومن الغريب ما ذهب اليه ابن خويز منداد من المالكية
ان من الحجارة ما له ادراك وتمييز ومما قلته في ابن حابط هذا واتباعه
قل لابن حابط الحمار ومن غدا اشقى الورى ان صح ما تقول اخس الاله فكم نبي مرسل
من نمل في كل حين يقتلي والشبه يجتنب لما هو شبهه فلذاك للحشرات ان تفضل
وكذلك اي مثل تكفير من تقدم يكفر من اعترف من الاصول الصحيحة بيان لقوله بما
تقدم اي اعترف بالالوهيه والوحدانيه واعترف بنبوة نبينا صلى الله عليه
وسلم ولكن قال في وصفه صلى الله عليه وسلم وخلقته انه كان اسود اللون
والمتواتر من حليته انه كان ابيض مشربا بحمرة كما تقدم او مات صغيرا قبل ان يلتحي
اي قبل ان تنبت له لحية او قال ان نبينا صلى الله عليه وسلم ليس الذي كان بمكة
اي نشا بها مثل هجرته الى المدينة وليس الذي كان بالحجاز هو ارض معروفة من الحجز
وهو المنع والفصل سمي بذلك لكونه حاجزا بين نجد وتهامه او قال ليس بقرشي اي
ليس من قريش وهم ولد النضر بن كنانه وفي وجه تسميتهم بذلك وجوه مشهورة
تقدمت فكل هذا كفر لان وصفه صلى الله عليه وسلم بغير صفاته المعلومة
سلبا واثباتا نفي له اي لوجوده لا لوصفه وتكذيب به اي تكذيب لمن اثبته وعلم
وجوده وكذلك يكفر من ادعى نبوة لاحد مع نبينا صلى الله عليه وسلم اي في زمنه
كمسيلمة الكذاب والاسود العنسي او ادعى نبوة احد بعده فانه خاتم النبيين
بنص القران والحديث فهذا تكذيب لله ورسوله صلى الله عليه وسلم كالعيسوية
وهم طايفة من اليهود نسبوا العيسى بن اسحاق بن يعقوب الاصبهاني اليهودي
وقيل في اسمه غير ذلك وكان في زمن بني مروان وادعى النبوة في زمن مروان الحمار وتبعه
كثير من اليهود وكان من مذهبه تجويز حدوث النبوة بعد نبينا صلى الله عليه وسلم
ولولا ذلك ما ادعاها القايلين بتخصيص رسالته اي رسالة نبينا صلى الله
عليه وسلم الى العرب فهو مع تجويزه نبوة نبينا بعده منكر لعموم رسالته وخالف

دين موسى عليه الصلاة والسلام في امور كثيرة وادعى اتباعه له معجزات ثم انه قتل
في اول الدولة العباسيه وقيل مات حتف انفه وكالخرمية اختلفوا في ضبط لفظ هذه
الكلمة فقيل انه بجيم مفتوحه وراء مهملة وميم ويا نسبته وهم قوم من اهل الكفر القايلين
بتواتر الرسل اي تتابعها وتكررها وانها لا تنقطع وانه يحدث في كل زمان رسول يوحى
اليه وهذا الضبط لم يرتضه البرهان الحلبي وارتضى انهم الخرمية بضم الخا المعجمة
وفتح الرا المهملة المشددة وميم نسبته لراس ضلالهم ومعناه بالفارسيه الفرح
والسرور وهم على فرقة زدكية وبابكيه وماذيارتيه وكلهم يستحلون المحرمات ويبيحون
الفروج وظهروا في دولة بني العباس بنواحي اذربيجان نحو عشرين سنة في جموع وعساكر
كثيرة جدا حتى اسر بابك وصلب بسر من را في ايام المعتصم وقيل ان الحرميه بحا مكسورة
وراء ساكنة مهملتين وهم قوم من القرامطه سموا به لانهم اباحوا المحرمات وزعموا
ان النبوة تدرك بالرياضة وتصفيه الباطن وترك الشهوات المعبر عنه باكتساب
النبوة الاتي وان النور القدسي انتقل من ادم للانبياء الى ان وصل لمحمد وعلي واولاده
ثم تم النور المحمدي بهم وانتقلت شريعته لغيره وقال التلمساني انه يقال لهم الخرما منه
بضم الخا المعجمة وسكون الراو وفتحها مشددة والخرمان الكذب يخفف ويشدد
وكما كثر الرافضة القايلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم
وبعده وكذلك يقولون ويعتقدون كل امام اي خليفة فهي عند هؤلاء الفرقة
من الرافضة يقوم مقامه في النبوة فتنتقل النبوة بعده لغيره عند هؤلاء وفي حجه
على الخلق بتبليغ الاحكام وهؤلاء من غلاة الرافضة ولهم مقالات في الكفر والضلال
ولا حاجة لذكرها كما في المثل يكفيك من الشر سماعه والحق ابلج وكالبزيغية والبيانية
القايلين بنبوة بزيغ وبيان وهو لاطايفتان من غلاة الرافضة يزعمون ان النبوة
بل الالهية تحل في بعض ايمتهم وتنتقل اليهم وهم اكفر من النصارى واشد
ضررا منهم لانهم بحسب الصورة يسلمون ويلبس امرهم على العوام لكن في ضبط
اسمايهم اختلاف فقال البرهان الحلبي ان بزيغ بموحدة مفتوحة وزاي معجمة
مكسورة ومثناة تحتيه وغين معجمة علم شخص نسبوا اليه وقيل انه بموحدة وراى
معجمة ومثناة وعين مهملة وقيل فيه غير ذلك وبيان بموحدة مفتوحة وتحتية
مثناة والف ونون وقيل انما هو بنونين وهو بيان بن اسماعيل النهدي وهو يزعم
ان الله حل في علي واولاده ويقولون بنبوة بعض ايمتهم وقيل ان الثاني غلط والصواب
انه بيان بن سمعان النهدي وقيل غير ذلك واشباه هؤلاء من اهل الضلال
او من ادعى النبوة لنفسه بعد نبينا صلى الله عليه وسلم كالمختار بن ابي عبيد الثقفي
وغيره قال ابن حجر ونظيره كفر من طلب منه معجزة لانه بطلبه منه مجوز لصدقه مع
استحالته المعلومة من الدين بالضرورة نعم ان اراد بذلك تسفيهه وبيان كذبه

فلا كفر

فلا كفر انتهى او جوز اكتسابها ممن يقول ان النبوة صفة تكتسب بالرياضة والزهد
وتصفية الباطن واهل الحق يقولون انها وهبيه لمن اصطفاه الله من عباده كما قال الله
اعلم حيث يجعل رسالاته والبلوغ بصفا القلب اي تصفيته من الكدورات البشرية
بالرياضة الى مرتبتها كالفلاسفة وقدما الحكماء وغلاة المتصوفة جمع غال وهو
المبالغ المتجاوز الحد لكن لم ار من ذهب الى هذا من الصوفية والذي نقل فيه انما هو
عن الفلاسفة وقدما الحكما كما علم وكذلك من ادعى منهم اي من الفلاسفة والغلاة
انه يوحى اليه اي ياتيه الملك من الله ببعض الاوامر الالاهيته مما تزينه له الشياطين
وان لم يدع النبوة فلا يقول مع ذكرانا نبي او ادعى انه يصعد الى السماء ويدخل
الجنة بجسده يقظة وهو حي وياكل من ثمارها ويعانق الحور العين التي في الجنة
معدة للمؤمنين فيها قال ابن حجر والظاهر ان زعمه دخول الجنة ماضيا او حالا او
مستقبلا قبل موته مرة او اكثر سواضم الى ذلك الاكل والمعانقة المذكورين
ام لا يكون كفرا وان كان ربما يتوهم من كلام المص خلاف ذلك وفي الانوار ويكفر من ادعى
انه يرى الله عيانا في الدنيا ويكلمه شفاها او ان الله يحل في الصور الحسان او قال ان الحق
يطعمه ويسقيه واسقط عنه التمييز بين الحلال والحرام وانه ياكل من الغيب
وياخذ منه او قال دع الصلاة والزكاة والصوم والقران او ان سماع الغنا
من الدين وانه انفع للقلوب من القران قال ابن حجر ولا يشترط في كفر من زعم انه يرى
الله عيانا في الدنيا ويكلمه شفاها اجتماع هذين خلافا لما توهمه عبارة الانوار
بل يكفر زاعم احدهما ثم رايت الكوبري صرح في تفسيره بكفر معتقد الروية بالعين
وهو صريح فيما ذكرته لكن عندي في اطلاق ذلك نظر والذي يتجه حمله على روية
او كلام متضمن للاحاطة بذلك تعالى لما مر ان الاصح انا لا نكفر الجهوية ولا
المجسمة الا ان صرحوا باعتقادهم للوازم قولهم كالحدوث او ما هو نص فيه
كاللون والتركيب والاحتياج ثم قال ابن حجر وكذا يكفر زاعم اسقاط التمييز
عنه بين الحلال والحرام او ان الله يطعمه ويسقيه او انه ياكل من الغيب وياخذ
منه ولا يشترط اجتماع هذه الثلاثة خلافا لما يوهمه كلام الانوار ايضا وكذا
يقال في بقية كلامه فهؤلاء المذكورون كلهم كفار محكوم بكفرهم لانهم مكذبون
للنبي صلى الله عليه وسلم لادعايهم خلاف ما قاله لانه صلى الله عليه وسلم
اخبر انه خاتم النبيين كما اعلمه الله به فيما اوحاه اليه واخبر ايضا انه لا نبي
بعده وما روى عنه في ذلك من الاحاديث الصحيحة ذكر ما يخالفها تكذيب له
معنى واما ما روى عنه من انه قال لا نبي بعدي الا ما شا الله فقال ابن الجوزي
في كشف المشكل ان هذه الزيادة لا اصل لها ورد على ابن عبد البر في قوله ان المراد بها
الرويا الصالحة لانها جزء من النبوة وانكر عليه ذلك كما فصله فلا يغرنك

من ذكره لعدم وقوفه عليه ومر انه لا يرد عليه عيسى عليه الصلاة والسلام
حين ينزل لانه لم ينبأ بعده ولانه يكون من امته وعلى شريعته ولا الخضر ايضا مع
انه اختلف في نبوته كما تقدم واخبر صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى انه خاتم
النبيين في قوله تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين واخبر ايضا عن الله انه
ارسل صلى الله عليه وسلم كافة للناس اى الى الناس كلهم بل والى الملائكة كلهم
بل والى الجن وهذا مما خصه الله به ولا يرد عليه ادم ونوح كما تقدم قال تعالى
وما ارسلناك الا كافة للناس اى ارسالة عامة محيطة بهم يكف عن ان يخرج منها
احد منهم وقال الزجاج معناه جامعا للناس في الانذار والابلاغ فجعله حالا
من الكاف وتاؤه للمبالغة كعلامة لا حالا من المجرور لامتناع تقدمه عليه تفصيل
في العربية وخص الناس لانهم محل النزاع وقيل ان الناس يطلق على جميع من ذكر كما ذهب
اليه بعضهم في الكلام على المعوذتين وارتضاه السبكي واجمعت امته اى امته صلى الله
عليه وسلم على ان هذا الكلام المذكور من الاية والحديث وانه ارسل لجميع
الناس على ظاهره من نفي النبوة بعده وعموم الرسالة وان مفهومه اى مدلوله
الذي فهم منه المراد منه صفة مفهومه دون تاويل اى لم يؤول بما يصرفه
عن ظاهره ولا تخصيص لبعض افراده فلا شك عند من يعتد به من الامة
في كفر هؤلاء الطوائف كلها الذاهبين لما يخالف اجماع المسلمين قطعا اى جزما
من غير تردد فيه اجماعا اى بالاجماع وسمعا من الله ورسوله وكتابه وسنته
فلا عبرة بمن خالفه من الفرق الضالة ولا بمن نازع في حجية الاجماع كما سياتي
وكذلك وقع الاجماع من علماء الدين على تكفير كل من دافع نص الكتاب اى منع
ونازع فيما جاء صريحا في القران كبعض الباطنية الذين يدعون لها معان اخر
غير ظاهرها وكبعض جهلة الصوفية واما ما يروى عن بعض كبار المشايخ
فليس تغيير له وانما هو اشارة لبعض نكت تلوح لها لا انها معناه وضعا
كما قاله العز بن عبد السلام او خص حديثا عاما منطوقه مجمعا على نقله عن ثقات
الرواة مقطوعا به في دلالته على صريحه مجمعا من العلماء والفقهاء على حمله على
ظاهره من غير تاويل ولا تخصيص ولا نسخ فانه تلاعب مود للفساد وكتكفير
الخوارج تقدم بيانهم بابطال الرجم للزاني والزانية المحصنين فانه مجمع عليه
صار معلوما من الدين بالضرورة ولهذا اى القول بكفر من خالف ظاهر النصوص
والمجمع عليه نكفر من لم يكفر من دان بغير ملة الاسلام اى اتخذه دينا من اهل الملل
جمع ملة وهي الدين وبينهما فرق بحسب المفهوم او وقف فيهم اى توقف وتردد
في تكفيرهم او شك في كفرهم او صحح مذهبهم اى اعتقد صحته كما تقدم عن بعضهم
ان الايمان انما هو عدم جحد وحدانيته الله وقد تقدم بيانه وابطاله والفرق

بين التوقف

بين التوقف والشك ان التوقف ان لا يميل لشيء من الطرفين والشك الميل مع الترجيح
للمخالف وان اظهر مع ذلك اى التوقف والشك او التصحيح هكذا في جميع
النسخ وفي بعض نسخ الشهاب ساقطا الاسلام باعتقاده والتزام احكامه واعتقده
بقلبه واعتقد ابطال كل مذهب سواه اى غير الاسلام بان يقول انه منسوخ
باطل في الواقع غير مقبول عند الله ولكن يزعم ان من اقر بالالوهية والتوحيد
غير كافر كما تقدم من مذهب الجاحظ وقيل قول المص وان اظهر الخ لا بد له من تاويل
لتضمنه الاقلاع عن الصحيح ظاهرا وباطنا فما معنى الحكم عليه بالكفر مع اظهاره
الصحيح ويكون مع ذلك اظهاره الاسلام واعتقاده ابطال ما سواه رجوعا والا يلزم
ان لا يكون مقبولا الاسلام بعد الكفر وهو قول من لم يصل الى المقصود فهو اى من لم
يكفر ما بعده كافر باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك اى ما يخالف الاسلام لانه طعن
في الدين وتكذيب لما ورد عنه من خلافه وكذلك اى كتكفير هؤلاء يقطع ويجزم
بتكفير كل من قال قولا صدر عنه يتوصل به الى تضليل الامة اى كونهم في ضلال
عن الدين والصراط المستقيم ويودي الى تكفير جميع الصحابة كقول الطائفة
الكميلية سيأتي بيانهم وانهم قوم من غلاة الرافضة بتكفير جميع الامة بعد
موت النبي صلى الله عليه وسلم لانهم قالوا بالتناسخ والحلول وان النبوة
نور ينتقل من رجل لاخر وانه حق على كرم الله وجهه وان الصحابة كفروا لما
بايعوا ابا بكر وعلي كفر لما ترك حقه ولم يقاتل والنبي كذلك لما نص على امامة
علي وقد كفر بعده ومثله من الخرافات ولا شك في كفرهم الا انه قيل الصواب
ان يقول المص الكاملية لانهم نسبوا الى ابي كامل رئيسهم المؤسس لكفرهم كما نص
عليه الامام الرازي ووفق بينهما بانهم صغروا كاملا على كميل ونسب اليه على
خلاف القياس تصغير تحقير فهو بضم اوله وقيل انه بفتحهما نسبة لكميل بزنة
قبيل بمعنى كامل وهو بعيد ثم بين معتقدهم وسبب كفرهم وتكفيرهم للصحابة بقوله
اذ لم تقدم بتا فوقيه اى الامة وفي نسخة اذ لم يقدموا عليا اى بجعله خليفة
وكفرت هذه الطائفة عليا ايضا اذ لم يتقدم هو بنفسه على ابي بكر رضي الله
عنه ويطلب حقه من الامة في التقديم على ابي بكر فهؤلاء الطائفة الكميلية
قد كفروا من وجوه لانهم بما قالوه ابطلوا الشريعة اى شريعة الاسلام باسرها
اى جميع احكامها اذ لزم من قولهم بكفر الصحابة انه قد انقطع نقلها لانه لم ينقلها
الا الصحابة رضي الله عنهم وهم عندهم بزعمهم كفرة والكافر لا يقبل نقله ونقل
القران لانه لم ينقله الا الصحابة اذ ناقلوه وهم الصحابة كفرة على زعمهم
الفاسد والزعم مثلث الزاي القول الباطل كما مر والكافر لا يقبل قوله والى هذا
القول بتكفير هؤلاء وامثالهم والله اعلم بما اراد اشار الامام مالك في احد

505

قوليه المرويين عنه بتفنل من كفر الصحابة اى كلهم او واحدا منهم لان من كفر
مسلما بغير حق فقد كفر فما بالك باصحابته وهم رضى الله عنهم اساس الاسلام
وعماده ثم كفروا اى هؤلاء اصحاب هذه المقالة الشنيعة من وجه اخر غير المتقدم
بما لزم مقالتهم هذه بسبهم النبى صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم
اى ما يستلزمه قولهم هذا انه عهد الى على رضى الله عنه اى اوصى له بالخلافة
بعده على زعمهم وهو يعلم انه يكفر بعده بترك طلب حقه والكافر لا يكون خليفة
فيكون ما عهده كذبا وهذا سبب يكفر من قال على قولهم بالعهد وكفره وهو مقالة
متناقضة باطلة وكفر من وجوه لعنة الله عليهم اجمعين الى يوم الدين
وصلى الله على رسوله وعلى اله وصحبه وشرفهم وكرمهم عما يقول الكافرون
وكذلك اى كما كفرنا هولاء نكفر بنون الجماعة وبنا المفعول وبا لتحتية وبنا المجهول
بكل فعل فعله شخص مسلم اجمع المسلمون على انه اى ذلك الفعل لا يصدر الا من
كافر حقيقة لانه من جنس فعالهم وان كان صاحبه اى من صدر منه مسلما مصرحا
بالاسلام حقيقة او حكما بشهادة ظاهر حاله مع فعله ذلك الفعل الذى هو من افعال
الكفرة كالسجود للصنم وهو الوثن ما يتخذ الها يعبد او الصنم للجسم والوثن الصورة
كما تقدم الكلام عليه وكالسجود للشمس والقمر باتخاذهما كالمعبود حقيقة والصليب
واصله الخشبة التى يصلب عليها ثم نقل الى ما يجعله النصارى على صورة الخشبة
والمصلوب بعود معترض على احرلز عمهم انه هيئة ما صلب عليه عيسى عليه
الصلاة والسلام فيعظمونه بالسجود له وكالسجود للنار التى يسجد لها المجوس
سواكان فى دار الحرب ام دار الاسلام بشرط ان تقوم قرينة على عدم استهزايه
او عذره وما فى الحلية عن القاضى عن النص ان المسلم لو سجد للصنم فى دار الحرب
لم يحكم بردته ضعيف وواضح ان الكلام فى المختار واستشكل الفرق بين السجود
للصنم وبين ما لو سجد الولد لوالده على جهة التعظيم حيث لا يكفر مع انه كما
يقصد به التقرب الى الله تعالى قد يقصد بالسجود للصنم ولا يمكن ان يقال
ان الله شرع ذلك للعلما والاباء دون الاصنام واجيب بان الوالد وردت الشريعة
بتعظيمه بل ورد شرع غيرنا بالسجود له فهذا الجنس ثبت له السجود ولو فى زمن
من الازمان وشريعة من الشرائع فكان شبهه دارئة لكفر فاعله بخلاف السجود
لنحو الصنم او الشمس فانه لم يرد هو ولا ما يشابهه فى التعظيم فى شريعة من الشرائع
فلم يكن لفاعل شبهة لا ضعيفة ولا قوية فكان كافرا ولا نظر لقصد التقرب فيما
لم ترد الشريعة بتعظيمه بخلاف من وردت بتعظيمه وما تقرر من ان العلما كالوالد
فى ذلك هو ما دل عليه كلام النووى فى الروضة اخر سجود التلاوة وعبارته
وسوا فى هذا الخلاف وفى تحريم السجود ما يفعل بعد صلاة وغيرها وليس من هذا

مايفعله

ما يفعله كثير من الجهلة من السجود بين يدى المشايخ فان ذلك حرام قطعا بكل حال
سواكان للقبلة او لغيرها وسوا قصد السجود لله او غفل وفى بعض صوره ما يقتضى
الكفر عافانا الله من ذلك انتهى فافهم انه قد يكون كفرا بان قصد به عبادة مخلوق
او التقرب اليه وقد يكون حراما بان قصد به تعظيمه او اطلق وكذا يقال فى الوالد
لا يقال ما ذكر فى الوالد لا ياتى فى العلما لانه لم ينقل صورة السجود لهم لانا نقول بل
ياتى فيهم لان تعظيمهم ورد به الشرع على انه ثبت لجنسهم السجود فى قوله تعالى
واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس وادم عليه الصلاة والسلام
كان بالنسبة للملائكة هو العالم الاكبر فثبت لجنس العلما السجود فكان شبهة
وكالسعى اى الذهاب الى الكنايس جمع كنيسة والبيع بكسر الموحدة وفتح المثناة
التحتية وبالعين مهملة جمع بيعة بكسر فسكون مع اهلها متعلق بالسعى اى
يمشى معهم لمعابدهم وهو يقتضى موافقتهم فى كفرهم وهو كالمتصريح بالكفر
فهو كفر وقيده بقوله مع اهلها لان المراد به انه يذهب معهم فى وقت ذهابهم
للعبادة فيها كما يسعى المسلمون للصلاة فى المساجد اذا نودى للصلاة على هيئة
تدل على موافقة لهم واما لمجرد الذهاب للكنيسة والدخول لها ليس بكفر وانما هو
مكروه ان كان لغير غرض صحيح وقيل لا يجوز اذا كان ثم صور ونحوه مما لا يقرون
على اظهاره والكنيسة والبيعة يقال لمتعبد اليهود والنصارى وقيل الاول
لليهود والثانى للنصارى وقيل الاول عام والثانى مخصوص بالنصارى وهو
المشهور وهما معربان وقيل الثانى عربى قال الراغب فان كان عربيا فى الاصل فهو
كقوله ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم اى كانهم يبيعون انفسهم
لمعبودهم والتزيى بزيهم وفى نسخة والزى بزيهم وهو بكسر الزاى المعجمة
وبالمثناة التحتية مشددة اى التحلى بحليتهم والتلبس بها وهو من زوى
بمعنى جمع فى الاصل وفى الاساس انه ياتى والزى الهيئة الظاهرة باللباس ونحوه
وفى نسخة بهيئتهم وبينه بقوله من شد اى ربط الزنار بضم زنارا وزنارة بضم
اوله وهو حزام للنصارى يشدونه فى اوساطهم وقيل انه بكسر اوله والمعروف
الاول وهو كالغيار كما ذكره الفقهاء وهو امر يختص بهم ويشترط عليهم
ليتميزوا به عن المسلمين وقد كان ذلك معروفا فى الصدر الاول بحيث ليس
زى الكفار سوا دخل دار الحرب او لا بنيته الرضى بدينهم او الميل اليه او تهاونا
بالاسلام كفر والا فلا واعترض ما ذكر فى مسئلة زى الكفار بما نقل عن الشافعى
رضى الله تعالى عنه انه لو سجد لصنم فى دار الحرب لم يحكم بردته وان لبس زى
الكفار فى دار الاسلام حكم بردته واجيب بحمل هذا الاطلاق على التفصيل
المذكور واختلفوا فيمن وضع قلنسوة المجوس على راسه والصحيح انه يكفر ولو سند

على وسطه حبلا فسئل عنه فقال هذا زنار فاكثرون على انه يكفر ولو شد
على وسطه زنارا ودخل دار الحرب لتجارة كفر وان دخل لتخليص الاسرى لم يكفر
قال الاذرعى واعلم ان كثيرا لعامة يسمون ما يشد به الانسان وسطه من حبل
ونحوه زنارا ولا يتخيل فى اطلاق هذا منهم كفر انتهى وفحص رؤسهم بفتح الفاء وحاء
مهملة ساكنة قبل صاد مهملة من فحص الارض اذا كشفها اى حلقوا وساطها وتركها
كمفاحص القطا لى ايا كنها وهو من شعارهم المعروفة فى ذلك الزمان وفى الخبر ستلقون
اقواما فى رؤسهم مفاحص فالقوها بالسيوف اى طيروها وهو عبارة عن ذلك
وفيه مبالغة وبلاغة عظيمة وتلميح لقول العرب فرخ الشيطان وعشش فى قلبه
وهوزى عبادهم فالتشبيه بهم قصدا كفر وهى رهبانية ابتدعوها كما حكاه الله
عنهم فقد اجمع المسلمون قاطبة على ان هذا الفعل وهى التلبس بهيئة مخصوصة
بالكفر لا يوجد ويصدر فعله الا من كافر حقيقة او حكما وان هذه الافعال
علامة على الكفر المضمر فى قلوبهم وان صرح فاعلها بالاسلام لانه تلاعب بالدين
لكنه ان كان مخلصا بقلبه نفعه ذلك فيما بينه وبين الله فمن صدق ما جاء به النبى
صلى الله عليه وسلم ومع ذلك يسجد للشمس كان غير مؤمن بالاجماع بان سجوده
لها يدل بظاهره على انه ليس بمصدق ونحن نحكم بالظاهر فلذلك حكمنا بعدم
ايمانه لان عدم السجود لغير الله داخل فى حقيقة الايمان حتى لو علم انه لم يسجد لها
على سبيل التعظيم واعتقاد الالهية بل يسجدها وقلبه مطمئن بالتصديق لم يحكم
بكفره فيما بينه وبين الله تعالى وان اجرى عليه حكم الكافر فى الظاهر وكذلك اى كما
حكم بكفر هؤلاء قد اجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل اى قال انه حلال له
او لغيره لمسلم ظلما او استحل شرب الخمر والزنا زاى معجمة ونون ونحوه مما حرم الله
ولا بد ان يكون استحلاله له بعد علمه بتحريمه اى بان الله حرمه شرعا كاصحاب الاباحة
من القرامطة الذين تقدم بيانهم من الاباحية الذين يعتقدون حل ما حرمه الله
وبعض غلاة المتصوفة الذين يزعمون ان الواصل الى الله يرفع عنه التكليف ولم يؤاخذ
بما يرتكبه من المحرمات ثم ما ذكر فى استحلال الخمر استبعده امام الحرمين بانا لا نكفر
من رد اصل الاجماع ثم اول ما ذكروه بما اذا صدق المجمعين على ان التحريم ثابت فى الشرع
ثم حلله فانه يكون ردا للشرع قال الرافعى وهذا ان صح فليجر مثله فى ساير ما حصل
الاجماع على افتراضه او تحريمه فنفاه واجاب عنه ابو القاسم الزنجانى بان مأخذ
التكفير ليس مخالفة الاجماع بل استباحة ما علم تحريمه من الدين ضرورة وسيأتى
لهذا تتمة عند ذكر المص له وكذلك يقطع جزما بلا تردد بتكفير كل من كذب
ايات الله او سنة رسوله المعلومة او انكر قاعدة من قواعد الشريعة وفى نسخة
الشرع والمراد بالقواعد ما بنى عليه الاسلام كاقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم

رمضان

رمضان والحج فليس المراد بالقاعدة مصطلح اصحاب المعقول فلذا فسره بقوله
وما عرف يقينا بالنقل المتواتر الذى يمتنع كذب قايله من فعل الرسول صلى الله عليه
وسلم او كان مشهورا عنه كحل البيع مثلا قيل ان المص اطلق هذا وهو مقيد
بان يكون مجمعا عليه معلوما من الدين بالضرورة لانه بصير كانه جاحد مكذب
للرسول صلى الله عليه وسلم ومعنى علمه بالضرورة استوا العامة والخاصة
فى معرفته حتى كالضرورى والمشهور فى حكمه على الصحيح عندهم فلو كان لا يعلمه
كل احد ككون بنت الابن سهمها كذا فيعذر منكره واحترز بقوله يقينا عن حكم
الاجماع الظنى وقد يقال ان قوله ووقع الاجماع الخ مقيد له فلا حاجة لما
ذكروه وقوله المتصل اى الذى لم يتخلله عدم اجماع يقطعه وقوله عليه متعلق
بالاجماع كمن انكر وجوب الصلاة الخمس من حيث هى او انكر عدد ركعاتها سجداتها
فيكفر بانكار ما اجمعوا عليه يقينا ويقول فى وجه انكاره انما اوجب الله فى كتابه
القران الصلاة على الجملة اى اجمالا من غير بيان عدد وقوله ذلك حكاية لصورة
الحال الماضية لاستغرابها وكونها خمسا وعلى هذه الصفات والشروط لا اعلمه
وعلل قوله المذكور بقوله اذ لم يرد به فى القران نص جلى اى مفصل فى غاية الظهور
والجلاء وانما ورد مجملا كقوله اقم الصلاة وغيرها من الايات واراد بالنص
الجلى ضد الخفى وهو المتواتر ولما كان هذا مبينا بالسنة اشار لدفعه بقوله
والخبر اى الحديث الوارد عن الرسول اى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم
بتفسيرها اى ببيان اجماله واظهاره وجلاؤه خبر واحد لا متواتر فلا يفيد القطع
واليقين وقد اجيب عنه بانه متواتر معنى وقد وجب علينا العمل به اجماعا
لقوله وما اتاكم الرسول فخذوه وقوله فليحذر الذين يخالفون عن امره
الاية وفى الانوار من كتب الشافعية انه لو انكر السنن الراتبة او صلاة
العيدين كفر قال ابن حجر والذى يتجه كفر من انكر سنة راتبة مجمعا عليها معلومة
من الدين بالضرورة كما يدل له قوله او صلاة العيدين لكن انكار احدهما كذلك
خلافا لما يوهمه قوله السنن الراتبة وقوله العيدين بل يكفى فى الكفر انكار
سنة واحدة بالشروط المذكورة وكذلك اجمع اى اجمع المسلمون على كفر من قال
من الخوارج ان الصلاة الواجبة طرفى النهار فقط والمراد بطرفى النهار اوله
واخره فكانوا يجمعون الصلاة فى وقتين من غير عذر وهذا لا يجوز عند احد
من فقهاء المذاهب الاربعة وفى صحيح مسلم وسنن ابى داود عن ابن عباس
رضى الله عنهما انه قال جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الظهر والعصر
وبين المغرب والعشاء بغير عذر ولا مطر بالمدينة فى غير خوف وقال ابن عباس
اراد ان لا يحرج امته وحمله بعضهم على المرض واخذه من نفى الحرج وعلى كل

حال ففيه نظر وقال بعضهم ومن قال الكفر خير مما يفعل ان اراد به ان في الكفر خيرا
ولو بوجه مما كان كافرا والا فلا ومن قال طيب الحلال ان لا اصلي فالظاهر انه
يكفر لانه جعل ترك الصلاة من حيث هي من الحلال بل اطيبه وهذا كفر بلا
نزاع لان فيه انكار وجوب الصلاة الشاملة للخمس وذلك كفر واجمعوا
ايضا على تكفير الباطنية وهم الاسماعيلية والقرامطة القايلون بان للنصوص
باطنا غير ظاهرها الذي يفهمه الناس وهو معنى قوله في قولهم ان الفرايض كالصلاة
وغيرها مما جاءت به النصوص القطعية اسما رجال امروا بولايتهم بكسر الواو
وفتحها مصدر كالدلالة والدلالة اي نصرتهم واتباعهم فيقولون الصلاة
الرسول والوضوء الامام ونحوه من الخزافات التي فصلها النويري في تاريخه
وفسروا الخبايث والمحارم جمع محرمة ومحرمة وهي الحرمة فالمراد بها المحرمات
اسما رجال امروا بالبراة منهم بالتبري منهم والبعد عنهم بعداوتهم ومخالفتهم وقول
بعض الملاحدة من المتصوفة الذين يظهرون الزهد والصلاح ان العبادة
كالصوم والصلاة وطول المجاهدة اي مخالفة النفس وملازمة الطاعة
فانه الجهاد الاكبر اذا صفت بتشديد الفا نفوسهم اي نفوس اصحابها اي خلصت
من الكدورات الشهوانية افضت بهم اي اوصلت نفوسهم واصله الادخال
في فضا واسع الى اسقاطها اي اسقاط الفرايض والتكاليف عنهم واباحة كل شي
من المحرمات لهم ورفع عهدة الشرايع عنهم اي ما عهده الله من التكاليف وانما ذهب
الى هذا بعض الزنادقة وقال انه روى اذا احب الله عبدا لم يضره الذنب وهذا
لم ينقله احد ولو صح فهو مؤول بان يحفظه عن ارتكاب الذنوب فمعنى لا يضره
الذنب انه لا يفعل ذنبا حتى يضره كما ان معنى قول بعضهم رفع عنه التكليف انه
يلتذ بها حتى لا يعدها تكليفا او انه يغلب عليه محبة الله حتى يخرج عن العقل
فيصير مجنونا غير مكلف فهو من عقلاء المجانين كما يشاهد في بعض المجاذيب
فان ادعى رفع التكليف عمن لم يخرج من دايرة العقل فهو كافر بالاتفاق وكذلك
يحكم بكفره ان انكر مكة او البيت وهو الكعبة والبنية المعروفة او المسجد
الحرام وهو مسجد مكة او انكر صفة الحج التي ذكرها الفقها من واجباته واركانه
ونحوها او قال الحج واجب في القران بقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من
استطاع اليه سبيلا ونحوه واستقباله القبلة كذلك اي واجب في القران
بقوله فول وجهك شطر المسجد الحرام الاية ولكن كونه اي المذكور من الحج
والاستقبال على هذه الهيية المتعارفة شرعا عند ساير الناس وان البقعة
المعروفة هي مكة والبيت والمسجد الحرام لا ادري واعلم هل هي تلك او بقعة
وارض غيرها وقال ايضا لعل الناقلين ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرها

وبينها

وبينها للناس بهذه التفاسير المعلومة غلطوا في نقلها ووهموا اي وقع في اوهامهم
ما ليس كذلك فهذا القايل ما ذكر ومثله ممن يشكك في معاني النصوص المتواترة
لا مرية بكسر الميم وقد تضم اي لا شك في تكفيره اي الحكم بكفره لانكاره ما علم
من الدين بالضرورة وابطاله الشرع وتكذيبه لله ورسوله ان كان ممن يظن به
علم ذلك وذكا الظن لا العلم يعلم بالطريق الاولى وكان ممن يخالط المسلمين
في دار الاسلام وامتدت صحبته لهم اي للمسلمين بين اظهرهم في ديارهم الا ان يكون
ذلك القايل حديث عهد اي قريب جديد تلبسه بالاسلام بان اسلم بعد كفره
في غير دار الاسلام فهو معذور بجهله بما ذكر كمن نشا في بادية او جزيرة ولم يسمع
احكام الاسلام فيقال لتعلمه له ارشادك وسبيلك اي طريقك الذي يجب
عليك سلوكه ان تسال من الناس عن هذا الذي لم تعلمه مما ذكر كله بعد ظرف مبني
على الضم اي بعد ما كنت الى الان كافة المسلمين مفعول تسال اي جميعهم فلا تجد
بينهم خلافا اي لا تجد منهم من يخالف في تحقيق ما ذكر لعلمه له بمشاهدة او تواتره
كافة عن كافة اي يعرفه جميع اهل عصر يلقونه عن جميع اهل عصر قبلهم بحيث
لا يخفى ذلك على احد منهم ونفى دخول الجار على كافة مع قول النحاة انها تلزم النصب
على الحالية تفصيل بيناه في شرح الدرة وعن بمعنى بعد كما يقال كابرا عن كابر اي جميع
القرون قرنا بعد قرن حتى ينتهي الى معاصري الرسول صلى الله عليه وسلم اي
من كان في عصره وزمنه ان هذه الامور التي سالتهم عنها كما قيل لك اي على هذه الهيية
التي ذكروها لك وعلموها لك وهو ان تلك البقعة المعينة بسمائها هي مكة بلد الله
الامين والبيت الذي هو مبني فيها هو الكعبة سميت بها لعلوها وارتفاعها او لكونها
مكعبة اي مربعة والقبلة التي يستقبلها الناس بوجوههم كما هو معناطيس
انفسنا فحيثما كانه دارت نحوه الصور التي صلى اليها النبي صلى الله عليه وسلم
وصلى اليها المسلمون كلهم بعد ما حولت القبلة عن بيت المقدس من ساير نواحي
الارض وحجوا اليها اي قصدوها من كل فج عميق وطافوا بها تعبدا كما امرهم الله
وان الافعال التي تفعلها الحجاج من الاحرام والطواف والسعي والحلق ورمي
الجمار وغيره من صفات عبادة الحج المامور بها وانها هي ايضا المراد به في النصوص
المنقولة لنا وهي اي تلك الافعال المذكورة التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم
وفعلها المسلمون بعده قرنا بعد قرن وان صفات الصلاة المذكورة المشهورة
المنصوص عليها في القران هي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله بذلك
اي تبين المراد منها بفعله ليقتدى بها وابان حدودها اي عرفنا حقيقتها واوقاتها
المؤقتة لادايها فيقع لك بسوالك عما لم تعلمه العلم بما ذكر وصفته كما وقع لهم
العلم بذلك ولا ترتاب بذلك اي لا يقع لك فيها شك وتردد بعد بالبنا على الضم

اى بعد ما علمته بسؤالك منهم وهذا حال من يعذر بجهله والمرتاب فى ذلك المعلوم
من الدين بالضرورة والمنكر لذلك بعد البحث عنه ومعرفته بالسوال عنه وصحبة
المسلمين كافر بالاتفاق ولا يعذر بقوله لا ادرى المراد بذلك ولا يصدق فيه
اى فى قوله لا ادرى بل ظاهره التستر باظهار جهله عن التكذيب لله ورسوله
صلى الله عليه وسلم فيما نقل عنه اذ لا يمكن انه لا يدرى ذلك مع تواتره وثبوت
صفاته وقد قيل عليه ان ظاهره متناقض لانه قال اولا ان القايل ما ذكر كافر
الا ان يكون قريب عهد باسلام وقال هنا انه لا يعذر وليس بشى لانه لا يكفر اذا كان
حديث عهد قبل تعلمه وهنا انه يكفر بعد التعليم كما يكفر غيره وايضا فانه اى
المنكر اذا جوز على جميع الامة الوهم والغلط فيما نقلوه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ذلك المذكور من امور الحج والصلاة واجمعوا على انه قوله الرسول
صلى الله عليه وسلم المروى عنه برواية صحيحة وفعله الذى فعله ليقتدى به
وتفسيره صلى الله عليه وسلم لما جاء عن الله اى واجمعوا ايضا على ان فعله هذا
تفسير وبيان لمراد الله تعالى به اى بما دل عليه ما اجمعوا على انه قول الرسول الذى
بلغه عن ربه من الصلاة والحج فبين بفعله صفة ادايه ووجوبه وغير ذلك مما
مر فقوله هذا مع علمه او بعد تعلمه ادخل الاسترابة استفعال من الريبة وهى
الشك وهو جواب اذا اى اوقعها فى جميع احكام الشريعة لانها انما تعلم بنقل
الامة فاذا طعن فيهم فى بعضها سرى ذلك لجميعها اذ هم الناقلون لها وللقران
بروايتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا وقعت ريبة فى نقلهم انحلت
عرى الدين جمع عروة وهى ما يتمسك به من الحبل وقد استعير للحبل الدين والقران
فانه يتوصل به الى الله فعروته الادلة التى فيه فانحلالها سقوط الاستدلال بها
فهو استعارة اخرى تصريحية او تخييلية والعروة فى الاصل ما له ثابت من الكلا
والدواب ترعاه اذا لم تجد غيره فاستعمل لكل ما يعتصم به وقوله كرة هى فى الاصل
مصدر من الكر وهو العطف على الشى بالذات او بالفعل ويقال للحبل العتول كر
كما قاله الراغب اى دفعة واحدة وجملة ومن موصول مبتدا اصلته قال هنا اى انكار
ما اجمعوا عليه كافر بانكاره المجمع عليه وكذلك اى كما كفرنا هذا نكفر من انكر القران كله
او انكر حرفا منه او كلمة او غير شيا منه بابدال او زيادة او نقص فيه او زاد فيه كلاما
ليس منه والمراد ان ما زاد او نقص ولم يكن برواية صحيحة ونقل معتمد فلا يدخل القرات
كقراة تجرى تحتها الانهار مع قراة من تحتها وكالبسملة فى الفاتحة عند الشافعى وغيره
ولظهوره لم يقيد المص كلامه هنا فلا معنى للاعتراض به فان سياقه صريح
فيه لمن عنده ادنى بصيرة كقول الباطنية والاسماعيلية هم فرقة واحدة سموا
باطنية لزعمهم ان للنصوص ظاهرا هو تكليف ومشقة وباطن بخلافه فهو رحمة

والاول قشر للعوام والثانى لب لخواص الانام وفسروا به قوله تعالى فضرب بينهم بسور له
باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وسموا اسماعيلية لانتسابهم
لاسماعيل بن جعفر بن محمد الباقر وقالوا هو الامام المعصوم المنصوص على امامته
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهم خرافات ومجازفات قصدهم بها ابطال
الشريعة الى الحادهم لا حاجة لنا بها فان بطلانها غير محتاج لدليل ومنهم القرامطة
كما مر او زعم انه اى القران ليس بحجة اى لا يحتج به لما فيه من الاحكام لان ظاهره
غير مراد منه فلا حجة فيه للنبى صلى الله عليه وسلم او زعم انه ليس فيه حجة
لاثبات حكم او نفيه ولا هو ايضا معجزة دالة على نبوته صلى الله عليه وسلم
لانه ينكر اعجاز القران ويزعم ان للبشر قدرة على مثله واليه ذهب بعض
غلاة الرافضة كالمزدارية تكفل الحشو بابطالها وقال ابن حجر بعد كلام المص
يحتمل ان يريد به ما يشمل ما ليس بمعجز بذاته فمن قال ليس بمعجز بذاته وانما هو
لكون الله صرف القوى عن معارضته كفر والتصريح بكفره مشى عليه الحنابلة
وكلام المص هذا الذى اقره عليه النووى قد يويده والذى يظهر لى عدم كفره
لان هذا لا يترتب عليه طعن فى الدين ولا تكذيب لضرورى من ضرورياته بخلاف
منكر الاعجاز من اصله ثم رايت بعض المتكلمين على الشفا حكى ذلك قولا فى معنى الا
عجاز ورجح تكفير قايل ذلك بعيد وجزم ابن عقيل بان من امتهن القران او غمصه
او طلب تناقضه او ادعى انه مختلف فيه او مختلق او مقدور على مثله
ولكن الله منع قدرتهم كفر بل هو معجز بنفسه والعجز شمل الخلق انتهى كقول هشام
الفوطى قال فى التبصرة هشام ابن عمرو الفوطى من القدرية وزاد فى مذهبهم
امورا باطلة وقال لجهله انه لا يسمى الله الوكيل ولم يعرف انه بمعنى الكافى والحفيظ
وانكر المعجزات وهو بضم الفا وقيل البا الموحدة وسكون الواو وطا مهملة
قبل يا النسبة ومعمر بميمين مفتوحتين بينهما عين مهملة ساكنة وهو من المعتزلة
الصيمرى بفتح الصاد المهملة ومثناة تحتية ساكنة وفتح الميم ورا مهملة
منسوب لصيمر موضع او بلدة وفى نسخة الضمرى بفتح الضاد المعجمة منسوب
لضمرة قبيلة كما قاله التلمسانى وفى التبصرة معمر بن عباد تنسب له المعمرية ونسبت له
خرافات يمجها السمع انه اى القران لا يدل على الله وانما كفر بذلك لانه انكر الكلام
واثباته لله وقال بعدم اعجاز القران ولا حجة فيه لرسوله صلى الله عليه وسلم
لانكاره اعجاز القران ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حلال ولا حرام لانه
يقول انه ليس لله كلام ولا امر ولا نهى كما فى التبصرة ولا حكم فيه لله ولا محالة
فى كفرهما اى لا بد من تكفيرهما بذلك القول الذى لا فاه كما سمعته الفا وكذلك
نكفرهما بانكارهما ان يكون فى ساير معجزات النبى صلى الله عليه وسلم حجة له

اي معجزة تصدقه في دعواه او بانكارهما ان يكون في خلق السموات والارض دليل
على الله لدليل مصنوعاته سبحانه وتعالى من غير شك وفي كل شئ له اية تدل على انه
واحد لانه كما في التبصرة قال ان الله لم يخلق شيا من الاعراض وان الاجسام نفعلها
بطبايعها الى غير ذلك مما ينبغي تطهيرا لالسنة عن مثله لمخالفتهم الاجماع والنقل
المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم باحتجاجه متعلق بالمتواترة وا ليضمر له
صلى الله عليه وسلم بهذا كله اي القران والمعجزات وخلق السموات والارض
دليل على وجود صانعها وعلى رسالته فانها حجج قاطعة وتصريح القران به اي بكون
ما ذكر حجة ومعجزة كقوله فاتوا بسورة من مثله وكقوله اقتربت الساعة وانشق
القمر ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وانما الله اله واحد ونحوه
وكذلك نحكم بكفر من انكر شيا مما نص القران فيه كالقيامة وفي نسخة مما نص في
القران بعد علمه انه من القران حتى لا يعذر بجهله الذي في ايدي الناس ومصاحف
المسلمين يقرأ في كل زمان ولم يكن جاهلا به تاكيد لما قبله ولا قريب عهد بالاسلام
حتى يجهل ذلك واحتج لانكاره شيا من القران اما ان يحتج بانه لا يصح النقل اي نقل القران
الينا عنده اي في اعتقاده ولا بلغه اي وصل اليه العلم به او اما لتجويزه الوهم اي
الخطا على ناقليه فيكفر بالتحقيق وبنا الفاعل او بالتشديد وبنا المجهول اي نحكم
بكفر هذا القايل المذكور بالطريقين المتقدمين اي لمخالفة الاجماع والنقل الصحيح
عنه صلى الله عليه وسلم لانه مكذب للقران بانكاره وانكار ما نص عليه
فيه ومكذب للنبي صلى الله عليه وسلم بانكار معجزته التي جا بها لكنه تستر بدعواه
التي لا يعذر بها وكذلك يكفر من انكر الجنة او النار نفسهما او محلهما وهو جهنم
مثلا اي انكر ايجادهما يوم القيمة واما من انكر وجودهما الان كبعض المعتزلة
فانه خطا ايضا لكنه قيل انه لا يكفر به لا قراره بهما وان كانت المنصوص داله
على بطلان ما قال كما بين في كتب الاصول والبعث اي وكذلك يكفر من انكر البعث
اي احيا الله الموتى وبعثهم اي اخراجهم من قبورهم او انكر الحساب اي كون الله
يحاسب عباده ويسالهم عن اعمالهم يوم القيامة لاقامة الحجة عليهم واظهار
حالهم وان كان الله عالما بذلك او انكر القيامة اي قيامهم في الحشر بين يديه سبحانه
وتعالى بعد احيايهم واخراجهم من القبور فهو كافر باجماع النص عليه في القران كقوله
تعالى ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون ويوم نحشر
المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا ونضع الموازين القسط
ليوم القيامة يوم يقوم الحساب وغيره من النصوص وحديث الشفاعة العظمى
شاهد له واجماع الامة اي امة الاجابة المسلمين على صحة نقله اي النص به متواترا
بحيث لا يمكن النزاع فيه وكذلك نكفر من اعترف بذلك اي الجنة والنار والبعث

والحساب

والحساب والقيامة ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر اي جمع الناس في الموقف
والنشر اي خروجهم من القبور منتشرين والمراد بالثواب والعقاب المذكور
في القران والنصوص معنى غير ظاهره المتبادر منها وانها اي الامور المذكورة كلها
لذات والام فغيه اكتفا روحانية بضم الرا وفتحها بنسبته الى الروح وهو مابه
الحياة ويزاد الالف والنون فيه سماعا على خلاف القياس وتطلق الروحانيون
على الملايكة والمراد هنا امر يتعلق بالروح من اللذة والالم والروحاني يكون
بمعنى الطيب ومعان تدرك بالعقول دون الحس باطنة غير محسوسة كقول
النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة الذاهبين الى ان الحشر
غير جسماني بل روحاني وزعمهم الفاسد في تاويلهم النصوص فقالوا ان معنى
القيامة الموت الذي هو ضد الحياة او فنا محض اي عدم محض خالص وانتقاض
بضادمجه اي تغيير هيئة الافلاك التي هي عليها الان وتحليل العالم بمثابة
فوقية وحامهملة اي حل تركيبه وابانة بعضه من بعض كقول بعض الفلاسفة
المنكرين للقيمة والبعث وما ذكره المص عن بعض المتصوفة مراده بهم الزنادقة
الملحدون المتسمون بسمتهم واما مشايخ الصوفية فحاشاهم من مثله ولا ينبغي
تسميتهم متصوفة بل هم صوفية حقيقة وكذلك كما كفرنا هؤلاء نقطع بتكفير
غلاة الرافضة جمع غال وهو المتجاوز حده في الغلو والمبالغة في ادعا في قولهم
ان الايمة هم عندهم على واولاده رضي الله تعالى عنهم الذين يقولون بان الامامة
حقهم افضل من الانبيا كما قدمناه في هذا الباب وهولا الطايفة تسمى نصيرية
يبالغون في مدحهم بزعمهم الباطل حتى ادعى بعضهم انهم الهة وهؤلا اشد كفرا
من النصارى فاما من انكر من هؤلاء ما عرف بالتواتر من الاخبار جمع خبر المنقولة
عن الصحابة والسير بزنة عنب جمع سيرة وهو ما يتعلق بغزواتهم واسفارهم
وانكار البلاد البعيدة كخراسان والعراق التي لا يرجع انكارها الى ابطال شريعة
مما شرعه الله لعباده فلا يفضي اي يوصل الى انكار قاعدة من قواعد الدين لعدم
تعلقه به كانكار غزوة تبوك او غزوة موته اما تبوك فاسم عين ماء وسمي به موضعها
وهو من ارض الشام بقرب مدين وهي ماخوذ من باك الحمار الاتان اذا نزى عليها
او من باكت الناقة اذا سمنت وسميت بها لانه صلى الله عليه وسلم غزاها
في رجب سنة تسع فصالح اهلها على الجزية من غير قتال فاشبهت الناقة السمينة
في خيرها وقيل لان رجلين سبقاها وساوها يبض لقلته فجعلا يدخلان فيها سهما
ليكثر ماوها فقال لهما صلى الله عليه وسلم ما زلتما تبوكانها منذ اليوم وموته
بضم الميم وهمزة ساكنة وتبدل واوا وتا مثناة فوقية قرية من ارض البلقا بطرف
الشام قريبة من الكرك على مرحلتين من القدس كان بها تلك الغزوة لانهم قتلوا رسولا

ارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم فجهزوا اليهم جيشا في سنة ثمان وقيل سبع
فقتل بها جماعة من المسلمين ثم فتحها خالد بن الوليد وقصتهما مفصلة في السير وتقدم
في ذلك ما فيه الكفاية وانما لم يكفر منكرهما لانه لا يترتب على انكاره امر ديني وكما لا
يكفر من انكر وجود ابي بكر الصديق رضي الله عنه او وجود عمر ابن الخطاب او انكر
قتل عثمان في قصته الدار المتواترة او انكر خلافة علي بن ابي طالب ونحوه مما علم وجوده
بالنقل ضرورة لان التواتر يحصل به علم ضروري يقتضي لا يشك فيه وليس في انكاره
لذلك جحد شريعة اي لا امر شرعي متعلق بالدين فلا سبيل الى تكفيره اي المنكر
لما ذكر بجحد ذلك ونفي وجوده وانكاره ووقوع العلم له اي ان يكون عنده علم
به انه ليس في ذلك الانكار والجحد امر يقبح اكثر من المباهتة هي مفاعلة من البهتان
وهو الافترا والكذب ومثله لا يعد كفرا وهي المفاجاة بالتكذيب حتى يبهته
ويحيره قال فبهت الذي كفر اي سكت لحيرته وهذا كله ظاهر فما قيل من انه
يلزمه تكذيب نقلة الحديث في الغزوات لا وجه له لا يعد كفرا وكذا ما قيل من ان انكار
وجود ابي بكر فيه تكذيب للقران في قوله تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار الاية لان
انكار ذاته ليس بكفر من حيث هو فان عرفه وانكر صحبته التي في القران فهو
كفر واما انكار صحبته غيره فصريح كلامهم انه لا يكون كفرا لكن اختار
بعضهم ان انكار صحبته غيره المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة كفر واجيب
بان شرط انكار المجمع عليه الضروري ان يرجع الى تكذيب امر تعلق بالشرع بخلاف
ما لا يتعلق بذلك وانكار صحبته غير ابي بكر لا يتعلق به ذلك بخلاف انكار صحبته
لان فيها تكذيب القران فتدبر كانكار هشام الفوطي الذي تقدم انه من غلاة
الرافضة وعباد الصيمري الذي تقدم ايضا وقعة الجمل التي كانت بالبصرة بين
علي ومعاوية رضي الله عنهم فخرجت عايشة ام المومنين رضي الله عنها على جمل لها
لتصلح بين الفيتين فكان ما كان من ذلك الحرب العظيم ولذا سميت وقعة الجمل
وسبب انكارهم هذه الوقعة لابن حزم كما قاله مغلطاي غلط وكانت الوقعة سنة
ست وثلاثين ووقعة صفين سنة تسع وثلاثين فكانت عايشة على جمل يسمى عسكر
وفيها قتل جماعة من الصحابة والقصة مشهورة في التواريخ وانكار محاربة علي رضي الله
عنه من خالفه من الخوارج الذين كانوا بايعوه اولا ثم لما جرى امر التحكيم انكروه
وقالوا لا حكم الا الله وهي كلمة حق اريد بها باطل وتفرقوا فرقا ولهم اعتقادات مخالفة
لاهل السنة فكانت بينهم حروب عظيمة قد اشتهرت حتى افردت بالتاليف وفرقهم
واعتقاداتهم مفصلة في كتاب التبصرة لا يهمنا ذكره هنا فاما ان ضعف المنكر
لما ذكر مع تواتره وضعف شدد مبني للفاعل او للمفعول ذلك المتواتر اي لاجل اتهامهم
بالكذب من اجل الاخبار التي تعود لا مر شرعي من اجل تهمة الناقلين اي لاجل اتهامهم

باالكذب

بالكذب ووهم ما من شدد معطوف على ضعف او مصدر بزنة ضرب معطوف
على تهمة المسلمين اجمع اي قال ان جميع المسلمين مخطيون في نقلهم فنكفره بذلك
الذي اخطاه من خطا جميع المسلمين واتفاقهم على الكذب لسريانه اي افضايه
وتعديه الى ابطال الشريعة المحمدية لانها انما تعلم بنقل المسلمين فاذا جوز
اتفاقهم على الكذب لم يوثق بنقلهم في شيء اصلا وتكفيره لانكاره اجماع
المسلمين وهو كفر فاما من انكر الاجماع اي اجماع المسلمين المجرد وفسر المجرد
بقوله الذي ليس طريقه اي ما يستند اليه النقل المتواتر عن الشارع المراد بالمتواتر
ما من شانه التواتر وقيل المراد بالمجرد عن القراين التي تجعله قطعيا فاكثر المتكلمين
المراد بهم هنا العلما ولذا بينهم بقوله من الفقها والنظار جمع ناظر في هذا الباب
اي في هذه المسايل المتعلقة بالتكفير قالوا اي اعتقدوا وجزموا بتكفير كل من خالف
الاجماع الصحيح اي المستجمع للشروط المذكورة في كتب الاصول كما بينه بقوله الجامع
لشروط الاجماع المتفق عليه عموما في كل اجماع واعلم ان حقيقة الاجماع العزم قال
تعالى فاجمعوا امركم ثم شاع في الاتفاق وهو من الجمع وهو حقيقة في الاجتماع مجاز
مشهور في المعاني ومعناه اتفاق مجتهدي هذه الامة وقال البغوي هو نوعان عام
كاجماع الامة على الصلاة وعدد ركعاتها مما يعرفه العامة والخاصة وانكاره
كفر الا ان يكون منكره حديث عهد باسلام وخاص وهو ما يعرفه الخاصة
كبطلان نكاح المتعة ولا يكفر جاحده وانما يحكم بخطابه وكذا كل اجماع لا يعرفه
الا العلم كحرمة نكاح المراة على عمتها والاجماع واقع ويمكن الاطلاع عليه على
الصحيح وحجة واختلفوا في حجته هل هي قطعية او ظنية عقلية او سمعية
او مركبة منهما ولم يختلف في حجته الا من لا يعتد به كالنظام وبعض الشيعة
كما ياتي وحجتهم التي استدلوا بها قول الله تعالى ومن يشاقق الرسول اي يخالفه
ويعاديه فيكون في شق والرسول في شق اخر من بعد ما تبين له الهدى الاية وتمامها
ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وسبيل
المؤمنين طريقهم التي اتفقوا عليها فوعيده عليه يقتضي انه دخل طريقا غير
طريق المسلمين وهو الكفر وحجتهم من السنة قوله صلى الله عليه وسلم
كما رواه ابو داود في سننه وصححه من فارق الجماعة اي المسلمين واهل الحق وروى
من فارق الجماعة بترك السنة واذا المحقوق واتباع البدعة والبغاة والمحاربين
قيد شبر بكسر القاف وسكون المثناة التحتية ودال مهملة والقيد والقاد
بمعنى القدر وشبر بكسر الشين المعجمة وسكون الموحدة وراء مهملة ما بين طرفي
الخنصر والابهام منفرجا اذا قيس به وهو كناية عن القلة فقد خلع ربقة بكسر
الراء المهملة وسكون الموحدة وقاف وهي حبل يقاد به وقد تقدم اي نزع عقد

الاسلام من عنقه فهو كناية عن معارفة الاسلام وتركه بالكلية تشبيها له
بحيوان ينقاد بحبل فترك الحبل وهرب من قايده وفيه اشارة الى انه كالانعام بل اضل
والربقة في الاصل عروة تجعل في يد البهيمة او عنقها تمسك بها فشبه الاسلام
بمنع المجاوزة لما لا ينبغي بها واضافها اليه على طريق التشبيه الموكد اي خلع الاسلام
المانع له كالعروة المانعة لها من الضيا او شبه ما يكزمه من احكام حدوده واوامره ونواهيه
المانعة له بالربقة المانعة لها على طريق الاستعارة التحقيقية واثبت لها الخلع ترشيحا
وحكوا اي الفقها والنظار في ذلك الاجماع على تكفير من خالف الاجماع لما في الاية المذكورة
من الوعيد لمن تبع سبيل المومنين وهو الاجماع ومثله يكون للكفرة وحكاية المصنف تكفير
من جحد الاجماع مناف لما ذكره بعده من التوقف فيه بقوله وذهب اخرون من اهل الاصول
الى الوقوف اي التوقف فيه من غير قطع بتكفير وعدمه وقد وقع في نسخة التوقف
عن القطع اي الجزم بتكفير من خالف الاجماع الذي يختص بنقطه العلماء فلم يقطعوا
بتكفير ولا عدمه وقيده بهذا ليخرج الاجماع فيما يتعلق بالصنايع لكنه يدخل فيه
اجماع اهل العربية وفيه كلام في شرح المغني ظاهره انه غير معتد به ومثله في خصايص
ابن جني ولنا بحث ذكرناه في السوانح وذهب قوم اخرون من العلما الى التوقف اي عدم
الجزم في تكفير من خالف الاجماع الكاين عن نظر كالقياس الحاصل باجتهاد لا بد له من مستند
كتكفير النظام بفتح النون وتشديد الظا المعجمة وهو ابراهيم بن بشار وابن شيبان
بمعجمة وموحدة بعد اليا المثناة التحتية والف ونون ابو اسحاق مولى بني الحارث بن
عباد بن قيس بن ثعلبة احد فرسان المتكلمين من المعتزلة وله احاطة بالفنون
العقلية وله شعر رقيق كان في دولة المعتصم بانكاره الاجماع كما انكر القياس
وحجيتهما لانه بقوله هذا مخالف لاجماع السلف على احتجاجهم به اي بالاجماع
خارق للاجماع اي مخالف للاجماع منهم ومن غيرهم والخرق كما قال الراغب القطع
على سبيل الفساد من غير تدبر وهو ضد الخلق الذي هو فعل بتقدير ورفق وباعتبار
القطع قيل خرق الثوب وخرق المفازة ومنه الخرق والمخرقة كما فصله في مفرداته
فعبر في الاجماع بالخرق لانه قطع له من غير تدبر وحكم بخلافه قال تعالى
وخرقوا له بنين وبنات بغير علم تنبيه قال الشيخ والدي رحمه الله تعالى
الشيخ احمد ابن حجر الهيتمي في الفتاوى والاعلام قال ابن دقيق العيد مسايل الاجماع
ان صحبها التواتر كالصلاة كفر منكرها لمخالفة المتواتر لا لمخالفة الاجماع وان لم
يصحبها التواتر فلا يكفر نافيها وفرق الزركشي بين منكر المجمع عليه وعدم تكفير
منكر اصل الاجماع بان منكر الحكم موافق على كون الاجماع حجة ثم انكر اثره المترتب
عليه فكفرناه بخلاف منكر الاصل فانه لم يوافق على شي البتة وفي فرقه نظر
لاقتضايه ان منكر الحكم لا بد ان يسبق منه اعتراف بحجية الاجماع وهو مخالف

لاطلاقهم

لاطلاقهم فالذي يتجه ان ملحظ التكفير انكار الضروري سوا اسبق اعترافه بحجية
الاجماع ام لا فان قلت هل بقي فرق بين انكار اصل الاجماع حيث لم يكن كفرا وانكار الحكم
المجمع عليه الضروري حيث كان كفرا قلت نعم وتقدم قبله مقدمة وهي ان النظام
وغيره انما انكروا كون الاجماع حجة زعما منهم انه لا يستحيل الخطا على اهل الاجماع وانه
لا دليل على عصمتهم قطعا اذ ما استدل به على ذلك يحتمل التاويل فالاجماع الذي
انكروه هو تطابق العلما مع تفرقهم وكثرتهم على راي نظري وليس هذا كانكار الضروري
الذي هو تطابقهم على الاخبار عن محسوس على نقل التواتر وذلك قطعي لحصول العلم
الضروري به والقطع فيه يسري الى ابطال الشريعة من اصلها فتطابق العلما على
راي واحد نظري لا يوجب العلم القطعي الا من جهة الشرع فلم يكن انكار كونه من اصله
حجة ولا انكار افادته القطع من الاعتراف بحجيته مكفرا على الاصح بخلاف انكار
الضروري فانه يجر الى انكار الشريعة بل الشرايع كلها فمن ثم كان كفرا كما تقرر فاتضح
الفرق بين انكار اصل الاجماع او كونه حجة قطعية وبين انكار الضروري وبما قررته
يعلم رد تنظير الغزالي في كفر جاحد المجمع عليه بان النظام انكر كون الاجماع حجة
فيصير مختلفا فيه ووجه رده ان النظام لا ينكر الحكم كما مر وعلى التنزل فهذا الانكار
مبتدع ضال فلا نظر لانكاره ولا لخلافه فان قلت نافي حكم الاجماع اخف حالا
من المجمع عليه لان الاول ليس معه اعتقاد مخالف بخلاف الثاني فان الجحد يقتضي
سبق الاعتراف والاعتقاد قلت اذا تاملت ما سبق من التقرير علمت ان الملحظ
في التكفير انما هو انكار الضروري المستلزم لانكار الاجماع بخلاف انكار الاجماع
من اصله او حجيته او المجمع عليه الغير الضروري فانه لا يكون كفرا خلافا لما يوهمه
كلام بعض المتاخرين فاذا تدبرت هذا الذي قررته واستحضرت قواعدهم
ظهر لك انه احق بالاعتماد والتصويب مما ذكره بعض المتاخرين هنا انتهى ملخصا
وقال القاضي ابو بكر الباقلاني القول المعتمد عندي ان الكفر بالله تعالى حقيقة معناه
شرعا الجهل بوجوده عز وجل وان الايمان الذي هو ضد الكفر بالله تعالى معناه العلم
بوجوده وانه اي الشان لا يكفر احد بقول يقوله ولا راي يعتقده الا ان يكون ذلك
المذكور من قول وراي هو الجهل بالله تعالى فنكفره بعدم العلم به او انكار وجوده
وهذا القول نقله عنه في سراج العقول وتقدم ايضا وذلك اما حقيقة الجهل
او ما يستلزمه كما اشار اليه بقوله فان عصى الله ورسوله بقوله او فعل نص الله
تعالى او رسوله اي ذكره صريحا في كتاب وسنة او اجمع المسلمون على انه لا يوجد
بالجيم اي لا يصدر ولا يقع الا من كافر كانكار الشرع او رسالة محمد صلى الله عليه
وسلم او يقوم دليل على ذلك اي على انه لا يوجد الا من كافر فقد كفر وليس كفره
والحكم به لاجل قوله او فعله الذي لا يصدر الا من كافر لكن يكفر لما علم مما يقارنه

مابستلزمه له من الكفر بالجهل بالله ثم فصله بقوله فالكفر بالله تعالى لا يكون اى
يوجد ويتحقق الا بثلاثة امور احدها اى الامور الثلاثة الجهل بالله تعالى ووجوده
الثاني ان ياتى ويفعل فعلا يصدر عنه او يقول قولا يخبر الله ويخبر رسوله صلى الله
عليه وسلم اى اخبر وعبر بالمضارع لحكاية الحال الماضية او يجمع المسلمون
على ان ذلك لا يكون الا من كافر وقد تنازع فى قوله ان ذلك يخبر ويجمع كالسجود للصنم
والمشى الى الكنايس اى معابد النصارى واليهود كما تقدم فالمشى لذهاب معهم على
هياتهم بالتزام الزنار وهو ما يشد بالوسط على هيئة مخصوصة بالكفرة مع
اصحابها اى اصحاب الكنايس والزنانير فى اعيادهم المعروفة بهم وهما خلافان
متداخلان ويكون ذلك القول الذى قاله او الفعل الذى فعله لا يمكن معه اى مع
ذلك القول او الفعل العلم بالله تعالى قال ابو بكر الباقلانى فهذان الضربان اى
الجهل بالله واتيان فعل او قول لا يكون الا من كافر وان لم يكونا جهلا بالله تعالى اى
ان لم يقتض قوله وفعله المذكوران جهلا بالله تعالى فهما علم بفتحتين اى علامة وامارة
على ان فاعلهما كافر منسلخ خارج من الايمان بالله تعالى لان الايمان عند الاشاعرة
تصديق النبى صلى الله عليه وسلم فيما علم مجيه به ضرورة ومما جا به الاقرار بالله
ورسوله وكتبه فالكفر حينئذ جحد ذلك وقد جعل الشرع بعض الامور علامة على
ذلك واما سجود الملائكة لادم وسجود اخوة يوسف له فليس على طريق العبادة لانه
كان تحية جايزة عندهم ثم نسخ ذلك وابدل بالسلام فانه تحية الاسلام وقال ابن
الهمام الايمان نقل شرعا من معناه اللغوى وهو التصديق الى مجموع امور اعتبرت فى وضعه
شرعا والتصديق جزءها وهو عند الباقلانى ثلاثة ثم فصلها كما فصل المصنف ثم قال
فاما من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية القديمة الثبوتية بان قال انه لا يتصف
او جحدها اى انكرها مع العلم بها والنفى المراد به ان يعتقد عدم ثبوتها له فهو مغاير
للجحود فلذا عطفه باو مستبصرا اى على بصيرة فى ذلك دون سهو او سبق لسان فهو قيد
للنفى والجحود لا للجحود فقط وتفسيره حينئذ بمتيقنا غير متجه وكذا تفسيره الجحد
بمطلق الانكار لا وجه له مع عطفه باو كما قيل كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا متكلم
وشبه ذلك نحو ليس سميعا ولا بصيرا ونحوه من صفات الكمال الواجبة له عز وجل
فقد نص ايمتنا اى صرح به علما المالكية على الاجماع اى اتفاق المالكية على كفر
من نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه اى جعل ذاته عارية عنه غير متصفة به عنها
اى عن الصفات الذاتية وهذا مذهب بعض الفلاسفة ولا يدخل فى هذا المعتزلة
الذين قالوا لا صفات له زايدة على ذاته وانما هو عين ذاته ولا يدخل فيه
ايضا بعض الصفات التى فيها اختلاف بين الاشاعرة والماتريدية وعلى هذا الفرق
المذكور حمل قول سحنون من قال ليس لله تعالى كلام فهو كافر لانكاره صفة ثابتة

بالنص كقوله تعالى حتى يسمع كلام الله ونحوه وهو اى سحنون لا يكفر المتاولين
اى الذين تاولوا النصوص ومن جملتهم المعتزلة النافون للكلام فانهم يقولون
معنى كلم الله موسى انه خلق كلاما فى الشجرة اسمعه موسى لان الكلام اصوات
وحروف حادثة لا تقوم بذاته فخالف كلامه هنا قاعدته كما قدمناه فى عدم
تكفيره المتاول فاما من جهل صفة من هذه الصفات الذاتية كالعلم والقدرة
ولم ينفها مستبصرا اى مستند الدليل ولا جحدها عنادا فاختلف العلماء ها
هنا اى فى تكفيره وعدمه لعذره بجهله فكفره بعضهم ولم يجعل الجهل عذرا
الله لوجوب النظر عليه وحكى ذلك اى تكفيره عن ابى جعفر محمد بن جرير الطبرى
العلامة المفسر كما تقدم فى ترجمته وغيره من العلماء وقال به اى ذهب الى مثل رايه
فى التكفير ابو الحسن الاشعرى امام اهل السنة وقوله مرة اشارة الى ان له احد
قولين له فى هذه المسيلة وذهبت طايفة من اهل السنة الى ان هذا اى جهله
بصفة من صفات الله تعالى الذاتية لا يخرجه عن اسم الايمان يعنى انه مومن
غير كافر فيطلق عليه اسم ماخوذ من الايمان واسم تمجم هنا كقوله الى الحول ثم
اسم السلام عليكما واليه اى الى هذا القول بعدم تكفيره رجع الاشعرى
عن قوله الاول لترجحه عنده وقيام الدليل عليه قال الاشعرى انما لم نكفره
لانه اى الناقى للصفة جهلها لم يعتقد ذلك اى نفيه تلك الصفة الذاتية
اعتقادا يقطع بصوابه لقيام دليل عنده كالفلاسفة وانما قاله لجهله
فهو معذور ويراه دينا وشرعا اى يعتقده برايه كذلك وانما قاله توهما
وجهلا وانما يكفر من اعتقد ان مقاله وفى نسخة ما له اى قوله حق صواب موافق
للبرهان ومطابق للواقع واحتج هولا الذاهبون لعدم تكفيره بحديث المراة
والجارية السودا الذى رواه ابو داود فى سننه وهو ان رجلا ظاهر من زوجته
ولزمه عتق رقبة فاتى بجارية نوبية وقال يا رسول الله اعتق هذه فقال لا تجزيك
الا ان تكون مومنة فقال لسلها يا رسول الله فقال لها اين الله فاشارت الى السماء
وقال لها من انا فقالت رسول الله فقال له اعتقها فانها مومنة وكون هذا العتق
كفارة ظهار قال التلمسانى والذى فى سنن ابى داود ان معاوية بن الحكم السلمى قال
يا رسول الله لى جارية صككتها فعظم ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم
قلت له افلا اعتقها قال ايتنى بها فجيت بها فقال لها اين الله الخ فعتقها انما هو كفارة
لضربها واما كون الكفارة لا يجزى فيها الا رقبة مومنة فمختلف فيه فعند الشافعى
ومالك والاوزاعى اشتراط الايمان فيها وعند ابى حنيفة انه يجزيه غير المومنة
الا فى كفارة القتل قيل وفيه اشكال للعزلة اين الله واقرار الرسول لقولها فى السماء
او اشارتها وليس كقوله تعالى والذى فى السماء اله والم يجب عنه وقد اجاب عنه

ابن فورك في كتاب كشف المشكل فقال اين موضوعة للسوال عن المكان وتوسعوا فيها
فقالوا اين فلان من فلان لبعد الرتبة المعنوية فقوله اين الله استعلام عن منزلته
في قلبها فاشارت الى السماء اي هو رفيع الشان عظيم المقدار كما يقال هو في السما
لعلي الرتبة وكانت خرسا فلذا اكتفي باشارتها ومن اصحابنا من قال ان قول القايل
الله في السما يريد به انه فوق السماء من طريق الصفة لا من طريق الجهة على حد قوله
ءانتم من في السما ينكر عليه ذلك واما قوله انها مومنة فيحتمل انه صلى الله عليه
وسلم علمه بوحي وجعل اشارتها علامة ايمانها او سماها مومنة نظرا الظاهر
حالها لانه يكفي في المطلوب وقال ابن اللبان في كتاب المتشابه كلامه تعالى
ما بسمايه وصفاته محيطة بدوا وين السموات والارض وفي تصريفها وشرايط
سفليته وعلويته هي مظاهر تجلياته فتقرير الجارية انه في السما ووصفها بالايمان
لم يعتبر فيه ظاهر لفظها فانه لا يفيد التوحيد مع القول بالجهة وعدمه اما
الثاني فظاهر واما الاول فلانهم موافقون على عبادة الملايكة والكواكب
وليس في اللفظ ما يرجحها فيقتضي الايمان فلاقرب ان الجارية اشرق عليها نور
التوحيد في الافاق السماوية لقوله سنريهم اياتنا في الافاق فقولها في السماء
اي ظهر نور توحيده فيها فقال انها مومنة دون مسلمة لان الايمان من القلب انتهى
وقال الشيخ الاكبر في الفتوحات ثبت في لسان الشارع اطلاق الاينية على الله ولا يتعدى
ما ورد منها ولا يقاس عليه كما في حديث السودا في قبول اشارتها وقوله انها مومنة
واعتقها والسايل بالاينية اعلم الناس وتاويل ذلك وقبوله منها بانه لكون الالهة
المعبودة في الارض وهو تاويل جاهل فان من العرب من عبد الشعرى انتهى وان النبي
صلى الله عليه وسلم انما طلب منها اي من السودا النوبية التوحيد فاكتفى باشارتها
الداله على معرفة ذات الله ولم يكلفها بشيء من الصفات فدل على ان الجهل بالصفات
لا ينافي الايمان لعذرها بالخرس والجهل وكونها خرسا وقع في بعض الروايات ما يخالفه
وقوله لا غير مبني على الضم لحذف المضاف وتقديره وقال ابن هشام تبعا للسيرا في غير
تلزم الاضافة وتقطع عنها وتبنى ان تقدمت عليها كلمة ليس وقولهم لا غير لحن ورد بانه
سمع من كلام العرب في قوله جوابا به تنجو اعتمد فوربنا لعن عمل اسلفت لا غير تسال
وقد استعمله المص في مواضع عديدة وفيه كلام في شروح الكتاب وحديث القايل
الذي رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه وهذا القايل كان نباشا الا انه لم يذكر
اسمه وكان اوصى لبنيه فقال احرقوني وانظروا يوما شديد الريح فذروني فيه والله
لين قدر الله علي بتخفيف الدال من القدرة وتشديدها بمعنى ضيق علي في الحساب والعقاب
علي ما تي وفي رواية رواها ابن ابي حاتم عن الشعبي في تفسيره لعلي اضل الله مضارع
بفتح اوله وكسر ثانيه من قولهم ضلني فلان فلم اقدر عليه اي لم اجده وخفي على ذهابه

عنى

عنى وفي النهاية لعلي اضل الله اي افوته ويخفى عليه مكاني وقيل معناه لعلي
اغيب عن عذابه يقال اضللت الشي وضللته اذا لم تدر في اي مكان هو واضللته
اذا ضيعته وضل الناسي للشي اذا غاب عنه حفظه ويقال اضللته اذا وجدته
ضالا كاحمدته اذا وجدته محمودا انتهى وفيه كلام لابن قرقول وهذا موذن بنفي
القدرة عليه وهو محل الشاهد لانه صفة من صفات الله والحديث عن حذيفة
بن اليمان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان رجلا حضره الموت
فلما يئس من الحياة اوصى اهله اذا انا مت فاجمعوا لي حطبا كثيرا واوقدوا فيه
نارا حتى اذا اكلت لحمي وخلصت الى عظمي فامتحشت فخذوها فاطحنوها ثم
انظروا يوما راحا فاذروه في اليم ففعلوا فجمعه الله عز وجل فقال له لم فعلت
ذلك فقال من خشيتك ثم قال فغفر الله عز وجل وروي من طرق اخر فيها اختلاف
وهذا انما قاله على سبيل الجزع وشدة الخوف والا فالله لا يخفى عليه شيء قيل
وهذا يدل على ان القايل كان مسلما وفيه ما لا يخفى وفي الشرح الجديد قال
ابن عقيل الحنبلي هذا اخبار عما سيقع له يوم القيامة لا انه خاطب روحه
لانه لا يناسب قوله في الحديث فجمعه الله بعدما تفرق فانه انما هو في الجسد
والرجل المذكور غلب على طبعه الامور العادية بمقتضى طبعه وصار شعاره
مع انه مؤمن بان الله قادر على كل شي فظن انه يعجز الله عنه وما ذكره ابن عقيل
من انه اخبار عما سيقع له يوم القيامة عدول عن الظاهر من غير مانع عنه في
الدنيا فانظره فانه كلام يحتاج الى التنقيح وانى لرجال المهذب قالوا اي ايمه
الدين ولو بوحث مجهول باحث بموحدة وحا مهملة وثلثه اي فتش اكثر
الناس المسلمين عما يعلمون ويعتقدون اي عن معرفتهم الصفات اي صفات الله
وكوشفوا عنها اي طلب كشف ما في قلوبهم باظهاره فانه قبل اظهاره كالشيء
المستور فان القلوب صناديق مقفلة لما وجد جواب لو من يعلمها الا القليل
وفي نسخة الاقل وهم الخواص وغيرهم من الجهلة المقلدين غافلون عنها
وقد اجاب الفريق الاخر الذاهب الى تكفير من نفى صفة من صفات الله ولو جاهلا
عن هذا الحديث اي حديث القايل لين قدر الله علي الى اخره بوجوه منها ان قدر
بالتخفيف في رواية بمعنى قدر بالتشديد من تقدير الله لا من القدرة ولا يكون
شكه في القدرة على احيايه ليجازيه على عمله اي على هذا التقدير لا يشك
في قدرة الله بل في نفس البعث اي احيا الموتى وحشرهم الذي لا يعلم كغيره من امور
الاخرة التي لا تعلم الا بشيء بوحيه الله لرسله ولعله اي البعث لم يرد في زمن
الرجل القايل لذلك لان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر به عن احوال الامم
السالفة بوحي من الله فلم يكن ورد عندهم به شرع يقطع به عليه اي يقتضي

علما يقينيا قطعيا فيكون الشك فيه اى فى البعث حينئذ اى قبل ورود الشرع لهم به
كفرا اى يقتضى كفر الشاك فيه فاما ما لم يرد به شرع فهو اى البعث من مجوزات بضم
الميم وفتح الجيم والواو المشددة اى ما هو جاير عقلا من غير سماع له من صاحب
شريعة يجب اتباعه بل هو مما تجوزه العقول جمع عقل وهو القوة المدركة وهذا
بنا على ما يا تى انه من اهل الفترة او هو من قوم لم تبلغهم دعوة النبى بنا على ما عليه
المحققون من انهم غير مكلفين لقوله عز وجل وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
والكلام فيه مفصل فى محله من التفاسير والاصلين او يكون قدر مخففا بمعنى
ضيق كقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه ويكون ما فعله هذا الرجل بنفسه من توصية
بنيه باحراقه وامرهم بتذريته فى الهوا اذا صار رمادا ازرا عليها اى تنقيصا وتحقيرا
واهانة لها وغضبا على نفسه العاصية لله لعصيانها بكثرة الفسق والمعاصى
لا شكا فى قدرة الله على اعادة ما تفرق من اجزايه فلا يحكم بكفره لذلك وقيل فى الجواب
ايضا انه انما قال ما قاله مما وصى به بنيه وهو غير عاقل لكلامه اى وقد اختبل
عقله فهو غير مكلف ولا ضابط للفظه اى لا يعرف ما يلفظ به لانه هذيان منه
ككلام النايم والساهى مما استولى اى غلب عليه من الجزع من الموت على هذه الحالة
والخشية شدة الخوف من الله وعقابه التى اذهلت لبه اى عقله فلم يواخذ به لانه
غير مكلف وقيل كان هذا الصادر عنه هذا القول فى زمن الفترة اى انقطاع الوحى
وطول الزمان الذى انه درست فيه الشرايع وحيث ينفع فى الاخرة نجاة صاحبه
من النار مجرد التوحيد اى معرفة ذات الله دون غيرها من امور الشرايع فانهم
معذورون بجهلهم وهذا يقتضى ان الجواب الذى سبق بتقدير انهم ليسوا
من اهل الفترة فيشكل حينئذ فتدبر وهنا يقتضى ان اهل الفترة كانوا مكلفين
بالتوحيد وهو مسيلة اصولية قال الامام الرازى فى المحصل وجوب النظر
سمعى خلافا للمعتزلة وبعض الفقها من الشافعية والحنفية لنا قوله تعالى وما كنا
معذبين الاية ولان فايدته الوجوب الثواب والعقاب والقبح منه تعالى شى
من افعاله فلا يمكن القطع بالثواب والعقاب من جهة العقل بالوجوب احتجوا
بانه لو لم يثبت الوجوب الذى لا يعلم صحته الا بالنظر فالمخاطب ان يقول لا انظر
حتى اعرف كون السمع صدقا وذلك يقتضى افحام الانبيا الجواب هذا لازم
ايضا لان وجوب النظر وان كان عندكم عقليا لكنه غير معلوم بضرورة
العقل لما ان العلم بوجوب النظر عند المعتزلة يتوقف على العلم بوجوب معرفة الله
تعالى والنظر طريق اليها لا طريق لها سواه وما لا يتم الواجب الا به واجب وكل
هذه المقدمات نظرية والموقوف على النظرى نظرى فكان العلم بالوجوب عندهم
نظريا فللمخاطب ان يقول لا انظر حتى اعرف وجوب النظر ثم الجواب لا يتوقف على

العلم بالوجوب والا لزم الدور بل يكفى الامكان وهو حاصل فى الجملة انتهى والكلام
عليه مفصل فى شروحه وانما اوردناه ليعلم ان توقف بعض الشراح هنا فى كلام
المصنف لا وجه له وقيل ليست هذه الاجوبة بمرضية بل هذا اى قوله لين قدر الله
على من مجاز كلام العرب المراد بالمجاز هنا ليس معناه الاصطلاحى بل المراد انه من
طرقهم فى الكلام التى يتوسعون فيها ويجوزا رادة حقيقته عند اهل المعانى
ويناسبه ظاهر قوله الذى صورته الشك هو عبارة عما يظهر من فحواه ومعناه
التحقيقى اى امر اخر محقق عنده وهو اى هذا النوع من الكلام يسمى عند اهل
المعانى تجاهل العارف وهو نوع من البديع يساق فيه المعلوم سياق المجهول
لنكتة كقوله ايا شجر الخابور ما لك مورقا كانك لم تجزع على ابن طريف
وكره بعضهم تسميته بهذا وسماه مساق المعلوم مساق غيره لانه وقع فى كلام
الله عز وجل ولا يليق ان يقال فى حقه المتجاهل والمصنف جرى على متعارفهم
فيه وتسميته به انما هو فى كلام الناس واليه اشار بعضهم بقوله وقد يسمى
فان قد تسور الجزئية وله امثلة فى كلامهم فاذا وقع فى كلام الله كقوله عز وجل
لعله يتذكر او يخشى وقوله وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين وتعريفه بانه
ان يسال عارف عما يعلمه فيه قصور لعدم صدقه على الايتين فالصواب ان يعرف
بما قدمناه وله فى كل مقام نكتة يدركها من ذاق حلاوة المعانى فالنكتة فى البيت
اظهار شدة الجزع بالمصاب الذى ينبغى ان يجزع منه كل شى حتى الجماد وفى الاية
ان قلنا ان لعل للترجى من الله لا للتعليل ولا للترجى من موسى وهارون مع علم الله
بان فرعون لا يتذكر ولا يخشى ولكنه اراد القامه حجر الملامة بعدم معذرته وعلى
الوجهين الاخيرين ليس مما نحن فيه فمن مشى عليه لم يات بشى وقوله وانا او اياكم الخ
ابهم فيه الفريق المهتدى مع انه علم من سياق الاية ان المؤمنين هم المهتدون فان قوله
قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات والارض وما لهم
فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ثم قال قل من يرزقكم من السماء والارض يعلم منه
ان خالق هذه المخلوقات لعظيمة الرازق لمن فيهما هو الحقيق بالعبادة والوحدانية
وان من يعبده هو المهتدى فابهامه انما هو لاقامة الحجة عليهم وهو كقول حسان
رضى الله تعالى عنه اتهجوه ولست له بكفو فشركما لخيركما الفدا فليس فى كلامه
تهاون بالادب كما توهم فاما من اثبت الوصف اى وصف الله بصفاته الذاتية ونفى
القايمة بذاته وهم المعتزلة وبعض الفلاسفة القايلين بان صفاته عين ذاته لئلا
يلزم تعدد القدما وقيام الحادث بذاته واهل السنة اثبتوها وقالوا لا محذور
فى ذلك لانه انما يمتنع تعدد ذوات قدما لا ذات وصفات كما تقدم والكلام
عليه مفروغ منه فى علم الكلام واشهر من قفا نبك والفرق بين الوصف والصفة

ان الوصف معنى مصدري قايم بالواصف والصفة معنى قايم بالموصوف كالكسر والانكسار
وهما في الاصل بمعنى واحد وقد يستعمل كل منهما استعمال الاخر فقال اقول ان الله عز وجل
عالم بكل شيء من الكليات والجزئيات ولكن لا علم له زايد على ذاته كعلم البشر فعلمه
ذاته لما تقدم ومتكلم بكلام نفسي اي بكلام حقيقي ولكن لا كلام له خارج عن ذاته
وهكذا يقول المعتزلي ومن وافقه على هذا القول في ساير الصفات فيقول حي بلا حياة
وقادر بلا قدرة زايدة على ذاته فهي عنده عين ذاته على مذهب المعتزلة في نفيهم الصفات
دون الوصف بها ولذا لم يكفروا الا انهم مثبتون لها في الجملة وهذا ان نظرنا لظاهر كلامهم
فمن قال من اهل السنة بالمال اي بما يوول ويرجع اليه كلام المعتزلة والمراد لازم
مذهبهم وكلامهم الذي قالوه لما يوديه اليه قوله انه عالم بغير علم وقادر بغير
قدرة ومتكلم بغير كلام ويسوقه اليه مذهبه من انه يلزم من نفي الصفة نفي الوصف
بطريق برهاني قطعي عنده كفره اي كفر القايل بهذا المقال لما يلزمه وهذا مبني على ان لازم
المذهب مذهب وفيه خلاف في كتب اصول الفقه لانه اذا انتفى العلم اي صفة العلم
الزايدة على الذات انتفى بحسب الظاهر وصف عالم لان معنى عالم من قام به صفة العلم
وهم ينفونها اذ لا يوصف بلفظ عالم الا من ثبت له علم اي صفة غير ذاته هي العلم
للزوم نفي الوصف المسبوق بانتفا المشتق منه اذ لا معنى لحقيقة غير ثبوته له فكانهم
اي المعتزلة النافين للصفة المستلزمة لنفي الوصف بعالم ونحوه صرحوا عنده اي
عند المكفر لهم بما ادى اي وصل للزومه له بادي اليه قولهم وهكذا عند هذا المكفر
لان لازم المذهب عنده مذهب فيكفر ساير فرق اهل التاويل من المشبهة المثبتين
لله صفات تشبه صفات عباده كما تقدم والقدرية بالمعنى الذي بيناه وغيرهم من الفرق
الضالة المبتدعة ومن لم ير اي لم يعتقد اخذهم اي مواخذتهم بمال قولهم ولازم مذهبهم
وفي نسخة ومن لم يواخذهم الخ ولا الزمهم بموجب مذهبهم الدال عليه فحوى ما ذهبوا
اليه مما لا يليق برب العزة لم ير اكفارهم ولم يحكم بكفرهم لشمول معنى الايمان لهم بحسب
الظاهر وقال لانهم اي اصحاب هذا المقال اذا وقفوا على هذا اي اطلعوا على ما الزم
مذهبهم فوقفوا مبني للمعلوم مخففا ومبني للمجهول مشددا اي اطلعهم من كفرهم
على ما كفرهم به وفي نسخة اذا وقفوا ابوا وين قالوا مجيبين له نحن لا نقول الله انه
ليس بعالم يريد به ما فهموه من السلب المعطل لله عن العلم بل هو عالم بعلم هو عين
ذاته وهكذا ساير الصفات عند ابي الهذيل العلاف ونحن معاشر المعتزلة وانتم
اهل السنة نتنفي افتعال من النفي ضمن معنى نتبرا ولذا اسنده للعقلا والانتفا
صفة المعنى من القول بالمال الذي الزمتموه لنا معاشر المعتزلة والفلاسفة ونعتقد
نحن وانتم انه كفر ان حمل على ظاهره وما يفهم من فحواه من نفي العلم عنه عز وجل بل نقول
قولا اسلم من هذا ان قولنا الذي اشتهر عن مقالتنا الشاهدة لا يوول اليه اي الى ما قلتم

ان كلامنا

ان كلامنا يودي اليه على ما اصلتناه بتشديد الصاد المهملة اي اتخذناه اصلا وقاعدة
بنينا عليها النفي فانه لا محذور فيه اذ المحذور في القول بانه لا علم نقول به بل نقول بعلم
بعلم هو عين ذاته وهكذا ساير الصفات والمشبهة عندنا هم المجسمة الذين ياخذون
بظواهر النصوص المتشابهة وغيرهم من اهل السنة يقولون نومن بظاهرها ونفوض علم
باطنها الى الله اذ لم نكلف بمعرفتها والمعتزلة يقولون لاهل السنة مشبهة كما قال
الزمخشري عفى الله عنه   وجماعة سموا هواهم سنة   فهم لعمري كالحمير الموكفة
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا   شنع الورى فتستروا بالبلكفة   وهما فرقتان كما تقدم
فعلى هذين الماخذين النظر لمال كلامهم والنظر لما اصلوه من تاويلهم اختلف الناس
من علما الملة واهل السنة في اكفار اهل التاويل بلازم مذهبهم وعدمه بالنظر لما ذكر
واذا فهمته اي فهمت المذكور من منشا الخلاف في تكفيرهم وعدمه اتضح وظهر لك الموجب
اسم فاعل بمعنى المقتضي لاختلاف الناس في ذلك التكفير وعدمه والصواب عند
المحققين من الفقها واهل الكلام ترك اكفارهم اي ترك الحكم بكفرهم والاعراض عن الحتم
بحا مهملة ومثناة فوقية بمعنى القطع والجزم عليهم بالخسران اي بانهم خسروا بسبب
كفرهم فانه هو الخسران العظيم واجرا حكم الاسلام عليهم في الدنيا لاعتقادنا
انهم مسلمون لهم ما لنا وعليهم ما علينا في قصاصهم اي القصاص لهم منهم كساير
المسلمين ووراثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر
المسلمين وساير معاملاتهم من المبايعة واكل ذبايحهم وغير ذلك التي بينها بقوله
ووراثتهم وما بعده من غير فرق بيننا وبينهم لصدق اسم الايمان والاسلام عليهم
لكنهم يغلظ عليهم بزجرهم وتعزيرهم بوجيع الادب من القيد والضرب والحبس
وشديد الزجر بشهرهم وقهرهم والهجر اي ترك مجالسهم ومعاشرتهم ونحوه مما
يشق عليهم من انواع الاهانة حتى يرجعوا ويتركوا متباعدين عن بدعهم المخالفة
لاهل السنة ويتفاوت ذلك ضعفا وقوة نظرا لحالهم لما هم عليه وهذا ليس على
اطلاقه كما يسلم مما تقدم فان فيهم من حكموا بكفره وليس الكلام فيه وهذه
الامور المذكورة كانت سيرة اي الطريقة التي كان عليها الصدر الاول المراد بهم
اهل العصر الاول من الصحابة والتابعين ومن قرب منهم وهو مستعار من صدر
الشي بمعنى اعلاه واوله فيهم اي في معاملتهم والحكم عليهم بما ذكر فقد كان نشا
اي وجد وظهر على زمان الصحابة وبعدهم في التابعين على بمعنى في من قال بهذه
الاقوال المذكورة من القدر اي الاعتزال كواصل بن عطا وعمرو بن عبيد ومعبد
الجهني واضرابهم وراي الخوارج الذين خرجوا على علي وجرى بينه وبينهم ما جرى
وهم فرق مختلفة لهم اعتقادات باطلة واحوالهم ومذاهبهم مفصلة في المطولات
واصحاب الاعتزال ومذاهبهم مذكورة في كتب الكلام فما ازاحوا اي معجمة

وحا مهملة اى ازالوا لهم فبرا فى الصدر الاول ولا قطعوا اى منعوا لاحد منهم
ميراثا يورثونه من غيرهم او يرثه غيرهم منهم كساير مواريث المسلمين لكنهم هجروهم
بترك مخالطتهم وادبوهم بالضرب والنفى تغريبا لهم باخراجهم من ديارهم والقتل
هذا على راى من يجوز التعزير بالقتل براى الامام لا قتل من استحق القتل منهم بسبب
اخر كما قيل فانه لا يناسب قوله على قدر احوالهم الموجبة لتاديبهم لانهم بسبب
بدعهم فساق كغيرهم من الفسقة غير الكفرة ضلال اهل ضلال وبدع عصاة
اصحاب كباير عطف بيان مفسر لما قبله عند المحققين الذين لا يكفرون احدا من اهل
القبلة واهل السنة عطف تفسير ممن لم يحكم بكفرهم منهم اى لم يحكم بكفر اصحاب
الارا الباطلة لتاويلهم خلافا لمن راى غير ذلك من تكفيرهم ولم يكتف بتاديبهم بما تقدم
وبما ذكرناه علم ان من قال المراد بالقتل التاديب لا ازهاق الروح لم يصب وكذا قول
من قال انه يدخل فى كلامه القرامطة ونحوهم ممن حكم بكفرهم فالاحسن ان يعبر باهل
القبلة وفى كلام المصنف لف ونشر فان مذهب القدرية والخوارج كان فى زمن
الصحابة والاعتزال انما فشا فى زمن التابعين وذكر من التاديب انواعا منها الهجر
وقد ورد فى الحديث النهى عن هجر المسلم فوق ثلاث الا انه محمول على غير المبتدع والمتجاهر
بالظلم والفسق والمحذور يعذر به شرعا وعليه يحمل ما رواه ابن الصلاح من ان
سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه هجر عمار بن ياسر حتى مات وكذا عايشة هجرت حفصة
وعثمان رضى الله عنهما هجر عبد الرحمن بن عوف وكذا ما وقع لغيرهم واما الضرب فهو
مفصل فى باب التعزير من كتب الفقه والنفى تعزير عندنا ويكون حدا عند الشافعى
فى الزنا على كلام وهل يكون دون الحول وهو مفوض لراى الامام فيه واما القتل
فيكون تعزيرا عند مالك دون غيره وقال ابن تيمية انه ذهب له غيره ايضا وسموه
سياسة قيل وفى بعض النسخ القتل بغيا ومشاة فوقية فتامله والله الموفق
للصواب ضد الخطا قال القاضى ابو بكر الباقلانى واما مايل الوعد والوعيد وانه
لا يجوز تخلفه عند المعتزلة لقولهم بانه يجب على الله تعذيب العاصى واثابة الطايع
على ما قرروه فى قواعدهم ومن فسر الوعد والوعيد بسوال القبر وعذابه لم يصب
والروية اى انكار المعتزلة لروية الله فى الاخرة والمخلوق اى قول المعتزلة ان العبد
يخلق افعاله لا قول المفوضة ان الله فوض خلق الناس لمحمد صلى الله عليه وسلم كما قيل
فانه كفر ليس موافقا لما بعده وخلق الافعال اى قول المعتزلة ان افعال العباد مخلوقة
لهم كما ذهب اليه الجبائى واتباعه فهو كالتفسير لما قبله وبقا الاعراض وهى جمع عرض
بفتحتين وهو ما لا يقوم بنفسه كالالوان وهذا على مذهب الاشعرى من ان الاعراض
لا تبقى وهو مما ذهب الى خلافه كثير من اهل السنة حتى قال السعد فى شرح المقاصد
انه مكابرة فى المحسوس واغرب منه ما قاله الشيخ الاكبر فى الفصوص من ان الاجسام

لا تبقى زمانين ايضا وفسر به قوله تعالى بل هم فى لبس من خلق جديد وهو مما خفى على
كثير من المحققين وقد افردت بيانه بتعليقه وتحقيقه انا نقول ان ما سوى الله
وصفاته فان حالا عندنا ربابا لكشف وهو معنى قوله كل شى هالك الا وجهه
كما اشار اليه البيضاوى فى تفسيره لانها من ابتدا خلقها الى ظهور فنايها فى تبدل
وتغير الا انه لنقصه نقصا فى غاية لا يدركه الحس الا اذا اجتمع منه مقدار يدرك
الا ترى الشمعة التى نفذ هبا اجزاوها لا يحس نقصها فى كل ان حتى يفنى مقدار منها له
قدر كثير وهو امر محسوس الا انه كان على المصنف ان لا يذكره لخفايه والتوليد الذى
ذهب اليه المعتزلة والحكما كقوله العلم من الدليل وحصوله عقبيه كحركة المفتاح
بحركة اليد وهذا ايضا مما ينبغى تركه هنا وشبهها من الدقايق الفلسفية التى ادخلها
المعتزلة فى الكلام فالمنع فى اكفار المتاولين فيها اوضح من القول باكفارهم لانها لا يترتب
عليها امر دينى اذ ليس فى الجهل بشئ منها جهل بالله حتى يكفر الذاهب اليها ولا اجمع المسلمون
على اكفار من جهل شيا منها كما تقدم فى تفسير الكفر عنده وقد قدمنا فى الفصل الذى ذكر
قبله من الكلام وصورة الخلاف ومعناه الذى قرره فى هذا النوع ما اغنى عن اعادته
لظهوره وقرب العهد به بحول الله تعالى وحمايته عن مخالفة الحق فيه وفى غيره وبقية
اعتقادات المعتزلة مذكورة فى الكلام فلا حاجة لتكثير السواد بها هنا كما فى بعض
الشروح فصل هذا اشارة لما ذكره سابقا حكم المسلم الساب لله تعالى
وما يعد سبا وغيره مما فصله قبل هذا وسمى ما قدمه من الفاظ الكفر سبا اما لانها
شمله فى ذكر ما لا يليق بجلال الله او لانها تستلزم تكذيبه وهو سب وتسميته الساب
مسلما باعتبار ظاهر حاله وما كان عليه فلا اشكال فيه واما الذمى الكافر الذى له
ذمة وامان فروى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ولم يذكر احد هنا من رواه عنه
فى ذمى تناول من حرمته الله تعالى اى تكلم فى حق الله بما لا يجوز واصل التناول الاخذ
باليد فتجوز به عما ذكر والحرمة ما يجب احترامه وترك الخوض فيه بغير ما هو عليه
اى بما استقر عليه بما كفر من دينه اى بما اعتاده او اعتقد انه دين له فانه يسمى دينا
كما قال تعالى لكم دينكم ولى دين وحاج فيه وجادل فيه وخاصم او اقام ما هو حجة
بزعمه فخرج ابن عمر رضى الله تعالى عنه من داخل بيته عليه بالسيف يريد قتله فكانه
سمعه تكلم خارج بيته فطلبه اى قصده ليضربه بسيفه فهرب منه لخوفه على
نفسه وقال مالك فيما روى عنه فى كتاب ابن حبيب اسمه عبد الملك كما تقدم و
فى المبسوطة اسم كتاب وابن القاسم فى المبسوط كتاب ايضا وكتاب محمد بن سحنون
رحمه الله تعالى فى فقه مذهب مالك من شتم الله تعالى عز وجل من اليهود والنصارى
بغير الوجه الذى به كفروا كادعا الولد والشريك كما ياتى قتل ولم يستتب اى لم يكلف
التوبة ولم تطلب منه وقال ابن القاسم انه يقتل من غير استتابة الا ان يسلم قال

فى المبسوطة طوعًا باختياره من غير اكراه فان اسلام المكره غير مقبول وفى صحته خلاف
للفقها ومرة فرق بعض الشافعية بين الحربى والذمى فيصح من الاول دون الثانى قال اصبغ
فقدانه ابن الفرج لان الوجه اى الامر من قول او فعل الذى به اى بسببه كفروا هو دينهم
اى عادتهم ومعتقدهم ولعله منهم ومشاهدته سمى وجها وعوهدوا عليه اى اخذت
عليهم العهود مع استقرارهم عليه لا انهم اخذ عليهم العهد به فى نفسه فان الارضا
او هو مضمن معنى الاقرار فانه قع ما قيل من انه كان ينبغى له ان يقول تركوا عليه
لقوله صلى الله عليه وسلم اتركوهم وما يدينون لان العهد يكون على ما شرط عليهم
وقوله اكره ان اقول اقررناهم وانما اقول تركناهم غير مسلم من دعوى الصاحبة
والشريك والولد بيان لما كفروا به واما غير هذا من الفرية اى الكذب والاختلاف
على الله فى غير ما كفروا به والشتم كما قال تعالى فيسبوا الله عدوا بغير علم فلم
يعاهدوا عليه اى لا يقروا عليه فهو نقض للعهد الذى عاهد الامام عليه اهل الذمة
ومن انتقض عهده منهم يخير فيه الامام بين القتل والرق والمن عليه وعند بعضهم
يتعين القتل قال ابن القاسم فى كتاب محمد بن سحنون وقيل هو محمد بن ابراهيم ابن المواز
قيل انه نسبة للموز وهو ولد فى رجب سنة ثمانين ومايته ومات سنة احدى
وثمانين ومايتين وقيل سنة سبع وثمانين بدمشق واختلف فى لقايه لابن القاسم
والصحيح انه روى عنه بواسطة ومن شتم الله تعالى من غير اهل الاديان اى غير المسلمين
بدليل قوله بعده بغير الوجه الذى ذكر فى كتابه فانه صريح فى انه من اهل الكتاب ولا بد
ان يراد بقوله فى كتابه كتابه الذى حرف فان الكتب الالهية ليس فيها كفر فهو على زعمهم
او المراد كتب احكامهم التى وضعوها باتفاقهم كما وقع لهم فى زمن قسطنطين من اجتماعهم
على ارادة وتنوعها كما فصل فى الملل والنحل وهذا بنا على ان الكفر ليس ملة واحدة ولذا
جمع الاديان او المراد بالكتاب ما كتبوه من عند انفسهم او اتفقوا عليه تسميحا فعلم
الوجوب عما قيل ان فى عبارته تناقضا وان قوله من غير اهل الاديان يقتضى انه
لا كتاب وقوله فى كتابه يخالفه والكفر كله ملة واحدة قتل الا ان يسلم فلا يقتل
فان الاسلام يجب ما قبله وهذا كله مذهب مالك رحمه الله ومذهب الشافعى
والحنفية فيه ما يخالفه وقال المخزومى فى المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن ابى حازم
لا يقتل من سب الله حتى يستتاب اى تعرض عليه التوبة مسلما كان الذى سب او كافرا
فان تاب ورجع عما صدر منه فذاك والا قتل لنقض عهده وقال مطرف بن عبد الله
كما تقدم وعبد الملك بن الماجشون مثل قول مالك وقال الشيخ ابو محمد بن ابى زيد
صاحب الرسالة وقد تقدم ولا يخفى ان هذا خلاف ما تقدم عنه فهو قول اخر
من سب الله تعالى بغير الوجه الذى به كفر به قتل الا ان يسلم وقد ذكرنا قول ابن الجلاب
قبل اى قبل هذا وقد تقدم ان ابن الجلاب هو البغدادى الضى برواته بفتح الجيم واللام

المشددة

المشددة ولخم سوحنه وذكرنا قول عبيد الله بن يحيى وابن لبابة بضم اللام كما تقدم
وشيوخ الاندلسيين من علما المالكية فى المراة النصرانية وفتياهم بقتلها بسبها بالوجه
الذى كفرت به لتصريحها بما لا تقر على مثله لله متعلق بسبها الا ان تسلم وفيه عليه
اشارة الى ان فى المسيلة غير الذى ذكره وفتياهم بقتل الساب للنبى صلى الله عليه
وسلم واجماعهم اى فقها الاندلس على ذلك اى قتل من سب بما المغربة وهو اى هذا
القول الذى اجمعوا عليه نحو القول الاخر فى هذه المسيلة فيمن سب منهم اى
من اهل الذمة النبى صلى الله عليه وسلم بالوجه الذى كفر به كانكار ربوبيته فيقتل
الا ان يسلم طوعا ولا فرق فى ذلك اى قتله بما كفر به من سب الله سبحانه وتعالى
وسب نبيه صلى الله عليه وسلم لانا عاهدناهم حين عقدت لهم الذمة على ان
لا يظهروا لنا شيئا من كفرهم وتركناهم على ما هم عليه فيما بينهم وان لا يسمعونا شيئا
من ذلك الكفر الذى كفروا به باى طريق كان فمتى فعلوا شيئا منه من ذلك فهو نقض
منهم لعهدهم لمخالفته لعهدهم وهذا كله اشارة الى ما فى العهود العمرية التى وقعت
حين فتح المسلمين لبلادهم فكلما شرط الامام مخالفته نقض عهده موجب للقتل
واختلف العلما من السلف فى الذمى اذا تزندق بظهور علامات تدل على انه مبطن لما
يخالف دينه ويخالف دين الاسلام فلا يبقى على دين اصلا فقال مالك ومطرف
وابن عبد الحكم واصبغ لا يقتل لانه خروج من كفر الى كفر يعنى الزندقة وقال عبد
الملك بن الماجشون يقتل لانه دين لا يقر عليه احد يعنى من المسلمين فاذا قتل به
المسلم فغيره بالطريق الاولى وتسميته دينا تسامح فانه لا دين له ولا يوخذ عليه
جزية كمن انتقل من اليهودية للنصرانية مثلا وقد شذ فى قوله هذا كما قال ابن حبيب
ولا اعلم من قاله غيره اذ لم يقله احد من المالكية ودليله فى غاية الضعف وعند
الشافعى انه لا يقر عليه والصحيح عنده انه لا يقبل منه الا الاسلام وقيل يقبل منه
كل دين يساوى دينه واذا انتقل الذمى لدين اخر فيه خلاف عنده مبنى على ان الكفر
ملة واحدة او ملل متعددة فصل هذا المذكور فى الفصل الذى قدمه
حكم من صرح بسبه عز وجل واضافه اى بنسبته اليه ما لا يليق بجلاله اى
اى عظمته والاهيته اى كونه الها والاضافة ضم شى الى شى فاما مفترى الكذب
عليه تبارك وتعالى والافترا انعما الكذب فهو اخص منه بادعا الالهية اى انه
الله كفرعون لعنه الله والرسالة كمسيلمة الكذاب والنافى ان يكون الله
خالقه او نفى ان يكون الله ربه بل رب غيره او قال ليس لى رب بانكاره انه خلقه
وهو فى معنى ما تقدم لكنه اراد تعديد الفاظ الكفر او المتكلم بما لا يعقل بالبنا
للمجهول من ذلك من ادعا الالوهية او الرسالة او نفى الخالقية او الربوبية فى حال
سكره وغيبة عقله او غمرة جنونه اى شدة اذهبت عقله وهى بفتح الغين

المعجمة وسكون الميم وبعد را مهملة من غمره الما اذا غطاه ثم استعير لكل شدة يقال
غمرة الموت وغمرة الفتنة فلا خلاف في كفر قايل ذلك اى شي فيه ومدعيه اى الذى
يقوله ويدعى حقيقته مع سلامة عقله لافترايه الكذب على الله قال تعالى فما
يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله
وجوههم مسودة وسياتى حكم من زال عقله كما قدمناه اى القول بكفره وبيان
وجهه لكنه تقبل توبته على القول المشهور وتنفعه انابته اى رجوعه الى الله وهى
عبارة عن التوبة وعبر بها تفننا وتنجيه من النجاة مضارع بضم اوله اى تخلصه
من القتل فيئته بفتح فا فيل يا مثناة ساكنة وهمزة مفتوحة وتا وحدة مصدر
فا بمعنى رجع وكلمة تفنن وذكر هذه الفقرات اشارة الى انه بعد انابته
لا يبقى عليه عهدة في الدنيا ولا في الاخرة لالاعتنابه ولذا قال لكنه لا يسلم
في الدنيا من عظيم النكال اى العقوبة من النكل وهو القيد ولا يرفه اى
ينفس عنه ويخفف وهو بضم اوله وتشديد فايه عن شديد العقاب
ليكون ذلك النكال والعقاب زجرا اى ردعا مانعا لمثله ممن يتوقع منه
قول مثل قوله من قوله اى مثل قول ذلك المفترى على الله وزجرا له اى لذلك
القايل ولا عن العودة لما تاب عنه لكفره بما قاله افترا على الله تعالى مع
علمه بما فيه من المحذور او جهله بسفاهة منه لتوهمه انه امر واقع الا من تكرر
اى وقع ذلك الافترا منه مرارا وعرف استهانته اى عده هينا واهانته
لعدم مبالاته به بما اتى به بما كفر به فهو دليل على سوء طويته اى ما اخفاه
من سوء الاعتقاد وسمى المضمر طوية تشبيها بما طوى في داخل غطا يغطيه
ودليل على كذب توبته وانه انما تاب خوفا من العقوبة وصار بما ذكر كالزنديق
الذى يظهر الاسلام ويخفى الكفر الذى لا تاد من مع ما ذكر باطنه مما اخفاه
من كفره فقد يغمر فيه شيا من ذلك ولا يقبل رجوعه لما علم من سوء عقيدته
وما اخفاه مما اذا وجد فرصته عاد اليه وحكم السكران في عقوبته وتكفيره
حكم الصاحى في مواخذته بما صدر منه لتعديه بسكره فيغلظ عليه والسكر
غيبة العقل بما تعاطاه من الخمر وللفقها فيه حدود كلها ترجع للعرف فافادة
وهو بديهى غير محتاج لتعريف وللسكر حالات فاوله نشاة ووسطه
فوق ذلك فهو تراخ في الاعضا واخره زوال العقل وسقوط الحركة ولذا
اختلفوا فيه هل هو مكلف ام لا على اقوال ثلاثة ثالثها ان تعدى بسكره
يجرى عليه احكام التكليف من طلاقه وضمانه وكفره واسلامه فان لم يتعد
كان اكره او شرب لفقدا وا اضطرار لاساغة لقمة او شدة عطش لم يكلف
وينزل عليه قول المصنف حكمه حكم الصاحى واما المجنون وهو الذى زال

عقله

عقله بالكلية وهو معلوم والمعتوه من العته وهو اختلال في العقل دون
الجنون بحيث يكثر ذهوله ونسيانه ويختلط كلامه احيانا حتى يشبه المجنون
لكن يشبه بتنبيه غيره له ويختل فعال معاشه فما علم انه قال من ذلك السب
ونحوه في حال غمرته بغين معجمة مفتوحة وميم ساكنة اى ذهاب عقله بالكلية
وقد سمعت تحقيق معنى الغمرة قريبا وذهاب ميزه بفتح الميم وسكون المثناة التحتية
وزاى معجمة اى تمييزه وادراكه بالكلية بحيث لا يعقل اصلا ولا يفهم شيئا فلا
ينظر فيه اى لا يتعرض له ولا يحكم عليه بكفر ولا غيره لانه غير مكلف فلا يواخذ
بما يصدر عنه وما فعله من ذلك السب ونحوه في حال ميزه اى تمييزه لما يصدر
عنه وهو من جنونه متقطع غير مطبق وقوله وان لم يكن معه عقله اما ان يريد به
لم يكن عقله مستمر المتقطع جنونه او يريد عقله الكامل بان يدرك امرا دون امر
والا تناقض كلامه لان من لا عقل له لا ميز له وسقط تكليفه لجنونه وان كان له
تمييز ما ادب مبنى للمجهول اى بضرب ونحوه على ذلك القول وزجره اى منع
بنهره وتخويفه كما ترى بعض المجانين يخاف من الضرب والزجر وفي نسخة فيتزجر
عنه كما يودب على قبايح الافعال غير ذلك اذا صدر عنه ويوالى مبنى للمجهول اى
يكرر ادبه مرارا لان التكرار له شدة تاثير حتى في البهايم وغيرها كما قال
اما ترى الحبل بتكراره في الصخرة الصما قد اثرا كما تودب البهيمة التى لا تعقل
كالفرس والحمار على سوء الخلق كحران ورفس وغير ذلك حتى ترتاض اى تنقاد وتستقيم
افعالها من الرياضة في الامور وقد حرق على بن ابى طالب رضى الله عنه من ادعى الا
لهية له بان قال له انت الاله اى احرقه بالنار لكفره وهو كما تاريخ الصفدى نصير
مولى على رضى الله عنه لما قال له انت الاله فاحرقه بالنار فقال وهو يحترق لو لم
يكن الها لم يعذب بالنار واليه تنتسب الفرقة النصيرية وهم فرقة منهم ادعوا
ان في على جزءا والاده جزءا من الالهية وقالوا ظهور الروحانى بالجسمانى امر معقول
لظهور جبريل في صورة البشر الى اخر ما حكاه عنهم وقول البلجى هو عبد الله بن سبا
واتباعه قالوا له انت الاله حقا فنفاه الى المداين كلام متناقض الا ان يريد نفى اتباعه
ولا قرينة تدل على هذا فهو سبق قلم ثم ان التحريق بالنار لا يجوز لحديث ابن عباس
رضى الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم انه لا يعذب بالنار الا خالقها وكان
امر بتحريق ناس ثم نهى عنه فهو منسوخ فان كان قتلهم ثم احرقهم تمثيلا بهم
فهو مذهب له لان الصحابة مجتهدون ومن احرق رجلا ففى القصاص بمثل فعله عن مالك
روايتان وما روى عن بعض الصحابة من التحريق فيه كلام ليس هذا محله فالصحيح
المنع منه وقد قتل عبد الملك بن مروان هو احد الملوك من بنى مروان وترجمته
معروفة مشهورة في التواريخ الحارث المتنبى وصلبه اى الذى ادعى النبوة وهو

الحارث بن سعيد الكذاب وله ترجمة في الميزان وتاريخ الذهبي وعبد الملك ليس
ممن يستدل باقواله وافعاله فلعله استانس به لانه في عصر السلف ولم ينكروا عليه
ذلك كما يشير اليه قوله وفعل ذلك غير واحد من الخلفا والملوك باشباههم من امثال
مثل قولهم واجمع علما وقتهم على صواب فعلهم اى تصويبه اوهو من اضافة الصفة
للموصوف وذلك لكذبهم على الله بانه نباهم وتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم
في انه خاتم الرسل وانه لا نبي بعده واجمعوا ايضا على ان المخالف في ذلك اى تكفيرهم
بما ادعوه من كفرهم هو معقول المخالفة اى من خالف مكفرهم في تكفيرهم فقال لا يكفرون
كافر لانه رضي كفرهم وتكذيب الله ورسوله ولجمع فقها بغداد ايام المقتدر بالله ابو
الفضل جعفر بن المعتضد بالله ابي العباس احمد بن طلحة الموفق ابن جعفر بن المتوكل بن
محمد المعتصم بن هارون الرشيد الخليفة العباسي من المالكية وقاضي قضاتها ابو عمر
المالكي محمد بن يوسف بن يعقوب بن اسماعيل بن حماد بن زيد على قتل الحلاج الحسين بن
منصور المشهور وتاتي ترجمته سمي حلاجا لانه جلس يوما على حانوت حلاج واستقضاه
حاجة فقال له الحلاج انا مشتغل بالحلج فقال له اوض لي حاجتي احلج لك فمضى الحلاج
في حاجته فلما عاد وجد قطنه كله محلوجا وكان يحلجه عشرة رجال في ايام صعدة
ثم قتل له الحلاج وصلبه اى صلب الحلاج بعد قتله ليتزجر امثاله واتباعه لدعواه
الالهية اى قوله انا الله كما هو مشهور عنه ودعواه الحلول اى ان الله يحل في بعض الناس
ويظهر بصورته كما ظهر جبريل عليه الصلاة والسلام بصورة دحية رضي الله
عنه او يسري فيه سريان الما في العود الاخضر كما قاله بعض الملحدين وهوامر باطل
زينه لهم الشيطان وليس هذا وحدة الوجود التي ذهب اليها الصوفية كما بينه
السيد الشريف في شرح التجريد وقوله اى الحلاج انا الحق يريد انا الله لان الحق
من اسمايه تعالى مع تمسكه في الظاهر من احواله واموره بالشريعة ولم يقبلوا توبته
لتكرر ذلك منه واعلم ان الحارث المتقدم قيل انه ابن عبد الرحمن مولى بني الجلاس
الصيدري نزل دمشق واظهر الزهد والعبادة ثم حل به وزين له الشيطان
اعمالا اضل الناس بها فكان باب المسجد ينقر رخامة به فتسبح ابلغ تسبيح حتى يصيح
الحاضرون فياخذ عليهم العهود وان يكتموا امره ويطعم اصحابه في الشتا فاكهة
الصيف وفي الصيف فاكهة الشتا ويرى الناس اشباحا على خيول ويقول هم
الملايكة وادعى النبوة وكثر اتباعه وشاع امره فطلبه عبد الملك فاختفى
وذهب الى القدس فركب اليه الخليفة واتى برجل ممن يجتمع به فاعلمه اين هو فارسل
معه طايفة من الجند وكتب لنايبه بالقدس ان يطيع امره فاخذ معه جماعة معهم
شموع وقال اذا امرتكم فاوقدوها في الطرق ثم اتى داره ليلا وقال البوابه استاذن
على نبي الله فقال لهذا ليس وقت اذن فصاح على من معه حتى اوقدوا الشموع وصار

الليل كالنهار فهجم عليه فنزل سردابا اعده واختفى فيه فقال اصحابه انه رفع للسما
فهيهات ان تصلوا اليه فدخل سردابه واخرجه وسلمه للجند فاخذوه وقيدوه في
سلاسل فكانت تسقط وهو يقول اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله فلما اتوا به عبد
الملك صلبه ومثل هذه القصه قصة المقنع وغيره مما ظهر في صدر الاسلام
واما المقتدر فهو كما علمت ابو الفضل جعفر بن المعتضد العباسي توفي مقتولا في
شوال سنة عشرين وثلاثماية واما ابو عمر قاضي القضاة في زمن المقتدي فهو
محمد بن يوسف بن يعقوب بن اسماعيل كما مر الازدي البغدادي كان من خيار القضاة
جلالة وعلما وعقلا وذكا وصلاحا وروى عنه وهو من الثقاة توفي سنة عشرين
وثلاثماية في رمضان واما الحلاج فهو كما علمت الحسين بن منصور قيل كان ابوه من
مجوس فارس والحلاج في اول امره صحب الجنيد والسري والمشايخ مع الزهد ولزوم
العبادة التامة ببغداد واختلف في امره فقيل انه ذهب في سياحته للهند وخراسان
وتعلم السحر واظهره في صورة الكرامات واضل به الناس وسكن بغداد وبنى بها دارا
واتخذ بها املاكا كثيرة وصار يدعو الناس حتى شاع امره وذاع فوقع بينه وبين
الشبلي وداود الظاهري والوزير علي بن عيسى لما شاع عنه من الاخبار
بالمغيبات واظهار الامور الخارقة فقيل انه ساحر وشعبذة ومخرقة
وله معرفة بالطب والكيميا وغير ذلك من علوم الحكما فقيل انه ادعى الالوهية
واظهر الزندقة وكتب عليه محضر بذلك فقتل واحرقت جثته في يوم الثلاثا
لسبع بقين من ذي القعدة سنة سبع وثلاثماية بامر المقتدر بالله وحكي عنه
انه طلع المؤذن يؤذن فسمعه فقال للمؤذن كذبت فاستفتي عليه فقالوا يرمى
عنقه ويحرق فقال لاخته اذا انا رمي عنقي وصلبت فخذيني بعد الحرق فالقني
من رمادي على الدجلة ببغداد ثم انها فعلت ما قال لها فاشرفت بغداد على الغرق
ولما ان رمي عنقه صارت راسه تنط وتقول الله الله الله والناس ينظرون
اليها وقيل انه قبل ذلك وضع بالسجن فصور في حايط الجبس صورة مركب
وقال للمحبوسين قوموا بذكر الله تعالى ثم انهم فعلوا ذلك حتى غابوا عن
الحس فاذا هو وهم داخلون في المركب المصورة ونجوا جميعا وقيل انه حفر
حفرة واوقد فيها بالنار ووضع فيها هاون ثم انه بقي كالجمر وقال لاهل المدينة
ولا وليا كل من كان صادقا بالله فيتقدم ويقف على الهاون داخل النار
فلم يتقدم احد ثم انه تقدم ووقف عليه فذاب تحت اقدامه حتى صار كالماء وذهب
كثير من المشايخ الى انه من اوليا الله منهم الغزالي واعتذر عما صدر منه في كتاب
مشكاة الانوار وافرد ابن الجوزي ترجمته بتاليف مستقل وصح عن الشبلي انه
قال كنت انا والحلاج شيا واحدا الا انه اظهر وكتمت وقد شهد بولايته كثير

من كبار المشايخ وقالوا انه عالم رباني منهم الشيخ عبد القادر الجيلاني وقال عثر
الحلاج ولم يكن له من ياخذ بيده ولو ادركت زمانه لاخذت بيده وقال ان قوله
انا الحق انما قاله لما غلب عليه شوقه وسكر من كاس محبته حتى عاين قدرته في كل شي
فكل شي راه ظنه قدحا وكل شخص راه ظنه الساقي وهو مقام الجمع عندهم
لكن اهل الشرع حفظوا احمى الشريعة ولذا سكت عن حاله بعضهم وقال
تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم والاعتقاد خير من الانتقاد والكف
اسلم قال الشاذلي اضطجعت في المسجد الاقصى في وسط الحرم فدخل خلق كثير
فواجا فقلت ما هذا الجمع قالوا جمع الانبيا والرسل قد حضروا ليشفعوا في حسين
الحلاج عند محمد عليه الصلاة والسلام في اساة ادب وقعت منه فنظرت
الى التخت فاذا نبينا عليه الصلاة والسلام جالس عليه بانفراده وجميع
الانبيا على الارض جالسون مثل ابراهيم وموسى وعيسى ونوح فوقفت انظر
واسمع كلامهم فخاطب موسى محمدا فقال له انك قلت علما امتي كانبيا بني اسرايل
فارني منهم واحدا فقال هذا واشار الى الغزالي فساله موسى سوالا فاجابه
بعشرة اجوبة فاعترض عليه موسى بان السوال ينبغي ان يطابق الجواب والسوال
واحد والجواب عشرة فقال له الغزالي هذا الاعتراض وارد عليك ايضا حين
سيلت وما تلك بيمينك يا موسى وكان الجواب هي عصاي فعددت لها صفات
كثيرة قال فبينا انا متفكر في جلالة قدر محمد عليه الصلاة والسلام وكونه جالسا
على التخت بانفراده والبقية على الارض اذ رفسني شخص برجله رفسة مزعجة فانتبهت
فاذا بقيم المسجد يشعل قناديل الاقصى فقال لا تعجب فان الكل خلقوا من نوره
فخررت مغشيا علي فلما اقاموا الصلاة افقت وطلبت القيم فلم اجده الى يومي
هذا ومن هنا قال صاحب البردة وانسب الى ذاته ما شيت من شرف
وانسب الى قدره ما شيت من عظم كذا في المحاضرات وكذلك اي كما حكموا في الحلاج
حكموا في ابن ابي الغراقيد هو في بعض النسخ بغين معجمة وراء مهملة والف بعدها
قاف ويا مثناة تحتية ودال مهملة وروي بزاي معجمة بدل الراء وبيا مثناة وبدو
منها وقيل ذا صوب وقال البرهان انه قيل تصوابه ابن ابي العواقب والصواب
الاول وانه جمع غرقدة او غرقد ومنه بقيع الغرقد وهي مقبرة المدينة والغرقد
شجر معروف والمذكور هو محمد بن علي بن ابي الغراقيد وكان شاع امره ببغداد
وادعى الالوهية وانه يحيي الموتى وادعى التناسخ والحلول فشاع وكثر
اتباعه وضل به ناس كثير فطلبه الراضي فهرب وغاب سنين ثم عاد فهجم عليه
ابن مقله وامسكه فاثبت كفره وكتب عليه القضاة وافتوا بقتله فقتل
واحرقت جثته في سنة اثنين وعشرين وثلثمائة وتبعه على حاله المذكور ابن ابي عون

صاحب كتاب التشبيه فقتل معه وكان ابن ابي الغراقيد على نحو مذهب الحلاج
فيما ادعاه مما نسب اليه وقد علمت ما فيه بعد هذا اي قتل الحلاج وصلبه ايام ال
راضي بالله بن المقتدر بالله وله ترجمة تقدم بعض منها قريبا وقاضي قضاة بغداد
اذ ذاك يوميذ ابو الحسين بن ابي عمر المالكي بن يوسف ابن يعقوب الازدي الذي
تقدم ذكره قريبا وقال محمد بن عبد الله ابن عبد الحكم في المبسوط من تنبا بهمزة تبدل
الفا في الاكثر اي ادعى النبوة قتل لما تقدم كما تقدم وقال ابو حنيفة واصحابه من جحد
اي تعمد الكذب فنفى ان الله خالقه او ربه او قال ليس لي رب خلقني فهو مرتد فله
حكم المرتد المشهور في كتب الفقه وقال ابن القاسم في كتاب ابن حبيب المعروف عند
المالكية وفي كتاب محمد في العتبية وهو محمد بن سحنون او ابن المواز من تنبا وادعى
النبوة يستتاب تطلب توبته سوا اسر ذلك اي اخفاه او اعلنه اي اظهره وهو
كالمرتد في احكامه وقال سحنون وغيره وقاله اشهب في حق رجل يهودي تنبا وادعى انه
رسول من الله ارسله الينا ان كان معلنا بذلك اي مظهرا له ما قاله استتيب فان تاب
فذاك والا قتل لانه اظهر امرا غير ما كفر به وقال الشيخ ابو محمد ابن ابي زيد صاحب
الرسالة المشهورة من لعن باريه بهمزة بتدل يا من برا الخلق اذا اوجدهم بغير مثال
وادعى ان لسانه زل اي اخطا ولم يرد ان يقول ذلك وانما اراد ان يقول لعن
الشيطان فلا يصدق بل يقتل بكفره ولا يقبل عذره بقوله ان لساني زل خطا
لما علم من كذب اليهود وحيلهم وهذا على القول الاخر من احد القولين في مذهب
مالك من انه لا تقبل توبته وفيما ذكره عن ابن ابي زيد من ان الخطا وسبق اللسان
لا يقبل نظر لما في مسلم ان رجلا اراد ان يقول اللهم انت ربي وانا عبدك فقال
انت عبدي وانا ربك لدهشته وسبق لسانه اليه ولم يواخذ به ولا شك
ان مثله معفو عنه فلعله لم تقم قرينة على مدعاه ولظهوره لم يصرح به فلا يرد
عليه اعتراض كما توهم فانه اجل من ان يخفى عليه مثله وقد تقدمت هذه المسيلة
في كلامه ولذا خص القايل بانه يهودي لان المسلم لا يواخذ بمثله وقال ابو الحسن
القابسي الذي تقدمت ترجمته في سكران قال في حال سكره انا الله انا الله
فتكراره يدل على تعمده فيما قاله ان تاب عن مقاله وادعى عدم قصده ادب
بنا المجهول بضربه وزجره ونحوه مما يراه ولسكره وغيبة عقله وبادرته لم يقتل
فلا وجه لما قيل انه مخالف لما قيل في الحلاج واضرابه كما لا يخفى فان عاد الى مثل
قوله انا الله مكررا طولب مطالبة الزنديق لانا لا نامن باطنه وخبث طويته
لان هذا لعوده وتكراره كفر ككفر المتلاعبين بالدين المستخفين له تهاونا كما
هو داب الزنادقة الذين لا يدينون بدين اصلا وهذا بنا على ما تقدم من انه يعامل
معاملة الصاحي كما تقدم وهذا مذهب مالك وعند غيره فيه خلاف مبسوط

في كتب الفقه فصل واما من تكلم بشيء من سقط القول السقط بفتحتين الخطا والامر
الذي لا يُعتدّ به حتى يستحق ان يسقط ويطرح وبمعنى الفضيحة والوهم في الكلام
وسخف اللفظ السُخف بضم فسكون بسين مهملة وخا معجمة وفا قلة العقل والمراد
ما يشا منه من الالفاظ السخيفة الركيكة ممن لم يضبط كلامه واهمل لسانه اى
اطلقه في الكلام فيتكلم من غير تدبر فتشبيه بدابته فمهمل لا تربط والاصل في الضبط
انه بمعنى الامساك باليد والمراد به انه لم يصن ولم يحفظ لسانه فهو من الكنايته
بما يقتضي الاستخفاف اى الاهانة والتحقير من غير مبالاة واصله عدّ الشي خفيفا
فعبر به عما ذكر وهو متعلق بتكلم او باهمل بمعنى طلق بعظم ربه والشي العظيم لا يكون
خفيفا فهو هنا في موقع حسن اى ما قدر الله حق قدره حيث استحق بمن هو اعظم
من كل عظيم فهو سُخف وحماقة وجلالة مولاه اى سيده والعبد الذليل اذا استحق
بسيده الجليل حقيق بكل تذليل او بمثل مضارع مثل المشدد ببعض مفعوله وفي نسخة
تمثل بمثناة ماض الاشيا اى الامور عن ذات الله وصفاته ببعض ما عظم الله بملكوته
تقدم ان الملكوت مبالغة في الملك ويراد به عالم الامر وهو ما كان مغيبا عنا من الملائكة
والسموات والعرش ونحوه اى جعله مثله كان يشبه ممدوحا له بجبريل او عدوا له
بملك الموت ونحوه مما يدل على سخافة عقله ودينه او يقول فضي الملك كعبة
يطوف بها اونزع بنون وزاي معجمة مفتوحة وعين مهملة اى اخذ وذهب في وصفه
من الكلام لمخلوق بما لا يليق اى لا يحق ونبا سبا الا في حق خالقه كان يقول يا ذا الجلال
والاكرام ونحوه كغير وجل غير قاصد بما قاله للكفر والاستخفاف اى الاهانة والاعامد
اى تعمد للالحاد اى الميل عن الحق والشرك بالله فانه احد معانيه كما في القرهستين واصل
معناه الميل فانما صدر عنه بجهالة وسخافة عقله فان تكرر هذا القول منه
وعرف به اى استهر بين الناس قوله لمثله دل مكرر صدوره منه على تلاعبه بدينه
اى عدم مبالاته به كاللعب واللهو فان من يتقيد بدينه لا يقدم على مثله واستخفافه
بحرمة ربه اى ما يلزمه لحترامه وصيانته ودل ايضا على جهله بعظيم عزته وكبريائه
هو بالمد بمعنى غاية العظمة في شانه سبحانه وتعالى اى تنزه وعلا جنابه عزته
عن مخلوقاته وهذا المذكور كفر لا مرية فيه اى لا شك في كونه كفرا وتقدم ان ميمه
مكسورة وتضم وكذلك يكفر ان كان ما اورده مما صدر عنه يوجب وفي نسخة
يقتضي الاستخفاف والاهانة وتجريه اى جسارته على عظيم عزته والتنقيص لربه
اى المنتقص كماله باهانته وقد افتى عبد الملك ابن حبيب وقد تقدمت ترجمته
واصبغ بن خليل ابو القاسم عن فقها قرطبة ذكره الذهبي في الميزان وقال انه يتهم
بالكذب توفي سنة ثلاث وسبعين وقيل سنة ست وخمسين ومايتين بقتل
الرجل المعروف بابن اخي ويروى اخت عجب بفتحتين علم زوجة عبد الرحمن الاموي امير

قرطبة ممنوع من الصرف للعلمية والتانيث المعنوي وهي عمة الرجل المذكور كما ياتي
وكان هذا الرجل خرج يوما من منزله فاخذه المطر اى وقع عليه بشدة حتى كانه
اخذه وعاقه عن مقصده فقال بدا بهمزة اخره اى شرع وابتدا الخراز الخراز بفتح
الخا المعجمة وتشديد الرا المهملة والف وزاي معجمة من الخرز وهو ثقب الجلود
للخياطة كالخفاف والقرب وهي تبل ويرش عليها الما عند خرزها لتليين يرش
جلود جمع جلد وهو معروف ويرش مضارع غايب من رشه يرشه اذا بله
بالما ويروى برش بالجر فشبه اديم السما بجلد واه يخاط حتى يمسك الما فكان
المطر نزل عليه من قربة باليه ترقع وفيه سخافة لا تخفى فاراد بالخراز قيوم السموات
والارض وملائكته وعلى كل حال فهو تلاعب وكان بعض الفقها بها اى بقرطبة في ذلك
الزمن ابو زيد صاحب الثمانية بوزن العدد المعروف وقيل انه ضبط بضم المثلثة
وميم والف ونون مكسورة بعدها يا مشددة ولم يغروه وعبد الاعلى بن وهب
وابان بن عيسى قد توقفوا اى لم يحكموا واحجموا عن سفك دمه اى قتله لعدم ما يقتضيه
لانه لم يصرح باسم الله وانما شبه السحاب بشن بال وهو لا يعد كفرا واشاروا اى
قالوا برايهم فيتم الى انه اى ما قاله عبث من القول كلام لا معنى له يعتد به كهزل عنا
الهزل والعبث بما لا يفيد يكفي فيه الادب اى التاديب والتعزير دون القتل وافتى
بمثله اى انه عبث يودب قايله القاضي حينئذ اى حين اذ وقعت هذه القصة وهو
موسى بن زياد قاضي قرطبة فقال ابن حبيب دمه في عنقي اى انا احكم بقتله واراقة
دمه فان كان فيه وزر قتله وعلي وزره وجزاوه في الدنيا والاخرة والعنق عضو
معروف ويقال اثم كذا في عنقه اذا لزمه كما قال تعالى الزمناه طايره في عنقه فهو كناية
او استعارة ايشتم بنبا المجهول رب نايب فاعله وجعله شتما بنا على انه اراد
بالخراز الله عز وجل عبدناه كناية عن عظمته وانه اهل للعبادة والخضوع فكيف
يشتم ثم لا ننتصر له اى ننار لما يخالف حقه وما يجب له انا اذن اى اذ لم ننصره لعبيد
سوء اذ لم يقوموا بحق سيدهم وربهم وما نحن له بعابدين له حق عبادته لرضانا بما قيل
فيه وبكى لغيرته وخوفه من الله ورفع المجلس اى ذكروا علم بهذه الواقعة اى خبره وما وقع
فيه فاطلق عليه كقوله واسئل القرية بعدك يا كليب المجلس الى الامير بها اى بالاندلس وحاكمها
عبد الرحمن بن الحكم الاموي بضم الهمزة وفتحها نسبة لامية وهو اى عبد الرحمن بن الحكم
بن هشام صاحب الاندلس وكان عادلا متقيا مجاهدا توفي سنة ثمان وثلاثين ومايتين
وعمره ستون وذكروا ان عبد الملك مفتي الاندلس وعالمها صاحب الواضحة في مذهب
مالك توفي في تلك السنة ايضا وكان اخذ عن اصحاب مالك وكانت عجب اى المراة
المذكورة عمة هذا الرجل المطلوب بما قاله وقيل خالته من حظاياه اى من زوجات
عبد الرحمن امير الاندلس جمع حظية كهنية وهي المراة التي تحظى عند زوجها اى تقرب

وتكريم لشدة محبته لها وذكره اشارة الى شدة دين الامير وزوجته اذ لم يسامح الاقربا
والمتابع لهامع شدة محبته لها وقربا لرجل منها واعلم الامير وهو مبنى للمجهول باختلاف
الفقها فى قتله فخرج الاذن لشرطية بالاخذ بقول ابن حبيب فى قتله وصاحبه اصبغ
ابن خليل ونوابه وعزل القاضى موسى بن زياد الذى قال يودب لتمته بالمداهنة فى هذه
القصة المذكورة اى المسامحة فى حدود الله لقرب الرجل من خطية الامير مع انه
قول وتقدم انه يستتاب فى قول اخر رجحه بعض الشراح فقيل وصلب بحضرة الفقيهين
ابن حبيب واصبغ بن خليل هنا ومر الفرق بين المداهنة والمداراة فان الاولى مذمومة
والثانية ممدوحة ان المداهنة استحباب ما لا يجوز لغرض فاسد والمداراة معاملة
بعض الناس بلين ورفق حتى يدفع به الضرر او يحصل به نفع دينى باعتبار وان كان
الظاهر يخالفه ووبخ بقية الفقها وسبهم لعدم حكمهم بقتله وهذا حكم من عرف
بذلك وتكرر وقوعه منه واما من صدرت عنه من ذلك القول الدال على الاستخفاف
اى وجدت ووقعت منه الهنة الواحدة اى قباحة وقعت منه نادرا يقال فيه هنة
وهناة وهنوات خصال سوء فى البيد اكرمت عرضا انه ينال بنحوه ان البرى
من الهناة سعيد كذا فى الاساس وفيه كلام فى كتب اللغة والنحو وقد تقدم الكلام
على شئ منه فى اول الباب الاول من القسم الرابع والفلتة هى الامر الذى يقع بغتة
من غير تدبر وفاوه تضم وتفتح والثانى على واضح الشاردة من شردت البهيمة اذا
ندت من صاحبها فاستعارها للزلة الصادرة بغتة او النادرة المنفردة التى لا تستقر
فكانها شاردة وليس معناها السائرة من قولهم قافلة شاردة اى سايرة فى البلاد لانها
اذا سارت اشتهرت وانتشرت ما لم تكن نقصا او ازرا اى اهانة وتنقيصا فيعاقب
عليها ويودب بزجر وتعزير دون قتل بقدر مقتضاها اى بحسب ما تقتضيه وشنعه
اى قباحة معناها وصورة حال قايلها بحسب ما يليق بحاله وشرح سببها فان بمعرفة
سببها الباعث عليها يعلم مراد من صدرت عنه ومقارنتها من احوال قايلها المؤذنة بانه
يستحق مقدارا من توبيخ او ضرب وجيع او حبس مديد لانه تعزير يتفاوت مراتبه
بحسب صاحبه بخلاف الحدود كما بينه الفقها وقد سيل ابن القاسم رحمه الله
عن رجل باسمه نحو يا زيد ويا عمرو فاجابه بقوله لبيك اللهم لبيك فقوله اللهم
بمعنى يا الله فى جواب من ناداه باسمه ومعنى لبيك المثنى اجابة بعد اجابة من لب
والب بمعنى اقام بمكان وتفصيله مشهور غنى عن ذكره هنا فقال ابن القاسم ان كان
جاهلا بمعناه او قال له على وجه سفه اى خفة وطيش من غير تامل وفكر فلا شئ
عليه قال القاضى ابو الفضل عياض المؤلف فى تفسيره وشرح قوله لا شئ عليه
معناه انه لا قتل يترتب عليه فيما صدر منه ثم بين ما يستحقه اذا لم يقتل فقال
والجاهل يزجر حتى ينتهى عما قاله ويعلم ما جهله والسفيه الذى لا يضبط

لسانه

لسانه لخفته يودب بضرب وجهن ونحوه واعلم ان المراد بالسفيه هنا من عقله
خفة ونقص لا الذى عرفه الفقها بالمبذر ولو قالها اى قال لبيك اللهم لبيك لمن
ناداه باسمه على اعتقاد انه اله اى مناديه منزلة من ربه تعالى بجعله الا انها
لكفر ووجهه ظاهر هنا الذى فصله مقتضى قوله اى قول ابن القاسم فى هذه
المسيلة وهذا هو الحكم فيما ذكر عند المالكية وغيرهم خالفهم فيها وقال لا يعذر
الا قريب عهد بالاسلام او مجنون كذا قيل وقد ينزل عليه كلام المصنف فتدبر
وقد اسرف كثير اى تجاوز الحد فى قباحته وترك ادبه وهو مستعار هنا من اسراف
المال لا اسراف المقال من سخفا الشعرا اى من سخف عقله وقل دينه كالعبدى فى
ديوانه الكبير كما يعرفه من راه ومتهميهم جمع منهم وهو من اتهم بالزندقة والالحاد
كابن عون فى هذا الباب الذى ذكر رب العزة بما يليق به واستخفوا عظيم هذه الحرمة
اى احترام الله واجلاله اى عدوه خفيفا هينا لا يبالى به فاتوا فى اشعارهم من ذلك
النوع بما ننزه اى نصون كتابنا هذا عنه فانه دا لا شفا له ولساننا واقلامنا
عن ذكره وكتابته ففيه اكتفا وذلك لقبحه فلا يسود به وجه قرطاس ثم اجاب
عن ذكره لبعض الالفاظ التى فيها سب لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم كما تقدم
فقال ولولا انا قصدنا نص مسايل حكيناها عن الايمة فى كتبهم ونص بالنون
وفى نسخة قص بالقاف والاولى احسن لما ذكرنا شيا مما ينقل بالمثلثة ذكره علينا
اى يعد ثقيلا لشدة قباحته لما فيه من الازرا بمقام الربوبية والنبوة مما حكيناه
فى هذه الفصول التى تقدمت واما ما ورد فى مثل هذا الامر الثقيل من اهل الجهالة
اى جهلة الاعراب واهل البادية الذين لا يعرفون الله ورسوله حق معرفته
ولا يعرفون امر الدين والشريعة لعدم مخالطة اهل الاسلام لجفاهم
وغلظ طباعهم واغاليط اللسان اى الذين عاندت السنتهم الغلط
فى وصفهم الله ورسوله وهو جمع اغلوطة كاعجوبة وهو الغلط الفاحش
الذى تنفر عنه الطباع السليمة كقول بعض الاعراب جمع اعرابى وهو من يسكن
البادية من العرب وكان قاله فى سنة مجدبة رب العباد ما لنا وما لكا قد كنت
تسقينا فما بدا لكا انزل علينا الغيث لا ابا لكا فى اشباه لهذا من كلام الجهال
رب العباد منادى مضاف منصوب اى يا رب العباد وحرف الندا محذوف
وهو جايز كثير والعباد جمع عبد كالعبيد وقيل ان الاول فى القران للمومنين
والثانى للكفار بالاستقرا والعباد دايما لله والعبيد له ولغيره ولا يختص بغيره
كما قيل وقوله ما لنا وما لكا استفهام والف ما لكا اطلاق يزاد زيادة
مطردة فى الشعر اى اى شئ كان ذلك واى شان من شئون تقتضى منعما عودتنا
من احسانك وبين هذا بقوله قد كنت تسقينا الى اخره اى عودتنا بانعامك

وانزال المطر فما سبب تغير الحال و تسقينا بفتح تا المضارعة وضمها يقال سقاه
واسقاه بمعنى وقيل سقاه اعطاه الما واسقاه دل عليه وقوله فما بدا لك بمعنى اطرالك
مناحتي غضبت علينا ومنعت عوايد فضلك يقال هذا في السوال ثم جعل عبارة
عن تغير الراى والرجوع عنه والندامة عليه كقوله ولو انني اضمرت في القلب توبة
وابصرت هذا في المنام بدا لى ومنه البدا الذى قاله اليهود وهو لا يجوز على الله
فان كان قصد هذا وكان الاستفهام فيه وفيما قبله انكارى فهو جهل منه والسوال
من اصله منكر فانه تعالى لا يسيل عما يفعل وما لى وما لك تستعمله الناس في التبرى
ويقوله القوى للضعيف وانزل درو المراد به الدعا والغيث المطر الا ان الاول
يختص بالخير لانه يغاث به الناس وقوله لا ابا لك جا في كلامهم كثيرا للمدح والذم
واصله دعا وهو على خلاف القياس لاعرابه بالحرف وشرطه وقياسه لا اب لك
وقد سمع لا اباك ولا ابك ايضا وخرج الاول على ان اللام اقحمت بين المضاف اليه
فاذا مدح به فمعناه انت شريف بنفسك من غير حاجة لانتساب وقد روى ان سليمان
بن عبد الملك لما سمع هذا حمله على محمل حسن فقال اشهد ان الله لا اب له ولا صاحبة
ولا والد ولا ولد وهذا الذى قاله الاعرابى على عادتهم في تخاطباتهم ولم يقصد ظاهره
ان كان مسلما فانه لم يعرف حاله وقريب منه قول ابن رواحة رضى الله عنه فاغفر فدا لك
ما اقتفينا فان لفدا لا يتصور في حق الله او الكلام تم عند الغيث وهذا خطاب
لمن معه كما قيل في كلام ابن دولته ويقال لا ابا لك للتعجب كما يقال للمدح والذم وفيه كلام
في كتب النحو وقيل انه مبنى على الفتح والفه اشباع اجرا للوصل مجرى الوقف وليس هذا
محل تفصيله والحاصل انه خاطب الله بما لا يليق به مما هو بحسب ظاهره كفر لكنه ناشى
من غلظ طبعه وجاهليته ان كان مسلما فان كان كافرا فحاله معلوم وجها لجمع جاهل
ومن كلام من لم يقومه اى يجعله مستقيما ثقاف بكسر المثلثة وقاف والف وفا والثقاف
في الاصل تقويم الرماح والخشب المعوج بالنار ونحوها يقال رمح مثقف ثم استعمل في غيره
مجازا كقوله عمرت من الليالى صعدة لم يقوم دراها غصن الثقاف فاستعير لما يوثر هنا
ولما يقيم الانسان من تاديب الشريعة والعلم اى تاديبه بتعليمه وارشاده لما يجب
عليه ومنه قول عايشة في ابيها رضى الله عنها اقام اوده بثقافه اى اصلح امور المسلمين
تدبيره في هذا الباب اى باب السخافة والتهاور والامور المتعلقة بالله والاول
انسب بقوله فقل ما يصدر هذا الكلام السخيف الا من جاهل بمقام الربوبية وقل
ما فيها كافة ولذا دخلت على الفعل وهى على اصلها او بمعنى النفى وفيه كلام مشهور
فيعذر بجهله لقرب عهده بالاسلام وكونه من اهل البوادى الذين لم يخالطوا المسلمين
فيجب تعليم ما يجب عليه وزجره والاغلاظ له بتوبيخه اشد توبيخ عن العود لمثله
اى لينتهى عنه فان لم ينته بعد التعليم قتل قال ابو سليمان الخطابى وهذا الكلام

الصادر عن السخفا تهور من القول التهور مجاوزة الحد بالوقوع من غير مبالاة في منكر
عظيم من قولهم هار البنا اذا سقط وانهار قال تعالى فانهار به في نار جهنم والله جل
جلاله منزه عن هذه الامور السخيفة التى تقدم ذكرها وقد روينا عن عون بن عبد الله
بن عتبة الهذلى الكوفى الزاهد الفقيه المحدث التابعى توفى في حدود العشرين ومائة
انه قال ليعظم بلام الامر المكسورة احدكم ربه فينزهه عن ان يذكر اسمه في كل شى
يذكره مقترنا به حتى يقول اخزى الله الكلب وفعل به اى بالكلب كذا من قتل ونحوه
فان اقتران اسمه بهذه المحقرات لا يليق وان كان ذلك بحسب المعنى صحيحا وكذا
اسم النبى صلى الله عليه وسلم كقول العامة ذلك في بيع امور حقيرة كما نبه عليه
بعض الفقها قال وكان عادة بعض من ادركنا من مشايخنا المالكية بالمغرب فلما
يذكر اسم الله تعالى في شى من الاشيا التى لم يذكرها الا فيما يتصل بطاعته من امور الدين
والشريعة والعبادة ولذا لم يضيفوا اليه الشر والقبايح وخلق المحقرات تادبا وان
كان خالقا وفاعلا لكل امر فلا يقال خالق الكلاب والقاذورات كما صرحوا به
وكان الشبلى ينشد اذا سيل عن هذا وينشد ويقبح من سواك الفعل عندى
وتفعله فيحسن منك ذاكا وكان بعض مشايخه يقول للانسان اذا دعا له جزيت
ببنا المجهول خيرا دون جزاك الله خيرا صونا لاسم الله عن الابتذال كما بين ذلك
بقوله وقلما يقول جزاك الله خيرا مصرحا باسم الله تعالى اعظاما لاسمه تعالى عن ذكره
في غير طاعة كالصلاة والاوراد والاذكار ان يمتهن افتعال من المهانة وهى الابتذال
والحقارة وعد كثرة ذكره حقارة في غير قربة اى في غير امر يتقرب به الى الله من عبادة
كما تقدم والدعا للمسلمين وان كان عبادة لكنه ليس من الطاعات التى فيها تعظيم له
وتعظيم لذكره ونية اسمه المقدر في الدعا يكفى في وجوده وكونه عبادة فلا يرد
عليه ما قيل ان الدعا للمومن على خير فعله طاعة مندوبة كقوله تعالى هل جزاء
الاحسان الا الاحسان والقربة اخص من الطاعة فذكر الله في الدعا وان كان
فيه تعظيم له ايضا الا ان ذكره في الصلاة ونحوها اكثر تعظيما الا انه
لا يخلو من شى ولذا قيل انه مخالف للسنة الماثورة من التصريح باسمه تعالى
في الدعاء وفى الايمان وقوله في الشروع في الافعال وعقب الطعام والشرب
الحمد لله فكيف يستدل بفعل بعض مشايخه على ما يخالف السنة فتدبر وحدثنا
الثقة اى الموثوق به وهذا توثيق لمجهول فلا فايدة فيه وقيل ان تعريفه للعهد
وانظر الى الامام ابى بكر ابن العربى وسيبويه في كتابه يقول قال لى الثقة يعنى
ابا زيد وما ذكر عمن ياتى ليس حديثا نبويا يقدح فيه جهل راويه وتقدم
في استعمال لفظ الثقة تفصيل للشافعى رضى الله عنه ان الامام ابا بكر الشاشى
هو وحيد دهره الامام ابو بكر محمد بن على بن اسماعيل القفال الشاشى نسبة

للناس مدينة فيما و را النهر وهو امام عظيم له تاليف جليلة وهو عمدة في مذهبه
والخلف في وفاته فقيل سنه ست وستين وثلاثمائة وقيل سنة ست وثلاثين
وقيل انه كان في اول امره معتزليا ثم رجع عن الاعتزال كان يعيب على اهل الكلام
وهو علم اصول الدين كثرة خوضهم فيه تعالى اى في البحث عن ذات الله تعالى
اى يعده عيبا اى ينهى عنه وكان اصل معنى الخوض الشروع في دخول الماء ثم استعير
للشروع في الامور ويقال تخاوضوا في الحديث اذا تفاوضوا فيه واكثر ما ورد في القران
فيما يذم شرعا وفي ذكر صفاته اى ذكر حقيقة صفات الله تعالى والبحث عنها اجلالا
لاسمه تعالى ويقول هولاء الباحثون عن ذات الله وصفاته يتمندلون بالله عز وجل تفعل
من المنديل وهو خرقة يمسح بها الايدى وجمعه مناديل ومنه اشتق تفعل فيقال تمندلت
وتمدلت وانكر بعضهم الثانية وقال انها مولدة غير فصيحة وهو هنا استعارة للابتذال
والامتهان وقد يقال ان مراده ذكر ما لا حاجة اليه من المباحث الكلامية والا فكيف
ينكر علم الكلام وقد قال صلى الله عليه وسلم ستفترق امتى ثلاثا وسبعين فرقة
فهذه الفرق الضالة لها اعتقادات باطلة قد يظهرونها ويذكرون لها ادلة فمقابلتهم
وابطال ادلتهم واجب فكيف يمنع منه مطلقا فكلام المص ليس على اطلاقه وقد يقال
ان في قوله يتمندلون التقييد له فافهمه وينزل الكلام في هذا الباب الذى وقع فيه
مثل ما تقدم في حق الله عز وجل تنزيله في باب ساب النبى صلى الله عليه وسلم فيجعل احكام
هذا احكامه على الوجوه السابقة في المسايل التى فصلنا ها في هذا الكتاب كما تقدم
والله الموفق للصواب

فصل وحكم من سب ساير انبيا الله تعالى

عز وجل وملايكته او استخف بهم اى ذكر ما فيه تحقيرا واهانة لهم او كذبهم اى نسبهم
الى الكذب فيما اتوا به عن الله من وحيه او انكرهم اى اعتقد عدم وجودهم او انكر وجود
النبوة والرسالة او جحدهم اى انكر وجودهم عنادا مع علمه به كبعض اليهود والنصارى
حكم من سب نبينا صلى الله عليه وسلم وقد تقدم تفصيله وحكم الاول مبتدا وهذا
خبره على مساق اى على الحكم الذى سقناه على تفصيل ما قدمناه عن ايمة الدين في هذا
الكتاب كما سمعته ثم لما استدل على ان حكم ساير الانبيا كحكم نبينا فقال قال الله
تعالى عز وجل في كتابه الكريم ان الذين يكفرون بالله ورسله من رسل البشر ورسل
الملايكة ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ايمانا وكفرا القوله ويقولون نومن
ببعض منهم ونكفر ببعض كاليهود كفروا بعيسى ومحمد والانجيل والقران والنصارى
كفروا بمحمد والقران الاية اى اذكر الاية واقراها الى اخرها يعنى ويريدون ان يتخذوا
بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا فهذه الاية وما بعدها تدل على ان الايمان
لا يكون ايمانا مخلصا من الخلود في النار الا اذا امنوا بالله عز وجل وبجميع رسله وكتبه
وما جاهم من الوحى من عند الله فمن امن ببعض وكفر ببعض كمن لم يومن بشيء اصلا وقال

تعالى عز وجل قولوا امنا بالله وما انزل الينا من القران وغيره من الاحكام وما انزل
الى ابراهيم من الصحف وغيرها الاية من قوله واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط
وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم وقال كل امن
بالله وملايكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله فهذه الاية صريحة فيما قاله
قال مالك في كتاب عبد الملك بن حبيب ومحمد بن سحنون وقال ابن القاسم وابن الماجشون
وابن عبد الحكم واصبغ وسحنون تقدمت تراجم هولاء فيمن شتم الانبيا او احدا منهم
صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين او تنقصه اى نسب احدا منهم لشيء من النقص
بما لا يليق به قتل ولم يستتب فان تاب لم تنفعه توبته لان حده القتل ومن سبهم
اى الانبيا او احدا منهم من اهل الذمة كاليهود والنصارى قتل الا ان يسلم فلا
يقتل لان الاسلام يجب ما قبله وفيه تالف لغيره وروى سحنون عن ابن القاسم
من سب الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين من اليهود والنصارى بغير الوجه
الذى به كفر ككون المسيح ابن الله والعزير ابن الله ضربت عنقه ولا يستتاب لانه لم
يعاهد عليه الا ان يسلم طوعا منه كما قيده به في المبسوطة وقد تقدم الخلاف
بين ايمة الدين في هذا الاصل اى من سب الله بغير الوجه الذى كفر به هل يستتاب
ام لا وقال القاضى بقرطبة سعيد بن سليمان في بعض اجوبته عن هذه المسيلة
من سب الله تعالى عز وجل وملايكته قتل لجراته على الله وملايكته وقال سحنون
من شتم ملكا من الملايكة فعليه القتل لانهم عباد مكرمون بررة مبرؤون من النقايص
وفي كتاب النوادر لابن ابى زيد رحمه الله عن مالك بن انس فيمن قال ان جبريل عليه
الصلاة والسلام اخطا بالوحى الذى اتى به لمحمد صلى الله عليه وسلم فوضعه
في غير محله وقال انما النبى الذى امر جبريل عليه الصلاة والسلام بانزال الوحى
عليه على بن ابى طالب كرم الله وجهه لا محمد صلى الله عليه وسلم استتيب
اى عرضت عليه التوبة عما قاله فان تاب لم يقتل والا اى ان لم يتب قتل لكذبه على
جبريل ولنسبته للخطا وهو لا يفعل الا ما يومر به ونحوه عن سحنون اى مثل ما في النوادر
روى عن سحنون وهذا اى نسبته الخطا لجبريل قول الغرابية هم طايفة من الرافضة
قالوا على اشبه بمحمد من الغراب بالغراب كما بينه بقوله من الروافض سموا بذلك اى بالغرابية
لقولهم كان النبى صلى الله عليه وسلم اشبه بعلى اى اشد شبها من الغراب بالغراب
والذباب بالذباب فلذا غلط جبريل عليه الصلاة والسلام في تبليغ رسالة
على الى محمد صلى الله عليه وسلم ويسمون جبريل ذا الريش قيل وهذا مقيد بغير
اليهود فانهم صرحوا بعداوة جبريل كما رواه الترمذى عنه صلى الله عليه وسلم
ان اليهود قالوا له لكل نبى من الانبيا ملك ياتيه برسالة ربه فمن صاحبك حتى نتبعك
قال جبريل قالوا هو نزول بالحروب والقتال وهو عدونا فلو قلت ميكايل الذى

يانى بالقطر والرحمة ابشعناك فانزل الله قل من كان عدوا لجبريل الاية وقال ابو حنيفة
واصحابه ممن هو على مذهبه كمحمد وغيره منا على اصلهم اى قاعدة مذهبهم من كذب باحد
من الانبيا اى قال بانه كذب لا اصل له وجحده او تنقص احدا منهم اى نسب له ما فيه
نقص له او برى منه اى من محبته والايمان به او شك فى شئ من ذلك فقال لا التحققه
فهو مرتد حكمه حكم المرتد فى مذهبه وقد تقدم وقال ابو الحسن القابسى الذى قدمنا
ترجمته فى الرجل الذى قالت لاخر ممن يكرهه كانه اى كان وجهه وجه مالك خازن
النار الغضبان الذى يظهر الغضب والعبوس وانما تشبيهه به فى لزوم الغضب
وهذا تخييل فاسد والا فهو منشرح للقيام بما امره الله به وقيل انه اطلق اسم البعض
على الكل مبالغة لو عرف من حال القايل انه قصد ذم الملك قتل فان لم يعلم ذلك لم
يقتل لتصوره انه غضبه استثنا الا امر به فى هم ملة اهل جهنم بذلك كالسجان
المشدد على من فى سجنه بامر الملك وهذا مذهب مالك وابى حنيفة واما عند الشافعى
ففيه خلاف فى كتبهم قال القاضى ابو الفضل عياض مصنف هذا الكتاب رضى الله
عنه وهذا كله اى ما ذكر فى هذه المسايل فيمن تكلم فيهم اى فى الانبيا والملايكة
بما قلناه مما تقدم ذكره على جملة الملايكة والنبيين اى مجموعهم لا جميعهم او تكلم
بما قلناه على واحد معين منهم ممن حققنا اى نبيا واثبتنا فيما تقدم كونه من الملايكة
والنبيين ممن نص الله عليه فى كتابه بذكره باسمه صريحا فى القران او حققنا علمه
بانه منهم بالخبر المتواتر الذى لا يقبل الكذب والاجماع القاطع بوجوده والخبر
المشتهر المتفق عليه ممن يعتد به من رواة الحديث وعلما الدين وفى نسخة المشهور
وهو ما رواه جمع كثير لم يبلغوا احدا لتواتر كجبريل وميكايل هما من رسل الملايكة
وايل اسم من اسما الله بالعبرانية ومعنى جبريل عبد الله فجبريل موكل بالوحى وتبليغ
اسرار الملكوت وميكايل موكل بالامطار والارزاق كما فى احوال الملايكة فصلها
السيوطى فى كتاب مستقل سماه الحبايك فى اخبار الملايك وهو كتاب جليل
ومالك اسم الملك الموكل بالنار وهو ثابت بالتواتر وخزنة الجنة كحافظ وحفظة
وزنا ومعنى وهم الملايكة الموكلون بحفظ الجنة واهلها وخزنة جهنم والزبانية
وحملة العرش وهذا مما علم بنص القران والتواتر اما جبريل وميكايل فملكان
عظيمان مشهوران وفى حديث رواه الحاكم وزيراى من اهل السما جبريل وميكايل
ومن اهل الارض ابو بكر وعمر ومالك خازن النار ذكره الله فى قوله ونادوا يا مالك
ليقض علينا ربك وخزنة الجنة ورد ذكرهم فى احاديث كثيرة وخزنة جهنم ذكرهم الله
فى قوله عليها ملايكة غلاظ شداد وهم تسعة عشر قال تعالى عليها تسعة عشر
وما جعلنا اصحاب النار الا ملايكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا
وقال القرطبى التسعة عشر روسا وهم وعدة الخزنة لا يعلمها الا الله وجهلم

علم لدار العذاب

علم لدار العذاب ممنوع من الصرف للعلمية والتانيث والزبانية ملايكة العذاب
ورد فى الحديث راس احدهم فى السما ورجله فى الارض وهم اعظم الناس خلقا واشدهم
من زبنه اذا دفعه لانهم يدفعون الكفار بارجلهم وواحدهم زبنى كعفريت وزبنى
كجنى وقال قتادة هم الشرط فى كلام العرب وحملة العرش جمع حامل كخزنة وهم ثمانية
قال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وورد فى صفتهم وتسبيحهم
احاديث كثيرة ولم يسم منهم غير اسرافيل المذكورين باسمايهم فى القران من الملايكة
الذين تقدم ذكرهم وذكر الايات التى فيها اسما الملايكة وفيه ملايكة كثيرة
ذكروا بصفاتهم دون اعلامهم ومن سمى فيه اى فى القران من الانبيا كادم
ونوح وابراهيم وغيرهم وكعزرايل وهو ملك الموت ولم يذكر فى القران
باسمه وذكر فيه ملك الموت واسرافيل لم يصرح باسمه فى القران وذكر
بصفته رضوان بكسر الرا وضمها وبهما قرى فى القران ومنه نقل علم خازن
الجنة سمى لانه خازن محل الرضوان وروى ابن عساكر وغيره فى اسباب النزول
ان المشركين لما عيروا النبى صلى الله عليه وسلم بالفاقة وقالوا مال هذا الرسول
ياكل الطعام الاية حزن لذلك فنزل عليه جبريل وقال ربك يقرئك السلام
ويقول لك وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون
فى الاسواق فبينما هو معه راه ذاب من خوفه فقال فتح باب من ابواب السماء لم يفتح قبل
ثم عاد لحاله وقال له ابشر هذا رضوان خازن الجنان فسلم رضوان عليه ومعه
سفط من نور يتلالا فقال يا محمد ربك يقريك السلام ويقول لك هذا مفاتيح
خزاين الدنيا ان شيت خذها ولا ينقص لك مما قد رمقدار جناح بعوضة فنظر
لجبريل كالمستشير له فقال له تواضع لله فقال يا رضوان لا حاجة لى بها فقال له
اصبت اصاب الله بك ويروى ان رضوان نزل بهذه الاية تبارك الذى ان شاء
جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا وفيه
ان من الايات ما نزل به غير جبريل من الملايكة وهى فايدة غريبة والحفظة بزنة
كتبة جمع حافظ وهم الكرام الكاتبون قال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين
يعلمون ما تفعلون واياتاخرو هما ملكان احدهما يكتب الحسنات والاخر يكتب
السيات وروى انه وكل بالانسان خمسة ملكان بالليل وملكان بالنهار ولاخر
لا يفارقه ويجتمعون فى صلاة الفجر والعصر فيسالهم الله كيف تركتم عبادى فيقولون
تركناهم يصلون واخرج الطبرى من طريق كنانة العدوى ان عثمان بن عفان رضى الله
عنه سال النبى صلى الله عليه وسلم عن عدد الملايكة الموكلين بالادمى فقال
لكل ادمى عشرة بالليل وعشرة بالنهار واحد عن يمينه واخر عن شماله واثنان من بين
يديه ومن خلفه واثنان على جبينه واخر قابض على ناصيته فان تواضع رفعه وان تكبر

وضعه واثنان على شقيه ليس يحفظان عليه الا الصلاة على محمد والعاشر يحرسه من
الحية ان تدخل فاه يعني اذا نام والاحاديث في ذلك كثيرة استوفاها الجلال السيوطي
في كتبه فجزاه الله خيرا كمنكر بضم الميم وفتح الكاف وكسرها خطا ونكير بفتح النون وكسر
الكاف وهما ملكا السوال اللذان ياتيان الميت ليسالاه في قبره كما ورد في الصحيحين
وقال السيوطي حديث ملكي السوال متواتر وذكر من رواه وطرقه وذكر بعضهم
ان اللذين ياتيان المؤمن يسميان مبشرا وبشيرا وذكر القرطبي انه روى ان السايل ملك وان
السوال قبل انصراف الناس وهو معارض لما روى انهما ملكان وسوالهما بعد انصراف
الناس وجمع بينهما بانه باعتبار الاشخاص فمنهم من ياتيه اثنان ومنهم من ياتيه
واحد ومنهم من يسال والناس عند قبره حتى لا يستوحش ومنهم من هو بخلافه اوهما
اثنان والسايل له احدهما قال السيوطي وهو الصواب فان ذكر الملكين هو الوارد
في غالب الاحاديث وله في هذين الملكين تاليف مستقل فيه فوايد جمة لا يستغني
عنها طالب علم ذلك من الملايكة المتفق بين المحدثين على قبول الخبر بهما بما ورد
في كتب السنة المعتمد عليها فاما من لم تثبت الاخبار بتعيينه باسمه معينا ولا وقع
الاجماع من الامة على كونه من الملايكة او لم يقع الاجماع على كونه من الانبيا والمرسلين
كهاروت وماروت في الملايكة وهما علمان عجميان وقيل انهما مشتقان من الهرت
والمرت وهو المفازة والاول اصح لمنع الصرف واختلف هل هما ملكان بفتح اللام
او بكسرها سميا ملكين لحسن صورتهما وسيرتهما فلا تنافي بين القراتين والجمع بغيره اقرب
وفي الحديث اشرفت الملايكة على الارض فراوا بني ادم يعصون فقالوا ما اجهل هولاء
بعظمتك يا رب فقال الله لهم لو كنتم مثلهم عصيتم فقالوا كيف هذا ونحن لا نفتر
عن عبادتك فقال اختاروا ملكين فاختاروا هاروت وماروت فركب فيهما شهوة
بني ادم واهبطهما الى الارض ومثلت لهما الزهرة امراة حسنا فعشقاها ولم يزل
الاخرى واقعاها فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة فاختارا عذاب الدنيا
لانقطاعه وهما المذكوران وانكر بعضهم هذا الحديث لعصمة الملايكة وقال
الحافظ ابن حجر والسيوطي كما تقدم انه روي من طرق اكثر من عشرين فبلغ الحديث
الحديث مرتبة الحسن وقد افردوه بالتاليف فلا وجه لانكاره وتبعهما ابن حجر الهيتمي
فقال في الاعلام بعد سياق كلام المص برمته وهو ظاهر جلي وبه يعلم خطا من قال
ان ما يحكيه المفسرون في قصة هاروت وماروت في ايتهما في سورة البقرة كفر وليس كما
زعم ولقد وقع بذلك في ورطة عظيمة وان كان جليلا فقد حكى هذه القصة اكابر
من المفسرين كابن جرير الطبري والامام البغوي وغيرهما ومن ثم انتصر لهم بعض المتاخرين
من المحدثين وخرج هذه القصة باسانيد صحيحة ورد على من خالف في ذلك فجزاه
الله على ذلك خيرا انتهى واما عصمة الملايكة فذهب بعض اهل الاصول كما ر ليلي

ان المعصوم انما هو رسلهم لا غيرهم كرسل البشر وعليه حمل قوله تعالى لا يعصون الله
ما امرهم ولك ان تقول انه لا يرد ولو قلنا بعصمة الجميع لانه بتركيبا لشهوة فيهم انسلخوا
من الملكية الى البشرية فصار حكمهم حكمهم في التكليف وغلبة الشهوة البشرية
ولا مانع في قدرة الله تعالى ان يصير نوعا كنوع اخر ومن الانبيا كالخضر تقدم الكلام
عليه تفصيلا ولقمان الحكيم لا لقمان بن عاد وهو من اهل ايلة ولد بعد عشر خلت من ملك
داود وفي اسم ابيه خلاف فقيل باعور وقيل عفا ثور وكان اسود اللون نزع له عرق من اتهانه
ولم يكن عبدا وقيل كان عبدا حبشيا او نوبيا لرجل قصار من بني اسرايل اشتراه وقيل
كان نجارا واختلفوا هل كان نبيا او رجلا صالحا غير نبي وقال سعيد بن المسيب كان
نبيا خياطا والاكثر على خلافه وقال حذيفة بن اليمان من الله عليه بالحكمة وخزن عنه
النبوة وله كلمات كثيرة في الحكمة ذكرها في حياة الزمان وذي القرنين كان في زمن الخليل
عليه الصلاة والسلام من ولد يافث بن نوح وقيل من ولد مسلم بن سام ولقي الخليل
صلى الله عليه وسلم فاوصاه بوصايا واختلفوا في اسمه على اقوال فقيل عبد الله وقيل
اسكندر وقيل وهب وقيل الصعب واختلف فيه هل كان نبيا ام لا والاكثر انه
رجل صالح على دين ابراهيم وفي تسميته بذي القرنين عشرة اقوال فقيل لانه ضربه قومه
على جانبي راسه وهما يسميان قرنين فهلك وقيل لانه سار لقرني الارض وهما المغرب
والمشرق وقيل لان جانبي راسه كالنحاس وقيل لانه راى في منامه انه اخذ بقرني
الشمس فقصه على قومه فسموه به وقيل لانه كانت له ضفيرتا شعر في راسه والضفيرة
تسمى قرنا وقيل غير ذلك وقصته مفصلة في حياة الزمان وقيل انه ملك بفتح اللام
والاصح انه رجل صالح ومريم بنت عمران التي قص الله قصتها في القران واختلف في
نبوتها والمشهور ان النبي لا يكون الا رجلا ذكرا ورجح بعض علما المغاربة انها كانت نبية
وان الذكورة انما تشترط في الرسول دون النبي لانه قد لا يومر بالتبليغ ورجحه القرطبي
وابن السيد البطليوسي وليس ببعيد والذي ذهب لنبوتها استدل بكلام الملايكة لها
وهو غير مسلم ومريم علم عبراني وقيل انه عربي واختلف في وزنه هل هو فعيل او فعلا
واسية بالمد قبل سين مهملة ومثناة تحتية وهي امراة فرعون وكانت امراة مومنة
صالحة ولم تكن نبية على الصحيح وخالد بن سنان المذكور في التواريخ وبعض
التفاسير انه نبي اهل الرس كان هو وقومه يسكنون عدن فخرجت بها نار عظيمة
اهلكت الضرع والزرع فالتجا اليه قومه في دفعها فاخذ عصاه وطردها حتى ادخلها
مغارة واطفاها وامر قومه ان يدعوه ثلاثة ايام بالغاية فانهم ان نادوه قبلها
يخرج اليهم ويموت وان تركوه خرج اليهم وكشف لهم احوال البرزخ وكان اوحي اليه
انه سيطلعه عليها ان مكث بالمغارة ثلاثة ايام فاستزلهم الشيطان حتى
نادوه قبلها وصاحوا فخرج اليهم وراسه متالمة من صياحهم وقال لهم اضعتموني

اذ لم يعملوا بوصيتي واخبرهم بموته وامرهم ان يتركوه اربعين يوما حتى يروا قطيع غنم
يقدمها حمار ابتر الذنب اي مقطوعه فاذا راوا ذلك نبشوا قبره ليخرج اليهم ويخبرهم
باحوال البرزخ فلما تم ميقاته وراوا القطيع فارادوا نبش قبره ليخبرهم بالبرزخ فابى
اولاده نبش قبره مخافة ان تعيرهم العرب بذلك وتسميهم اولاد المنبوش فضيعوا
وصيته لغيرة جاهلية فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته ابنته واخبرته
بانها ابنته فقال لها مرحبا يا بنت نبي ضيعه قومه وهو من بني عيسى وقد اختلف
في قصته هذه فذكرها الراغب وابن عربي في فصوصه وغير واحد من المحدثين وقيل
انه لا اصل لها واستدل بما رواه البخاري في صحيحه انه صلى الله عليه وسلم قال انا
اولى الناس بعيسى ابن مريم والانبيا اولاد علات وليس بيني وبينه نبي فهذا الحديث الصحيح
ينافيه وهو ارجح منه الا ان ابن حجر قال ان حديث خالد رواه الحاكم في مستدركه وله طرق
اخر يقتضي انه غير موضوع كما قيل وجمع بينهما بان قوله ليس بيني وبينه المراد به نبي صاحب
شريعة واقرب منه ان يقال انه كان وعد بالنبوة لو تم امره الذي وصى به قومه ولم يتم فلم يكن
نبيا كما يشير اليه قوله في الحديث ضيعه قومه فان قلت فما فايدة هذا الوعد حينيذ
قلت فايدته اعلامهم بحقيقة امر البرزخ والارهاص ببعثة نبينا الذي كشف بعض احواله
والرس براء مفتوحة وسين مشددة مهملتين وهي بير لم تطوا اي لم تبن بالحجارة وعن كعب
الاحبار ان نبي اهل الرس هو المذكور في سورة يس القايل يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي
وان قومه قتلوه وطرحوه في بير يقال لها الرس بانطاكية وهو حبيب النجار على القول بنبوته
وعن علي كرم الله وجهه انهم قوم كانوا يعبدون شجرة صنوبر فدعى عليهم نبيهم وكان
من اهل يهوذا فيبست الشجرة فقتلوه ورسوه في بير فاظلتهم سحابة سودا احرقتهم وقيل
انه كان باذربيجان وفي اصحاب الرس اقوال اخر في التفاسير ومثل الكلام في خالد بن
سنان الكلام في حنظلة بن صفوان وتمزكرادشت الذي تدعي المجوس ويذكر المورخون
نبوته قال البرهان زرادشت بزاي معجمة مفتوحة وراء مهملة والف ودال مهملة مفتوحة
وشين معجمة ساكنة وتاء مثناة فوقية هو صاحب كتاب المجوس هذا هو المحفوظ وقيل
الزاي المعجمة في اوله مضمومة انتهى وقيل داله مضمومة وقيل انها معجمة وقيل انه كان
نبيا حرفوا شريعته والمجوس تزعم انه نبي وهم قوم من الكفار الذين قالوا بالنور والظلمة
ومنهم المانوية ولهم اصول فاسدة وكان زرادشت حكيما ظهر في زمن مناسف بن مهران
واختلف في المجوس هل لهم شريعة وكتاب ام لا والكلام فيهم وفي اخذ الجزية منهم مفصل
في كتب الفقه تنبيه قال نجم الدين الطوفي الحنبلي في تفسيره بعد ما ذكر كلام المص زرادشت
متفق على عدم نبوته وهو من طبقة ماني ومزدك ولا شيء في سبه ولعنه فهذا اما وهم
من القاضي وراي غريب جدا انتهى اقول قال الشهرستاني في الملل والنحل زرادشت حكيم
مجوسي ظهر في زمن موسى عليه الصلاة والسلام من اذربيجان وهو كما تزعم الصابية نبي

مرسل

مرسل دينه عبادة الله والكفر بالشيطان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والخبايث وقال

النور والظلمة اصلان متضادان كيزدان واهرمن وهما مبدا موجودات العالم حدثت التراكيب
من امتزاجهما والنار خلق النور والظلمة وانما حدثت الشرور والخبايث من امتزاجهما وهو
اي مزجهما الحكمة وهو واحد لا شريك له وله كتاب سماه زند وستا صنفه وقيل انه
انزل عليه انتهى ومنه تعلم انه من قوم من الصابية لكنه اقرب الى الحق من بقيتهم
وترك سبه اولى لانه موحد ولعل المجوس حرفوا ما نقلوه عنه وفي كلام المص ايما
لهذا ثم رايت ما ذكره القاضي في كتب ساداتنا الشافعية وانه كان نزل عليه كتاب
ثم رفع ومنه يعلم صحة ما في الشفا وان ما قاله الطوفي غير مسلم وما كل دا يعالجه
الطبيب فاعرفه فليس الحكم في سابهم اي من سب هولا المختلف في نبوتهم وملكيتهم
والكافر بهم اي من انكرهم او انكر نبوتهم وملكيتهم كالحكم فيمن قدمناه ممن اتفق على انه
نبي او ملك ان لم يثبت لهم اي لهولا المختلف فيهم تلك الحرمة اي الاحترام لرفعة مقامهم
ووجوب تعظيمهم وتوقيرهم ولكن يزجر اي يمنع بزجر وتغليظ المقال له من تنقصهم اي
من ذكر ما فيه ذم وتنقص لهم واذاهم اي ذكر ما فيه اذية لهم ويودب اي يعزر بما يليق به
من ضرب وحبس ونحوه من انواع الاهانة بقدر حال المقول فيهم على قدر مراتبهم
في الشرف يكون مقدار الزجر والتاديب مفوضا لامر الحاكم لا سيما اي خصوصا وبذلك
واولى بذلك من تكلم في حق من عرفت صديقيته والكلام على سيما تقدم وشهرته تغني عن اعاده
والصديقية بكسر الصاد وتشديد الدال المهملتين وياء تحتية ساكنة وقاف تليها
ياء نسبة وهي صيغة مبالغة من الصدق ضد الكذب وهو معروف قال الراغب الصديق
من كثر منه الصدق وقيل هو من صدق بقوله واعتقاده وحقق صدقه بفعله قال
تعالى في حق ابراهيم عليه الصلاة والسلام انه كان صديقا نبيا وقال تعالى اولئك
الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين فهم قوم دون الانبيا في الفضيلة
انتهى اي من عرف بعظم تصديقه بالله واياته وشرايعه ومن عرفت فضله منهم اي
ممن ذكرنا وان لم تثبت نبوته اي كونه نبيا بنص معلوم لكنه علم فضله وصديقيته
فانها كافية في لزوم توقيره وكرهه وسبه واما انكار نبوته اي نبوة من لم يتفقوا على انه
نبي وانكار كون الاخر من الملايكة المتفق على ملكيتهم كجبريل مثلا وفي هذا تفصيل
فان كان المتكلم في ذلك القول في حقهم ما تقدم من تنقيص وانكار من اهل العلم
العالمين بما قاله علما السلف الثقات فلا حرج اي لا اثم عليه ولا تضييق عليه لعلمه
بما يقوله نقلا عنهم لاختلاف العلما المجتهدين والمولفين المعول عليهم في ذلك المذكور
من كونهم انبيا او ملايكة او لا وان كان الذي ذكرهم بما تقدم من انكار ونحوه من عوام الناس
الذين لم يعلموا ذلك ولم يتلقوه عن اهله زجر وردع بمنعه عن الخوض في مثل هذا اي التكلم
والمحادثة به واصله المشي في الماء الغير العميق فاستعير للتلبس بالامر والتصرف فيه

اى نهى وضع عنه وعن المجادلة فيه والمتكلم فيما لا يعنيه وهو الامر الذى فيه خلاف من غير
علم به لانه ليس اهلا له معه فيقع فى ورطة تجره لما يصعب عليه الخلاص منه ولذا استعار
للخوض الذى هو المشى فى الما على سبيل الكناية والتخييل فان الخائض فى الما لا يرى ما يمشى عليه
من الارض فربما صادف ماء عميقا بغتة فيغرق ولذا خصت هذه الاستعارة بما لا يحمد
من الكلام كما مر فان عاد للتكلم ولم ينته بالزجر ادب بضرب ونحوه لان اصراره على التكلم
فى مثله دليل على انه يتهاون بمن لا يليق به الا تعظيمه ويكون تاديبه بحسب المقول منه
كما مر اذ ليس لهم اى للعوام الكلام فى مثل هذا لعدم اهليتهم واحتياج الناس لكلامهم
وقد كره السلف اى من تقدم من ائمة الدين الاعلام الكلام فى مثل هذا الامر الذى اختلف
فيه مما ليس تحته اى معناه وما يدل عليه فكانه اى يجب ستره عمل من اعمال العبادة
والطاعة فتركه لا يفوت به شئ وذكره لا يترتب عليه امر من الطاعة لا هل العلم
متعلق بقوله كره فكيف بالعامة الذين لا علم عندهم فهم احرى بالكراهة والمنع من الخوض
فى مثله والتكلم فيه فمن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه ولذا قال صلى الله
عليه وسلم لمعاذ من قال لا اله الا الله محمد رسول الله صادقا حرمه الله على النار
فقال معاذ أُبَشِّرُ الناس بهذا فقال لا اذن يتكلوا اى يتركوا العمل والعبادة لانهم
من العذاب فليس للعلما والوعاظ الاكثار من الترغيبات فى العفو ومنه الحكمة
المسكوت عنها التى ذكرها المشايخ فصل اعلم ان من استخف بالقران اى
تهاون بتعظيمه وتوقيره او المصحف بضم الميم وكسرها ونقل فيه التثليث وهو مجمع
الصحف من اصحف اذا جمع وهو مخصوص بالقران او استخف بشئ منه كبعض اجزائه
قال ابن حجر ومن الاستخفاف به القاؤه فى القاذورات لغير عذر ولا قرينة تدل
على عدم الاستهزاء وان ضعفت والمراد بها النجاسات مطلقا بل والقذر الطاهر
ايضا كما صرح به بعضهم وكالقا المصحف ونحوه بالقذر تلطيخ الكعبة وغيرها
من المساجد بنجس ولو قيل ان تلطيخ الكعبة بالقذر الطاهر كذلك لم يبعد الا ان
كلامهم ربما ياباه والقا المصحف فى المكان القذر كالقايه فى القاذورات انتهى
ملخصا او سبهما اى سب القران او شيا منه والمراد به الفاظه والمراد بالمصحف
صور الفاظه المرسومة وما كتبت فيه او كذب به اى كذب القران بتكذيب ما فيه
او جحده اى انكره بغيا وعنادا والفرق بين التكذيب والجحدان الاول مطلق الانكار
والثانى الانكار لما يعلم حقيقته عنادا او جزا منه اى كذب او جحد جزا من القران كانكار
سورة او اية اى انكر اية منه والمراد انه لا ترد الزيادة او النقص الواقع فى القراات
فانه وقع زيادة بعض حروف وكلمات فيها بل ايات كالبسملة فى الفاتحة فانه
ليس زيادة ونقصا من القارى لتواتره فانما بين وفق المصحف متواترا او كذب به اى بجزء
منه ملفوظ او مكتوب او كذب بشئ منه اى مما تضمنه من الاحكام وغيرها او كذب بشئ

مما صرح به كبعض الرسل المصرح بهم فيه من حكم من احكامه الشرعية كالصلاة والزكاة
والحج والعمرة او خبر مما اخبر به كاباء ابليس السجود لادم عليه الصلاة والسلام وغيره
او اثبت ما نفاه القران او نفى ما اثبته كنفى بعض الخوارج سورة يوسف وقولهم انها ليست
قرانا على علم منه بذلك المذكور من النفى والاثبات بخلاف ما اثبته او نفاه على غير
علم او شك من ذلك المذكور كله فهو كافر بسبب ما صدر منه عند اهل العلم باجماع
من اهل العلم المعتد بهم ثم استدل على ما ذكر فقال قال الله تعالى وانه اى القران المذكور
فى قوله ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم لكتاب عزيز اى منيع محمى بحماية الله كما قال انا نحن نزلنا
الذكر وانا له لحافظون لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد هو
مثل ضربه الله لنفى تعلق الابطال به وانه لا يتوصل اليه فلا يجد طعن طاعن اليه سبيلا
لانه فى غاية الاحكام والرصانة فلا يتطرق الباطل له من جهة من الجهات فقوله من
بين يديه ولا من خلفه كناية عن ساير الجهات كما فى الكشاف وتحقيقه فى شروحه والباطل
فسر هنا بالشيطان والسحر ثنا اختصارا لحدثنا وقد يكتفى برسم نا كما بين فى مصطلح
الحديث وهو اشهر من ان يذكر الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد تقدم بيانه قال حدثنا
ابو على الحافظ الغسانى الثقة وقد تقدم قال حدثنا ابن عبد البر النمرى الحافظ امام
اهل المغرب بل الدنيا كما تقدم قال حدثنا ابن عبد المؤمن هو عبد الله بن محمد بن عبد
المؤمن القرطبى وله ترجمة مفصلة فى الميزان قال حدثنا ابن داسة بمهملتين مفتوحتين
الامام ابو بكر راوى سنن ابى داود عنه كما تقدم تفصيله قال حدثنا ابو داود وسليمان
ابن الاشعث السجستانى صاحب السنن وقد قدمنا ترجمته قال حدثنا احمد بن حنبل
امام اهل السنة كما تقدم قال حدثنا يزيد بن هارون ابو خالد السلمى الواسطى احد
الاعلام كما تقدم قال حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة بن ابى وقاص الليثى اخرج له
الشيخان وغيرهما توفى فى سنة مائة واربعين وار بعين عن ابى سلمة احد الفقها السبعة
عند بعضهم وفى اسمه اختلاف تقدم فى ترجمته عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى
صلى الله عليه وسلم فى حديث صحيح رواه ابو داود واحمد فى مسنده قال صلى الله
عليه وسلم المِرَا بكسر الميم وراء مهملة فالف ممدود مصدر ماراه يماريه مراءً من المرية
قال الراغب هى التردد فى الامر وهى اخص من الشك قال تعالى ولا تك فى مرية من لقائه
والامترا والمماراة المحاجة فيما فيه مرية قال تعالى ما كانوا فيه يمترون وقال تعالى
فلا تمار فيهم الا مرا ظاهرا واصله من مَرَيْتُ الناقة اذا مسحت ضرعها للحلب
انتهى فى القران كفر وفى رواية ابى داود لا تماروا فى القران فان مراء فيه كفر تو وك بضم
المثناة الفوقية والهمزة وبواو مشددة ولام مجهول تاوله اى فسره بعضهم بمعنى
الشك وفسره اخرون بمعنى الجدال الشك معلوم والجدال من الجدل وهو النزع
والمغالبة من جدلت الحبل اذا احكمت فتله كان كل واحد يفتل صاحبه عن رايه

اى يصرفه وقيل اصله الصراع لاسقاط كل انسان صاحبه على الجدالة وهي الارض
الصلبة قال تعالى قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا ونحوه قال الراغب وفي
نهاية ابن الاثير تبعا للهروى المراء الجدال والتماري والمماراة المجادلة على مذهب
الشك والريبة ويقال المناظرة مماراة لان كل واحد يستخرج ما عند صاحبه ويمتريه
كما يمتري الحالب اللبن من الضرع وقال ابو عبيد ليس وجه الحديث عندنا على الاختلاف
في التاويل بل على الاختلاف في اللفظ وهو ان يقرا شخص على حرف فيقول الاخر ليس
هو هكذا لكنه على خلافه وكلاهما منزل مقروء به فاذا جحد كل واحد قراءة صاحبه
لم يؤمن ان يكون ذلك اخرجه الى الكفر لانه نفى حرفا انزله الله على نبيه صلى الله عليه
وسلم وتنكير لفظ مرا في رواية ابي داود وايذانا بان شيا ما منه كفر فضلا عما زاد
عليه وقيل انما جا هذا في الجدال والمرا في الايات التي فيها ذكر القدر ونحوه مما هو على
مذهب اهل الكلام والاهوا والاراء دون ما تضمن الاحكام من الحلال والحرام فانه
مما جرى بين الصحابة والعلما من بعدهم والغرض الباعث عليه ظهور الحق ليتبع دون
الغلبة والتعجيز انتهى وقيل الاظهر ان المراد بالمرا الاختلاف في القراءات المتواترة كما
في البخاري ولا يخفى انه القول الاول بعينه فلا وجه لعده وجها اخر وعن ابن عباس
رضي الله عنهما في حديث رواه ابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من جحد اي
انكر اية من كتاب الله من المسلمين الذين لم يقرب عهد اسلامهم فقد حل ضرب عنقه اي
قتله لتكذيبه لله ولرسوله وكذلك اي مثل من جحد اية من القران فاوجب ذلك قتله
ان جحد التوراة والانجيل وساير كتب الله المنزلة بجملتها اجمالا او كفر بها بانكار نزول الوحي
على الرسل او لفها او سبها بكل ما ينقصها او استخف بها اى اهانها وحقرها فهو كافر لانها
كلها كلام الله سوا قلنا بالكلام النفسي وتقدم الالفاظ على مذهب السلف والشهر
ستاني صاحب الملل والنحل على نقله عنه في المواقف وارتضاه المحققون وقد اجمع المسلمون
على ان القران المتلو اي المقروء بالسنتنا في جميع اقطار الارض اي نواحيها وجهاتها
المعمورة جمع قطر بضم فسكون بمعنى ناحية وجانب المكتوب في المصحف وفي نسخة
في المصاحف بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان مثنى دفة بفتح الدال المهملة وضمها
وهو جانب الشي الذي يغطيه من جلد وخشب ونحوه ومنه دفة السفينة لسكانها وروى
فيه الدفات بالجمع مكان التثنية من اول الحمد لله رب العالمين الى اخر قل اعوذ برب الناس
اى من اول هذه السورة فانه علم لها بالغلبة يقال قرات الحمد لله اى هذه السورة فهو
شامل لمن قال ان البسملة اية منها ولمن قال بخلافه على الخلاف المشهور فيها وهنا كما قيل
في حديث كانوا يفتتحون القران بالحمد لله رب العالمين انه اسم من اسما سورة الفاتحة
اي كانوا يفتتحون السورة المسماة بالحمد لله الى اخره فلا حجة فيه على ان البسملة ليست
اية منها ومثله عبارة المص فلا وجه لما قيل من انه بنا على مذهب مالك من ان البسملة

ليس اية منها فان العبارة جارية على المذهبين ويجوز في قوله الحمد لله رب العالمين الجر
والرفع على الحكاية وكذا النصب على حكاية قراءة شاذة فيه قيل ويجوز كون كسر الدال
اتباعا للام انه كلام الله تعالى ووحيه المنزل به جبريل عليه الصلاة والسلام على
نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما فيه حق اي ثابت لا ريب فيه لفظا ومعنى من امر
ونهي وخبر ومواعظ وان من نقص منه حرفا قاصدا لذلك فان لم يقصده لنسيان ونحو
فلا يخرج فيه او بدله بحرف اخر مكانه هو كناية عن انه اسقط ذلك واثبت هذا او زاد
فيه حرفا لم تقرا به مما لم يشتمل عليه المصحف العثماني المسمى بالامام الذي وقع الاجماع
من الصحابة عليه واجمع ببنا المجهول وقيل اجمع مبني للفاعل بمعنى قصد وعزم على انه
ليس من القران اي مما زاده فيه ولو حرفا عامدا بالقصد لكل هذا انه كافر فان قلت
ما بين الدفتين يشمل البسملة في اول كل سورة فانها ثابتة في المصحف العثماني وبها قرا
بعض القرا السبعة فصلا ووصلا فيلزم تكفير من قال انها ليست قرانا في اوايل
السور قلت المراد بما بين الدفتين ما اثبت فيه متفقا على قرانيته وهذا ليس كذلك
فهو كاسما السور وهذا معلوم من قوله الذي وقع الاجماع عليه فخرج ما ذكر والمراد
بتبديل القران بغيره تبديله مع اعتقاد انه قران فلا يدخل فيه من يترجم القران بالفاظ
ويصلي به لعجزه عن التكلم بالعربية كما في رواية عن ابي حنيفة فان المترجم لا يقول ان
كلامه قران وكلام الله وهذا مع ظهوره حتى على بعض الشراح حتى اجاب بان ابا حنيفة
رجع عن هذا القول وهو مما يقتضى منه العجب ولو كان كذلك كان حكما بكفر قايله
قبل الرجوع فتدبر ولهذا اي لاجل ان جميع ما في المصحف حق وان من زاد فيه او نقص
كافر راى الامام مالك كذا من سب عايشة ام المؤمنين رضي الله عنها بالفرية بكسر الفا
مصدر اى الافترا والكذب عليها بما قاله المنافقون في قصة الافك المشهورة وتعريف
الفرية للعهد لانه خالف القران الذي ثبت فيه براءتها من تلك الفرية ومن خالف القران
عمدا قتل اي لانه كذب بما فيه فكذب الله ورسوله مع اثبات ما ينقص مقام النبوة كما
لا يخفى وقد اعترض على هذا المنقول عن مالك في حق عايشة فانه لا يتم مدعى ودليل بانه
ان اراد بتكذيب القران فيه انه كذب بحيث قذف عايشة فلا نص فيه على ذلك لانه خصوص
عن معتبر في تخصيص الحكم وان اراد انه مخالفة القران بارتكاب ما صرح به فيه من النهي
فيلزم تكفير كل من ارتكب كبيرة ورد في القران النهي عنها وليس كذلك الا ان يستحيل
ما ارتكبه بعد العلم به مع انه قد صرح في الاية بانه جلد على انه لو سلم انه كفر يكون
حكمه حكم المرتد فان اسلم لا يقتل وجوابه ان هذا مخصوص بعايشة عند مالك قال
القرطبي من سب عايشة رضي الله عنها مطلقا كفر لقوله عز وجل يعظكم الله ان تعودوا
لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين لان فيه اذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بهتك عرض
زوجاته فهو كفر قال هشام بن عمار سمعت هذا من مالك وقال ابو بكر بن عربي قال اصحاب

الشافعي من سب عايشة ادب كساير المؤمنات وقوله ان كنتم مؤمنين لا يقتضي كونه كفرا حقيقة
كحديث لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولنا ان اهل الافك رموا عايشة المطهرة بحشة
براها الله منها ومن سب من براه الله بما براه منه فقد كذبه ومن كذب الله فهو كافر وهذا
طريق قول مالك وقيل عليه ان ما نقله ابن عربي عن الشافعية ليس كذلك فانه صرح
في شرح الروض بخلافه وان مذهبهم كمذهب مالك في خصوص عايشة وقال الكافي
ايضا ولو قذف عايشة بالزنا صار كافرا بخلاف غيرها من الزوجات لان القران العظيم
نزل ببراتها وسياتي ايضا حكم قذف غيرها في كلام المص نقلا عن ابن شعبان وقال ابن
القاسم من ايمة المالكية من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما يقتل لانه كذب الله في قوله
وكلم الله موسى تكليما واتى بالمصدر المؤكد تلميحا للاية وايما الى انه نص فيه
ما يمنع عن تأويله وحمله على المجوز فيه وهذه المسيلة تقدمت في نفي صفات
الله فلا تكرار في كلامه وقال له اي عاذكر من نفي تكليم الله لموسى عبد الرحمن بن
مهدي بن حسان ابو سعيد البصري اللولوي الحافظ احد الاعلام في الحديث
قال ابن المديني كان اعلم الناس بالحديث ولد في سنة ثلاث وستين ومايه وتوفي
في سنة ثمان وتسعين ومايه واخرج له الستة وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذ
تان بكسر الواو المشددة وهما سورتا قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس
سميتا باولهما ليستا اي السورتان من كتاب الله اي القران يضرب عنقه اي يقتل
الا ان يتوب فيرجع عما قاله وهذا اشاره الى ما اشتهر عن ابن مسعود من ان
المعوذتين ليستا من القران وانما دعا ان كان يتعوذ بهما النبي صلى الله عليه وسلم
كقوله اعوذ بكلمات الله التامة من كل هامة ولامة وقد قال ابن حزم انه
افترا عليه وكيف يتوهم في مثله من اهل اللسان من عدم الفرق بين كلام
المعجز وغيره وسبب الغلط انه لم يكتبهما في مصحفه اكتفا بحفظه او انه كتب مصحفه
قبل نزولهما وكان لكل احد من كبار الصحابة مصحف يخصه فلما كتب المصحف
العثماني بمعرفة الصحابة تركت تلك المصاحف كلها وفي الانوار من كتب
الشافعية وانه لو قال ليست المعوذتان من القران اختلف في كفره وقال
بعضهم ان كان عاميا كفر او فقيها فلا وقال ابن حجر في الاعلام والوجه كفر منكر
المعوذتين الان لتخالفها للمسلمين لان ذلك لا يخفى على احد منهم وقال وفي فتاويه
وكذا يكفر من انكر اية او حرفا من القران مجمعا عليه كالمعوذتين بخلاف البسملة
فان قلت قد انكر ابن مسعود كون المعوذتين قرانا قلت قال النووي يشبه
انه كذب عليه فان قلت هل من جواب على تقدير الصحة التي انتصر لها شيخ
الاسلام ابن حجر وبين انه جا من طرق صحيحة قلت الجواب عنه انه لم يستقر
الاجماع عند انكاره على كونهما قرانا اما الان فقرانيتهما معلومة من الدين

بالضرورة

531

بالضرورة فيكفر منكرهما على ان ما روي من انكاره انما هو انكار رسمهما في مصحفه
لا لكونهما قرانا كما قال الباقلاني وغيره لانه لم يثبت في المصحف الذي عند الامام
النبي صلى الله عليه وسلم باثباته وهو لم يجده مكتوبا عنده ولا سمع امره به انتهى
وكذلك كل من كذب بحرف منه اي يضرب عنقه الا ان يتوب قال سحنون وكذلك اي يقتل
ان لم يتب ان شهد شاهد عدل على من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما كامر وشهد
اخر عليه اي على من قال ذلك القول انه قال ايضا ان الله تعالى ما اتخذ ابراهيم خليلا
يقبل لانه ينفي ما اثبته الله فهو تكذيب ورسوله لانهما بما شهدا به عليه اجتمعا على انه
كذب النبي صلى الله عليه وسلم فيما جا به من الوحي من ورود تكليمه واتخاذه خليلا
في القران مصححا به وفي هذا اشارة الى مسيلة ذكرها الفقها وهي تلفيق الشهادة بان
يشهد كل منهما على شي غير ما شهد عليه الاخر بحسب العبارة لكن المعنى المقصود منهما
واحد فهل ينظر للاول فلا تقبل الشهادة او للثاني فتقبل كان يشهد اثنان شهد شاهد
على انه وكله في اموره وشهد اخر على انه جعله وصيا له في حياته او وكله في بيع هذه
الجارية واخر انه وكله في بيعها وبيع عبد اخر معها ويسمى تلفيقا وتواردا عند الفقها
وله نظاير كثيرة وللفقها فيه خلاف مفصل في كتب الفقه وقال ابو عثمان ابن الحداد
القاضي البصري الشافعي الكناني صاحب التاليف البديعة والاثار العجيبة توفي سنة
اربع واربعين وثلثماية وترجمته في التواريخ غنية عن الاعادة كذا في بعض الشروح
ولست على ثقة منه جميع من ينتحل التوحيد اي ادعاه وانتسب اليه ولستعمل كثيرا
بمعنى الزعم والنحلة والعطية والهبة ايضا وهو بحا مهملة كناية هنا عن اهل الاسلام
الموحدين وما قيل من انه عبر به هنا لانه تصديق وكيفية نفسانية يخلقها عز وجل
من غير دخل للعبد فيها وانما هو مدعيها لنفسه ويثبت بما تكلف ركيك متفقون على ان الجحد
بحرف من التنزيل اي القران المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم كفر وعداه بالبا
وهو متعد بنفسه للواحد والاثنين او باللام كما وقع في بعض النسخ المتقوية لتضمنه
للكفر لقوله بعده كفر وكان ابو العالية تقدم في ترجمته ان ابا العالية متعدد
ولا ندري المراد به هنا منهما اذا قرا عنده رجل بقراة غير التي قرا بها لم يقل له اي لمن قرا
عنده انه ليس كما قرات لئلا ينكر شيا من القران ويقول للقاري اما انا فاقرا كذا
تفاديا عن الانكار صريحا فبلغ ذلك اي قول ابي العالية ابراهيم الظاهر انه النخعي
لشهرته كما تقدم في ترجمته ويحتمل انه التيمي فقال ابراهيم اراه بضم الهمزة اي اظنه
ويجوز فتحها سمع انه من بدل من الضمير اي ان من كفر بحرف منه فقد كفر بكله اي القران
وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فيما رواه عبد الرزاق عنه من كفر باية من القران
فقد كفر به كله لانه تكذيب لقايلها عز وجل وقال اصبغ بن الفرج بالجيم المصري من كذب
بالتشديد ببعض القران فقد كذب به كله ومن كذب به كله فقد كفر به ومن كفر به

فقد كفر بالله سبحانه فقد وليل بو الحسن القابسي الحافظ وقد قدمنا ترجمته عمن خاصم
يهوديا فحلف اليهودي له بالتوراة فقال الاخر الذي خاصمه لعن الله التوراة فشهد عليه
شاهد واحد بذلك الذي قاله ثم شهد اخر انه ساله عن القضية التي جرت بينهما فقال
اللاعن انما لعنت توراة اليهود المحرفة التي يقرونها بينهم فقال بو الحسن القابسي المسيول عليه
الشاهد الواحد لا يوجب القتل لعدم تمام نصاب الشهادة عليه والشاهد الثاني علق الامر
الذي شهد به بصفة هي توراة اليهود التي يتدارسونها بينهم وتلك الصفة التي تحتمل التاويل
في كلام اللاعن لان توراة اليهود تحتمل التي نزلت على نبيهم وتحتمل التي حرفوها وانها توراتهم
لا توراة نبيهم وكلام الله اذ لعله اى لعل القايل لعن الله التوراة لا يرى اى لا يعتقد ان اليهود
متمسكين بشي من عند الله مما اوحى به لموسى صلى الله عليه وسلم لتبديلهم وتحريفهم التوراة
التي اتى بها موسى عليه الصلاة والسلام بتبديل بعض الفاظها وتاويل بعض مالم يرد الله
ولو اتفق الشاهدان في شهادتيها على لعن التوراة لعنا مجردا عما قاله ثانيا من تعليقه باو تقييد
بصفة تحتمل اضافتها لليهود لضاق التاويل عن صرفه عن ظاهره لامر اخر ونقل بن حزم ان بعضهم
انكر تحريف التوراة وقال انها وصلت اليهم تواترا فما اخطاوا في تعبيرها وهذا لا ينبغي
لمسلم ان يعتقده بعد قوله تعالى يحرفون الكلم من بعد مواضعه والقران والاحاديث
شاهدة بخلافه فلا حاجة لنا بالاشتغال بمثله وعمل التاويل في تحريف التوراة في كلامه
للعهد اى نسخها المحرفة المبدلة وقد اتفق فقهها بغداد المدينة المعروفة وهي فارسية معربة
وفيها لغات قد الها تهمل وتعجم وتبدل الاخيرة نونا على استتابته ابن شنبوذ اى على انه طلب
منه التوبة عما صدر منه مما سياتي المقري اسم فاعل بزنة مكرم مهموز الاخر وهو العلم
بعلم القران ووجوهها من كيفية الادا المعروفة وابن شنبوذ هو ابو الحسن محمد بن احمد
بن ايوب بن الصلت بن شنبوذ بفتح الشين وسكون النون وضم البا الموحدة وواو
ساكنة وذال معجمة علم اعجمي ممنوع من الصرف وقول التلمساني انه يجري ولا يجري اى يصرف
ويمنع من الصرف لا وجه له وهو احد ايمة المقريين المتصدرين للاقرا بها اى ببغداد مع ابن
مجاهد احمد بن محمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي الاستاذ ابي بكر البغدادي بيبيس
القرا وهو اول من جمع القرات ولد سنة خمس واربعين ومايتين فابن شنبوذ من مشاهير
علما القرات من اقران ابن مجاهد وكان بينهما منافسة ومخاصمة وكان من الاعيان العلما
الروسا مع غفلة فيه ولما تصدر للاقرا في القرات انكروها عليه فعقد له مجلس واثبت
عليه ذلك فاغلظ عليه القول وضرب بالسياط وخشي من علو الناس عليه فاخرج
للمداين والبصرة ثم عاد لبغداد وكتب عليه محضر بعد استتابته ان لا يقري بما كان
يقرا به في الصلاة وغيرها من الشواذ كما قال المصنف لقراته واقرايه بشواذ جمع شاذ وهو
مالم يتواتر من الحروف جمع حرف بمعنى الوجه واللغة وهي احد الوجوه في حديث نزل
القران على سبعة احرف كلها كاف شاف والمصدر انتزاعا قوله بشواذ مما ليس في المصحف

تقريعه

532

تقريعه للعهد والمراد به مصحف عثمان بن عفان المسمى بالامام والذي ذكره ابن الانباري في طبقات
النحاة انه كان يرى القراة بالراى فيما وافق العربية واليه يميل كلام الزمخشري والرضي والذي
شدد عليه النكير الوزير بن مقلة الاتي ذكره فدعا عليه ابن شنبوذ ان يقطع الله يده
ويشتت شمله فاستجاب الله دعاه فيه وتوفي في سنة ثمان وعشرين وثلاثماية يوم
الاثنين لثلاث خلون من صفر وكان مجاب الدعوة وفي القاموس انه احمد بن احمد بن
شنبوذ وهو مخالف لما في التواريخ وعقدوا عليه العقد اصل معناه الربط مقابل
الحل والمراد به ما تبين من غير تردد فيه والعهد ايضا بالرجوع عنه اى عما كان يذهب اليه
من الاقرا بما ليس في المصحف العثماني مما تقدم والتوبة منه باعترافه بخطايه وندمه
العزم على عدم الرجوع اليه سجلا بكسر السين والجيم وتشديد اللام وهو في الاصل
اسم لما يكتب فيه قال تعالى كطي السجل للكتاب اى كطيه لما كتب فيه حفظا له ثم اختص
في العرف بما يكتب فيه حجة شرعية ووثيقة وهو المراد هنا اشهد فيه ببنا الفاعل اى
رضي شهادته من حضر بذلك اى برجوعه وتوبته على نفسه في مجلس الوزير ابي علي بن مقلة
سنة ثلاث وعشرين وثلاثماية من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام
والوزير الكاتب استوزره الخليفة المقتدر بالله سنة عشر وثلثماية ثم قبض عليه
سنة ثمان عشرة وصادره ونفاه لفارس ثم استوزره القاهر بالله واتهمه بامر فاستعفاه
من الوزارة فلما تولى الراضي بالله سنة اثنين وعشرين استوزره ثم غضب عليه وقطع
يده وسجنه فقال وهو مسجون خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها فلسنا من الاحيا فيها
ولا الموتى اذا جانا السجان يوما لحاجة عجبنا وقلنا جا هذا من الدنيا ونفرح بالرويا
فجل حديثنا اذا نحن اصبحنا الحديث عن الرويا ومن الحكمة السجن قبر الاحيا والوزير
وكيل السلطان في تصرفاته واختلف في اشتقاقه هل هو من الوزر بالسكون والتحريك
او من الازر بالجيم لكونه يشد ازره او يتحمل ثقله واوزاره واليه اشار الفرغي بقوله
هو الوزير ولا ازر يشد به مثل العروض له بحر بلا ما وكان فيمن افتى عليه بذلك
اى بما لزمه ابو بكر الابهري المالكي احد فقها بغداد المشهورين بها والابهري بفتح الهمزة
والبا الموحدة وسكون الها قبل الراء المهملة مدينة مشهورة وقيل بابره ساكنة وهاوه
مفتوحة وكذا غيره من العلما بها وافتى الشيخ ابو محمد بن ابي زيد القيرواني وقد قدمنا
ترجمته بالادب اى بالتاديب والتعزير بما يليق به فيمن قال لصبي يتعلم القران لعن الله
معلمك اى الذي علمك القران واقراك وما علمك اى ولعن ما علمك وهذا هو الذي
يخشى عليه منه لان الذي علمه معلوم لا يجوز الاستخفاف به فضلا عن لعنه فهو
بحسب الظاهر منكر جدا فاز وله وقال اللاعن اردت بما المذكورة الصادقة على المقرو
ووصفته التي وقع عليها وهو سوء الادب في حال قراته وعدم تعظيم ما قراه ووقوعه
على حال غير مستحسنة فان للقاري دابا ذكروها من خالفها سا ادبه ولم ارد

بماني كلامي القران الذي تعلمه قال ابو محمد بن ابي زيد واما من لعن المصحف وفي نسخة من لعن
القران فانه يقتل لجراته على الله تعالى وعلامه ولعنته عايدة عليه والمراد انه يكفر
فيستحق القتل فصل وسب ال بيته وازواجه امهات المومنين واصحابه صلى الله
وسلم عليه وعليهم اجمعين السب الشتم كما مر وال النبي صلى الله عليه وسلم للفقها
فيهم اختلاف مذكور في كتب الفروع فذهب الشافعي الى انهم علي وفاطمة وولديهما
والعباس وجعفر وعقيل والحمزة وهم من لا تحل لهم الزكاة من بني عبد المطلب لحديث
نحن وبنو المطلب شي واحد لم نفترق في جاهلية ولا اسلام وشبك بين اصابعه
وتتمة الكلام عليه مفصل في محله وازواجه جمع زوج او زوجة وهي المنكوحة
والاصحاب جمع صاحب وهو من لقيه صلى الله عليه وسلم مسلما وتنقصهم حرام
شرعا لكرامتهم عند ربهم وثنا الله عليهم في كتابه العزيز في ايات عديدة ملعون مطرود
مبعد من رحمة الله فاعله ومن يصدر منه قصدا اثم او ضحه بحديث صحيح رواه الترمذي
فقال حدثنا القاضي الشهيد ابو علي هو الحسين بن محمد ابن فيرة الصدفي المعروف بابن
سكرة كما تقدم قال ثنا ابو الحسين الصيرفي تقدم ايضا وابو الفضل العدل هو احمد بن
خيرون الحافظ كما تقدم قالا حدثنا ابو يعلى احمد بن عبد الواحد المعروف بنوج الحرة كما تقدم
قال حدثنا ابو علي السنجي احمد بن محمد المروزي كما تقدم قال ثنا ابن محبوب قال ثنا الترمذي
صاحب السنن وقد تقدمت ترجمته قال ثنا محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس
ابن عبد الله الذهلي توفي سنة خمس خمسين ومايتين قال ثنا يعقوب بن ابراهيم بن سعد
الزهري توفي سنة مايتين وثمان واخرج له الستة كما تقدم قال ثنا عبيدة بن ابي رايطة
بفتح العين المهملة تليها موحدة مكسورة عند الحفاظ كما قاله ابن ماكولا والذهبي
وضم عينه كما في بعض النسخ خطا من الناسخ كما قاله السبكي وتبعه البرهان الحلبي
وهو ثقة اخرج له اصحاب السنن عن عبد الرحمن بن زياد اخو عبيد الله ابن زياد
وهو غير معروف عن عبد الله بن مغفل بزنة اسم المفعول مفتوح الغين المعجمة مشدد
الفا قال ابن مغفل رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله
بنصبهما تحذيرا وكرره ووضع الظاهر موضع الضمير مبالغة في التحذير وتاكيدا
في تفخيم شانهم وتوقيرهم اي اتقوا الله في حق اصحابي لا تتخذوهم غرضا يقدى اي بعد موتي
فانهم في حياته صلى الله عليه وسلم لم يصبهم ما يخصهم من ضرر وفيه اخبار
بالغيب فانهم بعد موته صلى الله عليه وسلم حل بهم امور عظيمة كقصة الدار
وصفين وقتل الفاروق وتقدم ان الغرض هو الهدف الذي ينصب ليرمى
بالسهام فشبه به من يذم ويطعن فيه ويلزمه تشبيه كلامه بالسهام
التي ترمى كقوله سهم اصاب وراميه بذي سلم من بالعراق لقد ابعدت مرماك
وعليه قول العارف بن الفارض نفعنا الله به عرضت نفسك للبلا فاستهدفي

وهوهنا

وهوهنا استعانة وقيل انه تشبيه بليغ وليس هذا محل تفصيله والعامل هنا
مقدر يجوز اظهاره وقيل انه لا يجوز اظهاره اذا كرر لان الثاني قايم مقام العامل
وقيل اظهاره ايضا جاير مع فتحه كما تقدم الجزولي والكلام عليه مفصل في كتب
النحو قال ابن حجر في الزواجر اكد التحذير من ذلك بقوله الله الله اي احذروا الله
على حد قوله ويحذركم الله نفسه كما تقول لمن تراه مشرفا على وقوعه في نار عظيمة
النار النار فمن احبهم فبحبي اي بسبب حبي لهم على احبهم عندي لحبهم لا لغرض اخر من امور
الدنيا ومن ابغضهم فببغضي اي بسبب عداوتي كعداوة المشركين ابغضهم لا لشي اخر قال
ابن حجر بعد ما تقدم فتامل عظيم فضايلهم ومناقبهم التي نوه بها حيث جعل محبتهم
محبته له وبغضهم بغضا له وناهيك بذلك جلالا وشرفا فحبهم وبغضهم عنوان
محبته وبغضه ومن ثمة كان حب الانصار من الايمان وبغضهم من النفاق لبذلهم
الاموال والانفس في محبته ونصرته ومن اذاهم فقد اذاني لان المحب المخلص يسوءه
ما يسوء حبيبه ويسره ما يسره وتاخيره الاذية عن البغضا في محبته لترتبها عليها
ومن اذاني حقيقة بفعل ما يسوءه في نفسه واتباعه فقد اذى الله تقدم ان الاذية
ايصال الضرر فهي هنا مجاز عن مخالفة امره ونهيه اذ لا يتصور الاذية في حقه عز
وجل ومن اذى الله اي عصاه يوشك بزنة يكرم اي يقرب من ان ياخذه اي يهلكه يقال
وشك واوشك ان يخرج اي قرب اسراعه للخروج قال وصار على الاذنين كلا
واوشكت صلاة ذوي القربى له ان ينكرا والاخذ كما قال الراغب حوز الشي وتحصيله
ونحو ذلك فتارة يكون بالتناول نحو معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده
وتارة بالقهر كقوله تعالى لا تاخذه سنة ولا نوم والمواخذة المجازاة انتهى وقد تقدم
هذا ايضا فياخذه هنا اما بمعنى يقهره او يجازيه على اذيته وفي هذا الحديث اشارة
الى شدة قربهم منه صلى الله عليه وسلم وتنزيلهم منزلة نفسه حتى كان اذيتهم
اذية له واقعة عليه ثم اظهر ذلك على وجه اكده بقوله فقد اذى الله اذ لا يضر الله شي
فهو ايما لشدة قربه صلى الله عليه وسلم من الله فهو مجاز بهذا الاعتبار المجازي
ايضا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله
والملايكة والناس اجمعين تاكيد للعموم لا يقبل الله منه صرفا اي توبة او طاعة تصرف
وجهه لجانب الله ولا عدلا اي فدية او فريضة وقد تقدم الكلام على هذا الحديث
فتذكره وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فانه يجي قوم اي ناس من المسلمين
وضميرانه للشان في اخر الزمان يسبونهم اي يسبون الاصحاب فلا تصلوا عليهم
بعد موتهم ولا تصلوا معهم اي لا تقتدوا بهم والنهي كما قيل تنزيهي لجواز الاقتدا بالمبتدع
والصلاة خلف كل بر وفاجر ولا تناكحوهم اي لا تزوجوهم ولا تتزوجوا منهم ولا تجالسوهم
اي لا تعاشروهم ولا تخالطوهم وان مرضوا وانقطعوا في بيوتهم لمرض اصابهم فلا تعودوهم

اى لا تذهبوا لعبادتهم وهو مبالغة فى اهانتهم وتركهم بالكلية زجرا لهم باظهار عداوتهم
وهذا كله مما خرج مخرج التغليظ عليهم وقيل انه يحتمل انه كشف له صلى الله عليه وسلم
عن سرايرهم وانهم كفرة باطنا ولا يخفى انه غير صحيح فانه فى قوم غير معينين والحكم بالامر
الباطنى لا يجوز لامته كما تقدم فكيف يامر به غيره وظاهر هذا الحديث ان سب الصحابة كفر
مطلقا وليس كذلك فان فيه تفصيلا ياتى فاما ان يحمل على المبالغة والتغليظ فى الزجر
او يقال انه من معجزاته صلى الله عليه وسلم بان يكون من الاخبار عن المغيبات فاخبر
عن بعض من وقع منه ما هو كفر كبعض الرافضة كما ورد التصريح به فى بعض الاحاديث
كالحديث الذى رواه البيهقى وغيره لا ابى البنوه بسند حسن عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال يخرج قبل قيام الساعة قوم يقال لهم الرافضة يرفضون الاسلام فاقتلوهم
فانهم مشركون ولذلك اشار الصرصرى فى قصيدته النونية فى قوله وكذلك الخذلان
سب صحابه ما للمصر عليه من غفران علما بقوم يجهرون بسبهم من كل غمر فاحش
كفان وقد قيل من ابغض الصحابة من حيث هم صحابته فقد ابغضه صلى الله عليه
وسلم واذاه وايضا منهم قوم صرحوا بما هو كفر وهم قوم تستروا بالرفض وحب
اهل البيت فما فى الحديث صريح فى كفرهم من ترك الصلاة عليهم ومناكحتهم
ومجالستهم وهم يرون ترك الجمعة والجماعة وغير ذالك مما هو كفر وعنه صلى الله عليه
وسلم فى حديث اخر من سب اصحابى فاضربوه تعزيزا له واهانة لئن يدع هو وامثاله
وفى الحديث ايضا من سب اصحابى فاجلدوه كما ياتى وقد علم النبى صلى الله عليه وسلم
ان سبهم واذاهم من عطف العام على الخاص يؤذيه وايذا النبى صلى الله عليه وسلم
حرام بالاتفاق وايذا مصدر اذاه وقوله فى القاموس لا تقل ايذا غلط فانه
مصدر قياسى وقد سمع ايضا وقد مر التنبيه على ذلك ايضا وفى نسخة واذى
فقال لا تؤذونى فى اصحابى ومن اذاهم فقد اذانى وقد تقدم ما فيه وفى الانوار
لو استحل ايذا احد من الصحابة كفر وفى الاعلام واستحلال ايذا غير الصحابة
مكفر ايضا كما هو ظاهر ومحل تكفير المستحل ايذا صحابى ما لم يكن عن تاويل
ولو خطا لانه ظنى فله شبهة تمنع التكفير تنبيه الحديث الذى تقدم ورواه الترمذى
وقال انه صحيح حسن لا تسبوا اصحابى فو الذى نفسى بيده لو ان احدكم انفق مثل
احد ذهبا ما ادرك مد احدهم ولا نصيفه فيه سوال مشهور وهو ان المخاطب
به الصحابة والحديث هنا يقتضى خلافه واجيب بان مراده باصحابى من اسلم
قبل الفتح من السابقين الاولين والمخاطب من اسلم بعده ويشير اليه قوله مثل
احد لقوله تعالى لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح الاية فالمراد بالخطاب
غيرهم وان شملت الصحبة الجميع قاله السبكى وقال سمعت ابن عطا يقول فى وعظه
للنبى صلى الله عليه وسلم تجليات يرى فيها من بعده ويخاطبه ومنه خطابه

هذا وهو منزع صوفى وعليه فالحديث شامل لجميع الصحابة وعلى غيره مخصوص
بالمتقدمين ويدخل من بعدهم فى حكمهم وعليهما الحرمة ثابتة للجميع والكلام
فى سب بعضهم معينا او غير معين اما سب الجميع فقيل انه كفر بلا شك كسب الصحابى
من حيث انه صحابى فانه تعريض بسب النبى صلى الله عليه وسلم وعليه يحمل قول
الطحاوى وبعضهم كفر فان سب صحابيا لا من حيث كونه صحابيا وكان ممن تحققت
فضيلته بان كان ممن اسلم قبل الفتح كالروافض الذين يسبون الشيخين وهما
السمع والبصر منه صلى الله عليه وسلم كما ورد فى الحديث ففيه وجهان فانه
قد يكون لامر اخر دنيوى غير الصحبة وليس بكفر لانه لتقديم على واعتقادهم
لجهلهم انهما ظلماه وهما بريئان من ذلك وفى ذلك كتب الحنفية ان سبهما وانكار
امامتهما كفر وفى صحة الصلاة خلفهم خلاف ومبنى على هذا هذا زبدة ما قاله
السبكى فى فتاويه ونقلت من خط البقاعى وقد سيل عن هذا الحديث فاجاب
بانه جا فى الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال ياتى على الناس زمان للعامل فيه
اجر خمسين فقال الصحابة رضى الله عنهم اجمعين منهم فقال بل منكم فيحمل الاول
على الانفاق خاصته والثانى على كلمة الحق الان لدلالته على كمال الايمان لتوقع
الضرر بقتل ونحوه لغلبة اهل الفساد والطغيان وعدم الانصار والاعوان
وهاهنا دقيقة وهى ان قوله لا يستوى منكم الاية نص فى ان ابا بكر رضى الله عنه
افضل من جميع الصحابة فالخلافة حقه بلا شبهة وفى الانوار ان من انكر خلافة
الصديق مبتدع لا كافر ومن سب الصحابة او عايشة من غير استحلال فاسق واختلفوا
فيمن سب ابا بكر وعمر لا غيره وفى كفر من سب الختنين وجهان وقال صلى الله عليه
وسلم فى حديث اخر لا تؤذونى فى عايشة الظاهر انه مخصوص بها رضى الله عنها
ويحتمل انه شامل لجميع امهات المومنين رضى الله عنهن ويدل للظاهر الاول ما روى
عن ابن عباس انها قالت عشر خصال لم تعطهن ذات خمار قبلى صورت لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل ان اصور فى رحم امى ولم يتزوج بكرا غيرى وكان ينزل عليه
الوحى فى بيتى وتوفى بين سحرى ونحرى ونزلت براتى من السماء فى سبع ايات وكنت
احب النسا اليه وابى احب الرجال اليه وخيرهم وخير رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو بين حاقنتى وذاقنتى وتوفى فى يومى ودفن فى بيتى قال ابن المنير ومن خصايص
عايشة انها ولدت مسلمة باسلام ابيها قبل ولادتها قال وهذا لازم لاهل السير
والتواريخ مما نقلوه ولم ار احدا انتزعه قبل ذلك وفضايلها لا تحصى وقال
صلى الله عليه وسلم فى حق فاطمة الزهرا رضى الله عنها هى بضعة منى قال فى مختصر
النهاية البضعة بالفتح القطعة من اللحم انتهى وقد تكسر وفاطمة بضعة منى اى جزء
منى كما ان البضعة قطعة من اللحم انتهى والكسر فيه اشهر على الالسنة لانها متكونة

من مايه صلى الله عليه وسلم الذي هو جزء منه وفيه فضيلة لها لا ليسا وبها غيرها
وبهذا الاعتبار يجوز تفضيلها على من سواها لان التفضيل قد يكون من وجه وهو
لا ينافي تفضيل غيره عليه من وجه فلا تعارض في مثله لمن له بصيرة يوذيني ما اذاها
فيه من احكام البلاغة مرتبة عليه فان الجسد كله يتالم بما يتالم به بعضه فمن ضربت
يداه تالم بالمها البدن كله فكونها بضعة علة لما بعده فتدبر وحديث فاطمة في
الصحيحين وقد اختلف العلما في هذا اي فيما يستحقه من صدر عنه مثله فمشهور
مذهب مالك في ذلك النكال الذي يستحقه الاجتهاد للحاكم مفوض لرايه وما يقتضيه
والادب الموجع بضرب ونحوه قال مالك رحمه الله تعالى من شتم النبي صلى الله عليه
وسلم قتل حدا او كفرا كما تقدم ومن شتم اصحابه ادب بما يستحقه من تعزير وقذف
كغيره وقال ايضا مالك رحمه الله تعالى من شتم احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ابا بكر او عمر او عليا او معاوية او عمرو ابن العاص بن وايل السهمي فان قال كانوا على ضلال
او كفر قتل ولم يوله بان قال ردت قبل سلامهم فان فيه تكذيبا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ولجميع الامة وهذا مذهب مالك ولم يذكر استتابته هنا وان شتمهم
اي شتم الصحابة بغير هذا المذكور من الضلال والكفر بل شتمهم بما هو من جنس
مشاتمة الناس بعضهم لبعض فيما يجري بينهم نكل اي عوقب نكالا شديدا بما يوجعه
من ضرب مولم ونحوه وقال ابن حبيب المالكي من غلا اي بالغ في غلوه من الشيعة
المفرطين في محبة علي واعتقاد افضليته وان الخلافة حقه وهم فرق مشهوره
ولهم مذاهب وانتهى في غلوه الى بغض عثمان بن عفان رضي الله عنه بالوقوع في حقه
والبراة منه وانه لم يكن خليفة بحق وعلى حق ادب ادبا شديدا حتى ينزجر هو
وامثاله بضرب ونحوه ومن زاد في ذلك اي في غلوه في حق الصحابة رضي الله عنهم
الى بغض ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فالعقوبة عليه اشد لزيادة جرمه ويكرر ضربه
ويطال سجنه بفتح السين ويجوز كسرها كما مر حتى يموت في السجن ليتعظ به غيره
ولا يبلغ به في عقوبته القتل الا في سب النبي صلى الله عليه وسلم وقال سحنون من كفر
احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عليا او عثمان او غيرهما من الصحابة رضي الله
عنهم يوجع ضربا وهذا المذكور عن مذهب مالك يخالف لما تقدم عن مالك
من ان من قال انهم كانوا على ضلال وكفر قتل ولذا عقبه بقوله وحكى الشيخ ابو محمد
ابن ابي زيد عن سحنون فيمن قال في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم انهم كانوا
على ضلال وكفر قتل كما تقدم عن مالك وذكره لما فيه من رد قوله ومن شتم
غيرهم من الصحابة بمثل هذا بنسبتهم للضلال والكفر نكل اي عوقب النكال
الشديد بلا قتل للفرق بين كبار الصحابة وغيرهم وروى عن مالك في قول اخر له
من سب ابا بكر جلد تعزيرا له ونكالا ومن سب عايشة رضي الله عنها قتل قيل له

اي سيل مالك عن وجه الفرق فيما قاله فقيل له لم قلت هذا قال لمن رماها اي سبها
وافترى عليها بما براها الله منه والرمي يستعار لما ذكر تشبيها له بالرجم فقال
رماني بامر كنت منه ووالدي بريا ومن اجل الطوى رماني فقد خالف القران
لان الله براها فيه من كل عيب في قصة الافك وقال ابن شعبان تقدمت ترجمته
عنه اي عن مالك في روايه عنه لان الله يقول في القايلين في حق عايشة رضي الله عنها
يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر لقوله ان كنتم
مؤمنين فمن عاد ليس بمؤمن كما يدل على ذلك المفهوم لتذكيرهم بما يخلو به الايمان
المانع لهم من العود عما صدر عنهم من القبايح تهييجا لغيرتهم الحاملة لهم على الانعاظ
وقد قيل على ذلك ان فيه بحثا لان السب اعم من الرمي ومطلق مخالفة القران لا تقتضي
الكفر كما تقدم الا انه ضم الى المخالفة مفهوم الشرط في قوله ان كنتم مؤمنين الخ
كما بينه ابن شعبان وخطاب المشافهة في الاية مخصص باصحاب الافك وحكم غيرهم
استفيد مما تقدم وقوله ان تعودوا لمثله يعني في عايشة بعينها او هي ومن في مرتبتها
من امهات المؤمنين لما فيه من اذية النبي صلى الله عليه وسلم في عرضه واهله وقوله
روى بنا المجهول رواية هشام ابن عمار فانه نقل عنه انه قال سمعت مالكا الخ
وساق ما ذكر برمته انتهى وليس بشي اما قوله السب عام لمسلم ولكنه مخصوص
هنا بقرينة المقام وقوله مخالفة القران لا تقتضي الكفر هو كذلك لو بقي على اطلاقه
اما اذا انضم اليه تكذيب لله ورسوله فهو كفر كما بينه ابن شعبان وتقدم عن ابن
العربي المالكي قريبا انه قال ان اصحاب الشافعي قالوا ان من سب عايشة ادب كما
في ساير المؤمنين وقوله ان كنتم مؤمنين لا يقتضي انه كفر لانه تغليظ في الزجر كقوله
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وانه اجاب بان مالكا سيل عمن رمى عايشة بالافك
فقال اليس هو كرمي غيرها لان الله براها مما قالوه فراميها مكذب لله فيما اخبر به من براتها
وهو ملحظ اخر لا تعلق له بمفهوم الشرط وتقدم ما فيه ويويده قول ابن عباس
من اذنب ثم تاب قبلت توبته الا من خاض في الافك وفي كون النبي صلى الله عليه
وسلم حد اصحاب الافك ام لا روايتان ذكرهما الماوردي والكلام عليه
مذكور في التفاسير والسير والكلام السابق في سب ابي بكر رضي الله عنه مقيد
بغير انكار صحبته اما هو فانه كفر عند الشافعية وبعض الفقها لانه ثابت بالنص
ومجمع عليه كما مر بسطه وحكى ابو الحسن الصقلي نسبته الى صقليه بفتح الصاد
المهملة وفتح القاف وكسر اللام المشددة وهي جزيرة من جزاير المغرب معروفة
هذا هو المشهور على الالسنة قال بعض شعرايها ذكرت صقليه والاسى
فشبهت دمعي بانهارها وذكر البرهان الحلبي ان صادها مكسورة وقيل صادها
وقافها وكذا رايته في نسخة المجمع للصغاني الا انه ضبط قلم لا يعول عليه

ان القاضي ابا بكر بن الطيب هو الامام الباقلاني كما تقدم في ترجمته قال ان الله تعالى
اذا ذكر في القران ما نسبه اليه المشركون سبح اي نزه وبرا نفسه اي ذاته المقدسة
بنفسه اي قاله ابتدا من غير اسناده لغيره كقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه
بل عباد مكرمون نزلت في خزاعة اذ قالوا الملايكة عليهم الصلاة والسلام
بنات الله في اي بالمدمج ايه او اسم جنس جمعي كتمر وتمرة اي هذا مذكور في القران في ايات
اخر كثيرة كقوله وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وذكر تعالى في القران
ما نسبه المنافقون الى عايشة رضي الله عنها في قصة الافك فقال ولولا اذ سمعتموه
قلتم ما يكون لنا اي لا يجوز ولا يصح لان ما كان ولا ينبغي ورد في القران لمعان منها
هذا كما مر ولولا بمعنى هلا وقدم الظرف لانه هو الاهم بالانكار على سماع مثله
ان نتكلم بهذا اي نتلفظ به فضلا عن اشاعته واعتقاده سبحانك منصوب
على المصدرية والاصل فيه التعجب من صنعه ثم شاع في مطلق التعجب وهو
مصدر كالغفران وتقدم الكلام عليه مفصلا هذا بهتان عظيم اي افترا
عظيم لا يليق بعاقل التكلم به لانه كيف تكون زوجته صلى الله عليه وسلم
منسوبة لمثله والبهتان في الاصل كذب وبهتان يبهت سامعه تحيرا من افترا
مثله فكانه قال تعجبوا ايها السامعون منه ويجوز ان يكون على اصله بان نزه الله
ان يوجد مثل هذا السو ويقع على اكرم خلقه صلى الله عليه وسلم واليه
اشار بقوله سبح نفسه اي براها ونزهها مبالغة في تنزيهها اي تنزيه عايشة
وفي نسخة تبريتها من السوء اي الامر السيي القبيح كما سبح نفسه في تنزيهه
اي تنزيه الله لذاته وفي نسخة لتبرته من السو ووضع الظاهر موضع الضمير
تقبيحا لشانه وتلويحا لوجوب التنزيه منه وفيه تنويه بقدرها ورفعة لمقامها
حيث جعل ما لا يليق بالله لا يليق بها رضي الله عنها وهو في غاية الظهور وهذا
الذي ذكره الباقلاني من تنزيهها عما نزه الله عنه ذاته يشهد اي يدل دلالة
ظاهرة كانها مشاهدة لقول مالك المذكور انفا في قتل من سب عايشة رضي الله
تعالى عنها لتهويله وجعله كسب الله بطريق التلويح واشارة النص المعلومة
من عرف الاستعمالات القرانية فلا وجه لما اورد عليه من انها وردت لمطلق
التعجب كما وقع في الحديث سبحان الله ان المومن لا ينجس واليه اشار في الكشاف
وانما نشا هذا من عدم التنبه لما اراده ولذا اوضحه بقوله ومعنى هذا الذي
قاله الباقلاني وقيل الاشارة لقول مالك انه يقتل من سبها ان الله تعالى لما عظم
سبها اي جعله عظيما في قبحه كما عظم سبه باستعماله فيه ما استعمله في
حق نفسه من التنزيه تنويها بقدرها كما تقدم وكان سبها بما نسب لها سبا لنبيه
صلى الله عليه وسلم لان سبه اهله لمثل ذلك يشين عرضه ويوذيه كما لا

يخفى

536

يخفى والله عز وجل قرن سب نبيه صلى الله عليه وسلم واذاه باذاه تعالى
اي اذى الله في نفسه كقوله ان الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة
وكان حكم موذيه تعالى شرعا القتل كان حكم موذي نبيه صلى الله عليه وسلم كذلك
اي القتل لتسويته بينهما وجعلهما في قرن واحد كما قدمنا في هذا الكتاب عن ان حكم
سب الله واورد عليه انه على ما قاله ليس قتله لسب عايشة رضي الله تعالى عنها بل
للازمه من سبه النبي صلى الله عليه وسلم وايضا لو سلم هذا لزم قتل اصحاب الافك
ولم يقع وايضا قد تقدم الفرق بين سب الله وسب رسوله صلى الله عليه وسلم
على اقوال تقدمت وايضا يلزمه ذلك في سب الصحابة مطلقا لانه يوذيه صلى الله عليه
وسلم وليس بشي لما علمته من ان المراد به اذية عظيمة لما فيه من الشين الذي لا يرضاه
احد في نسبته اهله للزنا والرضا به واما عدم قتل اهل الافك المنافقين في حياته
صلى الله عليه وسلم فالحكمة اقتضته من اثارة الفتن وصد من ضعف اسلامه عنه
باشاعة انه يقتل اصحابه كما تقدم وشتم رجل عايشة كرمها الله بالكوفة هذا الرجل غير
معروف وقوله كرمها الله اي جعلها مكرمة منزهة عن النقايص فقد صاد فحره
والكوفة احد المصرين المعروفين بانها محط رحال الفضلا ويقال لها كوفة الجند
اي مجتمعهم سميت بذلك لان سعدا رضي الله عنه لما اراد ان يبنيها قال لهم تكوفوا بهذا
المكان اي اجتمعوا فيه فسميت كوفة لذلك ولزمته اللام او الاضافة لانه علم بالغلبة
وقيل كان اسمها قديما كوفان فقدم الى موسى ابن عيسى العباسي منسوب الى العباس بن
عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم والذي في التواريخ انه عيسى بن موسى بن محمد
بن علي بن عبد الله بن العباس واول من ولي الخلافة من بني العباس السفاح وجعل ولي
العهد بعده اخاه المنصور وبعده عيسى بن موسى حين خلع نفسه كرها وقيل عوضه
عشرة الاف درهم وجعل ابنه المهدي بعده وبعده عيسى بن موسى فمات قبل المهدي
سنة ثمان وستين ومائة ومات المهدي بعده بسنة فقال عيسى ابن موسى لما ادعى
عليه بما صدر منه من حضر هذا الرجل لما قال ذلك الشتم او من سمع هذا الكلام منه
فقال ابن ابي ليلى انا كنت حاضرا سامعا المقاله وابن ابي ليلى هو محمد بن عبد الرحمن الانصاري
الفقيه المشهور كان صاحب قران وعنه اخذ حمزة احد القرا السبعة وكان افقه
اهل عصره واعلمهم بالسنة حتى وصل لمرتبة الاجتهاد والشتم المراد به هنا القذف
وكانه يذكر قصة الافك بدليل قوله فجلد ثمانين لانه حد القذف ولعله شهد
معه شهود اخر واقتصر على ذكر ابن ابي ليلى لجلالة قدره ولو كان الرجل قرلم يحتج للسوال
عمن سمع منه ذلك وحلق راسه لان هذا كان تعزيرا في العصر الاول لعرب كانت
لا تحلق الروس الا في نسك وكان الاسير اذا حلق راسه عدوه عارا عليه وورد
في الحديث ان الخوارج شعارهم حلق روسهم وجمع له بين الحد والتعزير لانه يجوز

الجمع بينهما عند الشافعي في مسايل ذكروها وللامام او نايبه استيفاء حد القذف عن ميت
لا وارث له معروف وعايشة رضي الله عنها لم يكن لها وارث حاضر في هذه القضية ويحتمل
ان لها وارثا غايبا والمص اقتصر من القضية على محل الشاهد منها فلا اشكال في كلام المص
كما قيل واسلمه للحجامين لتسليمه لهم اما ليحبس عندهما او ليخرجوا منه دما يضعفه او يكون
معهم في خطتهم فهو نفي له واهانة له ليسقط قبول شهادته بر الله صنعته وهذا
اظهر وروى ابو ذر الغفاري المشهور رضي الله عنه وهذا مما نقله الخطيب وابن
عساكر في التاريخ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه نذر قطع لسان عبيد الله بضم
العين ابن عمر اذ شتم المقداد بن الاسود الصحابي المشهور رضي الله عنه والمراد بالنذر هنا
الزام نفسه جزما بفعله لا النذر الشرعي او هو نذر شرعي لانه علق على شي لقصد
المنع وتسميه الفقها نذر اللجاج والغضب وهو مخير فيه بين الفعل وكفارة اليمين
والنذر على اقسام ذكرها الفقها فكلم بالبنا للمجهول في ذلك اي كلمه الناس
بالشفاعة فيه والعفو عنه فقال عمر رضي الله عنه لمن كلمه في شانه دعوني اقطع
لسانه اي اتركوني افعل ذلك ولا تمنعوني منه حتى لا يشتم احد من الناس بعد مبني
على الضم اي بعد هذا اصحاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعبيد الله ابن
عمر بن الخطاب بالتصغير كما علمت وله اخ من ابويه اسمه زيد الاصغر وامهما مليكة
بنت جرول وتكنى ام كلثوم وهي بنت لعلي بن ابي طالب من فاطمة رضي الله عنها
مات هو وامه في وقت واحد فلم يورث احدهما من الاخر وقيل رمي بحجر في حرب بني
حيين فمات والمقداد رباه يتيما الاسود وهو عبد حبشي وتبناه فنسب له وابوه
عمرو بفتح العين ابن ثعلبة النهرواني والحضرمي ولذلك قال بعضهم ان ابن هنا وامثاله
يكتب بالالف لانه ليس واقعا بين علمين ورد بان القاعدة انه اذا وصف العلم بابن
متصل كفى في حذف الالف من ابن خطا سواكان العلم الذي اضيف اليه ابن علما الابي
الاول حقيقة ام لا كما اقتضاه اطلاقهم وكون الابوة حقيقية لم يتعرضوا
لاشتراطه الا انه قد يقال الاب حقيقة في اب الولادة فيحمل اطلاقهم عليه لانه
الاصل والتبني لا يدفع صورة الواقع من كون ابن وقع بين علمين وشهد المقداد
بدرا لما قدم مسلما وما بعدها ومات ببلده فحمل للمدينة ودفن بها وصلى عليه
عثمان سنة ثلاث وثلاثين وهو ابن سبعين وقطع اللسان من المذكور تعزير له
لا حد فانه لا يجوز الشفاعة فيه بخلاف التعزير وللامام ان يغلظ في الحد بما اراد
فلا يقال ان قطع اللسان لم يرد في الشرع ثم ان التعزير فيه حق الله للامام ان يستو
فيه بغير طلب والمقداد كان من كبار الصحابة رضي الله عنهم فلذا اغضب ذلك
عمر رضي الله عنه وروى ابو ذر الهروي هو عبد الله بن احمد بن محمد بن عبد الله
الهروي الحافظ كما تقدم ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتى باعرابي يهجو الانصار

ففال

فقال لولا انه صحبة اي لو لم يكن من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
لكفيتكموه الخطاب لمن عنده من الانصار ولمن حضره اي لقتلته وكفيتكم شره
وهجوه ولكن لشرف صحبته عفي عنه وهذا لم يكن بلغ مرتبة حد القذف ومر
ان هذا بنا على ان الامام له ان يبلغ باجتهاده في التعزير القتل وهو الذي يسميه
الفقها سياسة وهذا رواه ابن قدامة عن ابن سعيد الخدري بسند رجاله
ثقات وقال الامام مالك وفي نسخة وقال مالك في رواية عنه من انتقص احدا
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اي ذكرهم بما فيه نقص لهم فليس له هذا في الفي
حق وسهم منه اي لا نصيب له في مال يوخذ فيا من الكفار واستدل عليه بقوله
قد قسم الله الفي في ثلاثة اصناف من المسلمين فقال في قسم منه للفقرا من المسلمين
والمهاجرين الاية اي الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا
وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون اي الذين هاجروا من ديارهم المدينة
لنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم وابتغا فضل الله ورضوانه ثم قال في القسم
الثاني والذين تبوؤا الدار والايمان الاية من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون
في صدورهم حاجة مما اوتوا ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وهولاهم
الانصار الذين اووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصروه ثم قال في القسم
الثالث والذين جاوا للاسلام من غير المهاجرين والانصار من بعدهم يقولون
ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الاية ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين
امنوا ربنا انك رءوف رحيم فهو لا يدعون لهم ويستغفرون لهم ويعظمونهم بسبقهم
للسعادة في الدارين فمن تنقصهم فلا حق له في في المسلمين لخروجهم عن الاصناف
الثلاثة وهذا بنا على ان قوله للفقرا اخر بدل من قوله لذي القربى وما بعده والمبتدا
منه في حكم الطرح لا متعلقا بمحذوف اي اعجبوا لهم في تركهم واهلهم وديارهم لرجا
فضل الله ونصرة دينه ومدح الله لهم بالصدق في ذلك وللذين تبوءوا الدار
وايثارهم على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وللذين جاوا من بعدهم داعين للسابقين
وهو على مذهبه من ان الفي لا يخمس كالغنيمة وعند بعضهم يخمس والكلام فيه
مفصل في كتب الفقه والتفسير والفي ما اخذ من الكفار من غير قتال فيدخل فيه
الخراج والعشر والغنيمة وفيه خلاف هل يخمس ام لا والخمس الذي كان لرسول الله
صلى الله عليه وسلم يصرف في مصالحه اختلف فيه بعد موته على ما فصله الفقها
وفي كتاب ابن شعبان من قال في واحد منهم اي من الصحابة رضي الله عنهم انه ابن زانية
وامه مسلمة حد عند بعض اصحابنا حد القذف حدين حدا له وحد الامه وقيل فيه
تغليب والمراد انه يحد لامه لان الحد حق لها وعزر له وفيه نظر لان قوله ولا اجعله
كقاذف الجماعة في كلمة يا باه لفضل هذا على غيره اي لزيادة جرمه فالفضل بمعناه

اللغوي ومن قذف جماعة بكلمة واحدة حد حدا واحدا عند الاكثر وللشافعي فيه خلاف
ولقوله صلى الله عليه وسلم من سب اصحابي فاجلدوه قال ابن شعبان ومن قذف ام
احد منهم وهي كافرة حد حد الفرية اي الكذب لا القذف بنا على انه يشترط في وجوبه
الاسلام لانه سب له فان كان احد من ولد هذا الصحابي الذي سبه حيا وقد مات
ابوه قام مقام ابيه بما يجب له اي يطلب حقه الواجب بسببه لانه وارثه في ماله وحقوقه
فليس لغيره حق في هذه الدعوى والا اي وان لم يكن له ولد حي فمن قام به اي بطلب حقه
ودعواه من المسلمين لان لهم طلب مثله كان واجبا على الامام او نايبه قبول قيامه
باستماع دعواه الحكم بمقتضاه معاونة ونصرة له قال ابن شعبان وليس هذا اي استحقاق
غير الولد من المسلمين للدعوى بالحد والتعزير كحقوق غير الصحابة فانه لا يستحقها غير
الوارث لحرمة هولاء اي الصحابة بنبيهم صلى الله عليه وسلم ففيه حق من حقوق
الله يستحقه كل احد من هذه الامة ولو سمعه اي سمع قوله الامام او نايبه واشهد
عليه كان الامام او نايبه ولي القيام به اي كان يتولى الحد واستيفاه قال ومن سب
غير عايشة من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ففيها قولان احدهما يقتل كما يقتل
من سب عايشة لانه بسب زوجته انه ام المومنين سب النبي صلى الله عليه وسلم
لتعدي عار هذا له لسبه حليلته اي زوجته وهي من الحلال لحلها له او من
الحلول لانها تحل حيث حل والقول الاخر في غير عايشة انه اي ساب غيرها كساير
الصحابة فيلزمه ان يجلد جلد المفتري بنا على نسبهم فيه ذلك وقتل ساب عايشة
لتكذيبه لله ورسوله وللقران كما مر قال ابن شعبان وبالقول الاول وهو القتل
اقول لاختياره له وقوة دليله عنده وروى ابو مصعب احمد بن ابي بكر القاسم
بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن الزهري المدني القاضي قاضي المدينة
كما تقدم عن مالك في حق من انتسب الى البيت النبي صلى الله عليه وسلم بقرابته
او ولايته وصحبته يضرب ضربا وجيعا نكالا له وردعا لامثاله منهم ويشهر
بالتخفيف اي يطاف به في الاسواق ليعلم الناس حاله ويشتهر ضلاله ليلا يقتدي
به غيره ويحبس حبسا طويلا مدته حتى تظهر توبته فاذا ظهرت اطلق لانه اي
ما فعله استخفاف بحق الرسول صلى الله عليه وسلم فيجب عقوبته لذلك وحاصل
قوله من انتسب الى هنا ان من ادعى انه من اهل البيت وهو ليس منهم واثبت له
انتسابا لهم يستحق النكال والتشهير وقد ورد في الحديث انه صلى الله عليه
قال ايما رجل دعى الى غير ابيه فقد كفر وهذا يدل على عظيم هذا وانه يشدد فيه
وقد كثر هذا في زماننا هذا وتساهل الناس فيه ودخلوا في هذا النسب الطاهر
وادعاه كثير من الاشرار وتسارع القضاة بذلك الى اثبات الانساب وجعلوا
لهم علامة كما قيل جعلوا لابنا الرسول علامة ان العلامة شان من لم يشهر

نور النبوة

نور البنوة في كريم وجوههم يغني الشريف عن الطراز الاخضر وافتى ابو المطرف
بضم الميم وفتح الطا وكسر الرا المشددة المهملتين وفا الشعبي بفتح الشين المعجمة
وسكون العين المهملة وبا موحدة ويا نسبة مشددة فقيه مالقة بزنة فاعلة
اسم فاعل بلدة مشهورة بالغرب بيد النصارى الان اعادها الله للاسلام في رجل
انكر على بعض القضاة تحليف امراة مخدرة ادعى عليها بحق شرعي فارها ان تحلف
عنده بالليل سترا لها وقال من انكر تحليفها ليلا لو كانت المراة بنت ابي بكر الصديق
رضي الله عنهما ما حلفت الا بالنهار حتى يسوى بينها وبين غيرها وصوب ما من شدد
الواو اي عد قوله هذا صوابا وهو انكاره تحليف النسا المخدرات ليلا بعض
المتسمين اي المتصفين بمعرفة الفقه فقال ابو المطرف فقيه مالقة ذكر هذا
المنكر تحليف النسا ليلا لابنة ابي بكر الصديق رضي الله عنهما في مثل هذا الامر الذي
يسوى بها غيرها من النسا يوجب عليه شرعا التعزير البليغ والضرب الشديد
والسجن الطويل لجراته على بنت خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وام
المومنين فان المتبادر منها عند الاطلاق عايشة رضي الله عنها وان كان له غيرها
والفقيه الذي صوب قوله في الانكار المذكور هو احق واولى باسم الفسق اي
وصفه بانه فاسق وجعل فقهه الذي ادعاه فسقا احق بالقبول من اطلاق
اسم الفقه عليه فيتقدم اليه اي يبرز لمخالفته وتفسيقه بما قاله في ذلك
المقال الذي قاله ويزجر ويوبخ على ما قاله ولا تقبل فتواه التي افتى بها ولا شهادته
بتصويب ما قاله ذلك الفاسق الذي ظنوا فسقه فقها وهي اي فتواه بتصويبه
لمقالته هذه جرحة فعلة بالضم من الجرح المقابل للتعديل اي قوله هذا جارح له
مسقط له من العدالة ولا يقبل ما قاله ثابتة فيه مسجلة عليه الجرح وعدم
العدالة وبغض مضارع بزنة يكرم المجهول بغين وضاد معجمتين معطوف
على قوله يتقدم اي يظهر بغضه وعداوته في الله تعالى عز وجل اهانة له وتركا
لمقاله وهذا اخر كلام ابي المطرف كما نقله عنه السبكي في فتاويه وقال المعرض
من هذا كله انه فاسق مرتكب لكبيرة عظيمة لا مخلص له منها بسبيل الى العدالة
ومن كان بهذه الصفة لا تقبل شهادته قطعا ومن تخيل ان قبول ساب الصحابة
وجها وتاويلا فليعلم ان هذا وان كان فاسدا فالشيخان خارجان عن ذلك اذ
تاويلهم انما هو فيمن خاض الفتن ولا بس قتل عثمان وقاتل عليا والشيخان
بريان من ذلك قطعا ولهذا جرى الخلاف في تكفير سابهما وساب عثمان وعلي دون
غيرهم من الصحابة انتهى واذا عرفت ان ما ذكره المص عبارة ابي المطرف فالمقصود
منه ان السلف كانوا يحافظون على مقام الصحابة ويمنعون الجراة عليهم ولذا
نقله السبكي ولم يتعقبه فما قيل عليه من انه غير مسلم لان انكاره التحليف ليلا له

وجه لان اليمين قد يقصد تغليظها ومن تغليظها اظهارها بين الناس حتى قيل قد
تغلظ بعد عصر الجمعة فالاخفا لم يعهد شرعا وايضا قوله لو كانت بنت ابى بكر ليس
فيه ذكر لعايشة فله بنت اخرى وهى اسما ولو سلم تبادرها فليس فيه تحقير لها
بل هو تعظيم لها لا دعا انها فى اعظم مراتب الشرف حتى لو كانت هذه مرتبتها لم تخف
والوف قاض بهذا وبه افتى بعض الفقها كالسبكى وابن ابى شريف فقال السبكى
وغيره لو قال لو جا فى هذا الامر جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعلته
انه تغليظ فيه تعظيم للمشبه به وان له مرتبة لا يصل اليها احد ولو وصل لها
هذا حكم عليه ايضا لان الاحكام لا تختلف بشريف ولا وضيع ومثله ما ورد
فى الحديث لو سرقت فاطمة بنت محمد قطعتها قد علمت الجواب عنه وكون مثله
للتعظيم يعلم من السياق واذا كان كذلك فقد يوخذ من السياق غيره ولذا قال
المص وقال ابو عمران فى رجل قال لو شهد على ابو بكر حذف الجواب لظهوره وعدم
القصد له هنا انه اى الشان او القول المذكور ان كان مراده ان شهادته فى مثل هذ
لا تجوز ولا تكفى وحدها بهذا الشاهد الواحد لان شهادة رجل واحد لا تقبل
مطلقا وسا فى قصته خزيمة موول كما تقدم فلا شى عليه من تعزير وغيره لانه
لا يشعر باهانة ولا تنقيص وان اراد غير هذا مما يقتضى الاهانة بقرينة سوق
الكلام فيضرب ضربا بليغا يبلغ به الموت اى يوصله ذلك الضرب الى مرتبة
الموت لذكره من هو افضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مقام
لا يليق به فهذا يشعر بان مثل هذه العبارة قد يكون فيها نوع من الاهانة والحقارة
وذكروها رواية وكون الشاهد الواحد لا يقبل ليس على اطلاقه فقد ذكر
الفقها مسايل تقبل فيها شهادة واحد ليس محل تفصيلها هنا كما وقع فى بعض
الشروح فانه تكثير للسواد ليس فى محله تنبيه فى الخصايص الكبرى للسيوطى
اخرج الطبرانى عن ابى امامة انه صلى الله عليه وسلم قال اربعة يوتون اجرهم
مرتين ازواجه امهات المومنين فقيل فى الاخرة وقيل احدهما فى الدنيا والاخر
فى الاخرة واختلف فى مضاعفة عذابهن فقيل عقاب فى الدنيا وعقاب فى الاخرة
وغيرهن اذا عوقب فى الدنيا لا يعاقب فى الاخرة لان الحدود كفارات وقال مقاتل
هذان فى الدنيا وقال ابن جبير وكذا عذاب من قذفهن يضاعف فى الدنيا فيجلد
مائة وستين وفى الشفا انه خاص بعايشة لانها يقتل وقيل يقتل من قذف
واحدة من سايرهن وقال فى التلخيص قوله تعالى لين اشركت ليحبطن عملك وعمل
غيره انما يحبط بالموت على الكفر انتهى وقد تقدم الكلام عليه وعلى ما فى كلام ابى
عمران وكذا يعطى اجره مرتين من توضا مرتين ومن يقرا القران وهو عليه شاق
والمجتهد اذا اصاب والمتصدق على قريبه والمراة على زوجها ومن عمر جانب المسجد

الايس لقلة اهله والغنى الشاكر ومن سن سنة حسنة ومن صلى بالتيمم ثم وجد الما
فاعاد والجبان ومن اشترى امة فادبها واحسن تاديبها ثم اعتقها وتزوجها وكتابى
امن بنبيه ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم ومن صلى فى النصف الثانى والثالث مخافة
ان يوذى مسلما والامام والموذن ومن طلب علما فادركه ومن اسبغ الوضوء
فى البرد الشديد ومن دنى من الخطيب فاستمع وانصت ومن غسل يوم الجمعة واغتسل
ومن قتله اهل الكتاب وشهيد البحر ومن حافظ على صلاة العصر ومن استمع
لقراة القران وسرية خرجت للغزو فرجعت وقد اخفقت اى رجعت ولم
تغنم ومن قتله سلاحه ومن توضا بعد الطعام ومن يعمل العمل سرا فاذا اطلع
عليه اعجبه قال الترمذى فسره بعض اهل العلم بان يعجبه ثنا الناس عليه بالخير
لقوله صلى الله عليه وسلم انتم شهدا الله فى الارض لا للاكرام والتعظيم وقال
بعضهم اذا اطلع عليه فاعجبه رجا ان يعمل بعمله فيكون له مثل اجورهم ومن كان
موفقا فى وقت الفساد ومن تصدق فى يوم جمعة ومن عمل فيه خيرا مطلقا ومن اتى
الى الجمعة ماشيا ومن تبع الجنازة ماشيا ومن صلى على جنازة وتبعها حامل اهلها
فيحصل له اجر صلاته على اخيه واجر صلته للحى ومن يقرا فى المصحف ومن قرا القران
فاعربه معرفة معانى الفاظه وليس المراد بذلك المصطلح عليه فى النحو وهو ما يقابل
اللحن لان القراة مع فقده ليست قراة ولا ثواب فيها ومن يسارع الى الخير ما شيا حافيا ثم
ختم المص رحمه الله كتابه بقوله قال ابو الفضل عياض مصنف هذا الكتاب
رضى الله عنه هنا انتهى اى تم وبلغ نهايته القول بنا اى القول المتعلق بنا فيما قصدنا
من هنا التاليف فيما حررناه اى كتبناه محررا مهذبا من البواعث على هذا التاليف
وانجزنا اى تممنا من انجاز الوعد الذى وعدنا تمامه فى اول الكتاب وفى نسخة انجز
افتعال من انجاز وهو التمام الغرض بمعجمتين اى المطلوب الذى نحيناه بحا مهملة
اى قصدناه فى تاليفنا هذا فى ذكر حقوق المصطفى كما تقدم فى التراجم واتى بصيغة
التفعل لزيادة قصده والغرض اصله كما تقدم الذى يرمى له السهام ثم عبر به عن كل
مقصود وبينه وبين الفايدة عموم وخصوص مطلق وصوب بعضهم انه انه وجهى
فتنفرد الفايدة فى ثمرات افعال الله بنا على انها لا تسمى غرضا وينفرد الغرض فيما لو قصد
بامر ما لا يترتب عليه خطا واجتماعهما ظاهر غنى عن العيان واستوفى اى كمل واتى
وافيا الشرط الذى شرطناه فيما بيناه اول الكتاب واستوفى يبنا الفاعل وجوز
كونه للمفعول والضمير لما مما ارجوا اى وملمن الرجا بمعنى الامل ويكون فى غير هذا
المحل بمعنى الخوف ايضا مع النفى كقوله لا ترجون لله وقارا ان يكون كل قسم منه اى
مما حرره للمريد للمريد الطالب لهذه المقاصد مقفع مقفلا بالفتح من القفاعة اى
كفاية وهو اسم مكان ومصدر ميمى والمراد بالمريدين طلبة الوقوف على معرفة مقدار

البنوة وحقوقها وعبر بالمنبع اشارة الى انه لا يمكن الوصول الى حقيقتها المغنية والا فا
لطالب يقنع بمقدار منها فلله دره وفي كل باب من ابوابه اى كل جملة ونوع من انواعه
وهو في العرف جملة من المسايل يرتبط بعضها ببعض بحيث تعد امرا واحدا منهج هو
كالمنهاج الطريق الواضح الى بغيته بكسر البا وضمها وغين معجمة وهي المطلوب
ومنزع بفتح الميم والزاى المعجمة بينهما نون ساكنة محل النزع او النزاع فهو اما بمعنى
مخرج يخرج اليه او محل الجابه الذى يشتاق اليه من نزع الى اهله ووطنه اذا اشتاقه
او من نزع السهم اذا جذبه ليرميه فالمقصود انه يجد ما يهمه طلبه فيه وقد سفرت
فيه اى كشفت وبينت في هذا الكتاب مما حررته وجمعته فيه وازلت الحجاب
عن نكت جمع نكتة وهي الامر الدقيق المستخرج بالفكر تستعرب اى تعد غريبة نادرة
وتستبدع اى تعد بديعة غير مسبوقة بالمثل في جنسها ولو اقتصر على قوله تستغرب
ربما يتوهم ان غرابتها لعدم الف الطباع لها اذ ليس كل مستغرب مبتدع فلله دره
وكرعت اى احتوت بدخولها ووصولها في مشارب اى مطالب ومقاصد من التحقيق
اى بيان الحق المتقن الثابت لم يورد ببنا المجهول اى يذكر لها قبل اى هذا الكتاب
في اكثر التصانيف التي صنفت في هذا الباب مشرع اى محل يستفاد منه مثلها هذا هو
المراد وتحقيقه ان الكرع في الاصل شرب الدواب بفيها من الما لانها تدخل اكارعها فيه
والورود الذهاب للشرب ضد الصدر والمشرع محل الما المورود كالمنهل والمورد
والشريعة النهر ونحوه فالكل هنا اما استعارة تمثيلية بتشبيله المسايل المطلوبة
بما ينتفع به العطاش وتشبيههم ثانيا يسيل لهم حاجة له ولتشبيه الصحف بموارد انها
ريحط عندها الرحال وهذا ابلغ من جعلها استعارات تصريحية او مكنية
مخيلة مرشحة وتكل وجهة فلله دره واودعته اى جعلته فيه كانه وديعة
عنها فصلا اى فصولا كثيرة وما زيدته لتاكيد الكثرة ووددت اى تمنيت من الود وهو
المحبة والصداقة ثم استعير للتمني وهو المراد كقوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا
مسلمين لو وجدت من بسط اى بين وشرح من غير اختصار فيه قبلى الكلام فيه
اى في بيانه مستوفى ووجدت مقتدى اى احدا من ايمة العلما المتقدمين وفي نسخة
مفيدا بالفا من الفايدة يفيدنيه اى استفيده منه اما عن كتابه الذى صنفه في هذا
الغرض وفيه اى اسمعه من تقريره لى بفيه لاكتفى بما ارويه عما اروّيه اروي الاول
مضارع بفتح الهمزة وسكون الرا المهملة وكسر الواو المخففة ثم يا مثناة تحتيه
وفاعله ضمير مستتر للمتكلم والثاني بضم الهمزة وكسر الواو المشددة بعد را مهملة
مفتوحة اى اروى ما سمعته من فيه او اخذ من كتابه ومعنى الثاني احمل غيرى على روايته
عنى اى اكتفى بالاول عن الثاني وفيه تجنيس بديع وقوله يفيدنيه باتصال الضميرين
جواز وظاهر كلام سيبويه ان الاتصال في مثله لازم واختار ابن مالك الاول كما

بين في كتب النحو يعنى ان بيان نخوة المصطفى صلى الله عليه وسلم وما يجب له امر واجب
لم ار من وفاه حقه فوجب على بيانه ولله دره رحمه الله فانه قام بامر عظيم لم يقم
به غيره وفسر بعضهم ارويه المشدد بافكر فيه واعمل رويتى فيه من رويت في كذا
وترويت اذا اعملت النظر والتفكر فيه وما ذكرناه هو المروى وجوز بعضهم في
ارويه الثاني ضم الهمزة وسكون الرا المهملة من رواه المزيد وهو بمعنى حمله على الرواية
ايضا والى الله تعالى وحده لا الى غيره كما يفيده تقديم الجار على متعلقه جزيل الضراعة
الضراعة بمعنى التذلل والخضوع والجزيل الكثير القوى وهو صفة معنى اى الضراعة
الجزيلة وهو دعا في المنة اى الانعام والاحسان بقبول ما حصل منه بفضله وكرمه
لوجهه الكريم اى ما فعله خالصا لله لا ريا للناس كما اشار اليه بقوله والعفو
معطوف على المنة اى وفي العفو عما تخلله اى وقع في خلال كلامه وبين اجزايه في اثنا
فصوله التي ذكرها في كتابه هذا من تزين اى اظهار ما فيه زينة وحلية وتصنع اى
تكلف صنعه في كلامه كالسجع والالفاظ التي قصد تحسينها مما يخشى ان يكون ذلك
ريا منه بقصد منه التبجح بقدرته على الكلام البليغ لغيره اى لغير الله بل لاجل غيره
من الناس وهو دعا طلب به من الله ان يرزقه الاخلاص في تاليف هذا الكتاب وان
يصونه عن الريا فيما حسنه من كلامه وزينه من عباراته وان يهب لنا ذلك اى
ما وقع فيه التزيين والتصنع بما فيه شايبة ريا وهبته تجاوز عن التجاوز وعن
المواخذة به لئلا يحبط ما صنعه بجميل كرمه وعفوه عنه ان وقع ريا لغيره
لما اودعناه اى عفوه عما ذكر لاجل ما اودعه في كتابه هذا من شرف مصطفاه اى
رسوله الذى اختاره لرسالته وتبليغ امانته وامين وحيه الذى ايتمنه على تبليغه
لخلقه فان الحسنات يذهبن السيئات وحاصله انه خشى من ان يخالط
عمله ريا يحبطه فرجا من الله ان يعفو عنه ان كان والريا اذا خالط العمل هل
يحبطه ام لا فيه خلاف وصحح بعضهم انه ينظر فيه للباعث عليه والاغلب فيه
فان غلب اخلاصه وكان هو الباعث له لم يحبط شئ من عمله والا حبط وهذا
هو الذى عليه المحققون وله تفصيل في كتب القرافي والعز بن عبد السلام هذا
محصله وان يعفو لنا ذلك لاجل ما قاسيناه في تحصيله وتاليفه واسهرنا به
اى تركنا النوم والراحة فلم تغمض جفوننا جمع جفن وهو غطا العين اضاف له
السهر لتوقفه عليه لتتبع فضايله التتبع هو التبعية اريد به التفتيش والبحث
عن فضايل المصطفى صلى الله عليه وسلم من كتب القوم واعمال الفكر فيها واعملنا
اى اشغلنا واتعبنا فيه خواطرنا جمع خاطر وهو كما في الاساس ما يتحرك في القلب من راى
او معنى ثم قال خطر على بالى وببالى من باب ازاى ظها رخصا يصه اى ما خصه الله
دون غيره مما يجب ويباح او يحرم ووسايله اى ما يتوسل به الى الله مما قربه اليه

اوما اكرمه به يوم القيامة كالشفاعة العظمى والحوض ولوآء الحمد وغيرهما مما تقدم تفصيله والكلام عليه ويحمي اي يصون اغراضنا جمع عرض بكسر فسكون وضاد معجمة والمراد به ابداننا فان العرض يطلق على هذا وعلى ما يصونه ويحميه من صفاته وادعى بعض اهل اللغة انه حقيقة في الاول دون الثاني وفيه كلام في كتب اللغة عن ناره الموقدة التي يعاقب بها من عصاه بحمايتنا اي صيانتنا كريم عرضه اي عرضه الكريم اي المكرم المحترم عند كل مسلم والعرض هنا بمعناه المعروف ويجعلنا ممن لا يذاد بضم المثناة التحتية وذال معجمة والف بعدها دال مهملة اي يطرد اذا ذيد مبني للمجهول بذال معجمة مكسورة ودال مهملة بينهما تحتية ساكنة اي طرد وصد المبدل اي الذي بدل دينه بردة ونحوها عن حوضه المورود يوم القيامة يوم الحسرة والندامة وهو تلميح واشارة لما ورد في الحديث من انه صلى الله عليه وسلم ينادي بعض العطاش في القيامة من القيامة فيمنعون عنه فيقول ما بالهم طردوا فيقال له انك لا تدري ما فعلوا بعدك انهم بدلوا دينهم وبه استدل بعض الرافضة على تكفيرهم لبعض الصحابة فطلب من الله ان يحميه عما يبدل دينه حتى لا يكون من المطرودين عن الحوض وهذا الحديث في صحيح مسلم وغيره ولفظه الذي في مسلم انه صلى الله عليه وسلم اغفى اغفاة ثم رفع راسه متبسما فقال انزل علي الليلة سورة وقرا انا اعطيناك الكوثر الى اخرها ثم قال هل تدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال نهر اعطانيه ربي عليه خير كثير ترده امتي يوم القيامة يختلج العبد منهم اي تجذبه الملائكة وتدفعه فاقول يا رب انه من امتي فيقال انك لا تدري ما احدث بعدك وفي رواية ما زالوا بعدك مرتدين على اعقابهم قال القرطبي رحمه الله قالوا كل من ارتد او احدث ما لا يرضاه الله فهو من المطرودين عن الحوض واشدهم طردا من خالف جماعة المسلمين كالخوارج والظلمة واهل الجور فهذا صريح في ان طردهم عن الحوض على ظاهره وقول ابن حجر رحمه الله تعالى انهم طردوا اليرشد كل احد الى حوض نبيه يا باه ما صرح به في الروايات الاخر وهذا غير منافٍ لما ورد من انه صلى الله عليه وسلم تعرض عليه اعمال امته في البرزخ لانه قد ينسى او يراد اظهار ما عملوه على رؤس الاشهاد ونحو ذلك ويجعله لنا يغني نفسه ومن اخذ عنه ولمن تمم اي اعتنى وتقيد بكتابه اي كتابته واكتسابه اي تحصيله باي طريق كان سببا اي وسيلة موصلة يصلنا باسبابه اي طريقا موصلا للامور الموصلة لقرب الله ورضاه وذخيرة اي لما ندخره وعدة نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا اي تجد اعمالها حاضرة عندها وهو تجوز عن حضور صحفها او ظهورها بشهادة الاعضا ونحوها لان الاعمال اعراض لا تعاد وتحضر وذهب بعضهم الى ان الاعمال تجسم حتى تشاهد واليه ذهب بعض العلما وللجلال السيوطي فيه رسالة اقام فيها الادلة على كل شيء قدير وغير باسم المفعول لان الفاعل معلوم اذ لا يحصرها الا الله نحو بها

اي يخص

اي يخصص بالاعمال الصالحة اذا احضرت رضاه وجزيل ثوابه كما وعد به من لا يخلف الميعاد ويخصنا اي يميزنا بما عملناه من العمل الصالح بخصيصى زمرة نبينا صلى الله عليه وسلم وجماعته اي اتباعه من امته وخص يتعدى بالبا وتدخل على الماخوذ كما هنا وعلى المتروك والكلام فيه مشهور والزمرة والجماعة متقاربان وخصيصى بكسر الخا المعجمة وكسر الصاد المهملة المشددة ثم مثناة تحتية وصاد مهملة والف مقصورة وتمد كما في القاموس وغيره وهو مصدر بمعنى الاختصاص وهو الذي جزم به السيوطي وقيل انه مثنى خصيص بوزن صديق واليه ذهب السخاوي وغيره وفسره بابي بكر وعمر رضي الله عنهما ولما قراه بالتثنية الشيخ برهان الدين النعماني في الدرس بين يدي المحيوي الكافيجي بالشيخونية والجلال حاضر رده وقال انه خطا فلم يقبله وقال انه هو الصواب فكتب اليه بعد ذلك ما هو رد بعد البسملة الحمد لله الذي محن العلما والاشراف بمعاندة الجهال والاطراف والصلاة والسلام على سيدنا محمد واله وصحبه اولي الفضل والانصاف وبعد فقد قرا على بعض العوام في اخر كتاب الشفا قوله ويخصنا بخصيصى الخ بسكون اليا بصيغة التثنية المحذوفة النون فقلنا له انما هي خصيصى بالف التانيث المقصورة واقمنا له العذر في ذلك بكونه راها مرسومة باليا فظن انها يا وادعى انها رواية وكتب في ذلك وادعى ان ذلك هو الصواب وان المراد بالخصيصين ابو بكر وعمر رضي الله عنهما واقول ما ادعاه باطل رواية ولغة ومعنى اما الرواية فان الذي تلقيناه من المعتبرين وضبطه من يرجع اليه في النقل انه بالالف لا غير كما نبه عليه الحافظ البرهان الحلبي في شرحه المشفنا وشيخنا الامام تقي الدين الشمني في حاشيته عليه وكذلك قراناه عليه وسمعناه من غيره واما لغة فقال في الصحاح والقاموس والمجمل خصه بالشيء خصا وخصوصا وخصوصية بالفتح وخصيصى وعيد فهو ائمة اللغة قالوا خصيصى بالالف المقصورة مصدر خصه ولم يقل احد منهم ان خصيص سمع مصدرا ولا صفة واصح منه ما في ديوان الادب للفارابي في باب فعيل انه سمع فيه خمسة الفاظ شريب صاحب شرب جدا وقسيس ورجل ضليل ضال جدا وتنين ضرب من الحيات ورجل عنين ثم ذكر خصيصى واخواته ولم يذكر خصيصى وبابه سماعي لا يقاس عليه كما هو مقرر عند اهل العربية واما بطلانه معنى فلان المقصود من الكلام المصدر لا الوصف والمراد ان يخصنا بمدة الخصوصية وهو ان يكون من جملة الجماعة المنسوبين الى النبي صلى الله عليه وسلم والزمرة الداخلين تحت لوايه وليس المراد الاختصاص بالذوات وهذا مما لا يخفى الا على جاهل بليد وايضا لو كان خصيصى مثنى مضاف وجب ان يضاف الى شيئين متغايرين وليس بعده الا زمرة وهي وجماعة بمعنى واحد وما فيه كلامه غلط صراح

يضحك منه السامع ويفرح به العدو ويغتم منه الصديق وأي معنى لقوله وتخصنا
بابي بكر وعمر والاختصاص انما يكون بالمعنى لا بالذوات فليتامل المنصف هذا الكلام
فانه لا يساوي مثقال ذرة والله اعلم انتهى ما قاله السيوطي ملخصا وارسله
لعلما عصره واستفتاهم وطلب منهم بيان الصواب فقال السخاوي في فتاويه في الحديث
ان ممن استفتاه العلامه الاميني الاقصراي فكتب بتصويب ما قاله البرهان
وقال ان انكاره بغير موجب ومعناه صحيح فلا وجه لانكاره وكتب الشمس البابلي ان الذي
سمعناه من مشايخنا قديما وحديثا وقري عليهم ان هذه اللفظة مثناة والمعنى عليها
فلا يحل لاحد انكارها فمن انكرها وصوب غيرها في الحقيقة مسيي على القاضي عياض
فيودب على اسائته على العلما وكتب الجوجري عثمان الديمي مثله وكذا الشيخ قاسم الحنفي
وقال ان التثنية لا تمتنع رواية ودراية اما الرواية فلانها الثابتة في الاصل المعتمد
المقابل مع الحافظ الذي صححه عبد المجيد اليمني في حاشيته عليه وفي ذلك
على ابن حجر وناهيك به فمن نسب قايله الى الكذب فهو كذاب يستحق التاديب كذا قال
السخاوي في فتاويه ثم قال انه سيل عنه مرة اخرى فاجاب بان التثنية ثبتت دون
غيرها كما قاله التاج اليمني وشهد له تاج الدين السبكي بانه الذي يروي فيروي كل زمان
ويبدي فوايد شجرة الايمان وهو الثابت في الاصول المعتمد عليها ومما يتعجب منه
انه استدل بما نحيران الادب لاقتصاره في فعيل على خمسة الفاظ مع وجود الفاظ
غيرها واذا تقرر هذا فالتثنية في كلام القاضي بالنظر لشيين وهما الزمرة الشاملة
بجميع من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة وغيرهم الى يوم القيامة والجماعة
الذين هم الصحابة خصهم بعد دخولهم في العموم لشرفهم فكانه سال الله ان يخصه
باقتفا طريق الخواص من اصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم ومن ساير امته وهو
كقول القايل هب لنا ما وهبته لاوليائك واحبائك ويجوز ان يكون سال ان يخص
تخصيص هذه الامة وهما ابو بكر وعمر رضي الله عنهما حسبما ورد في حديث ضعيف
رواه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم
قال ان لكل نبي خاصة من اصحابه وان خاصتي ابو بكر وعمر رضي الله عنهما اخرجه البيهقي
في الفضايل ولا يكون من خواصهما الا بسلوك طريقهما واقتفاء سنتهما وعلى تقدير
التنزل في كونها الزمرة والجماعة واحدا فليس يمتنع الاتيان بلفظ التثنية مع اضافة
لفظ الواحد بل يقال زيد وعمرو حاكما البلد انتهى باختصار لما اطال به مكررا فحذفنا
منه ما لا حاجة لنا به وانا اقول ان السخاوي رحمه الله اطال لسانه على السيوطي
رحمه الله وادعى ان علما عصره كلهم وافقوه وثبتوا خطوطهم بنصرته والحاصل
ما قاله في كتاب غير فتاواه والحق احق بالقبول فان الذي يقبله الطبع ما قاله
السيوطي وهو ان تخصيصا مصدر فان النقل والعقل شاهدان له اما الاول

فان الموجود

فان الموجود في كتب اللغة كلها ذكر خصيصى وقول السخاوي انه لا احصي في كلامهم
مسلم لكنه لا يفيد اثبات كلمة لم يذكرها اهل اللغة ولم يسمع في كلام احد
من العرب واما الثاني فان معناه في غاية الظهور وكونه مثنى مرادا به العمرين
لم يدل عليه سياق ولا مساق الا ان قول الجلال انه لا يضاف الا الى اثنين
لا وجه له كما قاله السخاوي ويحشرنا اي يجمعنا في الحشر في الرعيل الاول الرعيل
والرعل القطعة من الخيل وجماعة منها والرعيل الاول السابقون من الفرسان
ثم كني به عن كل سابق للخير والفعل الحسن يتمدح به كما قال حسان رضي الله عنه ثم
الا نوف من الرعيل الاول فالمراد به هنا من يبادر لفعل الخير ممن يكرمه الله
بدخول الجنة قبل غيره وهم بعد الانبيا عليهم الصلاة والسلام العلما العاملون
واهل الباب الايمن اي اصحاب اليمين النيرات وجوههم ممن يوتى كتابه بيمينه من اهل
شفاعته بعد تم الكلام على ذلك ونحمده تعالى على ما هدى ليه من جمعه اي جمع ما فيه
بما يتعلق بغرضه والهم الالهام القا الخير في القلب وفتح البصيرة اي قوة النفس
المدركة في الباطن بمنزلة البصر في الظاهر وجعلها كالعين تخييلا قال لندرك بفتح
فسكون اي ادراك حقايقها ودعناه وفهمها ونستعيذه اي نلجا اليه جل اسمه
وعز من دعا لا يسمع اي لا يجاب ولا يقبل كقوله سمع الله لمن حمده وعلم لا ينفع
لعدم العمل به والاخلاص فيه وعمل لا يرفع اي لا يقبل ولا يعتد به قال تعالى والعمل
الصالح يرفعه وقال ان كتاب الابرار لفي عليين فهو الجواد بتخفيف الواو بمعنى الكريم
الكثير الجود اي الاعطا وهو من اسما الله تعالى كما ذكره ابن حجر وقد ثبت في حديث
صحيح وذكره النووي كالترمذي في جامعه والبيهقي في الاسما والصفات
واعتضد بمسند وبالاجماع خلافا لمن انكره الذي لا يخيب من امله يخيب بوزن
يزيد اي لا يحرم من قصده ويجوز تشديده فان الكريم لا يخيب من قصده ولا ينتصر
من خذله الخذلان ضد النصرة ومن خذله الله لا يقدر احد ان ينصره ولا هادي
لمن اضله ولا يرد دعوة القاصدين لسواله الراغبين لما عنده وفي الحديث
ان الله يستحي ان يرد يد عبد صفرا اذا رفعها ولا يصلح عمل المفسدين فيمحقه
ويبطله وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين
وعلى اله وصحبه اجمعين وسلم تسليما كثيرا ولما تم بفضل الله وتوفيقه هذا
الشرح المبارك قلت مورخا له وراجيا قبوله وعود بركته علي وعلى احبابي وعلى
جميع المسلمين امين امين بجاه النبي الكريم الاجل ومن قد كسي

المجد اسنى الحلل توسلت لله ربي الذي به لا يخيب من قد سال فان الشفا
وما فيه من مناقبه للاماني كفل وقد تم شرح به ارتجي بان يشرح الله
صدرا لعمل ببرء السقام ومحو الذي جناه الصبا من عظيم الزلل

فيا سيد الرسل يا من ثرى مواطئه اقصد للمقبل تقبل هديته انها

هدية عبد لمولى اجل فامال فالي قد ارخته تم الشفا وصح الامل

فصلى وسلم ربي على مقام به نوره ما افل فلا زال مطلع شمس الهدى

وروضته قبلة للمقبل قال مؤلفه وتم يوم الجمعة ثامن عشري ربيع الثاني

سنة ثمان وخمسين بعد الالف على يد اضعف العباد احمد شهاب الدين

الخفاجي المصري وكان الفراغ من هذه النسخة المباركة على يد راجي

عفو ربه القوي اسماعيل ابن محمد بن اسماعيل العدوي

المالكي حامداً مصلياً مسلماً محسبلاً محوقلاً بتاريخ نهار الثلاثاء

المبارك ثالث جمادى الاخر سنة ١٠٤٣ من الهجرة النبوية على صاحبها

افضل الصلاة وازكى السلام والحمد لله وحده حمداً كثيراً دائماً

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي

وعلى اله وصحبه وسلم تسليماً

كثيراً دائماً

كتبه اضعف العباد الحاج مصطفى راقم عن خلفاء عمر الوصفي

سنة ثمان وخمسين ومائتين والف

١٢٥٨